معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف
الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى.



ملحق (ج 3)

نشر



دار الأمان - الرباط

الطبعة الأولى / 1435 هـ - 2014م

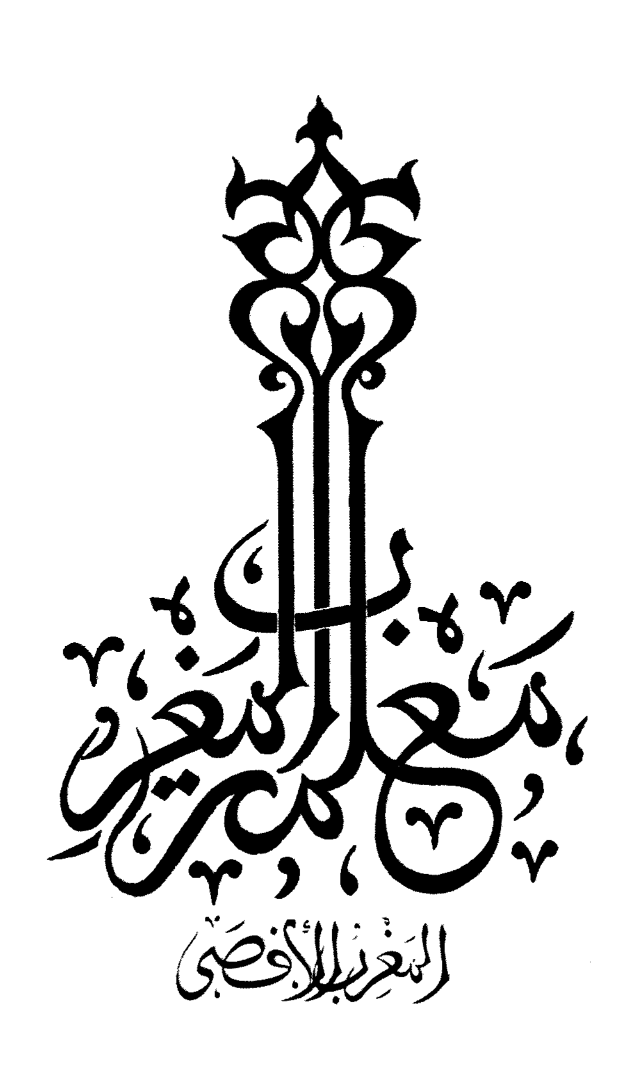
أعدَّ هذا الجزء من معلمة المغرب
بدعم من وزارة الثقافة ويسعد الهيئة العلمية
للمعلمة أن تتقدم من السيد الوزير
بأصدق عبارات الشكر والإمتنان

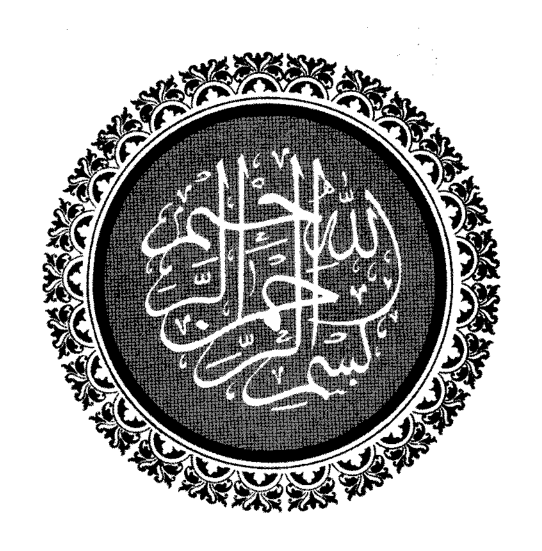
رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق - الرباط
1984/0629

ردمك 7-000-03-9981 (المجموعة)
ردمك 6-033-03-9981 (الجزء 26 ملحق 3)

دار الأمان - الرباط

المملكة المغربية - 4، زنقة المأمونية - الرباط
هاتف: 87 37 26 37 5 212+ / 76 32 72 37 5 212+
فاكس: 55 00 20 37 5 212+
بريد الكتروني : libdarelamane@yahoo.fr


المغرب الأقصى



مقدمـــة

سيرا على النهج الذي رسمه مؤسس *"المعلمة"* الأستاذ محمد حجي رحمه الله ها نحن نتابع إصدار الملحقات بجعل المجلدين 26 و27 خاصين بالصحراء المسترجعة، مدرجين فيهما أهم ما نشر في المجلدات المنشورة معززا بمواد جديدة تذكر ما لم يسبق ذكره من الأعلام البشرية والجغرافية وقضايا التنمية الاقتصادية وقواعد التشكيلة الاجتماعية والثقافية في تلك الأقاليم، مفتتحين الجزء 26 ببيعة قبائل واد الذهب للمرحوم الحسن الثاني طيب الله ثراه ومختتمين الجزء 27 بنص مشروع الحكم الذاتي الذي عرضه صاحب الجلالة محمد السادس نصره الله على هيئة الأمم المتحدة لجعل حد للنزاع المفتعل ضدا على الوحدة الترابية المغربية، قاصدين بذلك التذكير بأن الصحراء كانت دائما جزءاً لا يتجزأ من الوطن وأن سكانها على اختلاف القبائل وكثرتها كانوا دائما يديرون شؤونهم الذاتية والمحلية بأنفسهم على غرار باقي الأقاليم المغربية التي تتأهب هي كذلك، في إطار مشروع الجهوية المتقدمة، لتدبير شؤونها الجهوية بناء على أسمى أساليب الديموقراطية، الهادفة أصلا إلى النهوض بمستويات عيش المواطنين وبروح التضامن بينهم والإخاء الإسلامي. ويوم يصوت البرلمان المغربي على القانون المقيم لهذا الصرح الديمقراطي الأساسي فإن العزم معقود على متابعة المشروع بإصدار الملحقات الخاصة بكل جهة جهة بعون الله ومشيئته.

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الكريم وعلى آله وصحبه وسلم أكمل تسليم

الحمد لله الذي نظم بالخلافة شمل الدين والدنيا وجعلها الدرجة
العليا وصان بها الدماء والاموال والاعراض وغل بها ايدي الجبا
برة عن مجاوزة الاغراض نحمده تعالى حمد معترف بذنبه راجع الى ربه
ونشكره جل وعلا شكر مستزيد من نعمه مستعيذ به من نقمته ونقمه
ونشهد انه الله الذي لا اله الا هو له الملك التام والحكمة والانشاء
وله التصرف النافذ يوتي الملك من يشاء يرفع ويضع
ويحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ونشهد ان سيدنا ونبينا
ومولانا محمدا عبده ورسوله جاءنا بالسنة والفرض وقال اذا
مررتم بارض ليس فيها سلطان فلا تدخلوها انما السلطان
ظل الله ورمحه في الارض وقال من مات وليس في عنقه بيعة
مات ميتة الجاهلية صلى الله تعالى وسلم عليه وعلى
آله الذين نور الله بهم هذا العالم تنويرا وآتاهم جل جلا
له ملكا كبيرا وعلى اصحابه ائمة الهدى ومن باقوالهم وافعا
لهم يؤتم ويهتدى ما قامت للخلافة قواعد وبانت لجماعة
المسلمين مشاهد ومعالم .

اما بعد فمن المعلوم لدى الخصوص والعموم ان الله تعالى له الحكمة
البالغة والنعمة السابغة ومن حكمته جل جلاله وعز كماله
ان جعل هذا العالم منوطا بالسلاطين والملوك محوطا بالخلفاء
الذين بهم يهتدى وينتشر الامن والعافية في المسالك والسلوك
وبهم تؤمن الطرقات فلا يخشى عليها من طروق البغاة
وبهم تدفع الآفات وتؤدى الامانات وتحرس الجهات
من فساد اللصوص والسراق وبهم تمنع المحارم وتدفع
الجرائم وترفع المظالم وتعلو بكلمة الله للدين مشا
هد ومعالم قال عليه الصلاة والسلام

السلطان ظل الله ورمحه في ارضه يأوي اليه الضعيف
وبه ينتصر المظلوم وفي رواية السلطان ظل الله في ارضه
من غشه ضل ومن نصحه اهتدى .

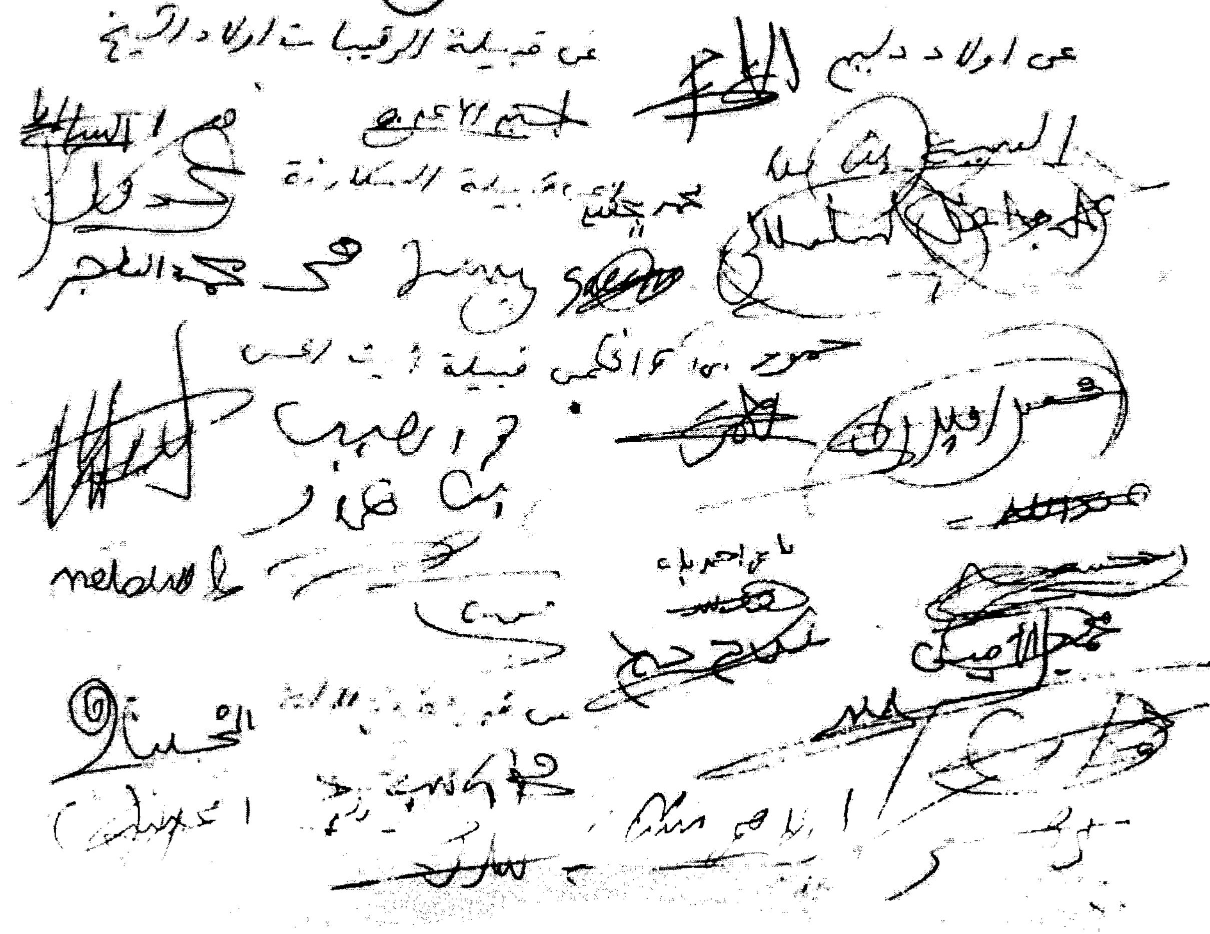
ولما وفق الله باجتماع شمل الامة المغربية وانعم عليها
بعودة وحدتها الوطنية تحت علم حامي حوزة البلاد
وهادي شعبه الى سبل الرشاد محقق الامال والاماني
امير المومنين سيدنا ومولانا الحسن الثاني وكنا نحن قبائل
اولاد دليم والرقيبات وايت لحسن والعكارنه ولعروصيين
والزركيين واهل الشيخ ماء العينين واولاد تيدرارين ويكوت
وايت بعمران واهل محمد سالم واهل بارك الله واد بسبع
وتنرغ والفيلالات وايمراكن سكان واد الذهب من اسر
القبائل مغربية بخلالها الشريفه ومآثرها الجليلة المنيعة
واكثرها تعرضا لما بذل من جهود في سبيل تحريره ولمحنه
وسعى من سعى محمود لتحقيق وحدته وصرف من
عناية لترقية شعبه واسعاد رعيته اجتمع شرفاؤنا
وعلماؤنا واعياننا ووجهاؤنا رجالنا ونساؤنا كبارنا
وصغارنا فاتفق راينا الذي لا يتطرق اليه اختلال واجتمعت
كلمتنا التي لا تجتمع على ضلال على ان نجدد لامير المومنين وحامي
حمى الوطن والدين سيدنا الحسن الثاني حفظه الله بالبيع
الثاني البيعة التي بايع بها اباءنا واجدادنا اباءه واجداده
الكرام نعم الله ارواحهم في دار السلام فبايعناه على ما بايع عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه تحت شجرة الرضوان وافرد
ناحكمه والتزمنا طاعته ونصحه في كل وقت واوان فنحن انصاره واعو
انه وعساكره وجنوده نوالي من والاه ونعادي من عاداه اخذنا بذلك
على انفسنا العهود والمواثيق راضين مختارين واعين مستبشرين
واشهدنا الله علينا وهو خير الشاهدين فجاءت بيعة كاملة غا
ية الكمال جاءت عفوا تخطو في اردية الحسن وترفل في حلل الجمال

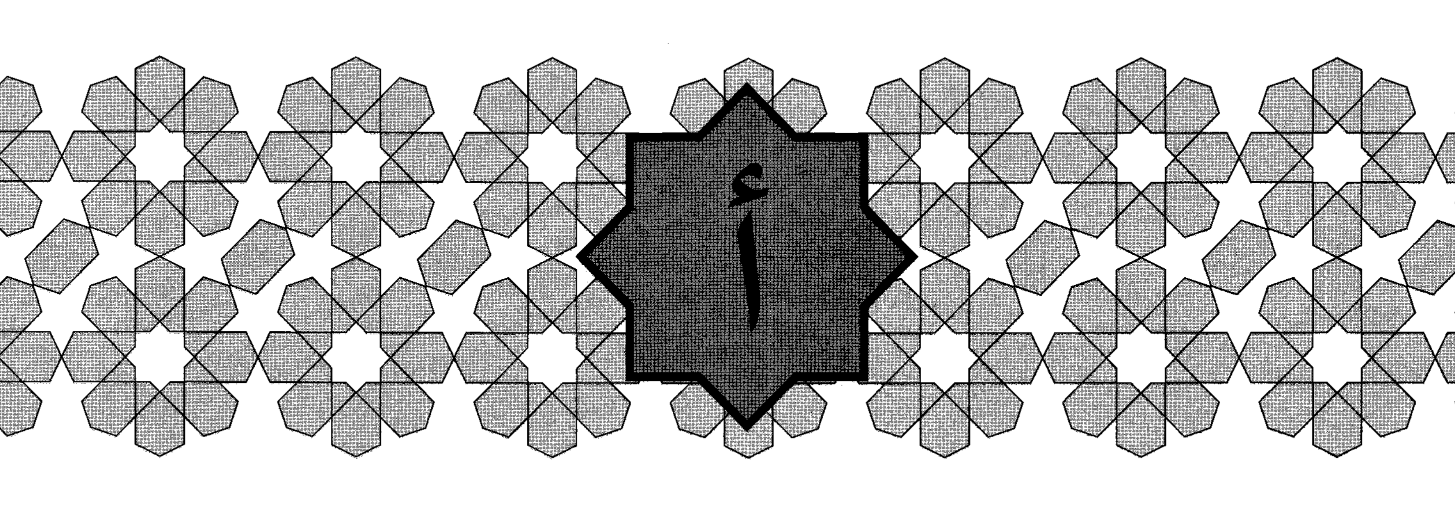
محبوكة على عادة ايمان البيعة وحدودها المحدودة وشروطها الموكدة واقسامها المحمودة .

نسأل الله تعالى ان يبارك لمولانا امير المومنين الحسن الثاني فيما وهبه ويوضح في جانب الخير مذهبه ويجعل مفاتيح السعادة في يمينه كما مسح في دابر يمينه المقدسة على جبينه ويجعل النصر والظفر مصاحبين لاعلامه والفتح والنصر مكتوبين باقلامه ويبلغه المبارك الميمون عين دار السلام بجوار جده مولانا محمد عليه افضل الصلاة وازكى السلام

وكتب بالداخلة يوم الاثنين 18 رمضان المعظم سنة 1399 هـ الموافق 13 اغشت ـــــ 1979 م على صاحبهما الصلاة وا

بمحضر القاضي البلدي احمد حبيب الله برابوه




أ



الآبار بالصحراء، عندما نتكلم عن الآبار فإننا نشير إلى تلك الحفر أو الثقوب السطحية أو الأنفاق العمودية التي توصل إليها الإنسان عبر العصور للتحكم في المياه الجوفية، فساعدته على تأمين موارده من هذه المادة الحيوية. فبعد أن كان يعتمد على ما تجود به السماء من ماء تسيل به مجاري الأودية الموسمية، أصبح يستغني عنها شيئا فشيئا نظرا لقلتها وعدم انتظامها في الزمان والمكان، فهناك سنوات مطيرية وأخرى عجافية. ونظرا لعدم ضمان التزود المستمر من هذه المادة الأساسية، فلقد فضل الإنسان أن يتحكم في المخزون الباطني وذلك بحفر آبار قريبة من مسكنه أو قريته لكي يتزود بشكل مستمر بدون اللجوء إلى مياه غير مضمونة طوال السنة.

أما في المناطق القاحلة والصحراوية، فالماء يشح والأمطار قليلة وتكاد تنعدم في سنوات الجفاف الممتدة، لهذا كان لزاما على ساكنة هذه الصحاري أن تلتجأ إلى باطن الأرض للتزود بالماء وضمان أمنها المائي في منطقة منفرة وشديدة الحرارة لا تلبي حاجيات البشر من هذه المادة الحيوية.

ولهذا فالآبار تمثل النقط الحيوية في الصحراء، فهي تمثل مراحل ضرورية للتزود بالماء وورود الحية (أي القطيع وخاصة الإبل والمعز) ونصب الخيام والاستراحة من عناء السفر، فكانت هذه المراحل تحمل غالبا اسم البئر أو الحاسي، وعلى سبيل المثال نجد "البير لحلو"، و"بير أنزران"، و"بير گندوز"، إلخ. كما أن لهذه الآبار الفضل الكبير في رسم مسالك الطرق التجارية، فلولاها لما وجدت هذه الطرق في وسط قاحل.

ويمكن أن نميز في ثقافة الرحل بين "البير" و"الحاسي" و"العگلة" و"النطفية"، فالبير أو البئر هو أكبر قطرا واتساعا من الحاسي تتوسطه خشبة متفرعة تحمل بكارة من الخشب أو الحديد تسمى بالحسانية "الّْتين" تخترقها خشبة تدعى "اشْرَكّنًا"، أما الحاسي فقطره في غالب الأحيان لا يتجاوز 40 إلى 50 سنتمتر ولا تتخلله خشبة كالبئر. أما بالنسبة "للعگلة" فهي مجموعة من الحسيان وعمقها قريب من سطح الأرض وهي مؤقتة زمنيا نظرا لتوفرها على فرشة مائية غير سديمة، وتستعمل كذلك كلمات تحدد بشكل وجيز ودقيق عمق نقط جلب الماء ك "أشگيگ"، التي تعني أعمق نقطة لجلب الماء، و"تورطة" وهي أقل عمقا من "أشگيگ" وأقرب نقطة إلى السطح. أما البحث عن نقاط الماء فيتكلف به شخص يطلق عليه "البَـوَّاهْ" le sourcier ويتكلف كذلك بالبحث عن مراعي الكلأ للرعاة.

- آبار جهة العيون - بوجدور ، الساقية الحمراء :

تضم الجهة عدة آبار، لكن تغلب عليها شدة الملوحة، إلا أنها تنفرد بآبار ذات مياه عذبة، تعد على الأصابع. إقليم العيون : بئر عين النخلة، بيار فم الواد، بئر المسيد، بئر الدشيرة، بئر تافودارت، بئر العيافة، بئر غريبيل، بئر القطيطيرة، بئر الحگونية، بئر بيگسيبي، بئر امسيكير، بئر دورا، حاسي التويريدين، وحاسي سيدي بوزيد، إلخ.

إقليم بوجدور : حاسي بوجدور، بئر توف، بئر أوفيست، حسيان أريدال، حاسي توزنين، حاسي القلية، بئر واحمدو، بئر الرقيقة، حاسي أوسيو، حاسي بوگدرة، حاسي التيسونين، حاسي المريرة، حاسي تيگري، حاسي عباس، بئر تدبوزت، حسيان تراگلين، حاسي عين الرگ، بئر بوگريزيمة، حاسي إموگة، حاسي بن حمو، حاسي بوگربة، إلخ.

- آبار جهة واد الذهب - لگويرة :

جل هذه الآبار يتميز بشدة ملوحته، وتقل الآبار ذات المياه العذبة والصالحة للشرب.

إقليم واد الذهب : بئر گندوز، بئر تشلا، بئر أنزران، بئر بوگفة، حاسي العلب، بئر الجلوي، بئر معطى الله، بئر ولد سيدي محمد، بئر تاشكتنت، حاسي إمليلي، بئر تيدماك، حاسي واد الغول، حاسي بوخشيبية، حاسي توف، حاسي اتنمود، إلخ.

إقليم أوسرد : بئر زوگ، بئر المامي، بئر دومس، حاسي أوسرد، بئر أغيلاس، بئر حبادو، حاسي أيك.

حاسي لعتيتابي، بئر بولرياح، بئر بوگفة، بئر جلوى، بئر أولاد الحاج، بئر سلا وريش، بئر اغوينيت، إلخ.

- آبار إقليم السمارة :

كمثيلاته في الجهات الأخرى يغلب عليه شدة الملوحة وقلة المياه العذبة.

بئر لحلو، بئر حوزة، بئر الجديرية، بئر الفرسية، بئر تفاريتي، بئر الرغيوة، بئر وزمزانة، حسيان أمگلة، حاسي الحوصة، حاسي الفوار، بئر سدوم، بئر توفليت، بئر تكة، بئر العرف، بئر التسميل، إلخ.

ونورد مواقع أهم الآبار المشهورة بالصحراء، خاصة منها الذي تعدى إسمه مجال قطر البئر الضيق، كممر واجب للقوافل التجارية المحملة بالذهب، ومنهم من شهد معارك ضارية بين القبائل الكبرى، بل منهم من أصبح في الوقت الراهن جماعة قروية تحمل إسم البئر، ولهذا سنكتفي بذكر أهمها، :

- بئـــر گـنـدوز :

يقع هذا البئر التاريخي بالقرب من الحدود الموريتانيا الجنوبية على بعد 125 كلم من شبه جزيرة لگويرة، وهو تابع لإقليم واد الذهب، وأصبحت الجماعة القروية حاليا تحمل إسمه. ويوجد في مستوى طبوغرافي منبسط تتخلله كثبان رملية تحيط به من كل جانب. هذا البئر له وزن تاريخي، بحيث ارتبط عبر التاريخ بتجارة القوافل المحملة بالذهب (التبر)، التي ربطت الشمال المغربي بدول الساحل وإفريقيا الغربية.

- بئـــر أنـزران :

يوجد هذا البئر في الشرق الشمالي لمدينة الدخلة - إقليـم واد الذهب -، وفي منطقة تتخللها أودية أهمها واد البيـــار. وهـــو كذلك كسابقيه له مكانته التاريخيـــة، بحيث كان يعد مرحلة هامة للقـوافـل التجارية وللرحل والرعاة على السواء. ونظرا لأهميته التاريخية والإستراتيجية، أصبح يضم جماعة قروية بكاملها تحمل إسم : جماعة بئر أنـــزران.

- بئـــر تشــلا :

يقع هذا البئر في تيرس ومنطقة تشلا التي يحمل إسمها، عند تقاطع خطي 15 غربا و21 شمال خط الاستواء، وتنتهي عند هذا البئر جميع الطرق التي كانت تسلكها القوافل التجارية العابرة للصحراء في اتجاه الشمال المغربي أو الشرق أي سجلماسة عبر منطقة درعة. مياه هذا البئر عذبة وذات صبيب مهم، وتوجد الآن في الحزام الأمني للقوات المسلحة الملكية.

- بئـــر الـزوگ :

يقع هذا البئر بين خط الحدود الموريتانيا وإقليم واد الذهب، على مرتفع يصل إلى 490م فوق سطح البحر عند قدم جبل زوگ. ومياه هذا البئر من المياه العذبة، ويبلغ قطره 3 أمتار وعمقه يتراوح ما بين 15 إلى 20م، ولعب دورا هاما في تاريخ القوافل التجارية.

- بئـــر أوسرد :

يعد من أكبر الآبار في جهة واد الذهب من حيث صبيب مياهه، وهو تابع لإقليم أوسرد، بالإضافة إلى موقعــه المحوري المتميــز في منتصف الطـريق بين الشـــرق والغرب والشمال والجنوب. ونظرا لهذه الأهمية الاستراتيجية إتخذه الاستعمار الإسباني مركزا للمراقبة.

- حسيان أريـدال :

يقعان شرق إقليم بوجدور، على بعد 65 كلم من مدينة بوجدور، ويحملان إسم السبخة الكبيرة "أريدال" التي يشتركان معها في الفرشة المائية، ولهذا فمياههما مالحة، ورغم ملوحة لعبت هذه الحسيان فلقد لعبت كذلك دورا هاما في تجارة القوافل، بحيث كانت تزود الإبل بهذا الماء المالح "ماء الحية" وتروي ضمأه قبل الوصول إلى الآبار العذبة في تشلا.

- بئـــر الفَـارسِيَّـة :

من أكبر آبار الساقية الحمراء، مياهه عذبة وترتادها القوافل سابقا والرعاة حاليا. يقع على الحافة الغربية للحمادة، فوق ارتفاع يصل إلى حوالي 650 متر. ويحتـــل موقعا استراتيجيا بحيث يوجد عند تقاطع الطريقين الرابطين بين العيون وحمادة تندوف.

- بئـــر حـــوزة :

تابع لإقليم السمارة، يوجد في أعالي واد الساقية الحمراء، وكان في عهد الاستعمار الإسباني مركزا للمراقبة العسكرية نظرا لموقعه الإستراتيجي، وحاليا أصبح إداريا جماعة قروية.

كما لا ننسى ذكر آبار اكتشفت في عهد المعمر الإسباني واستغلها لتزويد ثكناته العسكرية ولتزويد جالياته بالحواضر كالعيون والداخلة (فيلا سيسنيروس) ومنجم بوكراع لاستغلال الفوسفاط. وعمل كذلك على استغلال الفرشة الباطنية المتحجرة أو المستحثة les nappes fossiles بتقنيات حديثة وسخرها في المجال الزراعي عن طريق السقي بكل من تورطة وتنيگير بواد الذهب وفـــم الواد بالعيون. وقام برســم خرائط إحصائية لكل الآبار الموجــودة على التراب الصحراوي، وحدد فيهـا الآبـــار ذات جودة وعذوبـــة المياه والآبـــار المالحة، لكي يتمكن جنوده المرابطون في تخوم الصحراء وكذا المنقبون عن المعادن من التـزود بالماء في رحلاتهم.

وبعد استرجاع الصحراء سنة 1975، عملت الدولة على التنقيب المكثف على هذه المادة الحيوية، وسخرت لذلك كل الوسائل لضمان الأمن المائي لهذه المنطقة القاحلة، وخاصة لتزويد الحواضر الجنوبية بالمياه الصالحة للشروب. فهذه المدن شهدت نموا مجاليا لا مثيل له، باتساع رقعتها المدارية وتزايد ساكنتها التي تضاعفت بأكثر من 5 مرات عن ما كانت عليه في الفترة الاستعمارية وقد تم هذا في ظرف وجيز أي ثلاث عقود. فكان لزاما على الدولة أن توفر لهذه الساكنة وحواضرها المتنامية والأنشطة الاقتصادية (الصناعات، الصيد البحري، الفلاحة السقوية، والمعادن : الفوسفاط) والمرافق الكبرى من موانئ ومطارات وحذائق ومنشآت عمومية التي تزايدت احتياجاتها من هذه المادة مما حتم على الدولة حفر الآبار، وبناء أول سد بالصحـراء "سد المسيرة" سنة 1995، بل التجـأت الدولـة مع تزايـد الطلب

إلى تحلية مياه البحر لتدارك العجز الذي تعاني منه الجهات الصحراوية من هذه المادة. كما قامت الدولة كذلك بحفر آبار جديدة وشيدت صهاريج باطنية "المطفية" في جل التراب الصحراوي وخاصة بجوار المسالك التي يسلكها الرعاة وذلك لتزويد قطعانهم بالماء الشروب. وتدخل هذه السياسة في إطار المحافظة على النشاط الرعوي المتجدر في تقاليد المجتمع البيضاني، والذي ظل لسنوات طوال أهم مصدر رزق الرحل والقبائل الصحراوية على العموم.

ونسجل أن جل هذه الآبار سواء القديمة أو الجديدة منها تتميز مياهها بنسبة عالية من الملوحة، بدرجة تتراوح من 2 غ إلى 9 غرام في اللـتر، وهذا حسب نوع الفرشـة الباطنية ونوع الصخر السائد والقرب أو البعد من الساحل (باستـثناء فـم الواد)، وهـذا ينطبق على جـل الآبـار ماعـدا بعض الآبـار أو الفرشات ذات المياه العذبـة التي تعد على الأصابع كفـم الواد بالعيـون وتشـلا ومعطى الله والجلـوي بواد الذهب. ونتيجـة للإستغـلال المفـرط لهذه الآبـار وخاصة العذب منها فـإن أغلبيتهـا بدأت تفقد عذوبتها بانسياب وتسرب المياه المالحة إلى فرشاتهـا فأصبحت تعد من الآبار المالحة كالبئر لحلو بإقليم السمارة.

أنس عمران وبوشتى الفلاح، البنية ومظاهر السطح بالجنوب المغربي، مجلة *المناهل*، عدد 58، مارس 1998 ؛ أحمد بن الأمين الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*، الطبعة الخامسة، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، 2002 ؛ ابن منظور، *لسان العرب*، مطبعة دار الحديث، القاهرة، مصر، 2003 ؛ محمد الغربي، *الساقية الحمراء ووادي الذهب*، ج 1، مطبعة دار الكتاب، الدار البيضاء، بدون تاريخ ؛ مولاي إدريس شداد، إشكالية الماء في الوسط القاحل، وثقافة تدبير الندرة في المجتمع البيضاني، مقال تمت المشاركة به في ندوة بالعيون "الصحراء ذاكرة الإنسان" ما بين 20 - 21 أبريل 2004، ونشر ضمن منشورات معهد الدراسات الإفريقية مجلة *"المغرب الإفريقي"* عدد *7، الرباط 2006* ؛ أحمد الهاشمي، المشهد الطبيعي في طوبونيميا المجال الصحراوي، كتاب *الصحراء الأطلنتية : المجال والإنسان*، منشورات وكالة الجنوب، الرباط 2007 ؛ مولاي إدريس شداد وآخرون، جهة گلميم - السمارة، ذكرى 12 قرنا في حياة مملكة، *سلسلة تاريخ جهات المغرب*، منشورات عكاظ الرباط 2009 ؛ مولاي إدريس شداد وآخرون، جهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء، ذكرى 12 قرنا في حياة مملكة، *سلسلة تاريخ جهات المغرب*، منشورات عكاظ، الرباط 2009 ؛ مولاي إدريس شداد وآخرون، جهة واد الذهب - لـگويرة، ذكرى 12 قرنا في حياة مملكة، سلسلة *تاريخ جهات المغرب*، منشورات عكاظ الربـاط 2009.

Brenneisen. C.M., *Das ressource potential der Westsahara und seine bedeutung für die etablierung eines neuen staates*, Hannover, 1985 ; Caro Baroja, Julio. *Estudios Saharianos*, Ed. Jugar, Barcelona, 1990 ; Cheddad My Driss et autres, Eléments introductifs-*Débat national sur l'aménagement du territoire-Régions Oued Eddahab-Lagouira*, Direction de l'Aménagement du Territoire, Ministère de l'Aménagement du Territoire, de l'Environnement, de l'Urbanisme et de l'Habitat, Rabat, Décembre, 1999 ; Cheddad My Driss et autres, Eléments introductifs-*Débat national sur l'aménagement du territoire-Régions Lâayoune-Boujdour-Sakia El Hamra*, Direction de l'Aménagement du Territoire, Ministère de l'Aménagement du Territoire, de l'Environnement, de l'Urbanisme et de l'Habitat, Rabat, Décembre, 1999 ; Cheddad My Driss et autres, «Eléments introductifs-*Débat national sur l'aménagement du territoire-Régions Guelmim-Es Smara*, Direction de l'Aménagement du Territoire, Ministère de l'Aménagement du Territoire, de l'Environnement, de l'Urbanisme et de l'Habitat, Rabat, Décembre, 1999 ; Cheddad My Driss, «Sahara : écosystème fragile, ressources naturelles limitées et engagement de l'Etat pour un aménagement régional exceptionnel et une mise à niveau socio-économique et spatiale ». Revue *Horizons Universiaires, n°3 vol.2*, Université Mohammed V – Souissi- Rabat, Novembre, 2006 ; Comba EzQuerra, Juan Antonio, La investigacion minera en la provincia del Sahara , *Archivos del Instituto de Estudios Africanos, n° 59, Madrid, 1961* ; Vincent, M., La part du berbère dans la toponymie du Sahara Maure, in *Hesperis, T.36, 1949, p. 205 – 207* ; Vincent, M., Notes sur la toponymie, l'astronomie et l'orientation chez les Maures, in *Hesperis, T. 36, 1949, p. 189 – 219*.

مولاي إدريس شداد

آدْرار سَطَّف : كلمة يظهر أن أصلها أمازيغي، وتعني الجبال السود، وهي مجموعة مرتفعات تقع جنوب شرق مدينة الداخلة، وعلى الحافة الغربية لمنطقة تيرس الشهيرة، وتعد من المناطق الرعوية الجيدة عند الرحل من رعاة الإبل والماعز، كما تتخللها أحساء وآبار معروفة مثل بئر معطى الله وبئر بوكفة وحاسي جلوى وحاسي تشانيت وآغمميت وحاسي الميسور وأوشال : آرش أعمر وأكومات، وتعد من نقاط الماء التي قام أهل بارك الله بأنباطها. كما توجد بهذه المنطقة مجموعة من أضرحة الأولياء والأعيان الذين طبعوا تاريخ المنطقة مثل ضريح امحمد بن الطلبة اليعقوبي قرب كدية أنتاجاط، وضريحي البخاري بن محمد بن سيدي عبد الله وأحمد بن أماه بن عبدم كلاهما من أهل الفاضل. وعند أرش أعمر نجد من الصلحاء محمد بن عبد الله بن الشيخ المختار الدميسي السباعي ومن أهل بارك الله الأمين بن بارك الله أول دفين وأحمد بن عبد الله بن بارك الله وسيد المختار وعلي أبنا الفلالي وأحمد بابا البخاري بن الفلالي وعبد الله العتيق بن بارك الله بن أحمد خرشي والزمراكي بن العتيق وعبد العزيز بن الشيخ محمد المامي، وعند جلوى نجد ضريح باب أحمد بن ألمين بن الشيخ سيد المختار الكنتي ومولود وابن كثير ابني اشفغا اعمر اليعقوبيين، كما شكلت منطقة آدرار سطف ممرا قديما للقبائل المترحلة ما بين وادي الذهب واينشيري وتازيازت نذرا لوجود نقاط الماء الصالح للشرب والغطاء النباتي الملائم للرعي، وتعد اليوم من الأراضي التابعة لنفوذ جماعة تشلا بإقليم أوسرد، كما تم إحياء موسم زيارة الولي الصالح الشيخ محمد المامي عند جبل أيك بتلك المنطقة، وعادت إليها الحياة عن طريق تنامي قطعان الماشية، وتوافد الرعاة من مناطق مختلفة من الصحراء إليها بحثا عن نقاط الماء والمراعي، إلى جانب

ذلك توجد في مرتفعات أدرار سطف نقوش صخرية وآثار للأواني الخزفية وهو ما يعبر عن وجود حضارة استقرار قديم هناك، ويتطلب البحث والتحقيق العلمي، هذا ناهيك عن كون أدرار سطف يعد من آخر معاقل الوحيش البري بالمنطقة خاصة الغزلان والأرانب.

أحمد بن الأمين الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*، دار الخانجي، القاهرة، 1989 ؛ محمد عبد الله بن الفلالي، *الحياة العمرانية لأهل بارك الله*، مخطوط في حوزة المختاري عبد الرحمن بالداخلة ؛ المختار ولد حامد، *حياة موريتانيا : الحياة الجغرافية*، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994.

Ahmed Miske, Une tribu Maraboutique du Sahel : Les Ahel Barikallah, in : *Bulletin du comité d'Etudes, H.S.A.O.F*, 1937, p. 483 - 506 ; Flores Morales, Angel, *El Sahara Español : Ensayo de geografia fisica y humana y economica*, Madrid, Alta Comisaria de Espana en Marruecos, 1946.

آسَـلاَّي : إناء خشبي كبير شديد الاتساع وهو أكبر من "التازوَّ"، يختص بجمع الألبان عند حلبها وربما جـرجر في المراح إذا امتـلأ لبنـا ؛ تثبت عـرى بجانبيه لحمله، يصنع من شجر الميس ؛ وبعض المهرة يصنعونه من أجـزاء عـدة. ومن مهامـه أيضا دخولـه في صناعة الطبول إذ يتسع محيطه لجلد بقرة بكامله فيسمى الطبل عند إذن "بوغراوة". أسلاي جمعه : "آسلاَلَ" و"إيسلاَّين".

إسماعيل ولد الحسن، *الممتع المحيط من كلام أهل شنقيط*، دار الفكر، أنواكشوط، المجلد الثالث، 2010 ؛ الري الركَيبي، *كنز الذاكرة*، آسفي، ب. ت ؛ *مقابلة ميدانية مع السيدة الخظرة بنت ددّاش*، الداخلة، صيف 2010.

آعمُـودْ : لعمود : خشبة طويلة أغلظ من العصى يستخدم في تشييد الأخبية وفي شتى الأغراض الأخرى. ومن أنواع الأعمدة : "أعْمدْ البْنـيَ" وهي أعمدة مدببة الرؤوس موشاة بعناية تستخدم في تشييد "بنياتْ" حديثي العهد بالزواج. ومنها أيضا : "آعمودْ العلك" وهو عمود طويل يجتنى به الصمغ العربي من شجره. ومنها "آعمودْ زْلَّ" وهو من مصطلحات الصيد البحري ويعنى به قدر كبير من الأسماك تجيء به الشباك، وقيل هو عمود يستخدم في جذب الشباك الملأى إلى الشاطئ.

ومن الأعمدة أيضا بالمجاز : "آعمود لـبَّار" أي العنوسة، فيقال للعانس إذا تزوجت : "كصْرتْ أعمود لـبَّار" وهو مشتق من بوار التجارة. ومنه أيضا " أعمّودْ اجرادْ" وهو شبيه بعمود الزوبعة. ومنه "أعمود الصبح" وهو ما تبلج من ضوئه صاعداً مثل العمود في الأفق.

الشيخ محمد المامـي، *ديوان الشعر الشعبـي*، تحقيـق بن الطالب موسى عبد العزيز، أطروحة دكتوراه في الآداب، جامعة وجدة، 2004 ؛ إسماعـيل ولد الحسـن، *الممتع المحيط من كلام أهل شنقيط*، دار الفكـر، أنواكشـوط، المجلـد الثالث، 2010. *مقابلة ميدانـية مع السيدة فاطـمة بنت أحمد سالم*، الداخلة، صيف 2010.

محمد دحمان

آمَـاطيل (معارك) 30، 31 ديسمبر 1908، 1، 2 يناير 1909 أثناء الزحف الفرنسي على منطقة آدرار في إطار حملة العقيد گـورو (Gouraud)، تعرضت هذه القوات لمقاومة عنيفة من طرف قبائل المنطقة بقيادة كل من الشيخ حسن بن الشيخ ماء العينين والأمير أحمد بن عيدة أمير آدرار. وكانت معارك "آماطيل" من أشرسها وأشدها عنفا إذا استمرت أربعة أيام ما بين الاشتباكات والمناوشات، والغاية منها هي إيقاف الزحف الفرنسي نحو الشمال و تأخير احتلال مدينة أطار عاصمة المنطقة، ريثما تأتي إمدادات من الشمال فتقطع الطريق على إمدادات العدو القادمة من الجنوب.

بدأت هذه المعارك بهجوم كاسح شنه المجاهدون يوم 30 ديسمبر 1908 على مواقع القوات الفرنسية في "آماطيل" من جهة الشمال وتمكنوا من سحق المواقع الأمامية للعدو، في ذات الوقت هاجمت مجموعة أخرى من المجاهـدين الموقـع الرئيس من جهة الشمال الغربي، فتقهقرت قوات العقيد گـورو بطريقة فوضوية مما مكن المجاهدين من احتلال المواقع الدفاعية والتوغل نحو الموقع الرئيس الذي كاد يسقط في أيديهم لولا نيران المدافع الرشاشة التي أوقفت زحف بقية المجاهدين، فما كان من كوكبة الجهاد المتقدمة إلا أن دخلت في قتال متلاحم مع جنود المركز استعملت فيه الحراب والخناجر، ورغم تفوق عدد القوات المعادية داخل المركز، استطاع المجاهدون الانسحاب والالتحاق بكتائبهم بعد أن كبدوا العدو خسائر فادحة في الرجال والعتاد لتستمر المناوشات في اليومين المواليين.

وفي يوم 2 يناير التحقت كتيبة من المجاهدين بقيادة الأمير سيد أحمد بن عيدة ببقية المجاهدين بـ "آماطيل"، بعـد أن خاضت معـارك فـي "آزويكة" ضد بقيـة القوات الفرنسية هناك وشغلتها من 27 ديسمبر 1908 حتى فاتح يناير 2009 عن إمداد مركزها الرئيس في "آماطيل".

إلا أن القوات الفرنسية في الموقعين استطاعت في نهاية المطاف أن تنسحب وتتوجه إلى مدينة أطار، رغم خسائرها الجسيمة، وقد قتل في هذه المعارك والمناوشات عشرات من قوات العدو من بينهم أربعة ضباط صف وأصيب قائد إحدى الوحدات وهو برتبة ملازم بجرح بليغ، كما أسر المجاهدون الملازم "كوتانس" بعد إصابته بجرح أثناء المعارك.

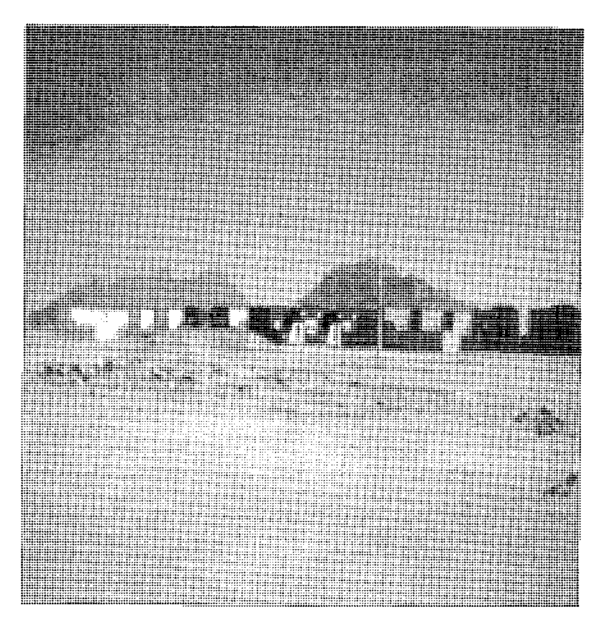
استشهد في هذه المعارك عدد من المجاهدين من بينهم : أحمد بن المختار بن صنبة، وبكار ابن الشين ومحمد يحظيه بن سيد أحمد بن سيدي بابا والقائم بن حميدة وسيدي أحمد بن أولَـيْـف ودندو بن سيدي أحمد بن الفيلالي وأحمد المبارك بن المحمود بن الحضرمي بن المحمود وحرمة ابن محمد فال بن احويبيب ومحمد عبد الله بن شعيب وأحمد بن محمد صالح بن النقيه ومحمد ابن سعيد ولبات بن السلاوي ومحمد الأمين بن شعيب والمختار بن النوشة ومحمد الكوري ابن بييه وإبراهيم بن الطالب إبراهيم وعبد الودود بن دنبه وعلي بن سالم بن المحمود ودومه بن محمد العبد ومحمد سالم بن الدفيَّـه ومولود بن علي بن بهناس وغيرهم.

أنظر : العقيد گورو، مذكرات، ص. 125.
سعد خليل، *تكوين موريتانيا الحديثة من الاحتلال حتى الاستقلال*، ج 2، ص. 410 - 413 ؛ الطالب أخيار الشيخ مامين، الشيخ ماء العينين، *علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوربي*، ج 2، ص. 351 - 355.

Commandant Gillier, *La pénétration en Mauritanie*, p. 183 – 185.

ماء العينين مربيه ربه

آوسرد : اسم بئر قديمة بمنطقة تيرس، جنوب شرق مدينة الداخلة على بعد 280 كلم، تقع وسط سلسلة جبال دائرية الشكل، وحسب كتاب "*الحياة العمرانية*" تعد من جملة الآبار التي حفرها أهل بارك الله. وجوارها توجد مقبرة لمجموعة من الصلحاء منهم إسحاق بن الفاضل الباركلي الذي يعد من الفقهاء الصلحاء من أهل القرن الثامن عشر الميلادي. كما تعد هذه المنطقة من



نقاط الماء الاستراتيجية بفعل موقعها وسط منتجعات تيرس الشهيرة، وعلى طريق القوافل القديمة ما بين آدرار التمر والساقية الحمراء. ناهيك عن تعدد القبائل التي كانت مضارب خيامها جوار هذا المنهل مثل أولاد دليم وأهل بارك الله وأولاد بسباع والركيبات وأولاد اللب وأهل الشيخ ماء العينين. وقد تأخر احتلال هذه البلدة من طرف الاستعمار الإسباني بفعل المقاومة التي قادتها هذه القبائل وانزواء هذه المنطقة إلى داخل الصحراء. ذلك أن قوات الاحتلال الإسباني لم تبسط سيطرتها على منطقة آوسرد إلا سنة 1937، حيث أسست مركزا عسكريا جوار ذلك البئر تابعا لما كانوا يسمونه "نيابة الجنوب" الواقع مركزها بشبه جزيرة الداخلة. هكذا بنى المستعمر هناك ثكنة عسكرية وبعض الدكاكين والدور للضباط والجنود، وشيئا فشيئا بدأ البدو يستقرون حول تلك الحامية داخل أحياء عشوائية وأخصاص وخيام. وفي سنة 1974 بلغ عدد سكان مركز آوسرد 2448 نسمة. ولما انسحبت القوات الاستعمارية من آوسرد في نهاية 1975، دخلت إليه القوات الموريتانية في 23 يناير 1976 اثر اتفاقية مدريد الثلاثية. وفي 5 غشت من سنة 1979 دخلت القوات المسلحة الملكية، وأصبح جماعة قروية تابعة لدائرة آوسرد ضمن إقليم وادي الذهب. وفي سنة 1998 صدر ظهير شريف قرر جعل آوسرد عمالة إقليم ضمن جهة وادي الذهب الگويرة. ومنذ ذلك التاريخ عرفت البلدة تشييد العديد من المنازل والبنايات الإدارية والمصالح الخارجية ومد الطرق المعبدة وتوفير الطاقة الكهربائية والربط بشبكة الاتصالات السلكية واللاسلكية، ناهيك عن ازدهار القطاع الرعوي والحركة التجارية وإقامة مهرجان اقتصادي وثقافي سنوي يعرف بمؤهلات الإقليم وموروثه الثقافي. وتعد هذه المنطقة بوابة المغرب على إفريقيا جنوب الصحراء، وتتوفر على معادن متنوعة وشواطئ غنية بأنواع الأسماك وآثار تاريخية موغلة في القدم (مدافن جماعية، نقوش صخرية، منحوتات أثرية...). الشيء الذي يستدعي التفاتة خاصة لتثمين هذا الموروث وجعله يساهم في التنمية المنشودة.

محمد عبد الله بن البخاري، *الحياة العمرانية لأهل بارك الله* ؛ محمد دحمان، *الترحال والاستقرار بالساقية الحمراء ووادي الذهب*، الرباط، 2006.

Carnero Ruiz *Vocabulario geografico-sahariano*, Madrid, 1955 ; Tony Hodges, *Historical Dictionary of Western Sahara*, London, 1982.

محمد دحمان

آوسرد (معركة -) وقعت في شهر شتنبر من سنة 1957 عندما هاجمت قوات جيش التحرير التابعة للمقاطعة الثامنة مركز قوات العدو الإسباني بقرية آوسرد التي تقع جنوب مدينة الداخلة فانضم إلى هذه القوات المهاجمة جميع الجنود الموجودين بهذا المركز وعددهم 48 جنديا بأسلحتهم كما استولت على جميع الذخائر الموجودة به واستشهد في صفوفهم ثلاثة شهداء وجرح ستة عشر بجروح خفيفة.

محمد بن سعيد آيت أيدر، *صفحات من ملحمة جيش التحرير بالجنوب المغربي*، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، يونيو، 2001.

ماء العينين النعمة علي

أب بن عبد الإله، من شعراء أهل بوحبين المتميزين. ولد بشنقيط سنة 1870، وبها درس. هاجر إلى السمارة وتتلمذ على الشيخ ماء العينين، وبعد انفراط عقد الحركة الجهادية بالجنوب المغربي سنة 1934 اشتغل بالتدريس في عدة مناطق في سوس. تزوج الشيخة يوحانيدو بنت الشيخ ماء العينين.

توفي سنة 1938 بآيت الرخا وبها دفن. له أشعار كثيرة من أبرزها مساجلاته مع الشيخ مربيه ربه والشيخ محمد الإمام وماء العينين بن العتيق.

ماء العينين بن العتيق، *ديوان*، تحقيق محمد الظريف، ص. 16، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه لأحياء التراث والتبادل

الثقافي ؛ *إثبات علماء الصحراء*، ماء العينين مربيه ربه بن الشيخ محمد بن عبد العزيز، ورقة 187، مخطوط خاص.

محمد الظريف

أبا حازم (أهل -)، تنتمي عائلة أهل أبا حازم إلى الأب الجامع محمد لمين بن أبا حازم دفين منطقة كريزيم القريبة من مدينة السمارة، وهو محمد لمين بن سيدي بن الطالب أحمد بن لحبيب بن يبابي بن لحبيب بن سيدي أحمد الملقب بالوذان بن سيدي بوبكر بن القاضي محمد بن القاضي علي بن القاضي يرزق بن الحسين بن محمد بن يوسف بن أكرير بن علي بن جاكن الأبر، وتشارك أسرة آل يبابي التي ينحدرمنها محمد لمين بن أبا حازم أسرة آل مايا بي الجكنية نسبها والأخيرة معروفة بعلمها، أنجبت علماء فطاحـل رحلوا إلى البلاد الإسلاميـة فتركـوا آثارا وتآليف مشهورة كما انضموا مبكرا إلى المقاومة خاصة الشيخ محمد العاقب دفين فاس والشيخ محمد الخضر دفين المدينة المنورة والشيخ محمد حبيب الله دفين القاهـرة.

وقد وفد محمد لمين بن أبا حازم على الشيخ ماء العينين بالسمارة بطلب منه ولعلاقة المصاهرة التي تجمعهما من منطقة آجريف القريبة من مدينة أطار الموريتانية وأخذ عنه وتقرب منه حيث تم تنصيبه للقضاء بحاضرة السمارة لاستقامته وعدله وإنصافه، كما كلف إلى جانب القضاء بمهام اجتماعية أخرى تخص الزاوية، من قبيل الإيواء والضيافة ورعاية شؤون لفيف مهم من سكان السمارة آنذاك. وخلف محمد لمين بن أبا حازم من الأبناء : الشيخ محمد تقي الله والشيخ محمد فاضل والشيخ محمد العاقب وبنته الوحيدة فاطمتو، عرفوا جميعهم بحفظ القرآن وتحفيظه وبالتمكن من العلوم الفقهية والفلكية إذ ذاع صيتهم في أوساط قبائل الصحراء وخاصة بين قبائل تكنة ذلك أنه بعد الصلح التاريخي الشهير الذي تم بين لفي كونفدرالية تكنة (آيت اجمل وآيت بلا)، على يد الشيخ النعمة بن الشيخ ماء العينين بكويرة اللكاح على ضفاف "واد صياد"، بـگلميم حوالي 1911 والذي حضروه إلى جانب الشيخ النعمة تعرّف أعيان هذه القبائل على أبناء الشيخ محمد لمين بن أبا حازم واكتشفوا مهاراتهم في تعليم القرآن وتضلعهم في العلم، فتعرض عليهم بعض من هؤلاء الأعيان مجاورتهم لتدريس أبنائهم على نظام "الشرط" المتعارف عليه آنذاك بهذا الإسم والذي يعني عقداً شفهياً بين المدرس والمستفيدين. ومن ثم توزع الأخوة الثلاثة بين ثلاثة بطون كبرى من قبيلة آيت أوسي لتعليم القرآن، ففي الوقت الذي تزوجت فاطمتو بنت محمد لمين بن أبا حازم بالشيخ النعمة بن الشيخ ماء العينين أحد أمراء الجهاد بحركة أحمد الهيبة وأخيه مربيه ربه بمنطقة كردوس شرق مدينة تزنيت نزل الشيخ محمد تقي الله مدرسا على مضارب أهل محمد سالم ولد بلالي الإيدري الآيتوسي وانتقل بعدها بمحضرته للتدريس عند أسر من قبيلة آيت ياسين بمنطقة كير خاصة منها أهل جاكوك، أما الشيخ محمد فاضل الذي شارك في معركة سيدي بوعثمان ضد الفرنسيين وأصيب خلالها بجرح بليغ فقد نزل مدرسا بدوره على مضارب أسرة أهل امبارك أحمو البوجمعاوي الآيتوسي ودرس لدى أسر عديدة من بطن إيداوتيا من قبيلة آيت أوسى من بينهم أهل عفن وأهل بونعمة وأهل باكريم وغيرهم، وحل الشيخ محمد العاقب بمضارب أهل أحميم ولد محمد واعلي الوعباني الآيتوسي حيث تتلمذ على يده أبناء أحميم.

وقد امتدت هذه العلاقات بين أبناء الشيخ ومريديهم إلى علاقة نسب ومصاهرة حيث تزوج الشيخ محمد تقي الله من مريم بنت اجغاغا المفلوسية الآيتوسية وصاهر الشيخ محمد فاضل أهل محمد لعليوة وأهل الزيبور من قبيلة آيت أوسى، وخلف أبناء الشيخ محمد لمين بن أبا حازم أبناءا وأحفادا ساروا على نهج الآباء في تعلم القرآن وعلومه وتدريسها بمحاضر قرآنية متنقلة وأخرى قارة بمعظم مناطق الجنوب المغربي بنواحي الطنطان وزيني وواركزيز وواد نون والساقية الحمراء...، من أبرزهم محمد فاضل ولد محمد تقي الله ولد الشيخ محمد لمين ولد أبا حازم، الذي ذاع صيته بين قبائل الصحراء وخاصة قبائل تكنة في التدريس والفتوى وفض النزاعات والعدل وتقسيم الإرث...

كما اشتغل الشيخ محمد فاضل ولد محمد تقي الله عضوا عاملا في رابطة علماء المغرب، وإمام مسجد الحسن الثاني بالطنطان لأكثر من ثلاثة عقود، وكان مؤقتا- أي معتمداً من طرف وزارة الأوقاف لمعرفة أوقات الصلاة بمدينة الطنطان ونواحيها - وبعلم الفلك والنجوم. وقد حفظ على يده القـرآن مجموعة من أبنـاء المنطقـة من بينهـم أعضاء في المجالس العلمية في المناطق الجنوبية كماء العينين محمد لمام بن العالم الجليـل العتيق ماء العينيـن وحسنـا سيدي عثمان وتخرج على يديه الكثير من أبناء قبائل المنطقـة. توفي ودفن بمدينة الطنطان.

وقد مارس حفدة الشيخ محمد لمين ولد أبا حازم التدريس المحضري، كمحمد العاقب ولد محمد تقي الله بالعيون وأخويه محمد لغظف الذي مارس التدريس المحضري في واد نون والنواحي والجيه الذي مارس هو الآخر ولازال يمارس التعليم المحضري بمدينة الطنطان وزيني والنواحي، ولازالت حاليا مجموعة من حفدة الشيخ محمد لمين ولد أبا حازم تؤطر محاضر قرآنية على نمط المدارس العتيقة بكل من الطنطان والداخلة وتهتم بتعليم القرآن وأصول الفقه.

الطالب أخيار بن الشيخ مامينا، الشيخ ماء العينين، *علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار*، الرباط، 2005 / 2007، الجزئين : الأول والثاني ؛ *أبا حازم نصرة جيليها، جوانب من التاريخ الديني في الصحراء، أهل أبا حازم نموذجا*، بحث لنيل الإجازة، شعبة التاريخ، مرقون بكلية الآداب، أگادير 2006 ؛ *وثائق خزانة جمعية محضرة أهل أبا حازم* لتعليم القرآن بالطنطان ؛ مقابلة ميدانية مع الأستاذين الطالب بويا أبا حازم وبشرايا بن حمودي، حفيدا الشيخ محمد لمين بن أبا حازم، صيف 2009، گلميم.

محمد سبى

أبجاوي، كلمة حسانية تطلق على الرجل الذي خرج من منزله على ظهر جمله ومعه زاده من أدوات إعداد الشاي وقربة ماء، وقصده السفر أو التجول أوصلة الرحم. فإذا كان يبحث عن ضالة الإبل أو ضالة الغنم يسمونه "ديّـار" وإذا كان يبحث عن أماكن التهاطلات المطرية أو المراعـي الخصبة يدعى "بـوّاه" وذلك بهدف تغيير مكـان مضارب أهله إلى الأماكن الصالحة لرعي المواشي، أو القريبة من مناهل الماء، وذلك حسب فصلي الشتاء والصيف.

محمد دحمان، *الترحال والاستقرار بمنطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب*، مطبعة كوثر، الرباط، 2006 ؛ محمد سالم الري، *كنز الذاكرة*، مطبعة آسفي ، 2007.

Vincent Monteil, Essai sur le chameau au Sahara Occidental. I, *Etudes Mauritaniennes , N° 2*,Centre IFAN, Saint Louis du sénégal, 1952 ; Catherine Taine-Cheikh.*Dictionnaire Hassania Français*, Paris, 1989 ; 4 Volumes ; Caro Baroja, Julio, *Estudios Saharianos* I.E.A.Y C.S.I.C, Madrid, 1955 ; Oro Pulido, A. *Algo Sobre el Hasania o dialecto arabe que se habla en el sahara atlantico* ,Tanger, P.Enola, 1940.

إبل الصحراء، يقال للإبل في اللهجة الحسانية : "البل" وهي الإبل محرفة وسهلت للهروب من الهمزة التي نقلت إلى الألف وينطقها بعض الناس "البل" بحذف الهمزة. والإبل أنواع حسب الأعمار، فهناك الحوار وهو ولد الناقة من ولادته حتى يكمل السنة الأولى. ثم ابن عشار وبنت اعشار : وهو ما أكمل سنته الأولى ودخل في الثانية، وسمي بذلك لأن أمه قد لقحت عليه مرة ثانية، ودخل حملها في شهره العاشر، والناقة مدة حملها 12 شهرا كاملة، وهو في اللغة العربية ابن المخاض، والأنثى ابنة مخاض. والثالث : بلبون، أو ابن لبون وبنت لبون أي ولد الناقة أو بنتها إذا دخلا في السنة الثالثة وسمي بذلك لأن أمه حملت وولدت وصار لها لبن، وهذه السن هي المقبولة في الزكاة. والرابع : آمسخسر، وهو الذي بلغ ما بين سنتين وثلاثة سنوات. والخامس : العگ، أي الحق، وهو ولد الناقة إذا دخل في السنة الرابعة والأنثى حثة، فهو الذي بلغ أن يركب ويحمل عليه ويضرب الناقة. والسادس : أجدع، أو الجذع وهو الحمل الذي أكمل السنة الرابعة ودخل في الخامسة وقد صار جملا كاملا، يعد في الإبل ويعتمد في الفحول. والسابع : أداريف، جمع ادواريف الذي أكمل خمس سنوات يركب ويحمل الأثقال ويكون قد بذل نابه ويسمى شابك الناب، وهذا هو "أجمل". والثامن : أثني الذي بلغ ستة سنوات وأكمل أسنانه الأمامية. والتاسع : أرباع جمع ربعان، وهو الذي بلغ سبعة سنوات وصارت له أربعة أسنان. وأسداس : وهو الذي بلغ ثمانية سنوات ؛ ثم سالخ الناب وهو الذي بلغ ما بين 12 و13 سنة وقد أكمل أسنانه كلها ؛ والحادي عشر : گـارح أجمال، الذي بلغ ما بين 13 و25 سنة ؛ وأخيرا عود أجمال، وهو الجمل المتقدم في السن". ومن أوصاف الإبل في الصحراء : الناقة، وهي الأنثى من الإبل إذا ولدت للمرة الثانية وجمعها أنياك ؛ ولـگعود، تطلق على الذكر خاصة من سن الثانية وفي العربية القعودة من الإبل ما اتخذه الراعي للركوب وحمل الزاد والمتاع وجمعه أقعدة وقعد وقعدان؛ وهناك : البكرة، وهي التي تقابل القعود في السن وهي التي تكون قد ولدت مرة واحدة، ولا يستعمل في اللهجة الحسانية إلا للأنثى ؛ والشايل : وهي كل أنثى يتبعها ولدها، وقد بدأت في فطامه وجمعها شول، وشوائل ؛ والحايل : وهي التي لم تلقح، والأصل التي مر عليها حول كامل بعد ولادتها ولم تلقـح مـرة ثانيـة ويطلق على كل أنثى في هذه الحالة والجمع حيل ؛ والعشرة، وهي الناقة التي مضى على حملها عشـرة أشهـر تقـل أو تنقـص قليلا بل يذهب بها بعض البدو إلى كل بهيمة تحمل في بطنها جنينـا ؛ والتمركيت : جمع تيمـركاتـن وهي الناقة التي لا تدر لبنـا.

وللإبل أسماء مختلفة حسب حجم قطيعها فهناك : الـگطعة، جمع أگطاع وهو القطيع الذي يضم ما بين خمسة رؤوس من الإبل إلى عشرين رأسا ؛ أما ما بين رأسين وخمسة رؤوس فيسمـى أزوايل ؛ وآگليف، جمع إگلفان وهو ما بين 20 و100 رأس ؛ ودولة، جمع دول وهو القطيع الكبير الذي يتجاوز حجمه 100 رأس من الإبل. ويقال للجمل الذي يحمل الأمتعة : جمل أدبش، والـذي يحمـل الهـودج : جمـل لمسـامـة (Chameau de palanquin)، كما تسمى قافلة الجمال (أكبار) وقافلة الملح (أزلاي). ولقد حظيت الإبل بعناية خاصة لدى القبائل الصحراوية، فهي رمز الغنى، لذلك يسمونها أحيانا (المال) و (الحية) لأنها هي وسيلة التبادل وحمل الأثقال وأداء الديون والديات وعلى ظهورها يترحلون من نجع إلى آخر، كما أنها أدلة من أدوات الممارسة الحربية عند حدوث النزاعات ما بين المجموعات القبلية.



إبل الصحراء

وحيازة الإبل مفخرة، لذلك وضعوا علامات خاصة لكل قبيلة ترسمها على قطعانها من الإبل، فلكل قبيلة ميسم نار خاص بها، فمثلا قبيلة أولاد تيدرارين تضع حرف (د)، ولميار حرف (س) وارگيبات حرف (ق)

القاف بالنسبة للركيبات الشرق أما الركيبات الساحل فيضعون حرف الفاء (ف) وأولاد بسباع يضعون (مک)، وأهل بارك الله يضعون (لا) والعروسيين يضعون أكنبور (.) وأهل الشيخ ماء العينين يضعون علامة النقلي (T) وغيرها من القبائل. والإبل كانت تشكل العمود الفقري للاقتصاد الرعوي بالصحراء مما جعل ذكرها حاضرا في الإبداع الأدبي والشعري وفي كتابات الفقهاء والعلماء، فحيازة قطعان الإبل دليل على المكانة الاجتماعية لمالكها، كما أن نحرها وتقديمها كهدية له رمزية خاصة في الثقافة الحسانية، فهي حاضرة في صداق المرأة وفي التبادل ما بين الرحل وسكان الواحات في واد نون وفي آدرار التمر، كما أنها حاضرة إبان مقاومة الاستعمار وحركة جيش التحرير في الخمسينات من القرن العشرين. وفي حالة اللهو والترويح نجد أن الإبل تقوم بدور أساسي في سباق الهجن الذي يدعى محليا (اللز) أو (روانتة). لكن تراجع نمط عيش الترحال وتمدن الصحراء والارتباط بالعمل المأجور وعوامل الجفاف وضعف المراعي، كلها متغيرات انعكست على درجة التكسب بالإبل، إذ تراجعت أعداد قطعانها وصار الرعي عملية تجارية محضة في تبعية مطلقة لاقتصاد السوق وللمدينة، فنجم عن ذلك تدهور ثقافة تربية الإبل ولم تعد تحتل المكانة التي كانت تحظى بها في ما مضى لأنه حلت محلها وسائل تقنية حديثة مثل السيارة والشاحنة والنقـود. غير أن المنطقة عرفت عودة من نوع جديـد إلى الباديـة وتربية الإبـل، وهي ممارسة يقـوم بها بعض رجال الأعمال خاصة في إطار تنويع مصادر الدخل والحضور المزدوج محليا في الباديـة والحاضـرة، ناهيـك عن بعض العائـلات التي لا تزال تحن لحياة البادية التي أصبحت مقيمة بصفة شبه دائمة في البراري وتعمل على تربية بعض رؤوس الإبل كاقتصاد معاشـي.

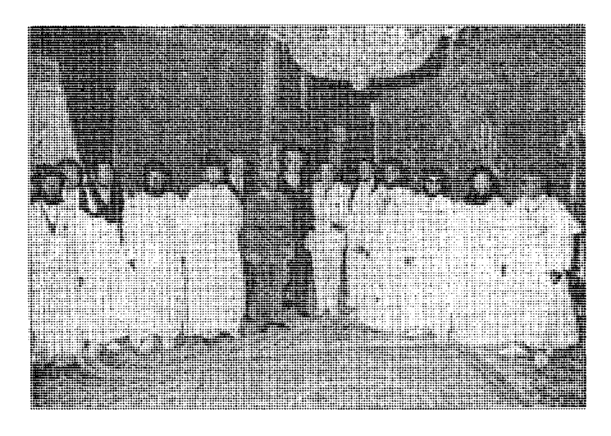
محمد دحمان، *الترحال والاستقرار بالساقية الحمراء ووادي الذهب*، مطبعة كوثر، الرباط، 2006 ؛ *الفصيح المتداول في لهجات البدو في ليبيا*، جزءان، مجمع اللغة العربية بطرابلس، ليبيا ؛ المختار بن حامد، *حوادث السنين*، تحقيق، سيدي أحمد بن أحمد سالم، أبو ظبي، 2011.

Caro Baroja, Julio, *Estudios saharianos*, Madrid, 1955 ; Leriche, Albert, Vocabulaire de Chameau en Mauritanie, *Bulletin de l'IFAN, N°14, Juillet, 1952*, (284 - 995), Sauvage, Ch., et Monteil, V., *Contribution à l'Etude de la flore du Sahara occidental*, Lorase, Paris, 1949 ; *Nomades et Nomadisme au Sahara*, Unesco, 1963.

اجماعة الصحراوية (Asamblea General del Sahara)

اجماعة : هي جماعة أعيان القبيلة المكونة من ممثلي الفخذات، التي كانت تتولى الجانب التشريعي والتنفيذي القضائي داخل القبيلة، مستعينة في ذلك بالعرف السائد عند القبائل الصحراوية إلى جانب المذهب المالكي، على أن أي فـرد تمرد على هذه الجماعة يصبح عرضة للطـرد من القبيلة، وتجـدر الإشـارة إلى أن معاييـر العضويـة في "اجماعة" سن البلـوغ والانتمـاء النسبي إلى القبيلـة. لذلك يتم إقصاء كل من النساء والرقيـق وأفـراد الطبقات الدنيـا (الحرفيين والزفانين والشباب) من عضوية هذه "اجماعة" : أو "آيت أربعين".

وكان تدخل الاستعمار الإسباني في ثنايا المجتمع البدوي في الصحراء، إيذانا بنهاية سلطة "اجماعة" حيث برزت مؤسسة "الشيخ" و"الترجمان" (أملاز) كمناصب إدارية وليس كنخبة نابعة من المجتمع المحلي. فقد عمدت السلطات الاستعمارية إلى بعث مؤسسة "اجماعة" كوسيلة لتدبير شؤون المجتمع المحلي بطريقة غير مباشرة تحت مراقبة الحاكم العسكري وأعوانه. وهكذا صدر مرسوم حكومي إسباني بتاريخ 29 نوفمبر 1962 يخص الإدارة الترابية للمنطقة لضبط الأفخاذ المترحلة (fracciones Nomadas) وذلك تحت حكم "اجماعـة" فـي حين خصص للمراكـز الحضريـة نظام البلديات (Ayuntamientos) والجماعات المحلية (Juntas Locales). هذا المرسوم نص على أن كل "اجماعة" عليها خلق مجلس لها، وهذا الأخير يكون عدد أفراده مرتبطاً برؤساء العائلات داخل كل فخذة من القبيلة، ورئيس المجلس يعتبر هو كبير الفخذ. وهذا الانتخاب لابد له من تزكية الحاكم العام بالصحراء.



على أن هذه "اجماعة" لن تتخذ مختلف ملامحها إلا مع القانون الإسباني الخاص بالصحراء الصادر بتاريخ 11 ماي 1967 الذي شكل الإطار الحقيقي للصفة الاستشارية للزعماء التقليديين للقبائل، إلى جانب مجلس إقليمي (Cabildo Provincial) لا يضم سوى ستة أعضاء صحراويين والبقية من المعمرين الإسبان 1967.

أما "اجماعة" فعلى العكس من ذلك، فضمت 82 صحراويا وإثنين فقط من الإسبان عن طريق التعيين، أحدهما شغل منصب الكاتب العام والثاني الأمين العام للإدارة الاستعمارية بصفته مستشارا. أما رئيس المجلس الإقليمي ورؤساء البلديات (alcaldes) العيون والداخلة فهؤلاء يعدون أعضاء بصفة مباشرة في "اجماعة" إلى جانب 39 من شيوخ القبائل، في حين أن 40 عضوا آخرين يتم انتخابهم من طرف جماعة الأفخاذ المترحلة (fracciones nomadas)، ولذلك كان عدد الأعضاء داخل "اجماعة" محكوماً بالكثافة الديمغرافية لكل قبيلـة،

فمثلا : الركيبات استحوذوا على 45 مقعدا (22 منها لركيبات الشرق و23 منها لركيبات الساحل) وقبيلة الزركيين : 9 مقاعد، وأولاد دليم : 12 مقعدا، والعروسيين : 5 مقاعد، وأولاد تيدرارين : 4 وأهل الشيخ ماء العينين مقعدان وقبيلة آيت لحسن : مقعدان، وآيت موسى وعلي مقعد واحد، وفيلالة مقعد واحد.

وكانت أول انتخابات لرئاسة "اجماعة" فيما بين 14 يوليوز و20 غشت من سنة 1967، حينها بدأت العشائر القبلية في تنظيم اجتماعاتها التشاورية. وكان افتتاح "اجماعة" بتاريخ 11 شتنبر سنة 1967 حيث انتخب صيلة ولد اعبيدة رئيسا لها، كما انتخب باب ولد حسن الدليمي نائبا للرئيس، على أن مدة انتداب هذه "اجماعة" كان محصورا في أربع سنوات.

وفي يناير من سنة 1971 كانت الانتخابات الثانية بخصوص 40 مقعدا، حيث تم استبدال صيلة ولد اعبيدة بخطري ولد سعيد الجماني، في حين بقي بابا ولد حسن نائبا لرئيس "اجماعة". كما تم تشكيل لجان متخصصة في التربية والزراعة وتربية الماشية والتجارة والأشغال العمومية والماء والسياحة. وفي 30 أبريل من سنة 1973 زادت السلطات الاستعمارية من عدد أعضاء "اجماعة" حيث بلغوا 102 شيخا (40 منهم تنتخبها الأفخاذ المترحلة، و40 من الممثلين الذين يتوفرون على بطاقة التعريف الإسبانية و16 يمثلون المجموعات المهنية مثل العمال المأجورين والحرفيين ...الخ. ثم رئيس المجلس الإقليمي وحكام بلديات العيون والداخلة إضافة على ثلاثة أعضاء آخرين يمثلون موظفي بلديات الداخلة والعيون.

هكذا تم إفراغ "اجماعة" من مضمونها الأصلي، لتتحول إلى أداة في يد الإدارة الاستعمارية ليس لها من سلطة سوى الطابع الاستشاري في حين يبقى الجانب التشريعي والتنفيذي منوطا بالإدارة الاستعمارية ذات الطابع العسكري في ظل نظام الجنرال فرانكو آن ذاك.

لكن الظاهر أن المنطقة، بعد أحداث العيون في 17 يونيه 1970، عرفت حراكا سياسيا واجتماعيا معاكسا للسلطة الاستعمارية، الشيء الذي جعل هذه الأخيرة تمنح بعض الصلاحيات الجديدة "للجماعة الصحراوية "كقبول المزيد من إشراك السكان في تدبير شؤونهم المحلية، وتحويل "اجماعة" إلى ما يشبه برلمان محلي له سلطات تشريعية، وفي هذا الإطار وبتاريخ فبراير 1975 انتخبت "اجماعة" أربعة أعضاء ليمثلوها في الكورتيس، ثم انتخبت لجنة دائمة مكونة من 16 عضوا لهم دور الاتصال بالحكومة الإسبانية. لكن قبل هذا التاريخ كان العديد من أعضاء "اجماعة" قد التحقوا في نونبر 1974 بحزب الوحدة الوطنية الصحراوية الذي خلقته الإدارة الاستعمارية وكانت الغاية منه قيادة المنطقة نحو خلق كيان مستقل تابع لإسبانيا. وكانت نهاية "اجماعة" كما خطط لها الاستعمار الإسباني مع خطري ولد سعيد الجماني الذي تقدم إلى الملك الراحل الحسن الثاني وعبر عن بيعته له بصفته رئيسا للجماعة الصحراوية سنة 1975. وهكذا سيتراجع دور "اجماعة" لصالح "الجماعات المحلية" القروية والحضرية، وستحل الأحزاب بالمنطقة وتبرز نخب جديدة على أساس رؤوس الأموال والمقاولات و الامتيازات الخاصة.

محمد سالم ولد الحبيب ولد عبد الحي، *جامع المهمات في أمور الرقيبات*، مخطوط حوزة ولد باكا - العيون ؛ محمد دحمان، *الترحال والاستقرار بمنطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب*، مطبعة كوثر، الرباط 2006.

Caro Baroja, Julio, *Estudios Saharianos*, Madrid 1955 ; Baker, R, Breath of change in Spanish Africa, *Africa Quaterly January-March 1986*, p. 343 ff ; Castilla, Ortega, Se constituye la Asamblea General de Sahara in *Africa* (Madrid) Vol XXIV, N° 310, October, 1967, p. 6 - 10 ; Miguel, H.L *Legislacion de Sahara*, años, 1965 à 1973, Madrid : Minerva, 1974 ; Santamaria, Ramiro, La Yemaa O Asamblea General de Sahara en marcha, *Africa*, Vol XXIII, N° 353, May 1971, p. 23 - 26 ; Yanguas Miraveté, J. El nuevo régimen de admistracion local de la provincia de Sahara » *Africa* (Madrid) Vol XX, N° 253, Enero, 1963, p. 2 - 4 ; La Yemaa o Asemblea General del Sahara, in : *Africa* (Madrid) Vol XXIV, N° 309, Octobre, 1967, p. 17 - 19.

محمد دحمان

أحداث الزملة، وقعت أحداث الزملة بالعيون في يونيو 1970. وهي ترتبط بالسياسة الاستعمارية التي انتهجتها إسبانيا لأسبنة الصحراء وعزلها عن محيطها المغربي، ورفض الشباب الصحراوي لهذه السياسة واختياره طريق الكفاح لمواجهتها. وقد تزعمها مجموعة من الشباب الصحراوي المتوثب للحرية، منهم ولد محمد سيد البصير رئيس الحزب المسلم الذي لم يتمكن من حضورها.

ففي 17 من يونيو 1970 "قررت إسبانيا إجراء تجمع شعبي للبرهنة على الوحدة الصحراوية الإسبانية، لكن ذلك اليوم شهد انقساماً في الرأي، حيث ارتأت الجماعة الصحراوية وزعماء القبائل" الممثلين لإسبانيا التجمع قرب مركز الحاكم العام وسط العيون، وفضل تيار الشباب الاجتماع في حي الزملة الواقع على تلة تشرف على العيون، وقد تحول هذا التجمع العفوي إلى لقاء شعبي كبير، وطالب فيه المجتمعون بالحكم الذاتي الداخلي المباشر وتحديد موعد لانسحاب القوات الإسبانية من الصحراء ومنع استغلال الثروات الطبيعية الصحراوية دون موافقه المواطنين. وبعد إصرار الجماهير المحتشدة في هذا التجمع على موقفها ورفضها إلغاء التجمع أعطى الحاكم العسكري أوامره بإطلاق النار عليها فقتل سبعة وثلاثون شخصاً وجرح ثلاثة وثمانون واعتقل مئات من الشباب، وأعلنت حالة الطورئ في العيون وأغلقت الحدود ومنع دخول الصحافيين الأجانب، وانتهى البصير شهيداً في السجن من جراء التعذيب.

وكانت هذه الأحداث سببا في اندلاع سلسلة من الأحداث المماثلة في العيون في مطلع سنة 1971 انتهت بسقوط عشرات القتلى والجرحى، وأحداث الداخلة في

مارس 1971 انتهت بسقوط ثلاثين قتيلا وأحداث الطنطان في 26 ماي وغيرها. وستستعيد الجماهير الصحراوية بعد هذه الأحداث وعيها الوطني وتودع حالة الركود التي عاشتها منذ تصفية جيش التحرير في الجنوب أواخر الخمسينات.

علي الشامي، *الصحراء الغربية وعقدة التجزئة في المغرب العربي*، ص. 138 - 139 ؛ كَاوديو أتيليو، *ملف الصحراء الغربية*، ص. 222.

محمد الظريف

إدا اوبلال، قبيلة عريقة كانت تنتجع درعة السفلى وواد نون خلال القرن الثامن عشر تحت قيادة زعيم حربي قوي يدعى جان الذوبلالي. وإثر الحراك السكاني الذي عرفته الصحراء نهاية القرن الثامن عشر في إطار تبلور ونمو العديد من القبائل الرحالة نزحت هذه القبيلة شمالا اتجاه درعة الوسطى حيث بسطت هيمنتها على المنطقة الواقعة مابين طاطا غربا وزاوية امغيميمة شرقا قرب كَادير انتيست. وتنقسم هذه القبيلة إلى مجموعتين هما فخذة مكراز المكونة من الخلط وآيت بونوح وينوت ؛ وفخذة حيان، المكونة من عطارة ولفرارمة وأولاد عبد الله. وكانت هذه القبيلة، رغم انتقالها إلى الإقامة بواحات طاطا وتورسولت وأم الكردان وتيسنت، تمارس الترحال وتراقب القوافل الصحراوية من درعة نحو تندوف وتمبكتو وتاودني، أو نحو سوس ومراكش والصويرة. وهذا ما جعل جزءا منها القبيلة ينتقل نحو ازواد بمالي ونحو منطقة الحوض على الحدود مابين مالي وموريتانيا حيث تحولت أسر دوبلالية هناك إلى امتهان العلم والتخلق بأخلاق الزوايا. وقد أشار الرحالة فوكو في رحلته إلى وجود دوبلال نهاية القرن التاسع عشر على ضفاف واد درعة يقومون بحماية القوافل أحيانا وبنهبها أحيانا أخرى وذلك على امتداد الأراضي الواقعة مابين طاطا وتمبكتو، وما بين طاطا وآدرار التمر بموريتانيا وذلك عبر أرض الساحل جنوب درعة، وكانوا يترحلون في شكل مخيمات قد يصل عدد أفرادها 60 نفرا. على أن تنقلاتهم لا تنحصر داخل المجال فقط، بل يجوبون منطقة الفايجة شمال جبل باني، كما يداهمون قبائل اعريب وبرابرة آيت خباش، وقد يصلون في غزواتهم حتى مناطق تافيلالت و اتوات. كما ساندت قبيلة دوبلال المقاومة المسلحة ضد التدخل الاستعماري القادم من جنوب غرب الجزائر بداية الثلاثينات من القرن العشرين. لكن بعد السيطرة الاستعمارية على مناطق نجعتهم وحرثهم (لمعادر) أصبحوا يتجهون نحو حياة الاستقرار، خاصة بواحات طاطا وتسينت بفعل تدهور قطعان الجمال ووضع الحدود الدولية وسياسة الإدارة العسكرية للتخوم المغربية - الجزائرية الرامية إلى توطين البدو الرحل قصد التمكن من مراقبتهم، وهكذا أصبحوا تحت حكم مراقب عسكري بمركز طاطا.

ولم تتخلف قبيلة دوبلال عن الحركة الوطنية نهاية الأربعينات من القرن العشرين ولا عن فلول جيش التحرير التي كانت أولى معاركها غير بعيدة عن مجال تنقل دوبلال (معارك مركالة وأم لعشار) ضد قوات الاحتلال الفرنسي. وبعد استقلال المغرب ظلت قبيلة دوبلال متمركزة بناحية طاطا، كما ظلت على علاقات تواصل مع بقية القبائل الصحراوية في واد نون والساقية الحمراء، وحتى مع من هاجر منها نحو سوس وحوز مراكش وآسفي والدار البيضاء والرباط.

أبو بكر بن أحمد المحجوبي، *منح الرب الغفور في ذكر ما أهمل صاحب فتح الشكور*، مطابع الوحدة العربية، الزاوية، 2001 ؛ المختار ولد حامد، *حياة موريتانيا*، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994 ؛ *مقابلة مع السيد أبلال بن لحسن الدوبلالي بطاطا*، ربيع سنة 2004 - 2008.

De Foucauld, Charles : *Reconnaissance au Maroc* (1883-1884), rééd. L'Harmattan, Paris, 1998 ; DE Saint-Bon, Les populations du Maroc saharien, Document *C.H.E.A.M,*) 27 bis, Paris, 1938 ; Jacques-Meunié, D., *Le Maroc saharien des origines à 1670*, V 2 vol, Paris, Klincksieck, 1982 ; Vincent Monteil, Choses et gens du Bani in : *Hesperis, 1946*, Paris, p. 385 - 405.

إدا وَعْلي (قبيلة -) ينسبون إلى سليمان بن عبد الله الكامل بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب (ض). وهم قبيلة عريقة توجد في موريتانيا والجنوب المغربي، وتنقسم إلى : إيد وعلي البيض، وإيد وعلي الكحل، فمن البيض نجد الفخذات التالية : أهل الإمام - أهل بوكسا - أهل محمد بن اعبيد الله، وتميله وأولاد أبوهم. ومن ايد وعلي الكحل نجد العور - إيدا بيجة - آمكاريج - وأولاد أحمد بابا. من الحواضر التاريخية لهذه القبيلة نجد : شنقيط، وتجكَجة. كما سكنوا منطقة الركيز بالجنوب الموريتاني. وقد عرفت هذه القبيلة بعدد كبير من العلماء والفقهاء والشعراء والمتصوفة، كما كانت واسطة العقد ما بين المجتمع البيضاني وبقية البلاد المغربية والعربية، فأول فقيه مفتي في الصحراء كان منهم هو محمد المختار بن الأعمش العلوي ومنهم محمد الحافظ العلوي (ت. 1325) شيخ الطريقة التيجانية في عصره وسبب امتدادها نحو الصحراء والسودان الغربي. ومنهم سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي (ت. 1233) نزيل فاس عالم وولي صالح. كما ينتسب إلى هذه القبيلة أحمد الأمين الشنقيطي صاحب كتاب "*الوسيط في تراجم أدباء الشنقيط*" الذي يعد أول منونوغرافية نشرت حول الجنوب المغربي وموريتانيا. وظلت هذه القبيلة معروفة بالعلم والصلاح وحتى التجارة والسياسة إلى اليوم، كما انتشرت في أوطان عديدة رغم أن موطنها الأصلي هو تافيلالت بالجنوب الشرقي المغربي مهد الدولة العلوية الشريفة.

كما ساهمت هذه القبيلة بعلماء ومفتين ومجاهدين في الحركة الجهادية التي قادها الشيخ ماء العينين منذ السنوات الأولى من القرن العشرين، حيث هاجر العديد منهم من "دار الحرب" للجهاد والدعوة له، حيث حلوا بالسمارة وبتزنيت ومراكش وفاس، واندمجوا داخل

المغرب في مجالات الحركة الوطنية وجيش التحرير والبحث العلمي والعمل السياسي.

سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، *صحيحة النقل في علوية ايد وعلي وبكرية محمد قل*، مخطوط ؛ أحمد الأمين الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*، دار الخانجي، القاهرة، 1958 ؛ المختار ولد حامد، *حياة موريتانيا* : الجغرافيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994 ؛ سيد عبد الله ولد الحاج إبراهيم، *رسالة الروض في أنساب أهل الحوض*، مخطوط ؛ محمد المختار ولد السعد، إمارة الترارزة، معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 2000 ؛ محمد المختار ولد أباه، تاريخ التشريع الإسلامي في موريتانيا، جامعة تونس I، 1981 ؛ محمد سعيد بن اليدالي، *نصوص من التاريخ الموريتاني*، تحقيق محمذن بن باباه، تونس، 1990 ؛ مجهول، *حوليات تجكجة*، تحقيق عائشة بنت ديدي، كلية الآداب، انواكشوط، 1990 ؛ المختار ولد حامد، *حياة موريتانيا، الحياة الثقافية*، ج 2، تونس، 1990 ؛ الخليل بن محمد النحوي، *بلاد شنقيط، المنارة والرباط*، نشر الإلسكو، تونس، 1987، ص. 647.

Teodoro Ruiz De Cuevas, *Apuntes para la historia politica de Africa* ,Tomo VI : Mauritania, Madrid, 1977 ; Norris H.T : The history of Shinqit according to the Idaou Ali tradition , *BIFAN -T- XXIV-serie B*, 1962, p. 393 - 411.

محمد دحمان

إدريس (أولاد -)، عرفت مدينة تگاوست التاريخية (جنوب غرب مدينة گلميم) وأحوازها توافد أفواج متعددة من المجموعات الأسرية والقبلية ذات أصول مختلفة أمازيغية وعربية وزنجية، إلا أن ما يهمنا في مقامنا هذا مجموعة أولاد ادريس المنتسبين في أصولهم إلى إدريس الأكبر باني مدينة فاس بعد قدومه هاربا من الشرق. وبارتباط مع ما جاءت به المصادر التاريخية الوسيطية والحديثة فإن المنحدرين من البيت الإدريس نزحوا إلى مناطق مختلفة من المغرب في فترات متفاوتة. أما عن أولاد إدريس فلا نعرف بالتحديد الفترة الزمنية التي نزحوا فيها إلى منطقة وادي نون ولامتى استقروا في تگاوست. ويعتقد أن زيارة محمد حسن الوزان لمدينة تگاوست والاستقرار فيها لمدة خمسة عشر يوما لم يذكرهم بالتحديد بل تحدث عن مجموعات مختلفة. لكن المعلومات التي جاءت بها معاهدة بوطاطا التي دارت أطوارها في مدينة تگاوست سنة 1499 أظهرت أن أولاد إدريس كانو سادة المدينة، وهو ما أكدته أطوار معاهدة الإسبان مع تيغمرت حيث برزت شخصية لها أكثر من دلالة تم تكليفها بالسهر على تنفيذ الاتفاقية، ويتعلق الأمر بسيدي سعيد ميمون وهو أخ لحكام تگاوست، كما ورد ذكر أولاد إدريس بصفة ضمنية في المعاهدة التي عقدها حكام التاج الإسباني مع حكام تگاوست في 20 مارس 1499 وقد شملت قلعة أكاوس وقصر تيسگنان حيث أرسل حكام تگاوست أخاهم سيدي سعيد كممثل عنهم وأعطوه كامل الصلاحية لضمان سريان الاتفاق. وفي مقابل ذلك تم تثبيتهم كزعماء في القلاع الثلاث وقد كان قائد أگاوس (وعرون) محمد بن أحمد صهر محمد بن ميمون قائد قلعة تيسگنان. كما ورد إسم ميمون في أحدى الوثائق التاريخية الموجودة بحوزتنا والتي تعود إلى 1006 تشير إلى نسبهم الشريف إلى جانب شرفاء أهل بلا. ولعل الداعي إلى الوقوف عند حذف شخصية ميمون هو كونه الجد الأعلى لأولاد ميمون أحد فروع أولاد إدريس أسياد تگاوست. وقد كان الصراع محتدما بين أولاد إدريس وأولاد بنعزيزي الكنتيين وقد انتهى الصراع بتصفية أولاد بنعزيزي.

والغالب على الظن أن الصراع اتخذ بعدا رمزيا إذا ما علمنا أن أولاد بنعزيزي ينتمون إلى قبيلة تميزت تاريخيا بالعلم والقوة العسكرية، كما أن أولاد إدريس يتباهون بانتمائهم للبيت الإدريسي الشريف. وقد استمرت سطوة أولاد إدريس على المجال حتى دخول آيت لحسن إلى المدينة بفعل العلاقات السيئة التي ظهرت بين أولاد إدريس وقبيلة آيت لحسن التي كان أفرادها يأتون لزيارة المدينة سنويا عند انعقاد السوق السنوي (أمكار لكصابي) في صيف كل سنة لشراء مواد التموين والخنط. وتفيد الروايات بأن سبب توتر العلاقات بين الطرفين يتمثل في تطاول أولاد إدريس على آيت لحسن فكان ذلك إيذانا بغزو المدينة تحت ذريعة قضية "روث البهائم".

وفي خضم هذه الأحداث سوف ينشب الصراع بين آيت لحسن بمعية أولاد بنعزيزي المساندين من طرف بعض قبائل آيت باعمران ضد أولاد إدريس الذين فتحوا على أنفسهم جبهتين عسكريتين سيكون لهما الأثر البالغ في القضاء عليهم وطردهم من تگاوست. وقد لجأت بعض بقاياهم لتنضم للعيايشة إحدى فصائل الرگيبات إخوة أولاد إدريس في النسب، ولجأ بعضهم إلى عوينة آيتوسا حيث اندمجوا مع أمفاليس ويحملون إسم الجغاغا، ولجأت بعض العناصر التي تحمل إسم أهل المكي إلى فرقة الرويميات إحدى تجزءات إينجورن، ونجد فرقة أهل مكوم راسو التي اندمجت مع أكوارير من قبيلة آيتوسا، وتوجد فرقة تعود في أصولها إلى أولاد ميمون اندمجت مع أهل حماد أوبراهيم إحدى تجزءات آيت عمر (آيت بومكوت)، ويعتقد أن بعض فلولهم لجأت إلى المحاميد حيث أسست هناك قصرا يحمل إسمها (أولاد برحيل) شمال تارودانت، ولجأ بعضهم إلى منطقة أسندي بين مجالي مستي وصبويا.

وثيقة تاريخية بحوزتنا تعود إلى سنة 1006 ؛ عمر ناجيه، *البنيات الاجتماعية والاقتصادية لقبائل وادي نون في القرنين 18 و19، قبيلة آيت لحسن نموذجا*، رسالة لنيل دكتوراه السلك الثالث في التاريخ، السنة الجامعية : 1998 - 1999، مرقونة.

Jacques-Meunié. D.J , *Le Maroc saharien des origines à 1670*, Librairie Klincksieck, T1, 1982 ; Salvy. G. Capitaine, *Les Kounta du sud marocain*, Traveaux de IRS, Université Alger, TVII, 1951 ; Monteil. Vincent, *Notes sur Ifni et Ait Baamran*, Editions La rose, Paris, 1948 ; Spillman (LG), *Villes et Tribus du Maroc*, Vol IX, tome II, Honoré Champion, Paris, 1931.

عمر ناجيه

اديقب (قبيلة -) قبيلة من الزوايا تنسب إلى بني عبد الله بن حسان من عرب المعقل. وهم يجتمعون في هذا النسب مع قبيلة أهل بارك الله.كانت هذه القبيلة من "زوايا الشمس"، أي القبائل التي لاتخضع للمجموعات المحاربة، وكانت تجوب منطقة تيرس بوادي الذهب والشمال الموريتاني، وتتكون هذه القبيلة من البطون التالية : بزيد بهنض بن ابهنضام، وأهل بجهن بن ابهنضام، وأولاد أبيال بن ابهنضام : ومن هؤلاء أهل عمي جنكه - أهل حوم الله - أهل محمد بن موسى - أهل عاشور- أهل عبد الله بن أحمد - الأخوال - الأعمام - أهل أحمدن الله - أهل اتفاغا موسى - أهل محمذ طالب - أهل محمذ طالب - أهل محمذ محم. وقد عرفت هذه القبيلة بالكرم وبالعلماء والشعراء والصلحاء، فإليها ينتمي محمد بن حب الله لمجيدري ومحمد بن الطلبة وغيرهما من العلماء والمفتين والصلحاء، فالمجيدري هذا هو أول من أدخل الطريقة النقشبندية إلى الصحراء وأثار نقاشا فكريا ثريا مابين التيارين الفروعي والأصولي داخل المالكية بالمنطقة، كانت من نتائجه العديد من المؤلفات الفقهية والكلامية الشهيرة لكل من المختار بن بونا الجكني وسيدي عبد الله بن الفاضل الباركلي وغيرهما.

وقبيلة اديقب تتمركز اليوم بكل من موريتانيا وإقليم وادي الذهب وأوسرد بالمغرب.

المختار ولد حامد حياة موريتانيا : الجغرافيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994 ؛ أحمد بن الأمين الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*، دار الخانجي، القاهرة، 1958 ؛ ديوان امحمد بن الطلبة اليعقوبي، تحقيق أحمد سالك ولد أبوه ؛ عبد العزيز بن الطالب موسى، تحقيق وتقديم ديوان الشيخ محمد المامي بن البخاري، رسالة دبلوم د.ع. في الآداب بكلية الآداب بالرباط، 1998 ؛ محمد ولد البرناوي، زوايا الشمس من خلال فتاوي الشيخ محمد المامي، مخطوط، بحوزة مؤلفه بانواكشوط.

Abdel Wedoud Ould Cheikh, *Féléments d'histoire de la Mauritanie*, I.M.R.S, 1989 ; Del Barrio, Jose Enrique Alonso, *Las Tribus del Sahara*, Aiun 1973 ; Caro Baroja, Julio, *Estudios saharianos*, Madrid, 1955.

اركيزه : مؤنثة : الركيزة بالفصحى. وهي خشبة مديدة تتخذ عمادا للخيمة، واركيزة الحاسي أيضا : هي الخشبة التي تنصب على رأسه وبين فرعيها الـعُـلويين توضع البـكْـرة "الـتَّـيْـنَّ" وهما الرجامات في اللغة. و"اركيزةُ الغنم" : قوس قزح أو القسطانة في الفصحى. والقسطانة أيضا : خيوط كخيوط قوس قزح تحيط بالمطر وهي من علامات المطر. كما تطورت دلالة "اركيزة" لتعني : الفخذة، أي إحدى فرق القبيلة الصحراوية، حيث تتكون هذه الأخيرة من مجموعة اركايز، أي بطون.

محمد دحمان، *الترحال والاستقرار من خلال دراسة سوسيو - تاريخية لقبيلة أولاد بسباع*، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، مرقونة بكلية الآداب بالرباط، 2004 ؛ إسماعيل ولد الحسن، *الممتع المحيط من كلام أهل شنقيط*، دار الفكر، أنواكشوط، الجزء الثاني، 2010.

محمد دحمان

أرنب، من الثدييات العاشية المنتمية إلى فصيلة مزدوجات الأسنان. يسمى علميا. Lepus capensis، علوه عند الغارب 30 سم وطوله يتراوح ما بين 40 و51 سم جمعا بين الرأس والجسم. يفوق وزنه أحيانا 6.5 كلغ وتزن الأنثى عامة أكثر من الذكر. أذناه طويلتان (10 سم) ومنحدرتان إلى الأمام. يكسوه شعر ناعم رمادي مصفر على الجوانب والظهر وأبيض على بطنه وعلى الجهة الداخلية لقوائمه. ذيله قصير ومسود على مؤخرته.

تنتهي قوائمه الخلفية بأربعة أصابع وهي أطول من القوائم الأمامية التي تنتهي بخمسة أصابع صيغة أسنانه كالتالي :

1/2 قوارض 0/0 أنياب، 2/3 أضراس أمامية، 3/3 أضراس = 28 سنا. ترجع تسمية الفصيلة بمزدوجات الأسنان لتثنية القوابض بالفك العلوي عند هذا الصنف من الحيوانات.

يعيش الأرنب في المناطق المنبسطة والمرتفعات التي لاتتعدى 2000 م وكثيرا ما يلازم المكان الذي ولد فيه طول حياته. يتناول نباتات المزارع والحقول ويتخذ حفرة لا يفوق عمقها 10 سم ليستريح فيها وينام طول النهار مفتوح العينين ويستأنف نشاطه طول الليل.

أعداؤه كثيرون يتخلص منهم بسرعته الفائقة التي تتعدى 80 كلم في الساعة وقيامه بعدة منعرجات أثناء الفرار. يساعده لونه الشبيه بمكان معيشته عن صعوبة مشاهدته. كثيرا ما يقطع النهر سابحا أو يدخل قطيع الغنم للتخلص من متابعة الكلاب.

إنه شديد الحذر واليقظة، وحاسة سمعه حادة حيث إن سقوط ورقة شجرة في إمكانها أن توقظه. تسمى ورقة عكرشة. تضع أربع مرات في السنة ونادرا خمس مرات وذلك خلال فصل الربيع والصيف، يتكون الحمل الأول من صغيرين والثاني من 3 إلى 5 صغار والثالث من صغيرين. ومن صغير إلى صغيرين في المرة الرابعة. تختار العكرشة مكانا هادئا ومؤمنا لتلد صغارها المفتوحة العينين والمكسوة بالشعر. تعتني الأم برضاعة صغارها أسبوعا واحدا ثم تغيب عنهم ولا تعود إلا نادرا لتتخلص من حليبها.

يصل الخرنق (صغير الأرنب) سن الرشد بعد 15 شهرا ونعمر من 6 إلى ثمان سنوات.

يمتد توزيعه الجغرافي على جميع أنحاء المغرب ما عدا المرتفعات الباردة التي يفوق ارتفاعها 2000 مترا. الأربت حيوان مهدد بالصيد. يؤكل لحمه وتستعمل جلوده لصناعة الأثواب الفـرْو.

J. Dorst et P. Dondelot (1972), *Guide des grands mammiféres d'Afrique* ; A. Menagaux, *Les Mammiféres, La vie des animaux illustrée*, T. 2 ; F.H Vanden Brink (1967), *Guide des Mammifères d'Europe, Les Guides du Naturaliste*.

أرْوي، أو لـرْوي ويسمى أدَاد، حيوان مجتر من فصيلة الضأنيات المسمى باللاتينية Ammotragus 1777

(Pellas). إنه حيوان جبلي يفوق علوه عند الغارب المتر الواحد ويصل وزنه إلى 120 كلغ. يتراوح طوله ما بين 140 و200 سم جمعا بين الـرأس والجسم، وطول ذيلـه 25 سم. يحمل رأسه قرنين سميكين مربعي الشكل في قاعدتها ومنحنيين إلى الوراء في مؤخرتها. يكسوه شعر متصلب أبيض جهة البطن والقائم وأشقر على ظهره. أظلافه طويلة ورقيقة وعيناه مصفرتان.

إنه الضأن الوحشي الوحيد الذي يعيش في إفريقيا وهو يشكل الممر من المعز إلى الضأن ويقترب من الضأن من حيث الهيئة والقامة إلا أنه يختلف عنها فيما يخص الحفيرة الدمعية وقصبة الأنف المعروفتين عن الخروف. يحمل الذكر لبدة كثيفة تمتد من العنق إلى القوائم الأمامية كما هو في الصورة، جمجمته قوية وطويلة وصيغة أسنانه كالتالي :

0/4 قوارض، 0/0 أنياب، 3/3 أضراس أمامية، 3/3 أضـراس = 32 سنا.

تتكون أغذيته من الأعشاب الخضراء واليابسة كما هو الشأن بالنسبة للمعز والضأن والغزلان. يتسلق الأشجار بسهولة ويقف أحياناً على قدميه الخلفيتين ليَقْطع أوراق وثمار الأشجار والأدغال. يستطيع تحمل العطش عدة أيام ويقترب من أماكن الشرب بكامل الحذر ولا يدنو منها حتى يتأكد من أمنه. كثيرا ما تصعب مشاهدته إذا كان واقفا بين الصخور أو فوقها وذلك لتشابهه بألوان الصخور المحيطة به. يقضي أوقات حرارة النهار تحت ظلال الأحجار والأشجار.



أروي

في حالة إزعاجه، يحكي أنه يلقي بنفسه على رأسه من أماكن عالية لينجو من الخطر وهذه الملاحظة يعززها سُمك جلده جهة الرأس بعدة سنتمترات.

لا يُكَوِّن الأروي قطيعات كما تفعل باقي الضأنيات بل يعيش وسط جماعات عائلية أو منعزلا وخاصة الأفراد المسنة والأنثى الحامل. تجتمع ثلاث أو أربع إناث حول ذكر واحد في بداية الحرارة الحيوانية التي تبتدئ غالبا في شهر نونبر فإذا ما اقترب ذكر آخر من هذه المجموعة يواجهه رئيسها بضربات رأسية قوية تُسمع من بعيد، وقد تدوم المعركة يوما كاملا وتبقى رؤوس المختصمين ملتصقة مدة طويلة. يلقب الذكر عنه البربر بالفشتال والأنثى بالمعزة والصغير بالخروف. تدوم مدة الحمل 154 - 161 يوما وتضع الأنثى صغيراً أو صغيرين كل سنة في بداية فصل الربيع عامة وفي فصل الشتاء نادرا. يفارق الصغير أمه في فصل الخريف أثناء استئناف الحرارة الحيوانية.

يعيش هذا الحيوان في جبال الأطلس الكبير والمتوسط والصغير وقرب فگيگ وكذلك في الصحراء المغربية. يوجد أيضا بجبال الأوراس بتونس والجزائر وفي مرتفعات الصحراء الكبرى.

يعد من الحيوانات النادرة وهو الآن تحت الحماية في عدة مخالف بجبال الأطلس إلا أنه يختلف خسائر في أشجار الغابات والمستنـدات.

يصاد لعذوبة لحمه الذي يشبه لحوم الإبل في المذاق ويستعمل شعره في نسيج الزرابي والملابس وغيرها ويستعمل جلده في السخاتة (Maroquinerie).

A. Cabrera, 1932, *Las Mamiferas de Marruecos*, trabajos, Mus. Nac. Siencias. Ser. Zool. 57 : 1-361 p ; P. L. Dekeyser, *Les Mammiféres de l'Afrique Noire Française*, I.F.A.N. (1), 1-426 P. ; J. Dorst et P. Dandelot, 1972, *Guide des Grands Mammi féres d'Afrique*, Paris, 286 p ; J. B. Panouse, 1957 ; *Les Mammiféres du Maroc*, Trav. Sool (5) : 1-206 p.

محمد رمضاني

ازعير، اسم قصر بناه مجموعة أفراد من قبيلة اعريب على ضفاف نهر ينبع من حمادة درعة ويصب في وادي درعة يبعد عن مركز المحاميد بحوالي 50 كيلومتر. وهو خال الآن من الساكن لازالت أطلاله شاهدة إلى الآن، يوجد فيه بئر لأهل بوحجر ومجموعة من أشجار النخيل، وقد تكون هي الأساس والمنطلق لتشييد هذا القصر، خصوصا إذا علمنا أن هذا القصر، شيد نتيجة لحالة القحط والجفاف التي أصيبت بها المنطقة أواخر القرن 18م، وكذلك بسبب الإنهاك والتعب الذي أصاب قبيلة اعريب بسبب حربها الضروس مع قبيلة دو بلال فرأت أن الحاجة أصبحت ملحة للاستقرار خصوصا بعدما نفقت أغلب مواشيهم. لكنهم لم يستقروا به إلا فترة قصيرة فسرعان ما أخلوه، حتى أن بعضهم لم يتم بناء بيته في هذا القصر (القصر بمعنى مدشر، مجموعة من الدور). وذلك لغلبة طابع الترحال عليهم ونفورهم من الاستقرار في الدور.

تحريات ميدانية.

أحمد شيخي

أزغار وآگلو في سوس، من معارك استنفار الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين للمجاهدين في وادنون والصحراء في أجواء مفعمة بالانتصارات تارة، وبالنكسات تارة أخرى، نراه يجمع بجنوب سوس والصحراء لجمع فصائل المجاهدين من مختلف القبائل المؤمنة الغيورة على وطنها ودينها بهذا الجناح الغربي من بلاد الأمة الإسلامية العربية، ويستنفر جيشا جرارا، جاء به من الجنوب لمواجهة ابن دحان ومن يدور في فلكه من القبائل التي غدرت وانضمت إلى الفرنسيين.

وفي موسم "آسرير" السنوي ألقى الشيخ مربيه ربه خطابا دعا فيه للجهاد. استجاب له جمع غفير ممن حضر الموسم بحماس.

وقد ضم جيش المجاهدين القادم من الجنوب قبائل من الصحراء ووادنون وآيت بعمرانة والأخصاص. وهذا ما تكشف عنه رسالة من الشيخ مربيه ربه مؤرخة في 28 شعبان 1332 بعث بها إلى الشيخ أحمد الهيبة يقول فيها :

"الحمد لله والسلام على أفضل من عبده.

أمولايَ نصر الله قــد جاء والفتــح
وقام بإعزاز الهدى السيف والرمـحُ

ظل الله على العالمين وخليفته في الأرضين ... هذا ولا طارئ لله الحمد إلا ما يسركم إن شاء الله، ومحصل الخبر هو أن بعمرانة وآيت الحسن والزرگيين ويگوت وأولاد بلحويلات والرقيبات وأولاد دليم وآيت وعبانْ من آيتوسه اجتمعوا بجيوشهم ونزلوا بـ "إسكْ" إزاء الأعداء في رقبة "تَـلٌ" وطلبوا منا المسير لهذه الجهة لينضجوا ما قالوا، وليس عندهم إلا الحزم واليقين. فسرت ومعي من كل قبيلة رجل، ونزلنا على القائد المدني بالثلاثاء، ووجدنا جيشه ثمة ومعه آزوافيط وآيت ياسين ومن انضم إليهم، وبرّحوا من ساعتهم ينزلون "مرعب" يوم الأربعاء يوم كتبه، وسار هو برأسه أي القائد المدني للجيوش الساحلية ليؤكد لهم على ما هم عليه... ثم سرنا، وها نحن نزلنا ساعة كتبه ببلاد "آيت أرخا" مقابلين "أغيرّملول" ووجدنا مجاطة ورخاوة وكل من انضم إليهم على الجد. والأعداء : بن حان في دهش وذل وخزي... وما رأينا في هؤلاء المسلمين جميعا إلا النصح والدين والجد والاجتهاد في أمور الجهاد بأموالهم وأنفسهم، أحرى القائد البشير الهصباوي وقبيلته لله درهم. والناس لله الحمد شاهدت فعل العدو في غيرها نسأل الله السلامة والعافية، والحمد لله على إرسالكم لهذه البراوات للعامة وتعيين القبائـل كلها وتحريضهم فصارت الناس تقصد الجمع الجهادي لأخذ الخبر... أتانا سيدي عالي بن هاشـم، وجدتـه في جمع مجاطـة ورخاوة وأتى على حالـه الأول وزيارته، وحلف أنـه لم يتخلف عن العهـد ولا الطاعـة، وأنـه ليس مع والـده في شيء ما، وقــرّ لدي أن النصارى وحزبهـم ليست فيهم فائـدة الله الحمد... في 28 شعبــان عام 1332 عبيد ربه مربيه ربه (22 يوليو 1914)".

فرح الناس بمقدم هذا الجيش الذي رأوا فيه معولا لتدمير ابن دحان والمتواطئين معه من أعوان الفرنسيين.

أيا أندى الورى كفا وأكـرمْ لك البشرى قدمت أجل مقدمْ
فويل للعدا من أسد غــــاب تقودهم بعزم منك صـــــم

وذكر المختار السوسي مجيء الشيخ مربيه ربه "أزغار" وحصاره لابن دحان وقال : "قاد سنة 1332 جحفلا لجبا من الصحراويين وقدم به إلى "أزغار" وحاصر ابن دحان وعركه عركا. وأضاف : "عندما كنت في "بونعمان" رأيت الشيخ مربيه ربه يقدُم كوكبة من الخيل، ومعه بغال عليها جوالق فيها سلاسل لأسْر أصحاب ابن دحان".

وتحدث لويس گران Louis Grand عن هجوم الشيخ مربيه ربه هذا وقال : "هجم الشيخ مربيه ربه يوم 2 / 8 / 1914 على "أگدير إيزكاغن" وقد أجليّت الحامية الحكومية بعد أن تكبدت خسائر فادحة. وكان من نتائج هذا النصر انتفاضة أهل الساحل والتحاقهـم بقوات مولاي أحمد الهيبــة، كما قام أهـل الأخصاص ومجاط باجتياح بلاد أولاد جـرار حتى مشارف "تلعينت". وقد اضطـر القائـد عيـد إلى دفع فديـة كبيـرة لهم مقـابـل حيـاده". وأضاف : "وهجـم العرب بمساعـدة أهل السـاحـل علـى أهـل "أگـلـو" فـي معركـة داميـة بـ "الگـعدة". وخلال هـذه المعركة التي انتصـروا فيها، قُتـل الخليفة ولد بوهيا. كما انتفـض أهل ماسـة بدورهم ضد الحمايـة وأعلنـوا تأييدهـم لأحمد الهيبـة". وذكر أيضا : أن ابن دحان أخفق في كسـر الحصار المضروب حول مدينة تيزنيت".

ما أن وصلت كتائب المجاهدين بقيادة الشيخ مربيه ربه حتى قام رجالها بشن عدة هجمات على ابن دحان وقواته في نواحي تيزنيت، حيث كبدوها خسائر ثقيلة في الأرواح والعتاد وضيّقوا الخناق على ابن دحان الذي صار يستغيث بالفرنسيين فضاقوا ذرعا باستغاثاته المتكررة. وعن استغاثة ابن دحان بالفرنسيين يقول الشيخ أحمد الهيبة في رسالة بعث بها إلى أعيان بعقيلة :

"خدامنا المرضيين الشيخ المحفوظ بن السي أحمد ومسعود بن إبراهيم وكافة أعيان قبيلة بعقيلة المرضية أمنكم الله وبعد فقد وصل كتابكم ... وما ذكرتم من أمر بن دحان فاعلموا وتحققوا أنه لا حيلة له ولا قبيلة هناك، إنما يترجى الإغاثة من الفرانسيس وقد خيب الله رجاءه بغلبـة الفرنسييـن برا وبحرا، وقـد علمتم ما في قلوبهـم من حقدهـم والغيظ عليكم من أجل بقائكم على دينكم وعدم قبولكم فيه الرشاوى... في 15 ذي قعدة عام 1332" (6 أكتوبر 1914).

وفي ذي الحجة 1332 أكتوبر 1914 داهم جيش المجاهدين بقيادة مربيه ربه بلدة "أگلو" غربي تيزنيت واستولى عليها، وتمكنت كتائب المجاهدين من سحق القوات الفرنسية التي كانت تحت إمرة القائد محمد بن دحان الذي فر مع من نجا من فلوله في اتجاه تيزنيت، وقد مات عدد كبير من أصحابه.

واستشهد عدد من المجاهدين من بينهم : أحمد بن محمد سالم بن بوصولة ومحمد الناجم بن الخليفة الزرقيان. كما استشهد الحسين بن عبد الله بن عكافْ، وسليمان بن محمود بن عـدِّي، وخطاري بن محمد العيش، والساهل بن مـلّـدْ، واحميدة بن احسيْنه هؤلاء من آيتوسة. وقد خلد الشاعر الطاهر الإفراني استيلاء الشيخ مربيه ربه على "أگلو" بقوله :

قمع العداة جهـــاده ومجالــه بلسانــه وسنانـــه البتــــار
أرسلت صنوك سيف نصر ساعرا نار الوغى بالعسكر الجــرار
فأناخ كلكله وسـل غـــــراره بدءاً على "أجلّــو" مقر شرار

وتحدث المختار السوسي عن المعارك التي دارت رحاها في نواحي تيزنيت بين المجاهدين وقوات ابن دحان فذكر : "أن القائد ابن دحان لما استقر في تيزنيت في شعبان سنة 1331 (يوليو 1913) من قبل الفرنسيين، دارت حروب كثيرة حوالي تيزنيت، لأنه يحاول تمديد إيالته إلى هشتوكة وعلى كل قبائل تلك الناحية السهلية، فكانت قبائل الجبل تعين القبائل السهلية التي تحارب ابن دحان، وقد نُـهبت قبيلة أگـلو في رمضان 1332 (أغسطس 1914) نهبها الأعراب وشيعة الهيبة، وقد كان ابن دحان امتد سيله إلى قبيلة الساحل، حيث نهب ديارا في "بوزرار"، منها دار آل الفقيه سيدي أحمد بن إبراهيم السملالي، فكان مما نهب، خزانة كتبه العامرة، ثم مالت كفة الأعراب، فطُـرد من هناك ومن "أگلو" جيش ابن دحان حتى حوصر في تيزنيت حصارا شديدا".

وذكر حمدي أنوش : أن فرنسا استاءت من هذه الوضعية، خاصة أن ممثل المخزن بتيزنيت (ابن دحان) حوصر أكثر من مرة من طرف مربيه ربه والقبائل الموالية له. وحيث عجزت عن إمداده بالعتاد اللازم لمدافعة هذه الهجومات فقد أوعزت إلى القائد حيدة بالقيام بهذه المهمة. وحاول حيدة أن يثبت للفرنسيين أنه الوحيد الذي يمكنه أن يسيطر على سوس إثر تفاقم الخلاف بينه وبين ابن دحان فزحف حيدة بجنوده إلى وجان وخابت مساعيه في الاستيلاء عليها.

المختار السوسي، *المعسول*، ج 4، ص. 247 ؛ *طاقة ريحان*، ص. 16 ؛ حمدي أنوش، تحقيق ودراسة، *روضة الأفنان في وفيات الأعيان*، ص. 50، مرقون.

ماء العينين الطالب أخيار

أزَلاي : كلمة أصلها أمازيغي "أزالاي" وتجمع على إزلاين، ومعناها القافلة المؤلفة من آلاف الإبل. وتستعمل في اللهجة الحسانية للدلالة على مجموعة الجمال التي يتم جلبها إلى السوق السنوية بواد نون (أحد أمحيريش قرب مدينة گلميم) وذلك بقصد البيع. وتقوم بذلك العمل مجموعة من الرجال كل سنة انطلاقا من مناطق تيرس بوادي الذهب ومن نكجير وزمور ومن الساقية الحمراء، حيث توكل هذه الجمال إلى جماعة من الرجال المسلحين الأقوياء وذوي الخبرة في مجال البيع، قصد قيادة قافلة الجمال (أزلاي) هذه إلى ذلك السوق حيث يتم بيعها بالمقايضة أو بالنقود ويجلبون في المقابل ما تحتاج إليه المضارب البدوية في الصحراء من سكر وشاي وأثواب وبنادق وأكسية وعطور، على أن نوعية الإبل المجلوبة تكون في الغالب من الذكور لأن البدو يحتفظون بالإناث قصد الحفاظ على استمرارية القطيع والاستفادة من ألبانها.

محمد شفيق، *المعجم العربي الأمازيغي*، الجزء الثاني، أكاديمية المملكة المغربية، ص. 330 ؛ محمد عبد الله ولد البخاري، *كتاب العمران* تحقيق رسالة متريز مرقونة، شعبة التاريخ، كلية الآداب، جامعة نواكشوط، 1994.

Vincent Monteil, *Essai sur le chameau au sahara occidental*, centre IFAN-Mauritanie, Saint-Louis du Senegal, 1952 ; Julio Caro Baroja, *Estudios Saharianos*, Madrid, I.E.A, 1955 ; L'économie pastorale saharienne, notes et études documentaires, Paris. *La Documentation Française, N° 1730, April 21 st, 1953*.

محمد دحمان

أساكا، اسم لمكان يبعد عن مدينة گلميم بحوالي ثلاثين كيلومتر. فهي اشبه ما تكون بواحة تقع على ضفتي وادي أساكا. ويطلق على نقطة التقائه بالبحر المحيط فم الواد. وتقع بين مرتفعين تضاريسيين هما جبل بوسمكان شرقا وجبل الأجواد غربا.

ويقسم الوادي الواحد إلى ضفتين يطلق على الأولى تاخلطيط والثانية تاركا وساي. حيث يوجد في هذه الأخيرة مكان يدعى تاروميت يعتقد محليا أنه لنصرانية كانت هناك قديما ويعتقد أنها تلك الملكة نونة التي تحدثت عنها كتب التاريخ والتي سمي عليها وادي نون.

وقد عرف المكان استقرار قديما لوجود منابع الماء ويشهد على ذلك العدد الكبير من المقابر الموجودة على ضفتي الوادي، ووجود مغارات على الجبال المحيطة مثل مغارة الأجواد، والنقوشات على الأحجار الموجودة بالقرب من بريغيت بمدخل أساكا من الشرق.

وكان مصب وادي أساكا محط أنظار الأوروبيين حيث أقام التاجر الإنجليزي جيمس كورتيس على بعد خمسة عشر كيلومتر إلى الشمال من مصب الوادي سوق الرومي بمرسى أركسيس والذي كانت تتبضع منه قبيلة اصبويا والقبائل المجاورة.

وأثناء زيارة السلطان الحسن الأول إلى الجنوب المغربي طرد ذلك التاجر الإنجليزي، ولاحظ أن للإسبان نية امتلاك بعض المراسي هناك منذ حادثة تطوان، فأمر بفتح مرسى أساكا بالأرض الواقعة على الحدود بين قبائل آيت باعمران وقبائل تكنة. وقد بعث لهذا الغرض رفقة أعيان المنطقة المهندسين والفقهاء ولفيفا من أعيان الجيش لتخطيط تلك المرسى ورسمها على الوجه اللائق والنهج الهندسي الرائق، وتقييد ما فيها من البناء القديم والحادث والعربي والعجمـي : "فرجعوا وذكروا أنهم لم يجدوا بناء قديما منسوبا للنصارى عدى محل لا بناء فيه أصلا فوق وادي أساكا بالقرب من البحر يسمى برج الرومي وآخر فوق برج الرومي المذكور بناحية الجبل داخلا في البـر بينه وبين بـرج الرومي المشار إليه ساعة وربع وبين البحر نصف ساعة يسمى سوق الرومي فيه طلل بناء عفا بعض أثر تحويطه وبقي بعضه مع بعض أثر برج.

وأمر هذا السلطان بالموازاة مع ذلك بتشديد الحراسة عليها وعلى المراسي الأخرى الواقعة إلى الشمال منها وهي مرسى سيدي محمد بن عبد الله ومرسى سيدي وارزك ومرسى أگلو بجوار تيزنيت.

لقد اشتهرت، إذن، أساكا كثيرا من خلال مرساها عندما أمر الحسن الأول القائد لحسن الصبوي بحراسة

شواطئ آيت باعمران بعد أن أهمل هذا الأخير أمرها. وقد أمره بفتح هذه المرسى بعد إغلاق مرسى أركسيس واعتقال التاجر الإنجليزي جيمس كورتيس والمتعاونين معه من المنطقة.

وقد زار السلطان الحسن الأول أثناء زيارته الثانية سنة 1886 إلى الجنوب المغربي قبيلة اصبويا ثم ميناء أركسيس التي خلص منها التاجر الإنجليزي جيمس كورتيس وبعدها إلى قرية أساكا حيث منها توجه إلى گلميم مركز قبائـل تكنـة.

ومن بين الأسر القيادية المعروفة حينها بواحة أساكا أسرة أهل ميليد أولحسن وأسرة أهل بوشامة حيث عرفوا بدورهم الاجتماعي كأعيان وكشيوخ وكمقاومين فيها بعد للاستعمار الإسباني. وتتحدث بعض الروايات عن مقام المولى الحسن الأول بمنزل أسرة بوشاما بأساكا أثناء زيارته الثانية لآيت باعمران سنة 1886.

وبعد وفاة السلطان الحسن الأول نشبت بواحة أساكا وبمحيطها عدة تناحرات قبلية وخاصة بين قبيلتي اصبويا الباعمرانية وقبيلة آيت الحسن التكنية. وعلى إثر ذلك بنت قبيلة اصبويا بناية يطلق عليها دار القبيلة (تلك المعلمة التاريخية الآيلة اليوم للسقوط) فوق مرتفع سيدي انو جنوب الواحة وتتكون من أربعة أبراج متصلة فيما بينها بسور عال تتخللها بيوت للنوم، وقد تكلفت كل فخذة من فخذاتها ببناء واحدة من تلك الأبراج لتكون مقرا للحراسة لدرء كل الهجومات القادمة من الجنوب من قبيلة آيت الحسن ولف آيت الجمل التكني الذي تنتمي إليه. وقد عاشت الواحة في نظام من التقاليد والأعراف، تسود فيها أحكام الأوفاق العرفية التي كانت تحكم قبيلة اصبويا وأعراف تتلائم وخصائص الواحة الزراعية يحترم فيها نظام توزيع الماء واحترام مزارع الغير.

وأثناء فترة الحماية سنة 1934 كان وادي أساكا هو الحد الفاصل بين النفوذ الفرنسي والإسباني. وقسمت حينها أساكا التي تنتمي إلى تراب قبيلة اصبويا وأغلب سكانها من فخذة اد عبد وإبراهيم إلى قسمين : إذ وقعت تاركا وساي تحت النفود الفرنسي ووقعت تاخلطيط تحت النفود الإسباني. وقد تسبب تقسيم أساكا إلى قسمين بين فرنسا وإسبانيا عدة مشاكل للسكان، حيث توجد المزارع والمساكن متفرقة بين ضفتي الوادي الشيء الذي جعلهم يجدون مصاعب يومية في التنقل بين ضفتي الوادي سواء للذهاب لمزارعهم أو لمراقبة خلايا النحل أو لزيارة أقاربهم أو لزيارة بعض المزارات التي اعتادوها وارتبطت بوعيهم الجمعي مثل سيدي الحاج الطيب شرقا وسيدي إنو غربا وسيدي محمد بن عمر جنوبا ومغارة الأجواد شمال تاخلطيط.

ذلك بأن السلطتين الاستعماريتين بنت مراكز للمراقبة في الواحة، إذ كلما بنت إحداهما مركزا إلا وبنت الأخرى مركزا آخر مقابلا له على الضفة الأخرى من الوادي لتشديد المراقبة على السكان وعلى الثائرين منهم في وجه المستعمر، وبنت فرنسا مركز دار الطالب بتاركة وساي وفي المقابل له بنت إسبانيا مركز سيدي انو بتاخلطيط. وعلى بعد حوالي كيلومترات بنت فرنسا مركز بوجريف الذي يعتبر العين التي لاتنام لفرنسا على المنطقة الساحلية لمراقبة الرحل والمستقرين وهو عبارة عن تكنة عسكرية وسجن ومقر لاستخلاص الضرائب.

وقد نشطت التجارة ببوجريف فيما بين الجنود الفرنسيين والسكان. وقد نشط ذلك تجار من وادي نون، هؤلاء التجار الذيـن سيخترقون فيما بعد التنظيم العسكري لسلطات الاحتلال الفرنسي فاستمالوا بعض جنوده من المغاربة لتنطلق منه الخلية السرية لمقاومة الاستعمار بزعامة ميليد الزويكي واعريب الزفاطي وحماد ولد حماد البربري وحدو بن سعيد وموحى بن إبراهيم وسي عباس خواجة وعمار الكوشي وبالقاسم مايوحال وغيرهم.

وقد انطلقت من مسجد تاخلطيط بأساكا سنة 1955 مظاهرات مناوئة للاستعمار الإسباني رافعة العلم الوطني فوق المسجد. وهبت السلطات الإسبانية إلى قمعهم واستشهد على إثر ذلك محمد ولد العبد ومحمد سالم بن مسيعيد بوسالم وعلي بن براهيم عماي وجرح محمد بن إبراهيم الخليل والعمري ولد مبارك بن عمار واقتيد حوالي ثلاثين منهم إلى سجن البربورين بسيدي إفني. وقد أقيم اليوم لهؤلاء المقاومين نصب تذكاري بالقرب من مقر الجماعة القروية لتاركة وساي.

وابان وجودها بالواحة، استغلت السلطات الاستعمارية خصوبة الأرض ومياهها وأقامت زراعات لم يسبق أن عرفتها المنطقة كالموز الذي كانت إسبانيا تصدره من أساكا إلى الجزر الخالدات. وأقامت فرنسا في الضفة الأخرى مزرعة (تعرف محليا ب "الجردة") مارست فيها أشكال السخرة على السكان بتوفير تحت القوة لتوفير المواد العضوية الحيوانية لها، وفرضت عليهم ضريبة عينية على محاصيلهم الزراعية.

وهذه الزراعة استفاذت من غنى الفرشة المائية للواحة، إذ أنها تقع على وادي جل روافده قادمة من منطقـة وادي نـون. ويوجد إلى جنبـات الوادي نباتـات متنوعة مثل الدفلة والكطف والطرفـة وتارهلـة والسمـار والتين والصبار... وهذا التنوع في الغطاء النباتي كان معينا على تربية الماشية من أغنام وأبقار وماعز وتربية النحـل.

ويعرف هذا الوادي ساقية دائمة الجريان تتزود منها المزارع (التواغيل : ج. تاغولة) انطلاقا من نظام خاص لتوزيع الماء كان منذ فترة زمينة مقسم على خمسة فؤوس (ج. فأس) أي عدد الأفراد الذين كان لهم السبق في إصلاح الأراضي السقوية الواقعة على ضفتي الوادي، والفأس الواحد بدوره مقسم إلى عدة حصص من الماء يطلق عليها ترام (ج. تيرمت). أما اليوم فتوزيع ماء ساقية أساكا حسب الحصة المقدرة بعدد ساعات الماء لكل تيرمت وتستمد مواردها المائية من عيون بومرصيدن وأكوك. وقد بلغت المساحة المسقية هناك حوالي 120 هكتار، وتعرف قيام زراعات معاشية مثل الذرة والشعير وبعض الخضروات.

ولما استقلت المنطقة التحمت أساكا في إطار القبيلة الأم اصبويا، وشكلت دوارا كبيرا تابعا إلى جماعة

اصبويا القروية التابعة إلى دائرة سيدي إفني. ومنذ التقسيم الاداري لسنة 1992، أصبحت جماعة قروية تابعة إداريا إلى إقليم گلميم، ويبلغ عدد سكانها 1138 نسمة حسب إحصاء 2004. وهي تتكون اليوم من ثلاثة عشر دوارا تتوزع بين ضفتي الوادي وتمتد بشكل طولي على تلك المسافة التي تربط فيما بين الوادي والجبل. ويقطن السكان في منازل تقليدية مبنية من الطين والحجر ومغطات في معظمها بالقصب والخشب. ويتبضع سكانها من سوق مدينة گلميم بعد ربط الجماعة بالمدينة بالطريق المعبدة التي تبلغ حوالي إثنان وثلاثين كيلومترا وشبكة الكهرباء والماء الصالح للشرب.

فأساكا اليوم تجمع فيما بين الواحة والوادي والخضرة والأشكال التضاريسية إضافة إلى الموروث الثقافي الغني بأشكاله من أثاث تراثية وتنوع الفولوكلور من هدرة وكدرة وغيرها ثم معالم تاريخية من أبراج ومراكز عسكرية استعمارية، كل هذه المكونات لم يتم بعد استثمارها سياحيا لتكون وجهة سياحية مقصودة على الصعيد الوطني.

رسالة من السلطان مولاي الحسن إلى القائد حم بن الجيلالي باشا مكناس في 8 شعبان عام 1303 للهجرة ؛ *رسالة السلطان مولاي الحسن* إلى القائد لحسن الصبوي الباعمراني بتاريخ 29 شوال 1310 للهجرة ؛ *رسالة من السلطان مولاي الحسن* إلى القائد لحسن الصبوي الباعمراني بتاريخ 2 رمضان 1310 للهجرة ؛ *مونوغرافية الجماعة القروية* لتاركة وساي سنة 2003 ؛ مقابلات مع مسنين من قبيلة اصبويا في صيف 1998.

Michaux-Bellaire, *Santa Cruz de Mar Pequena et le port d'Asaka*; *Plan de développement Triennal*, Commune Rurale Targawassay 2007 - 2009.

محمد شرايمي

أساكة (معركة -) هزيمة نكراء تكبدها ألونسو فرنانديث دي لوگو (Alonso Fernandez de Lugo) قائد المستعمرات الإسبانية في شواطئ المغرب الصحراوي سنة 1500. فقد جاء دي لوگو في أربعمائة مقاتل من الجزر الخالدات بقصد إقامة أول مركز محصن من أصل ثلاثة كان ينوي إقامتها تعزيزا لمركز سانطا كروث دي مار پيكينيا (Santa Cruz de Mar Pequeña) قبالة الجزر المذكورة، معتمدا على وعود ادعى أن كبير شيوخ المنطقة تعهد له بها. لكن الجماهير المغربية تجندت في الحين للحيلولة دون بناء الحصن الأول وهاجمت البعثة ومزقتها شر ممزق. ونجى دي لوگو من الهزيمة واستطاع أن يفتدي نفسه ليعود إلى الجزر من خلال سانطا كروث دي مارپيكينا. وتركه العرش الإسباني يتحمل وحده تبعات تلك الخسارة الفادحة.

Hodges, T., *Historical Dictionary of Western Sahara, London*, 1982.

إبراهيم بوطالب

الاستشراف بالصحراء، إن البشر بطبيعتهم متعطشون للمستقبل، أي للأمل. لقد كان الحكام ومتخذو القرار على مر العصور وفي كل المجتمعات يستعينون بأشخاص تنسب لهم القدرة على الاستباق. فاستعمل المستقبل آنذاك كذريعة لاتخاذ أبشع القرارات. ومع مرور الأزمان أصبح المستقبل يستعمل لتنوير الحاضر بشكل علمي يتقبله العقل. فوجد شعبته العلمية ومفكروه ومدارسه وأدواته ويدعى اليوم بالاستشراف (prospective).

يعرف القاموس الفرنسي (1) الاستشراف بالعلم الذي يدرس تطور المجتمع باستعمال المسقبل في أخد قرارات الحاضر، وذلك بدراسة مجموع المسببات المؤثرة عليه. ويضيف گيگو بأن الاستشراف يعتبر صيرورة لاستنتاج تصورات للمستقبل من أجل تنوير عمل الحاضر. واللجوء للاستشراف اليوم ما هو إلا نتيجة لضرورة إلقاء الضوء وتوضيح المضمار المزمع اتخاذه بدءا من الغد، قبل أن ينعدم الاختيار ويصبح المرء تحت رحمة الاستعجال.

إن التعامل اليوم مع التغيرات المستقبلية هو ما يحدد كيفية القيادة والتسيير، لأن اتجاهها يمكن المرء من اتخاذ مجموعة من المواقف (3) :

- إما الرضوخ للتغيير (inactivité) والمسمى بموقف النعامة التي تستسلم لترتبات وانعكاسات أي تغيير بغرس رأسها في الأرض، لأنها غير مستعدة لمواجهته ؛
- أو الانفعال مع التغيير (réactivité)، المسمى بموقف رجل الإطفاء الذي يتسم برد الفعل، الذي ينتظر اندلاع الحريق لمقاومته ؛
- أو الاستعداد للتغيير (préactivité)، والمسمى أيضا بموقف رجل التأمين الذي يتحسب للتغيير، الذي يدرك أن كلفة التعويض أكبر من كلفة الوقاية ؛
- أو استحداث التغيير (proactivité)، المسمى بموقف المتآمر الذي يعمل من أجل إحداث التغييرات المرجوة.

ويمثل الاستشراف استباقا (anticipation) يستعد للفعل ويستحدث الفعل، ينير العمل الحاضر على ضوء المستقبلات الممكنة والمأمولة. والتهيؤ للتغييرات المتوقعة لا يمنع من العمل على إحداث التغييرات المأمولة. لذلك يجد متخذو القرار أنفسهم اليوم أمام معضلة التوافق بين إكراهات المدى القصير ومتطلبات الحاضر من جهة، والتفكير في المدى البعيد ورهانات المستقبل من جهة أخرى.

ومن المغري أن يتوهم المرء أن رغباته هي الواقع المعاش، فليس لأن بعض تصورات المستقبل تبدو مرغوبة ليتم على أساسها تقرير الاختيارات. ولتجنب السقوط في هذا الفخ يجدر التمييز بين مرحلتين : مرحلة استكشافية للتعرف على رهانات المستقبل ومرحلة لتعريف الخيارات الاستراتيجية الممكنة. ويجب للمرحلة الأولى أن تكون مرحلة تشاركية لاستباق التحولات، يتم فيها إشراك أكبر عدد ممكن من الفاعلين المحليين، وبالتالي فإنها تستدعي أدوات استشرافية تنظم وتهيكل، بطريقة شفافة وفعالة، التفكير الجماعي في رهانات المستقبل. وفي المقابل، ولأسباب تتعلق بالسرية

والمسؤولية، فإن مرحلة الخيارات الاستراتيجية هي من شأن عدد محدود من الأشخاص، متخذي القرار، وهم عادة المنتخبون بالنسبة للجماعات المحلية وأعضاء مجلس الإدارة بالنسبة للمقاولات.

لقد تم استخدام الاستشراف من طرف الجماعات المحلية لما تبين عنه من نتائج جيدة في عالم المقاولات، وسمي بالاستشراف الترابي أو المجالي (prospective territoriale) لتمييزه عن باقي استعمالاته الأخرى. وبما أن تطور كل مجال ترابي يمر أولا عبر ديناميته الذاتية، فتعدد المبادرات المحلية وتلاحقها هما اللذان ينشطان الاقتصاد وبالتالي يتيحان فرص الشغل. أما الضغوط الخارجية والعولمة والتغيرات التقنية، فهي فرص يجب استغلالها لا اعتبارها عوائق يجب تذليلها. لذلك فالاستشراف الترابي، باستعماله لمناهج بسيطة وسهلة التملك، يمثل رافعة قوية للدينامية الترابية.

ويعتمد الاستشراف الترابي على بيداغوجية صارمة لأنها تعمل على زعزعة التصورات الراسخة لدى الفاعلين المحليين تجاه مجالهم الترابي مثلا. ومن أجل الحياد والصرامة، يعهد تسيير وتدبير النشاط الاستشرافي لخبير في الميدان. وبذلك يجد الاستشراف مكانه بين الخبرة العلمية والنظرة الخارجية والصرامة المنهجية المتوفرة في الخبير، من جهة، والمعرفة الميدانية للفاعلين المحليين، من جهة أخرى.

ويبقى المنتظر من الاستشراف الترابي بالنسبة للفاعلين المحليين هو تفعيله على أرض الواقع، أي ترجمة نتائجه إلى مشروع ترابي مجدي. وإن هذا التصور الشامل ضروري للعمل المحلي لأنه يمكن كل فاعل من فهم جدوى ومستوى تدخلاته، ويتيح له الفرصة لإعادة ترتيبها داخل المشروع الترابي الأشمل. تلك هي قاعدة التملك (appropriation)، التي يستلزمها نجاح المشروع. فالتعبئة الجماعية للفاعلين المحليين بسبب شفافيتها، لا يمكن أن تتناول مباشرة الخيارات الاستراتيجية ذات الطبيعة السرية. لذلك فالتفكير الاستشرافي التشاركي حول تهديدات المحيط الخارجي وفرصه السانحة هو الذي يعطي للتعبئة محتوى يمكن من تملك الاستراتيجية المجالية والتنموية المستدامة.

وندرج هنا التوجهات الاستشرافية التي جاء بها المخطط الوطني لإعداد التراب الخاصة بالأقاليم الجنوبية للمملكة. وتجدر الإشارة إلى أن مرحلة الاستشراف التي نهجها هذا المخطط استعملت منهجية جديدة تمثلت في تحديد مجالات النمو مع إعطائها التوجهات اللازمة. وتمت بذلك القطيعة مع منهجية السيناريوهات التي أبدت عن محدوديتها في هذا النوع من التمارين.

إن أهم ما يمكن القيام به في ميدان إعداد المجال الصحراوي هو تجاوز الطبيعة الاستغلالية للموارد الموجودة به حالياً، والمتعلقة بالصيد والمناجم، والعمل على خلق أنشطة أخرى جديدة ومتنوعة. كما يجب بصفة خاصة البحث عن المجالات الصالحة لإقامة حياة مستقرة قادرة على التحويل الإيجابي لمظاهر الصحراء القاسية. إن ضخامة هذا المشروع تفرض أن يندرج في إطار عام لمقاومة التهميش الذي تعاني منه المناطق الجبلية في الشمال والمجالات الجافة في الجنوب والشرق.

وتنطلق مقاربة المشاكل التي تعاني منها المناطق التي عرفت اختلالات في أنظمتها البيئية، من البحث عن المؤهلات الطبيعية القادرة على استرجاع مسلسل نمو الكائنات الحية وتنشيط مشاهد الحياة. وبما أن الأقاليم الجنوبية الغربية قد عرفت هي كذلك تاريخاً طبيعياً متقلباً، فإنها تتميز بموروث غني، يجب البحث عنه واستغلاله. ومن جهة أخرى، فإن أهم عنصر مساعد على إعادة تأهيل هذا المجال، هو استفادته من موقعه، ومن الطبيعية "المحيطية" للصحراء. ذلك أنها بالفعل صحراء نسبية، فهي تقع تحت تأثير تيار الكناري البارد، والذي رغم مساهمته في تعميق الجفاف الرطوبي المرتبط بالموقع العروضي للصحراء، فإنه يتحكم في تواتر الضباب الكثيف، مما يزيد في رطوبة الهواء، ويقلص من درجات الحرارة صيفاً، ومن المدى الحراري، وهو الأمر الذي يسمح بحصيلة رطوبة وحرارة، أقل قساوة بالنسبة لنمو النبات.

فقد كانت المنطقة الساحلية في الأزمنة الغابرة تغطيها نباتات وأشجار كثيفة في الزمن الجيولوجي الثالث، إذ كانت تتخللها أشجار الأركان في منطقة الساقية الحمراء، وأشجار متنوعة الطيف في وادي الذهب، وذلك عامل يمكن استغلاله لإحياء رقعة هذا الغطاء نظراً للدور الحاسم الذي يمكن أن يلعبه في الحفاظ على التوازن الطبيعي. ويمكن تحقيق ذلك إذا ما تم تكييف الأركان لينمو في الجهات الجنوبية، وذلك باختيار المواقع الملائمة له، مثل المنخفضات المغلقة من نوع الكرارات وقعور الأودية وبالاستعانة بتقنية استعمال الضباب في البداية. أما المنطقتين الوسطى والداخلية، فرغم فقرهما من حيث رطوبة الهواء، إلا أن توفرهما على أودية ومنخفضات أكثر تعمقاً، سيسمح لهما بالاستفادة من الجريان السطحي الذي سيساعد بدوره على إعادة نمو بعض الأنواع النباتية، وخاصة شجرة الطلح، وعودة الوحيش المتميز الذي كان يعيش هنا حتى عهد قريب، المكون من الثدييات الكبيرة مثل الغزلان والظباء، والذي كاد أن ينقرض كليا. لذا فإن مشروع خلق المنتزه الوطني للداخلة، متى سمحت الظروف بذلك، سوف يكون اختياراً ملائماً.

أما فيما يخص التوجهات الاستشرافية التي جاءت بها المخططات الجهوية لإعداد التراب الخاصة بالجهات الجنوبية للمملكة، فبعد إنجاز تشخيص مجالي لكل جهة على حدى تحدد فيه الإشكاليات الأساسية، فقد تم تحديد مجالات المشاريع Espaces projets، تنبني كل واحدة منها على مقاربة واستراتيجية ملائمة في إطار استراتيجية تهيئة جهوية مندمجة.

بالنسبة لجهة العيون - بوجدور- الساقية الحمراء، وبناءا على مرجعيات التقرير التشخيصي، فإن إستراتيجية تنمية الجهة على المدى البعيد، ترتكز على عنصرين هامين و هما :

- تثمين للمنتجات السمكية التي تعد، إلى جانب الفوسفاط، المادة الأولية الوحيدة التي تمتلك الجهة مزايا تنافسية فيها ؛
- تطوير أنشطة خدمات تكون رافعة للتنمية وفي مستوى الوزن الاقتصادي للجهة.

على مستوى جهة وادي الذهب - لگويرة، الجهة القليلة السكان والمستوردة لليد العاملة، تحتوي على ثروة كبيرة على الأمد القصير (قطاع الصيد البحري وما لها من مخزون سمكي احتياطي)، وعلى إمكانات سياحية على الأمد المتوسط، وعلى القدرة أن تصبح أحد المصدرين الوطنيين والدوليين للطاقة المتجددة على الأمد البعيد. والمراد هو جعل مدينة الداخلة أولا، ثم المنطقة الساحلية ثانيا، مركزا اقتصاديا كبيرا على الصعيد الوطني، ينبني على صيد الأسماك والصناعات المرتبطة به، ثم على تطوير و تنمية مجموعة كبيرة من المحطات السياحية بالساحل، وأخيرا على تكنولوجية إنتاج الطاقة الكهربائية المربحة. وعلى هذا الطموح الاستشرافي، لا بد من استعراض وتنسيق القرارات التي تصب في تعزيز وتكثيف البنية التحتية الرئيسية. ولبلوغ ذلك الهدف، لا بد أولا من الرفع من قدرة الموانئ وتكيفها مع إنشاء مركز كبير للتنمية قائم على ثروات البحر. ثانيا، حل مشكل نقص المياه، بإنشاء محطات لتحلية مياه البحر والتي يجب عليها تلبية جميع الاحتياجات في المستقبل. وأخيرا، إنتاج الطاقة الكهربائية من خلال مصادر الطاقات المتجددة، من أجل الاكتفاء الذاتي على المدى المتوسط، وجعل من هذه الجهة المنتج والمصدر الصافي للطاقة على الأمد الطويل.

أما جهة جهة گلميم - السمارة، فمن الصعب تثمين الموارد الذاتية لأنها محدودة. وإن فحصا متأنيا يظهر أن الموارد السمكية تقارب حدودها القصوى من الاستغلال بفعل تنقل المجموعات السمكية نحو الجنوب، وبعدما تفوقت على آسفي والصويرة وأگادير، بوصفها أولى الموانئ في صيد السردين في المغرب، فهي اليوم متجاوزة حتما من لدن العيون وربما مستقبلا ستتجاوزها الداخلة. فنشاط الصيد وتثمين المنتوج السمكي الذي كان محرك النمو في إقليم طانطان سيتواصل، ولكن بإيقاع أكثر بطءا، وبحجم أكثر تواضعا، شريطة أن يتم إقامة منطقة حرة تكون على قدم المساواة من حيث الفرص مقارنة بموانئ الجنوب الأخرى. ولا يظل من القطاعات الواعدة حقا سوى التنمية السياحية إذا أخذت المشاريع الشاطئية الشكل الذي يراد لها (كمشروع الشاطئ الأبيض وواد شبيكة). وهي مشاريع تعتمد على الاغتراب الذي تمنحه المنطقة الشاطئية الصحراوية. والتي يعد طابعها الرئيسي المميز لها، مقارنة بمنافسيها، هو منحها لفرص استكشاف الوسط الصحراوي لينضاف إلى الأنشطة المعتادة كممارسة لعبة الگولف، والأنشطة البحرية. وقد أبدى مستثمرون اهتمامهم بهذه التركيبة شريطة أن يتم المحافظة على البيئة وتثمينها.

وفي الختام، لقد أصبح الاستشراف الترابي يفرض نفسه كأداة فعالة وركيزة أساسية في تراكيب عمليات التخطيط المجالي بكل مكوناته وقطاعاته، مع إعطائه البعد الزمني الكفيل لضمان تنمية مستدامة قائمة على مقاربة تشاركية وشركاتية تعود بالنفع الدائم على ساكنة المجال الصحراوي وبيئته الحساسة.

وزارة إعداد التراب الوطني والتعمير والإسكان والبيئة، *المخطط الوطني لإعداد التراب*، مديرية إعداد التراب الوطني، 2004 ؛ وزارة الإسكان والتعمير والتنمية المجالية، *المخطط الجهوي للأقاليم الجنوبية الثلاث*، نونبر، 2010 .

Petit Larousse illustré ; Guigou, J-L, *Réhabiliter l'avenir, la France malade de son manque de prospective*, Edition L'Harmattan, p. 23 ; Godet, M., 1999, *La boite à outils de la prospective stratégique*, Cahier, N° 5, Les Cahiers du Lipsor (Conservatoire National des Arts et Métiers), France ; Godet, M., 2007, *Prospective stratégique : problèmes et méthodes*, Cahier, N° 20, Les Cahiers du Lipsor (Conservatoire National des Arts et Métiers), France ; Nifle, R., *2004, En finir avec la prospective au lampadaire, pour une prospective opérationnelle*, (www.journal.coherence.com).

علي المريوح

أسّا : تقع واحة أسا شرق مدينة گلميم على مسافة مائة وثمانية كيلومترات بين جبال باني ووادي درعة. وتشهد معالمها التاريخية على وجود نقوشات صخرية ووجود استقرار قديم بها حيث توجد بعض الآثار القبل إسلامية بتاندوييست وبجبل إخف أغير على بعد حوالي أربع كيلومترات من أسا. وتشير بعض الروايات المحلية غير المؤكدة إلى أن أول من قطن منطقة أسا هم قوم ال Botris و ال Mérès وخاصة في عوينت تركز وإخف أغير وقد استقروا في وهد من القبور. إذ أن ملكتهم تراقب أعداءها، غير أنهم قد تخفوا بالنخيل، ونجحوا في الاقتراب منها وسحق السكان. بمعنى أن ال Botris هؤلاء وضعوا أحياءهم في مخبأ المتوحشين في أكواخ من الحجارة وفي القبور.

وأعقبهم بعد ذلك الوثنيون والمسيحيون : الوثنيون هم ادا اوقيس، الذين تنسب إليهم آثار ادروم على بعد كيلومترين شمال أسا وتويزگي الرمث، والمسيحيون الذين أسسوا تويزگي السلام وفم الحصن.

وأتى فيما بعد اعزى ويهدى، كمؤسس لزاوية أسا، وأعلن الحرب المقدسة في 700 للهجرة (1301) لطرد المسيحيين، قبل أن يموت ويدفن في أسا في 727 هجرية الموافق 1327 ميلادية. وقد تثار ملاحظة حول ذلك ومفادها أن وجود المسيحيين في هذه الفترة لم يبق متحصنا إلا في بعض الجيوب القليلة في المناطق الجبلية بالأطلس، ثم إن هذه المنطقة كانت تدخل في النطاق الذي انطلقت منه قبل هذه الفترة دعوة عبد الله بن ياسين

الزعيم الروحي للمرابطين وهي زاوية سيدي وگاگ بالجنوب المغربي، بالإضافة إلى أن هذه المنطقة عرفت الإسلام لأنها كانت ممرا للقوافل التجارية العابرة للصحراء. وبالتالي لم يكن أعزى ويهدى هو أول من أدخل الإسلام إلى منطقة أسا، وإنما هو من عزز تواجد الإسلام بها من خلال زاوية أسا.

إن أول مكان استقر به آل ايعزى ويهدى في مدينة أسا هو "الـگصر". وهو عبارة عن قصبة بالقرب من الواحة. ويعتبر القصر أقدم تجمع سكني بالمدينة. ويضم هذا القصر زاوية أسا التي أسست في القرن 13 الميلادي من قبل الشيخ.

وتتحدث بعض الكتابات عن الوجود البرتغالي في واحة أسا وواحة الزاك. وقد أتى هؤلاء إلى هذه المنطقة حيث مرور القوافل التجارية التي تربط فيما بين شمال الصحراء وجنوبها. ويعتقد أن وجودهم هناك كان من أجل البحث عن المعادن والتبادل التجاري وخاصة تجارة الذهب وتجارة العبيد الذين كانوا ينقلون من بلاد السودان عبر واحة أسا وواحة الزاگ مرورا بمنطقة وجودهم على الساحل البحري بتراب اصبويا بالمكان المسمى اگويدير بأوتلاوك وبوكرزام بتاهرموشت والمعدن قرب مرسى اركسيس المعروف تاريخيا. ويعتقد أنه كان يوجه عن طريق البحر إلى البرتغال أو البرازيل كمستعمرة تحتاج إلى يد عاملة في المجال الفلاحي حيث أصبحت سنة 1570 البرازيل أول منتج للسكر في العالم.

وقد عرف حوض درعة الذي تدخل واحة أسا في نطاقه منذ زمن غير معروف عناصر من السود أو الحرطين / Kouchites. فهم ينحدرون من حام ابن نوح أي أولئك الذين يسميهم الكتاب الأوائل الإثيوبيون الغربيون، وهم شعب مستقر يتعاطا للفلاحة. وبالتالـي فهم يدخلون في إطار آيت درعــة نسبــة إلى وادي درعــة أو دراوة.

وقد أسست أسا المدينة على زاوية آل اعزى ويهدى الذين ينحدرون من اعزى ويهدى المشهور في الحقبة المتراوحة بين القرن 12 والقرن 13. حيث كانوا يحبون أن يقطنوا حيث الماء والغرس والتمر، وبالتالي كانوا ينتشرون في كل من واحة أسا وواحة الزاگ.

غير أنهم ما لبثوا أن غادروا المنطقة بسبب حادث وقع بينهم وبين قبائل ادا ومگيت وادا ومليل تمثل في تعطيل أسلحتهم عندما تركوها لدى اگراريم (مفرد اگرام : بمعنى المرابط) وهم جزء من آيت اعزى ويهدى عند زيارتهم لسوق أسا لأنها هي عادة الصلحاء والدخول إلى الأسواق. مع العلم أن هذا لم يكن هو السبب الرئيسي في النزاع ، وإنما كان هو الصراع حول نقاط الماء والإنتاج لكثرة بطون القبيلة وضيق مجال واحة تاغجيجت التي تعتبر منتجعا لقبيلة آيت براهيم كذلك.

ولما قضى ادا ومكيت وادا ومليل مآربهم من السوق تسلموا أسلحتهم عائدين. إلا أن اگراريم ركبوا خيلهم حتى مكان يسمى اگري اغبول وهاجموهم ولم ينج منهم إلا شخص واحد. وذهب هذا الشخص إلى القبيلتين اللتيـن كانتا تسكنان حينها تاغجيجت والعوينة وأبلغهم بالحادث. وجلبوا البارود من تاغجيجت والتقوا بالقرب من أسا في مكان يسمى تنغت. وتحالفوا مع قبيلة مريبط للهجوم على أسا، تلك القبيلة التي ستستقر لاحقا شرق المكان المسمى توناويس (بئر/ ج. بيرات الفرس).

وهجم الجميع ليلا على قصر أسا وقضي على الكثير من اگراريم أو آيت اعزى ويهدى وهرب بعضهم وبقي القليل من الذين كانت تربطهم علاقة مع هؤلاء الرحل. وقسمت تلك العناصر الحرطانية التي كانت تعمل في الفلاحة بالواحة على بطون القبيلة التي ستتشكل فيما بعد ما سيسمى بآيت أوسى عند استقرارها بواحة أسا.

وحول زاوية أسا وانطلاقا من القرن 17م اجتمع الناس من أصول مختلفة أصبحـوا شيئا فشيئـا "أناس آسا" : آيت أوسى. وبالأمازيغية، أسا تعني "الثقب". ويقال أن منطقة طارف اللامة الذي يقع شرق أسا بوادي بوكزميرن والذي يبعد عنها بحوالي عشرين كيلومترا في اتجاه فم الحصن، هو المكان الذي اجتمعت فيه تلك المكونات البشرية التي ستسمى لاحقا بآيت أوسى. إلا أنه من الأقرب إلى الواقع أن ذلك الخليط الذي ستمتزج فيه عناصر بشرية من ادا ومگيت وادا ومليل واگراريم والحراطين هو ما سيشكل فيما بعد مرحلة الاستقرار بواحة أسا قبيلة آيت اوسى، بمعنى أن المزيج من القبائل سيتخذ اسم المكان الذي هو أسا، آيت أسا التي ستتحول فيما بعد إلى آيت أوسى.

وكان الماء هو المحرك الأساسي للأنشطة داخل الواحة : هناك وادي أسا وهو وادي به بعض العيون ويتزود بالأمطار في فصل الشتاء. هذا الوادي يفصل بين طرفي الواحة القائمة على أساس نبعين من الماء هما :

تكرضات : وهي على الجهة اليسرى للوادي. وهي منبع للماء تسقى منها الأرض السقوية لتكرضات.

اغالن : وهي ساقية على الجهة اليمنى للوادي.

ومع الحاجة الماسة للماء بالواحة، تمت إقامة أماكن لجمع الماء من بينها ايگمدر. وقد سلك أهل الواحة طريقة في السقي أطلق عليها تناست تتماشى ونظام الحصص المخولة لكل قطعة مزروعة في الواحة. وتناست هو سطل صغير من النحاس يستعمل كمقياس لتوزيع حصص الماء على سكان الواحة، وهي طريقة منتشرة في أغلب واحات حوض درعة. ومن ثم، ستعتبر فيما بعد أسا نواة لاستقرار البدو الرحل من قبيلة آيتوسي، كونها واحة صغيرة تمارس فيها بعض الزراعات بالإضافة إلى كونها سوقا تجارية تربط فيما بين تراب البيضان وبلاد السودان (جنوب الصحراء).

ولقد عرفت واحة أسا الاستقرار منذ القديم. وذلك نظرا لوجود بنايات متقاربة إلى بعضها البعض فيما يسمى بالقصر. وهي أبنية عتيقة بالحجر والطوب. فهي تجمع من البنايات ذات الأغلبيــة السكـان من الحراطيـن بنيت فــوق مكان مرتفــع يراقب الواحــة من أعلى. وكان القصر محاطا بصور تعرض مجمله إلى الخراب تتخلله أزقة ضيقة البعض منها مغطى بالخشب تؤدي إلى

أبواب القصر والتي يعتبر منها باب الريح أحد الأبواب الرئيسية حيث يؤدي إلى منابع جلب الماء والأماكن المزروعة من الواحة.

وبالإضافة إلى كونها واحة فهي مدينة كذلك. تتميز عن المدن الصحراوية الأخرى بكونها مدينة أحادية القبيلة. لقد استقرت بها البطون الكبرى التي ستسمى بعد الاستقرار بآيت أوسى بعد سنوات من الترحال في الصحراء في المنتجعات الرعوية. وتنقسم هذه القبيلة التي تعتبر من بين القبائل الكبرى في الصحراء من حيث تعداد الأفراد، إلى جزئين : ادا ومليل بفخذاتها الستة تنتشر في الجهة الغربية من المدينة، وادامگيت بفخذاتها الخمسة وتنتشر في الجهة الشرقية والشمالية الشرقية منها. وأسا اليوم هي عاصمة إقليم أسا - الزاگ، يبلغ عدد سكانها حسب إحصاء 2004 عدد : 12905 نسمة. وتعتمد في اقتصادها على بعض الأنشطة التجارية وبعض الصناعات التقليدية ورواتب الموظفين. وتعتمد بشكل كبير على سوق مدينة گلميم في كل المنتوجات التي تحتاج إليها. ويقام فيها موسم سنوي يتزامن مع عيد المولد النبوي يحتفى فيه بذاكرة زاوية أسا.

محمد المختار السوسي، *المعسول*، ج 9 و10، مطبعة فضالة، المحمدية، 1960 ؛ محمد المختار السوسي، *من خلال جزولة*، المطبعة المهدية، تطوان - المغرب ؛ *مقابلات مع مسنين من* المنطقة صيف 2008.

Le Chatelier : *Tribus du sud ouest Marocain : Bassin côtier entre Sous et Draa*, Ernest Leroux Editeur, Paris, 1891 ; Marty P. : Les Tribus de la haute Mauritanie, *Bulletin du Comité de l'Afrique Française*, Anneé, 1915 ; Lieutenant-Colonel Justinard : *Villes et Tribus du Maroc, Tribus Berbères*, TomeI, Les Ait Ba Amran, Honoré Champion Editeur Paris ; F. DE la Chapelle : Les Tekna du sud Marocain, *Bulletin de comité de l'Afrique Française*, n° 10, Octobre, 1933 ; F.DE la Chapelle : Les Tekna du sud Marocain, *Bulletin de comité de l'Afrique Française*, n° 1, Octobre, 1934 ; Capitaine De Furst : *Etude sur la tribu des Ait Oussa*, Assa, 1939 ; Monteil Vincent : *Note sur Les Tekna*, Editions Victor Cousin, Paris (Ve) 1948 ; O. Du Puigaudeau et M. Sénones : Vestiges préislamiques de la région d'Assa, *Journal de la société des Africanistes*, Année, 1952, Volume 22, Numero1, p. 7 – 15 ; Monteil Vincent : Chronique de la Zaouia d'Assa (cercle de Goulmime), in *Mélanges Mohamed El Fassi*, publié par l'Université MohamedV, Rabat, 1967 ; D. Jaques-Meunié : Notes sur l'histoire des populations du sud Marocain, *Revue de l'occident musulman et de la Méditerranée*,Volume 11, Numero, Numero 1, Année, 1972.

محمد شرايمي

اسكوط، ألكسندر (Scott, Alexander) ملاح إنجليزي تكسر مركبه على الشواطئ الصحراوية بين طرفاية وواد نون فوقع في قبضة بعض عشائر قبيلة توبالت في نونبر 1810. وكان مركبه يحمل اسم مونتثوما (Montezuma) ومتوجها من ليفربول (Liverpool) في انجلترا إلى البرازيل. وقد ظل المترجم له مأسورا لمدة خمس سنوات. وفي يونيه 1811 ارتحل مع عشرين قبيلة في خمسمائة جمل نحو الجنوب في رحلة للتبرك ببعض الأضرحة على بحيرة دبو قرب تينبوكتو. واستغرقت الرحْلة سنتين بين ذهاب وإياب وإقامة. ثم عاد إلى شمال الصحراء مع أولاد توبالت وبقي في قبضتهم إلى أن استطاع الفرار في صيف 1816 وسنه إثنين وعشرين سنة فسار شمالا يحادي الشاطئ إلى أن وصل إلى الأطلس الصغير ثم إلى الصويرة حيث افتكه قنصل إنجليزي فعاد إلى بلاده وأملى ماجريات مغامراته فنشرت في بعد مجلات مدينة إيدنبورغ (Edimburg).

Hodges, T., *Historical Dictionary of Western Sahara, London*, 1982.

إبراهيم بوطالب

اشت (معركة -) وقعت في السادس عشر من شهر مارس سنة 1957 في مكان اشت الذي يبعد عن فم الحصن بسبع كيلومترات وسبب وقوعها هو أن بعض أفراد الجيش الفرنسي توجهوا في رحلة إلى آقا قصد الصيد ولما وصلوا إلى مكان يسمى سيدي عبلا بأشت أطلق عليهم جنود جيش التحرير بقيادة عمر الخميسي قائد الثلاثين الرصاص فوقعت معركة عنيفة بينهما بدأت في الساعة الثامنة صباحا واستمرت لساعات إلى أن تدخلت الطائرات الحربية الفرنسية بنيرانها المكثفة فاضطر أفراد جيش التحرير إلى الانسحاب ورغم قوة جيش العدو فقد تكبد خسائر في الأرواح حيث تمكن رجال جيش التحرير من قتل ثلاثة من جنوده وجرح تسعة. أما في صفوف جيش التحرير فقد استشهد شهيد واحد هو محمد الريفي الذي كان قائدا برتبة الثلاثين وجرح تسعة منهم هم الغازي الزموري والطاهر بن عسير الزموري وسعيد بن محمد البعمراني ومورينو وعبد السلام هامي وبوحميد محمد احماد ومحمد بن سالم بن فرجي البعمراني.

تقرير قيادة جيش التحرير سنة 1958، *مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه*، تيزنيت.

ماء العينين النعمة علي

أشـقَّـابْ : أداة من أدوات المنزل البدوي توضع في جانب الخيمة وبعضهم يسميها : "آمشقّب" ومهمتها رفع أمتعة البيت عن الآفات والبلل الناتج عن الأمطار والسيول وهو مجموعة من الأعمدة والعيدان المتقاطعة تقوم على أربعة دعامات هي : "كرعين أشقاب" أو "داياته" وبين الدعامة والأخرى مجموعة من الأعواد يشد بعضها إلى بعض بعصب العلباء في نسق محكم، ومن مهامه أيضا أن توضع عليه الأكِلَـة للاستظلال أثناء الظعن فيكون شبيها بالهودج وجمعه "إشقبنْ".

محمد دحمان، *الترحال والاستقرار بمنطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب*، الرباط، 2006 ؛ إسماعيل ولد الحسن، *الممتع المحيط من كلام أهل شنقيط*، الجزء الثالث، دار الفكر،

انواكشوط، 2010 مقابلة *ميدانية مع السيدة فاطمة بنت أحمد سالم*، الداخلة، صيف 2010.

محمد دحمان

الأشكال التضاريسية الصحراوية المحلية،

تباينت أراء علماء الجيولوجيا والجغرافيا والمناخ حول العوامل المساهمة في تشكيل معالم ومورفلوجية سطح البيئات الجافة وخاصة الصحراوية منها، فظهرت نظريتان الأولى يؤكد علماؤها على فعاليات التعرية الريحية لقوتها على تشكيل معالم سطح هذه المجالات القاحلة وابتعاد فعالية عنصر المياه بسبب قلة الأمطار وتوزيعها اللامتكافئ لا في المكان ولا في الزمان داخل هذه المجالات القاحلة، بالإضافة إلى شدة التبخر وقلة الغطاء النباتي.

أما أصحاب النظرية الثانية فيبرزون دور الأمطار والسيول في تشكيل معالم سطحية متنوعة مرتبطة بالتساقطات الغزيرة والمفاجئة التي تتلقاها هذه البيئة الصحراوية في فترة زمنية قصيرة مما يؤدي إلى تكوين سيول وحمولة مياه جارفة تغمر الوديان وتعمل على جريانها، فتخلق بالتالي تعرية هيدروكيماوية وكذا ميكانيكية بشدة الدفع وقوة الجريان. وكانت النتيجة حسب هذه النظرية هو تفريز أشكال ومعالم سطحية متنوعة، لذلك تشبثوا بنظريتهم التي تؤكد أن للمياه دورا بارزا في تشكيل مورفلوجية الصحراء، ويبقى دور الرياح في نظرهم عاملا ثانويا يقتصر فقط في عمليات النقل وإعادة الترسيب.

وظهرت مؤخرا نظرية تؤكد النظريتين على يد العالم الألماني صاحب الدراسات الجيومورفلوجيا المناخية جوليوس يودبل من أصحاب المدرسة الألمانية، ويبين هذا العالم أهمية المناخ لكونه عنصراً فعالا في تشكيل معالم سطح هذه البيئة القاحلة أكثر من التكتونيات الداخلية المتمثلة في الالتواءات والانكسارات والبراكين لأنها تتوزع بشكل غير منتظم على الكرة الأرضية بينما القوى الخارجية المتمثلة في المناخ تتخذ نظاما محددا من القطب إلى خط الاستواء مما يؤدي إلى أفضلية تأثير المناخ في هذه التشكيلات التي تأثث ملامح الصحراء.

ومن هذه الأشكال التي تحمل أسماء محلية، نذكر ما يلي :

الـگارة، الـگلب، العلب، الـگعدة، الخنـگ، الطبيلة، الـرگبة، الـگرب، أگني، المگسم، الـگديم، السهب، أگطي (الحفرة)، تاگراگر، تاييرت، قليز أو گليز، السبخة (انظر حرف السين)، الحمادة (انظر حرف الحاء)، لـگراير، الحمادة (انظر حرف الكاف).

فجل هذه الأس ماء خرجت من نبع الوصف الدقيق والمتميز للبدو الرحل لهذه الأشكال التضاريسية الفريدة، التي شكلت جزءا من حياتهم اليومية، بل احتكوا بها في تنقلاتهم، واستعانوا بها في تحديد أماكنهم، واستظلوا بها لتفادي حدة الحرارة والتشميس المفرط.

ومن المعلوم أن البدو يعرفون أرضهم (تراب البيضان) أكثر من أي باحث أو مستكشف أو مغامر في هذه البيئة القاسية، بل يعرفون كل صغيرة وكبيرة في مجالهم ابتداء من مسالك الطرق سواء التجارية منها أو الرعوية والتي غالبا ماتشق طريقها بين الكثبان الرملية والحمادات والأودية والجبال والسبخات (سباخ) والـگراير وخاصة الآبار والعيون. وهذا الاحتكاك والارتباط الكبير بالمجال أوحى لهم بمسميات عرفوا وحددوا بها كل شكل من هذه التضاريس. وأول ما تم توظيفه في هذا الوصف هو أسماء أعضاء وأطراف جسدهم ك : الـگلب، الرگبة، الخنـگ، الخنفرة، الرأس، لـگراع. كما استعانوا في وصفهم بأوانيهم المنزلية كالطبيلة والقعدة، وألصقوا عليها كذلك أوصاف لبعض أعضاء الحيوانات المحلية ك : بوگرين أو بوگرن، وجل هذه الأسماء بقيت حبيسة بيئتهم المحلية وخاصة لهجتهم الحسانية، كما استعانوا واستقوا أسماء بعض الأشكال التضاريسية من اللهجة الأمازيغية المجاورة لتخوم مجالاتهم خاصة درعة وواد نون ك : تاييرت وقليز وتاگـراگرا وأگـني وأگطي. وتدخل هذه الأسماء في علم الدراسة الأماكنية أو ما يسمى بالطوپونيميا أو الإتيمولوجيا.

الـگارة أو الـگور :

يراد بها عند السكان المحليين المنطقة المعزولة أو المنفصلة عن باقي التضاريس المحيطة، ونجدها في غالب الأحيان وسط كثبان رملية، أو في وسط سهول الرق (الرگ) على شكل جزر معزولة حبيسة مجال يَكسوه غطاء ممتد من الحجارة. هذه الـگارة يمكن أن تكون على شكل جبل أو ثل أو حمادة أو صخرة تعرضت للتعرية الريحية الميكانيكية التي شكلت مورفلوجيتها، وعملت على عزلها عن التضاريس الأم. وندرج أنواعا من هذا الشكل المورفلوجي الخاص بالصحراء الجنوبية للمغرب ك : گارة الذياب بالسمارة، گور الملوحا، وگور الحفرة، وگور توف بإقليم واد الذهب، وگارت البـگاري بنفس الإقليم، وعلى الحدود ما بين موريتانيا والمغرب نجد وگور الـگنيفيدة، وگور أولاد عمران بإمريكلي نواحي بوجدور.

العلب :

يطلق على شكل من أشكال الكثبان الرملية التي تؤثث المجال الصحراوي، وهذا النوع يكون على شكل كثيب رملي مستطيل معزول عن الكثبان الأخرى، يتشكل بفعل الرياح القوية وخاصة البحرية منها التي تدور رحاها في هذا الفضاء الفسيح لتعطينا الشكل النهائي لهذا النوع من الكثبان الرملية، ونورد النوع الأمثل الذي يحمل إسم حاسأأي العلب بالعرگوب، واعلب الكبش، كلها بإقليم واد الذهب، وينبغي الإشارة إلى أن هذا الإسم تحمله فخذة كبيرة من الترارزة هي لعلب (حمر الترارزة).

الطبيلة :

كما يدل الإسم فهي صخرة أو ثل منعزل منحوت على شكل مائدة، مسطحة من الأعلى وضيقة من الأسفل، وأهم هذه الأشكال تجسدها لنا طبيلة سيدي أحمد العروسي بنواحي السمارة. وأحفاد هذا الشيخ من قبيلة

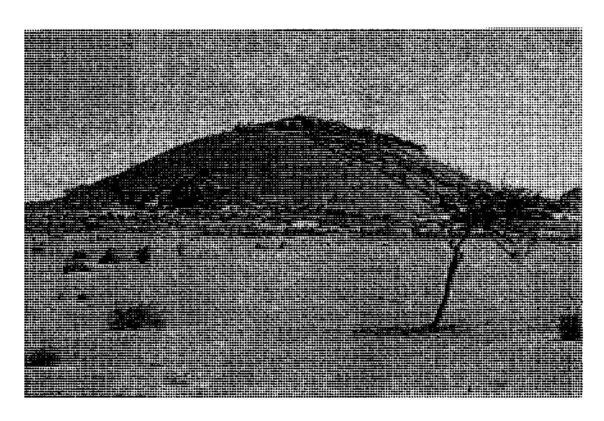
العروسيين لهم رواية يرونها بحكم كونها خلوة للشيخ أحمد العروسي طيلة قيامه بالمنطقة، وبالتالي يقومون بزيارتها والتبرك بها.

الخنـگ :

هذا الشكل المورفلوجي يطلق على خانق أو فج بين جدارين صخريين أو كديتين متقاربتين أو على مدخل لجبليين يطلق عليه الفم وغالبا ما يكون لمخرج واد من الجبل، وأهم هذا النوع يمثله واد خنگ السكوم بشمال السمارة.

الـگلب :

دلالته اللغوية تحيلنا إلى القلب، أما دلالته المورفلوجية فهو طود معزول على شكل مثلث رأسه إلى الأعلى وقاعدته إلى الأسفل، وهذا النوع التضاريسي يعود إلى الزمن ما قبل الكامبري أي إلى النشاط البركاني الذي عرفته المنطقة، بحيث تركت صخورا التوائية غير منتظمة تتخللها طبقات رسوبية سميكة تراكمت بفعل التغيرات المناخية التي شهدتها المنطقة، ثم تعرضت من جديد للنشاط الريحي الميكانيكي الذي أعطانا الشكل النهائي المتمثل في الـگلب الحالي. وهذا الاسم يتغير مع حجم هذا الشكل المورفلوجي، فنجد مثلا شكلا ذا حجم صغير هو گليب أو مجموعة متجانسة تدعى گليبات أو أگلاب. فهذا الشكل التضاريسي يغطي جل المناطق الصحراوية، ويمكن أن نصادفه في معظم المجالات سواء الساحلية أو الداخلية منها. ونورد أماكن تحمل هذا الاسم ك لـگلب بولوتاد، وگليبات بوبكر، وگلب ادبش، وگليب اجديان، وأغلب هذه الأشكال المذكورة توجد بجهة واد الذهب - لـگويرة.



الرگبـة :

أو الرقبة أي العنق فيكون إما على شكل ممر ضيق أو خنق بين قمتين تضارسيتين أو على شكل عنق زجاجة طويل ناتج عن التعرية الميكانيكية التي شكلت معالمه الرياح القوية المحملة غالبا بحبيبات رملية والتي تعمل على نخر الصخور وتشتيتها فتعطينا هذه الأشكال الفريدة "الرگبة" ومورفلوجياتها توحي بقدم المنطقة جيولوجيا وزمانيا. أما الأماكن التي تحمل نفس الإسم، فنجد واد بورگبة بنواحي السمارة وأم رگيبة شمال شرق بير گندوز وأم الرگبة بتيرس. وجاء في المعجم العربي أن الرقبة أو العنق تطلق كذلك على الإنسان لشرفه وأهميته. كما أن أكبر قبيلة في الصحراء تحمل هذا الاسم أي "الرگيبات" أو الرقيبات" وهناك من يعزي هذا الاسم للأب الأكبر لهذه القبيلة أي سيدي أحمد الرگيبي دفين "الرگبة" أو "الرگيبة" بدرعة نواحي زاگورة. ولذلك أطلق عليه لقب "الرگيبي" نسبة إلى المكان الذي دفن فيه، ومن تم حمل إبنه سيدي أحمد الرگيبي الجد الجامع للقبيلة إسمه ولقبه، وهو دفين نواحي السمارة على ضفاف واد الحبشي.

گـديـم :

على شكل قدم الإنسان، ولكن بترخيم مصغر، ويكون مستديرا كالقدم، ونجد هذا النوع في المناطق التي تنحتها مجاري الوديان، تاركة وراءها جزرا رسوبية كالأقدام. ومن بين هذه الأماكن، نذكر : گديم النـگجير بنواحي إقليم واد الذهب.

الخنفـرة :

شكل من أشكال خبايا الصحراء المورفلوجية، ويعني الأنف، وتوصف به الكدية التي تبدو للناظر من بعيد وكأنها أنف ممتدة على سطح الأرض. وهي من بقايا مخلفات التعرية الأحادية الجانب، ومن الأماكن التي تحمل هذا الإسم نجد خنفرة الفوش بالعرگوب ورأس الخنفرة بطانطان.

أگطي أو الحفـرة :

أصل الكلمة أمازيغي وتكتب بأكضي وتعني الحفرة، وهذا الشكل الطبوغرافي من الحفر يكون ذا عمق متوسط وغالبا ما تكون معشوشبة. ومن أهم هذه الحفر ندرج ما يلي : گور الحفرة، حفرة لـگراف، وحفرة النصراني وهي موجودة كلها بإقليم واد الذهب، وإگطيان لحويمدات شرق بوجدور.

أگـنـي :

ويعني باللغة الأمازيغية المنخفض المقعر، ويحتل هذا الشكل الطبوغرافي قعور الأودية ونجدها كذلك في الأوساط الجبلية، وتغمرها المسيلات المائية في الفترات المطيرية.

الـگـرب :

هي حاشية الحمادة التي تشرف على سفح المقعر، وبنية الـگرب تذكرنا بالكويسطا مع فارق بسيط في ميل الطبقات. وحين تتجزأ الحمادة تعطينا أخرى تسمى بالـگارة (أنظر مادة الـگارة).

الـگـعدة أو القعدة :

سطح منبسط يمتد على مجال واسع يشكل ظهر حمادة أو هضبة صحراوية، ومن أهما على الإطلاق الـگعدة الممتدة ما بين طانطان والسمارة وهي شاسعة الأطراف تتخللها كثبان رملية وتخترقها أودية متشعبة تجزأ سطحها.

تاگـراگـرا :

هو منخفض يكون بجوار الحمادات وتحفه منحدرات قوية، ويتلقى من هذه المنحدرات المجاورة مواد رسوبية عن طريق التعرية إما الريحية أو المائية. فهذا الشكل التضاريسي المحمي بحافات الحمادة يوفر للساكنة المحلية مجالا ممتد الأطراف للزراعة ومرتعا للرعي.

تاييـريت :

هو إسم أمازيغي يقصد به إما تل أو جبل منعزل مقوس وهلالي الشكل يكون غالبا بمحادلة الحمادات.

قليـز أو گـليـز :

إسم ذو الأصول الأمازيغية، ويقصد به ذاك الجبل المستقل والمنفصل عن باقي التضاريس المحيطة. وهذا الشكل نجده كذلك في مناطق أخرى من التراب الوطني كجبل گيليز بمراكش.

أقوتـي أو أگـوتي :

هو جبل صخري صلب التكوين، يكون محاطا بمنخفضات تغمرها الكثبان الرملية.

الـمگسم :

كلمة حسانيــة مشتقــة لغويا من القسمة، لأن شكله مجزأ بفعل التعرية، ويتشكـل من شروخات كبيــرة، نجدها بگلتة أگرگر، خاصة بمگسم إيمي إيليلي جنوب العرگوب.

السهــب :

جاء في *لسان العرب* التعريف الشامل للسهب كما يلي : السهب من الأرض : المستوى في السهولة، والجمع سهوب. وقيل السهوب المستوية والبعيدة، وقال أبو عمرو : السهوب الواسعة من الأرض. ومكان مسهب أي لا يمنع الماء ولا يمسكه.

ومحليا يطلق هذا المصطلح على العرق، أي الأراضي التي تكسوها الكثبان الرملية أو الأراضي المرملة، وتكون شاسعة الأطراف وممتدة. وهناك من يقصد بها قعور الأودية أو ضفافها، وقد يطلق كذلك إسم السهب على السهول الساحلية كسهب خنيفيس. ومن المناطق التي تحمل هذا الإسم سهب ميران بنواحي السمارة وسهب النباگــة بالحـگـونية.

ابن منظور، *لسان العرب*، مطبعة دار الحديث، القاهرة، مصر، 2003 ؛ أحمد بن الأمين الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*، الطبعة الخامسة، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، 2002 ؛ محمد الغربي، *الساقية الحمراء ووادي الذهب*، ج 1، مطبعة دار الكتاب، الدار البيضاء، بدون تاريخ ؛ أحمد الهاشمي، المشهد الطبيعي في طوبونيميا المجال الصحراوي، كتاب *الصحراء الأطلنتية : المجال والإنسان*، منشورات وكالة الجنوب، الرباط، 2007 ؛ مولاي إدريس شداد وآخرون، جهة گلميم ـ السمارة، ذكرى 12 قرنا في حياة مملكة، *سلسلة تاريخ جهات المغرب*، منشورات عكاظ، الرباط، 2009 ؛ أنس عمران وبوشتى الفلاح، البنية ومظاهر السطح بالجنوب المغربي، مجلة *المناهل*، عدد 58، مارس 1998 ؛ مولاي إدريس شداد وآخرون، جهة العيون ـ بوجدور ـ الساقية الحمراء، ذكرى 12 قرنا في حياة مملكة، *سلسلة تاريخ جهات المغرب*، منشورات عكاظ، الرباط، 2009 ؛ مولاي إدريس شداد وآخرون، جهة واد الذهب ـ لگويرة، ذكرى 12 قرنا في حياة مملكة، *سلسلة تاريخ جهات المغرب*، منشورات عكاظ، الرباط، 2009.

Brenneisen. C.M., *Das ressource potential der Westsahara und seine Bedeutung für die etablierung eines neuen staates*, Hannover, 1985 ; Caro Baroja, Julio. *Estudios Saharianos* », Ed. Jugar, Barcelona, 1990 ; Cheddad My Driss, Sahara : Ecosystème fragile, ressources naturelles limitées et engagement de l'Etat pour un aménagement régional exceptionnel et une mise à niveau socio-économique et spatiale. Revue *Horizons Universitaires*, n° 3 vol.2, Université Mohammed V – Souissi- Rabat, Novembre, 2006 ; Comba Ezquerra, Juan Antonio, La investigacion minera en la provincia del Sahara, *Archivos del Instituto de Estudios Africanos*, n° 59, Madrid, 1961 ; V. Monteil, M., La part du berbère dans la toponymie du Sahara Maure, in *Hesperis, T.36, 1949*, p. 205 – 207 ; V. Monteil, M., Notes sur la toponymie, l'astronomie et l'orientation chez les Maures, in *Hesperis, T. 36, 1949*, p. 189 – 219.

مولاي إدريس شداد

اصبويا (قبيلة ـ) يحدها شمالا قبيلة مستي وجنوبا وشرقا اتحادية قبائل تكنة وغربا المحيط الأطلسي. وهي تابعة إداريا إلى دائرة سيدي إفني. يغلب على غطائها النباتي النباتات الجافة كالشبرتو والفرنان والدغموس وأشجار الصبار. وهي منطقة جبلية بها بعض المنخفضات هي النعالة التلية والنعالة الگبلية وأودري وأساكا السقوية. وتتخللها وديان كوادي أسكا ووادي اوتلاوك ووادي اگجگـال.

تعد اصبويا كقبيلــة ضمن اتحادية قبائـل آيت باعمران. هذه الاتحادية التي يعود أصلها إلى الجد الأكبــر يحيــى. وتتفرع إلى قسمين آيت بوبكر ويحيى واد بهى ويحيى. ويضم كل قسم من هذين القسمين عـدة قبائــل باعمرانية :

بوبكــر ويحيــى : ويضم اصبويا وآيت اخلـف وآيت النــص.

بهى ويحيى : ويضم آيت الخمس وآيت عبد الله وآيت اعـزى.

والرقعة الترابية التي توجد بها اصبويا اليوم قد عرفت عدة عناصر بشرية، ذلك أنه قد كان بالمنطقة قبل تشكل اصبويا الهلاليون ودوبلال ومستي ثم اولاد دليم. فهناك عقد بيع مؤرخ في سنة 1579، يسلم من خلالها ادا اوبلال أراضي بوسمارة الواقعة جنوب وادي أسكا. ولما ضمت اصبويا جزءا من الأرض بينما الجزء الآخر كان يخضع إلى قبيلة مستي المجاورة، وقعت عدة حروب بينهما حول المجال تم من خلال ذلك تسوية الأمر بجعل أنبد أو الحدود المكان الفاصل بين القبيلتين.

وتتحدث الرواية الشفوية عن أن إد ميمون الواقعين بين دوار تامسوقت شرقا ودوار أنفاليس غربا وجبل بوهكو جنوبا ودوار المرابطين شمالا هم السكان الأصليون للقبيلة.

وقد كثرت الروايات حول المناطق التي زودت اصبويا بمكوناتها البشرية الحالية. ومعظم هذه الروايات تتحدث عن قبيلة أولاد دليم التي كانت قد غزت المنطقة وطردت قبيلة مستي منها واستقرت بها.

وضمن أسر أولاد دليم في اصبويا أولاد باعمر الذين ينتشرون بكثرة في فخذة آيت ياسين إلى جانب أسر من قبيلة آيت احماد الكائنة بوادي نون، ولا يقتصر هذا الوجود باصبويا على أولاد دليم فقط، بل هناك عناصر أخرى من أولاد أبي السباع ممثلين في أهل بوعمامة والتويجرات في فخذة ادياگو، والرگيبات وآيت لحسن

والعروسيين في نفس الفخذة والركـيبات بفخذة ازناگـة، ومن الأخصاص وحاحا وبودرارة بين فخـذات القبيلة في اد عبد الله وابراهيـم، واد ياگـو، ومن ركراگـة وفـي اد عبد الله وابراهيـم وغير ذلك من العناصر البشريـة المختلفة الانتمـاء.

وقد كانت عادة الذبيحة والزوگ الناتج عن القتل من بين الأسباب الكبرى التي غذت تراب اصبويا بهذه العناصر البشرية، بالإضافة إلى فاكهة الصبار التي كانت عامل جذب للناس من مناطق مختلفة هربا من الجوع والجفاف الذي كان يهدد مناطقهم ومن تم تصاهروا مع السكان وامتلكوا الأرض واستقروا بها. هذا إضافة إلى أن اصبويا كانت تستقبل كثيرا من الطلبة من أجل عملية الشرط في المساجد، فتصاهروا وتملكوا الأرض أيضا واستقروا بها.

وأصبويا بهذا الشكل ليست كلمة لجد واحد يعتقد الصبويون الانتماء إليه، وإنما هي خليط من عناصر قبلية آتية من أماكن مختلفة، وبالتالي فهي ذات تركيبة اجتماعية متنوعة على شكل فخذات وقسمات : إد عبد الله وإبراهيم وآيت ياسين وإدياگو وأزناگة. وتتكلم الأغلبية بالعربية والأقلية بالأمازيغية.

وكانت اصبويا ضمن التحالفات المشكلة لسوس. فقد كانت ضمن لف گزولة في مقابل لف تاحوگـات. وقد دخلت في تحالف مع اگلو ومع الاخصاص ومع ازوافيط بوادي نون. وهي تشكل أحد لفي آيت باعمران المتصارعين : لف اصبويا الذي يضم اصبويا ومستي وآيت اخلف، في مقابـل لف آيت الخمس الذي يضم آيت الخمس وآيت النص. وهي ضمن لف أكبر عندما يتحالف لف اصبويا مع لـف آيت بلا لف / آيت عثمــان مقابل لف آيت الخمس مع لف آيت الجمل من قبائل تكنة بـوادي نون المجاورة، حيث كانت القبيلة دوما في عراك من جهة الشمال مع لف آيت الخمس الباعمراني ومن جهة الجنوب مع آيت الحسن التي تقود لف آيت الجمل بوادي نون، إلى حد أن القبيلة بنت قصبة ذات أربعة أبراج في اسكا تتولى كل فخذة من فخذاتها حراسة الجهة الجنوبية بالتناوب تحسبا لأي هجوم محتمل.

وقد عرفت اصبويا الوجود البرتغالي في أزمنة غير واضحة، فبعض معالمه بالمعدر قرب أركسيس وبوكرزام قرب دوار تاهرموشت وباگويدير قرب دوار اوتلاوك، لا تزال بارزة إلى غاية اليوم.

وكانت الشواطئ المطلة على أرض القبيلة دوما مقصدا للتدخلات الأوربية في أسكا وفي أركسيس وسيدي وارزگ، مستغلة ضعف سلطة المخزن على التخوم الأطلنتية، خاصة بعد إبرام اتفاقية تطوان سنة 1860، لتؤسس بها وكالات تجارية. وقد حط الإنجليزي جيمس كورتيس بأركسيس ومن معه سنة 1880 وشكلوا مرسى هناك من أجل التبادل التجاري مع أهل المنطقة، وكان ذلك بالاتفاق مع أحد أعيان اصبويا وهو مبارك ولد حماد ولد محمد الكنوشي وكان الذي عرفه به هو رجل من أولاد أبي السباع يسمى مولاي أحمد، يسكن بالشياظمة. وكان لمبارك بن احماد ظهور وشجاعة في قبيلة اصبويا، وكان مناهضا للقائد الرسمي الحسن بن عليات، إلى أن قبض عليه في منزل ابنته بقرية تسگنان قرب حاضرة تاگاوست المشهورة بوادي نون حوالي سنة 1890 بعد مرور أربعة عشر يوما من فراره.

وفي هذه الظروف التي شابها نوع من التوتر أرسل الحسن الأول رسالة إلى الطالب محمد برگـاش في 7 ربيع الثاني من عام 1301 للهجـرة جاء فيها : "أما خروج كرتيس بمرسى أركسيس وإنزاله القوات بها فلم يكن بموافقـة بوعزة السريفـي قطعا وإنما كان بموافقة فساد قبيلـة آيت بوعمران كالسباعـي وأضرابه". وفي رسالـة أخرى للسلطان مـولاي عبد العزيز للقائـد دحمان بن بيروك التكني جاء "... أنه لمـا ظهر من صبويـا الفسـاد قدمت الإعلام بذلك ثم كتب لك الخديم الجلولي بالتأهب لضربهم ولكل من جاورهم بمثل ذلك..." (20 رمضان 1315 هجرية).

وفي المقابل، ذهب الشريف مولاي الكبير وابن الطاهر باهل اصبويا إلى السلطان فأكرمهم واحتفل بهـم، إذ ألبسهم وحملهم على الخيل بسروج جديدة، كما أعطاهم مالا، فرجعوا شاكرين ... وأغدقت الحكومة على هـؤلاء (اصبويا) ما أغدقـت مما أنساهـم العصيان وحل لهم الطاعـة.

ويقول عبد الرحمان بن زيدان أن الحسن الأول في رحلته إلى سوس زار "الثلاثاء اصبويا وهي قبيلة عظيمة أهلها ذوو كرم وشجاعة وعلم وفضل ونزاهة". وهناك وفدت عليه أشراف آيت باعمران وفقهاؤهم ومرابطوهم وأعيانهم وأشياخهم المالكون لقيادهم وأظهروا كامل الطاعة وغاية الإذعان ووليت عليهم عدة من العمال ووقع الكلام معهم في شأن المرسى التي أريد فتحها بالمحل المذكور آنفا فأجابوا بالامتثال والسمع والطاعة ووجه معهم المهندسين والفقهاء ولفيفا من أعيان الجيش لتخطيط تلك المرسى ورسمها على الوجه اللائق والنهج الهندسي الرائق. وأثناء زيارته إلى آيت باعمران عين الحسن بن الشيخ عليات قائدا على اصبويا.

ولما توفي السلطان ثارت القبائل الباعمرانية على قوادها الرسميين. فخربوا دار القائد السيموري ودار الخزار العبلاوي، ولم يبلغ ذلك أن ثارت اصبويا على قائدها. فقد كان الحسن بن عليات قائدا على اصبويا حتى توفي حوالي 1892، وأتى فيما بعد القائد البشير بن الحسن الذي توفي حوالي 1912 وأتى بعده القائد أحمد بن البشير الذي توفي سنة 1975.

ولم يكن دور شيوخ وأعيان اصبويا أقل من قوادهم، بل كان لهم دور كبير في صنع أحداث القبيلة، ونذكر من بينهم الشيخ عليات والشيخ بوشاما وسي بلعيد ولد الطيب والحسن والحاج وفال ولد ميليد.

ومع تزايد الأطماع الاستعمارية في المنطقة، حاولت فرنسا سنة 1917 الدخول إلى آيت باعمران. وجهزت جيشا يقوده القائد حيدة بن ميس. وأثناء المواجهات كانت اصبويا أول قبيلة تلقت الصدمة في المعركة. وقتل خلال ذلك حيدة بن ميس. وعاودت فرنسا مهاجمة آيت باعمران لاسترداد ما ضاع من حيدة بن ميس من أسلحة

وعتاد وتوغلت إلى اسك بقبيلة آيت بوبكر. وانسحبت ووقعت مع آيت باعمران اتفاقية الهناء. وكان من بين أعيان اصبويا الذين أشرفوا على ذلك القائد أحمد بن البشير وأخوه سي محمد بن البشير والشيخ امبارك ولد الحسين بوشاما.

ومن تم توالت الاتصالات بين أعيان آيت باعمران والسلطات الإسبانية بطرفاية إلى غاية سنة 1933 حيث حطت سفينة إسبانيـة بشاطئ سيدي إفنـي وعلى متنهـا حاكم طرفايـة والشيخ محمد الأغظـف والشيخ بشـرايا واحد المترجميـن وآخرون. ولما نزل بسيدي إفني ألقـي القبض على الجميع وقتـل الشيخ بشرايا والمترجـم نظرا للتوتر الذي تعرفه قيـادة اصبويا مع شيوخ قبائـل آيت باعمران.

وبعد سنة من ذلك، أي في 6 أبريل من سنة 1934 أبحر الكولونيـل كاپـاث نحو سيدي إفني والتقى بـأعيـانهـا ووقـع مـع القائـد أحمـد بن البشيـر الصبوي وشيـوخ آيت باعمران اتفاقية امزدوغ التي بموجبها تدخل إسبانيا إلى المنطقة محترمة عادات وشريعة آيت باعمران الإسلاميـة.

وإذا كان الكلونيل قد عين على كل قبيلة باعمرانية شخصا واحدا يتولى أمورها، فإنه قد عين أربعة أشخاص على قبيلة اصبويا يتولى كل واحد منهم أمور فخذتـه وهـم : القائد أحمد على فخذة آيت ياسين وسي بلعيد ولد الطيب والحسن على فخذة اد ياگو ومبارك والحسين بوشاما على فخذة اد عبد الله وإبراهيم والحسين والحاج على فخذة ازناگـة. وهذا العدد من التعيينات يفسر بكون اصبويا كانت القبيلة الوحيدة الممثلة برتبة قائد أثناء اتفاقية امزدوغ وأن أحد أعيانها هو الذي كتب الاتفاقية وأنها كانت قبيلة محاربة يجب التفرقة فيما بين فخذاتها لتسهل مراقبتها.

خاضت هذه القبيلة معركة ضارية لإجلاء المستعمر الإسباني عن الصحراء الإسبانية وآيت باعمران. ومن أهم المعارك التي قاتلت فيها : معركة رغيوة بنواحي السمارة ومعركة كني بو الرصاص بآيت باعمران ومعركة اصدر بقبيلة اصبويا.

واصبويا اليوم من خلال سوقهـا الأسبوعي الثلاثـاء اصبويا هي جماعة قرويـة تابعة لقيـادة مستي ودائـرة سيـدي إفني التي أعلـن عنها كعمالـة في الآونـة الأخيرة رسميا.

مقابلات مع مسنين في اصبويا صيف 1998 وربيع 2008 ؛ *مراسلات سلطانية* مع قواد القبيلة ؛ عبد الرحمان بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ج 2، المطبعة الوطنية، 1930 ؛ المختار السوسي *المعسول*، ج 20، مطبعة فضالة، المحمدية، 1960 ؛ علي المحمدي، *السلطة والمجتمع في المغرب*، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1989 ؛ خالد بن الصغير، *كورتيس وشركة سوس وشمال إفريقيا*، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أگادير، نونبر، 1993.

Le Chatelier : *Tribus du sud ouest Marocain : Bassin Côtier entre Sous et Draa*, Ernest Leroux Editeur, Paris 1891 ; Marty P. : *les Tribus de la haute Mauritanie*, Publications du Comité de A.O.F., Dakar, 1915 ; Gerenteon E. : Les éxpéditions de Moulay Hassan dans le Sous,In *Bulletin* du *Comité de l'Afrique Française* N° 9 Septembre, 1924 ; Montagne R. : *Les Berbères et Le Makhzen dans le sud du Maroc*, Librairie Felix Alcan, Paris, 1930 ; Lieutenant-Colonel Justinard : *Villes et Tribus du Maroc, Tribus Berbères*, Tome I, Les Ait Ba Amran, Honoré Champion Editeur, Paris, 1930 ; F.De Lachapelle : Les Tekna du Sud Marocain, *Bulletin du Comité de l'Afrique Française*, 1934 ; Monteil V. : *Notes sur Ifni et les Ait BaAmran*, Edition Larose, Parid, 1948 ; Monteil V. : *Notes sur Les Tekna*, Editions Larose, Paris, (V) 1948 ; Julio Caro Baroja : El grupo de Cabilas, Hasania del Sahara occidental, *Africa*, N. 182, Febrero Ano, 1957 ; Monteil, Vincent : Chronique de la Zaouia d'Assa (cercle de Goulmine), in *Mélanges Mohamed El Fassi*, publié par l'Université Mohamed V, Rabat, 1967.

أصضر (معركة -) هو جبل موجود ضمن تراب قبيلـة اصبويـا إحـدى أكبـر قبـائـل آيت باعمـران. ويبعـد بحوالي كيلومترين شمال مركز جماعة هذه القبيلة. وقد شكل رمزا من الرموز المكانية التي ترسخت في أذهان المقاومة في آيت باعمران، إذ أن السبب في شهرة هذا الجبل يكمن في تلك المعركة الشهيرة التي قادها عناصر من جيش التحرير لإجلاء المستعمر الإسباني عن المنطقة فاتخذت هذه المعركة اسم جبل أصضر الذي وقعت على مشارفه، حيث كانت هذه المنطقة تحت قيادة الملالي والقائد السحيمي والقائد الحبيب الروخو.

لقد انطلقت من بوجريف الواقعة إلى الجنوب الغربي لمدينة گلميم عدة مجموعات من المقاومين وأعضاء من جيش التحرير للهجوم على بعض المراكز الإسبانية بآيت باعمران. وكانت إحدى هاته المجموعات تتكون من أربعين فردا وهي متجهة نحو المركز الإسباني بثلاثاء اصبويا الذي كان حاكما به آنذك الملازم أول كويبا. ووصلت إلى المركز يوم 23 / 11 / 1957، وهاجمت هذه المجموعة المركز في السادسة صباحا كما كان متفقا عليه مع مختلف المجموعات التي ستهاجم المراكز الأخرى في آيت باعمران، وحصل جيش التحرير على عدة دخائر منها ذلك المدفع الرشاش الذي أخرجه المقاوم البشير بن معط الله بن محمد وعلي عندما اقتحم جدار المركز الذي يتحصن به الجنود الإسبان وانتزعها من أيدي أحدهم وفر بها إلى مجموعته. ووقع قتل في صفوف الجنود الإسبان واستشهـد من بين أعضـاء جيش التحرير العروصي ولد كريميش وأحمد ولد بوجمعة ولد علي سناد ومحمد ولد مبارك ولد بلخير وولد سلامة وولد ابيهيـش.

ولما بلغ الإسبان المحاصرون بالهجوم، أتى فيلق من الجنود الإسبان يوم الأحد 24 / 11 / 1957 من مدينة سيدي إفني لفك الحصار، وما أن وصلوا إلى أحد المسالك بين جبل أصضر وجبل مقابـل له والذي لا يبعد عن المركـز إلا بحوالي كيلومتر وجدوا أمامهم مجموعـة من أعضاء جيش التحريـر، ومن هـؤلاء فيضل الغرابـي السباعي والبشيـر ولد ابيـدار ومحمد فاضل الرگيبي ومحمد ولد الحويسين.

وقد أعد هؤلاء المقاومون خطة حربية اقترحها المقاوم فيضل الغرابي السباعي وهو من دوار أهل بوعمامة في اصبويا مسترشدا بخبرته التي كان بموجبها برتبة عريف في الجيش الإسباني ليتركه وينخرط في صفوف جيش التحرير، وعندها وضعوا حواجز على الطريق التي سلكها الجيش الإسباني لتسبب له في التباطؤ وتشغله عن الانتباه لأي هجوم ممكن من طرف المقاومين، وليكون الهجوم من أعلى الجبل مع إطلاق النار في لحظة واحدة على العدو حيث كل مجموعة صغيرة تضرب هدف معينا. عندها باغتهم المقاومون واستهدفت كل الآليات العسكرية في وقت واحد مما جعل الجنود الإسبان يصابون بهلع وارتجال وعطب سيارتين وشاحنتين وسيارة إسعاف وقتل منهم سبعة جنود وجرح آخرون. وبعد أن توقفت المعركة مع قرب نفاذ عتاد المقاومين وأمام الأسلحة المتطورة للعدو، استطاع هذا الأخير حمل بعض أمتعته وقتلاه إلى دوار أداي القريب منه ودخل جنـوده أحد المنازل وأخرجوا منه صاحبه وهو مبارك والضوء وقدموه لقائدهم وعندها رموه بالرصاص واردوه قتيلا.

ولما حان وقت المغرب تقدمت مجموعة أخرى من أعضاء جيش التحرير من بين عناصرها عبد الله ولد إبراهيم ولد الحسين والنفاع ولد الصبار ويوسف ولد الحيحي وسالم الطيفـاش وأحمدر المرخي وعلي بوركبة، وهاجمت هـؤلاء الجنود الإسبان ولم يجدوا أمامهـم إلا جبل أصغر فتحصنوا به واحتمـوا بصخوره تاركين عرباتهـم على الطريـق مما جعل الناس يغنموا ما فيها ويتلفوهـا.

وفي اليوم الثاني أخذ أعضاء جيش التحرير أماكنهم بعدما أتاهم العتاد من بوجريف عن طريق أساكا، غير أن الإسبان تحصنوا جيدا وبدؤوا يضربون كل من بدا لهم في الطريق، حيث استشهد المقاوم علي بوكربة وفراجي ولد الحبيب وسلامة الزعتر وحماد ولد اشبوق وعبد الودود الزفاطي والحسن ولد العلاوي ومولود ولد عبد الله خاجي وهو من الحفارات بآيت أيوب.

وأمام تطور عتاد الجنود الإسبان اضطر أعضاء جيش التحرير وقف القصف لنفاذ دخيرتهم وحوصر الناجون من أولئك الجنود الإسبان فوق الجبل لمدة أحد عشر يوما. وكانت تحوم الطائرات الإسبانية فوق الجبل لتمدهم بالمؤن، غير أنها كانت تسقط بعيدا عنهم مما اضطرهم إلى أكل شجر الصبار (التين الشوكي) أو ما يعرف محليا بكرم اكناري، وكان هو طعامهم اليومي وبقوا هناك في مخابئهم يحمون أنفسهم ويقتنصون كل من مر قبالتهم من أناس وحيوان.

وبعد ذلك جهزت سلطات الاحتلال جيشا ضخما انطلق من مدينة سيدي إفني لفك الحصار على الجنود الإسبان المحاصرين بجبل أصغر وإخلاء مركزي الثلاثاء اصبويا ومركز تيلوين من الجنود الإسبان. وقد سلك هذا الجيش الطريق الساحلية الواقعة جنوب مدينة سيدي إفني، فمر بعدة دواوير بتراب اصبويا مثل أنامر والزلاكيم وأداي وبولمعيز. وغادر السكان منازلهم صحبة مواشيهم. وكلما مر جيش الاحتلال بدوار أو منزل إلا وقتل من وجد فيه أو أشعل فيه النار وفي خلايا النحل الموجودة في المنطقة بكثرة والتي كانت تشكل جزءا من اقتصادهم اليومي.

وقد استشهد في هذه المعركة حوالي خمسة عشرا مقاوما، دفن أغلبهم في مقبرة للشهداء تسمى حاليا ركبة الشهداء. ونذكر منهم الحبيب بن صالح وعلي البربري وولد سلامــة وعبد الوهـاب بن موسى ومبارك ولد الضوء وعيـاد ولد الضوء وعبد الله بن علي صالح وإبراهيم بن عبد الله ولد معيورات وهاشم بن بلخير ومحمد ولد الحبيب.

وأمام التفوق العسكري والعددي لجيوش الإسبان وقلة عتاد المقاومين وأعضاء جيش التحرير، استطاع جيش العدو تحرير المحاصرين بجبل أصغر وإخلاء جميع المراكز الأخرى من جنوده ليتراجع نحو مدينة سيدي إفني ويبقى فيها إلى حدود سنة 1969.

بعض *منشورات المندوبية السامية للمقاومة وأعضاء جيش التحرير* ؛ *مقابلات مع مقاومين* وأعضاء من جيش التحرير شاركوا في معركة أصدر صيف 1998، وربيع 2009.

Françoise De La Serre & Octave Marais, Les Présides au Maroc et Ifni, *Revue française de science politique*, Vol. 18, Nu. 2, 1968.

محمد شرايمي

اغْـدِيلَ : مؤنثة تطلق على تجارة الملح. وهي أيضا حمل بعير من الملح وهو قطعتان ملحيتان تزنان حوالي 40 كلغرام، وهي تجارة قديمة رائجة بالصحراء وتخومها، ثم صارت اسما للعلم فيقال : "رقَّادتْ لـغْديلَ" أي حمالوا الملح. وتطلق "لـغْديلَ" أيضا على قافلة الملح وفي المثل : "راصْ لـغديلَ ما يْسَوحَـلْ" أي لا يتجه ناحية الغرب والمعنى أن الملح الذي يستخرج غالبا بمحاداة الشاطئ لا يمكن تصديره إلا إلى ناحية الشرق وهي الجهة المعاكسة للشاطئ. ويقولون بالحسانية "رَاسْ لـغْديلَ" وهو : البعير الأول من القافلة ويسمى أيضاً : "راصْ أمگطار".

الري الرگيبـي، *كنــز الذاكرة*، آسفي، ب. ت ؛ محمد دحمان، *الترحال والاستقرار بمنـطقتي الساقية الـحمراء ووادي الذهب*، الرباط، 2006 ؛ إسماعيـل ولد الحسن، *الممتع المحيط من كلام أهل شنقيط*، دار الفكـر، أنواكشـوط، الجزء الثالث، 2010. *مقابلــة ميدانيــة مع السيدة فاطمة بنت أحمد سالم*، الداخلة، صيف 2010.

اعريب أو **عريب** (قبيلة -) قبيلة ظاعنة كانت تنتجع المناطق الواقعة ما بين جبال باني شمالا وإكيدي جنوبا، وبذلك فهي كانت تقع في مناطق حدودية ما بين المغرب (درعة الوسطى) وحمادة تندوف والساقية الحمراء وبين الجزائر (واد الساورة والداورة) ومالي (منطقة أزواد). تنتمي هذه القبيلة إلى المجموعات العربية وتتكون من لفين، لف النعامنة ويضم البطون

التالية : لكواسم وأولاد رزك ولبادين والنواجي، واللف الثاني : لكرادبة، ويضم : أزيود وأولاد بو أوذن وأذوابات والوراث وأولاد رزوك وأولاد يوسف وأولاد رحو والقرال.

كانت هذه القبيلة تمارس الترحال طويل النجعة إلى حدود التغلغل الاستعماري الفرنسي في الصحراء بداية القرن العشرين، حيث كانت تجوب المناطق الممتدة من مرتفعات باني وواد درعة عبر حمادة درعة وحمادة تندوف وأعالي وادي الساقية الحمراء إلى حدود عرق شاش وإكيدي وزمور، كما كانت تتعاطى لتجارة القوافل عبر هذه المجابات الكبرى رابطة ما بين أسواق تنبكتو وأروان وتاودني وكاوة وأسواق آسا وواد نون ودرعة الوسطى. وقد رصعت مجال ظعنها مجموعة من الآبار ونقاط الماء الشهيرة مثل حاسي أزعير وأزعير الفوقاني ولبسيبيسة والعصمية وتنفوشاي وأبير النقرة وبإكيدي وأمليحس ازرع بإكيدي وأبير أشنين وبوجبيهة ولمبيديعة والمنكوب ولمزيريف وزكدو وتزنداكين والشافعية (بالداورة) وتمجوك وحاسي بيظة وغيرها من الأحساء والأوشال والعيون التي كانت محور الحياة الرعوية للقبيلة.

وكانت تعتمد على تربية الإبل وممارسة الغزو وخفارة القوافل ما بين درعة والسودان، وكان لف النعامنة أكثر ترحلا من لف الكراذبة حيث تميز بحيازة قطعان الإبل الوفيرة والتوغل في الصحراء وممارسة تجارة الرقيق وتطوير الأساليب القتالية.

تميزت هذه القبيلة كذلك، بضمها لمجموعات وأسر ذات أصول سلالية واجتماعية مختلفة بفعل مجاورتها لمجموعات قبلية متنوعة أمازيغية (آيت خباش وآيت أسفول...) وعربية (الركَيبات ودوبلال....) وكذا بفعل الحراك السياسي والاجتماعي الذي تعرضت له منذ تمركزها عند بوابة الصحراء بعقفة واد درعة نهاية القرن التاسع عشر.

وقد عرفت هذه القبيلة زعامات زمنية متبدلة، برز فيها أحمد البلالي في بطن لكواسم وحفدته الذين ورثوه في زعامة القبيلة إلى حدود التدخل الفرنسي في منطقة لحمادة ودرعة. كما برز فيها سيدي محمد بن سيدي خليل السباعي بداية القرن العشرين، ويظهر أن أحمد بلالي وبن سيدي خليل لا ينتميان بالنسب إلى اعريب ولكن فقط بالتحالف، وذلك ما يفسر طبيعة تشكيلة هذه القبيلة التي لا تنتمي لجد جامع وإنما هي عبارة عن تحالف ما بين مجموعة من العائلات والبطون ذات الأصول العربية والشريفة والصنهاجية، لذلك لم تستطع بلورة زعامة وإنما كان لديهم ما يعرف بـ "شيخ العام" ففي كل سنة يتم انتخاب شيخ معلوم لزعامة "جماعة القبيلة".

وفي المجال الديني عرفت القبيلة مجموعة من الزعامات الدينية تجلت في بعض الزوايا المحلية مثل زاوية امغيميمة الرجراجية الأصل بناحية تيسينت، وزاوية سيد أحمد المدني البوشيخي القادرية الطريقة، ثم زاوية الشيخ عابدين الكنتي الذي ظهر بداية القرن العشرين وارتبط قدومه بمقاومة الاحتلال الفرنسي حيث انخرطت قبيلة اعريب في مقاومة الزحف الفرنسي على اتراب البيضان منذ نهاية القرن التاسع عشر مشاركة في معارك كثيرة مثل معركة بولعظام غرب تبلبالت بقيادة الشيخ عابدين، كما يشير پول مارتي في كتابة *كنتة الشرقيون* إلى حضور اعريب في مواجهة الفرنسيين في جنوب غرب الجزائر وشمال مالي وموريتانيا. وظل اعريب في ميدان معارك المقاومة إلى أن حاصر الفرنسيون الجنوب المغربي فاضطرت جماعتهم إلى مهادنة الفرنسيين، وقد تزامن ذلك مع توقف التجارة الصحراوية وتوالي سنوات الجفاف واضطرار البدو الرحل إلى النزوح نحو الواحات بمنطقة درعة الشيء الذي ساعد الفرنسيين في إحكام قبضتهم على القبيلة عن طريق مراكز المراقبة العسكرية في قصور امحاميد الغزلان وتاكَونيت وزاكَورة.

هكذا فقدت القبيلة مصادر عيشها التقليدية من قطعان الإبل والتجارة العابرة نحو السودان، ولم يعد أمام أبنائها سوى العمل بالجندية أو الهجرة نحو المدن. وقد عانت من ذلك فئات اجتماعية عريضة تحت نير الاحتلال العسكري الفرنسي بمنطقة نائية ذات ظروف بيئية صعبة.

ولما تبلورت الحركة الوطنية بالمدن المغربية ووصلت طلائع جيش التحرير إلى الصحراء، كانت قبيلة اعريب ومنطقة لمحاميد من أول المبادرين لدعم تلك الحركة الوطنية ومن أول من ساهم فيها بالمال والرجال والعتاد. وكانت امحاميد الغزلان هي باب الصحراء الحقيقي عندما اجتمع فوق مجالها رجال مختلف القبائل الصحراوية سنة 1958 لاستقبال الملك محمد الخامس بعد استقلال المغرب.

وقبيلة اعريب اليوم توجد بالجماعة القروية لامحاميد الغزلان وبمدينة زاكَورة كما توجد بمدن اكَلميم والطنطان والعيون وفي مراكش وأحوازه، وكذا بشمال مالي وجنوب الجزائر وقد ساهم رجالها بفعالية في حرب الرمال سنة 1963 وفي معارك الدفاع عن الوحدة الترابية خلال حرب الصحراء. ويعرف مجال القبيلة اليوم بإقليم زاكَورة نشاطا سياحيا متناميا بفعل تطور السياحة الصحراوية وانفتاح المنطقة على العالم الخارجي. لكن الفاعل المحلي يحتاج إلى المزيد من التكوين والتأطير العلمي والمهني لكي يستفيد مما تدره الموارد الجديدة من مداخيل ولتنعكس على واقع السكان ووسطهم الطبيعي والاجتماعي.

يوسف بن عابد الفاسي، *ملتقط الرحلة*، بيروت، دار الغرب الإسلامي ؛ پول مارتي، *كنتة الشرقيون*، ترجمة، محمد محمود ودادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، ب. ت ؛ سيدي محمد الكنتي، *الطرائف والتلائد في مناقب الوالدة والوالد*، مخطوط خاص ؛ تحريات ميدانية بمنطقة امحاميد الغزلان وتاكونيت واكَلميم، سنوات 2000 و2004 و2007.

Augiéras, Capt « Chronique de l’ouest Saharien » in : *Renseignements coloniaux, N° 4, 1930* (pp. 195-196) ; Azam P, Sédentaires et Nomades dans le Sud Marocain : le coude de l’oued Dra. CHEAM, 1946 ;

D. Jacques-Meunié, et Dominique. jj : « Les Oasis de lektawa et des M'hamid » in : *Hesperis, N° 27, 1947* ; Capt. Salvy. La crise du Nomadisme dans le sud Marocain, *CHEAM, N° 1563*, 1949, Capt. Saint Bon, Les Populations des confins du Maroc Saharien. *CHEAM, N° 27* bis, 1938 ; Capt. G.Salvy « Les Kounta du Sud Marocain » in : *Travaux de l'Institut de Recherches Sahariennes, tome VII, 1951*, Alger, (161-186).

محمد دحمان

إعزى وهدى، شكل التاريخ الديني واحدا من الحقول المعرفية التي نالت نصيبها من الاهتمام من قبل مجموعة من الدارسين على مستوى الغرب المسيحي أو على مستوى عالمنا الإسلامي. وقد اعتبر Gabriel Le Bras من مؤسسي حقل السوسيولوجيا الدينية بداية من 1931، وقد اعتمد المؤرخون على المناهج التي وظفتها السوسيولوجيا الدينية بداية من 1960. وقد ساهمت مدرسة الحوليات، عبر أقطابها التاريخيين، في الدمج بين تاريخ الذهنيات والتاريخ الديني. وقد استفادت مجموعة من الباحثين المغاربة من ثمرات الطفرة المنهاجية التي عرفتها الدراسات الدينية لتسلط الدور على التاريخ الديني بالبلاد وبخاصة تاريخ الزوايا حيث ظهرت دراسات رصينة تشرح الجسم الزاوي وعلى رأسها الدراسة التي قام بها محمد حجي حول الزاوية الدلائية، وتلتها دراسات أخرى جعلت التاريخ الديني شعبة من شعب التاريخ العام للمجتمع المغربي عامة ومجتمع الصحراء منذ بروز الكيانات السياسية الأولى في مغرب العصر الوسيط، في عهد الرستميين والمدراريين ووصولا بالأدارسة والمرابطين والموحدين. واستمر هذا الموقع المتميز للتاريخ الديني في الوقائع التي عرفتها المنطقة مع نهاية الدولة الموحدية وبداية العصر الحديث على يد صلحاء المنطقة الذين قادوا الحملات الجهادية ضد الغزو الأجنبي الإيبيري. ويكفي المجال الصحراوي إنصافا أن يكون حاضرا بحدة من خلال كارطوغرافيا للصلحاء الذين جابوا أرجاء المنطقة لاستنفار الخاصة والعامة من الأتباع لمواجهة الأطماع الإيبيرية. وقد برز في هذا الباب مجموعة من الصلحاء، لن نستفيض في الحديث عنهم بقدر ما سنخصص غالبية مداخلتنا للشيخ المجاهد إعزى وهدى الذي أعطى لقصر أسا ما يميزه من الشهرة. فإذا كانت حواضر قد اشتهرت بالتجارة والرواج النقدي والسلعي مع الصحراء وإفريقيا السوداء من جهة ثم مع أوربا عبر المغرب من جهة ثانية، فإن قصر أسا لم يكن أقل مكانة من ذلك بفعل المكانة المتميزة التي ربعه عليها إعزى وهدى حيث أصبحت حاضرة الإشعاع الديني وبؤرة الصلحاء ومشعل الجهاد ليس فقط على مستوى وادي نون بل إلى الساقية الحمراء جنوبا وسوس شمالا. ولا تفيدنا المصادر التاريخية المروية والمسطورة إلا بالنزر اليسير عن شخصية إعزى وهدى وعن الظروف العامة والخاصة التي أفرزت هذه الشخصية التي يمكن، من خلال المعلومات النادرة التي وصلتنا عنه، أن نصنفه ضمن الشخصيات الدينية والعسكرية التي عج بها مغرب العصر الوسيط. وتعتبر مدونة أسا والكراستان اللتان نشرهما محمد المختار السوسي المصادر الوحيدة الموجودة حاليا حول ترجمة الشيخ إعزى وهدى. كما يمكن الإشارة إلى أن الباحث الفرنسي فانسان مونتاي قام بترجمة مقتطفات من المدونة إلى اللغة الفرنسية في العمل الذي قدم بمناسبة الاحتفال بالذكرى العاشرة لتأسيس جامعة محمد الخامس بالرباط.

فاعتمادا على ما أورده المختار السوسي في *المعسول*، يمكن القول بأن الشيخ إعزى وهدى إزداد بمراكش سنة 646 الموافق 1248 في دار الأمير يعقوب المنصور الموحدي. وقد نقل عنه المختار السوسي في إحدى مذكراته ما نصه : "إن خروجنا من العدم إلى الوجود كان في أول ستة وأربعين وستمائة، كان ذلك عند طلوع شمس يوم الخميس الثامن والعشرين من شهر الحرام" (*المعسول*، ج 10، ص. 166). أما عن لقبه وكنيته فقد ورد في المذكرات ما نصه : "وأما اسمه فأبو يعزى ويهدى وإسمه محمد وسماه أبوه على إسمه وسمته جدته للأم مع أقاربها بذلك وكنيته أبو يعزى ولقبه ويهدى، لهذا يقال له أبو يعزى و يهدى". وتوفي أبوه وهو في اليوم التاسع لولادته. ويعتقد أن إسم "أبو يعزى" هو تعريب للإسم الصنهاجي أو المصمودي "إعزى" بمعنى العزيز أو المحبوب. أما إسم "يهدى" فهو ليس غريبا عن لائحة أسماء الأعلام الموحدية (المهدي، الهادي) أي المتلقي الهداية من الله ثم يهدي إليها البشر. من خلال هذه النتف اليسيرة عن ولادته ولقبه يظهر جليا مدى التأثير الذي سيحدثه جذع الخؤولة في تكوينه الشخصي والتربوي، ولعل الذي يشفع لنا في هذا التخريج الأولى ماورد في المذكرات إذ يقول مانصه : "ثم ألقتني إلى المكتب وأنا ابن خمسة سنين ولازمته ولم أهرب منه يوما ولا عجزت عن حفظ الوحي، فتعلمني الطهارة والصلاة، وتدلني على تقوى الله سبحانه وتعالى، وتلقنني ذكر سهل بن عبد الله : الله معي، الله حافظي، الله شاهدي، الله ناظر إلي" (*المعسول*، ج 10، ص. 168).

وتستوقفنا في هذا الباب جملة من الملاحظات التي لايمكن بأي حال من الأحوال المرور دون الإشارة إليها، وأول هذه الملاحظات أن المرأة، عبر التاريخ العام للمغرب، لعبت، إلى جانب دورها المركب الذي يجمع بين التنشئة والنقل الثقافي، أدوارا طلائعية في جانب حساس ومصيري بالنسبة لأجيال المغاربة الذين كتب لهم نهل المعرفة بجميع مراتبها سواء منها الدينية أو الدنيوية. ويتبين من خلال ما ورد أن جدة الشيخ إعزى ويهدى كانت على قدر من المعرفة والعلم ما خولها أن تتابع السير التربوي والتكويني للشيخ. ثاني هذه الملاحظات أن الشيخ لمح إلى طبيعة النظام التربوي الذي يعتقد أنه كان صارما بالنسبة للتلاميذ في سنه من حيث أسلوب الفقهاء في التلقين الذي كان يتميز بالشدة مما حدا بالعديد من التلاميذ في سنه إلى الهروب وعدم متابعة الدراسة والتحصيل العلمي، وقد كان يتابع مشاهد الهروب من الكتاب من طرف التلاميذ بدليل قوله "ولم أهرب منه يوما" في إشارة إلى تكرار هذه الظاهرة أمام

عينيه. كما أن الشيخ إعزى ويهدى لمح إلى ظاهرة أخرى مرتبطة بالمقررات الدراسية التي هي في غالبها دينية من قرآن وسنة نبوية ومصنفات عقائدية وفقهية مختلفة يصعب على التلاميذ حفظها واستيعابها بسهولة بارتباط مع واقعهم الاجتماعي واللغوي، بل يعجزون في بعض الأحيان عن حفظها، وهي مشكلة تجاوزها بقوله "ولا عجزت عن حفظ الوحي".

باستثناء هذه المعطيات الخاصة عن نشأته وبداية مسيرته التربوية فإن المصادر التاريخية لم تشف الغليل فيما يخص التطور الذي عرفته حياته الشخصية والتربوية التعليمية التي سيتم من خلالها تحديد تطلعاته الدينية والسياسية والعسكرية خلال مقامه بمراكش والتي ستكون لا محالة المسوغ الرئيس لخلفاء زعيم تنمل، محمد بن تومرت، لطرده من مراكش واللجوء إلى الجنوب الذي كان قبلة للثوار والخارجين عن قانون الدول الحاكمة والمنفيين وغيرهم من المغضوب عليهم. إن إشكالية النزوح من الشمال نحو الجنوب وخاصة الصحراء التي ميزت حركة الزعماء الدينيين آنيا والروحيين آجلا ألقت بظلالها على الأحداث التاريخية لفترات طويلة امتدت من البدايات الأولى لتأسيس الكيانات والدول في المغرب، واستمرت حتى حدود الفترات المتأخرة، ذلك أن الجنوب عامة والصحراء خاصة ترى السلطة الحاكمة فيه مستودعا ومنفى لغير المرغوب فيهم، غير أن الزعماء الروحيين يرون في تلك المنافي التي يلجأون إليها سياحة بمفهومها الديني للابتعاد عن تسلط الأجهزة الحاكمة من جهة، واعتبارا بأن الصحراء شكلت على مر التاريخ "بلد الرؤى السماوية" وملاذ الأنبياء والصلحاء والزهاد وحملة لواء القلم والبركة. في ظل هذه الظروف العامة، وفي سياق الظروف الخاصة بالدولة الموحدية التي ميزتها مجموعة من الأحداث بدءا بالقضاء على الدولة المرابطية وكيانها السياسي ومذهبها الذي قامت عليه ونهاية بالحملة التأديبية ضد فلول القبائل المكونة للدولة المرابطية ووصولا بتوجيه القبائل العربية النازحة من الشرق نحو الجنوب لاستكمال المهمة، في ظل هذه الظروف سينتقل إعزى ويهدى من مراكش عاصمة الدولة الموحدية إلى بلاد الأفنان المقر الجديد للشيخ ومجال ديدنه الديني والجهادي في ما سيأتي من الأحداث في مناطق باني ووادي نون. ولا يمكن الجزم، كما أسلفنا سابقا، بالإحاطة بكافة حيثيات انتقال الشيخ اعزى ويهدى من مراكش إلى بلاد الأفنان (أسا)، ولعل الداعي إلى إصدار هذا الحكم هو شح المعلومات المصدرية سواء منها الرسمية الموحدية أو غير الرسمية (الشعبية) بما فيها إنتاجات الشيخ. ولا نتوفر على معلومات دقيقة عن النزوح هل هو هروب من السلطة الموحدية ؟ أم تم نفيه من طرف أجهزة هذه السلطة ؟ وهذا يطرح أمامنا إشكالية أخرى تتعلق بمواقفه الفكرية والسياسية تجاه السلطة الموحدية ؟ أم لا يعدو الأمر أن يكون سياحة عادية من مرابض العمران إلى غياهب الصحراء في إطار مشروع حملة تطهيرية ضد الخارجين عن مسار العقيدة الصحيحة.

ولهذا الغرض تم تأسيس الزاوية على أسس جهادية منذ البدايات الأولى. واعتمادا على ما ورد في الكراسة الثانية، فإن صاحبها محمد بن سعيد الميرغثي قد رأى كتابا منسوبا إلى الشيخ إعزى، ولعله ذلك الكتاب الذي يحمل عنوان "*الهدى في مناقب إعزى ويهدى*". إلا أن الأهمية القصوى لهذه الكراسة تكمن في كونها تخبرنا أن الرجل اشتد عوده في الميدان العسكري من خلال إنشاء مدرسة عسكرية خاصة بالتدريب على الفروسية وفنون الحرب واستعمال الأسلحة المتطورة بمفهوم المرحلة، بل تعدى الأمر ذلك إلى معرفته ببعض خبايا الكيمياء التي يوظفها في الأغراض الحربية. وهذا يجعله يتجه بقوة نحو الأعمال الجهادية ذات الطابع العسكري ضد من يعتبرون وثنيين أو كفارا خاصة في المناطق التي انتقل إليها والتي تحتضن بقايا الممارسات بشقيها الوثني من جهة واليهودي المسيحي من جهة ثانية، ويتعلق الأمر بالمناطق المحادية لأسا كمنطقة باني والسفوح الجنوبية والجنوبية الشرقية لجبال الأطلس الصغير. بل يذهب الكثير إلى الاعتقاد بأن أفول مجموعات بشرية ذات المكونات السلالية العرقية والعقائدية المختلفة كان من ثمرات بروز هذا الكيان الديني الجهادي ممثلا في زاوية إعزى ويهدى في حدود القرن / 13م، ولو أن محمد ضريف نفي وجود هذا الكيان الديني الممثل في الزاوية قبل ظهور الدولة المرينية ليس فقط في المنطقة ولكن في بلاد المغرب قاطبة، حيث ساهمت في دعمها وتقويتها. لكن مع ذلك تبقى هذه الحركة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالحركة الصوفية التي حملت على عاتقها نشر الإسلام في ما وراء الحواضر منذ أواخر القرن السادس الهجري / 12م على عهد يعقوب المنصور الموحدي حتى حدود القرن الرابع عشر لتحشر نفسها في إطار السياسي بعد ذلك. وقد ظهر هذا التحول جليا مع ظهور أزمة السلطة في القرن السادس عشر أي بعد سقوط الوطاسيين، حيث اعتبر ذلك - حسب بعض الدارسين - تحولا مهما في مسار التاريخ الديني للمجتمع المغربي.

من خلال المعطيات الواردة أعلاه، ومن خلال المعلومات التي استقيناها عن الشيخ إعزى ويهدى فيما يخص تكوينه الديني الصوفي من جهة والعسكري من جهة، نخرج بمحصلة مفادها أن الشيخ عندما أتى إلى بلاد الأفنان (أسا) كان يحمل هم المتصوفة آنذاك والمتمثل في الجهاد ضد بقايا الوثنيين وأتباع الديانات الأخرى، وهو الأمر الذي يحول دون التخريجات المختلفة التي ترجع تأسيس رباط يجمع إليه الأتباع والمريدين لتمرير قناعاته الدينية في مرحلة أولى، ثم توجيههم للدعوة والجهاد في مرحلة ثانية مستثمرا بذلك قدراته العسكرية الفائقة. أما عن كراماته، فيتحدث المختار السوسي عن شذرات منها وهو لا زال طفلا إذ يقول : "ثم لما بلغت ثلاث سنين حدثتهم جدتي للأم أن ظهر في من التميز أمر غريب كالاستدلال على التوحيد، وقبول ما تلقيت من ذكر المعجزات وأخبار الصالحين"، وأضاف "متنبئا بمستقبل كبير". ثم دخلت المسجد وذلك عند ضحى يوم الجمعة فإذا بأناس جلوس معهم رجل

(...) فدعاني فجئته على استحياء وقعد وقعدت بين يديه متأدبا وذلك من الله لا مني فدعاني وقال لي : كذلك تكون إن شاء الله (...) ثم قال لي : الله تعالى يتوجك (*المعسول*، ص. 168). وإلى جانب السلاح العسكري الذي كان يتميز به الشيخ، فإن سلاح البركة والفراسة والكرامات كان حاضرا بشكل قوي من خلال ما جاء في وثيقة نسبت لمحمد بن سعيد المرغيثي الذي يقول فيها : "إن السيد إعزى ويهدى جعله الله هو وذريته على سائر الماء الخفي تحت الأرض وقد رأيت في مناقبهم أن كل موضع سكن فيه آيت إعزى وهدى لابد فيه من الماء، ولو لم يكن في الأصل، فإنه لابد وأن ينبع فيه الماء. ومن الفضائل الأخرى التي يتميز بها، حسب ما جاء في نفس الوثيقة، أن الله "جعله على باب العلم الظاهر والباطن مع جميع الأسرار الربانية والخصال المحمودة".

إن المحصلة التي يمكن أن نصل إلى الوقوف عندها حول ظروف قدوم إعزى وهدى إلى بلاد الأفنان، لا يمكن القول بأنها اكتملت في غياب المعلومات الوافية الموثقة عن القدوم وعن الصحبة وعن الاستقبال وعن تعامل الأهالي معه خصوصا وأنه ليس في وسط ينتمي إلى عصبيته.

ويعتبر سكان قصر أسا امتداداً لسكان درعة الأوائل الذين يمثلون الأعراش الغربية للشعوب الشرقية المنحدرة من كوش بن حام بن نوح. وقد أشار Jean Gatefosy إلى أنهم لعبوا دورا حضاريا كبيرا في مجموعة من البلاد التي عمروها سواء في الهند أو في بلاد الرافدين وجزيرة العرب خاصة سبأ والحبشة وآسيا الصغرى. ويعود إليهم الفضل في تعمير المنطقة وفي الهندسة المعمارية المعتمدة على الحجر وعلى توظيفه في البناء وفق أشكال هندسية مختلفة ستنتشر فيما بعد في مجموعة من حواضر الصحراء الكبرى (أسا - تيندوف - أطار - شنكيطي - تشيت). إن حديثنا عن الأشكال الهندسية المعمارية في المنطقة لم يكن من قبيل الصدفة بقدر ما سيكون له الأثر، في اعتقادنا بأن تكون المنطقة جاذبة لإعزا وهدى نظرا لكونها كانت محصنة بفعل البناءات المتينة المعتمدة على الحجر، ولعل الذي يشفع لنا في هذا التخريج أن الشيخ جاء إلى المنطقة حاملا مشاريعه الإصلاحية والجهادية، فكان لزاما عليه اختيار الأمكنة المحصنة إن على مستوى الطبيعة (الجبال) أو على مستوى العمران. أما عن تأسيس الزاوية فهناك روايات متعددة تختلف باختلاف أصحابها. فهناك روايات شفوية تقول بأن مؤسس الزاوية هو سيدي محمد الشبكي الذي وصل إلى المنطقة سنة 130 / 748، الذي يعتبر أحمد أئمة الإسلام، استقر بناحية "تكردات" استجابة لطلب إداوقيس بغية تعليمهم لشعائر الدين الإسلامي. ويسير الضابط الفرنسي دي لاشابل De La Chapelle في الاتجاه نفسه، حيث ينسب تأسيس الزاوية إلى نفس الشخص حيث أورد بأن "أشهر الصلحاء المستقرين بأسا هو الشيخ محمد الشبكي، وينسب إليه تأسيس الزاوية. وليس غريبا أن تتطابق الرواية الشفوية مع ما جاء به الضباط العسكريون الفرنسيون ذلك أن القسط الوافر من المعلومات التي يحصلون عليها تأتي عبر أفواه المستجوبين من الشيوخ الكبار والأعيان أثناء الوجود الفرنسي في المنطقة. وتوجد في الاتجاه المعاكس روايات أخرى تنسب تأسيس الزاوية إلى سيدي عيسى بن صالح الذي توفي حسب الباحثة الفرنسية جاك مونيي D. Jacques-Meunié سنة 500 / 1107.

إلا أن بعض الروايات تنسب تأسيس الزاوية إلى الشيخ إعزى ويهدى الذي ارتبط إسمه بكل التحولات الدينية والاجتماعية التي ستعرفها المنطقة لهذا فقد طغى إسمه على كل ما يتعلق بالتاريخ للأحداث التي سيعرفها قصر أسا إن على مستوى المشروع الإصلاحي الديني والاجتماعي أو على مستوى المشروع الجهادي. ولا توفر لنا المصادر المسطورة والمروية ما يشفي الغليل عن هذه المشاريع، لكن ما ورد في سياق الحديث عن كراماته يوحي بجملة من الإشارات الضمنية الدالة التي تمكن من القول بأن أسلحة العصر وهي السيف والبركة وآلتزيو كانت قد ربعت الشيخ على كرسي الزعامة الروحية، ومكنته من التفوق في مشاريعه الآنفة الذكر. ولعل من أهم الإشارات التي تدعم ما وصلنا إليه هو المكانة الدينية التي ستحتلها أسا منذ هذه الفترة على مستوى سوس ووادي نون والصحراء. فهذا دي فورست (De Furst) وصل إلى القول بأن "أسا شهدت تحولا في المشهد الديني حيث اعتبرت مدينة دينية بامتياز على صعيد منطقة سوس الأقصى". ولعل مكانة أسا ستزداد مع أبناء إعزى ويهدى وحفدته في مرحلة أولى، ثم مع ازدياد عدد الأولياء نزلاء القصر في مرحلة ثانية. وهذا الزخم سيعطي للزاوية، ومن تم لقصر أسا هالة من التقديس حيث حملت أسماء ذات دلالات كبيرة من قبيل "بلاد الإمام" و"قرية الأولياء". فقد جاء في وثيقة الأنوار التي سبق ذكرها أنه كان يطلق على زاوية أسا إسم" قرية الأولياء بجبال النحاس وهي بلاد إداوكيس وهي الأفنان". وقد بلغت الروايات عن أسا حد الأساطير حيث يشير بعضها إلى أن "أورير الأنبياء" أو "جبل الأنبياء" كان مزارا لمجموعة من الأنبياء وعلى رأسهم الرسول (ص) حيث لازالت توجد حوافر فرسه على صخرة توجد في عين المكان. بل غالت هذه الأساطير في الاعتقاد بأن أسا هي القبيلة الثانية بعد مكة. وقد اتخذت بعض المناطق هذه القدسية في أمكنة وأزمنة متفاوتة كما هو الشأن بالنسبة لتوبة في بلاد السنغال حاليا. ويعتقد أيضا أن الرسول (ص) توفي في أورير الأنبياء ثم حمل بعدها على ناقة بيضاء أدلجت به لتوصله إلى المدينة المنورة في الفجر. ولعل هذه الظاهرة المتمثلة في السفر ليلا وقطع مسافات طويلة إما نحو مكة أو مناطق أخرى مقدسة، كانت شائعة لدى العباد والزهاد والصلحاء في إطار خوارقهم غير العادية التي تدخل في إطار إدارة اللامرئي حسب تعبير عبد الودود ولد الشيخ. ولعل اقتران زاوية أسا بعيد المولد النبوي يعطي لها بعدا آخر في ارتباطها بالسلطة الحاكمة المرينية التي أولت هذا

العيد أهمية بالغة خصوصا إذا ما علمنا بأن استراتيجية أبي عنان في الاحتفال بهذا العيد تستمد أصولها من فترة أبي يعقوب الذي جعل من عيد المولد النبوي عيدا تحتفل به سائر البلاد. ويعتبر اتخاذ الزاوية لهذا العيد عاملا آخر ينم عن مدى تأثير السلطة المرينية الحاكمة في سلوكات الزاوية في عهد أحفاد إعزى ويهدى. وأشارت الباحثة أوديت دي پويگودو (Odette du Puigaudeau) أن الزاوية كانت تتمتع بسلطة وهبة دينية وسياسية، بل وعسكرية أحيانا، دامت قرابة سبعمائة سنة. وتضيف قائلة بأن هذه الزاوية اعتبرت واحدة من فروع الزاوية الناصرية التي يمتد نفوذها على جنوب الأطلس الصغير، ووجدت زاوية أسا نفسها، عبر هذا التسلسل، في ارتباط وثيق مع زاوية تامكروت، وفي مغيميمة وتزنيت. وقد تغلغلت الزاوية بنفوذها في المجال الذي تسيطر عليه القبائل الرحل في الصحراء في إطار العلاقة التي نسجتها مع صلحاء الساقية الحمراء. من هذا اتخذ المجال صيغة معقدة ومتراكبة لأن هناك استعمالات أخرى رمزية تتم فوقه إلى جانب الاستعمال العادي، وقد أشار پول كلافال إلى تعدد استعمالات المجال قائلا : "المجال هو أحد الدعامات الممتازة للنشاط الرمزي فهو يدرك ويقوم بشكل مختلف من قبل أولئك الذين يسكنونه أو يمنحونه قيمة معينة". من خلال ماورد يمكن القول إن الشيخ إعزى ويهدى قد أعطى للمكان قدسيته وأعطى للقصر رمزيته وللمجال بعدا آخر إلى جانب بعده الواحي ذي نمط الإنتاج المميز عن غيره من المجالات وذي التركيبة البشرية المتميزة عن تلك الموجودة في السواحل والسهول والجبال.

يبقى القول بأن الشيخ إعزى ويهدى قد جاء يحمل إلى المنطقة مشاريعه الإصلاحية والجهادية في غياب مشروع سياسي تمت ترجمته على أرض الواحة "فإنه يكون بذلك قد نأى بنفسه عن زمرة" الزعامات الدينية التي جعلت من علمها أو من الشرف التي تدعيه أو البركة المنسوبة إليها رأسمالا رمزيا تخوض بفضله غمار الصراع من أجل السلطة السياسية أو تجعل منه موطنا لوراثة المناصب الدينية وتحصيل الثروات"، ولكن يمكن إدخاله في خانة الزهاد والمتصوفة والأولياء والعلماء الذين نذروا حياتهم لله والمجتمع ونهجوا القناعة والتقشف... ورفضوا مقايضة عملهم وسمعتهم الأخلاقية بمتاع الدنيا.

ولعل من أهم الأسباب التي حذت بالشيخ إعزى ويهدى إلى القدوم إلى قصر أسا، كما أشرنا سابقا، هو الجهاد ضد بقايا الفكر الوثني والمسيحي في المنطقة، لكن تبقى المادة المصدرية غير قادرة على إمدادنا بالمعلومات الكافية عن العمليات الجهادية سواء تلك التي قادها الشيخ إعزى ويهدى ضد بقايا المعتقدات الدينية القديمة، أو تلك التي قادها أبناؤه وأحفاده ضد المد الإيبيري فيما بعد. ولعل الذي نستنير به في هذا الباب ما خلصت إليه جاك - مونيي من أن "الشيخ إعزى ويهدى خاض عدة حروب تحت راية الجهاد في سبيل نشر الدعوة الإسلامية في هذا القطر، ذلك أن سكان قصر أسا بل وسكان سلسلة باني الغربية بقوا على الوثنية أو الدين المسيحي إلى قدوم الطلائع الأولى من عرب معقل في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين"، وقد أضافت بأن أعداء للشيخ إعزى ويهدى كانوا محصنين في مواقع دفاعية قوية حيث تقول بأن "المناوئين سيطردون من تزكي سلام (فم الحصن) وسيصفى المركز القوي أدروم من الوثنيين إذ سيتم القضاء عليهم. وتشير قائلة بأن تأسيس زاوية أسا لن يتم إلا بعد الانتصار على هؤلاء الوثنيين.

أما المرحلة الثانية من الجهاد فقد ارتبطت بالوضعية العامة التي عرفها المغرب والمتمثلة في الغزو الإيبيري للسواحل المغربية في إطار مخططاتها التوسعية المستترة تحت غطاء الحملة التبشيرية التي تعرضت لها سواحل القارة الإفريقية. وستستنفر في هذا الجو المشحون جميع الزوايا في المغرب وخاصة في الجنوب الذي كان يعرف مخاضا سياسيا تمثل في بروز الشرفاء السعديين الذين استنفروا الزوايا للجهاد ضد الإيبيريين الذين استقروا في سانطا كروث دي مار پيكينيا، حيث أسسوا مواقع محصنة على الساحل منذ سنة 1476. وقد كانت جحافل الإيبيريين تنطلق من هذه المرافئ المحصنة للإغارة على القوافل التجارية وعلى مضارب الرحل لاحتجاز العبيد وإرسالهم إلى جزر الكناري ثم من تم إلى أمريكا اللاتينية للعمل في حقول قصب السكر. ولعل ما يثير الانتباه هو التنسيق الذي برز في هذه الفترة بين صلحاء الساقية الحمراء وقصر أسا باستنفار 12000 مجاهد من سوس الأقصى والصحراء للجهاد ضد الإيبيريين حيث تم اكتساح سانطا كروث سنة 1524. ثم قاموا في مرحلة ثانية بدعم الشرفاء السعديين الذين استنفروا المجاهدين ضد البرتغاليين في سانطا كروث دي كاب دو كير فتم طردهم سنة 1541.

وبارتباط مع العمليات الجهادية، تبرز إشكالية النزوح في صفوف آيت إعزى ويهدى، ذلك أن النزوح في اعتقادنا ارتبط منذ الوهلة الأولى بتصفية جيوب المقاومة الأولى المتمثلة في الوثنيين وأتباع الديانات الأخرى، ثم في مرحلة ثانية بعد ظهور القوات الإيبيرية على السواحل الجنوبية حيث يقول محمد بن سعيد المرغيثي في هذا الباب : "هم المجاهدون في سبيل الله أكثر من غيرهم ولا يخافون لومة لائم... وقد أفنوا أعمارهم وأموالهم في الجهاد ابتغاء مرضاة الله ورسوله" (وثيقة تاريخية بحوزتنا).

ولعل هجرة آيت إعزى ويهدى من قصر أسا والاستقرار في كل من إكيسل وزريويلة وإفران الأطلس الصغير وبونعمان وفاصك وهي مناطق نعتبرها بوابات نحو الساحل لهو مؤشر على الروح الجهادية لديهم بدليل أن أقدم ضريح في زريويلة، حسب الرواية الشفوية، هو ضريح سيدي عبد الرحمان آيت إعزى ويهدى، بل يضيف دي لاشاپيل بأن بعضا منهم توجه إلى آيت باعمران مما ينم عن روح الاستنفار التي كانوا يبعثونها في نفوس الأهالي ضد الإيبيريين في المنطقة.

إضافة إلى المعطى الجهادي، فإن هناك مؤشرات أخرى تفسر عمليات النزوح التي شملت آيت إعزى ويهدى، ويتعلق الأمر بالمتغيرات الاجتماعية والقبلية التي عرفتها المنطقة في علاقتها بوادي نون والصحراء منذ القرن السابع عشر ممثلة في التدافع القبلي الذي عرفته المنطقة في إطار البحث عن مواقع للنفوذ. وقد نستحضر في هذا الباب التشكل القبلي الجديد الذي اتخذ إسم "قبائل تكنة" وهو الإسم الذي ظهر لأول مرة في ديوان قبائل المغرب في عهد أحمد المنصور السعدي. ومن أهم القبائل التي سيتم الحديث عنها منذ هذه الفترة قبيلة آيتوسا التي ستدخل قصر أسا وستتخذه عاصمة لها بعد عمليات الطرد أو الاندماج التي ستطال بقايا آيت اعزى ويهدى. وقد أثار انتباهنا الرواية التي تروى حول أسباب خروج بقايا آيت اعزى ويهدى من قصر أسا بعد قدوم آيتوسا، وهي في تفاصيلها لا تبتعد عن الرواية التي أصلت الصراع الذي كان دائرا بين سكان تكاوست التاريخية أولاد دريس وعناصر قبيلة آيت لحسن القادمين الجدد. وقد دخل بقايا آيت إعزى ويهدى في علاقة فعلية وارتباط كلي مع قبيلة آيتوسا بقصر أسا بحيث ستحتضن هذه القبيلة الأسر المتبقية التي احتفظت في المقابل بهيبتها ومكانتها الروحية المتميزة من خلال الهدايا التي تقدم للزاوية من طرف جميع فخذات القبيلة، بل تجاوز الأمر ذلك إلى قبائل سوس الأقصى بحيث جاء في وثيقة توجد نسختها الأصلية في زريويلة أنه "في سوس الأقصى يؤدي كل من يحرث بالمحراث ثلاثة أمداد للنادر وجزء من الصوف وجمعتين من السمن أن يؤديه لأولاد الشيخ". وورد في مخطوط وجد بإفران الصغير "أن يؤدي كل كانون ذبيحة المجازرة على العام ودزة لكل خيمة وثلاث جمعات من الزبدة (...) فمن أعطى ما ذكرناه أعلاه فالله يبارك في جميع أمواله". وفي السياق نفسه جاء في إحدى الوثائق ما نصه : "اتفقت جماعة من آل منصور كبيرا وصغيرا لحمله سيدي يحيى العز وهدى بصاع من الزرع (...) لكل كانون منهم في وادي نون". وتعتبر جماعة آل علي ومنصور فخدة من قبيلة أزوافيط، وكانت تربطها علاقة متينة بأهل بوگرين من آيت إعزى ويهدى (المعلومات مأخوذة من وثائق بحوزتنا).

من خلال المتغيرات القبلية والعسكرية التي عرفتها المنطقة وتم الوقوف على بعضها، يمكن القول بأنه إذا كان سلاح السيف والجهاد قد تهاوى من يد آيت إعزى ويهدى، فإن سلاح القلم والبركة استمر قائما في التعامل مع القبائل المحاربة الجديدة وقد تجلى ذلك في سلطان "التزيو"، حيث أصبح التوازي قائما بين السيف والقلم، وهو وضع ستعرفه مجموعة من القبائل الصحراوية الأخرى ولو بدرجات مختلفة ومتفاوتة مثال قبيلة آيت لحسن وزاوية فيلالة، وقبيلة إزرگيين مع زاوية أهل الليلي من توبالت.

وعجت جميع الزوايا وخاصة زوايا الحواضر الصحراوية بتراث معرفي كبير بارتباط مع ما تستقبله من عباد وصلحاء وفقهاء وعارفين ممتهنين للعلم والمعرفة من مصنفات جينية ولغوية وعلمية أسالت لعاب الباحثين والدارسين، فهل يصدق القول على زاوية أسا ؟ إن المعطيات المجمعة تجعل من الصعب تتبع الدور العلمي والثقافي للزاوية نظرا لأن المادة المصدرية لا تسعفنا في ضبط عدد مريديها، ولا عدد الفقهاء والعلماء الذين درسوا فيها وتخرجوا منها أو ساهموا في التدريس فيها، علما بأن المختار السوسي يشير إلى أن "آيت إعزى ويهدى تفرعت منهم فروع شتى وزخرت بالعلماء (...) وهم كثيرون من علماء وصلحاء" (سوس العالمة، ص. 174). ويبقى الاستثناء الوحيد هو العلامة محمد بن سعيد الميرغتي الذي يعود له الفضل في كل ما يتعلق بأخبار الزاوية ومؤسسيها آيت إعزى ويهدى بحكم انتمائه إليهم، ويعتبره محمد حجي المرجع الوحيد الذي يعتمد عليه في أخبار زاوية أسا ويقول عنه بأنه انتقل إلى مراكش للتدريس بمسجد الماسين، ثم انتقل بعد ذلك إلى الزاوية الدلائية وتوفي حوالي 1678 (محمد حجي، ص. 96). ولا تتوفر الزاوية على مؤلفات للفقهاء الذين درسوا هناك رغم الآثار المادية الشاهدة الممثلة في المسجد القديم الذي يعتقد أنه بناه التونسيون الذين كانوا من رواد الزاوية فيما ولى من الدهر والذي كان بدون شك صرحا لتداول العلوم السائدة آنذاك. ولعل من بين التفسيرات التي تعطى لهذا الغياب التام للإنتاج العلمي في الزاوية عمليات النزوح التي طالت آيت إعزى ويهدى إلى أرجاء سوس الأقصى حيث حملوا معهم تراثهم المعرفي المسطور في مخطوطات ووثائق. لكن في المقابل هناك بعض التفسيرات التي تشير إلى بقاء المخطوطات في قصر أسا حيث أورد طوني هودجز (Tony Hodges) بأن سكان قصر أسا الأصليين "الحراطين" هم المالكين ليس فقط لرسوم ملكية الأراضي الفلاحية، بل حتى وثائق زاوية أسا فإنها توجد تحت تصرفهم.

وخلاصة القول إن إشعاع الزاوية وقداستها ومكانتها الرمزية الكبيرة في سوس الأقصى والصحراء لم تشفع لها في تراكم تراث معرفي ذي شأن وهي من أهم الإشكاليات المطروحة على حواضر المنطقة وخاصة وادي نون، فلا التراكم التجاري ساهم في خلق طفرة علمية ونهضة ثقافية كما هو الشأن بالنسبة لحواضر غرب الصحراء كتنبوكتو وأطار وتندوف، ولا التراكم الديني في قصر أسا ساهم في ذلك رغم أنه كان هو المحرك الرئيسي للرواج التجاري المرتبط بالزاوية والذي كان قبلة للوافدين من كافة حواضر سوس وغرب الصحراء.

المختار السوسي، *سوس العالمة*، الطبعة الثانية، الدار البيضاء، 1984 ؛ محمد حجي، *الزاوية الدلائية، ودورها الديني والعلمي والسياسي*، الرباط، 1963 ؛ المختار السوسي، *المعسول*، ج 10، الرباط، 1961 ؛ أبو يعقوب يوسف التادلي، *التشوف إلى رجال التصوف*، تحقيق، أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1984 ؛ محمد القبلي، مساهمة في تاريخ التمهيد للدولة السعدية، *مجلة كلية الآداب، ع 3 - 4*، الرباط، 1978 ؛ رحمة بورقية، *الدولة والسلطة والمجتمع : دراسة في الثابت والمتحول في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب*، الطبعة

الأولى، دار الطليعة، بيروت، 1991 ؛ پول كلافال، المجال والحياة الاجتماعية والسلطة، ترجمة، فريدة الزاهي، *مجلة البحث العلمي، المعهد الجامعي للبحث العلمي*، الرباط، ع 43 - 44، 1994 ؛ عبد اللطيف الهرماسي، بيار بورديو : مسلمة "المصلحة" آفاق الاقتصاد السياسي للدين كتابات معاصرة، (فنون وعلوم) *مجلة الإبداع والعلوم الإنسانية*، ع 55، المجلد 14، شباط - آذار، 2005 ؛ *مجموعة وثائق خاصة بزاوية أسا*.

Odette du Puigaudeau, Arts et coutumes des Maures, *Hespéris Tamuda, vol III, 1967* ; F. de La Chappelle, *Esquise d'une histoire du sahara occidental*, C.I.H.M, 1930 ; D. Jacques-Meunié, *Le Maroc saharien des origines à 1670*, Librairie klincksieck, 1982 ; Defurst, *Etude sur la tribu des Ait Oussa*, Assa, 1939 ; Abdelwedoud ould Cheikh, *Nomadisme, Islam et Pouvoir politique dans la société maure précoloniale*, thèse pour le doctorat en sociologie, Paris, Tome 1, 1985 ; André Burguière, *Dictionnaire des Sciences Historiques*, Presses Universiaires de France, Religion ; Monteil (Vincent), Chronique de la zaouia d'Assa, in *Mélanges Mohamed el Fassi*, publiés à l'occasion du dixième anniversaire de l'université mohamed v, 1957 – 1967.

عمر ناجيه

الأعمش (بن -) **محمد** بن **المختار** العلوي الشنقيطي المعروف ب "الطالب محمد" ينتمي إلى قبيلة ايدوعلي، ولد في مدينة شنقيط سنة 1036 / 1626 وهو عام وفاة أحمد بابا التنبكتي حيث كان الناس يقولون : "مات عالم محقق في العام وولد أخر"، وكان أبوه من علماء شنقيط المشهورين وتاريخ وفاته مجهول، لكن عدم ذكره ضمن شيوخ ابنه يوحي بأنه توفي عنه صغيرا.

انكب ابن الأعمش على العلم منذ نعومة أظافره، وأخذ عن عدد من شيوخ بلدته مختلف العلوم الشرعية واللغوية والعقلية، وحرص على رفع أسانيده عن طرقهم ضمن إجازاته لتلاميذه، وكان من أهم شيوخه القاضي عبد الله بن محمد بن حبيب العلوي (ت 1103) حيث أخذ عنه التفسير والفقه بسند كل من سيدي أحمد أيد القاسم الوداني وعلي الاجهوري، وتأليف السنوسي وألفية العراقي في الحديث بسندها عن الشبراوي، كما أخذ عن أحمد بن أحمد بن الحاج العلوي الشنقيطي الفقه بسنده عن سيدي أحمد ايد القاسم الوداني، وكذلك قرأ على الشيخ الحاج عبد الله بن محمد بن أحمد بن عيسى البوحسني المختصر والصحيحين وأخذ عنه إجازات متعددة في علوم شتى، وتميزت علاقة ابن الأعمش بهذا الشيخ بالمودة والرابطة المتينة، وأخذ عن عمر الولي بن الشيخ محمد عبد الله المحجوبي الولاتي صحيح البخاري بسنده عن عبد الرحمان بن مغيا التنبكتي. وتجدر الإشارة إلى أنه رغم ما وصل إليه ابن الأعمش من العلم، فإنه لم يغادر بلدته قط، باستثناء مرة واحدة إلى قرية قرب شنقيط هربا من حرب دارت بين سكان شنقيط، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ازدهار الحركة العلمية في مدينة شنقيط خلال القرن الحادي عشر الهجري.

ولقد اكتسب ابن الأعمش شخصية علمية قوية بين معاصريه، حيث كان جامعا لشتات العلوم المتفرقة ومتخصصا فيها سواء كانت تفسيرا أو حديثا أو أصولا أو نحوا أو حديثا أو بيانا أو لغة أو منطقا أو تصوفا...، كما أنه كان مع هذا العلم المتنوع كثير العبادة، شديد الورع، حيث قال عنه ابن رازگة : "ولا نعرف أحداً بلغ مبلغه من الاجتهاد في العبادة مع ما هو من الاشتغال بالعلم ونفع الخلق عامة وخاصة، فله في كل وقت وظيفة دائمة وهذا مما يعد من كراماته".

وقد كان ابن الأعمش صداعا بالحق قوي الشكيمة، وإن خالف أهواء العامة وأراء الخاصة، فقد كانت له مواقف حازمة في أهم قضايا عصره، حيث عارض حركة ناصر الدين التي تقوم على الكشف والإلهام وناهض دعوة الإمام المجذوب، إذ يرفض ادعاء تحصيل العلم من غير طريقه المألوف، وكان موقفه الحازم من الإمام المجذوب سببا في شهرته بالمشرق وفي إقرار شيوخ الأزهر بتقدمه وسعة علمه، خاصة بعد الرسالة التي أرسلها لهم والتي تحمل أدلة شرعية وأسلوباً خطابياً إقناعياً مثيراً، يفند فيها دعوى الإمام المجذوب، مما أثار إعجاب علماء الأزهر إلى درجة أنهم أرسلوا له عمائمهم إجلالا له، وقد ذكر هذه الحادثة عبد الله بن محمد بن محمد الصغير ابن انبوجة في نظمه المسمى "تحفة المسترشد في ذكر ما للدين من مجدد" حيث قال :

وهو ابن الأعمش الذي أقـــرا	بعلمه الخرشي الرضا بمصرا
كغيره وصححوا ما نقلــــــه	في كتب الجذوب مما أبطلـــه

وقد تربع ابن الأعمش على منبر التدريس فترة طويلة، إذ تخرجت على يديه مجموعة من العلماء، كان من أشهرهم محمد بن أبي بن الهاشم الغلاوي (ت. 1098) وعبد الله بن أبي بكر بن علي بن الشيخ الولاتي (ت 1128) والطالب الأمين بن الحبيب الحرشي الولاتي (ت 1166) وسيدي عبد الله بن محم بن القاضي المعروف بابن رازگة العلوي (ت 1145) الذي لم يكن تلميذه فحسب بل كان من أقرب مترجميه حيث وصفه بـ "العلامة الفقيه النحوي الأستاذ الأصولي العروضي المحدث اللغوي البالغ في كل فن مداه الأقصى، وذو المناقب التي لا تعد ولا تحصى... حفظ القرآن وهو صغير فأقبل على كل علم يرتضع أخلاقه، ويتعاطى بكؤوس التحقيق والتدقيق سلافه، فما لبث أن مهر وبهر وظهر واشتهر، فهو مجلى الحلبة الذي لا يجارى ومبرزها الذي لا يبارى".

ولقد خلف ابن الأعمش الكثير من المؤلفات تناولت مجالات علمية مختلفة، تدل على سعة علمه وتنوع اختصاصاته، من أهمها :

- "*فتوحات ذي الرحمة والمنه* شرح إضاءة الدجنة لأبي العباس المقري"، وكان قد ألفه باقتراح من الحاج عبد الله البوحسني، وقد اعتمد هذا الشرح من قبل الذين جاءوا من بعده، ويقول صاحب كتاب "*الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*" في هذا الصدد : "أن كل شراحها

المتأخرين إذا قالوا قاله الشارح فمرادهم إنما هو الطالب محمد (ابن الأعمش) المذكور".

- "*النوازل*" التي تعتبر أم النوازل في بلاد شنقيط، إذ هي اقدم النوازل وأكثرها انتشارا في تلك البلاد، والمرجعية الأولى لسائر العلماء في الحكم والإفتاء، وقد قال الشنقيطي عنه : إنه أول من أجاد من أهل تلك البلاد في تصنيف النوازل، وكل من ألف فيها ينقل عنه"، وقد تميزت بالتيسير والتسهيل على المسلمين مبتعدا عن التشدد على السائل.

- "*المتن العديدة في شرح الفريدة*" وهي ألفية السيوطي النحوية.

- "*روضة الأزهار في معرفة الليل والنهار*" وهي قصيدة عينية في علم الفلك وشرحها. إلى جانب العديد من المنظومات في النحو والمعاني والبيان والمنطق...

توفي ابن الأعمش العلوي عام 1107 / 1695 بمدينة شنقيط وقبره يعتبر مزارا بها.

ابن رازگة، *ترجمة ابن رازگة لشيخه* ابن الأعمش، مخطوط، خاص ؛ أحمد بن الأمين الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*، مطبعة الخانجي، القاهرة، 1958 ؛ محمد الأمين بن الشيخ محمد الحافظ، *تحقيق نوازل سيدي محمد بن المختار بن الأعمش*، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

الغالية بلعمش

أغسرمت (معركة -) في ليلة السادس من ربيع الثاني 1327 / 28 أبريل 1909 بات المجاهدون يسامرون النجوم حتى الهزيع الأخير من الليل. وبعد أن همدت الأصوات، وسكنت الحركات اقترب المجاهدون من المعسكر الفرنسي في موضع "أغسرمت" (يبعد من أكجوجت الحالية 50 كلم شرقا) وصاروا منه على نصف حيث أناخوا جمالهم وعقلوها ثم ساروا على أقدامهم متتابعين في نسق تام، حتى وصلوا باب المعسكر فوجدوا الحُراس قد مالت أعناقهم من غلبة النُعاس، وما شعر الحراس إلا وأيدي المجاهدين قد أحاطت برقابهم خنقا، فأطلق أحدهم رصاصة، وهو في آخر رمق، فأيقظتْ الرصاصة عناصر المعسكر الذين كانوا يغطون في نوم عميق، فانجفل الجنود في فوضى عارمة، ولعلع صوت الرصاص قاطعا هدوء الليل، وارتفع الصراخ في نواحي المخيم، واستيقظ قائد المعسكر النقيب بابلون محاولا إعادة ترتيب الجنود الذين استطارت قلوبهم وبلغت الحناجر من الذعر، إلا أن النقيب بابلون، وكان من الشجاعة بمكان، لم يلبث أن لقي مصرعه برصاصة أطلقها عليه أحد المجاهدين عن قرب. والراجح أن الذي قتله هو محمد يحيى بن سيدي عبد الله الذي استشهد في تلك اللحظة، وذكر بعضهم أن الذي قتله هو الأمير سيدي أحمد بن أحمد بن عيده، والواقع أن الأمير كان أنذاك في "تورين" ينازل القوات الفرنسية هناك وسيلتحق بعيد ذلك بمعركة أقصير الطرشان.

كان لمقتل النقيب بابلون أكبر الأثر في صفوف قواته، حيث دبّت فيهم روح الهزيمة وتمت إبادة أكثرهم من غير مقاومة. وعم الرعب أرجاء المعسكر ولم يجد الجنود متنفسا إلا في "الفرار بعد أن تكبدوا خسائر كبيرة في الأرواح.

وما وقع في صفوف الجنود، ترجمتُه الحالة النفسية لثلاثة فروا من المعسكر مستنجدين بوحدة الرائد افريرجان الذي يبعد عنهم ثلاثين كلمترا وصلوا إليه دون أن يشعروا بتعب وهم من الخوف يرتعشون ! وكان أول من جاءه من الفارين، خِرِّيت المعسكر يلهثُ وقد عُقل لسانه من شدة الرعب، ثم جاء آخر من المجندين وقد أصابه ما أصاب الدليل من الفزع، ثم جاء أحد الرماة منهارا من شدة الخوف. ويُصور الرائد افريرجان الفزع الذي أصاب هؤلاء الفارين من معسكر بابلون قائلا : "جاء الدليل يلهث متقطع الأنفاس من "أغسرمت" يقول : لقد رأيت التلاميذ وبأيديهم سلاحا رشاشا. جميع الناس ماتوا في أغسرمت والله يرحمني. قالها من شدة الفزع. بعد هذا بوقت قصير جاء "گومي" يدعى محمد بن موجن ويبدو أنه أصابه ما أصاب الدليل من الفزع. وبعيد ذلك سيصل أحد الرماة منهارا بشكل كلي وهكذا أصبح الأمر أكثر خطورة وقد قطع هؤلاء الثلاثة ثلاثين كلمترا على أقدامهم في أقل من خمس ساعات".

ينطبق على هؤلاء الفارين ما قاله الشاعر :

كأن فجاجَ الأرض وهْيَ فسيحة ... على الخائف المذعور كفة حابل

يؤدّي إليه أن كل ثنية ... من الأرض قد ألقتْ إليه بقاتل

تحدث جيلييه Gillier عن مقتل النقيب بابلون وقال إنه : "واجه يوم 28 أبريل 1909 هجوما من مريدي ماء العينين، القادمين من السمارة". وذكر أن ذلك كان خلال الليل وأن الجنود كانوا في هدوء عميق، وفجأة دوت صراخات ؛ إنه العدو الذي استغفل رقابة الخفر ودخل المعسكر. وأضاف أن النقيب بابلون استيقظ عند الطلقات الأولى، فانطلق وأعاد الجنود إلى مواقعهم بعد الارتباك الذي وقعوا فيه. ثم لقي النقيب مصرعه من قبل مجموعة من الأعداء كانوا وسط المعسكر". ووصف جيلييه المهاجمين بأنهم "اجتاحوا المعسكر حتى أستخدمت الحراب، وبصعوبة أخرج المجاهدون خارج المخيم".

وفي رواية للشيخ النعمة بن الشيخ ماء العينين أن معركة "أغسرمت" خسر فيها الفرنسيون أكثر من مائة جندي. فقد ذكر في الأبحر المعينية عند ترجمته لمحمد يحيى بن سيدي عبد الله، مريد الشيخ ماء العينين : "أن صاحب الترجمة هو أول من دخل حصن النصارى يوم "أغسرمت" وقتل رئيسا من رؤسائهم فقتلوه رضي الله عنه" وأضاف الشيخ النعمة : "فهذا اليوم، ولله الحمد، على النصارى، قُتلت فيه منهم أكثر من مائة، وغنموا ما عندهم، واستشهد من التلاميذ إثنا عشر، ومن مشاهيرهم الولي الكامل العارف سيدي محمد بن أحمد محمود". كما استشهد أحمد بن محمد عبد الرحمن بن المبارك بن اليمين الگناني وكان من مريدي الشيخ حسنا

وشهد أكثر المشاهد من جهاد الشيخ للنصارى حتى استشهد في هذه المعركة، كما استشهد أيضا الشيخ محمد بن أحمد بن سيدي أحمد بن الشرقي البركني.

وما ذكره الشيخ النعمة عن العدد الذي مات في الحامية الفرنسية في "أغسرمت" لاشك أنه نقله عن بعض المجاهدين الذين شهدوا المعركة. ولم تكشف الوثائق الفرنسية عن العدد الذي فقدوه في المعركة سوى الإشارة إلى موت النقيب بابلون الذي لا يمكن التستر على موته، خلافا للرماة السنغالية و"الـگوم" الذين عادة لا يولي الحكام العسكريون أهمية لموتهم.

ماء العينين الطالب أخيار

الأغظف (الشيخ -) **محمد**، ولد في 13 ربيع الأول عام 1282 / 1875، بالدار الحمراء التي بناها والده الشيخ ماء العينين قبل بناء مدينة السمارة. تلقى تكوينه العلمي على يد والده، فبرع في كثير من العلوم والفنون، وكان مثالا في الكرم والشجاعة والصلاح والعطف على الضعفاء والمحتاجين، وقد اعتمد عليه والده في كثير من أموره، فاستخلفه في أهله عند سفره إلى السلطان مولاي عبد العزيز عام 1322 هو وأخوه الشيخ النعمة، فسار فيهم بسيرته. كما كان ينيبه في بعض أموره الخاصة، فيعمل فيها على وفق مراده وخاصة في أمور الجهاد، فكان يخبره أدق تفاصيله، كما تشير إلى ذلك الرسائل التي كان يبعثها إليه حول بعض المعارك والغزوات التي كان يتتبع أخبارها ويستقصي جزئياتها. ويطلع والده على نتائجها مثل معركة "الميتان" في يونيو 1908 ومعركة "العزلات" في نفس السنة، ومعركة "المجرية" في نونبر 1908 ومعركة "تنشبيه" في تگـانت في دجنبر 1908، وغيرها. ومما جاء في أحد تقاريره حول المعركة الأخيرة قوله : "ثم بعد ذلك (أي بعد المجرية) سارت إلى (تنشيت)، وهو موضع على حد تگـانت من جهتها القصوى وتلاطمت مع النصارى وقت الفجر وتضاربت معهم في ذلك الوقت وطردتهم عن متاعهم، ثم بعد ذلك رجعوا عليهم حتى أخرجوهم منه، فاستشهد محمد المصطفى بن أحمد بن المصطفى ومحمد بن عبد الرحمان بن عبد العزيز بن حامن وسيدي محمد بن باب وعبد الله بن اعلي اليتيم وعبد الحي صاحب الشيخ سيدي أحمد ومحمد الأمين ابن مسك الغلاوي والمامي بن الحاج بن أبك واثنان من إديشلي، وجرح ددبش ومحمد بن يوسف، ولا بـأس عليهما ولله الحمد، وماتت عشرون من النصارى وفرسين حرتين وخمسين زائلة، وأخذ منهم مدفع وزائلتــان".

بعد وفاة والده الشيخ ماء العينين سنة 1328 / 1910 بتزنيت عاد إلى الصحراء، وهو أول من رجع إليها من أبنائه، فجدد طريقة والده وأحيى ما كان يؤديه في هذه المناطق من أدوار إصلاحية وتربوية، وظل ينسق مع أخيه الشيخ أحمد الهيبة في أمور الجهاد في الشمال، وكذا مع أخيه الشيخ مربيه ربه بعده، وذلك ما يشير إليه أخوه الشيخ أحمد الهيبة في رسالة وجهها إليه في يونيو 1913 يخبره فيها بأحوال الجهاد في الشمال، منها قوله :

(الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده، أخانا الأرضى الاريحي المرتضى الخليفة الشيخ محمد الأغظف، لازلت من المعالي في المحل الأنظف، وافانا كتابك صحبة المقدم السيد محمد امبارك ذاكرا فيه ما تجدد عليك من خبر الوقت لاحل بجانبك المقت، فقد وافانا الشيخ اشْبيهنَّ من الجهة الجنوبية، وما قص إلا ضعف الأعداء وتلاشيهم، ويقين المسلمين واستعدادهم لجهاد عدو الدين... والقبائل جعلت الميعاد عندنا يوم الخميس القابل للجمع والتعاضد والتواثق على النهوض لنصره دين الله، وكونوا على بال من تحصيل مدد الرجال المضبوط ليأتي الجهاد، والسلام، في 7 من شهر رمضان عام 1331 (17 يونيو 1913).

كما كان ينسق مع المقاومة في الجنوب، فبعد مجيء محمد بن المعيوف إلى ناحية الساقية الحمراء، "التقى بالشيخ محمد الأغظف، واطلعه على الحالة التي توجد فيها الوحدات العسكرية الفرنسية في آدرار وأشعره أن الفرنسيين أصبحوا يشعرون بأنهم في مأمن من الهجمات القادمة من الشمال، فرأى الشيخ محمد الأغظف أنه من المناسب شن هجوم على هذه الوحدات في هذا الظرف، فأرسل لكبراء ورؤساء القبائل من الرقيبات وأولاد دليم وتكنة والعروسيين وأولاد تيدرارين يدعوهم للاجتماع لتدارس هذا الأمر، وتم تكوين وحدات تتألف من ثلاثمائة مقاتل، جلها من الرقيبات" وأسند قيادة هذه الوحدات إلى مجموعات الخليل بن اعلي بن الدخيل التهالي، وشنت غارة مباغتة على الوحدة العسكرية الفرنسية في يد لبيرات يوم الجمعة 1 صفر 1331 / 10 يناير 1913، أبادتها عن آخرها. وقد تحدث جيليي عن هذا الهجوم وعن الدور الذي قام به الشيخ محمد الأغظف في الاعداد له وتهييء ظروف نجاحه. كما تمكن هذا الشيخ من دحر القوات الفرنسية بقيادة موري Mouret بعد هجومها على السمارة سنة 1913 وكبدها خسائر فادحة.

بعد الاحتلال الإسباني للصحراء عينه الخليفة السلطاني مولاي الحسن بن المهدي نائبـا عنــه في الأقاليـم الصحراوية.

وبعد استقلال الجزء الشمالي من المغرب جاء إلى الرباط على رأس وفد صحراوي لتجديد البيعة لجلالة الملك محمد الخامس، فألقى بين يديه خطابا يؤكد فيه مغربية الأقاليم الصحراوية ووفاء سكانها للعرش العلوي. وقد ترأس مؤتمـر أم الشگـاگ الذي طالبت فيه القبائل الصحراوية بجلاء الجيوش الاستعمارية عن الأقاليم الصحراوية والتعجيل بالتحــاق هذه الأقاليم بالمملكــة المغربية.

وظل يواصل المقاومة وبث الوعي الديني والتربوي في الأقاليم الصحراوية.

وهو إلى جانب ذلك عالم متمكن وأديب لامع، له أشعار كثيرة في الحمد والتصوف وبعض المنظومات الفقهية والصوفية والخطب السياسية والرسائل الجهادية، وكان يقام على ضريحه بطنطان موسم سنوي تحضره كافة القبائل الصحراوية، وقد توقف هذا الموسم، ثم استأنف نشاطه في شتنبر سنة 2004، وتبنته اليونسكو.

توفي بطنطان في ربيع الأول عام 1380 أكتوبر 1962.

ماء العينين بن العتيق، *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، ورقة 126 - 127، مخطوط خاص ؛ ملف الصحراء الغربية، گاوديو أتيليو، ص. 87 ؛ محمد الظريف، *الحياة الأدبية في زاوية الشيخ ماء العينين*، ص. 497 ؛ الشيخ ماء العينين، *علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوربي*، ج 2، ص. 312 - 313 - 324 - 331 - 411 ؛ جيليي (Gillur) ، *التوغل في موريتانيا*، ص. 170 - 171.

محمد الظريف

إفني، - تاريخ - في سنة 1475 كان الإسباني دييگو گارثيا هيريرا Diego Garcia Herrera يبحث عن نقطة ارتكاز بالشاطئ المغربي المقابل للجزر الخالدات ليتخذها محطة صيد بحري ومركز متاجرة مع المغرب، وتمكن - في ساعة غفلة - من احتلال قلعة مغربية سماها : الصليب المقدس للبحر الصغير. Santa Cruz de mar pequena وهو موقع لم يعرف بالضبط، ولا وجود له بالخرائط الجغرافية المعتمدة. وعلى الرغم من ذلك، ظلت الحكومات الإسبانية تطالب به في كل مناسبة، لكن دون جدوى، إلى أن تمكنت بتواطئ مع الحكومة الفرنسية من احتلال منطقة إفني في أبريل 1934، ونشر الإسبان حمايتهم على المنطقة، وبدون سابق إنذار أو أية استشارة ألغوا الحماية وجعلوها منطقة سيادة Sobernia إسبانية، وكيفما كان الحال، فإدارتها كانت خاضعة لسلطات تطوان مقر خليفة جلالة السلطان.

ويجدر بالملاحظة أن إسبانيا لم تتمكن من احتلال كل المنطقة التي كانت تطالب بها في المعاهدات، معاهدة حرب تطوان، والمعاهدة الودية مع أنجلترا 1904، ومعاهدة الحماية مع فرنسا 1912 بل ظلت منطقة هامة في أقصى الشمال وفي أقصى الجنوب الشرقي، غير خاضعة للسلطة الإسبانية.

كان من المنتظر استعادة إفني إلى حظيرة الوطن، بعد اعتراف إسبانيا باستقلال المغرب (أبريل 1956) ولكن حكومتها في معاهدة مدريد المبرمة في ذلك الشهر، أبت ذلك، فاندلعت ثورة في نوفمبر 1957 أسفرت عن استرجاع المغرب للمنطقة في ثلاثين من يونيو 1969.

عبد الله العمراني، *اقتصاديات المغرب*، مخطوط.

Alcaraz, J.Cabello ; *Apuntes de Geog. de Marruecos*. Tetuan, 1950-51, La Fuente ; Domenech, *Del Territorio de Ifni*, Madrid, 1946.

عبد الله العمراني

إفني (سيدي -) : هو إسم لولي صالح أو ما يسمى محليا ب "اگرام"، وهو مدفون، منذ زمن غير معروف، على تلة صغيرة في الضفة اليمنى لوادي إفني / "أسيف إفني"، في ضواحي المدينة. وقد اختلفت الروايات حول أصل هذا العلم.

- ولمعرفة الولي الصالح، لسيدي إفني، سيدي علي أو (ابن) محمد أو (إبن) عالي اعزى أو (إبن) سيدي إفني، من الأفضل أن نتناول بالدراسة التسمية الثانية - كما يقول طوماس كودوي مالباريث. فما هو متواتر محليا هو تلك الكلمات الأربع التي تعادل : سيدي : سيدي، علي : الإسم، محمد : إسم الأب، علي : إسم الجد، اعزى : إسم النسب الذي تحمله زاوية أسا التي ينتمي إليها. إفني، بدون شك، أيضا هو إسم نسب له ارتباط بالموضع الذي توجد فيه القبة الموافقة له.

إن كلمة إفني ليست واضحة الاشتقاق فهل هي من الفناء والانقراض والموت. غير أن السؤال المطروح هو : من أخذ إسم الآخر ؟ أأخذ الولي الصالح إسم المكان، أو أخذ المكان إسم الولي الصالح ؟

فبالإضافة إلى سيدي علي إفني الولي الصالح، هناك خمسة عناصر متميزة يمكن إدراكها بالصوت "إفني" : منطقة إفني، مدينة سيدي إفني، عين إفني، أسيف إفني، سيدي إفني.

- أن إفني ينحدر من ركراگة الشياظمة، كان هو وزوجته يرعيان ماشيتهم بالقرب من إداو وفقير دوار يطل على وادي إفني، وبنى بعد ذلك كوخا واستقر به حيث كان كثير التعبد، إلى أن توفي هناك ولم يخلف أبناء. ولعل إفني من الفناء أي أنه قضى بهذه المنطقة وبنيت عليه قبة.

ولما كثرت زيارة ضريحه وهو مجهول لا يعرف له إسم، اقترح أحد الفقهاء الذين كانوا في الزاوية التي بنيت حوله فيما بعد أن يجدوا له إسما. ودعا بعض الناس واختاروا عدة أسماء ووقعت القرعة على إسم علي وسمي بذلك بسيدي علي إفني، وهكذا اتخذ الولي إسم المكان خلافا للرواية السالفة الذكر أعلاه. فسيدي إفني الولي الصالح شأنه شأن الولي الصالح سيدي الغازي الذي لا معروف له تاريخ، غير أنه من المرجح أنهما أتيا في نفس الفترة الزمنية واستقر الأول بسيدي إفني واستقر الثاني بگلميم.

وهناك نظم محلي متواتر عند أهل المنطقة يقول :

سيدي الغازي في گلميم وسيدي علي أفني

رجال أسا والسلام لا نبقى منسي منفي

ويقام حاليا حول ضريح سيدي إفني لقاء سنوي يجتمع فيه حفظة القرآن في اليوم الأول والثاني من شهر فبراير من كل سنة.

2) وقد احتل الإسبان هذا المكان بناء على اتفاقية تطوان المبرمة مع المغرب سنة 1860.حيث تشكلت عدة لجان لتحديد مكان سانطا كروث دي مار پيكينيا. وفي سنة 1878 استقر اختيار البعثة الإسبانية على إفني التي وجد بها أثر حصن قوي قديم زعم الإسبان أنه هو ذلك الحصن الذي بناه البحارة دييگو هريرا مابين 1466 و1478 وهي المدة التي قضاها هريرا على رأس منطقة النفوذ بجزر الكناري، وربما حوالي 1476 الذي تم فيه بناء أول حصن إسباني على القارة قبالة الجزر.

وفي رسالة بعث بها حاكم طرفاية في 14 يوليو سنة 1933 إلى أمغار سعيد سأله فيها اللقاء بأعيان آيت باعمران والاتفاق معهم ومعرفة المكان الذي يريدون أن تكون به المرسى، ولدعم موقفه هذا حاول أن يرافقه إلى آيت باعمران الشيخ محمد الأغظف لما لأهل الشيخ ماء العينين آنذاك من سلطة رمزية لدى قبائل آيت باعمران.

وفي نفس السنة أبحر القائد الإسباني ادواردو دوني والشيخ محمد الأغظف وأخوه بشرايا واحد المترجمين وبعض الجنود إلى شاطئ سيدي إفني قادمين إليها من مدينة طرفاية. ولما وصلوا إلى شاطئ المنطقة، وجدوا أعيان آيت باعمران لم يصفوا بعد بعض الخلافات فيما بينهم، إذ اختلفوا حول كيفية التعامل مع هؤلاء القادمين. ومن تم أسر القائد الإسباني ومن معه. وقتل من بينهم الشيخ بشرايا والمترجم وجرد الشيخ محمد الأغظف من بعض أمتعته، وأطلق فيما بعد سراح القائد الإسباني والآخرين الباقين وعادوا إلى طرفاية.

وبعد سنة تقريبا من ذلك، أي في 6 أبريل من سنة 1934 أبحرت سفينة إسبانية أخرى إلى بحر سيدي إفني وعلى متنها الكولونيل اسفالدو مونتس كيباث. وبقيت سفينته رأسية فوق الماء حتى توصل بموافقة مكتوبة من أعيان آيت باعمران بالنزول إلى البر حتى لا يلقى مصير سابقيه. ودخل المنطقة واتفق مع أعيانها بدوار أمزدوغ ووقع معهم هناك اتفاقية بموجبها يدخل الإسبان إلى سيدي إفني محترمين أعراف وشؤون السكان المحليين وشعائرهم الدينية.

وعناية بالورع الكبير الذي يخصصه الباعمرانيون للولي الصالح سيدي إفني، منحت السلطات الإسبانية إسمه إلى عاصمة المنطقة. لأن التسمية الحقيقية للمكان الذي كان موجودا عندما وقع الاحتلال بتاريخ سادس أبريل سنة 1934 هو امزدوغ.

ومع دخول الإسبان إلى المنطقة وعلى مقربة من قصبة امزدوغ تكونت بسرعة عدة خيام حيث استقرت بها عدة عائلات من الرحل شكلوا مجموعة من الرجال والنساء والأطفال، وشكل ذلك فيما بعد نواة لتجمع بشري يستفيد من الإعانات التي كان يقدمها الإسبان.

وتوسعت المدينة حيث عرفت بحدودها القريبة : يحدها من الشمال جماعة آيت اخلف ومن الجنوب جماعة مستي انطلاقا من ضريح سيدي أحمد الركيبي وجبال لارويا الصغيرة والكبيرة ومن الشرق جماعة مستي انطلاقا من جبل بولاعلام ووادي وعين سيدي إفني ومن الغرب المحيط الأطلسي. لقد شيدت هذه المدينة على السفوح الشديدة الانحدار لوادي إفني، وبذلك أصبحت محصورة بين البحر والجبل وتوسعت نحو الشمال وقد قسمها الوادي إلى قسمين : إفني المدينة على الضفة اليمنى وكولومينا على الضفة اليسرى.

وعرفت إفني في أول الأمر بناء تكنات عسكرية للجنود الإسبان. إذ أن أول ما فعلته إسبانيا من الأعمال أن مهدت لبناء مدينة (إفني) ولمحل المطار لنزول الطائرات. ولما انتهت الحرب الأهلية الإسبانية سنة 1939 التي انتصر فيها الجنرال فرانكو بدأت سيدي إفني تعرف تزايدا سكانيا وعمرانيا يضم العديد من المرافق الاجتماعية والترفيهية. ومنذ تشكل حكومة إفريقيا الغربية الإسبانية في 1946، التي تجمع محمية إفني والصحراء الإسبانية، أصبحت إفني عاصمة كل هذه الأراضي ومقر الحاكم العام.

وسيدي إفني، هي رأس حكومة إفريقيا الغربية وعاصمة تلك الرقعة الترابية الصغيرة ذات 2500 كيلومتر مربع، وقد وصل عدد سكانها سنة 1947 إلى ما يقرب من 13000 نسمة، مزودة بتجهيزات وخدمات مثل تلك التي تقتضيها الساكنة الحديثة : المستشفى المدني والعسكري والمجموعة المدرسية، والمدارس البلدية، ورعاية المتمدرسين الصغار، ومزارع للتجارب الفلاحية وتربية الدواجن.

وأصبحت سيدي إفني في الحقبة الاستعمارية منفتحة أكثر على إسبانيا والجزر الخالدات خلال إنشاء الرصيف البحري بها. وفي سنة 1953 بني ميناء صناعي به عربة معلقة لنقل الأشخاص والبضائع بين البحر والبر. وتميزها بتلك البنايتين داخل البحر (الدار الأولى والدار الثانية كما يسميها السكان المحليون) اللتين كانتا مرسى السفن القادمة من إسبانيا والجزر الخالدات، المحملة بالمسافرين والمواد الغذائية ومواد البناء ورؤوس الماشية والعتاد العسكري وغيرها.

وسكن المدينة إبان الفترة الاستعمارية خليط من الإسبان ومن مختلف قبائل آيت باعمران ومن القبائل الصحراوية من أاولاد أبي السباع و أولاد بوعيطة وآيت الحسن والشناقطة والقادمين من قبائل الريف والسراغنة وعبدة، حيث انخرطوا في الجندية وعملوا في الإدارة الاستعمارية واشتغلوا بالتجارة والسياقة والترجمة وغيرها.

وفي الفترة مابين سنتي 1957 و1969 كانت إفني مفصولة عن منطقتها الخليفية كما تضخمت حاميتها العسكرية. وفي عام 1969 أعيدت المدينة إلى المغرب، وأخليت آنذاك من جميع سكانها الإسبان.

ولما استقلت مدينة سيدي إفني عن إسبانيا سنة 1969، ألحقت إداريا بدائرة كَلميم. غير أنها ما لبثت أن ألحقت بعمالة تيزنيت فيما بعد.

وقد عرفت المدينة تزايدا سكانيا وعمرانيا متواضعا جدا خلال أربعين سنة الماضية، ولم تعرف تنمية محلية تستجيب لتطلعات الساكنة رغم توفرها على الإمكانات المتاحة لذلك. الشيء الذي جعلها تعرف عدة ظواهر اجتماعية كالهجرة إلى الخارج مثلا. ولما تم التشديد على إجراءات الهجرة عرفت ظاهرة "الحريك" والعطالة.

والمدينة اليوم تحمل إسم عمالة سيدي إفني التي تم الإعلان عنها مؤخرا بشكل رسمي.

رسالة من حاكم طرفاية إلى أمغار سعيد حول اختيار المكان الملائم لإقامة مرسى بالمنطقة بتاريخ 14 يوليو 1933 ؛ *وثيقة*

اتفاق الإسبان مع قائد وشيوخ وأعيان آيت باعمران سنة 1934 ؛ مقابلات مع مسنين من سكان المنطقة ربيع 2009.

D.Galo Bullon Diaz : *Notas sobre geografiá humana de los territorios de Ifni y del Sahara.* Madrid, 1944 - 45 ; E.A.G : El Director General De Marruecos y Colonias Visita Los Territorios Del Africa Occidental Española, *Africa*, Numeros, 63 - 64, Mayo-Abril, Ano, 1947, Madrid ; Carnero Ruiz : Del Territorio Del Ifni, Hechos Y No Palabras, *Mauritania* Ano XXII num. 254, Enero De 1949 ; Tomas Godoy Malvarez, Algunos aspectos de la ciudad de Sidi Ifni, *Mauritania* Ano XXIII Num, 266, Enero, 1950 ; Pascon P. : *Les Ruines D'Agouitir De khnifis, Province de Tarfaya* (Santa Cruz De Mar Pequena), Publication de l'Institut de Sociologie de Rabat, 1963 ; Oliva Pierre : Note sur Ifni, *Revue de Géographie du Maroc*, n° 19, 1971.

محمد شرايمي

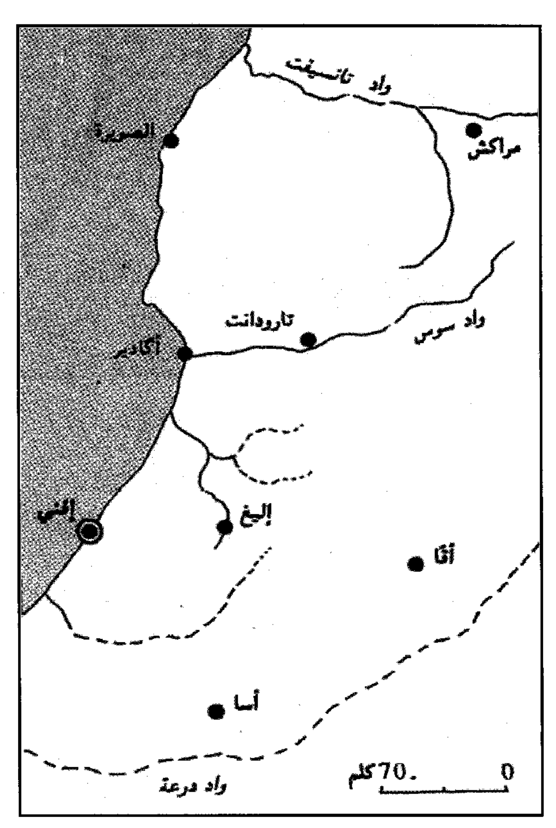
إفني، - جغرافيا - مدينة تقع جنوب أگادير على الساحل الأطلنتي، وتعرف أيضا باسم سيدي إفني نسبة إلى دفينها الولي الصالح سيدي علي إفني. تنتمي إداريا إلى إقليم تزنيت، ترتبط بمدينتي گلميم في الجنوب الشرقي وتزنيت في الشمال - الشرقي بطريقتين ثانويين.

هذه المدينة الحديثة تم تشييدها حول مصب أحد أودية الأطلس الصغير الغربي الموسمية وهو أسفْ - ن - أفني الذي يقطع هضبة ساحلية مستوية عبارة عن شريط ضيق لا يتجاوز متوسط عرضه 1000م، ينحصر عند ارتفاع متوسطه 50م بين الجرف الساحلي وجبال بوعلام وبيگرس. ويتميز ساحل إفني بكونه من نوع السواحل البنيوية الأصلية، تخطيطه مستقيم يعطي أجرافا صخرية تحادي هضبة قارية ذات عمل ضعيف أقل من 50م وتواجه عبابا عنيفا في أغلب الأوقات. وهذا الوضع لا يسمح بتراكم الرمال إلا عند مصب الوادي المذكور الذي يشكل وضعا محميا يوفر شاطئا ضيقا.

تتمتع إفني بخصائص ومظاهر حضرية متميزة داخل المغرب تجعل منها "مدينة ثكنة"، وهذا لا يمكن تفسيره إلا بظروف نشأتها وتطورها التي ارتبطت بدخول الاستعمار الإسباني إلى منطقة آيت باعمران سنة 1934. ذلك أنه نظرا لموقعها الاستراتيجي الذي سمح بالإنزال البحري ويوفر أرضا مستوية صالحة لإقامة مدرج للطائرات، تم التخطيط لها لتكون قاعدة عسكرية تمكن من مراقبة قبائل آيت باعمران والمستعمرات الإسبانية الأخرى بإفريقيا الغربية والطريق المؤدية إليها. وهكذا تم الشروع في بناء المدينة التي اكتمل نسيجها سنة 1949 وأخذت وظيفة وتشكيلا حضريا

يعبران عن هواجس المخطط العسكرية لم تستطع مدينتنا التخلص منها رغم عودتها إلى الوطن الم منذ سنة 1969 وعلى الرغم من كون المستعمر لم يعمر بها طويلا.

قبل الاستقلال : خلال هذه الفترة اتخذت المدينة وظيفة عسكرية تتمثل في عدد الثكنات المتوفرة بها، وفي المساحة الهائلة والتوزيع المحكم الذي تحتله داخل النسيج الحضري. وفي غياب المعلومات الكافية، يبدو من خلال ضخامة الثكنات أن عدد أفراد الحامية العسكرية الإسبانية كان كبيرا.



انطلاقا من سنة 1947 بدأت مدينة إفني تشغل وظيفة سياسية وإدارية إذ أنها أعلنت عاصمة "لحكومة أفريقيا الشمالية الإسبانية" التي تضم مستعمرة آيت باعمران ومستعمرة الصحراء المغربية فأصبحت تكون مقرا للحاكم العام. لكن هذه الوظيفة لم تدم طويلا إذ تحولت المدينة على إثر تدخل جيش التحرير المغربي واسترجاعه لأراضي قبائل آيت باعمران سنة 1957، إلى ثكنة عسكرية حقيقية لا تدافع إلا عن نفسها. وقد أظهر هذا الأمر أن مدينة إفني لم تستطع أن تتقلد غير الوظيفة التي نشأت من أجلها وهي الوظيفة العسكرية إضافة إلى ما ارتبط بها من أنشطة تجارية وفلاحية محدودة يزاولها فلاحون صغار على طول أسيف - ن - إفني وأما البحر الذي يوفر ثورة سمكية هائلة فإن إفني لم تتمكن من الاستفادة منه بسبب غياب التجهيزات اللازمة فبقي حكرا على صيادي جزر كناريا.

إن إفني التي يمكن حصر عدد سكانها عند الفترة الأخيرة من مرحلة الاستعمار في حدود 26000 نسمة، 50% منها عن الجيش و30% منها من المغاربة، كانت مدينة منقطعة عن الأراضي المغربية المحيطة بها وهي بذلك تشكل مدينة اصطناعية، أنشأت صدفة، تدعم ميزانيتها الدولة الإسبانية بنسبة 80 %.

بعد الاستقلال : عند مطلع سنة 1969 تخلت إسبانيا عن مصالحا الاستعمارية بمنطقة فعادت المدينة إلى الوطن الأم ورحلت عنها الحامية العسكرية الإسبانية

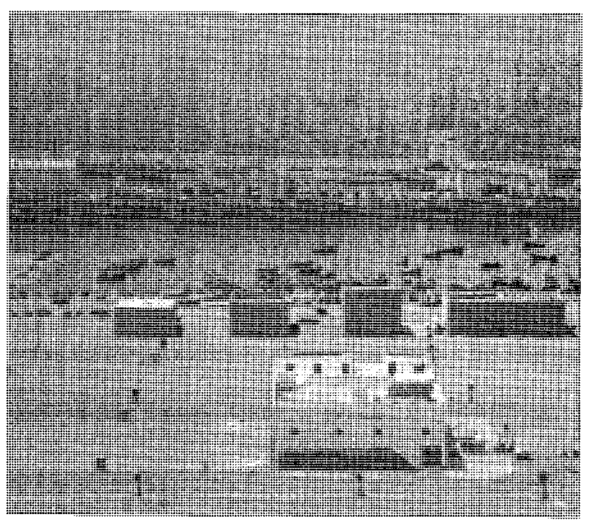
وهجرتها الجالية الأوربية، فانخفض عدد السكان بشكل مفاجئ إذ بلغ حسب إحصاء 1971 حوالي 650 نسمة. وظهر منذ الوهلة الأولى مشكل إعادة هيكلة المدينة ودمجها في الاقتصاد والتراب الوطنيين. وهكذا اتخذت تدابير عاجلة تمثلت في إعفاء ضريبي لمدة خمس سنوات و تزويد البلدية ببعض الإعانات المالية وإعطاء بعض الامتيازات للسكان الأصليين، كما تم إعلان مدينة إفني جماعة حضرية وعاصمة إدارية لقبائل أهل الساحل وآيت باعمران التي كانت تابعة في السابق لمدينة كلميم. وفي نفس الوقت تم العمل على وضع مخطط للتنمية انطلق من الرصيد العقاري المهم والتجهيزات الأساسية العصرية المتوفرة : الثكنات العسكرية التي تحتل مساحة مهمة داخل النسيج الحضري : مستشفى، 3 مستوصفات، 4 مدارس، مدرج للطائرات، مرسى صغير عبارة عن منصة حديدية داخل البحر تربطها باليابسة ناقلات محمولة، يضاف إلى تجهيزات ترفيهية مختلفة... وقد تم العمل أيضا على فك الحصار الذي كان مضروبا على المدينة، فتم ربطها بتزنيت وكلميم بواسطة طريقين ثانويين. إضافة إلى هذا توسيع قطاع التعليم عن طريق خلق مؤسسات ثانوية، وظهرت محاولة لانعاش السوق العقارية فأنجزت بعض التجزئات السكنية... لكن هذه التدابير لم تكن كافية لخلق النشاط الاقتصادي المتوخى، كما أنها لم تمكن من دمج المدينة بصفة كلية في المجال الوطني. لذلك سجلت مدينة إفني نموا ديمغرافيا ضعيفا لا تتعدى نسبته 10,56 % في السنة. بحيث انتقل عدد السكان خلال 11 سنة (1982) من 12600 نسمة إلى 13560 فقط. ويعزى هذا الوضع إلى كون المدينة بقيت بعيدة عن محور العبور إلى الصحراء المغربية كما أنها لم تستقبل أي مشروع يمكنه أن يكون محركا حقيقيا للتنمية وإن كان قد شرع مؤخرا في بناء ميناء جديد من أجل استغلال الثروة السمكية وتم في نفس الوقت التفكير في خلق وحدات صناعية ترتبط بهذا المشروع.

وقد أصبحت إفني منذ 1971 تشكل العاصمة الإدارية لقبائل آيت باعمران بعدما انتزعت من يد الاستعمار الإسباني. هذه القبائل هي : الخمس، صبويا، امستتن، آيت بوبكر، وآيت عبد الله. تتوزع إداريا إلى 4 جماعات قروية هي : اثنين أملـو، ثلاثاء صبويـا، أربعاء مستي، وخميس تويفزة، تنحصر بين قبائل آيت لحسن وأولاد بوعيطة من جهة الجنوب، الأخصاص من الشرق وآيت برييم وأهل الساحل من الجهة الشمالية.

والمجال الذي تستوطنه هذه المجموعة البشرية يتوافق من الناحية الطبيعية مع الوحدة الجغرافية المعروفة بإسم كتلة إفني التي تشكل النهاية الغربية للأطلس الصغير الغربي. وهي عبارة عن منطقة ذات مشهد تضاريسي جبلي وارتفاعات متوسطة (جبل فوكو 1250م) تتخلله منخفضات داخلية ضيقة مثل منخفض تكراكرا، ومنخفض مستي، وتحاذيه على طول الساحل الأطلنتي هضبة ضيقة ومستوية تشرف على البحر بجرف واضح، وتقطعها مجموعة من الأودية، إضافة إلى هذه التضاريس الجبلية الوعـرة تتميز المنطقة بمناخ جاف يرتبط بندرة التساقطات (إفني مثلا 147مم / سنة) وبتركزها في عدد قليـل من أيـام السنة. ولعل هذه الظروف الصعبـة هي المسؤولـة عن فقر التربـة ونـدرة المياه، وهي التي تفسر قدم وأهمية الهجرة الداخلية والدولية.

إن الاستراتيجية العغسكرية التي حددت شروط ظهور إفني نجدها تطبع المدينة وتحدد تصميمها ومرفلوجيتها، ذلك أن أسيف -ن- إفني الذي يشكل مجالا مغروسا داخل النسيـج الحضري يفصل المدينة إلى شطر جنوبي وشطر شمالي جاء ليفك التكدس الذي يعرفه الشطر الأول.

يمتد الشطر الجنوبي من المدينة على مساحة مستوية مهمة يشغل منها المطار والثكنات العسكرية الملحقة به أكثر من 3/4 مجموع مساحة المدينة، وبذلك فإن هذا المطار لم يترك بينه وبين الوادي إلا مجالا ضيقا ووعرا تخترقه مجموعة من الشعاب الضيقة بنيت فوقه الأحياء المختلفة المكونة للنسيج الحضري. هذه الأحياء تخضع في توزيعها لنوع من الترتيب بين البحر والجبل حسب مدى صلاحية الأرض للبناء. وهكذا فإن الحي الإداري شيد على موضع يشرف على البحر مباشرة، وخلفه تستقر الأحياء السكنية العصريـة والحي التجاري، ثم نجد الأحيـاء السكنيـة التقليديـة المتصلة بالجبل مثـل حي "برابر" أو المشيدة عنه الشعاب المذكورة مثل "درب الكوز". وإن هذا الشطر الجنوبي من المدينة يضم الأنشطة المتوفرة كما أنه يضم كل التجهيزات الأساسية مثل المطار والميناء.



ميناء سيدي إفني

أما الشطر الشمالي فإنه يحتوي على حي عسكري عبارة عن ثكنة منعزلة تشرف على البحر شيدت على مساحة واسعة تتجاوز مساحة ثكنات الشطر الجنوبي. إضافة إلى هذا يتكون هذا الشطر من حي سكني عصري يسمى حي للامريم (حي كلومينا سابقا) يفصله عن الثكنة مجال واسع وفارغ يجعل هذا الشطر مؤهلا لاحتضان مشاريع توسيع المدينة في المستقبل. ونظرا لتركز كل الأنشطة بالشطر الجنوبي من المدينة فإن سكان الشطر

الشمالي يتحتم عليهم التنقل باستمرار إلى هناك الأمر الذي دعا إلى ربط الشطرين بالحافلة.

يبدو إذن أن إفني مدينة نشأت صدفة، ثم فقدت ديناميتها فجأة بعدما تمت إزالة أسباب ظهورها التي كانت عابرة، فوجدت نفسها بعد جلاء الاستعمار عنها أمام عوائق كبرى تحول دون إعادة تنشيطها رغم تعدد مجالات دمجها وربطها بباقي أجزاء التراب الوطني ولعل أهم هذه العوائق يكمن في عزلتها وفي ندرة المياه بها وبالمجال المحيط بها.

P. De Cenival et Al, Possessions espagnoles sur la côte occidentale de l' Afrique, *Hesp. , T XXI, Fasc. 1 et 2, p. 19-66* ; P. Oliva (1971), Note sur Ifni, *R.G.M. N° 19 ,pp 85-96* ; S.Heraute, Les conditions de l'occupation espagnole à Ifni, A.F.Juin 1934, p. 338 - 341 ; F.Hernandez-Pacheco (1958), Caracterésticas generales geografico-geologicas del territorio de Ifni, *Archivos del instituto de Estudio Africanos, año X, N° 45.*

الحسن المحداد

أكجوجت (معركة -) 11 صفر 1326 (16 مارس 1908 كتب الرائد جيلييه Gillier في حديثه عن سوء اختيار موقع "أكجوجت" أنه كان في صالح المجاهدين أكثر منه لصالح القوات الفرنسية، وانتقد فكرة إنشائه، وأناط به الكثير من إخفاقاتهم وقال : "لقد كان إنشاء موقع "أكجوجت" سنة 1908 سببا لأولى إخفاقاتنا. فالمنطقة التي اختيرت لإقامة هذا الموقع وإن كانت من أهم المناطق إذ تحمي "الترارزة" من جهة المنافذ الجنوبية "لآدرار... إلا أن اختيار محل الموقع مريح، إذ يحتل مركز مسرح لصخور عظيمة تمكن العدو من مراقبة الموقع بسهولة".

كانت معركة "أعكيلت الرفكة" من أشد المعارك شراسة، وقد استمرت عدة ساعات اشترك فيها أكثر من مائتي مقاتل من الترارزة وإدوعيش وآدرار، بالإضافة إلى سريتين من رجال الشيخ حسنا، إحداهما بقيادة عبد الله بن باريك وتتكون من ستين رجلا، والأخرى بقيادة محمد بن السيّد الدليمي وتتكون من خمسين رجلا. في هذه المعركة تكبدت الوحدات الفرنسية خسائر في الأرواح والعتاد وبالرغم من تكتم الفرنسيين على ذلك فقد اعترفوا بمقتل النقيب بو، وجرْح الملازم اسباهي.

ويقول محمد سالم بن محمد فاضل بن حبيب نقلا عن والده، وقد شهد هذه الوقعة، إن المجاهدين شنوا هجومهم بُعيد الزوال بقليل وإن لم يكن منظما التنظيم المطلوب، لكنهم نجحوا في اختراق الخطوط الأمامية للمعسكر وكادوا يكتسحونه في بداية الأمر لولا نيران المدفع الرشاش التي تعرضوا لها. وذكر أن قائد إحدى كتائب المجاهدين (التلاميذ)، وهو عبد الله بن باريك، كان شديد الحماسة والاندفاع في القتال إلى حد التهور، وكان يرفع صوته بالآيات القرآنية الواردة في الجهاد والشهادة في سبيل الله. وأضاف محمد سالم ـ حسب ما روى عن والده

ـ أن المجاهدين توزعوا إلى جناحين : محاولين تطويق الحامية. وذكر أن سرية عبد الله قصدت ناحية المعسكر الذي يوجد فيه الفرنسيون والرماة (صنادرة)، وأن باقي المجاهدين قصدوا ناحية المعسكر الذي فيه "الـگوم" واقتربوا منه جدا حتى أن بعض المجاهدين استطاع اقتحام الحظيرة المحيطة بالمعسكر. وبعد إطلاق نار كثيف، تراجع المجاهدون إلى الوراء بعد أن قتلوا قائد الحامية وأصابوا نائبه. واختلف في قاتل قائد الحامية، فقيل قتله الأمير سيدي بن محمد فال، وقيل إن الذي قتل النقيب هو السالك بن أيِّيهْ، وأن الذي جرح نائب النقيب هو أحمد بن أيِّيهْ، أخو السالك. ثم انسحب المجاهدون بعد صلاة العصر واستاقوا معهم عددا من جمال الحامية وكانت خسائرهم عشرة شهداء وأصيب أكثر من ثلاثين منهم بجروح.

أما الرواية الفرنسية عن هذه المعركة فقد أوردها الرائد جيلييه كما يلي : "في الساعة 14،30 أشارت فرقة حراسة المواشي إلى وجود مجموعة من البيضان مسلحة بالبنادق قادمة من الشمال الشرقي، فأدخلت الجمال فورا في الحظيرة. واجتمع الرماة و"الـگوم" استعدادا لمواجهة الهجوم. والبيضان في حدود المائتين فيما يبدو، وجزء كبير منهم على الخيل والباقون على الجمال. وكانوا يتقصون أثر دورية شميتْ Schmitt. ونزلوا إلى الأرض على بعد 800 أو 900 مترا محتمين بكثيب صغير وربطوا مطاياهم. وانقسم البيضان إلى مجموعتين وتقدموا للهجوم، ولما وصلوا إلى بعد 400 متر تفرقت المجموعات، وانبطحوا وأطلقوا النار، وقد كان الرماة يستخدمون الأرضية بصورة ممتازة. وبما أنهم مزودون من الذخيرة بغزارة بدأ البيضان منذ الوهلة الأولى بإطلاق نار عنيف، وكان موجها خاصة نحو الأوربيين، إذ كان البيضان يميِّزونهم بدقة، بفضل حدة أبصارهم. فجُرح النقيب ريـو Repoux للمرة الأولى في رقبته ومنكبه، واستمر يقود المعركة حتى سقط ميِّتا بفعل رصاصة في جبهته. فأخذ الملازم شيمتْ القيادة، وجرح هو نفسه في ذراعه اليسرى واشتد عليه ضغط المهاجمين الذين كادوا يحيطون به، فحاول القيام بمناورة حربية، فأوقف إطلاق النار. وبعد ربع ساعة من ذلك ظـن البيضان أن ذخيـرة القناصة نفذت. فقاموا وارتموا عليهم، ولكن إطلاق نيران سريعة ومحكمة طرحت عددا كبيرا منهم أرضا، وكسرت اندفاعهم، وأجبرتهم على التخفي من جديد. ومنذ تلك اللحظة يبدو أنهم فقدوا تماسكهم، وتناقصت دقة طلقاتهم، فانتهز شيمتْ الفرصة للتقدم ميدانيا على جناحهم.

وفي الساعة الرابعة والنصف قام أرنو بصد محاولة من مجموعة من البيضان ضد حظيرة الجمال. وفي الساعة الخامسة سمع كولبالي الذي كان عائدا من "اسويت" أصوات المدافع فهاجم البيضان من الخلف فحاول هؤلاء التصدي له ولكن عند بداية إطلاق الدورية النار أمر الملازم شيمتْ رجاله بالتقدم فقاوم البيضان لحظات ولكنهم اختشوا على مطاياهم فسارعوا نحوها وأطلقوا النار وامتطوا مطاياهم وفروا في اتجاه

"أطار"... وكانت خسائرنا من القتلى : النقيب ربو وقتل أحد القناصة إلى جانبه. والجرحى الملازم شيمتْ وأحد القناصة. وخسر البيضان العديد من القواد و12 جثة تركت في الميدان، وجرح سيدي بن سيدي المطالب بالإمارة في "الترارزة" ثلاثة جروح. وحُمل كثير من الجرحى إلى "أطار"، وسقط بأيدينا 10 بنادق و30 جملا و80 ثورا وبعض النعاج والحمير".

في هذه الآونة تم دعم ألوية المجاهدين بتعزيزات قادمة من "السمارة" تحت قيادة الشيخ الولي بن الشيخ ماء العينين مما كثف هجمات المجاهدين ضد المعسكرات الفرنسية. وعن هذه التعزيزات تكشف رسالة جوابية بعث بها الشيخ ماء العينين إلى ابنه الشيخ حسنا : "... ابننا قرة أعيننا، حسن ... وبعد فليكن في كريم علمك أنا وصلنا مكتوبك الذي مع محمد وعبد الله ومكتوبان بعد ذلك بأيام مع المختار وتصفحنا ما في الجميع من الخبر ولا باس إن شاء الله إن الله معنا ونرجو الله أن يرد الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وأن يكفي المؤمنين القتال فإنه قوي عزيز. والآن ها نحن أرسلنا لك أخاك الولي رجاء من الله أن يتولانا ويتولاكم... وأما تحريض المؤمنين على جهاد الكافرين فإنه واجب لامتثال أمره تعالى واقتفاء أثره (ص) وبشر نفسك وبشر المسلمين بأن النصارى ولله الحمد صاروا منسفلين وعن المسلمين منحدرين لأجل إقامة مولاي عبد الحفيظ للجهاد وتحريضه للمسلمين عليه... وليس على من هنالك من المسلمين إلا أن يقوموا إليهم على ساق الجد مرة واحدة ويتركونهم إن شاء الله كلا شيء والله ينصر المسلمين في كل البلاد ويبلغ لنا ولكم المراد وعلى المحبة والسلام في 26 من المحرم عام 1326 عبيد ربه ماء العينين بن شيخه الشيخ محمد فاضل بن مامين" (1 مارس 1908).

مناوشات قرب "أكجوجت" ومعركة "إگنينت التيكويت" :

جرت هذه المناوشات بين المجاهدين وبين تجردة عسكرية فرنسية بالقرب من مركز أكجوجت في "إينشيري"، وبعد اشتباكات سريعة سقط عدد من جنود التجردة الفرنسية واستولى المجاهدون على جميع الجمال التي كانت بحوزة التجردة.

ويتحدث الباحث بيير بونت (Pierre Bonte) عن هذا الاشتباك مشيرا إلى الخسائر التي تكبدتها التجردة الفرنسية، ويقول : "في 21 ماي 1908 حاولت تجردة بقيادة الملازمين أوبير وكوتانس الخروج لطرد المقاومين المتخندقين في الأحراش الجبلية المحيطة بالمركز (أكجوجت) إلا أنه سرعان ما تم الإيقاع بها، فكان عليها أن تنسحب إلى داخل المركز بعد أن تكبدت أربعة قتلى وخمسة عشر جريحا. وأخطر من ذلك هو الاستيلاء على كل جمال المركز التي كانت في المرعى القريب".

جرت هذه المناوشات في 21 مايو. أما معركة "أگنينت التيكيوتْ" جنوبي مركز "أكجوجت" فقد نشبت في اليوم الموالي أي في الثاني والعشرين من شهر مايو 1908 / 19 ربيع الثاني 1326. وقد نشبت هذه المعركة بين جماعة من المجاهدين تتألف من حوالي ثمانين مقاتلا، منهم خمسون من مريدي الشيخ ماء العينين تحت قيادة مريده عبد الله بن باريك الجكني، وبين فرقة من الجيش الفرنسي في موضع "أگـنينت التيكيوت" وكان المجاهدون قبل ذلك، يراقبون المسالك والطرق المؤدية إلى الموقع العسكري في أكجوجت، فرأوا رتلا عسكريا يبتعد عن المعسكر جنوبا. إلا أن الرتل أشعر بالهجوم عن طريق اثنين من "الگوم" هما عبد الجليل ومحمد بن اعلي بونا الفاغي وكانا يصطادان غير بعيد من الرتل، فرأتهما طليعة من المجاهدين عن بعد، فانبرى إليهما محمد بن الصفره وسدد رمية نحو محمد بن اعلي بونا فهشمت قارورة كان يرفعها بيده ليشرب منها، وهرب الإثنان إلى المفرزة وأخبراها بهجوم وشيك عليها. عند ذلك أمر قائد الرتل بإعداد التحصينات والاستعداد، وعند الظهر تمت مهاجمة الفرقة من قبل المجاهدين، إذ قرر المقدم عبد الله بن باريك الجكني الهجوم على الرتل الذي كان قد استعد للمواجهة. حاول الجّاه بن المعيوف إقناع قائد الغزوة في التريث حتى يصادفوا غرة من القوات الفرنسية. غير أن القائد صمم على الهجوم في ذلك الوقت، ولم يستصوب رأيه بعض المشاركين، فقال لهم أحمد محمود بن بكار بن اسويداحمد ـ وقد شهد هذه المعركة ـ لا ينبغي أن نخالف القائد كما أوصانا الشيخ حسنا. وتم الاقتحام بروح جهادية عالية، بدءا بالخطوط الأمامية للفرقة الفرنسية، حتى اختلطوا بها وصاروا يتقاتلون بالحراب والسيوف، وبعد قتال ضار، استشهد القائد، ولم يلبث المجاهدون بعده أن تراجعوا تحت القصف المكثف الذي استمر ساعتين. وانتهت المعركة بهزيمة المجاهدين، رغم مناوشات متقطعة استمرت حتى غروب الشمس. وارتفعت الخسائر في صفوف المجاهدين. فقد استشهد ثمانية عشر منهم : وهذه أسماء بعض من عثرت عليه : قائد الغزوة عبد الله بن باريك الجكني، والسيّد بن أكتوشني العلوي، والسالك بن أَيِّهْ وأخوه اعلي الإديشليان، ومحمد بن أمباله المسلمي، ومحمد بن محمذن (من زوايا القبلة) والعالم اللغوي محمد محمود بن ابن عمر الباركلاوي اعلي بن الخديم الآكشاري وولد سيدي بن عثمان العمني ومحمد الشيخ بن أزياد الغيلاني ومحمد محمود بن عبد الباقي الإجيجبي، وعبد القادر بن أحمد بن الطلبه ومحمد عبد الله بن أحمد بن الطلبه السمسديان. وجرح العديد من بينهم : سيدي أحمد بن مولاي البشير، وأحمد محمود بن زين بن سيدي أحمد بن عبد الفتاح (الداده) ومحمد فاضل بن عبد القادر بن الخرشي الحاجيان. وحسب رواية المجاهدين فقد وقعت خسائر في صفوف المعسكر الفرنسي حيث قتل ما يقرب من عشرة جنود وجرح العديد من بينهم ضابط صف فرنسي، وتم قتل أكثر من عشرين جملا.

وورد في الجزء السياسي من "*حياة موريتانيا*" أن قائد هذه الغزوة هو الشيخ سيدي محمد بن حامني.

وهو وهم، بل الصحيح أن قائدها هو عبد الله بن باريك الذي استشهد فيهـا.

كان السيد بن أكتوشني قبل الهجوم على المعسكر الفرنسي قد ألقى خطبة حث فيها على الثبات والصبر في القتال، وبيّن ما أعده الله للشهداء من النعيم، وقد ألهب بخطبته مشاعر المجاهدين، الأمر الذي حدا بعلي بن الخديم أن يقسم ألا يبيتن ليلته تلك إلا في الجنة. ويقول سداتي بن أحمد بن أيِّية نقلا عن والده الذي شارك في المعركة إن السيّدْ هذا كان قبل يوم من بدء المعركة قد اتصل بالشيخ حسنا منسق الجهاد ولما حان وقت صلاة الظهر قال السيد للشيخ حسنا : أنت إمام الجهاد وقد جئت لأصلي معك وأشارك في الجهاد.

وذكر الرائد جيلبيه في روآيته عن هذه المعركة : "أن الملازم أوبرت كان في طريقه من "أكجوجت" متجها إلى "أنواكل" مع 48 من السنغاليين و41 من "الـگوم" البيضان، فهوجم على بعد 15 كلمترا إلى الجنوب من "أكجوجت" من قبل فيلق من 90 رجلا من البيضان بينهم 25 من مريدي ماء العينين. وانتهت المعركة العنيفة بعد نصف ساعة، بفضل القتال بالحراب. وقتل منا ثلاثة سنغاليين، وجرح رقيب أوروبي جروحا خفيفة، كما جرح ثلاثة سنغاليين وستة من "الـگوم" "البيضان"، وقتل سبعة جمال وجرح عشرون جملا. وترك البيضان في الميدان خمسة عشر جثة، وعشرة مدافع، وعشرة جمال، وأسيرا بين أيدينا... ومنذ ذلك الحين بدأ المنشقون يضيقون الحصار على الموقع الذي ازداد عدد البنـادق فيـه إلى 150 بندقية تحت قيادة النقيب بابلـوه ويستخدمون كل الوسائل لوقف قوافل المؤن والمناوبـة".

معركة "إگنينت التيكيوت" هذه، أعقبت معركة "دامان" بأربعة وأربعين يوما، كما أن معركة دامان أعقبت معركة "أعكيلت الرفكة" بثلاثين يوما فقط، ثم تأتي معركة "المينان" بعشرين يوما. هذه المعارك المتسارعة تعطي صورة واضحة عن حيوية ونشاط المجاهدين ومدى ترصدهم لقوات المستعمر كل حين، موقعين بها خسائر جسيمـة فـي الأرواح والعتاد وهـو ما ترجموه في هذه المعارك المتلاحقة.

وقد أتقن المجاهدون في هذه الفترة، فن التمويه والتخفي عن أنظار الوحدات الفرنسية اتقاء المدافع الرشاشة لدرجة أن رماة المدفع الرشاش قبل أن يتمكنوا من رسم خططهم لصد الهجوم يباغتهم المجاهدون من نُقَط لا يتوقعونهـا، وفي لحظات يُحيطـون بهـم ويُصبح جنود الحاميات الفرنسية في متناول الخناجر والحراب ويتم اكتساح مواقعهم في لمح البصر قبل أن يتمكنوا من الـرد.

الشيخ ماء العينين، *علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي*، ج 2، الطبعة الأولى، 2007، مطبعة بني إزناسن.

ماء العينين الطالب أخيار

اكرارت أهل ابريهمات (معركة -) وقعت يوم 27 نونبر سنة 1957 عندما هاجمت إحدى فرق جيش التحرير مركزا للحرس الإسباني بهذا المكان بقيادة محمد بن خيرات على الساعة الثامنة ليلا ففر الجنود الإسبان الذين كانوا يحرسونه ولم يبق فيه سوى جنديين صحراويين اثنين ملحقين بالجيش الإسباني ضمتهما الفرقة المهاجمة بسلاحهما إلى صفوف جيش التحرير وانسحبت سالمة بعد نصف ساعة.

الحاج بنعسو، *أضواء على كفاح المقاطعة التاسعة لجيش التحرير بالصحراء المغربية 1956 / 1960*، المطبعة الوطنية، مراكش، يوليوز، 1987.

إگلي نتووكت (معركة -) وقعت هذه المعركة بمنطقة إگلي نتووكت" التي تبعد عن فم الحصن بحوالي تسعة عشر كيلومترا في السابع عشر من شهر نونبر سنة 1956 وسببها هو أن بعض فرق جيش التحرير تعرضت لسيارتين خرجتا من مطار فم الحصن وعلى متنهما أربعة ضباط فرنسيين في اتجاه معسكر أم العشار لجلب المؤن وهاجمتهما فتمكنت واحدة من الفرار وتم الاستيلاء على الأخرى مع أسر ضابط فرنسي نقل إلى مركز آيت وابلي من لدن بن الهاشمي والفضيلي. ولما علمت قيادة الجيش الفرنسي في معسكر فم الحصن بهذه العملية أرسلت فرقة من الجيش الفرنسي على متن شاحنات وسيارات محملة بالأسلحة ومدعمة بالطيران الحربي لاسترجاع ضابطهم ولما لم يتمكنوا من ذلك شنوا هجوما على إگلي نتووكت ودارت معركة عنيفة بينهم وبين قوات جيش التحريـر استمرت ثلاث ساعـات من الساعـة الرابعة زوالا إلى الساعـة السابعـة مساءا وانتهت بانتصار قوات جيش التحرير التي تمكنت من قتل جنديين فرنسيين وجرح سبعة آخرين. أما في صفوف جيش التحرير فقد سقط جريح واحد ولم يستشهد أحد منهم، رغم قوة الجيش الفرنسي وكثرة عدته وعتـاده.

تقرير قيادة جيش التحرير سنة 1958، *مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه*، تيزنيت.

ماء العينين النعمة علي

إگنـدي (مرض -) كلمة يظهر أن أصلها أمازيغي، وتعني في الصحراء نوعا من الأمراض الناتج عن تناول طعام أو شراب شديد الملوحة أو المرارة حيث ينجم عنه نوع من الورم أو الحساسية على مستوى الجلد ولون البشرة. ويداوي أهل الصحراء هذه الأعراض المرضية بالزيـادة في تنـاول الحلويات وكـذا تنـاول شراب العلك (الصمغ العربي)، أو الـگـوفيا (Gofio) باعتبارهـا مشروبات خفيفـة وسهلة الهضم وحلـوة المذاق. والطـب الحديث لم يستطع وضع تشخيص علمي واضح لهذا المـرض وذلك بفعـل تنوع أعراضه فهناك "إگنـدي الجلد" و"إگنـدي لخنافـر" و"إگنـدي المجبنـة" (أي حساسيـة المعدة)، وذلك راجع لتعدد أسباب إگندي مابين الطعام المر أو الرائحة الكريهـة أو المشروب الحامض أو الملح.

محمد سالم الري، *كنز الذاكرة*، مطبعة آسفي، 2007 ؛ *مقابلة مع سيدة مسنة بالداخلة*، ربيع سنة 2009.

محمد دحمان

اكنيدلف (معركة -) وقعت يوم 15 دجنبر سنة 1958 عندما هاجمت كتيبة من فرق جيش التحرير المقاتلة بقيادة بنيبة بن محمد سالم سيارة من نوع جيب كانت ذاهبة من طرفاية إلى عيون الساقية الحمراء تحمل جنودا إسبانيين مسلحين وأمتعة بريدية ولباسا عسكريا بالموضع المسمى "اكنيدلف" فأحرقتها وجرحت أحد ركابها وفر الباقون وأخذت الكتيبة ما في السيارة من اللباس والأوراق البريدية وانسحب جنود جيش التحرير سالمين ولم يصب أحد منهم بسوء.

الحاج صالح بنعسو، *أضواء على كفاح المقاطعة التاسعة لجيش التحرير بالصحراء المغربية 1956 / 1960*، المطبعة الوطنية، مراكش، يوليوز، 1987.

ماء العينين النعمة علي

اگـويدير : أو اگويتير، اسم يطلقه أهل الصحراء على بقية الآثار المعمارية الواقعة في خليج انعيلة وسط كثبان رملية قرب المحيط الأطلسي على بعد 70 كلم شمال مدينة الطرفاية، وهي بقايا أثرية لقلعة معمارية يفترض أنها - حسب پـول باسكون - (P. Pascon : 1963) هي سانطا كروث پـول دي مارپـيكينيا (Santa Cruz De Mar Pequeña). وتوجد وسط مستنقعات بحرية ورمال متحركة إلى جانب سباخ ملحية مثل لخوي وانعيلة وتازغة. وهي معرضة دائما لزحف الرمال بفعل دوام حركة الرياح إلى درجة أن مستنقعات المياه والسباخ توجد محمية وسط عروق كثيفة من الرمال التي تتخذ صفة البرخان فوق الهضبة المقابلة للشاطئ. وهذه العمارة التاريخية تقع بالضبط عند ملتقى بيئتين جيومورفولوجيتن مختلفيتن هما اللسان البحري للنعيلة ومصب واد أودري. واگـويدير عبارة عن بقايا حصن مشيد من صخور صلبة ضخمة وما بقي منه فوق الأرض لا يتعدى ارتفاعه المترين، أما عرض حائطه فيبلغ 200 سنتمتر. وهذا الموقع الأثري يوجد في مجال ظـعْن قبائل صحراوية هي مجاط والزرگيين والشناگلة، الذين يحكون أن حصن اگـويدير كان عبارة عن مركز للتبادل التجاري مع البرتغاليين في الزمن القديم. وبالقرب من هذا الموقع توجد مقبرة على الهضبة كما يوجد مجموعة من الصلحاء مثل سيدي لمسيد، وصلحاء صاگـت النيل، وسيدي علي بوظلوع وغيرهم. كما توجد بالقرب من هناك عين ماء تدعى "العوينة" التي زادت ملوحة مياهها بعد أن كانت صالحة للشـرب في الماضي. ويحتاج هذا الموقع لدراسات علمية أثرية ونباتيـة نظـراً لأهميته في النظام البيئي للمنطقة، ولدوره في تاريخ الصحراء وعلاقاتها مع العالم الخارجي، خاصة مع الدول الإيبيرية.

بشر أحمد حيدرة، *الصليب المقدس في البحر الصغير*، مطابع امبريال، الرباط، 1998.

Figueras, Tomas Garcia, *Santa Cruz de Mar Pequeña, Ifni, Sahara*, Madrid, 1941 ; Rume de Armas, *España en el Africa Atlantica*, Madrid, 1957 ; De Cénival P. et de la Chapelle, Possessions Espagnoles sur la cote occidentale d'Afrique : Santa Cruz de Mar Pequeña et İfni, in : *Hesperis, t. XXI*, Paris, 1935, p. 19 – 54 ; Paul Pascon, *Les Ruines d'Aguitir de Khnifis*, Paris, 1963.

محمد دحمان

ألـڤاريث، پـيريث، خوسي، Alvarez Perez, José رحالة إسباني جاب الصحراء المغربية بين بوجدور ووادي درعة في ربيع 1886 بأمر من شركة الجغرافية التجارية Sociedad de Geografia Comercial واستطاع أثنـاء تلك الجـولــة إغراء بعض شيوخ قبيلـتي إزرگـيين وآيت موسى وعـلـي بإمضاء معاهدة تدخلهم تحت "حمايــة" الشركـة. وتمگـن الإسبان من إقامــة ما يرونــه مناسـبا من المراكــز التجارية على الشواطئ. لكن الأمــر لم يسفــر عن أي فعل ملمــوس وذلك لعـدم مبـالاة إسبانيا به إذ كانت منشغـلة بإثبـات سيطرتها على الشواطئ الممتــدة جنوب بوجدور إلى حدود الرأس الأبيض.

ألمونطى (دي)، إنريكي Almonte, Enrique من رواد الاستعمار الإسباني في الصحراء المغربية، كانت تنقلاته بأمر من الشركة الجغرافية في مدريد، فهو الذي اقترح سنة 1913 أن تقام عاصمة المستعمرة في العيـون كما أنــه أشـار باعتمـاد خطـة الحكم غير المباشر باستعمال ما لوجوه القبائل الصحراوية من النفوذ. ومما دعا إليه أن يعتمد على أحمد الهيبة ولد الشيخ ماء العينين. لكن الشيخ الهيبة لم يكن ممن يقبل التعامل مع الاستعمار.

Hodges, T., *Historical Dictionary of Western Sahara, London*, 1982.

إبراهيم بوطالب

أماكن الجن بالصحراء، اتخذت أماكـن عديـدة بالصحـراء أسماءهـا من الاعتقـاد بوجود الجـن نذكر منها :

- گـليب ردي : يطلق على مرتفع صغير يقع جنوب غرب السمارة بالقرب من وديان الخشبيين وسمي (ردي) لأنه غالبا ما تسمع فيه أصوات قرع الطبول على إيقاع موسيقي جميل يستهوي السامع كما تسمع فيه زغاريد النساء من حين لآخر.
- كدية لجواد : هي مجموعة من المرتفعات تقع في تيرس جنوب شرق أوسرد وغرب أغوينيت، يتوسط هذه المرتفعات جبل تعلوه دائرة بيضاء تشتعل فيها الأضواء ليلا، وقد سميت المرتفعات ب "الجواد" كناية عن الجن.
- كراير الغول : تقع جنوب العيون في منطقة إيزيـك، يعتقد أن غول مزعج يقطنها، لا يشاهد بالعين

المجردة وعادة ما يعتدي على المارة حيث يجردهم من أمتعتهم ومن زادهم.

- رجم الغولة : يقع بالشمال الشرقي لمدينة العيون وهو مرتفع مخيف تصدر منه أصوات مخيفة تختلط فيها أصوات النساء بأصوات النعاج.

- گليبات النعاج أو النعيجات : يطلق هذا الإسم على جبل مرتفع يقع جنوب السمارة قرب "لفريرينة" يروى أن الرحل كانوا دائما يشاهدون نعاج خيالية تختفي به كلما اقتربوا منها.

- واد الكبش : يقع بضواحي مدينة العيون جنوب أكويدير وشمال رجم أفكاريش، وسمي بواد الكبش نسبة إلى كبش خرافي يعتقد أنه يسكن هذا الوادي ويطارد المارة.

مقابلات ميدانية بالطنطان، ربيع 2009.

Caro Baroja, Julio. *Estudios, saharianos*, Madrid, 1955.

محمد سبي

الأمثال الحسانية، إن مفهوم المثل الحساني لا يخرج في عمومه عن تعريف المثل، ويمكن أن نحدد أهم هذه التعاريف في الآتي :

أ - هو القول المقتضب الذي يتسم بالقبول والتداول "قال المرزوقي : المثل جملة من القول مقتضبة من أصلها أو مرسلها بذاتها، تتسم بالقبول وتشتهر بالتداول، فتنتقل عما وردت فيه إلى كل ما يصلح قصده بها من غير تغير يلحقها في لفظها، وعما يوجبه الظاهر إلى أشباهه من المعاني. ولذلك تضرب وإن جهلت أسبابها التي خرجت عليها...".

ب - قد يرد المثل لسبب خاص، ثم يعمم بعد ذلك لقول الحسن اليوسي : "أن المثل هو قول يرد أولا لسبب خاص، ثم يتعداه إلى أشباهه، فيستعمل فيها شائعا ذائعا على وجه تشبيهها بالمورد الأول..".

ج - وهو باب من أبواب البلاغة لقدرته على الإيجاز وإصابة المعنى، يقول النظام : "تجتمع في المثال أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام : إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة".

د - ينقسم المثل، من حيث المعنى، إلى ثلاث - حسب الحسن اليوسي -.

"الأول : الشبه، يقال : هذا مثل كذلك ؛ أي شبهه.

الثاني : الصفة، قال تعالى : "مثل الجنة التي وعد المتقون"، أي صفتها ونحو هذا وهو كثير في القرآن الكريم.

الثالث : القول السائر المشبه مضربه بمورده، وعلى هذا الوجه ما ضرب الله تعالى من الأمثال في القرآن، قال تعالى : "وتلك الأمثال نضربها للناس" الآية وعلى هذا شاع إطلاق إسم المثل إذا أطلق".

هـ - قدرة المثل على الإيضاح والإقناع لأن "ضرب المثل يوضح المنبهم، ويفتح المنغلق، وبه يصور الأمر في الذهن، ويكشف المعمى عند اللبس، وبه يقع

الأمر في النفس أحسن موقع، وتقبله فضل قبول، وتطمئن به اطمئنانا، وبه يقع إقناع الخصم وقطع تشوف المعترض".

و - يرتبط المثل بقوة تأثيره في المتلقي بوعظه أو زجره "وقيل إنما سمي مثلا، لأنه ماثل لخاطر الإنسان أبدا يتأسى به ويعظ ويزجر".

ز - المثل باب من أبواب الاستشهاد في العلم لارتباطه بالمنفعة، قال الجاحظ : "وقد كان الرجل يقف الموقف فيرسل عدة أمثال سائرة، ولم يكن الناس جميعا ليتمثلوا بها إلا لما فيها من المرفق والانتفاع. ومدار العلم على الشاهد والمثل".

وإذا كانت الأمثال الحسانية لا تخرج في معانيها العامة عن ما عرفنا به المثل عموما، إلا أنها تتميز بارتباطها باللهجة الحسانية، التي تعطي لهذه الأمثال قوة تداولية عند الناطقين بها. كما أن هذه الأمثال، تعتبر إلى جانب الشعر الحساني (لغن) والحكايات الشعبية، أهم وعاء لحفظ اللهجة الحسانية وثقافتها.

لقد أكد الدكتور محمد بنشريفة في تحقيقه لكتاب "أمثال العوام" للزجالي على أهمية الاحتفاظ بالصيغة العامية للمثل، لأنها تحفظ للمثل قوته التعبيرية الخاصة ؛ ونفس الشيء نلحظه بالنسبة للأمثال لحسانية، فإن قوتها لا تكون كاملة إلا عندما تنطق بهذه اللهجة نفسها.

والمتأمل في مضامين الأمثال الحسانية يجدها متنوعة، تعكس حياة المجتمع في الصحراء بمختلف تجلياتها على المستوى الثقافي والقيمي - الأخلاقي، والاجتماعي - السياسي. فنجد فيها صدى للواقع المعيش بحسناته وسيئاته، وللبنى الاجتماعية وعلاقاتها المعقدة، وللقيم المتنوعة والمتناقضة، ولصراع الأجيال وعلاقة أفراد الأسرة والرجل والمرأة، ولطموحات الأفراد والمجموعات، ولتجارب الإنسان وخبراته في الحياة.

أما بخصوص علاقة الأمثال الحسانية بمضربها، فيمكن أن نقسمها، على سبيل التمثيل لا الحصر، إلى :

• الأمثال المرتبطة بإنسان واقعي أو مفترض، مثل : "أفيسد من تيب"، وهي امرأة يضرب بها المثل في الحمق.

الأمثال المرتبطة بجسد الأنسان وأعضائه، وهي كثيرة منها المثل : "عينين العز ما يخفاو"، أي أن نظرات المحب تنم عن ما في قلبه وخبايا نفسه، ومنه قول الشاعر(لمغن).

عيني يالبيـك انـــــــي مارت عنهم بيك استكفـاو

عينـي شوف عينــــــي عينين العــز ما يخفـــاو

الأمثال المرتبطة بالنبات والأشجار، ومنها "ماه امزرب بالفرنـان"، أي لم يتخـذ حظيرته من الفرنـان،

والفرنان هو شجر اليتوع على ما يقال، وهو شجر لين ضعيف لا شوك له، ومن ضرب فيه المثل يدل على أنه قوي صعب المراس.

• الأمثال المرتبطة بالتركيبة الاجتماعية، ومنها "لمرابط ماه صاحب إيكيو"، أي أن المرابط في العلم ليس صاحب الفنان، أي أن تضاد الحرفة مانع للألفة.

• الأمثال المرتبطة بالأماكن والجهات ومنها : "راص لعديلة ما ايسوحل"، أي أن رأس قافلة الملح لا يتجه ناحية الغرب، وهو في من لا يتجه ناحية معينة أو لا يجب أن يتجه إليها، وفيه يقول الشاعر :

كال نصرت لغيـــــــاد وسات اتسوحيـــــــل

واصل ادليل معـــــــاد عنه راص اعديـــــل

• الأمثال المرتبطة بالحيوانات والطيور والحشرات، وهي من أكثر الأصناف أهمية لتنوعها وغنى مضامينها، ومنها :

"راس النعام"، أي رأس النعامة، يقال : "شالت فلانة رأس النعامة"، أي حازت إعجاب الحضور من حيث الجمال والحظوة. وإذا كان هذا المعنى غزلي، فإن النعامة في الأمثال العربية ارتبطت بكل المعاني السلبية : "اموق من نعامة"، "اشرد من نعامة".

و"اتماب الذيب عن سرحت لغنم"، أي تأبي الذئب عن رعي الغنم، وهو في من يتأبى أمرا وهو راغب فيه.

و"اجمع من نمل"، أجمع من نملة، مثل يضرب لكثرة الجمع والكد والحرص ومداولة العمل.

• الأمثال المرتبطة بالحكاية الشعبية، وهي أمثال يرتبط فهم مضربها بحكاية معينة، ومنها : "اشخالط طير أبخنوس"، أي نسب بين طائر وحيوان، ولهذا المثل حكاية، وهي أنه ولد للأسد مولود عزيز، فجمع أهل مملكته للعقيقة فأحسنت النعامة الرقص، فقام الدب يردد على مسامع الذئب أن النعامة ابنة خالته علـه تزداد حظـوتـه فـي مـا سيقـدم مـن موائـد، وبينما النعامـة تروح وتجئ في رقصهـا المحموم، وطأت المولود العزيـز فبقـرت بطنـه، فأحست بما فعلت فهربت ولم يدركها المطاردون، فقـال الذئـب : دونكم الـدب فإنه ابن خالتها، فرجعوا إليه، فقال لهم : "اشخالط طير أبخنوس" المثـل.

وإذا كانت الأمثـال الحسانيـة تحمل مضمونا ثابتا، قـد يوحـي بالجمـود والتكـرار، فـإن سيـاق توظيفهـا واستحضارها قد يمنحها بعدا دلاليا مميزا، وذلك لعمق ارتباطها بمجتمع الصحراء في مختلف مناحيه الثقافية والاجتماعية والسياسية والقيمية، إضافة إلى رؤيته للواقع والإنســان والأفـراد والمجموعات، والعالـم المحيط به، واستحضاره للماضي واستشرافـه للمستقبـل في ارتبـاط بالخبرات والتجارب والمعتقدات الدينية والموروثات الخرافية.

وإذا كانت الأمثال الحسانية تشكل، إلى جانب الشعر الحساني (لغن) والحكايات الشعبية الحسانية، أهم مقومات ثقافة الصحراء ؛ فإن ذيوع الأمثال الحسانية وانتشارها الواسـع يرجـع أساسا إلى ميل أهل الصحراء للاختصار والابتعاد عن المباشرة والميل إلى التلميح والإشارة، فيجدون في عبارات الأمثال المختصرة، وفي معانيها القريبة والبعيدة، ضالتهم ومنتهى بلاغتهم. دون أن نغفل قيمة المثل التاريخية بما يحمله من "تراث" الأبـاء والأجـداد في مجتمع بـدوي، يريد أن يحافظ على إنتـاج نفس القيم والمثـل، متوجسـا من كـل انفلات أو تغييـر.

ومن نافـل القـول الإشارة في الأخيـر، إلى القيمة اللسانية للأمثـال الحسانية، وذلك بمحافظتهـا على الكثير من المفردات الحسانية التي لم تعد كثيرة الاستعمال اليوم، مما يبرز أهميتها في دراسة تطور اللهجة الحسانيـة.

الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، *البيان والتبيين*، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، نشر مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، 1380 - 1960، 1 : 271 ؛ مقلد محمد يوسف، *شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون*، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، 1962، ص. 681 ؛ الزجالي أبو يحيى، *أمثال العوام في الأندلس*، تحقيق ودراسة الدكتور محمد بنشريفة، مطبعة محمد الخامس، ط 1، فاس، 1395 - 1975 ؛ الحسن اليوسي، *زهر الأكم في الأمثال والحكم*، تحقيق، محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1401 - 1981، ص. 20 - 21 ؛ أخت البنين بنت محمد الأمين بن أباه، *قيد الأوابد في الأمثال الحسانية ذات الفوائد*، مطبعة الأطلس، نواكشوط، موريتانيا، د. ت، ص. 46.

عبد العزيز ابن الطالب موسى

الأمجد، سداتي : هو الأديب والشاعر سداتي بن الشيخ محمد الأمجد بن العالم بن عبد الله بن محمد محمود الأبيري ووالدته هي السيدة الفاضلة ربيعة بنت الشيخ ماء العينين. ولد سنة 1899 وتلقى تعليمه الأولي على يد الشيخ ماء العينين الذي أخذ عنه القرآن الكريم وأجازه فيه وبعد وفاته لازم الشيخ محمد الغيث النعمة بن الشيخ ماء العينين وأخذ عنه بعض العلوم كالتفسير والحديث والسيرة ثم انتقل إلى الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين فـي كردوس وأخذ كثيـرا مـن العلوم كالفقه واللغة والأصول والأدب وكان لايفارقه وخاض معه معارك ضد المستعمر الفرنسي في سوس وبعد انتقاله إلى طرفاية انتقل معه إلى هذه المدينـة وظل ملازما لـه لا يفارقه. وقد أسهم بدور كبير في ازدهار النهضة الشعرية سواء من خلال قصائده المسبوكة الجزلة المتنوعة في كل غرض من أغراض الشعر أو من خلال مساجلاته الشعرية مع شعراء الصحراء وسوس.

توفي سنة 1937 عندما سقطت الطائرة التي كانت تقله في بحر مدينة طرفاية وبها دفن. وقد رثاه عدد كبير من الشعراء منهم ماء العينين يحجب الذي يقول :

إرحم اللهم الأبي سـداتـــي وانزلنه بأرفع الدرجـات

وله الفوز والأمان ووســع قبره يامجيبا للـدعـوات

ويقول سداتي بن الشيخ أحمد الهيبة :

ألا يابحر ويحك ذا سداتـي شبيهك كان في قيد الحياة
ويا عجبا فكيف البحر وارى مماثله حليف المكرمات



ماء العينين بن الحضرام، *إفادة الأقربين في التعريف بذرية شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ *ديوان ماء العينين يحجب*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت.

ماء العينين النعمة علي

إمـزّان، ناحية طبيعية بالصحراء المغربية تقع بإقليم وادي الذهب بين النواحي التالية : وتكجير والـتّرس وإسمول، وبشاطئها على المحيط الأطلنتي يوجد خليج الرأس الأكحل المعروف عند الإسبان بثينطرا Cintra.

Carnero Ruiz, Ismael, *Vocabulario geografico-sahariano*, Madrid, 1955, p. 155.

محمد ابن عزوز حكيم

أمغار، سعيد هو الشيخ سعيد أو أمغار سعيد كما يعرف بذلك في آيت باعمران. ينحدر من أسرة عريقة ذات نفود اقتصادي وسياسي. وهو من عائلة أهل بلا علي من فخذة آيت السيمور إحدى الفخذات الكبرى لقبيلة آيت الخمس الباعمرانية، حيث كان جده يحيى بن علي شيخا وعمه يحيى بن يحيى بن علي شيخا. وبعد أن قتل تولى أخوه الحسين بن يحيى المشيخة وبعد أن قتل هو كذلك تولى ابنه الشيخ / أمغار سعيد بن الحسين بن يحيى المشيخة. فهو اذن سعيد بن الحسين بن يحيى بن علي بن إبراهيم بن محمد بن مسعود حتى الجد الأكبر بلا بن علي. ازداد في العقد الثامن من القرن الثامن عشر. دخل المسجد وحفظ القرآن. وهو ابن الشيخ / أمغار الحسين الذي قتل في إحدى المعـارك التي نشبـت بين قبيلـة آيت الخمس وقبيلـة الأخصاص المجاورة. لقد وحد القبيلة لمواجهـة اللف الخصم في آيت باعمـران وهو لف اصبويا. وقد حصل على المشيخة بعدما كانت القيادة عند فخذة بوحلايـس / القائـد بوحلاسـة. وخاض أمغـار سعيد عدة حروب قبليـة من بينها حربه مع قبيلة آيت اعـزى المجاورة ومع قبيلـة اصبويا الند التقليـدي لـه وحروب أخرى خارج اتحادية آيت باعمران كالحرب ضد أكْـلو.

ومع شدة الصراعات والنزاعات بين القبائل، تعرض أمغار سعيد إلى تسمم من قبل القائد عبد الله بن بلقاسم الماسي. حيث كان أصحاب القائد البشير من اصبويا، وأمغار سعيد، والشيخ الحسان ولد الشيخ همو الخلفاوي، والقائد المدني يذهبون إلى القائد عبد الله بن بلقاسم الماسي سرا، بإذن قوادهم، فكان القـواد الثلاثة الأولون لا يريدون إلا الأموال على عكس المدني. ثم استدعى الاغبالوي القواد إليه فذهب إليه الثلاثة الأولون، قيل فسمهم في ماكولهـم، فمات الشيخ الحسان ولـد الشيخ همـو في اليوم ذاته ومات القائد البشير بعد ثمانية أيام من رجوعه إلى منزله بأنامر باصبويا وبقي أمغار سعيد بن الحسين الذي اتجه نحو إحدى المنازل فتداوى بالعنبر فنجي من الموت.

ولما أرادت فرنسا دخول آيت باعمران، كان الشيخ سعيد حاضرا بشكل كبير لمواجهـة هذا التدخـل. وذلك من خلال مقاومتـه لفرنسـا. ولمـا أرادت فرنسا إقامـة اتفاقيـة الهدنـة مع آيت باعمـران، لم يكـن أمغـار سعيد حاضرا لتوقيع اتفاقية الهدنة بالأخصاص وناب عنه ابن عمه محمد أفقير.

ولما دخل الإسبان إلى سيـد إفني، اجتمع قـادة وأعيان آيت باعمران معهم، وكان أمغار سعيد أحد الموقعين على الاتفاقيـة المبرمة بين إسبانيا والباعمرانيين بامزدوغ إبان دخول الكولونيل كـپـاث (Capaz) إلى سيدي إفني.

وبعد مرور مدة وجيزة، قامت إسبانيا بتثبيت القواد والشيوخ الذين وجدتهم على رأس السلطة في قبائلهم. وقد ولي سعيد بن الحسين بن يحيى في 2 مايو 1934 موافق 18 محرم 1357 هجرية شيخا على آيت الخمس واداو سوكم والسماهرة ليدبر أمرهم وليتخذ ما شملته القوانين العرفية التي جرى العمل بها بآيت باعمران وليعاملهم بالأنصاف ويسلك بهم طريق الخير. وخصصت لهم أجرة شهرية يتقاضونها كانت تجمع فيما هو نقدي وعيني أي فيما تقدمه السلطة الإسبانية وخصم جزء من الغرامة التي يؤديها المتنازعان وفي جمع الزكوات والحصول على جزء من ثمن بيعها.

وكان الشيخ سعيد يفصل بين المتنازعين بين أفراد قبيلته، فهو يمثل القبيلة ويطبق تعليمات السلطات الاستعمارية من خلال حفظ الأمن ونقل المعلومات المطلوبة عن القبيلة وغيرها. ومن الناحية الاقتصادية والاجتماعية كان لأمغار سعيد دور كبير في إقامة سوق أسبوعية هي اثنين أملو سنة 1937 في مكان يتوسط فخذات قبيلة آيت الخمس قرب مزار سيدي مسعود الزينة وغير بعيد من زاوية سيدي سليمان الشهيرة بالمنطقة.

ولما طلبت إسبانيا من قواد وشيوخ القبائل تسليم أسلحـة قبائلهـم، صار من خلال ذلك الشيـخ سعيد يـزداد ارتفاعـا في عين الكولونيل كـپـاث فتبـادلا الهدايـا، حيث هدى الأول للثاني فرسـا بينما يرسل

الثاني إليه الهدايا كالأواني الفضية، إلى درجة أنه سمي قائدا بين الرؤساء.

وفي سنة 1937 سافر أمغار سعيد إلى إسبانيا بدعوى من الجنرال فرانكو قبيل تحقيقه لانتصارات في الحروب الأهلية الإسبانية. وسافر أمغار سعيد بعد انتصار فرانكو في الحروب الأهلية الإسبانية إلى إسبانيا هو ومجموعة من القادة الباعمرانيون. وحلوا بطرفاية أولا ثم إلى لاس بالماس وتنريفي بالجزر الخالدات ومن تم إلى قادس والجزيرة الخضراء ثم إلى تطوان وزار إشبيلية وقرطبة وغرناطة وقرى ومدن أخرى إلى أن وصلوا مدريد حيث التقوا بالجنرال فرانكو. ولما انتهت الحرب الأهلية الإسبانية التي شارك فيها رجال من آيت باعمران وانتصر فيها الجنرال فرانكو، وشحت إسبانيا سنة 1942 أمغار سعيد بوسام الحرب بدرجة ضابط.

وفي سنة 1945 ثار أمغار سعيد في وجه إسبانيا عندما أرادت سن سياسة التجنيس لدى الباعمرانيين. وذلك من خلال تزعمه لوثيقة يرفض فيها التجنيس وقع إلى جانبه فيها أعيان آيت الخمس مرفوعة إلى حاكم سيدي إفني الكولونيل خوسي برميخو (José Bermejo).

ورفضا لهذه السياسة، كانت سنة 1947 قد عرفت أشد الانتفاضات التي قامت بها قبائل آيت باعمران ضد المستعمر الإسباني. وحاول هذا الأخير القبض على قواد وشيوخ القبائل من أجل إخماد هذه الثورة. وفي اليوم السابق لعيد الفطر مختتم رمضان سنة 1366 هجرية موافق ل 17 غشت سنة 1947 قبض على أمغار سعيد في السوق الأسبوعي اثنين املو واقتيد إلى سيدي إفني ثم بعدها إلى الداخلة ومكث بسجنها ست سنوات وأربعة أيام.

وقد استمر أمغار سعيد في رفضه للسياسة الإسبانية حتى بعد خروجه من المعتقل. ومرة أخرى وقع عليه القبض في 18 نونبر 1955 الذي يصادف عيد عرش محمد الخامس وسجن بالداخلة، حيث قضى هناك خمسة أشهر وخمسة أيام إلى أن اعترفت إسبانيا باستقلال المغرب وأطلق سراحه في أبريل 1956.

وفي شهر يونيو سنة 1956 كان من ضمن الوفد الذي ذهب إلى الرباط للقاء الملك محمد الخامس. وقد استقبل هذا الأخير الرؤساء فقط من آيت باعمران وخاصة من لهم ظهائر قيادية "ولم يتيسر أن يكون منهم الشيخ سعيد، فذهب بها نكتة في قلبه سوداء، لم تزل عنه حتى مات بسببها" سنة 1957.

المختار السوسي، *المعسول*، ج 20، مطبعة فضالة، المحمدية، 1960 ؛ علي المحمدي، *السلطة والمجتمع في المغرب*، نموذج آيت باعمران، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1989 ؛ *وثيقة تعيين أمغار سعيد بن الحسين على آيت الخمس وادا وسوكم والسماهرة في 2 ماي 1934* ؛ *وثيقة مرفوعة إلى الكولونيل برميخو* يتفق فيها آيت الخمس على رفض سياسة التجنيس في 6 ماي 1947 ؛ *مقابلات مع مسنين من قبائل آيت باعمران*، ربيع 2009.

محمد شرايمي

أمگـار، كلمة أصلها أمازيغي (أنمگار) وتعني الموسم السنوي الذي كانت تقيمه القبائل في التخوم الشمالية للصحراء : مناطق الواحات جوار أضرحة الأولياء للتبرك بهم، وفي نفس الوقت كانت مناسبة للتبادل التجاري والتفاعل الرمزي والاجتماعي. ومن تلك المواسم (آمگاگير) نجد أمگار گلميم وأمگار لمعيليل وأمگار أعمر أو عمران وأمگار المولود بآسا وآمگاگير آيت باعمران وسيدي إبراهيم بن عمر بتامنارت، وأمگار تندوف. وكانت عبارة عن أسواق يجلب إليها سكان الساقية الحمراء ووادي الذهب قطعان الإبل بقصد البيع والتبادل التجاري. وفي المقابل يشترون حاجياتهم من السكر والشاي والأثواب والأواني والبنادق. كما كان هذا الحدث مناسبة للتواصل ما بين القبائل وما بين الزعامات المحلية والاطلاع على أحوال البلاد وظروف المراعي والنشاط التجاري والسياسي.

مقابلة مع الشيخ محمد الناجم بعيون الساقية الحمراء، ربيع سنة 2009 ؛ محمد دحمان، *الترحال والاستقرار بالساقية الحمراء ووادي الذهب*، الرباط، 2006 ؛ بشر حيدر، *الصليب المقدس في البحر الصغير*، مطابع امبريال، الرباط، 1998.

محمد دحمان

أمگريو، رأس ومرسى بإقليم طرفاية. يعرف الرأس عند الإسبان بـﭙُونطا نيگريطا Punta Negrita ويقع شمال المرسى التي تحمل نفس الاسم على بعد 30 كيلومتراً جنوب رأس جُوبي Cabo Juby وتسمى أيضاً مرسى الركينة، وأطلق عليها الإسبان اسم لا نيگريطا La negrita.

I. Carnero Ruiz, *Vocabulario geografico-sahariano*, Madrid, 1955, p. 127 – 150 – 164.

محمد ابن عزوز حكيم

أمّ التونسي (معركة -) 14 ربيع الثاني 1351 (18 غشت 1932). أم التونسي موضع يقع شمالي نواكشوط على بعد حوالي 120 كلم على الطريق الرابط بين العاصمة ونواذيبو، شهد معركة تاريخية كانت لقبيلة أولاد دليم بامتياز، إذ كان المشاركون فيها من المجاهدين 120 مقاتلا، مائة منهم من أولاد دليم والبقية من مختلف قبائل الصحراء.

انطلقت هذه المجموعة من نواحي آوسرد بقيادة كل من سيدي بن الشيخ ابن العروسي وإبراهيم السالم بن ميشان وسيدي أحمد بن الكوري بن علي - حسب أحد المشاركين في المعركة وهو سلمّه بن أحمد زين - متوجهة نحو منطقة الترارزة. وعندما علمت القوات الفرنسية بتوغل المجاهدين في المنطقة أرسلت فرقة من الهجانة يؤطرها ستة ضباط فرنسيين لاعتراض المجاهدين. وبينما الفرقة تحث السير بناحية أم التونسي، اكتشفها المقاومون وكمنوا لها بين الكثبان متموهين وراء شجر "الفرنان"، حتى اقتربت منهم وأصبحت في حقل رمآيتهم فأجهزوا عليها بنيران كثيفة أبادت أزيد من أربعين محاربا من الفرقة الفرنسية بمن فيهم الضباط الفرنسيين الستة وعلى رأسهم الملازم ماك ماهون Mac Mahon قائد القوة، وهذا بشهادة

الفرنسيين أنفسهم. ولولا سوء الرؤية، بسبب الغمام، لما تمكن الناجون من الفرار مندحرين.

وقد أثارت هذه المعركة وموت الملازم ماك ماهون فيها موجة عارمة من السخط والتذمر في الأوساط الفرنسية امتدت إلى العاصمة الفرنسية باريز.

أما المجاهدون فقد استشهد منهم سبعة عشر رجلا هم : عبد الفتاح بن العالم البعمري، وسيدي ابن الشيخ بن العروسي وحمادي بن مبارك وعبد الله بن الخطاط وعلي بن البن بن حميّن الوديكيون، وسعيد بن أحمد بن اعمر وإبراهيم بن أبيّـه والشيخ بن بكار والشيخ بن حنان الخليـگيون، وسيدي محمد بن أحمد بابا بن الشيخ المختار السباعي الملقب نوينو، ومحمد بن الكوري وسيدي بن القاضي اللبيان، والمصطفى بن هويدي الساعدي الرقيبي، وحمدناه بن خطاري الزرقي.

النقيب دوتوه لويوسكي، *غزوات على آدرار*، ص. 77 ؛ المختار بن حامد، *حياة موريتانيا، الجغرافيا*، ص. 194 ؛ سعد خليل، *تكوين موريتانيا الحديثة من الاحتلال حتى الاستقلال*، ج 2، ص. 532 ؛ بييربونت، الغزو الفرنسي لآدرار، *مجلة مصادر، ص. 99* ؛ الطالب أخيـار بن الشيخ مامين، الشيـخ ماء العينين، *علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوربي*، ص. 628 - 632.

ماء العينين مربيه ربه

أمّ الشـگـاگ (مؤتمر) انعقد هذا المؤتمر في مارس 1956 بين العيون والسمارة للنظر في مستقبل الصحراء بعد استقلال الأقاليم الشمالية من المملكة المغربية، وقد دعا إلى عقده الشيخ محمد الأغظف ابن الشيخ ماء العينين وحضره حوالي خمسة آلاف شخص من مختلف قبائل الصحراء، من الرقيبات القواسم والساحل وأولاد دليم وإازرقيين وآيت لحسن وأهل الشيخ ماء العينين والعروسيين وأولاد تيدرارين وفيلالا وتوبالت، والفيگات، ولميار، والمناصر، ويگوت وغيرها، ورفعت فيه الرايات الوطنية المغربية على الخيام ونحرت فيه الجمال. وساهم العبادلة ابن الشيخ محمد الأغظف بدور كبير في التهيئ له وصياغة بياناته. وكان من قراراته أنه :

1 - يجب أن يرفرف العلم المغربي فوق الصحراء الغربية كلها.

2 - يجب أن لا تدفع الضرائب للسلطات الاستعمارية إلا بأمر من السلطان.

3 - يجب محاربة السياسة الاستعمارية التي تستهدف تقسيم المغرب.

4 - النضـال ضد الإسبان إذا حـالـوا دون تحقيـق الاستقلال.

5 - إرسال بعثة إلى الرباط لتقديم البيعة والولاء للملك محمد الخامس، بوصفه السلطة الوحيدة المعترف بها من قبل سكان الساقية الحمراء ووادي الذهب.

وكانت نتائج المؤتمر مهمة جدا على المستوى السياسي، حيث تحدد فيه بوضوح الموقف الواجب اتخاذه لمواجهة مرحلة ما بعد استقلال الشمال المغربي. وقد ساهم في نجاحه بالإضافة إلى الإجماع الصحراوي على استقلال الأقاليم الصحراوية والتحاقها بالأقاليم الشمالية من المملكة المغربية دخول طلائع جيش التحرير إلى الصحراء وتنفيذها لمجموعة من العمليات العسكرية المظفرة في تـگـل بالقرب من الزويرات.

گـاوديو أتيليو، *ملف الصحراء الغربية*، ص. 87 - 88، المنشورات الجديدة لاتين، باريس، 1978 ؛ عبده عبد الغني، *الطريق الثورى لتحرير الصحراء الغربية*، ص. 38 - 39 منشورات ماسبيرو، باريس، 1975 ؛ علي الشامي، *الصحراء الغربية وعقدة التجزئة في المغرب العربي*، ص. 121، دار الكلمة للنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1980.

محمد الظريف

أمّ العويتـگات (وقعة)، يونيو 1907. مناوشة قادها اجّاه بن المعيوف على رأس ثلاثة وعشرين من المجاهديـن بمنطقـة أم العويتـگـات الواقعة إلى الجنـوب الشرقي من نواذيبـو على بعد حوالي 70 كلم، أسفرت عن مقتل جنديين من "الـگوم" وإصابة الضابط الفرنسي قائد فرقة الجمالة المتمركزة هناك واستشهاد قائد المجاهدين اجاه بن العيوف.

الطالب أخيار بن الشيخ مامينا، الشيخ *ماء العينين*، *علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي*، ص. 318 - 319.

ماء العينين مربيه ربه

أمّ فاطمة، نهر يعرف كذلك بوادي الـعُمرة، وتوجد منابعه بجبل الـگـعدة من إقليم طرفاية. طوله 43 كيلومتراً، وتصب مياهه بالمكـان المعروف بفـم أم فاطمـة الذي أطلق عليه الإسبان اسـم بُـوكـادي أنـميدْيـو Boca de en-medio أي الفم الوسط.

Flores Morales, Angel, *El Sahara Español*, Madrid, 1946, 51 ; Carnero Ruiz, Ismael, *Vocabulario geografico-sahariano*, Madrid, 1955, p. 284 - 254.

محمد ابن عزوز حكيم

الإنترداداس (Entradas) يعني الغارات بصفة عامة ويقال عنها أيضا كبلـگـاداس (Cabalgadas) وهي غارات الفرسان، تعوّد الإسبان بعد تمكنهم من الجزر الخالدات من إقامتها على شواطئ الصحراء المغربية لاسترقاق السكان ونقلهم إلى العمل في حقولهم وفي مقاولاتهم البحرية، مقلدين في ذلك البحارة البرتغاليين الذيـن كـان هدفهم الأول منذ صاروا يجوبون تلك الشواطئ اختطاف سكانها واستعبادهم والاتجار في البشر الذي كان يعتبر يومئذ بضاعة من البضاعات. ولما خلف الإسبان البرتغال في تلك المناطق بادروا إلى إقامة حصن سانطا كروث دي مار پيكينيا (Santa Cruz de Mar Pequeña) بقصد الإكثار من "الإنترادات" واختطاف أكثر ما يمكن من الرقيق، مما كان يحول دون إقامة مبادلات عادية مع

السكان لخوفهم من الغارات وابتعادهم عن الشواطئ. ولذلك لما توفي مؤسس سانطا كروث دي مار پيكينيا ديگو هرّيـرا Diego Herrera تخرب الحصن وظل مهجورا إلى أن تجدد صرحه غداة توقيع معاهدة تردسيّاس (Tordesillas) بين إسبانيا والبرتغال في يونيه 1494، اعترف فيها البرتغال للإسبان بحرية التصرف بمفردهم في الشواطئ المغربية الممتدة بين رأس بوجدور وماسة جنوب أكدير. عندئذ أمر الملكان الكاثليكيان الإسبانيان فرناندو الثاني وإيسابل الأولى والي الجزر الخالدات ألونصو فخاردو (Alonso Fajardo) بتجديد بناء سانطا كروث سنة 1496 الذي سعى الإسبان في أن يكون مركزا تجاريا صرفاً لولا أن الحاجة إلى اليد العاملة في الجزر الخالدات دعت إلى جعله مرة أخرى بابا للغارات الاسترقاقية التي كان ملك إسبانيا كارلس الخامس لا يتورع عن أخذ نصيبه من ريعها. وظل الحال على ذلك إلى أن استطاع المغاربة تدمير سانطا كروث سنة 1524 وقام الشرفاء السعديون بتنظيم صفوف الجهاد وصار القراصنة المسلمون يهاجمون الجزر نفسها وانصرفت اهتمامات الإسبان والبرتغال خلال القرن السادس عشر نحو أمريكا الجنوبية مشتغلين بالاتجار في البشر هناك.

إنريكي الرابع (Enrique IV) ملك قشتلة فيما بين 1454 و1474 أصدر مرسوما بتاريخ 6 أبريل 1468 يمنح بمقتضاه لنبيل قشتلي إسمه دييگو گارثيا دي هرّيرا Diego Garcia de Herrera والي الجزر الخالدات يومئذ حرية التصرف في الأراضي المغربية المقابلة للجزر. بيد أن هذا القرار لم يتبلور إلا سنة 1476 بعد وفاة الملك المذكور بسنتين حيث قامت بعثة عسكرية إسبانية ببناء حصن سانطا كروث دي مار پيكينيا (Santa Cruz de Mar Pequeña).

إنريكي الملاح، 1394 - 1460، الأمير البرتغالي، المشرف على الريادات الملاحية البرتغالية الكبرى في القرن الخامس عشر الميلادي، أوفد المراكب نحو جزر الأصور ومادیرا (Madeira) والخالدات ونحو شواطئ الصحراء المغربية، وجل ذلك سعيا في العثور على طريق نحو الهند تغنى عن الوساطة الإسلامية المثمثلة يومئذ في السلطان التركي. وكان أحد موفديه جيل إيانيس (Gil Eannes) أول من بلغ بوجدور وعاد منها سنة 1434، جاء بعده ألونصو كونصالفس بالدايا (Alonso Gonçalves Baldaia) ثم نونيو تريسطاو (Nuño Tristao) الذي نزل بجزيرة أرگين سنة 1443 التي تحولت إلى مركز للاسترقاق بعد إقامة وكالة ثابثة فيها سنة 1448. وكان نونيو تريسطاو قد وصل إلى مصب نهر السنغال سنة 1444، كما أن كا دا موسطو (Ca da Mosto) جاب هذا النهر ونهر گامبيا فيما بين 1455 و1457 واكتشف جزر الرأس الأخضر. وكان كل ذلك يتم بدافع الفكر الصليبي للنيل من المسلمين ودار الإسلام إذ حصل الأمير إنريك من البابوية على براءات تبيح للمتطوعين في تلك الحملات قتل من يقتلون واستعباد من يستعبدون وتعترف لمن يقتل تحت راية الصليب بالشهادة. ولئن استطاع أولائك الرواد الأوائل من إقامة مبادلات تجارية عادية مع وادان على بعد ستة أيام داخل الصحراء فإن أهم بضاعة ظلت هي العبيد الذين يقدر أن زهاء ألف منهم كان ينقلون من أرگين إلى البرتغال كل سنة في ثمانينات القرن الخامس عشر.

Hodges, T., *Historical Dictionary of Western Sahara, London*, 1982.

إبراهيم بوطالب

أنواع السكن بالصحراء، لا يخالج المتحدث عن الهندسة المعمارية في الصحراء أدنى شك في وجود شكلين معماريين متميزين رئيسين : الشكل الأول يتمثل في الخيمة كوحدة سكنية تعتمد على مواد خام بسيطة مكونة من شعر الماعز ووبر الإبل وركائز من الخشب. وقد كانت هذه الوحدة السكنية نتاجا لتفاعل الرحل مع محيطهم الجغرافي الذي انعكس على نمط عيشهم المعتمد على حياة الظعن. فإن الرحل بابتكارهم لهذا الشكل الهندسي كانوا واعين بخصوصية الوسط الذي يعيشون فيه بحيث كانت الأحياء السكنية الصحراوية (مضارب الخيام = إفركان) هي الوحدات السكينة المتنقلة التي عرفها تاريخ البشرية، وكان الشكل الهندسي للخيمة يوفر التهوية لساكنيها، ويحميهم من أشعة الشمس الحارقة ومن التساقطات حيث لا تسمح بتسرب المياه إلى الداخل. وقد كان هذا النوع من السكن يتماشى مع الاستراتيجيات القبلية في ارتباطها بالمجال الجغرافي، حيث كان هذا النمط يساير الحركية الدائمة للقبائل سواء في ما يتعلق بنمط العيش المعتمد على الترحال بحثا عن مواطن الرعي للماشية، أو بارتباط مع الاستراتيجيات العسكرية زمن الحرب والتي تعتمد أساسا على الحركة المتكررة في الزمن والمكان وما يفرضه ذلك من مباغتة واقتناص للأعداء في ظل مجتمع سائب ظاعن غير مستقر، وكذلك في زمن السلم حيث الحركية التجارية تزدهر من خلال المواسم السنوية في غرب الصحراء كلها من وادي نون حتى حدود نهر السنغال، وتنبكتو وتندوف، كما ساهم هذا النمط السكني في نسج علاقات متنوعة بين النسيج القبلي في غرب الصحراء.

أما الشكل الثاني فهو ذلك المرتبط بالقصور المنتشرة في الواحات، إلى جانب المدن والحواضر الصحراوية القديمة في الجنوب المغربي والممتدة إلى غرب الصحراء (گلميم، ولاتة، تشيت، تمبكتو، تندوف) حيث كان السكن متماثلا في كثير من ملامحه مع وجود اختلافات نوعية مرتبطة بالمجال والمجتمع.

وإن هذه الوحدات السكنية من حيث هندستها المعمارية قد راعت كل المتغيرات سواء منها الإيكولوجية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو النفسية من حيث شكل المساكن ومرفلوجيتها ومن حيث مساحتها ومن حيث عدد الدور المنبثقة عن الدار المركزية في

إطار العلاقات العائلية التي تربط الأب والأبناء الذكور المتزوجين، ثم من حيث مواد البناء التي تراعي التوازنات المجالية والإيكولوجية من خلال الخشب المستعمل (جريد النخل والأشجار والقصب) والحجر والتراب المدكوك (اللوح)، كما أن مساحة الغرف داخل المسكن تنم عن استحضار ثقافة الإنسان الاجتماعي (الضيافة، المأدبات، المناسبات المختلفة...)، ثم التركيز على الأبواب وهندستها ومكوناتها الخشبية والحديدية، دون أن ننسى كثرة المخازن المحصنة في الجبال التي تنم عن وعي الإنسان بالمتغيرات التي يعرفها محيطه من تغيرات مناخية ممثلة في توالي سنوات الجفاف وما يخلفه ذلك من ندرة في المحاصيل الزراعية ولا غرابة في ذلك مادمنا في المغرب الصحراوي مغرب الندرة والجفاف. على أن الندرة والجفاف كانت مدعاة للحراك القبلي خاصة في شقه العسكري الرامي إلى اكتساح المجالات لفرض السيطرة وكسب المنافع المادية والرمزية، فكانت هذه المخازن بمثابة قلاع تحمي الساكنة وخيرات المنطقة من أي هجوم مباغت.

ومع ظهور الطفرة العمرانية في جميع المدن بما فيها المدن الصحراوية، انتشرت أشكال هندسية معمارية مقتبسة من أنماط مستوردة ولا تنم إلى واقع الصحراء بصلة من حيث مرفلوجية الأشكال المعمارية، ومن حيث بنيتها الداخلية. وهنا يحق أن نتساءل عن مدى حضور الأشكال الهندسية التقليدية في مقررات المدارس العليا لتكوين المهندسين ؟ ثم نتساءل عن الأبعاد الإيكولوجية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية التي كانت وراء هذه الأشكال التي لم يكن أسلافنا يرسمونها على أرض الواقع بطريقة اعتباطية ؟ ثم نتساءل أيضا هل تبرمج خرجات ميدانية تنظم من طرف المدارس العليا للمهندسين لصالح الطلبة للإطلاع على الأشكال الهندسية المعمارية الصحراوية ومميزاتها وخصوصياتها. إنها أسئلة تجد لها أجوبة مبهمة في ظل الأشكال الهندسية المعمارية التي انتشرت في مدن الصحراء والتي جاءت صورة متماثلة مع قرينتها في المدن المغربية الأخرى من حيث المساحة (90م أو 100م) والشكل الهندسي. فإنسان الصحراء لم يكن مقيدا في يوم من الأيام بالمساحة الضيقة سواء في الخيام ومحيطها الجغرافي، أو في القصور المترامية على امتداد الواحات (وادي نون وباني).

إن الرجوع إلى الأشكال الهندسية الصحراوية هو ضرورة ملحة تفرضها المتغيرات الحالية التي تؤسس لثقافة الرجوع إلى الحياة الطبيعية في المأكل والمسكن وأمور أخرى، فلا ننتظر من الأجانب أن يعيدونا إلى حياتنا الطبيعية التي بدأنا نهرب وننفر منها.

عبد العزيز بنعبد الله، *الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية*، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1976.

Odette du Pigaudeau, Arts et Coutumes des Maures, *Hesperis vol IX*, 1968 ; D. Jaques-Meunié, *Le Maroc saharien*, librairie klinsieck, 1982 ; Salima Naji, *Greniers de l' Atlas*, Editions Edisud, 2006 ; J. Caro Baroja, Los viejos señorios del Nun y el Dra, *Africa, n. 57*, 1955 ; Basil Davidson, *African kingdoms*, Nederland, tim inc, 1966 ; Jems L.A. Web, *Desert frontier*, The university of Wisconsin Press, 1995.

عمر ناجيه

أودية الصحراء، يعد الواد أكثر أشكال الجريان السطحي في الصحاري والنطاقات الجافة والشبه جافة، وتصريفه يقتصر على الفصول المطيرة ؛ وعادة ما يكون هذا الجريان داخليا أي من الأودية الحبيسة التي تتعرقل في مسيرها بفعل حواجز الكثبان الرملية أو نتيجة التسرب الكبير لمياهها عن طريق نفاذية الرمل السائد في هذه البيئة أو بفعل شدة التبخر الناتج عن ارتفاع درجة الحرارة، وهناك من يطلق عليها كذلك الأودية الضالة. وهناك أودية حبيسة في مصبها، أي في وصولها للمصب عند البحر تعوقها كثبان رملية وتحول دون وصولها للساحل، وتشكل بالتالي بحيرة أو ضاية نتيجة هذه العرقلة الطبيعية، كمثل واد شبيكة وواد أم فاطمة بنواحي طانطان. إلى جانب هذه الأودية نجد كذلك أودية ذات صرف خارجي، تكون في غالب الأحيان ممتدة الأطراف وذات حمولة كبيرة تصل إلى البحر بعد فقدان حمولاتها في الطريق، وفي هذه المرحلة الأخيرة من جريانها تتخلى شيئا فشيئا عن ما تبقى من حمولتها إما على شكل كومات روسوبية متناثرة إما في قعور سرير الواد أو على شكل دلتات صغيرة عند مصب الواد بمشارف البحر.

وجل هذه الأودية تنطلق أو تأخذ منبعها من مرتفعات إما قريبة أو بعيدة، مثلا واد درعة من أهم الأودية بالصحراء ويأتي من جبال الأطلس الشرقي بنواحي وارزازات ثم يأتي في المرتبة الثانية أهمية واد الساقية الحمراء الذي ينبع من حمادة تندوف. أما الأودية الأخرى فهي ثانوية وتشكل أغلبها روافد لأكبر الأودية بالصحراء، وخاصة واد الساقية الحمراء الذي نخص له هذا العمود. كما يجب الإشارة إلى أن هناك ارتباط وثيق ما بين الواد والسيل، فالواد هو ممر مائي قديم ولكنه جف بفعل انعدام التساقطات، بينما السيل يتكون نتيجة هطول الأمطار حيث تتجمع المياه وتزحف نحو الأودية فتزيد من حمولتها وجريانها. وهذه السيول تعمل كذلك على تغذية الفرشة المائية الباطنية بانسيابها وسيولها عبر السطح تم نفاذها في اتجاه الباطن.

والحديث عن واد الساقية الحمراء هو في آن واحد الحديث عن كل المجال الصحراوي الذي حمل منذ العصور القديمة إسم هذا الواد، بل تعدت شهرة وصيت هذه المنطقة جل الأقطار العربية والإفريقية على السواء. فهذا الإسم له مكانة ووقع في ذاكرة المجتمع الصحراوي، لا من حيث أصول القبائل جمعاء التي تعتبر الساقية الحمراء موطنها الأصلي، ولا من ناحية أهميتها الإقتصادية كمنطقة توفر الكلأ والماء والزراعة للبدو الرحل، وكونها كذلك منطقة جهادية تحمي وتستقطب المجاهدين المرابطين ضد الغزاة الأجانب.

فالحدود الجغرافيا لهذه المنطقة حسب المؤرخين والجغرافيين المغاربة القدماء مجال يمتد من واد درعة شمالا إلى مشارف بلاد شنقيط جنوبا، مرورا بمنطقة تيرس أي واد الذهب حاليا. ومن هؤلاء نذكر أبو عبيد الله البكري الذي ذكرها بتارجا أو تارگا أي الساقية بالعربية فقال : "من وادي درعة خمس مراحل إلى وادي تارجا، وهو أول الصحراء ثم نمشي في الصحراء (فتجد الماء على اليومين والثلاثة حتى تصل إلى رأس المجابة إلى البئر المسماة تزامت بئر معينة غير عذبة، وهي إلى الملوحة أقرب قد أنبطت)... وفي الشرق منها تسمى بئر الجمَالين، وعلى مقربة منها أيضا بئر تسمى نالللي كلها عذبة، ... ومنها إلى جبل يسمى بالبربرية (أدراران وزال تفسيره)...".

أما الجغرافي الشريف الإدريسي في كتابه "*النزهة المشتاق في اختراق الآفاق*"، فأشار لهذا المجال أو الواد ب "تازگغت"، فقال : "... في هذا الجزء من بلاد الصحراء نول لمطة وتازگغت..."، كما أضاف : "فأما بلاد نول الأقصى وتازگغت فهي بلاد لمتونة الصحراء ولمتونة قبيل من صنهاجة وصنهاجة ولمطة أخوان لأب واحد وأم واحدة وأبوهم لمط بن زعزاع...".

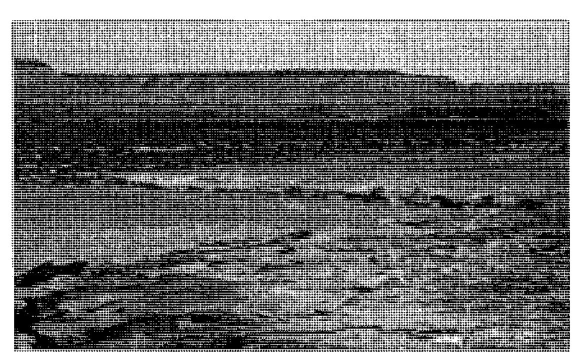
وهناك من حدد هذا المجال من واد نون شمالا إلى مشارف بلاد شنقيط جنوبا، وهذا ما جاء به أحمد الأمين الشنقيطي في كتابه "*الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*"، حيث قال : "الكلام على الساقية الحمراء : هي أرض مشهورة، وهي آخر شنقيط من جهة واد نون، تبعد عن شنقيط عشرين يوما بالسير الحثيث، وتقدمت أبيات ابن الشيخ سيدي، التي صرح فيها، أن مسافتها شهر بسير الإبل، من الصباح إلى المساء، وبذلك يتضح ما قلت، لأن أرضه تبعد عن شنقيط بنحو عشرة أيام، (...)". بينما في فترة المستكشفين الأجانب والاستعماريين الفرنسي والإسباني على السواء، حصرت حدود الساقية الحمراء في مجرى الواد والأراضي المحاذية له، أي المنطقة الممتدة من منبع واد الساقيـة الحمراء شرقا مـرورا بمدينـة السمـارة إلى مصبـه بفـم الـواد بالمحيط

الأطلنتي غرب مدينـة العيون، ومن الشمـال تمتد إلى الـگعدة، وجنوبا إلى حـدود لمسيد شمـال بوجدور. وهذه المنطقة التاريخية لم يحتلها المعمر الإسباني احتلالا كاملا إلا في حدود سنة 1934.

وقد ورد كذلك عند أحمد الأمين الشنقيطي بأن هذه الأرض هي في الأصل في ملكية قبيلة الرگيبات، بقوله : "... وهي في الأصل، للرگيبات، قبيلة أصلهم من الزوايا، إلا أنهم يحملون السلاح في أكثر أوقاتهم،...".

وأضاف "...، وكانت الساقية الحمراء، خالية لا أنيس بها لشدة الخوف، ولقحولتها دائما، حتى عمرها الشيخ ماء العينين، وبنى فيها الدور، وغرس النخل فسهلت المواصلة بين شنقيط وغيرها من المواضع المغربية، أعني التابعة للمخزن،...".

إلا أن منطقة الساقية الحمراء لم تكن "خلاء لا أنيس فيها"، بل كانت عمارة وخلوة لأهم أولياء الصحراء قبل مجيء الشيخ ماء العينين بقـرون. هذه الأرض المقدسة بأوليائها تضم آباء وأجداد بعض القبائـل ك : الشيخ سيدي أحمـد الرگيبـي، دفيـن واد الحبشـي شمال شرق الساقية الحمـراء، الذي يذكره الحسن البعقيلي قائلا : "... أحمد الرگيبي شبل عبد الواحد ولد عبد الكريم بن محمد (...) فأصل الرگيبي درعة، تملك فيها نخلا كثيرا ومواشي وأصولا كثيرة، فانتقل (...) إلى أرض لخنيگات، واشتراها بساحل البحر بالشبيكة بستين قنطارا من الذهب من أربابها بني حفيان...".



واد الساقية الحمراء

ومن بين الأولياء الذين سكنوها شهداء أولاد أبي السباع السبعة المدفونين بالطويحل، جماعة سيد أحمد العروسي، إقليم السمارة، وهم : محمد البگـار بن الحاج، ومحمد المختار، وعيسى، وإبراهيم بوعنگـة، وعبد المولى، والعبـاس، ومحمد المعروف بأگـلش، وهـم من القرن العاشـر الهجـري، وقـد ذهب دى لاشاپيل (De La Chapelle) إلى أن طرد البرتغاليين عن السواحل الصحراويـة راجع إلى السباعيين. كما أن هـؤلاء السباعييـن السبعـة سقطـوا في معركة مع الضابط البرتغالي المسمى ب "الشمصعي" وفي الكتابات الغربية يسمى Somida.

إلى جانبهم نجد الشيخ سيدي أحمد العروسي الجد الجامع لقبيلة العروسيين، دفين الطويحل (جماعة سيدي أحمد العروسي) على الضفة اليسرى للساقية الحمراء. ومن صلحاء الساقية الحمراء نذكر سيدي الحاج أحمر اللحية جد فخذة أولاد الشيخ من الرگيبات، والجد الجامع لأولاد الدليم بويا علي الدليمي على واد وين تركت، والشيخ مربه ربه بواد تـافـودارت أحد روافـد واد الساقية الحمراء وهـو من أولاد الشيخ ماء العينين، ثم في أسفل الواد قـرب مدينـة العيون وبالضبط بفـم الواد نجد مزار الولية الصالحة العيافـة، ومقابـر رجالات معينيـة السباعييـن بتافـودارت. وجل أولياء الساقيـة الحمراء هم شرفاء أدارسة ينحدرون من إدريس الأول، مؤسس دولة الأدارسة.

ونظرا لأهمية هذه المنطقة الاستراتيجية والاقتصادية والروحية، بحكم أنها تربط بين شمال المغرب وجنوب الصحراء عبر القوافل التجارية، وكونها تبعد عن البحر بأكثر من 240 كلم في اتجاه العيون، هذا البحر الذي جلب للمنطقة أطماع أجنبية، وباعتبارها كذلك أرض خلوة لأولياء الله وصلحائه، كل هذه العوامل تفاعلت فيما بينها

ليتخذ منها الشيخ ماء العينين قاعدة له في مواجهة التوغل الإستعماري. ففي سنة 1902 بنى الشيخ ماء العينين زاويته بالسمارة على الضفة اليمنى لواد سلوان أحد روافد واد الساقية الحمراء، وكانت مركزا متقدما لمواجهة الاستعمار الأجنبي، الذي لم يتحكم في هذه المنطقة إلا في سنة 1934.

أما عن مورفلوجية واد الساقية الحمراء فيجب أن نشرح بادء ذي بدء إسم هذا الواد التاريخي. فلقد سمي بالساقية لأنه يوصل الماء في فترات فيضانه وجريانه إلى البدو الرحل بدون تقطع أو انحباس فهو كما أشرنا في المقدمة من الأودية ذات الصرف الخارجي، أي التي يصل جريانها إلى البحر عكس الأودية الحبيسة ذات الصرف الداخلي. ولهذا نعتوه بالساقية لأنه يسوق الماء إلى الأراضي العجفاء أو العطشانة، كما يسقي الأرض ويرويها ليتمكن البدو الرحل من زرعها والانتفاع من الكلأ الذي توفره أرضه بعد مرور الفيضان.

أما الحمراء، فنعت يوحي بثلاث احتمالات :

- الاحتمال الأول من حيث التربة، ذلك بأن أحد أهم روافد واد الساقية الحمراء يدعى إريقي أي باللغة الأمازيغية الوحل أو الطين المبلل، وهذا الطين أو الطمي يحمله هذا الرافد ليصبه في واد الساقية الحمراء الذي يرسبه بدوره في قعوره، فيعطينا ذلك الإحمرار الطيني - الرملي، الذي يستغله البدو في زراعة الشعير نظرا لخصوبة أتربته. وهناك من يرجع أصول هذه التربة الرملية المحمرة إلى زمن الفترات الرباعية الرطبة.

- الاحتمال من حيث النبات، فذاك الطمي المرسب في قعور الواد تحتله نباتات شوكية من نوع العناب أو ما يطلق عليه محليا "النبكة" Jujubier. وهذه النبتة تتسم في بداية نموها باحمرار براعمها قبل أن تتحول بعد نضجها إلى اللون البني.

- الاحتمال الثالث ناتج عن التعرية الهيدروالكيماوية Erosion Hydrochimique، فواد الساقية الحمراء ينبع من حمادة تندوف، وهذه الأخيرة من أغنى الهضاب الصحراوية بمعدن الحديد، وعندما تتجمع المياه في قلب هذه الحمادة يتم تأكسد الحديد الموجود في صخورها فتؤدى إلى احمرار المياه الجارية في الواد، ولشدة هذا الاحمرار أطلق عليه السكان الأصليون واد الساقية الحمراء. وهذا الاحتمال الثالث هو الأرجح والأقرب إلى الصواب.

وواد الساقية الحمراء هو أكبر الأودية في الصحراء بعد واد درعة، يمتد على طول 450 كلم من حمادة تندوف شرقا إلى مصبه عند فم الواد بالمحيط الأطلنتي غربا، على بعد 25 كلم من مدينة العيون. وأول من رسم مجراه هو العقيد الفرنسي پيجو Lieutenant Pigeot، ثم أخذه عنه كلا من دى لاشبيل ودولاي Delaye في الخريطتين التي وضعوها للمنطقة سنة 1930، فقد جاء ما يلي عن پيجو : "(...) ففي الجنوب - الغربي لتندوف يبدأ حوض الساقية الحمراء، منطقة مكتضة بالسكان، (...) لكن هذا الحوض يقع في أراضي واد الذهب التابعة للإسبان...". المنبع إذا هو من حمادة تندوف كما أكدها المستكشف الفرنسي پيجو، بينما حاليا هناك من يرجع منبعه إلى جبال گلتة زمور وهذا من الخطأ لأنهم لا يفرقون بين رافده واد الخط الذي يأتي من هذه الجبال وبين مسار واد الساقية الحمراء الذي يستمر سيره في الحمادة شرقا.

- طبوغرافية واد الساقية الحمراء : تنطلق من الأعلى إلى الأسفل، أي من حمادة تندوف منبع الواد حيث حفر فيها أخاديد عميقة جعلت الواد ينحدر بميلان شديد إلى مستوى ما بين 200 و150م، وعند مخرجه من الحمادة على بعد 100 كلم من المنبع، يتسع قطره عرضا، وتظهر في قعره كومات الإرساب متناثرة في سرير الواد تتخللها بعض البقع البيضاء على شكل سبخات صغيرة الحجم. ثم يستمر في رسم مجراه في سهل الفريرينات عند حاسي الحوصة وحاسي الفوار.

ثم يسير واد الساقية الحمراء على مسافة 70 كلم في منطقة تكسوها الرمال والأنقاض الحمراء، ثم يضيق من جديد على 25 كلم من مدينة السمارة حيث يشكل خنقا بين جبلين ثليين قليلا الارتفاع هما لرموز (400م) وجبل البطينة الثلية (460م). وبعد هذا يدخل الواد في خوانق يلتوي حولها حتى تصبح طبوغرافيته محدبة، وقبل وصوله إلى مستواه السفلي أو الأدنى يلتقي بسبخة إكطيان التي تتغذى هي الأخرى من مياهه في فترات الفيضانات. وفي هذا المستوى الأدنى حيث السهول المنخفضة يفقد واد الساقية الحمراء طاقته فيشكل مستنقعات كبيرة عند مشارف مدينة العيون، ثم يستمر سيره وسط صخور صلبة وكثبان رملية ليصل إلى البحر حيث مصبه الذي يدعى فم الواد.

- جيولوجية واد الساقية الحمراء : كما أشرنا فالواد ينطلق من حمادة تندوف، حيث منبعه، وتتألف هذه الأخيرة من الصخور الكريتاسية وتكونات البليوسين الأوسط البحرية. ثم يعبر منخفضا إفراغيا، مشكلا في صخور القاعدة الأولية، الديفونية، على شكل بهرة شاسعة، يرسم فيها الواد حوضه الأوسط. وفي اتجاه الغرب، تختفي القاعدة الأولية تحت هضاب مكونة من رواسب متوجة بدكات حثية بحرية وكثيبية بليورباعية. وينتهي غربا عند مصبه بفم الواد بالساحل الأطلنتي، حيث يتجسد هناك في الرصيف البري، ويشرف مباشرة على البحر بواسطة جرف حي، يتشكل في رواسب لوماشيلية رصيصية تعلو مستوى البحر الحالي ب 2م، ممثلة رواسب غمرية هولوسينية.

- روافد واد الساقية الحمراء : واد الديرت، وين سلوان، الحبشي، وين تركت، الخشيبي، تغزرت، اجديرية، بوعنگة، مزوار، سكيكيم، اكسات، خنگ السكوم، العصلي، اتقي، الخط، تازوا، آيتغي، أوليتيس، الجفال، الزويزل، العامر، لبيض، لكراد، ميران، اميزرات، أوركانات، الجمال، التواغد، بن داكة، بن زكا، الفرنان، ادميري، أوزيريفت، اباكي. هذه الروافد تحوم على واد الساقية الحمراء كشريان تمده بالمياه وتزيد من حمولته في وقت الفيضانات، وتكون جزء منه من حيث بنيته الجيولوجية والهيدروغرافية. وأهم هذه

الروافد حجما بعد واد الساقية الحمراء، واد الخط الذي ينبع من جبال گلتة زمور، ويصل طولــه إلى حوالي 240 كلم، ويلتقي مع واد الساقية الحمراء على بعد 40 كلم من مدينة العيون.

وهناك أودية خارج الشبكة الهيدروغرافية للساقية الحمراء، كالواد الوعر وواد أودري وواد شبيكة وواد أم فاطمة شمالا، وجنوبـا نجد واد لكــراع في إقليم بوجــدور وبالضبط عنــد رأس أوفيست. وتوجــد عيون متناثــرة خاصة بواد اتقي كعوينات لكروف وعين لمليحس وعيــون لـگصعيات، بالإضافــة إلى شلالات واد بن حمــادو.

- روافد واد الذهب : قبل الحديث عن روافد هذه المنطقة، يجب أن نشير أن واد الذهب هو إسم أطلقه الإسبان على المنطقة Rio De Oro نظرا لمرور جل القــوافــل التجــارية المحملــة بالتبــر أي الذهـــب بهــذا المجال الذي كان يحمل إسم بلاد تيرس. ولكن على المستوى الواقع الطبوغرافي للمنطقة فلا يوجد أي واد يحمل هذا الإســم.

وأهم أودية هذه المنطقة هي : واد أتوي، أشايف، أنزران، الحولي، الجنة، أماسين، تشلا، الكراع، انيدال، توفليت، الفج، الكرآيتفا، الفش، لوتاد، توفليت، لبير. ويبقى واد أتوي أهمها بواد الذهب من حيث طوله وأهميته بالمنطقة، فهو الذي يغذي سبخة دمس التي يخترقها ليتم مسيرته في اتجاه الشمال حيث ينتهي حبيس الكثبان الرمليــة.

ويتبين أن واد الساقيــة الحمــراء وروافــده أكثر أهميــة من حيث العدد والأهمية داخل المنطقة، فهي الشريــان الحيــوي الذي يغــذي الفرشـــة المائية الباطنيــة. كما أن في فترات فيضان هذه الأودية تغمر مياهها جل الأراضي، وتحمل معهــا كذلك الطمـــي الذي ترسبــه في قعور لـگراير، التي تعد أخصب البقع الزراعية البورية بالصحراء.

الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*، ج 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994 ؛ أبي عبيد الله البكري، *كتاب المسالك والممالك*، ج 2، ص. 857، حققه ادريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992 ؛ محمد دحمان، الساقية الحمراء إبان تأسيس زاوية السمارة : مقاربة سوسيو - تاريخية، *ندوة "السمارة، الحاضرة الروحية والجهادية للصحراء المغربية"*، نظمت بمدينة السمارة يومي 1 و2 فبراير 1999، منشورة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أگادير، الطبعة الثانية، مطبعة المعارف الجديــدة، الربــاط، 2002 ؛ *الترحال والاستقرار من خلال دراسة سوسيو - تاريخية لقبيلة أولاد أبي السباع : حالة المغرب وموريتانيا*، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس - أگدال، الرباط، 2004.

De La Chapelle, Fréderic, Esquisse d'une histoire du Sahara Occidental, Actes du 7[eme] congrès de l'Ihem, *Hesperis T.H.*, Rabat, Librairie E. Larose, Paris, 1930 ; De La Chapelle, F. & Delaye, Th.-J., Croquis du Sahara Occidental, Actes du 7[eme] congrès de l'Ihem, *Hesperis T.XI* (fascicules I-II), Rabat, Librairie E. Larose, Paris, 1930 ; Pigeot, (Lieutenant), Carte de reconnaissance de l'Iguidi et des régions à l'Ouest de Tabelbala et au Sud de l'Oued Dra, in *VIIème congrès de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines, - Etudes, notes et documents sur le Sahara Occidental-*, Rabat, Librairie E. Larose, Paris, 1930 ; Cheddad My Driss et autres, *Eléments introductifs-Débat national sur l'aménagement du territoire-Régions Oued Eddahab-Lagouira*, Direction de l'Aménagement du Territoire, Ministère de l'Aménagement du Territoire, de l'Environnement, de l'Urbanisme et de l'Habitat, Rabat, Décembre, 1999 ; Cheddad My Driss et autres, *Eléments introductifs-Débat national sur l'aménagement du territoire-Régions Lâayoune-Boujdour-Sakia El Hamra*, Direction de l'Aménagement du Territoire, Ministère de l'Aménagement du Territoire, de l'Environnement, de l'Urbanisme et de l'Habitat, Rabat, Décembre, 1999 ; Cheddad My Driss et autres, *Eléments introductifs-Débat national sur l'aménagement du territoire-Régions Guelmim-Es Smara*, Direction de l'Aménagement du Territoire, Ministère de l'Aménagement du Territoire, de l'Environnement, de l'Urbanisme et de l'Habitat, Rabat, Décembre, 1999 ; Cheddad My Driss, Sahara : écosystème fragile, ressources naturelles limitées et engagement de l'Etat pour un aménagement régional exceptionnel et une mise à niveau socio-économique et spatiale, *Revue Horizons Universiaires*, n°3 vol.2, Université Mohammed V – Souissi- Rabat, Novembre, 2006 ; Dresch, J., *Géographie des régions arides*, PUF, Paris, 1982 ; Gautier, E. F., Sahara Marocain (au), *Revue de Paris*, IV, 1910 ; Gharbaoui Ahmed, *Géographie du Sahara marocain*, Casablanca, 1985.

مولاي إدريس شداد

أوراغ (مرض -) هو مرض ينتج عن الإكثار من تناول المواد والسوائل الحلوة التي يكثر فيها السكر ومن علاماته شدة اصفرار اللون وتتم معالجته بأكل دقيق الشعير والقمح وهو ما يسمى عند أهل الصحراء "بالعيشة الكحلة" أي السوداء ويقال للإنسان المصاب بهذا المرض "امَّــرَّغْ".

ماء العينين النعمة علي

أورگــان (Ouragan) اسم العمليات العسكرية الفرنسية الإسبانية التي قضت على فرق جيش التحرير المغربي التي كانت تريد تحرير الصحراء الغربية بما في ذلك موريطانيا تــوّا غداة استقلال البلاد سنة 1956. كان العقل المدبر لهذه العمليات الجنرال الفرنسي گــابرييل بورگوند (Gabriel Burgund) المسؤول يومئذ عن حماية موريطانيا من غارات جيش التحرير التي انطلقت منذ بداية سنة 1957 فأرغمت الجيوش الإسبانية على الانسحاب من داخل تراب مناطقها بما في ذلك السمارة لتتحصر في الشواطئ وترخص للجيوش الفرنسية في ملاحقة المجاهدين المغاربة حيثما تأتى لها ذلك. وعلى إثر لقاء جمع يوم 20 شتنبر 1957 في دكار، عاصمة السينغال، بين الجنرال بورگوند والجنرال ماريانو كوميث ثماليــووا (Mariano Gomez Zamalloa)، الوالي العام لما كان يسمى إفريقيا الغربية الإسبانية،

تقرر القيام بعمليات عسكرية مشتركة لجعل حد لغزوات جيش التحرير أطلق إسم أورگان عليها يعني العاصفة. وبعد موافقة الحكومتان الفرنسية والإسبانية على ذلك في طليعة سنة 1958 تشكلت قوات فرنسية بقيادة الجنرال بورگوند من 5000 جندي و600 سيارة مصفحة و70 طائرة وأطلق على العملية إسم إيكوفيون Ecouvillon. وتشكلت القوات الإسبانية بقيادة الجنرال لوپيث بالنثيا (Lopez Valencia) من 9000 جندي و60 طائرة وأطلق عليها إسم طيدي (TEIDE). وانطلقت العمليات ابتداء من 10 فبراير 1958 مكنت الجيشان من استرجاع السمارة والفارسية بعد معارك طاحنة مع فرق جيش التحرير في سيدي أحمد العروسي وتاقادرت أرغمت المجاهدين على الانسحاب داخل التراب المغربي المستقل. ثم جرت معارك أخرى في وادي الذهب تمكن الإسبان من خلالها من استرجاع نفوذهم على گلتة زمور وبئر أنزران وأوسرد وتمكن الفرنسيين من تحصين المسالك المورطانية وسكة الحديد من الزويرات إلى نواديبو، مدعين أن 7 من جنودهم قتلوا و25 جرحوا وأنهم قتلوا 132 مجاهداً مغربياً وألقوا القبض على 51 بينما ادعى الإسبان أنهم لم يفقدوا إلا خمسة من جنودهم وأن 27 منهم جرحوا، مما يعني أن المؤرخ مازال في حاجة إلى مزيد من البحث في هذا الصدد.

Hodges, T., *Historical Dictionary of Western Sahara, London*, 1982.

إبراهيم بوطالب

أَوْفيسْتْ، مرسى تقع جنوب رأس بوجدور وتعرف عند الإسبان بـ "إلـپِّرْشِيل El Parchel" وبـ "المِيدانُو گُرانْدي Medano grande" (الجرف الكبير).

A. Domenech, *Algo sobre Rio de Oro*, Madrid, 1946, p. 74 ; I. Carnero Ruiz, *Vocabulario geografico-sahariano*, Madrid, 1955, p. 60.

محمد ابن عزوز حكيم

أولياء وصلحاء أولاد أبي السباع بالصحراء، كلمة الصحراء في حد ذاتها تختزل الخلوة والقساوة والتقشف في طبيعة مكوناتها البيئية، مما أهلها لتكون قبلة الزهاد وملجأ وملاذا لأهل الله، اللذين حبذوا العيش في كنف ظروفها القاسية بعيدا عن الحواضر وما تحويه من ملذات وإغراءات تستهوي النفوس. فنزوح أهل الله إلى هذه القفار لم يكن من الصدف بل هروبا من واقع مادي مغري إلى آخر يتسم بالهدوء والصفاء والانزواء على النفس من أجل التقرب إلى الله عز وجل في سكينة وخشوع قلما يوفره مجال آخر. وبذلك أمت الصحراء علماء وزهاد من مختلف مناطق المغرب، عاشوا في كنفها واستقروا بها وخلفوا ذريتهم التي كونت بدورها أهالي وقبائل سارت على نهج أسلافها، وذلك بالتشبث بالدين والعلم والجهاد في سبيل الله، فظهرت في تخوم الصحراء مقابر متناثرة تؤم صلحاء وعلماء أجلاء ومجاهدين، يذكرهم التاريخ سواء منه الكتابي أو الشفهي السائد بالمنطقة، وتتداوله قريحة الشعراء لتسرد بطولاتهم ضد الغزو الأجنبي وخاصة منه الصليبي.

تنتشر المزارات بالصحراء في مجال يختلف في خصوصياته الطبيعية من مكان إلى آخر، أي من مجال الواحات في الشمال حيث واد درعة وواد نون مرورا بواد الساقية الحمراء حيث الامتداد الشاسع للكثبان الرملية أي ما يسمى بالعرق، ثم يليه في أقصى الجنوب أي من واد الذهب حتى تخوم الحدود المغربية الموريتانيا مجال الركَ والمراعي الصحراوية الشاسعة والممتدة. فالصحراء رغم قساوة ظروفها الطبيعية، أنجبت علماء أجلاء يشهد لهم التاريخ بعلمهم كالشيخ ماء العينين، والشيخ الحضرمي ابن محمد الأمين السباعي ماء العينين بن محمد الأمين المعروف بمعينية، والشيخ سيدي محمد التشيتي السباعي، والشيخ محمد بن سالم المجلسي (قبيلة مدلش)، والشيخ محمد المامي من أهل بارك الله، والشيخ محمد سالم ولد الحبيب ولد عبد الحي الركيبي، والشيخ محمد يحظيه ولد عبد الباقي، وأخيرا الشيخ محمد الحسن ولد الليلي التوبالتي.

وما يميز مقابر الصحراء عن باقي مناطق المغرب الشمالية أنها غير مبنية، باستثناء أضرحة واد نون ودرعة التي تتشابه إلى حد ما بمثيلاتها في الشمال من المملكة. وهكذا، نجد اختلافا كبيرا في معمار المقابر الصحراوية، بحيث لا نصادف قبة ولا ضريحا مشيدا على الطراز المعماري المغربي الأندلسي، بل قبوراً عادية تحيط بها أحجار من كل جانب وتعلو عند رأس ورجلي الدفين حجرة مصفحة تبدو أكبر من غيرها وقد تكون في بعض القبور على شكل سارية صغيرة مبنية من الطين يتخللها في الأعلى حجارة مصطفة ومتراصية، لا تحمل اسما ولا علامة. ويمكن إرجاع هذا الشكل في البناء إلى نمط الترحال السائد بالصحراء والذي لا يعير اهتماما كبيرا للطقوس المعمارية وزخرفتها نظرا لمعيشة وبيئة الرحل المتواضعة ولعدم خبرتهم في البناء، بالإضافة إلى انعدام وغياب مواد ووسائل البناء غير المتاحة في هذا الوسط القاحل، وهناك من يعزي هذا السلوك إلى التشبث بالسنة النبوية في منع البناء على القبور. بينما يرده البعض إلى انعدام الاستقرار، وخير مثال للمقارنة هو ما بين هذا الوسط الترحالي وواد نون حيث قبائل تكنة التي عرفت الاستقرار منذ سنين عديدة وزاولت الفلاحة والري، مما حتم عليها أن تتجاوب مع مجالها بكل الوسائل المتاحة لكي تجعل منه وسطا يليق بمستواها المعيشي من سكن لائق وفلاحة وتجارة مزدهرة عززت استقرارها وارتباطها بالأرض المعطاء.

أما ظاهرة تقديس الأولياء في حد ذاتها فتعد جزءا من معتقدات شعبية كيفما كان نمط عيشها ترحالا أو استقراراً، بحيث تنحدر في عمقها التاريخي إلى مئات السنين إن لم نقل عصور ما قبل الفتح الإسلامي، فنجد مزارات لها هالة من التقديس والتهيب والطقوس

والممارسات التي اجتهد العامة في توارثها وابتداع سلوكات خاصة بها رسخت الخضوع لها، وكرست تعايشا تلقائيا وأحيانا عضويا معها. وهذه المقابر أو الأضرحة قد تضم رفات رجل أو امرأة اتخذه الإنسان وليا صالحا لكونه له كرامات، قد يكون هذا الولي في الأصل متصوفا، مجذوبا، عالما، مجاهدا، شريفا، أو جدا جامعا لقبيلة من القبائل تتجمع حوله بطون القبيلة وتتخذ منه رمزا لتلاحمها وتآزرها والأهم من هذا هو كونه يمثل أصولها العرقي والسلالي والنسبي.

إلا أن الانتماء لآل البيت أي النسب الشريف يبقى هو رمز القداسة والافتخار، ثم يليه الجهاد أو ما يسمى كذلك بالرباط أي مرابط في سبيل الله. ولهذا نجد قبائل متاخمة في الصحراء تتخذ من هذين الرمزين الشرف والجهاد منبع وجودها وانتمائها الاعتزازي والعرقي.

فلكل قبيلة في الصحراء أولياؤها وصلحاؤها، ومن الأولياء المشهورين بهذا المجال، نجد :

- اعمر وعمران وشهداء الساقية الحمراء السبعة، أجداد أولاد أبي السباع (التفصيل يأتي في ما بعد).

- سيد أحمد الركيبي، الجد الجامع للركيبات، مزاره بواد الحبشي، إقليم السمارة.

- سيد أحمد العروسي، الجد الجامع للعروسيين، مزاره بواد الساقية الحمراء - الطويحل - جماعة سيدي أحمد العروسي، إقليم السمارة.

- سيد منصور بن علي جابر، الجد الجامع لأولاد الدليم، مزاره بتدخست جنوب مدينة العيون.

- سيد أحمد بوغنبور، الجد الجامع لأولاد تيدرارين، مزاره بالمسيد، إقليم بوجدور.

- الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين، مزاره بتافودارت، الساقية الحمراء.

- سيد محمد بن محمد سالم المجلسي، أحد أبرز علماء قبيلة مدلش أو المجلسيين، يوجد مزاره بدومس، إقليم أوسرد.

- الشيخ محمد المامي من أهل بارك الله، العالم الجليل، مزاره بجبل أيكَ بتيرس، إقليم أوسرد.

1 - قبيلة أولاد أبي السباع والنسب الشريف :

ومن بين هذه القبائل التي ينحدر جدها الجامع من أصول شريفة نجد أولاد أبي السباع، التي ترجع أصولها إلى عامر الهامل حفيد إدريس الأول والثاني كما تذكر المصادر التاريخية، ومن بين هذه المصادر : "*تأليف أهل النسب النبوي رضي الله عنهم*"، مخطوط ينسب للشيخ عبد العظيم الزموري، حيث يقول : "ذكر شرفاء أولاد بوسبع، فجدهم عامر الملقب الهامل بن محمد بن عمران بن عبد الوهاب بن الحسن بن موسى بن ميمون بن عيسى بن عثمان بن سعيد بن علي بن أحمد بن محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي الطالب كرمه الله وجهه".

كما ذكر أصولهم أبو العباس أحمد بن الشيخ عبد الله البكري في مخطوطه "*لمن أراد تعريف نسب المصطفى (ص) وسلالة النبوة*" : "نسب الولي الصالح العالم المتعبد سيدنا عامر الهامل المكني أبي السباع جد القبيلة المذكورة أعلاه ضمن أبناء سيدنا محمد بن إدريس، وهو : عامر بن احريز بن محرز بن عبد الله بن إبراهيم بن إدريس بن محمد بن يوسف بن زيد بن عبد النعيم بن عبد الواسع بن عبد الدائم بن عمر بن رزوق بن عبد الله بن سعيد بن عبد الرحمان بن سالم بن عزوز بن عبد الكريم بن خالد بن سعيد بن عبد الله بن زيد بن رحمون بن زكرياء بن محمد بن عبد الحميد بن علي بن محمد بن عبد الله بن محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت سيد الأولين والآخرين (ص). قدم سيدنا عامر من المشرق صحبة والده الشيخ احريز فنزل ببلاد طاطا بمكان يسمى تتوك ثم انتقل منه إلى تامدولت التي مكث بها سنين حيث توفي بها الوالد الشيخ احريز ودفن هناك وكان ذلك الزمن العمران قليل فانتقل سيدنا عامر إلى بلاد تمنارت فاشترى بها ملكا كما اشترى أرضا تسمى الفائجة وبقيت تعرف بفائجة أبي السباع ثم انتقل إلى الجهة الغربية بمكان يسمى وارگزيز به ربوة عالية بني بها مسجدا وخلوة ومكث بها زمنا يعبد الله حتى قدم عليه جنود بني حسان ناهضين فأرادوا اغتصاب ما لديه من مال فسلط الله عليهم السباع فتكت بهم وشتتت شملهم فأخذوا يستنجدون به تائبين طالبين الخلاص يصيحون يا أبا السباع خلصنا من سباعك وانسحبوا فارين وبعدها انتقل إلى جبال الأطلس الجنوبية حيث توفي هناك ودفن بربوة عالية تدعى أضاض امدن بلهجة سكان المنطقة وهي تقع بأرض سوس بقبيلة آيت اصواب شرق مدينة تزنيت وبقي ضريحه تأتيه الزوار من كل مكان قصد السياحة والتبرك (...) ترك سيدنا عامر ثلاثة أبناء هم : اعمر واعمران والنومر ضريحهم مشهور بوادي نون ومن حفدته اللذين اشتهروا بالعلم والعبادة والجهاد أبناء أبي السباع السبعة المعروف ضريحهم بوادي الساقية الحمراء".

وممن اقر نسبهم الشريف كذلك، الشيخ أبو بكر بن محمد السيوطي المكناسي في كتابه "*الأنساب*"، بقوله : "ذكر شرفاء عرب فاس بنو جرمون... وبنو مغار وبنو حرمة وبنو خالد وبنو عنان وبنو حيارة وبنو زجارة والعراقيون والشوليون وبنو كانون وبنو لحيان، وبنو السباع والطالبيون والقادرين...".

ثم نجد كذلك رواية الفقيه الحاج الأحسن البعقيلي في "*تبيين الأشراف*"، يقول فيها : "شجرة أولاد السباع وهو عامر بن حريز وهو شيخ كبير عالم صالح جاء من الحج ونزل في طاطا بموضع تلترك وتملك فانتقل لتمدلت أقا ومات فيها وترك عامر بن الحريز ودفن حريز بتمدلت وعليه مزارة وانتقل عامر إلى تمزوت وتملك فيها وفي الفيجاء لأبي السباع ورحل بكسبه من صحراء إلى صحراء إلى محل يقال له وركزيز جهة غروب الشمس ونزل تحت ربوة عالية لا عمارة فيها وبنى مسجدا في أسفلها وخلوة في أعلاها فقصده بنو حسان لنهبه فسلط عليهم السباع فتفرقوا في الجبال والأودية فتابوا فعفا

عنهم وتركوا أمواله فأعقب عمرا وعمران في واد نون في ترجا وترك إبراهيم في الفيجاء لأبي السباع ومن ذريته بعد الذي أعقب سبعة علماء حجاجا غزاة استوطنوا بين واد النون والساقية الحمراء أهل ولاية وبركة ومن ذريته رجال بالصحراء بأخنيكَ النحل قرب شفشاوة بحوز مراكش".

وكما ورد في كتاب "*الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*"، "وقال في كتاب الأنساب المنسوب للإمام أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جزي الكلبي ما نصه : وشرف أولاد أبي السبع خرجوا من شجرة الزيتون، وافترقت في الساقية الحمراء، وفي ونشريس، وفي شلف، وفي ناحية الجزائر في سواد، وفي خمليشة، وفي قمقولة من سوس، وجدهم حيثما كانوا هو سيدي ومولاي الحاج السبع عبد الله بن عبد الخالق بن عبد الرحمان بن عبد الوهاب ابن ملحة ابن الشريف الحسني، وقال العشماوي : ومنهم فرقة في الساقية الحمراء أولاد أبي السبع، وهو عامر الهامل في الساقية الحمراء، وهم أعراب يرحلون وينزلون".

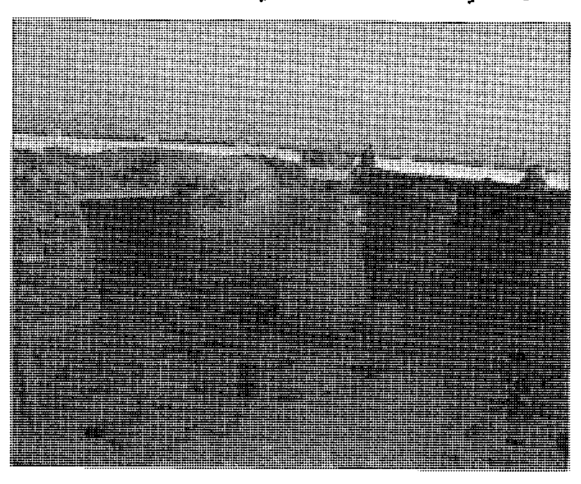
وقال في ص 168 من الجزء الثاني من *الدرر البهية*: وأما الشرفاء أهل دويرة السبع فمن بني ولي الله سيدي محمد المدعو السبع، فكل سبعي صح نسبه لهذا الجد.

وقال في تأليف أشراف غريس ما نصه : "وهؤلاء الأشراف السباعيون لهم صيت بالمغرب الأقصى، وقفرهم قريب من سوس، وكانت بينهم وبين أولاد سيدي عمر مزاورة ومواصلة في القديم، يعترف كل منهم للآخر بالقرابة والاتصال...".

وقد أكد محمد المختار السوسي في "*المعسول*" ج 15، ما يلي : "... وينتهي النسب إلى عمران ثم يرتفع إلى عامر الملقب أبي السباع دفين جبل (اضاض ميدني) ب (سوس) وهو من أهل القرن الثامن - على ما يظهر - والسباعيون أولاده منتشرون كثيرون، حتى تكونت منهم ومن انزجّ فيهم ممن ليس منهم قبيلة كبيرة في (الصحراء) ثم قدم إلى الحوز (مراكش) فريق كبير منها، ويتفرق الذين يصح نسبهم إلى أبي السباع إلى (أولاد عمرو) و(أولاد عمران) وهم معروفون بالتواتر عند نساباتهم. ولهذه القبيلة تاريخ مجيد في الكرم والشجاعة، لا يقبلون الضيم، ولا يرضخون لمن يسومهم الخسف وهذا حالهم لا في (الصحراء) ولا في (الحوز) وقد لاقوا مرارا صدمات من أجل ذلك (...). ولهذه القبيلة تاريخ مجيد يستحق أن يجمع في كتاب لوقائع وحوادث ولرجال نابغين وعلماء كبار".

ومن خلال ما جاء في النصوص المذكورة، يظهر جليا أن الانتماء لآل البيت له مكانته في المجتمع المغربي على العموم والصحراوي على الخصوص، بحيث يتم توقير وتكريم الشريف والاستنجاد به في وقت الأزمات لحل الخلافات بين القبائل والأفراد. وإذا انضاف لهذا الشرف، الجهاد في سبيل الله، والتفقه في علوم الدين يكتمل الشمل، ويصبح الشريف في مكانة أكبر تجليا في مجتمعه. ذلك بأن المجتمع الصحراوي كغيره من المجتمعات الإسلامية يكن وقارا خاصا للشرفاء ويعتبرهم قدوة، ويتخذ من قبورهم مزارات لصلة الرحم بهما، وخاصة الجد الجامع، الذي يعد الرمز الموحد بين أفراد القبيلة الوحيدة. وينعت الشريف في الصحراء بسيدي أو سيد يقابله مولاي بباقي التراب الوطني، بينما في إفريقيا جنوب الصحراء يلقب بحيدرة.

- التوزيع الجغرافي لمزارات صلحاء أولاد أبي السباع ينطلق من جهة الشمال أي واد نون ودرعة مرورا بواد الساقية الحمراء وضواحيه وينتهي في اتجاه الجنوب أي بمنطقة تيرس بوادي الذهب.



أشهرها على الإطلاق ضريح أولاد الجد الجامع عامر الهامل السباعي، وهم اعمر وعمران ومحمد النومر، ومزارهم يوجد بالگصابي، ضاحية گلميم، يقام عنده موسم سنوي يعرف بموسم لگصابي.

ثم يليه مزارات أخرى بكل من درعة وگلميم وآيت باعمران ، مثل :

- سيدي حريز أب الجد الجامع لقبيلة أولاد أبي السباع عامر الهامل، يوجد بنواحي تامدلت نواقا أي مدينة أقا حاليا بإقليم طاطا.
- الولي امبارك سيدي محمد العبد السباعي، دفين إقليم طاطا.
- سيدي يحيى بن إزم قرب حطاف واد درعة.
- سيدي أحمد بن سيدي إبراهيم بن محمد الصغير (من أولاد الصغير) بعين تركز بآسا.
- سيدي رزوگ السباعي بوارگزيز.
- سيدي إبراهيم بن علي الدرعي السباعي، دفين الزاوية الناصرية بتامگروت.
- مزار سيدي خليل من أهل سيدي خليل من أولاد الحاج (المثلوثة) بمحاميد الغزلان.

وبآيت باعمران نجد كل من :

- سيدي محمد الغوث، دفين تاديينت، وسيدي عبد القدوس مزاره قرب واد تازرون بقرية مستي، وسيدي إبراهيم الصغير الحاجي بنفس القرية، وسيدي السمان دفين النعالة وهو الجد الجامع لفخذة أولاد السمان، وسيدي محمد بلقاضي النومري، وسيدي عبد القدوس بن سيدي امحمد العزوزي، وسيدي الماني، وسيدي إبراهيم الصغير بن الخليل بن عمر (من أهل الطالب الطاهر)،

ونجد كذلك ضريح مولاي أحمد بن الفضيل بصبويا وهو من أولاد سيدي عبد الله.

أما بگليميم فنجد سيدي الجيلالي بن سيدي إبراهيم الصغير، دفين تيدالت.

- ثم مزار سيدي محمد الجمودي، جد فخذة أولاد جمودة، يوجد قبره بمنطقة آفرى بگلب سيدي هباب جماعة رأس أمليل بين مدينتي طانطان وگليميم، والمتوفى حسب العارفين في نهاية القرن العاشر الهجري.

- وقبر سيدي هباب على الطريق الرئيسية (قرية آفرى بين طانطان وگليميم). بقرب من ضريح محمد الجمودي، گلب هباب، جماعة رأس أمليل گلميم.

وفي اتجاه وسط الصحراء، وبالضبط محيط واد الساقية الحمراء المشهور بخلوته عند كل القبائل البيضانية المتاخمة بالصحراء الجنوبية، نجد مزارا مشهورا عند الخاصة والعامة، يحتضن مقابر الشهداء السبعة لأولاد أبي السباع : هؤلاء الشهداء استشهدوا ضد البرتغاليين : توجد مقابرهم بشمال غرب مدينة السمارة، بمنطقة تسمى الطويحيل على ضفة وادي الساقية الحمراء بالجماعة القروية لسيدي أحمد العروسي، حيث قبر الجد الجامع لقبيلة العروسيين، والمدفونين بجواره. وأسماؤهم جاءت كالتالي : محمد البقار أو البكار وابنه محمد المختار، وإخوته إبراهيم بوعنگا، وعيسى، ومحمد المعروف باگللش، وابنا أخيه عبد المولى والعباس ابني عبد الرحمن الغازي، وهم من أهل القرن 10 الهجري - 16 الميلادي، وقد استشهدوا في معركة خاضوها ضد الغزو البرتغالي بقيادة الشمصعي (Somida) حين حاول بسط نفوذه على الصحراء خلال القرن 10 هـ / 16م، هذا ما نقلته المصادر الأجنبية خاصة دو لاشاپيل الذي أكد في كتابه : "... أن الفضل يعود لهؤلاء الشهداء السباعيين السبعة مع أفراد قبيلتهم في طرد البرتغاليين من السواحل الصحراوية".

وجاءت رواية أخرى أدرجها الحبيب أرسموك في كتابه "*إزاحة الغشاوة عن تاريخ الحركة العلمية بإقليم شيشاوة*"، وهي كالتالي : "... المعركة التي جرت بين السباعيين والبرتغال برئاسة الشمسعي والقائد البرتغالي أنزران من جهة والسباعيين من جهة أخرى يحكي أن البرتغال هجموا على السباعيين في مكان يدعى الفركان في الطويحل كانت فيها مدرسة للسباعيين فيها ما يناهز أربع مائة من الطلبة ودامت المعركة خمسة عشر يوما استشهد فيها العلماء السبعة وساقوا الغنائم والرهائن إلى مدينة الداخلة التي كانت تسمى فيلا سينيروس ونجا ما نجا منهم وذهب وأخبر السباعيين الذين ذهبوا إلى التجارة في السودان وغيرها وعدلوا عن المسير واشتروا مكان السلعة سلاحا ورجعوا إلى أخذ الثأر ووصلوا العرگوب وأخذوا بعض القوارب ووضعوا فيها ما يستحسنه الإسبان والبرتغال من السلع ودخلوا على أنهم تجارا ووصلوا إلى قصر الشمسعي وفكوا الأسرى وأخذوا ابن الشمسعي بذلك قرروا التفاوض مع السباعيين ووقع الاتفاق ومضى على الوثيقة سبعة من السباعيين وسبعة من البرتغال على الهدنة".

ثم نجد مزارات أخرى بنفس المنطقة أي واد الساقية الحمراء، مثـل :

- سيد الشيخ بن سيدي محمد السباعي من أهل الحاج عبد الله، ويوجد بمدينة السمارة بالصحراء إلى جانب قبر سيداتي بن الشيخ ماء العينين، كان عالما فقيها زاهدا، كثير الذكر وتلاوة القرآن. مكث عند الشيخ ماء العينين مدة طويلة أخذ عنه خلالها الطريقة والعلم.

- وسيدي محمدو بن أحمد محمود ولد سيد امحمد العزوزي السباعي : يوجد بواد لخشيبي أحد روافد واد الساقية الحمراء، وبجواره مرقد الشهيد احميده بن الكوري الحميدي السباعي.

- مقبرة تافودارت بواد الساقية الحمراء : تجمع أهل معينية السباعية، وتضم كلا من القاضي والعالم سيدي ماء العينين ولد الحضرمي ولد معينية، والعالم سيدي محمد لغظف الملقب "ابلحا"، وسيدي الإمام أحمد ولد معينية، وسيدي محمد الأمين ولد اتغانا ولد معينية، وسيدي الحضرمي، كان إمام مسجد العيون في فترة الاستعمار الإسباني، ولالة فاطمة بنت معينية.

- ولالة سعدان بنت الشيخ ماء العينين زوجة الحضرمي بن محمد الأمين (مزارها بالعيون).

- والسيدة الفاضلة لالة بنت عبد الله ولد الحسين زوجة معينية مزارها بمقبرة العيون.

- بوكراع بن عبيد بن إبراهيم السباعي، صلاح شهير بالساقية الحمراء، ينتمي نسبه إلى سيدي عمرو ولد سيدي عامر العامل، وهو من فخذ العبيدات، وصار إسمه يطلق على منجم الفوسفاط بوكراع.

- ومزار العالم سيدي سلامي ولد الحبيب ولد محمد المصطفى، الموجود بالعيون.

- والمقاوم سيدي البشير ولد بيرة، بالعيون.

وفي اتجاه الجنوب الأقصى للصحراء، خاصة جنوب واد الساقية الحمراء، أي ما بين بوجدور وواد الذهب إلى حدود موريتانيا، نجد :

- سيدي عزوز : المعروف بصاحب النصيبة لمدسمة، يوجد بمنطقة گلتة زمور التابعة لإقليم بوجدور، وهو الجد الجامع لفخذ أولاد عـزوز.

- سيدي مولاي إبراهيم بن الغرابي البگاري وقبره بمنطقة إمريكلي التابعة لإقليم بوجدور.

- سيدي علي بن امبارك النومري مزاره بأنوتي شمال بوجدور.

- سيدي أحمد فال بن أمبيريك الحميدي السباعي : ويوجد بمنطقة أمات أبديديز قرب مدينة بوجدور بالصحراء، وهو فقيه وعلامة، ومقرئ بليغ وولي شهير، حصل الفقه بكامله على أهل الشيخ محمد بن محمد سالم، نزل بأرض الساحل ومارس زراعة الحبوب بإمريكلي وجريفية بالصحراء، وله فتاوى فقهية معروفة عند ذوي المعرفة من أهل الصحراء وموريتانيا.

- سيدي محمد يحظيه بن عبد الباقي السباعي : ويوجد بمنطقة ليتيمة قرب مدينة بوجدور بالصحراء وإلى جواره دفن ابنه القاضي والمفتي والمقاوم المرحوم محمد عبد الله. وهو علامة من أعلام الصحراء المشهورين لدى العامة والخاصة، ولد بالصحراء سنة 1304 / 1886 فشب في بيت علم وشرف بين أفراد قبيلة أولاد أبي السباع، ودرس بمدرسة سيد الزوين بضواحي مراكش، وتلقى مختلف العلوم بفاس ثم بالحوض بموريتانيا والسنغال. عين قاضيا لأولاد أبي السباع بالصحراء من طرف قاضي مراكش محمد المدني الغرفي بأمر من السلطان مولاي الحسن الأول أواخر القرن التاسع عشر الميلادي. كان له تأثير على القبيلة السباعية لا سيما فخذ أولاد عزوز. وللقاضي محمد يحظيه فتاوي وأحكام في قضايا اجتماعية وتجارية، وله أيضا مؤلفات عديدة، معظمها لا يزال مخطوطا في مكتبة آل عبد الباقي بمدينة بوجدور بالصحراء، توفي سنة 1370 / 1950.

- مقبرة أريدال : توجد قرب مدينة بوجدور بالصحراء، وبها ضريح كل من حمادي الملقب (بالحريطاني) بن المراكشي بن مسكه السباعي من فخذ أهل سيدي عبد الله، وأحمد بابه بن امبارك بن اعلي بن الشيخ المختار الدميسي السباعي من فخذ الدميسات.

- مزار اعلي ولد محمد العبد العلامة الحافظ من فخذ المثلوثة جد عائلة أهل لكحل قرب بوجدور (المدلشيات).

- سيد الحاج اسكية، يوجد مزاره بإمريكلي، إقليم بوجدور.

- سيد السيد، يوجد قرب ادشيرة وهو جد فخذ أهل سيد السيد.

- سيد لمصبن عند بئر تيغيسيت فخذ أهل سيد السيد.

- سيدي لحبيب ولد السمان عند تاشكتنت.

- سيد الحافظ، يوجد قرب زملة سيد الحافظ، (هو الذي شرح كتاب الشيخ خليل في كتابه المعروف ب "البويدن")، وبجانبه كل من الخرشي، وسيدي امبارك، وتوجد مزارتهم ب (وين عكاي)، وهذا العالم الجليل سيدي امبارك السباعي ذكره صاحب *المعسول* المختار السوسي، وقال في حقه ما يلي : "أنه من افقه علماء عصره".

- مقبرة وركنات :

توجد قرب تن يحيى أوسليمان جنوب إمريكلي، بها كل من حمادي الملقب بابن لحريطاني المراكشي بن مسكه السباعي من فخذة أهل سيدي عبد الله، وأحمد بابا بن امبارك بن علي الشيخ المختار ادميسي السباعي من فخذة ادميسات.

- مزار سيدي عبد الرحمان ولد بيرة بتورطا قرب مدينة الداخلة، كان فقيها وعالما وزاهدا عاش في ق 19م.

- سيدي امبارك سبرو ند بئر انزران، إقليم واد الذهب.

- وسيدي بوحسين : يوجد بمنطقة في أقصى الجنوب لمدينة الداخلة تعرف بحفرة بوحسين بتيرس الغربية إقليم أوسرد.

وسيدي الإمام أحمد السباعي، الجد الجامع لأهل معينية، يوجد مزاره ببئر إيگني بتيرس إقليم أوسرد.

- سيدي الحافظ بن سيدي أحمد بن سعيد العزوزي : ويوجد بمنطقة وين عكاي ببلاد تيرس. وهو فقيه وعالم جليل من أهل القرن 13 هـ، من آثاره تأليف في الفقه المالكي سماه "البويدن"، وله كذلك مجموعة فتاوى فقهية، ودفن بجوار ولداه العالم الكبير سيدي الخرشي بن سيدي الحافظ العزوزي السباعي، كما يتواجد بنفس المقبرة الفقيه العالم زين العابدين بن سيدي الحافظ العزوزي السباعي الملقب بزيني.

- سيدي مولاي أحمد بن الشيگر البگاري السباعي : ويوجد بأرض لخبي بمنطقة لحفر بأرض الساحل بالصحراء. كان عالما جليلا وتاجرا غنيا ورئيسا مطاعا في قبيلته، عينه السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام العلوي قائدا على قبيلته السباعية القاطنة بحوز مراكش حوالي سنة 1844، عرف بورعه واهتمامه بالعلم والعلماء، بالخصوص المدارس العلمية العتيقة سواء منها المنتمية للسباعيين أو المجاورة لهم من قبائل مزوضة وإرسموكن وغيرها. وفي أواخر حياته، عاد إلى الصحراء الجنوبية التي مكث فيها لمدة إلى أن وافته المنية بها.

- سيدي محمد بن السوداني السباعي، ويوجد مزاره بموضع يقال له گليب الشلح بمنطقة تيرس بالصحراء، وهو عالم وفقيه جليل، أدى فريضة الحج بصحبة القائد مولاي أحمد بن الشيگر البگاري السباعي، والمصلوحي البگاري السباعي، والشاعر محمدو بن محمدي العلوي في سفينة واحدة وذلك بتاريخ 1270.

- وقبر الولية الصالحة عائشة منت احميدة، من فخذ أولاد احميدة، يوجد مزارها في تشلا إقليم أوسرد.

- سيدي اعمارة ويوجد قبره بعين النخلة جنوب الداخلة.

- سيدي أبراهيم دفين تيرإگلي ن.

- سيدي اعبيد ببئر انزران كدية التبريكة، إقليم واد الذهب.

- مقبرة دومس : توجد بجانب بئر دومس شمال غرب مدينة آوسرد بمنطقة تيرس الغربية، وبها أضرحة كل من احميدة بن الحاج بن ادميس السباعي الجد الجامع لأولاد احميدة (عاش خلال القرن 18م)، وأخيه امحمد بن الحاج بن ادميس السباعي الجد الجامع للفخذ المعروف باسم المثلوثة، وسيدي بن مسكه السباعي من أهل سيدي عبد الله، والعلامة الحافظ محمد بن البخاري بن مسكه السباعي من نفس الفخذ المشار إليه أعلاه.

- وقبر الشيخ بن سيدي محمد السباعي من أهل الحاج عبد الله ويوجد قبره بمنطقة آدرار سطف گليب لكرامة بتيرس.

- الشيخ محمد بن الشيخ سيدي محمد التشيتي السباعي، "هذا العلامة ولد بتيرس الغربية حوالي سنة 1172 من أبوين كريمين : فوالده هو العلامة الشيخ سيدي محمد بن عبد الله التيشيتي البوعنقاوي السباعي، الذي أعجب به العلامة أفلواط بن مولود وجاء به من شنقيط التي وصل إليها من تيشيت والتي قدم إليها من مراكش، واتخذه إماما ومعلما وأكرمه بما هو أهله، ولقبه "بالتيشيتي". نشأ الشيخ محمد في بيت علم ودين وصلاح وسخاء، كان أول من علمه القرآن والدته مريم بنت يرشيد العقوبية، فحفظ القرآن، وكان لا يقتصر على تعلم القرآن وحده بل كان والده يعلمه العلوم. قال فيه العلامة الأستاذ المختار بن حامد : "... ولما بلغ سن التعلم ظهرت عليه ملامح الذكاء وامتاز بالفهم وسرعة التعلم، فبدأت والدته في تعليمه القرآن حيث لم يستغرق تعلمه له كثيرا من الوقت بل كان يعتقد كل من رآه أنه كان يحفظه، وذلك بسبب الموهبة التي وهبه الله إياها، وكان لا يقتصر على تعلم القرآن وحده، فقد كان والده يعلمه العلوم الأخرى، وما أن بلغ حتى صار بحرا لا ساحل له أحرى في السر"، كل ذلك على يد والده الذي كاد يفوقه علما وحكمة، وله من خصال المجد ما يحجب ضوء الشمس في وضح النهار، كما أنه كان أديبا زاهدا حليما إلى أقصى درجة فلا يتكلم إلا فيما يعنيه وأكثره يكون في أمور الآخرة، وكان حسن الخلق مع الأقارب والجيران والأرقاء، وله كثير من الكرامات والمشاهدات. توفي سنة 1263، ودفن ببئر إيكني جنوب تيرس الغربية.

- مقبرة تشانيت : توجد بمنطقة تيرس بالصحراء، وبها قبور 11 شهيدا من السباعيين استشهدوا في معركة مع بعض أعداء قبيلتهم حوالي سنة 1315 وكل هؤلاء الشهداء من أهل سيدي عبد الله باستثناء شهيد واحد، وهم الفقيه العالم بابا بن لحريطاني السباعي رئيس فخذة أهل سيدي عبد الله، ولحبيب بن اباها السباعي، وعبد الله بن دياها السباعي، وعبد الرحمان بن دياها السباعي، وأحمد بابا بن دياها السباعي، ومحمد فال بن الخنبوبي السباعي، وأخوه أحمد بابا بن الخنبوبي السباعي، ومحمد الأمين بن محمد خونا السباعي، وأخوه محمد فال بن محمد خونا السباعي، والطالب بونا بن محمدن السباعي. ومن المثلوثة : الشهيد سيدي أحمد بن عبد الرحمان السباعي من أهل الحاج عبد الله.

ومن خلال هذا الكم الهائل لهؤلاء الصلحاء وأولياء السباعيين بالصحراء الجنوبية، نستنتج أن وجود هذه القبيلة بهذا الجزء من التراب الوطني له دلالة على قدم استقرارها بهذا المجال الجغرافي منذ عصور خلت، بحيث كان لها صيت في المنطقة لا من الناحية الجهادية والعلمية وكذا التجارية، بل تعداه ليشمل أجزاء أخرى إقليمية كالقطر الشقيق الموريتاني وبعض البلدان المجاورة كالجزائر بولاية أدرار (توات)، ومالي والسنغال وگمبيا بإفريقيا الغربية.

الشيخ الإمام عبد العظيم الزموري، *تأليف في أهل النسب النبوي رضي الله عنهم*، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم 1512 د ؛ الشيخ العلامة أبو العباس بن الشيخ عبد الله البكري، *لمن أراد تعريف نسب المصطفى* (ص) وسلالة النبوة، مخطوط توجد نسخة منه بحوزتنا ؛ الشيخ أبو بكر بن محمد السيوطي المكناسي، *كتاب الأنساب*، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم 1453 د ؛ الأحسن البعقيلي، *تبيين الأشراف أهل دائرة الوسائل وقبلة كل سائل*، المطبعة العربية، الدار البيضاء، 1358 ؛ عباس ابن إبراهيم المراكشي التعرجي، *الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام*، 8 أجزاء، المطبعة الجديدة، فاس، 1939. والمطبعة الملكية، الرباط، 1977 ؛ محمد المختار السوسي، *المعسول*، 20 جزء، المطبعة المهدية، تطوان، 1956 - 1960، ومطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1962 ؛ الحبيب أرسموك، *إزاحة الغيشاوة عن تاريخ الحركة العلمية بإقليم شيشاوة : من خلال الزوايا الصوفية والمدارس العلمية*، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 2001 ؛ ماء العينين بن أماتي ولد النعمان، *الشيخ محمد بن سيدي محمد السباعي الموريتاني* (1172 - 1263)، بحث لنيل شهادة الإجازة في الشريعة الإسلامية، المعهد العالي للدراسات والبحوث والإسلامية، نواكشوط، 1985 - 1986 ؛ عبد الله بن عبد المعطي السباعي، *الدفاع وقطع النزاع عن نسب الشرفاء أبناء أبي السباع*، ط. 1، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1940 ؛ مولاي حسن كفناني، *قبيلة أولاد أبي السباع في القرن التاسع عشر*، دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، مرقون بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس - أگدال، الرباط، 1987 - 1988 ؛ محمد دحمان، *الترحال والاستقرار من خلال دراسة سيوسيو - تاريخية لقبيلة أولاد أبي السباع* (حالة المغرب وموريتانيا)، دكتوراه وطنية في علم الاجتماع القروي، مرقون بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس - أگدال، الرباط، 2003 - 2004 ؛ لشقر مولاي أحمد بن مولاي المامون السباعي، *الإبداع والاتباع في تزكية شرف أبناء أبي السباع*، ط. 1، مطبعة الجنوب، الدار البيضاء، 1994 ؛ صالح بن بكار السباعي، *الأنس والإمتاع في أعلام الأشراف أولاد أبي السباع*، ص. 92، ط. 1، مطبعة دار وليلي، مراكش، 2000 ؛ المختار ولد حامد، *حياة موريتانيا - الجغرافيا - معاجم وموسوعات*، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 1994 ؛ م. حسن كفناني، مادة "بوكراع"، *معلمة المغرب*، ج 6، ص. 1835 ؛ *الرواية الشفوية والميدانية لعبد الله سعود السباعي من مدينة العيون.*

De La Chapelle, Frédéric, Esquisse d'une histoire du Sahara Occidental, in *Hesperis, tome, 3*, Rabat, 1930, p. 35 – 95.

مولاي إدريس شداد

إيانيس، جيل (Eannes, Gil) أول بحار برتغالي، جاب شواطئ الصحراء المغربية جنوب بوجدور سنة 1434، بإيعاز من الأمير البرتغالي هنريكي المدعو بالملاح، ثم أعاد الكرة سنة 1435 ووصل إلى Angra dos Ruives، شبه خليج جنوب الداخلة.

Hodges, T., *Historical Dictionary of Western Sahara, London*, 1982.

إبراهيم بوطالب

أيتوسى (قبيلة -)، إحدى القبائل التكنية الكبرى في الصحراء، يمتد مجالها في الجنوب الشرقي لواد نون وشمال الساقية الحمراء، بالإضافة إلى كل من البطانة والحمادة، ويدخل ضمن إطار وادي درعة. وقد طبعت الخصوصيات الصحراوية الحياة البدوية

مجتمع آيتوسى، الذي جعل من منطقة أسا موطنا له بعد أن كانت عوينة آيتوسى غير بعيدة من مدينة طانطان معقلا للقبيلة. فما هي أصول هذه القبيلة ؟ وما هي فروعها ؟ وماذا عن علاقاتها التاريخية بالقبائل المنضوية تحت كنفدرالية تكنة ؟

اللافت للانتباه أنه بالرغم من شهرة القبيلة وتعدد فروعها وأعراشها وانتشارهم حاليا في جل المدن الصحراوية والمداشر والقرى (عوينة آيتوسى، البيرات ...) وكذا ببعض الأحياء في المدن المغربية (آيت ملول، حي لخيام في أگادير، الرباط...) إلا أنه مع ذلك لا نجد كتابات شافية عن تاريخها، ولا عن أصلها وكيف تكونت ومن هم أجدادها الأوائل، كما لا نعثر على إحصائيات بعدد أفرادها، ولا على كتابات سوسيولوجية تبحث في التاريخ الاجتماعي والسياسي لهذا القبيل من القبائل البيضانية. فإذا كانت القبائل الأخرى قد حظيت إلى حد ما بعناية المؤلفين من أبنائها أو المهتمين بتاريخها، فألفوا كتبا عنها إحياء لماضيها وصيانة لتراثها الفكري، فإن قبيلة آيتوسى لم تحظ بهذه العناية لأسباب قد تكون مرتبطة بقلة الوثائق، أو لأسباب أخرى نجهلها. وتبقى الكتابات الأجنبية للضابط دولاشاپيل ودوفورست وفانسون مونتاي، أهم ما ألف حول القبيلة ومجالها الترابي وعاداتها وتقاليدها، وهي كتابات اعتمدت الرواية الشفوية في غياب ما هو مكتوب. لذلك لن ندعي الإتيان بالجديد حول قبيلة آيتوسى ما دامت الوثائق غير متوفرة أو في حوزة أشخاص يمتنعون عن تقديمها للباحثين، ولذلك أقل ما يمكن فعله هو تقديم قراءة سريعة هدفها التعريف بالقبيلة ومكوناتها دون ادعاء الإحاطة بتاريخها.

إن البحث في أصول قبيلة آيتوسى يزداد صعوبة مع تعدد الروايات وقلة الوثائق وانعدام مشجر للقبيلة، فهناك رواية شفوية تفيد بأن فرعي القبيلة (إداونكيت - إداومليل)، أحدهما ينتمي إلى موسى بن نصير الأوسي، وثانيهما ينتمي إلى يعقوب الجعفري من بني جعفر، بالمقابل تقول بعض الكتابات أن أصل آيتوسى تجمع بشري دخل منطقة آسا وتسمى باسم المنطقة بآيت آسا، بيد أننا لا نشاطر هذه الرواية، لسبب واحد هو أن اسم آيتوسى كان موجودا قبل مجيئهم لأسا بدليل توطنهم بعوينة آيتوسى التي تسمت باسم المجموعة، وأن دخولهم لآسا واستقرارهم بها ربما يكون بعد خلافهم مع امريبط (أحفاد الشيخ محمد ايعزى ويهدى)، لما كانوا بصدد زيارة موسم آسا، حيث تعرض بعض أفراد آيتوسى لمؤامرة قتل من قبل بعض العناصر المريبطية، ولم ينج من هذه المؤامرة إلا فرد واحد فر بجلده إلى عوينة آيتوسى، مما دفع قبيلة آيتوسى إلى الانتقام من المرابطين الذين كانوا بقصبة على بعد أميال من القصر، ومنذ ذلك الحين (ولعله أواخر القرن التاسع عشر) استقرت آيتوسى باسا واهتمت بالزاوية التي أسسها محمد يعزى ويهدى في أواخر القرن السابع الهجري، حيث توفي بآسا ودفن بالزاوية عام 727 (*المعسول*، ج 10 : 173)، وتكلفت القبيلة بنحر ناقة سنويا إبان عيد المولد النبوي بالقرب من الزاوية، التي تسمت فيما بعد باسم زاوية آيتوسى أو زاوية أسا، مما يراه بعض الباحثين تكفيراً لآيتوسى عن ذنوبها تجاه امريبط، وقد تكون المسألة مرتبطة أساسا بالفراغ الروحي الذي كانت تعانيه القبيلة، على اعتبار أن جل قبائل الصحراء بحثت لها عن أولياء وعلماء لملء الفراغ الديني والروحي الذي تعانيه، أو سعيها إلى تأسيس زوايا تكون بمثابة الموجه الشرعي لطقوس وسلوكات القبيلة، ومدرسة لتعليم أبنائهم العلم والدين، وهذه الرغبة في احتضان الزوايا والتقرب من علمائها، نجدها عند كافة قبائل الشوكة في منطقة تكنة.

وبالرغم من اللبس والغموض الذي يحوم حول أصل القبيلة وتاريخ تكوينها وبداية ظهورها، إلا أنها استطاعت أن تفرض نفسها من حيث القوة العددية بأن صارت إحدى القبائل التكنية الكبرى، إذ كانت في بداية أمرها ضمن مجال لف آيت أجمل لتتحول عنه فيما بعد إلى لف آيت عثمان، بعد خلاف لها مع قبيلة آيت لحسن، الذي شكل المجال الشرقي من بلاد تكنة. وانشطرت قبيلة آيتوسى إلى فرعين هما فرع إداومليل وإداومكيت، فالأول يضم ستة أعراش مرتبة تباعا حسب عدد سكانها وهي : آيت وعبان وآيت بجمعة آيت إدر وإداوتيا، وكذا إمغلاي وأخيرا أمفاليس، بينما يتكون ثانيهما من الأعراش التالية : أهل بوجمعة أو مسعود، ثم أكوارير وأهل حمو علي ثم أهل مسيعيد أو سعيد ثم أجواكين. وبذا يكون عدد أعراش القبيلة إحدى عشر عرشا مقسمة بين فرعين هما أساس القبيلة وعمودها الفقري.

والجدير بالذكر أن أفراد هذه القبيلة في ترحالهم يتجاوزون وادي درعة، إذ يذهبون في تنقلاتهم حتى الحافة الجنوبية للحمادة، وأحيانا سهل الدورة وينتشرون بالخصوص نحو الشرق، كحدود غربية لتنقلاتهم، أما الشمال فلا تتجاوز قبيلة آيتوسى سلسلة جبال باني، إذ هي الحاجز الطبيعي الفاصل بين آيتوسى وآيت إبراهيم، أما شرقا فآيتوسى تجاور قبيلة تجكانت. وشاع عن القبيلة احتضانها لعدد من القبائل الراغبة في الحماية شأنها شأن باقي القبائل التكنية الكبرى، التي عرفت ظاهرة الذبيحة التي ذكر بويريك رحال أنها عادة تكون (شاة)، مما سمح بمرونة العلاقات وسياسة التحالفات القبلية التي أشار إليها مصطفى ناعمي في كتابه الصحراء من خلال بلاد تكنة، وهكذا دخل تحت حماية آيتوسى قبيلة تركز التي سكنت مدشر عوينة تركز على بعد حوالي خمسين كيلومترا عن مدينة أسا معقل آيتوسى حاليا، ثم قبيلة يگوت التي لجأت لحماية القبيلة إثر خلاف مع قبيلة آيت لحسن. كما عرفت القبيلة عناصر وافدة على مكوناتها، شكلت إلى يومنا هذا عرشا مهما من أعراش القبيلة الإحدى عشر، مثل عرش أجواكين الذين يقال أن أصولهم من قبائل تجكانت بموريتانيا.

وإن الترحال والبحث عن الكلاء للماشية وتتبع نقاط الماء وأماكن نزول المطر كان ديدن هذه القبيلة التي جابت إبلها مساحات شاسعة، ودخلت في معارك مع بعض القبائل وتحالفات مع البعض الآخر، بيد أن وصول فرنسا إلى المنطقة في العقود الأولى من القرن العشرين

أدى إلى مقاومتها بعنف من لدن أبناء هذه القبيلة، الذين شاركوا في المقاومة الصحراوية ضد المستعمر إلى جانب القائد مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين، إذ كانت آيتوسى لها دورها في مسيرة المجاهدين، وذلك نستشفه من رسالة الشيخ مربيه ربه لهم بقوله : "الحمد لله خدامنا المرضيين جماعة آسا كافة رعاكم الله والسلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد وجهنا لكم حملة أمنائنا المرضيين في شأن أعشار زروعكم المباركة وفرض الريال الذي فرضته القبائل إعانة للمجاهدين فأدفعوا لهم الجميع بلا تراخ ولا توان كما أمركم الله تعالى... وأرشدكم وأصلحكم والسلام في 2 رجب الاعز 1341". ولم يخضع عناصر القبيلة بشكل كلي إلا بعد سنة 1939، ومنذئذ بدأت فرنسا النبش في تاريخ القبيلة وبنياتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية. وهو ما دفع فرنسا إلى الاطلاع على ديوان القبيلة، حيث قام القبطان دوفورست بأخذ الديوان من أصحاب الشأن في القبيلة، ومكث عنده حوالي سنة ونسخ عنه نسخة "ومكث عنده سنة كاملة ونقله عنه، وأمر أهل العدالة بكتابته في سنة 1940" وبعدها أصبح الاستعمار واقعا معاشا كان خلاله الضباط الفرنسيون هـم القضاة في الأمور الشائكة بمساعدة قائدين أو قائد ومقـدم.

فهذه قراءة سريعة عن تاريخ قبيلة آيتوسى من خلال الرواية الشفوية وكتابات الضباط الفرنسيين، فإلى أي حد يمكن الحفاظ على تاريخ هذه القبيلة علما أن الرواية الشفوية تضعف بانقراض الأشخاص الذين حفظوا جزءا من تاريخ هذه القبيلة سواء قبل الاستعمار أو إبانه ؟ ثم إلى أي حد يمكن الأخذ بكل ما جاء في الكتابات الأجنبية إذا ما استحضرنا الأهداف الاستعمارية ؟

مصطفى ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة، تاريخ العلاقات التجارية والسياسية*، منشورات، عكاظ، 1988، ص. 135 ؛ عمر ناجيه، *البنيات الاجتماعية والاقتصادية لقبائل وادي نون في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر قبيلة آيت لحسن أنموذجا*، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامس، الربـاط، 1998 - 1999، ص. 149 - 147 ؛ رحال بوبريك، *دراسات صحراوية، المجتمع والسلطة والـدين*، دار أبي رقـراق لطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2005، ص. 166 ؛ الطالب أخيار بن الشيخ مامينا، الشيخ ماء العينين *علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الفرنسي*، منشورات الشيخ مربيه ربه للإحياء التراث والتبادل الثقافي، 19، الطبعة الأولى، الجزء الأول، ص. 40 - 41.

F. De la Chappelle, *Les Tekna du sud Marocain, Etude geographique, Historique et sociologique*, 1934, Paris, p. 58 ; Le Capitaine De Furst, *Etude sur la tribu des Ait Oussa*, Exemplaire, n 5, Assa Le 5 Aout, 1939, p. 30.

الحسين حديدي

الأيتوسي، سيد أحمد ولد **أمَّـان**، ولد سنة 1920 بمنطقة اجديرية بالساقية الحمراء، ينحدر من الحكيم علي لمـگـيرح الذي ينسبون له مبادرة تأسيس "آيت اربعين" داخل قبيلة آيت أوسى ؛ وهذه أسرة كان الناس يتبركون بها في الأمور غير المخالفة للشرع مثل حالات البحث عن ضالة الإبل، أو التوجه للأسواق، أو الإقدام على الزواج أو الاستعداد للرحيل من نجع إلى آخر. وفي سنة 1934 توفي والده وعمره يناهز أربع عشرة سنة فاطلع بمسؤولية الأسرة حيث تعاطى للتجارة العابرة للصحراء ما بين آدرار التمر (مدينة أطار) وواد نون الشيء الذي مكنه من كسب تجربة اقتصادية واجتماعية هامة. ولما نفى الاستعمار الفرنسي الملك محمد الخامس انخرط سيد أحمد ولد أمان في عملية جمع التبرعات للمنظمة السرية (أسد التحرير) رفقة جماعة من المتطوعين. ولما عاد الملك محمد الخامس من المنفى، سافر سيد أحمد وجماعة من قبيلته (15 نفرا) في وفد للقاء جلالة الملك بالرباط. ولما حلت طلائع جيش التحرير بمنطقة واد نون سارع ولد أمان للانخراط فيها واطلع بتأطير العديد من بني جلدته، وخلال فترة جيش التحرير بالمنطقة انعزل هذا المقاوم هو وجيشه المكون من نصف قبائل آيت أوسى (خاصة آيت بوجمعة، آيت يدر، إمغلاي، آيت وعبان) رافضا توجيه سلاحه ضد المسلمين (القادمين من الشمال أو الصحراويين القادمين من الشرق). وكانت خطته هذه من العوامل التي أفشلت مخطط الاستعمار الفرنسي آنذاك الرامي إلى زرع كيان في الصحراء. هذا الموقف ألقى بظلاله على عملية "اترندي" سنة 1960، ولا يزال حاضرا في طبيعة علاقة السلطة بالمجتمع المحلي.

لقد تقلد سيد أحمد درجة "قائد الرحى" ضمن وحدات جيش التحرير، وظل وفيا لمبادئه الوطنية. أحيل رسميا على التقاعد سنة 1972. تم ترشيحه سنة 1974 لتشكيل وحدة عسكرية مـن قبيلتـه لكنـه رفض بحجـة المرض وانسجاما مع موقفه الجهادي. كما عين عضوا في المجلس الوطني المؤقت لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، المنصب الذي ظل فيه إلى أن توفي بمدينة گـلميم بتاريخ 3 يناير سنة 1988.

مقابلة ميدانية مع الباحث الحافظ ولد أمـان، العيـون، شتاء 2100 ؛ *وثائق أسرة المقاوم سيد أحمد ولد أمان*، گـلميم وعيون الساقية الحمراء.

الأيتوسي (القائد ـ) **محمد** ولد **أحمد شياهو** بن محمد بن علي بن ألكتيف، ولد في خمسينات القرن التاسع عشر جنوب واد درعة السفلى، كان من أهم الزعماء التاريخيين لقبيلة آيت أوسى حيث عينه السلطان مولاي الحسن الأول قائدا على قبيلته. ينتمي إلى بطن آيت وعبان من قبيل اداومليل التي تمثل الجزء الجنوبي الغربي من القبيلة المذكورة. كما عرف بمقاومته للزحـف الاستعماري الفرنسي حيث ناصر حركة الشيخ ماء العينين، كما قاد مجموعة من رجالات قبيلته في الحركة التي نظمها الشيخ أحمد الهيبة للزحف على مراكش ومواجهة قوات الاحتلال الفرنسي في معركة سيدي بوعثمان شمال مراكش ؛ وبعد تراجع هذه الحركة عاد مع الهيبة عبر جبال الأطلس الأعلى إلى مدينة تارودانت حيث أقام معه، لكن سرعان ما سينتصب الباشا حيد ابن

مايس لمواجهة أحمد الهيبة ورفاقه الذين كان منهم القائد محمد ولد أحمد أشياهو والقائد الناجم لخصاصي والقائد ايرعا السباعي، هكذا بدأت مواجهات حربية بين الطرفين قرب أسوار تارودانت.

توفي القائد محمد في شهر فبراير من سنة 1331 / 1913.

تحريات ميدانية مع : السيدة امحيجيبة بنت عبد الوهاب، والسيد أحمد ولد الحسن بن محمد أشياهو، والباحثين : الحافظ ولد أمان، وعبد الودود خربوش، العيون ـ گلميم ـ الرباط، شتاء 2011 ؛ عبد الله كيكر، *معركة أيگالفن ونهاية حيدة بن مايس باشا مدينة تارودانت والقائد الكبير لسوس*، أگادير، 2010.

الأيتوسي (القائد ـ) **محمد** ولد **الخرشي** ولد عبد الجليل، ينتمي لعشيرة آيت بوجمعة من بطن إداوْ مليل من قبيلة آيت أوسى، ولد بداية الثمانينات من القرن التاسع عشر، خلف والده في قيادة قبيلته وكان من المقاومين للاحتلال الفرنسي حيث شارك في حملة الشيخ أحمد الهيبة على مراكش مع جماعة من قومه وشهد معركة سيدي بوعثمان ضد الزحف الفرنسي، وبقي في سلك المجاهدين إلى أن سيطرت قوات الاحتلال الفرنسي على الجنوب المغربي سنة 1934. كما كان حاضرا وفاعلا في جميع الحروب والاتفاقيات والتحالفات التي أبرمتها قبيلة آيت أوسى مع مختلف القبائل، مثل اتفاقية سنة 1910 ما بين آيت أوسى والرگيبات عند واد لرماث شرق الساقية الحمراء. وفي بداية انتصاب حركة جيش التحرير سنة 1956 بواد نون والصحراء كان محمد ولد الخرشي من أول مناصريها من أجل طرد الاستعمار.

توفي سنة 1957 ووري جثمانه الثرى بمدينة گلميم. وتحتاج هـذه الشخصية لدراسة علمية رصينة لفهم الكثير من خصوصيات الحيـاة القبليـة وطبيعة الزعامات الصحراوية إبان الهيمنة الاستعمارية على الأقاليم الصحراوية.

مقابلة ميدانية مع الباحث الحافظ ولد أمان، عيون الساقية الحمراء، شتاء سنة 2011 ؛ بلخير نصي، دراسة اجتماعية *تاريخية لقبيلة آيت أوسى خلال النصف الأول من القرن العشرين، رسالة ما ستر في التراث التاريخي والأثري بالمغرب، مرقونة بكلية الآداب ظهر ـ المهراز، فاس، 2007 / 2008 ؛ الطالب أخيار بن الشيخ مامينا، الشيخ ماء العينين، علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوربي*، الجزء 1، مطبعة بني يزناسن، سلا، 2005.

محمد دحمان

إيجيل، (اتفاقية مزعومة)، وهو في الأصل اسم سبخة تقع بناحية أدرار التمر المجاورة لمقاطعة وادي الذهب، التابع حاليا لموريطانيا. وقد ورد ذكر إيجيل في تاريخ المغرب بسبب عملية مشبوه فيها قامت بها إليه بعثة استعمارية إسبانيا سنة 1886. فبعد التدخل الإسباني في صحراء المغرب يوم 3 نوفمبر 1884 على إثر قيام الملازم الاحتياطي إيميليو بونيلي Emilio Bonelli بإقامة أكواخ خشبية في شبه جزيرة الداخلة وغيرها، وصدور بلاغ الحكومة الإسبانية بأنها قررت بسط حمايتها على الشاطئ المغربي الممتد من رأس بوجدور (خط العرض 27 درجة) إلى الرأس الأبيض (خط العرض 20 درجة) أرسلت الحكومة الإسبانية بواسطة الشركة الجغرافية الإسبانية Sociedad Geografia Española بعثة مكونة من القبطان خوليو ثيربيرا Cervera والأستاذ فرانثيسكو كيروگـا F. Quiroga والترجمان فيليبي ريثو F. Rizzo والجندي "المغربي" ابن بوزيان الأخضر الحاج عبد القادر، وصلت إلى الداخلة في 14 ماي 1886، ومنها توجهت إلى ناحية إيجيل حيث قامت يوم 12 يوليوز بتحرير محضرين : ينص الأول على أن "أحمد بن محمد ولد العيدة شيخ أدرار التمر ورئيس قبيلة يحيى وعثمان اعترف بمحضر كبار رجالات حاشيته السادة الشريف يدو من أولاد سيدي يحيى وعثمان ولد محمد بن حميس والشيخ ولد عينين الشنگيطي وإبراهيم ولد مجيد وسيدي أحمد ولد الداي وسيدي إيجيل بن حامين، اعترفوا بالسيادة الإسبانية على جميع تراب أدرار التمر، حيث يخضع ولد العيدة وقبليته لحماية الحكومة الإسبانية. وكدليل على خضوعه هذا يسلم ولد العيدة إلى رئيس البعثة الإسبانية جواده وبندقيته، كما يلتمس من الحكومة الإسبانية أن تسمح له باستعمال خاتم خاص في الوثائق والمراسلات التي سيوجهها إلى السلطات الإسبانية. وقد وقع على المحضر بإيجل في 12 يوليوز 1886 / 10 شوال 1303 "الشريف جدو بالنيابة عن أحمد بن محمد ولد العيدة (الأمّـي)".

وجاء في المحضر الثاني أن أعضاء البعثة يعترفون بأن الأراضي الواقعة بين شاطئ الممتلكات الإسبانية من رأس بوجدور إلى الرأس الأبيض وبين الحدود الغربية لأدرار التمر أصبحت منذ هذا اليوم في ملك إسبانيا ... وللدلالة على ذلك رفع العلم الإسباني وتم تحرير هذا المحضر بمحضر عدد كبير من العرب ممثلي القبائل الذين وافقوا عليه وعينوا لينوب عنهم في توقيعه الحاج عبد القادر بن بوزيان الأخضر.

يتضح مما سبق أننا أمام محضرين لا قيمة لهما، فليس فيهما ما يدل على أن الأمر يتعلق باتفاقية أبرمت بين أمراء وشيوخ قبائل أدرار التمر والبعثة الإسبانية، وهذا ما جعل الحكومة الإسبانية ترفض الطلب الذي تقدمت به الشركة الجغرافية الإسبانية من أجل أن تصدر الحكومة بشأنــه بلاغــا مماثــلا للبلاغ الذي أصدرتــه يوم 26 ديسمبر 1884.

ومما يدل على أن المحضرين هما من وضع أعضاء البعثة الإسبانية أن الأرقام التي وردت فيهما أرقام هندية لم تكن تستعمل في المغرب ولا في الصحراء، ومن المعلوم أن الترجمان ريثو كان قد سبق له أن تعلم اللغة العربية أثناء وجوده بالشرق العربي، فيكون هو الذي حرر المحضرين بدون شك.

ولما بدأت إسبانيا تُـفاوض فرنسا بشأن الصحراء المغربية سنة 1887 قدمت المحضرين المذكورين ضمن "حججها" وطالبت بأن يعترف لها بـ "حق" بسط نفوذها على المنطقة الشاسعة المبينة في الخريطة المرفقة، ودامت المفاوضات ثلاث عشرة سنة وانتهت بتوقيع

معاهدة باريس في 27 يونيو 1900 التي اعترفت فرنسا بمقتضاها "بحق" إسبانيا في بسط نفوذها على صحراء وادي الذهب.

J. Cervera, *Expedicion al Sahara de Rio de Oro Ren.Gegerofia com*, II n° 25 – 30, Julio-Septiembre, 1886, 1 – 2 ; F. Quiroga, *El Sahara occidental y sus moradores*, Rev. Geog comercial, II, n° 25 – 30, Julio-Septiembre, 1886, 66 – 72 ; Bonelli, E. *El Sahara*, Madrid, 1887 ; T. Garcia Figueras, *Santa Cruz de Mar Pequeña – Ifni – Sahara*, Madrid, 1941 ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Por que reivindicamos Rio de Oro*, Rabat, 1966.

محمد ابن عزوز حكيم

أيـگ : جبل في الطرف الشرقي من منطقة آدرار سطف التابعة لإقليم آوسرد، وكان هذا المرتفع منطقة منبوذة عند البدو يتطيرون منها إلى أن دفن عندها العالم والولي الصالح الشيخ محمد المامي بن البخاري أصبحت قبلة للزوار، وازدادت مكانتها عند أهل الصحراء مع تزايد عدد المدفونين عندها من أقرباء ومريدي ومحبي الشيخ محمد المامي، وهي توجد في المجال الترابي للجماعة القروية لتشلا. كما يقع هذا الضريح في مجال رعوي مشهور يؤمه الكثير من الرعاة مما ساعد على إقامة بعض الأفراد والأسر هناك بفعل إنباط بعض الأحساء ذات المياه الصالحة للشرب، وكذا بسبب قيام موسم ديني عند ضريح الشيخ محمد المامي.

تحريات ميدانية.

محمد دحمان

إيمريكلي، منطقة تقع شرق مدينة بوجدور، تحتل جزءا هاما من جماعتي لمسيد والجريفية وجزءا صغيرا من جماعة ڤلتة زمور، وهي تابعة إقليميا لعمالة بوجدور، بحيث يحدها شرقا كتلتي الركيبات وزمور، وجنوبا السلسلة البلورية لأولاد الدليم وجبال اگرگر وجزءا من السهل الساحلي الجنوبي لواد الذهب، وغربا المحيط الأطلنتي، وشمالا حوض العيون - بوگراع. وتنتمي منطقة إيمريكلي جغرافيا للحوض أو السهل الساحلي الذي يمتد من طرفاية شمالا إلى أدرار سطوف جنوبا، وهناك من الجغرافيين من يصنفها بالهضاب الساحلية المنخفضة. هذا الحوض الساحلي تعود تكويناته الجيولوجيا إلى رواسب تراكمت في الزمن الجوراسي، وهي تختلف من حيث النوع والسمك من الشمال حيث حوض العيون - طرفاية إلى الوسط حيث حوض بوجدور - إيمريكلي وصولا بحوض واد الذهب جنوبا. كما تضم تكوينات كريتاسية ونيوجينية بالإضافة إلى التوضعات البليورباعية على شكل ظلفاء كلسية أو رصيص صدفي أو فتاتي.

وتنقسم أرض إيمريكلي سواء عند السكان المحليين أو حسب تربتها إلى جزئين : إيمريكلي لحمر يقع في الجزء الشمالي وإيمريكلي لبيض في الجزء الجنوبي. وهذا التنوع في اللون الترابي، يرجع بالأخص إلى التكوينات الجيولوجية التي تشكلت فيها، ويمكن شرحها على الشكل التالي :

- الترياس : وهو عبارة عن طبقات حمراء مكونة من الصلصال وطمي متصلب وحث ورصيص مع وجود صخور أخرى إبخارية تتخللها مستويات من البازالت والدوليريت.

- الجوراسي : ولا يظهر إلا في الجزء الشمالي من الحوض، أي العيون - طرفاية حيث يُميز فيه بين مستويين :

- المستوى الأول : يتكون من صخور الحث والطمي والكلس والدولومي. ويمثل في الحقيقة الجوراسي الأسفل والأوسط اللذين توضعا فوق طبقات الترياس بشكل متنافر.

- المستوى الثاني : يبدأ في القاعدة برصيص وهو دليل على حدوث عملية الطغيان البحري خلال فترة الكالوفي الأسكفوردي، يعلوه كلس طفلي وكلس رملي مع بعض مستويات الطفل بسمك يصل إلى حوالي 1500م.

- الطباشيري : عرفت فيه المنطقة تراجعا بحريا خلال الفلانجيني، تشكلت على إثر ذلك دلتات كبيرة الحجم. امتدت الأولى في الشمال قرب طانطان والثانية جنوبا عند مستوى بوجدور. في فترة الألبي - الأبسي حدث غمر بحري جديد مسؤول عن تواضع طبقات كلسية في مياه ضعيفة العمق. وخلال الصينوماني - التوروني عرفت المنطقة الساحلية نشاطا إرسابيا تمثل في توضع ما يعرف بالصلصال الأسود، أعقب إرسابات من نوع محاري كدليل على تراجع مياه البحر في هذه المنطقة والتي ستعرف بروزا مهما في نهاية الطباشيري.

- النيوجين : تميزت هذه الفترة بالتنوع الإرسابي : كلس حثي، مستويات محارية، صلصال كلسي وكلس

رملي. ولا يتجاوز السمك الكلي للنيوجين 100م في الجزء الغربي من الحوض بينما يمر على التوالي إلى سحنات قارية في اتجاه الشرق.

فوق هذه الأرض البلورباعية تنتشر عديد من السبخات ولگراير، منها : سبخة أريدال، سبخة امات اللحم، وسبخة وين ترغت، وغيرها. أما لـگراير، فنجد : النعامية، اينمي، امات الكبش، تنليك، أم المرة، أم عناية، الشعيرات، أم الخطور، وبنخطيرات، وغيرها. وتعد هذه لگراير من أخصب الأراضي في الصحراء بعد أراضي تيرس بواد الذهب.

وهناك وثيقة تمليك خاصة بهذه الأرض، هي عبارة عن حكم للقاضي اطوير الجنة إيدولحاجي، إثر نزاع بين أفراد من قبيلة أولاد أبي السباع وأولاد تيدرارين، ونص الوثيقة جاء على الشكل التالي :

"الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

الحمد لله الذي أنزل علينا : "إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكـن للخائنين خصيما"، والصلاة والسلام على من أنزل عليه، "ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنهم مسؤولا".

لما رفعت إلينا نازلة الخصمين وهما الشريفان السالك بن محمد سكية بها يعرف وابن عمه إبراهيم بن عبد الله بن الطالب علي من جهة. وخصمهما سيدي إبراهيم بن محمد غنبور التدراريني وأخوه موسى نائبان عن أبناء عمهم من جهة أخرى. يتنازع الفريقان على بلد إيمريكلي ما يحرث منها ادعى كل واحد من الفريقين أنها ملكه فادعى أبناء أبي السباع أنها ملكهم في دية من عند گندوز في فتنة وقعت بينهم، وادعى أبناء تدرارين أنها ملكهم بالعمارة نحو عشرين عاما قبل السيبة.

فلما أدلى كل واحد بحجته أمعنت النظر في حجتيهما فكلفت كلا منهما بالبينة على صدق ما ادعاه، فأتاني الشريفان مولاي إبراهيم وابن عمه المذكور بشهادة سيدي محمد بن علي الفيلالي وابن عمه الفقيه سيدي محمد البربوشي وهما ممن تقبل شهادتهما عندي، ثم بشهادة الشيخ محمد بن الطنج والشيخ سالم بن علي الداودي والشيخ عمر بن داود كلهم مسعوديون، ثم بشهادة علال بن محمد الموسا وعلي وابن عمه الهيري بن عبد الله ثم شهادة المقرئ الشنقيطي دارا التوبالي أصالة، ثم منصور بن علي وأخيه محمد الهيريين، أنهم يشهدون لله لا لغيره يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ويشهدون مع ذلك أن بلد إيمريكلي ملكا لأبناء أبي السباع أخذوه في دية من عند گندوز وهي دية مولاي أحمد بن سيدي إبراهيم نونو بها يعرف لا منازع ينازعهم ولا معارض يعارضهم فيه، هذا قبل شرهـم مع المغافرة بسبع سنين وهو قبل الوباء الأول بسنتين، ثم أتوني بشهادة العتيق بن محمد الشمشاوي وابن عمه محمد حبيب الله ويعقوب بن إسحاق وأخيه بارك الله أنهم يشهدون أن أبناء أبي السباع ملكهم من الساقية الحمراء إلى النخيلة المسماة بجيو من قبل أن يملكه أحد ولا ينزله غيرهم إلا بقية من گندوز، لأنهم هم اللذين صرفوا منه النصارى من الساقية الحمراء فسكنها ولي الله سيدي اعنارة وبني فيها الديار وغرس بها النخيل ومات بها عمه مجاهدين في سبيل الله ودليل ذلك قصة ولي الله في مدحه لهم حين قتلهم الكافر الشمسعي لعنه الله. فلما وقع هذا أمرت بتزكية الشهود وزكوا عندنا، فكلفت بعد هذا كله سيدي إبراهيم بالبيئة على صدق موعوده وتجريح الشهود فلم يأتني بقليل ولا كثير وأعدت له أجلا بعد أجل فقلت أبقيت لك حجة تأتي بها حاضرة أو غائبة، بعيدة أو قريبة، فقال : لا. فلما وقع هذا ظهر لنا ولله ما ظهر وما خفى أن دعوى سيدي إبراهيم بالعمارة باطلة وحجته داحضة بل عليه الغلة لأن من المعلوم عند أهل الحرث أن دوام الحرث على البلد يضعف ثماره كما قال بهرام، والأرض المستريحة أعني أن من ترك بلدة لتستريح كي تقوى ثمارها وقام الغير فحرثها فعليه الغلة قولا واحدا. وأما قوله بالعمارة بين البادية التي لا قصور فيها وقليل ماؤها فالعادة أنها لا تسكن إلا في زمن الخصب، وربما رحل عنها أهلها المالكون لها إلى بلد غيرها لمحلها وخصب غيرها ويمكثون عنها سنين عديدة. فعمارة الغير لها باطلة ولا ضمان عليـه في قطع الشجر لمصلحة إلا شجر الظـل، وحدد بعضهم قيمـة الشجر المظـل بأن يقوم ما رجـع عليه ظـل العصر وهو وقت الانصراف عن المقيـل بـأن يعطـي قيمــة ذا بالأرض وعليه الغلة كما قال آنفـا.

وأما البلد المتنازع عليها اسم إيمريكلي وهو بلد كثير ساحله البحر وحد الشرقي موقف الحرث من أريدال إلى ورگنات وهذا هو إيمريكلـي المعروف نسبته عندهم. وأما قول تشمش هو الذي عليه العمل بـأن البلاد كلها من الساقية الحمراء إلى النخيلة المسماة بجيو وشرقا الجام أدرار بلادهم إلى احفر ورگنات المعروفات بـگور أولاد عمران، وما حل حولها من العامر والغامر والشجر وغيـره.

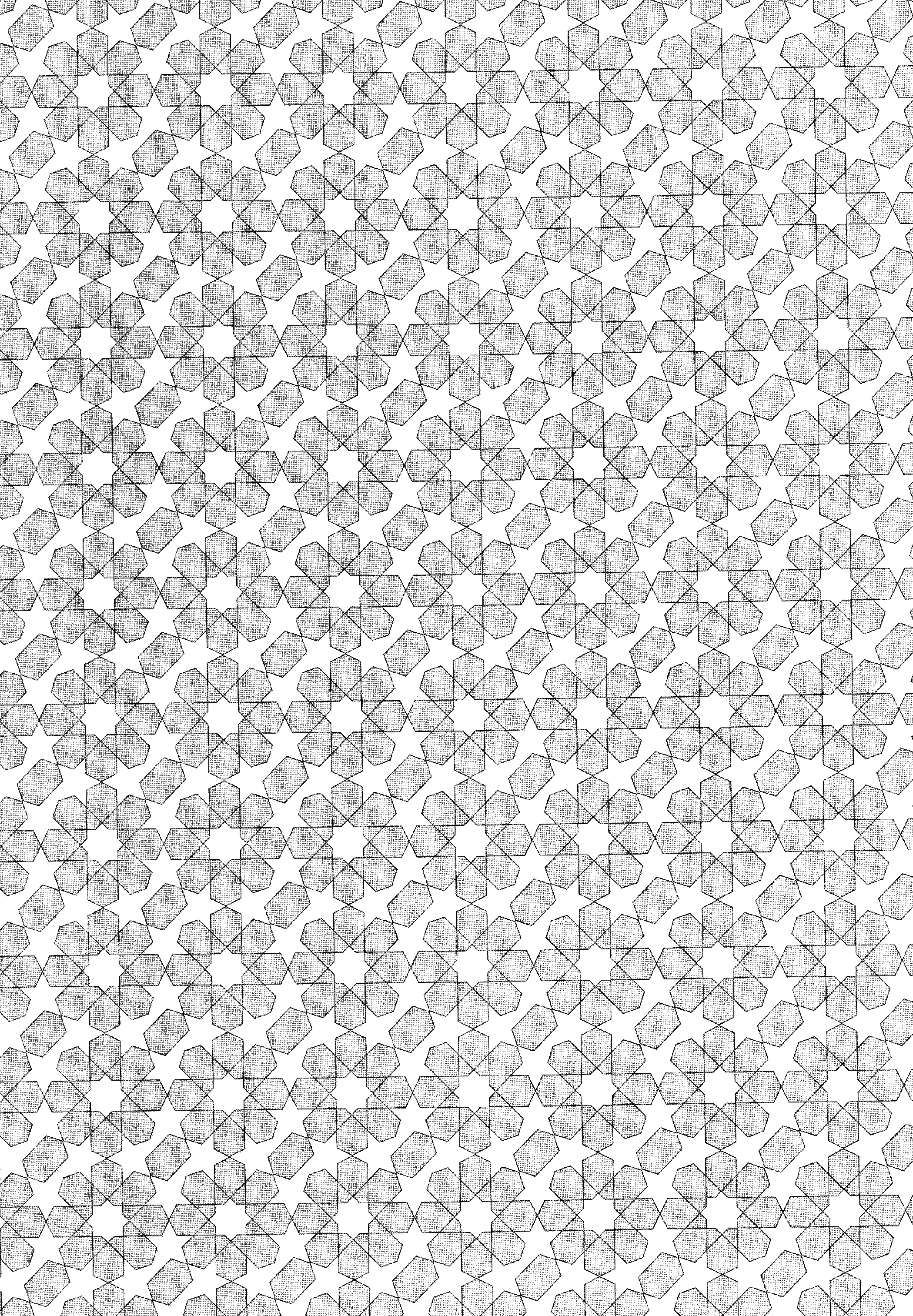
فبسبب هذا وظهوره حكمت للشرفاء مولاي إبراهيم وابن عمه السالك ومحمد سكية بثبوت ملكهم البلد المذكور ومن عارضهم فيها فهو ظالم، وحكمت ببطلان دعوى غيره إلا حفرة القضب التي بينها وبين الجريفية فقد استثنيت من البيع المذكور حكما لازما أبرمته وأوجبت العمل بمقتضاه. سجلته في غرة رمضان من عام 1204 هجرية، عبد ربه طوير الجنة إيدولحاجي.

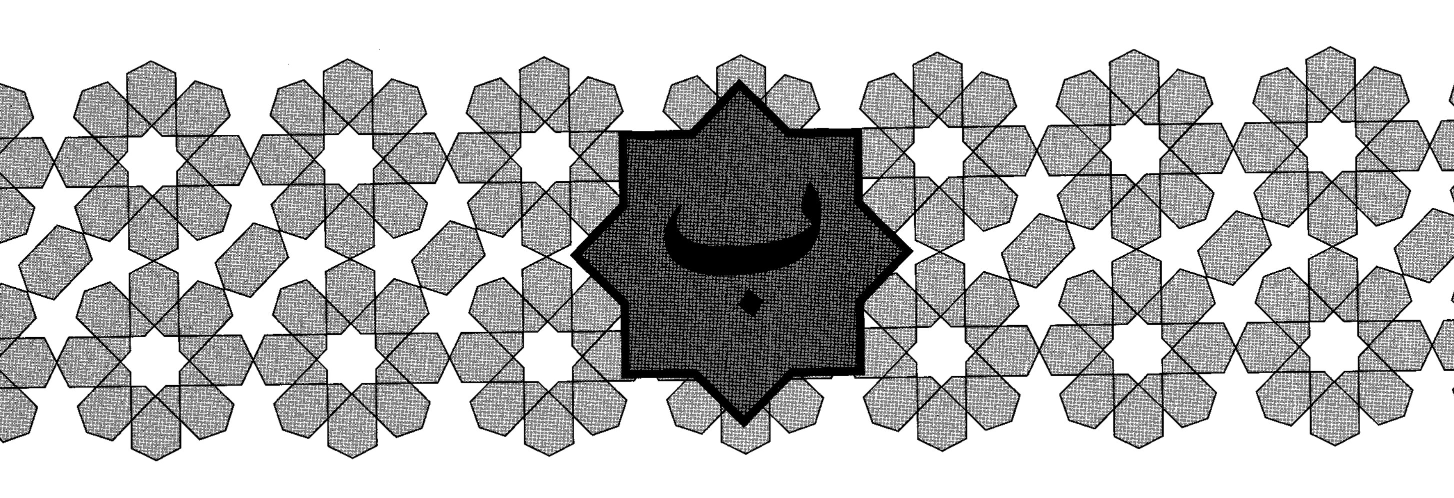
وتجدر الإشارة إلى أن هذه الوثيقة لها ثقل تاريخي وشرعي، فهي ضمن الحجج التي قدمت لمحكمة لاهاي بهولندا عند مطالبة المغرب باسترجاع الصحراء.

عبد اللطيف رمان وإبراهيم واحمان، الخصائص الطبيعية : الجيولوجية ـ البنيوية والمناخ، كتاب "*الصحراء الأطلنتية : المجال والإنسان*"، الطبعة الأولى، منشورات وكالة الجنوب وجامعة ابن زهر، الرباط، 2007 ؛ عدة مؤلفين، *الأقاليم الجنوبية المغربية : البيئة والمجتمع وآفاق التنمية*، الجمعية المغربية للجيومرفلوجيا، الناشر جامعة القاضي عياض، مراكش، 2006 ؛ طوير الجنة إيدولحاجي، حكم *إيمريكلي*، مخطوط ونص حكم، يوجد بخزانة نواكشوط، موريتانيا، ونسخة مصورة في حوزتنا.

Dresh. J. ; Dewolf, Y. ; Joly, F. & Raynal, R., *Rapports de mission au Sahara*, Ministère d'Energie et des Mines, Rabat, 1973 ; Joly, F., *Aspects géographiques du Sahara Nord-Occidental*, Edit. Grama, Tanger, 1958 ; Luc, Recherches sur les formations plio-quaternaires du littoral Ouest Saharien, *Cahiers de l'O.R.S.T.O.M., n° 48*, 1975 ; Ranke, U. ; Rad, U. Von & Wissmann, G., Strigraphy, Facies and Tectonic Development of on-and offshore Laiun-Tarfaya basin, a Review, in : U. Von Rad, K. Hinz, M. Sarntheim & E. Seibold (eds), *Geology of the Northwest African Continental Margin*, Springer Velag, Berlin, 1982 ; Riser, J., Le *Bassin de Tarfaya. Paléo environnements, paléo anthologie, préhistoire*, 1996.

مولاي إدريس شداد




ب

بارك الله (أهل + قبيلة) : قبيلة زاوية عريقة من اليعقوبيين، استمدت إسمها من جدها الجامع بارك الله، ابن أحمد بزيد بن يعقوب بن أبيال بن عامر بن أبيال بن أبهنضام المعروف بابهنضام - يقب وهو المعروف بالجامع لأنه يجمع بين قبيلتي ايد يقب وأهل بارك الله، إنه أحد "تاشمشة" أي الرجال الخمسة النازحين من تارودانت إلى الصحراء خلال القرن الرابع عشر الميلادي / الثامن الهجري، وهم - أي أهل بارك الله وإد يقب - ينسبون إلى جعفر الطيار، وبالتالي فهم أبناء عمومة المغافرة، ويعتبر جد أهل بارك الله (أحمد بزيد) من الصلحاء الذين عاشوا في مناطق الترارزة والساحل حيث كانت تقصده الناس للتبرك، ويوجد ضريحه ببلدة تمغرت قرب النمجاط حيث يتوافد عليه الزوار.

وكان بارك الله هو الإبن الوحيد لأحمد بزيد وعرف أنه شارك في حرب "شربب" لكن انسحب من تلك الحرب لما لاحظ ارتكاب بعض المخالفات تجاه المسلمين. هكذا ذهب قاصدا الحج ولما عاد سكن منطقة تيرس وتازيازت واينشيري، وصار له العديد من الأتباع والأبناء حتى قيل أن قبيلة أهل بارك الله تعد أكثر قبائل الزوايا أتباعا وموالي.

وتذكر المصادر التاريخية أن بارك الله لما كان في الحجاز تلاقى في المدينة المنورة مع الشريف سيد امحمد الدميسي الذي أشار عليه بالإقامة - عند عودته - في البلاد الواقعة ما بين النخلتين، أي في المنطقة الممتدة مابين الساقية الحمراء ونهر السنغال، أي ما يعرف بالساحل.

وبعد عودته هناك، ظهرت ولآيته وصلاحه وصار له عدد من الأبناء والأتباع، واحترمته القبائل المحاربة من حسان، وراكم ثروة هامة بفعل عمله وعمل أتباعه ومواليه. هكذا خلف بارك الله ثمانية أبناء من الذكور هم : مسكه - عبد الله - حبيب الله - مولود - الفاضل - المداح - بكر - ألمين. هذا الأخير وحده لم يعقب أبناء من الذكور، أما السبعة الآخرين فقد كانوا هم أساس أفخاذ القبيلة :

1) أهل مسكه : يتكونون من عرشين هما أهل أحمد خرشي ولد مسكه، وأهل الفلالي ولد مسكه. ومن أتباعهم اگدالة، أهل لموحد، أهل ألمين، والزماريگ، أهل سكان، أهل حمدي، أهل احمودة، أهل عيسى، أهل اجمال، أهل اغجول، أهل أعبيد العزيز. ويعد أهل مسكه هم الزعماء السياسيين لقبيلة أهل بارك الله خاصة في العلاقات الخارجية كإرسال البعثات (الصربة).

2) أهل عبد الله ولد بارك الله: وهم فخذة مهمة وثرية، مكونة من عرشين هما: أهل أحمد ولد عبد الله وأهل محمود ولد عبد الله. من أتباعهم : أهل بَـلاَلَ، أهل اخنيفيلة (صيادين)، أهل أم الهادي، أهل ادريميز، أهل أزبير، أهل أميسة، أهل المعيوف، أهل الحبيب، أهل لمحسن، أهل أحمد لمسيكة، أهل اگريميش، أهل النقلي، أهل احميمات، أهل أهبولات، أهل كفاف، أهل آلويمين لغنم، أهل بندگ، ادراغلة، أهل يوسف (حرفيين).

3) أهل مولود، المنحدرون من مولود ولد بارك الله، يتكونون من أربعة أعراش : أهل البخاري ولد مولود، أهل أفلواط ولد مولود، وأهل عبد الدائم ولد مولود. ومن أتباعهم بعض لادم وأهل آلويمين وأهل ورزگ الحراطين.

4) أهل المداح : فخذة تنحدر من المداح ولد بارك الله كانوا يقطنون بجوار أهل مولود، من أتباعهم أهل دحة وأهل أحمد ولد العبد.

5) أهل الفاضل، من الفاضل بن بارك الله الذي ترك أربعة أبناء هم أصل الأعراش الأربعة : أهل سيدي عبد الله ولد الفاضل، وأهل اسحاق ولد الفاضل، أهل يعقوب ولد الفاضل، وأهل يوسف ولد الفاضل. أما أتباع أهل الفاضل فهم : غالبية لگويدسات وكذا : أهل اينل، أهل دافي، أهل اصنيبة، أهل الزيغم، أهل امبارك، أهل توبالت، أهل حينان، أهل الريگط، أهل امسيكة، أهل البيظ. ونذكر هنا أسرة من الأشراف تدعى : أهل البخاري الشريف، الذين جاء جدهم برفقة سيدي عبد الله ولد الفاضل من شمال المغرب.

6) أهل حبيب الله، ينحدرون من حبيب الله ولد بارك الله، ويتكونون من الأعراش التالية : أهل البخاري ولد

حبيب الله والد الشيخ محمد المامي. وأهل المختار ولد حبيب الله، وأهل القائم حبيب الله، وأهل محمد مولود ولد حبيب الله. وأتباع أهل حبيب الله هم : أهل لحويج، وأهل أبك ذوي الأصل المشظوفي.

7) أهل بكر : ينحدرون من بكر بن بارك الله، وهم قلة كانوا يعيشون بجوار أهل حبيب الله. أما مناطق نجعة أهل بارك الله فهي : تيرس، وأدرار سطف، وتازيازت، وأزفال، وتجريت، وأگنتير، واگشار وإينشيري. وتشير المصادر التاريخية إلى أن قبيلة أهل بارك الله كان لها الفضل في إنباط العديد من الآبار والأحساء بالمنطقة ومن ذلك بمنطقة تيرس بئر لعوج، واغوينيت، وأوسرد (طوله 20 مترا) أغيلاس، أبير الخرشي، بولرياح، زوگ (10 متر)، تشلة (10 متر)، إگازرن، دومس، بولوتاد، بئر انزران، أيگ. وفي أدرار سطف نجد : معطى الله - بوگفة - جلوى - تشانيت - آغمميت - الميسور - آرش اعمر - بولنوار - اكومات. كما مارس أهل بارك الله الزراعة رغم أن نمط عيشهم كان قائما على الانتجاع ومن المناطق التي كانوا يزرعونها نذكر : گرارات امكران قرب جبل مادس بآدرار سطف، وكذلك اگرارت الغساليات قرب مادس أيضا، وفي إينشيري يزرعون مناطق، دمان ولمدن واگرارت ولد أبنو عمار وأم البيظ واكني وأنتر. وفي تجريت يزرعون اشكران ولگرارة الزرگة واگرارت ولد أينل والغزلانية. كما تضم قبيلة أهل بارك الله مجموعة من الممارسين للصيد البحري في المناطق الممتدة من أنواذيبو إلى الممغار. ولأهل بارك الله علامة (نار) خاصة تميزهم عن القبائل الأخرى، يضعونها على قطعانهم من الإبل وهي (لا)، ميسم يوضع على الجانب الأيسر للناقة أو الجمل، كما تعد هذه القبيلة من فئات "زوايا الشمس" أي القبائل الزاوية التي لا تخضع لأية قبيلة محاربة، وعندما يتعرضون للنهب، يؤلفون ما يعرف ب "ردألاي". زد على ذلك أن أهل بارك الله دخلوا تاريخيا في تحالفات قبلية خاصة مع الرگيبات، وبالخصوص مابين أهل الفاضل وأهل مولود من أهل بارك الله وما بين أهل أفرييط (أهل بـلاو) من الرگيبات. أما أهـل عبد الله من أهل بارك الله فهم حلفاء أهل عبد الله ولد عمـار من الرگيبات السواعـد. وأهل البخاري ولد الفيلالي تلاميذهم من الرگيبات أولاد الشيخ. أما أهـل حبيـب الله فهـم من حلفـاء أولاد القـاضي من الرگيبات أولاد موسى.

وتجدر الإشارة إلى أن غالبية هذه التحالفات تمت نهاية القرن التاسع عشر الميلادي / 13 هجري. وهي فترة بسط الرگيبات لسيطرتهم على المنطقة. هذا ناهيك عن العلاقات التاريخية الوطيدة التي كانت تجمع ما بين أهل بارك الله وقبيلتي أولاد دليم وأولاد اللب.

ولقد ساهمت قبيلة أهل بارك الله بقسط وافر في تعمير منطقة تيرس وأدرار سطف ونـگجير بإقليم أوسرد وذلك عن طريق حفر الآبار، وتشييد المدارس العلمية العتيقة المعروفة ب "المحاظر" المتنقلة مع مضارب البدو، كما أنجبت مجموعة من العلماء والصلحاء ورجال السياسة وكذلك العالمـات والمدرسـات، نذكر منهم على سبيل المثل : سيدي عبد الله ولد الفاضـل وإسحـاق ولد الفاضل ومحمد عبد الله ولد الفيلالي والبخاري ولد الفيلالي والشيخ محمد المامي ومسكـه ولد بارك الله ومحمد ولد عبد العزيـز، أفـلواط ولد مولـود ومحمد الخضر بن حبيب الله وصفيـة منت عثمان...الخ. وقد تركوا تراثا أدبيـا وعلميا وفقهيـا يحتاج الجمع والتصنيف والتحقيـق. وتتوزع قبيلة أهل بارك الله اليـوم مابين المغرب (إقليم واد الذهب وإقليم أوسرد والعيون) وموريتانيـا (ولاية أنواذيبـو وولاية أنواكشـوط، وإينشري).

أبو بكر بن أحمد المحجوبي، *منح الرب الغفور في ذكر ما أهمل صاحب فتح الشكور*، مطابع الوحدة العربية - الزاوية - ليبيا، 2001 ؛ المختار ولد حامد، *حياة موريتانيا : الجغرافية*، معهد الدراسات الإفريقية بالرباط، 1994 ؛ المختار ولد حامد، *حياة موريتانيا : الحياة الثقافية*، ج 2، الدار العربية للكتاب، تونس، 1990 ؛ محمد عبد الله بن البخاري، *كتاب العمران*، تحقيق، مريم بنت أد، رسالة متريز في شعبة التاريخ، جامعة انواكشوط، 1994 ؛ محمد دحمان، *الترحال والاستقرار بمنطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب*، مطبعة كوثر، الرباط، 2006 ؛ عبد العزيز بن الطالب موسى، تحقيق، *ديوان الشيخ محمد المامي*، رسالة دبلوم دراسات عليا في الأدب العربي، مرقونة بكلية الآداب، الرباط، 1998.

Ahmed Miské «Une tribu maraboutique du sahel : Les Ahel Barikalla» in : *Bulletin du comité S.H.A.O. F, juin*, 1937, p. 482 - 506 ; Olga Cotovad : «En la Montaña de Eik» in : *Africa, N° 54*, junio, 1946, Madrid, p. 41 - 43 ; Julio Caro Baroja, *Estudios Saharianos*, Madrid, 1955 ; Jose Enrique del Barrio, *Las tribus del Sahara*, Aiun, 1973 ; Alberto Lopez Bargados, *Arenas Coloniales, Los Awlad Dalim ante la colonizacion franco-Española del Sahara*, Barcelona, 2003.

الباركللي، محمد ولد محمد فاضل : هو الفقيه محمد بن محمد فاضل بن محمد الأمين بن الحاج، وأمه سكينة منت عبد العزيز بن الشيخ محمد المامي بن البخاري، ولد سنة 1932 بناحية أوسرد في وسط علمي أدبي عريق بالمنطقة. حفظ القرآن الكريم وهو دون العاشرة من عمره، كما درس مبادئ اللغة العربية والفقه المالكي على يد والده محمد فاضل، فنهل من علوم اللغة وحفظ المعلقات وأشعار أصحابها وغيرهم، مما مكنه من تحصيل رصيد لغوي مهم صنفه في طليعة طلبة المحاضر الصحراوية بمنطقة وادي الذهب من حيث المعرفة باللغة والنحو والصرف والإعراب.

انتقل مع نهاية الأربعينات وخلال عقد الخمسينات من القرن العشرين إلى محضرة العلامة الشيخ محمد المصطفى ولد تكرور اليعقوبي والتي كانت حينها من أبرز المحاضر الصحراوية بالمنطقة، فدرس الفقه المالكي أصولا وفروعا مبتدئا بكتاب الأخضري فمتن عبد الواحد بن عاشر ثم مختصر خليل بن إسحاق فمدونة الإمام مالك ثم رسالة ابن أبي زيد القيرواني، وبعد تضلعه في علوم الفقه المالكي قرر بإيعاز من شيخه دراسة علوم القرآن من رسم وتجويد فدرس منظومة ابن

بري والشاطبية وغيرهما ثم تابع دراسته بهذه المحضرة العلمية حتى صار متمكنا مما هو متداول ومقرر في جل المدارس العتيقة بالصحراء. كما نهل من ثقافة الصحراء المحلية، فحفظ عدة دواوين شعرية حسانية لأدباء وشعراء من مجتمع البيضان قديما وحديثا.

وفي سنة 1960 اجتاز امتحان أساتذة اللغة العربية والدين الإسلامي بالمدارس والمعاهد الإسبانية بمدينة الداخلة ففاز بالرتبة الأولى ليتم اعتماده أستاذا للمادتين بسلك التعليم الإسباني وذلك بتاريخ 4 فبراير سنة 1961. هكذا تابع التدريس بالداخلة حتى سنة 1971 لينتقل إلى بلدة أوسرد إثر ظروف صحية خاصة، وهناك تابع العمل بالمدارس الإسبانية حتى الانسحاب الإسباني سنة 1975.

تخرجت على يده أجيال من أبناء المنطقة وغيرهم وساهم بشكل كبير في حفظ وصيانة وجمع نفائس المخطوطات والوثائق الصحراوية، خاصة مؤلفات علماء المنطقة ورواد نهضتها العلمية والفكرية أمثال الشيخ محمد المامي ولمجيدري بن حبل ومحمد بن الطلبة ومحمد عبد الله بن الفلالي وغيرهم من رموز وأعلام الصحراء في الحقول العلمية والفكرية المتنوعة.

أسهم كذلك في تأسيس زاوية علم الشيخ محمد المامي وإعادة تفعيل دورها في الأقاليم الجنوبية وكذا في موريتانيا وذلك لكونه الأقرب للشيخ محمد المامي حيث ترعرع في وسطه العائلي ونهل من علومه من قريب فكان معترفا له بالخبرة المتميزة في أدب جده وعلومه ومؤلفاته نظما ونثرا فصيحا وحسانيا. عاش هذا الفقيه عقد الثمانينات من القرن الماضي في مخيمات تندوف، ولم تثنيه ظروف العيش القاسية هناك، عن القيام بجمع وحفظ المخطوطات والوثائق التاريخية إلى أن عاد إلى أرض الوطن سنة 1998، مواصلا البحث في التراث الفكري والعلمي للمنطقة عن طريق الحفظ والتدوين رغم أنه لم يحظ بالعناية والتقدير اللائقين بأستاذ مثله. وبقي على تلك الحالة من سمو الهمة بمدينة الداخلة إلى أن توفي بتاريخ 27 يونيه سنة 2002.

عقب من الأبناء خمسة من الذكور وثلاثة من الإناث. وقد تولى ابنه محمد فاضل مهمة جمع الوثائق وصيانتها حيث تمكن من تأسيس "جمعية جلوى" لصيانة المخطوطات واستثمارها في التنمية المحلية، وتجدر الإشارة إلى أن والده الراحل ترك ما يناهز 300 مخطوط ووثيقة تاريخية اليوم في حوزة الجمعية المذكورة بمدينة الداخلة، وتستحق الدعم والتشجيع اللازمين.

المختار ولد حامد، *حياة موريتانيا*، الجزء السادس عشر : بعض المجموعات الشمشوية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2009 ؛ المختار ولد حامد، *حياة موريتانيا : الجغرافيا*، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994 ؛ *مقابلة ميدانية مع ابن الفقيه محمد ولد محمد فاضل*، السيد محمد فاضل بارك الله بالداخلة 2009 ؛ *وثائق خزانة الفقيه* محمد ولد محمد فاضل بالداخلة.

Julio Caro Baroja, *Estudios Saharianos*, Madrid, 1955.

محمد دحمان

الباركي، عائشة بنت بابا **أحمد** بن البخاري بن الفيلالي بن مسكة بن بارك الله اليعقوبي ابنة العالم أحمد بابا، من قبيلة آل بارك الله كانت عالمة لا يستطيع أحد أن يجاريها أو يباريها، ومتصوفة من أصحاب علم الباطن كما كانت شاعرة، وكان زوجها عالما ومن رواة الحديث تذكره في شعرها مخاطبة ابنتها :

يا بنت من يروي الحديث فعه	سلم من عض على شبذعه
بين كلامكم يقول خشوا	ما بين إخوة وقد نبشوا
وبدل العين من الغين عوض	وحاذري من أن يكن منك غرض

أحمد بابا ولد عبد الله العتيق، *تاريخ حياة الشرفاء أهل باركل أخلاقهم وعاداتهم*، نواكشوط، الطبعة الثانية، 2008.

الغالية بلعمش

الباركي (سيدي -) **عبد الله** بن **الفاضل** : هو سيدي عبد الله بن الفاضل بن بارك الله فيه بن أحمد بازيد بن يعقوب بن أبي يعلى بن عامر، عالم جليل متفنن في علوم شتى، وشيخ محضرة علمية ذائعة الصيت، كان الشيخ محمد المامي يسميه "فحل تيرس"، لأنه جمع بين العلم والسياسة، وقد حفر رحمه الله تعالى آبارا كثيرة في تيرس. ومن أهم آثاره العلمية : نصرة الوارث في الرد على أبي الحارث، تحفة التابع السني في الرد على المشاقق البدعي. وهما ردان على العالم الجليل المجيد ري بن حبيب الله اليعقوبي.

توفي سنة 1209.

ولد البخاري، محمد عبد الله، *كتاب العمران*، مخطوط، نسخة مصورة في حوزتنا ؛ الرتلي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الصديق الولاتي ؛ *فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور*، تحقيق، محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط : 1، بيروت، 1401 / 1981 ؛ ولد حامد المختار، *الحياة الثقافية*، نشر الدار العربية للكتاب، ط : 1، طرابلس، ليبيا، 1990 ؛ ولد بزيد، محمد عبد الله، معجم *المؤلفين في القطر الشنقيطي*، منشورات سعيدان للطباعة والنشر، تونس، 1996.

الباركي (الشيخ -) **محمد المامي** بن **البخاري** ولد سنة 1202 بتيرس كان أبوه "البخاري بن حبيب الله" رجلا صالحا، صاحب كرامات. كما عرف جد القبيلة الذي عرفت باسمه، وهو "بارك الله فيه" بالصلاح والاستقامة والفضل. أما والده "أحمد بازيد" فهو أحد أولياء الله تعالى مشهور بالخوارق الكثيرة والكرم والعبادة والزهد.

وأبناء بارك الله الثمانية معروفين بالعلم والصلاح والفضل والغنى وحسن السياسية. وقد ظهر من أبنائهم كثير من الأولياء. كما أن أخوال أمه أهل الفاضل مشهورين بالصلاح والفضل والعلم، فالعلامة المشهور "سيد عبد الله به الأفضل بن بارك الله" هو خال أمه.

وقد كان الشيخ يتحلى بأخلاق فاضلة وعقل راجح حتى قيل "... أنه أعقل أهل زمانه، جميل صورة، زاهد

لاسيما ما بأيدي الملوك، كريم الخلق، مدار للناس، منصف، ذو مروءة، منحار كثير ضيف ومواساة..." (المفاد، 1 : 27).

ينتمي الشيخ إلى قبيلة أهل بارك الله، وهي من قبائل الزوايا المشهورة. عرفت بالعلم وكثرة المال والأتباع، خصوصا إذا اعتبرنا أن أهل بارك الله واليعقوبيين هم كالشيء الواحد، لانحدارهم من يعقوب الجامع.

وأغلب الشخصيات البارزة في هذا الوسط، ظهرت في عصره أو قبل عصره بقليل، مثل "سيد عبد الله بن الفاضل" و"البخاري بن الفلالي" و"العتيق بن أحمد خرش" و"أحمد مسكة بن البخاري".

فقد عرف هذا الوسط باهتماماته الثقافية، وكانت لديهم مكتبات تحوي كتبا نادرة، وذلك لاتصالهم بسلاطين المغرب، "وقد بعث السلطان لكل فخذ من أبناء بارك الله صندوقا مملوء بالكتب، وبعث إلى فخذه هو (يقصد المجيدري) صندوقا واحدا، وأجر هذا كله له، فإنه بإملاء منه.." (العمران، 1 : 19).

خلف الشيخ من الأولاد الذكور : علي والبخاري وصلاحي وءافلوط وعبد الله وعبد العزيز والصوفي وحمدي وسيد أمين. وله من البنات : فاطمة وسارة وأم المؤمنين وزينب وعائشة ومريم وميمونة. وقد اشتهر أبناؤه بالعلم والصلاح والسيادة، واشتهر بعضهم إلى جانب ذلك بالشعر.

أما عن شيوخه، فلم أقف ـ في المصادر المتاحة ـ على أن للشيخ محمد المامي شيوخا ؛ غير أننا لا نعدم تلميحات طفيفة من هنا وهنالك، منها ما ذكره "محمد الخضر" أن الشيخ على الطريقة القارية، وتفيد الرواية انه أخذها عن أخيه عبد العزيز، وأن هذا الأخير أخذها عن "الشيخ سيد المختار الكنتي". ومن المعلوم أن الشيخ ذكره في الدلفينية بقوله :

وقطبها شيخنا الوافي ذاك عزا	لعدة مالكيات مواطين (الديوان : 356)

ومع ذلك، فلا شك أن الشيخ قد تلقى مبادئ التعليم الأولى في أسرته على يد أبيه وأخيه، ثم في محيطه الأسري (أخواله وأخوال أمه)، ولكن اجتهاده قد ظهر في سن مبكر فغطى على ذلك. يقول "الأستاذ محمد بن أحمد مسكة" : "ومن أعظم خوارق الشيخ محمد المامي ما رزقه الله تعالى من سعة العلم وتشعب فنون المعرفة مع أنه لم يعرف له شيخ ولم ينقل عنه الجلوس في مدرسة علمية. وقد اعترف له بالعلم أهل هذه البلاد مع كثرة العلماء الفحول في ذلك العصر. واعترفوا له بالشعر مع توافر الشعراء إذ ذاك، وفي ذلك يقول "الأستاذ هارون بن الشيخ سيديا" في تاريخه : "وكنت أعجب من علم الشيخ محمد المامي بعامة العلوم الشرعية وآلاتها لأنه لم يذكر أنه دخل محضرة من عامة الموجود في زمنه، ولم يحتك برؤسائها إلا بعد ظهوره، فصار يجادلهم ويجادلونه في زكاة أموال صحابة أهل بارك الله فيه ومواليهم، حتى وقفت على قوله من نظم المختصر :

فدونكم إبــل نظــم لاتــلــد	تحمـــل أثقالكــم إلى بلــد
ولم يكن مصريكم والتونسي	بالغها إلا بشــق الأنفـــس
أعطاكموها فاتح الأبـــواب	وانما كنــت من الأسبـــاب
بجذبــة مـــن مالك الخطــام	ونيـــة فـــاترة العظـــــام
وشربة من بحر نور سلسـل	بين يدي في النوم خير مرسل
لكنها الرؤيا تسر مـــن رأى	ولا تغر مثل ســـر مـن رأى

فتيقنت وتحققت أنه الفتح الوهبي الذي لاغبار عليه. انتهى" (الترجمة : 117).

من هناك تظافرت المؤهلات الذاتية والموضوعية، وانصهرت في الظروف المحيطة بها، فأفرزت علماء أجلاء يضيق المجال هنا عن ذكرهم. فكان الشيخ محمد المامي من أبرزهم إن لم نقل أنه واسطة عقدهم. فقد تحصل لهذا الشيخ رصيد معرفي وثقافي متنوع فهو "فائق في علوم الشرع، وخصوصا الشرعية الثلاثة، ما من فن إلا وله فيه تصانيف.

وبالإضافة إلى ثقافته العالمة، فقد حصل ثقافة شعبية موازية لها، لا تقل أهمية عنها. بل إن شعره الحساني لا يقل مستوى عن نظيره الفصيح، سواء من حيث موضوعاته أو سلاسة ألفاظه.

ولم يكتف الشيخ بالخوض في علوم عصره ومحيطه، بل تجاوزها إلى علوم غريبة عن محيطه، مثل علوم عد الحصا والقول بكروية الأرض وغيرها من العلوم.

لقد كانت العوامل المحيطة بتربيته تؤهله لأن ينال حظا وافرا من الزهد والتصوف. فأبوه "مشهور بالصلاح"، وخاله سيدي عبد الله ولد الفاضل "من العلماء العاملين وعباد الله الصالحين، له حظ في علم التصوف، متفننا في علوم شتى".

وقد عرفت بلاد الصحراء وشنقيط طرقا صوفية كثيرة، ولكن وسط الشيخ عرف طريقتين هما : الشاذلية والقادرية، وهذه الأخيرة هي التي كان عليها أخوه عبد العزيز، وكان عليها الشيخ نفسه.

فالشيخ قد جمع بين علم الحقيقة والشريعة. ورغم أنه صاحب كرامات مشهورة متواترة، فإنه ظل فقيها سنيا صارما، يتمسك بالظاهر، بدليل كثرة تآليفه في العلوم الشرعية وندرتها في التصوف. فجميع المصادر التي تحدثت عنه لم تذكر له أثـرا مستقلا في التصوف.

لقد انعكست ثقافة الشيخ الموسوعية على تآليفه التي شملت جميع علوم عصره بل تعدتها إلى ميادين غريبة على معاصريه. مثل عد الحصى وكروية الأرض.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن طريقة الشيخ في تكميم مؤلفاته لا تخلو من طرافة، ففي أنظامه، مثلا، يتراوح الكم ما بين عشرة آلاف بيت (نظم خليل)، إلى مؤلف من بيت واحد. أما في النثر فيتراوح الكم ما بين مجلد كبير إلى صفحة واحدة ومن تصانيفه :

1 ـ كتاب البادية : وعليه تذييل يسمى : "جمان البادية"، ويسميه الشيخ "صوف الكلاب" و"التلميات".

2 - الخراج الأول على غرار العاصمية، في ألفي بيت.

3 - الخراج الثاني وهو "نظم خليل"، في عشرة آلاف بيت. وله خاتمة تسمى "السلطانية".

4 - الاجماعيات، وهو مصنف نثري اختصر به "الميزان"، وقد رتبه على أبواب الفقه.

5 - الدولاب الأكبر، في أربعة وأربعين مذهبا في الفقه.

6 - كتاب النذرة.

7 - كتاب الذب والنصر بالشريعة عن العشيرة في أحكام هذه الشعيرة، موضوعه زكاة مال أتباع أهل بارك الله.

8 - نظم في أنواع القبل.

9 - رسائل عديدة في شأن زكاة مال أتباع أهل بارك الله، تبادلها مع الشيخ محمد بن محمد سالم المجلسي.

10 - الدولاب الكبير أو بلوغ الدعوة في عد أبواب مختصر خليل.

11 - رسالة في التيمم.

لقد كان للمكانة العلمية الرفيعة للشيخ محمد المامي أثر بارز في علاقاته مع أبرز علماء عصره، كما تدل هذه العلاقات على تفتح الشيخ على محيطه العلمي وتفاعله معه. ولم يكن الشيخ في معزل عن السجالات والنقاشات العلمية أيضا ؛ فقد خاض فيها، وساهم في بلورة مواقفه منها.

ومن أبرز الأهداف عند الشيخ، من خلال ما اطلعنا عليه من تصانيفه، وبتركيز أكثر على ديوانه الذي قمنا بتحقيقه و"كتاب البادية"، نجد :

أ - الاهتمام بقضايا البادية ؛

ب - فتح باب الاجتهاد ؛

ج - الدعوة إلى نصب الإمام.

توفي الشيخ سنة 1282، ودفن عند "أيگ" قرب "تشله"، وهو في منطقة آدرار سطف بتيرس، وقبره مشهور مزار.

الشيخ محمد المامي بن البخاري، كتاب *البادية*، مخطوط، انواذ يبو، موريتانيا ؛ *نظم السلطانية*، مخطوط، نواكشوط، موريتانيا ؛ *ديوان شعر حساني*، مخطوط، الداخلة ؛ ابن البخاري محمد عبد الله، *كتاب العمران*، مخطوط، الداخلة ؛ الخضر محمد بن حبيب، *مفاد الطول والقصر على نظم المختصر*، مخطوط، نواكشوط، موريتانيا، مسكه، محمد بن أحمد، ترجمة *الشيخ محمد المامي*، مخطوط، نواكشوط، موريتانيا ؛ خليل النحوي، *بلاد شنقيط*.. المنارة والرباط، نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ط. 1، تونس، 1987 ؛ ولد حامد المختار، *الحياة الثقافية*، نشر الدار العربية للكتاب، ط. 1، طرابلس، ليبيا، 1990 ؛ عبد العزيز ابن الطالب موسى، *ديوان الشيخ محمد المامي بن البخاري* (1202 - 1282)، تقديم وتحقيق، رسالة مرقونة بكلية الآداب جامعة محمد الخامس بالرباط، 1998.

Ould Bah, Med Mokhtar, *La littérature juridique et l'évolution du Malikisme en Mauritanie*, Publications de l'Université de Tunis, 1980.

عبد العزيز ابن الطالب موسى

الباركية، بازيد مريم منت أحمد من قبيلة آل بارك الله، عاشت في القرن الحادي عشر للهجرة وذلك بناء على تاريخ وفاة والدها العالم الباركي النسب أحمد بازيد، عرفت بعلمها ودينها وتصوفها مما يجعلها تصنف أول أديبة تنظم شعرا وأول امرأة متصوفة في المجال البيضاني، وقد كانت صاحبة كرامات عديدة مازالت عالقة في أذهان شيوخ قبيلتها، ولعل الأثر الوحيد الذي يشير إليها هو إحدى قصائدها التي قالتها تضرعا إلى الله من بطش قبائل حسان مختبئة وراء شجرة لا تستر شيئا رفقة بناتها اللواتي كن جميلات ومحط أطماع الغزاة، لتحضر الكرامة ولا يراها الغزاة، والبيتين الأولين من القصيدة ليسا لها بل لأحد الشعراء مما يدل على اهتمامها واطلاعها على شعر غيرها، وتقول في هذه القصيدة التي هي بخط امرأة صحراوية ناسخة تدعى عائشة بنت محمد فاضل بن محمد لامين بن الحاج :

علينا من الرحمن سـور مدور وسور من الجبار ليس يسـور
وسور من السبع المثانـي وراءه ويا حي يا قيوم والله أكبـر
إذا كنت وحدي سائرا في مضلتي وحولي من الأعداء ما ليس يحصـر
فإن إله العرش يكـلأ حافظا وحسبي به إن كان حفظي ينكر
ترى الشيء مما يتقى فتخافـه وما لا ترى مما يقي الله أكبـر
أمام وخلف المرء من لطف ربـه كوالئ تنفي عنه ما كان يحـذر
إذا ضاقت الأنفاس من أجل أزمـة فلا بد أن تحظى سرورا وتحبـر

لتصبح هذه الأبيات بمثابة حجاب منجي متوارث، حسب مجتمعها وأفراد قبيلتها، يستعمله كل من يقع في ضائقة.

بحث ميداني، صيف 2009 حول النساء الفقيهات والمتصوفات في الساقية الحمراء وواد الذهب.

الغالية بلعمش

باعمران (آيت) : يحد بلاد آيت باعمران من الشمال قبائل الساحل وقبائل آيت برابيم من جهة مدينة تيزنيت، ومن الشرق قبائل الأخصاص من جهة بيزاكارن، ومن الجنوب والجنوب الشرقي قبائل تكنة من جهة مدينة گلميم، ومن الغرب المحيط الأطلسي.

تشكل آيت باعمران - حسب لي شاتليه Le Chatelier - تجمعا بشريا ينحدر سكانه من برابرة مصمودة الذين احتلوا في القرن الثاني عشر الميلادي الأراضي الممتدة ما بين وادي درعة وسوس. وفي القرن السادس عشر بدأت المنطقة تعرف هجرات عرب معقل الذين انتشروا على طول ضفة نهر درعة. وفي القرن السابع عشر إبان غزو علي بودميعة، تحملوا بصفة نهائية السيادة السياسية على أولاد عمران، أو عمرانة فرقة من إحدى أسر أبي منصور المعقلي. وعندما بسطوا نفوذهم على برابرة گزولة بالمنطقة عملوا على فرض اسمهم عليها، فهم أولاد عمران أو آيت باعمران المنحدرة من گزولة مصمودة وعمرانة معقل.

ويرى الكولونيل جوستنار / Justinard أن الباعمرانيين يعتقدون في انتسابهم إلى جد مشترك يدعى يحيى كان قد استقر بالمنطقة بعدما قدم إليها من الشرق المغربي، ومن ثم فإننا نصادف فيهم تقسيمات قديمة من أصل مختلف من إد بها ويحيى ولد بوبكر ويحيى. فإد بها ويحيى تشمل كلا من قبيلة آيت الخمس واصبويا وآيت اعزى وآيت عبد الله، أما آيت بوبكر ويحيى فلا تشمل إلا آيت بوبكر المتكونة من آيت النص وآيت اخلف.

أما مونتي / Monteil فيطرح ثلاث فرضيات فيما يتعلق بأيتيمولوجيا اصل آيت باعمران :

الأولى، المرابطون : إن أسماء اللفين القديمين جدا (آيت بوبكر وإد باها ويحيى) يذكر أسماء الابنين - المفترضين - للقائد المرابطي الشهير يحيى بن إبراهيم (توفي في 1042).

الثانية، الأسطورة المحلية (فضفاضة ومعيبة) : أن أعداء آيت باعمران يجعلونهم ينحدرون من "حرطاني" من تمزليت بأكلو، يسمى بالطبع "باعمران".

الثالثة، فرضية تاريخية أكثر قربا إلى الحقيقة :

أ - الأرض هي بربرية : گزولة مصمودة، الذين يقطنون بالأطلس الكبير.

ب - الغزو الهيلالي ترك آثاره إذ وصل المعقليون إلى المحيط في القرن الثالث عشـر. فتم اخضاع البربـر من قبـل أولاد عمـران، فخـذة من أولاد علـي منصـور، الذين هم أيضا عائلة من معقل. وهذا إبان القرن السادس عشـر.

ت - وقد امتص العنصر البربري هؤلاء العرب تمزغوا وأقروا لغته وطبائعه ما عدا كل ما يتعلق بقبيلة اصبويا الذين احتفظوا على عادات الترحال من أجدادهم المعقليين وازدواجية اللغة.

وتنقسـم آيت باعمران إلى فـرعين أساسييـن من حيث الانتماء :

- آيت بها ويحيى : ويتكون من القبائل التالية : آيت الخمس واصبويا وآيت اعزى وآيت عبد الله.

- آيت بوبكر ويحيى : ويتكون من القبائل التالية : آيت النص وآيت اخلف.

وآيت باعمران اليوم مزيج من عناصر بشرية من الوافدين عليها من مناطق مختلفة من قبائل تكنة والساقية الحمراء ووادي الذهب ومن الأطلس الصغير وحاحا وغيرها. وهم قبائل يتكلمون بالعربية والأمازيغية : اصبويا وآيت الخمس وآيت علي وآيت اخلف وآيت النص وآيت عبد الله وآيت اعزى ومستي.

وتنتمي قبائل آيت باعمران إلى لف گزولة مقابل لف تاحگـات كلفين كبيرين كانا يميزان الحياة السياسية في الجنوب المغربي.

وتنقسم آيت باعمران بدورها إلى لفين متصارعين هما : لف اصبويا ويضم قبيلة اصبويا وآيت اخلف ومستي ثم لف آيت الخمس / ويضم قبيلة آيت الخمس وآيت عبد الله. وتحتاج هذه اللفوف أحيانا إلى من يدعم كل واحد منهـا مـن خــارج اتحادية آيت باعمـران. ويتم اللجوء في الغالب إلى اتحادية قبائل تكنة المجاورة. وبالتالي تدعم ازوافيط وآيت أوسى لف اصبويا، في حين تدعم آيت الحسن لف آيت الخمس. ويدخل ذلك في اطار لفوف تتكون من ثلاث تكتلات قبلية منقسمة على ذاتها عندما كانت قبيلة الأخصاص تتجاذبها قيادتان، حيث تدعم اصبويا ومستي وازوافيط التكنية المدني الأخصاصي رئيس اد بوفلن، في حين تدعـم آيت الخمـس وآيت الحسـن التكنيـة بوهيـا رئيـس اد بوياسين، إلى أن حسم الخلاف لصالح المدني الاخصاصي عندما ترك الباعمرانيون بوهيا وفرض عليه الهرب من منزله من تعشو بآيت بوياسين.

ومن أبرز قياد وشيوخ القبائل الذين بصموا في تاريخ آيت باعمران : القائد البشير الصبياوي والقائد الحسن الصبياوي والقائد بوبكر الخلفي والقائد أحمد الصبياوي والقائد اصواب العزاوي والقائد علي السيموري والقائد علي الخزار العبـلاوي والقائـد محمد بن إبراهيـم بن سعيـد الببكـري والشيـخ (امغار) سعيـد السيموري والشيخ الحسان ولد الشيخ همو والشيخ مبارك ولد الحسين بوشامـا.

ولما قاد مولاي أحمد الهيبة الحرب ضد الفرنسيين، التفت حوله قبائـل سوس ومن بينهـا قبائـل آيت باعمران دون تمييز في اللفوف. غير أنه انهزم في سبتمبر 1912 في معركة سيدي بوعثمان وعاد إلى اصبويا ومنها إلى طرفايــة.

وقد كانـت آيت باعمران دوما هدفا للأطماع الأوربية، حيث عرفـت الوجود البرتغالي بها في المعذر (مكـان يعتقـد أنه منجم لأحد المعـادن) وفـي اگويدير بدوار اوتلاوك وفي بوكرزام بدوار تاهرموشت باصبويــا وفي ميكادرن (مكــان يعتقــد أنــه منجم لمعـدن كذلك) بقبيلـة آيت عبد الله. وقد أبحرت العديد من السفـن الألمانية إلى شاطيء المنطقـة. وأبحرت كذلك عدة سفن إنجليزية إليها بل أسست سوق تجارية هناك بمرسى أركسيس.

وتلا ذلك الزحف الفرنسي على المنطقة حيث وقعت معركة بين آيت باعمران والفرنسيين قتل فيها حيدة بن ميس سنة 1916 (في ثاني العيد من ربيع الأول 1335 هجرية).عندما زحف في اتجاه آيت باعمران من ناحية أكادير زكاغن فااصطدم هنالك مع الناس. وقد ملكوا عليه المخرم، فأصابته رصاصة في عرض الناس، من غير قصد فسقط من على بغلته. فلاذ كل من كان معه بالفرار. فانقض الآخرون على الأمتعة والبغال والفساطيط ينتهبـون، فكانت وقعة غريبـة جاءت مصادفة وقد هلك رؤساء مذكورون مع حيدة أما هو فقد قطع رأسه بعدما عرف.

وفي سنـة 1917 زحفت الجيـوش الفرنسيـة نحو آيت باعمــران، ونــزل طابـور الجنـرال دي لاموط (De Lamothe) بعد أن قضى ثمانية أيام باسك بقبيلة آيت بوبكر قرب ضريح المرابط سيدي بوبراهيم. وبعد أن استرجع السلاح المفقـود من قبـل حيـدة بـن ميس قبـل

ذلك بعدة شهور. ودخل من خلال ذلك في حرب مع آيت باعمران قتل فيها القائد بوبكر الخلفي البوعمراني وكثير من بين القبائـل.

وأبرمت عدة اتفاقيات ربطت من جهة بين المغرب وإسبانيا وفرنسا ومن جهة أخرى بين إسبانيا وفرنسا حول مناطق تقاسم نفوذهما في المغرب، فانسحبت فرنسا بعد أن تم تحديد منطقة سانتا كروز دي مار پكينيا حسب اتفاقية تطوان سنة 1860 بين المغرب وإسبانيا. وأرسلت عدة بعثات من المخزن والأسبان لتحديد مكانها. وقع الاختيار أخيرا على سيدي إفني. وقد نزلت بمقتضى ذلك باخرة إسبانية بشاطئ سيدي إفني سنة 1933 قادمة من طرفاية وعلى متنها القائد الإسباني ادواردو دوني والشيخ محمد الأغظف وأخوه بشرايا وأحد المترجمين وبعض الجنود. وصادف الأمر أن كانت هناك خلافات بين أعيان قبائل آيت باعمران. ولما نزل القائد الإسباني والشيخ محمد الأغظف والشيخ بشرايا والمترجم، اقتيدوا إلى دوار ادو فقير على الضفة اليمنى لوادي سيدي إفني، ثم بعدها إلى دوار امزدوغ بالضفة اليسرى. ومع شدة الخلاف بين الأعيان والذي كاد أن يشعل بينهم نار الفتنة، قتل أحدهم من بين الذين كانو على متن السفينة الشيخ بشراية ماء العينين والمترجم، في حين سمح للقائد الإسباني ومن معه بالعودة إلى البحر فعاد إلى طرفاية من حيث أتى. وعاد أعيـان آيت باعمران وأذابـوا خلافاتهم من أجل اتخاذ قـرار موحد عنـد التعامـل مع مثل هذا الحدث مستقبـلا.

وفي 6 أبريل 1934 نزلت باخرة إسبانية ثانية بشاطئ سيدي إفني بقيادة الكولونيل اوصفالدو مونتس كپاث، (Capaz) استطاع بحنكته في التفاوض أن يدخل إلى المنطقة دون استفزاز لآيت باعمران، وتمكن من إبرام اتفاق معهم يتضمن شروط احترام أعرافهم ومعتقداتهم. وقد قام بجولة في كافة أرجاء آيت باعمران للوقوف على الحدود بينها وبين مناطق نفوذ الدولة الفرنسية. وكان يحدها شمالا واد سولكماض وجنوبا وادي اسكا وغربا المحيط الأطلسي وشرقا شريط حدودي على طول خمسة وعشرين كيلومتر من الأخصاص مرورا بأندجا بقبيلة آيت عبد الله. وبقيت تارگ وساي الواقعة على الضفة اليسرى من وادي اسكا وقرية اكيسل وابباينو خارج هذه الحدود تخضعان للنفوذ الفرنسي.

وعمل كپاث على تثبيت سلطة القواد والشيوخ الذين كانوا يرأسون قبائلهم قبل مجيئه، وربط مراكز الأسواق الأسبوعية للقبائل، ومنها مركز ثلاثاء اصبويا وتيلوين ومستي وتگراگرة وبوشبورتة والاثنين املو.

وفي سنة 1947 انتفضت قبائل آيت باعمران ضد التجنيس وهتفت بنصرة الملك محمد الخامس، وأسر على إثر ذلك عدة شيوخ وأعيان فيما البعض الآخر فر إلى منطقة النفوذ الفرنسي بگلميم وتيزنيت.

وفي 23 / 11 / 1957 انتفضت آيت باعمران من أجل الاستقلال. هاجموا جميع المراكز الإسبانية في الأسواق الأسبوعية للقبائل.ومن أبرز المعارك التي كان فيها النصر للمقاومين في معركة اصدر باصبويا ومعركة كني بو الرصاص بآيت بوبكر.

وتقلصت تبعا لهذا منطقة النفوذ الإسباني وأصبحت محصورة في مدينة سيدي إفني فقط، حتى سنة 1969 حيث استقلت المدينة التي تعتبر كآخر رقعة ترابية من آيت باعمران ظلت خاضعة للإستعمار الإسباني.

وتضم آيت باعمـران اليوم دائـرة سيدي إفني وثمـان جماعات قرويـة. تعتمـد في أنشطتهـا الاقتصاديـة على تربية الماشية وتربية النحل والفلاحة البورية وعلى الصيـد البحري وعلى عـائـدات المهاجرين من داخل المغرب وخارجه. وقد أعلن رسميا في الشهور الأخيرة عن ميلاد عمالة إقليم سيدي إفني عاصمة آيت باعمران.

مقابـلات مع مسنين في آيت باعمران صيف 1998 وربيـع 2009 ؛ عبد الرحمان ابن خلدون، *المقدمة*، دار الرشاد الحديثة (د.ت.) ؛ *رسائل بين السلاطين العلويين وقواد آيت باعمران* ؛ عبد الرحمان بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ج 1 و2، المطبعة الوطنية، الرباط، 1930 ؛ المختار السوسي، *المعسول*، ج. 4 و20، مطبعة فضالة، المحمدية، 1960 ؛ علي المحمدي، *السلطة والمجتمع في المغرب، نموذج آيت باعمران*، دار تبقال للنشر، 1989 ؛ محمد بن أحمد الاكراري، *روضة الأفنان في وفيات الأعيان وأخبار العين وتخطيط ما فيها من عجيب البنيان*، تحقيق، حمدي أنوش، منشـورات كليـة الآداب والعلوم الإنسانية، أگـادير، 1998.

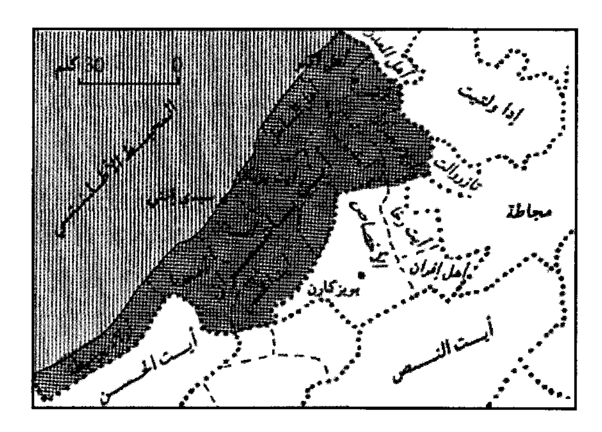
Le Chatelier : *Tribus du sud ouest marocain : Bassin côtier entre Sous et Draa*, Ernest Leroux Editeur, Paris, 1891 ; Lieutenant-Colonel Justinard : *Villes et Tribus du Maroc*, Tribus Berberes, Tome I, Les Ait ba Amran, Honoré Champion Editeur, Paris ; F.DE la Chapelle : Les Tekna du sud Marocain, *Bulletin du Comité de l'Afrique Française*, 1934 ; Monteil Vincent : *Notes sur Ifni et les Ait Ba-Amran*, Edition Larose, Paris, 1948 ; Monteil Vincent : *Notes sur Les Tekna*, Editions Larose, Paris ; (Ve) 1948 ; Julio Caro Baroja : El grupo de Cabilas «Hasania» del Sahara occidental, *Africa*, Numero, 182, Febrero Ano, 1957 ; Hart, D. M., The Ait Ba'Amran of Ifni : an ethnographic survey, *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée,* 1973, Vol.15, Num. 1, p. 61 - 74.

محمد شرايمي

باعمران (آيت -) - جغرافيا - هي إحدى القبائل البربرية الكبرى بالسوس الأقصى، تستقر في الأطلس الصغير الأطلنتي. تحدها من الشمال قبيلة أهل الساحل وقبيلة آيت برييم، ومن الشرق قبيلة الأخصاص، ومن الجنوب قبائل تكنة العربية.

تتكون آيت باعمران من مجموعة من القبائل الصغرى: آيت الخمس، آيت بوبكر، أصبويا، أمستتن، آيت عبد الله، وتنتمي إداريا إلى إقليم تزنيت. وهي مقسمة إلى أربع جماعات قروية : اثنين أملو وتويغزة ومستى أصبويا، وجماعة حضرية واحدة هي بلدية إفني.

تستوطن هذه القبيلة قسما كبيرا من المجال المعروف بكتلة إفني، الممتد على مساحة حوالي 2.000 كلم، ويوفر بسبب اتصاله بالبحر موارد طبيعية متنوعة ومهمة بالمقارنة مع المناطق المجاورة. لكن خضوع المنطقة للاستعمار الإسباني منذ سنة 1934 وإلى 1969، جعلها تنعزل عن باقي أجزاء التراب الوطني وترتبط بإسبانيا ومستعمراتها في إفريقيا الغربية. الأمر الذي عطل نموها وعرقل عملية إعادة إدماجها في الاقتصاد الوطني.



تشكلت أراضي آيت باعمران في بنية تجمع بين قاعدة قديمة ما قبل - كمبرية، مركبة من صخور بلورية وأخرى متحولة، وغطاء رسوبي من الزمن الأول مشكل من صخور كاربوناتية دلوميتية وكلسية. والكل تقطعه انكسارات كبرى ذات اتجاه شمالي شرقي / جنوبي غربي.

إن هذا التنوع المخاري حدد مشهدا تضارسيا يجمع بين أشكال مختلفة :

المظهر الجبلي يعطي للجهة الجنوبية والوسطى من المنطقة مظهرا خاصا، يتركب من أشكال تضاريسية كتلية مشكلة في صخور الريوليت والأندزيت، يصل ارتفاعها عندهــا إلى أقصاه (جبل فوكو : 1250م). وفي اتجاه الشمال يتحول هذا المشهد إلى سلسلة من المتون يتناقص ارتفاعها تدريجيا إلى أن يصل إلى دون 500م.

المنخفضات : أهمها منخفض تكركرا المشكل في الشيت والغرانيت، تتخلله تلال وعوارض مرتبطة ببروزات صخرية ريوليتية، ويغلفه غطاء ترابي سميك.

الهضاب : تتمثل أولا في شريط هضبي مرتفع (800 - 900م)، مرتبط بهضاب الأخصاص الكلس دلوميتية، يتخذ شكل هالة انتقالية بين كتلة إفني ومنخفض كلميم. إضافة إلى هذا يمتد على طول الساحل الأطلنتي شريط هضبي متقطع يتراوح عرضه بين 400 و 1500 ك يحده ويشرف عليه من الجهة الشرقية سفح طويل بفارق ارتفاعي يتراوح بين 150 و300م. وينتهي من جهة الغرب بجرف ساحلي يشرف على البحر بحوالي 40م.

- الساحل : يمثل شكلا بنيويا أصليا تخطيطه مستقيم يوفر أجرافا صخرية تحادي هضبة يتزايد اتساعها بشكل واضح في اتجاه الجنوب، وتواجه عبابا عنيفا في جل الأوقات. أما الشواطئ فإنها محدودة ولا تظهر إلا عند مصبات الأودية (واد إفني، واد أسكا...).

هذه المنطقة رغم وقوعها عند عروض جافة (شمال29*) تتميز بضعف التساقطات المطرية (إفني 147مم/سنة)، فإن اتصالها بالبحر جعلها تعرف رطوبة مهمة نسبيا تتمثل في ارتفاع نسبة التغيم (إفني : 52%) خاصة خلال الصيف، وفي أهمية التساقطات الخفيفة. الحرارات المسجلة معتدلة. والفوارق الحرارية السنوية واليومية ضعيفة. الأمر الذي ساعد على ظهور وتطور غطاء نباتي كثيف يتكون من تشكيلتين أساسيتين تشكيلة الأركان وتشكيلة الدغموس (الزقوم) اللتين تلعبان دورا أساسيا في استقرار الغطاء الترابي السميك، المرتبط بتطور جيمرفلوجي متقدم، وفي حمايته من التدهور. لكن العامل البيئي المحدد في المنطقة يبقى هو الماء إذ لا تتوفر المنطقة على أي نظام هدرولوجي دائم، كما أن البنية الجيلوجية لا تسمح بتكوين سديمات مائية مهمة، باستثناء التكوينات السطحية الحديثة المنحصرة داخل المنخفضات، أو على طول الأودية والتي تبقى مواردها محدودة جدا. وزيادة على هذا فإن المياه المتوفرة تتميز بتركز ملحي عال.

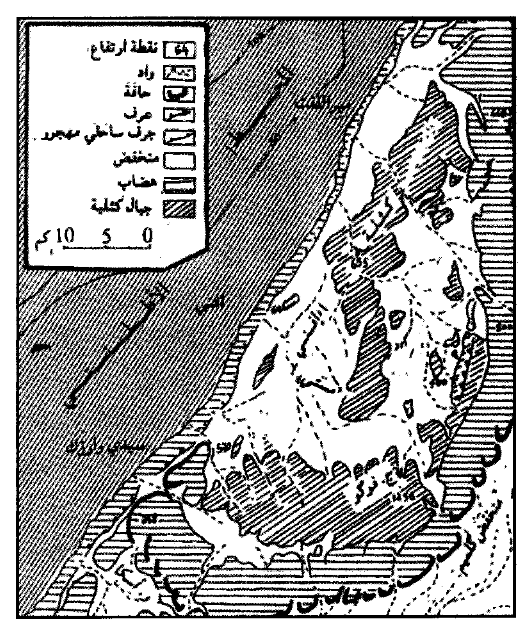
وبلغ مجمـوع سكان آيت باعمـران حسب إحصاء 1982 قرابــة 64.000 ن وذلك في الوقت الذي بلغ فيــه سنة 1974 حوالي 59.500 نسمة. ومعنى ذلك أن ساكنة المنطقـة تعرف نسبة نمـو سنـوي قد تكون الأقـل على الصعيد الوطني، وهــي 0.65%. أي أن ساكنـة المنطقـة لا تنمو إلا بحوالــي 400 ساكن جديد فــي السنة وذلك رغم شساعتها.

	1971		1982		التزايد السنوي (%)
	العدد	%	العدد	%	
سكان الأرياف:					
الجماعات					
مستـــي	4.707	7.9	4.808	7.1	0.19
أصبويــا	11.053	18.5	9.407	14.7	-1.45
تويفـــزة	15.925	26.7	18.129	28.3	1.18
اثنين املو	14.099	23.7	15.372	24	0.78
المجمـوع	45.784	77.1	47.706	74.6	0.37
بلدية إفني	13.650	22.9	16.188	25.3	1.36
المجموع	59.434	100	63.894	100	0.65

إن هذا النمو يعرف تباينا واضحا بين السكان الحضريين والريفيين :

- السكان الحضريون : تتوفر المنطقة على مركز حضري واحد يتمثل في مدينة إفني وهي مدينة حديثة العهد ارتبط ظهورها بدخول المستعمر الإسباني إلى منطقة آيت باعمران حيث جعل منها موقعا عسكريا وإداريا يراقب من خلاله الطريق الرابطة بين إسبانيا ومستعمراتها بافريقيا الغربية. وعند مطلع سنة 1969 تخلت إسبانيــا عن مصالحهــا الاستعماريـــة تحت ضغط المقاومـــة المسلحة، فعــادت إفني إلى المغرب وتم إعلانها جماعة حضرية ومركزا لدائرة آيت باعمران وأهــل الساحل. وهذه المدينة تعرف نموا ديمغرافيا محدودا لا يتجاوز 1.56% في السنة.

- السكان الريفيون : سجلوا نسبة نمو سنوي هزيلة جدا بلغت إلى حدود 0.37% . بل هناك جماعة قروية سجلت نسبة نمو سنوي سلبية خلال نفس الفترة (1.45%) وهي جماعة أصبويا. وهذا التفاوت في النمو السكني بين المدينة والريف جعل نسبة السكان الريفيين تتناقص لصالح السكان الحضريين الذين أصبحوا يشكلون نسبة 25.3 % سنة 1982 مقابل 22.9% سنة 1971.



إن هذا النمو السكاني الضعيف داخل منطقة آيت باعمران، لا يعود إلى ضعف التزايد الطبيعي، وإنما إلى الهجرة التي كانت وما زالت تميز المنطقة. وهي مرتبطة بتواضع الموارد الاقتصادية المحلية من جهة، وبالصعوبات التي واجهت إعادة اندماج اقتصاد المنطقة داخل الاقتصاد الوطني من جهة ثانية. وتشكل هذه الهجرة القوية تيارا وطنيا يتجه نحو المدن الداخلية، وتيارا دوليا يتجه نحو أوربا الغربية بدأ يتقلص حجمه. ويلعب هذان التياران دورا أساسيا في إنعاش الحياة الاقتصادية بالمنطقة، وذلك أمام ضعف موارد النشاط الفلاحي الذي يعتمد على الرعي وعلى زراعة الحبوب على طول الأودية وداخل المنخفضات حيثما تسمح الأمطار بذلك، وأمام ضعف استغلال الموارد السمكية الذي يقتصر على صعيد ساحلي محدود بمدينة إفني.

P.Olivia, Aspects et problémes géomorphologiques de l' Anti-Atlas Occidental. *R.G.M. 1972, 21, 43, 77*; *Ministère du Plan, Population lègale du Maroc*, Rabat, Dir. Statistique, 1982.

الحسن المحداد

باعمران (آيت -) - تاريخ - يحد آيت باعمران من الجهة الشرقية مناطق مرتفعة، ومن الناحية الشمالية مناطق واطئة، أما الجهة الجنوبية فتمثل بداية المناطق الصحراوية. ومن ثم فآيت باعمران تعتبر منطقة انتقال من نمط حياة يغلب عليه التنقل المستمر إلى نمط عيش يسود به الاستقرار. ولهذه الخاصية انعكاس على مستوى اللغة، فالعربية تهيمن بالقسم الجنوبي المفتوح على الساحل، بينما تسود تاشلحيت في بقية أرجاء آيت باعمران.

يتميز بلد آيت باعمران بعدم ملاحة ظروفه الطبيعية، التي زادها حدة تلازم غلبة الجفاف مع سيادة التربة الفقيرة. إلا أن التنوع النسبي للتضاريس والوقوع على المحيط وفرا إمكانية ممارسة نشاطات فلاحية متكاملة قصد توفير القوت.

شكل انتظام المجموعات بآيت باعمران ضارب في القدم، تؤثر فيه أعراف متوارثة. فكل قبيلة تتشكل من مجموعات متفاوتة الحجم. والوحدة الأساسية في هذا الانتظام كانت هي "الفرضة"، التي تشبه الأسرة الكبيرة بانولتان من حيث كونها "وحدة مالكة ومنتجة ومشاركة في الحياة الاجتماعية"، غير أنها تختلف عنها من حيث الحجم.

كان هذا الانتظام يكتسي طابع تحالف سياسي يعتريه التغير بصفة دائمة. إذ التماسك داخل كل قبيلة لم تكن تجسده سوى بعض الفرق، بينما الفرق الأخرى كانت متأرجحة من حيث انتماؤها بين القبائل التي كانت تتاخمها. إلا أن تطور انتظام المجموعات داخل كل قبيلة لم يكن يخضع لعوامل داخلية، بقدر ما كان يتحكم فيه الصراع الذي كان يعيشه أعيان قبائل الأطلس الصغير الغربي وقبائل تكنة. أما التدخل الصادر عن السلطة المركزية سنة 1882، فلم يكن له أثر مباشر في شكل انتظام المجموعات، سواء بالنسبة لآيت باعمران أو بالنسبة لغيرها من قبائل سوس. وهذا خلافا لما هو وارد في التنظير الاستعماري، خاصة لدى روبير مونطاني وكذا التحاليل اللاحقة للنظرية التجزيئية.

كان لشكل انتظام المجموعات ارتباط بتوزيع المجال الباعمراني، وبظروف استثماره اقتصاديا. وبما انبثق عن تلك الظروف من عادات وتصورات. وبموازاة النشاط الفلاحي هناك نشاط تجاري يتم في أسواق أسبوعية ومواسم. وقد كان لهذه الأسواق والمواسم أدوار متعددة، من جملتها تجسيد شخصية كل فرقة. ومن جملة ما كان يضمن استمرار وحدة فرق كل قبيلة أوفاق عرفية يخصص عدد من بنودها لتنظيم التبادل وضمان استمراره مع القبائل المجاورة للتراب الباعمراني.

استفاد الباعمرانيون من موقع موطنهم في سد حاجياتهم مما كان ينتجه الرحل، والمستقرون بسهول غنية، أو بمناطق جبلية ذات منتجات مغايرة، إلا أن الصويرة كان لها دور كبير في تزويد أسواق آيت باعمران بالمواد الاستهلاكية المحلية أو المجلوبة من أوربا كالشاي والسكر. وقد كان هذا الاتصال معبرا لانتقال صدى المشاكل التي كانت تعيشها التجارة بالصويرة، كما كان وسيلة لضبط علاقة آيت باعمران بالمخزن.

لم تكن قبائل آيت باعمران وسائر قبائل سوس الأقصى خارجة عن طاعة المخزن، كما تفيد مصادر أوربية مغرضة، ووثائق مخزنية كانت تستهدف موارة

ضعف السلطة المركزية ودرء الأطماع الاستعمارية، وإنما ظلت علاقتها بالمخزن إلى حدود 1882 تتميز بخصوصيات :

1 - عدم وجود قواد بالقبائل : فباستثناء عامل سوس الذي كان يعين من بين قواد حاحة أو من بين قواد الجيش أو قواد عبيد البخاري، لم يكن لمنصب القائد وجود بقبائل سوس، وإنما كان بها أشياخ يتوسطون بين قبائلهم وبين عامل سوس الذي كان مقره بتارودانت.

2 - لم يكن المخزن يهمه من هذه القبائل جباية الأعشار والزكاة، بقدر ما كان يهمه حفاظها على أمن الطرق وتوقيرها لأشياخ المخزن. ومرجع هذا الزهد ضعف الانتاج الفلاحي للقبائل المعنية، وأهمية التجارة الصحراوية بالنسبة لمداخل الصورية من الصاكة والأعشار.

3 - وجود مؤسسات تقليدية تشرف على سير الحياة بداخل القبيلة، وفق أعراف تضبط علاقتها بالمخزن منذ ما قبل القرن التاسع عشر. فقبائل آيت باعمران احتفظت بمؤسسات تقليدية تنظم شؤونها الخاصة، وإن كانت تعد من مظاهر خلع طاعة المخزن بقبائل تقع خارج سوس. إلا أن العرف لم يكن المرجع الوحيد في النظام القضائي بآيت باعمران، ذلك أن السلطة القضائية كانت موزعة بحسب الاختصاص بين القضاء الشرعي والعرفي، وتلك حقيقة يجب التأكيد عليها. كما ينبغي التأكيد على ضرورة التمييز في العرف بين صنفين :

- المتجدد على يد "الجماعة" وهو المنظم لسائر جوانب الحياة داخل القبيلة.

- المتجدد على يد المخزن، وهو المنظم لعلاقة القبيلة بالسلطة المركزية.

فأهمية الصويرة بالنسبة لاقتصاد قبائل آيت باعمران وبقية قبائل سوس الأقصى، جعلت منها أهم وسيلة لفرض التزام القبائل المعنية بالأعراف التي كانت تنظم علاقتها بالمخزن. غير أن تظافر ظروف داخلية وأخرى خارجية في النصف الثاني من القرن الماضي، مكن دولا أوربية من استغلال استعداد الحسين أهاشم وأعيان من آيت باعمران وتكنة، بمن فيهم أشياخ ومخزنيون، للدخول في علاقة تبادل مباشر عبر مراسي محلية. مما دعا السلطة المركزية للانتقال إلى عين المكان سنة 1882، قصد اتخاذ إجراءات تصون مكاسب المهيمنين على وسائل الانتاج، وتضمن استمرار الوقاية المخزنية للتبادل الذي كان يتم بين المؤسسات التجارية الأوربية وبلاد السودان.

تضمنت التعديلات التي أدخلها المخزن، خلق جهاز إداري مشابه لذلك الذي كان موجودا بالقبائل التي تعرف تمركز المخزن. غير أنه جهاز متكيف مع الأعراف المحلية، بما فيها شكل انتظام المجموعات الذي روعي في تحديد القيادات والمشيخات. وقد روعيت أيضا خصوصيات القبائل المعنية، عندما أقبل المخزن على تطبيق الإصلاح الجبائي المعروف "بالترتيب". إذ اكتسى ترتيب سوس الأقصى مضمونا مغايرا "للترتيب" الذي همّ مناطق كانت تتميز بهيمنة المخزن وبأهميتها الاقتصادية. فالظهير المصدر لترتيب قبائل سوس الأقصى، يمتطي المخزن من خلاله الموعظة في دعوة جماعة كل قبيلة إلى أداء الزكاة والأعشار وفقا للنصاب الشرعي لا تبعا للممتلكات، والقدر الوجب يسدد عينا لا بتقدير ما يقابله من الريال.

إن التدخل الأوربي خلخل علاقة قبائل آيت باعمران وبقية قبائل سوس الأقصى بالمخزن، مما استدعى تجديد الأعراف المنظمة لعلاقتها بالمخزن بشكل يستجيب لشروط الظرفية. ومن أهم ما ميز هذا التجديد، إقرار المؤسسات التقليدية مع تركيز سلطتها نظريا في يد القواد المنصبين، الذين تزايدت هيمنتهم على اختصاصات المؤسسات التقليدية إلى أن دكت دورهم انتفاضة عارمة عقب 1894.

كانت قبائل آيت باعمران من جملة القبائل التي ساهمت في حركة الجهاد ضد المستعمر بزعامة أحمد الهيبة بن الشيخ ماء العينين فمُربّيه ربّه والشيخ النعمة. إن الاحتلال الفعلي للمنطقة لم يتم إلا في أبريل 1934، حيث تمكن الجنرال كيّاث من إنزال جيشه بمرسى سيدي إفني، بمقتضى اتفاقية أبرمها مع بعض أعيان المنطقة.

منذ 1935 أخذت معالم مدينة ذات طابع إسباني تتبلور في أرض منخفضة تنصر بين الساحل والجبل، كان من معلماتها ضريح سيدي إفني الذي أصبح يميز هذه المدينة الناشئة التي أسس بها ميناء لإحكام ربطها بكل من جزر كناري وإسبانيا والقسم الشمالي من المغرب. ونظرا لضعف الإمكانيات الاقتصادية للمنطقة، ظلت وظيفة مدينة إفني منحصرة في الحفاظ على استمرار الحكم الإسباني بآيت باعمران.

إذا كان الاحتلال الإسباني لم يحدث تغييرا واضحا على مستوى الانتاج الاقتصادي، فإن تأسيس الميناء جعل المنطقة أكثر انفتاحا على إسبانيا وجزر كناري والقسم الشمالي من المغرب. حيث كان يوجد مقر خليفة السلطان الذي كانت تربط آيت باعمران به تبعية اسمية. وقد مكن ارتباط آيت باعمران بالقسم الشمالي من المغرب الأعيان الباعمرانيين سنة 1947 من فضح مرامي مشروع التجنيس، الذي كان يهدف إلى تغيير الوضعية القانونية لسكان المنطقة، إذ عقد أعيان آيت باعمران - بمن فيهم الممثلون الرسميون - اجتماعا لمدينة إفني، أعلنوا على إثره رفضهم سياسة التجنيس التي كان الحكم الإسباني بصدد تنفيذها.

لم تغير سياسة القمع من موقف الباعمرانيين حيال الحكم الإسباني. فقد تأجج رفضهم له من خلال ملتمس قدمه وفد باعمراني إلى الملك محمد الخامس في يونيو 1957، يحث على استرجاع الحكومة لما بيد إسبانيا من سلط بالإقليم.

في نونبر 1957 حوصرت إفني من جميع الجهات، بعد أن استولى جيش التحرير على جميع المراكز التي كانت محتلة من قبل الجيش الإسباني. وتمثل رد فعل

الحكم الإسباني في المواجهة المسلحة وفي تغيير التنظيم الإداري، عبر فصل منطقة إفني عن الأقاليم التي كانت منضوية تحت إسم الصحراء المغربية.
ومنذ سنة 1965 أخذت المساعي الدبلوماسية للحكومة المغربية تؤتي أكلها، كما يستفاد من قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الذي دعا الحكومة الإسبانية إلى الإسراع بتصفية قضية إفني.
وقد نتج عن تنوع الضغوط وتواليها، إبراهيم اتفاقية مغربية-إسبانية في يناير 1969 نظمت عودة المنطقة إلى حوزة المملكة المغربية.

م. الگراري، *روضة الافنان في وفيات الأعيان*، مخطوط، خ.ع. 1332د ؛ محمد المختار السوسي، *المعسول*، ج 20 ؛ علي المحمدي، *السلطة والمجتمع في المغرب: نموذج آيت باعمران* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 2 : 206-217.242-247.

P. de Cenival et F. De la Chapelle, Possessions espagnoles sur la côte occidentale de l' Afrique, *Hesp, vol, XX-XXI, 1935, p. 68* ; T. Garcia Figueras, *Santa Cruz de Mar Pequeña, Ifni, Sahara*, 1941.

علي المحمدي

الباعمراني (الحاج ـ) **الحسين أوموسى** ولد **ابراهيم**، ينتمي إلى أسرة أهل أبراهيم أولحاج، ولد سنة 1904 بقبيلة آيت باعمران حيث تربى ونشأ ؛ وبعد احتلال إسبانيا لسيدي إفني على يد الضابط كپاث (Capaz) سنة 1934، اضطر الحسين أوموسى إلى الدخول في سلك الجندية حيث نقله الإسبان للعمل في فيالق الميا (La Mia) بالطرفاية وهي مجموعة جنود يركبون الجمال ويضطلعون بدور الشرطة في مضارب البدو. لكنه لم يتجاوز مدة السنة في هذه العساكر، ليرحل بعد ذلك نحو مدينة الداخلة حيث مارس التجارة وتزوج هناك في قبيلة أولاد دليم وترك أربعة أبناء من الذكور منهم الدكتور ابراهيم الحسين أوموسى الذي يعد أول أبناء الصحراء الذين نالوا شهادة الدكتوراه في الطب من الجامعة الإسبانية في مدريد، كما ترك ثلاثة من البنات.
ولما انطلقت الحركة الوطنية في شمال المغرب كان الحسين أوموسى على اتصال بها حيث ناصر حركة جيش التحرير في عقد الخمسينات من القرن الماضي وذلك بتسهيل الاتصالات ونقل الأخبار وتوظيف حنكته التجارية والتفاوضية، وهذا ما جعل السلطات الإسبانية تقوم بإبعاده من الداخلة نحو آيت باعمران كما ألقت القبض على أخيه موسى أوموسى وأودعته في سجن افويرتي بنتورا بجزر الكناري. وعاد بعد ذلك إلى الداخلة شريطة أن لا يمارس السياسة، غير أنه واصل العمل الوطني السري وربط العلاقات حتى مع الصحراويين الموجودين في شمال موريتانيا خاصة بأطار مثل عائلات أهل عبابا وأهل المروكي وغيرهم، وعند عودة الملك محمد الخامس من المنفى أقام احتفالا حظيما بأطار، كما أظهر الفرحة بنيل المغرب لاستقلاله سنة 1956، مما سبب له ذلك مضايقات من سلطات الاحتلال الإسباني. وواصل الراحل ممارسة التجارة بمدينة الداخلة حيث تميز بالاستقامة والعمل على جمع الكلمة، وحظي بمكانة محترمة عند جميع القبائل.
وبتاريخ 14 غشت 1979 / 20 رمضان 1400 كان الحسين أوموسى في مقدمة أعيان القبائل الصحراوية المنحدرة من إقليم وادي الذهب التي قدمت البيعة لجلالة الملك الحسن الثاني بالرباط.
توفي هذا التاجر المقاوم في مدينة الداخلة بتاريخ 6 نونبر 1999 حيث دفن بمقبرة التاورطة.

تحريات ميدانية، مقابلة مع السيد الجيد الحسين أوموسى، شتاء، 2011، الداخلة.

Revista *Africa*, julio, 1974, Madrid.

محمد دحمان

البترول في الصحراء المغربية، بدأ التنقيب عنه في عهد الاستعمار الإسباني، حيث أذن لعدة شركات بالبحث والحفر من سنة 1960 إلى سنة 1965، ثم استؤنفت عمليات التنقيب سنة 1970، غير أن الحكومة الإسبانية اضطرت إلى التوقف عندما طرحت قضية الصحراء أمام هيئة الأمم المتحدة بصفة جديَّة سنة 1972، الشيء الذي يجعلنا نجهل نتائـج ذلك التنقيب المكثف الذي قامت به الشركات المذكورة حسبما يتجلى في الجدول التالي :

اسم الشركات المسموح لها بالتنقيب	المـــدة	العمق الذي وصل إليه الحفر
Philips	1963-1960	2.981 متر
Cépsa - Gulf	" "	19.230 متر
Union Oil	1962-1961	10.760 متر
Richfield	" "	3.975 متر
Champlin	1963-1962	11.930 متر
Atlanic	1963-1961	7.700 متر
Taldebs	1964-1962	2.140 متر
Amoseas	" "	9.880 متر
Mananesica	1963	3.000 متر
Tidenater	1961-1964	13.000 متر
Texaco	" "	11.100 متر
Empresa Minera del Sahara		2.218 متر
I.N.I.	1964	لم يعلن عن نتائج تنقيبه

إن إقدام الشركات البترولية المذكورة على التنقيب في الصحراء المغربية مع ما تكلفه عملية التنقيب من نفقات باهظة، دليل على أن هناك احتمالات كبيرة لوجود البترول في جوف أقاليمنا الصحراوية.

Direccion General de Marruecos y Colonias, *Prospecciones petroliferas en el Sahara*, Madrid, 1968.

محمد ابن عزوز حكيم

بَدَاي ولد **الْبَرْدِي**، ينتمي أصل البردي بالصحراء الأطلسية إلى فصيلة أولاد موسى من اللف الساحلي لقبيلة الرگيبات. وقد عرفت القبيلة تعدد الأشخاص الذين تمكن مقارنتهم ببداي، بل إن تعدد هذه النماذج هي التي قلبت القبيلة المسالمة أصلاً إلى رابطة قبلية للمواجهة العسكرية والمطالبة.

فكلما استنطقنا الأحداث التاريخية حول هذه القبيلة نصطدم بحقيقة هامة وهي أن العصبية إطار تنظيمي تلتئم فيه الفاعليات وتنتظم داخله التحالفات في مجتمع لا يفرق بين أهله إلا الانتماء إلى هذه العصبية أو تلك. فقد عرفت نهاية القرن التاسع عشر تسيد بداي ولد البردي على فصيلته في مرحلة أصبحت فيها قبيلة الرگيبات في مصاف المحاربات. لقد تميز جيل الثلاثينات من هذا القرن بمجابهة تسلط أولاد دليم المعقليين. وهو دور محدد جعل لزاماً على الأجيال اللاحقة تجاوزه سياسياً وعسكرياً. فبدا عادياً أن يطور جيل بداي مفهوم مراقبة المجال والتوسع إلى أبعد النقط الجنوبية، وعلماً بأن الشمال (وادي نون وباني) يعد ملكاً لتكنة الذين يستحيل التصدي لهيمنتهم المطلقة، تستمد العصبية الرگيبية قوتها من مجابهة القبائل الأخرى جنوب الساقية الحمراء وداخلها. وهكذا نجد بداي ولد البردي على رأس غزوة وصلت حتى تاودني لتناوش قبيلة البرابيش وتفقدهم عدداً هاماً من إبلهم. وإذا كانت هذه القبيلة معروفة بوزنها العسكري الثقيل، فإن عملية بداي تكسب قبيلته وزناً لا يقل أهمية. ذلك أنه لابد لعملية حربية بمثل هذه الأهمية من ضمانات فعلية يفترضها نظام التحالفات القائم الذات. فلابد أن تكون وراء هذه الخطوة الاستراتيجية عوامل موضوعية خفية هي التي تؤطر مفهوم التعاون والتعاضد داخل التناحر والتنافس. وهو ما يمكن أن نكتشفه إذا ما ركزنا على انتصار الرگيبات على مجمل القبائل المعقلية الواقعة يومها جنوب الساقية الحمراء.

لقد أصبح الأساس الذي تقوم عليه العلاقات هو نصرة الأقوى ظالماً ومظلوماً مخافة تسلطه. فكان لابد للرگيبات قبل الشروع في الغزو من الاعتماد على أولاد المولات القريبين من البرابيش كقاعدة خلفية أكيدة يتم الالتجاء إليها عند الضرورة. وهكذا ندرك لماذا عهد البرابيش بعد تتبعهم أثر بداي ولد البردي ومجموعته إلى الأخذ بثأرهم من أولاد المولات محصلين بذلك على قدر كبير من الإبل. وقد أقام يومها بداي مدة مع أولاد المولات إلى أن قرر مغادرتهم عائداً إلى فصيلته. على أنه اعتباراً لطبيعة ميزان القوى بين القبيلتين وتثبيتاً للأمر الواقع، فإن بداي ولد البردي لم يغادر أولاد المولات إلا بعد أن غزا قدراً من إبلهم. وقد لحق مباشرة بفصيلته التي عززته ورفضت إعادة الإبل إلى أهلها (*جوامع*، 74 - 91 - 92).

واضحٌ إذن أننا هنا أمام نموذج للرئيس الخبير بقواعد ومبادئ نظام التحالفات، المستوعب لأسباب كل حادث. وبذلك فهو يمثل أحد الأمثلة التي تجعل من التاريخ شاهداً على نفسه.

محمد سالم ولد لحبيب ولد الحسين ولد عبد الحي، *جوامع المهمات في أمور الرگيبات*، دراسة وتحقيق، ناعمي مصطفى، 1991.

S. Caratini, *Rguibat (1610-1934)*, L'Harmattan, 1989.

مصطفى ناعمي

البرابيش : تذهب المصادر التاريخية إلى أن "البرابيش" من عرب بني حسان، ينحدرون من بربوش بن حم بن حسان. وتنص على أنهم كانوا ينتشرون خلال القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميادي، بنواحي درعة الوسطى وواد نون. بعد ذلك ينص ليون الإفريقي على وجودهم إلى جانب دليم ورحمون (جد الرحامنة) في درعة السفلى. وهكذا بدأ انتشارهم انطلاقا من الجنوب الشرقي المغربي في اتجاه الساقية الحمراء وشنقيط والسودان الغربي، إلى أن أصبحوا موجودين في العديد من الأقطار الإفريقية (مالي، النيجر، تشاد، الجزائر، ليبيا وموريتانيا...).

وينقسم البرابيش إلى خمسة عشر فخذا، وتعد من القبائل الصحراوية المحاربة، والأفخاذ هي : 1) أولاد سليمان، 2) أولاد عبد الرحمن، 3) أولاد اعيش، 4) أولاد إدريس، 5) أولاد غنام، 6) المحافظين، 7) الكوانين الكحل، 8) الكوانين البيض، 9) ركان، 10) السكاكنة، 11) أهل أروان، 12) أهل بوجبيهة، 13) الأخطورات، هم فرع الخطرة، 14) الطرشان، 15) الأغلال.

ويعد فخذ أولاد سليمان أول مجموعة وصلت جنوب الصحراء جهة منطقة أزواد حيث واجهوا الطوارق، وكانوا هناك قبل مجيء جيش أحمد المنصور الذهبي إلى تنبكتو سنة 1591. هذا الفخذ يعد أهم بطونهم، فهو يختص بالقيادة والعلم.

كما كانت لهذه القبيلة قوة حربية وشوكة، حيث مارسوا مراقبة القوافل العابرة للصحراء سواء نحو الجنوب (تغازة، تنبكتو، گاوة...) أو نحو الشمال (تندوف، درعة، واد نون ...) ودفعهم ذلك إلى الدخول في علاقات سياسية وحربية واقتصادية مع كل من قبائل منطقة غدامس بليبيا وقبائل منطقة اتوات والساورة، وقبائل تجكانت وأولاد بسباع وأهل سجلماسة وغيرها. ودخلوا في مصاهرات مع السباعيين والرقيبات وغيرهما.

وكانت القوافل التي يسيرونها تصل إلى اثنى عشر ألف جمل في فصل الصيف محملة بالبضائع من ملح بالصمغ (العلك) والعاج والريش والذهب والرقيق، كلها تأخذ عليها البرابيش "الغفر" الذي قيمته سبعة مثاقيل وثلث من الذهب على كل حمل، ويؤخذ من التجار الواردين من شنقيط ضريبة على الإبل التي يأتون بها بقصد البيع في أروان وما جاورها، من هنا ندرك ثقل قبائل البرابيش في منطقة الصحراء والسودان الغربي.

ورغم أن البرابيش ينسبون أنفسهم إلى جد جامع واحد هو أبو مخلوف، فإنهم في الواقع يكونون خليطا من

القبائل العربية والزناكية بفعل أقدمية نجعتهم بالصحراء، ووجودهم على طريق سالكة ما بين شمال المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء، ثم نظرا لقوتهم الحربية التي مكنتهم من ضم العديد من الأفراد والمجموعات من انتماءات نسبية مختلفة.

وفي الميدان الاقتصادي، فقد تحققت للبرابيش السيطرة على نقل الملح، حيث طالما نقلوا الملح بين تاودني وتنبكتو، ففرض عليهم ذلك الدخول في اتفاقيات حماية من النهب مع قبائل الطوارق مما سهل سيولة تدفق القبائل، إلى أن جاء الاحتلال الفرنسي نهاية القرن التاسع عشر، الشيء الذي كان له بالغ الأثر على قبيلة البرابيش التي كانت مرتبطة بأسواق تنبكتو وگـاوة. هكذا حاول الفرنسيون تشتيت لحمة هذه القبيلة عن طريق توزيعها إلى زعامتين، واحدة في الجنوب وأخرى في الشمال (تغازا والساقية الحمراء) من أجل إحكام السيطـرة عليها، خاصة أن بعض أفراد القبيلة بدأوا ينخرطون آن ذاك في حركة الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي بزعامة الشيخ عابدين الكنتي وسيدي محمد ولد امهمد. وهذا الأخير الذي كان شيخ فخذ أولاد سليمان من البرابيش، وتزعم مواجهة القوات الفرنسية الزاحفة من الجنوب (تنبكتو) حيث قاد المعارك تجاه هذه القوات وتجاه القبائل الموالية للاحتلال، كما قاد هجرة قبيلة كبيرة من صحراء مالي إلى الساقية الحمراء، حيث كان على علاقة وطيدة بالشيخ ماء العينين، ذلك سنة 1909.

هكذا تعد قبيلة البرابيش من القبائل القوية المحاربة الكثيرة العدد، التي انتشرت في الجنوب المغربي منذ الـقرن الثامن الهجري، كما نجدها اليوم في منطقة الرحامنة بناحية بنگرير، وكذلك منها أسر في الساقية الحمراء وواد نون ودرعة الوسطى، أنجبت علماء وشعراء ورجال دولة نجد ذكرهم في مصادر التاريخ المغربي، وهي كذلك مهمة في فهم بعض مظاهر التواصل مابين المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء.

السعدي، عبد الرحمن، *تاريخ السودان*، هوداس، باريس، 1964 ؛ البرتلي الولاتي، الطالب محمد بن أبي بكر، *فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور*، تحقيق، محمد إبراهيم الكتاني، محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981 ؛ پول مارتي، *البرابيش، بنو حسان*، ترجمة محمد محمود ولد ودادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، 1985 ؛ د. القشاط محمد سعيد، أعلام من الصحراء، دار الملتقى، بيروت، 1997 ؛ مجهول، قبائل البرابيش، تقديم وتحقيق، ذ. الهادي المبروك الدالي، مطبعة الوحدة العربية، الزاوية، ليبيا، 2002.

Marty Paul, *Etudes sur l'Islam et les tribus du Soudan*, T 3, Les tribus maures du Sahel et du Hodh, E. Leroux, Paris, 1921 ; Les chroniques de Oualata et Nema (Soudan Français), traduction effectuée par Paul Marty, in : *Revue des Etudes Islamiques*, Paris, 1927.

محمد دحمان

براهيم (آيت ـ) تمثل هذه القبيلة الصحراوية الدعامة المركزية لتجزئة آيت النص التي تشكل مع تجزئتي آيت الخمس وآيت بلة لف آيت عثمان، ومعلوم أن هذا اللف ينضاف إلى لف آيت الجمل ليشكلا معا اتحادية تكنة بوادي نون وباني الغربية والساقية الحمراء. يمتد تراب آيت براهيم بهذه المنطقة بموازاة منعرجات باني الغربية عبر سهول ومعادر تفصلها مرتفعات تصل أحيانا إلى 1.000م. وتعتبر آخر مرتفعات الأطلس الصغير الحد الشمالي لهذه القبيلة بينما يحدها باني جنوبا وأعالي وادي كلمت ووادي خيبر ووادي إفران ووادي مآيت تمثل كلها المصدر الأساسي للري كما يؤكد ذلك التوزيع الجيومورفلوجي لتراب آيت براهيم.

متى وفي أية ظروف تبلورت قبيلة آيت براهيم ؟ إذا اعتبرنا، حسب ما تؤكده الرواية الشفوية، بأن عثمان الجد الأسمى للف آيت عثمان هو ابن مندى الذي كان عاملا لعبد الله بن ياسين على نول لمطة عاصمة وادي نون زمن المرابطين، أدركنا البعد الحقيقي للغور "الأهلي" لهذه القبيلة الذي يقول بانتمائه لإبراهيم بن لحسن بن عثمان بن مندى. فمن حيث هو كحفيد لعثمان بن مندى يزامن هذا الجد الأسمى للقبيلة نهاية حكم المرابطين الذي عرف خلال حكم علي بو يوسف بن تاشفين تعدد القلاع والتحصينات الدفاعية ضد الهجومات الموحدية. وإذا كانت تحريات Dr.Terrasse و Dargassiés الميدانية خلال العشرينات من هذا القرن قد ردت قلعة تاغجيجت (گدير أگـليد ـ أگدير أزناگ) إلى نهاية العهد المرابطي، فإننا نتحسس علاقة وثيقة بين الجد الأسمى مؤسس نواة آيت براهيم والقلعة، للقبيلة عبر ممارسة تبدو عسكرية أكثر منها دينية. وهو ما لا تكذبه الرواية الشفوية حين تفيد بأن آيت براهيم قد رحلوا إلى حيث استمر انتجاعهم بواحات توات أزيد من قرنين، ذلك أن التسلط الموحدي سنة 548 / 1153 (البيذق، *أخبار*، 77) يبدو المسبب الرئيسي لهذه الهجرة التي لن تنتهي إلا بحلول القرن الثامن الهجري (14م). لقد كلف عبد المومن أكبر قواده أبا حفص بتدمير المنطقة كما رأى ذلك كاتب مدونة أسا. هذه الوثيقة الهامة ستكشف استمرارية الحكم الموحدي حين تؤكد بأن عامل يعقوب المنصور الموحدي على المنطقة هو منصور بن عدي البرقوقي وهو ما يحفزنا إلى تصور المراحل الانتقالية التي حولت آيت براهيم من نواة مهاجرة إلى قبيلة مطالبة بالدفاع المستميت عن نفسها من أجل البقاء. وإذا كنا نجهل تفاصيل هذه المراحل، فإن عودة آيت براهيم إلى عاصمتهم تاغجيجت خلال القرن الثامن (14م) تعد تأكيدا منطقيا لأهميتها العسكرية. لقد كانت منطقة تاغجيجت جد غنية اقتصاديا بما توفره من مراع ونخيل ومزارع ومعادن. وإذا علمنا بوجود قبيلة آيت حربيل ذات السمعة الحربية الكبيرة يومها أدركنا مدى ما تعنيه عودة آيت براهيم بن منافسة عسكرية وسياسية. لقد عادت هذه القبيلـة مدججـة بخبرة عسكريـة وحنكـة سياسيـة أثبتها انسحاب إدأوزيكي من الشمال الشرقي لتگموت المجاورة لتاغجيجت إلى إيمي-ن-تانوت حيث ما يزالون. وإذا ما نحن ركزنا على مستوى العلاقات الثنائية بين آيت براهيم ستزداد على حساب منافسيهم

ذوي السمعة العسكرية المتميـزة. بل إن التناقص المتزايد لآيت حربيل سيـؤدي بهم إلى الدخـول في إطار محميي آيت براهيـم. وبذلك نتأكـد من أن سيرورة التصادم بين آيت براهيـم وغيرهـم من القبائـل المجاورة قـد انطلقت على إثر شروع هذه القبيلة في تثبيت قاعدتها محليا وجهويا.

تمر حدود قبيلة آيت براهيم بتمنارت حتى أگجگال ومن تامكروت -ن- توزونت حتى رأس جبل أغبالوا وقمة تيگديرت وأمان وتيكّدرت أم گجد وبئر بوگلين، وهي حدود ترسم سعي القبيلة الدائم للحفاظ على التحامها والدفاع عن كيانها إزاء كل خطر خارجي. فمراقبة المجال هنا هي بمثابة رد فعل ضروري اتجاه فقر الطبيعة وضعف التقنيات وتقلب الأحوال السياسية والاجتماعية. إننا إذا ربطنا بين مفهوم الانتماء إلى نفس القبيلة من خلال منظورين يختلفان باختلاف الرحل عن المستقرين، اتضح بأن القرابة بين هذه الفصائل الناطقة بالأمازيغية تؤكد فعلا أهمية التجذر في إبرام التعاقدات القائمة الذات. بل إن لوائح وحدات وفصائل وتجزئات القبيلة تلعب دور الجرد الذي يحد من عمق وحقيقة البنية القرابية المتجذرة. فالتصور الذي يمكننا تشكيله انطلاقا من البحث الميداني المباشر يكشف عن تنوع المستويات البنيوية المتفاعلة والمتداخلة. ذلك أنه انطلاقا من الروابط التي تجمع بين النواة الأصلية "الأحرار" داخل كل فصيلة يمكننا تقويم التمييز بين تعدد المستويات القرابية عبر مقارنتها. هذه العملية قد تتطلب مجالا أوسع إذا هي شملت كل فصائل القبيلة متجهة نحو البناء الثلاثي الذي يفصل "النواة الأصلية" عن المتحالفين معهم والمستوردين. لذلك فإننا نحصر دائرة معارفنا هنا حول سيرورة التلاحم والتحالف بين هذه الفصائل مكررين بأن مشروعا كهذا يعد جديرا بكل أهمية. يحدد الغور "الأصلي" نفسه في إدا حماد ألحسن وإد سالم وإد علي أموسى النازلين من سعي أبراهيم وإد لمبارك أبراهيم وإد احماد أمسعود وإد علي بن حمو وإد بنسالـم وإد بوتيكجـدة إنغاتن وإد طـالب وإد شيبـان وإد لماغراو. وهؤلاء يعتبـرون أنفسهم النواة الأصلية "الأحرار" للقبيلة رغم صغر حجمهم الديمغرافـي الذي لا يتجـاوز في أحسن الحالات خمسمائة عائلـة حسب الضابط الفرنسـي La Ruelle سنة 1948. على أن قبيلة آيت براهيم تتمثل أساسا في :

- إد سعيد ألحسن الذين ينقسمون إلى إدَاوْسعيد والخندق وإغيرن تزغوات وإگرامن وبوتيكجدة وبلة أحمو وبونايدون وإيرز. هؤلاء يمثلون المستقرين من إد سعيد ألحسن خلافا لرحالتهم المتمثلين في إدْحْمان أمسعود وإدْمبارك أبراهيم وإد عبد القادر وآيت واحمان وآيت تارگمايت.

- إد سعيد أبراهيم الذين يتمثل مستقروهم في بوموسى وتاوريرت ورحالتهم في إداوبيان وبودرارة.

- إد الحر المتمثلين في إد الحر وإد رضوان وكلاهما ينتجع جنوب وادي درعة وباني الغربية. على أن لهم مخازن جماعية بتگموت.

- إد موسى أداود ويتمثلون في إد عبد المولى وإد بوقيود وآيت تمزيغت. وهم رحل يتوفرون على مخازن جماعية بصبة آيت موسى.

- إدا زولـگـان الموزعين بين القصور والمداشر. وينقسمون إلى إدا بولحسن وبويعلى وأگادير وإدران.

- آيت إغرمان الموزعين كذلك بين القصور والمداشر، وينقسمون إلى آيت جرار وإنزيفت وتيسلان وإغرغار وإيكم وإغْرم وإگزولن.

إننا إذا انتقلنا بهذه اللائحة من مجرد إطار عام للعلاقات الاجتماعية إلى اعتبارها بنية محددة لمجموع آيت براهيم، فإنه ينبغي لها أن تعمل لعلاقات انتاجية تشمل مجمل الوظائف على اختلاف مستوياتها. وآنذاك تكون بالضرورة قد وصلنا إلى مجمل الإشكالات التي يمكن أن تكشف عنها دراسة هذه القبيلة على المستوى الفلاحي والتجاري والعسكري والسياسي.

1 - على المستوى الفلاحي نلاحظ بأن آيت براهيم مهما تنوعت فعالياتهم وتعددت أدوارهم وأنماط معيشتهم، فإنهم في كل الأحوال يظلون تحت تأثير الشروط الموضوعية لحياتهم.

- معدر وادي خبير وواحات تآيتزورت وأگدير وإدران سيدي منصور بإدا أولـگان وتيخبرني بآيت براهيم.

- سهل وادي صياد المحيط بتاغجيجت وما يجاورها من مداشر وقصور تاوريرت ودواودار وإداأوبيان وبوموسى وإد سعيد والخندق وإيرن تيغورات وإد بوعشرة وإگرامن وإد نوتكجدة وإد بلة حمو وإد بونايدون وإرز وواحة تگموت وقصر قصبة ن إد موسى أداود وواحة وقصر إغرم وإگزولن.

- سهل وادي افران حيث تصطف قصور وواحات آيت جرار أو نزيفت وتيسلان وإغير غار زإيكم.

- أعالي بسيط مآيت حيث توجد تارگمّابت.

من هنا فإن الفلاحة ترتبط أساسا بالتساقطات الممطرة لما لها من أهمية على هذه الروافد التي تتسبب في فيض المعادر. أما الغطاء النباتي فهو غني على العموم حيث تعد تربية الأغنام والأبقار من بين الأولويات المحلية. لقد اعتمدت فصائل آيت براهيم منذ عودتها إلى تاغجيجت على اليد العاملة الرخيصة (الحراطين والعبيد) في تطور وتسيير الرعي والفلاحة. وهو عامل أساسي أدى بالقبيلة إلى إحكام سيطرتها على الأسواق الاعتراضية المجاورة.

2 - يرتبط المستويات الفلاحي والتجاري لارتباطهما بفعالية العملية الإنتاجية للأسواق. فبموازاة الاعتماد على اليد العاملة المسخرة في الميدان الفلاحي، لجأت القبيلة إلى توسيع نفوذها عبر الاستفادة من عدانة زگندر ومن القنوات التجارية التي فتحها الصناع المحليون يهوادا كانوا أم حراطين. بهذا المنظور أقبلت قبيلة آيت براهيم على استغلال الدور الاستراتيجي لتاغجيجت. فقد شكلت هـذه القاعـدة الاقتصادية مقياسـا للنفـوذ الجهـوي الذي

يحظى به كل مجال مركزي. لم تكن عدانة زگندر تقتصر على مادة النحاس كما يعتقد صاحب الاستقصاء بل كانت تنتج كل المعادن المصاحبة من فضة وأمْيَانْتْ وغيرهما.

3 - لكل هذه الأسباب بات ضروريا البحث عن محاور جهوية للتكتل في إطار نظام التحالفات القائم الذات. ندرك إذن لماذا التزم آيت براهيم بلف آيت عثمان الذي يعد من بين تجزئاته الأساسية آيت بلة ذوي البأس الشديد. لقد شكلت العلاقة بين آيت بلة (أزوافيط) وآيت براهيم مقياسا ثابتا للتعامل داخل بنية تحالفية لم تعرف أي تغيير كبير منذ تشكل اتحادية تكنة. ومما لا شك فيه أن سيرورة التحالف هنا تنطلق من مفهوم المصالح المشتركة سياسيا وعسكريا واقتصاديا ومجاليا. هذا ما أكدته الأحداث غير ما مرة مبرزة أنه طالما مثلت الآليات الانقسامية مجالا لإقرار علاقات أفقيه بين القبائل، أصبحت مشاركتها في الإشراف على شؤونها تكريسا لمنطلقها العملي المركزي والمعايير الثابتة.

وليس من باب الصدفة كذلك أن تحتوي هذه المنطقة بداخلها خلافات وتباينات بين القبائل القريبة من أمهات القرى والبعيدة عنها وما بين الأراضي الخصبة والأراضي الضعيفة الإنتاج. فنجد مختلف القبائل ذات الوزن التجاري المركزي منصهرة بشكل أكثر التزاما واستمرارية ضمن آليات التحالف الجزولي الذي أدى إلى نشأة دولة السعديين (دولة إگـَزُولنْ). فإذا كان هذا الانصهار قد تحدد استنادا إلى ما كان بهذا المجتمع الجبلي شبه الصحراوي من أشكال الصراعات المصلحية، فإن أشكال الملكية والتبادل التجاري لم تعمل من جهتها إلا على تكريس هذا الواقع. وليتسنى لنا تقدير مدى اندماج قبيلتي أزوافيط وآيت براهيم في هذه السيرورة فإنه يكفي أن نشير إلى دورهما في مساندة السعديين. لقد قام الصوفي المشهور الحسين الشرحبيلي بإداولتيت أواسط القرن العاشر (16م) بتأسيس سوق الخميس في تاغعجيجت بمساندة من صديقه أحماد أمسعود الجد الأسمى للفصيلة التي تحمل إسمه بقبيلة إدا أبراهيم. وقد جاءت صورة هذا السوق في حد ذاتها كافية لتحديد العلاقات التي ظلت إلى حد بعيد مطبوعة بالطابع الديني المسالم لهذا المكان. وهي مرحلة واكبت الرواج التجاري الاقتصادي الذي شجع سيدي امحند أبراهيم الشيخ قطب الأطلس الثاني على الرغبة في احتكار مداخيل السوق من أعشار. لقد انضاف سوق الخميس منذئذ إلى المسجد المركزي (أگدير مقورن) الموغل في القدم كمعلمتين جماعيتين تذكران بتعدد الأدوار الاقتصادية والدينية والخطابية والسياسية والشعائرية. وإذا كان آيت براهيم قد رفضوا أداء الأعشار لسيدي امحند أبراهيم الشيخ فذلك لأنه كان يعتبر تمنارت مقر المخزن المحلي الممثل الشرعي لسلطة السعديين. ولم تقم الهياكل المخزنية السعدية يومها على أنقاض التقسيمات القبلية، ولم تسع إلى استحداث وحدات جديدة تلغي الحدود والمعالم القبلية التي كانت تميز يومها أهل تمنارت عن آيت براهيم وحلفائهم. بل إن المخزن السعدي انضاف إلى هذه الحدود والمعالم ليتبناها كمجالات لتعايش سلطته إلى جانب الهياكل المحلية. وهكذا ندرك لماذا فضل آيت براهيم التعامل بعد انحطاط الدولة السعدية مع سليلي سيدي احماد أموسى قطب سوس الأول بدل سليلي القطب التمنارتي المجاور. ولم يجد علي بودميعة من قبيلة آيت براهيم إلا المساندة الفعلية التامة كما تؤكد ذلك إحدى المدونات الخاصة. وتضيف هذه المدونة بأن تمثيلية عن أهم قبائل تكنة من أزوافيط وآيت لحسن كانت حاضرة بتاغجيجت لمساندة بودميعة الذي لم يلبث أن ابتنى له منزلا سمي بالدار البيضاء. وقد كان الولي سيدي صالح دفين قصر أهل توزونت من أكبر المساندين لعلي بودميعة. فلم يجد أية صعوبة في الدفع به إلى محاربة مجاط الذين التجأوا إلى الخديعة للاستيلاء على هذا القصر. هذا التحالف الفعلي بين آيت براهيم وسيد إليغ كثف إلى حد بعيد من إمكانياته وأضعف تدريجيا قدرات القبائل المهمشة من طرف حلف إگزولن. وبانهيار إمارة إليغ يكون آيت براهيم قد دخلوا في صراع مفتوح مع الحكم المركزي الجديد. فما تزال بعض وثائق آيت حربيل تؤكد ثورة آيت براهيم على مولاي عبد المالك خليفة المولى إسماعيل إثر فرضه ضريبة تقدر ب 1.000 غرارة من الذرة (حوالي 200 كلغرام للغرارة الواحدة). على أن رسائل مخزنية معاصرة تؤكد استعانة مَحمد بن إسماعيل العلوي بالقبيلة ضد أعدائها من أهل الساحل سنة 1115. هذا التحالف يأخذ كما نرى طابعا قبليا محليا أكثر منه مخزنيا كما هو الشأن بالنسة لتحالف آيت براهيم وآيت حربيل تحت لواء محمد العالم بن المولى إسماعيل في نفس السنة 1118 التي ستعرف مقتله من طرف والده. ومن الملاحظ أيضا أن القرن الثاني عشر (18م)، قد عرف غياب السلطة المركزية عن الأطلس الصغير والصحراء المجاورة. فلم تكن قبائل المنطقة المتجذرة ترغب بحماس في المشاركة في حركات المخزن خاصة منها تلك التي كانت تستهدف إقرار سلطة فوق سلطتها. وقد تجلى ذلك من خلال الصراعات العنيفة بين آيت براهيم وإد بوعشرة حول أدرار نداوثلاثا. هذا الموقع الحصين استعمله آيت براهيم كقاعدة متقدمة مضيفين من خلالها إد بوعشرة إلى لائحة المنهزمين، بل إن ما عمق من أهمية هذا القرن دخول آيت براهيم في صراع مفتوح مع غريمتها الأولى آيت حماد سيدة تجزئة آيت الخمس الهامة زهاء نصف قرن. لقد كانت قبيلة آيت حماد تنتمي إلى لف آيت الجمل شأنها في ذلك شأن آيت أسا. وكانت السمعة الحربية لهاتين القبيلتين قد تجلت في احتلالهما قصر إيزر بتاغجيجت. غير أن نهاية القرن الثاني عشر (18م)، قد حملت معها انتصار آيت براهيم بمساندة من أزوافيط وتحرير قصر إيزر ودخول آيتا حماد في حلف آيت عثمان لتلحق بها قبيلة آيت أسا. ونظرا لما اتسمت به هذه الصراعات من حدة متعاظمة، فإن القرن الثالث عشر (19م)، حدد معالم مرحلة جديدة عبر هذه التحالفات التي تجاوزت نطاق المحلي إلى مستوى الاتحادية. لقد حاول الحسين أوهاشم سيد إليغ تحطيم تجارة أهل بيروك المتنامية. ولكن تلاحم

حلفي آيت عثمان وآيت الجمل سهل مأمورية هزيمته. وقد كان آيت براهيم من بين المنتصرين عليه بإفران معلنين بذلك تناقص تأثيره الروحي والسياسي. ندرك من هنا أنه لم يكن من باب الصدفة أن يتزايد يومها تأثير التمنارتي الذي استطاع أن يجمع حول قصبته بأگرض إگزولن مختلف المحاور الجزولية الكبرى معيدا بذلك أمجاد سيدي محند أبراهيم الشيخ. واكبت هذه المرحلة التاريخية مضاعفات التغلغل التجاري البحري الأوربي الذي أخذ يشل الديناميكية التجارية لمسالك الصحراء. وهو عامل جوهري في تعدد التحالفات وكثرتها بين مختلف التجزئات القبلية على اختلاف أحجامها. وعلى الرغم من أن سوق خميس تاغجيجت قد عرف مضاعفات التدهور الذي عرفته تجارة القوافل. فإن قبيلة آيت براهيم حافظت إلى حد كبير على كثافتها الديمغرافية حتى نهاية القرن. على أن مشكل الماء الذي ازداد حدة وتطور مجاعات وأوبئة هذه الفترة قد مهدا لظاهرة الهجرة نحو الموانئ الأطلسية.

جاءت بذلك معطيات السنوات الأولى من القرن العشرين لتؤطر لمعطيات القبيلة ديمغرافيا واقتصاديا. وهنا يمكن أن نشير إلى أن الحجم الديمغرافي لآيت براهيم بالنسبة لباقي قبائل اتحادية تكنة يعد الثاني بعد قبيلة آيت أسا حيث قدره الضابط الفرنسي La Ruelle سنة 1948 بحوالي 1286 عائلة. وهو رقم استدلالي يبرز أهمية القبيلة على المستوى العملي اقتصاديا وفلاحيا. فهو يعني من بين ما يعنيه المقدرة الفعلية على استغلال أكبر قدر من الأراضي الخصبة بورية كانت أم مسقية. كما أنه يعبر عن الاستعدادات العملية لتأطير آيت النص ماديا ومعنويا عندما يتعلق الأمر بتحديد ميزان القوى المفترضة محليا وجهويا. وهي معطيات تكشف الوجه الحقيقي للنفوذ البين لآيت براهيم وتجذرهم الاجتماعي والتاريخي. فإذا كان سوق الخميس الذي تأسس منذ أربعة قرون فقط قد عرف تدهورا كبيرا، فإن "معروف" ودور مسجد أگدير مقورن الذي يرجع إلى زمن المرابطين على الأقل ما يزال يعرف نفس التجمعات السنوية المبرمجة. ذلك هو المسلسل التاريخي الذي أسهم في بلورة عوامل الانسجام بين تاغجيجن وآيت براهيم منذ عثمان بن مندى. فرغم مضاعفات النكسات الاقتصادية والديمغرافية حافظت هذه القبيلة على مكوناتها اللغوية والحضارية الجوهرية. ونجدها ما تزال تفرض وجودها بنفس الإصرار وبما يكفي من الحزم والجدية. إلا أن استمرارية التصادم طيلة القرنين الماضي والحاضر يحملنا على أن ننظر بعين التساؤل لعلاقة القبيلة بمستقبلها في ضوء التقلص الكبير الذي لحق النشاطات الأساسية.

بَركة (أهل -) بمنطقة واد نون. تكشف وثائق هذه العائلة عن الاتساع الكبير لأراضيها التي تشمل ما يكاد يغطي نصف مساحة مدينة گلميم الحالية علاوة على بعض الحقول المسقية والنخيل بأسرير مقر نول لمطة العاصمة التاريخية القديمة. وما دام الأمر كذلك، فإن المتقصي لأخبار هذه العائلة يكتشف أنه إزاء موضوع يدور حوله فصل هام من تاريخ گلميم. فبخصوص القصبة القديمة جداً من هذه المدينة، يقول أهلها المنتمون إلى قبيلة آيت موسى أعلي إن أهل بَركة من أكبر العائلات التي تناقل أفرادها عصبية متماسكة منذ زمن طويل محتكرين جزءاً هاماً من تجارة المحور الرابط بين المدينة وتنبكتُ. ولكي لا نقف عند حد الاستنباط، كشفت إحدى الدراسات الميدانية عن تصنيفات فعلية تفصل بين هذه العائلة وأهل عبيد الله أسالم الذي هو والد بيروك شيخ گلميم وتاجرها الأشهر خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر. والمشكلة الأساسية هنا ليست في ورود عائلة عبيد الله أسالم على گلميم في وقت لاحق لظهور قبيلة آيت موسى أعلي في إطار اتحادية تكنة، بل هي في سبب تجاهل الوثائق الأوربية لعائلة هامة بحجم أهل بركة. والجواب هنا هو أنه إذا كان معظم الدارسين يلاحظون أن الوثائق الأوربية قد اقتصرت على ذكر بيروك وأبنائه من قبيلة آيت موسى أعلي، فذلك لأن بيروك كان المفاوض الوحيد من أجل ميناء تجاري على الشاطئ المحلي. وعلى الرغم من أن ظاهر هذا الكلام يشير إلى تسيُّد بيروك على تجارة سوق گلميم، فإن حجم أهل بركة وأهميتهم التجارية تقوم على ضرورة اجتماعية يفرضها غياب قرابة عائلية مع المولى عبد الرحمان العلوي كما كان الشأن بالنسبة لبيروك. لقد استغل والد هذا الأخير الخلاف القائم بين السلطان المولى سليمان والأمير المولى عبد الرحمن ابن خالته للتغلب على احماد إهيري شيخ آيت موسى أعلي وحليف بوحلايس. فكان تسيد عائلة بيروك وليد ظروف الصراع السياسي القائم. ولعل أهل بركة قد أدركوا هذه الحقيقة فلم يزجوا بأنفسهم في الخوض في القضايا الجانبية وإنما التجأوا إلى مفهوم السلطة ككل، باعتبارها حدثاً له أسبابه ونتائجه، فاقتصروا على الميدان التجاري والفلاحي بمقتضى طبيعتها التجارية، وما تزال هذه العائلة تحتفظ بما يكفي من السجلات والوثائق لإعادة النظر في كل ما هو سائد ومعياري حول تاريخ وادي نون. وغني عن البيان القول بأننا نقترب هنا من ضرورة الوقوف المطول والمتأني على محتوى هذه السجلات حتى تدلي بقولتها كاملة غير ناقصة. ولنحرص هنا فقط على ربط هذه العائلة كما يفيد رجالاتها الحاليون ببركة قائد المنصور الذهبي على الجيش الكبير المتوجه سنة 989 / 1581 إلى توات وتگورارين. هذا القائد الذي أثبت وجوده محمد الصغير الإفراني (نزهة، *154*)، يعد السبب في انتقال أولاده وإخوته إلى مدينتي سلا والرباط حيث عرفوا الاستقرار النهائي (نزهة، 88 - 289). ففي مفتتح جمادى الأولى عام 1011 / 17 - 10 - 1602 كتب المنصور

أ. البيذق، *أخبار المهدي بن تومرت* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ مصطفى ناعمي، *الصراع من خلال بلاد تكنة*.

La Ruelle, *Les Id Brahim Du Oued Noun*,1948,p,80

الذهبي قبل وفاته بقليل رسالة يؤكد فيها نزوع القائد بركة نحو الاغتناء السريع على حساب وظيفته المخزنية. وهي إشارة قد تعين على فهم الاتجاه الذي أتقل فكر هذا القائد إلى درجة قرر معها الانسحاب من خضم الحياة السياسية والعسكرية والتفرغ للتجارة مع تنبكتُ في وقت لم يصل بعد أجدادُ بيروك إلى گلميم. لا شك أن الترابط بين ماضي أهل بركة وحاضرهم يصلح أن يكون معياراً يتحرى به الباحثون طريق الصواب فيما يصلون إليه من إشارات.

M. Esseghir El Oufrani, *Nozhet El Hâdi : histoire de la dynastie Saadienne au Maroc (1411-1670)*, trad. De O. Houdas, Paris, E. Leroux, 1889.

مصطفى ناعمي

برميخو، خوسي لوبيث (Bermejo, José López) كولونيل المشاة الحاكم السياسي والعسكري لأراضي أفريقيا الغربية الإسبانية، تحمل مسؤولية الحكم بإفني والصحراء. كانت له تجربة ميدانية كبيرة في الريف، لذلك عين في هذا المنصب في 31 ماي 1940 خلفا للكولونيل أنطونيو دى أورو پليدو Antonio de Oro Pulido الذي توفي بمدينة تطوان في نفس هذه السنة. وإتقانه للغة العربية وتاشلحيت جعله يتعرف عن قرب على المنطقة وبالتالي تميزت فترة حكمه عن باقي الحكام الذين تعاقبوا عليها.

وقام برميخو عند تقلده لمهامه بتعزيز الوجود العسكري والقضائي بإفني، وفي نفس الوقت قلص من سلطة "إمغارن" أو شيوخ القبائل وجعلهم يستشيرونه في كل الأمور المتعلقة بالقبائل والفخذات التي يشرفون عليها.

وجاءت فترة حكمه بعد نهاية الحرب الأهلية الإسبانية التي شارك فيها الباعمرانيون وخاصة من قبيلة آيت الخمس، بديل طلب السلطات الإسبانية في رسالة من الكومondون گالو بسيدي إفني إلى أمغار سعيد شيخ القبيلة بإحصاء عدد القتلى لتعويضهم وتعويض ذوي الحقوق وذلك بواسطة الشهود وخطاب قاضي القبيلة.

وأسس برميخو جريدة (*Africa Occidental Española*) A.O.E.، ولدت في كنف فريق الرماة سنة 1945 وشكلت بذلك البداية الأولى للصحافة الإسبانية بسيدي إفني.

وفي عهده قامت إسبانيا بعملية تصوير الرجال وبعد ذلك إلى تصوير النساء وهو ما لم يقبله المجتمع التقليدي الباعمراني على اعتبار أن شأن المرأة محرم الحديث عنه. وكان ذلك من أجل التجنيس وهو "أمر منكر فظيع ليس من الإسلام في شيء وهو السبرانية وهو الخروج عن الدين"، كما جاء في رسالة موجهة من أعيان قبيلة آيت الخمس الباعمرانية إلى الكولونيل خوسي برميخو.

لقد واجهت سياسته إذن رفضا كبيرا من لدن آيت باعمران، حيث في سنة 1947 انتفضت القبائل ضد التجنيس وهتفت بنصرة الملك محمد الخامس، وأسر على إثر ذلك عدة شيوخ وأعيان (أمغار سعيد شيخ آيت الخمس ...) فيما البعض الآخر فر إلى منطقة النفوذ الفرنسي (القائد أحمد وبوشاما وفال ولد علي وميليد من اصبويا، ..) بگلميم وتيزنيت.

ورغم كل الانتقادات التي وجهت إلى برميخو إبان فترة حكمه، إلا أن البعض ذكر ببعض مزاياه وذلك في خطبة جمعة ألقاها أحمد بن البكر السملالي المستاوي : "سعادة الكولونيل برميخو حاكما لهذه الإيالات وقيامه بالواجب في الحقوق الإسلامية فعين المدارس ونصب إليهم الأساتذة مدربين لتعلم الصبيان وأمر على تشييد منارة الجامع الكبير لذكر الله وغير ذلك من المصالح".

وانتهت فترة حكم الكولونيل برميخو في 17 غشت 1949 وجاء بعده Francisco Rosaleny Burguet.

رسالة موجهة من أعيان قبيلة آيت الخمس الباعمرانية إلى الكولونيل خوسي برميخو بتاريخ 20 رمضان 1366 ؛ *خطبة جمعة* ألقاها أحمد بن البكر السملالي المستاوي يوم 2 ماي 1947 بسيدي إفني.

A.O.E. : Periodico, N° 1000, Editorial Ifnina, 1964 ; Guadalupe Pérez Garcia, A.O.E. Semanario Grafico de Africa Occidental Española, Revista *Historia y Communicacion Social*, N° 11, 2006, p. 83 - 97.

محمد شرايمي

البصير، (آل -) أسرة صحراوية تقول بانتمائها إلى قبيلة الرگيبات الساحليين بالساقية الحمراء، ويقول زوايا ومرابطو أسرير بوادي نون بانتمائها إليهم. ومعلوم أن الفقير گيسوم (قاسم) الجد الفعلي لهذه الأسرة عاش في نهاية القرن الثاني عشر / 1780، وهو لا يُخفي انتماءه إلى آل المؤذن الرگيبات. أما تسمية البصير فإن أول من تلقاها هو ابنه إبراهيم الذي كان ضريراً، وخلف ابنه مبارك الذي كان أيضاً ضريراً، شأنه في ذلك شأنُ ابنتيه وعدد من أحفاده وحفيداته.

وبموازاة ما كان يتمتع به آل الموذن من سمعة دينية، فإن إبراهيم البصير سيعمل على توسيع نفوذه الديني ليستفيد من القنوات التي فتحتها أمامه وظائفه المختلفة في هذا المجال. فقد تميز بما يتميز به كبار الزوايا المرابطين ذوي السلطات التي تؤهلهم لفض النزاعات القبلية على مختلف أحجامها. فمكانته المتميزة كانت تقربه من قبيلة أزوافيط، وكذا باقي قبائل اتحادية تكنة والأطلس الصغير. ولعل هذه العلاقة وما كان يغدقه الناس عليه بموسم سيدي مَحمد بن عمرو اللمطي بأسرير هي التي قربته من الأسرة الدينية التي صاهرته وأهدته سبعة بساتين وماء يوم كامل بالساقية (*المعسول*، 12 : 90). مهما يكن فإن هذه العلاقة تنتقل كما نرى بالقرابة من مجرد إطار عام للعلاقات الاجتماعية إلى اعتبارها بنية محددة لكيان آل البصير بأسرير. وبهذا المدلول المحدد لا تعود إقامة آل البصير منحصرة فقط في رگيبات الساحل بقدر ما تمتد أيضا إلى وادي نون والأطلس الصغير.

البصير، إبراهيم، أسس سنة 1245 / 29 - 1830 زاوية آل البصير بقبيلة الأخصاص، مضيفاً وهو في التاسعة والسبعين من عمره، إلى حجمه الاجتماعي والسياسي، ولا غرابة في ذلك ما دامت هذه المرحلة لن تنتهي إلا بعد خمس وثلاثين سنة حين توفي وهو ابن 114 سنة. على أن السيرة الذاتية لابنه مبارك ستحُولُ دون هذه المرحلة والانتهاء. فقد حرص على ما خص به مجمل أعيان وفقهاء إگزولن والده من التوقير والاحترام، شأنهم في ذلك شأن كبيرهم سيِّد إليغ.

كان محمد بن محمد واعزيز قد طوّر قبر إبراهيم البصير إلى مدرسة لتعليم علوم الظاهر. وقد أسهمت هذه المؤسسة إلى حد كبير في الدفاع عن سمعة هذه الأسرة وعن كيانها بسوس والأطلس الصغير.

البصير، مبارك بن إبراهيم. عمل على تعزيز مكانة أبيه على ضوء ما اتخذه من مواقف واختطه من طريق متمِّمة لمسيرة أبيه. فلم تمض سنتان على وفاة أبيه سنة 1280 / 63 - 1864 حتى كان من أبرز الفقهاء بمجلس الحسين أهُاشم فوق رأس وادي ألغاس للنظر في أمر حضور المولى الحسن يومها كخليفة لأبيه. وإذا كانت خاصية ووظيفة السلطان محددتين ضمن نصوص الشريعة الإسلامية، فإن مبارك كان من بين المؤيِّدين يومها لضرورة إقامة "ميزان الشرع" مع ابن أمير المومنين (*المعسول*، 12 : 99). وهو تأكيد لحرص مبارك على موروثه من مفاهيم وممارسات عائلية. وعلى امتداد حياته اللاحقة سيُعرف دوماً بتجنبه للدوائر المخزنية على اختلاف مستوياتها بما في ذلك خلال سنة 1302 / 1884 التي عرفت الزيارة السلطانية لتزنيت. وقد كان يتحكم في ذلك إلى علاقته الوثيقة بالأعيان المحليين وبأنداده من كبار رجال علم الظاهر والباطن، كسيدي لحسن بيبيس والشيخ لحسن التِّيمكدشتي والشيخ سعيد المعدري والقطب ماء العينين. وبذلك تكون ممارسات مبارك البصير وممارسات أبيه قد ارتبطت بالعوامل المحددة لاستمرارية الكيان الاجتماعي وآلياته المحددة لاستمراره أو تحوله. ويتجلى ذلك فيما لا تزال تشهد به الراوية الشفوية المحلية.

وهناك نضيف بأن التساؤلات التي يمكن أن نطرحها بشأن آل البصير تصب كلها في إشكال التفاعل بين الثوابت والمتغيرات بما تفرزه من تكيفات ويترتب عنها من نتائج وردود أفعال. فمع وصول الاستعمار إلى عين المكان سيزداد الاحتكاك بين آل البصير وقيمهم المثلى في حقبة لا يمكن فهم التحول الهيكلي للمجتمع المحلي إلاّ على ضوئها. فقد حرصت هذه الأسرة على قطع أواصرها مع الجهاز المخزني مقتصرة على وظيفتها الاجتماعية الدينية، وأفسحت المجال أمام كل المحتكمين إليها. وهي حقيقة فيها خضوع أبدي لسلطة الزوايا بأبعادها الدينية والدنيوية.

محمد المختار السوسي، *المعسول*، ج 12 ؛ م. سالم ولد الحسين ولد لحبيب ولد عبد الحي، *جوامع المهمات في أمور الرگيبات*.

مصطفى ناعمي

البطانـة، ناحية طبيعية بالصحراء المغربية حيث توجد الـفَرْسِيَّـة، المنبع الرئيسي للساقية الحمراء. تنقسم الناحية إلى قسمين : البطانة الـگلبية، والبطانة التلية، وبها توجد السبخة التي تحمل اسم الناحية التي تقع بين المنطقتين الطبيعيتين المعروفتين بالعيدر وأخشاش.

I. Carnero Ruiz, *Vocabulario geografico-saharico*, Madrid, 1955, p. 27, 189.

محمد ابن عزوز حكيم

بَـطَـايُـون، قاعدة عسكرية كبرى بناها الإسبانيون بإفني سنة 1934 في أرض قبيلة آيت اخْلف، على هضبة مستوية مشرفة على المحيط مباشرة على حافة انكسار جيولوجي بـ 50 م على مستوى سطح البحر. مساحتها 4 كلم x 2 كلم، يحيط بها سور كبير. تشتمل على ميدان للحرب والتدريب، ومكان للرماية، واصطبلات للخيول، ومخازن للسلاح والتموين، وصهاريج للمياه. فهي أشبه ما تكون بمدينة عسكرية قائمة بذاتها. وفي سنة 1957 ضمت إسبانيا أراضي أخرى خارج تلك التكنة، فشيدت ثلاثمائة منزل لضباطها أطلقت عليها "كولومينا" وتسمّى حاليا حي كـلاَّمِينا.

كوّنت إسبانيا في قاعدة بطايون جيشاً كبيراً من آيت باعمران وغيرهم من شمال المغرب، قادهم الجنرال فرانكو في الحرب الأهلية الإسبانية ما بين 1936 و1939. ومن أشهر القادة المغاربة المكونين في هذه القاعدة : القائد ألـُودِي محمد الدكالي الأصل، والقائد عبد الله السرغيني، والقائد المحجوب السرغيني، والقائد محمد الرميلي الزيلاشي، الذين أسند إليهم اختيار الشباب وتدريبهم لإرسالهم إلى إسبانيا.

وفي باطايون أنزلت إسبانيا أركانها الحربية لتسيير أربعين ألفاً من الجنود في عهد الثورة الباعمرانية 1957 - 1969 وهي القاعدة الجوية الوحيدة التي صدّت هجوم آيت باعمران وجيش التحرير بعدما استسلمت الثكنات الأخرى خارج مدينة سيدي إفني، بل ألحقت خسائر كبيرة بالمجاهدين عند هجومهم على هذه القاعدة العسكرية، فقبض على كثير من رجال جيش التحرير (*العلم*، ع 2737 في 124 - 57).

ومن باطايون أخذ المقاومون كثيراً من السلاح، بطرق مختلفة نقلوه إلى الدار البيضاء. وقد حافظت هذه القاعدة على مدينة إفني إلى أن استرجع المغرب بطايون في سائر ما استرجع من إقليم سيدي إفني بموجب اتفاقية فاس بين إسبانيا والمغرب في 4 يناير 1969، وبذلك رجعت قبائل آيت باعمران ـ كما كانت جزءاً لا يتجزأ من الأمة المغربية.

الخريطة الطبوغرافية لباطايون بمكتبة الباعمراني الحاج مبارك الخلفي ؛ *وثائق* باعمرانية عنده أيضاً ؛ *مجلة المشاهد*، عدد خاص بتاريخ فاتح سنة 1958 ؛ الحسين الجهادي، *جانب من تاريخ آيت باعمران*، مرقون ؛ *الجريدة الرسمية* عدد 2958 بتاريخ 28 مايو 1969، الرباط.

الحسين الجهادي

بعثة الأمير (مولاي -) **إدريس** إلى الصحراء سنة 1906، بعد ازدياد أطماع فرنسا التوسعية غبّ التوقيع على إتفاق في 3 أكتوبر 1904 مع إسبانيا لاحتلال بلاد آدرار، إذ أرسلت سنة 1905 بعثة بقيادة كزافيي كوپولابي (Xavier Coppolani) إلى هذه المناطق وكلفته بربط علاقات تجارية مع شيوخ قبائلها. فتصدى له في أول الأمر الشيخ الطالب أخيار ابن الشيخ ماء العينين وبعث رسالة إلى والده يحثه فيها على ضرورة التعجيل بإخبار السلطان مولاي عبد العزيز بتحركات الجيوش الفرنسية في آدرار. وتوصل الشيخ ماء العينين كذلك برسالة من أعيان قبائل شنقيط يطلبون فيها التدخل بسرعة لحمايتهم من الغزو الفرنسي. فخرج الشيخ ماء العينين من قصبة السمارة على رأس وفد من أعيان قبائل الصحراء. واتجه نحو الشمال واستقبله السلطان بمدينة فاس ومنحه كميات هامّة من السلاح والذخيرة الحربية لمواجهة زحف الجيوش الفرنسية. فتدخلت الحكومة الفرنسية واحتجت بقوة على السلطان وطالبته بالكف عن تزويد قبائل الصحراء بالسلاح. وخوفا من وقوع مضاعفات خطيرة، وعملا بنصائح الوزير إدريس بالعالم، قرر السلطان مولاي عبد العزيز إرسال وفد مخزني إلى الصحراء سنة 1906 بقيادة ابن عمه الأمير مولاي إدريس بن عبد الرحمان. وأمره بتنظيم الجهاد والوقوف بعين المكان على مشاريع فرنسا التوسعيّة. والأمير مولاي إدريس هو حفيد السلطان مولاي سليمان. ولد سنة 1844 بتافيلالت وكان يتمتع بقامة طويلة وبنية جسمانية قوية، وله لحية وشعر أبيض يغطي وجهه. وقد أبحر الوفد المخزني المتكون من الأمير مولاي إدريس ووزيره الفقيه الغرفي وكاتبه المدني الصحراوي وإثني عشر مخزنيا، وحمل معه أربعة عشر ظهير توليّة لكبار القواد على قبائل الصحراء، وكميات هامة من السلاح والذخيرة الحربية قدرت بحوالي 500 بندقية، من مرسى العرائش، وتوقف في مرسى الصويرة وقدم له باشا المدينة عبد الرحمن برگاش كل ما يحتاجه من مؤونة ومياه صالحة للشرب. ثم أبحر على متن السفينة الإسبانية روساريو (Rosario) نحو مرسى طرفاية التي وصلها يوم 11 يونيو. ووجد في استقباله محمد الإمام ابن الشيخ ماء العينين وبعض شيوخ القبائل. وبعد مسيرة ستة أيام وصل الوفد المخزني إلى قصبة السمارة وألقى الشيخ ماء العينين خطابا رحب فيه بقدوم خليفة السلطان. وأمر القبائل بتجديد بيعتها له ودفع ما ترتب عليها من زكاة وأعشار. وبعث عدّة رسائل إلى زعماء قبائل ادوعيش وأهل السويد أحمد والترارزة والبراكنة يدعوهم فيها إلى القدوم إلى السمارة للاجتماع بالخليفة السلطاني والتذاكر حول الطريقة التي ينبغي أتباعها لمواجهة الجيوش الفرنسية. وقبل انطلاق العمليات الجهادية قام المبعوث السلطاني مولاي إدريس بإصلاح ذات البين بين مختلف القبائل الصحراوية ودعاها إلى تناسي الأحقاد والحروب والالتفاف حوله لمواجهة الخطر الاستعماري الذي يهدد بلادهم. وبعد انضمام أغلب قبائل بلاد آدرار ودخولها تحت لواء حركة مولاي إدريس، بعث إليهم السلطان مولاي عبد العزيز مائة بندقية إضافية في أواخر سنة 1906، استطاعوا بفضلها مهاجمة المركز الفرنسي بتجيكجة إذ حاصروا الحامية العسكرية الموجودة به من 5 نونبر إلى فاتح دجنبر من نفس السنة، وتمكنوا من قتل بعض الضباط الفرنسيين نذكر منهم الليوتنان Andrieux وDouville de Franssu. والرقيبيين Fleurette وPhilippé. بعد هذا النجاح قرر مولاي إدريس مهاجمة مركز كوپولاني. لكن سلطات فرنسا بالسنغال قررت إرسال حامية عسكرية بقيادة الليوتنان كولنيل (Michard) ميشار إلى بلاد تاگانت وأمرته بالتصدي لحملة مولاي إدريس وعدم المجازفة بملاحقته ببلاد آدرار.

واحتجت الحكومة الفرنسية بواسطة قنصلها بفاس هنري گايار (H.Gaillard) على السلطان وهددته باستعمال السلاح إن هو تمادى في إرسال السلاح للقبائل الصحراوية وأرسلت سفينتها الحربية Le kleber إلى ساحل طرفاية لمنع رسو المراكب المخزنية المحملة بالسلاح لمولاي إدريس.

وللضغط على السلطان الذي تمادى في إرسال السلاح لابن عمه بالصحراء قامت فرنسا باحتلال مدينة وجدة ومدينة الـدار البيضاء سنة 1907. فخشي السلطان من وقوع مضاعفات خطيرة، فأمر مبعوثه بالصحراء مولاي إدريس بالعودة على عجل إلى مدينة مراكش. لكنه ظل يزود في الخفاء الشيخ ماء العينين بالسلاح والذخيرة الحربية لعرقلة مشاريع فرنسا التوسعية ببلاد آدرار وتاگانت. لكن المقاومة ظلت قائمة في بلاد آدرار وتاگانت ضد الفرنسيين. ولم تنته إلا بعد توصل الكولنيل (Gouraud) گورو إلى احتلال هذه المناطق فيما بين سنتي 1908 و1909. وعاد الشريف مولاي إدريس إلى المناطق الشمالية واستقر بمدينة مراكش.

وقد توفي سنة 1924. تاركا بصمات قوية على صفحات المقاومة بالصحراء.

محمد بن عزوز حكيم، *السيادة المغربية في الأقاليم الصحراوية من خلال الوثائق المخزنية*، ج 1، الدار البيضاء، 1981 ؛ محمد الغربي، *الساقية الحمراء ووادي الذهب*، ج 1، الدار البيضاء، 1975 ؛ المختار السوسي، *المعسول*، ج 4، المحمدية، 1960 ؛ الحسن بوعشرين، *التنبيه المعرب عما عليه الآن حال المغرب*، تقديم وتصحيح، محمد المنوني، الرباط، 1994.

La Mauritanie et le Maroc, *Bulltin du Comité de L'Afrique Française*, Paris, 1909 ; Tomas Garcia Figueras, *Espâna en el Sur de Marruecos y en el Africa occidental*, Ceuta, 1934 ; Marty Paul, *Islam en Mauritanie et au Sénégal*, (les Fadelia), Paris, 1915 - 1916 ; R. Segonzac, *EL Hiba fils Ma – el Aïnin*, Paris, 1917 ; *Documents Diplomatiques Français*, Paris, 1906 – 1907 ; Odette de Puigaudeau, *Le passé maghrebin de la Mauritanie*, Rabat, 1962 ; Gouraud (Colonnel), *La pacification de La Mauritanie*, Paris, 1910 ; Cagne, Jacques, *Essai sur le sentiment national dans les povinces sahariènnes marocaines au début du xx^ens^ S.*, Tunis, 1986.

بعثة بيري Beyries إلى وادي الذهب سنة 1928، كان Beyries يشغل منصب متصرف بإدارة

المستعمرات الفرنسية بإفريقيا الغربية. أرسلته السلطات الفرنسية إلى منطقة وادي الذهب سنة 1928، للتفاوض مع السلطات الإسبانية ومع بعض شيوخ القبائل لإطلاق سراح المهندس الفرنسي Serre والربان Reine اللذين وقعا في أيدي القبائل بسبب سقوط طائرتهما في سواحل وادي الذهب.

واستغل المبعوث الفرنسي فرصة وجوده بمنطقة وادي الذهب، فعرض على السلطات الإسبانية فكرة نهج سياسة عسكرية موحدة بالتنسيق مع السلطات الفرنسية بموريتانيا لوضع حد لهجومات قبائل وادي الذهب ضد المراكز الفرنسية ببلاد آدرار وشنقيط.

وأعد Beyries تقريرا سريا ضمّنه معلومات دقيقة عن وضعية الإسبان بمنطقة وادي الذهب. وعن المشاكل التي تعترض طريقهم لفرض سيطرتهم على كل المناطق الصحراوية التي منحتها لهم اتفاقيات 1900 و 190 و1912، مشيرا إلى المجهودات التي يبذلها حاكم إسبانيا بوادي الذهب الليوتنان كولنيل دي لاپينا (De La Pena) لإنشاء فرق من الـگوم بإشراك بعض الأفراد من القبائل الصحراوية للحد من هجومات باقي القبائل التي تقطن المناطق الداخليّـة.

وتضمن التقرير معلومات دقيقة عن أسباب ضعف المعاملات التجارية بين القبائل الصحراوية ومركزي الداخلة (فيلا سيسنيروس) ولـگويرة، وعزا المبعوث الفرنسي ذلك إلى ضعف السلطات الإسبانية بالصحراء وعدم قدرتها على التحكم في مراقبة تحرك القبائل ومنعها من تجاوز منطقة وادي الذهب ومهاجمة المراكز الفرنسية بموريتانيا. وأعطى مثالا حيّـا على ذلك عاينه بوادي الذهب سنة 1928. وصرّح أنه بتاريخ 21 شتنبر 1928 وأثناء وجوده بمركز فيلا سيسنيروس شاهد بأم عينيه عودة بعض الغزاة الذين هاجموا مركز شنقيط الخاضع لسلطات فرنسا برئاسة الشيخ التاغي ولد مامي والشيخ مامينا ولد سيداتي مضيفا أن الغريب في الأمر أن السلطات الإسبانية قد علمت بنتائج هذا الهجوم لكنها لم تجرؤ على إلقاء القبض على متزعميه، بل الأدهى من ذلك أن الغزاة طلبوا من حاكم فيلا سيسنيروس كميات من المواد الغذائيــة كهدية لهم على هــذا الهجوم. فما كان منه إلا أن استجاب لطلبهم خوفــا من تعرّض مركــزه هو الآخر لهجومـات القبائــل، فمنحهم كميات من الخبــز المصنوع بالسكـر وحوالي خمسين كيلوغراما من الأرز ولترين من الزيـت بالإضافة إلى بعض المنسوجات القطنيّـة.

واستغل بيري فرصة وجوده بمركز فيلا سيسنيروس واجتمع بأحد قواد قبيلة العروسيّين يدعى سيدي أحمد ولد التروزي وسأله عن السبب الذي منعه من تقديم المساعدة لبعض الأجانب الذين تعرضوا للقتل بالمنطقة، فرد عليه شيخ العروسيّين بأن عمليّة القتل تمت في منطقة الجريفيّة التابعة لقبائل الساحل.

ويضيف المبعوث الفرنسي قائـلا أنه حتى في مركــز ساحـل طرفايــة الــذي احتلتــه إسبانيــا سنــة 1916، فإن أحكامها بهذه المنطقة لا تطبّق وفق رغباتها. وأعطى مثالا على ذلك وهو رفض قبائل ساحل طرفاية للسلطات الإسبانية بناء مركز عسكري في منطقة الداورة التي تبعد بمسافة مسيرة يوم واحد وتوجد في جنوب شرق طرفاية. وتطرق كذلك المبعوث الفرنسي في تقريره هذا إلى أثمان بعض المواد الغذائية بمركز فيلا سيسنيروس.

100 كلغ من السمك المجفف مقابل 24 بسيطة.

100 كلغ في الأرز : مقابل : 60 بسيطة.

35 كلغ من السكر : مقابل بسيطة واحدة.

من 15 إلى 20 بسيطة مقابل قطعة واحدة من المنسوجات القطنيّة.

وعلى الرغم من هذا الضعف فقد أشار المبعوث الفرنسي إلى المجهودات التي يبذلها حاكم وادي الذهب الليوتنان كولنيل دي لابينا لتوفير الأمن ونشر السلطات الإسبانية، وذلك بخلق فرق من الـگوم وإشراك بعض الأفراد من القبائل الصحراوية، وخاصة من قبيلة إزرگيين بمركز طرفاية وبعض الأفراد من قبيلة أولاد دليم بمركز فيلا سيسنيروس.

وتضم فرقة الـگوم بمركز طرفاية حوالي 56 فردا ينتمون إلى فخدة شتوكة يتزعمهم إبراهيم ولد سيدي يوسف الذي يتقاضى أجراً من السلطات الإسبانية عند نهاية كل شهر حوالي 600 بسيطة. لكن أغلب هؤلاء الأفراد لا يظهرون بالمركز إلا عند آخر كل شهر للحصول على راتبهم.

أما الأفراد المشاركين في فرقة گوم فيلا سيسنيروس فقائدهم هو حسنّا ولد علي شمام من فخدة أولاد باعمار، وكـلّـفتهـم السلطـات الإسبانية بمـراقبـة الـرأس الأبيض ورأس بوجدور.

وأسـرّ حاكم وادي الذهب دي لابينا للمبعوث الفرنسي بأن بلاده تدرس فكرة استعمال طائرات حربيّة من نوع فوكير (Fokker) لتتبع حركات القبائل في المناطق الداخلية ومهاجمة خيامها بواسطة إلقاء القنابل عليها عوض إرسال فرق من الجيش الإسباني إلى تلك المناطـق الصعبــة والمقفـرة. لكـن المشكـل الذي يعتـرض طريـق هـذه الطـائـرات الحربيّــة هــو الظـروف المناخيـة الصعبـة التي تخيّـم على أجواء هـذه المناطق الصحراوية.

وقد أشار المبعوث الفرنسي في تقريره إلى أن المشكل الأساسي الذي يعرقل كل هذه المشاريع الإسبانية بالصحراء هو ضعف الإمكانيات المادية التي رصدتها الحكومة الإسبانية لاستكمال احتلالها. وأضاف أنه فشل في إقناع مخاطبيه الإسبان بفكرة تخليهم عن حقوقهم بوادي الذهب لصالح فرنسا. واقتنع المبعوث الفرنسي بأنه ينبغي على سلطات بلاده بموريتانيا الاعتماد على وسائلها الخاصة لمواجهة هجومات القبائــل الصحراوية، وأن سلطات إسبانيــا ليس بإمكانهــا يومئذ منع القبائل من مواصلة هجوماتهــا ضد المراكز الفرنسية، ولكنه يتوخى من مفاوضاته مع الحاكم الإسباني بوادي الذهب التوصل إلى التوقيع على بروتوكـول للتعاون العسكري

فيما بينهما لأن الخطر واحد ويهدد مصالحهما بصورة مباشرة. لكنه مقتنع بأن هناك مشاكل تعترض طريق هذا التعاون ولخّصها في :

1) مناقشة مسألة منح الجيوش الفرنسية حق متابعة المهاجمين الصحراويين داخل منطقة وادي الذهب.

2) تحديد وضعية القبائل الخاضعة للسلطات الإسبانية والقبائل الخاضعة للسلطات الفرنسية بالصحراء.

3) إعادة النظر في حدود مناطق النفوذ الفرنسي والإسباني بالصحراء.

وختم المبعوث الفرنسي تقريره بالإشادة بالحاكم الإسباني العسكري على منطقة وادي الذهب الليوتنان كولنيل دي لابينا معتبراً إياه الشخص الوحيد الذي بإمكانه مساعدة فرنسا على الحد من هجومات القبائل لأنه يملك حسا عسكريا للتعاون مع فرنسا.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية بباريس ؛ يوجد نص التقرير ضمن : نور الدين بلحداد، *التسرب الإسباني إلى شواطئ الصحراء المغربية*، 1860 - 1934 ؛ *منشورات معهد الدراسات الإفريقية*، الرباط، سنة 2008، ص. 350 - 358.

بعثة الكولنيل البلجيكي بارون لاهير

Baron Lahure إلى سواحل الصحراء المغربية سنة 1888

يعود الاهتمام البلجيكي بسواحل الصحراء المغربية إلى سنة 1876. إذ في هذه السنة نادى ملك بلجيكا ليوپولد الثاني بفكرة عقد مؤتمر في عاصمة بلاده بروكسيل لدراسة إمكانية إرسال بعض البعثات الاستكشافية إلى سواحل إفريقيا الغربيّة لبناء وكالات تجارية بها، تمكنهم من الاتصال في أول الأمر بالقبائل القاطنة بهذه المناطق، ثم تمهيدها لفرض السيطرة الاستعمارية عليهم فيما بعد، وشاركت العديد من الدول الأوربية الطامعة في احتلال هذه المناطق في أشغال هذا المؤتمر وصادقت على مقرراته. وحاول الملك البلجيكي ليوپولد الثاني استغلال العلاقات التجارية التي كانت قائمة بين المغرب وبعض الشركات البلجيكيّة الموجودة في مدينتي أنڤرس (Anvers). وڭينڭ (Gand) لبناء مركز تجاري في سواحل المغرب الجنوبية بهدف تسهيل عملية الربط بين بلجيكا ومستعمرتها الكونڭو. ولتحقيق ذلك عرض الملك البلجيكي على الحكومة الإسبانية مبلغا ماليا هاما مقابل التنازل له إمّا عن مركز فيلا سيسنيروس أو عن المنطقة التي وعد بها السلطان مولاي الحسن الأول إسبانيا لبناء مركز للصيد البحري في ساحل إفني سنة 1883.

لكن إسبانيا رفضت كل هذه العروض. الشيء الذي جعل الملك البلجيكي يوجه أنظاره نحو البريطانيين المستقرين في ساحل طرفاية منذ سنة 1878، فأجرى مفاوضات مباشرة مع المغامر البريطاني دونالد ماكينزي الذي شيد مركز بورت فيكتوريا في ساحل طرفاية. وعرض عليه مبلغا هاما من المال مقابل التنازل له عن حقوقه في ساحل طرفاية، فوافق ماكينزي في أول الأمر على العرض البلجيكي، وذلك بسبب ضعف علاقات مركزه التجارية مع القبائل الصحراوية. فاستغلها ليوپولد الثاني فرصة وجهز بعثة بلجيكية بقيادة الكولنيل بارون لاهير (Baron Lahure). وأرسلها إلى ساحل طرفاية سنة 1888. وكلفه بدراسة إمكانية بناء مركز تجاري بلجيكي هناك. وبعد وصوله إلى جزر الكناريا‏س، جهز لاهير رفقة ماكينزي السفينة (Sahara) مشحنة بمواد تجارية مختلفة بهدف توزيعها على شيوخ القبائل لكي لا يعترضوا طريقهم.

وفي 4 شتنبر 1888، رست السفينة Sahara بمرسى طرفاية. واستقبل أعوان ماكينزي المبعوث البلجيكي، وعرضوا عليه القيام بزيارة للمركز المشيد فوق صخرة بالقرب من الساحل، فسألهم لاهير عن علاقاتهم التجارية مع قبائل المنطقة. وعن عاداتهم وطريقة عيشهم، وفي اليوم الموالي قرر لاهير القيام بجولة قصيرة في المناطق الداخلية بغية التعرف على شيوخ بعض القبائل وجس نبضهم من فكرة بناء مركز تجاري في سواحل بلادهم. فصادف في طريقه بعض أفراد القبائل الصحراوية المنتمين لقبيلة لفويڭات. فاعترضوا طريقه وهددوه بالقتل إن لم يرحل من بلادهم. فحاول لاهير إغراءهم ببعض الهدايا التي جلبها معه من جزر الكناريا‏س. ووعدهم بمنحهم كميات هامة من المواد الغذائية وبمواد تجارية مختلفة إن هم ساعدوه على بناء مركز تجاري في سواحل بلادهم. وقد اعتمد لاهير في مفاوضاته مع شيوخ لفويڭات على المترجم سليم الذي استقدمه ماكينزي من جزر الكناريا‏س.

ولم يعبأ لاهير بالتهديدات وقرر مواصلة جولته في المناطق الداخلية. فزار مضارب الشيخ حفيظ الذي كان يعتبر من أغنى شيوخ قبيلة أولاد تيدرارين، وزار كذلك مضارب الشيخ أحمد بابا الموجودة في منطقة لَـقْطُـوطْ التي تبعد عن الساحل بحوالي خمسة كيلومترات وحاول إقناع الجميع بضرورة ربط علاقات تجارية مع المركز الذي يعتزم إنشاؤه في ساحل طرفاية ولكي يظهر لهم حسن نواياه أمر الطبيب المرافق له والمدعو روسل (Russel) بعلاج سكان هذه المضارب بالمجان. ووزع عليهم بعض الأدوية الخاصة بعلاج داء الرمد والجذري. ثم غادر منطقة لَـقْطُـوطْ واتجه جنوبا نحو منطقة الساقية الحمراء للتعرف على بعض شيوخ قبائلها. لكنه فشل في إقناعهم بقيمة مشروعه التجاري. فاضطر إلى العودة إلى بروكسيل خاوي الوفاض، لكن الملك البلجيكي ظل متشبثا بفكرة بناء مركز تجاري في سواحل المغرب الجنوبية. وحاول استغلال نتائج الهجومات التي قامت بها قبائل الصحراء ضد مركز البريطانيين المشيد في ساحل طرفاية بين سنتي 1888 و1894 فجدد طلبه لماكينزي بشراء المركز المذكور مقابل مبلغ مالي، لكن سرعة الأحداث التي تلت سنة 1894 جعلت المغرب وبريطانيا يتوصلان إلى التوقيع على معاهدة سنة 1895، تخلت فيها بريطانيا عن حقوقها في مركز بورت فيكتوريا الذي شيده ماكينزي بساحل طرفاية منذ سنة 1878، مقابل مبلغ مالي حدّد في 50 ألف جنيه.

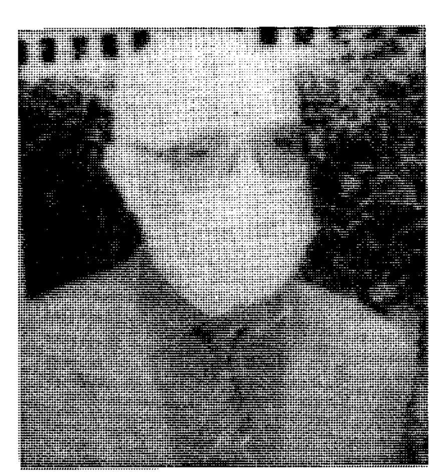
وهكذا ستخبو طموحات الملك البلجيكي بخصوص الجنوب المغربي بعد استرجاع المغرب سيادته على ساحل طرفاية وتشديد الخناق على المركز الذي أسسه الإسباني اميليو بونيلي في شبه جزيرة وادي الذهب.

خالد بن الصغير، *العلاقات المغربية البريطانية خلال القرن التاسع عشر*، الرباط، 1988 ؛ نور الدين بلحداد، *التسرب الإسباني إلى شواطئ الصحراء الغربية*، الرباط، 2008.

J – L – Miège, *le Maroc et L'Europe*, Paris, 1963 ; Lahure Baron, *Le Maroc et le Sahara occidental*, Bruxelles, 1905.

نور الدين بلحداد

بغدادي، محمد ولد الكولونيل والخبير الاستراتيجي الملم بقضية الصحراء المغربية محمد بغدادي بمدينة الصويرة يوم 20 مارس سنة 1936. التحق بسلك الجندية الفرنسية ولمّا يبلغ السن القانوني للتجنيد، انخرط في الحياة العسكرية على غرار والده الذي كان ضابطا في صفوف الجيش الفرنسي إبان فترة الحماية.



بعد الاستقلال، التحق محمد بغدادي بالقوات المسلحة الملكية حيث تحمل عدة مسؤوليات منها ضابط بالقصر الملكي بالرباط، ورئيس مكتب بهيأة أركان الحرب العامة، وأستاذا بالمدرسة العسكرية لأركان الحرب بالقنيطرة، ثم قائدا لوحدة عسكرية بالمناطق الجنوبية للمملكة. فقضى في الصحراء عدة سنوات وتشبع بثقافتها وتعرف على رجالاتها كما عاش لحظات تاريخية شاهدا على استرجاع أقاليمنا الجنوبية ابتداء من طرفاية وسيدي إفني وانتهاء بالساقية الحمراء ووادي الذهب. وبعد إحالته على التقاعد كرس حياته للتأليف فقام باستخراج عدد من الوثائق النفيسة من أهم المكتبات العالمية بكل من واشنطن وباريس وروما ليثبت لخصوم الوحدة الترابية مغربية الصحراء.

فقد خلف بغدادي محمد الذي تابع عن كثب التحولات الاجتماعية والأحداث السياسية بالمنطقة العديد من المؤلفات باللغة الفرنسية، من ضمنها :

1 - "الصحراء المغربية بين الماضي والحاضر" سنة 1999 ؛

2 - و"النزاع الصحراوي، قراءة جديدة" مطبعة الرسالة سنة 2001 ؛

3 - "الصحراء المغربية والحلول المقترحة للنزاع الصحراوي" سنة 2004 ؛

4 - "النزاع الصحراوي في نطاق الأمن الأورو المغاربي" سنة 2007 ؛

5 - وآخر مؤلف له بعنوان "نظرة حول الأمن الأورو - مغاربي أمام الرهانات الصحراوية" سنة 2009، يتوزع إلى خمسة أجزاء تناولت : "أوروبا المتوسطية" و"الروابط العرقية والتاريخية والقانونية المغربية الصحروابة" و"إرهاصات نزاع الصحراء" و"نزاع الصحراء واتحاد المغرب العربي" و"الدفاع والأمن الأورو - مغاربي". وله مساهمة قيمة في العدد الخاص من مجلة *"الذاكرة الوطنية"* المتعلقة بتخليد الذكرى الخمسينية لانطلاقة جيش التحرير بالجنوب المغربي.

تميز محمد بغدادي بحضور وازن في الدفاع عن المقدسات الدينية والثوابت الوطنية، وسخر حياته، قبل وبعد تقاعده، للدفاع عن قضية المغرب الأولى أينما حل وارتحل. وكان من بين الضباط الأوائل الذين استقروا بجنوب المغرب في بداية الستينيات من القرن الماضي، مسخراً كفاءاته العسكرية لتجسيد شعار البلاد الخالد "الله الوطن الملك"، مدافعا عن القضية الوطنية ومعرفا بها داخل الوطن وخارجه، لاسيما ببلدان أوربا حيث قام بجولة، أياما قبل أن يرحل إلى دار البقاء، شملت كل من إسبانيا وفرنسا وبلجيكا.

توفي صباح يوم الأربعاء 5 رمضان عام 1430 موافق 26 غشت سنة 2009.

جريدة الصحراء المغربية، بتاريخ 29 شتنبر 2009، وعدد، بتاريخ 5 أكتوبر 2009 ؛ *المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير*، نشرة التواصل، عدد : 81 شتنبر 2009، ص. 160 وعدد : 83، نونبر 2009، ص. 78 - 80.

بوعبيد التركي

البلعمشي، أحمد دگنا (1260 - 1840 / 1318 - 1898) هو أحمد بن محمد ابن المختار ابن الأعمش. ولد سنة 1260 / 1840 بمضارب والده بتندوف، وتلقى العلم على عدد من علماء عصره ممن طبعوا ثقافته بالعمق والتبحر والأصالة. خلف والده في تدبير محضرة تندوف والنظر في الأحوال الشرعية لقبائلها بمقتضى ظهير حسني جدد فيه السلطان الحسن الأول الثقة لآل الأعمش في النظر في أحوال هذه المنطقة. خلف عدة أعمال علمية وأدبية لا تزال مخطوطة إلى جانب خزانة الأسرة البلعمشية التي تفرقت شذر مذر، كما أشار إلى ذلك محمد المختار السوسي في تعريفه بآل الأعمش في كتابه *المعسول*.

من قصائده الوطنية قوله في مدح السلطان الحسن الأول :

إلى الأمير الكامل بن الكامل	نجْل الأمير العادل بن العادل
مني سلام حافل وتحية	موصولة بمزيد خير نائل
مولاي قد حسنت بكم أيامنا	وزهت بعدل للبرية شامل
قُدْت الخلائق كلها بعزيمة	علوية لا تنثني عن جاهل
دوّختم أقطارها بمهابة	وغلبة ومذلة لمصاول
يخشاكم من كان منكم ممنعا	فغدا مصاحب أدهم وسلاسل
لا غرو أن كنت الإمام وظله	في أرضه والسيف للمتطاول
أضحت بلاد الله في أمن وفي	عِز لحكمكم الصحيح العادل
فالجود عمّ بلادنا لقدومه	والخير صَمّ بكثرة وتواصل
فعليك سيّدنا سبيل محمد	وصحابيه شمّ الأنوف فواضل
فلازمه واستمسك بغرز ركابه	فهو السبيل لكل حـرّ فاضل
لازلت سيدنا مبنياً سنة	غـرا مبينة لنور آفل
هذا وإني إلى لقائك شيقّ	كيما أفوز ببغيتي ومسائل
وافيتكم بقصيدة متطفلا	حسناء يزهر ضوؤها بخمائل
ثم الصلاة على النبي محمد	تترا مع الغدوات والاصائل

توفي سنة 1318 / 1898.

صحراؤنا، س 2، رقم 56، 21 يونيو 1968، ص. 3 ؛ محمد المختار السوسي، *المعسول*، ص. 329.

محمد الظريف

بَلْقاسم أُبراهيم، (أهل -) تنتمي هذه الفصيلة إلى جدها الفعلي بلقاسم أبراهيم بن داود بن الفقير بن سيدي أحمد الركَيبي الجدّ الأسمى لقبيلى الركَيبات. وإذا كان داود بن الفقير قد تزوج سنة 1110 / 1680 بامرأة من قبيلة سلام المعقلية (*جوامع المهمات*)، فإن ابنه إبراهيم تزوج بدوره من أخواله. وتزوج ابنه بلقاسم سنة 1182 / 1762 من فصيلة أولاد بوكرزي المنتمية إلى أولاد المولات المعقليين. وعن هذا الزواج تفرع أهل بلقاسم أبراهيم الذين ينتمون كما نرى إلى القواسم من الركَيبات.

ومما يؤكد الامتياز الروحي لأهل بلقاسم أبراهيم من بين فصائل القبيلة، أن أفراكهم تعرف عادة "بمحصر العناية". فقد اعتادوا ارتياد الكلأ والمراعي المحاذية للضفة الشمالية للساقية الحمراء (M. Dupat, *Notes*, 1937) حيث تربطهم بـلـقـي تكنة أوثق روابط التحالفات الحمائية، ومعلوم أن النصف الثاني من القرن التاسع عشر قد عرف انجراف تجارة القوافل نحو السواحل حيث تسربت التجارة الأوربية بشكل قاتل، وبتفكك البنيات التجارية اختلّت الموازين التحالفية وأصبح على القبائل المرابطية المسالمة أن تتحمل مشقة الدفاع عن نفسها، وكانت قبل ذلك من مهام قبائل تكنة. وبذلك يدخل الركَيبات في الدوامة العامة التي جعلت المواجهة تكون شاملة والصراع من أجل مراقبة المجال عنيفاً.

وقد تسبب الاحتلال الفرنسي لمدينة تنبكتو سنة 1894 في احتدام الصراع خاصة بين الركَيبات وتجكانت. فما كان من هؤلاء إلا أن تحالفوا مع البرابر لمباغتة محصر العناية بخنيگ السكوم بجوار الساقية الحمراء. فكانت النتيجة أن فقد أهل بلقاسم أبراهيم جل رجالاتهم وإبلهم وخيامهم. وهو ما أفقد باقي الركَيبات صوابهم فاندفعوا في أثر الغـزاة إلى أن لحقوا بهم بالحمـادة في المكان المعروف بالعريضة. ولكن تفـوق عدد الغزاة تسبب في هزيمة الركَيبات الذين فقـدوا في المعركة خيرة محاربيهم وخاصة منهم أهل باد، كما أشار إلى ذلك محمد سالم ولد عبد الحي في مخطوطه *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*.

م. سالم ولد الحبيب ولد عبد الحي، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، ت. مصطفى ناعمي، 1991.

M. Dupat, *Notes sur la confédération des Reguibats Legouacem*, CHEAM , N° 770, Paris, 1937 ; S. Caratini, *Les Reguibats*, Paris, 1988.

مصطفى ناعمي

بلاّوْ (أهل -) تنتمي هذه الفصيلة إلى بلاو بن موسى بن علي بن سيدي أحمد الركَيبي الجد الأسمى لقبيلة الركَيبات بالصحراء الأطلنتية. وقد أدى اتساع فصيلة أولاد موسى إلى تمييز الوضع التسلسلي القرابي لأهل بلاّوْ باعتبارهم سليلي الإبن الكبير لموسى. فمفهوم وحدة التسلسل القرابي ينشأ ابتداءً من مبدأ التدرج النسبي مضمراً بذلك أحقية الأخ الأكبر. وهكذا فإن أهل بلاّوْ يتفرعون بدورهم إلى أهل يحيى، وأهل إبراهيم، وأهل باب حمو، وأهل بوزيد وبْلاّ، وأهل سوفي. وقد وجه مجمل هؤلاء فاعليتهم نحو التسيّد على أولاد موسى الذين يتزعمون بدورهم اللف الساحلي للقبيلة. فنجد محمياتهم من التجزئات والفصائل الأخرى كأهل بوعلية، وأهل بويالله وأهل البويشير من قبيلة أولاد تدرارين، وأهل مبروك، وأهل سويدي أحمدّو من أهل داود، وأهل تايني ولد بشرة من أولاد الشيخ، وبعض أهل دادي، وأهل الكوري ولد عمار ولد داود بن أهل لحسن، وأهل عبد الفتاح ولد الشيگر من أولاد بو السباع، وأهل ددّي.

ويعود انشطار أهل بلاّوْ إلى فصيلة مستقلة إلى فترة قبيلة الركَيبية من مرابطية محمية من طرف تكنة الذين غادروا مسالك التجارة بعد انجرافها نحو المرافئ الأوربية، إلى محاربة تعتمد على نفسها في المواجهات الخارجية. ومعلوم أن انسحاب تكنة التدريجي نحو شمال الساقية الحمراء قد تسبب في مرحلة من الصراعات وتناقض المصالح بين سائر القبائل المحمية دامت زهاء قرن. وقد عرف علي ولد بلاّوْ منذ نهاية القرن الثامن عشر بتصديه لقبيلتي تجكانت وأولاد بوالسباع شأنه في ذلك شأن الشيگر ولد باب المساوي، فقد كانا من بين الأوائل الذين استعملوا بنادق الوروار المحصل عليها لوادي نون ابتداءاً من 1796 (Larribaud, 253).

وهنا لابد لكي نعني بالدور الحربي الطلائعي لأهل بلاوْ الذي يجرى مفعوله على العصبيات الأخرى من الإشارة إلى أهل أفرييط. فهؤلاء يمثلون أصلب تجزئة داخل فصيلة أهل بلاوْ تميزت بسمعة المحاربين الأشداء إلى ما بعد سنة 1934، فقد استطاع أهل أفرييط قلب الموازين الاعتيادية حين أدخلوا المعقليين أولاد سالم تحت حمايتهم بعد أن هزموهم، وبالرغم من أن منافسة الفصائل الأخرى وخاصة أولاد لحسن قد انتهت بكسر هذه العلاقة (*جوامع المهمات*، *Caratini*,88,89;91) فإن سمعتهم ومن خلالهم أهل بلاوْ لم تزدد إلا قوة. لقد عُرف أهل أفرييط بأنهم أول من ناوش أعداء الركَيبات التاريخيين أولاد دليم. فتعلموا الدفاع عن محميي أولاد دليم من أولاد أحمد وأولاد تدرارين الذين اعتادوا منذ القرن الثاني عشر (18 م) دفع الأغفار لحاميهم. وقد جاء هذا الدفاع عبر عملية عسكرية أفقدت أولاد دليم عشرة من محاربيهم وأدخلت أولاد تيدارين تحت حماية أهل أفرييط (*جوامع*، 91 - 92). كان محمد ولد الخليل يومها على رأس تجزئة أولاد القاضي من فصيلة أولاد موسى. وبالرغم من موقفه المنافس لأهل بلاوْ، فإن لجوء أولاد دليم إلى لف آيت الجمل التكني وخاصة آيت لحسن، أدى إلى التحام المواقف الركَيبية ضد العدو الخارجي. لقد اضطر أولاد دليم يومها إلى طلب المساعدة من لف آيت الجمل عن طريق إزركَيين. ولكن هؤلاء رفضوا حسب ما أورده Caro Baroja مجبرين بذلك أولاد دليم على التوجه شمالا نحو آيت لحسن ومعلنين انتقال الصراع لأول مرة شمال وادي درعة.

هكذا وبالرغم من استحالة الدخول مع تكنة في مناوشات حربية فإن المساهمة الفعلية لأهل أفرييط تتجلى في رغباتهم التوسعية وتطوير الإطار الهيكلي للقبيلة جمعاء. على أن هذه الميزة الهجومية مهما اشتدت مع تطور الأحداث فإنها تظل رهينة بظروف الترحال الرعوي التي تفرضها الظروف المناخية لتربية الإبل. فتدجين الوسط الطبيعي يقتضي تتبع الكلأ بضفتي الصحراء : أدرار التمر جنوبا ووادي درعة شمالا. نخلص بذلك إلى الارتباط العضوي بين فصائل هذه القبيلة والظروف المناخية المتوفرة بضفتي الصحراء حيث الكلأ والمرعى باستمرار. هذه المميزات الأساسية لمنطقة أدرار التمر جنوبا ستؤهل الحاكم الفرنسي في عين المكان للضغط على كبار الرحل بما فيهم اللف الساحلي لقبيلة الركَيبات. فقد أدت سنوات الجفاف إلى احتداد الأزمة السياسية بين فصائل هذه القبيلة لمعرفة ما إذا كان الأولى هو إبرام اتفاقيات مهادنة مرحلية مع الوجود الفرنسي بأدرار. وكان من نتائج الجفاف أن ظهرت عمليات مد وجزر قربت بين بعض الفصائل الركَيبية والحاكم الفرنسي خلال سنوات الجفاف وفرّقت بينهم خلال السنوات الممطرة. فكثيرا ما سجلت التقارير الفرنسية عدم احترام الفصائل لالتزاماتها مع ظهور المطر والابتعاد داخل الصحراء. لم يكن إذن من المستغرب أن نجد أهل بلاوْ وأولاد القاضي من فصيلة أولاد موسى والتهالات بصدد أبرام اتفاقية مع الحاكم الفرنسي Gaden بسان لوي St Louis سنة 1925 (Brissaud, 1938). فعلينا أن نفرق هنا بين الضرورة التي فرضها الجفاف هذه السنة على مربي الإبل والاستراتيجية السياسية الفرنسية البعيدة المدى. لم يكن بين طرفي الالتزام أي تحالف موضوعي تفترضه إستراتيجية التغلغل الاقتصادي المشترك. بل الأولى أن نأخذ هذا الوضع بعين الاعتبار لفرز الخلل والخطأ النظريين إذ يتبين لنا أن وراءه خلفيتين سياسيتين متناقضتين. ذلك أنه بينما عرفت نفس السنة مغادرة الماريشال ليوطي للمغرب معلنة بداية الاستعدادات الفرنسية لمهاجمة الصحراء شمالا وشرقا وجنوبا، يفقد أولاد موسى رئيسهم محمد ولد الخليل وتعرف التناقضات والمفارقات بين مواقف فصائل القبيلة تطورا كبيرا. فقد بدأت جبهة هذه الفصائل في التصدع أمام الزحف الفرنسي المتزايد واختلفت المواقف بفعل العوامل الخاصة المميزة لكل فصيلة. وهكذا ستعرف نفس السنة إمضاء أول اتفاقية بين الحاكم الفرنسي بأدرار وفصيلة القواسم من اللف الشرقي عن طريق كبيرهم لحبيب ولد البيلال (Brissaud ; 1938). وستستمر الوضعية على ما هي عليه بفعل الجفاف المتزايد إلى أن عرفت سنة 1927 صراعا عنيفا بين الفقرا ومعهم بعض التهالات المتمردين على اتفاقهم مع الحاكم الفرنسي من جهة، وأهل أفرييط ومحمييهم إذْ يعقوب والشيخ سعدبوه أخ الشيخ ماء العينين قرب مقطر من جهة ثانية. تسبب هذا الصراع في جرح أبي زيد ولد محمد أبراهيم ولد أفرييط بعد أن فقد 150 رأسا من قطيع أبله. وعلى أساس الأخذ بثأرهم انطلق محاربو أهل أفرييط (70 أو80 مدفعا) إلى تندوف مصحوبين ببعض أهل محمد بن القاضي من السكَارتي قصد مباغتة الفقرا من الناحية الشمالية الشرقية (Fournier, *Archives Nationales*, *Nouakchott*, 13 / 3 / 1927, A/P/E/2/ 77) وقد كان من نتيجة هذه العملية أن تسببت هزيمة الفقرا في مسارعتهم إلى أدرار التمر لإبرام اتفاقية سلام مع الحاكم العام. ويفيد الضابط Tranchant في تقرير له بتاريخ 12 / 1 / 1928 بأن محمد سالم ولد أفرييط كبير أهل بلاوْ قد توجه إلى سان لوي St Louis للدفاع أمام الحاكم العام عن سياسته الحربية ضد باقي الفصائل المتمردة أو الرافضة لموالاة فرنسا. وهو موقف يبدو متطرفا من حيث حرصه على تركيز الوجود الفرنسي. ولكن علينا أن نفرق بين هذه الرؤيا والمعرفة المبنية على الموروث السلالي والقرابي كظاهرة أكثر بروزا. يجب أن نعلم بأن هذا الموقف لم يتأت إلا لمجابهة موقف محيمد ولد محمد ولد الخليل كبير أولاد موسى الذي تميز بمواقفه ضد استعمال العنف. فنكشف بذلك مرة أخرى طبيعة التنافس بين أهل بلاوْ وأولاد موسى من أجل التسيُّد على ركيبات الساحل، والدليل على ذلك هو دور أمطار سنتي 1932 و 1933 في تغيير مجرى الأحداث. فقد لعب انتشار فصائل الركَيبات بكل من الحنك وزمور والساقية الحمراء في اشتعال نار مجابهة الوجود الفرنسي بدائرتي أدرار والترارزة. هذا ما يمكن أن نسجله ابتداء من شهر سبتمر 1931 الذي عرف عملية

غزي تجونين. فقد قام مائة وعشرون محاربا رگيبيا على رأسهم محمد المامون وأحمد ولد حمادي وعلي ولد ميارة الذي لم يتجاوز يومها سن العشرين بالقضاء على كتيبة فرنسية وغنيمة أسلحتها وذخيرتها. وكان من نتائج هذه الغزوة أن خرج أولاد موسى عن التزاماتهم ليتبعهم بعد ذلك بقليل أهل أفرييط ومجمل الفصائل والتجزئات المسالمة لفرنسا.

لم يكن من شأن استعمال الطائرات أن يضعف من عزيمة هذه الفصائل التي استفادت سياسيا وعسكريا من التناقضات الفرنسية - الإسبانية حول مراقبة المنطقة كما أن بوادر الفتور قد بدت على ضباط "الـگـوم" من أبناء القبائل المحلية حيث رفضوا تدريجيا المحاربة بإسم فرنسا. على أن أهم غزوة قام بها أولاد موسى، وأهل بلاوْ المنشقون عن فرنسا انتهت بالفشل الذريع وقد كان على رأس هذه الغزوة التاريخية المعروفة بغزي السودان في مارس سنة 1932 لعروسي ولد بابا حمو من أهل بلاوْ ومحمد سالم ولد عبد الحي قاضي رگيبات الساحل وصاحب كتاب *جوامع المهمات*. فقد اجتمع مائة وأربعون محاربا بعيون عبد المالك لينطلقوا في اتجاه الجنوب الشرقي حيث يستهدفون كتيبة فرنسية قرب بئر تيجيجيل. وقد وقعت العملية في السـادس من ابريل لتفشل بسبب الاستعداد المسبق للكتيبة التي كانت قد اتخذت جميع الاحتياطات بمجرد أن أخبرها البر ولد لحبيب من فصيلة أولاد الشيخ ومحمد ولد الناجـم من كبار أهـل بـلاوْ (Cercle de l'Adrar, Rapport Politique, *Archives Nationales*, *Nouakchot*, Juin 1932) لقد أعدت الكتيبة الفرنسية مدفعا رشاشا للمناسبة وأحاطت تكنتها بالأسلاك الشائكة. وبالرغم من المحاولات المتكررة ووصول لعروسي رئيس الغزوة إلى الداخل فإن الكتيبة تمكنت من قتله وحصد عدد قليل من الغزاة. وتمكن هؤلاء بعد مقتل رئيسهم من الانسحاب بعد أن قادوا أكبر عدد من الإبل منقسمين إلى قسمين. اتجه القسم الأول نحو الجنوب حيث وجد أمامه محاصرة فعلية من طرف قبيلة مشظوف بتمبدرة ولم ينج منها إلا بمشقة. أما القسم الثاني فقد اتجه نحو الشرق مضطرا إلى المرور ببئر القصيب بالحدود الفاصلة بين أزواد وتبرس. وهي عملية شاقة تقتضي تجنب أكبر عدد من الكتائب الفرنسية الملاحقة ومواجهة الإعياء والعطش والرياح الحارة التي أحرقت المراعي. وهكذا لم تصل إلا قلة قليلة إلى البئر لتجد في انتظارها كتيبتين تابعتين للدائرة الفرنسية بالسودان والدائرة الفرنسية بمالي، وقد قرر ضابط الكتيبة السودانية قتل جميع المسجونين بينما قرر الضابط الآخر الاحتفاظ بهم. وقر رأيهما أخيرا على توزيعهما إلى قسمين تنفذ فيهما التعليمات حسبما ارتأياه. وبذلك تنتهي هذه العملية المعروفة محليا بغزي تجيجيل والتي أفقدت أولاد موسى وأهل بلاوْ سبعين محاربا وأفقدت أولاد القاضي أربعين محاربا.

وفي نفس شهر أبريل قام أحمد ولد حمادي وعلي ولد ميارة بتجميع جيش محلي مكون من أربعمائة محارب من أولاد دليم والعروسيين وأربعمائة محارب من القواسم من اللف الشرقي من الرگيبات ومائة وثمانين من محاربي اللف الساحلي وأربعين محاربا من قبائل مختلفة. على أن هذا الحجم قد تجلى من حيث هو كرمز للإرادة القبلية في التحدي والمواجهة أكثر منه جبهة متحدة. فقد فشلت جميع المحاولات التنسيقية ولم يقوموا بأي عملية خاصة، وأن الطيران الفرنسي قد أسهم بشكل كبير في كشف المحاولات وصدها. وكانت فصائل الرگيبات تنتظر إلى شهر غشت حين غزا بعض العناصر من قبيلة الكدادرة إبل الشيخ مبارك من أهل بلاوْ وأهل داف من أولاد موسى (حوالي ألف رأس) بمنطقة عيون عبد المالك. فجاءت هذه الغزوة من بين العوامل التي أطرت لعملية التونسي التاريخية التي أفقدت دائرة الترارزة سبعة وثلاثين عسكريا ونجا فرنسي واحد. ففي عملية انتحارية انطلق أولاد دليم والعروسيون والرگيبات من تيرس مخترقين مجمل التراب الموريطاني من الشمال الغربي في اتجاه الجنوب الشرقي في وقت تميزت شبكات المراقبـة الفرنسية بقوتها وفعاليتهـا ومراكزها المحصنة وكتائبها المتحركة. وقد نشرت عمليات أبنـاء المنطقة الرعب الكبير بين الفرنسيين وأعوانهم بكل من أدرار وتگانت والترارزة قبـل الرجوع من جديـد إلى المنطقـة الساحلية (Caratini, 189).

إن الاحتفاظ لأهل بلاوْ بهويتهم الخاصة كنموذج لفصيلة كبار الرحل ضرورة تفرضها المعرفة لذاتها. فقد عاشت وتعيش تجارب عصرها بما يشرح مواقفها وممارساتها أو يبررها. وهي ليست في الواقع إلا امتدادا للتجربة الكبرى، تجربة قبيلة الرگيبات في وسطها الطبيعي والاجتماعي.

محمد سالم ولد نجيب ولد الحسين ولد عبد الحي، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، دراسة وتحقيق، مصطفى ناعمي، الرباط، 1991.

*M.*Brissaud.*Historique de la question Rgueibat,* Nouakchott, Archives nationales, A.P.E/2/82 , 1938 ; J.Caro Baroja, *Estudios Saharianos,* Instituto de Estudios Africanos, Madrid, 1955 ; S.Caratini, *Les Rgaybat : Des Chameliers à la conquête d'un territoire*, T.I, Paris, 1989 ; J.Larribaud, *Tindouf et le Sahara Occidental*, Archives de l'Institut Pasteur d'Alger, XXX, N° 3, Alger, septembre, 1952

بَلّة (أهل -)، يمثل أهل بلة إحدى فصائل آيت احماد أعلي من قبيلة أزوافيط التكنية (م. ناعمي، *أزوافيط*، *معلمة*) ويرد أزوافيط أحماد أعلي إلى عثمان بن أحمد بن إبراهيم بن عثمان الذي قد يكون هو ابن مندى عامل عبد الله بن ياسين على نول لمطة خلال القرن الخامس (11م). أما مدى صلاحية انتماء أهل بلة إلى هذا النسب الصنهاجي، فإن تضارب الروايات يحدّ في الوقت الراهن الابحاث من الفصل فيه. ذلك أن ما يزيد من حدة التناقضات اختلاف آيت أحماد أعلي أنفسهم حول أنسابهم. فمنهم من يحد عدد الفصائل المؤسسة في

بلة والمعطي وأحماد واسعيد وحمو. ومنهم من يكذب أويضيف إلى هذا العدد فصائل أخرى. ومهما يكن من أمر فإن أهل بلة الذين يهمنا أمرهم هنا ينتمون إلى أحماد أعلي الذي يصعب تحديد هويته وتاريخه الفعلي. ويضيف أهل بلة بأن جدهم الفعلي قد خلف كلا من محمد مولود وأحمد فال واعلي والبشير والحسين والكورية وفاطمة. أما أحماد فقد خلف علي سالم والحريطاني الذي يحمل إسم أخواله من أبناء بوالسباع والأمين وعبد الله والسالكة وفاطمة وعائشة والبتول. أما رقية بنت بلة فلم تعقب. وتعتبر هذه الأسماء أعلاما حقيقية لوحدات عائلية حديثة التكوين. ذلك أن أربعة أجيال فقط تفصل بينها وبين آخر أحفادها الحاليين.

وفي هذا السياق لابد أن نشير إلى الاختلاف البين الذي ميز سيرورة هذه الأجيال الأربعة مركزين على الفوارق الجوهرية التي أصبحت تفصل أبناء علي ولد بلة من أبناء أحماد ولد بلة. فبينما يقتصر أبناء علي على ممارسة الفلاحة التقليدية وتربية المواشي، يتميز أبناء وحفدة أحماد باهتمامهم الكبير بالتجارة عبر مسالك الصحراء، وقد عرفوا بخبرة واسعة في هذا الميدان الذي جعل منهم أسماء لامعة على ضفتي الصحراء. أما تديّن أهل الحريطاني وخاصة منهم أحمد وابنه محمد علي فقد جاء على ما يبدو نتيجة لتأثير أخوالهم من أولاد بوالسباع ذوي الصيت الذائع في هذا الباب (*جوامع المهمات*).

ولابد أن نشير أيضا إلى مساهمة أهل الحريطاني خاصة في تطوير وتأطير الوجود الزفاطي بموريتانيا منذ بداية هذا القرن. ولعله أمر يرجع إلى زمن أقرضوا فيه مجمل القبيلة مبالغ مالية أسهمت على حد قول السيد بلعيد ولد الحريطاني في حل بعض المشاكل العالقة يومئذ. من هنا ندرك إلى أي مدى يمكن لعائلة معينة أن تتميز بدور طلائعي يجعل منها وحدة متكاملة على المستويات الفلاحية والتجارية والدينية والسياسية.

م. سالم ولد عبد الحي، *جوامع المهمات*، تحقيق، مصطفى ناعمي.

بلّـة (آيت -) إذا حاولنا تحديد المعطيات التعريفية لآيت بلّة وجدنا متطلبات الملاحظة المضبوطة تقتضي مقارنة كل القرائن التي تكشف عنها قبائل اتحادية تكنة على امتداد وادي نون وباني الغربية والساقية الحمراء.

وتنقسم هذه الاتحادية إلى لف آيت عثمان شرقا ثم لف آيت الجمل الممتد غربا على طول الشريط الساحلي من آيت باعمران شمالا إلى ما وراء الشبيكة جنوبا مرورا برأس الطارق والأدكن والحميديات وشبكة الأودية النابعة من سلسلة جبل زيني. ومن المعلوم أن تسمية آيت الجمل إنما تنبثق من مراقبة هذا الشريط الذي يسيطر عليه الترحال الرعوي بفعل العوامل المناخية والجيومرفلوجية. أما تسمية آيت عثمان فتشمل كل ماعدا هذا الشريط من أراض رعوية وفلاحية ومداشر (13 مدشرا لآيت الجمل و53 لآيت عثمان). وترتبط بالجد الأسمى عثمان بن مندي خليفة عبد الله بن ياسين على نول ملطة عاصمة المنطقة والأطلس الصغير حتى القرن السابع (13م). هذا التفاوت في المساحات يمثل أربع قبائل هي آيت لحسن وإزرگيين ثم آيت موسى أعلي فأولاد بوعيطة، بينما يمثل آيت عثمان ثمانية قبائل انقسم إلى أربع مجموعات فرعية هي آيت بلة وآيت الخمس وآيت النص وآيت أسا.

يبتدئ تراب آيت عثمان غربا بمجموعة آيت بلة المجاورة لف آيت الجمل. وتنتهي هذه المجموعة بتراب آيت الخمس شرقا التي تنتهي بدورها بتراب آيت النص لنصل بعد ذلك مباشرة إلى تراب آيت أسا.

آيت أسا : من المعلوم أن هذه القبيلة اعتادت ارتياد مراعي تنفوشي وإيگيدي والحنك شرقا. أما جنوبا فهي ترتاد گلتة زمور ورأسي الشبيكة وطرفاية على الساحل الأطلسي. ويبدو جليا أن قوة آيت أسا وقدرتهم على التسلط على قبائل سلسلة جبل باني من أمريبط وغيرهم هي التي أهلتها منذ أزيد من ستة قرون لمراقبة حمادة وادي درعة والطريق الرابطة بين عواصم وادي نون وتندوف عبر خنيك بولجير وخنيك أكحل بسلسلة واركزيز. كما أن هذه القبيلة اعتادت ارتياد البطانة حيث تتقاسم أفرا وإيدار وزيني مع قبيلة يـگوت التي انتهت بدخول لف آيت عثمان بعد أن غادرت لف آيت الجمل. وبذلك نجد تراب آيت أسا تحد شمالا بباني وگير بينما تحدها شرقا واحة تيكوراين ومعدري أفتاس وتفتايس، وغربا لف آيت الجمل وتراب آيت النص. أما قبيلة يـگوت فإنها تؤكد بانتمائها إلى آيت عثمان مدى قدرة هذا اللف على مراقبة الطرق التجارية والمحاور الرعوية بعيدا عن مجاله الفلاحي.

آيت النص : في إطار هذه المزاوجة بين المنظور المجالي ونظام التحالفات تستجيب مجموعة آيت النص المجاورة غربا لآيت أسا لمتطلبات التكامل الاقتصادي والسياسي. فقبيلة آيت براهيم المركزية بهذه المجموعة تشتمل خلال العشرينات من هذا القرن بمعزل عن حراطينها على ستمائة عائلة (La chapelle, *Les Tekna,* 97) ويمكن لأية دراسة متأنية حول هذه القبيلة أن تبرز التقابل بين التقسيم الترابي القديم والبنية الاجتماعية. ذلك أن أولوية التقسيم الترابي بالنسبة للعلاقات القرابية تتجلى بوضوح في الارتباط بالساقية والمداشر. بل إن تشكل مجموعة آيت النص حول آيت براهيم يعد مرهونا بالروابط القروية بين هذه المداشر الستة عشر وأهمها تاغجيجت (*أنظر آيت براهيم*). ومعلوم أن تراب آيت النص تصل إلى أحواز أسا ودرعة المجاورة حيث يعد آيت براهيم من أشباه الرحل صغار النجعات. غير أنه ينبغي ألا نتناسى أن ارتباط آيت براهيم الشديد بلفها يعود أيضا إلى ذلك الجد الأسمى الذي يربطها بعثمان بن مندي. وهو مبدأ ينتعش إلى حد بعيد من العلاقة المتميزة التي تربط هذه القبيلة بآيت بلّة المرتكز المحوري لآيت عثمان.

آيت الخمس : أما إذا انتقلنا إلى قبيلة آيت احماد جارة مجموعة آيت النص فنجدها لا تكتفي بتصدر مجموعة آيت الخمس، بل تتمتع بسمعة حربية تجعل منها قوة

متميزة بقدرتها على حرية القرار بمعزل عن أي طرف كان. وفي موقعها بين آيت الجمل غربا وآيت النص شرقا تقدر هذه القبيلة حسب نفس المصدر ب 450 عائلة (*Les Tekna, 97*) تقيم بأوتلت وفصك وتاوريرت. وعليه فإن مميزاتها الآنفة الذكر وموقعها يؤكد دور المجال في إدماج المجموعات المتباينة أو المتكاملة وتكييفها مع مقتضيات الجوار، فإذا كانت الأودية المستعملة في تربية المواشي والأراضي البورية والمسقية هي الطاغية من حيث المساحة فقد استند النشاط الفلاحي - الرعوي إلى تبادل المنافع. وبذلك نرى أنه سواء تعلق الأمر بخطر الاستبداد الداخلي أم في إطار التصدي لعدوان جماعة مجاورة فإن تحالف هذه المجموعات في إطار آيت عثمان يفترض أن تعبئتها تتم على سلم النسق المحلي. هذا النسق يقتضي أن كل مجموعة تعد تجسيدا مجاليا لما يفصح عنه التجانس والصراعات من تحولات. كما أن كل مجموعة تعد في حد ذاتها تغييرا فعليا عن تحقق الميكانزمات الواقية لمجموعة من صغريات الوحدات القبلية الملتفة حول قبيلة محورية.

من هنا فمجموعة آيت بلة التي تتصدرها قبيلة أزوافيط تتحدد أمامنا كبنية مجالية محشورة بين مجموعات آيت عثمان شرقا ولف آيت الجمل غربا. فما من شك أنها مطالبة أكثر من المجموعات الأخرى بمقاومة عوامل الانشقاق والتفاوت بمجرد ما تظهر بوادرها الأولى. كما أن استمرارها لا يقتضي ركود عناصرها أو بقاءها في وضع ثابت قار، بل يتطلب قدرا معينا من الدينامية في حدود النسق القائم. هنا يكون من المؤكد أننا باقتصارنا على هذا التعريف المجالي لن نكون قد عالجنا الموضوع من كل جوانبه ولا استوفينا كل ما يطرحه من صعوبات وإشكالات.

وأهم سؤال نكون قد وصلنا إليه هو ما هي الأسباب التي جعلت تسمية آيت بلة تطغى باستمرار على تسمية آيت عثمان رغم المقدرات الحربية والمساحات الشاسعة والثقل الديمغرافي والسكنى لآيت الخمس وآيت النص وآيت أسا ؟ هل هو الحجم الديمغرافي أم أنه الغطاء النباتي أو الموقع أم أن هناك عوامل أخرى ؟ إذا نحن قارنا بين المنغرافيات الفرنسية لسنوات 1914 De La Chapelle, P.Marty, V.Monteil, 1943. اتضح أن الحجم الديمغرافي لآيت بلة يتجاوز أكثر من نصف آيت الجمل مجتمعين. وقد أوضع الإحصاء الشخصي الوارد بآخر هذه المنغرافيات أنه بينما يمثل مجمل لف آيت الجمل 2780 عائلة يمثل لف آيت عثمان 6120 عائلة تحتل من بينها قبيلة أزوافيط دون باقي آيت بلة 1250 عائلة (*Les Tekna, 6*). ولكن هذا الرقم يكاد لا يتجاوز حجم آيت براهيم بينما يقل عن حجم آيت أسا التي تعد بحق أكبر قبائل تكنة حجما. نزيح بذلك العامل الديمغرافي لمسائلة دور الغطاء النباتي كمميز لآيت بلّة عن باقي آيت عثمان. وهنا أيضا يتضح أن قبيلة آيت أسا تعد بحق أغنى القبائل التكنية على الاطلاق. فقطيعها من الإبل يتجاوز حجم قطيع آيت لحسن وإزرگيين القبيلتين المتخصصتين في هذا المجال. كما أن عدد نخيلها يصل حسب نفس المصدر إلى 30.000 نخلة متجاوزة نخيل كل مجموعات آيت عثمان بينما لا يملك آيت الجمل إلا القليل الأقل. وإذا كان سؤالنا ما يزال مطروحا. فإننا نكون قد استخلصنا منذ الآن أن مجموعات آيت عثمان تتحدد كبنيات مجالية بتراتباتها وبتفاوت مستويات وحداتها أكثر مما تتحدد بتجانسها أو بتكافؤ قبائلها المحورية.

يبقى أن نسائل موقع آيت بلة عن دوره في تداخل الإسمين الذي يطرح هذه المجموعة كهيكل شمولي ينتظم داخله كل آيت عثمان. إذا كانت كبريات قبائل الرحل بالصحراء الأطلسية جمعاء تؤكد على هذه الحقيقة فذلك على ما يبدو راجع لما يرافق عادة تسمية آيت بلة من ارتباط بكبريات إمارات الصحراء وحماية لصغريات القبائل. وهو عامل يكشف خلافا لما يراه De la Chapelle عن نزوع قبيلة أزوافيط الدائم إلى التوسع الحربي والسياسي (*Les Tekna*, 58-68-77). فندرك لماذا تعد هذه القبيلة بمثابة مركز الثقل الأساسي لآيت بلّة الملتفين حولها. بل الأوضح من هذا أن تسمية آيت بلة لا تفيد في نظر القبائل الجنوبية إلا الإسم الحقيقي لقبيلة أزوافيط والوظيفة الحربية كعاملين أساسيين في تداخل تسميتي آيت بلّة وآيت عثمان.

وهنا لابد من نتساءل ما إذا كان من الضروري الاكتفاء بهذين العاملين إذ أن هناك عوامل خفية يجدر اكتشافها. فينبثق السؤال حول ما إذا كان المنظور الأصح يقتضي التحديد الدقيق والمفصل لمجمل تفرعات آيت بلة ككيان مندمج مع أزوافيط في الهيكل التأسيسي لهذه المجموعة ؟ هذا السؤال يطرح نفسه بإلحاح خاصة إذا علمنا أن القرابة بين هذه التجزئات تجعل منها أبناء لبلّة المعاصر للقرن الحادي عشر (17م).

حقا لقد كانت الوحدات القبلية تنتقل خلال هذه الفترة من إطار عام للعلاقات الاجتماعية إلى اعتبارها بنية محددة للكيانات الكمفدرالية، ولكن ظهور بلّة وتطوره إلى جد أسمى يبدو نتيجة فعلية لتسيّد عصبية معينة. كما أن احتكار أزوافيط لهذا الشخص كجد أعلى تجعل العلاقة بينهم وبين وحدات المجموعة تسيطر على صعيد البنية برمتها حتى تشمل وظائفها بقية المستويات المتداخلة والمعقدة. فمثلا نسجل بأن نزوع أزوافيط الدائم إلى التوسع على حساب أراضي الجيران الساحليين لم يشمل وحدات آيت بلة التي هي آيت ياسين وآيت مسعود وأولاد بلحويلات وآيت بكو وإذا ألگان. هذا المعطى التاريخي الهام يبدو في حد ذاته كقاسم مشترك بين مختلف الفترات مثبتا الإطار الجوهري المحدد لكيان آيت بلة (م. ناعمي، *أزوافيط*، *معلمة*، 2 : 367364) ففي مجتمع يتميز بسيادة الملكية القبلية، يبدو جليا أن عوامل الدفع إلى احتكار وتقسيم الأراضي المسقية والبورية هي التي أدت إلى تطوير أساليب التوثيق المكتوب من جهة وإلى ارتكاز الكيان الأساسي المتعايش لآيت بلة من جهة أخرى. ذلك أن التقسيم الترابي يعكس البنية الاجتماعية بحيث نجد أن معالم احتلال المكان والإقامة على الأرض

تتطابق إلى مدى بعيد مع الحدود التي تجمع آيت بلة ككل متكامل موحد ومتماسك جغرافيا ومتمفصل بين باقي آيت عثمان وآيت الجمل. وبذلك ندرك أن الإقامة والدفاع عن الرقعة المشتركة من حقول وشبكات ري ومراعي وأراضي بورية يمكنها أن تتبلور في نفس الوقت مع تداخل الخطوط النسبية القرابية العريضة. فبحكم حاجات وطاقات آيت ياسين وآيت مسعود وآيت بكو وأولاد بلحويلات وإدا ألگـان يتحدد مدى التضامن والالتفاف مع آيت أحماد أعلي وأهل حايين وآيت الخنوس وآيت امحند ألحسن في إطار يصعب معه معرفة أي هذه الفصائل أكثر انتماء إلى أزوافيط. مما يزكي هذه المقولة أن تماسك الروابط القرابية ما تزال تعمل حاليا على هيئة مشجر لما يسمى هناك بأولاد بلة. كما أن اتحادية تكنة التي تقسم نفسها إلى أصليين ومنتمين ومتحالفين تصنف آيت بلة في إطار الأصليين. وهو ما لاحظته المنغرافيات الفرنسية حيث اعتبر De La Chapelle أزوافيط بمثابة ثلث الأصليين من آيت عثمان (*Les Tekna,9*). وندرك بذلك لماذا يتشبث آيت ياسين وآيت مسعود وآيت بكو وأولاد بلحويلات وإدا ألگـان بعثمان بن مندى كجد أسمى يربطهم بباقي أزوافيط. بل الأوفى من ذلك أنهم يرفضون إدماج "الأصليين" من لف آيت الجمل في نفس النسب (*Les Tekna, 11*).

وهنا لابد أن نشير إلى كون هذه المقولة في حق آيت الجمل تعتبر بغض النظر عن مدى صلاحيتها اعترافا صريحا بتراتب مجتمع يعمد إلى كشف صراعاته. فإذا كان من خصوصيات مجموعة آيت بلة بالنسبة لباقي آيت عثمان منافسة لف آيت الجمل في مراقبة المسالك التجارية، فلأنها ملزمة بحكم موقعها بأن تمثل رأس حربة لفها. وهي حقيقة تعد من أهم الأسباب الداعية إلى احتكاكها المباشر بآيت لحسن وإزرگيين القبيلتين المحوريتين في لف آيت الجمل. ولا شك أن احتكاك هاتين القبيلتين بالمجال الترحالي جعلهما تفقدان استعمال الأمازيغية بفعل تداخلهما مع القبائل المعقلية. فلم يعد غريبا والحالة هذه أن يتميز آيت احماد أعلي الفصيلة الزفاطية الأكثر تصدرا للأحداث والأكثر احتكاكا بالصحراء المعقلية، بالانتظام المبكر في سلك الناطقين بالحسانية (*انظر تراب البيضان*). من هنا تبدو خطورة التوقف عندما يدعيه آيت عثمان وعلى رأسهم آيت بلة بشأن انحطاط أصل آيت الجمل بانتمائهم إلى لف إگزولن. فهم يقولون على لسان آيت بلة بأن دخول آيت الجمل تحت حمايتهم هو الذي حال دون هؤلاء والبقاء في إطار لفهم الأصلي (*Les Tekna*, 14). غير أن نظرة متأنية تكشف عن مطالبة عدد من عائلات آيت لحسن وآيت موسى أعلي بحقها في إرث نخيل وساقية أسرير وتيغمرت إلى الآن. وإذا كانت تنقلات قبيلة آيت موسى أعلي من وإلى لف آيت بلة قد تعددت، فإن مطالبة آيت لحسن تكشف عن طردها التعسفي من ممتلكاتها كعامل حسم نهائي بين اللفين. وهي هزيمة يمكن أن نستشفها أيضا من مطالبة إزرگيين بمدشري أزريويلة وأوزرولت. فنحن على ما ينضج أمام تعبير عن إيديولوجية التمايز المجالي والسياسي بين لفين لا يعترف أضعفهما صراحة بعلاقاته المحددة مع جيرانه، وهو بالفعل ما يدعو إلى إلغاء مفهوم "الديمغرافية القبلية" التي لا تخدم إلا رؤساء القبائل والأحلاف دون غيرهم.

إن إبراز هذا الجانب التاريخي من علاقة اللفين يطرح بوضوح دور آيت بلة كإطار عام مجاور لآيت الجمل تتجسد من خلاله حدة الصراعات على تناقضاتها. فمن حيث هي كنسق مرجعي ترتبط بها مجموعات آيت عثمان كدعامة لوحدتها، تبرز مجموعة آيت بلة على صعيد الفوارق بين اللقبين لتنتظم بها المقاييس ومقومات الهوية الجماعية واستمراريتها. وتتجلى الأهمية الحقيقية لهذه المجموعة من خلال استقرارها بمداشر وعرون وزريويلة وأوزرولت ودوبيان وآيت محند وآيت بكر وتالكيست وسركس وبأمهات القرى أسرير وتيغمرت المجسدتين لبقايا نول لمطة. لاشك أن الأهمية الاستراتيجية لهذه الأراضي الفلاحية المتميزة تجعل من أهلها مراقبي أهم المواسم وما يصلها من قوافل.

من هنا وبالنظر إلى تطور هذه المجموعة ككيان مركزي متصدر لإمكانات مجالية تنهض بمهام التنسيق بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، فإنه لابد من مسائلة علاقتها بمحيطها القريب والبعيد. وسيكون أولى بنا آنذاك أن نتحدث عن أقرب الأزمات إلينا وأكثرها رسوخا في الذاكرة الشفوية والمقروءة. معلوم أن التماسك البنيوي بين لفي تكنة قد عرف خلال العشرينات بعض التفكك بفعل التغلغل الاستعماري المتزايد. وكان التعارض الانقسامي قد تجاوز مستوى الاتحادية ليشمل مجمل المحاور الشرقية في صراعها ضد الساحلية. وهكذا تبلور محور المدني الاخصاصي - آيت بلة - الرگيبات ضد محور أهل تزنيت - آيت الجمل - أولاد دليم. انطلاقا من هذا المنطق قام بعض أزوافيط خلال المكار سيدي بوعبداللي بتراب قبيلة آيت بْريين قرب تزنيت سنة 1928 بحث تجار قبيلة آيت ياسين على المشاركة في العمليات الحربية ضد آيت الجمل بحكم انتمائهم إلى آيت بلة. فما كان من التجار إلا أن طلبوا المهلة الكافية لإيصال حمولة قافلتهم إلى مقرهم بأفركط وأسرير حيث يصل عدد عائلاتهم يومها إلى أربعمائة (*Les Tekna, 97*). ولكن تصلب أزوافيط انتهى بمعركة مات فيها ثلاثة أفراد من كل طرف وفقدت آيت ياسين قافلتها المكونة من ستين جملا من المواد الغذائية والأثواب وغيرها. وبذلك تجلى النسق القبلي لآيت بلة على هيئة بنية مبتورة خاصة وأن موقف آيت ياسين أصبح يقتضي منهم التحالف مع لف آيت الجمل على أن الأهم هو رفض آيت الجمل لآيت ياسين بدعوى مقدراتها الحربية الكفيلة بصد أزوافيط. هذا المبرر الذي يُبقي على أولوية التضامن بين قبيلتي آيت بلة رغم أن ديناميات اللامساواة بين اللفين يعد في حد ذاته معطى أساسيا. فاعتبارا لرغبة لف آيت الجمل وسيدته آيت لحسن في التغلب على آيت بلة لا يمكن تفسير هذا الموقف إلا من باب استحالة التطابق مع آيت ياسين على حساب أزوافيط. هذا التفسير يمكن أن يتأكد بصورة أكبر خاصة

إذا علمنا بتوفق آيت أسا في مساعيها السلمية بين الطرفين المتنازعين. فقد فقدت آليات التعارض من بين الطرفين من مصداقيتها إذ لم تشمل وظائفها بقية المستويات الأخرى. هذا ما يمكن أن نتأكد منه إذا تمعنا جيدا في الكيفية التي انبثق عنها الخلاف. فحرمة المجال الترابي قد ظلت مقدمة لمعنى الحقوق والواجبات. وهو دليل على أن الاختلاف والتباين بين تجزئات آيت بلة لا يكتسي طابع التعارض أو تقابل المصالح الأساسية حتى في أحلك اللحظات. إن هذه التجزئات تتضمن مستويات متفاوتة، منها ما يقرب الشقة، ومنها ما يضفي على تقابلها صبغة تقاطب حاد. وإذا كانت العلاقات السلطوية تعد من مسببات التعارض، فإن البنية الانقسامية تتمكن في نهاية المطاف من استيعابها.

مصطفى ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة*، تاريخ العلاقات التجارية والسياسية، الرباط، 1988 ؛ مواد : إزرگيين، أزوافيط، آيت أسا، آيت أعزي ويهدي، أسرير بمعلمة المغرب، 21 ؛ م. سالم ولد عبد الحي، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، ت. م. مصطفى ناعمي، 1991.

M.Marty, *les Tekna du Oued Noun in Les Tribus de la Haute Mauritanie*, Publications du comité de l'Afrique Occidentale Française, 1915 ; F.C. De la Chapelle, Esquisse d'une histoire du Sahara occidentale, VIIe congrés de l'IHEM, *Hesperis*, XI, 35-96, Rabat-Paris, 1930 ; *Les Tekna* du S.O.*Marocain, étude géographique historique et sociologique*. A.F., 1934, p. 109 ; CL. Justinard, *Archives Marocaines*, vol XXIX. Paris Champion, 1933 ; v. Monteil, *Notes sur les Tekna*, IHEM, notes et documents, III, Paris, 1948, p. 59.

بَلّحَويلات (أولاد ـ) يتوسط مدشر وعرون حيث يقيم القارون من أولاد بلحويلات أهم منطقة فلاحية وتجارية بحوض وادي نون. هذه الأهمية الاستراتيجية للموقع تجعل منه نقطة مركزية لرصد المبادلات السلعية والتحركات البشرية من و إلى الصحراء من جهة ومن مراقبين مقتدرين من ذوي الكفاءة السياسية والحربية الأكيدة. يعتبر هذا المدشر أقرب ما يكون لأهم الأسواق الأسبوعية والموسمية القديمة والحديثة. وهي دلالة واضحة على كفاءة أولاد بلحويلات تأخذه مغزاها العميق خاصة إذا علمنا أن الرواية المحلية تنسبهم إلى الغور السكاني اللمطي الجزولي الأقدم. فعلاوة على الحراطين المحليين الذي تنسبهم الروايات وتربطهم كل الدلائل بأبعد الفترات القديمة، نجد أولا بلحويلات يتقاسمون هذا المدشر مع آيت حماد أعلي، أهم فصيلة من قبيلة أزوافيط.

عن هذا الجوار وارتباط أولاد بلحويلات باتحادية تكنة، فإن المتصفح لعقود جماعات آيت أربعين التي يعود بعضها إلى أزيد من قرنين، يسجل انتماءهم الدائم إلى لف آيت بلة. ونسجل كذلك بأن صيغ هذه العقود واللوائح المطولة تجعل من هذا الانتماء تحالفا قد يصل في بعض الفترات التاريخية إلى حد الاندماج الفعلي بقبيلة أزوافيط المحورية في هذا اللف. وهي حقيقة تاريخية تضع أولاد بلحويلات في خانة فصائل آيت بكو وآيت ياسين وآيت مسعود التي تنسبها الرواية المحلية إلى أقدم سكان هذا الحوض (*أحرار تكنة*). نستطيع بذلك تلمس خلفيات التحالف الموضوعي من أجل مراقبة المجال الاستراتيجي، خاصة وأن وعرون يطل على الحدود الفاصلة بين مداشر لفي آيت الجمل غربا وآيت بلة شرقا. هذه الخصوصية المميزة لورعون تجعل بنيته الداخلية أكثر عرضة للحساسيات والصراعات التي قد تحد من فعالية نظام التحالفات. وهنا لابد من الإشارة إلى أن الاسم الأسبق لوعرون هو أگاوْس الوارد في وثيقة معاهدة مملكة بوطاطا وملك وملكة قشتالة سنة 1499 / 904 (*معلمة*، 2 : 597). خلال هذه السنة كان محمد بن أحمد المنتمي إلى قبيلة أولاد عمران الهلالية هو شيخ أگاوس. وكانت تجمعه لكل من محمد ميمون شيخ مدينة تگاوست المجاورة وعلي بن أينو شيخ قصبة تسگنان رابطة النسب إلى أولاد عمران والمصاهرة، وقد كانت قصبة أگاوس تحتضن يومها مقر المقيم العام الإسباني على جزر كناريا. كان محمد بن أحمد شيخ أگاوس قد تميز عن سائر شيوخ القبيلة المنتشرين عبر سهول وهضاب أودية نون وإفران وتمنارت بمعرفته اللغة الإسبانية مضيفا بذلك إلى حجم علاقته التحالفية مع الإسبان حاميه وحاميي قبيلته. وكنا قد أشرنا في إحدى الدراسات بأن المنحنى الأسطوغرافي لهذه الوثيقة يميز شيوخ هذه القصبات الثلاث عن باقي شيوخ القبيلة بالاستقرار والمراقبة الفعلية. كما انتهينا إلى أن الاختلاف بين موقف شيوخ هذه القبيلة وباقي الغور السكاني اللمطي الجزولي من التحالف مع الإسبان كان كبيرا وجوهريا. فالبعد الدلالي يكشف من خلال الاستعراض والمقارنة بين بنود ومراحل المعاهدة عن حدة الصراع بين أولاد عامر والغور السكاني القديم. من هنا فإن هذه المرحلة المضطربة لا تخلو من انعكاسات على بلورة الصيغة اللاحقة لأولاد بلحويلات.

إننا نجهل العوامل التي ساهمت في هيكلة هذه التجزئة القبلية على صيغة "أولاد" بدل "آيت" كما نتساءل ما إذا كانت تسمية وعرون تفيد حقا اسم شخص معين كما تريد ذلك بعض الروايات. لعل أقدم وثيقة ظهرت بها هذه التسمية هي عقد شراء ممتلكات الشيخ يحيى بن احماد الوعروني من طرف أمير إليغ بودميعة سنة 1633 / 1043 (P. Pascon, *La Maison*, 22) ندرك من هنا أنه ليس من السهل الإحاطة بتاريخ أولاد بلحويلات نظرا للقطيعات المحيطة به. ولما لم يكن لنا من مصادر تاريخية نعتمدها، فإننا نظل ملزمين بالاكتفاء بما يمكن أن تفضي به الرواية الشفوية. وهنا نلاحظ أن ذاكرة أولاد بلحويلات تكتفي بالتأكيد على أن عدم تدوين الأحداث إنما فرضته ندرة الاختلافات مع باقي فصائل القبيلة. وهو استنتاج يزيد من فعاليته الحضور البين لهذه الفصيلة على الواجهة السياسية والعسكرية من حيث هم كنموذج للوحدات الإثنية الجزولية اللمطية المتشبثة بمجالها القروي منذ ما قبل تشكل اتحادية تكنة. لقد كان سيد أولاد بلحويلات خلال الفترة الحاسمة التي عرفت

طرد آخر الوحدات المعقلية من وادي نون والساقية الحمراء هو نفسه ولد مريزيكَ الذي تزعم كل العمليات الحربية التكنية. وقد جاء طرد فصيلتي امْعَرّفْ وأسْنان في المعركة الفاصلة في الموقع حاليا بميگسم ولد مرزيكَ. هاتان الفصيلتان كانتا تنتميان إلى اتحادية أولاد دليم التي كانت تشمل علاوة على الدليميين الحاليين أولاد سالم وأولاد المولات.

من هنا يتضح أن الاستنفاع بتراكمات التجربة المحلية يخضع أساسا لإدماج أولاد بلحويلات في باقي الفصائل الزفاطية. فأولاد بلحويلات قد شكلوا دائما كيانا مرتبطا بالسياق العام للعلاقات الاجتماعية للقبيلة كما تشير إلى ذلك أقدم وأحدث الوثائق على حد سواء. وهي حقيقة لا يمكننا أن ننتقل على ضوئها بالقرابة بين أولاد بلحويلات وقبيلتهم من مجرد إطار عام للعلاقات الاجتماعية التحالفية بل إلى اعتبارها بنية محددة لمجموع قبيلة أزوافيط. ذلك أن العلاقات القرابية تعد مهيمنة على صعيد بنية قبلية برمتها تشمل وظائفها بقية المستويات الأخرى مقننة الفاعليات السياسية وغيرها. وهو ما سيسجله الضابط الفرنسي P. Marty سنة 1914 حين نسب فصيلة أولاد بلحويلات إلى قبيلة أزوافيط محددا عدد عائلاتها في 100 وحدة (*Les Tribus*, 68). إلا أن خلافا نجهل اليوم دقائقه حدث بعد ذلك بسنوات بين أولاد بلحويلات وآيت بليد انتهى بتعميق هوة الخلاف بينهما. وإذا كانت الأساليب التي اعتمدها أزوافيط في التقريب بين المتصارعين لم تأت بنتيجة، فإنهم يعتبرون آيت بليد الطرف المسؤول عن هذا النزاع الذي أضر بمصالح القبيلة. أما فيما يتعلق بمنظور الضباط الفرنسيين لهذا الخلاف فنجده سنة 1934 على لسان F.C. De la Chapelle حين يقول بأن خلافا كبيرا قد عصف خلال العشرينات بانتماء أولاد بلحويلات إلى لفّ آيت بلة (*Les Tekna*, 93). وهو ما سيؤكده V.Monteil سنة 1948 مسجلا اقتراب أولاد بلحويلات من قبيلة آيت لحسن (*Les Tekna*, 10-11-14) على أن مميزات أولاد بلحويلات منذ اشتعال الخلاف مع فصائل آيتا حماد أعلي الزفاطيين اقتصرت على التأرجح بين اللفين في إطار لا يسمح بالتشكيك الفعلي في انتمائها أساسا إلى لف آيت بلة. وهنا لا بد أن نسجل بأن التعارض بين فصائل القبيلة الواحدة لا يكون دائما مصدره مشاكل وصراعات جوهرية حول قضايا استراتيجية بل كثيرا ما يكون فقط نتيجة نزاع محدود بين شخصين لأسباب واهية. وإذا نحن ركزنا على تطور العلاقات الاندماجية بين أولاد بلحويلات وغيرهم من أزوافيط لم نعثر على أي انعكاس واضح للصراع الذي وقع خلال العشرينات. فعلى غرار آبائهم نجد أجيال ما بعد العشرينات توظف سعيها إلى تحديد وتثبيت البنية القرابية والفلاحية والاقتصادية على ما كانت عليه. أما فيما عدا ذلك فإن توجه أولاد بلحويلات إلى الانشطاريزول بمجرد ما يتم التركيز على الطبيعة الانقسامية لفصائل قبيلة أزوافيط.

إن الأساليب التي يعتمدها أولاد بلحويلات في تحصيل معاشهم تعتمد على نفس المقاييس التي تعتمدها باقي الفصائل الزفاطية بالمقارنة مع لف آيت الجمل مثلا. لقد أوضع De La Chapelle بأن ثلثي مدشر وعرون يدخل خلال الثلاثينات تحت مراقبتهم الفعلية المباشرة. وأن نصفهم ينتجع ما بين وادي نون والقعدة. كما أكد على أن طابعهم الحربي لم يزد إلا تطورا مما جعلهم يدخلون تحت حمايتهم بعض وحدات أهل الشيخ من قبيلة الركَيبات. أما الهجرة إلى الموانئ المحيطية فقد قلصت حجمهم الديمغرافي إلى حد كبير. نجد أنفسنا بذلك أمام وضعية مطابقة لما كانت عليه فصائل أزوافيط المتبقية آنذاك. فتوطينها لأواصرها القرابية والتحالفية نجد الطرفين يختطفان نفس الأسلوب في مواجهة هذا الظرف العصيب. هل معنى ذلك أن الروابط التي تشد الجماعات إلى أرضها أقوى وأمتن من الروابط التي تشدها إلى بعضها البعض. إن الصورة التي تحتفظ بها ذاكرة أزوافيط لشيخي أولاد بلحويلات إبراهيم ولد امبيركات والصديق ولد بوشلـگـة تؤكد إلى أي مدى لم يكن التعايش في نطاق القبيلة يكتسي صبغة تضامن ميكانيكي. كما أن السمات التي ما تزال تطبع المقولات المحلية على اختلافها هي من صميم البنية الاجتماعية الممتدة في التاريخ. وقد ساعدت التطورات المجتمعية خلال الستينات على احتواء الحساسيات القبلية القديمة. فقد تميز المهاجرون من أبناء هذه الفصائل بارتباطهم التام بسيرورة مجتمعهم.

ويعتبر المعطى الأسلسي لأولاد بلحويلات الحاليين في المعركة التي يخوضونها من أجل الاحتفاظ بسماتهم الرئيسية هو الارتباط بالأرض. فالبنية الاجتماعية تبرز كل ما يحدق بهم من خطر خارجي متجاوزين نزاعاتهم. وهنا لا بد من أن نشيد بالدور الطلائعي الذي يلعبه السيد محمد مولود ولد السالك الحبيشي الذي تميز بما يتميز به الخواص من ذور النظرة البعيدة المدى.

مصطفى ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة* ؛ أگاوس، *معلمة المغرب*، ج 2.

F.Marty, *Les Tribus de la Haute Mauritanie* ; F.C. De La Chapelle, *Les Tekna du Sud Ouest Marocain* ; Vincent Monteil, *Les Tekna du Sud Marocain* ; P. Pascon, *La Maison d'Iligh*.

بُلَيد (آيت -)، تقول هذه التجزئة بانتمائها إلى فصيلة آيتا حماد أعلي من قبيلة أزوافيط التكنية (أزوافيط، *معلمة*) على أن اختلاف آيت حماد أعلي حول تحديد أنسابهم يحد من صلاحية هذه المقولة. ولعل أهل المهدي بقرية أسرير حيث موقع نول لمطة عاصمة المرابطين خلال القرن الخامس (11م) هم أقدم آيت بليد وألزمهم رسوخا بالمنطقة. على أن التاريخ الفعلي لآيت بُليد يعد محط كثير من التساؤلات الكفيلة حقا باستنطاق سيرورة مداشر تغمرت وأسرير وازريويلة. فما معنى أن يعتبر آيت بُـليد بعض وحداتهم دخيلة كأهل لحمير مثلا بينما يحتفظ هؤلاء بمنزلهم بتمسوفت تغمرت الموغلة في القدم وببساتين ونخيل يثبت إلى حد كبير انتماءهم القديم إلى

عين المكان ؟ وما معنى أن يرتبط جل آيت بليد بقرية أزريويلة التي لم يغادرها أصحابها من قبيلة إزرگيين إلا منذ ثلاثة قرون ونصف ؟

ويتميز هذا المدشر بمجاوبته لمرس هام يحتوي على مجموعة من المطامير التي تحد بها رعاية آيت إعزى ويهْدَى ذوي السلطة الروحية المتميزة بمجمل الأطلس الصغير وباني والساقية الحمراء. فالرواية الشفوية تُسبغُ على هذا المرس من الأوصاف ما يجعله محط احترام جميع المحتالين وتقديسهم (آيت إعزي ويهدّى، *معلمة*) وتضيف الرواية المحلية بأن قريتي بليد وازريويلة كانتا محايدتين لا تدخلان في الصراع القبلي بين لفي آيت الجمل وآيت عثمان التاكنيين. كما أن التجار اليهود كانوا يضمنون أهل القريتين في عملياتهم التجارية.

نتساءل من هنا عن موقع آيت بُليد من هذه الوضعية خاصة وأن طبائعهم الاجتماعية لا توحي بأية تقاليد تجارية تزكي وجودهم قرب مرس البيص بزريويلة. فمن يكون آيت بُليد وما علاقتهم التاريخية باحماد أعلي وما دورهم في بلورة القبيلة ؟ وإلى أي مدى يمكن تتبع مراحل تطورهم من خلال جرد لأنسابهم ومقارنتها من خلال تداخل العلاقات الزفاطية الأخرى ؟ تلك مجموعة من التساؤلات قد تسمح إذا ما هي نالت ما تستحقه من العناية بالوصول إلى أجوبة شافية. نكتفي هنا بالإشارة إلى سياسة فرنسا القاضية بالمحافظة للأعيان على مهامهم وأدوارهم التقليدية، وقد أدت بعد سنة 1934 إلى تعيين سيدينا ولد علي ولد عمار كشيخ لآيت بُليد. وقد تميز بمظهره الأنيق وشخصيته القوية خاصة عن أقرب المقربين إليه. على أن آيت بُليد قد عرفوا خلال نفس الفترة من الأعيان كعبد الحي وأخيه عبد الودود ولد عبد الله ما يجعل منهم فصيلة من أجدر الفصائل بالانتماء إلى قبيلة أزوافيط واتحادية تكنة.

مصطفى ناعمي

بمگوت (آيت -)، فصيلة من الرحل ذوي النجعات المحدودة تنتمي إلى قبيلة آيت لحسن من لف آيت الجمل التكني. هذه الفصيلة تحرص على إبراز مميزات المشترك الترحالي الرعوي وتقاسم نفس المواصفات مع قبيلتها ولفها. ترتاد عادة تيدرگيت ومشبوك مرورا ببوادي درعة والساقية الحمراء. وتتجاوز في تتبعها للمرعى هذه المنطقة واصلة إلى زمور وتيرس حيث كان يوجد خلال العشرينات مَحمد الدليمي كبير آيت بوگزّاتن من نفس القبيلة (انظر آيت بلة). ومن المعروف أن احتكاك قبيلة آيت لحسن بالمجال الترحالي حيث تسيطر القيم اللغوية الحسانية قد أفقدها استعمال اللغة الأمازيغية (انظر تراب البيضان). كما أن المشتركات الزراعية لهذه القبيلة تجعل من أراضيها البورية أراضي جموع تستغل حسب عادات وأعراف متوارثة منذ قرنين ونصف (انظر أزوافيط).

أما التنظيم الحربي والاجتماعي لدى فصائل آيت لحسن واستمراره عبر الزمن فتؤكده حماية آيت بمگوت لفصيلتي السواعد وأولاد الطالب الرگيبيين. حتى الثلاثينات من هذا القرن. خلال هذه الفترة كان كبير آيت بمگوت هو الشيخ علي ولد أحمد حسب ما أورده نفس المصدر وما تعززه الرواية الشفوية.

م. سالم ولد عبد الحي، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، تحقيق، مصطفى ناعمي، 1991.

P. Marty, Les Tekna du Oued Noun in *Les Tribus de la Haute Mauritanie*, Publ. Du Comité de l'Afrique Occidentale Française, 1915 ; F. C. De La Chapelle, Esquisse d'une histoire du Sahara occidental, Etudes, notes et documents sur le Sahara occidental, VIIe Congrès de l'HEM, *Hesp., XI, 35-96*, Rabat-Paris, 1930 ; *Les Tekna du S.O. Marocain, Etude géographique, historique et sociologique, A. F.*, 1934, 9. 109 ; V. Monteil, *Notes sur les Tekna*, IHEM, Notes et documents, III, 1948, p. 59, Paris.

مصطفى ناعمي

بوجدور، يمثل رأس بُوجْدُور بين رأس جوبي (طرفاية) شمالا وشبه جزيرة الداخلة جنوبا، أكثر نقط ساحل الصحراء المغربية تقدما داخل المحيط الأطلنتي، ومن تم أتت أهميته كمعلم رئيسي يهتدي به البحارة والصيادون منذ القديم، على طول هذا الساحل القفر.

وقد حفل النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19م) بمحاولات متكررة وعمليات شتى ذات طابع استكشافي أو تجاري، وأحيانا عسكري، قامت بها بعض الدول الأوربية، بصفة رسمية أو عبر مبادرات خاصة، تهدف إلى السيطرة على ساحل الصحراي المغربية. وكان رأس بوجدور وما حوله، من بين الأماكن الأولى التي شهدت عمليات النزول الأوربي. بحكم وجودها بالجزر الخالدات، فرضت إسبانيا نفسها كأنشط قوة في المنطقة، بحيث استدرجت الدول الأخرى (خاصة منها فرنسا وبريطانيا وألمانيا)، في خضم المساومات الجارية آنذاك بينها لاقتسام العالم، إلى الاعتراف لها بحقوق خاصة هنا. ففي عام 1884، صدر قرار عن الحكومة الإسبانية يقضي بوضع كل الأراضي الممتدة بين وادي نون والرأس الأبيض (حيث توجد الگويرة ونواديبو حاليا) تحت نفوذ إسبانيا ومراقبتها. وبعد ثلاث سنوات صدر مرسوم عن ملك إسبانيا ألحـق بموجبه هذا الساحل، وعلى عمق 150 ميل، بالسلطات الإسبانية المستقرة بالجزر الخالدات.

غير أن الوجود الإسباني لم يبتعد كثيرا عن الساحل والأراضي الخلفية المباشرة له. فالسيطرة على الجهات الداخلية لم تتم بالفعل إلا في نهاية الثلاثينات من القرن العشرين. وعلى عكس مقاطعتي الساقية الحمراء شمالا ووادي الذهب جنوبا، حيث أدى الاحتلال الإسباني إلى ظهور بعض أشكال الاستقرار والتعمير والاستغلال الاقتصادي العصري، خاصة خلال الستينات وبداية

السبعينات، فإن منطقة بوجدور الواقعة في الوسط، لم تحظ بأي اهتمام يذكر.

وقد فرض استرجاع المغرب لصحرائه سنة 1975 العمل على النهوض بها لا سيما وأن بها امكانيات وموارد طبيعية لايستهان بها. ومن أجل إبراز خصوصيات المنطقة والمساعدة على تنميتها، أنشئ هنا إقليم إداري قائم بذاته، مقره مركز بوجدور.

يقع إقليم بوجدور بين خطي العرض الشماليين 26د و27د ونصف، وخطي الطول الغربيين 12د و 15د، يحده المحيط الأطلنتي غربا، وموريطانيا شرقا، وإقليما العيون وسمارة شمالا وإقليم وادي الذهب جنوبا. وبذلك تبلغ مساحته نحو 40.000 كلم^2، أي 15% من مجموع الصحراء المسترجعة.

يتألف الإقليم من ثلاث وحدات تضاريسية كبرى، تنتظم بصفة موازية مع ساحل المحيط. فعلى طول هذا الأخير، يمتد سهل منخفض، يظل سطحه دون 200م، يغلب عليه منظر الانبساط، مع انتشار الكثبان الرملية وبروز نتوءات صخرية منعزلة، كما تتعدد، من جهة الداخل، أحواض صغيرة دائرية الشكل، يغطي قعرها المستوي طبقة رقيقة من التربة الرملية والطينية تدعى "بالگرارات" لها أهمية فلاحية كبيرة. وتنفتح أحيانا منخفضات واسعة، تغمرها مياه السيل فتتحول إلى سباخ بفعل التبخر وتوضُّع الأملاح. أما الساحل فإنه يتخذ شكلا مستقيما وينتهي بأجراف صخرية قائمة، كما تتخلله منخفضات طولية، محصورة بأشرطة رملية تتسرب إلى داخلها مياه البحر.أما الوحدة التضاريسية الثانية، فهي هضبة واسعة، عبارة عن حمادة مكونة من طبقات كلسية سميكة، وهي التي تحتوي على مذخرات الفسفاط في منطقة بوكراع شمالا (إقليم العيون). وأخيرا، في جهة الشرق، تنتصب كتلة زمور ذات الصخور القديمة والسطح المتموج على شكل تلال ومتون يصل ارتفاعها إلى 650-700م.

رغم كون المناخ صحراويا في مجموع الأقاليم، فإنه يسجل اختلافات جهوية محسوسة تبعا للبعد أو القرب من البحر. فالجهات الساحلية تتميز بهبوب رياح بحرية خفيفة عادة، لكنها تشتد أحيانا لتنتج عنها عواصف رملية عنيفة. وغالبا ما تكون السماء غائمة هنا، خاصة في الصباح، مع تكرار حالات الضباب، مما يقلل من قوة التبخر. ونظرا لرطوبة الجو العالية (80 إلى 90 %)، فإن تساقط الندى يحدث في المعدل بين 25 و 30 ليلة في السنة، الشيء الذي يعوض نسبيا ضعف الأمطار التي لاتزيد عن 50 إلى 60 مم في العام. أما الحرارة، فتبقى معتدلة مع فوارق بسيطة طيلة السنة. ففي بوجدور يتراوح المعدل الشهري بين 18د في فبراير وماي، و22 درجة في غشت، بينما يصل معدل الحرارة السنوية العليا 29د ومعدل الحرارة الدنيا 13د.

وعلى بعد 20 إلى 40 كلم من الساحل، حسب الجهات، تتناقص بسرعة مؤثرات البحر الملطفة لتتلاشى تماما في الداخل، حيث يكون أديـــم السماء صافيا وتنـزل نسبة رطوبة الجو إلى أدنى من 30 % مما يزيد من معدل الإشماس (3.000 ساعة في السنة مقابل 2.500 ببوجدور)، وتتعمق الفوارق الحرارية اليومية والسنوية. وتتقلص كميات الأمطار فوق الحمادة إلى ميلمترات معدودات تسقط بضع مرات في السنة على شكل وابل عنيف ومركز، لتزيد من جديد في هضبة زمور بسبب الارتفاع.

وبحكم سيادة الجفاف طيلة السنة، وكذا هبوب الرياح الصحراوية (إرفي)، فإن الغطاء النباتي هزيل جدا على العموم، إلا في موقعين : في الجهات الساحلية حيث يساعد تهاطل بعض الأمطار وأكثر من ذلك، وفرة الندى، على نمو أعشاب ونباتات شوكية مختلفة، خاصة في الگرارات والأحواض ثم في كَلتة زمور التي تعرف أوديتها تكاثف النباتات العشبية مع بعض الأشجار مما يعطي منظرا يحاكي منظر منطقة الساحل السوداني.

إلى جانب العشب، يمثل الماء العنصر الأساسي لحياة الأنعام والسكان. فإذا كانت كل الأودية جافة، لا يجرى بها الماء مؤقتا إلا إثر تهاطل وابل من المطر، فإن المهمة منها تحتفظ ببعض الجريان الباطني لمدة أطول. وتنبعث جل الأودية من مرتفعات زمور (واد الخط، الساقية الحمراء) والتي تتوفر أيضا على أهم تجمع مائي سطحي دائم (الگـلتة)، وقد مثلت دائما نقطة رئيسية في تحركات القوافل التجارية والرحل. كما أن هناك سُدُماً جوفية متفاوتة العمق والقيمة، ماؤها عذب أحيانا وأُجاج أحيانا أخرى، تغذي عدة آبار، خاصة بالمناطق الساحلية التي تحمل بالفعل إسم "الحسيان" (ج حاس = بئر).

إن هذه الظروف الطبيعية العسيرة، السائدة بالصحراء الغربية عموما، لاتشجع على استقرار السكان وازدهار العمران. لذا فإن الحياة البشرية هنا ظلت تعتمد على الرعي والترحال، مستغلة الموارد المائية والنباتية المحدودة، المتقطعة في الزمان والمتفرقة على مجال جد فسيح. فهذا الإقليم يدخل ضمن مناطق تنقل قبائل الرگيبات التي دأبت منذ قرون على التحرك مع قطعان الإبل التي تمدها باللبن (عماد التغذية اليومية، مع الشاي والتامر والشعير) وتسمح لها بالمتاجرة عبر كل المجال الممتد من وادي درعة شمالا إلى نهر السنغال جنوبا، ومن المحيط غربا إلى تندوف وأطار في الداخل.

إلى جانب الرگيبات الواسعة الانتشار، نجد بناحية بوجدور قبائل أولاد تيدْرَارين، وبناحية زمور قبائل أولاد دليم، التي كانت تشتغل هي الأخرى بالتجارة وتربية الإبل، إلى جانب تربية الأغنام والماعز نظرا للوفرة النسبية في الماء والكلإ التي تميز هاتين المنطقتين، إضافة إلى ممارسة زراعة الشعير في الگرارات والأحواض والأودية.

ولم يقلل الوجود الإسباني، المنحصر في بعض الثكنات العسكرية والمراكز الواقعة على الساحل أساسا، من أهمية تحرك هذه القبائل. فظلت بوجدور في الغرب، وكَلتة زمور في الشرق من بين أهم المحطات الوسعة على طرق القوافل. إلا أن الحرب التي اندلعت في أعقاب

استرجاع الصحراء من طرف المغرب واستمرت طويلا، قد وضعت حدا لحياة الترحال مرغمة السكان على الاستقرار بالمراكز والمدن.

وقد سمح البناء التدريجي للجدران الأمنية بإعادة الاستقرار إلى المنطقة، ومن ثم باستئناف حياة الرعي، بأشكال جديدة، وبتطوير الفلاحة وبنمو العمران وازدهارالصيد البحري. فعدد السكان لم يكن يزيد عن أربعة أو خمسة آلاف نسمة قبيل استرجاع الصحراء، ارتفع إلى نحو 8.500 حسب إحصاء 1982، ليناهز 14.000 في 1990. مع ذلك يبقى إقليم بوجدور أقل الأقاليم الصحراوية المغربية تعميرا أو تمدينا، إذ أن متوسط الكثافة السكانية العامة يقل عن 4 أشخاص في كل 10 كل2 ويعيش جل هؤلاء السكان في مركزين هما گلتة زمور وبوجدور.

فالأول، الواقع قرب الحدود الموريطانية، كان يضم نحو 2.500 نسمة في سنة 1974. إلا أن ظروف الحرب جعلت غالبية السكان يلتجئون إلى المناطق الشمالية والغربية الآمنة، فلم يُحصَ بالمركز إلا 625 نسمة في سنة 1982. أما بوجدور، فلم يكن به أكثر من 590 نسمة سنة 1974، لكن عودته إلى التراب الوطني وترقيته إلى عاصمة إقليم جديد وتدعيمه بالعديد من المنشآت الأساسية والمرافق العمومية كانت عوامل أدت إلى توافد السكان إليه، فارتفع عددهم إلى 3.600 سنة 1982.

تقع مدينة بوجدور على بعد 170 كلم إلى الجنوب الغربي من العيون، وقد نمت أصلا انطلاقا من منارة للملاحة أقامها الإسبان سنة 1953 على ساحل الرأس الذي تحمل إسمه، نشأت بجانبها ثكنة عسكرية وبعض البنايات الخفيفة. وغداة الرجوع إلى المغرب، انطلقت عدة أعمال عمرانية هامة : بناء محطة لتحلية ماء البحر (1976)، إقامة مولدين كهربائيين يعملان بالديزل، توسيع وتجديد شبكتي الماء والكهرباء، مد قنوات التطهير والطرقات، فتح عدة أوراش للبناء، توزيع قطع أرضية على الأسر، استقرار المصالح الإدارية الإقليمية، تشييد المسجد الكبير ومدارس وإعدادية ومركز للتكوين المهني ومستشفى بطاقة 30 سريرا (1987)، الخ...

كما أدى النمو السريع للسكان إلى استغلال المياه الجرفية الواقعة في ضواحي المدينة التي تنتظم حاليا حول نواة مركزية بها المنشآت الإدارية والعمومية، وتتوسع تدريجيا نحو البحر، أي في اتجاه الميناء الذي يمثل القلب الاقتصادي للإقليم. ذلك أن ميناء بوجدور هو الوحيد الذي يوجد بين ميناء العيـون والداخلة على ساحل مديد تزخر مياهه بواحدة من أكبر الثروات السمكية في العالم. فمرور تيار بحري بارد (تيار الخالدات) بصفة موازية مع الساحـل ينشئ هنـا أحسن الظروف لوفـرة العلق وبالتالي لتكاثر مختلف أنواع الأسماك والقشريات. وقـد دأبت جماعات من الأهالي (خاصة منهم إمراگن والشّناگلـة)، منذ قديم، على ممارسة أشكال بدائية من الصيد قرب الشاطئ، بدون قوارب، مستعملين شباكا بسيطة يعترضون بواسطتها سبيل أسراب السمك المتنقل.

وقد عمل المكتب الوطني للصيد البحري على تشجيع الصيادين المحليين وذلك بمنحهم مساعدات مادية وتقنية تمكنهم من الحصول على قوارب جيدة وتزويدها بالمحركات حتى يستطيعوا الابتعاد عن الساحل وتحسين مردودية نشاطهم. كما دفع بالصيادي إلى أن ينظموا أنفسهم في تعاونية تساعدهم على شراء حاجاتهم وتسويق إنتاجهم في ظروف تضمن لهم مستوى عيش أفضل. ومن جهة أخرى، شُيّد حاجز يقي القوارب من الأمواج وجُهّز الميناء الجديد ببعض المرافق الضرورية للعمل. وهكذا أصبح الصيد وما يتفرع عنه من أنشطة التجارة والنقل والخدمات، أهم قطاع لتشغيل سكان المدينة التي يدنو عددهم من 10.000 نسمة سنة 1990.

أثر هذا النشاط بعمق في حياة السكان المحليين، إذ أن السمك غدا عنصرا أساسيا في تغذيتهم، والإنتاج الأساسي للتسويق الداخلي والتصدير، علاوة على أن الصحراويين، الذين طالما أداروا ظهرهم للبحر في الماضي، أصبحوا يرتبطون بهذا الأخير ارتباطا شديدا. ويمكن أن يزيد تأثير البحر ومنتجاته على اقتصاد المدينة والإقليم إذا ما توفرت الظروف الهائلة القريبة التي تظل هبة تتهافت عليه الأساطيل الأجنبية الوافدة من كل أنحاء العالم، والمجهزة بأحدث وسائل وتقنيات الصيد والتبريد والتصنيع المتطورة.

وأمام تزايد سكان المدينة وتوسع وتنوع سوقها الاستهلاكية، وقع الاهتمام بالزراعة الصحراوية، فاستصلحت عدة گرارات وأحواض قريبة من بوجدور، على مساحة إجمالية تناهز 10.000 هكتار، يُحرث جزء منها بالجرار ويُزرع بها الشعير. كما خصصت بعض المساحة المسقية بالمدينة لإنتاج الخضراوات . وأنشئت وحدات لتربية الماشية، وجلبت أعداد من الإبل للاستفادة من المراعي المحلية... كذلك يسعى المسؤولون إلى تنمية السياحة الصحراوية المعتمدة على القنص نظرا لتنوع الوحيش بالمنطقة. وأخيرا يدعم دور بوجدور كمرحلة عبور أساسية بين العيون والداخلة اللتين تربطهما طريق رئيسية.

تحريات ميدانية.

عبد اللطيف فضل الله

بوجدور (معركة -) وقعت يوم 27 نونبر سنة 1957 عندما هاجمت جماعة من فرق جيش التحرير مكونة من خمسة عشر جنديا بقيادة الحسين بن عمر المركز الإسباني في مدينة بوجدور على الساعة التاسعة ليلا وعلى حين غفلة من أهله. وخلال هذا الهجوم المباغت انضمت إلى الفرق المهاجمة مجموعات من الجنود الصحراويين العاملين بالجيش الإسباني وانتهت المعركة بتقهقر العدو بعد ساعتين ونصف من المواجهة وغنم المقاومون غنائم كثيرة ومتنوعة منها :

- جهازان للأخذ والإرسال ومذياعان.
- مسدســان : واحـد من نـوع 9 ملم والآخـر من نوع ألمانـــي.

- ستة عشر بندقية من بينها اثنان من نوع "انشاكو" والباقي خماسيات من نوع إسباني.
- خمسة آلاف وأربعمائة قذيفة من مختلف الأنواع.
- سيارة شحـن واحـدة من انتير جديدة. بالإضافة إلى هذا فقد تمكن المقاومـون من أسر سبعــة أروبيين من بينهم امرأتان ولم يتكبدوا أيــة خسارة لا في الأرواح ولا في العتـاد.

الحاج صالح بنعسو، *أضواء على كفاح المقاطعة التاسعة لجيش التحرير بالصحراء المغربية 1956 / 1960*، المطبعة الوطنية، مراكش، يوليوز، 1987.

ماء العينين النعمة علي

بوحجر (أهل -) يعرفون كذلك بأهل سيدي سالم عند قبيلة اعريب والقبائل الأخرى نسبة إلى جدهم سيد سالم الذي يوجد ضريحه في تابلبالت.

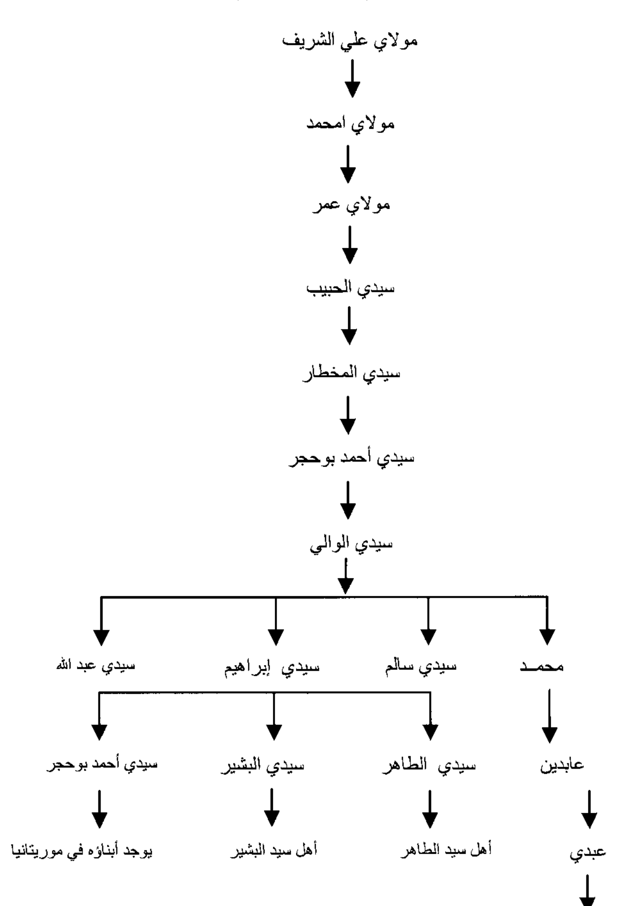
ينتمي نسبهم إلى المولى علي الشريف العلوي وهو كما وقفنا على ذلك عندهم سيدي سالم بن سيدي الوالي بن سيدي أحمد بوحجر بن سيدي المختار بن سيدي الحبيب بن مولاي عمر بن مولاي امحمد بن مولاي علي الشريف.

وسيدي أحمد بوحجر هو الذي اكتسبت منه هذه الأسرة تسمية آل بوحجر وسبب هذه التسمية كما يروونه، أنه حدث ذات يوم أن أراد مجموعة من الناس حفر بئر فاعترضتهم صخرة كبيرة حالت دون إتمام حفرها فأمره شيخه الذي كان عنده على سبيل السلوك الصوفي بأن يحفرها هو فطلب منه أن يأمرهم بالابتعاد عن البئر، فأخذ مجموعة من الحجارة الصغيرة على الأرجح سبعة جمرات، فقال باسم الله فألقى بها في البئر فأنجزت ينابيعه بالماء الزلال فسمي منذ ذلك الحين بوحجر.

وقد عرفوا بالعلم والصلاح والولاية يتعلمون العلم ويعلمونه يتوارثونه بينهم ويعلمونه غيرهم، أخذ معظمهم عن علماء أجلاء مبرزين. فقد أخذ جدهم سيدي الولي عن الشيخ سيدي المختار الكنتي شيخ الطريقة القادرية في عصره، تتلمذ على يديه وأخذ عنه الورد القادري الكنتي فصاروا كلهم على الطريقة القادرية البكائية الكنتية يتوارثون وردها ويمنحونه غيرهم.

وبحكم طبيعة العيش في الصحراء والذي يطغى عليه طابع الترحال والتجوال وتتبع مناطق الكلأ والانتجاع، فقد جابوا مناطق شاسعة من تيندوف مرورا بتابلبالت التي يوجد فيها ضريح جدهم المعروف بعلمه وورعه وصلاحه سيدي سالم ثم انتقلوا بعد ذلك إلى منطقة يقال لها الحمراء في وادي الدورة الموجودة في الحدود الشرقية الجزائرية المغربية، حيث يوجد لهم هناك بقايا عمارة أقاموها فقد شيدوا قصرا هناك وغرسوا أشجار النخيل بعدما ابتدعوا فيها بئرا وأجروا منه ساقية، فقد دأبوا على عادة غيرهم من أبناء الزوايا في الصحراء الذين عرفوا بحفر الآبار وغرس الأشجار وتسيير القوافل إلى جانب العلم والولاية، واشتروا هذه الأرض من عند قبيلة آيت خباش في أول الأمر من أجل الانتجاع والرعي، فكانت تلك هي حياتهم هم وغيرهم من قبائل الصحراء. وانتهى بهم المطاف إلى قبيلة اعريب فأصبحوا معهم فخالطوهم وسكنوا في مساكنهم وهم جزء منهم يحظون عندهم باحترام كبير وقدر من الإجلال والتقدير، وعند غيرهم كذلك. فكلما سألت أحدهم عن هذه الأسرة إلا وقال لك إنهم أهل صلاح وعلم. ويوجد منهم عدد كثير في موريتانيا وهم على نفس النهج إلى الآن.

عرف منهم علماء أجلاء امتازوا بالتقوى والعلم أمثال سيدي سالم وسيد الطاهر وسيد البشير والطالب عمر الذي كان لا يفتر عن تلاوة القرآن وغيرهم من أبناء هذه الأسرة التي اشتهرت بالعلم والولاية. ولم نقف على أية مؤلفات ولا منسوخات لأفراد هذه العائلة، وقد أقروا لنا أنه كان لديهم من الكتب ما لا يقوى على حمله إلا الإبل ولكنه ضاع. وذلك راجع طبعا إلى حالة اللاستقرار التي تعرفها حياة أغلب الأسر التي تعيش في الصحراء وتسلك سبيل الانتجاع والرعي بطغيان سمة الترحال عليها ومشجر نسب الأسرة كما استخلصناه من عند أفرادها ومن غيرهم ممن قابلناهم هو :



تحريات ميدانية.

أحمد شيخي

البوحسني، بن أبو **محمد** : هو العالم اللغوي الكبير والشاعر الأديب الشهير محمد بن أحمد بن محمدن بن محم الملقب "آبوا" بن أحمد بن الفالي بن محم بن المختار الملقب "اختيرة".

ولد سنة 1299 / 1880 وقرأ القرآن الكريم وبعض النصوص النحوية على والده آبو ثم ذهب إلى محظرة أهل الغاظي بن الحبيب الإجيجبي ودرس فيها بعض النصوص الفقهية ثم رحل إلى الشيخ ماء العينين وأخذ عنه جميع العلوم التي كانت رائجة في عصره وهي الفقه والأصول والحديث والتفسير والبلاغة والعروض والفلك وبعض أوراد الطرق الصوفية ومنها ورد الطريقة القادرية، وقد أشاد الشيخ ماء العينين بنبوغه وذكائه وعلمه وأجازه إجازة تامة في جميع العلوم التي درسها عليه لاسيما اللغة العربية التي كان رأسا في معرفتها "خبيرا بغوامضها وشواردها وله اليد الطولى في معرفة مفرداتها كأنه معجم من معاجمها". وكان أيضا شاعرا فحلا مفلقا مجيدا وكان الشيخ ماء العينين يستحسن شعره ويقول : "إنما هو من شعراء العرب الأول جزالة وحسن سبك". وسبب مجيئه للشيخ ماء العينين كما أخبر بذلك الشيخ النعمة هو أنه كان "وهو صبي يسمع في كل ناد من الحواضر والبوادي من يتحدث بأخباره ولا يدري من هو فتاقت نفسه من أول نشأته إلى الانتظام في سلك زمرته وعزم على المجيء إليه وصار يبحث حتى وجد من دله عليه فسـار من عند أهلـه طلبا للعلم ولم يرض بإلقـاء الرسن لأحد حتى قـدم على الشيخ حسن بن الشيخ ماء العينين فحثه بعض مريديه على بيعته فأتى الشيخ حسن وأخبره أنه يريد بيعة الشيخ ماء العينين فاستحسن ذلك منه غاية ودعا له وسافر معه إلى حضرة الشيخ ماء العينين فأناخ بها مطيته ووجد بها طيته فانصدع ولله الحمد صبح ليله بالنجاح وهبت عليه نواسم الفلاح وظهرت عليه مخائل الصلاح بما خامر قلبه من المعارف بالغدو والرواح"، وقد مكث خمس سنين يدرس في زاويته اللغة والنحو ويستنسخ الكتب ويقابلها، ولما عزم الشيخ ماء العينين على الرحيل من مدينة تيزنيت رافقه وظل معه لا يفارقه. وبعد وفاته سنة 1910 انخرط مع ابنيه الشيخ أحمد الهيبة والشيخ مربيه ربه في سلك الجهاد والمقاومة وخاض معهما معارك ضد المستعمر الفرنسي من أشهرها معركة سيدي بوعثمان وكان يحفـزهما ويشيد ببطولاتهما في شعره، كما كان يتنقل بين سوس والصحراء وباقـي مناطق المغرب يدعو أبناء الوطن إلى الوحدة والتكتـل والتآزر لمواجهـة الاحتلال الفرنسي من أجل استقلال المغرب، ونظم في ذلك أشعارا حماسية كثيرة ومتنوعة.

في سنة 1956 وبعد ظهور جيش التحرير في الأقاليم الجنوبية أشاد به ودعا جميع أبناء هذه الأقاليم إلى الانخراط فيه لتحرير المناطق المغربية التي مازالت ترزح تحت سيطرة الاستعمار. يقول في قصيدة شعرية مخاطبا رجال جيش التحرير وذاكرا محمد بن سعيد آيت إيدر بالإسم :

فرح الوفد يوم جاء جميعـــا	فتلقى محمد بن سعيـــــد
فتلقاه بالترحب والتشـــــر	يف منه والبشر والتمهيـــد
نعم مسعى أهل التقاوم سـرا	أيدوا الشعب أكمل التأييـــد
لا يبالون غير كيد مصيـــب	ينجح الشعب للمليك سديـــد

في أواخر هذه السنة (أي سنة 1956) عيـن أستاذا للغة العربية في جامعة بن يوسف في مـراكش وظل بها سبع سنوات حتى سنة 1963 حيث قرر التخلي عن التدريس وعن جميع الأنشطة السياسية التي كان يمارسها والتفرغ للعلم والعبادة.

خلف أعمالا أدبية وعلمية متعددة وديوانا شعريا ضخما في مختلف الأغراض الشعرية.

قال عنه الشيخ النعمة "أديب المجالس تحفة المجالس يلمعي أقرانه ألمعي صحبانه ذكاء الأدب نورا وإشراقا وسراج الحسب بهجة وأعراقا السيد محمد بن أحمد بن محمد بن محم. كان من نباريس مريدي شيخنا الشيخ ماء العينين الطيبين روحا ونفسا ومقابسه المقتبسين من نوره قبسا المتوقدين فطنة وذكاء الفائقين أكثر جنسهم سناء وإليهم في النوادي يميل رؤساء الجحافل لما لهم من الدراية بما يليق في المحافل وله مشاركة في كثير من الفنون حسنة، لا سيما فنون العربية المستحسنة وله محاورات ومخاطبات مع كثير من الأدباء".

توفي سنة 1982.

الشيخ ماء العينين، *أمراء وعلماء في مواجهة الاستعمار الأوروبي*، الطالب أخيار بن الشيخ مامينا، مطبعة بني إزناسن، سلا، الطبعة الأولى، 2005 ؛ *ديوان الأبحر المعينية في بعض الأمداح المعينية*، الشيخ محمد الغيث النعمة بن الشيخ ماء العينين، تحقيق، المداح محمد المختار، د د ع، تحت إشراف الدكتور محمد بنشريفة، مرقون بخزانة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، السنة 1994 - 1995، 2 : 285 ؛ *مجموع ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه*، مخطوط، خزانته تيزنيت.

ماء العينين النعمة علي

بوخشيبية، مؤتمر انعقد في منطقة تقع بين إقليم طرفايا وإقليم الساقية الحمراء ووادي الذهب طيلة يومي 11 و12 مارس 1958، شاركت فيه معظم قبائل الصحراء الغربية والجنوبية : الرقيبات، أولاد دليم، ازرقيون، آيت لحسن، يگوت، أهل الشيخ ماء العينين، أولاد تيدرارين، تشمشة، أولاد غيلان، تجكانت، الترارزا والبراكنا وغيرها. كما شاركت فيه بعض قيادات ومقاتلي جيش

التحرير، ومثل السلطان محمد الخامس فيه ولده وولي عهده آنذاك الحسن الثاني. وكان موضوعه النظر في الموقف الواجب اتخاذه بعد اقتـراح إسبانيا وقبول المغرب هذا الاقتـراح التخلي للمغرب عن طرفاية مقابل سكوتـه عن إيفنـي والصحراء الغربية وسبتـة ومليليـة، ورفض جيش التحرير إيقاف القتال لتحرير هذه الأقاليم الصحراوية.

وقد عكست مقررات هذا المؤتمر ميزان القوى "بين شرعية مؤيدة للملك وإصرار على رفض الأمر الواقع ومتابعة الحرب ضد الوجود الفرنسي والإسباني".

وقد برزت الناحية الأولى من خلال المقطع التالي من هذه المقررات : "إن تأييد الخطاب الملكي الذي ألقاه جلالة الملك في قرية المحاميد بتاريخ 26 فبراير 1958 الذي وعد فيه حفظه الله بمواصلة كفاحه المعهود لاسترجاع امتدادات المغرب الطبيعية والتاريخية والبشرية، ويرى ممثلوا قبائل الصحراء المغربية أن ذلك الخطاب المولوي كان فاتحة لعهد جديد في تاريخ نضال الصحراء المغربية من أجل عودتها إلى حظيرة الوطن العزيز، لقد أزال جلالة الملك بخطابه التاريخي القيم كل التياس في موضوع هذه النواحي المغربية الصميمة، ولم يبق شك في أن المغرب المستقبل سيسعى في استخلاص المغرب المستعبد من ربقة الاستعمار الفرنسي والإسباني". أما الناحية الثانية فتظهر من خلال المقررات التالية :

1 ـ التنديد بالأعمال الوحشية الفرنسية الإسبانية، وتحميل الاستعمار مسؤولية إهدار الأرواح والأرزاق.

2 ـ رفض الاعتراف بالمشروع الفرنسي في موريتانـيا، ورفض الحكومـة الموريتانيـة التي شكلهـا المنـدوب الفرنسـي، والمطالبـة بإبقـاء موريتانيـا ضمن المغرب.

3 ـ التمسك بوحـدة التراب الوطني والدعـوة لمواصلة الجهاد والكفاح المسلح لتحرير الأراضي المحتلة وتوحيد البلاد.

4 ـ الدعوة لتشكيل جبهة وطنية لتحرير الصحراء وموريتانيا.

علي الشامي، *الصحراء الغربية وعقـدة التجزئـة فـي المغـرب العربي*، ص. 127 ـ 128، دار الكلمة للنشـر، بيروت ـ لبنان، ط 1، 1980.

محمد الظريف

بوزاليم، محمد، بن مبارك بن الشيخ علي الباعمراني، يلتقي مع عائلة آل الشيخ همو الخلفيين في الجد التاسع باها. عاش هذا الأخير حتى سنة 940 / 1533، وتسلسلت في هذه العائلة شخصيات كثيرة في ميدان تدريس الروايات والقضاء بين الناس وقيادة القبيلة منذ قرون ولديهم ظهائر سلطانية كل في ميدانه.

ولد الشيخ محمد بوزاليم حوالي عام 1280 / 1863 وحفظ القرآن واشتغل بالفلاحة والتجارة، ثم قـرَّب إليه العلماء الكبار من الـتِّدراريِّين، وكـوّن لنفسه قافلة من الجمال تربط ما بين الصحراء المغربية حتى مدينة الصويرة ومراكش، مروراً بمدينة تيزنيت، وصاحَـبَ باشا تيزنيت ابن دحان والحاحيين، وكان الحصار يضرب على تلك الجهات ماعدا القافلة التجارية لبوزاليم، وخاصة عندما بدأ الأوربيون يظهرون في تلك الشواطئ، كما أن الحملتين المرسلتين لاحتلال آيت باعمران سنة 1335 / 1917 فشلتا، إذ قضى نهائيا على حملة الباشا حيدا بن مِّيْس وحلت الخسائر بحملة الجنرال دولاموط De Lamothe فلم يكن من وسع السلطة المركزية إلا أن تبحث عمن يمد خيطها إلى تلك النواحي، فكان الشيخ محمد بوزاليم هو ذلك الرجل. لذلك أمدته الحكومة بالمال والسلاح، تارة مباشرة عن طريق قافلته التجارية، ومرة أخرى عن طريق القائد الجراري، ووعدته بأن تعينه قائدا على مشارف الصحراء، إذا استطاع أن يضم آيت باعمران إلى الحماية الفرنسية، ومعه في ذلك الاتجاه الشيخ سعيد الخمسي لكن من طرف خفي، إلا أن آيت باعمران رفضوا قبول حكم فرنسا، وعلى رأسهم عائلة إدَّ الشيخ همّـُو.

استطاع الشيخ محمد بوزاليم أن يقسم آيت باعمران إلى قسمين، قسم يدعو للانضمام إلى الحماية الفرنسية، وقسم يرفضها، فأدى ذلك إلى حروب قبلية ذهب ضحيتها شجعان وأموال هدراً، وشاع أن ذلك كله من تخطيط الجنرال دولاموط. وكانت المراسلات نشيطة بين باشا تيزنيت وبين بوزاليم، وكلمة بوزاليم لدى سلطات الحماية بسوس بمثابة جواز سفر، وكان له طابع يختم به مراسلاته، ونجحت فرنسا فعلا في تقسيم آيت باعمران، وبالتالي انهار اقتصاد المنطقة بذلك الحصار، ثم ساهم الجفاف الخطير في تعميق الأزمة ما بين سنوات 1340 و1345 فانتشرت المجاعة، ولم يبق لفرنسا إلا أن ترسل حملة عسكرية لتحتل آيت باعمران. لكن حدث أن توفي الشيخ محمد بوزاليم سنة 1342 / 23 ـ 1924 فتولى مكانه أخوه محند الذي قتل بعد سنتين، فاجتمعت المشيخة كلها في عائلة بني الشيخ همّو، وتغير المناخ وانتعشت البلاد، وتوحدت القبائل من جديد ضد فرنسا.

في هذا الوقت بدأت حكومة الحماية تستكمل غزوها للأطلس الصغير، في حين شرعت إسبانيا في ربط علاقاتها بشكل مكثف مع أعيان آيت باعمران. وفي 21 ذي الحجة عام 1352 / 6 أبريل 1934، قدم الكولونيل گـبّـاص من تطوان بحراً ونزل بشاطئ سيدي إفني، ثم أنزلت إسبانيا قواتها في المراكز المخزنية القديمة، ومنها دار الشيخ بوزاليم حيث بنيت تكنة تـغْزَى، وشاءت الأقدار أن يكون هجوم جيش التحرير في الخمسينات من دار الشيخ بوزاليم لطرد الإسبان وانضمام آيت باعمران إلى المملكة المغربية المستقلة.

الحسين الجهادي، *جانب من تاريخ آيت باعمران*، مخطوط.

الحسين الجهادي

بوالشبوك، أسرة تنتمي إلى سيدي مَحمد بن عمرو اللمطي دفين نول لمطة بوادي نون جنوبي

الأطلس الصغير حيث ما تزال المواسم السنوية الهامة بجوار ضريحه بأسْرير تشهد على أهميته التاريخية (*التشوف*، 344). ونتساءل عمّا إذا كان تضلع هذه العائلة في علوم الظاهر والباطن هو الذي ألصق بها تسمية إگلدان (السلاطين) قبل تسمية بوالشبوك ؟ فقد أهلها جدها حيا وميتا لتصدر الأحداث بشكل لافت للنظر (*المعسول*، 12 : 190 - 191). واكتفى محمد المختار السوسي بالإشارة إلى أن محمد أگـلّيد كان حياً سنة 1261 / 1845 (*المعسول*، 12 : 191). فنتساءل بذلك متى أطلقت تسمية إگلدان التي تحظى داخل تقسيم ماء ساقية أسرير (28 يومياً مائياً) بوحدة كاملة (24 ساعة مائية) ؟ هذا بالسؤال يعيدنا مباشرة إلى سيدي مَحمد بن عمرو الذي حرص حياً على توزيع الماء بني تيغْمرت المجاورة وأسْرير من جهة، وتقسيم ماء ساقية أسرير على أهلها من جهة ثانية. فهذا الإشكال الذي كان قائما خلال لقرن السادس (12 م) يربط حفدة الجد الأكبر بممارسة توزيع ماء الساقية وتنظيمه على امتداد الفترات. وهو ما يمگّننا من التساؤل عن الفترة التي أعيد خلالها توزيع الماء وما إذا كانت لاحقة لوفاة محمد أگلّيد ؟. هذا الخيط الرفيع يصب في ثاني سؤال يجب أن تستنطقه التحريات الميدانية وهو حول معرفة أي حفدة محمد أگلّيد لقب لأول مرة باسم بوالشبوك ؟ يجيبنا على هذا السؤال الأستاذ محمود بن أحمد بن محمود بن عبد الرحمان موضحا بأن هذا الأخير هو المعني السؤال. فيصبح بذلك العلامة الفقيه القاضي عبد الرحمان بن محمد بن علي بن محمد بن لحبيب المتوفى سنة 1290 / 73 - 1874 هو أول من لقب بأبي الشبوك حسبما أكده أيضا المختار السوسي (*المعسول*، 12 : 191). أما سبب التسمية فإن الأستاذ محمود يردها إلى خلاف وقع حول تحريم أو تحليل ذبح بقرة كتب العلامة عبد الرحمان فتوى بشأنه. وبعد أن أقرأها لأحد الأئمة العلماء السوسيين، نطق هذا الأخير بعد تمل طويل قائلا بالشلحة : "شبكت غياد بوالشبوك".

يؤكد حفدة عبد الرحمان بوالشبوك أنه كان من وجهاء گلميم وأسرير مستدلين على ذلك بظهائر التوقير والاحترام السليمانية والرحمانية. على أن الظهائر السعدية والعلوية الأخرى التي بحوزتهم تصب كلها في نفس الاتجاه. فهذه عائلة مرابطية لمطية تقوم على النسب والتخصص في توزيع المهام كشرط مادي لحياتها. وهو ما أكسبها صفات معينة تطورت تلقائيا إلى سلطة دينية ودنيوية فعلية. فلا بد في هذه المنطقة التي يعيش بها الجماعات القرابية بشكل يكاد يكون متنافراً من زوايا مرابطين يوجهون قواهم ونشاطهم غير وجهة الصراع القبلي، بل الأكثر من هذا أن هذه العائلة تستمد أصالتها من ربطها بين العصبية وبين الشروط الموضوعية لفاعليتها السياسية. هذا ما يثبته التوقير والاحترام الذي تكنه قبائل تكنة وخاصة قبيلتي أزوافيط بأسرير وآيت موسى أ ُعلي بگلميم. إننا إذا تناولنا عبد الرحمان بوالشبوك كنموذج لأسلافه وأحفاده وجدناه ملتزما تدبيـر شؤون زاوية جده الأكبر بأسرير وحريصا في نفس الوقت على تحسين سمعته الدينية والقضائية بـگلميم حيث يقيم غير بعيد عن أسرير. وهو اليوم يرقد بزاوية جده شأنه في ذلك شأن أسلافه الذين ما تزال سمعتهم تجعل منهم إحدى السلطات المعنوية الفعلية بالمنطقة.

لقد استطاع محمد الابن الأكبر لعبد الرحمان بوالشبوك أن يصاهر بيروك بن عبيد الله أ ُسالم شيخ گلميم وسيد تجارتها خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر (19 م). أما محمود بن عبد الرحمان، فإنه لم يتوف إلا سنة 1333 / 1915 عن سن تناهز 118 سنة قضاها في مزاولة علمي الظاهر والباطن وترسيخ صورته وسمعة عائلته. وقد عين شأنه شأن أخيه محمد قاضيا من طرف مولاي سليمان كما تثبت ذلك ظهائر التعيين. وإذا كان المختار السوسي قد اكتفى من أبناء عبد الرحمان بهذين العالمين (*المعسول*، 12 : 191)، فإن الأستاذ محموداً يضيف إليهما صالحاً الذي يعد بدوره من ألمع الوجوه الدينية المتألقة محليا. ولسنا ندري ما إذا كان بالإمكان إضافة محمد الغزالي كأخ رابع أم لا ؟ لقد اجتمع أحمد بن محمود بن عبد الرحمان الذي كان بدوره قاضياً كبيراً، بالمولى الحسن لدى زيارته للمنطقة سنة 1303 / 1886. وقد تميز موقفه من الاحتلال الفرنسي سنة 1934 بمرابطته في زاوية جده بأسرير حيث توفي ودفن قرب الجدار الأيمن لباب الضريح صبيحة الجمعة 16 ربيع الثاني عام 1367 / 27 - 2 - 1948.

ولكي يتأتى لمن يقوم باستقراء وصفي لممارسة الأبناء والحفدة استحضار العامل الخفي المؤطر ندرج تطور أعلامها الحاليين. لقد خلف الأستاذ محمود وأخوه زين العابدين أباهما أحمد بشكل يستند إلى ما رأيناه من مسلمات. فقد تابع محمود دراسته لدى آل عبد المعطي السباعيين ببوجمادة بمراكش لينتقل بعد ذلك إلى جامع ابن يوسف فكلية الحقوق بالرباط. وكان بديهيا أن ينتهي به المطاف إلى ميدان القضاء حيث حصل على المعاش ليلتحق بالمحاماة. وهو يجمع بين علمي الظاهر والباطن وله ممارسات سياسية تجعله في مصاف محاربي الوجود الفرنسي. أما ابنه محمد الأمين فلم يتوان عن الاشتغال بالمحاماة معززاً بذلك البناء العائلي وأعمدته. وبعكس الفقيه اللمطي عمر بن أحمد بن محمد ابن محمود بن عبد الرحمان تمسكه بالقواعد المؤسسة لعائلته. فهو شيخ گلميم الروحي وإمامها. وهو ما لا يختلف كثيراً عن ممارسات اللمطي عثمان بن أحمد بن محمد بن محمود بن عبد الرحمان الذي برز في ميدان المقاومة وما لقيه من قمع ونفي. وما تزال سمعته بمدينة الدار البيضاء وگلميم تشهد على تشبثه بالقيم العائلية.

نخلص بذلك إلى أننا إزاء توسع آلي للوظيفة العائلية التي تمتص باقي الوظائف والتخصصات القريبة والبعيدة. وهو طرح يتطلب الاستشهاد ببعض المؤلفات العائلية القديمة والحديثة كدليل على التزام الخلف بمنظـور السلف، ومنهـا للعلامة أحمد بن محمود بن عبد الرحمان : *هبة خالق النجوم على شـرح لامية ابن*

أجروم ؛ وللعلامة محمود بن عبد الرحمان : *هدية المريدين* ؛ والأستاذ محمود بصدد إعداد كتاب : *الدرر المفيدة في تصحيح العقيدة*.

بـ . التادلي، *التشوف* ؛ م. الحضيگي، *طبقات الحضيگي* ؛ محمد المختار السوسي، *المعسول*، 12 ؛ *خلال جزولة*، 9 ؛ *مدارس سوس العتيقة*.

مصطفى ناعمي

البوشيخي، (الشيخ سيدي) **المداني** بن **أحمد**، هو سيدي المداني بن أحمد بن المداني بن الحاج إبراهيم الخليل بن أحمد بن عبد الرحمان بن عبد الله بن الشيخ، ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، من شيوخ التصوف الكبار والأولياء المعروفين بكرامتهم، نزح مع والده سيدي أحمد الذي ترك زاويته بوادي الساورة بعدما أحكم المستعمر الفرنسي سيطرته عليها، فاستقر أول الأمر بقصر الطاوس بتافيلالت ثم انتقل بعد ذلك إلى مكان آخر يسمى وادي طارة ليستقر به المقام قبل دخول المستعمر بقليل في منطقة تينغراس بالجنوب الغربي من واحة تافيلالت، فأسس زاويته هناك، فشرعت في ممارسة أدوارها الاجتماعية كما اعتادت على ذلك، فحظي باحترام كل القبائل المستقرة هناك. درس سيدي المداني على يد والده سيدي أحمد وعمه سيدي المحفوظ وكذلك على يد مجموعة من علماء تافيلالت نذكر منهم سيدي أحمد بن عبد العزيز من قصر كاوز وسيدي محمد بن الصديق الولالي من أولاد الوالي ومولاي المكي من قصر المطاهرة بتافيلالت، فأخذ عنهم جملة من علوم الفقه وفنون العلم إلى أن استوى الرجل عالما، فكان مثالا للعلم والتقوى، فقد عرف بالولاية والصلاح وحسن الأخلاق مما منحه حظوة لا تضاهى بين مجموعة من القبائل التي كانت تجوب تلك الصحاري من وادي نون إلى وادي الساورة، فقد كان ملجأ لعابري السبيل ومأوى للزائرين ومكانا للصلح والتقاضي بين المتنازعين. إلا أنه بعدما شرع المستعمر بالتهام أجزاء من المغرب الشرقي سرعان ما انخرط في صفوف المقاومة وأخلى زاويته المسماة القصيبية بتينغراس واختار حياة الظعن والارتحال لعلها تكون الوسيلة الوحيدة التي تخلصه من براثن المستعمر خصوصا وأن هذا الأخير كان يمارس مضايقاته بكل الوسائل على شيوخ التصوف بالمنطقة، فارتحل مع قبيلتي اعريب أخواله واصهاره ومع آيت خباش خدامه وأحبابه، فكان واحداً من أفراد هاتين القبيلتين ومن زعمائها يحظى عندهم وغيرهم بمكانة كبيرة، وهكذا اشترك رفقتهم في مجموعة من المعارك التي عرفتها المنطقة إبان دخول المستعمر إليها منها : معركة مسكي، والمعاضيد، ومعركة أرفود والدار البيضاء ومعركة تيزيمي. وقد كان رفقته الشيخ عابدين الكنتي (ت 1927) ومحمد بلقاسم النكادي وغيرهم. واستمر على ذلك النهج من المقاومة إلى أن أحكم المستعمر سيطرته على منطقتي تافيلالت ودرعة وما يحيط بهما، فهاجر مع قبائل آيت خباش واعريب وآيت حمو وغيرهم إلى وادي نون إلى أن وصلوا منطقة لبيار فحاصرهم المستعمر هناك وأغار عليهم بطائراته الحربية وكان قد التقى في طريقه بالشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين والمداني الاخصاصي واجتمع معه لتدارس أمر الجهاد ومقاومة المستعمر ودار بينهم حديث كثير يضيق المقام عن ذكره. ثم أرغم بعد ذلك على الرجوع إلى صحراء درعة وتافيلالت بعد ما أسر المستعمر أخاه سيدي العربي بن أحمد الذي كان ساعده الأيمن والقائم بشؤون الزاوية. واعتقله في مركز تاكونيت، ليرغم هذا الأخير على النزوح إلى منطقة وادي الدورة بالحدود المغربية الشرقية بعدما فصله عن قبيلتي اعريب وآيت خباش فأقام عليه شبه إقامة إجبارية في ذلك المكان. لكن زاويته اشتهرت وسط القبائل اعتبارا لدورها الجهادي الذي كان يمارسه شيخها، وأيضا دور الإطعام والوساطة والصلح الذي كان يلعبه بين القبائل المتصارعة من أجل السيطرة على المجال، مما مكنه أن يلعب دورا هاما في حفظ التوازنات القبلية في المجال الشاسع الممتد من وادي گير شرقا إلى وادي نون غربا. فقد دوخ كل الصحاري الموجودة في المنطقة حلا وترحالا من تيندوف إلى لبيار فالتقى خلالها بعلماء أجلاء وزعماء معروفين. وردوا على زاويته أو التقاهم في اجتماعات عامة.

حظي باحترام وتقدير كبيرين من طرف الدولة المغربية علاوة على ظهائر التوقير والاحترام التي منحت لزاويته من طرف ملوك الدولة العلوية، وقد وشحه الملك الراحل الحسن الثاني بوسام العرش من درجة قائد سنة 1966 بورزازات، واستقر به المقام بعد ترحال طويل في منطقة درعة، فألقى عصى التسيار قرب قصر تيراف واستقر بزاويته.

توفي عام 1392 / 1971.

ظهائر التوقير والاحترام الممنوحة للزاوية من طرف ملوك الدولة العلوية من مولاي إسماعيل إلى الحسن الثاني ؛ المهدي الصالحي، *أعلام درعة*، الطبعة الأولى، 1974، مطبعة الأندلس، الدار البيضاء، ص. 85 ؛ محمد بوكبوط، *مقاومة الهوامش الصحراوية للاستعمار (1880 - 1938) صفحات مجهولة من صمود قبائل التخوم الشرقية من تافيلالت إلى واد نول*، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2005، ص. 102 ؛ أحمد شيخي، دور العلماء والمتصوفة في مقاومة المستعمر بمنطقتي درعة وتافيلالت على عهد السلطان مولاي يوسف، *جامعة مولاي الشريف الخريفية* الدورة الثالثة عشرة، (السلطة والمجتمع في عهد السلطان مولاي يوسف)، منشورات وزارة الثقافة، 2006، ص. 234.

George Spillman, *Les Ait Atta du Sahara et la pacification du Haut Dra* / Edition Felix Moncho, Rabat, 1936, p. 123.

أحمد شيخي

بوعيطة (أولاد -) : ينسبون إلى عيسى بن إدريس الثاني عبر جدهم الجامع، وهو علي ولد بوعيطة، الذي رحل عن قبيلة رگراگة خلال القرن 10 هـ / السادس عشر الميلادي، للإقامة في منطقة أكجكال الواقعة بتراب القبيلة اليوم الممتد من واد أساكا شمالا إلى

مصب واد درعة جنوبا، يجاورهم من جهة الشمال أصبويا ومن الشرق والجنوب بطون اينجورن وآيت ساعد وازكارة من قبيلة آيت لحسن. هذا الموقع فرض عليهم الدخول في علاقات متعددة مع قبائل تكنة المهيمنة على منطقة واد نون ودرعة وخاصة منها آيت لحسن وآيت أوسى (ايدا أو مليل).

وتتكون قبيلة أولاد بوعيطة من الأفخاذ التالية : أهل بوشنة - أهل سعيد بنصالح - أهل رحال ولد بلعيد - أهل سيدي مسعود / أهل بوعدة - أهل أعليوة. وتتميز هذه القبيلة بكون نمط عيشها كان قائما على الترحال بحثا عن الماء والكلأ لقطعانها من الإبل والغنم، ويحتقرون ممارسة الزراعة ويفضلون عنها التعاطي للتجارة، لكن هذا الترحال لم يكن بعيد المدى، وإنما داخل فضاء محدود يمتد من جنوب إفني إلى حدود درعة السفلى جنوبا، وفي فترات الجفاف الحادة يتنقلون إلى حدود واد الشبيكة والگعدة والحمادة جنوبا. والنجعة عندهم لا تتم بتنقل الأفخاذ، وإنما يتنقل الخيام إلى جانب قبائل آيت الحسن والزرگيين وأحيانا بمعية الرگيبات.

وفي فترات التهاطلات المطرية يعمد القليل منهم إلى زراعة الحبوب في بعض المناطق المعهودة للزراعة (لگراير) مثل مناطق بوسمارة وأجكال وازويوية، وبعد نضج الحبوب ينزلون بخيامهم حول تلك المزارع لحصدها، ثم خزنها في مخازن تدعى "المطمورة" تتمركز بكل من الجكال وازويوية، ولكل خيمة مخزنها الخاص، ثم يترحلون على أن يتركوا حارسا لتلك المخازن.

أما حقول الصبار "اكناري" فتمثل الملك العقاري الحقيقي للأفراد. ذلك أن موسم جني اكناري (من شهر يوليوز إلى شتنبر) يعتبر فترة هامة في حياة القبيلة حيث تتجمع مضارب خيامهم جوار تلك الحقول، فيحضر شيوخ القبيلة وتحل النزاعات وتصفى المشاكل العالقة داخل القبيلة، كما تتخذ القرارات الحاسمة في الحياة السياسية والاقتصادية، وتتركز حقول الصبار "اكناري" في مناطق لعريش وعين لحمار. كما يتعاطون لتربية النحل خاصة بواد اوريورة وواد أكجكال وفي كدية تاكرتيلت.

ويمارس بعض أولاد بوعيطة التجارة، وخاصة كوسطاء ما بين الأسواق والقبائل الرحل، حيث يقتنون البضاعة من سوق أحد گلميم ومن اخميس آيت الخمس ومن مواسم أسرير ولقصابي وأسا، ويقوم البعض منهم ببيع الملح المستخرج من سباخ تندوف في أسواق واد نون.

وقد عرفت هذه القبيلة، على غرار العديد من القبائل الصحراوية، الهجرة إلى مناطق بعيدة، فمنهم من رحل إلى قبائل الكيش من تكنة بناحية شيشاوة، وإلى منطقة سبو الأوسط، ونحو الرحامنة شمال مدينة مراكش، وهناك فروع أخرى استقرت بالحواضر كالدار البيضاء والرباط ومراكش، بل منهم من هاجر إلى فرنسا، كما نجد منهم خيام هاجرت إلى الطرفاية حيث يمارسون التجارة، وحاليا يوجدون بمدن گليميم والطنطان والعيون.

وبالنسبة للنظام الاجتماعي للقبيلة، فقد كان يوجد على رأسها شيخ مسن له خبرة سياسية ومعرفة دينية مثل سيدي لعبيد ولد حرمة من أهل بوشنة، فقد كان يتمتع بسلطة كبيرة خلال الثلاثينات من القرن العشرين، كما نجد أن لكل فخذة شيخها الخاص الذي يعد عضوا في جماعة أعيان القبيلة، الذين يعينون بصفة دائمة ما عدى إذا مرض أحدهم مرضا مميتا أو مارس شططا في السلطة أو تعرض لمعارضة من داخل فخذته، ورغم ذلك فإن سلطة الشيخ تبقى محدودة نظرا لتفرق خيام القبيلة في معظم أوقات السنة، ولأولاد بوعيطة علاقات تحالف وجوار مع قبيلة اصبويا فيما يخص انتجاع المراعي.

ظلت أولاد بوعيطة قبيلة تنتجع المراعي إلى حدود فترة التدخل العسكري الفرنسي في الجنوب المغربي، حيث تم إلحاقهم بمكتب الشؤون الأهلية لگلميم سنة 1934، رغم أن الضابط الإسباني كپاث (Capaz) كان يريد ضمهم إلى المستعمرة الإسبانية بسيدي إفني، وبعد ذلك تم تشييد مكتب جديد للشؤون الأهلية قرب واد أساكا في مكان يدعى بوجريف كلف بمراقبة كل من قبيلتي آيت لحسن وأولاد بوعيطة. وكانت من نتائج الاحتلال الفرنسي، أن تقلص مجال ترحل القبيلة، وبالتالي تراجع أعداد قطعانها من الإبل والغنم وتزامن ذلك مع فترة جفاف صعبة مما حدى بالعديد من أبناء القبيلة إلى الهجرة نحو الطرفاية أو نحو مدن گلميم وسوس والدار البيضاء.

على أن مجال هذه القبيلة يتميز بموقع استراتيجي صالح للسياحة الشاطئية، ويشكل منطقة عبور ما بين مستعمرة إفني والصحراء التي كانت خاضعة للاستعمار الإسباني، فالمنطقة تضم "الشاطئ الأبيض" ومصب نهر أساكا ومصب نهر درعة، وكلها تعد اليوم مواقع لمنتزهات طبيعية سياحية، ومجالا لبرامج تنموية واعدة ستكون لها انعكاسات على الأنشطة الاقتصادية لأبناء القبيلة، المعروفة بغراسة الصبار كما عرفت بتربية النحل إلى جانب الخبرة في مجال التداوي بالأعشاب ونقل البضائع للمتاجرة فيها، الشيء الذي سيؤهلها للاندماج في المشاريع السياحية المبرمجة لتنمية المنطقة، غير أن الهجرة القروية التي عرفتها المنطقة المعهودة لقبيلة أولاد بوعيطة ستكون من جملة عوائق التنمية المحلية المنشودة.

عمر ناجيه، *تاريخ البنيات الاجتماعية والاقتصادية لمنطقة واد نون، نموذج قبيلة آيت لحسن*، أطروحة في التاريخ رقونة بكلية الآداب بالرباط، 999.

F. De la Chapelle, *Les Tekna du Sud Marocain*, Publications du Comité de l' AOF, Paris, 934 ; Mahmadou Ahmadou Ba «Les tribus secondaires du Sahel Mauritanien» in : *Renseignements Coloniaux*, N° 9, bre, 1928 ; De la Paillone, Notice sur la tribu des Ouled Bou Aita, *Cahiers du CHEAM, N° 304*, 1934.

محمد دحمان

بوغنبور (سيدي -) **أحمد** هو سيدي أحمد ابن إعز ابن عبد الرحمان ابن سيدي يسين لقب "ببوغنبور" لأنه كان حاجبا عن الفضول، من أشهر الأولياء والصالحين في الساقية الحمراء وأشهرهم على الإطلاق في قبيلة أولاد تيدرارين التي بلغت أوجها في عهده، نشأ واستقر في أرض الساحل (كلمة حسانية تطلق على الساقية الحمراء ووادي الذهب تمييزا لها عن الـگبلة، أدرار ودرعة) خصوصا في منطقة لمسيد ببوجدور. تتفق الرواية الشفوية التي جمعناها من عند أفراد بحثنا الميداني إضافة إلى مصادر تاريخية أخرى، على أن الشيخ بوغنبور تزوج من امرأة واحدة وهي منت أعيش لحسينية أنجب منها : (إعز) جد لفعاريس، يسين جد أولاد يسين وعبد الله جد أولاد موسى وأولاد بوشيكر، إبراهيم جد أولاد إسماعيل، عبد الرحمان جد أهل أستيلة و أرحيلات، أعلي جد أهل الطالب علي وعمر لم يعقب.

عاش بوغنبور خلال القرن (11 هـ) وأدرك بداية عهد مولاي إسماعيل كما أكدت ذلك بعض الدراسات أهمها الدراسات التي قام بها الباحث الإسباني كارو باروخا عن قبيلة "أولاد تيدرارين، معتمدا في ذلك على ثلاث وثائق هامة استقاها من عند أحد أفراد القبيلة المدروسة.

الوثيقة الأولى : شجرة قبيلة أولاد تيدرارين.

الوثيقة الثانية : رسالة توقير كتبها ووقعها المولى إسماعيل تعود إلى عهد عبد الرحمان والطالب أعلي ابني سيدي أحمد بوغنبور عام 1092 / 1681.

الوثيقة الثالثة : رسالة توقير واحترام كتبها ووقعها المولى إسماعيل لمحمد بن الطالب أعلي بن سيدي أحمد بوغنبور سنة 1126 / 1714، وهي موجودة اليوم في وثائق أهل الطالب أعلي في رقعة من جلد بالية عليها طابع السلطان المولى إسماعيل، ولفظة إسماعيل مجعولة في الطابع بالذهب يحيط بها قوله تعالى : "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا"، وقد نقلها هارون ابن الشيخ سيديا من عند محمد ابن عبد الله شيخ قبيلة "أولاد تيدرارين" عام 1359 / 1940.

عاصر الشيخ سيدي أحمد بوغنبور مجموعة من الأولياء والصالحين منهم الشيخ سيدي أحمد الرگيبي جد الرگيبات والشيخ سيدي أحمد العروسي جد العروسيين، وتوطدت بين هؤلاء الثلاثة علاقة متينة مفعمة بالحب والود والإخلاص لوجه الله. كما حظي سيدي أحمد بوغنبور بشعبية واسعة في المغرب عموما والصحراء خصوصا، متجاوزة قبائل الصحراء إلى المعمرين الذي أدى تعلقهم وإعجابهم بصلاح بوغنبور إلى تسمية أبنائهم بهذا اللقب، كحاكم سيدي إفني كولونيل خوسي برميخو (José Bermejo) الذي سمى ابنه بوغنبور كما تؤكد ذلك الرواية الشفوية.

دفن سيدي أحمد بوغنبور بزاوية "أهل الزربية" (حظيرة مدفن أولاد تيدرارين) على الساحل الأطلسي بلمسيد قرب مدينة بوجدور التي كانت ولازالت محط زيارة.

المختار ابن حامدون، *حياة موريتانيا*، ج 10، ملف قبائل الأنصار الذي لم ينشر بعد، ص. 1 و 2.

Caratini, Sophie, *Les Rgaybat*, (1610 – 1934) des *chameliers à la conquête d'un territoire*, tome 1, l'Harmattan, 1989, Paris, p. 44 ; Julio Caro Baroja *Estudios saharianos* I.E.A, Madrid, 1955, p. 135.

زهرة فعرس

بُوكـا گـُراندي، Boca Grande أي "الفم الكبير" اسم أطلقه الإسبان على فم الشبكة، وهو مصب وادي الشبيكة، أي النهر ذي الفم الكبير، لأن عرض مصبه يبلغ كيلومترين، ولاشك أنه كان يوجد بهذا المكان البرج الذي بناه الإسبان سنة 880 / 1476 وأطلقوا عليه اسم سانطا كروث ذي ماربِّيكينيا Santa Cruz de Mar Pequeña (الصليب المقدس للبحر الصغير) وقد احتفظوا به إلى سنة 930 / 1524 حيث طـُردوا منه، ثم طالبوا به على إثر الحرب المغربية الإسبانية سنة 1276 / 1860 فوافقهم السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان على ذلك بمقتضى الفصل الثامن من معاهدة الصلح المبرمة بتطوان يوم 26 أبريل 1890، غير أنهم لم يتمكنوا من الحصول عليه إلا سنة 1934.

م. الغربي، *الساقية الحمراء ووادي الذهب*، 1 : 42.

محمد ابن عزوز حكيم

بوگـرفة (أولاد -) قبيلة تتشكل من حفدة القطب والفقيه والمقرئ والعالم والولي الصالح سيدي إبراهيم بن عبد الله بن يحيى المكنى "بوگرفة". واشتهر الولي الصالح سيدي إبراهيم بن عبد الله جد القبيلة بامتهان حرفة الفخار، وهو مدفون بموضع يعرف باسمه أي ببوگرفة بمنطقة سوق سبت آيت اعزا- بجماعة تيوغزة - بالمجال الترابي لسيدي إفني، عرف عنه الورع والعلم والحكمة وتحكى حوله عدة روايات تتعلق بوقائع وأحداث تؤكد كونه من الصلحاء الكبار والحكماء المحكمين بالإنصاف بين القبائل المختلفة بالجنوب المغربي. ينتشر حفدته شمال المغرب وجنوبه بل ويتواجد عدد هام منهم خارج المغرب خاصة بموريتانيا.

ويشتهر جد الشرفاء أولاد بوگرفة بعدة كنيات وألقاب أكثرها شيوعا "بوگرفة" و"بوجرف" و"بوحجر" وتختلف درجة انتشار تسمية معينة حسب اللهجات والقبائل أو حسب المناطق الجغرافية فتسمية "بوگرفة" تنتشر في مناطق الشمال وجنوب وادي درعة وواد نون بعموم الصحراء وتسمية "بوجرف" تنتشر بسوس، كما نجد تسمية قريبة منها هي "بوحجر" بكل من واد الذهب وموريتانيا. وفي القطر الموريتاني نجد نفس الإسم تحمله فخذة من قبيلة السماسيد تدعى "الـگرارفة" كما ورد في كتاب المختار ولد حامد "*حياة موريتانيا ـ الجغرافيا ـ*".

انتقل والده سيدي عبد الله بن يحيى إلى أراضي قبائل آيت بعمران في القرن الحادي عشر الهجري من غابة الطير بسملالة، والتي تعرف باللغة الأمازيغية ب "تگانت أوگضيض"، وهو دفين زاوية "تنگرفا" بقبيلة آيت اسمور من اتحاد قبائل آيت بعمران ولم يعرف بعد تفسير التقارب الإسمي بين لفظتي "بوگرفة" و"تنگرفة".

ويلتقي الولي الصالح سيدي إبراهيم بن عبد الله في النسب مع الولي الصالح سيدي أحمد أو موسى دفين زاوية تزروالت بإقليم تزنيت في جدهما الأعلى سيدنا صالح بن طلحة بن أبي جمعة بن علي بن عيسى بن الفضيل بن عبد الله بن إبراهيم الملقب بجندوز بن عبد الرحمان. هذا الأخير، أي جندوز، والذي يعد الجد الأعلى لكل السملاليين، نزح إلى المغرب من المشرق في القرن الثالث الهجري واستقر بقبيلة إدا أوسملال التي تقيم موسما سنويا بالقرب من مقامه الشهير يؤمه الناس من كل التراب الوطني.

وهناك اختلاف في تحديد تاريخ وفاة سيدي إبراهيم بن عبد الله غير أن المرجح أنه توفي سنة 1090 الموافق ل سنة 1679، وتختلف الروايات كذلك حول عدد أبنائه، فهناك من يذهب إلى أنهم خمسة والبعض الآخر يرى أن أبنائه سبعة اشتهر خمسة منهم والإثنين المتبقين غير معروفين بسبب وفاتهم المبكرة. ويروى أن الأبناء الخمسة وزعهم الولي الصالح بوگرفة على مختلف قبائل آيت بعمران مما يفسر وجود (حفدته) بكل قبائل آيت باعمران التي تربطهم بها علاقات متينة تطبعها المودة والاحترام الكبيرين خاصة قبائل آيت اعزا وآيت النص وآيت علي وإد موساكنة وآيت أسمور. كما ينتشر حفدة الصالح بعدد من قبائل الصحراء خاصة قبائل آيت ياسين وآيت لحسن ومنطقة تلوين وازوافيط وقبائل أخرى متعددة، وكذا بموريتانيا.

ويروى أن كلا من الأبناء الخمسة للولي الصالح اشتهر بحرفة، فضلا عن صفات العلم والحكمة والورع في الدين والدنيا، وهم سيدي يوسف وسيدي عبد العزيز وسيدي عبد الله وسيدي بركة وسيدي جامع.

ويشتهر الجد الجامع للقبيلة بحسب أشهر الروايات، بعدة كرمات، خاصة تلك المتعلقة بقيامه بحفر عين من الماء بصخرة توجد أسفل الجرف الصخري الكبير الواقع قرب مرقده بجماعة تيوغزة بآيت بعمران. وتتميز العين بكون عمقها لا يتعدى مترا واحدا وماؤها لا ينضب صيفا أوشتاء ولا يتناقص أو يتزايد مهما بلغ عدد الزوار المتوافدين قصد الاستشفاء من الأمراض الجلدية، والسبب في بقاء ماء العين في مستوى محدد حرص الولي الصالح من نشوب نزاعات حوله بين أبنائه وحفدته.

كما يروى أن قدوم بوگرفة إلى بلاد آيت ايعزا جاء بناء على طلب قبائل المنطقة من الولي الصالح تخليصها من سطوة واعتداءات مجموعة من السباع، فتدخل وروض السباع المتوحشة فاستأنست به وطلب من هذه الوحوش الكاسرة الرحيل عن المكان وعن الاعتداء على بني البشر فأذعنت وأطاعت أمره ورحلت.

وقد صدرت عدة ظهائر ووثائق سلطانية ومخزنية تتعلق باحترام ودعم المخزن للشرفاء أولاد بوگرفة سيرا على هدي العادات السلطانية المغربية الأصيلة في رعاية الشرفاء وصون حرمتهم وسلامتهم وعدم إسناد مهام مخزنية إليهم.

وتوجد بمحاذاة ضريح الولي الصالح زاويته والمدرسة العتيقة المعروفة بإسمه والتي تخرج منها علماء وفقهاء كبار وحفاظ أجلاء للقرآن الكريم.

ومن بين أشهر شخصيات وأعلام قبيلة أولاد بوگرفة نذكر :

- مولاي الحنفي من المقاومين الكبار بمنطقة آيت بعمران وإفني.
- إبراهيم ولد محمد ولد إبراهيم التلويني جاهد ضد الإسبان وشارك في هجوم هام على معسكر للمستعمر فانفجر به لغم نتجت عنه إعاقة واعتقله المستعمر ونقله إلى المخفر السري المعروف بالقنديل بالداخلة.
- محمد بن التكي مقاوم كبير وأول رئيس لبلدية سيدي إفني.
- المقاومة سلطانة بنت امبارك التي فرض عليها الإسبان الإقامة الجبرية لمدة سنة بسيدي إفني وأجبرت على وضع مولودها في ظروف صعبة جدا.
- الحاج إبراهيم مسنهو الذي قاوم المستعمر الإسباني بآيت بعمران وفر هاربا من مطاردته تاركا كل ممتلكاته.

وهناك أعلام وشخصيات بوگرفاوية بارزة نسائية ورجالية لا يتسع المجال لذكرها جميعا.

وثيقة بحرم المدرسة العتيقة للولي الصالح سيدي إبراهيم بن عبد الله بوگرفة الكائنة بمنطقة سوق سبت آيت اعزا- بوگرفة بجماعة تيوغزة - إقليم تزنيت ؛ *مناقب الحضيكي*، تبيين الأشراف للعلامة الأحسن البعقيلي، الدار البيضاء، 1940 ؛ المختار السوسي، *المعسول*، 20 جزءا، الدار البيضاء، 1965 ؛ المختار ولد حامد، *حياة موريتانيا "الجغرافيا"*، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، جامعة محمد الخامس السويسي، الرباط، 1994 ؛ أشغال ندوة *"الشرفاء اولاد بوگرفة : النسب، العلم والتاريخ"* المنظمة بمناسبة الملتقى السنوي الأول ببوگرفة بجماعة تيوغزة بإقليم تزنيت بتاريخ 13 غشت 2006، غير منشورة ؛ *الروايات الشفهية* لبعض الشيوخ والعارفين خاصة منهم السادة : محمد أنجار القاطن بمنطقة إگرار المجاورة لسوق حد بيفورنا بجماعة تيوغزة بإقليم تزنيت ؛ محمد بن أحمد بن عبد الله أنجار المعروف ب "ابن المكي" من حفدة الولي الصالح بوگرفة، فقيه وعالم وباحث في التراث وعميد المدرسة العتيقة لسيدي وگاگ بجماعة أگلو بإقليم تزنيت.

محمد النجار

البولساريو، منظمة انبثقت، كما يدل على ذلك الصيغة الإسبانية التي اشتهرت بها Polisario، اختزالا لعبارة Frente por la liberacion del Saguia al-Hamra y del Rio de Oro أو جبهة تحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب، في اللحظات الأخيرة من معارك تحرير

الصحراء الأطلسية من الاستعمار الإسباني في مطلع السبعينات من القرن العشرين. خرجت من صفوف الأحزاب المغربية، وخاصة من صفوف أحزاب اليسار التي اختلط على بعض أجنحتها معارضة الحكومة مع معارضة الدولة، فتولد من ذلك هذه المنظمة التي سرعان ما اعتزلت الجماعة الوطنية لتنادي بالانفصال عنها استنادا إلى الدولة الجزائرية المجاورة. فكيف تشكلت صفوفها ؟ ولماذا تحولت أداة لمحاربة المغرب والمس باستقراره ؟ وكيف صارت الأبواب تنسد أمامها إلا باب الوطن ؟ وما الأخطار التي تحيط بها بين الهيمنة الجزائرية وركوب المغامرات التي لا تحمد عقباها ؟

النشأة الأولى والانتصارات المؤسسة 1970 - 1980.

لم يفتأ المغرب غداة استقلاله سنة 1956 يسعى في تحرير الأجزاء التي ظلت إسبانيا تحتلها من ترابه في الصحراء الأطلسية، فجرى نوع من اقتسام المهام بين الدولة التي كان عليها أن تسعى في ذلك بالوسائل الدبلوماسية وبين الجماهير الشعبية التي أدركت أن الانعتاق من الاستعمار لا بد فيه من ممارسة العنف. وقد تأتى استرجاع طرفاية (1958) وسيدي إفني (1969) بمجرد التفاوض الدبلوماسي، بينما اصطدمت فرق جيش التحرير بين 1957 و1958 بالتحالف العسكري الفرنسي الإسباني الذي تشكل لدعم مصالح الدولتين فيما أصبح يسمى مورطانيا التابعة لفرنسا والصحراء الأطلنتية التابعة لإسبانيا، هذا فضلا عن الأجزاء الشاسعة من هذه الصحراء الغربية التي ألحقتها فرنسا بالجزائر المحتلة. وبذلك أرجئت معركة التحرير في الجنوب الصحراوي لخمس عشرة سنة إضافية تغيرت أثناءها الظروف السياسية داخل المغرب وفي المحيط به. ففي الداخل خلف الحسن الثاني والده محمد الخامس (فبراير 1961)، وأقيمت الجمهورية الإسلامية الموريطانية في أراضي شنگيط (نونبر 1960)، وانتزعت الجزائر استقلالها (يونيو 1962) معلنة عن انتمائها للمعسكر الشيوعي، علما بأن المغرب أعلن منذ استقلاله عن تمسكه بالحياد الإيجابي وعن استعداده للعمل مع المعسكرين الرسمالي بقيادة أوربا الغربية والولايات المتحدة والشيوعي بقيادة روسيا السوفياتية والصين الشعبية. لذلك جرى أول اصطدام بين المغرب والجزائر (اكتوبر 1963) بسبب تنكر الجزائر لما كان قد التزم به قادتها بإصلاح الحدود التي فرضها الاستعمار الفرنسي على المغرب، إذ ما أن استرجع حكامها استقلالهم حتى أعلنوا أن لا مساس بتلك الحدود التي داستها الجيوش المغربية في خريف 1963 وكانت قاب قوسين أو أدنى من دخول تندوف لولا ما اصطدم به الحسن الثاني من المعارضة من خارج البلاد ومن داخلها، إذ امتنعت الدول الإفريقية المستقلة قريبا من أدنى مراجعة للحدود الموروثة عن الاستعمار، وانطمست أبصار بعض الأحزاب المغربية التي قامت تدافع عن مكاسب "الثورة الجزائرية"، فتراجعت الجيوش المغربية عن تندوف وازداد عزم الحسن الثاني على العمل بالأساليب الدبلوماسية لاسترجاع ما بقي من صحرائه بيد الإسبان، ملتجئا إلى هيئة الأمم المتحدة سنة 1964، ومقنعا الجنرال فرانكو بالتخلي عن إيفني ومعترفا في آن واحد بالجمهورية الموريطانية (1969). مما جعل الجميع في المغرب يدرك أن لا مفر من مقاومة آخر المناورات الإسبانية في الصحراء حتى لا يقام فيها كيان هش تتقاذفه المصالح الأجنبية. بيد أن توتر الأجواء السياسية داخل البلاد جعلت المعركة تنطلق مبعثرة الصفوف مهزوزة النفوس.

وفي هذه الظروف المتشنجة تشكلت الخلايا الأولى من الشباب الصحراوي الراغب في جعل حد للاستعمار الإسباني، جلهم ممن خرج قريبا من أطوار المراهقة، يتابعون دراستهم في المراحل الأخيرة من الثانوي أو في السنوات الأولى من العالي في كليات المغرب ويناضلون في حزب الاستقلال الذي كان يمد العديد منهم بالمنح أو في حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية أو في الحزب الشيوعي المغربي أو في النقابات الطلابية، مستعدين للتضحية الكبرى لتحرير الصحراء وإلحاقها بباقي الوطن. وأول من أقام منظمة لذلك الشهيد محمد ولد سيدي إبراهيم البصيري، تحت إسم "حركة تحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب" في أواخر سنة 1967، ظل يناضل في الخفاء إلى أن أقدم على التظاهر بمطالب التحرير في حي الزملة بالعيون فتصدى الإسبان للمظاهرة وألقوا القبض عليه فاستشهد تحت التعذيب (يونيو 1970). وخلال السنتين التاليتين 1971 - 1972، تشكلت نواة جديدة لتحرير الصحراء على يد ثلة من الشباب يتقدمهم الولي مصطفى السيد ومحمد لمين ولد أحمد والبشير مصطفى السيد ومحمد علي ولد الولي ومحمد سالم ولد السالك ومحمد ولد سيدتي، كلهم من طلاب المدارس والكليات المغربية، غايتهم الوحيدة إتمام ما لم يتم إتمامه في أواخر الخمسينات على يد جيش التحرير فالكثير منهم من أقرباء أولائك المجاهدين السابقين، وذلك عملا بمبادىء الفكر الماركسي اليساري الذي تشبعوا به في صفوف أحزاب المعارضة للحكم في المغرب. هكذا تشكلت جبهة الپولساريو في تمام السرية وأقامت مؤتمرها الأول في 20 ماي 1973، معلنة أنها الناطق الوحيد بلسان "الجماهير الصحراوية" الراغبة في إبطال المناورات الاستعمارية الإسبانية بالعنف الثوري والكفاح المسلح. وقامت الجبهة بأول هجوم على الجيش الإسباني في الخنگة (شتنبر 1973) وصارت تبحث عمن يمدها بالمال والسلاح. ووجدت ذلك أول الأمر لدى الكولونيل القذافي القائم في ليبيا منذ 1969. ثم سرعان ما احتضنتها الجزائر المستندة إلى المعسكر الشيوعي وجعلتها أداة تشوش بها على المغرب ووسيلة لإبطال مجهوداته لاستكمال وحدته الترابية. هكذا تحولت قضية تحرير الصحراء من الإسبان إلى نزاع ذي أبعاد ثلاثة : داخلية سياسية بين النظام الملكي المغربي والمعارضين لها، وقطرية إقليمية بين المغرب والجزائر وموريطانيا وإسبانيا، ودولية كونية بين المعسكر الشيوعي الذي تنتمي إليه الجزائر والمعسكر اللبرالي الذي ينتمي إليه المغرب. ولذلك انحصر دور الپولساريو في الصدع بالشعارات المتياسرة وتبنى

أساليب ما كان يسمى بالديمقراطية المركزية وقت صار جليا للجميع أن ذلك النظام ليس سوى ضرب من الدكتاتورية ومحض الاستبداد كما انحصر في محاولة زعزعة استقرار المغرب وإرضاء رغبة حكام الجزائر في الهيمنة بما استقووا به مما بيدهم من الغاز والنفط. هكذا عقد البولساريو مؤتمره الثاني في غشت 1974 مؤكدا توجهاته الإيديولوجية ومقيما أجهزة تسييره ومعلنا رفضه للتنظيم السياسي الإسباني Estatuto politico الرامي إلى إجراء استفتاء في الأقاليم الصحراوية في مطلع 1975 بشأن الاستقلال الذاتي، تلك المناورة الاستعمارية التي رفضها الحسن الثاني هو كذلك مهددا إسبانيا بالحرب إن هي تمادت في الأمر، لا سيما وأن الصف المغرب كان يومئذ قد توحد بما اتضح للجميع من الأخطار المهددة لاستقرار البلاد ولوحدة ترابه من قبل الجيران، فصار المغرب يتكلم بلسان واحد وصارت تحركات البولساريو ومن يعضده في العلن أو الخفاء ترتطم بإرادة الجماهير المغربية التي انكب الحسن الثاني على إبرازها أمام الملأ بإيفاد رؤساء الأحزاب المغربية على اختلاف مشاربهم إلى مختلف الدول لشرح موقف المغرب الشرعي بينما اشتغل هو نفسه بإعداد المسيرة الخضراء. وازداد البولساريو إيغالا في التطرف المتياسر وفي التبعية لحكام الجزائر، محاولا الاستحواذ على الساحة الصحراوية بعد ورود بعثة من الأمم المتحدة إلى الأقاليم (ماي 1975)، مدعيا لديها أنه الممثل الوحيد لسكانها رغم وجود أحزاب أخرى وتيارات مغايرة، وخاصة منها حزب الوحدة الوطنية الصحراوي PUNS الذي ما لبث أن أعلن عن رفضه لفكرة الانفصال عن المغرب، شأنه في ذلك شأن "المرهوب" Morhob وجبهة التحرير والوحدة أو "فلو"، (FLU) يعني Front de la liberation et de l'unité المؤسس يوم 21 مارس من تلك السنة.

ويوم أصدرت محكمة لاهاي الدولية قرارها بوجود روابط البيعة الشرعية بين ملوك المغرب وقبائل الأقاليم الصحراوية (16 اكتوبر 1975) صار الإسبان يستعدون للانسحاب ويتباحثون مع المغرب عن كيفية نقل السلطة إليه والبولساريو يرهب السكان وينقلهم طوعا أوكرها إلى التراب الجزائري. وانطلقت المسيرة الخضراء يوم 6 نونبر ومن ورائها القوات الملكية المسلحة على أهبة القيام بواجباتها الوطنية. واتفق المغرب وموريطانيا وإسبانيا في مادريد يوم 14 نونبر على جعل حدّ للنزاع بينهم بالتي هي أحسن. وعبر سكان الأقاليم عن رضاهم بالعودة إلى حظيرة الوطن من خلال جماعتهم التي أدى رئيسها خطري ولد سيدي سعيد الجماني البيعة للملك الحسن الثاني وتسلم المغرب السلطة من إسبانيا يوم 26 فبراير 1976. بيد أن البولساريو رفض ذلك جملة وتفصيلا، معلنا عن قيام مجلس وطني صحراوي الذي أعلن يوم 27 فبراير عن قيام جمهورية صحراوية وهمية تحت اسم "الجمهورية العربية الديمقراطية الصحراوية" وتشكيل حكومة تدير شؤونها يوم 4 مارس التالي، وذلك بعد أن طرد الجيش المغربي الفلول الانفصالية من المناطق التي كانت قد انتشرت فيها حالة انسحاب الجيش الإسباني منها. وحيث إن هذه الفرق الانفصالية كانت على بينة من قوة الجانب المغربي، فإنها أقدمت على مهاجمة التراب الموريطاني وعاصمته نواكشوط (يونيو 1976) مما انتهى بمقتل الزعيم المؤسس الولي مصطفى السيد، وجعل المؤتمر الثالث للجبهة ينعقد في تندوف في غشت 1976 وينتخب محمد عبد العزيز كاتبا عاما للحزب والبشير مصطفى السيد أخا الولي الشهيد نائبا عنه. وتشكل مجلس قيادة الثورة ومكتب سياسي على شكل ما كان يجري يومئذ في دول المعسكر الشيوعي. واستمرت عمليات معاقبة مورطانيا على ما كان قد توعدها به الرئيس الجزائري هواري بومدين في لقاء مع رئيسها المختار ولد داده في بشار (دجنبر 1974)، فشنت الغارات على مدينة الزويرات وعلى السكة الحديدية الرابطة بينها وبين ميناء نواديبو لإبطال استغلال منجم الحديد وتصديره، مما حمل الجيش الفرنسي على مؤازرة الموريطانيين الذين أطاحوا بالرئيس المختار ولد داده (يوليوز 1978) إذ قام مقامه نظام عسكري ظن البولساريو أنه قد يتيح له باب مضايقة المغرب من الجنوب فبادر إلى إعلان وقف إطلاق النار مع موريطانيا التي سرعان ما خيبت تلك الآمال إذ قررت الانسحاب من وادي الذهب وتيرس الغربية التي انتشرت القوات المسلحة الملكية فيها على التـوّ فانضم ذلك الإقليم إلى حظيرة الوطن يوم 14 غشت 1979 بقيام ممثلي قبائل المنطقة بتجديد البيعة للملك الحسن الثاني. وما كان من البولساريو إلى أن يحاول الانتقام من الجيوش المغربية، عملا بالمباغثة ومستفيدا مما مكنته منه الجزائر من الأسلحة المتطورة مثل الصواريخ المضادة للطيارات المنقولة على سيارات رباعية الدفع فكسب بذلك بعض الجولات (معركة المسيّد والهجوم على طنطان) زادته صلفا وغرورا وأكسبته بعض الإشعاع لدى المعسكر الشيوعي على اعتبار أنه هو والجزائر وليبيا يمثلون طليعة "الثورة" في افريقيا الشمالية.

بداية الجزر واستحالة إجراء الاستفتاء 1980 - 1997.

ولم تكن حرب العصابات لتنال من القوات المسلحة الملكية ولا دعاية البولساريو والجزائر لتشوش على وحدة الصف المغربي دفاعا عن وحدة التراب الوطني. فعلى الصعيد العسكري، أعيد النظر في خطة التصدي للعصابات الانفصالية بالحيلولة دونها ودون أن يبقى بيدها اختيار مكان المنازلة وموعدها إذ أمر الحسن الثاني بإقامة ثلاثة جيوش أطلق عليها أسماء مهيبة (أحد والزلاقة والأرك) وكلفها بالشروع في بناء سور من الرمال على مسافة من الحدود مع الجزائر وموريطانيا يمكّن من مراقبة تحركات العصابات الانفصالية وملاحقتها وتدميرها قبل هروبها إلى تراب الجارين. وسرعان ما تجلى صواب هذه الخطة التي ألزمت البولساريو، إما أن ينازل الجيش المغربي كفاحا، وذلك ما لا طاقة له به لا من حيث العدة ولا من حيث العدد، وإما أن ينحبس في مخيمات تندوف تحت إشراف

السلطات الجزائرية. هكذا انحصرت عملياته العسكرية في محاولة عرقلة بناء السور الواقي أو التسلل من خلال بعض النقوب وادعاء التصرف بما تعمّد المغرب من عدم إدخاله وراء السور وجعل ذلك سبع مناطق عسكرية (تندوف وبئر الحلو وتيرس وتفاريتي وميجة والزوك وسلاوريش) على اعتبار أنها مناطق محررة. وكانت آخر محاولة من ذلك معركة گلتة زمور (اكتوبر ونونبر 1989) لاختراق السور استعمل فيها البولساريو الدبابات والآليات الثقيلة بدون جدوى، كما قام بإسقاط بعض الطائرات العسكرية المغربية، محاولا تضخيم تلك الانتصارات العابرة التي كانت تخفي يأسه من مفعولها بالانتقام مما يقع في قبضته من الجنود المغاربة فيسوقهم إلى سجون تندوف ليمارس عليهم شتى أنواع التنكيل والاطضهاد على مرأى ومسمع من الضباط الجزائريين وبمساعدتهم. وعندما انسدت أبواب الانتصار العسكري الرخيص شيئا فشيئا، صار اليأس يتسرب إلى صفوف الصحراويين المحتجزين في المخيمات، فجرت انتفاضات عارمة في خريف 1988، ثم تبخرت الإيديولوجيا الماركسية المعتمدة بسقوط جدار برلين والمعسكر الشيوعي في خريف 1989، وانغماس الجزائر نفسها في حرب أهلية بشعة وانقلابات متلاحقة في أعلى السلطة. كل ذلك جعل الخطة الدبلوماسية تفرض نفسها وتلزم الانفصاليين بالتمسك بها، لاسيما وأن الحسن الثاني ما لبث يشهرها في وجوههم ويدعوهم إلى التروي وإنهاء نزاع ليس في مصلحة المنطقة برمتها. فإنه كان قد سبق إلى عرض الأمـر على منظمة الوحـدة الإفريقـية المنعقـد في نايروبي (كينيا) في يناير 1981 معلنا فيه الاحتكام إلى استفتاء سكان الأقاليم الصحراوية مع إدراكه لمناورات الخصوم إذ قال : "أما أنا فإنني أقبل الاستفتاء وربما كان أولائك الذين دافعتم عنهم هم الذين لا يقبلونه كما قالوا أمس في باريس، قالوا إنهم غير قابلين لهذا الاستفتاء فهم بكل بساطة يريدون أن يتم تسليم هذه الأرض لما يسمى بالبولساريو". وما لبثت الجزائر أن أبطلت العملية باستصدار قرار يرغم المغرب على التفاوض مع البولساريو ويحمل المنظمة على الاعتراف بالجمهورية الصحراوية الوهمية وقبولها عضوا كامل الحقوق على افتقارها لكل المستلزمات القانونية الدولية، مما أفقد هذه المنظمة كل مصداقية إذ صارت قاضيا وطرفـا في النـزاع، فضلا عن قبولها لعضوية كيـان لا وجود له والاعتراف باستقلاله قبل إجراء الاستفتاء المنشود، بحيث وجد المغرب نفسه ملزما بالتبرؤ من هذا التلاعب بالقانون فانسحب من المنظمة، متوجها إلى الأمم المتحدة التي كانت قد دعت منذ 1966 بطلب من المغرب إلى الاحتكام إلى استفتاء السكان. وازدادت رغبة المغرب في ذلك عندما حصل شيء من الانفتاح في العلاقات بين المغرب والجزائر وأقدمـا مع باقـي دول إفريقيـا الشماليـة على وضع لبنات "المغرب الكبير الموحد" في مؤتمر مراكش (فبراير 1989)، ثم انهار المعسكر الشيوعي وتصدعت صفوف البولساريو المنقسمـة بين جمهـور من اللاجئين المكرهين الموزعين على أربعة مخيمات تحمل أسماء كبريات مدن الأقاليم الصحراوية : العيون والسمارة والداخلة وأوسرد، يعيشون عيشة الضنك والكئابة والاستبداد العسكري، وأقلية من المسيّرين يتطايرون من حاضرة عالمية إلى أخرى في أرقى الظروف ويعيشون عيشة" النومونكلاتورا nomenklatura في مخيمات الرابوني على بعد عشرين كلم تزيد أوتنقص من باقي المخيمات، متصرفين في شؤون الجماعة المهجرة بأساليب الترهيب والترغيب، معتمدين في كل ذلك على المساعدات الخارجية وعلى التأطير العسكري الجزائري. مما جعل عددا من وجوه "الجبهة" ومن مؤسسيها ينفصلون عنها ويلبون النداء الذي كان قد نادى به الحسن الثاني بأن الوطن غفور رحيم مدركين بأنهم كانوا يمتطون الأوهام وأن لا وجود لشعب صحراوي لا من قبل ولا من بعد إلا بالشعارات الجوفاء. هكذا لم يبـق إلا باب الاحتكام إلى الاستفتاء بمراقبة منظمة الأمم المتحدة التي تكفل كاتبها العام بالسعي في إيجـاد حل سلمي للنزاع إذ عيّن ممثلا شخصيا عنه وأقام بعثة في الأقاليـم الصحراوية لوضع شروط إجراء الاستفتاء والسهر عليه. ولئن كـان من نتائج كل ذلك الإيجابية الاتفـاق على وقف إطلاق النار (6 شتنبر 1991)، علما بأن ذلك لم يكن سوى تكريس لواقع فشل البولساريو أمام القوات المسلحة الملكية، فإنـه سرعان ما ارتطم بمناورات الجزائر التي لا يفكر في حل للنزاع إلا وتجد وسيلة لإبطاله، كالمطالبة باعتماد إحصاء سكان الأقاليم الذي أجراه الإسبان سنة 1974 وإقصاء كل اللاجئين الصحراويين الذين كانوا قد فروا من القهر الاستعماري إلى داخل التراب المغربي. كما ارتطم بما وقعت فيه منظمة الأمم المتحدة من التناقض مع مبادئها وسابق تصرفاتها في قضايا مماثلة، إذ منحت نفسها حق إجراء الاستفتاء بالرغم من كون الاستفتاء لا يقوم به إلا الماسك بالسلطة المحلية على أن يتم الأمر تحت مراقبة المنظمة، مثلما جرى في الجزائر على يد السلطات الفرنسية سنة 1962.

التفاوض ومقترح الاستقلال الذاتي 1997 - 2011.

تبين طيلة التسعينات من القرن العشرين أن استفتاء سكان الأقاليم الصحراوية أمر مستحيل باستحالة فك ما يكتنفه من المتناقضات، أيقن بذلك الكتاب العامون لمنظمة الأمم المتحدة بيرث دي كويار Perez de Cuellar وبطرس بطرس غالي وكوفي أنان Kofi Anane والمبعوثون الخاصون المكلفون بإعداد شروطه السادة خان وإيريك يينسن Erik Jensen وفان فالسوم Van Wahlsom ويوهانس مانتز Johannes Manz وجيمس بيكر James Baker الذي ذهب إلى أقصى حد لوضع خطة لتصفية المشكلة، كان من مميزاتها ما اقترحه رئيس الجزائر السيد عبد العزيز بوتفليقة من اقتسام الأقاليم الصحراوية مع المغرب ليكون للجزائر نافدة على المحيط الأطلسي. وأمام هذا المقترح الفاضح لم تزد صفوف البولساريو إلا انحلالا وتفسخا إذ انسحب منه بعض كبار وجوهه من أمثال عمر الحضرمي والحبيب أيوب ومصطفى ولد بوه والبشير دخيل وكجمولة بنت

أبّي وحماتي رباني وإبراهيم حكيم وأحمد ولد مولاي وأحمد ولد سويلم، وجلهم يحتل اليوم المكان اللائق بمؤهلاته في سلك وظائف الدولة المغربية العليا، واليا أو سفيرا أو نائبا في البرلمان، بينما ظل البولساريو، بعد أن خسر المعركة العسكرية، سجين البنيات الماركسية المتكلسة، يقوده كاتب عام متمسك بمنصبه منذ خمس وثلاثين سنة، ويحيط به مكتب سياسي من واحد وعشرين عضوا يشرف ثلاثة منهم على المنظمات "الجماهيرية" للعمال والفلاحين والنساء. وينضاف إلى أعضاء المكتب السياسي تسعة عشر نائبا عن لجن القواعد ليشكلوا "المجلس الوطني للشعب"، علما بأن "الشعب" منظم في خلايا من عشرة أفراد، وأن كل مخيم تديره سلطات عسكرية وسياسية بناء على مفاهيم ما كان يسمى في الأدبيات الماركسية بالمركزية الديمقراطية التي ليست سوى استبداد متكيء على جهاز عسكري لا يعرف عن عدده ولا عن تركيبته شيء مضبوط، وعلى الجهاز العسكري الجزائري على كل حال، مما يمكن من تصفية الخصوم والمعارضين، مثلما جرى سنة 1974 بالنسبة لشبكة تكنة وسنة 1977 بشبكة رگيبات الفوضى ولشبكة أخرى سنة 1982، حتى قام سكان المخيمات ينتفضون جملة وتفصيلا ويتعرضون لشتى أنواع التنكيل فلا سبيل في صفوف البولساريو إلى مخالفة رأي الزعماء الذين لا شغل لهم بعد القمع داخل المخيمات إلا في النفخ في أبواق الدعاية الواهية والسعي في الكون في كل المحافل الدولية للتشكي والتظلم الكاذب من المغرب، واستجداء المساعدات المادية وجعل مخيمات تندوف "بقعة" مقصودة من قبل أنصار الشعارات التقدمية الجوفاء يفدون فيجتمعون مثلا بالنساء الصحراويات، وهنّ بشهادة من كان مسؤولا عن التشريفات في الجمهورية المزعومة بعد عودته إلى المغرب، فرقة واحدة من النساء تغيّـرن أزياءهن وهندامهن بحسب الوفود الواردة فتلبسن العسكري لملاقاة الأحزاب الشيوعية، وتمثلن الشقاء والعوز محفوفات بالصبية لملاقاة المنظمات الإنسانية، وتظهرن دائبات على العمل والإنتاج لملاقاة الاشتراكيين الديمقراطيين ثم محجبات محتشمات لملاقاة الوفود الإيرانية. بيد أن زوار المخيمات لم يكونوا كلهم من الصم البكم الذين لا يريدون التحديق في الواقع. فقد تفطن العديد منهم إلى انقسام السكان إلى فئتين، نخبة تحيط بالجهاز الحزبي النافذ فتعيش عيشة اليسر والرخاء وحرية التنقل في الجزائر والتجارة مع موريطانيا وإيفاد أبنائها للتعلم في الخارج، وجمهور من المحرومين المهمشين المغلوبين على أمرهم الذين تحصى منهم الأنفاس ويتركون لشظف العيش وقساوة الاستقرار في عراء الصحراء. وقد جاء في تقرير لمنظمة مراقبة حقوق الإنسان Human Rights Watch أنه "توجد مراكز للمراقبة حول المخيم فضلا عن المراكز الجزائرية التي تراقب الدخول إلى تندوف الواقعة في منطقة عسكرية جزائرية. وبالرغم من كون ممثلة المنظمة شجعت من قبل أعضاء البولساريو على التنقل بحرية في المخيمات وعلى التحدث مع من تشاء، إلا أن العزلة المفروضة على المخيمات وقساوة المناخ الصحراوي وانعدام وسائل النقل تجعل الزائر عالة على البولساريو في تنقلاته". فأي ثورة هاته وأين الشعارات التقدمية الملوح بها في كل حين ؟ وأي اشتراكية هذه التي إن كانت فقد تبخرت وإن لم تكن أصلا فلا عجب من انعدامها ؟ ألسنا هنا فقط بصدد ذيل "للثورة الجزائرية" التي تحولت جهازا للاستبداد العسكري ألجم الشعب الجزائري ولم يترك للبولساريو أدنى هامش من الحرية لا من قبل ولا من بعد. فقد انسدت الأبواب أمام هذه الجبهة التي لا يعرف شئ ثابت عن عدد أفرادها ولا جنودها، ذلك بأنها ظلت تتملص من كل إحصاء، ولا هل هم من أبناء الأقاليم الصحراوية أم من باقي الصحراء الغربية بمفهومها الجغرافي الصحيح الممتد من الشواطيء الأطلسية إلى واحات توات وتدكلت طولا ومن سفوح الأطلس الكبير إلى حوضي النيجر والسنغال عرضا، هذا المجال الشاسع الذي يبدو أنه أصبح مرتعا لبعض عناصر الجبهة تتعاطى فيه للحلال والحرام من التجارات وتميل شيئا فشيئا إلى التعويض عن فشلها العسكري والسياسي بركوب مغامرات ترهيب المنطقة تحت شعارات التطرف الديني هذه المرة، في الوقت الذي تنعم فيه الأقاليم الصحراوية المسترجعة بازدهار غير مسبوق وبسكينة لا يفسدها ما يقوم به دعاة الانفصال المدسوسين من أعمال الشغب المجرم مثلما فعلوا في نونبر 2010 في گديم إيزك في ضواحي العيون، ذلك بأن معدلات النموّ الاقتصادي والاجتماعي في هذه الأقاليم تعتبر من أرقى ما يجري في المغرب قاطبة، لأنها حظيت منذ 1976 بالأسبقية في كل مجال وعملت فيها الدولة بالتمييز الإيجابي لتنسيها بؤس الاستعمار الإسباني. شهد بذلك شاهد من صلب الجهاز الحاكم في البولساريو، السيد مصطفى سلمى ولد سيدي مولود الذي نقل طفلا إلى مخيمات تندوف وفيها شب وترعرع حتى صار من كبار المسؤولين في الشرطة، وجاء يزور باقي أسرته في إطار تبادل الزيارات التي ترتب على وقف إطلاق النار (سنة 1991) فتجول في مجموع التراب المغربي ورأى بأم عينيه ما تنعم به البلاد من الحرية وكيف أنها منكبة على بناء الصرح الديموقراطي فأبى إلا أن يصدع بتلك الحقائق وصرح بما اقتنع به بأن أحسن الحلول للنزاع المفتعل هو العمل بما اقترحه ملك المغرب صاحب الجلالة محمد السادس في أبريل سنة 2007 من تمتيع الأقاليم الصحراوية بالاستقلال الذاتي لتدير شؤونها الداخلية بكامل الحرية بناء على أعرافها ضمن وطن واحد ومصير مشترك. ولكن الجبهة ألقت القبض على هذا الرجل العاقل بمجرد عودته إلى المخيمات وامتحنته امتحانا حتى أرغمتها الاحتجاجات الدولية على إطلاق صراحه فطردته من المخيمات بقرار خارق لأبسط حقوق الإنسان، مع أنه لم ينطق إلا بكلمة حق وبما يفرضه الواقع الملموس من أن لا مستقبل لجبهة البولساريو إلا ضمن الوطن المغربي الجامع يوم يستطيعون الاستجابة إلى ما يدعون إليه في المفاوضات التي تجري بإشراف ممثل

هيئة الأمم المتحدة من حين لآخر منذ 2006 لبناء صرح الاستقلال الذاتي في ظل النظام الجهوي التقدمي الذي يسعى المغرب في إقامته.

علي الشامي، *الصحراء الغربية وعقدة التجزئة في المغرب العربي*، بيروت، 1980.

Mohammed Reguibi (Ed. Moha), *Le Sahara occidental ou la sale guerre de Boumedienne*, Paris, 1990 ; Mohamed Cherkaoui, *Le Sahara, liens Sociaux et enjeux stratégiques*, Oxford, 2006 ; Miské, Ahmad Baba, *Front Polisario*, Berger Levrault, 1978 ; *Centre européen de renseignements et d' Eudes stratégiques*, Polisario, d'un mouvemeut de libèration à une organisation terroriste.

إبراهيم بوطالب

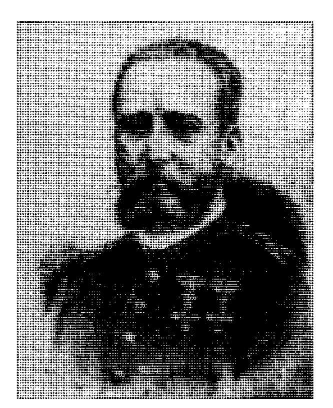
البُونْس (PUNS)، اختصار لإسم حزب أسس بمدينة عيون الساقية الحمراء خلال شهر نوفمبر سنة 1974 بإيعاز من الإدارة الاستعمارية الإسبانية واسمه الكامل هو "حزب الاتحاد الوطني الصحراوي" (Partido de la Union Nacional Saharaui) ، جعلته إسبانيا منافسا لحركة البولساريو بالمنطقة، لقيادة المنطقة في اتجاه خلق كيان محلي وتنظيم استفتاء يؤدي إلى استقلال لصيق بالدولة الإسبانية. تم الاعتراف رسميا بهذا الحزب بتاريخ 16 فبراير سنة 1975، وهو تاريخ أول مؤتمراته الذي أعلن فيه المؤسسون مساندتهم لجماعة شيوخ القبائل إلى جانب مناهضة إحداث تغيير اجتماعي جذري بالمنطقة. وكان من نقاط مقررات ذلك المؤتمر الإعلان عن قيادة الإقليم نحو استقلال ذاتي والتعاون المطلق مع الدولة الإسبانية في مختلف المجالات، والحفاظ على التراث الديني والاجتماعي للسكان والانفتاح على العصر، واعتبار الإسلام الدين الرسمي واللغة العربية لغة وطنية وتحسين أوضاع المرأة وتأهيلها للمساهمة في الحياة السياسية والثقافية والاقتصادية، والعمل على إقامة تنمية اقتصادية والرفع من المستوى المعيشي للسكان وتوفير التعليم والشغل وتأسيس التعاونيات الزراعية والرعاية الصحية. وفي هذا المؤتمر تم انتخاب السيد خليهن ولد الرشيد أمينا عاما للحزب الذي كان وقتها مهندساً شاباً.

ورغم الدعم القوي الذي تلقاه هذا الحزب من جهة الإدارة الإسبانية التي وفرت له أرصدة مالية ودعت الطلاب وموظفي الإدارة إلى الانخراط فيه، فإنه لم يلق تجاوبا كبيرا من طرف سكان الساقية الحمراء ووادي الذهب. لكن خلال سنة 1975 ذاتها سيرحل كل من خليهن ولد الرشيد زعيم الحزب والسادة خلي ولد ادخيل وحمودي ولد بوحنانة في اتجاه الرباط حيث قدم الأمين العام البيعة لجلالة الملك الحسن الثاني بتاريخ 18 ماي 1975. وكان لهذا الحدث أثره على مستقبل الحزب - الوليد، حيث تقلص إشعاعه ما عدى في مدينة العيون ثم في قرية آوسرد، ليتم حلّه ويتفرق أطره وأنصاره نهائيا في شهر نوفمبر سنة 1975.

Tony Hodges, *Historical Dictionary of Western Sahara*, London, 1982 ; Diego Aguirre J.R., *Historia del Sahara Español*, Madrid, 1988 ; Angela Hernandy Moreno, *Guerra de Banderas en el Sahara*, Madrid, Entimemo, 2006.

محمد دحمان

بونيلّي، هيرناندو، إميليو، Bonelli, Hernando Emilio عسكري إسباني، ولد بسرقسطة سنة 1854. وفي سنة 1871 انتقل مع أبويه إلى طنجة حيث تعلم اللغة العربية الدارجة ثم قام بجولة استطلاعية عبر شواطئ المغرب الموالية للمحيط الأطلنتي خلال ثلاث سنوات. وفي سنة 1874 التحق بالأكاديمية العسكرية في مدريد حيث تخرج برتبة ضابط صف سنة 1878، وفي سنة 1882 كلف بمهمة سرية من طرف حكومته قام خلالها بزيارة مدن الرباط وفاس ومكناس والقصر الكبير والعرائش وطنجة رُقّي على إثرها لدرجة ملازم.



Bonelli Hernando Emilio

وفي سنة 1884 أحيل على فرقة الجيش الاحتياطية بطلب من الشركة الإسبانية للمستفرقين والمستعمرين Sociedad Española Afrianista التي كلفته بالقيام بعملية استطلاعية بشاطئ الصحراء المغربية الموالي للجزر الخالدات، فقام بجولة بحرية وبرية من رأس بوجدور (خط العرض 27 درجة) إلى الرأس الأبيض (خط العرض 20 درجة)، فاختار ثلاث بقع بذلك الشاطئ أقام فوق كل واحدة منها كوخاً من خشب ووضع عليه راية إسبانية، وأصدرت الحكومة الإسبانية في 26 ديسمبر من نفس السنة بلاغا بقرارها بسط حمايتها على شاطئ الصحراء الممتد من رأس بوجدور إلى الرأس الأبيض.

وفي شهر يناير من سنة 1885 شرع بونيلّي في بناء مركز الداخلة بالحجارة، فهاجم السكان المركز يوم 9 مارس وحطموا البناء وأحرقوا الكوخ ونهبوا الأمتعة وقتلوا بعض الإسبانيين وأسروا البعض الآخر، بحيث لم ينجُ منهم إلا من كان على ظهر السفينة الراسية بمياه الداخلة تمكنوا من الفرار واللجوء إلى الجزر الخالدات، وعرف نفس المصير كوخ سينطرا Cintra وكوخ الگويرة.

وبعد ثلاثة أشهر أذن لبونيلي في العودة إلى الداخلة معززاً بكتيبة يرأسها القبطان خوسي شاكون Jose Chacon.

وفي يوم 10 يوليوز عين بونيلي مندوبا ملكيا Comisario بالشاطئ الصحراوي الممتد من رأس بوجدور إلى الرأس الأبيض. وفي 10 أكتوبر سلمت شركة المستفرقين حصن بيّا ثيسنيروس إلى الحكومة الإسبانية التي قامت باحتلاله عسكريا يوم 16 ديسمبر 1885.

وقد استقبل بونيلي بالداخلة يوم 14 ماي 1886 البعثة التي أرسلتها الشركة الجغرافية الإسبانية Sociedad geografica española. فوصلت إلى أدرار التمار وسبخة إيجيل، حيث زعمت أنها حصلت على موافقة أمراء أدرار على وضع إماراتهم تحت حماية إسبانيا في وثيقة حررت يوم 12 يوليوز 1886.

ونظرا للهجومات المتوالية التي تعرض لها حصن الداخلة قررت الحكومة الإسبانية يوم 6 أبريل 1887 إلحاق الشاطئ الصحراوي الممتد من رأس بوجدور إلى الرأس الأبيض بالقيادة العسكرية العامة بالجزر الخالدات، فأصبح بونيلي يحمل لقب نائب الحاكم السياسي والعسكري لوادي الذهب.

وفي سنة 1899 أعفي بونيلي من منصبه حيث عين نائباً لرئيس عصبة المستفرقين الإسبانيين وعضواً في الجمعية الجغرافية الإسبانية بمدريد إلى أن مات سنة 1926، وكان قد ألف كتاباً بعنوان الصحراء *El Sahara* طبع بمدريد سنة 1887.

E. Bonelli, Nuevos territorios españoles en la Costa del Sahara, *Bol.Soc. Geogr., Madrid XVIII.* 1885, 333 – 354 ; *El Sahara*, Madrid, 1887 ; J. Cervera. *Epedicion al Sahara* ; De Rio de Oro a *Iyil. Rev, geogr. Coonercial* II num. 25 – 30, Madrid, Julio-septiembre, 1886, 1-6 ; F. Quiroga, El Sahara occidental y sus moradores, *Rev. Geogr. Comercial* II num. 25 – 30 (Madrid, Julio-septiembre 1886) 66 – 72 : T. Garcia Figueras, *Santa Cruz de Mar Pequeña : Ifni- Sahara*, Madrid, 1941.

محمد ابن عزوز حكيم

بُوهو (آيت-) في إطار تجمع القبائل حول قبيلة آيت براهيم التابعة للفّ آيت عثمان باتحادية تكنة. تنقسم صغريات القبائل إلى قسمين حسب النطق اللغوي الأمازيغي أو الحساني. وقد جاء هذا الانقسام سبباً في تسمية آيت النص (لنصاص). ومن بين صغريات القبائل الناطقة بالأمازيغية تندرج قبيلة آيت بوهو. تقيم هذه القبيلة بمدشر تيكليت - ن - آيت بوهو الذي وصفه الرحالة الفرنسي M. Vieuchange في رحلته إلى اسمارة سنة 1930. كما أنها تتوفر على بعض المنازل بتاغجيجت عاصمة تراب آيت النص (انظر آيت براهيم). وقد تميزت قبيلة آيت بوهو بتخصصات فلاحية وتجارية تؤكد انتماءها إلى الغور السكاني الأقدم (انظر آيت بلة).

M. Vieuchange, *Chez les dissidents du Sud marocain et du Rio de Oro. Smara :Carnets de route.* Paris, 1932.

مصطفى ناعمي

بيت منيجة : وهو ظرف من الجلد المدبوغ المزخرف مستطيل الشكل، يجعلون له عدة تجاويف وسموه "بيت امنيجة"، أي بيت طابة (التبغ)، وكانوا يسحقون طابة فيجعلونها في تجويف، ويتخذون من عظام الشاء أنبوبا يدخنون فيه فيجعلونه في تجويف، ويجعلون الزناد وكتان النقش وحجر الزناد في تجويف. وربما أضافوا عوداً أو مسماراً يسمونه "السنقاس" ينظفون به العظم إذا تراكمت فيه "عسلة" التبغ وهي آثار احتراقها ونفاياتها. هذا الوعاء الجلدي تصنعه النساء الحرفيات "المعلمات" ولا يزال مستعملا عند بعض الرجال اليوم رغم دخول علب السجائر الحديثة.

المختار بن حامد، *مقامات المختار بن حامد*، تحقيق، الحسين بن محنض، دار الفكر، انواكشوط، 2010 ؛ *حياة موريتانيا : الحياة الثقافية*، الدار العربية، تونس، 1992.

محمد دحمان

البِير في الصحراء المغربية، للبئر في الأقاليم الصحراوية أهمية كبرى، يُكوِّن مع الواحة المعلمتين الأساسيتين في أية منطقة صحراوية في العالم. وتكثر الآبار في الصحراء المغربية بحيث يتعذر تتبعها واحداً واحداً، لذلك سنورد هنا جرداً عاماً بأسمائها اعتماداً على بعض الدراسات والخرائط السرية التي وضعتها الإدارة الإسبانية أثناء الاحتلال إضافة إلى المصادر والمراجع الإسبانية المنشورة قبل عودة الأقاليم الصحراوية إلى حظيرة الوطن :

أبيب، أبيدوز، الأبيض، أحمد، الأحمر، أرجمار، أريدال، اكليت اسفاه، اكمومويت، أكويدير، اكوينيت، اكيلاس، اليفة، أم فاطمة، امبات امكانا، امكلي، امليلي، امسيكير، امسين، أميلنيك، أنزران، انفيست، انسياليت، انوطى، اسمارة، أهل الشيخ الوالي، أوادي، أوحفريت، أوركات، أوكرواليت، أوفيست، أوسياليت، أوسيرت، إيافة، ايج، بن حمادو، بوجدور، بوخشيبية، بوركيبة، بوكفة، بولرياح، البويردات، تاجميل، تاكرزيمت، تاكولات، تامي، تافراوت، تافودارت، تاسوة، تاشكتامت، تايارت، تاركيت، تنواكة، التوارتة، توزينين، توكات، تيدماكة، تيراكلين، تيملوسة، تينغراد، تيفاريتي، تيسلاتين، تيشلا، الجديرية، جرف سعدون، الجريفية، الجلوا، الجليا، حبادة، الحكونية، الحلو، الحميرة، الحمير ماش، الحوزة، حسيان، الخلوة، خليل، الدوار، الدموس، الدشيرة، الدورة، الدويهب، الراك، الرخيمة، الرغيوة، الرقيقة زنزانة، الزوك، طبق، طلحة، الطوف، الكاموس، كرتوفة، الكريسم، الكطفة، الكطوع، الكنيفة، الكطيطير، كلتة زمور، الكندوز، الكيدية، لرجامة، لمامي، مبروك، المجبيار، المدادة، المرض، مكونة،

المكيب، المگبورة، المسيد، معطى الله، المهيرز، موقلاني، مويلاح، الميدار، الميزور، النار، النبگة، النخلة، النخيلة، النخيطة، النطريف، النويفذ، نيزان، الصيتة، الضويق، عثمـان، العريـدة، عگيـلت، العگاية، العسل، العسلي، العويتگات، عويشة، غريبيل، فراگش، الفرسية، الفوار، القرعة، القليلة، سعدون، الشاي، الشر، الشريفية، الشمل، حگونية، الحميدنات، ولد سيدي محمد.

م. الغربي، *الساقية الحمراء ووادي الذهب*، ج 1.

Gobierno General de Sahara, *Informe sobre los puntos de agua existentes en el Sahara Español*. El Ayun 6 de Agosto de 1943 ; *el pozo fuente de vida capital en el Sahara*. El Ayun, Julio de 1948 ; *Mapa de los pozos del Sahara 1944* ; A. Domenech Lafuente, *Algo sobre Rio de Oro*, Madrid, 1946 ; A. Flores Morales, *El Sahara Español*, Madrid, 1946 ; I. Camero Ruiz, *Vocabulario geografico-saharico*, Madrid, 1955 ; J. Caro Baroja, *Estudios Saharianos*, Madrid, 1955 ; P. Gomez Moreno, *Pozos del Sahara*, Madrid, 1956.

مصطفى ناعمي

بيـر مغرين، القرية المورطانية حاليا، التي التأم فيها مؤتمر ثلاثي بين الإدارة الإسبانية في الصحراء الغربية والسلطات الفرنسية المكلفة بإفريقيا الغربية التي كانت مورطانيا جزءا منها والقيادة الفرنسية للتخوم الجزائرية المغربية، انعقد في دجنبر 1934 على إثر احتلال الفرنسيين لمدينة تيندوف يوم 31 مارس 1934 واحتلال الإسبان لمدينة السمارة يوم فاتح ماي التالي، وكان القصد من ذلك إثبات ما كان يسمى عندهم "بالپـاسفيكاسيون" في شمال مورطانيا ومناطق الحدود المغربية الجزائرية على الشكل الذي اقتطعها عليه الضباط الفرنسيون فيما بينهم وبناء على ما كان من الأوفاق بين فرنسا وإسبانيا في المنطقة. وهكذا وقع الاتفاق على أن تبقى العساكر الإسبانية مرابطة في السمارة شمال المنطقة المخصصة لهم وفي الزوگ في الجنوب لمراقبة تحركات أولاد دليم وأن تراقب عن كثب مرتفعات گلتة زمور. كما تقرر بين الضباط الفرنسيين أن يقع رگيبات الشرق تحت سلطة المكلفين منهم بالجزائر ورگـيبات الساحل بالمسؤولين عن إفريقيا الغربية ومورطانيا.

Hodges, T., *Historical Dictionary of Western Sahara, London*, 1982.

إبراهيم بوطالب

بيرنزران (معركة -) وقعت يوم 23 فبراير سنة 1958 بين إحدى فرق جيش التحرير وبين القوات الاستعمارية، استعمل فيهـا العدو جميع سلاحـه الجـوي والبري ولكن بالرغـم من ذلك كلـه فقـد تكبد خسائر مادية ومعنوية جسيمـة إذ مـات من بين صفوفه 55 وأصيب 23 بجروح متفـاوتة الخطورة وفقـد جيـش التحرير إثنان من رجاله.

محمد بن سعيد آيت أيدر، *صفحات من ملحمة جيش التحرير بالجنوب المغربي*، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، يونيتو، 2001.

ماء العينين النعمة علي

ابن **بيروك، مَحمّد**، الابن الأكبر للشيخ بيروك. وليس من الصعب معرفة السبب الذي حدا ببيروك إلى تعيينه على كنانيش التجارة وإرساله إذا اقتضى الحال إلى بريطانيا للإشراف هناك على مصالح العائلة. فالوظيفة الظاهرة والمقصورة للابن الأكبر تقتضي تسخيره في تعزيز مكانة أبيه. والملاحظ أن مَحمد قد قام بمأموريته أحسن قيام مركزا على كل ما من شأنه الارتقاء بدار بيروك إلى مستوى دار إليغ دينيا وتجاريا. لقد كان متدينا ورعا زاهدا رغم مرونته في التعامل مع الأروبيين بالشواطئ. ومما يجسد تطلعه إلى المحافظة على حركية أهله واستقلالية وادي نون الاقتصادية سكه عملة محلية تحمل اسمه قبل وفاة أبيه. وهو ما يبدو ضروريا لتاجر كبير يجد أمامه أطراً وهياكل يهودية قارة وجاهزة للعمل والتكتل. ولعله من المفيد التساؤل عن السبب الذي حدا بـمَحمد إلى عدم خوض معركة أبناء بيروك الآخرين من أجل السلطة بعد وفاة أبيهم. فوظيفته التاريخية تتمثل في تعزيز مكانته ونفوذه كسيد تجار گلميم بعد وفاة أبيه وعلى هذا الأساس فإن سيرورة ارتقائه لم تتحقق في سياق ردود الفعل المناوئة أو المساندة للمخزن المركـزي. فإذا كان إخوانه قد استغلوا لحسابهم الانقسامـات الداخلية واتخذوهـا منطلقا للسيطرة في البداية على قبيلة آيت موسى أُعلي وبعض قبائل اللف الذي ينتمون إليه، فقد كان في مقدوره أن يتميز عن الجماعة وأن يرتقي إلى مستوى كبار التجار ذوي الميول الدينية.

توفي حوالي مفتتح عام 1297 / 1879 - 1890.

إبراهيم بن علي الحساني، *ديوان قبائل سوس في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي*، تحقيق، عمر أفا، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أگادير، العدد الأول، 1987، 85 - 120 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تحقيق، أ. العماري، 1986 ؛ محمد المختار السوسي، *المعسول*، *إيليغ* ؛ *خلال جزولة* ؛ مصطفى ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة*، *تاريخ العلاقات التجارية والاجتماعية*، الرباط، 1988 ؛ أهمية علاقات الرحل والمستقرين في التطور التاريخي لمجموع اتحادية تكنة، *البحث العلمي، العدد 38، 1988، 253 - 284* ؛ محمد سالم بن الحبيب بن عبد الحي، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، تحقيق، مصطفى ناعمي، 1991.

L. J. Justinard, Le Kennach : une expédition du Sultan Ahmad el Mansour dans le Sous, 985 / 1580, *A. M., vol XXIX, 1933, 165 – 214* ; F. C. De La Chappelle, Histoire du Sahara occidental, *Hesp., 1930, n° spécial, XI, fasc. I – II, 35 – 95 ; Les Tekna du Sud Ouest Marocain, A.F.*, 1934, 108 p ; M. Eménit, Les liaisons terrestres entre le Soudan et

l'Afrique du Nord au XVIIIe et au début de XIXe siècles, *Travaux de l'IRS, T. XI, ler semestre, 1954, 29 – 47* ; J. Gatell, L'Oued Noun et les Tekna à la côte occidentale du Maroc, *Bull. Soc. Géog., 5, XVIII, 1869*, 257, 287 ; T. Hodges, *Historical Dictionary of Western Sahara*, Londres, 1982 ; P. Marty, Les Tekna du Oued Noun, *in Les Tribus de la Haute Mouritanie*, 60 – 89 ; V. Monteil, *Notes sur les Tekna*, Paris, 1948, 60 p ; J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1830 – 1894, Paris, 1961 – 1964 ; 4 vol : *Documents d'histoire économique et sociale marocaine au XIXe siècle*, Paris, 1969, 117 – 122 ; M. Naïmi, La politique des chefs de la Confédération Tekna face à l'expansionnisme commercial européen, *R.H.M., llème année, n° 35 – 36, Décembre,* 1984.

مصطفى ناعمي

البيضان (أدب ـ) ليس من شك في أن التعبير الاصطلاحي "أدب البيضان" يرتبط ارتباطا وثيقاً بالتراث العربي الإسلامي لأنه يعيد إلى الأذهان بعض الكتابات المعروفة في أدبنا القديم، منها كتابات الجاحظ على سبيل المثال. ولكنه، من المؤكد كذلك أن اصطلاح "البيضان" من الكلمات الرائجة والمتداولة بكيفية خاصة في الجنوب المغربي (گلميم ـ طنطان ـ طرفاية) وفي الأقاليم الصحراوية المغربية التي عاشت لفترة من التاريخ تحت الحماية الإسبانية. وينبغي التأكيد أيضا على انتشار المفردة ذاتها في الديار الموريتانية، التي تعد الينبوع الذي تفجر منه اصطلاحات وتعابير كثيرة انتشرت في الأقاليم الجنوبية المغربية. أما لماذا وكيف ؟ فتلك أسئلة يتطلب الجواب عنها تحليلا مفصلا ودراسة مستقلة تستند إلى المعطيات الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والثقافية.

وحسبنا هنا التذكير بالواقع الجغرافي والاجتماعي الذي جعل الأقاليم الجنوبية المغربية انطلاقاً من وادي نون وعاصمته گلميم، مروراً بطنطان وطرفاية وانتهاءً بالأقاليم الصحراوية المتمثلة في الساقية الحمراء ووادي الذهب وحواضرها المعروفة : العيون ـ السمارة، الداخلة، ترتبط بمحيطها ارتباطاً وجدانياً و"فنيا". ومن هنا هذه التسمية البيضان (بالحسانية "البيظان") التي تنص على الانتماء العربي من جهة، وعلى الانتماء الإفريقي في شقه الأبيض من جهة ثانية.

وعليه، ينبغي القول إن أدب البيضان هو الفن الذي يتعاطاه الأهالي البيض في جنوب المغرب وصحرائه وهو الفن عينه المنتشر في موريتانيا. لكن التعبير الاصطلاحي يحمل بين طياته مفارقة طريفة، تكمن في كون هذا الفن يقوم أساساً على جهود "الصناع" أو المعلمين أو "إيگاوُنْ" بالتعبير الحساني.

ليس القصد من هذا الخوض في تحليل تاريخي لظاهرة أدب البيضان، بل التأكيد على وجود فن متميز يجمع بين الأدب الفصيح والشعر الشعبي (الحساني) المرتجل أو المصنوع. إن أدب البيضان يعد فعلا فناً متميزاً من نواح مختلفة. فهو يجمع بين الطرب الشعبي لغة وأدوات وجواً وبين مقومات الشعر العربي الفصيح. وهو إلى ذلك يمارس ويزدهر في المناسبات الاجتماعية كالأعراس والأفراح وليالي الأنس ؛ وتتوافر له شروط فنية وطقوس اجتماعية خاصة، كما أنه يخضع لقواعد تعامل وممارسة مضبوطة. فبالإضافة إلى بنيته الإيقاعية والموسيقية المتفردة التي تجعل منه فناً إفريقياً أصيلاً نشير إلى طرائقه الخاصة في الأداء وآلاته البسيطة وإلى الفنانين الذين يمارسونه ويعدون أرباب صنعته.

إن أدب البيضان يعد فناً إفريقياً وثيق الصلات بفن إفريقيا الغربية. فهو يمتح من الموسيقى المالية والغينية والسنغالية منذ عصور، ويرجع ذلك إلى مكونات المجتمع الصحراوي الواسع الذي امتزجت فيه عناصر وفئات اجتماعية منها العرب والبنبارا والصركولي والتكارير ولف السرير وغيرها. ولكن جذوره التاريخية العربية تظل من المعطيات التي لا ينبغي نسيانها، ومنها السمن تحديداً. من المؤثرات التي فعلت فعلها في هذا النوع من الفن الذي يعد كذلك من نتاج الأحداث الاجتماعية الواقعية (دور أولاد مبارك في ابتكار وتطوير الموسيقى الموريتانية المعاصرة).

وعلى الرغم من انصهار سكان شمال الصحراء وجنوبها في بوتقة واحدة فإن التسمية على الصعيد الفني بقيت تكرس التفرقة بين العرب البيض وبين السود. بل إن الامتزاج الذي حصل على المستوى الاجتماعي أثمر نمطا موسيقيا ثالثا هو لكنيدي الذي يمثل (جانيت أزران) : نصف بيضاء ونصف سوداء. فـ (أجانب الكحل) يرمز إلى السكان السود بينما موسيقى البيضان تمثل العنصر العربي الأبيض.

فأدب البيضان بهذا المعنى هو الأدب العربي الذي يكوِّن الجانب الخاص بالعنصر الأبيض. وهذا التمثيل تأتي مستوى البنية الإيقاعية والموسيقية :

- جانب أكحل منسوب إلى السود.
- جانب أبيض منسوب إلى البيض (البيضان).
- جانب أوزرق : نصف أبيض، نصف أسود.

ومن هذه الجوانب تتكون الأنماط الأساسية التي تنشأ من انفعالات الإنسان ومنها : أكحل انتماس ؛ أنوفل ؛ أكحل مك موسى ؛ أكحال كر.

ومن المعروف لدى المهتمين بالموسيقي عموماً أن الآلات الموسيقية تصنع استجابة للنمط الموسيقي. وهكذا ظهرت "تيدينيت" في أدب البيضان للتعبير موسيقيا وفنيا عن الانفعالات ولتصوير النمط الموسيقي المطلوب، وكل نمط موسيقي يرتبك هنا بفئة اجتماعية محددة. وعليه فأدب البيضان هو أدب الطبقة العربية الإسلامية المنتشرة في الصحراء وربما كان للعزلة التي حاول المستعمر فرضها على القبائل العربية في هذه المنطقة أثرها الإيجابي كذلك في تيسير التواصل بينها وفي تشبثها بتراثها العربي الإفريقي الأصيل. وهو تراث لا يقتصر على الموسيقى وحدها، بل يشمل فنوناً مختلفة من غناء وطرب وشعر وأدب وسمر ورقص، وكلها فعاليات اجتماعية متداخلة ومتكاملة يعبر عنها ويلخصها أحسن تعبير وتلخيص اصطلاح "أدب البيضان". ولا بد

هنا من التذكير بأن أدب البيضان يمثل عنصر وحدة وتضامن بين القبائل العربية التي تنتشر حاليا في الصحراء الكبرى، وبخاصة بين تلك القبائل التي تتحدث بالعربية وباللهجات المشتقة منها (الحسانية) التي يكتب بها الشعر ويُصاغ الطرب.

من أعلام أدب البيضان المعاصرين :

- محمد معروف الرصافي (يشرف حاليا على برنامج في إذاعة العيون).
- محمد بن عبد الرحمن الرباني (يشرف حاليا على برنامج في إذاعة الداخلة).
- محمد عبد الرحمن الشنقيطي المؤذني، ينتمي إلى قبيلة المؤذنين من رقيبات الساحل. وهو أيضا كاتب كلمات بالشعر الحساني.
- مصطفى ولد البن، من قبيلة آيت الحسن. كان يقيم بالقصابي (على بعد عشرة كيلومتر من گلميم) وتوفي منذ سنوات.
- لغظف ولد بوشعاب، من آيت الحسن، يقيم بالعيون.
- الرويجل، من أولاد تدرارين، شاعر حساني معروف.
- المحوبو ولد يارا، من الصناع أي المعلمين.

ومن القدامى يمكن أن نذكر : الشيخ محمد المامي، من أهل باريكلا، عالم جليل وشاعر كبير من نواحي أوسرد قرب الداخلة، معروف في الصحراء وفي موريتانيا وله زاوية بها ؛ محمد قاري من أهل محمد سالم، يوجد بالعيون حالياً.

وكثيراً ما يجمع الشاعر الحساني بين قرض الشعر بالحسانية وبين الشعر الفصيح مثل الدرجاوي عبد الرحمن، من قبيلة إداوعلي، فهو كذلك شاعر عمودي.

إدريس الناقوري

بيطانكور، (دي) جان، (Bethencourt, Jean de,)

نبيل من إقليم نورماندي (Normandie) في فرنسا كان طليعة سلسلة من المغامرين الأوربيين الذين صاروا يجوبون البحار ويكشفون عن الأراضي والقارات، عهد إليه ملك قشتلة إنريكي الثالث (Enrique) سنة 1402 باحتلال الجزر الخالدات فكان أول من اقتحمها ودشن عمليات إبادة سكانها الأصليين كما دشــن التربص بالقوافل الصحراوية لنهبها واستعباد رفاقهــا مثلما فعل بقافلــة لقبيلة تكنة سنــة 1405 قرب بوجدور، عاد بعدها إلى أوربا قبل أن ينتهي من احتــلال الجزر الخالــدات التي آل مصيرها بعد ذلك للبحارة البرتغاليين ثم الإسبان بعدهم.

Hodges, T., *Historical Dictionary of Western Sahara, London*, 1982.

إبراهيم بوطالب

بينس أرگونادا، فرانسيسكو Bens Argonada, Francisco

بمجرد توصل كل من فرنسا وإسبانيا إلى التوقيع على اتفاقية 27 يونيو 1900 التي حددت مناطق نفوذ كل دولة على حدة في سواحل إفريقيا الغربية والصحراء وساحل خليج غينيا. أصدرت الحكومة الإسبانية قرار بتاريخ 2 أبريل 1901، نصت فيه على ضرورة إسناد مسألة الإشراف على الشؤون السياسية والعسكرية والإدارية الخاصة بالمناطق الخاضعة للنفـوذ الإسبانــي في سواحل المغرب الجنوبيّــة لوزارة الدولة الإسبانية. وهذه الأخيرة هي التي اختارت الليوتنان كولنيل فرانسيسكو بينس لشغل منصب الحاكم السياسي والعسكري على المناطق المذكورة سنة 1903.

ولد فرانسيسكو بينس بهاڤانا سنة 1867 وانخرط في سلك الجندية الإسبانية وحصل على مرتبة ملازم وعمره 18 سنة. وأبان عن كفاءة عالية الشيء الذي جعله يتسلق بسرعة هرم السلم العسكري ليحصل على مرتبة ليوتنان كولنيل سنة 1900.

استمر بينس في منصبه هذا إلى حدود سنة 1925. وتمكن بفضل دهائه وحنكته من نهج سياسة مغايرة لتلك التي نهجها المقيم العام الفرنسي بالمغرب الجنرال ليوطي أو الحاكم العسكري الفرنسي بموريتانيا الليوتنان كولنيل گادن (Gaden)، جنبته الدخول في مواجهة عسكريّة مباشرة مع قبائل الصحراء. وبعد عزله وتعويضه بالليوتنان كولنيل دي لابينا (De Lapena)، الحاكم عام على منطقة وادي الذهب وطرفاية سنة 1925، عاد بينس إلى مدريد وظل يمــارس مهامــه ضمن الجيش الإسباني إلى أن وافته المنية سنة 1942 برتبة جنرال دوبريگــاد شرفــي.

اتسمت سياسة بينس بالمسالمة والمهادنة مع شيوخ القبائل الصحراوية وذلك لتحقيق هدفين هامين، هما تجنيب المراكز الإسبانية بالصحراء هجومات القبائل الصحراوية التي كانت تنطلق من منطقة وادي الذهب للهجوم علي المراكز الفرنسية في كل من آدرار، تجيكجة، أكجوجت، تيشيت، تاگانت والعمل في نفس الوقت على تشجيع القبائل الصحراوية على عقد صفقات تجارية مع مركز فيلا سيسنيروس "الداخلة". الذي أقامته إسبانيا منذ سنة 1884. لكن النائب السلطاني بالصحراء الشيخ ماء العينين تصدى لهذه المحاولات وحث القبائل على عدم الانصياع لمزاعم الإسبان والفرنسيين. كما بعث السلطان مولاي عبد العزيز رسالة إلى شيوخ قبيلة العروسيين حثهم فيها على ضرورة الدفاع عن سواحل بلادهم ومنع رسو السفن الأجنبية ومنع باقي القبائل من ربط علاقات تجارية معها.

وللرد على هذه التدابير التي اتخذها المخزن المغربي، حاول بينس إقناع شيوخ القبائل الصحراوية بإقامة علاقات تجاريّة مع جزر الكناريايس، وطلب من حكومته الترخيص ببناء مراكز للصيد البحري في الأراضي الواقعة بين ساحل طرفاية ورأس بوجدور، وحاول التدليس على بعض شيوخ القبائل ووعدهم بإشراكهم في هذه المصانع المزمع إقامتها في بلادهم. وطلب منهم مرافقته إلى جزيرة لاس بالماس للاجتماع بالملك الإسباني الفونصو الثالث عشر الذي حل بجزر

الكناريا سنة 1906. واستغل بينس ذلك للادعاء بأن هؤلاء الشيوخ جاؤوا لجزر الكناريا لطلب الحماية من الملك الإسباني ولمساعدتهم على بناء وكالات تجارية في سواحل بلادهم. لكن الشيخ ماء العينين وباقي القبائل أحبطوا تلك المؤامرة وتصدوا للجيوش الإسبانية وأرغموها على العودة إلى مركز فيلا سيسنيروس.

وتلقى بينس ضربة أخرى من وراء ظهره تمثلت في تلك الانتقادات اللاذعة التي وجهّتها له السلطات الفرنسية الحاكمة بموريتانيا تتهمه فيها بالتقاعس وعدم قدرته على احتلال المناطق التي منحتها فرنسا لبلاده بموجب اتفاقيات 1900 - 1901 - 1904 - 1906، وتركه حرية التنقل لأغلب قبائل الصحراء لاجتياز منطقة وادي الذهب وشن هجومات عنيفة على المراكز الفرنسية المقامة بموريتانيا والسنغال، فقررت إسبانيا نهج سياسة موحدة مع فرنسا للرد على هجومات القبائل الصحراوية، وأرسلت سفينتها الحربيّة (Alvaro – Bazan) إلى سواحل المغرب الجنوبية للتعاون مع السفينة الحربية الفرنسية (La Lande) لمنع رسو المراكب المخزنية المحمّلة بالسلاح والذخيرة الحربية المرسلة للشيخ ماء العينين وأتباعه.

وبعد قيامه بعدة جولات في المناطق الداخلية لوادي الذهب، بعث بينس تقريرا مفصلا لحكومته حثها فيه على ضرورة إنشاء فرق عسكرية خاصة لمراقبة تحرك القبائل.

وفي سنة 1914، استقبل الليوتنان كولنيل بينس المبعوث الإسباني إنريك دالمونتي (Enrique D'Almonte) الذي أرسله أعضاء الجمعية الإسبانية للجغرافية التجارية إلى ساحل وادي نون لدراسة إمكانية بناء مركز عسكري، منحوه مبلغا ماليا هاما (20.000 بسيطة) لمساعدة بينس على إنجاز هذا المشروع. لكن الحروب القائمة بين فرنسا وأتباع الشيخ أحمد الهيبة بن ماء العينين في منطقة سوس، أرغم إسبانيا على التريث وعدم المجازفة في منطقة وادي نون، وأرسل رئيس حكومتها رومانونيس (Romanones) رسالة إلى بينس سنة 1916، أمره فيها بالتحرك نحو المناطق الشمالية لاحتلال ساحل طرفاية. وتوصل بينس بمساعدات عسكرية من حكام جزر الكناريا مكنته في تحقيق هدفه في 30 يونيو 1916، وهكذا بعد مرور 32 سنة على احتلال ساحل وادي الذهب سنة 1884، توصلت إسبانيا إلى بناء مركز عسكري ثاني لها بالصحراء بساحل طرفاية. وأصدرت سنة 1916، قرارا نصت فيه على جعل ساحل طرفاية تحت سلطة مندوبها السامي الموجود بمدينة تطوان، وأمرت بينس بنقل مقر حكمه من فيلا سيسنيروس إلى طرفاية.

وخوفا من أن تشن القبائل هجومات على مركز طرفاية. حاول بينس التقرب من الشيخ محمد الأغظف ابن الشيخ ماء العينين الذي كان يقيم بمنطقة تافودارت بالساقية الحمراء، ووعده بمنحه كميات هامة من المواد الغذائية وبمبالغ مالية مغرية إن هو أقنع القبائل بعدم مهاجمة مركز طرفاية. وللرد على الانتقادات اللاذعة لسلطات فرنسا بموريتانيا واتهامها الإسبان تارة بالضعف وتارة بالتواطؤ، قررت الحكومة الإسبانية بناء مركز عسكري جديد في أقصى جنوب سواحل وادي الذهب لمراقبة تحرك القبائل ومنعها من اجتياز مناطق نفوذها للهجوم على المراكز الفرنسية. ثم أمرت الحكومة الإسبانية حاكمها بالصحراء بينس بفتح مفاوضات جديّة مع حاكم فرنسا بموريتانيا الليوتنان كولنيل گادن (Gaden)، لنهج سياسة موحدة للدفاع عن مصالح بلديهما. فعقد اجتماعاً معه بمركز بورت إتيان (نواديبو) سنة 1919 لوضع خطة لإنجاح سياستيهما. كما توصل بينس بمساعدات عسكرية من طرف حاكم جزر الكناريا وبعدة فرق من الجيش الإسباني مكنته من بناء مركز عسكري جديد في جنوب سواحل وادي الذهب أطلق عليه اسم لگويرة، ولحماية هذا المركز من هجومات القبائل نصب بينس حامية عسكرية تتكون من خمسين جنديا وبعض الضباط يرأسهم القبطان گثمان (Guzman).

كما حاول بينس احتلال ساحل افني سنة 1921، لكنه فشل في إقناع شيوخ القبائل خاصة منهم الشيخ محمد الأغظف، رغم الوعود التي قدمها لهم مثل مساعدتهم على إنشاء مرسى تجارية في سواحل بلادهم لتسهيل عملية تزويدهم بكل ما يحتاجون إليه من مواد غذائية وتجارية، هذا بالإضافة إلى التعليمات التي توصل بها بينس من رئيس الحكومة الإسبانية الجنرال بريمو دي ريفيرا (P Rimo de Rivara) الذي أطاح بالحكومة المدنية القائمة بإسبانيا وعوّضها بدكتاتورية عسكرية إثر الثورة التي شهدتها إسبانيا سنة 1923 يأمره فيها بعدم استعمال القوة مع قبائل ساحل إفني والانكباب على بناء محطة لهبوط الطائرات في طرفاية. لكن قبيلة إزرگيين اعترضت طريق بينس ومنعته من بناء المحطة. ولتأديب هذه القبيلة قامت الطائرات الحربية الإسبانية بهجومات ضد خيام إزرگيين وقتلت بعض أفرادها سنة 1925. فانضمت باقي قبائل المنطقة لإزرگيين وشنوا هجوما قويا على مركز طرفاية وخربوا بعض منشآته. واستولوا على كميات هامة من مواد البناء (الحديد والخشب) ثم عاودوا هجومهم ضد منشآت بعض الآبار التي أقامها الإسبان بمركز طرفاية للتزود بالماء الصالح للشرب.

وعلى إثر هذه الأحداث أصدرت الحكومة الإسبانية قرارا بتاريخ 15 دجنبر 1925 نصت فيه على إنشاء إدارة عامة تشرف على تسيير شؤون المناطق الخاضعة لها في ساحل وادي الذهب وفي ساحل طرفاية، لكن مهمّة هذه الإدارة لم تكن تتجاوز المناطق الساحلية، لأن الحكام العسكريين الإسبان لم يكن بإمكانهم الابتعاد عن مراكزهم المبثوتة في الساحل خوفا من الوقوع في أيدي القبائل. ولإعطاء نفس جديد لسياستها بهذه المناطق، قامت الحكومة الإسبانية بعزل الليوتنان كولنيل بينس وعوّضته بالليوتنان كولنيل دي لاپينا وأمرته بالعمل على بناء مركز عسكري جديد في منطقة الدورة بالقرب من ساحل طرفاية. لكن قبائل المنطقة اعترضت طريق دي لاپينا ومنعته من تحقيق مشروعه. أمّا بينس فقد عاد إلى مدريد ووشحته الحكومة برتبة

جنرال دو بريكاد اعترافا بالمجهودات التي قام بها كحاكم سياسي وعسكري بالصحراء فيما بين 1903 إلى حدود سنة 1925. وظل يزاول مهامه العسكرية إلى أن توفي بمدريد سنة 1942.

المختار السوسي، *المعسول*، ج 4، مطبعة فضالة، المحمدية، 1960 ؛ محمد بن عزوز حكيم، *السيادة المغربية في الأقاليم الصحراوية من خلال الوثائق المخزنية*، الدار البيضاء، 1981 ؛ اقتسام المغرب بين فرنسا وإسبانيا، (1900 – 1912)، جريدة *العلم*، 1974.

Tomas Garcia Figueras, España en Marruecos y en el Africa occidental *Revista Africa* , N° junio. çeuta, 1934 ; Camille Fidel, *Notes sur l'influence espagnole au Maroc*, Paris, 1904 ; *Documents Diplomatiques Français*, Année, 1907 – 1908, T : 3, Paris, 1908 ; Attilio Gaudio, *Le dossier du Sahara occidental*, Paris, 1978 ; Angel Domenech Lafuente, *Algo Sobre Rio de Oro*, Madrid, 1946 ; Sophie Caratini, *Ismäel ould Bardi, héros de La résistance sahariènney*, Paris, 1987 ; Paul Marty, *Les tribus de la Haute Mauritanie*, Paris, 1915 ; Angel FLores Morales, *EL Sahara Español*, Madrid, 1946 ; *Attilio* Gaudio, *Le Sahara des Africains*, Paris, 1960 ; Désiré-Vuillemin, G., *Contribution à l'histoire de la Mauritanie*, Dakar, 1962 ; Guy Hermet, *L'Espagne au XIX Siède*, Paris, 1986.

نور الدين بلحداد

البيئة الصحراوية، عكس ما ينشر ويؤلف في بعض الأدبيات الغربية عن الصحراء بأنها مجال لا حياة فيه، قاحلة ومجرد "سراب بيولوجي" فإن المجال الصحراوي، مجال إيكولوجي شاسع يزخر بإرث تاريخي، حضاري، طبيعي وإنساني غزير ومتنوع يثير شهية الباحثين والمهتمين فنحن هنا بصدد صحراء أطلنتية كانت تتوفر على غطاء نباتي، شكل لمدة طويلة قاعدة لمجتمع رعوي متنقل، بالرغم من طابعه الخفيف والمتقطع، وقد سبب تعاقب فترات الجفاف والتغيرات المناخية والاستغلال المكثف للكلأ في اندثار هذا الغطاء النباتي. وأصبح اليوم من الضروري العمل على إعادة الحياة إليه، وإعادة بناء جسر بيومناخي، يربط المنطقة المدارية بالمنطقة المتوسطية. ويكتسي هذا الرهان البيئي، بعدا قاريا بديهيا. لذا يجب العمل على وقف مسلسل التدهور والخسائر المترتبة عنه، وعلى ترميم وإعادة بناء توازن هذه الأوساط المتصدعة.

ونحاول فيما يأتي أن نسلط الضوء على أهم الإكراهات الايكولوجية التي تعرفها النطاقات الصحراوية، خصوصا في كل من جهتي العيون - بوجدور - الساقية الحمراء وجهة وادي الذهب - لگويرة، التي تحتل أكثر من 40% من مساحة البلاد، والتي تعاني من اختلالات بيئية كبرى، منها بالخصوص، الاستغلال المكثف للموارد الطبيعية والزحف العمراني وما يصاحبه من تلوث للأنظمة البيئية المحلية. ويمكننا تصنيف الإكراهات والمشاكل البيئية التي تعرفها المناطق الصحراوية إلى صنفين :

إكراهات طبيعية مرتبطة أساسا بالبيئة الجيولوجية والبيو مناخية والتي تجعل أساليب الحياة صعبة نظرا لندرة المياه سواء منها السطحية أو الباطنية، إذ يعتبر الماء من أهم المصادر الأساسية لكل تنمية اقتصادية واجتماعية مستديمة. واعتبارا لهذا المعطى، فإن الجهتين تعرفان تذبذبا في التساقطات المطرية، نظرا لانتمائها إلى وسط صحراوي يتميز بارتفاع في درجات الحرارة وبجفاف حاد، ما عدا الشريط الساحلي، ذا الاعتدال النسبي بفعل الرياح البحرية. أما الفرشات المائية فإنها تعد على رؤوس الأصابع وهي في أغلبها لا تستغل نظرا لارتفاع نسبة الملوحة فيها. مما يضطر المسؤولين إلى التفكير في بدائل أخرى لتزويد هذه المناطق الصحراوية بالماء الصالح للشرب وعلى رأسها تقنيات تحلية مياه البحر رغم تكلفتها الباهضة الثمن. بالإضافة إلى غياب مؤشرات عن الفرشات المائية بحكم عدم وجود دراسات واستكشافات ميدانية كافية تساعدنا في تحديد الحاجيات على المديين المتوسطي والبعيد.

كما أن المناطق الصحراوية تعاني من زحف الرمال، الناتج عن عوامل عدة كقوة الرياح، والبنية الرملية للتربة وقلة التساقطات، فضلا عن التضاريس المنخفضة وتبقى جميع جوانب الحياة متأثرة بهذه الظاهرة، ولو بدرجات متفاوتة، من طرق وموانئ وضيعات فلاحية. وميدان التعمير لم يسلم من زحف الرمال التي تتسبب في عرقلة توسع مدينة طرفاية ومدينة العيون. ورغم المجهودات الجبارة التي تقوم بها الدولة والفاعلون التنمويون فإن ظاهرة زحف الرمال والترمل ظاهرة بنيوية مرتبطة بعدة عوامل طبيعية وإنسانية معقدة تستدعي مبادرة أفقيه ومندفعة للحد من الآثار السلبية على الاقتصاديات المحلية لهذه المناطق.

أما الإكراهات الإنسانية : فهي عديدة ومتنوعة بل يمكن اعتبارها السبب الرئيسي في تدهور الأوساط البيئية بالمناطق الصحراوية وعلى رأسها ظاهرة التمدن، والتي تتفرع عنها إشكاليات أخرى مرتبطة باستنزاف الثروات والتلوث ونقص في بنيات الصرف الصحي والنفايات ... الخ. والتي سنحاول جردها فيما تبقى من هذا المقال.

ظاهرة التمدن Urbanisation عرفت نموا سريعا ومطردا، ساهم بشكل كبير في تغيير أسلوب حياة الصحراويين. وذلك بالانتقال من أسلوب حياة يعتمد الترحال والبحث عن مواطن الماء والكلأ، إلى أسلوب حياة يعتمد الاستقرار والاستيطان في نقط معينة وخصوصا على الشريط الساحلي الأطلنتيكي. وهذا التحول في نمط الحياة ساهم في حركة التعمير السريعة وغير المنتظمة. كما برزت أشكال جديدة للاستيطان، كمدن الصفيح والمخيمات وأشكال أخرى من البناء العشوائي. مما أفرز تجمعات حضرية مشتتة وغير متناسقة مع البيئة المحلية، تفتقر إلى معايير جودة الحياة الحضرية. ويمكن اعتبار الهجرة وكذا طبيعة الوعاء العقاري من أهم الأسباب التي ساهمت في خلق أقطاب حضرية غير متجانسة، تفتقد لأبسط شروط الصحة

العمومية Hygiène publique. ذلك بأن انتعاش فرص العمل في قطاعات البناء والصيد البحري بالجهات الجنوبية، وكذا الامتيازات الضريبية التي تنفرد بها هذه المناطق، خلق نوعا من الدينامية في الهجرة من الشمال إلى الجنوب بحثا عن فرص جديدة للارتقاء الاجتماعي والاستقرار بهذه المناطق التي تعرف حركة تنمويه منقطعة النظير. كما أن أغلب الأراضي الموجودة هي في ملك الدولة مما سهل عملية الاستيلاء عليها بطرق غير شرعية، ادى إلى انتعاش السكن العشوائي، وبالتالي نمو أحياء محرومة من البنيات التحتية والتجهيزات الاجتماعية، كما هو الحال مثلا بمدينة الداخلة.

وإن ظاهرة التعمير بالمناطق الصحراوية صاحبته أيضا، ظاهرة استعمال الحفر الامتصاصية والآبار الضائعة ومطارح عشوائية للنفايات الصلبة فمثلا قطاع الصيد البحري التقليدي يواجه عدة مشاكل بيئية. إذ تعرف جميع مواقع قرى الصيد شبه غياب للخدمات الصحية الضرورية وقواعد الوقاية والوسائل المناسبة للعمل البحري، والأكثر من ذلك مواجهة انتشار أمراض الحساسية، قرب النفايات العمومية، وبمكان عيش واستقرار هؤلاء البحارة. هذه الأوضاع من شأنها أن تؤثر ليس فقط على الحياة الصحية للمقيمين بل على مستوى الأنظمة البيئية اجمـــالا (Ecosystèmes). وإن غياب أنظمة الصرف الصحي لمعالجة المياه المستعملة من طرف سكان المدن Systèmes de traitement des eaux usées وكذا عدم تهيئة مطارح عمومية بالمعايير المتعارف عليها عالميا، لمن شأنه أن يشكل تهديدا حقيقيا لسلامة السكان [بروز الأمراض الجلدية والربو والحساسية،...] وينبئ بكوارث بيئية ستكون لها انعكاسات خطيرة على الأوساط الطبيعية، خصوصا منها تلوث الفرشات المائية بمواد سامة كالليكزيا Lixivia، حيث يجب أن يؤخذ مأخذ الجد احتمال تسمم الفرشات المائية. فالتلوث ينتج أساسا - إضافة إلى عوامل أخرى - عن تكاثر المطارح العشوائية وتخمر المواد العضوية، والتي قد تؤدي بدورها - حسب خبراء البيئة - إلى ما يسمى بالاحتباس الحراري، بحيث تتصاعد في الجو غازات سامة وملوثة كغاز ثاني اكسيد الكاربون وغاز الميثان وغيرها. لذا وجب التدخل باستعجال لوضع مخططات جهوية للتطهير السائل والصلب Schémas d'assainissements liquides et solides، وإنجاز مخططات لجمع ومعالجة النفايات الصلبة والقيام بالفرز الأولي لها طبقا للقانون الجاري به العمل (قانون رقم 28 - 00).

وإن ظاهرة التمدن السريع، ارتبطت أيضا بالاستنزاف المكثف للثروات البحرية. فالثروات الاقتصادية الأساسية الخاصة بالجهتين متواضعة نسبيا باستثناء الصيد البحري، الذي يعد القاعدة الصلبة للاقتصاد الجهوي المحلي، وهو إلى جانب الفوسفاط، ينشط المبادلات مع باقي مناطق المملكة والعالم. فالساحل مورد مهم للثروة السمكية وهو متجدد من الناحية النظرية، لكن شريطة إدارته بشكـل جيـد، اعتمـادا على ضـرورة إدماج مفـهـوم التنميــة المستدامـــة في كل مخططات الاستغـلال، وتمديـد الفترة البيولوجية إلى 4 أشهر على الأقل في السنة، وكذا منع اصطياد بعض الرخويات التي تعرف تراجعا كبيرا في نموها البيولوجي. إلا أن المعطيات المتوفرة تدل على أنه إضافة إلى كثافة الصيد الساحلي، هناك مصايد أكثر تخصصا ودقة، ويتعلق الأمر بصيد الإخطبوط والرنكة والجمبري وجراد البحر، والتي دخلت مرحلة خطيرة من الاستنزاف، نظرا لعدم احترام أوقات الراحة البيولوجية المفروضة على هذه الأنواع من الرخويات والصدفيات، وتنامي ظاهـرة تهـريب المنتوجـات البحرية واستعمـال طرق جديدة للصيد لا تحترم الخصوصيات البيئية، إضافة إلى التلوث المتزايد للشريط الساحلي عن طريق تفريغ المياه المستعملة في البحر بشكل عشوائي ودون معالجة قبلية.

وللزحف العمراني أيضا انعكاسات سلبية على الأوساط البيئية بالمجالات الصحراوية، يتجلى في تكاثر ظاهرة المقالع الحجرية، نظرا للطلب المتزايد على مواد البناء وخصوصا الرمال والأحجار. هذا الطلب ساهم في ظهور عدة شركات تعمل في استغلال عدد من المقالع لاستخراج تلك المواد، وبالتالي فهي تشكل تهديدا للمجال البيئي، بحيث يتم ترك مجموعة من الحفر التي تساهم في تعرض سطح الأرض للتعرية بسبب هبوب الرياح خصوصا مع تدهور الغطاء النباتي الهزيل وعدم إرجاع الأماكن إلى حالتها الطبيعية بعد استخراج المواد. ناهيك عن تلوث الجو بالغبار وتشويه المناظر الطبيعية والطبقات الجيومورفولجية.

وإن تدخل الإنسان لا يهدد فقط الغطاء النباتي، بل التنوع البيولوجي بصفة عامة، فهناك أنواع كثيرة من النباتات والحيوانات البرية والبحرية والطيور مهددة بالانقراض إذا لم تكف يد الإنسان عن استغلالها.

وتتجلى معوقات المحافظة على هذه الموارد في الاستغلال الجائر للمراعي مما يشكل خطورة على التجديد الطبيعي لبعض أنواع الأشجار والنباتات، والاستعمال المفرط للثروات الشجرية والسهوبية كالطلح الذي يستعمل كفحم خشبي للتدفئة والطهي بالنسبة للرعاة، ناهيك عن القنص والصيد العشوائي بوسائل جد متطورة خاصة الغزال والحبار، وتقلص أعداد حيوان الفقمة بسبب الصيد غير القانوني، إذ يعتبر هذا الحيوان من الأنواع النادرة في العالم بأسره وتشكل الكهوف والمغارات الموجودة بالمنطقة الممتدة بين أگرگر ولـگويرة ملاذا آمنا لتكاثره واستراحته، إلا أنه معرض لعدة أخطار ومهدد بالانقراض.

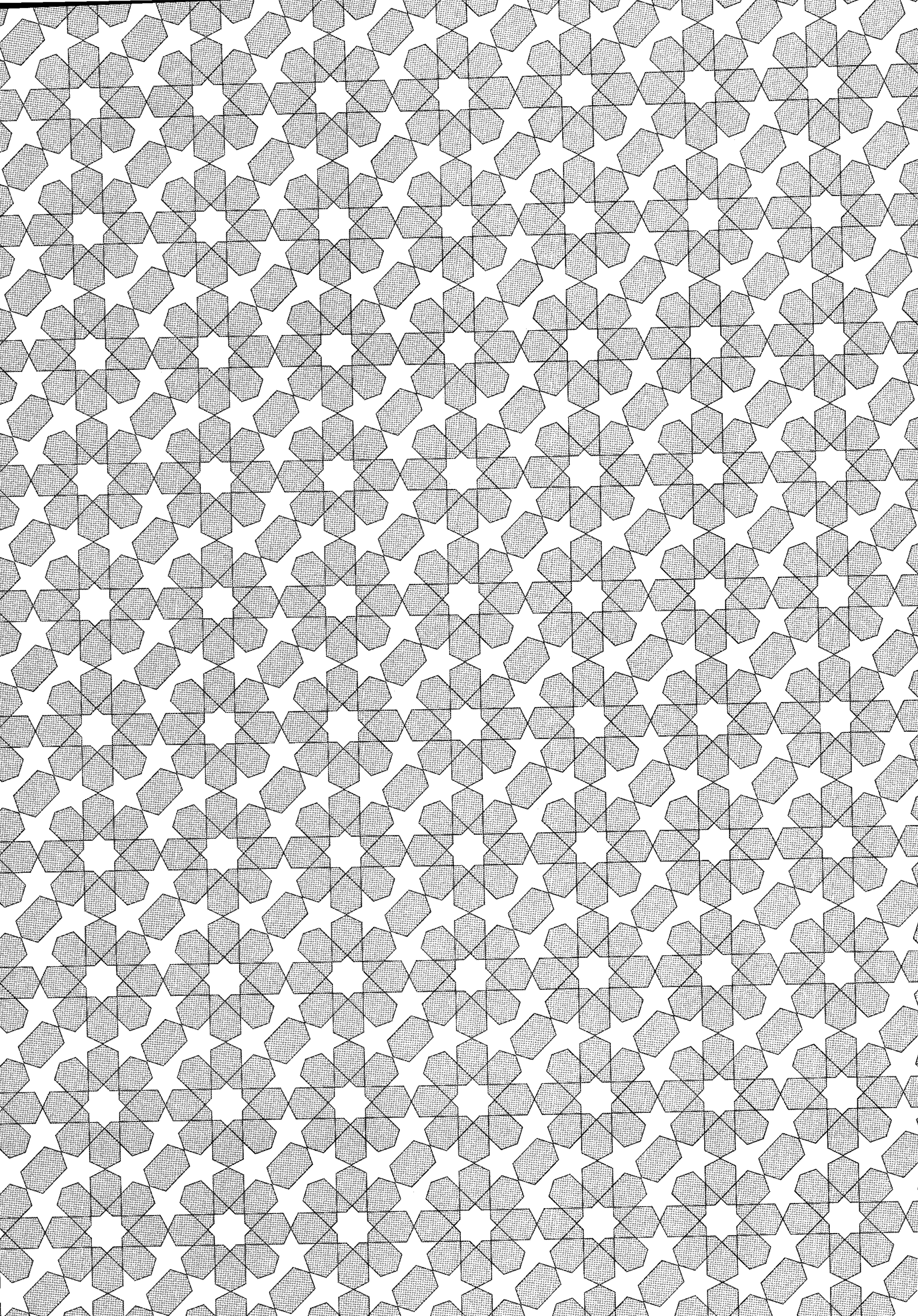
لذا وجب المحافظة وتثمين الإمكانيات الهائلة التي يتوفر عليها هذا المجال من طاقة شمسية وريحية وثروات سمكية وأعشاب طبية وثقافة وتراث إنساني ضارب في القدم. فعلينا جميعا أن نفكر جديا في مستقبل الأجيال القادمة التي ستواصل استيطان هذا المكان من التراب الوطني، علينا أن نترك لهم مجالا للحياة والنمو والتطور، كما فعل أجدادنا من قبل. علينا أيضا أن نعيد النظر في مفهومنا للتنمية وأن نعمل على تجديد فكرنا

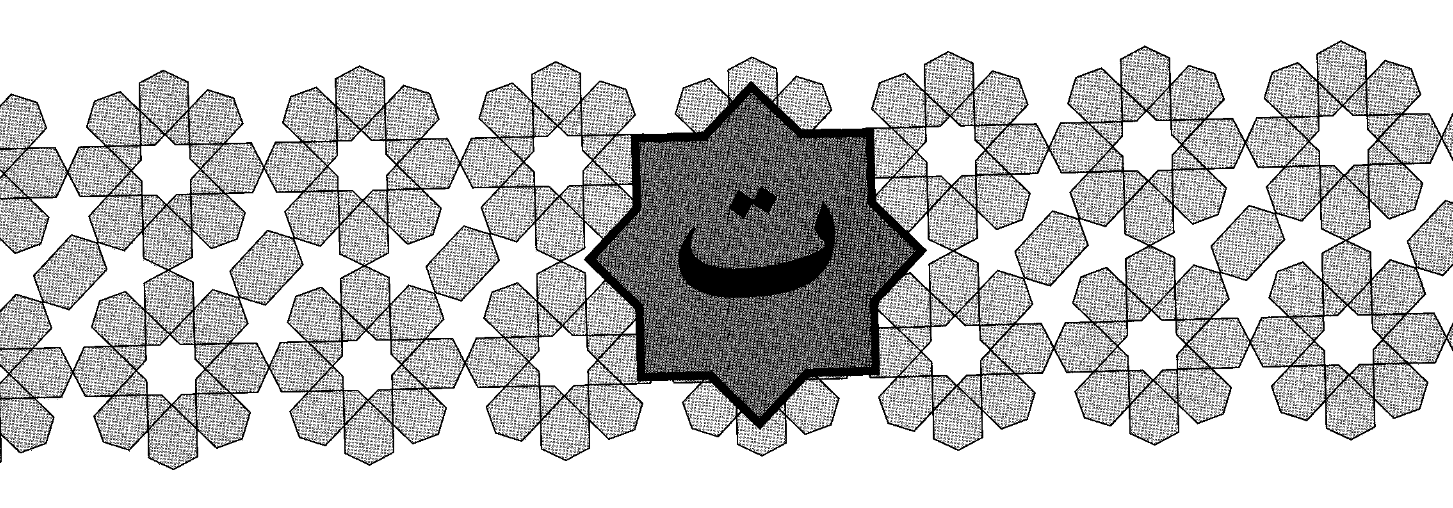
باستمرار، اعتمادا على ما خلفه الأجداد من تقنيات لتدبير ندرة المياه والحفاظ على المجالات الإيكولوجية للحياة الصحراوية.

المخطط الجهوي لإعداد التراب لجهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء، تقرير تشخيصي للتراب، يناير، 2008 ؛ *الإحصاء العام للسكان والسكنى، 1994 و2004* ؛ المعهد الوطني للدراسات البحرية ومديرية الصيد البحري، 2006 ؛ *مؤلفات المندوبية السامية للتخطيط*، 2009 ؛ *الحوار الوطني حول إعداد التراب*، المعطيات التقديمية، جهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء، 1999 ؛ الحوار الوطني حول إعداد التراب، المعطيات التقديمية، جهة واد الذهب لگويرة، 1999.

Le Schéma National d'Aménagement du Territoire-DAT, Rabat, 2003.

هشام بنزين




ت

تادْرارْت - ن - الطّلبة، قرية تقع في قبيلة آيت بوبكر بآيت باعمران، مليئة بالعلماء والأدباء الذين قل مثيلهم في البادية المغربية، وقل أن يوجد في آل تادرارت رجل غير متعلم، ومعظمهم يجمع بين إتقان الروايات القرآنية والفقهيات والأدب العربي، وكل دار تحتوي على خزانة كتب تزخر بالمخطوطات.

تتمتع تادرارت - ن - الطلبة في آيت باعمرا باحترام كبير، لأن أهلهـا يقومـون بتدريس علوم القـرآن، وفيهـا تركز القضاة الكبار، ولديهم توضع الوثائـق المهمة ورسوم العقارات، ومنهم تستصدر الفتاوي، وإليهم ترفع المنازعات، وأحكام القضاة بمثابة الاستيناف. وكان الجميع يحرس تلك القرية ويحترمها، حتى سنة 1310 فهاجمت جماعة من الغزاة سوق ثلاثـاء أگـاندو وعلم آل تـادرارت بـذلك ولـم يخبـروا قبيلـة آيت إحلـف ولا اعترضوا طريق الغزاة، فحكمت القبيلة على آل تادرارت بأداء ما ضاع، بسبب سكوتهم الذي يعد تواطؤا مع الغزاة في عرف القبيلة، تطبيقا للقاعدة العامة "الجريمة بالترك".

لكن آل تادرارت رفضوا الغرامة فوقع الهجوم العام على تادرارت، فانتزعت منهم الأموال، وتشتتت الخزانات، وضاعت الوثائق، وعمت تلك الخسارة معظم البلاد لضياع مصالح الناس.

رشيد السلامي

تارزيفت هي هدايا تقدم من طرف العائلة أو القبيلة إلى شخص أو عائلة معينة بمناسبة ما، فقد تكون زفافا أو عودة من سفر أو تبوأ منصب معين أو وفاة...، وتتشكـل غالبـا من الجمال أو أكيـاس السكـر، حينهـا يعد الشخص مـأدبة يحضـر فيهـا الذين قـدمـوا له الهدايـا ويتناولون الطعام.

محمد البوزيدي

تارشني، أبو **عبد الله محمد** بن تيفاوت اللمتوني. ذكره البكري باسم محمد المعروف بتارشني (*المغرب*، 164) وابن أبي زرع بأبي عبد الله محمد بن تيفاوت المعروف بتارشتا (*القرطاس*، 121) وابن خلـدون بأبي عبيد الله بن تيفاوت المعروف بتاشرت (*العبر*، 6 : 242) وابن الخطيب بمحمد بن تيفاوت (*أعمال الأعمال*، 3 : 226) والناصري بأبي عبد الله محمد بن تيفاوت المعروف بتاسرت (*الاستقصا*، 2 : 5). وقد اتفقت هذه المصادر مجتمعة على أنه من قبيلة لمتونة باستثناء ابن الخطيب الذي نسبه لقبيلة لمطة.

وهو من بني ورتنطق من لمتونة أصحاب الزعامة في صنهاجة الرمال أي صنهاجة الجنوب التي تضم القبائل الرئيسية التالية : لمتونة، جدالة، لمطة، جزولة، تارگـا مسوفة. وقد أوردت كتب التاريخ بعض أخبار أمراء صنهاجة من بني ورتنطق اللمتونيين في القرنين الثالث والرابع الهجريين (9 - 10 م) كيتولوتان بن تلاكاكين الذي عم نفوذه مناطق شاسعة من صحراء بلاد المغرب فكان عمله مسيرة ثلاثة أشهر في مثلها حسب رواية البعض (*القرطاس*، 121)، ودان له أكثر من عشرين ملكا من ملوك بلاد السودان الغربي وكانوا يؤدون له الجزية (*المغرب*، 159 ؛ *العبر*، 6 : 241). وقد توفي يتولوتان سنة 222 / 837 بعد أن دامت أيامه نحوا من ثمانين سنة فتوراثت سلالتـه الملك من بعده، منهم خلفه حفيده الاثير بن الفطر 222 - 287 / 837 - 900، ثم تميم بن الأثير 287 - 306 / 9000 - 918 الذي ثار عليه الأشياخ وقتلوه فافترق أمر صنهاجة الرمال بعده مدة مائة وعشرين سنة أي إلى تاريخ 426 / 1035 وهي السنة التي تولى فيها أبو عبد الله محمد بن تيفاوت المعروف بتارشني زعامة صنهاجة.

كان تارشني من أهل الفضل والدين والحج والجهاد (*المغرب*، 164) اختاره صنهاجة للزعامة بعد تفرقتها ليقودها في حروبها ضد مملكة غانا فمن المرجح أن تفرقة صنهاجة بعد تميم بن الأثير كانت لها علاقة وطيدة بالقوة والازدهار الذي عرفته مملكة غانا في القرن الرابع الهجري (10 م) (*Histoire de l'Afrique Noire*, 112) خاصة وأن فترات القوة بالنسبة لصنهاجة الجنوب كانت تصاحبها عمليات توسع عسكرية على حساب مناطق نفوذ الزنوج كما هو الحال في النصف الأول من القرن الثالث الهجري (9 م) على عهد يتولوتان، أما فترات ضعفها فيصاحبها رد فعل غانا وتوسعها في اتجاه

الشمال بهدف الوصول إلى السيطرة على ملاحة أوليل الواقعة في مجالات جدالة القريبة من مواطن الزنوج أو ضمان استمرار السيطرة على مدن الحافة الجنوبية للصحراء وعلى رأسها مدينة أودغست.

لقد ذهب البعض إلى القول بأن سياسة صنهاجة تحت قيادة تارشني كانت تقضي بمواصلة الجهاد في الجنوب ومدافعة ممالك السودان والمحافظة على طرق التجارة الصحراوية بأية وسيلة لكن هذا الغرض لم يتحقق بسبب قصر مدة حكم زعيم هذا الحلف (قيام دولة المرابطين، 103) فقد قتل تارشني في حروبه ضد غانا بموضع يقال له قنغارة أو بغارة على مقربة من مدينة بانكلا بين أوتاتكلاتين التي يسكنها قبيل من صنهاجة يعرفون ببني وارث (*المغرب*، 164 ؛ *القرطاس*، 121). ولا يعرف مكان هذه المواضع في المناطق الواقعة جنوب الصحراء الكبرى لأن المصادر الجغرافية والتاريخية الإسلامية التي نستقي منها معلوماتنا عن بلاد السودان في العصر الوسيط اكتفت بالنقل عن البكري في غالب الأحيان دون إضافات تساعد على توطين الأماكن وضبط مواقعها. كما أن ما توصلت إليه التقنيات الأثرية لا يساعد لحد الآن على معرفة مواقع جميع المدن والقرى التي ذكرها الجغرافيون ببلاد الصحراء وبلاد السودان على حد سواء. وعليه، فإنه من الصعوبة بمكان تحديد المنطقة التي وُجد بها موقع قنغارة أو تاتكلاتين على ضوء معارفنا الحالية.

حكم تارشني ثلاثة أعوام حسب أغلب الروايات (*القرطاس*، 121 ؛ *العبر*، 6 : 424 ؛ *الاستقصا*، 2 : 5). وفي رواية أخرى خمسة أعوام (*جامع تواريخ فاس*، من خلال قيام دولة المرابطين، 102). ومهما كان في ذلك من اختلاف فإن يحيى بن إبراهيم الجدالي الذي تولى الزعامة بعد تارشني خرج من بلاد الصحراء لأداء فريضة الحج والتقي في طريق عودته بأبي عمران الفاسي في القيروان وطلب منه أن يعين له من تلامذته من يرافقه إلى الصحراء ليقيم أحكام الشريعة بها ويعلم صنهاجة أمور دينها. فدله أبو عمران على وجاج بن زلو اللمطي صاحب رباط أگـلو ثم عين له الأخير عبد الله بن ياسين الجزولي الذي ابتدأت معه مرحلة جديدة من مراحل تاريخ صنهاجة الجنوب. فيكون لقاء يحيى بن إبراهيم بأبي عمران الفاسي قد تم قبل وفاة هذا الأخير سنة 430 / 1039 (*دور المرابطين*، 55). أما خروجه من الصحراء بغرض أداء فريضة الحج فكان سنة 429 / 1038 أي في نفس سنة توليته إثر استشهاد تارشني في حروبه ببلاد السودان الغربي.

أ. البكري، *المغرب*، باريس، 1965 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6، بيروت، 1988 ؛ ل. ابن الخطيب، *أعمال الأعلام*، الرباط، 1934 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 2، الدار البيضاء، 1954 ؛ ح. أحمد محمود، *قيام دولة المرابطين*، القاهرة، 1957 ؛ ع. دندش، *دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب إفريقيا*، بيروت، 1988.

J. Ki-Zerbo, *Histoire de l'Afrique Noire*, Paris, 1978.

حسن حافظي علوي

التاريخ الشفهي بالصحراء، تعد الصحراء ميدانا خصبا للرواية الشفهية التي تحمل ذاكرة المجتمع البدوي، ذلك أن ظروف الترحال الدائم وضعف التدوين وندرة وسائله من ورق وأقلام وعلماء ومدارس، كل ذلك جعل المجال فسيحا أمام الرواية الشفهيـة بصفتهـا من أهم ملامح التواصل ما بين الأفراد والجماعات. لذلك كان أهل الصحراء يؤرخـون بالأحـداث العظيمة والسنوات المميزة، كموت أحد الأعلام أو الزعماء، أو حدوث الجفاف والمسغبة، أو حصول الخصب ووفرة المراعي بالنسبة للقطعان، أو نشوب حروب ما بين القبائل وغيرها من الأحداث التي شكلت "الحوليات المحلية" فيقولون "عام موت أعلي بن ميارة" ويوافق سنة 1933، أو "عام الطير" أي سنة 1946، أو عام "طيحة العسكر" ويوافق سنة 1897، أو عام "أمجي الوطنيين" ذلك سنة 1956.

كما يعد الشعر الحساني من مصادر التاريخ الشفهي بصفته أنظام أدبية من إبداع مختلف الفئات الاجتماعية، يمكن تناقلها ما بين الأجيال بفعل سهولة حفظها وحكايتها. وقد أشار الأنثروبولوجي الإسباني خوليو باروخا إلى أهمية هذا الإبداع الشفهي في معرفة تاريخ القبائل وتاريخ النزاعات التي حصلت ما بين الجماعات القبلية في الماضي.

والملاحظ أن التاريخ الشفهي بالصحراء بدأ ينتظم ويهتم به منذ القرن التاسع عشر. ويزامن ذلك تبلور المجموعات القبلية وامتدادها مجاليا إضافة إلى الحضور الأجنبي على الشواطئ الطرفاية، الداخلة...) وبروز زعامات محلية مثل سيد امحمد الكنتي وإبراهيم اخليل الدليمي وامحمد الخليل الرقيبي ومولاي أحمد بن الشيكر السباعي، والشيخ ماء العينين، ناهيك عن حضور زوايا ظاعنة ومدارس علمية (محاضر) وعلماء وفقهاء حيث برز التأريخ والعناية بالأحداث والانتصاب في مجالات ترابية بعينها مثل الساقية الحمراء وأرض الساحل وتيرس وآدرار سطف وزمور. وفي ظل هذه الدينامية بدأ تدوين بعض التاريخ الشفهي مثل ما كتبه محمد سالم بن عبد الحي في كتابه (*جوامع المهمات في أمور الرقيبات*) أو : *كتاب تاريخ أهل الشيخ ماء العينين ومنطقة آدرار* أو ما دونه صاحب كتاب (*الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*) أو ما جمعه ودونه الضابط دوبييف تحت عنوان (حوليات ارگيبات الشرق). ومنذ القرن التاسع عشر برز إحساس قوي بالزمن لدى سكان الصحراء، وكذا بالمجال ومحاولة الارتباط بالتراب وتشييد الأمجاد الجماعية. فإن التاريخ الشفهي بالصحراء ليس من صنع أفراد بل هو منتوج جماعي يعكس مخيال الجماعات البشرية، كما نجده عند مختلف القبائل، له سدنة معينون مثل الشيوخ من كبار السن والمغنين والشعراء والفقهاء يتناقلونه جيلا بعد جيل. وهذا التاريخ الشفهي يعد المصدر الوحيد للمعلومات حول بعض المواضيع التي لم يهتم بها الكتاب والمؤرخون والفقهاء، مثل تربية الماشية والصيد البحري والقنص البري والتغذية وأعراف الزواج ومكانة المرأة داخل المجتمع

والنزاعات ما بين المجموعات والمعيش اليومي بصفة عامة. كما نجد مصادر أخرى للتاريخ الشفهي للصحراء في الحكايات الشعبية وفي الملاحم الفردية والجماعية وفي أمداح الزفانين لزعماء القبائل والمشايخ. وهؤلاء المغنون هم من حفظة الرواية الشفهية إلى درجة أن الناس يسمونهم "أهل اللسنة" أي أصحاب ملكة اللسان ويهابهم الناس ويحيطونهم برعاية خاصة بسبب مكانة وأهمية الكلمة في هذا المجتمع.

وقد صار هذا التاريخ الشفهي مهددا بفعل رحيل كبار السن وهيمنة ثقافة الصورة وانتشار التعليم العصري وحصول هوة ما بين جيل الشباب والمسنين، ما يتطلب تدارك ما تبقى من هذا التراث وحفظه عن طريق التدوين والتسجيل والبحث والدراسة، لأن ضياعه معناه ضياع الذاكرة المحلية التي هي مهمة في معرفة التاريخ الاجتماعي والثقافي والرمزي.

محمد دحمان، الأرشيفات الشفهية وكتابة تاريخ الأقاليم الجنوبية، ضمن كتاب : *الأرشيف وتاريخ المغرب*، نشر المجلس البلدي لمدينة صفرو، فاس، 2000 ؛ *تاريخ أهل الشيخ ماء العينين ومنطقة آدرار*، تحقيق، سيد أحمد بن أحمد سالم، قطر، 2004 ؛ المختار بن حامد، *حوادث السنين*، تحقيق، سيدي أحمد بن أحمد سالم، هيئة أبوظبي، الإمارات العربية، 2011 ؛ أحمد بن الأمين الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*، دار الخانجي، القاهرة، 1958 ؛ محمد سالم بن عبد الحي، جامع المهمات في أمور الرقيبات، تحقيق، مصطفى ناعمي، المعهد الجامعي للبحث العلمي، 1992 ؛ محمد دحمان، *الترحال والاستقرار بالساقية الحمراء ووادي الذهب*، الرباط، 2006.

Julio Caro Baroja, « La historia entre les nomadas Saharianos », en : *Archivos del Instituto de Estudios Saharianos*, N° 35, Diciembre 1955 ; Julio Caro Baroja, *Estudios Saharianos*, Madrid, 1955.

محمد دحمان

تاسلبا (معركة -) وقعت يوم 25 نونبر سنة 1957 عندما تصدى مجاهدو المقاطعة التاسعة لجيش التحرير بقيادة رئيسها صالح بنعسو لسيارتين من نوع جيب تحملان جنودا من جيش الاحتلال الإسباني كانتا متوجهتين من العيون إلى السمارة فاستغرق تبادل إطلاق النار ساعة وأسفر عن مقتل جنديين إسبانيين وإحراق سيارة بينما لاذت السيارة الأخرى بالفرار محملة بالجرحى الإسبانيين عائدة إلى نقطة انطلاقها وأصيب في صفوف جيش التحرير مجاهد واحد بجروح خفيفة.

الحاج صالح بنعسو، *أضواء على كفاح المقاطعة التاسعة لجيش التحرير بالصحراء المغربية 1956 / 1960*، المطبعة الوطنية، مراكش، يوليوز، 1987.

ماء العينين النعمة علي

تاغجيجت، بسيط في جنوب المغرب تحيط به جبال باني من الجهتين الشمالية والجنوبية، وتمر حدود تاغاجيجت بتامنارت حتى أگجگال، ومن تامگروت - ن - توزرنث حتى مرتفعات فوگ أغبالو وتيگديرت وأمان وتيگديرت أم گجد وبئر بوگلين، ترسم هذه التسمية شكلا محددا يفرز بوضوح معالم المجال القروي المتمركز بأعالي وادي صياد، هذا الوادي الذي يحمل أيضا إسم وادي نون ينبثق من سليلة جبال الأطلس الصغير بذلك المورد المائي الرئيسي لبسيط تاغجيجت الذي تحيط به جبال باني من الجهتين الشمالية والجنوبية. هكذا تبتدئ تاغجيجت من الخانق الجبلي شمالا لتتخذ شكلا موازيا لالتواءات الوادي الذي تشرف عليه سفوح المعدر جنوبا. جل هذه المعطيات الجيومرفلوجية تقلل نسبيا من تركز الرياح وتحد من قدراتها على زعزعة حجم وكثافة النخيل وأشجار أرگان (الهرجان) والزيتون والرمان والإجاص والتين والحناء. فنلاحظ بذلك أن النشاط الفلاحي للمساحات المسقية يرتبط بالحقول التي يستعمل فيها المحراث الخشبي حيث تجد نباتات الرطم المتناثرة من فعالية التشكل الريحي. ولا شك أن لشبكة الري المحلية دورها في ترطيب المناخ بما توفر من غطاء نباتي ونظام إنتاجي يسمح بتنظيم الاستغلال الفلاحي على أسس تقليدية. نرى أن الانتاج الفلاحي يخضع للتقلبات المناخية مضيفا بذلك إلى صعوبة العيش في ظل وسط بيئوي موارده محدودة تتمثل في سيادة الجفاف المناخي.

إننا إذا ربطنا هذه الظروف المناخية بالاستغلال المكثف لقنوات الري، اتضح أن الخطارات ترتبط تاريخيا بمظاهر الضغط المناخي الجاف منذ زمن طويل، فمنذ متى اعتمدها أهل تاغاجيجت في الحفاظ على سمك الغطاء النباتي المثبت للقرى والمداشر والحاد من هجرة أهلها والمدعم لتربية المواشي ؟ إذا نحن ربطنا هذا العامل بما يفرزه المعطى الجيومرفلوجي اتضح أن الإجابى تقتضي عدم الاعتماد على المصادر العربية بما فيها كتب المسالك. فالبكري مثلا يفيدنا بأن تسمية تامنارت على مقربة من تاغاجيجت كانت قائمة الذات خلال القرن الخامس (11م). وهي تسمية تفيد المجال الفاصل هنا بين الصحراء وما عداها. وبذلك يمكننا تلمس أسباب تركيز الرواية الشفوية على ربط المنجزات المائية من خطارات وسدود وسواقي بزمن المرابطين. هذا التاوزيع المناخي يندرج كما نرى في إطار مرجعي لغوي مبسط يلخص الواقع ويمثل نموذجا تقريبيا لحدود المناخية. غير أن عيوب هذا النموذج تكمن في اعتماده على مسلمات احتمالية لا تقوم على تحليل علمي مقبول. فتبقى بذلك دراسة آليات انتشار المجال القروي بتاغاجيجت كبديل مرحلي تفترض الوقوف على حجم التحركات البشرية ومداها. هذه الآليات لن نوفيها ما تستحق إلا إذا سجلنا بأن المصادر العربية تجمل استعمال كلمة نول لتغطي التمايز القائم بين مختلف المجالات القروية وأمهات قراها بوادي نون. بل يكون لزاما علينا أن نشير إلى استحالة التمييز انطلاقا من كتب المسالك وغيرها بين تاغاجيجت وتيغمرت وتاگارصت من حيث هي كمجالات قروية متباعدة لا يجمعها إلا الارتباط العضوي بمجرى وادي نون. حقا يبدو التملك

لهذه المجالات من طرف إيليميضن (لمطة) أمرا مؤكدا، غير أن التداخل الإثني والسياسي مع إيويليميضن (لمتونة) جنوبا وإگزولن (گزولة) شمالا يجعل لزاما علينا تحديد المميزات الخاصة لكل مجال من هذه المجالات وموقفه من المد المرابطي اللمتوني ومن التطورات اللاحقة عبر القرون.

يحول أبو بكر الصنهاجي المكنى البيذق رفيق المهدي بن تومرت وعبد المومن الموحدي في معرض حديثه عن مجابهة أهل وادي نون للموحدين أول إشارة تعرفها المصادر لتاغاجيجت إلى تاعگيزت (*أخبار*، 77). ولن نجد لها بعد ذلك ذكرا إلا بمدونة أسا خلال القرن الثامن (14م) على صيغة غاجيجة أو في كتاب *الاستقصا*. أما إذا انتقلنا إلى تحديد التعريفة الإثنية فإن المصادر باستثناء جغرافية ابن سعيد تربط مداشر وقرى تاغاجيجت بإيليمضن، غير أن تعميم هذا المنظور دون مراعاة للتمايزات ولا لحجم التحولات التي عرفتها كل وحدة مجالية على حدة يعد من باب المجازفة ويحد من مصداقية هذه المصادر.

نلتقي من هنا مع صلب الخصوصية المحلية وتلوناتها إزاء تعاقب الأحداث المحلية والجهوية. هل ساند أهل تاغاجيجت المد المرابطي منذ البداية شأنهم في ذلك شأن أهل تيغمرت وتاگوصت أم أنهم عكسوا موقفا مشابها لموقف إگزولن (گزولـة) بتامدولت القريبـة منهم ؟ نظرا لاستحالة الجواب على هذا السؤال، فإنه يكون لزاما علينا أن نتجاوز هذا الطرح لنقتصر على الرواية الشفوية فيما تسانده التحريات الميدانية والحفريات من معطيات حول حجم استقرار وتغلغل إيويليميضن (لمتونة) القادمين مع عبد الله بن ياسين. إننا إذا عمدنا إلى التحري حول تاريخ حصن أگادير أو گليد أزناگ المشرف على تاغاجيجت من أعلى أدرار-ن-تزاراس، أكدت لنا دراسة الطبيب Dargassier الميدانية أننا بصدد معلمة أثرية مرابطية (La Ruelle, *Id Brahim*). فهل يمكن التسليم هنا بأن تسمية هذه المعلمة (حصن السلطان الصنهاجي) ترفع بعض الغموض حول تمركز إزناگن (صنهاجة) بتاغاجيجت ؟ إذا نحن حاولنا استنباط صور لعناصر التداخل بين هذه المعلمة ومقولة الرواية الشفوية بشأن عثمان بن مندى عامل عبد الله بن ياسين وأبي بكر بن عمر اللمتوني على وادي نول، خلصنا إلى تأويل يعتمد الربط ما بين هذا العامل وسلطان الحصن الصنهاجي. وهنا يمكن أن نتساءل هل يمكن اعتبار ولادة عثمان بن مندى بتاغاجيجت بمثابة بينة حول ذوبان الخصائص الإثنية المحلية في إطار التداخل مع إيويليميضن (لمتونة) الصحراء ؟ إلا أن هذا المنحنى تأباه مختلف مشجرات قبيلة آيت إبراهيم المحلية ومجمل اتحادية تكنة بوادي نون وباني الغربية والساقية الحمراء بحكم انتمائها إلى عثمان بن مندي كجد أسمى. فإبراهيم بن لحسن بن عثمان بن مندى يعد المؤسس الفعلي لنواة قبيلة آيت إبراهيم بتاغاجيجت (آيت إبراهيم، *معلمة*، 1127-1130). وهو أيضا الجد المعياري الذي تدور حول اسمه معطيات انتماء قبائل تكنة إلى إيمليميضن (لمطة).

وبذلك يكشف التحليل عن المنطلقات التي توضح المواقف المبدئية التي يجب اتخاذها من المقولات الشفوية المحلية. إن مجرد انتماء قبائل تكنة إلى إيليميضن وادي نون يقودنا إلى ضرورة تحديد المفاهيم الأساسية المرتبطة بنظرية الانتشار المجالي لرحل الصحراء يومها. بل وتفضي بنا هذه الضرورة إلى حدود العلاقة التحالفية بين إيليميضن وإيويليميضن. وباعتبار هذه العلاقة جانبا من القضايا التي يثيرها التركيب المجتمعي بعين المكان فإننا نكون ملزمين بمعالجتها من خلال مصادر القرنين السادس والسابع (12 و 13م). إننا إذا حاولنا أن نخرج مما قيل في رسالة يهودية مؤرخة بتاريخ 1148 / 542 (Chouraqui, *Histoire*, 120) وما أورده البيذق والإدريسي وابن سعيد وابن عذاري، بفكرة واضحة عن ظاهرة الاندماج الإثني بوادي نون، استوقفنا حجم المجابهة القوية بين جيوش عبد المومن الموحدي والتجليات المتنوعة لتحالف إيليميضن وإيويليميضن. فالإدريسي مثلا يساهم بما لا يدع مجالا للشك في الكشف عن التراكب القبلية حول قرى ومداشر وادي نون. ذلك أن المجالات القروية على تمايزها تبدو كقاعدة سكنية لتمركز إيليميضن بينما تقاسمهم فصائل إيويليميضن استعمال المراعي والسهول العشبية في أفراگ تحيط بسرير الوادي. وتعتبر أهم ملاحظة تفرض نفسها بهذا الصدد هي ما قد يوحي به نص الإدريسي من تداخل كبير ربما يكون يومها قد أسهم في انصهار نسبي. غير أن إجماع هذه المصادر على الفصل بين القبيلتين يدعو إلى ضرورة تقصي ماهية وحجم النزوح اللمتوني. إن سجل الأحداث يشخص لنا نزوح إيويليميضن إلى الضفة الشمالية للصحراء كجيوش لعبد الله بن ياسين. وبالتالي فالتساكن مع إيليميضن يرصد مستوى الاندماج الفعلي من خلال ما يمكن استخلاصه من الملامح الظاهرة للترحال الموسمي. يفيد البيذق أن ثورة إيليميضن وإگكزلن على الموحدين بعد سنة 1154 548 قد تمثلت في استنجادهم بيحيى الصحراوي الذي وصل إليهم من الجنوب مصحوبا بالحاج ابن مركونة. ويضيف البيذق أن هوية إيليميضن كانت ترتكز يومها على اتحادهم وراء محمد أمرگـال. أرسل أبو حفص الهنتاني ثلاثة جيوش يرأسها كل من عمر بن ميمون وعبد الله بن فاطمة وعبد الله بن أبي بكر بن ونگـي لغزو مجالات وادي نون المتمايزة. فيتشخص بذلك الفصل بين مجالات تاگـاوصت وتيغمرت وتاغاجيجت. أما ما يجسد الواقع المشخص لاستقلال إيليميضن فهو ما يورده النص من أن "أهگـار سلطان لمتونة" قد انهزم بدوره في عين المكان وبذلك يتضح أن عقود الإخاء والتحالف هي التي كانت تملي مفهوم التساكن (*أخبار*، 77). استطاع عبد الله بن أبي بكر بن ونگـي أن يهزم إيليميضن فما كان من الحسن بن سليمان كبير تاغاجيجت إلا أن "وحد" يومها. وهكذا فإن غنائم المنطقة قد وصلت إلى مراكش "وبيعت بباب الشريعة الـگزوليات واللمطيات والجمال والبقر والغنم (*أخبار*، 77). يتضح إذن حجم المواجهة كاشفا

أهمية الإبادة الجماعية ليحظى تصدع البنيات والهياكل المجتمعة بمكانة متميزة في إطار تكريس القطيعة.

لابد أن نشير إلى أن المفارقة الكبرى تتجسد هنا في كون مصادر هذه الفترة وخاصة منها تلك التي تشايع الموحدين تعتبر "التوحيد" بمثابة دخول أولي في الإسلام. هذا ما نتأكد منه بوضوح من خلال مدونة أسا التي تصف وادي نون بوادي الحرب وغاجيجة بالنصرانية (*مدونة*، 5) ولا غرابة في ذلك خاصة إذا علمنا أن الأساس الفعلي لهذا التصور كان مبنيا على الأحكام الموحدية، وأن المدونة تعتبر إيعزّى أوهْدَى مؤسس زاوي أسا مقياسا محليا لمحاربة "المسيحية والكفر". فإذا كانت هذه المدونة تؤكد على استمرارية الحكم الموحدي لتاغاجيجت من خلال إشارتها إلى منصور بن عدي البرقوقي كعامل ليعقوب المنصور الموحدي، فإنها لا تتوانى في اعتبار إيعزى أوهدى المولود سنة 1248 / 646 (إيعزى وبهدى، *معلمة*، 517-518) ملك سوس ووادي نون والساقية الحمراء والشمال الشرقي لدرعة. والمدونة التي تتبنى هذه المقولة تعد أيضا من أنجح النصوص في الكشف عن أهمية الوجود النصراني واليهودي (Chouraqui, *Histoire*, 119). فهي تكشف المقاومة الفعلية التي كانت ما تزال قائمة الذات كما سيفرز ذلك كتاب الذخيرة بعد نهاية الموحدين (*الذخيرة*، 90). وهو ما يدعونا إلى التركيز على أسباب هجرة آيت إبراهيم إلى أفراگ إيمسوفن (مسوفة) بمنطقة توات تجنبا للقمع الموحدي. لقد ساهمت هذه الهجرة في بلورة النواة الأصلية للقبيلة التي زامن جدها إبراهيم نهاية الحكم المرابطي حين عرف حكم علي بن يوسف بن تاشفين تعدد القلاع والتحصينات الدفاعية تجنبا لكل مواجهة من الموحدين. ويزكي هذا الاحتمال قدرة هذا الجد الأسمى على بلورة النواة الفعلية للقبيلة عبر الانتشار عبر أفراگ إيمسوفن بعيدا عن حاكم الموحدين بتاغاجيجت. لقد أسهم هذا الانتشار في تنمية الحجم الديمغوغرافي للعائلات المتفرقة عاملا بذلك على تمتين الروابط الإبراهيمية بشكل مكثف. بل ويتضح من سياق الأحداث أن عناصر التحالفية مع إيمسوفن مما كان له أبلغ الأثر في صياغة العلاقات القرابية المؤسسة. كانت قبيلة آيت حربيل يومها قد عرفت مجدا وقوة أهلتها للتسيد على تاغاجيجت. ولكن تماسكها أمام المدّ الإبراهيمي العائد من الصحراء لم يستمر بما يكفي للحد من التسلط المتزايد لآيت إبراهيم. وتسجل المصادر المحلية الاضمحلال التدريجي لآيت حربيل إلى أن أصبحت صورة مصغرة لما كانت عليه. أما عودة آيت إبراهيم من توات إلى تاغاجيجت ففيها ما يكفي من الإشارات للتذكير بأهمية التراكمات القرابية لإيليميضن (لمطة) في صياغة علاقات اجتماعية على أسس بنيوية ثابتة تخترق قرنين من التعايش مع إيمسوفن بالمهجر. تأسيسا إذن على هذه الفكرة، يمكن الذهاب إلى القول بانعدام التعارض بين تعايش الفصائل القبلية المختلفة دونما تمازج حقيقي رغم حجم الظرف الزمني الطويل. وبالرغم كذلك من أن إسم مندى أبي عثمان عامل المرابطين على نون قد يكون مجرد تحريف لكلمة المزدالي اللمتوني عامل يوسف بن تاشفين وابن عمه المباشر، فإن هذه العينة من الأخطاء التي تخترق عادة المصادر (*البيان*، الموحدون، 17 هامش 5) تبدو غير مقبولة هنا. إن الامتداد العضوي لإيليميضن لم يؤد كما رأينا إلى اندماجهم بإيوبليميضن، بل تحول بصورة إلزامية إلى بنية توفر لكل قبيلة هويتها المتميزة.

لقد تجلى الاتجاه القرابي بقرى ومداشر تاغاجيجت منذ هذه الفترة فيما تكثفه النواة الأصلية لقبيلة آيت إبراهيم. ويمكن للمدقق أن يكشف تنوع هذه النواة عن المتحالفين والواردين منذ ذلك الحين عليها. من هنا فإننا إذا انتقلنا إلى مصطلح القبيلة تجلى الارتباط بتاغاجيجت أكثر تجسيما لأعلى درجات التحالف والاستمرارية. وهذا ما يعني تأكيد الصفة الإلزامية لمفهوم مراقبة المجال كقاسم مشترك بين ماضي وحاضر آيت إبراهيم (انظر مادة آيت إبراهيم، *معلمة*، 1127 - 1130).

مصطفى ناعمي

تاغنجة : عادة اجتماعية يقوم بها سكان الصحراء لما ينقطع المطر، حيث يأخذون إناء خشبيا كبيرا يدعى "الـتَّـازُوَّة" ويضعون فيه مقداراً من السكر والأرز والتمر أو الوبر أو بعض الخيوط، وتقوم بجر ذلك الإناء امرأة ولود، بحبل من الحلفاء وتمر به على خيام النجع "الفريـگ" وعادة ما يتبعها مجموعة من النساء والأطفال يرددون مجموعة من الأغاني مثل : "تاغنجة شگـت لمراح، يا رب سيل لبطاح، تاغنجة شگـت لفليج يا رب سيل لمسيد". وخلال الجولة يضع الناس قطع السكر وحبات التمر والزرع في الإنـاء وعند نهاية هذا الطواف يجتمعـون فـي خيمـة معينـة ويـوزعـون مـا حصل من صدقات على الضعفاء من سكان المخيم وعلى طلاب العلم والأطفال.

مقابلة مع السيدة فاطمتو بنت أحمد سالم ولد دحان، صيف 2009، الداخلة... ؛ *تحري ميداني* قمنا به ربيع سنة 2009 بالعيون وصيف 2009 بالداخلة.

محمد دحمان

تافودارت (معركة -) وقعت صبيحة اليوم الأول من شهر فبراير سنة 1958 وانتهت في آخر ليلة اليوم الثالث منه. وكان الجيش الإسباني قد خطط لها وأعد العدة والعتاد للهجوم. وعلمت قيادة المقاطعة التاسعة به بواسطة مخبريها من السكان الذين أمدوها بمعلومات من مدينة العيون. ولهذا وفرت كل وسائل المواجهة كما وزعت كل فرقها في المواقع لتي تسمح لها بتطويق قوات العدو. وقد ترك رجال فرق جيش التحرير جيش العدو يتوغل حتى "وصل إلى أماكن جعلته لا يستطيع العودة إلى الوراء، فبدأوا بإطلاق النار عليه وتمكنوا من التحكم في سير المعركة حتى نهآيت ها وقد تكبد الجيش الإسباني في هذه المعركة خسائر فادحة لم يشهد مثيلا لها إلا في معركة أنوال والمعارك التي تلتها في حرب الريف حتى إن رجال جيش التحرير سمعوا الجنود

الإسبان ينادونهم بكلمات طالبين منهم وقف إطلاق النار. وقد اعتبرت هذه المعركة التي انطلقت بقوة كبيرة من مدينة العيون ضربة قاسية للجيش الإسباني بالصحراء المغربية وكان الهدف منها فك الحصار على هذه المدينة وتطويق قوات جيش التحرير المتحصنة على طول وديان الساقية الحمراء بتافودارت. وكانت التقارير وكذلك البرقيات التي وصلت قيادة جيش التحرير أثناء هذه المعركة قد أظهرت المعنويات العالية التي ناضل فيها جنود جيش التحرير وكذلك الثبات الذي قاد به بعض قواد المئة المعركة أمثال بنيبة الحسني الذي سمح لجنوده والمعركة حامية بأن هيأو له ولرفاقه إبريقا من الشاي تناولوا به نخبا من أجل الانتصار الذي أحرزوه على فلول العدو المهزومة. وفقد الجيش الإسباني في هذه المعركة ثمانمائة جندي من بينهم ثلاثة من الضباط برتبة كابتن في حين استشهد في صفوف رجال جيش التحرير ثلاثة شهداء من بينهم امرأة.

محمد بن سعيد آيت ايدر، *صفحات من ملحمة جيش التحرير بالجنوب المغربي*، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، يونيو، 2001 ؛ الحاج صالح بنعسو، *أضواء على كفاح المقاطعة التاسعة لجيش التحرير بالصحراء المغربية 1956 / 1960*، المطبعة الوطنية، مراكش، يوليوز، 1987.

ماء العينين النعمة علي

تاگـاوست، مدينة قديمة يمثل موقعها مدشر لگصابي على بعد حوالي ثمانية كيلومترات جنوب غرب مدينة گلميم الحالية. ويعد ابن سعيد أول من أورد ذكر هذه المدينة خلال القرن السابع (13 م) معتمداً في ذلك على تداخل إگزولن (گزولة) بإيليميضن (لمطة) وادي نون. وقد كان منطلقــه أن تاگـاوست قاعدة إگزولن وأنها تقع شرق وادي نون. غير أن هــاتين الخاصيتين لا تعتمدان الدقة مكتفيتين بإشارات تقريبية وتوجهات احتمالية لا تربط بين مجالات وادي نون القروية.

من هنا فإن تفصيل المعطيات الأساسية المميزة لتاگـاوست عن نول لمطة ومداشر وقرى تاغاجيجت على نفس الوادي يجعل من متطلبات الملاحظة المضبوطة الفصل الفعلي بين هذه المجالات القروية وتحديد تعريفتها الإثنية. لقد صدق ابن سعيد وابن خلدون حين ذكرا تاگـاوست بمعزل عن نول لمطة غير أنهما لم يوردوا ذكراً لتاغاجيجت التي كانت تحمل نفس الاسم خلال القرن الخامس (13 م) (تاغاجيجت، *معلمة*) وإذا ما حاولنا تحديد درجة اندماج وكثافة العلاقات الإثنية بين نول لمطة كمركز وتاگـاوست غرباً وتاغاجيجت شرقاً، فإنه يكون لزاماً علينا أن نعرض للتجزء المجالي على نفس الوادي. وفي هذا الإطار تكتسي المراقبة الفعلية لإيليميضن (لمطة) معنى معقولاً نتأكد منه أكثر من خلال أي جرد لمحتوى المصادر وكتب المسالك. فمن أهم الشروط التي تؤكد التحام الفصائل البشرية لهذه المجالات عناصر أنشطتها الميدانية من تجارية وفلاحة وتربية المواشي. بل إن تاگـاوست كانت تتوفر على أكبر موسم بشهادة ابن خلدون الذي جعل بالمقابل من نول لمطة عاصمة ما أسماه "سوس الأقصى" وجهاته (*H. B.*, 280 : 2 ; 15 : 1). ويمكن لأية معاينة ميدانية أن تؤكد تداخل المجالين القروي والإثني من حيث هما كعنصرين أساسيين لتعريف الحدود المنطقية لكثافة العلاقات بين الفصائل المحلية.

كانت تاگـاوست تمثل مدينة هامة يحيط بها أگـاوس (وعرون الحالي) وتسگنان ومداشر أخرى تشهد مخلفاتها الأثرية على حجم واسع الانتشار. بل إن الفحص الشمولي باعتماده منظومة التداخل المجالي بين تاگـاوست ونول لمطة يواجه صعوبة تحديد الحدود الفعلية للمجالين. فيبقى إذن الشعور قوياً بأهمية الدور الاقتصادي والعمراني لتاگـاوست من حيث هو كمنطلق لمناقشة ما أورده ابن سعيد. إن إشارة هذا الجغرافي تطرحنا أمام مشكل تعريفي لإثنية الأطلس الصغير ووادي نون والساقية الحمراء. ومن خصائص هذا المشكل أننا إذا اعتمدنا مجمل المصادر اتضح بما لا يدع مجالاً للشك أن الاندماج الفعلي بين إگزولن وإيليميضن وادي نون يجعل هذه المنطقة نقطة تداخل بين الأطلس الصغير والصحراء. ومن ثمة فتأرجح ابن سعيد بين إگزولن وإيليميضن يعد بمثابة شهادة عن التفرعات والتداخلات السلالية القائمة الذات عبر تشابه أنماط العيش والحركية الاقتصادية.

هل أدى وصول الموحدين للمنطقة إلى إحداث تحولات جذرية على صعيد العلاقات والتنظيمات السلالية والاجتماعية والاقتصادية عند أهل تاگـاوست؟ نلمس من خلال ابن الأثير والمراكشي وابن أبي زرع أن عبد المومن الموحدي كان يحرص على إثبات انتمائه السلالي إلى عرب قيس عيلان. وهذا الانتماء سيكشف مفصحاً تدريجياً عن رغبته في التحالف مع أعراب أفريقية. كما أن تحليل الممارسة الموحدية إزاء الغور السكاني الأمازيغي يكشف عن عدم ترددها في اللجوء إلى الإبادة الجماعية بصورة اعتيادية. وقد عانت نول لمطة وتاغاجيجت وتاگـاوست من هذه الإبادة حيث أسفرت سنوات 553-55 / 1158-1160 عن تدمير كامل للفصائل المحلية لحجم القطيع (البيذق، *أخبار*، 77). أما سنة 554 / 1159 فقد صادفت غزو عبد المومن لإفريقية حيث قسم البلاد من برقة شرقاً إلى نول لمطة من "السوس الأقصى" غرباً بالفراسخ والأميال طولاً وعرضاً ثم أسقط من التقسيم الثلث للجبال والهضاب والأنهار والسباخ وما بقي وضع عليه الخراج وألزم كل قبيلة بربرية كانت أم عربية بقسطها من الزرع والماشية والأموال (*القرطاس*، 139). نرى إذن أن الإبادة والتقسيم قد أحدثا تحولاً جذرياً لا شك أنه زعزع الحركية الاقتصادية والرواج التجاري والبشري اللذين ركز عليهما البكري والإدريسي. ولابد أن الهجرة قد أفرغت المنطقة من جزء أساسي من غورها السكاني. كما أن تحويل قسط من الإنتاج الفلاحي وتربية المواشي وتهافت حلفاء الموحدين على المؤهلات الإنتاجية للمنطقة يتجلى في فرض الخراج. يبدو إذن الرواج التجاري الاقتصادي الذي ميز هذه المنطقة خلال القرن السادس (12م) قد

وصل إلى درجة قصوى من التضعضع. وإذا ما اعتبرنا الاتجاهات الكبرى التي تبناها الموحدون وتوسع فيها فيما بعد عاملهم المنشق عنهم علي بن يدر، تجلى لنا تتابع الكوارث التي عملت على تفكيك التماسك الاجتماعي ودوالب التحالفات المحلية. وهكذا فبدلاً من ضبط وتنظيم الوسط البيئوي والوظائف المكونة للمجال نرى اعتماد منظومة الإبادة الجماعية تفتح الباب على مصراعيه أمام تسرب ذوي حسان المعقليين الذين وصلوا الساقية الحمراء منذ الربع الأول من القرن السابع (13 م).

لقد رأينا أن وضع الخراج لم يشمل جنوب وادي نون وأن كثافة العلاقات البشرية قد انتهت بالهجرة إلى حيث تتبخر سلطة الموحدين. ومن المعلوم أن هذه الخطة لا تخص تاگاوست دون نول لمطة وتاغاجيجت. لقد لاحظنا في دراساتنا لقبيلة أزوافيط التكنية (*معلمة*، 364 - 367) أن العصبية المحلية جعلت من هذه القبيلة المحورية مراقبة لمسالك الصحراء وحامية لقوافلها. وفي هذا الأمر دليل بين على تداخل الوظائف الحربية والسياسية والاقتصادية بين وادي نون ومدن الضفة الجنوبية للصحراء. لقد أثبتت مخطوطات نول المتعددة أنها أصبحت بالإضافة إلى دورها التجاري خلال هذه الفترة، رابطة ثقافية ودينية بين الشمال والجنوب. وهو تصور سيقوم على أساسه الفصل الهيكلي بين الغور السكاني بتاگاوست ونول وتاغاجيجت والمد المعقلي. هذا مثلاً ما يمكن أن نستشفه من كلام ابن خلدون الذي اعتمد على رحلة عبد الله بن محمد التيجاني المتوفى حوالي عام 717 / 1317. لقد ذهبت هذه الرحلة الهامة إلى أن بطون وفصائل القبائل الأعرابية كانت تعتمد يومها على سلطة كاهن القبيلة الدينية في حل أمورها الاجتماعية العالقة وطقوسها ومعتقداتها. والملاحظة ذاتها تصدق على ذوي حسان والشبانات الذين كانوا يدركون ساعتئذ حقيقة الاختلاف العقائدي واللغوي بينهم وبين الغور السكاني. إننا نعلم أن هذه المجالات القروية التي عرفت مولد واگاگ بن زلو اللمطي (بين تازروالت وبسيط وادي نون) وعبد الله بن ياسين بمدشر تاگجگالت آيت تيكني، قد تميزت بارتباطها بالمذهب المالكي منط ما قبل المرابطين. كما أن قدرتها على تنظيم وترويج الحركية التجارية عبر مسالك الصحراء يجعل من عصبيتها جبهة تتحدى المتغيرات. وعند ذلك يبدو لنا أن ما نسميه المد المعقلي إن هو إلا لوحة شاسعة يتداخل فيها مفهوم التعايش المرحلي بمفهوم الاندماج الفعلي. حقاً لقد عمد المعقليون منذ وصولهم إلى المتاجرة في جلود اللمط والسكر المصنعة محلياً والملح كما يوضح ذلك كتاب *الاستبصار*، غير أن أي استقرار عميق لظاهرة المواجهة الإثنية يكشف عن مرحلة سابقة لكل تقارب فعلي. من هنا فإنه لابد أن نعلق على ما جاء به ابن خلدون من أن تحالف إيليميضن (لمطة) بالشبانات وإگزولة) بذوي حسان يعد بمثابة رصد لظاهرة التعايش المجالي والتداخل الإثني (G. Marçais, *Les Arabes*, II, 556-557). لقد انتهى بنا استقراء إحدى وثائق سنة 904 / 1499 إلى رفض هذه المقولة وإلى الإبقاء على المواجهة السياسية والاجتماعية بين هويتين تحدد كل منهما دورها في اختصاصات ميدانية عميقة المغزى (*Le Pays Takna, commerce et ethnicité*).

حقاً لقد تطور ذوي حسان والشبانات إلى قوتين حربيتين فاعلتين منذ سنة 633 / 1235 (ابن عذاري، *البيان*، الموحدون، 274 - 334 - 347). على أنهم لا يكادون يتحركون إلا في نطاق استراتيجية التحالفات القاضية بحصر وظيفتهم في إطار القوات المساعدة للأمراء المنشقين عن الموحدين والمرينيين وما تسمح به مشروعية التعامل مع الغور السكاني الأقدم. ما كان يهم المعقليين من وادي نون وتاگاوست بالذات هو الاستقرار والاندماج الاقتصادي. وهو ما تكشفه مساهمتهم في بناء إمارة علي بن يدر. وحداً لكل التباس في هذا الباب نشير إلى أن السيطرة السياسية على المنطقة لم تكن تعني استقرارهم داخل القرى والمداشر، فابن أبي زرع وابن خلدون ومحمد ابن مرزوق والقلقشندي يكشفون عن الحدود الفعلية لهذه القوات المساعدة التي لا تتجاوز حدود مأموريتها خوفاً من التسلط المريني. كما أن في هذه المصادر ما يكفي من الدلالات على أن ثورات هؤلاء المعقليين لم تأخذ شكلاً مستقلاً إلا ابتداءً من سنة 683 / 1284 حين طردهم ابن عبد الحق المريني إلى الساقية الحمراء (*العبر*، VII ؛ 206 ؛ *القرطاس*، 211-212-228-230). يومها فقط دخلوا صحبة طلحة بن علي البطوي سبعة أشهر من الانفصال اكتسى بحق صبغة خاصة جعلت يوسف بن يعقوب بن عبد الحق يخرج إليهم في اثنى عشرة ألف فارس ليغرمهم أكبر قدر وينكل بهم ويبيد رؤساءهم وجل محاربيهم ويطرد ما تبقى إلى الصحراء. من هنا يتجلى دور العصبية حاسماً في الفصل بينهم وبين الغور المحلي الذي عانى من مضاعفات الاضطرابات والحروب دون أن يغادر مواقعه. نمسك أيضاً في هـذه النقطة سبب التقهقـر النسبي الـذي سيدخل تاگاوست في مرحلة من الاضمحلال التدريجي (م. ناعمي، *الصحراء*، 88-89). لقد كان من شأن اصطياف ذوي حسان والشبانات بوادي نون تطويق ومحاصرة تاگاوست التي كان بها مقر أحد رؤسائهم (*H.B.*, II :117). على أن هذه الإشارة يجب ألا تنسينا أن تاگاوست هي باعتراف نفس المصدر أكبر موسم بالمنطقة. وهو ما يدل على تمسك أهل المدينة بملامحهم القروية والمجتمعية في مواجهة المد المعقلي المتزايد.

يبقى أن تفصيل الإشارات بشأن أهل تاگاوست الذين نكاد نجهل عنهم كل شيء، يرتبط بما يمكن أن تكشفه مستقبلاً الوثائق الإسبانية. ولعل الصعوبة في هـذا الباب تزداد لكـون آيت لحسـن المقيميـن حاليـاً بلگصابي لا يشخصون انعكاسات للواقع البشري. لقد جاء دخول أهم فصائلهم إلى تاگاوست خلال القرن الثاني عشر (18م) على إثر طردهم لأولاد ادريس المقيمين منذ ذلك الحين بآيت باعمران (V. Monteil, *Les Tekna*, 17). هذه المقولة تعد باعتراف الطرفين مسايرة لتدرع مختلف الفصائل التكنية في وادي نون وباني والساقية الحمراء بالتسلسل التاريخي لتبرير ضرباتها نحو الأخريات. ولا شك أن

الجانب الأكثر غموضاً هو ذلك الذي يكشف لا عن الاصطدامات من أجل مراقبة المجال فحسب ولكن حول الأسباب الكامنة وراء المرونة الاستيعابية للقبائل الكبرى. هذه الملاحظة ذاتها تقتضي التركيز على أطوار بلورة قبيلة آيت لحسن. ولعله يحسن أن ننطلق من مشجراتها العائلية الممتدة التي ما تزال تجسد حلقات ارتباطها العضوي بأسرير. فالخطوة التي ميزت طردهم لأولاد إدريس من تاگاوست صادفت انسحابهم حيث ما تزال ممتلكاتهم تشهد على حجم تداخلهم بإيدا اوبُوزيَّة بنفس المكان ذاك، وبالارتكاز على هذا المعطى الحركي نتساءل هل جاء هذا الانسحاب من أسرير اختيارياً في مرحلة تميزت خلالها التجارة الساحلية مع المد الإيبيري بالحيوية أم هناك أسبابٌ أخرى ؟ يجيبنا السيد علي بوعيدة بما لا يدع مجالاً للشك بأن اصطدام بعض فصائل آيت لحسن بآيت احماد أعلي من ازوافيط هو السبب في هذا الانسحاب خلال القرن الحادي عشر (17م). وهي شهادة تكشف إذا فحصناها من قريب عن عدم تحالف هذه الفصائل الحسنية مع المد الإيبيري المرتبط يومها بتاگاوست. على أن المشكل الذي يظل قائماً هو قلة المصادر لتحديد الفصائل الواردة على تاگاوست باسم آيت لحسن بالمقارنة مع سابقاتها بعين المكان. نشير هنا إلى أن فرز المعطيات النادرة المتوفرة ينتهي بنا إلى استخلاص أهل بوعيدة كمقيمين بعين المكان منذ خمسة قرون على الأقل (*جوامع المهمات*، 47، هامش 42). معنى هذا أيضاً أن فصيلة الرويمات التي ينتمي إليها أهل بوعيدة قد ترتبط تاريخياً بما قبل وصول آيت لحسن. هذا الاحتمال يساعدنا على تركيب نموذج مبسط للبنية التحالفية داخل هذه القبيلة. فلحسن الجد الاسمي للقبيلة هو من منظور جميع تكنة أحد أبناء عثمان بن مندى عامل عبد الله بن ياسين وأبي بكر بن عمر اللمتوني على نول لمطة (V. Monteil, *Les Tekna*, 10). كما أن رمزية هذا الانتماء تستهدف بالأساس حشر القبيلة في إطار النواة الأصلية لاتحادية تكنة مكرسة بذلك الانتساب القرابي السلالي كمبرر للتوازن التعارضي التقليدي بين لفي آيت بلة وآيت الجمل. ومعلوم أن هذه البنية القرابية السلالية تعد عملاً تركيبياً لا تؤدي وظائفها إلا في إطار مراقبة وتشخيص المواجهة الفعلية ضد المعقليين (م. ناعمي، *الصحراء*، 136-137). ندرك من هنا أن سبك مشجرات التسمية على صيغة آيت فلان أو فلان بدل أهل فلان ابن فلان تتصدر مصطلحات الارتباط السلالي الذي يكاد يخفيه استعمال الحسانية كأداة حالية للتخاطب. نرى إذن لماذا تصل بنا أية محاولة لتشخيص هوية أهل تاگاوست إلى المقدرة الحربية من حيث هي كمحدد بنيوي يحول دون أي اندماج فعلي بالمد المعقلي خلال القرنين التاسع والعاشر (15 و16 م). لقد أورد الحسن الوزان عن زيارته سنة 919 / 1514 بأن تاگاوست التي قضى بها ثلاثة عشر يوماً : "مدينة كبيرة، وهي أهم مدن سوس على الإطلاق. بها ثمانية آلاف كانون (أسرة)، وسورها من التراب المدكوك... وفي وسط المدينة دكاكين كثيرة للتجار والصناع... وسكانها منقسمون إلى ثلاث فرق يكاد القتال لا ينقطع بينهم، ويستعين كل فريق على الآخر بالأعراب الذين يناصرون هؤلاء تارة، وأولئك أخرى بحسب ما يتلقون منهم من أموال. الأراضي الزراعية بهذه المنطقة كثيرة الإنتاج، والمواشي وافرة الأعداد، يباع الصوف فيها بأحسن الأثمان، ويصنع منه الكثير من قطع الثياب الصغيرة التي يحملها تجار المدينة مرة في السنة إلى تنبكتو وولاتة من بلاد السودان. ويقام السوق مرتين في الأسبوع. يتأنق سكان تاگاوست في لباسهم، ونساؤهم جميلات لطيفات، وهناك عدد كثير من الرجال السمر الألوان، لأنهم منحدرون من بيض وسود، وليس ثمة حكومة معينة وإنما الحكم للأقوى". (*وصف*، 1 : 95-96).

على أن أهم إشارة توردها وثيقة 904 / 1499 ويؤكدها الحسن الوزان هو تمكن الأعراب أولاد عامر من مراقبة مداشر وقرى وادي نون وإيفران وإفني. وكان إسبانيو جزر كناريا يقومون بحملات مستمرة تتمحور كلها حول تاگاوست واصلة في بعض الأحيان إلى ما وراء تيغمرت شرقاً. وكان نزولهم بالسواحل المقابلة لجزرهم يتم بباب الجيديه (أو الجيدة) (Los pozos de Geidilla) حيث تتوفر بعض الآبار بين وادي درعة ووادي الشبيكة على ما يبدو (R. Ricard, *Recherches*, 81-82). كانت هذه النقطة تسمح أيضاً بالوصول إلى منابع الساقية الحمراء مما يزيد من حجم المساحة المغزوة. هذه الغزوات كانت تمكنهم من سلب الأغنام والأبقار والخيول والحبوب والمنتجات المحلية المتنوعة علاوة عن الأعداد الهائلة من أبناء المنطقة. وقد تصاعدت وتيرة هذه الغزوات خاصة ما بين سنة 1477 وسنة 1524 لدرجة استفزاز إسبانيي جزيرة تاناناريف Tenenerife أنفسهم (R. Ricard, *Recherches*, 75). خلال هذه الفترة عمل ملوك قشتالة على تقنين هذه الغزوات من خلال مراسيم مؤرخة بـ 2 نوفمبر 1508 و26 فبراير 1511 و3 غشت 1525 و6 يوليوز 1528 (R. Ricard, *Recherches*, 77).

لقد كانت للحاكم العام على جزر كناريا إقامة خاصة بتاگاوست التي كان يتسيد عليها يومئذ حامد بن أحمد أحد شيوخ قبيلة أولاد عامر. وتؤكد المصادر أن هذا الشيخ كان يتكلم القشتالية شأنه في ذلك شأن بعض شيوخ القبيلة الآخرين. كانت أهمية تاگاوست يومها في كونها أصبحت القاعدة الأولى لتجارة الرقيق كما يؤكد ذلك الحسن الوزان متبوعاً بمارمول وكاستيو. وهنا لابد من أن نشير إلى رفض المختطفين والرقيق الرضوخ للقوانين الدينية والدنيوية بجزر كناريا. ونظراً لما لأهل وادي نون والساقية الحمراء من تمسك بدينهم وتقاليدهم فإن محاكم التفتيش الإسبانية كانت تعطي لنفسها حق متابعتهم قضائياً. إلا أن وجود قاضي بمدينة تاگاوست تتنافى أحكامه مع تحالف العملاء بالمد المسيحي، جعل الترابط بين المختطفين وذويهم لا ينقطع. فنجد هذا القاضي عني بأمور العائدين هرباً من جزر كناريا المسلمين منهم والراغبين في دخول الإسلام مسيحيين كانوا أم يهوداً. وإلى جانب هذه المواجهة السياسية

والدينية بين الغور السكاني لتاگـاوست وتحالف العملاء مع القشتاليين نجد الصناع والتجار اليهود الراغبين في الإبقاء على دينهم يعيشون في مأمن داخل حي يهودي قدره مارمول بثلاثمائة دار. ونظراً للنقص الحاصل في معلوماتنا، فإننا نكتفي بالوقوف عند دور تاگـاوست في الحد من محاولات المد المسيحي. هذا ما تأكدت منه محاكم التفتيش الكنارية فانتهى بها الأمر بعد أن أصدرت أحكاماً بالحرق والتعذيب، إلى السماح لأهل وادي نون والساقية الحمراء بممارسة شعائرهم الإسلامية معتبرة أن الأولى هو إعادتهم إلى ذويهم مقابل مبالغ هامة من المال. وهكذا تخصص بعض المحليين المسلمين في التوسط بين الطرفين فعادت أفواج من المختطفين إلى ذويهم صحبة أفواج من اليهود. وهنا نسجل دور هذه الأفواج في تأطير غزو جزر كناريا منذ بداية القرن الحادي عشر (17 م). لقد أصبح النداء في خطب الجمعة بضرورة الجهاد من الدوافع التي زادت من تردد سفن الساحل الأطلسي على موانئ كناريا. وقد أحدثت حملة سنة 1618 هزة عنيفة في أوساط هذه الجزر وشبه الجزيرة الإيبيرية. وكانت الهزة واضحة المعالم لأن الدافع كان دينياً أكثر منه إرهاصاً من إرهاصات الاحتلال. فقد وصلت إلى سواحل جزيرة لانزروت Lanzarote خلال هذه العملية ستون سفينة شراعية يرأسها كل من المسمى تابان والمسمى سليمان. وقد نزل هناك 5000 محارب توجهوا مباشرة نحو مدينة تيگـيس Tigis فهرب السكان إلى جزيرة فويرتفرنتيرا Fuertaventura. تمكن المهاجمون من أخذ 900 سجين بعدما هدموا وأحرقوا منازل وكنائس تيگيس. ثم توجهوا بعد ذلك إلى گوميرا Gomera فغزوا وأحرقوا مدينة سان سيباستيان San Sebastian التي غادروها متوجهين نحو جزيرة لاپالما La Palma بميناء تازكوغت حيث صدتهم المجابهة العنيفة عن أهدافهم فعادوا إلى قواعدهم.

تميزت علاقة الغور السكاني بتاگـاوست مع الدولة السعدية بحجم التعاون السياسي والحربي ضد المد الإيبيري المسيحي. وقد زار أحمد المنصور الذهبي تاگـاوست أكثر من مرة حيث اهتم بشؤونها السياسية والاقتصادية. ويمكن أن نلمس آثار هذا الاهتمام بالمدينة من خلال بقايا إحدى أركان القصبة ومدافعها بالإضافة إلى حجم المسجد الذي أعاد بناءه السيد علي بوعيدة. وبالرغم من أن قبيلة احمر المعقلية قد خلفت يومها قبيلة أولاد عامر في السيطرة على تاگـاوست، فإن أسباب الرخاء والازدهار تنبثق كما دلت على ذلك المصادر من حجم الرواج التجاري ومن الإنتاج الفلاحي ومما تمنحه مناجم الفضة من معادن. كانت وفرة المياه ترتبط باتساع العمران وازدياد الأعمال وتضاعف الكسب. وهو ما يدعونا إلى عدم تصديق Duarte Pachecco Pereira حين يحدد عدد سكان المدينة في 1500 فرداً موزعين عبر أربع قصبات (*Hesperis*, 1927, XI : 257). فهذا العدد يبدو ضئيلاً جداً حتى لو فرضنا أن في 8000 منزل التي ينقلها مارمول وكاستيو Marmol et Castillo عن الحسن الوزان بعض المبالغة. لقد سخّـر أهل تاگـاوست تحالفهم بدولة السعديين التي تعد بحـق دولة إيگـزولن في إحكام التقاليد الموروثة ونظم الأحكام وأشكال تملك السواقي وأسباب الاستقرار بوادي نون ووسائل العمران. وبهذا الوجـه تنطلق الطريـق المكونة من عـدة مسالك متوازية وملتصقة من تاگـاوست لتصل مباشرة إلى الفرصية ومنها إلى طريق جوْدر قائد المنصور الذهبي في اتجاه نهر النيجر.

لقد اقترح أحدهم يومها على يوسف بن عابد الفاسي صاحب *ملتقط الرحلة* ملاقاة الشيخ أحمد بن عمر العروسي بوادي درعة في السوس الأقصى حيث لاحظ في تجواله كثرة الصوفية والفقهاء والمقرئين وأن أكثر الفقهاء "تغلب عليهم الشاذلية" (*ملتقط*، 12). ويضيف نفس المصدر بأن مياه وادي درعة تسيل على امتداد السنة مما يفسر كثرة القرى والمداشر حول ضفتيه (*ملتقط*، 66). نتعرف من هنا على مساهمة الأودية الكبرى في التقويم البشري والاقتصادي لتاگـاوست.

لقد اقترح أبو حسون السملالي علي بودميعة على أهل تاگـاوست خلال القرن الحادي عشر (17 م) إنشاء موسم سيدي عمرو أعمران الذي ما يزال يعقد في منتصف يونيه الفلاحي بلگصابي الحالية. والاقتراح جاء بهدف مزاحمة موسم سيدي مَحمد بن عمرو اللمطي بأسرير وموسم گـويرة السوق القريب منه. وهي إشارة أساسية لمعرفة مراحل تطور تاگـاوست ما بعد السعديين. وقد سقناها لنوضح بأن أهمية وحجم المدينة لم يعد خلال القرن الحادي عشر (17 م) مشابهاً لما كان عليه خلال القرون السابقة. فقد أخذت دشرة أگلميم تتصدر الواجهة بقصبتها التي لم يكن دورها التاريخي قد بدأ بعد. وإذا كان المقام لا يتسع للتوسع في ملابسات هذه الظرفية فإن ما يجب ألا ننساه هو دور الأعراب في تطويق الحركية والحيوية القديمة. ونستطيع من دراسة المقولات الشفوية أن نستدل على السيطرة الفعلية المتزايدة لآيت لحسن على حساب الفصائل الأخرى.

كانت تاگـاوست يومها لا تزال تنتج الغفارات الحمراء التي أشار إليها ياقوت الحموي (معجم، V : 4). وقد ظلت تستعمل كلباس يحيط بالكتفين أو عمامة تغطي الرأس كما شهد على ذلك السيد علي بوعيدة وغيره من المسنين. كان أهل تاگـاوست لا يحلقون شعر الرأس مكتفين بظفائر طويلة (R. Ricard, *Etudes*, 79). أما تشبثهم باللغة الصنهاجية فهو ما تؤكده الرواية الشفوية في أكثر من مكان بوادي نون. لقد أكد لنا السيد علي بوعيدة أنه عرف أب أبيه يجهل لهجة ذوي حسان ولا يتكلم إلا الصنهاجية. والملاحظة بالغة الأهمية لأنها تصدق على تشابه ظروف الغور السكاني التكني عموماً كما ورد ذلك في معرض دراساتنا لقبائل إزرگيين وأزوافيط وآيت أسا (*معلمة*، 339-340-367-377-379). وفي هذا الإطار يكتسي الارتباط العضوي بأهل الدين معنى تحالفياً يسمو بمشكل التواصل فـوق الأحداث والمنازعات ويحدد القوانين العامة التي تربط ربطاً مباشـراً بين أنمـاط العيش وأنظمة القرابة ومراقبة المجال.

لقد سقنا هذه الفكرة لتوضيح تجذّر آيت لحسن في بلورة عادات وتقاليد سياسية موروثة تقتضي القيام بمهام السلطة السياسية الفعلية في مواجهة التحديات. فنكون بذلك قد ربطنا القرن العاشر (16م) بالقرن الحادي عشر (17م) في ظروف عرفت وصول مؤسس قبيلة الرگيبات سيدي أحمد العروسي الحفيد إلى وادي الشبيكة. كانت يومها قبيلة آيت لحسن قوية تتسيد على المحور الساحلي في مزاحمة إذاأوبلال. وكان تعاطف هذه القبيلة مع أهل الدين يجسد معطى أساسيا متين الاتصال بمعطيات القرنين السابقين. وإذا كانت وثائق تاغاجيجت التي أوردها La Ruelle في دراسته حول آيت إبراهيم تثبت أهمية آيت لحسن كقبيلة، فإن وصول جد الرگيبات يومها يلزمنا بتحديد نوعية الحماية السياسية التي تمتع بها هذا الزاوي في كنف حاميه. وهو ما ستؤكده الدراسات الميدانية التي قام بها خلال هذا القرن العشرين دو لا شابيل F.C. La Chapelle. فقد أوضح بأن فصائل الرگيبات المتعددة تدخل تحت حماية آيت لحسن الذين ما يزالون إلى حدود سنة 1950 يعتبرونهم من أهل زواياهم. بل إن الرواية الشفوية ما تزال تعتقد بأن قتل أفراد هذه القبيلة يعد مصدر شؤم. ويتأكد هذا الأمر أكثر حين يفيد هذا الباحث بأن أهل الناجم ولد حميد من آيت لحسن يحمون أهل الخليل من أولاد موسى الرگيبات بينما يحمي آيت بومگوت من آيت لحسن السواعد من الرگيبات. أما أهل امبارك ولد حمادي فإنهم يحمون أهل بلاّ وكما يحمي أهل بوعيدة أولاد لحسن من الرگيبات. ويحمي أهل عمار ولد الناجم التهالات وآيت بومگوت أولاد الطالب. أما أولاد الشيخ وأولاد داود من الرگيبات فتحميهم جل فصائل آيت لحسن.

تتضح من هنا حقيقة العلاقة المجالية خلال القرن العشرين لآيت لحسن بالساقية الحمراء وجنوبها. بل إن حروباً كثيرة وصلت بآيت لحسن ضمن قبائل تكنة إلى منطقة أدرار بالضفة الجنوبية للصحراء. وهنا لابد أن نذكر بحجم وأهمية العلاقة التحالفية التي جمعت منذ القرن العاشر (16م) بين آيت لحسن واتحادية أولاد دليم. فقد عني الطرفان بمراقبة المحور الساحلي حيث يجسدان شبكة من التحالفات التي تخول لصغريات القبائل الحماية. ولذا فإنه يمكن ربط تطور قبيلة آيت لحسن بمنطق تطور عصبيتها عبر مسالك المحور الساحلي. معنى هذا أيضاً أن الإحصاء الذي أورده كل من مارتي P. Marty سنة 1914 ولا شابيل La Chapelle سنة 1934 ومونطيي V. Monteil سنة 1948 بشأن هذه لقبيلة يرتكز على معطيات حركة القبيلة عبر مجالها الواسع. يمثل آيت لحسن حسب هذه الإحصاءات ما معدله 1500 عائلة تتوزع حول مداشرها بالگصابي وتسگنان والدشيرة والشيوحات وتيليوين ولخنيگ وتيدرگيست وتيلمنتوس. أما بقايا آثار مدشر آيت لحسن بالشبيكة فهو يشهد على حركية القرن الحادي عشر (17م) الذي عرف وصول سيدي أحمد الرگيبي إلى عين المكان.

وتعتبر أهم فصائل آيت لحسن هي لمويسات وآيت يحيى وآيت بوگزّاتن وآيت داود أعبد الله وآيت مَحمد ألحسن وآيت بومگوت وانجورن. حين نفحص هذا التقسيم فإن أهم الأعيان يكونون خلال الثلاثينات هم عبد الرزاق ولد ابراهيم أبلال من آيت يحيى وأحمد ولد البشير من آيت بوگزاتن. وبكار ولد محمد لمين من آيت داود وعبد الله وعلي أحماد من آيت بومگوت والعروسي ولد ابراهيم ولد علي أمحمد من آيت بومگوت ومبارك ولد بوجمعة من آيت بومگوت والمختار ولد الناجم من إنجورن وأحمد ولد السالك من انجورن أيضاً، شأنه في ذلك شأن إبراهيم ولد حميدة. من بين هؤلاء يعد الناطق الأول باسم آيت لحسن جميعاً هو المختار ولد الناجم. وقد قام بزواج سياسي مكنه من مصاهرة ابراهيم ولد سيدي يوسف من قبيلة إزرگيين. فجاء التحالف كتأكيد لرغبة الطرفين في تمتين الرقابة الفعلية على مسالك الصحراء ومحمييها.

إن جرداً للفصائل الحسنية يثبت بما لا يدع مجالاً للشك انتماء أكثر من نصف آيت لحسن إلى نمط العيش الترحالي. فنجعات إنجورن وآيت بومگوت وآيت بوگزاتن قد تتجاوز الساقية الحمراء وزمور إلى تيرس، وهو ما يدل على ارتباطهم العضوي بتطوير تربية الإبل التي كانت تحد من اشتغالهم بالتجارة والفلاحة. كل هذه الملاحظات توضح لنا ظروف تطور تاگاوست وأهلها من عاصمة تجارية كبرى إلى مداشر وادي نون المتميزة. وإذا تساءلنا عن الأسباب الموضوعية التي كانت وراء انقراض هذه العاصمة الكبيرة، برز تصدع البنيات التجارية والصناعية بسبب اضمحلال حركية مسالك الصحراء وظهور أگلميم كسوق مزاحم يومها، على رأس قائمة المسببات البنيوية. وكما رأينا تدريجياً، فإن الجانب الوصفي لقصبة تاگاوست والقصبات المجاورة لها قد شكل الأساس التاريخي لموضوع تسمية مدشر لگصابي الحالي.

مصطفى ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة*؛ محمد سالم ولد لحبيب ولد عبد الحي، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*.

P. De Cenival, *Chronique de Santa Cruz du Corp de Gué (Agadir)*, Texte portugais du XV[ème] siècle, traduit et annoté, Paris, 1934 ; Id. et F. C. De La Chappelle, Possessions espagnoles sur la côte occidentale d'Afrique : Santa Cruz de Mar Pequeña et Ifni, *Hesp., 1935, 2-4[ème] trim., 19-77* ; Id et Th. Monod, *Description de la Côte d'Afrique de Ceuta au Sénégal par Valentin Fernandès (1506-1507)*, Paeis, 1938, 214 p ; F.C. De la Chappelle, Esquisse d'une histoire duSahara Occidental, VII[ème] congrès de l'IHEM, *Hesp., XI, Paris-Rabat, 1930*, Ibn Khaldun, *Les Prolégoménes*, trad. De Slane, 1925-1956, nlle édit 1968-1969 ; Id, *Kitâb Al'Ibar*, Beyrouth, 7 vol., 1959 ; CI. Justinard, *Notes sur l'histoire de Sous au* XVI[ème] siècle, *A.M., XXIX, 1933* ; Dj. Jacques-Meunié, *Le Maroc saharien des origines à 1670*, Paris, 1982, 2 vol. ; L. Carvajal Marmol, *L'Afrique*, trad. *Nicolas* Perrot, sieur d'Ablancour, 3 vol., Paris, 1667 ; M. Park, *Les trois voyages du Mungo Park au Maroc et dans l'inérieur de l'Afrique (1787-1804)* raconté par lui-même, Paris, 1882 ; R. Robert, *Recherches sur les relations des Iles Canaries et de la Berbérie au*

*XVI*ème *s*, Etudes Hispano Africaines, Tetuan ; M. Naïmi, Le pays Takna, commerce et ethnicité avant la constitution confédérale in *le Maroc et l'Atlantique, Rabat, 1993, 121-146.*

مصطفى ناعمي

تــاگــاوست، إحدى أهم حواضر واد نون خلال القرن السابع عشر، اكتست أهمية تجارية متميزة منذ القرن السادس عشر، يصفها مارمول أنها أكبر مدينة في سوس خلال القرن السابع عشر، فكانت أهم من تارودانت عاصمة سوس آنذاك، محصنة بأسوار وبها مجموعة أبراج، ومما يدل على أهميتها وجود تجمع سكاني مهم يصل ثمانية آلاف مسكن (حوالي أربعين ألف نسمة)، كان بها مجموعة من اليهود الممارسين للتجارة وبعض الحرف، يعيشون في حي خاص بهم، وكمؤشر لأهميتها الاقتصادية كان بها سوقان تجاريان يعقدان كل أسبوع ويحج إليهما العرب و"البربر" كما يؤمها تجار بلاد السودان. ويمتاز سكانها بسمرة البشرة لمجاورتهم للسود الذين يتحالفون وإياهم في أحيان كثيرة. بينما يشير الوزان إلى أن سكان تارودانت لا يتجاوزن ثلاثة آلاف كانون التي كانت مقر ممثل المخزن، مما يفيد أهمية تـگـاوست كمركز تجاري مستقطب للسكان. ويتداول أن قرية لقصابي الحالية إلى الغرب من مدينة گـليميم قد أسست على أنقاض تـگـاوست.

الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، ترجمة، محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي، ج 1، بيروت، 1983، ص. 117.

D. Jacques-Meunié : *Le Maroc Saharien du XVI*é *siècle à 1671*, T.2, librairie Klincksieck, 1982, p. 746.

الشمسدي عبداتي

تانـگــارفة : تقع تانـگـارفة بآيت سيمور إحدى قبائل آيت الخمس المكونة لاتحادية قبائل آيت باعمران. فهي توجد على وادي تانـگـارفة ومحاطة بعدة جبال نـذكـر مـن بينـهـا جبـل أدرار للاتـعـزة وجبـل أدرار إد الناجم وجبل أدرار اغوليـد وجبل تاسنروت، حيث يوجد ضريح الولي الصالح سيدي بوملحافت على الجبل المطـل على تانـگـارفـة والـذي يفصل مـا بين قبيلـة آيت الخمس وآيت عبد الله.

وهي تقع كذلك على نقطة ماء مهمة تسمى "تالعينت إن بلا أو حمو". وهي عبارة عن مركز لسوق أسبوعي يدعى سوق السبت تانـگـارفة. ويوجـد به مقـر الجماعة القروية لآيت السيمـور إحـدى الفخـذات الكبـرى لقبيلــة آيت الخمــس الباعمرانيــة. وهــذه الأخيرة تتكـون من الفخـذات التاليــة : آيت سيمور وآيت علي اكـوك وإدا اوسوكـم وإدا موساكنا وآيت أيوب بما في ذلك السماهرة وآيت اعلاتـن.

والقبائل ترى كل واحدة منها أن من الواجب عليها تشييد مدرسة علمية خاصة بها، يدرس فيها العلم والدين، فتقوم بها ثلث أعشارها، وبأحباس من أثريائها، على قلة أحباسهم في هذا الميدان، وبأشياء أخرى من صميم أموال بنيها، يدفعونها سنويا بنظام خاص، في يوم معين، يؤدى فيه للمدرسة كل ما تتوقف عليه، كالحطب والسمن والزيت وحبوب أخرى لمن يشارطونه، يجعله غالبهم مؤونة للطلبة المنقطعين فقط، وكثيرا ما تجد في قبيلة كبيرة، أفخاذاً تختص كل واحدة منها بمدرستها، لأن إقامة المدارس وعمارتها بطلبة المعرفة وبالتدريس للعلم العربي، صارت ميادين فخر تتسابق إليه كل القبائل. ويمكن أن نذكر من بين هذه المدارس العتيقة بآيت باعمران : مدرسة اگـجگـال ومدرسة الجمعة بآيت عبد الله ومدرسة ثلاثاء اصبويا ومدرسة سيدي علي بوزيد ومدرسة الخميـس آيت بوبكر ومدرسة اسك ومدرســة الجمعـة بآيت عبد الله ومدرسة سيدي زكري بآيت أيوب بآيت الخميس ومدرسة تـادارت بآيت علي ومدرسة سيدي احماد بن داوود وأربعاء مستي ومدرسة بوگـرفة بآيت اعزى ومدرسة آيت عبد الله بآيت اخلف.

وانتشرت هذه المدارس في القرن الثاني عشر والثالث عشر، حتى تنافسـت القبائـل في بنـاء المـدارس، فقل أن تجد الآن قبيلة إلا وفيها مدرسة أو مدرستين أو أكثر، وإذا كانت القبيلة كبيرة يبني كل فخذ مدرسة على حدة كقبيلة آيت الخمس التي بها مدرسة تانـگـارفة بآيت السيمور ومدرسة بآيت أيوب.

يعود تاريخ إنشاء مدرسة تانـگـارفة إلى أكثر من أربع مائة سنة كما هو مشار إليه في بعض الوثائق. وتعرف لدى الباعمرانيين بمدرستها العتيقة والأولياء الصـالحين المدفونين بها.

كل هؤلاء الشرفاء صادفوا تأثير الأول من أجدادهم الذي استقر في آيت باعمران عند سيدي عبد الله بن يحيى، إلى نحو سنة 1000 هجرية والذي أتى من تـگــانت أو من قبيلة ادا وسملال التي فيها شهرته الأصلية.

وقد بدأ سيدي الحاج بن الحسان بن محمد، المحترم والوقور من لدن أهل بلاده، تأسيس زاوية ومدرسة عتيقـة يجتمع فيها طلبة كثيرون، تجتذبهـم من أجل شهـرة قداستهـا. وكانت وفاتـه في سنــة 1047. وهـذه الزاويــة والمدرســة العتيقــة توجد في تانـگــارفة الحالية، فخـذة آيت سيمور، من قبيلـة آيت الخمس، التي كان فيها مدفنــه.

وابنه إبراهيم بن يحيى الذي هو موجود في تراب قبيلة آيت اعزى الباعمرانية المدفون داخل قبة إلى جانبه يرقد حفيده سيدي محمد بن حسين بن براهيم.

ويشهد المكان على وجود استقرار قديم ومكثف بتانـگـارفة من خلال الحفريات التي يعثر فيها على بقايا أواني طينية ومعدنية لم تعد تستعمل إلى اليوم.

ويعتقد أن بعض الطلبــة البلداء من بين الذين يفدون على المدرسة العتيقة من أجل تحصيل العلم والمعرفة الدينية، لما يمحوا ألواحهم في عين الماء الدائمة الجريان (قبل أن تحصل تعديلات في البناء التي دخلت على الزاوية لتزويدها بالماء الصالح للشرب عن طريق الصنابير وجعل الطلبة يمحون ألواحهم داخل المدرسة بأماكن مخصصة لذلك) تنفتح وتتفتق ذاكرتهم ويحصلون

على نتيجة جيدة. وساد الاعتقاد كذلك أن ثمار المزارع التي كانت تسقى بها العين تراجع محصولها قبل أن تتدخل يد الإنسان في إصلاح عين الماء، حيث كانت تعطي وفرة من العنب والتين والـكمثرى وغيرها.

وتحتفظ الذاكرة المحلية بوجود أضرحة لسبعة بنات حفظن المدونة في الفقه المالكي وهن مدفونات بالمقبرة المحاذية للزاوية. الشيء الذي ينم عن الدور الكبير الذي لعبته المدرسة في تلقين علوم الدين لأبناء آيت باعمران والوافدين عليها رجالا ونساء.

ويركن إلى جانبها ضريح الشيخ سيدي عبد الله ويحيى الذي يعود أصله إلى اداوسملال، وهو أب الشيخ سيدي إبراهيم وعبد الله الذي يوجد ضريحه ببوگـرفة، وسيدي محمد وإبراهيم القادم من آسا، وسيدي محمد أو بالقاسم.

وتنظم بهذه المدرسة العتيقة مواسم سنوية وهي :

موسم الزاوية في يوم الأحد من الأسبوع الثاني من شهر غشت من كل سنة، ويدوم يوما واحدا ويتم فيه تناول وجبة الغذاء في المدرسة ويأتيه الناس من كل مكان.

وموسم يقام في الرابع والعشرين من شهر رمضان من كل سنة ويختتم فيه صحيح البخاري وتجتمع فيه القبيلة وتقضي ليلة كاملة بالزاوية.

وهناك لقاء قبل عيد المولد النبوي بأسبوع تقريبا، وتتم فيه قراءة الأمداح النبوية.

ويدرس فيها اليوم قرابة أربعين طالبا، يدرسون اللغة والنحو والفقه وعلوم القرآن. ويدرس بها الفقيه سيدي عمار العمراوي منذ ستة سنوات.

وتقوم قبيلة آيت سيمور بتموين الفقيه والطلبة انطلاقا من تكوين لجنة تسمى آيت ربعين (مفردها أربعي) بالإضافة إلى إعانات المحسنين وإدارة التعاون الوطني.

المختار السوسي، *سوس العالمة*، مطبعة فضالة، المحمدية 1960 ؛ *مدارس سوس العتيقة*، نظامها - أساتذتها، المطبعة الصناعية، مؤسسة التغليف والنشر والتوزيع للشمال، طنجة ؛ محمد بن أحمد الأكراري، *روضة الأفنان في وفيات الأعيان*، تحقيق، حمدي أنوش، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أگـادير، 1998 ؛ عبد الرحمان بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ج 2، المطبعة الوطنية، 1930 ؛ *وثائق حررها فقهاء* مروا عن طريق عملية "الشرط" بالمدرسة ؛ عدة *مقابلات* مع مسنين من قبيلة آيت الخمس ربيع 2009.

Luis Saliquet Navarro, Los merabetines del llano de Tagragra, *Mauritania*, Ano XIX Num, 158, 1 de Enero de 1941.

محمد شرايمي

تايسا (واد نون)، يتعدد استعمال هذه الكلمة بتعدد أماكن الرمى الجماعية التي تخضع لأعراف محلية ولتقنين تقسم المجال وحق إقامة أفراگ الوحدات المتحالفة. تمثل سلسلتا جبال تايسا وگير بمنطقة وادي نون ما يشابه حدا طبيعيا فاصلا بين لفيْ اتحادية تكنة آيت عثمان شرقا وآيت الجمل غربا. وغني عن القول أن تربية الجمال التي تميز لف آيت الجمل تقتضي مبدئيا الابتعاد عن الجبل وتركه لمربي الأغنام والماعز، وهو فعلا ما يؤكد التصاق سكان مداشر وادي نون بسلسلة تايسا. فهذه السلسلة تعتبر بحق أول مجموعة جبلية تستقبل القادم من مرتفعات إيگني إيمغارن بالأطلس الصغير. فيتضح أن الطريق الرابط بين بويزكارن وگلمين يمر بمحاذاة السلسلة التي تتراجع قليلا من هذه الطريق المخترقة لبسيط وادي نون. كما يتجلى بوضوح أنها مجموعة جيولوجية تحتوي على أرصفة واسعة مكتنزة ومتتابعة تنتصب بموازاة الطريق المؤدية إلى سرير وادي نون.

وإذا كانت مدينة گلميم وتيغمرت وأسرير تقع أسفل جبل تايرت أعلى قمة بهذه السلسلة، فذلك لأن السلسلة تجسد بهامتها واعتدال مناخها الجاف ممر فايجة وادي نون، علاوة عن كونها تنتهي في شبه انخفاضات قليلة العلو تأخذ السلسلة شكل أسرّة صالحة للمرعى والترحال القروي. والملاحظ أن وفرة المداشر عبر انفراجاتها تزيد من نوعية النباتات الغنية بفعل تأثير المحيط الأطلسي. كما أن استغلال الممرات المائية يزيد من مرابطة الأهالي حول أراضيهم المحروثة والمسقية. هكذا تجد الأغنام والماعز موفور الكلأ بتايسا وقد تصاحبها الأبقار إلى حيث تحافظ النباتات على اخضرارها.

تتمثل أهمية تايسا في كونها المرطب الرئيسي لمناخ جاف والمنعش الأساسي للترحال القروي وتربية الأنعام حيث تزداد أهميتها حسب قلة الأمطار التي عادة ما تنقطع لأزيد من خمس سنوات متتابعة. وإذا كان دور تايسا يكمن في ترطيب المناخ بفعل التأثيرات البحرية حيث تحد من التبخر، فإنها تلعب بذلك دورا أساسيا ومحموريا في بلورة عوامل التحالف القبلي بمنطقة وادي نون عبر مختلف مراحل تطور هذه الاتحادية التي مرت منها الفصائل والمداشر بعضها ببعض. الملاحظ هنا هو أن تايسا تتميز عن سلسلة جبال گير بعدم وجود مساحات هامة من أكناري الذي يستقطب الأفراگ المصيفة من سكان المداشر.

انظر مواد أكـاوس وأسرسي وتغمرت والتوبيع وتغاط *بالمعلمة*؛ مصطفى ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة*، دار عكاظ، 1988.

M.Naïmin, *Cinétique des leffs, fléxibilité et mobilité sociale*, étude inédite.

مصطفى ناعمي

التبراع : هو لون فني يدخل ضمن أحد أغراض الشعر العربي المسمى بالغزل، وتختص بنظمه النساء داخل المجال الصحراوي للتعبير عن عواطفهن تجاه الجنس الأخر، وقد كُنَّ يَتَغَنَّيْنَ به سرا وفي معزل عن الذكور وكبار السن نظرا لطبيعة المجتمع الصحراوي المحافظ، حيث كان يطغى عليه طابع اللغز والحشمة عكس اليوم إذ أصبح صريحا وواضحا.

ومفرد "التبراع" هو "تبريعة" والفعل هو برع أي نظم "تبريعة" ويتكون من بيت واحد، أما بنيته الفنية فهي وزن ناغم له خمس متحركات في الشطر الأول وثمانية في الشطر الثاني. وكمثال لهذا الإبداع النسائي تقول إحداهن :

أعلي ذوليـــــام أسحاب مْتِينَ من لسقــــــــام

ومعناه بالفصحى : أعاني هذه الأيام من حب يماثل الأمطار الغزيرة

أحمد نبيـــــــان بـــاش انحـك باش ازيانــــو

ومعناه بالفصحى : إن نبيان أحمـد كلما حكها بالسواك إلا وازدادت جمالا

محمد دحمان، الشعر النسائي الحساني "التبرع" والتحولات الاجتماعية بمنطقتي وادي الذهب والساقية الحمراء، مقال في كتاب : *المكونات الثقافية للصحراء المغربية*، منشورات رابطة أدباء المغرب، الطبعة الأولى، 2001، الرباط.

التبلاح : هو نظام غذائي، الغاية منه تسمين الفتاة وفق المواصفات الجمالية لدى المجتمع الصحراوي، وليس هناك اتفاق على سن محددة لاتباع هذا النظام، فالبعض يبدأه في سن السادسة بينما يؤخره البعض الآخر إلى التاسعة، إلا أن الجميع متفقون على ضرورة العناية بغذاء البنت لأن هناك تصورا سائدا في أوساطهم مفاده أن الاستعداد للبدانة أو النحافة يبدأ من الأربعين يوما الأولى، وعند بلوغ البنت للسن المناسبة للتبلاح تقدم لامرأة متخصصة فيه تعرف بـ "البلاحة" مع تزويدها بالمواد الضرورية لإنجاز هذه المهمة، وإذا لم يكن استهلاك البنت كافيا للطعام فإن البلاحة تلجأ إلى ضربها وتعذيبها، وهذا التعذيب لا ضير فيه مادام وسيلة لبلوغ النتيجة المبتغاة، وبعد سنة أو سنتين تعيد البلاحة البنت إلى أهلها وقد تشقق جلدها كله، وكلما كانت هذه الشقوق كثيرة (التبطاط) وتشمل البدن بكامله، إلا وكان ذلك مدعاة للإعجاب.

الغالية بلعمش

تجكانت، والنسبة إليها جكاني. ما تزال مواصفات قبيلة تجكانت تؤكد ارتباطها العضوي بماضي بعيد جسدت خلاله إحدى أهم تجزؤات مسوفة (إيمسوفن) الصنهاجيين. ارتبط ماضي هذه الفصيلة الإيمسوفية بالمنطقة الواصلة بين وادي درعة شمالا وتاودني جنوبا عبر تيندوف القديمة (تندافين : تيندوفين) وتغازى. هذا المحور الذي لن تظهر تنبكتو في نهايته الجنوبية إلا ابتداء من عام 494 / 1100، سيعرف تسلط البرابيش على ملاحة تغازى خلال القرن الثاني (8م) *تاريخ السودان*، 25 - 42). على أن مهارة مسوفة التجارية ومقدرتهم الحربية ستجعل ابن حوقل النصيبي يشهد على مقدرتهم الاحتكارية لحركة القوافل بعين المكان خلال القرن الرابع (10م) (*صورة الأرض*، 98). هكذا، انطلاقا من نموذج متكامل على المستويات التجاري والمجالي والحربي نتبين سبب تفوق مسوفة ودورهم في تعميق أسباب التلاحم الاقتصادي عبر محاور الصحراء الأطلسية. جسدت هذه المساهمة يومها أداة مجمل قبائل إزناگن (صنهاجة) الوحيدة في مواجهة المد التجاري الزناتي الخارجي العبادي. وهي حقيقة لن يلبث أبو عبيد البكري أن يكرسها خلال القرن الخامس (11م) حين وصف قدراتهم التجارية والحربية في آن واحد (*المغرب*، 149 - 284). ولنا في حوادث الدعوة المرابطية أدلة على أن مسوفة سيعملون على مجابهة المد اللمتوني مساهمين بذلك في عجز عبد الله بن ياسين على دمج باقي صنهاجة (الباقور- إيگدالن). الأكثر من هذا أن هجرة لمتونة (إيويليميضين) نحو الشمال قد سهلت مأمورية مسوفة في مراقبة جل المحاور الموازية لمحورها غربا فارضة المكوس والإتاوات ومحددة قوانين المرور حتى مشارف أزوگي بأدرار التمر. ندرك من هنا أن الهيمنة المجالية والتجارية ستؤثر بشكل ملحوظ في انتشار فصائل مسوفة عبر مختلف المراكز الاستراتيجية الفاعلة. وهذا شيء طبيعي، مادام ظهور مدينة تينيگي على مقربة من شنقيط بأدرار ستجسد منذ القرن السادس (12م) ثاني قاعدة جكانية بعد تيندوف.

لئن كانت جل المصادر المحلية لا تعود إلا إلى القرن العاشر (16م)، فإن النتائج التي أدت إليها هيمنة مسوفة على جل المحاور الغربية وفرت نموذجا للقبيلة التي شمل اسمها باقي فصائل صنهاجة. لقد أصبحت فصائل إزناگن كلها تقتصر في تحديد هويتها على صيغة المسوفي كقاسم مشترك. علينا أن نتذكر هنا أن المنظومة الخلدونية مبنية على تلخيص المصادر حين تؤكد يومئذ على ما شاهده ابن بطوطة بعين المكان (*تحفة*، IV : 338 ؛ *Hist.des Berb*.. II : 67). ما يميز الفترة الفاصلة بين القرنين السادس والثامن (12 - 14 م) إذن هو تشخيص سيادة إيمسوفن ومن ضمنهم تجكانت على تجارة الصحراء ومدنها مجسدين بذلك استقلالهم عن مملكة مالي. على أن هجرة لمتونة ودور التسرب المعقلي إلى مسالك المنطقة بالإضافة إلى تشتت فصائل إيمسوفن قد ساهمت في تمفصل هذه الفصائل كل واحدة حسب موقعها الجديد. من يطبق قوانين التقسيم هذه يدرك أن مسومة ومشظوف ما هي إلا تحريفات لكلمة مسوفة كما أوضح ذلك *تاريخ السودان* نقلا عن الحلل الموشية (*تاريخ السودان*، 25 ؛ *الحلل*، 17 : 1979). ومن يأخذ بعين الاعتبار تداخل المصالح التجارية والمجالية يدرك أن مصالح مسوفة اقتضت اندماجهم النسبي بمملكة سنغاي. لقد اضطرت السياسة الاقتصادية الحمائية لهذه المملكة فصائل إيمسوفن على محور تنبكتو تيندوف إلى تطوير أساليب التعامل (E.M.Sartain,*Jlal Ad-Did*.195). فقد حصل فعلا في مجال دراسة تجكانت بتينيگي أن جرت حركية المسالك الشرقية أسباب الاضمحلال التجاري مسببة بداية مرحلة الانحطاط (انظر مادة تاودني *بالمعلمة*).

ما مدى تحالف تجكانت وسنغاي خلال القرنين التاسع والعاشر (15-16م) ؟ تعد الرسالة التي بعث بها محمد بن محمد بن علي اللمتوني إلى جلال الدين السيوطي خلال شهر شوال عام 898 غشت 1493 من

أهم الوثائق التي تساعد على تحديد العناصر البنيوية لمجتمع ما قبل الهيمنة الحسانية خلال القرن الحادي عشر (17م). فإذا كان تحقيق (J. Hunwick, *Notes*, 19) لهذه الوثيقة لم يرق إلى المستوى المطلوب شأنه في ذلك شأن دراسة (H.T.Norris, *The* Tuareg , 42 - 47)، فإن تحليل عبد الودود ولد الشيخ قد حدد المعطيات الأساسية التي تكشف النقاب عن طبيعة المجتمع الصحراوي (*Eléments*, 23-39). لقد كان المسوفيون محتكري تينيگـي عاصمة تجكانت ووادان (إن والان) وتشيت وولاتة يجعلون من النظام الأميسي نظام قرابتهم الوحيد ومن حملة الكتاب الزوايا فئة اجتماعية تلتزم المرابطة وتصحيح المعتقدات. وتكمن الدلالة البليغة لوجود هذه الفئة المرابطية في شمولية القيم المجتمعية القديمة التي تجسد التطابق التام بين مسوفة (إيمسّوفن) ومجمل توارگ الصحراء الأطلسية والوسطى. ولم تكن الصحراء الأطلسية قد تعربت بعد ولا ممارسة الطرب والغناء قد أصبحت حكرا على إيگـوان. وما يميز مراسل السيوطي كحامل كتاب من الزوايا هي رغبته في تهذيب الطباع والقيم المتوارثة راسما بذلك العناصر التي لم تكن تميز تجكانت عن غيرهم من مسوفة أو باقي الغور الصنهاجي الأقدم. فلا يمكن إذن أن نتطرق بأي حال من الأحوال إلى مسألة الفصل في نطاق التاريخ الوقائعي بين الشماليين من سنغاي وتجكانت محتكري محور تجكانت التجارية ومصالح سنغاي. فلا نتصور بسهولة أن صيغة وحدة المصالح وتقابلها قد تقتضي مواجهة تجكانت لتطور تجارة المحاور الشرقية التي تمر بجزء كبير من ترابهم وتمنحهم كثيرا من الصلاحيات.

تدهورت حركية المسالك الساحلية للصحراء الأطلسية لتتسبب في احتداد الصراع بين فصائل تجكانت المقيمة بتينيگـي. ولا شك أن مختلف باقي تجزؤات الغور المسوفي والصنهاجي قد عانت من مضاعفات هذا التدهور التجاري ومن ضغوط المد الأعرابي الحساني آخذة في الهجرة ابتداء من منتصف القرن العاشر (16م) انطلاقا من الشمال الغربي في اتجاه الجنوب الشرقي. نلاحظ هنا أن التنافس حول مراقبة مراعي الهدة الخصبة قد أفرغت منطقة الركيز حيث لم يبق بها سوى إيجمان وفصائل تـگداوست المقيمة بنودش فاشتعلت أسباب الحرب المدمرة بين تجكانت تينيگـي لتسرع بهدم المدينة وانقسام الفصائل المحلية إلى مهاجرين شمالا وآخرين جنوبا. وإذا كان إيجمان هم المؤسسين الحقيقيين لمدشر تغبة فإن وصول فصائل تجكانت المهاجرة ستسبب في صراع انتهى بهجرة إيجمان وتـگداوست عن الركيز.

كان الأغلال أول من دشن خلال منتصف هذا القرن عملية الهجرة من شنيقيطي بأدرار في اتجاه تشيت واصلين بعد ذلك إلى ولاتة ومنها إلى الهدة الشرقية في نهاية القرن. هذه المعطيات التي تفقد عندها الرسالة الغلاوية وكتاب الطرائف والتلائد لا تفيدنا في شأن هجرة الفصائل المتجهة شمالا. فقد وصلت فصائل تجكانت إلى أرض طاطا حيث تقع قصبة انكارف مقر إقامة الحسن ابن الطالب عامل أحمد المنصور الذهبي. لم تجد هذه الفصائل أية صعوبة في الوصول إلى عين المكان مرورا بتيندوف حيث مضارب فصائل تجكانت القديمة. ولم يلبث التساكن مع إدا أوبلال أن جسد أحد العوامل الأساسية في تمتين جبهة الحد من هيمنة أولاد دليم (R. Caillé , *Journal*, 213).

إذا نظرنا إلى تطور فصائل تجكانت الشماليين على امتداد المحور تنبكتو- تيندوف وجدناها تنقسم خلال القرن العاشر (16م) إلى أربعة فروع محورية هي أولاد إبراهيم ورماحتين والموساني وأولاد سيدي علي. نجد في مواصفات كل فصيلة ملاحظات كثيرة تتعلق بازدواجية حمل الكتاب وامتهان التجارة. فعلاوة عن كون جل تجكانت محاربين، تجدهم يتوخون العلم والتجارة. ولنا في حوادث القرن الحادي عشر (17م) أدلة على تصور زعمائهم لبنية قبلية تجمع بي المقدرة الحربية والتجارية والعلمية. فقد اتضح منذ حملة السعديين إلى تنبكتو أن تجربة تجكـانت تهدف بالضرورة إلى المحافظة على احتكار محورها التجاري وعلى توازن فصائلها على اختلاف تخصصاتهم الاجتماعية والمهنية. الحملة السعدية لا تعد الوحيدة التي وجدت العون والمؤازرة من تجكانت حيث تكشف المصادر والوثائق الخاصة من دورهم في مساندة المولى إسماعيل وولاته على الصحراء. فتحسبا لكل التحالفات يومها بين إدا أوبلال واتحادية أولاد دليم القوية ركزت كل مراسلات المولى إسماعيل إلى ولاته على ضرورة التعاون مع تجكانت. ولن نمر بسرعة على هذا الجانب دون أن نركز على دور تجكانت الأساسي في تطوير المبادلات عبر محورهم التقليدي. فبالإضافة إلى استئثارهم باهتمام المخزن نجدهم يجسدون أكبر منافس حقيقي لتجارة تكنة بأسواق سوس ومراكش. نجد بأن تسرب تجكـانت إلى أسواق إليغ ومراكش وسجلماسة دفع بتجار تكنة إلى الارتباط بالمرافئ الساحلية بأگـادير وماسة وآيت باعمران. وقـد أظهرت تجكـانت من الحنكة السياسية والتجاريــة ما جعل منها قوة متصرفة في موانئ الضفــة الشماليــة وقــوة حربية قادرة على الحد من تحرشات البرابيش وأولاد دليم والبرابر وغيرهم (م. ناعمي، *جوامع المهمات*). غير أنه تحسبا من تكنة الذين هم عصبية متغلبة على سواها بوادي نون وباني والساقية الحمراء لمخاطر المنافسة، فإنهم أغلقوا أسواقهم عن قوافل تجكانت. وهو ما أدى بالمنافسة إلى تحسين حركية المحورين التكني والجكاني فكان من أبرز مضاعفات هذا التحسن النسبي إلى حدود النصف الثاني عشر (18م) أن تصاعدت وتيرة المبادلات الحرة مع المرافئ. هذا ما أدى بالسلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى إغلاق مينائي أگـادير وماسة سنة 1765 معلنا عن انفتاح ميناء الصويرة. وجه هذا الميناء الجديد ضربة قاضية لتجارة وادي نون والساقية الحمراء نظرا لبعدهما عنه. وبالمقابل أصبح على القوافل المتوجهة إلى الميناء الجديد أن تمر بمراكش القريبة مما اضطرها إلى هجر

المحاور الساحلية وتفضيل محور تجكانت عبر تيندوف، فاستطاعت بذلك تجكانت أن تنمو بشكل مطرد بين وقت ظهور ميناء الصويرة والقرن الثالث عشر (19م) لتصطدم خلال النصف الأخير منه بتطورات الأحداث بالصحراء الأطلسية.

تأتي أهمية المكونات من كونها تبرز الأدوار الأساسية البارزة التي لعبها تجار تحكانت وممتهنو مرافقة القوافل منهم. ولا يخفى أن هذا الجانب على أهميته لا يكفي وحده لرصد الحياة الاقتصادية والاجتماعية لباقي الشرائح الجكانية بهذه المنطقة البعيدة عن العمران القروي وعن مرافئ التجارة الساحلية. من هنا يكون لزاما علينا التركيز على أهمية الترحال وتربية الإبل في تنمية حجم القطيع الجكاني كمقياس حقيقي لمدى غنى جل الفصائل المنتجعة يومها من تيندوف إلى تاودني.

صادف القرن الثاني عشر (18م) ظهور وتطور الرگيبات تحت حماية لفي اتحادية تكنة. ولم تكن فصائل الرگيبات الساحلية تقترب من حمادة تندوف باستثناء أولاد موسى في بعض الأحيان. أما الفصائل الشرقية فقد تعودت على الانتجاع بجوار فصائل تجكانت بحكم تربيتها للإبل خلافا للفصائل الساحلية. واعتباراً لكون الرگيبات كانوا مسالمين لا يحملون السلاح مكتفين بحماية تكنة لهم، فإن تجكانت كانوا يغزون إبلهم بصفة منتظمة. هذا ما أكدته بعض المخطوطات الرگيبية التي اطلع عليها J. Larribaud. ولم يكن من شأن مقدرة الرگيبات الاستيعابية على احتواء أكبر قدر من الدخلاء أن يقلل من حجم قطيعها من الإبل. وبالرغم من النمو الديمغرافي المتزايد الذي كانت تعرفه فصائل الرگيبات الساحلية والشرقية، فإنها ظلت تعتبر نفسها في موقف دفاعي ضد تحرشات تجكانت إلى أن ظهر مع بداية القرن الثالث عشر / نهاية (18م) السلاح الناري الوروار. ففي سنة 1211 / 1796 - 1797 انفجرت أول معركة بالعريضة، الموقع المعروف بالساقية الحمراء، لتمتد إلى فم تازرّ حيث انقسمت حامية تجكانت إلى قسمين، انسحب الأول شمالا نحو آيت أوفلمان واتجه الثاني إلى إيگيدي جنوبا حيث تجنب شر الرگيبات (*جوامع المهمات*، 84). وأدت ثاني معركة بين الطرفين بعد ربع قرن من هذا التاريخ إلى مقتل عدد كبير من تجكانت وسلب كثير من ممتلكاتها، فتأكدت يومها خطورة الرگيبات كقوة متنامية اتفق تجكانت وإدا أوبلال وامريبط واعريب على محاربتها، الذين توجهوا إلى الاحميديات حيث أكدت إحدى كبريات المعارك على تفوق الرگيبات الذين أصبحوا يتوفرون على أسلحة نارية بلجيكية وفرنسية وأنجليزية.

تسببت هذه التعقيدات السياسية في تدهور العناصر القادرة على توفير أمن وسلامة المحور تاودني - تيندوف. وقد اضطر الشيخ محمد المختار بلعمش عالم تجكانت الأكبر وتلميذ محمد بن المختار الكنتي إلى إعادة بناء تيندوف حوالي سنة 1256 / 1840 خلافا لما تورده بعد المصادر (*المعسول*، XVIII : 159) التي تركز على سنة 1270 / 1853 (*جوامع المهمات*، 87) وكان هدفه هو الحد من اختلال الأمن والعمل على مواجهة مختلف قضايا التبادل التجاري ونظام التحالفات. وفعلا، فإن تيندوف لم تلبث أن أصبحت عاصمة دينية وبرصة التسعير الأولي بالضفة الشمالية الغربية للصحراء الأطلسية كما شهد على ذلك Camille Douls. فعلى المستوى التجاري والسلعي تكشف صلاحية المحتسب والقاضي عن قدرة تيندوف على التخزين كأول مستودع جهوي. وأصبحت القاعدة هي أن يقف تجار الشمال والجنوب بأنفسهم على عمليات التقليب والتسعير. وتعتبر شهادة C. Douls الذي زار تيندوف سنة 1887 بالغة الأهمية لإبراز دور الموقع التجاري الاستراتيجي. فهو يميز الموقع كملتقى للطرق عن عين صالح بمنطقة توات مسجلا بأن ستة محاور تصل إليه من گلميم وأقا وتافيلالت وتوات والجنوب الجزائري والساقية الحمراء. كما أن من الإشارات الهامة التي سجلها ذكر تيندوف كعاصمة أولى لتجارة الرقيق.

علم الرگيبات بإعادة بناء تيندوف سنة 1256 / 1840 فأرسلوا وفداً للتهنئة. ويضيف محمد سالم بن لحبيب ابن الحسين بن عبد الحي بأن تجكانت قد بنوها بناء جيدا (*جوامع المهمات*، 86). هنا نسجل بأن مساهمة المسجد الجامع الذي اختطه بلعمش تعد بالغة الأهمية من الناحية الدينية والسياسية، فعلاوة على تخرج مجموعة لا يستهان بها من الفقهاء والعلماء خصهم الأمين الشنقيطي ومحمد المختار السوسي بمؤلفين خاصين (*الوسيط*، 277 - 284، *المعسول*، XVIII : 158)، نجد أعلاما مشهورين بالمشرق كمحمد محمود بن التلاميذ التوركزي (*الوسيط*، 380 - 396) يدرسون شأنهم في ذلك شأن محمد المختار بلعمش وابنه محمد وتلميذه الشيخ ماء العينين. وإذا كان محمد المختار بلعمش قد توفي مبكراً (حوالي سنة 1285 / 1868) حسب ما أورده السوسي (*المعسول*، XVIII : 160) فقد تجلت مساهمته العلمية في حجم ما خلفه من آثار ومؤلفات السوسي (*سوس العالمة*، 199 ؛ الأمين الشنقيطي، *الوسيط*، 321). أما مساهمته التاريخية السياسية فقد تجلت في قدرته على سن قوانين المعاملات القبلية بعين المكان، لقد واجه مجمل القبائل المتصارعة صنهاجية كانت أو حسانية بفتاوى تقول بقتل قطاع الطريق منهم. بل ونلاحظ أن صرامته قد أسهمت إلى حد بعيد في تطبيع العلاقات يومها بين تجكانت والرگيبات إلى أن وقعت معركة غزي تيگي ومعركة منهل وادي واين تاركت. يومها حرض الشيخ محمد المختار بلعمش الجكاني قبيلته قائلا : "قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار وجهادهم واجب". ويضيف مخطوط *جوامع المهمات* بأنه أفتى كتابة بجواز قتال الرگيبات مما دعا محمد بن يوسف بن عبد الحي عم صاحب المخطوط إلى الاعتراض عليه بتأليف آخر. وقام العالمان بإرسال المؤلفين للسلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن قصد الحسم في الخلاف، فاستفتى بدوره علماء مراكش وفاس. وإذا كان العلماء قد رجحوا مقولة قاضي الرگيبات بن عبد الحي سنة 1295 /

1878 فهذا ما يعني أن وفاة محمد المختار بلعمش قد تكون لاحقة للتاريخ الذي أوردناه سابقا (*جوامع المهمات*، 89). لقد رفض عالم تجكانت حكم العلماء فأغار تجكانت على ركَيبات الساحل وآل عبد الحي بالموقع المعروف برگ المحون بالمنطقة الساحلية. فما كان من آل عبد الحي إلا أن رفعوا شكوى إلى السلطان بعد أن رفض تجكانت إعادة ما انتزعوه منهم. وكلف السلطان سبعين غالما بمهمة الحسم وحضر الفقيه الحاج البشير ممثلا للركَيبات وآل عبد الحي بينما مثل محمد المختار بلعمش قبيلته، وما أفتى به في هذا الشأن : "فغلب أهل عبد الحي تجكانت وأمره طويل لكن اقتصرت على ما كتب منه" (*جوامع المهمات*، 89). ثم دخل الطرفان بعد ذلك في سلسلة أخرى من الحروب والمساجلات الشعرية انتهت سنة 1303 / 1886 بانتصار الركَيبات واستسلام تجكانت المرحلي. خلال هذه السنة عين المولى الحسن الشيخ أحمد بن محمد المختار بلعمش قاضيا على تجكـانت بظهير 24-8-1303/28-5-1886 (*مجلة صحراء المغرب*، XX : 8). انطلقت السلسلة الأخيرة من المعارك بين الطرفين سنة 1314 / 1895 لتنتهي بغزو 1200 ركَيبي لتيندوف حيث مكثوا سبعة أيام خربوا خلالها جل القصر ولم يبقوا منه إلا على ديار أهل العبد وأهل المرابط (*جوامع المهمات*، 94-95).

نلاحظ أن هذه المعطيات تكشف ضمنيا عن مدى وعي محمد المختار بلعمش بعمق المشكل الركَيبي القائم. نجد في تحليله قدرا من الواقعية والعقلانية يستهدف تجنيد مختلف فصائل تجكانت والسلطان والعلماء وباقي القبائل المجاورة إلى حقيقة الخطر المحدق بالوجود الجكاني، وهو ما يؤكد أن تأطيره لذويه وحثهم على مواجهة الأخطار الخارجية لم يأت من باب العصبية القبلية ولا النزاعات القومية الساذجة. لقد تعاقبت فعلا على تراب تجكـانت منذ هدم تيندوف أحداث متتالية صبت كلها في نفس الاتجاه السلبي. فلا الظهائر العزيزية ولا قرارات المقيم العام الفرنسي في 11-1-1935 بمغربية تيندوف، أعادت لفصائل تجكـانت سابق تماسكها. بل إن الوقوف المطول عند مضاعفات التطورات السياسية على هذه الفصائل يعود بها إلى دور العوامل الخارجية الاقتصادية والسياسية الفرنسية والإسبانية كمؤطر لدور الصراعات المحلية. إن عملية الجنرال ترانكي Trinquet القاضية سنة 1353 / 1935 بضم تيندوف إلى التراب الجزائري لا تفي وحدها بالغرض التحليلي المطلوب إلا إذا توغلنا في تفاصيل التناقضات القبلية في ارتباطها بمضاعفات استراتيجية المد الفرنسي الإسباني. برر القائد السنهوري تعامله مع الإدارة الفرنسية كممثل لتجكانت بضرورة العمل على إعادة التماسك الجكاني إلى ما كان عليه، وهي مقولة تركز على دور العوامل الخارجية كعقبة أساسية في وجه التماسك والتساكن. وإذا كان السنهوري قد أعلن مغربيته سنة 1962 حاملا بيعة أهل تيندوف، فإن دعائم البنيان الجكاني كانت يومها قد عرفت كثيرا من التعلل لم تترك لها إلا تشبثا راسخا بمبادئ وقيم الانتماء إلى مجتمع الصحراء الأطلسية.

جلال الدين السيوطي، *الحاوي للفتاوي*، القاهرة، د.ت، جزآن ؛ محمد المختار السوسي، *المعسول*، الجزء الثامن عشر ؛ *سوس العالمة* ؛ *جوامع المهمات في أمور الرقيبات* ؛ الأمين الشنگيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط* ؛ المختار ولد حامدون، *حياة موريتانيا*، جغرافيا ؛ سيدنا بابا بن محمد بن سيدي، *تاريخ أمارتي إدا وعيش ومشظوف*، مخطوط ؛ ابن بطوطة، *تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار*، دار التراث 1968 ؛ الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي، *الرسالة الغلاوية* ؛ *الطرائف والتلائد في مناقب الشيخين الوالدة والوالد*، مخطوط ؛ عبد الله بن الحاج إبراهيم، *يسر الناظرين في روضة النسرين*، مخطوط.

A. W. Cheikh, *Eléments d'histoire de la Mauritanie*, Centre Culturel Français, Nouakchott.1988 ; R. Caillé, *Journal d' un voyage*, Paris, 1965 ; C. Douls, *Voyages dans le Sahara Occidental et le Sud marocain Soc. Normande de Géograhie*, Janvier-Février 1888 ; S.Caratini, *Les Rgaybat* ; J. Hunwick, Notes on a late fifteenth centuty document concerning Al Takrur, in Allemand Jonhson (ed), *African perspectives*. Cambridge 1970 ; H.T.Norris, *Saharian Myth and Saga* ; *The Touaregs*, Warminister, 1975 ; J.Larribaud, Tindouf et le Sahara Occidental, *Archives de l'Institut Pasteur d'Algérie, XXX, n°3, Alger, Sept. 1952* ; V. Paques, *l' arbre cosmique dans la pensée populaire et dans la vie quotidienne du nord-ouest afric*ain, Paris, 1964.

مصطفى ناعمي

تحرير الصحراء من الاستعمار الإسباني،

جرى احتلال الإسبان لشواطىء الصحراء الغربية على ثلاثة مراحل متفاوتة في طبيعة الاستعمار وفي الامتداد الزمني. فقد امتدت المرحلة الأولى من أواخر القرن الخامس عشر (م) إلى أواخر القرن التاسع عشر، ظلت فيها المقاصد الاستعمارية منحصرة في الغارات من أجل العبيد وفي مبادلات تجارية متناثرة وفي الصيد البحري في مياه تزخر بالسمك وفي حماية الجزر الخالدات بعد استحواذ إسبانيا عليها من غزوات الجهاد البحري المغربي. ثم كانت المرحلة الثانية بعد أن احتل الإسبان شبه جزيرة الداخلة سنة 1885 وأعلنوا في مؤتمر برلين أنهم أصبحوا طرفا لا سبيل إلى تجاهل نصيبه من اقتسام القارة الإفريقية وخيراتها بين الأقطاب الاستعمارية الكبرى. وتعززت هذه المطامح بالاتفاق مع فرنسا سنة 1904 على حدود ما تحتله إسبانيا من شواطىء الصحراء الغربية واقتسام السيطرة على المملكة المغربية من جهتي الشمال والجنوب، علما بأن قوات الاحتلال الإسبانية ظلت منحصرة عند المرافىء البحرية الصحراوية إلى منتصف الثلاثينات من القرن العشرين فلم تحتل السمارة إلا سنـة 1934، وعلما بأنهـا كانت تعتبر ذلك الجزء مــن الصحراء الغربيــة جزءا لا يتجزأ مـن نصيبهـا من الحماية على المغرب، يحكمها الخليفة السلطانـي والمنـدوب الإسبـانـي المقيمـان في تطـوان،

وعلما أيضا بأن تدبدب الاستعمار الإسباني يعود إلى ما مرت منه إسبانيا من التقلبات السياسية الداخلية التي أشغلتها بنفسها عما كان لها من الممتلكات وراء البحار. وكان أوج تلك التقلبات الحرب الأهلية بين 1936 و1939 التي ترتب عليها قيام الجنرال فرانكو دكتاتورا فكان مما تميّز به حكمه أن رام تجديد صرح الاستعمار الإسباني في الصحراء، مدعيا أنها ليست من التراب المغربي ومستغلا ما أغدق على إسبانيا من المساعدات المالية الأمريكية ضمن مخطط مارشال للقيام ببعض الاستثمارات المربحة في جولة أخيرة من الهيمنة امتدت إلى سنة 1975.

ففي مرحلة أولى تمتد من 1940 إلى 1956، حاول الجنرال فرانكو الاستفادة من نظام الحماية، المفروض على المغرب منذ 1912، لدعم النفوذ الإسباني في الصحراء بعد أن اكتشف فيها عالم الجيولوجيا مانويل أليا مدينا Manuel Alia Medina مناجم الفوسفاط سنة 1943، مما خول تلك الأراضي القاحلة قيمة مضافة لم تكن تخطر على البال، فبات من الضروري التمسك بها وعزلها عن باقي المغرب الذي أصبح قاب قوسين من استرجاع استقلاله بعد مشاركته بالرجال والأموال في الانتصار على النازية في الحرب العالمية الثانية، فبادر الجنرال فرانكو إلى فصل إدارة الأقاليم الصحراوية عن إدارة الحماية الإسبانية في تطوان، مصدرا قرارا بتاريخ 20 يوليوز 1946 عن قيام كيان جديد تحت اسم "إفريقيا الغربية الإسبانية" يضم سيدي إفني والأقاليم الصحراوية، يدير شؤونه وال عام مقيم في سيدي إفني، يساعده وال بالنيابة مقيم في العيون. وصار هذا الوالي العام تابعا مباشرة لرئاسة الحكومة الإسبانية في مدريد من خلال "الإدارة العامة للمغرب والمستعمرات" المحدثة يوم 15 دجنبر 1925، إبان حرب الريف، علما بأن هذا الوالي العام كان يتصرف بإقليم تكنة، بصفة كونه نائبا عن المندوب السامي للحماية الإسبانية المقيم في تطوان. وكان من تجليات الخطة الاستعمارية الجديدة في الجنوب المغربي إطلاق اسم بيّا بنس Villa Bens على مدينة طرفاية سنة 1949 وقيام الجنرال فرانكو بزيارة رسمية للصحراء للوقوف على مناجم الفوسفاط سنة 1950 وإحداث مقاولة تحت أسم أدارو Adaro تابعة للمعهد الوطني للصناعة Instituto Nacional de Industria مكلف بالتنقيب عن مناجم الفوسفاط، وذلك سنة 1952. هكذا دخل الاستعمار الإسباني عهد الاستثمارات الصناعية في الوقت الذي دخل فيه عهد الحماية الأجنبية على المغرب لحظة الاحتضار، إذ اندلعت ثورة الملك والشعب في غشت 1953 التي أجبرت كلا من فرنسا وإسبانيا على فسخ عقد الحماية سنة 1956، علما بأنهما لم يعترفا له بوحدة ترابه مع أقاليمه الصحراوية، حيث أقامت فرنسا بلدا جديد أطلقت عليه إسم موريتانيا وشرعت إسبانيا تسعى في تقليدها في ما كان بيدها من أقاليم الصحراء الأطلسية.

وبذلك انطلقت مرحلة ثانية من المناورات الإسبانية، تصدى لها المغرب ملكا وشعبا. ذلك بأن جيش التحرير الشعبي نقل جهاده من الشمال إلى الجنوب توّا بعد الاستقلال واستطاع في ظرف وجيز من إرغام الإسبان على الانسحاب من داخل الصحراء والانحصار مرة أخرى في المرافىء الساحلية، مما جعل فرق جيش التحرير تهدد موريتانيا الفرنسية. فما كان من الدولتين الاستعماريتين إلا أن وحدتا جيوشهما مثلما كانتا قد فعلتا في حرب الريف لقمع المقاومة المغربية وإثبات ركائز الاحتلال الأوربي في الصحراء الغربية بالمفهوم الجغرافي الواسع للمنطقة، فأقيم تحالف عسكري فرنسي إسباني تحت اسم "أورگان" Ouragan، وشنت غارات عنيفة تحت اسم "إيكوڤيون" Ecouvillon تغلبت بفضل الطيران والأسلحة الثقيلة على فرق جيش التحرير مرغمة إياها على اللجوء إلى داخل الوطن، هذا في الوقت الذي ظلت الأحزاب الوطنية تصدع بحقوق المغرب في صحرائه فنشر حزب الاستقلال خريطة تبين مدى ما كانت تمتد إليه الحدود المغربية ومدى الاقتطاعات التي اقتطعتها منها فرنسا وإسبانيا، بينما خطب الملك محمد الخامس يوم 25 فبراير 1958 في محاميد الغزلان مطالبا باسترجاع الأقاليم الصحراوية ومعلنا عن عزم المغرب على متابعة الكفاح من أجل تحريرها وإتمام وحدة التراب المغربي التاريخي. ومما قال : "إن مما يسعدنا أن يستقبلنا في قرية المحاميد التي هي باب صحراء المغرب، أبناء الذين استقبلوا جدنا في قرية أخرى من الرگـيبات وتكنة وأولاد دليم وسواها من قبائل الصحراء الشنگيطية، وأن نستمع إليهم ومعهم فقهاؤهم وأدباؤهم وهم يؤكدون لنا، كما أكد آباؤهم لجدنا، تعلقهم بالعرش العلوي واستمساكهم بعروة المغرب الوثقى التي لا انفصام لها. وإننا نحيي نفوسهم الأبية وعزماتهم القوية، ونرحب بهم في وطنهم وبين أهليهم. ونؤكد لهم بدورنا، وليبلغ الشاهد منهم الغائب، أننا سنواصل العمل بكل ما في وسعنا لاسترجاع صحرائنا وكل ما هو ثابت لمملكتنا بحكم التاريخ ورغبات السكان..." وكان هذا الملك قد أحدث يوم 12 فبراير 1957 مديرية قضايا الصحراء والحدود في وزارة الخارجية وجعل على رأسها وجها من وجوه جيش التحرير المرحوم عبد الكبير الفاسي واضع خريطة المغرب الكبير. وردت إسبانيا على هذه المبادرات الرسمية بأن أعلنت عن إلغاء العمل بمفهوم إفريقيا الغربية الإسبانية وجعل الصحراء الأطلسية إقليما provincia إسبانيا، محاولة إلهاء المغرب بالتخلي عن طرفاية وإقليم تكنة بمقتضى معاهدة ثنترا Cintra ليوم 10 إبريل 1958، ومعلنة لهيئة الأمم المتحدة أنه لم يبق بيدها مستعمرات محرومة من الحكم الذاتي (نونبر 1958). ثم تعددت المناورات الإسبانية لاستغلال الأقاليم الصحراوية التي اجتاحتها فترة أخرى من الجفاف بين 1959 و1963 بعد التي كانت قد مرت منها في نهاية الأربعينات. فانتهزها الرسمال الإسباني فرصة لفتح باب التنقيب عن النفط (يونيو 1960)، فهرع أصحاب الشركات الكبرى للمشاركة في ذلك، بيد أنهم سرعان ما رجعوا القهقرى بعد أن اختطفت بعض فرق جيش التحرير بعضا من

رجال التنقيب في مارس 1961. لكن النوايا الإمبريالية لإسبانيا لم تزد إلا ثباتا بسبب قيام الجمهورية الإسلامية الموريتانية واعتراف الأمم المتحدة بها (دجنبر 1960). ففي نونبر 1962 أقام المعهد الوطني الإسباني للصناعة المذكور مقاولة منجمية خاصة بالصحراء تحت اسم Empresa Nacional Minera del Sahara بقصد تعزيز التنقيب عن المدخرات من الفوسفاط واستغلالها انطلاقا من بوكراع، ولجلب الأموال لاستغلالها. وظل المغرب يتابع تلك المناورات عن كثب ويعبر عن حقوقه في المحافل الدولية بلسان ملكه الحسن الثاني. ولذلك أدرجت الأمم المتحدة، سنة 1963، أقاليم الصحراء الغربية ضمن لائحة الأراضي المحرومة من الاستقلال الذاتي. فبادرت إسبانيا إلى إجراء انتخابات صورية لإقامة مجالس بلدية في العيون والداخلة، ومجلسا إقليميا جامعا تحت اسم "كبلدو" cabildo ترأسه المرحوم خطري ولد سعيد الجماني. ولما كان المغرب مصرّا على حل مشاكله مع إسبانيا بالتي هي أحسن، فإن الحسن الثاني اجتمع بالجنرال فرانكو في مطار براخس في مدريد يوم 6 يوليوز 1963 واتفقا على أن يبحثا عن حلول سلمية لقضية الصحراء. لكن في يوم 17 يوليوز التالي دخل ثلاثة نواب عن الصحراء البرلمان الإسباني (الكرطيس)، هذا في الوقت الذي وجد المغرب نفسه محاصرا ومعرضا للعدوان من كل جهة، من جهة إسبانيا من الشمال ومن الجنوب الغربي، ومن جهة موريتانيا ومن ورائها فرنسا من الجنوب الصحراوي، ومن جهة الجزائر التي ما أن أحرزت استقلالها (يونيو 1962) حتى تنكرت لما كان قد تعهد به قادتها من عدم فرض الحدود التي رسمها الاستعمار الفرنسي على المغرب المستقل، فاشتعلت نيران ما سمي بحرب الرمال بين الدولتين في خريف 1963 التي انتصر فيها المغرب، بيد أنه لم يستفد من الفوز بسبب وقوف المعارضة المغربية ضد كل مبادرات الملك طيلة ذلك العقد الستيني فاستفاد الخصوم من ذلك وأرغم المغرب على النضال الدبلوماسي بورقة الاستقلال الذاتي. فأحرز فوزا بينا في أكتوبر 1964، عندما صوتت اللجنة الخاصة بتصفية الاستعمار التابعة للأمم المتحدة على قرار ينفي تبعية الأقاليم الصحراوية لإسبانيا ويعترف بحق سكانها في تقرير مصيرهم. ولذلك بادر الحسن الثاني في غضون سنة 1965 إلى إحداث وزارة مكلفة بالشؤون الموريتانية والصحراوية كلف بها أحد وجوه الأسرة العلوية المولى حسن بن إدريس، بينما اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة أول قرار لها يدعو إسبانيا إلى جعل حد لاستعمار سيدي إفني والأقاليم الصحراوية (16 دجنبر 1965). لكن إسبانيا كانت قد سهرت على إجراء انتخاب "الكابلدو" الصحراوي الثاني الذي ترأسه صيلا ولد عبيدة معلنة أنها موافقة على العمل بمبدأ الاستقلال الذاتي في الصحراء الأطلسية شريطة اجتناب التسرع في مجتمع مطبوع بالترحال والذي لم تفتح فيه أول مدرسة ثانوية أبوابها إلا سنة 1964. وتميزت سنة 1966 بإحداث جبهة تحرير الصحراء من قبل الشباب الصحراوي الذي كان يتابع دروسه بالثانويات والجامعات المغربية، فيما جددت الدولة المساندة لمبدأ تقرير المصير في اللجنة المختصة بتصفية الاستعمار في الأمم المتحدة (يونيو 1966)، مما حمل الجمعية العامة لهذه الهيئة على اتخاذ قرار يدعو إلى استفتاء سكان الأقاليم الصحراوية حول الاستقلال الذاتي (دجنبر 1966). وردّت إسبانيا على ذلك بتحويل "الكابلدو" الإقليمي "جماعة" صحراوية مركبة من أغلبية معينة من قبل الإدارة الإسبانية ومن أقلية منتخبة وسط القبائل، ترأسها صيلا ولد عبيدة (شتنبر 1967)، بينما تبلورت حركة الشباب الصحراوي من أجل تصفية الاستعمار الإسباني في تنظيم يحمل اسم "حركة تحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب" بقيادة الشهيد محمد ولد سيدي إبراهيم البصيري، مما زاد في حدة الصراع بين جبهة النضال من أجل تحرير الصحراء في واجهتيها الشعبية والحكومية الديبلوماسية وبين تيار المناورات الإسبانية للتحايل على قرارات الأمم المتحدة واستغلال ما ظهر من خيرات الأقاليم الصحراوية.

وتؤرخ سنة 1969 لبداية المنعطف الأخير من تاريخ الاستعمار الإسباني، ذلك بأن الحكومة الإسبانية أقدمت فيها على استثمار مناجم الفوسفاط بوسائلها الخاصة بعد أن انسحبت جل الشركات الأجنبية من الأمر نظرا لتلبد سحب النزاع فوق المنطقة، فأقامت شركة إسبانية صرفة تحت اسم فوسبوكراع Fosbucraa انكبت على وضع التجهيزات الضرورية من بين أدوات الحفر والتصفية وشريط النقل وأرصفة الشحن في ميناء العيون، محاولة مرة أخرى إلهاء المغرب عن مطالبه بالتخلي عن سيدي إفني الذي عاد إلى الحظيرة الوطنية في يونيو 1969. ثم جاء وزير الصناعة الإسباني كريگوريو لوبث برابو Gregorio Lopez Bravo إلى الرباط، في ماي 1970 يعرض على الحسن الثاني أن يتخلى المغرب عن أقاليمه الصحراوية مقابل المشاركة في استغلال فوسفاط بوكراع، فلم يلق إلا الرفض الرسمي، بينما قام الشباب المناضل بأول مظاهرة شعبية من أجل تحرير الصحراء في حي الزملة بالعيون قادها محمد ولد سيدي إبراهيم البصيري الذي ألقي القبض عليه واستشهد بين أيدي جلاديه الإسبان (يونيو 1970). وفي خضم هذه الأحداث أدرك الحسن الثاني أن المعركة الدبلوماسية تقتضي من المغرب الاعتراف بالجمهورية الموريتانية (1969) راجيا من ذلك أن تتوحد صفوف المغرب والجزائر وموريتانيا لإلزام إسبانيا بجعل حد لاستعمار الأقاليم الصحراوية بناء على قرارات الأمم المتحدة. وانعقدت لذلك قمة ثلاثية بين الحسن الثاني والهواري بومدين والمختار ولد داده (شتنبر 1970). وفي سنة 1971 تشكلت نواة أولى تحمل اسم "حركة تحرير الصحراء" بين الشباب الصحراوي المقيم في المدن المغربية، بينما جرت "الانتخابات" الثانية للجماعة الصحراوية ترأسها خطري ولد سيدي سعيد الجماني. وفي سنة 1972 خرج شباب حركة تحرير الصحراء متظاهرا في طنطان ومطالبا بإعلان حرب التحرير ضدا الاستعمار الإسباني. فما كان من الجنرال محمد أفقير، وزير الداخلية يومئذ إلا أن أمر

بقمع تلك المظاهر بكل شراسة، مستفيدا من الظروف المضطربة التي كانت تمر منها الدولة المغربية بعد محاولة الانقلاب العسكري في يوليوز 1971 ومعدا في الخفاء للمؤامرة الثانية الرامية إلى إسقاط طائرة كان الملك الحسن الثاني يمتطيها (غشت 1972). فكانت أحداث طنطان سببا في تقعّر الهوة بين مجهودات الدولة الدبلوماسية ورغبة الشباب في القتال لتحرير الأقاليم الصحراوية، علما بأن العديد من أولائك الشباب كانوا من مناضلي أحزاب المعارضة المغربية اليسارية النافرة أيديولوجيا من كل ما يذهب الحسن الثاني إليه. وفي تلك السنة أسس السيد إدوارد موحا "حركة الرجال الزرق المعروفة باسمها الفرنسي مورهوب Morhob. كما أقدم الشهيد الولي مصطفى السيد على إنشاء" جبهة تحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب "التي ذاع اسمها بصغته الإسبانية Frente por la liberacion del Saguia y del Rio، أو پولساريو Polisario وقامت الجبهة بأول هجوم ناجح على الإسبان في الخنكة (ماي 1973). واجتمع الحسن الثاني والهواري بومدين والمختار ولد داده في أگــادير (يوليوز 1973) ودعوا إلى العمل بمقررات الأمم المتحدة بخصوص الصحراء الغربية. أما الجنرال فرانكو فإنه أعلن عن عزمه على الاستجابة لطلب الجماعة الصحراوية بأن تتحول من هيئة استشارية إلى هيئة لها بعض الصلاحيات. فلم تزد خيوط النزاع إلا اشتباكا والأوضاع إلا تأزما في الأقاليم الصحراوية سنة 1974، ذلك بأن المعارك بين المقاومين الصحراويين والجيوش الإسبانية لم تزد إلا استفحالا وضراوة (معركة قلب الأحمر في يناير 1974 ومعركة الوكيرة في مارس التالي. مما حمل الجنرال فرانكو على الإعلان عن "الإسطاتوطو پوليتكو" Estatuto politico (يوليوز 1974) أو التنظيم السياسي الرامي إلى منح الأقاليم الصحراوية الاستقلال الذاتي، علما بأن أولى شحنات الفوسفاط كانت قد صدرت في السنة السابقة. وقد احتج الملك الحسن الثاني على ذلك "التنظيم" المزعوم وقام بحملة ديبلوماسية شارك فيها الحكومة والمعارضة التي أدركت أخيرا بكل أطيافها أن قضية الصحراء ووحدة التراب الوطني ليست قضية إيديولوجية وإنما هي قضية وطنية مصيرية لا يمكن النصر فيها إلا بوحدة الصف. وأعلن الحسن الثاني أنه يرفع الأمر إلى المحكمة الدولية في لاهاي (شتنبر 1974) لتقول إن كانت الأقاليم الصحراوية أرضا لا يملكها أحد أم كانت تابعة للمملكة المغربية بناء على أعراف التبعية السياسية في البلاد الإسلامية، ومقترحا في آن واحد حلا توافقيا مع موريتانيا بأن تضم إليها إقليم وادي الذهب بينما تنضم الساقية الحمراء إلى التراب المغربي، مما جعل الجزائر تحتضن الپولساريو وتشرع في تقويته بالعدد والعدة، بينما أعلن الجنرال فرانكو عن إجراء استفتاء في الصحراء المحتلة في مطلع سنة 1975، معدا لذلك بإحداث الحزب الثوري التقدمي Partido revolucionario progresivo الذي سرعان ما عوّض بحزب الوحدة الوطنية الصحراوية Partido de la union nacional sahraui أو PUNS. وبينما قامت الجماعة الصحراوية بإصدار قانون المواطنة وبعض الترتيبات القضائية جاء قاضي العيون إبراهيم الليلي يقدم البيعة الشرعية للملك الحسن الثاني (دجنبر 1974). وفي تلك الأثناء صدر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة قرار يستفتي المحكمة الدولية في لاهاي عن الروابط السياسية للأقاليم الصحراوية قبل الاستعمار. وبذلك دخل ما كان يعرف بالصحراء الإسبانية في الشهور الأخيرة من تاريخها استطاع فيها الحسن الثاني أن يتغلب على كل المناورات وأن يسترجع تلك الأقاليم دون اللجوء إلى الحرب، مع كامل الاستعداد للنزال إن أقتضى الأمر ذلك، ذلك بأنه شرع يعدّ للمسيرة الخضراء ليتجلى أمام الملأ قوة الجماهير المغربية وعزيمتها الوطنية منتظرا ما يكون من جواب المحكمة الدولية. وصار الصحراويون، باستثناء أنصار الپولساريو يعلنون عن انضمامهم للصف الوطني ويناضلون من أجل وحدة المصير، سواء في ذلك حزب الوحدة الوطنية PUNS الذي انتخب السيد خلي هنا ولد الرشيد رئيسا له فلم يلبث أن خرج من الصحراء المحتلة بعد أن أدرك أن الإسبان إنما كانوا يريدون التناور بحزبه، أو حزب المرهوب Morhob الذي أعلن عن تمسكه بوحدة التراب المغربي، شأنه في ذلك شأن جبهة التحرير والوحدة التي أنشأت في مارس 1975 ثم انتخب السيد رشيد محمد الدويهي رئيسا لها. وجاءت بعثة أممية تزور الأقاليم الصحراوية في ماي، بعد أن عدلت إسبانيا، أمام موقف المغرب الصارم، عن إجراء الاستفتاء، وكان من الطبيعي أن يتلقى السكان تلك البعثة بتمام الحماس معبرين عن رغبتهم في الانعتاق من الاستعمار. وانعقدت جلسات المحكمة الدولية في لاهاي بين 25 يونيو و30 يوليوز ازدادت فيها الأوضاع توترا في الأقاليم الصحراوية. ثم تسارعت الأحداث بعد صدور قرار المحكمة الدولة يوم 16 اكتوبر المعترف بما كان بين الدولة المغربية قديما من الروابط الشرعية بينها وبين القبائل الصحراوية، في حين اعتل الجنرال فرانكو ابتداء من يوم 17 التالي وسرعان ما دخل طور الاحتضار، وآلت أمور السياسة الإسبانية إلى ولي العهد الأمير خوان كارلوس وتكاثرت المناورات والمساومات من كل جهة، تغلب فيها جانب الحكمة والإنصاف التاريخي بما بدا من حقوق المغرب شعبيا في المسيرة الخضراء التي انطلقت يوم 6 نونبر وبما كان من اعتراف حكام إسبانيا في النهاية بفائدة الاتفاق مع الدولة المغربية عوض المغامرة بالتفاوض مع حزب الپولساريو غير المستقل هو نفسه بتقرير مصيره. ولذلك أمر الحسن الثاني، يوم 9 نونبر، مشاة المسيرة الخضراء بالرجوع إلى ديارهم، بينما دعا الهواري بومدين الرئيس المختار ولد داده إلى اللقاء به في بشار ليهدده بالويل والثبور إن هو تمادى في العمل باتفاقه مع المغرب (10 نونبر). واجتمع مع ذلك المسؤولون المغاربة والموريتانيون والأسبان في مدريد بين 12 و14 من الشهر ووقعوا على ما صار يعرف باتفاقية مدريد يقضي بإقامة حكومة ثلاثية في الأقاليم الصحراوية مثل فيها المغرب المرحوم أحمد بن سودة

وموريتانيا عبد ولد الشيخ، ودخلت القوات الملكية المسلحة الساقية الحمراء بينما دخلت الجيوش الموريتانية وادي الذهب، مما لم يكن ليرضي المطامح الجزائرية التي وقفت إلى جانب فرق البوليساريو تكره الصحراويين على الهجرة إلى تندوف وتحاول إيقاف حلول القوات المغربية محل الإسبان فنالت جزاءها في معركة أمكالة 29 يناير 1976. وصوتت أغلبية الجماعة الصحراوية لصالح الاندماج في الوطن المغربي يوم 26 فبراير الذي أعلنت فيه إسبانيا عن نهاية إدارتها الاستعمارية في الأقاليم الصحراوية التي سرعان ما طردت منها فرق البوليساريو التي أعلنت عن قيام جمهورية صحراوية وهمية، وصارت تهاجم التراب الموريتاني بناء على وعيد الهواري بومدين للمختار ولد داده واعتبارا لكونه أسهل منازلة من الجيش المغربي. وكان من نتيجة ذلك أن اضطرت موريتانيا إلى التخلي عن وادي الذهب في صيف 1979 فتمكن المغرب من استكمال وحدة ترابه مع أقاليمه الصحراوية دون أن يجعل ذلك حربا على أي واحد من جيرانه الثلاث، وذلك من تمام عبقرية الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه.

علي الشامي، *الصحراء الغربية وعقدة التجزئة في المغرب العربي*، بيروت، 1980.

Gaudio, Attilio, *Sahara occidental, Fin d'un mythe colonial*, Rabat, 1975 ; Gaudio, Attilio, *Le Dossier du Sahara occidental*, Paris, 1975 ; Martinez Milán, Jésus, *España en el Sahara occidental y en la Zona sur del Protectorado en Marruecos, 1885 – 1945*, Madrid, UNED, 2003.

إبراهيم بوطالب

تـركـز (قبيلة ـ) قبيلة تركز أو توروكوز قبيلة صحراوية تنص مشجراتها على أن جدها عبد الرحمان الركاز سليل عقبة بن نافع. فهو "عبد الرحمان بن أبي بكر سيدي عبد الله بن سيدي سالم بن سيدي إبراهيم بن سيدي عثمان بن سيدي علي بن سيدي عبد الله بن سيدي جعفر بن سيدي سالم بن عقبة بن نافع". ونسب عقبة بن نافع يمتد إلى النسب القرشي فهو "عقبة بن نافع بن قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن طرف بن الحارث بن فهر (وقريش لقب الفهر)". كما ورد نسب عقبة والرجال الأربعة الذين رافقوا أبا بكر بن عمر في الجهاد بالصحراء في كل من وثيقة "الغلاوية" ووثيقة ولد حبث، بحيث ذكرت الوثيقتين أن نسب عقبة يمتد إلى فهر بن مالك عمود نسبة الرسول (ص)، وأن الرجال الأربعة ومن بينهم عبد الرحمان الركاز جد تركز هو من ذرية علي بن أبي طالب.

"ولما عزم أبو بكر على المسير راود قوما من نسل عقبة بن نافع المستجاب دعاؤه على الخروج معه تبركا بهم فأجابه إلى ذلك أربعة رجال محمد عبد الله جد مدلش وابن أخيه عبد الرحمان بن أبي جد تركز وسيدي محمد الكنتي جد كنت وعبد الله جد أغزاينت وعقبة وهو عقبة بن نافع بن قيس بن مالك بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك عمود نسبة الرسول (ص) وأما الذي كان من قريش غير الرجال الأربعة وصارت ذريته في بلاد التكرور فهو من ذرية علي بن أبي طالب ومحمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وذرية حسان بن عقيل بن معقل (...)". والوثيقتين السالفتي الذكر تجمعان على التسلسل وترابط نسب عقبة بن نافع، وتتفقان على رفع عبد الرحمان الركاز إلى النسب الطالبي. والناس مصدقون في أنسابهم كما هو عند الإمام مالك.

وتأكيدا لما سبق فإن قبيلة تركز إحدى قبائل حسان المعقلية التي ترفع نسبها إلى الدوحة النبوية الشريفة، لكونهم ينحدرون من صلب جعفر بن أبي طالب. غير أن ابن خلدون أنكر عليهم ذلك قائلا : "وأما أنسابهم عند الجمهور فخفية ومجهولة ونسابة العرب من هلال يعدونهم من بطون هلال وهو غير صحيح، وهم يزعمون أن نسبهم في أهل البيت إلى جعفر بن أبي طالب وليس ذلك أيضا بصحيح. لأن الطالبيين والهاشميين لم يكونوا أهل بادية ونجعة". غير أن قول بن خلدون هذا يفتقر إلى أكثر من دليل فإنه كما هو معلوم يركز على ربط الإنسان ببيئته في كثير من جوانب الحياة فيؤخذ عليه مبالغته في إعطاء البيئة الجغرافية أهمية كبرى في شؤون الاجتماع وجعلها حجر الزاوية في توجيه نشاط الشعوب ومدى تقدمهم وتأخرهم. حقا إن المحيط الجغرافي له أثر في توجيه سلوكنا وتبايننا الحضاري، ولكن ليس هو الكل، وإنما هو عامل من العوامل إلى جانب العقيدة والأحداث التاريخية والعوامل البيولوجية والانسياق والانسياب الحضاري. وحتى لا نذهب بعيدا في نفس السياق فمن منظور الأحداث التاريخية ومسألة العقيدة فقد حاول الفقيه محمد المختار الرد على ابن خلدون فيما يتعلق بانتساب قبائل حسان المعقلية للطالبيين معتمدا على كتاب الناصري "*طلعة المشتري في تحقيق النسب الجعفري*"، وعلى كتابه هذا اعتمد الفقيه محمد المختار بن الفقيه محمد يحي الولاتي، فقال ما لفظ المراد منه "كلام ابن خلدون كله ساقط من أمور"، نذكر بعضا منها التي رأينا فيها حجة أبلغ وأصدق، فالفقيه محمد المختار يرى أن نسب القبائل المعقلية يعود إلى الجعفريين الذين أنتقلوا إلى المغرب على إثر الحرب التي نشبت بين أميرهم جعفر بن إبراهيم الأعرابي بن محمد الجواد بن علي الزينبي بن عبد الله بن جعفر وبين العلويين أبناء الحسن والحسين، لينتقل الجعفريون بعد الحرب من مكة والمدينة إلى صعيد مصر ليدخلوا مع الهلاليين المغرب، كما أن التفاف قبائل المغرب حول القبائل المعقلية أثناء دخولها دليل على أنهم من آل البيت ولو كانوا شرذمة قليلة لتم طردهم أو القضاء عليهم وهو ما يدحض قول ابن خلدون في أنهم دخلوا المغرب في أعداد قليلة.

وإن ما يمكن استخلاصه من هذا الجانب هو أن مبدأ الشرف يظل قائما ـ وبامتياز ـ بين قبائل المغرب والتي ترى فيه قبيلة تركز عنصرا هاما يضفي على أفرادها هالة من التقديس والاحترام. ولعل انتماء قبيلة تركز إلى قبائل الزوايا ذات النسب القرشي والمكانة العلمية التي

تحظى بها بين القبائل الصحراوية كاف على شرفها، فلا عجب أن نجد عنصر الشرف حاضرا عند قبيلة تركز مادامت هناك مجموعة من الأدلة التاريخية التي تحكي صلاح وولاء أجداد هذه القبيلة، وعن ترابط وصلابة مشجرتها التي تبدأ بجدها عبد الرحمان الركاز مرورا بعقبة وانتهاء بالنسب القرشي.

وعن ذرية عبد الرحمان الركاز فقد جاء في الحكم والتصديق أن عبد الرحمان الركاز تزوج بامرأة أمازيغية من قبيلة تسمى "ساور" كانت على غير دين الإسلام، فأسلمت بعد أن تزوجها. وأنجب منها ولدا يقال له علي أمغار، ثم تزوج بامرأة ثانية عربية الأصل تسمى "منى" وهي ابنة عمه محمد بن عبد الله مفتي جيش أبا بكر بن عمر، وأنجب منها ولدين هما أحمد ومحمد، وسمي هذان الولدان وكل من إنحدر منهما "أولاد ادغمني" أي أبناء منى. أما من انحدر من صلب علي أمغار فقد سمي بأولاد عمارة الموجودين بموريتانيا، وترك عمارة أعجي الذي ينحدر منه أولاد عجي الموجودين بالمغرب.

وأما من خرج من صلب أحمد وتفرعت ذريته بالمغرب فهو انضار وملك ومومن، في حين تفرع عنه بموريتانيا برك وسيد أحمد وعبد الرزاق الكبير (بلحمر) أما محمد فترك كلا من الغارب الذي تفرعت ذريته بموريتانيا، ويحي الذي انتشرت ذريته بالصحراء.

التركزي، محمد محمود بن **التلاميد** : هو محمد محمود بن التلاميد (بالدال المهملة) التركزي، وهو ابن سيدي سيد أحمد الذي يرجع نسبه إلى أحد الفاتحين المعروفين هو عبد الرحمان الركاز جد قبيلة تركز، تتلمذ في بداية حياته على والده ودرس على يديه القرآن الكريم وبعض أصول اللغة العربية، ثم تتلمذ على يد عبد الوهاب ابن اكتوشن (أجدود) وابن بلعمش الجكني بتيندوف والعديد من العلماء في زمنه.

ومن المؤكد أنه قد تأثر كثيرا بالعديد من العلماء الذين صادفهم أثناء رحلته إلى الحج. فقد كانت رحلاته العلمية هذه سببا في تكوينه وتبحره في العلم، فصار يناقش العديد من القضايا، ويطرح الإشكاليات طرحا عنيفا. حتى أصبح أحد أبرز الأعلام التي جادت بها قريحة بلاد شنقيط والصحراء.

وتعود بدايات رحلاته إلى العقد السابع من القرن التاسع عشر الميلادي بعدما بلغ الخمسين من العمر، فمر وهو في طريقه إلى الحج بكل من الجزائر وتونس وليبيا ومصر إلى أن وصل الحجاز، واتصل خلال رحلته هذه بأقرانه من العلماء والأشراف مثل عبد الجليل برادة أديب الحجاز وعالمه وشريف مكة عبد الله بن محمد بن عون.

وقد نظم ابن التلاميد أبياتا شعرية معللا فيها سبب رحلته نحو المشرق، يقول فيها :

ولما علمت ما علمــت بغربنـا ترحلت نحو الشرق بالحزم والعزم
رحلت لجمع العلم والكتب ذاهبا إلى الله ابغي بسطة العلم في جسمي
وصرت بما أدركت من دين هاديـا بشمس على شمس ونجم على نجـم
فبالعلم أوصاني أبي وحضنـــي عليه صغيرا كي أسود بني عمـــي
وغيرهم من سائر الناس كلهـم مع العالم النحرير لا الجاهل الأمي

وأثناء وجوده بتلك الديار توثقت علاقاته بمجموعة من الشخصيات والأعلام البارزين في ميادين شتى كالسياسة والأدب والعلوم الدينية، وهو ما أسهم بشكل كبير في إغناء ثقافته وجعل منه شخصية موسوعية قل نظيرها في وسط قبيلة تركز خاصة وفي المجتمع الصحراوي عامة.

فقد بلغ شأن ابن التلاميد درجة جعلت السلطان عبد الحميد الثاني يستقدمه إلى الباب العالي بالاستانة، ويكلفه سنة 1886 بمهمة تمثلت في رحلة إلى إسبانيا وباريس ولندن للعمل على تصنيف فهرس المخطوطات العربية بتلك الدول لإيداعه بمكتبة الاستانة.

كما تلقى محمد محمود أثناء إقامته بالاستانة دعوة من الملك السويدي أوسكار الثاني لحضور أشغال المجمع العلمي السويدي باستكهولم سنة 1888. بيد أن الشيخ ابن التلاميد ما لبث أن أنهى علاقته بالباب العالي بسبب تقاعس هذا الأخير عن الوفاء ببعض التزاماته فقد كان يشترط في كل مرة على السلطان عبد الحميد، الذي لا يفي بشروطه، مما دفع بابن التلاميد إلى العودة إلى الحجاز التي توجه منها إلى مصر حيث شعر فيها بالاستقرار والأمان. فقد وجد فيها المعاهد والمكتبات الغنية وأقرانه من العلماء، وأثناء إقامته بها اتصل بمفتي الديار المصرية محمد عبده وبتوفيق البكري ورشيد رضى ومحمود سامي البارودي، فتوثقت عرى الصداقة بينه وبين هؤلاء إلى درجة أن محمد عبده أسند له مهمة التدريس بالأزهر الشريف، وكلفه ببرنامج إحياء التراث العربي الإسلامي.

واستمرت إقامته بالقاهرة إلى أن توفاه الأجل المحتوم سنة 1904، بعدما ترك أثارا كثيرة ومتنوعة ستظل خالدة، يقدرها البعض بمئات الكتب أغلبها ما يزال مخطوطا، ولعل من أهمها :

- الرحلة السنية الكاملة المزية في الرحلة العلمية الشنقيطية التركزية، وهو المؤلف الذي اعتمدناه في ترجمة حياته.
- شرح المفصل في النحو.
- فهرس بأشهر الكتب العربية بخزائن إسبانيا.
- هوامش لسان العرب لإبن منظور.
- هوامش الخصائص لإبن الجني.

فقد كان نابغة في اللغة والأدب والحديث والسيرة، فقد وصفه تلميذه محمد حسن الزيات بكونه "آية من آيات الله في حفظ الحديث والأخبار والأنساب لا يند عن ذهنه من كل أولئك نص ولا سند".

وله مجموعة من القصائد الشعرية منها ما يصف فيها الأمكنة خاصة أثناء وجوده بالأندلس وأوروبا، ومنها ما سجل فيه مساجلاته العلمية، أبرزها تلك التي يطرح فيها نقاشه الحاد الذي دار بينه وبين علماء الأزهر في محفل عظيم بمجلس المرحوم السيد عبد الباقي

البكري، حيث أنكر عليه علماء الأزهر لبسه الخفين الأسودين، وما كان من العلامة إلا أن رد عليهم قائلا : "إنكم فعلتم البدعة ولبستم لباس النساء" لكون نساء المغرب يلبسن الخفاف الحمر، ونساء المشرق يلبسن الخفاف الصفر، وبجهل علماء الأزهر للسنة أنكرو لبس الرسول (ص) لبس الخفين الأسودين، بل وقف شيخ المالكية حينئذ وهو الشيخ سليم البشري ندا أمام العلامة بن التلاميد مدعيا أن الرسول (ص) لم يلبس الخفين الأسودين، حتى اشتهر ذلك العام بعام الخفين الأسودين. وهذه بعض الأبيات من قصيدة طويلة تتضمن سجاله العلمي الحاد حول مسألة الخفين :

وقال أيضا :

إذا أنت لم تفعل كفعـــل رسولنـــا   فعلت من النكراء أفعال جاهـــل

إذا أنت لم تخش الإله وتزدجـــــر   فعلت من السوءات فعل الفواعـل

إذا أنت لم تستحي قارفــت شيّـــا   يصير بأعلى الناس أسفل سافـــل

لقد أتحف الملك النجاشــي أحمـد   رسول إله الخلق مولى الفواضـل

بخفين كانا اسوديــــــن تشرفـــا   بلبس ومسح منه للرفـــــق آنـــل

وزيادة على إجاطة ابن التلاميد بأمور الفقه والحديث، فقد كان متبحراً في علوم اللغة العربية، حتى قال في حقه عميد الأدب العربي طه حسين في كتابه "*الأيام*" "كان أولئك الطلبة الكبار يتحدثون بأنهم لم يروا ضريبا للشيخ الشنقيطي في حفظ اللغة ورواية الحديث سندا ومتنا عن ظهر قلب...".

محمد بن محمود التلاميذي، *الرحلة السنية الكاملة المزية في الرحلة العلمية الشنقيطية التركزية*، مطبعة الموسوعات، القاهرة، مصر، 1969 ؛ أحمد بن الأمين الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*، الطبعة الرابعة، القاهرة، 1989 ؛ عبد الوهاب بن منصور، *قبائل المغرب*، الجزء الأول، المطبعة الملكية، الرباط، 1968.

F. de La Chappelle, *Les Tekna au Sud marocain, étude géographique historique et sociologique*, 1934 ; Vincent Monteil, *Notes sur les Tekna*, Paris, 1948.

مجيد أنوزلا

تركـمايت أو تارگـمايت ، قرية على أحد روافد وادي صياد الأعلى بمنطقة وادي نون. ويطلق إسم تركمايت على أحد روافد الوادي غير بعيد عن تاغاجيجت. ويحمل المدشر المحلي هذا الإسم منذ زمن يصعب اليوم تحديده. وذلك أن إدا أوعفان المقيمين به ما يزالون يحافظون على وثائق تثبت مجيئهم من تيغمرت حيث كانوا يمثلون جزءا من سكان من سكان نول لمطة القدماء. وإذا كانت الأحداث قد فرضت الدخول في صفوف آيت النص الذين تتصدرهم قبيلة آيت إبراهيم التكنية (أنظر مادة آيت إبراهيم *بالمعلمة*)، فإن تشبثهم بتاريخهم البعيد مازال محل نقاش وما يزال آيت عفان يجهرون بتملكهم لتيغمرت حيث ما تزال أنقاض تشيشت وحجم المآثر تشهد على عظمة عاصمة وادي نون (أنظر مادتي تيغمرت وأسرير *بالمعلمة*).

Cl. La Ruelle, *Les Id Brahim* : V. Monteil, *Les Tekna* : F.C. De la Chapelle, *Les Tekna*.

مصطفى ناعمي

تِرْمْـگـيست أو تارمكيست، قرية من قرى سهل وادي نون توجد بالجانب الشرقي من جبل تيرت، قريبا من الطريق الرئيسية الرابطة بين مدينتي گـلميم وأسّا، عبر قريتي فاصك وترگمايت، وذلك قبالة قرية تيغمرت من جهة شمالها الغربي تقريبا، بحيث لا تبعد عنها إلا بمسافة قليلة لاتتعدى بضعة كيلومترات.

سكانها مزيج من عشائر متنوعة، من قبائل تكنة، على غرار سكان فاصك تقريبا، يتكلمون لهجة مزيجة بين الأمازيغية والعربية، ويحترفون الفلاحة السقوية والبورية الموسمية، خاصة فلاحة الخضر كالجزر واللفت، وفلاحة الحبوب كالشعير والذرة والقمح، وأشجار النخيل والزيتون والتين والرمان والعنب والصبار، وغيرها، كما يهتمون يكسب بعض المواشي ورعيها، كالغنم والماعز والبقر وغيرها. ويبدو أن ترمگسيت كانت موطنا لاستقرار بعض العشائر من قبيلة آيت ياسين التي نزحت عنها في فترة ما ولسبب من الأسباب على قرية أفركط حيث تتمركز مختلف عشائر هذه القبيلة حاليا، في منطقة تعرف بالساحل، وهي على شريط بالجانب الأيمن من الطريق الرئيسية الرابطة بين گلميم وطنطان، على بعد حوالي ستين كيلومترا من ترمگسيت، يدل على ذلك وجود بعض العقارات التي مازالت إلى الآن في ملكية بعض الأفراد من عشيرة "أهل داوود" من قبيلة "آيت ياسين".

نذكر من ذلك مثلا ما سجله الفقيه العدل الأديب علي الياسيني (1284-1362هـ/1867-1942م) في بعض تقييداته بتاريخ 19 صفر عام 1349هـ / 1930م حيث أشار فيها إلى أنه قد أرتهن نصيبين من ننحيل أحماد بن داوود بترمگسيتْ من بعض الأفراد من فخذة آيت داوود من قبيلة آيت ياسين، وذلك مقابل مال كان قد استحقه في شرطه بمسجد أفركط المذكور عن سنتي 1344-1345هـ/1925-1926م).

يتضح من نصوص عقود الملكيات إذن من خلال هذين النصين أن بعض الأسر من فخذة آيت داوود من قبيلة آيت ياسين تملك بالفعل العقار الذي يحمل إسمها والكائن بقرية ترمگيست بعض الضيعات من طرف بعض الأشخاص الآخرين من قبيلة آيت ياسين ذاتها، وذلك اعتمادا على عقارات غيرهم من بعض أبناء عمومتهم على سبيل الإعارة أو الإجارة أو الشراء أو غير ذلك من أوجه المعاملات العقارية المستعملة، نذكر منها على سبيل التمثيل ضيعة الحاج أبريگـي الياسيني، وضيعة الحاج عبد القادر المغيني الياسيني.

هذه فقط بعض المعطيات التي تأكدنا منها عيانيا، ومن خلال بعض الوثائق المتوفرة بين أيدينا دون أن

نقوم ببحث دقيق وشامل، وإلا فإن مثل هذه المسألة تحتاج إلى مزيد من البحث.

سيدي علي (خنفر)، *تقييدات شرط مسجد أفركط خلال* سنتي 1344 - 1345هـ / 1925 - 1926م، مخطوط خاص لدى الأسرة ؛ *مراجعة تقييد الشرط نفسه*، بتاريخ 19 صفر 1349هـ/1930م، مخطوط خاص لدى الأسرة.

محمد عالي خنفار

التسرب الإسباني إلى سواحل الصحراء المغربية، من الصعب إعطاء تحديد زمني للفترة التي بدأ فيها الاهتمام الإسباني بسواحل الصحراء المغربية. والسبب في ذلك يعود إلى غياب مادة مصدرية تؤرخ بدقة لتلك المرحلة بالإضافة إلى فشل العديد من المستكشفين الأجانب والمغامرين الذين زاروا سواحل المغرب الجنوبية خلال القرن التاسع عشر في تحديد المناطق التي احتضنت بعض الحصون والقلاع التي أقامها الإسبانيون في إطار بحثهم عن مناطق صالحة لبناء وكالات تجارية تمكنهم من عقد صفقات تجارية مباشرة مع القبائل الصحراوية. لكن رغم هذا النقص في المصادر. فقد تم تدوين بعض المعلومـات حول أول غزو قام به الإسبانيـون في سواحل المغرب الجنوبية وذلك سنة 1405، إذ قام مغامر نورماندي يدعى جان دي بيطنكور (Jean de Bétencourt) كان يقيم في جزيرة لانثاروطي إحـدى جزر الكناريـاس بحملـة عسكرية في سواحل بلاد تكنـة وتمكن من اعتراض طريق قافلة تجارية كانت محملـة بالذهب والعبيد في طريق عودتها من السـودان الغربي.

ومنذ ذلك التاريخ أخذت إسبانيا في إطار الكشوفات الجغرافية الكبرى وتنافسها مع دولة البرتغال تتطلع إلى احتلال السواحل الغربية الجنوبية لبناء قواعد عسكرية. تساعدها على تحقيق هدفها للوصول إلى اكتشاف مناطق جديدة، وتسجيل السبق ضد منافسها التقليدي - البرتغال - وبمجرد ما احتلت إسبانيا جزر الكناريـاس سنة 1476، أخذ ملوكها يتطلعون إلى فرض سيطرتهم على السواحل المغربيّـة المقابلة لها بهدف ضمان حرية الملاحة لسفنهم التجارية. فشجعوا حكامهم بهذه الجزر على القيام بحملات عسكرية ضد سكان المناطق الواقعة بين ماسة والساقية الحمراء. لكن هذه الحملات كانت تقتضي بناء حصون وقلاع عسكرية لتأمين الغزوات التي كان يقوم بها الجنود في المناطق الداخلية. وفي هذا السياق رخص الملك الإسباني هنري الرابع سنة 1476 لحاكمه على جزر الكناريـاس دييگوگـارثيا دي هيريرا (Diego Garcia de Herrera) بشن هجومات عسكرية ضد المناطق الواقعة بين رأس بوجدور ورأس أغوير. وبالفعل تمكن هيريرا من النزول ليلا بسواحل المغرب الجنوبية. وشرع في بناء كوخ خشبي ظل مكانه مجهولا وإن حاولت بعض المصادر الأجنبية جعله في المناطق الواقعة بين سواحل وادي نون وسواحل رأس بوجدور وأطلق عليه اسم سانطا كروث دي ماريـيكينيا. وقبل عودته إلى مقر حكمه نصب هيريرا حامية عسكرية على الكوخ وجعلها تحت قيادة ألـونثو كبريرا (Alonso Cabrera). وفي سنة 1478 تعرض هذا المركز الإسباني إلى هجوم قوي قامت به قبائل المنطقة وحاصرت الحامية العسكرية وأرغمت أفرادها على طلب النجدة من حاكم جزر الكناريـاس، فجهز هيريرا حملة ثانية اشتملت على خمس سفن حربية وكان على متنها حوالي ستمائة جندي استطاعوا فك الحصار المضروب على المركز، بل وتعقبوا أفراد القبائل في المناطق الداخلية. وقد ساعد هيريرا في حملته هذه الضعف الذي ظهر جليا على سلطة بني وطاس وعدم قدرتهم على حماية حدود المغرب الجنوبية. هذا الضعف جعل إسبانيا تتباهى بالانتصارات التي حققها هيريرا في الجنوب الغربي، فأسرعت إلى الإعلان عن قرار أصدره الملك سنة 1490، نص فيه على إلحاق هذا المركز بالتاج الإسباني. ولحماية مصالحها في هذه المناطق، وقعت إسبانيا وبمباركة من الكنيسة الكاثوليكية سنة 1494 على معاهدة مع البرتغال في طورديسياس. لكنها احتجت على الاتفاق الذي وقعه الملك البرتغالي مانويل الأول مع سكان ماسة سنة 1497 واعتبرته تدخلا مباشرا في شؤون مناطق نفوذها. لذلك أمرت حاكمها بجزر الكناريـاس لوپـي سانشيز دي فالنثويلة بتجهيز حملة عسكرية لاحتلال المناطق المحيطة بحصن سانطا كروث دي ماريـيكينيا. وتمكن كذلك حاكم جزيرة تنريف ألونثو فيرنانديث دي لوگـو من بناء ثلاثة حصون جديدة جعل الأول بالقرب من رأس بوجدور والثاني في منطقة وادي نون والثالث بالقرب من مدينة تـگـاوست. لكن قبائل هذه المناطق لم تبق مكتوفة الأيدي. بل هاجمت هذه الحصون وتصدت كذلك لمحاولات الجيوش الإسبانية التي حاولت التوغل في منطقة ماسة ووادي الذهب. ولم تكتف بذلك بل ذهبت إلى حد القيام بهجوم قوي ضد مركز سانطا كروث دي ماريـيكينيا سنة 1517، ولولا المساعدات العسكرية التي تلقاها الحاكم لوپـي دي سوزا من جزر الكناريـاس لسقط الحصن في أيدي القبائل. وفي سنة 1524 تلقت أحلام إسبانيا التوسعية ضربة قاضية في سواحل المغرب الجنوبية، إذ شنت القبائل هجوما عنيفا ضد مركز سانطا كروث دي ماريـيكينيا وأضرمت النار في منشآته وخربت ما تبقى منها. وذهبت إلى حدّ اجتثاثه نهائيا من فوق الأرض الشيء الذي تعذر معه العثور على بقاياه أثناء إرسال بعثات علمية مشتركة بين إسبانيا والمغرب للبحث عنه إذ ظلت إسبانيا تطالب به المخزن المغربي لعـدّة قرون. وحاول الملك الإسباني شارل الخامس إعادة بناء الحصن، لكنه فشل في مسعاه بسبب قوة المجاهدين السعديّين، واكتفى بالترخيص لسكان جزر الكناريـاس سنة 1533 بحمل السلاح للدفاع عن أنفسهم من هجومات القبائل الصحراوية التي انصبت على جزر الكناريـاس بين سنتي (1569 و1618)، واضطر كذلك الملك الإسباني فليـپـي الثاني إلى الإعلان عن قراره القاضي بمنع سكان جزر الكناريـاس من الاقتراب من سواحل الصحراء المغربية سنة 1572.

وظلت إسبانيا تتحين الفرص لإعادة بناء هذا الحصن. وجددت طلبها للسلطان سيدي محمد بن عبد الله سنة 1767، عندما استقبل سفيرها خورخي خوان. واشتدت هذه الرغبة بعدما علمت إسبانيا بنوايا المغامر الاسكتلندي جورج گـلاص الذي حاول بناء وكالة تجارية في سواحل المغرب الجنوبية سنة 1764. لكن السلطان المغربي رفض طلب السفير الإسباني وأبلغه تحذيره لصيادي جزر الكناريـاس من الاقتراب من سواحل بلاده الجنوبية دون الحصول على ترخيص أو إذن منه لمزاولة نشاط الصيد البحري في هذه المناطق.

واستقبل السلطان مولاي سليمان سفيرا إسبانيا آخر هو مانويل گـونثاليس سالمون بمدينة مكناس سنة 1799، وعقد معه معاهدة الصلح لكنه رفض فكرة التنازل لإسبانيا عن قطعة أرض بالصحراء لبناء مركز للصيد البحري. لكن إسبانيا لم يكن يعنيها صيد الأسماك في سواحل الصحراء المغربيـة في شيء، بل ظلت تتحين الفرص لإقناع المخزن المغربي بتنفيذ رغبتها، وسوف يتأتى لها ذلك بعد انهزام الجيوش المغربيـة في حرب تطوان سنة 1859 - 1860. إذ استغلت نتائجها وأملت على السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن شروطا قاسية نذكر منها الالتزام بموجب المادة الثامنة من معاهدة الصلح الموقعة سنة 1860 بالتنازل لإسبانيا عن قطعة أرض بالصحراء كافية لبناء مركز للصيد البحري في المكان الذي شيّد فيه هيريرا حصن سانطا كروث دي ماريكينيا سنة 1478. لكـن هذا الالتزام ظل حبـرا على الـورق وذلك بسبب اختـلاف وجهات نظـر البلـدين حول مكان الأرض التي ستحتضن هذا المركز، لكنهما اتفقـا على تشكيل لجنة مختلطة من مهندسي البلدين وإرسالها إلى سواحل المغرب الجنوبيّـة للبحث عن بقايـا الحصن "اللغـز" وتحديد المكان المناسب لبناء مركز للصيد البحري.

وبسبب محاولات المغامر البريطاني دونالد ماكينزي للاستقرار في ساحل طرفاية منذ سنة 1876، جدّد الملك الإسباني الفونصو الثاني عشر رغبته في بناء هذا المركز للسلطان مولاي الحسن الأول سنة 1876، وتبادلا السفارات بخصوص هذا الغرض، سفارة إدواردو رومية للمغرب سنة 1877، وسفارة عبد السلام السويسي لإسبانيا في نفس السنة. وتم الاتفاق مجددا على تشكيل لجنة مختلطة من مهندسي البلدين وإرسالها إلى سواحل المغرب الجنوبيّة. وترأس البعثة الإسبانية فيرنانديث دورو وقنصلها بالسويرة بريث ومترجم يدعى أورفيلا. وفي يوم 22 دجنبر 1877 غادرت السفينة الإسبانية بلاسكو دي گـراي (Blasco de Garay) ميناء مدينة قادس وعلى متنها أعضاء البعثة الإسبانية، وتوقفت في مرسى السويرة ونقلت أعضاء البعثة المغربيـة المكونة من عمر بن عمر والقائد محمد الكوري وعبد الله بن بوبكر، ثم أبحر الجميع نحو السواحل الجنوبيّة، وتوقفوا في كل من مرسى أگـادير، وساحل إفني، وساحل وادي نون، لكنهم لم يعثروا على بقايا الحصن القديم فاختلط الأمر على الإسبانيين وأصيبوا بالحرج لذلك أعلن قائد بعثتهم أن ساحل إفني هو المكان المناسب لبناء مركز للصيد البحري على اعتبار أنه يحتضن بقايا الحصن القديم. لكنهم لم يقدموا دليلا ملموسا لأعضاء البعثة المغربيّة الذين رفضوا التوقيع على التقرير بل طلبوا من الإسبانيين مواصلة الإبحار نحو السواحل الجنوبيّـة لعلهم يعثرون على مبتغاهم. لكن الحكومة الإسبانية تمسكت باختيار أعضاء بعثتها لساحل إفني وسارعت إلى إرسال سفارة إلى المغرب بقيادة رينالدي لإرغام السلطان مولاي الحسن الأول على التنازل لها عن هذا الساحل وتطبيق مضمون المادة الثامنة من معاهدة 1860.

وعقد البرلمان الإسباني دورة بتاريخ 12 نونبر 1879، لمناقشة أسباب اختيار الحكومة لساحل إفني لبناء المركز، وتناول الكلمة النائب كربخال (Carvajal) وعارض بقوة فكرة بناء المركز في ساحل إفني وعلّل موقفه بعدم قدرته على منافسة مركز البريطانيين المقام في ساحل طرفاية. أمّا صيادي جزر الكناريـاس فقد عبروا عن رغبتهم في بناء هذا المركز بسبب تضـرر مصالحهم التجارية جـرّاء احتكار دونالد ماكينزي للعمليات التجاريـة مع قبائل الصحراء.

ولإنهاء هذا الخلاف الحاصل بين أعضاء البعثتين الإسبانية والمغربية حول مكان الحصن القديم، عرض السلطان مولاي الحسن الأول مبلغ خمسة عشر مليون فرنك على الحكومة الإسبانية مقابل حذف المادة الثامنة من معاهدة 1860. لكن إسبانيا تمسكت بموقفها وطلبت منه التعجيل بالتنازل لها عن ساحل إفني، فتدخل السلطان من جديد وأمر نائبه بطنجة محمد برگـاش بإجراء مفاوضات مع وزير إسبانيا بطنجة ديوسضادو (Diosdado) حول عدم مطابقة ساحل إفني مع أوصاف الحصن القديم وأن يعرب له بأن المخزن المغربي مستعد للتنازل عن منطقة كبدانة الواقعة في شمال البلاد مقابل حذف المادة الثامنة من معاهدة 1860. رفضت إسبانيا من جديد هذا العرض وأعربت للسفير المغربي بريشة أثناء زيارته لمدريد سنة 1882، عن تمسكها بإفني، فتجددت المفاوضات بين ديوسضادو ومحمد برگـاش في 30 نونبر 1882 وأعرب المفاوض المغربي عن استعداد المخزن لتنفيذ ذلك الالتزام، فاعتبره الوزير الإسباني بمثابة تنازل عن ساحل إفني، فجهزت إسبانيا السفينة ليخيرا (Ligera) وشحنتها بمواد غذائية متنوعة لتسهيل عملية نزول جيوشها بساحل إفني، فاحتج السلطان المغربي وأمر قواده بالجنوب بالتصدي لها ومنعها من الرسو معللا موقفه بأنه لم يتنازل لإسبانيا عن ذلك الساحل. وللخروج من هذه الأزمة اتفق الطرفان على ضرورة إرسال بعثة مختلطة أخرى لسواحل المغرب الجنوبيّـة وتكثيف عمليات البحث والتنقيب بصورة مدققة لعلهم يجدون هدفهم المنشود. وهكذا حلت بمدريد سفارة مغربيّـة بقيادة بوشتى بن البغدادي وأحمد بن العربي البلغيثي سنة 1883، تدارست مع الحكومة الإسبانية مسألة إرسال هذه البعثة إلى سواحل المغرب الجنوبيّة. وبعد حصول الموافقة بين الجميع، تشكلت البعثة الإسبانية بقيادة قنصلها بالصويرة بريث (Perez). وفي أواخر شهر

يوليوز من سنة 1883، وصلت السفينة الإسبانية ليخيرا إلى مرسى السويرة ونقلت أعضاء البعثة المغربية ثم أبحرت نحو السواحل الجنوبيّة وعاين الجميع سواحل أگـادير وآساكا وطرفاية، لكنهم لم يعثروا على دليل يساعدهم على تحديد مكان الحصن القديم. فاقترح أعضاء البعثة الإسبانية العودة من جديد لساحل إفني للقيام بمزيد من التحريات الميدانية لعلهم يعثروا على مبتغاهم فوافق أعضاء البعثة المغربية على ذلك رغم اقتناعهم بعدم وجود بقايا للحصن القديم في ساحل إفني. لكن الإسبانيين أمام اندهاش المغاربة حرروا تقريرا جديدا أعلنوا فيه عن موافقتهم على بناء مركز للصيد البحري في ساحل إفني بسبب مطابقته لأوصاف الحصن القديم ثم قدموه للمغاربة للتوقيع عليه. فامتنع المغاربة بدعوى أنه غير مرخص لهم بذلك، وأن مهمتهم تنحصر في مرافقة أعضاء البعثة الإسبانية للبحث عن بقايا الحصن القديم.

وبسبب تمسك كل طرف بموقفه، تدخل السلطان مولاي الحسن من جديد لانهاء هذا الخلاف. وعبّر للملك الإسباني ضون الفونسو أنه من باب المحبة التي يكنها لجنابه فإنه لا يمانع في بناء مركز للصيد البحري في ساحل إفني. واعتقد النائب السلطاني محمد برگـاش الذي نقل هذا الخبر لوزير إسبانيا بطنجة أن الحكومة الإسبانية ستقدر هذا الموقف النبيل الصادر عن السلطان. لكن وزيرها ديوسضادو استعجل الأمور وطلب من محمد برگـاش التعجيل بتنفيذ ذلك والسماح لهم بحيازة ساحل إفني، فاحتج مولاي الحسن الأول على هذا الطلب وأمر قواده بالجنوب بمنع الإسبانيين من ذلك.

وهكذا بقي هذا الطلب الإسباني معلقا إلى حدود سنة 1934، ولم تتمكن الحكومات الإسبانية التي توالت على حكم البلاد من احتلال إفني إلا بعد نفاذ أسلحة وذخيرة المحاربين الصحراويين سنة 1934. لكن الأطماع الإسبانية بالصحراء لم تتوقف عند ساحل إفني، بل تعدته وأعلنت سنة 1884 عن احتلالها لساحل وادي الذهب. لكن الحقيقة تعكس غير ذلك، ونستشف ذلك من تردد إسبانيا في الإعلان عن فرض حمآيت ها على هذه المناطق والسبب في ذلك يعود إلى خوفها من تعرّض رعاياها المقيمين في مركز بياثيسنيروس لهجومات القبائل بالإضافة إلى عدم قدرة جنودها التوغل في المناطق الداخلية. ولم تنتظر القبائل الصحراوية طويلا، إذ قامت بهجوم في 9 مارس 1885 على هذا الحصن أسفر عن طرد الحامية الإسبانية المكلفة بحراسته بعدما اضرمت النار في منشآته واستولت على كميات هامة من المواد التجارية التي كانت على متن بعض السفن الراسية في خليج وادي الذهب. وتوالت الهجومات إلى حدود سنة 1900، وتحيرت إسبانيا في أمرها. فتارة تلجأ إلى السلطان المغربي وتطالبه بتعويض مالي عن الخسائر التي لحقت مركزها بيّـا ثيسنيروس ومعاقبة مرتكبي هذه الهجومات، وتارة أخرى تحث حكامها على هذا الحصن على سن سياسة مسالمة مع شيوخ القبائل ومحاولة إغراءهم بالمال وبالمواد الغذائية لكي لا يقوم أتباعهم بأي هجوم ضد رعاياها. وحملت سنة 1900 متاعب جديدة للمخططات الاستعمارية الإسبانية بالصحراء. وتمثلت في ظهور نوايا فرنسا التوسعية في بلاد آدرار وخاصة تلك المحاولات التي كان يقوم بها المبعوث الفرنسي گـزافيي كوپولاني (Xavier Coppolani)، لإقناع قبائل آدرار بالدخول في الحماية الفرنسية وتطلب الأمر إجراء سلسلة من المفاوضات بينهما لإيجاد حل مناسب لتطلعاتهما الاستعمارية لاقتسام مناطق النفوذ بالصحراء المغربية. وإذا كان مركز بيّا ثيسنيروس قد عرف نوعا من الهدوء النسبي، فإن مراكز فرنسا المقامة في بلاد شنگيط عرفت عكس ذلك إذ توالت هجومات القبائل الصحراوية على مراكز آدرار وتجيكجة وأكجوجة وآطار وتشيت وتاگـانت بقيادة الأمير مولاي إدريس بن هشام الذي أرسله السلطان مولاي عبد العزيز للحصراء سنة 1905 وتكبدت فرنسا خسائر فادحة في الأرواح والعتاد. وعلى الرغم من التوقيع على معاهدة الحماية سنة 1912، فقد فشلت إسبانيا في احتلال المناطق التي منحتها لها فرنسا بموجب اتفاقيات وقعتها معها فيما بين 1900 و 1912، فتدخلت فرنسا بعد أن اتهمت إسبانيا بالضعف وعدم القدرة على فرض سيطرتها على الصحراء المغربية وحثتها على ضرورة نهج سياسة عسكرية موحدة لإسكات صوت بنادق المقاومين بالصحراء، وطلبت منها التخلي عن سياسة المسالمة ودفع الأموال لشيوخ القبائل لكسب ودّهم. وبفضل هذا التعاون العسكري توصلت إسبانيا وفرنسا إلى وضع خطة مشتركة لتعقب المحاربين ومنعهم من القيام بهجومات على مراكزهما. لكن القبائل الصحراوية رغم أنها فقدت ذلك المزود الرئيسي لها بالأسلحة والعتاد الحربي وهو السلطان الذي ضربت عليه السلطات العسكرية الفرنسية حصارا لمنعه من الاتصال بالمقاومين الصحراويين، استمرت في مقاومتها وتصديها للجيوش الفرنسية والإسبانية تحت قيادة الشيخ أحمد الهيبة ابن الشيخ ماء العينين. وللرد على الهزيمة بسيدي بوعثمان سنة 1912، قرر الشيخ لغظف ابن الشيخ ماء العينين القيام بهجوم ضد المراكز الفرنسية الموجودة في بلاد أدرار في 10 يناير 1913، أسفر عن مقتل بعض الجنود الفرنسيين المكلفين بحراسة آبار منطقة لبويرات القريبة من مراكز آطار. فأمرت فرنسا حاكمها العسكري على بلاد موريتانيا الليوتنان كولنيل موري (Mouret) بتجهيز حملة عسكرية للرد على هذا الهجوم، فتمكن من هزم محاربي الرگـيبات بالقرب من آطار موريتانيا ثم واصل زحفه نحو المناطق الشمالية وتوغل داخل منطقة الساقية الحمراء، ضاربا عرض الحائط بانتهاكه لمجال نفوذ إسبانيا بالصحراء. ووصل إلى زاوية السمارة الواقعة بالمناطق الداخلية وقام بتخريب منشآتها، وقامت بالموازاة مع ذلك السلطات الفرنسية بأدرار بإلقاء القبض على أمير آدرار الشيخ أحمد ولد أحمد ولد عايدة سنة 1913، بسبب تعاطفه مع صفوف المقاومين للتوسع الفرنسي. فثارت قبائل الرگـيبات على المراكز الفرنسية من جديد وألحقت أضرارا فادحة بخيام ومداشر قبائل منطقة الحوض المتعاونة مع السلطات الفرنسية. وشهدت

سنة 1914، تحسنا نسبيا في علاقات ركَـيبات الساحل بالسلطات الفرنسية الحاكمة ببلاد آدرار، وتم التوقيع على معاهدة سلم بينهما، تعهد فيها قائد ركَـيبات الساحل آنذاك محمد ولد الخليل بعدم مهاجمة المراكز الفرنسية مقابل السماح له ولأتباعه بانتجاع مراعي موريتانيا الخصبة.

أما السلطات الإسبانية بالصحراء فقد واصلت سن سياسة المسالمة مع شيوخ القبائل. وعقد أعضاء الجمعية الإسبانية للجغرافيا التجارية إجتماعا في شهر أبريل سنة 1913، اتفقوا فيه على ضرورة إرسال بعثة إلى سالحل وادي نون سنة 1914. وترأس هذه البعثة إنريكي دالمونتي (Enrique D'Almonte). ومنحوه مبلغ عشرين ألف بسيطة كمساعدة للحاكم العسكري الإسباني بالصحراء الليوتنان كولنيل بينس (Benz) لبناء مراكز عسكرية أخرى بالصحراء. وعقد دالمونتي اجتماعا مع الشيخ الخليل بن الحبيب بن بيروك وطلب منه تقديم الدعم لبينس والعمل على إقناع باقي قبائل المنطقة على ربط علاقات تجارية مع مركز بيّا ثيسنيروس. وفي سنة 1916 عقد مجلس وزاريا إسبانيا لمناقشة الاتفاق الذي وقعه دالمونتي مع الشيخ الخليل سنة 1914. وأمر الوزير الأول الإسباني رومانونيس الحاكم العسكري الإسباني بالصحراء بالتحرك نحو المناطق الشمالية لاحتلال ساحل طرفاية. وأمر كذلك سلطات جزر الكنارياس بتوفير كل الدعم والمساعدة لإنجاح هذه العملية. وفي 30 يونيو 1916 رسى بينس والجنود المرافقون له بساحل طرفاية. ووزع مبالغ مالية هامة ومواد غذائية متنوعة على شيوخ القبائل وطلب منهم عدم مهاجمة جنوده أو التعدي على المركز المزمع إقامته في ساحل بلادهم. وبعد انتهاء أعمال البناء نصب بينس حامية عسكرية وزودها بالأسلحة للدفاع عن نفسها في حالة تعرضها لأي هجوم. ونشرت العديد من الصحف الإسبانية عدة مقالات في 10 يوليوز 1916، نوهت فيها بالانجازات التي حققها بينس بساحل طرفاية. كما أصدرت الحكومة الإسبانية قرارا في نفس السنة نصت فيه على جعل ساحل طرفاية خاضعا لسلطة مندوبها السامي بمدينة تطوان. واتفقت مع الخليفة السلطاني مولاي المهدي بن إسماعيل على تعيين السالك بن عبد الله خليفة عنه بالصحراء للسهر على تسيير شؤون القبائل. وأمرت كذلك ممثلها بالصحراء الليوتنان كولنيل بينس بنقل مقر حكمه من مركز بيا ثيسنيروس إلى طرفاية التي أطلقت عليها اسم المنطقة الجنوبية الخاضعة للحماية الإسبانية. وعلى العكس من موقف فرنسا المتشدد مع شيوخ القبائل حاول بينس ربط علاقات ودية مع الشيخ محمد لغظف بن الشيخ ماء العينين الذي كان يقيم في منطقة تافودارت بالساقية الحمراء، ووعـده بمبالغ ماليــة هامة ومواد غذائية مختلفة وكثيرة مقابل إقناع أتباعه بعدم مهاجمة مركزه المقام بطرفايـة.

وازداد حنق الفرنسيين على سياسة الإسبانيين بالصحراء إذ توالت هجومات القبائل ضد المراكز العسكرية الفرنسية في بلاد موريتانيا واتهمت فرنسا السلطات الإسبانية بالضعف وعدم القدرة على احتلال المناطق الممنوحة لها وطلبت منها الكف عن مواصلة سياسة الخوف والخضوع لأوامر شيوخ القبائل والعمل على نهج سياسة مشتركة بينهما للتصدي لهجمات التي كانت تنطلق من منطقة وادي الذهب. وأمام تزايد الاتهامات الفرنسية قررت الحكومة الإسبانية الخروج عن صمتها والقيام بعمل عسكري بالصحراء تمثل في محاولة احتلالها لساحل إفني، لكن أتباع الشيخ أحمد الهيبة تصدوا لها ومنعوا سفينتها الحربية (Infanta-Isabel) من الرسو في ساحل إفني. فتدخلت فرنسا وطلبت من الحاكم العسكري الإسباني بالصحراء الليوتنان كولنيل بينس تكثيف اتصالاته مع مقيمها العام بالمغرب الجنرال ليوطي لنهج سياسة موحدة للدفاع عن مصالحها. وأثمرت المفاوضات التي جرت بين بينس والحاكم العسكري الفرنسي بموريتانيا الليوتنان كولنيل كَـادن (Gaden) سنة 1919 الإعلان عن احتلال ساحل لكَـويرة سنة 1920 وبناء مركز عسكري لمراقبة تحرك القبائل الصحراوية أثناء هجوماتها على المراكز الفرنسية بموريتانيا. وتمكنت كذلك الشركة التجارية الإسبانية من بناء مركز للصيد البحري في هذه المناطق. ولحماية هذين المركزين نصب بينس حامية عسكرية برئاسة القبطان كَزمان (Guzman). لكنه ظل يتوق إلى احتلال ساحل إفني. فحاول سنة 1921 احتلال بعض المناطق المحاذية لهذا الساحل كمنطقة لبودية وسهب الحرشة وخنيفس. ولتسهيل هذه العملية حاول بينس إغراء شيوخ القبائل ببعض الهدايا والمواد الغذائية ووعدهم بالعمل على إنشاء مراسي للتجارة في سواحل بلادهم وطلب منهم العمل على إقناع الشيخ مربيه ربه الذي خلف أخاه الهيبة على رأس القبائل الصحراوية بعدم مهاجمة جنوده أو اعتراض طريقهم. لكن الحكومة الإسبانية أمرته بالتريث وعدم المجازفة في ذلك الوقت، وذلك بسبب مشاكلها الداخلية إذ قامت بها ثورة سنة 1923 تزعمها الجنرال پريمو دي ريبيرا الذي أطاح بالحكومة القائمة آنذاك، وعوّضها بدكتاتورية عسكرية قائمة على فرض الأحكام العرفيّـة وحل البرلمان ومصادرة حرية الرأي. كل هذه الأحداث دفعت وزير المالية الإسباني بيركَـامين إلى الإعلان عن عدم قدرة الحكومة على تحمّل مصاريف الحملات العسكرية الجديدة بالمغرب. وبعد توليه مقاليد الحكم بالبلاد صرح ريبيرا في حديث للصحافي البريطاني ويب ميلير عن احتمال انسحاب إسبانيا من المغرب. لكنه تراجع عن هذه التصريحات بسبب الضغوطات الفرنسية الشيء الذي جعله يأمر حاكم جزر الكنارياس سنة 1925 بضرورة إرسال بعض المساعدات لبينس لمساعدته على بناء محطة للطائرات في ساحل طرفاية. وشدد على تجنب استعمال القوة والاعتماد على سياسة المسالمة مع شيوخ القبائل. وأثناء عمليات بناء هذه المحطات، اعترضت قبيلة إزركَـيين على بينس وطلبت من نائبه مبلغ 30 ألف بسيطة للسماح له بإتمام عمليات البناء. ووافق نائب بينس على ذلك شريطة أن يتركوا خمسة أفراد منهم في مركز طرفاية

حتى تنتهي عمليات البناء. ولم تقبل القبيلة هذا الشرط واستمرت في منعها من بناء المحطات، فتدخلت الآلة الحربيّة لإسكات صوت إزرگـيين، إذ قامت الطائرات الحربية الإسبانية بقنبلة خيام ومداشر إزرگـيين سنة 1925، أسفر عن عدّة قتلى وجرحى. وللرد على ذلك قام أبناء هذه القبيلة بهجوم ضد مستودع مواد البناء واستولوا على كميات هامة من الحديد والخشب وخربوا منشآت الآبار التي كانت تزود مركز طرفاية بالماء الصالح للشرب. وللتغطية على هذا الفشل أعلنت الحكومة الإسبانية عن قرار في 15 دجنبر 1925 نصت فيه على إنشاء إدارة عامة للسهر على تسيير شؤون المناطق الخاضعة لها في كل من طرفاية ووداي الذهب. لكن حقيقة الأمر أنّ الحكام العسكريين الإسبانيين في كل من مركز طرفاية ولـگـويرة وبيا ثيسنيروس لم تكن سلطاتهم تتجاوز المناطق الساحلية ولا تصل إلى المناطق الداخلية التي تحتمي بها القبائل المحاربة الكبرى. كما أنها قامت في نفس السنة بعزل بينس وتعويضه بالليوتنان كولنيل دي لاپينا (De Lapeña) كحاكم عام على وادي الذهب وطرفاية. مانحة إياه مبالغ مالية هامة لبناء مركز عسكري جديد في منطقة الدورة. لكن قبائل المنطقة اعترضت طريقه وتمكنت من إلقاء القبض على طيار يدعى مرموز (Mermoz) الذي حاول النزول بساحل طرفاية سنة 1926. ولم تطلق سراحه إلا بعد حصولها على فدية قدرت بحوالي ألف بسيطة. وبسبب الاتهامات الفرنسيّـة المتكررة حول السماح للقبائل المحاربة باجتياز منطقة وادي الذهب للقيام بهجومتها ضد المراكز الفرنسية بموريتانيا قررت الحكومة الإسبانية سنة 1926 إرسال المزيد من الجنود إلى مراكزها العسكرية بوادي الذهب. وخصّت مركز بيا ثيسنيروس بحوالي 120 جندي، و160 آخرين بمركز لـگـويرة. لكن فرنسا ظلت قلقة من سياسة الحاكم العسكري الإسباني بالصحراء دي لاپينا الذي كان يغدق الأموال على شيوخ بعض القبائل التي يشارك أفرادها في الهجومات ضد مراكزها بموريتانيا. لذلك طلبت من إسبانيا السماح لها بملاحقة الغزاة داخل منطقة وادي الذهب لاستئصال خطرهم أو للتنسيق مع سلطاتها العسكرية بموريتانيا للتصدي لهذه القبائل. وهكذا حل مبعوث فرنسي يدعى بييري (Beyries) بوادي الذهب سنة 1928 للتفاوض مع المسؤولين الإسبانيين. حصل الاتفاق بين الطرفين ومنحت السلطات الإسبانية للطائرات الفرنسية حق المطاردة داخل منطقة وادي الذهب لقنبلة خيام ومداشر المحاربين. فاستغل دي لاپينا هذه الفرصة وطلب من حكومته استبدال طائراتها الحربية الرابطة في سواحل وادي الذهب بطائرات حربية حديثة من نوع (Fokker) لتسهيل عمليات احتلال المناطق الداخليّة. فاستجابت الحكومة لطلبه وزودته بسبع طائرات حربيّة من نوع (Havilland D.H.9) وبحوالي ثلاثمائة جندي إضافي لحماية مركز طرفاية. كما أنها أرسلت إليه طائرات حربية أخرى من نوع (Bréguet D.H.9) لحماية مركز بيا ثيسنيروس ومركز لـگـويرة. وبالمقابل أنشأت فرنسا مراكز عسكرية جديدة بالقرب من سبخة إيجيل سنة 1929، بهدف مراقبة تحرك رگيبات الشرق الذين كانوا يهاجمون مراكزها بآدرار.

وبسبب الجفاف الذي ضرب منطقة وادي الذهب سنة 1930، اضطرت العديد من القبائل الصحراوية إلى البحث عن مراعي خصبة لقطيعها الضخم من الإبل فطلبت من السلطات الفرنسية السماح لها بانتجاع مراعي آدرار.

ومما زاد من مشاكل القبائل الصحراوية تخلي إسبانيا سنة 1930 عن سياسة المسالمة والمهادنة ومطالبة حاكمها العسكري دي لاپينا بالكف عن دفع المبالغ المالية لشيوخ القبائل لكسب ثقتهم وودّهم بدعوى أنهم كانوا يستغلونها في شراء الأسلحة من صيادي جزر الكناريا‌س للهجوم على المراكز الفرنسية. وطلبت منه كذلك إنشاء فرق جديدة من الـگـوم لتعقب القبائل في المناطق الداخليّـة وبناء مطارات جديدة في سواحل وادي الذهب. لكن هذه المشاريع الكبرى ستتعثر نسبيا منذ سنة 1930 بسبب الثورة التي اندلعت في إسبانيا ضد سياسة الجنرال پريمو دي ريبيرا الذي قدم استقالته للملك الإسباني الفونصو الثالث عشر، الذي فقد هو الآخر عرشه بسبب فوز أنصار النظام الجمهوري في الانتخابات التي جرت سنة 1931. وتم الإعلان في 14 أبريل من نفس السنة عن قيام الجمهورية بإسبانيا. وتشكلت حكومة مؤقتة تحت رئاسة نيكولا ألكلا ثمورا (Nicolas Alcala Zamora) الذي سيصبح رئيسا للجمهورية الإسبانية بصفة رسمية بعد انتخابات 10 دجنبر 1931. وتولى مانويل أثانيا (Manuel Azaña) رئاسة الحكومة فشهدت نفس السنة تطورات كبيرة في كل أرجاء الصحراء المغربية إذ قررت كل القبائل المحاربة تشكيل جبهة واحدة للتصدي للتعاون العسكري الفرنسي - الإسباني ترأسها كل من محمد المامون وأحمد ولد حمادي وعلي ولد ميارة وإسماعيل ولد الباردي. وقاموا بهجوم عنيف ضد مركز آطار. فاضطرت السلطات الفرنسية إلى إنشاء مركز عسكري جديد بالقرب من سبخة إيجيل لمراقبة تحرك القبائل. وحاولت إسبانيا من جانبها استغلال هذه المناوشات القائمة بين القبائل الصحراوية والفرنسيين لاحتلال بعض المناطق الداخلية من ساحل طرفاية سنة 1932. لكنها فشلت بسبب موقف قبيلة العروسيين وإزرگـيين الرافض لاحتلال إسبانيا لهذه المناطق فقررت الحكومة الإسبانية إرسال بعثة تتكون من الليوتنان كولنيل موخيكا (Mujica) والكمندان خوليو فلوريس گـونثاليس (Julio Flores Gonzales) وبعض الأعيان من مدينة تطوان إلى منطقة كردوس حيث يقيم الشيخ مربيه ربه لإقناعه بحث القبائل الصحراوية بعدم مهاجمة مراكزها. وقامت كذلك بعزل حاكمها على مركز بيا ثيسنيروس الكمندان رامون ريـگـيرال (Ramon Regueral) الذي استجاب لطلب السلطات الفرنسية بموريتانيا واعتقل بعض الأفراد المنتمين لقبائل وادي الذهب بسبب مهاجمتهم لمركز بورت إتيان الفرنسي سنة 1931. وعوضته بالكمندان كنثاريس (Canizares)، وأمرته بإطلاق سراح السجناء.

وبسبب هذا الموقف نشرت بعض الصحف الفرنسية عدّة مقالات اتهمت فيها السلطات الإسبانية بالصحراء بالضعف والخوف من رد فعل القبائل الصحراوية. لكن حقيقة هذه الهجمة الإعلامية سنة 1932 هو عدم سماح السلطات الإسبانية للجيوش الفرنسية بالتوغل داخل منطقة وادي الذهب لتعقب القبائل المحاربة. وشهدت نفس السنة توصل الحاكم العسكري الإسباني بالصحراء دي لاپينا إلى التوقيع على معاهدة سلم مع شيوخ أولاد موسى من ركيبات الساحل. واشترط عليهم مساعدته على توفير الأمن والسلامة في باقي المناطق الخاضعة لسلطته وتقديم العون والدعم للفرق العسكرية الإسبانية العاملة فوق ظهور الإبل (الجمالين) أو (Mia). وأصدرت الحكومة الإسبانية قرارا في 15 يوليوز 1933، حددت بموجبه شروط الدخول والإقامة في منطقة وادي الذهب وأرسلت في نفس السنة بعض الجنود الإسبانيين وكلفتهم باحتلال ساحل إفني وبناء مركز عسكري. لكن قبائل المنطقة تصدت لهم وقتلت جنديين أثناء عملية الإنزال وأرغمت الباقين على العودة إلى ساحل طرفاية.

وبعد تمكن الجيوش الفرنسية من استكمال احتلالها لبعض المناطق الجنوبية كواحة تافيلالت والريصاني وبلاد تكنة سنة 1934، اضطر الشيخ مربيه ربه بعد انهزامه أمام قوة الجنرال كاترو (Catroux) إلى الاستسلام للسلطات الإسبانية سنة 1934. ونشرت عدّة صحف إسبانية مقالات حثت فيها الحكومة على الإسراع باحتلال ساحل إفني واستغلال استسلام الشيخ مربيه ربه للتأثير على قبائل المنطقة. وبعد عدّة مفاوضات داخل البرلمان الإسباني قررت الحكومة إرسال بعثة بقيادة الكولنيل فيرناندو كپاث (Fernando Capaz) إلى إفني سنة 1934، وكلفته باحتلال هذا الساحل وفي يوم 6 أبريل من نفس السنة توصل رئيس الحكومة الإسبانية اليخاندرو ليروش گارثيا (Alejandro Lerroux Garcia) ببرقية من كباث أخبره فيها بأنه تمكن من الرسو في ساحل إفني وأجرى محادثات مع شيوخ قبيلة صبوية. لكنه لم يذكر في برقيته أن أولاد دليم وبعض قبائل آيت باعمران هجموا على جيوشه بساحل إفني سنة 1934، وقتلوا القبطان كولي ريثيو (Caule Reccio). وبعد حصوله على مساعدات من سلطات جزر الكناريا تمكن كباث من بناء محطة لهبوط الطائرات في إفني. أما مساعده القبطان دي أورو (De ORO) فقد قام بزيارات للمناطق الداخلية لتحديد نقاط الماء والآبار الممكن استغلالها للشرب أثناء توغل الجيوش الإسبانية.

وبعد رفع العلم الإسباني بإفني يوم 7 أبريل 1934، أعلن رئيس الحكومة الإسبانية عن احتلال ساحل إفني بصفة رسمية واعتبر ذلك نصرا كبيرا حققه الجيش الإسباني في عهد الجمهورية. واتخذت الحكومة الإسبانية عدّة إجراءات لتعزيز سلطتها بإفني، نذكر منها العمل على تعيين حاكم عسكري وإنشاء مكتب خاص بالشؤون الأهلية وإشراك بعض أفراد قبائل المنطقة ضمن الحامية العسكرية الإسبانية المكلفة بحماية هذا المركز. وقررت كذلك منع الأجانب من الدخول إلى المنطقة إلا بعد حصولهم على ترخيص موقع من طرف مجلس الوزراء الإسباني.

ولتعزيز نفوذها في ساحل إفني أرسلت الحكومة الإسبانية حوالي 1250 جنديا برئاسة القبطان پابلو أرياس (Pablo Arias) والقبطان سيدانو (Sedano) وحوالي عشر طائرات حربيّة أقلعت من مطار العرائش في اتجاه ساحل إفني في 16 أبريل 1934. وبفضل هذه التعزيزات العسكرية والحربية تمكنت إسبانيا من بناء مركز عسكري بالقرب من مصب وادي أساكا. وتوصل كباث كذلك إلى احتلال منطقة إگوراد القريبة من وادي نون، ونصب الكمندان بونينو مارتينث پورتيلو (Bonigno Martinez Portillo) حاكما على ساحل إفني. ولاستكمال عملية احتلال باقي المناطق الصحراوية في منطقة الساقية الحمراء جهز الليوتنان كولنيل كباث حملة عسكرية تمكن بفضلها من احتلال عين النخلة في 10 يوليوز 1934، وسيدي أحمد العروسي في 14 من نفس الشهر، ثم وصل إلى زاوية السمارة يوم 15 يوليوز. وتمكن من رفع العلم الإسباني فوق القصبة التي بناها الشيخ ماء العينين سنة 1901. ونتيجة لذلك أصدرت الحكومة الإسبانية قرارا في 16 يوليوز من سنة 1934، ألغت بموجبه تعيين الحكام العسكريين في مراكز طرفاية وپيا ثيسنيروس ولگويرة. ومنحت لمندوبها السامي بالمغرب ريكو أبيليو (Rico Avello) حق الإشراف على تسيير شؤون المناطق الخاضعة لنفوذها بالصحراء ورخصت له تعيين ضابط عسكري من رتبة كولونيل لمساعدته على تسيير شؤون هذه المناطق. ونظرا لشساعة المنطقة قرر هذا الكولونيل تعيين قائدين لمساعدته هو الآخر على تطبيق أوامر المندوب السامي، وجعل مقر القائد الأول بمدينة طانطان وكلفه كذلك بتسيير شؤون طرفاية التي أصبحت تسمى باسم پيا بينس ومناطق أخرى مثل سهب الحرشة وتلمسون ولمسيد. أمّا القائد الثاني فجعل مقر حكمه في مدينة العيون وكلفه بالإشراف على شؤون منطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب. ولمنع القبائل من تجديد هجوماتها ضد المراكز الفرنسية قررت الحكومة الإسبانية بناء مراكز عسكرية جديدة بالقرب من آبار الگندوز وتشلا والزوگ. كل هذه المنجزات التي شهدتها الصحراء دفعت بالمندوب السامي الإسباني إلى القيام بزيارة خاطفة لساحل إفني يوم 25 شتنبر 1934 ولمركزي طرفاية وپيا ثيسنيروس.

وظنت إسبانيا أنها بفضل هذه الإنجازات سوف تسكت بنادق المقاومين. لكن القبائل الصحراوية انتفضت من جديد وهاجمت الحاميات العسكرية الإسبانية المكلفة بحراسة مراكز تشلا والزوگ والگندوز. فاضطرت إسبانيا إلى إجراء سلسلة من المفاوضات مع فرنسا لنهج سياسة عسكرية موحدة للقضاء على هجومات القبائل. أسفرت عن التوقيع على معاهدة في بئر أم گرين بتاريخ 21 دجنبر 1934، تعهدت فيها إسبانيا ببناء مراكز عسكرية جديدة في مناطق گلتة زمور وآدرار سطف وتيريس لمراقبة تحرك القبائل المهاجمة. وقررت كذلك

إنشاء عدّة فرق من الشرطة تتحرك في المناطق الداخلية على ظهر الجمال لترصد حركات القبائل. وعزلت كذلك حاكمها بالصحراء الليوتنان كولونيل دي لاپينا وعوضته بحاكمها على جزيرة لاس بالماس خوسي گونثاليس دي ليتو (José Gonzales de Leito). وهكذا وجدت أغلب القبائل الصحراوية نفسها محاصرة من طرف الجيوش الفرنسية سواء من الجنوب الجزائري أو من موريتانيا أو من السنغال أو من منطقة وادي نون وواحة تافيلالت ومن طرف الجيوش الإسبانية بإفني والساقية الحمراء ووادي الذهب. فقررت الاستسلام للأمر الواقع خصوصا بعد نفاذ أسلحتها وذخيرتها الحربية وفرض حصار قوي على مراعيها الخصبة. فانقسمت بين مستسلم إما للسلطات الإسبانية بالصحراء المغربية أو للسلطات الفرنسية بموريتانيا أو بالجنوب الجزائري.

مصطفى ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة*، مطابع سلا، الرباط، 1988 ؛ محمد بن عزوز حكيم، محاولات البرتغاليين والإسبانيين في الطرق البحرية منذ القرن الخامس عشر، *جريدة، العلم، 1974* ؛ محمد الصغير المراكشي اليفرني، *نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي*، الرباط ؛ أحمد الناصري، *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، الدار البيضاء، 1956 ؛ عبد الرحمن بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس*، المطبعة الوطنية، الرباط، 1929 ؛ عبد الوهاب بن منصور، طرفاية : قصة المحاولات الانجليزية للاستقرار بصحراء المغرب، *جريدة، صحراء المغرب، الرباط، 1957* ؛ علي طعمة، *الصحراء مغربيّة : حقيقة التاريخ وتاريخ الحقيقة*، الهيثم للصحافة والطباعة والنشر، بيروت، 2005 ؛ علي الشامي، *الصحراء الغربية عقدة التجزأة في المغرب العربي*، بيروت، 1980.

P de Cenival et F. De La Chapelle, *Possessions espagnoles sur la côte occidentale d'Afrique, Santa-Cruz de Mar Pequeña et Ifni*, Paris, 1935 ; Paul Pascon, *Les ruines d'Agouitir de Khnifis province de Tarfaya Santa Cruz de Mar Pequeña*, Rabat, 1963 ; Tomas Garcia Figueras, *España en el sur de Marruecos y en el Africa occidental*, ceuta, 1934 ; Michaux-Bellaire, *Santa Cruz de Mar Pequeña et Le Port d'Assaka*, Paris, 1911 ; Emilio Bonelli, *Nuevos territorios españoles de la casta del Sahara*, Madrid, 1885 ; Angel Domenech Lafuente, *Algo Sobre Rio de Oro* Madrid, 1946 ; S – Hérelle, *L'occupation d'Ifni*, Paris, 1934 ; Sophie Caratini, *Les Rgaybat, 1610 – 1934*, Paris, 1989 ; Angel Flores Morales, *EL Sahara Español*, Madrid, 1946.

نور الدين بلحداد

تَسُوفْرَة، جراب أو كيس جلدي مصبوغ بألوان زاهية، ومزركش برسم فنية رائعة الجمال، يستعمل في المناطق الصحراوية المغربية، وفي بعض المناطق المتاخمة لها، وذلك لحفظ بعض المواد من التلف، كالأليسة والحلي والنقود والكتب والرسوم وما إليها من مختلف المواد الثمينة خاصة.

يصنع تسوفرة بعض الصناع المهرة من فئة المعلمين من جلد الماعز بصفة خاصة بعد عملية الذبح والسلخ، ثم ينزع منه الشعر بصفة نهائية، ويدبغ ثم يخاط من رقبته، ويشرم من مقطعه الخلفي من مختلف الجوانب بطريقة فنية على شكل أهداب، ثم يثقب من تحت الهدوب ثقوبا متعددة لكي يمر منها ذراع القفل الحديدي الذي يصنع بدوره لهذه الغاية عند إرادة إغلاقه في الوقت المناسب، وبعد ذلك توضع له سيور مظفورة لتربط في قوائمه الأربعة وتشد من وسطها قصد تعليقها في البيت وقت الاستقرار، أو تعليقها بجانب راحلة الجمل أثناء السفر والترحال.

ويظهر أن مصطلح تسوفرة له علاقة بمادة "سفر" في الأصل اللغوي العربي، فمن حيث أن تسوفرة تكون منزوعة الشعر كذلك مادة "سفر" تدل على انحسار الشعر، جاء في حديث النخعي : "أنه سفر شعره" (أي استأصله وكشفه عن رأسه) من جهة، ومن حيث أن تسوفرة تدل على الجراب أو الكيس الجلدي، كذلك مادة سفر لأن السفرة، بضم السين، تطلق على الزاد كما تطلق على الجراب الذي يحمل فيه بالنسبة للمسافر.

فالتسوفرة بالنسبة للإنسان الصحراوي تستعمل أساسا لحفظ بعض المواد الثمينة المشار إليها أعلاه، ولا تستعمل لحمل الطعام إلا "الظبية" وهي كيس جلدي أصغر من التسوفرة وأقل جودة منه وأكثر استعمالا.

فالتسوفرة وسيلة ترتبط بحفظ بعد المقتنيات كما تحفظ الكتب بعملية التسفير (أي التجليد) من جهة، وترتبط بطبيعة الإنسان الصحراوي الدائم السفر والترحال من جهة أخرى.

وبما أن طبيعة الاستقرار أخذت تطبع الحياة في المناطق الصحراوية المغربية بعد المسيرة الخضراء سنة 1975، فقد أخذ دور تسوفرة يضمحل بعد أن حل محلها الدولاب الخشبي والحائطي والمعدني وما إليها من الأدوات التقنية المصنعة الحديثة، وأصبحت تسوفرة تحفة فنية نادرة الوجود إلا لدى بعض الأسر القليلة جدا أو لدى بعض الصناع الذين يعرضونها للسياح الأجانب.

دراسة ميدانية ؛ لسان العرب.

محمد عالي خنفار

تشلة : واد جاف به بئران صالحة للشرب أحدهما يدعى أگرامز والآخر "حاسي انصارى" تقع جنوب شرق مدينة الداخلة وسط صحراء تيرس، وتبعد من أوسرد مركز الإقليم 80 كلم في اتجاه الجنوب. وتشلة قديمة كنقطة ماء كانت تعبرها القوافل الصحراوية في اتجاه الجنوب والشمال، كما تحدث عنها الشعراء و"المغنيين" الحسانيين في إبداعهم الأدبي، وقد اهتم الاستعمار الإسباني بهذا الموقع الجغرافي حيث وضعوا جوار بئرها حامية عسكرية (فيالق متنقلة Tropas Nomadas) نظرا لقربها من الحدود مع موريتانيا، وكذلك لدور نقاط الماء في التحكم في حركات القبائل المترحلة هناك. ومن القبائل التي كانت تقطن هذه المنطقة نذكر أهل بارك الله وأولاد دليم وأولاد بسباع وأولاد اللب والرگيبات الساحل.

وفي نهاية الأربعينات من القرن العشرين شيد الإسبان بتشلة ثكنة عسكرية ومستشفى ومدرسة ابتدائية وبعض الدور والمخازن لصالح العساكر الاستعمارية، وخلال الستينات من القرن الماضي بدأ الرحل من القبائل المذكورة ينزلون جوار تلك المباني للإقامة والتزود بالماء والمؤونة، حيث برزت أحياء من الخيام حول ذلك المركز العسكري، و تزايدت أعدادها إلى أن قامت حرب الصحراء منتصف السبعينات حيث تعرضت تشلة للإخلاء. وبعد عودة المنطقة للمغرب، أصبحت تشلة موقعا عسكريا متقدما جوار الحزام الأمني، ومنذ نهاية التسعينات من القرن العشرين، بدأت المنطقة تعرف حركة الرعي، وتم تشييد طريق معبد ما بين أوسرد وتشلة لفك العزلة، وتعد تشلة اليوم جماعة قروية تابعة لعمالة إقليم أوسرد بجهة وادي الذهب الگـويرة.

أحمد بن الأمين الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*، مطبعة الخانجي، القاهرة، 1958 ؛ المختار ولد حامد، *حياة موريتانيا : الجغرافيا*، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994 ؛ محمد عبد الله ولد الفلالـي، *الحياة العمرانية لأهـل بارك الله*، مخطوط في حوزة السيـد المختاري عبد الرحمن، الداخلة ؛ أحمد يزيد بن السالك، *تيرس، صراع البداوة والنهضة خلال القرنين 18 و19*، بحث لنيل المتريز بكلية الآداب بجامعة نواكشوط، 1991، 78 ص.

Caro Baroja, Julio, *Estudios, saharianos*, I.E.A, Madrid, 1955 ; Gomez Moreno, Pedro, Pozos del Sahara, C.S.I.Y.T.E.A, Madrid, 1959 ; *Revista Africa*, N° 173, Mayo, 1956 ; Recursos Vegetales del Sahara Espanol : Sus pastos en : *Revista de tropas Coloniales*, Ceuta, N° 25, Enero, 1944, Madrid ; Argub y Techla in : *Africa*, N° 25, Enero, 1944, Madrid.

محمد دحمان

التصوف في الصحراء، عرفت الأقاليم الصحراوية خلال القرون الأربعة الأخيرة حركة صوفية متميزة امتد تأثيرها إلى مختلف مجالات الحياة الصحراوية، الاجتماعية والثقافية والسياسية. فمنذ انتشار التصوف في المغرب ابتداء من ظهوره سلوكاً متميزاً في العبادة وتطوره في شكل مؤسسات منظمة من رباطات وزوايا وطرق وطوائف فيما بعد، لم تتوقف هذه الأقاليم عن احتضان التجارب الصوفية الوافدة من شمال المغرب وشرقه، واعتمادها في التربية والتهذيب والإصلاح الديني والاجتماعي، فظهرت بها عدة طرق وطوائف، مثل الشاذلية والقادرية والجزولية وغيرها.

ففي القرن السادس عشر الميلادي أخذ الشيخ سيدي أحمد الرقيب مبادئ التصوف في توات وعمل على نشرها في الساقية الحمراء، وفي نفس الفترة أخذ الشيخ سيدي أحمد العروسي طريقة الشيخ سيدي عبد الرحمان المجذوب وسيدي رحال البودالـي ونشرهـا في الساقية الحمـراء أيضاً، وبعدهـا أخـذ سيـدي محمـد بن الحاج إبراهيم الشاذلية في فاس خلال إقامته بها ولقنها لتلميذه أحمد بن طوير الجنة، وأخذ سيدي محمد بن سيدي عثمان بن سيدي عمر الولي المحجوبي وسيدي عبد الله التنواجيوي والمختار بن المصطفى الناصرية عن الشيخ محمد بن ناصر الدرعي بتامگـروت، وأخذ سيدي محمد الحافظ التجانية عن شيخه سيدي أحمد التجاني بفاس ونشرها ببلاد شنجيط، وأخذ سيدي محمد الطالبي الرقيبي الدرقاوية عن سيدي علي الدرقاوي، كما أخذها عنه أيضاً شيوخ آل البصير وغيرهم من العلماء والصلحاء الذين توافدوا على زوايا سوس وتامگـروت ومراكش وفاس ونالوا إجازات شيوخها.

ولم تلبث الصحراء بدورها أن صارت منبعاً للتصوف ومصدراً لتعاليمه وآدابه، فانطلقت منها عدة طرق نحو الشمال والجنوب والشرق، مثل الفاضلية التي انتشرت عن طريق شيوخها في مراكش وفاس ومكناس والصويرة ووجدة وبلاد الريف، والتجانية التي عبرت عن طريقها إلى السنغال ومالي والنيجر وساحل العاج وغيرها، وقصدها عدد كبير من الرجال من مختلف الأقاليم الإسلامية للتزود من علومها وأخذ أسرار شيوخها، مثل سيدي محمد الدمشقي الذي وفد على الشيخ ماء العينين من مكة وعبد الرحمان أفندي الذي كان يترقب زيارة هذا الشيخ للديار المقدسة مدة خمس سنوات ليأخذ عنه سر الحاء، وعلال الحمري الذي تخلى عن ثروته في بلاد احمر والتحق به في الصحراء، والدرباكي السباعي الذي كان يتحرى قربه في الحوز، فلما طال عليه الانتظار شد الرحلة إلى الصحراء للقائه، والشيخ أحمدو بامبا الذي قصد الشيخ سيديَّ من بلاد السنغال، وكذلك الشيخ بوكنته والشيخ فوديي باكاري الذي شد الرحال من مالي إلى مضارب الشيخ حماه الله، وغيرهم من الشيوخ الذين توافدوا على الصحراء ونالوا إجازات شيوخها.

وقد ساهمت هذه الحركة بدور فعال في تحديد الملامح العامة للأقاليم الصحراوية وتشكيل نسيجها الاجتماعي والثقافي والسياسي. فلم تكن الطرق والزوايا التي عرفتها الصحراء أجساماً غريبة في المجتمع الصحراوي أو مؤسسات انعزالية ينحصر نشاطها في التعبد والاستغراق في التأمل والشطح، ولكنها كانت دائماً مرتبطة بالحياة، تساهم في بنائها وتكميل جوانب النقص فيها، وكان القائمون بأعبائها عمليين يشاركون في التربية والتهذيب والدفاع عن حوزة الوطن. فقد ظلت زاوية الشيخ سيدي أحمد الرقيبي وسيدي أحمد العروسي وزاوية الشيخ سيديَّ وزاوية الشيخ ماء العينين وغيرها من زوايا الصحراء على امتداد التاريخ حُرماً آمنة للمظلومين ومحاكم عليا للفصل بين المتنازعين، ولم يكن شيوخها يخافون في الله لومة لائم، بل كانوا يحكمون بالعدل ولا يراعون في أحكامهم إلا ما ينص عليه الشرع وتقتضيه مصلحة الجماعة، كما كانت في نفس الوقت منارات للعلم وقلاعاً حصينة للدفاع عن سيادة المغرب والمحافظة على وحدته.

ومن أبرز الزوايا التي عرفتها هذه الأقاليم كما تذكره بعض المصادر الشفوية والمدونة.

1 - زاوية الشيخ سيدي أحمد الرقيبي، وهي من الزوايا العريقة في الصحراء، يرجع تاريخها إلى القرن 16 الميلادي، وتنسب إلى الولي الصالح سيدي أحمد الرقيبي حفيد الشيخ مولاي عبد السلام بن مشيش، ويبدو من خلال الوظائف التي كانت تؤديها أنها كانت زاوية صلاح وجهاد وعلم. وقد برز فيها عدة شيوخ وعلماء واصلوا رسالة مؤسسها الشيخ سيدي أحمد الرقيبي، مثل محمد البوهالي الرقيبي ومحمد بن يوسف ابن عبد الحي الرقيبي ومحمد بن عبد الرحمن الطالبي الرقيبي وآل البصير وغيرهم.

2 - زاوية الشيخ سيدي أحمد العروسي، وتنسب إلى الولي الصالح سيدي أحمد العروسي، جد قبائل العروسيين، ويلف الغموض أصولها التاريخية وملابسات قيامها في هذه المنطقة، إلا أن هناك إجماعا حول شرفها وارتباطها بالحركة الجهادية التي قادها صلحاء الرقيبيات وأسا وركراكة وأولاد بنسبع خلال القرنين الخامس والسادس عشر، لصد الهجمات الإسبانية على الشواطئ المغربية في الجنوب. وقد اشتهرت بالصلاح، كما تشير إلى ذلك بعض كتب الأخبار والسير المحلية والرواية الشفوية.

3 - زاوية أسا، وقد تم تأسيسها في إقليم تكنة على ضفاف أحد روافد درعة حوالي القرن الحادي عشر الهجري من طرف سيدي محمد السبكي لتخليد بطولات المجاهدين الذين شاركوا في الحركة الجهادية التي قادها صلحاء صنهاجة وركراكة وبني دغوغ خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر لطرد الإسبان والبرتغال من الثغور المغربية، وتحظى باحترام كبير من طرف سائر القبائل الصحراوية. وكانت كغيرها من الزوايا المجاورة لها مركز إشعاع ثقافي في الجنوب المغربي، لكن قساوة الظروف الطبيعية المحيطة بها، وظهور بعض الزوايا غير بعيد منها في سوس والصحراء قلص من دورها الإشعاعي، فغادرها كثير من العلماء والصلحاء إلى المناطق المجاورة، واقتصر نشاطها على إحياء ذكريات صلحائها في موسمها السنوي الذي يقام خلال الأيام الأخيرة من شهر صفر قبيل عيد المولد النبوي.

4 - زاوية أهل الليلي، وترتبط بشرفاء تَبّالت التي تنحدر من الولي الصالح سيدي وسيدي، دفين تارودانت، وتمارس سلطتها الروحية داخل آيت بعمران وكثير من قبائل تكنة، وقد امتد تأثيرها الروحي إلى الصويرة ومراكش وبلاد شنقيط، وقد اشتهرت بالاشتغال بالقرآن وعلومه، درسا وتدريسا، إلى جانب التربية والتعليم.

5 - زاوية الحكونية، وترتبط بشرفاء فلالة، وهم شرفاء حسنيون انتقل أجدادهم إلى الصحراء خلال العهد العلوي الأول، زمن السلطان مولاي إسماعيل، وتمركزوا أولا في منطقة وادي نون، ثم انتقلوا إلى الساقية الحمراء، وهي زاوية علم وصلاح، تخصصت في نشر العلم وخاصة القرآن والفقه والنحو، إلى جانب الفصل في النزاعات القبلية. ومن أبرز شيوخها أبو بكر الفيلالي وأحمد محمود وعبد الله ومحيي الدين وسيدي المحجوب وأحمد بن أحمد أحقاف ومحمد يحظيه ومحمد عبد الله بن عبد الباقي وغيرهم.

6 - زاوية الشيخ محمد المامي بتيرس، وهي قادرية حسبما أشار إليه مؤسسها الشيخ محمد المامي في قصيدته الدلفينية حيث يقول :

وقطبنا شيخنا الوافي ذاك عـزا لعدة مالكيات مواطيـــن

وقد امتد نفوذ هذه الزاوية إلى الساقية الحمراء، فكأن لها نفوذ قوي في قبائل أولاد دليم وأولاد اللب وأهل بارك الله وغيرها من القبائل الصحراوية. وتتميز بتركيزها على الجانب الإصلاحي والتربوي.

7 - زاوية الشيخ ماء العينين، وهي من أبرز الزوايا التي عرفتها أقاليم المغرب الجنوبية في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وهي قادرية المشرب، مع انفتاحها على سائر المشارب الصوفية، تنسب إلى الشيخ ماء العينين المتوفى بتزنيت سنة 1910، وقد اتخذت من الساقية الحمراء ووادي الذهب منطلقا لها منذ بداية النصف الثاني من القرن 19، وتمكنت عن طريق حيويتها واستقطابها للزوايا المعاصرة لها، واتصال شيوخها الدائم بملوك الدولة العلوية من اكتساب نفوذ قوي في مختلف الأقاليم المغربية، وبعد انفراط عقدها تفرعت عنها مجموعة من الزوايا في الصحراء وسوس، مثل زاوية الشيخ أحمد الهيبة بكردوس وزاوية الشيخ مربيه ربه بتفدرات وزاوية الشيخ محمد الأغظف بطنطان وغيرها، وتعتبر آخر حلقات السلسلة الصوفية في أقاليم المغرب الجنوبية قبل غروب شمس الزوايا وظهور مؤسسات المجتمع المدني.

وقد ساهمت هذه المؤسسات في تنمية أقاليم المغرب الجنوبية، فلم تكن المؤسسات الصوفية في هذه الأقاليم بصفة عامة كيانات طفيلية انعزالية تعيش على هامش المجتمع، لا تهتم إلا بالعبادة والاستغراق في التأمل والشطح والارتزاق وإنتاج الرزايا، كما وصفت بذلك ظلما، ولكنها كانت دائما مرتبطة بالحياة تساهم في بنائها وتكميل جوانب النقص فيها، وكان أهلها عمليين يشاركون في التنمية البشرية في مختلف جوانبها الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والروحية والسياسية، الفردية والجماعية، ولم تكن مشاركتهم في ذلك اختيارية أو مصلحية، ولكنها كانت مسؤولية دينية تنطلق من رؤية شمولية تؤمن بينسانية الإنسان وبأهميته في هذا الكون الذي استخلفه الله فيه وسخر له جميع خيراته، وحمله مسؤولية المحافظة عليه وحسن تدبيره. يقول الشيخ ماء العينين في كتابه "مبصر المتشوف على منتخب التصوف" في تأكيد أهمية العمل في الحياة : "قال بعض الشيوخ : من يقرأ العلم دائما ولا يعمل به كمن يتوضأ دائما ولا يصلي، فالقوم (أي أهل التصوف) قرأوا العلم ليعلموا به ما يلزمهم من معرفة ربهم والقيام بعبوديته فإذا حصلت لهم هذه الوسيلة رجعوا إلى المقصود بها، ونحن جعلنا العلم حرفة نتكسب بها ونجمع حطام

الفاني". ويؤكد هذا المبدأ في كتابه "مفيد الحاضرة والبادية" بقوله : "واعلم أنه لا يتم لعالم علم حتى يكون عاملا بمقتضاه... قال (ص) : لا يكون العالم عالما حتى يكون بالعلم عاملا".

ولم يقنع الصوفية بالعمل وحده، ولكنهم ربطوه بالصدق والإخلاص والتبري من الحول والقوة، فمما جاء عند الشيخ أحمد زروق في اعتبار النية في العمل، قوله في توطئته لحكم ابن عطاء الله : "ثم كمال الأعمال إنما هو بالإخلاص، وهو ما أشار إليه المؤلف (ابن عطاء الله) إذ قال : الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها، قلت : (لا عبرة بصورة لا روح فيها، كما أنه لا قيام لروح دون صورتها". انطلاقا من هذا المبدأ وغيره انخرط صوفية الصحراء والمغرب بصفة عامة في الحياة، وأخلصوا في شحذ الطاقات الروحية للإنسان وتنمية قدراته المختلفة، فساهموا بدور فعال في إغناء النسيج التنموي في أقاليم المغرب الجنوبية. وتبرز مساهمتهم في هذا المجال في عدة جوانب منها :

1 - تخليق الحياة العامة، وتتمثل فيما سطروه من قواعد أخلاقية وسلوكية تنظم علاقة الإنسان بربه وعلاقته بأخيه الإنسان، ويمكن اعتبار كتاب "نعت البدايات وتوصيف النهايات" للشيخ ماء العينين بيانا تربويا في هذا المجال، وذلك بما يشتمل عليه من أبواب تربوية تتصل بآداب المريد مع ربه ومع شيخه ومع مرافقيه في الرحلة الصوفية، وبما يسطره ويؤكد عليه من قواعد سلوكية للنهوض بالفرد والجماعة، وتخليصها من كل ما يحول دون تحققهما بالحق من خصال ذميمة وقيم رديئة، وهو ما يعرف بالتخلي والتجلي. ويعتبر هذا الجانب ركنا أساسيا في التنمية، ومدخلا ضروريا للبناء، فلا يمكن تحقيق أية تنمية مستدامة في أي مجال من مجال التنمية دون تصفية الحساب مع القيم السلبية التي تعطل قاطرة التنمية وتؤثر سلبا على العطاء، وإلا تحولت التنمية إلى وبال على الإنسان، مثلما يحدث في كثير من المجتمعات الحداثية التي تنخرها الرذيلة ويسخر فيه العلم لتخريب البشرية.

2 - تعمير الأقاليم الصحراوية وتوفير الشروط الضرورية للعيش فيها اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وضمان الأمن في ربوعها، فقد لمس شيوخ التصوف الذين اختاروا الإقامة في هذه الأقاليم ما تتميز به طبيعتها من شدة، وما كان يعانيه أهلها من مشاكل أمنية وصعوبات اقتصادية، بسبب ندرة الماء وقلة المنتجعات الرعوية، وخاصة في مواسم الجفاف، وكذلك تحكم منطق القوة في العلاقات العامة، وبُعد هذه الأقاليم عن السلطة المركزية في مراكش وفاس، فنظموا العلاقات القبلية وفق ما ينص عليه الشرع وتقتضيه مصلحة الجماعة الإسلامية، وأنشأوا مجموعة من مراكز الاستقطاب الاقتصادية من أسواق ومواسم وملتقيات تجارية، وهيأوا لها كل ما تحتاجه من شروط. ومما يمكن أن نستحضره في هذا المجال، ما ينسب إلى الشيخ محمد المامي من أعمال تنموية جليلة في منطقة تيرس، وخاصة حفر الآبار وغرس النخيل، ولا تزال بعض النقط المائية تحمل اسمه إلى اليوم، ونفس الشيء فعله من جاء قبله وبعده من شيوخ، مثل سيدي أحمد الرقيبي وسيدي أحمد العروسي، ومما يذكر عن الشيخ ماء العينين في هذا المجال، (أنه قام بحفر عدة آبار في السمارة وغرس مئات الأشجار من النخيل التي جيء بها من واحات آدرار، وأشرف على حفر قنوات بين الآبار وبساتين النخيل وحقول الزراعة لسقيها بطريقة منظمة)، وذلك ما يذكره أحمد بن الأمين الشنقيطي في حديثه عن هذه الحاضرة بصفة خاصة وفي السقاية الحمراء بصفة عامة، حيث يقول : "كانت خالية لا أنيس بها، فلما جاءها الشيخ ماء العينين عمرها وحفر بها الآبار وغرس النخيل"، وكان هذا الشيخ يحث على الاشتغال بالزراعة والغرس، ويقول : (الزراعة والغرس فرض كفاية، وعلى الإمام أن يجبر الناس عليها، وقال (ص) : التمسوا الرزق في خبايا الأرض). ولم تكن المنجزات التنموية التي اضطلع بها شيوخ التصوف في هذه الأقاليم موسمية أو تخص جهة دون أخرى أو قبيلة دون أخرى، ولكنها كانت دائمة موجهة للجميع يستفيد منها الخاص والعام، القريب والبعيد، فمما يذكر عن الشيخ سيدي أحمد الرقيبي أنه لم يكن يميز بين أبنائه ومريديه، ولكنه كان يساوي بين الجميع في كل شيء، وكذلك كان أبناؤه وأحفاده، ولذلك اتسع مجال قبيلته وامتدت في أطراف الصحراء، وانتسبت إليها كثير من التجمعات القبلية، فصارت من أهم التجمعات السكانية في الصحراء، وكذلك كان غيره من شيوخ الصحراء، فيما يذكره الشيخ النعمة عن إنفاق والده الشيخ ماء العينين على تلامذته ومريديه "أن لباسهم وغذاءهم جميعا كان على نفقته، وقد أناط تقسيم الطعام بعدة مئات من تلامذته المرموقين، فكانوا يقومون بتوصيله إلى أهل كل بيت حسب كثرتهم وقلتهم، وجعل على رأس كل مائة من هؤلاء التلاميذ مقدما يثق فيه، قد اختبره، واختياره على أساس العلم والورع، تنحصر مهمته في المراقبة والتأكد من عدالة التوزيع على جميع المخيم، ويشترط على التلاميذ المكلفين بهذه المهمة ألا يقدموا أحدا من أقاربهم على غيره".

3 - تحقيق التوازن الاجتماعي والتآلف القبلي، فقد شكلت الزوايا في هذه الأقاليم سلطة قوية ساهمت بدور فعال في تحقيق الأمن والاستقرار الاجتماعيين، وذلك لما كان لشيوخها من أتباع ومريدين، وما كانوا يملكون من أسرار، فاطمأن الناس على ثرواتهم، وتنافسوا في التنمية في مختلف جوانبها. وهناك أمثلة كثيرة تجسد هذا الدور الذي اضطلع به هؤلاء الشيوخ في هذا المجال، منها ما نسب إلى الشيخ سيدي أحمد الرقيبي مع بعض قبائل معقل، فبعد انتقال هذا الشيخ من توات إلى وادي درعة حسب ما أورده المختار السوسي في كتابه *المعسول* ومحمد بن سالم ابن عبد الحي في كتابه "*جوامع المهمات*" أنه وجد بعض هذه القبائل يقطعون السبيل بين فاس ومراكش، فهمّ السلطان بالإيقاع بهم، فأجفلوا بين يديه إلى الصحراء من حوز سوس، فتقفى السلطان

آثارهم وتوغل في الصحراء، فالتقى الشيخ سيدي أحمد الرقيبي، وقد نزل هناك وشيكا بعدما اشترى أراضي واسعة إلى الساحل الأطلنتكي، فتداول مع السلطان في أمر غرمائه يبقى عليهم، فيعمروا معه تلك الأرض، فدفع السلطان مالا كثيرا، قال إنه أتى به على وجه الكرامة، فرجع السلطان، فعادت هذه القبائل إلى رشدها، وعم الأمن هذه المنطقة. وهناك أمثلة كثيرة تجسد هذا الدور الهام الذي اضطلعت به زوايا هذه الأقاليم في تحقيق التوازن الاجتماعي في هذه المنطقة لا يسمح المجال بتفصيل بيانها.

4 - بث الإشعاع العلمي والديني، ويشكل هذا الجانب أساس التنمية البشرية الحقة ونعت بداياتها، فلا تنمية بدون علم، ولا تطور بدون معرفة، ترشد الإنسان إلى الطريق السليم، وتضيء له السبيل وتوضح له معالم المستقبل، وكل عمل فكري أو مادي لا يتأسس على فهم دقيق للواقع ورؤية واعية للمستقبل يبقى مغامرة غير مضمونة النتائج، لذلك اهتم شيوخ التصوف في هذه المنطقة بالعمل وجعلوه في مقدمة مشاريعهم واهتماماتهم، فأقاموا المدارس والرباطات وهيأوا لها ما تحتاجه من ضروريات من مكتبات وأساتذة وحاجيات وغيرها، فقصدها الطلبة من مختلف الآفاق، وأدركوا فيها الغاية في تحصيل العلم، ومما يذكره أحمد بن الأمين الشنقيطي عن زاوية السمارة في هذا المجال، أن تلاميذها تجاوزا عشرة آلاف تلميذ، ولعل ما بقي من آثار هذه الزاوية من كتب مخطوطة ومطبوعة يؤكد أهمية هذا الجانب في برامجها ومشاريعها التنموية. ولم ينحصر اهتمام زوايا هذه المنطقة بالعلم في علوم التصوف، ولكنه يشمل كل المعارف والعلوم النقلية والعقلية والروحية، من فقه وحديث وتفسير وأصول ولغة وطب وفلك وحساب وأدب وغيرها من العلوم التي تتصل بالحياة وتهتم بتحقيق سعادة الإنسان الدنيوية والآخروية.

وقد غلب هذا الجانب الثقافي عند بعض الزوايا على غيره من الأنشطة، مثل زاوية الشيخ محمد المامي وزاوية أهل الليلي والحگونية، ثم زاوية الشيخ ماء العينين بعد ذلك.

ولم تكن الأعمال التربوية والإصلاحية والعلمية التي اضطلعت بها الزوايا في هذه المنطقة مستقلة عما كان يجري في باقي المناطق المغربية من أعمال مماثلة، ولكنها كانت امتداداً لهذه الأعمال وجزءا أساسيا في البناء التنموي المغربي في تشعباته المختلفة ومظاهره المتعددة، فكانت معظم زوايا هذه المنطقة ممثلة في الشمال المغربي إما عن طريق بعض المريدين الذين انتقلوا إلى أقاليم المغرب الشمالية في سياق الهجرات والتنقلات السكانية الدائمة بين شمال المغرب وجنوبه كقبائل آيت أوسى وأولاد دليم على سبيل المثال، أو من خلال الفروع التي أنشأتها بعض زوايا الصحراء في أقاليم المغرب الشمالية التي تعددت فروعها مثل زاوية الشيخ ماء العينين في مراكش وفاس ومكناس والصويرة وبني ملال ووجدة والريف وغيرها.

وكان ملوك المغرب يساهمون بدور كبير في تحقيق هذا العمل التنموي التواصلي الذي اضطلع به شيوخ التصوف في أقاليم المغرب الجنوبية، وذلك عن طريق الدعم المادي والمعنوي الذي كانوا يقدمونه لهم والتوقير والاحترام الذي خصوهم به، ومما يمكن أن نذكره في هذا المجال، إنعام السلطان مولاي الحسن، ثم ابنه مولاي عبد العزيز على الشيخ ماء العينين بكثير من الأراضي التي خصصت لإقامة كثير من الزوايا وفي مقدمتها زاوية السمارة التي تعتبر إنجازا حضاريا وحدويا متميزا في أقاليم المغرب الجنوبية، فقد أشرف على بناء هذه الحاضرة مهندسون من شمال المغرب وجنوبه، من وجدة وفگيگ وفاس وغيرها مثل علي الوجدي والفگيگي وغيرهما، وكانت مواد البناء تأتيها من الشمال عن طريق ميناء الصويرة وطرفاية وغيرها من الموانئ المغربية، وكذلك الكتب والتموين.

وقد ساهمت هذه الأعمال التنموية في تثبيت الوحدة المغربية وترسيخ أسسها وقوعدها، فكانت هذه الزوايا على امتداد التاريخ حصنا منيعا تحطمت على قلاعه أطماع الأجانب في كثير من الفترات الصعبة التي مر بها المغرب، في معركة وادي المخازن وفي معركة الداخلة وسيدي بوعثمان وغيرها من المعارك التي خاضها المغاربة وأسهم رجال التصوف بدور كبير فيها.

محمد الظريف، *الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحْراء المغربية*، منشورات كلية الآداب، المحمدية ؛ الشيخ ماء العينين، مبصر *المتشوف على منتخب التصوف*، ج 1، ص. 108، تحقيق، محمد الظريف ومحمد عيناق، منشورات الرابطة المحمدية، ط 1، 2010 ؛ الشيخ ماء العينين، مفيد *الحاضرة والبادية*، ص. 20، طبعة حجرية ؛ الشيخ ماء العينين، *علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوربي*، الطالب أخيار، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه لاحياء التراث والتبادل الثقافي ؛ الشيخ محمد الغيث النعمة، *الفواكه*، ص. 9، مخطوط خاص ؛ محمد بن سالم بن عبد الحي، جوامع *المهمات في أمور الرقيبات*، ص. 44، تحقيق، مصطفى ناعمي.

محمد الظريف

تَغَاطْ، أرض غنية بمنطقة وادي نون. ولفظة تغاط تعني الشاة، تيمزت البنية الإنتاجية في هذه المنطقة منذ ما قبل ظهور الجمل بأنها رعوية لها عادة وظائفها الذاتية الأساسية لإنتاج وتربية الأبقار والأغنام وتأمين ما يمكن لنمط العيش القروي شبه الترحالي أن يقدمه من الخدمات العامة. من هنا تتجلى أهمية تغاط الرعوية التي يتعدى مجال خدماتها مستوى القرى المجاورة نفسها. إذا كانت كلمة "تغاط" تعني الشاة فذلك لأن تربية الأغنام التي ميزت هذه المنطقة قد جعلت منها أداة لاستقطاب الفصائل القاصية والدانية. التركيز على هذا الجانب يحتم على الباحث الخوض في غمار إشكالية مراقبة المجال وتوضيح صورة التوزيع الحقيقي للفصائل المراقبة لتغاط منذ ما قبل أربعة قرون. لقد جعلت مدونة أسا من وادي نون وداي الحرب نظراً لكثرة الصراعات المحلية حول مراقبة المجال. ومما يثبت أهمية هذه الصراعات في

تحديد مفهوم الملكية تضارب أنواع الوثائق حتى فيما يخص الأراضي الرعوية (F.C. De La Chapelle, *Les Tekna*, 60). هكذا تتزاحم المقولات وتتضارب من خلال الوثائق المحلية التي تدعى منذ أزيد من أربعة قرون تملك أرض تغاط الغنية (انظر مادة *أزوافيط بالمعلمة*). بل إن هناك من العائلات المقيمة بتاسريرت (آيت باعمران) التي ما تزال تتوفر على ما يثبت حق تملكها القديم لتغاط. لقد كانت قبيلة إدا أوزال من بين الوحدات المقيمة بوادي نون خلال القرن العاشر (16 م) (F.C. De La Chapelle, *Les Tekna*, 44). وكان يومها جزءاً هاماً من فصائل آيت باعمران تتداخل بشكل قوي بفصائل وادي نون. وهو عامل يفسر لماذا لا تزال بعض العائلات التي هاجرت من وادي نون تحافظ لإثبات ارتباطها التاريخي بالمنطقة على ما يلزم من الوثائق.

تقع الآن منطقة تغاط بتراب أزوافيط بعد أن كانت في ملك فصائل لمطية أمازيغية يصعب اليوم تحديد مراحل تنقلها. وإذا أخذنا بعين الاعتبار حدود المقولة الزفاطية نفسها اتضح بأن تطويع أراضي تغاط من أجل الفلاحة ظاهرة لا ترجع إلا إلى حدود القرن التاسع عشر. بل إن آيت احماد أ"علي الزفاطيين يعتبرون عملية التطويع هـذه هي السبب الفعلي في تملكها شبراً شبـراً، وأن الضرورة المجاليـة هي التي أهلتهـم لتجسيد قـوة حربية فعليـة حالت دون باقـي مربي الماشيـة والانتفـاع من أرض تغاط. هذه الظرفيـة تسهل جداً اقتلاع التفسير بالسببية الوظيفية للظواهر الحربية والسياسية منذ أقدم الفترات.

مصطفى ناعمي، مواد *أزوافيط* ؛ *آيت بلة* ؛ *التوبييع* ؛ *تيرمسين* بالمعلمة ؛ *بحث ميداني*.

F.C. De La Chapelle, *Les Tekna* ; V. Monteil, *Notes sur les Tekna* ; P. Marty, *Les Tekna*.

مصطفى ناعمي

تنشيبة (وقعة) 5 ذي القعدة 1326 (1 ديسمبر 1908). هجوم كاسح شنه المجاهدون فجرا على قوة فرنسية متمركزة عند موقع "تنشيبة" في تخوم منطقة تگـانت، تمكنوا خلاله من دحر القوات الفرنسية والاستيلاء على الموقع وبعض المعدات، بعد قتل ما يزيد على عشرين من القوّة الفرنسية وحوالي خمسين من الإبل وبعض الخيل مما كان بحوزة الفرنسين، ثم إن الفرنسيين بعد انسحابهم، استجمعوا قواهم واستعادوا الموقع بعد انسحاب المجاهدين بالغنائم.

استشهد في هذه المعركة تسعة من المجاهدين من بينهم محمد المصطفى بن أحمد بن المصطفى ومحمد عبد الرحمن بن محمد عبد العزيز بن حامني ومحمد الأمين بن مسكة، وعبد الله بن علـي اليتيـم الدليمي، وعبد الحي، والمامي بن الحاج بن ابك وسيدي محمد بن بابا وعبدي بن سيدي بن السالك بن البطّاح وتاسع الشهداء من قبيلة إديشلي.

الطالب أخيار بن الشيخ مامينا، الشيخ ماء العينين *علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي*، ج 6، ص. 335 - 336 ؛ *رسالة من الشيخ محمد الأغظف* إلى والده الشيخ ماء العينين (بدون تاريخ) بخزانة الشيخ لارباس بن الشيخ محمد الأغظف).

ماء العينين مربيه ربه

التنـگـيـة أو التنقية، تفيد باللهجة الحسانية - مثلما هو في العربية الفصحى - تصفية حبوب القمح والشعير من الشوائب حتى تصبح صالحة للطحن. على أن هذه التسمية تأخذ بعدا اجتماعيا متميزا يرتبط بمراسيم عملية الـزواج ويوجد هـذا الطقس في جهات مختلفـة مـن المغـرب حيث تسمى في ســوس وجبال المصامـدة مثلا بإسم أفْـرانْ.

فيوم التنـگـية يعلن اقتراب ليلة الزفاف ويهيأ بما يعمله من رموز ودلالات مرجعية لمجموعة من الممارسات التقليدية. تختار أم العريس من بين النساء القريبات من تريد إشراكهن في العملية محددة الموعد مسبقا. وعندما تنطلق العملية صبيحة اليوم المحدد تكون الأم قد دست مجموعة من قطع السكر أو حبات التمر. فيكون البحث من خلال التنـگـية مبررا إضافيا للتغني الجماعي الذي يعرف محليا بالتسنـگـيف. تتميز وليمة هذا اليوم بأنها تتكون أساسا من دقيق الشعير خاصة. تعمل الكميات التي تمت تنگيتها داخل عينات صحراوية من الأكياس المخصصة لهذه الأغراض. وفي طريقهن إلى مجرى مياه ساقية القرية تكون أم العريس قد دست مرة أخرى خلخال نسويا سيكون على الشبان التباري من أجل العثور عليه. تستمر عملية التسنـگـيف عبر الطريق الرابطة بجداول الساقية حيث تنشد النساء عادة :

وازرع باگمحي مع المصارف   خيي يدُورْ الزينْ مَبْرُومَاتْ السالـف

تنتهي عملية التنگية بعد ذلك مباشرة بعثور أحدهم على الخلخال الذي يعيده لدويه بعد أن يكون قد استبشر بقرب زواجه. يكون الشبان قد تأملوا في انسياب حبات القمح أو الشعير مع الجداول كانسياب السوالف. ويكونون قد تباروا من أجل العثور على خلخال يرمز إلى تباريهم من أجل رمز الأنوثة. الماء والأرض والزرع والخلخال تجسد هنا رموزا ودلالات واضحة المعنى للـدارس المتأمـل في ضوابـط الطقس المجتمعي. وهي دلالات ورموز تعود بنا إلى أبعد الفتـرات التاريخية القديمة مما يجسد عمق الامتـداد الحضاري للغور السكاني الأقدم بوادي نون وسلسلتي آيت باعمران وباني.

دراسة ميدانية.

محمد الجوماني

التنمية الحضرية لمدينة العيون، أدى إجلاء الاستعمار الإسباني واسترجاع الجهات الجنوبية للمملكة المغربية بعد المسيرة الخضراء سنة 1957، إلى إعطاء الانطلاقة لنمو سريع للمجال الحضري بهذه

المنطقة الصحراوية القاحلة ذات البيئة الطبيعية الصعبة غير المشجعة للاستقرار. فاكتسبت في غضون أقل من ثلاثة عقود، طابعا حضريا محضا وذلك بظهور ونمو عدة مدن بعد أن كان الترحال هو النمط العام للعيش السائد باستثناء إرهاصات استقرار على الشواطئ كرسها الاحتلال الإسباني أو التجمعات الصغيرة حول بعض المنشآت الدينية.

لقد كانت الظاهرة الحضرية والتنمية العمرانية السريعة التي عرفتها جهات جنوب المغرب في أقل من ثلاثة عقود نتيجة للسياسة التنموية التي نهجها المغرب لاستدراك الإختلالات التي تركها المستعمر ولتحقيق تنمية اجتماعية واقتصادية بالمنطقة. وارتكزت هذه السياسة التنموية على بناء وتوفير التجهيزات التحتية والمرافق العمومية والعمليات السكنية الكبرى علاوة على إنعاش التشغيل العمومي وسن الإعفاء الضريبي وتشجيع البناء والاستثمار.

ولا شك أن تحقيق التنمية الحضرية التي عرفتها الأقاليم الجنوبية والتحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية العميقة المنبثقة عنها قد استدعى جهدا كبيرا ومتواصلا لتخطي الكثيـر من التحديات للبيئة الصحراوية القاحلة والصعبة التي تطرح كثيرا من الاكراهات، بشكل دائم للاستقرار الحضري، مثل انعدام الماء الصالح للشرب وزحف الرمال وإعاقتها لطرق الربط والرياح والعواصف الرملية وقساوة المناخ الحار وثروات محدودة ...

ولعل اعتبار الخاصيات الطبيعية لهذه المناطق وظروفها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في ملائمة آليات توجيه وتدبير الشأن العمراني بها كان سببا، إلى جانب الإرادة السياسية للمملكة المغربية، في ربح رهان تنمية الشبكة الحضرية للأقاليم الجنوبية.

وتتوفر الأقاليم الجنوبية اليوم على شبكة حضرية تتكون من عدة حواضر تتشكل من مدن العيون، طانطان، طرفاية، بوجدور، الداخلة، الـگويرة والسمارة. وتتركز جل هذه المدن على الساحل وتربط بينها الطريق الوطنية رقم 1.

وتشكل مدينة العيون أكبر هذه المدن وأكثرها ديناميكية والقطب الجاذب والمهيمن في البيئة الحضرية لجهة العيون ـ بوجدور ـ الساقية الحمراء ولباقي المناطق الجنوبية خلاصة التجربة الحضرية الحديثة بهذه الربوع. فقد جسدت كل الجهود التنموية التي شهدتها المنطقة بعد استرجاعها. ويمكن اعتبارها مثالا حيا لتحقيق التنمية العمرانية بالمناطق القاحلة.

ـ الظروف العامة لتنمية مدينة العيون

عقب استرجاع جهات جنوب المغرب سنة 1975، قامت الدولة بتحقيق جهود تنموية كبيرة ومتواصلة لتدارك النقص والاختلالات الموروثة عن الفترة الاستعمارية وكذلك للاستجابة للمتطلبات المتزايدة للساكنة ولمواجهة تحديات البيئية الصعبة. وقد أدت السياسة العمرانية المتبعة إلى خلق نمو سريع للمجال الحضري بهذه الربوع الصحراوية فأصبحت ذات تقليد وطابع حضري محض.

فعلا، لقد ارتكزت سياسة تنمية الصحراء المغربية، بعد استرجاعها بالخصوص، على خلق وتنمية المجالات الحضرية في إطار خطة إرادية يمكن اعتبارها، من منظور إعداد التراب الوطني، إعطاء الانطلاقة لصيرورة متعلقة بإعادة توازن التراب الوطني تتمحور حول المراكز الحضرية الصاعدة بهذه المنطقة.

تشكل المعطيات الطبيعية والاقتصادية والديمغرافية والإدارية والاجتماعية عوامل أساسية في فهم التركيبة العمرانية لحيز ترابي معين واستيعاب رهاناته المجالية. وتشكل إيحاءات المعطيات الموالية المتعلقة بالجهة التي تهمنا هنا أدوات لاستقراء وضعية وبنية شبكتها العمرانية وظروف تنمية مدينة العيون.

تتوزع الأقاليم الجنوبية الصحراوية إداريا إلى ثلاث جهات، تتوسطها جغرافيا جهة العيون بوجدور الساقية الحمراء. وتتكون هذه الأخيرة من ثلاث أقاليم العيون وبوجدور وطرفاية يضمان أربعة عشرة جماعة منها أربع بلديات. وتشكل مراكز هذه الجماعات عناصر الشبكة الحضرية والقروية للجهة. ويمتد الحيز الترابي لجهة العيون بوجدور الساقية الحمراء عبر مساحة تصل إلى 139.480 كلم^2. وتمثل مدينة العيون المركز الاداري لجهة العيون بوجدور الساقية الحمراء ولإقليم العيون، مما جعلها تحظى بالأفضلية في جميع الجهود التنموية للدولة. ولقد كان لهذا الأمر أثره الجلي في المكانة المتميزة والمتقدمة للعيون في الشبكة الحضرية وكذلك لباقي الأقاليم الجنوبية الصحراوية.

وتتميز طبيعة هذه المنطقة بمناخ صحراوي جاف وقاحل تحد من قسوته، على طول الشريط الساحلي، تأثيرات المحيط الأطلسي. وتعرف هذه المنطقة بندرة التساقطات المطرية وعدم انتظامها حيث لا تتعدى في أحسن الأعوام الممطرة 60 مليمتر في السنة. وتسجل الحرارة فوارق يومية مرتفعة حسب القرب من الساحل أو المناطق الداخلية ويتراوح معدلها ما بين 20 و25 درجة على الساحل في حين يتعدى 30 درجة في المناطق الداخلية. وتعرف المنطقة كذلك بارتفاع معدل التبخر ويتباين ذلك بين الشريط الساحلي والوسط الداخلي. وتسود في هذه الجهة الرياح التي تهب من الاتجاه الشمالي ـ الشمالي الشرقي باتجاه الجنوب ـ الجنوب الشرقي، فضلا عن تعرضها للرياح القوية المصاحبة بالعواصف الرملية. وتحضى مدينة العيون بموقع جغرافي متميز على الطريق الوطنية رقم 1 وعلى بعد 25 كلم من البحر بمحاذاة وادي الساقية الحمراء الذي يجنبها سلبيات ممر الرمال ويكسبها التأثيرات المناخية للساحل دون أن تكون مجاورة للشاطئ.

وتمتد هـذه الجهـة فـوق هضبـة شاسعـة منبسطة لا تعرف انكسارات إلا من منحدرات الوديان ومنخفضات السبخات، وعلى المستوى الهيدروغرافي، فالمنطقة جافة تفتقر لمجاري مياه سطحية ما عدا الفيضانات الموسمية التي تعرفها بعض الوديان مثل واد

الساقية الحمراء ؛ كما تتوفر على موارد مائية جوفية غير صالحة للشرب نظرا لملوحتها المرتفعة. أما الغطاء النباتي فضعيف، هش ومتناثر.

وحسب الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2004، فإن عدد سكان الجهة 255615 نسمة ؛ وتتمركز غالبيتهم في المجالات الحضرية بنسبة 92,3%، هذا إذا لم نعتبر مراكز الجماعات القروية مراكز حضرية والتي تضم النسبة الباقية من السكان. ويفوق هذا المعدل وبشكل كبير المعدل الوطني للتحضر الذي لا يتعدى 55,5% سنة 2004. وتتوزع هذه الساكنة بشكل متفاوت ومتباين بين المكونات العمرانية للجهة. فمدينة العيون لوحدها تستحوذ على 72% من ساكنة الجهة سنة 2004، بينما لا تتعدى ساكنة مدينة بوجدور وهي ثاني مدن الجهة 36843 نسمة.

جدول معدل نمو ساكنة حواضر جهة العيون بوجدور الساقية الحمراء

المدينة	عدد الساكنة 1994	عدد الساكنة 2004	معدل النمو 94 - 2004
العيون	136950	183691	3,0
بوجدور	15167	36843	9,3
المرسى	4334	10229	9,0
طرفاية	4506	5615	2,2

المصدر : الإحصاءات العامة للسكان والسكنى

على المستوى الاقتصادي، تتوفر الجهة على ثروات سمكية هامة حيث يشكل ميدان الصيد البحري أحد القطاعات الأساسية بالجهة. ويغلب على النشاط الفلاحي، ذي المردودية الضعيفة، الأنشطة المتعلقة بتربية الماشية وخصوصا الجمال. ويعتبر هذا النشاط امتدادا تقليديا للنشاط الرعوي المرتبط بحياة الترحال التي كانت سائدة في المنطقة. ويتمحور النشاط المنجمي حول استخراج الفوسفاط. وتشكل الخصوصيات الطبيعية للجهة إمكانات واعدة لخلق وتنمية حركة سياحية هامة.

- البنية الحضرية لجهة العيون بوجدور الساقية الحمراء وآليات توجيه نموها.

رغم التقسيم الإداري للأقاليم الجنوبية إلى ثلاث جهات، فهي تشكل مجالا متجانسا يمتد من گلميم إلى الحدود الجنوبية للمملكة المغربية مع موريانيا. وبالتالي، فدراسة الشبكة الحضرية لجهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء، لا يمكن فصلها عن الشبكة الحضرية العامة للأقاليم الجنوبية والتي تمثل گلميم، طاطا، طانطان، آسا، السمارة، العيون، طرفاية، بوجدور والداخلة أقطابها الأساسية. ولقد كان هذا الترابط والتجانس من بين أسباب ضم جميع هذه الأقاليم في مجال تدخل وكالة الإنعاش والتنمية الاقتصادية والاجتماعية في أقاليم الجنوب.

تتكون الشبكة الحضرية لجهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء التي تضم غالبية ساكنة الجهة من أربعة مدن شديدة التراتب على مستوى الثقل الديمغرافي والإشعاع الوظيفي مع هيمنة مدينة العيون التي تستحوذ سنة 2004 على 72% من سكان الجهة، كما سلف ذكره، و78% من الساكنة الحضرية، تشكل مدينة العيون القطب الجاذب ليس فقط على مستوى جهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء. بل لباقي الجهات الجنوبية، وذلك راجع لوزنها الديمغرافي كأكبر مدينة بهذه الجهات وكذلك لهيمنتها بشكل كبير على مختلف المبادلات بين أقطابها هذا بالإضافة إلى إشعاعها الثقافي والإداري والسياسي.

وتتركز هذه المدن على الشريط الساحلي وتربط بينها الطريق الوطنية الأولى. وإلى جانب أهمية هذه الطريق في توطين وتنمية عناصر الشبكة الحضرية للجهة، تلعب الشبكة المينائية المنجزة بعد إجلاء الاستعمار الفرنسي والإسباني (موانئ المرسى بالعيون وطرفاية وبوجدور) دورا أساسيا في ربط موقع ومستقبل مدن الجهة بالشريط الساحلي. ويمثل هذا التوزيع الترابي للمكونات العمرانية للجهة تكريسا لأهمية البحر بالنسبة لهذه المنطقة بينما يبقى المجال الداخلي للجهة ذي الوسط البيئي الطارد للاستقرار شبه خال من السكان. غير أن هذا الاستنتاج يبقى نسبيا إذا ما تم استقراء وضعية هذه المدن داخل بنية الشبكة العامة للأقاليم الجنوبية ؛ حيث يظهر خط ساحلي (طانطان، العيون، الداخلة) لتمركز المدن يوازيه خط داخلي يضم المدن الداخلية (گلميم، آسا، الزاگ، السمارة، أوسرد) ؛ وترتبط هذه المدن الداخلية بالمدن الساحلية مشكلة عمقا داخليا لها كما هو الحال لمدينة السمارة بالنسبة للعيون وآسا بالنسبة لطنطان وأوسرد بالنسبة للداخلة. وتدعم بنية الشبكة الحضرية للجهة مراكز قروية صغيرة دون جاذبية تذكر، غير أنها تخفف من التباعد الذي يفصل بين الأقطاب الأربعة (العيون / طرفاية 100 كلم، العيون / بوجدور 180 كلم).

وتعتبر مدينة طرفاية أقدم مدينة بالجهة ظهرت بوادر إنشائها منذ القرن التاسع عشر اعتبارا لموقعها الاستراتيجي للملاحة البحرية، وقد اهتم الاستعمار الإسباني بمركز العيون ليكون قاعدة عسكرية وإدارية وسكنية لهم. أما مدينتا بوجدور والمرسى (العيون) فتعتبران انبثاقا للنهضة التنموية المتسارعة التي عرفتها هذه الجهة بعد استرجاعها إلى حظيرة الوطن. وللإشارة، فإن الحالة العمرانية الراهنة لمدينة العيون كانت كذلك نتيجة حركة البناء والتشييد التي شهدتها منذ تحرير المنطقة، فكما توضح ذلك الصور الجوية الملتقطة في أواخر الستينات لم تكن هذه المدينة إلى حدود المسيرة الخضراء إلا شريطا بسيطا من البنايات فوق المدرج السفلي لوادي الساقية الحمراء لا يتعدى 50 هكتارا وبعض البنايات الهامشية في المدرج العلوي لسكنى السكان الأصليون.

فعلا، لقد كانت حياة الترحال هي نمط العيش السائد بالمنطقة. ولقد أدت السياسة التنموية التي نهجها المغرب في الأقاليم الصحراوية المسترجعة منذ سنة 1975، لتدارك الاختلالات التي تركها المستعمر وللرفع من مستوى عيش الساكنة، إلى انبثاق وتنمية المراكز الحضرية الصاعدة وإلى جعل المنطقة في غضون عقدين من الزمن، ذات طابع حضري محض. ولقد ساعد

هذا التوجه إلى الاستقرار الحضري غياب بنية قروية بالصحراء لتكون صلة بين حياة الترحال وحياة الاستقرار الحضري كما أثر التضييق على حياة الترحال المترتب عن الجفاف وازدياد الساكنة وتدهور الغطاء النباتي مقلصا أسباب تربية الماشية على الإسراع بوتيرة النزوح من حياة الترحال إلى الاستقرار بالحواضر فضلا عن ما تشكله هذه الحواضر من إغراءات نتيجة خدماتها المتعددة التي توفرها.

ولقد انبنى المسار التنموي الاقتصادي، الذي كانت حواضر الأقاليم الصحراوية مسرحا له، على إنجاز الدولة للعديد من التجهيزات الكبرى والمرافق العمومية والعمليات السكنية وتشجيع البناء. وعلى سبيل المثال نذكر من هذه الجهود التي همت الجهة التي تعنينا تهيئة شبكة طرقية واسعة، وإنشاء ميناءين، ميناء العيون وميناء طرفاية، وبناء مرفأ ببوجدور وعدة قرى للصيادين، وبناء مطار الحسن الأول بمدينة العيون، وبناء محطات تحلية مياه البحر بجميع المدن الساحلية للجهة للتزود بالماء الصالح للشرب، وربط الجهة بالشبكة الوطنية للكهرباء، وربطها بالشبكة الوطنية للاتصال (الهاتف الثابت والمتنقل والإذاعة والتلفزة) وبناء المرافق التعليمية والصحية والإدارية. ولقد كان لهذا آثار بالغة في تنمية الشبكة الحضرية وفي تحديد معالمها وبنيتها. وكان كذلك لتلك الإنجازات اليد الطويلة في تكثيف ضغط الإيراد الديمغرافي على مدن الجهة وخاصة مدينة العيـون ؛ مما كشـف من جهـود الدولة في قطاع الإسكان، والتي لازالت متواصلة، لتلبية الحاجيات المتزايدة من السكـن. وفي هذا المجال، كانت الدولة ولا تزال المنعش العقاري الأساسي بالجهة، حيث تمت تدخلاتها عبر عدة أدوات مختلفة واتخذت أشكالا متعددة كان آخـرها البرنامـج الجديد للسكن بالأقاليم الجنوبية الذي يهدف إلى إنجـاز 70000 وحدة سكنية عبر الأقاليم الجنوبية للمملكة انطلاقا من سنة 2007.

باستثناء بلدية المرسى بالعيون التي تغلب على وظيفتها الأنشطة الصناعية والمينائية المتعلقة بالصيد والتجارة، فإن القطاع الثالث المتمثل في التجارة والخدمات والإدارة عموما يشكل أساس النشاط الاقتصادي للشبكة الحضرية للجهة ضمن علاقات تبادل تربط مدينة العيون بالشبكة الحضرية العامة للمملكة المغربية وتربط المدن الثلاث المتبقية طرفاية، المرسى وبوجدور بالإضافة إلى المراكز القروية للجهة بتبعية واضحة وفي اتجاه واحد لمدينة العيون.

وبالإضافة إلى هـذه الخاصية للعلاقات الرابطـة بين حواضـر الجهة، فإنها بما فيها القطب الرئيسـي، لا تتوفر على حـوز قروي أو بعد ترابـي يضمن العلاقـات الكلاسيكية بين المـدن والبـوادي كما هو الحال في شمال المملكة.

وقد فطنت الدولة إلى هاتين الخاصيتين، فعملت، لتفادي ما قد تطرحه من إشكالات، على تنويع الوظائف الأساسية لحواضر الجهة حيث تم الدفع في اتجاه تصنيع بلدية المرسى وتعزيز وظيفتها المينائية وتعزيز البعد الخدماتي والإداري والتجاري والثقافي للعيون هذا بالإضافة إلى السعي لخلق ووضع بنية شبكة قروية / حضرية لتـدارك نقص الشبكـة الحضرية على مستوى المراكز الصغيـرة. وفي هذا السياق المتمثل في الرفع من كثافة بنية الشبكة الحضرية، فقد تم إحداث وتقويه عدة مراكز تشكل أقطاب تنموية تتمحور حول الصيد البحري والنشاط المنجمي والمؤهلات السياحية والخدمات الإدارية.

ففي مجال الصيد البحري، تم إحداث عدة قرى للصيادين وذلك بتجهيز وتوفير بنية سكنية ومرافق متعددة بنقط الإبحار. وفي ميدان تنمية القطاع السياحي، تم خلق مركز سياحي في فم الواد الشاطئي الذي يعتبر امتدادا ترفيهيا لمدينة العيون والمنتجع السياحي لساكنة الجهة ؛ كما تم إعداد بعض الدراسات الاستكشافية للمواقع الطبيعية المتميزة لإنشاء مراكز سياحية قادرة على خلق وتنشيط سياحة تتلائم والوسط البيئي للصحراء ؛ وإلى جانب هذا المركز السياحي أحدث مركز فلاحي قرب الفرشة المائية التي يتوفر عليها فم الواد حيث ظهرت بعض الأنشطة الفلاحية المرتبطة بتربية الأبقار وإنتاج بعض الخضروات. وتعتبر المشاريع المنجزة بمركز بوگـراع لاستخراج الفوسفاط (تجزئات سكنية، إدارات، الربط بشبكات الكهرباء والماء الصالح للشرب) اهتماما بتنمية هذا المركز المنجمي. وقد كان لإنشاء مراكز جماعات المسيد والجريفية وأخفنير والطاح على الطريق الوطنية رقم 1، غاية تستهدف خلق بنية مراكز ربط طرقي تضمن الخدمات التجارية لمستعملي الطرق وتخفف من تباعد حواضر الجهة وتؤدي الخدمات الإدارية والتأطيرية للساكنة المستهدفة. ويمكن تمييز مرحلتين في مسار إدارة التنمية العمرانية لحواضر الجهة : فترة البناء والتكوين الممتدة من سنة 1975 إلى أواخر الثمانينيات وفترة التأهيل والتنمية التي انطلقت منذ السنوات الأولى من عقد التسعينيات.

ولم تعتمد السياسة التنموية العمرانية في فترة البناء والتكوين على أدوات التعمير المعتمدة طبقا لقوانين التعمير للمملكة (المخطط التوجيهي للتهيئة العمرانية تصاميم التهيئة، تصاميم النمو)، بل اعتبارا لخصوصيات المنطقة وللتحديات الطبيعية بها، تم اعتماداً في ظل استعجالية تنمية هذه الأقاليم والحاجة الماسة إلى خلق بنى استقبال قادرة على استيعاب حركة الاستقرار والإيراد الديمغرافي الهام والمتزايد بعد المسيرة الخضراء على خطة إعمار إرادية ارتكزت على مخططات تنموية قطاعية لمختلف الوزارات تكلفت الوزارة المنتدبة بتنمية الأقاليم الصحراوية سابقا والسلطات المحلية الإقليمية والمجالس المنتخبة عبر أقسام التعمير للعمالات ومصالح البلدية التقنية لتنسيق وإنجاز تلك المخططات القطاعية على أرض الواقع.

ويمكن الجزم دون مغالاة، بأن هذه السياسة العمرانية قد أدت الدور المنوط بها في إعطاء انطلاق وتنمية عمرانية حقيقية، ارتكزت كما ذكرنا سابقا، على بناء التجهيزات وعمليات السكن الكبرى والمرافق العمومية

إضافة إلى تشجيع التشغيل العمومي لامتصاص متطلبات التشغيل والإعفاء الضريبي وكثير من الامتيازات والتسهيلات لجلب المستثمرين. وقد كان من نتائج هذه السياسة، خلق شبكة حضرية واضحة المعالم لها من المؤهلات والخصائص، كمدينة العيون، ما يجعلها تضاهي الكثير من المدن الشمالية الكبرى للمملكة. وفي نفس الوقت، يطرح الواقع العمراني لهذه المدن عدة إشكالات وتحديات استدعت، منذ بداية عقد التسعينيات لتدشين فترة التأهيل والتنمية، وذلك بإعادة النظر في آليات شؤونها مع مواصلة مرتكزات السياسة التنموية المتبعة في مجال التجهيز والتشغيل والضرائب وتشجيع الاستثمار. وتحقيقا لذلك، فقد تم إعطاء الانطلاقة منذ سنة 1992 لتغطية مختلف المكونات العمرانية للجهة بوثائق التعمير والتخطيط اللازمة (تصميم تهيئة مدينة بوجدور 1992، المخطط التوجيهي للتهيئة العمرانية لمدينة العيون والمرسى 1994، هذا بالإضافة إلى تدعيم الهياكل الجهوية المكلفة بإعداد التراب الوطني والتعمير والإسكان والبيئة وذلك بخلق الوكالة الحضرية للعيون سنة 1997 والمفتشية الجهوية لإعداد التراب الوطني والتعمير والإسكان والبيئـة سنة 1999 وإحـداث ملحقة للمؤسسـة الجهويـة للتجهيز والبنـاء بمدينـة العيـون سنـة 1999 التي تحولـت في ما بعد إلى شركة عمران الجنوب التابعة لقطب مجموعة العمران.

وتتوفر اليوم مختلف المراكز الحضرية والقروية على حد سواء على وثائق التعمير المناسبة لها. ولقد كان إعداد هذه الوثائق مناسبة لتدعيم المؤهلات الطبيعية والاقتصادية والعمرانية لمختلف المكونات المجالية للجهة قروية أو حضرية ولتنسيق التكامل الوظيفي بينها وكذلك لتقديم الحلول الممكنة لرفع التحدي أمام الإشكالات العمرانية والتنموية المطروحة والمرتبطة بالإكراهات الطبيعية وخاصة زحف الرمال، وهشاشة الوسط البيئي ومتطلبات التشغيل المتزايدة وخلق تنافسية اقتصادية ذاتية لمدن الجهة وتحسين المنظر العمراني.

ولعل اعتبار خصوصيات التجربة الحضرية بالجهة في إدارة واقعها العمراني وتخطيط مستقبله من أهم الركائز لربح الرهانات التي تطرحها الإشكالات المطروحة مثل ندرة الماء الصالح للشرب وكلفة تحلية مياه البحر وزحف الرمال نحو المدن أو إعاقتها لطرق الربط، والإمكانات الاقتصادية الذاتية المحدودة للجهة والاستقطاب الديموغرافي ومتطلبات التشغيل المتزايدة لساكنة مدينة العيون. وللنجاح في هذه المهمة، كان لوكالة الإنعاش والتنمية الاقتصادية والاجتماعية في أقاليم الجنوب بالمملكة المستحدثة منذ سنة 2002 دور طلائعي هام إلى جانب المصالح والهيئات المكلفة بالتعمير وإعداد التراب الوطني والإسكان والبيئة.

- تهيئة وتنمية مدينة العيون

لقد لعب موقع مدينة العيون وسط الأقاليم الجنوبية المغربية وبمحاذاة الساحل على الطريق الوطنية رقم 1 دورا هاما في تسريع وتيرة التطور العمراني الذي شهدته المدينة بعد استرجاعها وفي الإسهام في دعم قطبيتها وتأطيرها للشبكة الحضرية العامة للأقاليم الجنوبية. ولقد كان للدعم التنموي الذي حظيت به المدينة من طرف الدولة اليد الطويلة في نموها واستقطابها الديمغرافي وفي التوسعات العمرانية التي شهدتها وفي رسم معالمها الحاليــة.

وتشمل مدينة العيون، التي تصل ساكنتها 190 ألف نسمة مجالا حضريا يغطي ما يقرب من 3500 هكتار ويمكن أن يبلغ حجم المدينة المبرمج على المدى البعيد أي 2015 حسب تقديرات المخطط التوجيهي للتهيئة العمرانية للعيون أزيد من 300 ألف نسمة على مدار حضري قد يفوق 10000 هكتار. ويبرز الجدول أسفله التزايد السكاني الذي عرفته المدينة.

جدول 1 : تطور الوزن الديمغرافي للعيون بين 1982 و2004

المدينة	1982	%	1994	%	2004	%
العيون	93875	33,97	136950	33,44	183691	31,36

المصدر : الإحصاءات العامة للسكان والسكنى

ولقد عرفت المدينة منذ نشأتها إلى اليوم حقبتين هامتين طبعت تاريخ توسعها العمراني وهما : فترة الاحتلال الإسباني ومرحلة الاسترجاع ما بعد 1975.

وكما ذكرنا ذلك سابقا، فالعيون لم تكن، إبان إجلاء الاستعمار، سوى مركز حضري صغير فوق المدرج الأول لواد الساقية الحمراء، يتكون من إدارات وقواعد عسكرية وسكن للجالية الإسبانية، وبعض إرهاصات التوسع العمراني المحدودة المتمثلة في بعض البنايات المخصصة للساكنة المحلية كحي خط الرملة فوق المدرج الأعلى أو ما يسمى حاليا بالعيون العليا. وقد كانت تفصل بين العيون السفلى والعيون العليا مجموعة من الفضاءات غير المهيأة والفارغة.

ومع استرجاع مدينة العيون، انطلقت عملية نمو عمراني متسارع شملت بناء عدة عمليات سكنية وتجهيز عدة تجزءات : حي المطار، حي مولاي رشيد، خط الرملة، حي المستشفى... وإعادة هيكلة أحياء السكن غير اللائق كحي القسم وإنشاء المرافق العمومية الكبرى وتوفير التجهيزات التحتية المختلفة. ولقد عرفت هذه الفترة أوج نشاطها خلال حقبة الثمانينات التي شهدت نهآيت ها ملء الفراغات المذكورة، مما وحد نسيج المدينة وأعطى الانطلاقة لتمديدات وتوسعات جديدة. ويمكن نعت هذه الفترة بما اصطلحنا عليه سابقا بفترة البناء والتكوين.

ومع بداية التسعينات، دخلت المدينة في مرحلة جديدة، مرحلة التأهيل والتنمية، لتشهد العديد من المشاريع والتمديدات الهامة ساهمت في رسم معالمها الحالية. وقد تم إعطاء الأهمية الكبرى في هذه الفترة لأدوات التخطيط العمراني (المخطط التوجيهي للتهيئة العمرانية، تصميم التهيئة) كما تم تعزيز المؤسسات والمصالح المكلفة بالتعمير.

وعرفت هذه الفترة، كذلك، إعطاء الانطلاقة لعدة مشاريع سكنية كبرى التي تندرج في إطار البرنامج الوطني 200.000 سكن المخصص لذوي الدخل المحدود أو تلك التي تهم المناطق الجنوبية مثل برنامج العودة وبرنامج الوحدة. ويمكن تقييم تدخل الدولة في مجال الإسكان ما بين 1976 و1996 دون احتساب التجزئات المتدرجة التجهيز إلى 6000 بقعة و4000 مسكن. وقد عرفت العيون لوحدها منذ 1996 إلى حدود 2000 إنجاز عدة مشاريع كبرى للسكن أهمها تجزئة الأمل على 80 هكتار وبرنامج العودة الذي شمل 10.000 وحدة تهم الأقاليم الجنوبية منها 6500 مسكن و3500 بقعة حقق منها في مدينة العيون بناء 3000 مسكن متطور، وتجزئة الوحدة على 250 هكتار وتشمل 9000 بقعة مجهزة قابلة للبناء. وقد صاحب هذه البرامج السكنية، إنجاز عدة مرافق إدارية واجتماعية جديدة شرق المدينة مما أدى إلى إعادة توزيع جديد للمرافق العمومية وإعادة الهيكلة المجالية للمدينة ساهم في تجاوز تمركزها في شمال المدينة ووسطها.

وقد شهدت المدينة مؤخرا دفعة قوية لنموها وتوسعها العمراني لم تعرفه من قبل ستساهم في مضاعفة حجمها المجالي وتغيير مورفلوجيتها العمرانية. وقد جسد هذا الجهد التنموي البرنامج الجديد للسكن والتعمير الذي تم الشروع في إنجازه سنة 2007. ويشمل هذا البرنامج تهيئة 1000 هكتار وبناء 24000 وحدة سكنية وإحداث منطقة للأنشطة الاقتصادية وعدة مرافق عامة مهيكلة وذلك وفق مشروعين كبيرين وهما مدينة الوفاق ومدينة 25 مارس مندمجين بينهما، ومتصلان بالعمليات المجاورة المنجزة بعد سنة 2000 وهي الوحدة والعودة والأمل والراحة. وسيجعل هذا البرنامج الجديد المجال المبني للمدينة يغطي أكثر من 70% من المساحة المشمولة بالمخطط التوجيهي للتهيئة العمرانية. كما سيرفع المجال الحضري للعيون إلى 110 كلم^2 بعد أن كانت مساحته لا تتعدى 50 هكتار قبل ثلاثة عقود.

ونظرا لقرب مركز فم الواد ومدينة المرسى (25 كلم عن مدينة العيون) وارتباطهما الوثيق بالعيون فلا يمكن التحدث عن التنمية العمرانية لهذه المدينة دون اعتبار الحركة العمرانية التي شهدها هذان المركزان واللذان يمكن اعتبارهما امتدادا مجاليا ووظيفيا لها. فمركز فم الواد يعتبر امتدادا ترفيهيا وسياحيا للعيون، بينما تشكل بلدية المرسى المركز الميناني للعيون والمجال الصناعي لها.

ولاشك أن مدينة من حجم حاضرة العيون، رغم ما توفره لساكنتها من خدمات وتتميز به من إيجابيات في وسط صحراوي صعب ستواجه كباقي المجالات الحضرية وخاصة المدن المتوسطة من الصنف الأعلى عددا من القضايا العمرانية التي تستدعي جهدا تخطيطيا وعملا متواصلا، ونذكر من الإشكالات العمرانية المطروحة على الخصوص :

- رهانات التزود بالماء الصالح للشرب في منطقة صحراوية جافة ؛
- إشكالية متطلبات التشغيل وتنظيم مناطق الأنشطة في ظل اقتصاد يرتكز على دعم الدولة ويفتقر إلى مؤهلات ذاتية متنوعة ؛
- إشكالية هيكلة مركز المدينة والرفع من مستوى جودة الإطار المبني وملاءمته للوسط البيئي السائد بالمنطقة ؛
- ظاهرة التقسيمات للبقع الأرضية وأثر ذلك على تفتيت البنية العقارية والمنظر العمراني للإطار المبني ؛
- المضاربة العقارية ذات الخاصيات المتميزة بمدينة العيون والتي تطرح إشكالية خلق سوق عقارية في ظل تدخل الدولة الأساسي في الإنعاش العقاري وغياب المبادرات الخاصة ؛

ويمكن استشفاف هدفين أساسيين في مجال تهيئة وتخطيط مدينة العيون من خلال البرامج السنوية لتدخل الوكالة الحضرية للعيون.

- يتمثل الأول في تحقيق الشروط اللازمة للتنمية المجالية والاقتصادية والاجتماعية للمدينة وذلك عبر تخطيط عقلاني يحسن استغلال الموارد والمؤهلات ويتجاوز مختلف العراقيل المرتبطة بوسط طبيعي صعب ويواكب العمليات السكنية الكبرى. وهو ما جسده المخطط التوجيهية للتهيئة العمرانية.
- ويتجلى الثاني في العمل على تحسين إطار حياة الساكنة من خلال تهيئة ورفع جودة الإطار المبني الموجود.

قبل التطرق إلى مضمون المخطط التوجيهي للتهيئة العمرانية الذي يغطي مدينة العيون والمرسى ومركز فم الواد لابد من الإشارة إلى تميز هذا المخطط على مستوى منهجية إعداده، لكونه شكل، على خلاف المسطرة المعمول بها في إعداد مثل هذه الوثائق، تجربة أولى على المستوى الوطني في سن أسلوب جديد يعتمد اللاتمركز وذلك بتكليف الوكالة الحضرية للعيون كمصلحة محلية بإعداده في إطار منهجية تشاركية تجمع مختلف المتدخلين المحليين المعنيين بما فيهم المجالس المنتخبة.

تتمحور توجهات المخطط التوجيهي للتهيئة العمرانية للعيون والعيون الشاطئ على توزيع الأدوار ما بين الوحدات العمرانية مختلف.

بالنسبة للعيون : تعزيز مكانة العيون كقطب إقليمي للجهة ولباقي الجهات الصحراوية وذلك بتقوية وظيفتها كمدينة خدماتية وإدارية دون إغفال العمل على تنمية الأنشطة الاقتصادية المواتية لها.

بالنسبة لبلدية المرسى : مدينة مينائية وصناعية مع الرفع من قدراتها السكنية واستغلال مؤهلاتها السياحية.

بالنسبة لمركز فم الواد : يمكن اعتباره كمتنفس سياحي ومجال ترفيهي لمدينة العيون ومركز إداري للجماعة القروية لفم الواد.

وقد انبنى المخطط في ما يخص تنمية مدينة العيون على التوجهات التالية :

- تعزيز الوظيفة الخدماتية والإدارية للمدينة باقتراح المرافق والتجهيزات اللازمة لذلك ؛

- تقوية البنية الاقتصادية للمدينة وإعطاء بعض الحلول لمتطلبات الشغل وذلك بفتح واقتراح ما يعادل 300 هكتار لاستيعاب الأنشطة الصناعية والاستثمارات المختلفة ؛

- ترتيب وتوزيع أقطاب المدينة وضبط شكل نموها ورفع جودة نسيجها المبني مع اعتبار خاصيتها البيئية ؛

- تفادي بعض الإكراهات الطبيعية وعقلنة استغلال واستعمال مؤهلات التجهيزات المتوفرة، وفي هذا السياق فقد تم اعتماد منحى التوسع المجالي الحالي.

لكل ذلك تعتبر التجربة الحضرية بجهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء، تجربة متفردة ورائدة وخبرة وطنية يمكن الاحتذاء بها على المستوى الوطني أو على المستوى العالم العربي خاصة بالمناطق القاحلة، نظرا لظروف نشأتها ونظرا للنتائج الإيجابية التي حققتها في مدة وجيزة وفي بيئة صحراوية صعبة طاردة للاستقرار. وتمثل مدينة العيون نموذجا حيا لهذه التجربة، يستشف من إيجابياتها والإشكالات العمرانية المطروحة بها عدة دروس في مجال التخطيط والتنمية العمرانية في المناطق الصحراوية وفيما يهم الأخذ بالخصوصيات المحلية الاجتماعية والاقتصادية والبيئية.

التقرير التشخيصي للمخطط التوجيهي للتهيئة العمرانية للعيون والعيون الشاطئ، مديرية التعمير، المملكة المغربية، 1996 ؛ *تقرير البحث التشخيصي لدراسة تصميم التهيئة لمدينة العيون، الوكالة الحضرية للعيون، المملكة المغربية*، 1999 ؛ *التقارير الأدبية* المقدم للمجلس الإداري للوكالة الحضرية للعيون، الوكالة الحضرية للعيون، المملكة المغربية ؛ *نبذة عن مدينة العيون*، تقرير للوكالة الحضرية للعيون، الوكالة الحضرية للعيون، المملكة المغربية، 1999 ؛ *السكن والتنمية بالأقاليم الجنوبية*، منشور لكتابة الدولة في الإسكان، وزارة إعداد التراب الوطني والبيئة والإسكان، المملكة المغربية، 2000 ؛ عمر الإدريسي، التجربة الحضرية بالأقاليم الجنوبية المغربية وآليات توجيه نموها، حالة مدينة العيون، *مجالات مغاربية*، العدد 3 - 4، خاص عن الأقاليم الصحراوية المغربية، يصدرها الاتحاد الجغرافي المغربي، الرباط، 2003 ؛ عثمان هناكا، تكاثر السكان، وتطور المدن، مقال في - *الصحراء الأطلنتية* : المجال والإنسان - منشورات وكالة الجنوب، الرباط، 2007 ؛ *تقرير عن البرنامج الجديد للسكن والتعمير الوكالة الحضرية للعيون*، 2008 ؛ *مجالات مغاربية*، مجلة يصدرها الإتحاد الجغرافي المغربي، عدد مزدوج 3 و4 خاص عن الأقاليم الصحراوية المغربية، الرباط، 2003.

عمر الإدريسي

التنمية الشاملة للأقاليم الصحراوية المسترجعة مؤشرات حول التطور السريع والاندماج العضوي في الوطن الأم، لقد استرجع المغرب الأقاليم الصحراوية سنة 1975 بعد المسيرة الخضراء المضفرة بمشاركة 350 ألف مغربي ومغربية تبعا للرأي الاستشاري الإيجابي لمحكمة العدل الدولية، التي أكدت على وجود روابط تاريخية للبيعة ما بين القبائل الصحراوية وملوك المغرب، وبعد الاتفاق الثلاثي المغربي - الإسباني - الموريتاني لمدريد القاضي باسترجاع المغرب لأقاليمه وبانسحاب القوات العسكرية الإسبانية من الصحراء. كما قام المغرب بضم الجزء الشمالي للأراضي الصحراوية المتاخمة لموريتانيا والذي كان قد سلمه لها في إطار الاتفاق الثلاثي المذكور بعد تخلي هذه الأخيرة عنه على إثر الانقلاب العسكري الذي دعمته الجزائر، علما بأن المغرب كان دائما يعتبر هذه الأراضي جزء لا يتجزأ من أراضيه الصحراوية.

ومنذ استرجاعها، عرفت هذه الأقاليم تنمية شاملة ومتسارعة نظرا للمجهودات الاستثمارية الضخمة التي حظيت بها سواء من طرف الدولة والمؤسسات العمومية أو من لدن مختلف الجماعات الترابية وكذا القطاع الخاص الوطني والأجنبي. ونظرا لطبيعة ولحجم المجهودات الإنمائية المبذولة بهذه الأقاليم المسترجعة والتي يصعب الإحاطة بشتى جوانبها، فإننا نقترح التطرق إلى موضوع التنمية الشاملة للأقاليم الصحراوية المسترجعة مع التركيز على مؤشرات دالة تترجم تطورها السريع وإندماجها العضوي في الوطن الأم. وستهم هذه المؤشرات على الخصوص التنظيم الإداري، والتطور الديمغرافي والمساهمة في الناتج الداخلي الإجمالي وفي نفقات استهلاك الأسر، بالإضافة إلى العناية بالرأسمال البشري وبالتنمية البشرية ومحاربة الفقر والهشاشة. كما سنتطرق لبعض المؤشرات تتعلق بالاستثمارات العمومية وبتحسن معدل النشاط الاقتصادي وبتراجع نسبة البطالة وكذا بارتفاع نسبة الأسر المالكة لمنازلها ونسب الولوج إلى التجهيزات الأساسية المنزلية والتجهيزات الاجتماعية والثقافية والرياضية.

ومما لا شك فيه أن التنمية الشاملة والمندمجة للأقاليم الصحراوية المسترجعة ستتعزز وتتقوى أكثر مستقبلا من خلال التدبير الديمقراطي والتشاركي واللامركزي من لدن سكان هذه الأقاليم لشؤونها سواء من خلال مشروع الجهوية المتقدمة الذي أقره دستور فاتح يوليوز 2011 أو من خلال المبادرة المغربية لتخويل حكم ذاتي لهذه الأقاليم، وذلك في احترام تام لوحدة الوطن والدولة والتراب.

1 - التنظيم الإداري للأقاليم الجنوبية

منذ استرجاعها، حظيت الأقاليم الصحراوية المغربية التي تبلغ مساحتها 416.474 كلم مربع (58,6% من التراب الوطني) بمجهود وطني كبير للاستثمار مكن من تسريع تنميتها واندماجها في الوطن الأم، بحيث تم خلق عدة عمالات في هذه الأراضي الجنوبية تم إدماجها، على إثر التقطيع الجهوي لسنة 1997، في إطار ثلاث جهات كبيرة، وهي : جهة واد الذهب - لكويرة (إقليمي واد الذهب، أوسرد)، وجهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء (أقاليم العيون، بوجدور وطرفاية) وجهة كلميم – السمارة (أقاليم كلميم، طاطا، أسا الزگ، السمارة ، طنطان).

وبالإضافة إلى المجالس الإقليمية العشرة، فإن الجهات الجنوبية الثلاثة تحتوي على 70 جماعة قروية و17 جماعة حضرية و 19 دائرة. وقد برزت عدة مدن في الصحراء المغربية في إطار أقطاب حضرية كبيرة مرتكزة على تجهيزات طرقية وموانئ ومطارات وشبكات للماء الصالح للشرب (بما فيها تحلية مياه البحر) والتطهير والكهرباء وكذا تجهيزات سوسيو- تربوية وثقافية وصحية ورياضية. كما تم إنجاز عدة

برامج لإعادة إيواء السكان وذلك في إطار تحسين ظروف عيش سكان ومحاربة المدن الصفيحية والسكن غير اللائق.

ويتمتع سكان الأقاليم الصحراوية بأثمان مدعمة للمواد الاستهلاكية الأولية والخدمات الأساسية التي توفرها الدولة التي تقدم مساعدات متنوعة وتشجيعات وتسهيلات بالنسبة للموظفين المدنيين والعسكريين الذين يزاولون مهامهم بهذه الأقاليم.

(أنظر جدول 1)

2 - التطور الديمغرافي للأقاليم الجنوبية

وقد انتقل سكان الأقاليم الصحراوية المسترجعة من 599.000 نسمة إلى 817.000 نسمة ما بين 1994 و2004، وإلى 978.000 نسمة سنة 2009، وهو ما يمثل على التوالي 2,29 % و2,74 % و3,09 % من سكان المغرب، مسجلين بذلك زيادة سنوية متوسطة بنسبة 2,6% خلال الفترة 1982-1994 وبنسبة 3,2% خلال الفترة 1994 - 2004. وتبين نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2004 أن 12,1% من سكان الأقاليم الجنوبية البالغين 5 سنوات فأكثر كانوا يقيمون في جهات أخرى قبل سنة 1999، مقابل معدل 4,4% المسجـل على المستوى الوطني. وتبقى نسبة هذه الهجرة الداخلية متفاوتة من جهة لأخرى، بحيث بلغت 20,5% بجهة وادي الذهب - الـگويرة و14,9% بجهة العيون - بوجدور- الساقية الحمراء و9,1% بجهة گلميم - السمارة، مقارنة مع 5,8% بجهة الدارالبيضاء الكبرى و6,1% بجهة الرباط - سلا – زمور - زعير .

وقد انتقلت نسبة التمدن بالأقاليم الجنوبية المسترجعة من 69 % سنة 1999 إلى 71,6% سنة 2004 ثم إلى 72,5% سنة 2009، مقارنة مع نسب 51,5% و55% و57,3% المسجلة على المستوى الوطني. وتبين هذه النسب التحول العميق الذي عرفه سكان الأقاليم الجنوبية الذي أصبحوا يعيشون بالحواضر بحوالي 73%، مقابل 23% بالقرى سنة 2009. وتعبر هذه الدينامية الحضرية عن التحول النوعي في مستوى العيش وفي أنماط الحياة وكذا في طبيعة الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي يُـزاولها السكان.

(أنظر جدول 2)

وقد حظيت الأقاليم الصحراوية المسترجعة سنة 1975 باستثمارات هائلة سواء من خلال ميزانية القطاعات الوزارية أو المؤسسات العمومية أو مختلف الجماعات الترابية وكذا القطاع الخاص الوطني والأجنبي، علاوة على استثمارات وكالة التنمية الاقتصادية والاجتماعية للأقاليم الجنوبية المحدثة سنة 2002 كمؤسسة عمومية. وقد مكنت هذه الاستثمارات المختلفة من الرفع من مستويات المؤشرات الأساسية التي أصبحت تتجاوز في أغلب الأحيان المعدل الوطني، سواء فيما يخص التنمية الاقتصادية والاجتماعية أو التنمية البشرية وكذا في مجال تحسين الولوج للخدمات الاجتماعية الأساسية ومحاربة الفقر والهشاشة.

3 - مساهمة الجهات الجنوبية في الناتج الداخلي الإجمالي وفي نفقات استهلاك الأسر

فعلى مستوى التنمية الاقتصادية وخلق الثروات الوطنية وبناء على المعطيات المتوفرة، انتقلت مساهمة الجهات الجنوبية في الناتج الداخلي الإجمالي من 16.668 مليون درهم إلى 28.944 مليون درهم ما بين 2004 و2009، وهو ما يشكل على التوالي 3,3% و 4 %.

وعلى مستوى مساهمة الجهات الجنوبية مجتمعة في نفقـات الاستهلاك النهائـي للأسـر، فقد انتقلت من 9.158 مليون درهم إلى 15.942 مليون درهم ما بين 2004 و2010، أي ما يمثل 3,2% و3,8% على التوالي من المجموع الوطني.

(أنظر جدول 3)

وبمعدل سنوي لنمو ناتجها الداخلي بلغ 11,7 % خلال هذه الفترة، مقابل 7,72% المسجلة على المستوى الوطني، تمكنت الجهات الجنوبية من احتلال المرتبة الثالثة من حيث وتيرة النمو السنوية المتوسطة، وأن تكون من بين الجهات الثمانية التي عرفت تحسنا في مساهمتها النسبية. وبالنسبة لنفقات الاستهلاك النهائي للأسر لهذه الجهات، فقد تزايدت بمعدل سنوي للنمو بلـغ 9,2% خلال هذه الفتـرة، مقابـل 7,0% المسجلة على المستوى الوطني، محتلة المرتبة الثالثة من حيث سرعة وتيرة النمو على الصعيد الوطني.

(أنظر جدول 4)

وقد عرفت *بنية القيمة المضافة حسب الأنشطة الاقتصادية* بالجهات الجنوبية تزايدا ملحوظا لحصة الفلاحة والصيد البحري التي انتقلت من 15,6% إلى 18,2%، وتزايدا طفيفا من 10,2% إلى 10,9% بالنسبة للصناعة والمعادن والطاقة ومن 6,2% إلى 7,3% بالنسبة للبناء والأشغـال العمومية، مقابـل هيمنـة قطاع الخدمات رغم تراجـع مساهمته من 68% إلى 63,5%، خلال الفترة 2004 - 2009.

(أنظر جدول 5)

كما تحسنت مساهمة الجهات الجنوبية في كل الأنشطة الاقتصادية على المستوى الوطني ما بين 2004 و2009، مسجلة زيادة 1,4 نقطـة مائوية في قطاع الفلاحة والصيد البحري، و0,6 نقطة مائوية في قطاع الصناعة والمعادن والطاقة ونقطة مائوية واحدة في قطاع البناء والأشغال العمومية و0,6 نقطة مائوية في قطاع الخدمات.

(أنظر جدول 6)

كما عرفت الزيادة السنوية المتوسطة لكل الأنشطة الاقتصادية بالجهات الجنوبية معدلات جد مرتفعة بحيث بلغت ضعف النسب المسجلة على المستوى الوطني فيما يخص تطور قطاع الفلاحة والصيد البحري (15,2% مقابل 7,6%)، وقطاع الصناعة والمعادن والطاقـة (13,2% مقابل 6,9 %)، وحوالي 1,5 مرة بالنسبة لقطاعي

البناء والأشغال العمومية (15,4% مقابل 9,7%) والخدمات (10,1% مقابل 7,4%).

(أنظر جدول 7)

كما انتقل الناتج الداخلي الإجمالي الفردي في هذه الأقاليم من 20.379 درهم إلى 34.263 درهم والمعدل السنوي لنفقات الاستهلاك النهائي الأسري الفردي من 11.196 درهم إلى 16.445 درهم ما بين 2004 و2010، وهي معدلات تتجاوز بكثير المعدلات المسجلة على المستوى الوطني والتي بلغت على التوالي 16.895 درهم و23.953 درهم بالنسبة للمؤشر الأول، و9.655 درهم و13.719 درهم بالنسبة للمؤشر الثاني خلال نفس الفترة، كما يتبين ذلك من الجدول التالي :

(أنظر جدول 8)

وقد عرف هذان المؤشران تطورا ملحوظا خلال الفترة 2004-2010 حيث سجل الناتج الداخلي الجهوي الفردي للجهات الصحراوية تطورا بنسبة 8,6% سنويا، مقابل معدل وطني بلغ 5,8%. كما بلغت نسبة زيادة نفقات الاستهلاك الجهوي الفردي لجهات الجنوب مجتمعة 6,4 % كنسبة سنوية متوسطة، والتي فاقت نسبة المعدل المسجل على المستوى الوطني (5,9%) وهو ما جعل هذه الجهة تحتل المرتبة الثالثة على التوالي بالنسبة لتطور إنتاجها واستهلاكها كجهة متميزة بتطورها المرتفع ، كما يتجلى ذلك من الجدول التالي :

(أنظر جدول 9)

وعلاوة على المساهمة في خلق الثروة الوطنية وفي الاستهلاك النهائي الأسري، مكنت الاستثمارات العمومية التي أنجزت في الجهات الجنوبية في مجالات التعليم والصحة والتجهيزات الأساسية وكذا البنيات التحتية من طرق ومطارات وموانئ، من الإسهام في تحسين رفاهية السكان والرفع من مستواهم في ميدان التنمية البشرية وكذا في مجال تخفيض نسبة الفقر.

وفي هذا الصدد، عرفت المؤشرات المرتبطة بالتطهير والولوج إلى الماء الصالح للشرب والكهربة والصحة وكذا التربية والتجهيزات الخاصة بالنقل والمواصلات (5 مطارات و5 موانئ) تحسنا مضطردا خلال الخمسة والثلاثين سنة الأخيرة، وكلها مؤشرات تترجم الاندماج القوي للجهات الصحراوية المسترجعة في الوطني الأم على مستوى التنمية الاقتصادية والتنمية البشرية وكذا على مستوى المشاركة الديمقراطية والتعددية للأحزاب السياسية في تدبير الشؤون الجهوية والمحلية.

4 - تكوين الرأسمال البشري وتربيته ورعايته

فيما يخص تكوين الرأسمال البشري وتربيته ورعايته، تجدر الإشارة إلى أن نسبة الأمية التي كانت تقارب المعدل الوطني سنة 1982 وتهم حوالي 63% من مجموع السكان البالغين 10 سنوات فأكثر بالأقاليم الجنوبية، قد انخفضت بشكل كبير لتصل إلى 39% سنة 2004، وهو انخفاض ملحوظ قدره 24 نقطة مائوية مقارنة مع 21,8 نقطة مائوية المسجلة على المستوى الوطني خلال الفترة 1982-2004. وهذا التراجع يترجم بشكل غير مباشر المجهودات التي بذلتها الدولة على مستوى التعليم والتمدرس ومحاربة الأمية.

(أنظر جدول 10)

وعلى مستوى التربية والتعليم، يتعين التذكير بأن نسبة التمدرس الصافية بالجهات الصحراوية قدرت في حوالي 80 % خلال سنة 2009 بالنسبة للسلك الابتدائي (6 - 11 سنة، مقابل معدل وطني بلغ 94%)، و52% بالنسبة للتعليم الثانوي الإعدادي (12 -14 سنة، مقابل معدل وطني بلغ 48%) و28% بالنسبة للتعليم الثانوي التأهيلي (15-17 سنة، مقارنة مع معدل وطني بلغ 24,3 %) (*أنظر تقرير اللجنة الاستشارية للجهوية*. الكتاب الثالث دراسة حول الجهوية والتنمية الاقتصادية والاجتماعية دجنبر 2010).

(أنظر جدول 11)

وخلال العشرية 1999-2010، تضاعفت أعداد المسجلين بالتكوين المهني بالجهات الجنوبية 1,5 مرة بالنسبة للتخصص، و1,7 مرة بالنسبة للتأهيل و 2,2 مرة بالنسبة للتقني و10 مرات بالنسبة للتقني المتخصص، وبمرتين بالنسبة لمجموع التكوينات، مقابل 81 مرة و1,8 مرة و1,5 مرة و5 مرات على المستوى الوطني.

(أنظر جدول 12)

وفيما يخص القطاع الصحي، ونظرا للتزايد المستمر الحاصل على مستوى التجهيزات الصحية وكذا تشييد المتشفيات والمستوصفات وتكوين الأطر الطبية والأطباء، فقد حظيت الأقاليم الجنوبية بنصيبها من التأطير الطبي إذ عرف مستوى الكثافة الطبية تحسنا فانتقل عدد السكان لكل طبيب من معدل 3162 فردا سنة 1994 إلى 3269 فردا سنة 2011، مقابل معدل وطني بلغ على التوالي 2953 فردا و1633 فردا خلال نفس الفترة. بيد أن هذا المعدل المسجل على مستوى الأقاليم الجنوبية يبقى غير متجانس من جهة إلى أخرى، حيث بلغ خلال سنة 2011 مستوى 2238 فرد لكل طبيب بجهة العيون-بوجدور- الساقية الحمراء و2738 فرد بجهة گلميم-السمارة و4833 فرد لكل طبيب بجهة واد الذهب-الـگويرة، كما يتبين دلك من الجدول التالي :

(أنظر جدول 13)

وقد ساهمت التغطية الصحية في توفير خدمات مكنت من تحسين الوضع الصحي لسكان الأقاليم الجنوبية يترجمه تحسن أمل الحياة عند الولادة الذي بلغ 73,5 سنة خلال سنة 2009، وهو مستوى يقترب من المعدل المسجل على المستوى الوطني، والذي قدره 8 ,74 سنة.

وقد كان للمجهودات المبذولة على مستوى تحسين مستوى المعيشة (الناتج الداخلي الإجمالي الفردي) ومستوى التربية والتعليم وكذا على مستوى العناية بصحة الأم والطفل وبمحاربة الأمراض الفتاكة، الأثر

الحميد على تطور مؤشر التنمية البشرية للأقاليم الجنوبية المسترجعة.

5 - التنمية البشرية بالأقاليم الصحراوية : مؤشرات مرتفعة تترجم الاندماج القوي في الوطن الأم

لقد تم تقدير مستوى مؤشر التنمية البشرية في الأقاليم الجنوبية للمملكة المغربية في حدود 0,729 سنة 2006، وهي نسبة جد مرتفعة مقارنة مع نسبة 0,672 المسجلة على المستوى الوطني. ويتضح من الجدول 14 أن كل المتغيرات التي تدخل في احتساب هذا المؤشر تبقى مرتفعة بالنسبة للأقاليم الجنوبية مقارنة مع المستوى الوطني، وهي على التوالي نسبة التمدرس للبالغين 6- 22 سنة ونسبة التعليم لدى الكبار وأمل الحياة عند الولادة والناتج الداخلي الإجمالي الفردي بتعادل القدرة الشرائية.

(أنظر جدول 14)

ويجب التذكير بأن مؤشر التنمية البشرية الذي كان لا يتعدى 0,408 عند استرجاع المغرب لأقاليمه الجنوبية سنة 1975، وهي نسبة أقل من تلك المسجلة على المستوى الوطني التي بلغت 0,435، قد انتقل إلى 0,519 سنة 1985 ثم إلى 0,598 سنة 1995، وإلى 0,729 سنة 2006، متجاوزا بذلك المعدل المسجل على المستوى الوطني منذ بداية التسعينات.

وهكذا عرف مؤشر التنمية البشرية بالأقاليم الجنوبية المسترجعة نسبة زيادة سنوية متوسطة بلغت 2,47% خلال الفترة 1975-1980 و2,45% خلال الفترة 1980-1990 و1% خلال الفترة 1990-2000 و2,1% خلال الفترة 2000-2006، وهي نسب جد مرتفعة مقارنة مع تلك المسجلة على المستوى الوطني والتي بلغت على التوالي 2,12% و1,32% و1,07% و1,37 %، كما يتبين ذلك من الجدول التالي :

(أنظر جدول 15)

6 - بعض المؤشرات حول الاستثمارات العمومية بالأقاليم الجنوبية

إن الترابط الجدلي القائم ما بين التنمية الاقتصادية والتنمية البشرية والمجهودات الاستثمارية التي بذلتها الدولة قائم كذلك فيما يخص الاستثمارات التي تضطلع بها الجماعات المحلية بمختلف أصنافها (الجماعات الحضرية والجماعات القروية، والعمالات والأقاليم والجهات منذ 1997 بناء على القانون 96/47 المنظم للجهات)، وذلك في إطار مخططات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وعلى سبيل المثال بلغت استثمارات الجماعات المحلية خلال المخطط 2000-2004 ما يناهز 7.349 مليون درهم للاستثمارات في طور الإنجاز و26.002 مليون درهم بالنسبة للاستثمارات الجديدة للغلاف الأدنى للمخطط.

(أنظر جدول 16)

وهكذا بلغت حصة الجهات الصحراوية ما يعادل 3,15% من الاستثمارات في طور الإنجاز، و4,24% من الاستثمارات الجديدة للغلاف الأدنى، وهو ما يشكل غلافا ماليا بلغ 1.333.197 درهم من مجموع استثمارات الجماعات المحلية الذي ناهز 33.352.180 درهم، أي ما يمثل 4% من المجهود الاستثماري الوطني للجماعات المحلية خلال الفترة 2000-2004.

وتجدر الإشارة إلى أن استثمارات الجماعات المحلية بالأقاليم الصحراوية المسترجعة خلال الفترة 2000-2004 قد همت مشاريع في قطاعات حيوية بالنسبة للسكان مثل التهييئات الجماعية والتجهيزات المتخصصة والطرق والإنارة العمومية وتوزيع الماء والكهرباء والبنايات الإدارية والتجهيزات الاجتماعية والتطهير الصلب والسائل والطرق الثانوية وكذا النقل الحضري والتجهيزات التربوية والتكوينية.

وقد تواترت هذه المجهودات المبذولة منذ استرجاع الأقاليم الصحراوية واندماجها في الوطن الأم، بحيث حظيت هذه الأقاليم بخلق وزارة سنة 1977 تعنى بالشؤون الصحراوية لتسريع تنميتها الشاملة.

وفي نفس السياق، تم إحداث وكالة لإنعاش وتنمية الأقاليم الجنوبية سنة 2002 للدفع بعجلة التنمية بهذه الأقاليم. وفي هذا الصدد، بلغ البرنامج الاستثماري لهذه الوكالة 7,2 مليار درهم خلال الفترة 2004- 2008 خصص لإنجاز 226 مشروعا موزعا على 7 محاور للتنمية همت تشجيع التشغيل والرفع من القدرة الشرائية ومحاربة السكن غير اللائق وتعميم الاستفادة من الخدمات الأساسية والتجهيزات الجماعية. وتم تمويل هذا البرنامج من طرف الوكالة (16%)، والوزارات (35 %) والمؤسسات العمومية (30%) والجماعات المحلية (16%). وخلال سنتي 2009-2010، بلغت توقعات الاستثمار 650 مليون درهم و1,2 مليار درهم على التوالي.

وخلال الفترة 2009- 2011، عرفت ميزانية الدولة المخصصة للجهات الجنوبية تزايدا مطّردا بالنسبة لنفقات الاستثمار ونفقات المعدات ونفقات مختلفة بحيث بلغت نفقات الدولة المخصصة للاستثمار بهذه الجهات الصحراوية مبلغ 403,08 مليون درهم سنة 2009 و516,3 مليون درهم سنة 2011، كما يتجلى ذلك من الجدول أسفله.

وقد همت هذه الاستثمارات بالخصوص القطاعات الوزارية كالتربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والصحة والأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة والسكنى والتعمير وإعداد المجال، والمالية والاقتصاد، والفلاحة والسياحة والشباب والرياضة وكذا الصناعة والتجارة والمياه والغابات.

(أنظر جدول 17)

ويتعين التذكير بأن وزارة المالية لم تشرع إلا منذ سنة 2009 في توزيع الميزانية حسب الجهات بالنسبة لنفقات الاستثمار ونفقات المعدات، دون النفقات الأخرى، سواء منها المشتركة أو تلك المخصصة لتسديد الدين إلخ... ومن المرتقب أن تعرف الميزانية تقديما حسب الجهات، مواكبة لمسلسل الجهوية المتقدمة الذي اعتمده المغرب منذ دستور 2011.

وفيما يخص استثمارات المؤسسات العمومية على المستوى الجهوي، فقد انتقلت من 30.348 مليون درهم إلى 67.656 مليون درهم ما بين 2004 و2009، بحيث تضاعفت بأكثر من مرتين، مع تركزها في خمس أو ست جهات وازنة من حيث حجمها الديمغرافي، علما أن حصة الجهات الجنوبية قد انتقلت من 2,5% إلى 5,3% من المجموع الوطني، بحيث تضاعفت بأكثر من مرتين خلال نفس الفترة كما يتبين ذلك من الجدول التالي :

(أنظر جدول 18)

أما بالنسبة للجماعات الترابية، فقد انتقلت مداخيلها الاستثمارية من 12.479.970 درهم سنة 2004 إلى 22.565.813 درهم سنة 2009 على المستوى الوطني. وقد سجلت مداخيل الاستثمار لمجموع الجماعات الترابية بالأقاليم الجنوبية المسترجعة تحسنا كبيرا منتقلة من 541,921 مليون درهم سنة 2004 إلى 1.164,421 مليون درهم سنة 2009 أي ما يشكل تزايدا قدره 215% خلال هذه الفترة الممتدة من 2004 إلى 2009.

7 - تحسن في معدل النشاط وتراجع في نسبة البطالة بالأقاليم الجنوبية

وقد ساهمت المجهودات المبذولة على مستوى الاستثمارات العمومية أو الخاصة في تحريك عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الأقاليم الصحراوية المسترجعة وفي الرفع من مستوى معدل النشاط لدى السكان النشيطين البالغين 15 سنة فما فوق ومن التخفيض من مستوى البطالة.

(أنظر جدول 19)

عرف معدل النشاط لدى السكان البالغين 15 سنة فما فوق بالأقاليم الصحراوية تزايدا مطّردا حيث انتقل من حوالي 33% خلال الفترة 1982-1994، إلى 42% خلال 2004-2010، وهي مستويات مرتفعة نسبيا مقارنة مع الجهات الأخرى، غير أنها تبقى أقل من مستوى المعدلات الوطنية.

ونظرا للتركيبة العمرية الشابة وللحجم الديمغرافي لهذه الأقاليم، فإن نسبة البطالة للسكان البالغين 15 سنة فأكثر تبقى مرتفعة نسبيا، وتتجاوز المعدلات المسجلة على المستوى الوطني، رغم المنحى التنازلي الذي عرفته منذ 1994، حيث انتقلت من حوالي 20% إلى 15,2% سنة 2011، مقارنة مع نسبة 16% و8,9% المسجلة على المستوى الوطني. وهذا يتطلب مجهودات على مستوى ملاءمة العرض والطلب، وتوسيع الأنشطة الاقتصادية وتنويعها وتشجيع الاستثمارات وكذا المبادرات الفردية والجماعية للدفع بعجلة التنمية إلى الأمام.

8 - التراجع الكبير لمعضلة الفقر بالأقاليم الجنوبية تترجمها النسب المنخفضة للفقر وللهشاشة

بالموازاة مع التحسن المطرد المسجل على مستوى مؤشر التنمية البشرية، مكنت المجهودات المبذولة في مجال الفقر والهشاشة وتحسين ظروف عيش السكان من التقليص المتواتر لنسبة الفقر بالأقاليم الجنوبية المسترجعة.

وهكذا عرفت نسبة الفقر بهذه الأقاليم الجنوبية تراجعا إجماليا ب 66% ما بين 1994 و2004. وقد تواصل هذا المنحى التنازلي خلال الفترة 2004-2007 نتيجة لتكثيف المجهودات العمومية في ميدان محاربة الفقر وتسريع التنمية البشرية، خاصة مع إعطاء الانطلاقة للمبادرة الوطنية للتنمية البشرية في ماي 2005 بغلاف مالي بلغ 10 ملايير درهم خلال الفترة 2006- 2010. بحيث سجلت نسبة الفقر انخفاضا خلال الفترة 2004- 2007 بنسبة 65,9 % بجهة العيون- بوجدور- الساقية الحمراء (من 6,3 % إلى 2,2 %)، و26,3 % بجهة گلميم السمارة (من 13,1 % إلى 9,7 %) و 7,7% بجهة واد الذهب- الـگويرة (من 2,8% إلى 2,6 %).

(أنظر جدول 20)

ويتجلى من الجدول أن نسبة الفقر تراجعت بشكل كبير بالأقاليم الصحراوية المسترجعة، بحيث انخفضت بحوالي 20 نقطة مائوية (ما يعادل الثلثين) ما بين 1985 و1994، وب 4,2 نقطة مائوية ما بين 1994و2007 (أي ما يعادل الخمسين)، مقارنة مع المنحى التنازلي الذي عرفته نسبة الفقر على المستوى الوطني والذي بلغ ناقص 21,4% ما بين 1985و1994 وناقص 45% ما بين 1994 و2007. ونظرا للمجهودات المبذولة على جميع المستويات وتضافر جهود كل المتدخلين ، فقد تراجعت نسبة الفقر بخمس مرات ما بين 1985 و2007، مقارنة مع تراجع بمرتين على المستوى الوطني، علما أن هذه النسبة بقيت أقل بكثير في الأقاليم الصحراوية المسترجعة مقارنة مع المعدل الوطني منذ 1994، حيث انتقلت من 10,7% (مقابل 16,5% وطنيا) إلى 9,1% سنة 1999 (مقابل 16,2% وطنيا) ثم إلى 9% سنة 2001 (مقابل 15,3 على المستوى الوطني) وإلى 6,5% سنة 2007 (مقابل 9% وطنيا).

(أنظر جدول 21)

إن نسبة الهشاشة بالجهات الصحراوية المسترجعة تبقى في أدنى مستوى مقارنة مع كل جهات المملكة ودون المعدل المسجل على المستوى الوطني، بحيث قدرت هذه النسبة في 14% سنة 1985 وفي 16,3% سنة 2001 وفي 16,1% سنة 2007 (مقارنة مع 24,1% و22,8٪ و 17,5٪ المسجلة على المستوى الوطني).

(أنظر جدول 22)

لقد سجل مؤشر الفوارق (GINI) تراجعا مطّردا إذ انتقل من 43% إلى 41% ما بين 1985 و1999، ثم من 39% إلى 34,1% ما بين 2001 و2007، مقارنة مع المعدل المسجل على المستوى الوطني الذي بلغ على التوالي 39,7% و39,5% ثم 40,6% و40,7% خلال الفترتين المذكورتين.

9 - تطور نسبة امتلاك السكن والولوج إلى التجهيزات المنزلية والاجتماعية والثقافية والرياضية

كما عرفت نسبة امتلاك السكن من طرف الأسر لمنازلها تحسنا مطردا تراوح ما بين 42,8% بجهة واد الذهب - الگويرة، و38% بجهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء 61,5 % بجهة گلميم - السمارة خلال سنة 2004. وسجل نفس التحسن على مستوى نسب الولوج إلى التجهيزات الأساسية المنزلية من ماء صالح *للشرب* وكهرباء خلال الفترة الممتدة ما بين 1982-2004 وهي مستويات تتميز بارتفاعها الواضح مقارنة مع النسب المسجلة على المستوى الوطني، كما يتبين ذلك من الجدول التالي :

(أنظر جدول 23)

وعرفت أنشطة البناء تحسنا متزايدا خلال الفترة 2003 - 2009 حيث انتقلت رخص البناء المسلمة بالجماعات الحضرية للأقاليم الجنوبية من 3338 رخصة إلى 4339 رخصة على التوالي وهو ما يمثل نسبة 7,04% و8,7% من المجموع الوطني، أي بزيادة 1,64% نقطة مائوية وهو ما يوازي زيادة في عدد غرف السكنى الذي انتقل من 18.776 وحدة إلى 25.755 وحدة خلال نفس الفترة، وهو ما يمثل نسبة 5,4% و8,17% مقارنة مع المجموع الوطني، كما يتبين ذلك من الجدول التالي :

(أنظر جدول 24)

وعلى مستوى التجهيزات الاجتماعية والثقافية، فقد بلغت على سبيل المثال دور النساء 22 وحدة سنة 2009 بالأقاليم الصحراوية المسترجعة يقوم بتأطيرها 122 إطارا لصالح 20.000 مستفيدا، وهو ما يشكل 7,5%، و14,2% و9% على التوالي من المجموع الوطني. كما بلغت دور الشباب 39 وحدة خلال سنة 2009، يرتادها 489.863 مستفيدا ومستفيدة، وهو ما يشكل على التوالي 8,36% و8,9% من المجموع الوطني.

وبالنسبة للتجهيزات الرياضية المقامة بالجهات الصحراوية المسترجعة، فقد بلغت خلال سنة 2009، 71 ملعبا لكرة القدم و46 ملعبا لكرة السلة و58 ملعبا لكرة اليد و31 ملعبا لكرة الطائرة، بالإضافة إلى 6 قاعات رياضية.

وعلى العموم، يتبين من أهم المؤشرات التي تم التطرق إليها أن الأقاليم الصحراوية المسترجعة عرفت تنمية متسارعة ومندمجة على كل المستويات، بحيث أن هذه الأقاليم تتبوأ الصدارة في عدة مجالات مقارنة مع المعدلات المسجلة على المستوى الوطني. وحتى يتسنى استثمار واستغلال مؤهلات هذه الأقاليم سواء على مستوى الصيد البحري وتحويل الخيرات البحرية، وكذا على مستوى السياحة أو الطاقات المتجددة خاصة الشمسية والريحية، يتعين متابعة المجهودات الاستثمارية لكل من الدولة والجماعات المحلية والمؤسسات العمومية وكذا القطاع الخاص للدفع بهذه الأقاليم إلى الأمام حتى تتمكن من توسيع وتنويع وتطوير أنشطتها لضمان عيش كريم لسكان هذه الأقاليم، ومن تعميق اندماجهم في الوطن الأم وذلك في إطار تقوية الوحدة الوطنية والترابية للمملكة.

الجدول 1 : التنظيم الإداري للأقاليم الجنوبية المسترجعة حسب الجهات

الجهة (العمالة أو الإقليم)	عدد الجماعات			عدد الدوائر
	الحضرية	القروية	المجموع	
جهة وادي الذهب - الگويرة	2	11	13	4
أوسرد	1	5	6	2
وادي الذهب	1	6	7	2
جهة العيون- بوجدور- الساقية الحمراء	4	10	14	4
بوجدور	1	3	4	1
العيون	2	3	5	1
طرفاية	1	4	5	2
جهة گلميم - السمارة	11	49	60	11
أسا - الزاگ	2	5	7	2
السمارة	1	5	6	1
گلميم	2	18	20	3
طانطان	2	5	7	2
طاطا	4	16	20	3
مجموع الأقاليم الجنوبية	17	70	87	19
المجموع الوطني	221	1282	1503	174

المصدر : وزارة الداخلية. المرسوم الصادر بالجريدة الرسمية 5744 بتاريخ 18 / 06 / 2009.

الجدول 2 : تطور عدد سكان الجهات الصحراوية حسب وسط الإقامة (بالآلاف)

الجهـة	1994			2004			فاتح يوليوز 2011		
	حضري	قروي	المجموع	حضري	قروي	المجموع	حضري	قروي	المجموع
واد الذهب - الـكويرة	35	2	37	62	37	99	104	67	172
لعيون- بوجدور- الساقية الحمراء	165	11	176	236	20	256	292	24	316
گلميم - السمـارة	216	168	386	287	175	462	337	172	510
مجموع الأقاليم الجنوبية	416	181	599	585	232	817	734	264	998
المجمـوع الوطنــي	13.430	12.644	26.074	16.464	13.428	29.892	18.802	13.443	32.245

المصـدر : المندوبيـة السـامية للتخطيط . الإحصـاء العـام للسـكان والسـكنى 1994و 2004 ؛ وإسقاطات السكان لفاتح يوليوز 2009 و2011 لمركز الدراسـات والأبحاث الديمغرافية.

الجدول 3 : تطور الناتج الداخلي الإجمالي الجهوي ونفقات الاستهلاك النهائي للأسر حسب الجهات بمليون درهم

الجهات	الناتج الداخلي الإجمالي الجهوي				نفقات الاستهلاك النهائي للأسر حسب الجهات			
	2004		2010		2004		2010	
	المبلغ	%	المبلغ	%	المبلغ	%	المبلغ	%
الجهات الجنوبية	16 668	3,3	33216	4,3	9 158	3,2	15942	3,8
سوس – ماسة- درعة	41 318	8,2	58567	7,7	26 453	9,2	38185	8,7
الغرب- شراردة- بني حسن	22 942	4,5	31152	4,1	13 105	4,5	19045	4,4
الشاوية- ورديغة	26 459	5,2	57270	7,5	13 445	4,7	20485	4,7
مراكش- تانسيفت - الحوز	37 531	7,4	67886	8,9	25 299	8,8	43481	9,9
الشرق	26 824	5,3	39089	5,1	17 293	6,0	27714	6,3
الدار البيضاء الكبرى	119 864	23,7	147067	19,2	50 281	17,4	66846	15,3
الرباط – سلا- زمور- زعير	62 062	12,3	96140	12,6	30 564	10,6	48304	11,0
دكالة - عبدة	32 000	6,3	51663	6,8	15 006	5,2	21759	5,0
تادلة - أزيلال	16 226	3,2	21702	2,8	11 718	4,1	16082	3,7
مكناس - تافيلالت	26 642	5,3	41972	5,5	17 770	6,2	26676	6,1
فاس بولمان	21 833	4,3	33279	4,4	15 458	5,4	24033	5,5
تازة – الحسيمة - تاونات	16 439	3,3	04523	3,0	14 369	5,0	19814	4,5
طنجة - تطوان	37 777	7,5	75260	8,0	28 682	9,9	49173	11,2
الجيوب خارج الحدود	428	0,1	321 2	0,2				
المجموع	505 014	100	732 449	100	288602	100	437547	100

المصدر : المندوبية السامية للتخطيط . 2010 و 2012 . الحسابات الجهوية : الناتج الداخلي الإجمالي ونفقات استهلاك الأسـر 2007 و 2010.

الجدول 4 : تطور الناتج الداخلي الإجمالي الجهوي ونفقات الاستهلاك النهائي للأسر حسب الجهات (%)

الجهـات	التوزيع النسبي%		الزيادة السنوية المتوسطة%	التوزيع النسبي %		الزيادة السنوية المتوسطة %
	2004	2010		2004	2010	
الجهات الجنوبية	3,3	4,3	11,5	3,2	3,8	9,2
سوس- ماسة- درعة	8,2	7,7	5,8	9,2	8,7	6,1
الغرب- الشراردة- بني حسن	4,5	4,1	5,0	4,5	4,4	6,2
الشاوية - ورديغة	5,2	7,5	12,9	4,7	4,7	7,0
مراكش- تانسيفت- الحوز	7,4	8,9	9,9	8,8	9,9	9,0
الجهة الشرقية	5,3	5,1	6,3	6,0	6,3	7,9
الدارالبيضاء الكبرى	23,7	19,2	3,4	17,4	15,3	4,7
الرباط - سلا- زمور- زعير	12,3	12,6	7,3	10,6	11,0	7,6
دكالة- عبدة	6,3	6,8	8,0	5,2	5,0	6,2
تادلة- أزيلال	3,2	2,8	4,8	4,1	3,7	5,3
مكناس - تافيلالت	5,3	5,5	7,6	6,2	6,1	6,8
فـاس - بولمان	4,3	4,4	7,0	5,4	5,5	7,4
تازة - الحسيمة - تاونات	3,3	3,0	5,6	5,0	4,5	5,4
طنجـة- تطوان	7,5	8,0	7,9	9,9	11,2	9,0
المجمـوع	100	100	6,3	100	100	7,0

المصدر : المندوبية السامية للتخطيط 2010و2012 . الحسابات الجهوية : الناتج الداخلي الإجمالي الجهوي ونفقات استهلاك الأسر 2007 و2010.

الجدول 5 : بنية القيمة المضافة للجهات حسب الأنشطة الاقتصادية (%)

	الفلاحة والصيد البحري		الصناعة والمعادن والطاقة		البناء والأشغال العمومية		الخدمات		المجموع	
	2004	2009	2004	2009	2004	2009	2004	2009	2004	2009
الجهات الجنوبية	15,6	18,2	10,2	10,9	6,2	7,3	68,0	63,5	100	100

المصدر : المندوبية السامية للتخطيط. 2010 و 2012 .الحسابات الجهوية : الناتج الداخلي الإجمالي ونفقات استهلاك الأسر 2007 و2009.

الجدول 6 : المساهمة الجهوية في الأنشطة الاقتصادية (ب %)

	الفلاحة والصيد البحري		الصناعة والمعادن والطاقة		البناء والأشغال العمومية		الخدمات	
	2004	2009	2004	2009	2004	2009	2004	2009
الجهات الجنوبية	3,4	4,8	1,6	2,2	3,5	4,5	4,4	5,0
المجمـوع	100	100	100	100	100	100	100	100

المصدر : المندوبية السامية للتخطيط. 2010 و 2012 .الحسابات الجهوية :الناتج الداخلي الإجمالي ونفقات استهلاك الأسر 2007 و2009.

الجدول 7 : تطور القيمة المضافة للجهات حسب الأنشطة الاقتصادية 2004-2009 (بمليون الدرهم)

	الفلاحة والصيد البحري			الصناعة والمعادن والطاقة			البناء والأشغال العمومية			الخدمـات		
	2004	2009	الزيادة المئوية المتوسطة	2004	2009	الزيادة المئوية المتوسطة	2004	2009	الزيادة المئوية المتوسطة	2004	2009	الزيادة المئوية المتوسطة
الجهات الجنوبية	2510	5092	15,2	1636	3046	13,2	1002	2049	14,4	10.945	17.744	10,1
المجموع	74.134	107.052	7,6	100.749	140.966	6,9	28.822	45.77	9,7	250.148	358.117	7,4

المصدر : المندوبية السامية للتخطيط. 2010 و 2012 .الحسابات الجهوية :الناتج الداخلي الإجمالي ونفقات استهلاك الأسر 2007 و2009.

الجدول 8 : تطور الناتج الداخلي الإجمالي الجهوي الفردي ونفقات الاستهلاك النهائي الأسري الفردي حسب الجهات بالدرهم.

الجهات	الناتج الداخلي الإجمالي الجهوي الفردي		نفقات الاستهلاك النهائي الأسري الفردي	
	2004	2010	2004	2010
الجهات الجنوبية	20 379	34263	11 196	16445
سوس - ماسة - درعة	13 270	17015	8 496	11094
الغرب - شراردة - بين حسن	12 338	15001	7 047	9175
الشاوية - ورديغة	15 981	33309	8 121	11914
مراكش - تانسيفت الحوز	12 096	20677	8 154	13244
الشـــرق	13 984	19644	9 016	13928
الدار البيضاء الكبرى	33 011	38016	13 848	17279
الرباط - سلا - زمور - زعير	26 225	37256	12 915	18718
دكالة - عبـدة	16 129	25051	7 563	10551
تادلة - أزيـلال	11 186	14464	8 078	10719
مكناس - تافيلالت	12 441	19088	8 298	12132
فاس - بولمان	13 880	19357	9 827	13979
تازة - الحسيمة - تاونات	9 097	12414	7 952	10673
طنجة - تطوان	15 292	23124	11 610	18716
المجموع	16 895	23955	9655	13719

المصدر : المندوبية السامية للتخطيط. 2010 و2012. الحسابات الجهوية : الناتج الداخلي الإجمالي ونفقات استهلاك الأسر 2007 و2010.

الجدول 9 : تطور الناتج الداخلي الإجمالي الجهوي الفردي (1) ونفقات الاستهلاك النهائي الأسري الفردي (2)

الجهـات	الزيادة السنوية المتوسطة 2004 / 2010 %	
	(1)	(2)
الجهات الجنوبية	**8,6**	**6,4**
سوس- ماسة- درعة	4,1	4,4
الغرب- الشراردة- بني حسن	3,3	4,4
الشاوية - ورديغة	12,3	4,4
مراكش - تانسيفت- الحوز	9,0	8,2
الجهة الشرقية	5,7	7,2
الدار البيضاء الكبرى	2,4	3,7
الرباط - سلا - زمور - زعير	6,0	6,2
دكالة- عبدة	7,3	5,5
تادلة- أزيلال	4,3	4,7
مكناس - تافيلالت	7,1	6,3
فاس - بولمان	5,5	5,9
تازة - الحسيمة - تاونات	5,2	4,9
طنجة - تطوان	6,9	8,0
المجمـوع	5,8	5,9

المصدر : المندوبية السامية للتخطيط. 2010 و 2012 .الحسابات الجهوية : الناتج الداخلي الإجمالي ونفقات استهلاك الأسر 2007 و2010.

الجدول 10 : تطور نسبة الأمية لدى السكان البالغين 10 سنوات فأكثر (%)

الجهـــات	1982	1994	2004
وادي الذهب - الـگويرة	مجموع الجهات الصحراوية (62,7)	مجموع الجهات الصحراوية(39,8)	39,0
العيـون - بوجدور- الساقية الحمراء			29,7
گلميم- السمارة			40,2
المعـدل الوطنـي	64,8	54,7	43,0

المصدر : المندوبية السامية للتخطيط. الإحصاء العام للسكان والسكنـى 1982 ؛ 1994 و 2004، والبحث الوطني حول مستوى معيشة الأسر 2007/2006

الجدول 11 : نسب التمدرس بالسلك الابتدائي والثانوي - نسبة التمدرس بالسلك الابتدائي 6 - 11 سنة (%)

الجهـات	2001-2000	2005-2004
وادي الذهب- الـگويرة	93,1	99,2
العيون - بوجدور - الساقية الحمراء	83,8	95,8
گلميم - السمـارة	89,0	87,9
المستوى الوطني	84,6	92,9

- نسبة التمدرس بالثانوي الإعدادي 12 - 14 سنة (%)

الجهـات	2001-2000	2005-2004
وادي الذهب- الـگويرة	61,0	84,4
العيون - بوجدور- الساقية الحمراء	82,0	82,5
گلميم - السمـارة	70,5	81,5
المستوى الوطني	60,6	70,6

- نسبة التمدرس بالثانوي التأهيلي 15-17 سنة (%)

الجهـات	2001-2000	2005-2004
وادي الذهب - الـگويرة	67,8	77,9
العيون- بوجدور- الساقية الحمراء	55,7	68,8
گلميم- السمـارة	47,2	63,8
المستوى الوطني	37,2	44,3

المصدر : تقرير حول التنمية البشرية في الأقاليم الجنوبية للمملكة المغربية : الحصيلة والآفاق. غشت 2008.

الجدول 12 : تطور عدد المسجلين في التكوين المهني حسب المستوى والجهة

الجهات	التخصص		التأهيل		التقني		التقني المتخصص		المجموع	
	1999/98	2011/10	1999/98	2011/10	1999/98	2011/10	1999/98	2011/10	1999/98	2011/10
واد الذهب-الكويرة	175	150	112	192	42	188	-	140	21	570
العيون- بوجدور -الساقية الحمراء	319	547	652	732	512	1525	81	1236	1564	4040
كلميم - السمارة	538	460	1038	1310	336	1680	-	579	1942	4092
مجموع الجهات الجنوبية	1.032	1.057	1.802	2234	890	3393	81	1955	3327	8639
المجموع الوطني	878	38.810	50.998	65.801	41.717	95.746	6.718	75.869	1.442	272.226

المصدر : المندوبية السامية للتخطيط. المؤشرات الاجتماعية للمغرب لسنتي 1999 و2010.

الجدول 13 : مؤشرات حول تطور قطاع الصحة بالأقاليم الجنوبية

الجهـات	مؤسسات العلاجات الطبية الأساسية		عدد الأطباء		الكثافة الطبية (عدد السكان لكل طبيب)	
	1994	2011	1994	2011	1994	2011
وادي الذهب- الكويرة	3	13	15	45	2450	4833
العيون - بوجدور - الساقية الحمراء	11	28	67	146	2440	2238
كلميم - السمارة	72	100	47	190	4596	2738
مجموع الجهات الجنوبية	86	141	129	381	3162	3269
المستوى الوطني	1772	2698	8814	19.745	2950	1633

المصدر : وزارة الصحة، المندوبية السامية للتخطيط المؤشرات الاجتماعية للمغرب سنة 1999 و2010.

الجدول 14 : مؤشر التنمية البشرية بالجهات الصحراوية خلال 2006

المتغيرات	الجهات الجنوبية	مجموع المغرب
نسبة التمدرس للبالغين 6- 22 سنة %	77,5	61,3
نسبة التعليم لدى الكبار %	59,1	53,8
أمل الحياة عند الولادة بالسنوات	73,0	72,2
الناتج الداخلي الإجمالي الفردي بتعادل القدرة الشرائية	0,733	0,667
مؤشر التنمية البشرية	0,729	0,672

المصدر : المندوبية السامية للتخطيط: معالم إحصائية عدد 118. 2007.
- التنمية البشرية في الأقاليم الجنوبية للمملكة المغربية: الحصيلة والآفاق. السيد إيمانويل ديريك دوكسترلي، لصالح وكالة الإنعاش والتنمية الاقتصادية والاجتماعية للأقاليم الجنوبية للمملكة. غشت 2008.

الجدول 15 : نسبة الزيادة السنوية المتوسطة في مؤشر التنمية البشرية للأقاليم الجنوبية ما بين 1975 و 2006(%)

الفترة الزمنية	1980-1975	1990-1980	2000-1990	2006-2000
مجموع المغرب	2,12	1,32	1,07	1,37
مجموع الأقاليم الجنوبية	2,47	2,45	1,00	2,01

المصدر : التقرير حول التنمية البشرية في الأقاليم الجنوبية للمملكة المغربية : الحصيلة والآفاق. غشت 2008. وكالة الإنعاش والتنمية الاقتصادية والاجتماعية للأقاليم الجنوبية للمملكة.

الجدول 16 : توزيع استثمارات الجماعات المحلية حسب الجهات خلال الفترة 2000-2004

الجهـات	الاستثمارات في طور الإنجاز		الاستثمارات الجديدة للغلاف الأدنى	
	المجموع	%	المجموع	%
وادي الذهب - الـگويرة	7.703.225	0,10	62.913.695	0,24
العيون - بوجدور - الساقية الحمراء	104.794.124	1,43	161.546.352	0,62
گـلميم- ا السمارة	119.243.296	1,62	877.996.330	3,38
سوس- ماسة- درعة	325.215.684	4,42	2.482.094.920	9,55
الغرب – الشراردة - بني حسن	498.878.482	6,78	1.696.005.671	6,52
الشاوية- ورديغة	579.863.530	7,89	1.304.187.393	5,02
مراكش- تانسيفت الحوز	835.498.981	11,36	2.505.583.191	9,64
الجهة الشرقية	724.601.752	9,85	1.472.094.480	5,66
الدار البيضاء الكبرى	1.255.095.237	17,07	2.861.105.091	11,00
الرباط- سلا- زمور- زعير	609.852.954	8,29	4.596.867.756	17,68
دكالة- عبدة	553.714.107	7,53	1.346.670.513	5,18
تادلة- أزيلال	150.104.737	2,04	667.193.444	2,57
مكناس- تافيلالت	339.450.516	4,62	1.279.606.359	4,92
فاس- بولمان	216.568.245	2,95	1.359.693.769	5,23
تازة- الحسيمة- تاونات	542.974.939	7,38	891.713.990	3,43
طنجة- تطوان	490.134.240	6,67	2.437.630.637	9,37
المجمـــوع	7.349.279.650	100	26.002.903.591	100,0

المصدر : وزارة التوقعات الاقتصادية والتخطيط. مخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية 2000-2004. الجزء الخاص بالتنمية الجهوية وبرامج الجماعات المحلية.

الجدول 17 : توزيع ميزانية الدولة حسب الجهات خلال 2009 و2011

الجهات	نفقات الاستثمار			نفقات المعدات ونفقات مختلفة		
	2009	2010	2011	2009	2010	2011
واد الذهب الـگويرة	72.080.304	152.857.161	109.860.652	21.550.500	29.123.400	27.863.060
العيون-بوجدور-الساقية الحمراء	189.760.828	182.765.930	144.189.198	44.502.380	60.606.920	63.387.214
گلميم السمارة	141.238.633	138.090.948	262.249.791	84.085.300	119.657.600	125.245.000
سوس-ماسة-درعة	590.976.084	1.003.481.345	1.047.646.818	288.965.666	527.608.934	603.818.312
الغرب-الشراردة-بني حسن	482.429.812	565.168.054	755.647.891	133.684180	236.196.871	245.001.311
الشاوية ورديغة	246.945.636	249.868.165	388.439.171	152.357.883	261.425.098	286.099.868
مراكش-تانسيفت-الحور	907.146.352	1.999.201.169	1.593.459.159	492.112.093	693.561.283	730.504.463
الجهة الشرقيـة	606.655.062	788.608.019	1.009.176.519	227.653.856	392.233.403	393.875.594
الدالر البيضاء الكبرى	186.213.212	438.380.715	444.827.436	594.820.965	824.573.643	822.041.660
الرباط-سلا- مور- زعير	620.534.525	950.942.561	909.836.597	947.069.765	1.158.218.163	1.155.001.924
دكالة عبدة	571.616.510	709.962.303	775.380.504	157.790.676	259.538.476	291.337.086
تـادلة أزيـلال	238.467.254	321.333.842	460.741.230	132.401.965	247.688.904	250.473.724
مكنـاس- تافيلالت	598.872.993	913.759.927	1.033.028.896	251.321.084	426.165.037	448.679.591
فـاس- بولمـان	321.740.808	617.345.469	759.076.705	441.228.677	607.317.063	612.940.970
تازة-الحسيمة-تاونات	282.015.392	400.317.721	689.555.145	148.165.560	260.200.560	282.239.537
طنجـة تطـوان	1.375.884.373	1.679.266.686	1.395.046.229	235.867.648	393.249.401	413.236.530
المجمـوع	7.432.577.778			4.353.578.198		

المصدر : وزارة المـالية. توزيع ميزانية الدولة حسب الجهات. قوانين المالية 2009 و 2010 و2011.

الجدول 18 : التوزيع الجهوي لاستثمارات المؤسسات العمومية خلال 2004-2009 (مليون درهم)

الجهــة	2004 المبلغ	2004 %	2005 المبلغ	2005 %	2006 المبلغ	2006 %	2007 المبلغ	2007 %	2008 المبلغ	2008 %	2009 المبلغ	2009 %
واد الذهب - الـكويرة	74	0,2	48	0,1	54	0,1	44	0,1	442	0,7	342	0,5
العيون-بوجدور-الساقية الحمراء	567	1,9	379	1,2	361	0,9	609	1,2	1417	2,1	2432	3,6
كلميم - السمارة	125	0,4	33	0,1	162	0,4	299	0,6	1623	2,5	832	1,2
سوس - ماسة- درعة	2423	8,0	1692	5,2	2498	6,1	3684	7,5	4394	6,6	4573	6,8
الغرب الشراردة- بني حسن	1078	3,6	313	1,0	1107	2,7	1093	2,2	1133	1,7	1587	2,3
الشاوية – ورديغة	2650	8,7	2329	7,2	1673	4,1	2810	5,7	4594	6,9	4488	6,6
مراكش - تانسيفت- الحوز	1676	5,5	2055	6,4	5767	14,1	5939	12,0	6291	9,5	7148	10,6
الجهة الشرقية	1158	3,8	831	2,3	2936	7,2	2158	4,4	4765	7,2	7248	10,7
الدارالبيضاء الكبرى	4144	13,7	7908	24,5	6198	15,2	7199	14,6	9422	14,2	9132	13,5
الرباط-سلا-زمور-زعير	9213	30,4	8909	27,6	6674	16,3	12.929	26,1	13.944	21	13.132	19,4
دكالة -عبدة	922	3,0	1820	5,6	3525	8,6	1228	2,5	3633	5,5	3056	4,5
تادلة أزيلال	773	2,5	145	0,4	440	1,1	762	1,5	779	1,2	992	1,5
مكناس- تافيلالت	1439	4,7	980	3,0	1424	3,5	1749	3,5	1970	3,0	2182	3,2
فاس-بولمان	755	2,5	985	3,1	923	2,3	1151	2,3	1440	2,2	2197	3,2
تازة-الحسيمة-تاونات	442	1,5	111	0,3	435	1,1	808	1,6	1070	1,6	2602	3,8
طنجة – تطوان	2906	9,6	3728	11,6	6719	16,4	6989	14,1	9527	14,3	5712	84
	30.348	100,0	32.266	100,0	40.898	100,0	49.451	100,0	66.450	100,0	67.656	100,0

المصدر : وزارة المالية. مشروع قانون المالية سنة 2009 وسنة 2010 وتقارير حول ميزانية المؤسسات العمومية.

الجدول 19 : معدل النشاط والبطالة حسب الجهات بالنسبة للسكان البالغين 15 سنة فأكثر 1982 -2010

لجهـات	معــدل النشـــاط (%)				معــدل البطالــة (%)			
	1982	1994	2004	2011	1982	1994	2004	2011
وادي الذهب ـ الـكويرة	42,2	43,8			6,8	14,7		
العيون - بوجدور الساقية الحمراء	37,0	33,6	42,2	41,8	7,2	24,9	20,9	15,2
كلميم- السمارة	22,7	24,6			11,3	19,4		
المستوى الوطني	29,6	32,2	52,4	49,6	10,7	16,0	11,4	9,8

المصدر : المندوبية السامية للتخطيط. الإحصاء العام للسكان والسكنى 1982، 1994، 2004، والبحث الوطني حول التشغيل 2011.

الجدول 20 : نسبة الفقر (%) حسب الجهات

الجهات	1985	*1994	1999	2001	*2004	*2007
- جهـات الجنـوب	29.4	10,7	9,1	9,0	6,5	6,5
- سوس-ماسة-درعة	32.3	16,2	13,5	20,6	12,5	12,5
- الغرب- الشراردة- بني حسن	12.6	22,7	25,6	24,8	15,6	15,6
- الشاوية- ورديغة	22.3	11,8	8,0	14,8	7,6	7,6
-مراكش- تانسيفت- الحوز	24.9	20,1	23,2	20,1	11,2	11,2
-الجهة الشرقية	21.8	14,6	15,1	18,2	10,1	10,1
-الدارالبيضاء الكبرى	8.8	4,0	2,7	2,2	3,2	3,2
-الربا- سلا- زمور- زعير	14.4	11,1	9,4	8,1	5,1	5,1
- دكالة - عبدة	17.6	17,8	15,0	16,8	14,3	14,3
- تادلة- أزيلال	20.7	17,3	17,0	11,4	9,3	9,3
-مكنـاس- تافيلالت	25.3	24,1	23,7	25,7	12,5	12,5
- فاس - بولمان	20.3	27,2	26,6	15,0	9,5	9,5
- تازة- الحسيمة – تاونات	19.5	19,2	25,5	14,6	10,7	10,7
- طنجة - تطوان	22.3	19,2	17,1	12,8	7,4	7,4
المعدل الوطنـي	21,0	16,5	16,2	15,3	14,2	9,0

المصدر : المندوبية السامية للتخطيط : البحوث حول استهلاك ونفقات الأسر 1984/85 و 2000/01 ؛ والبحث الوطني حول مستوى معيشة الأسـر 1998/99.(*) تقديرات حسب منهجية خرائطية الفقر مطبقة على إحصائي السكان والسكنى 1994 و 2004 مع مزاوجتهما مع البحوث حول استهلاك ونفقات الأسر 01 / 2000 وحول مستوى معيشة الأسر 1998/99 و07 / 2006. ودينامية الفقر لدى الأسر. دفاتر التخطيط. رقم 26، 2009.

الجدول 21 : نسبة الهشاشة (%) حسب الجهات

الجهات	1985	*1994	1999	2001	*2004	*2007
جهات الجنوب	14,0	15,8	11,1	16,3	11,6	16,1
سوس – ماسة - درعة	27,2	21,6	22,4	23,0	18,3	19,4
الغرب- الشراردة - بني حسن	30,2	25,5	26,5	26,2	22,9	26,7
الشاوية - ورديغة	27,3	25,4	26,9	24,5	17,5	17,4
مراكش – تانسيفت - الحوز	27,5	25,7	27,0	29,4	23,1	21,6
الجهة الشرقية	22,7	20,2	23,7	27,4	19,6	15,0
الدار البيضاء الكبرى	17,3	16,3	15,0	10,7	8,0	10,1
الرباط- سلا- زمور- زعير	17,5	18,3	17,7	16,0	12,1	13,8
دكالة - عبدة	29,6	29,1	28,9	27,7	23,4	24,6
تادلة - أزيلال	26,1	28,0	30,0	26,9	19,9	18,3
مكناس- تافيلالت	21,9	23,4	30,1	24,9	19,2	21,6
فاس- بولمان	23,6	23,7	23,1	24,5	18,1	19,5
تازة- الحسيمة - تاونات	23,7	25,5	27,2	25,2	15,9	19,9
طنجة - تطوان	25,4	22,6	23,9	20,2	16,0	13,1
المعدل الوطني	24,1	22,8	23,9	22,8	17,3	17,5

المصدر : المندوبية السامية للتخطيط : البحوث حول استهلاك ونفقات الأسر 1984/85 و2000/01 ؛ والبحث الوطني حول مستوى معيشة الأسر 1998/99

(*) تقديرات حسب منهجية خرائطية الفقر مطبقة على إحصائي السكان والسكنى 1994 و 2004 مع مزاوجتهما مع البحث حول استهلاك ونفقات الأسر 2000/01 والبحث الوطني حول مستوى معيشة السكان 1998/99.

الجدول 22 : مؤشر الفوارق (GINI) حسب الجهات

الجهات	1985	1999	2001	2007
جهات الجنوب	0,430	0,410	0,390	0,341
سوس - ماسة - درعة	0,410	0,380	0,420	0,398
العرب - الشراردة - بني حسن	0,370	0,410	0,370	0,375
الشاوية - ورديغة	0,360	0,330	0,340	0,304
مراكش - تانسيفت - الحوز	0,370	0,410	0,350	0,420
الجهة الشرقية	0,390	0,340	0,370	0,368
الدار البيضاء الكبرى	0,400	0,380	0,420	0,379
الرباط - سلا - زمور - زعير	0,430	0,390	0,390	0,461
دكالة - عبدة	0,350	0,340	0,370	0,401
تادلة - أزيلال	0,320	0,370	0,360	0,333
مكناس - تافيلالت	0,380	0,400	0,410	0,383
فاس - بولمان	0,420	0,400	0,370	0,396
تازة - الحسيمة - تاونات	0,320	0,400	0,360	0,329
طنجة - تطوان	0,380	0,350	0,370	0,471
المعدل الوطني	0,397	0,395	0,406	0,407

المصدر : المندوبية السامية للتخطيط. كلما اقترب مؤشر GINI من الصفر هنالك مساواة تامة، وكلما اتجه نحو واحد فهذا يعني اتساع الفوارق.

الجدول 23 : تطور نسبة امتلاك السكن والولوج إلى التجهيزات الأساسية المنزلية (1982-2004)

الجهات	الأسر المالكة للسكن (%)	الولوج إلى الماء الصالح للشرب (%)			الولوج إلى الكهرباء (%)			التوفر على مرحاض منزلي (%)		
	2004	1982	1994	2004	1982	1994	2004	1982	1994	2004
وادي الذهب - الگويرة	42,8	0,8	57,4	59,1	58,0	61,8	77,1	64,0	70,3	89,0
العيون - بوجدور الساقية الحمراء	38,0	4,7	27,7	63,5	73,0	83,5	91,8	75,3	79,0	92,5
گلميم- السمارة	61,5	5,4	30,9	73,5	24,3	56,5	81,9	35,6	65,1	87,0
المجموع الوطني	65,1	30,5	44,1	57,5	37,1	50,2	71,6	50,1	66,0	81,5

المصدر : المندوبية السامية للتخطيط. الإحصاء العام للسكان والسكنى 1982 و 1994و 2004.

الجدول 24 : تطور عدد رخص البناء المسلمة بالجماعات الحضرية(2003-2009)

الجهات	عدد الرخص		عدد غرف السكنى	
	2003	2009	2003	2009
وادي الذهب - الگويرة	493	1599	1976	9852
العيون - بوجدور - الساقية الحمراء	1228	936	8845	8039
گلميم- السمارة	1617	1804	7955	7864
مجموع الجهات	3338	4339	18.776	25.755
المجموع الوطني	47.378	49.886	347.179	315.100

المصدر : المندوبية السامية للتخطيط. *النشرة الإحصائية السنوية للمغرب.*

مراجع انتقائية
- المندوبية السامية للتخطيط :
- *النشرة الإحصائية السنوية للمغرب ؛ مغرب الجهات 2008،2005،2001* ؛ الإحصاء العام للسكان والسكنى 1994 و2004 ؛ *إسقاطات السكان لفاتح يوليوز 2011*، مركز *الدراسات والأبحاث الديمغرافية ؛ المغرب في أرقام 2011 ؛ المؤشرات الاجتماعية للمغرب 1999،2009،2010 ؛ مخطط التنمية 2000-2004. الجزء المتعلق بالتنمية الجهوية ؛ الحسابات الجهوية ونفقات الاستهلاك النهائي للأسر حسب الجهات 2007 و2010 ؛ البحثان الوطنيان حول استهلاك ونفقات الأسر 1984/85 و2000/01 ؛ والبحثان الوطنيان حول مستوى معيشة الأسر 1998/99 و 2006-2007 ؛ دينامية الفقر لدى الأسر. دفاتر التخطيط. رقم 26، 2009.*
- *تقرير اللجنة الاستشارية للجهوية. الكتاب الثالث دراسة حول الجهوية والتنمية الاقتصادية والاجتماعية 2010 ؛*
- *وزارة المالية : قوانين المالية لسنوات 2009 و2010 و2011 توزيع ميزانية الدولة حسب الجهات ؛ وتقارير حول ميزانية المؤسسات العمومية.*
- *وزارة الداخلية :*
- التنظيم الإداري للمملكة. المرسوم الصادر *بالجريدة الرسمية عدد 5747 بتاريخ* 2009/06/18 ؛
المديرية العامة للجماعات المحلية معطيات حول ميزانية ومالية الجماعات المحلية 2004-2009.
- *وكالة الإنعاش والتنمية الاقتصادية والاجتماعية للأقاليم الجنوبية :*
- البرنامج الاستثماري خلال الفترة 2004-2008 ؛ *تقرير حول التنمية البشرية في الأقاليم الجنوبية للمملكة المغربية : الحصيلة والآفاق،*
- *تقرير منجز من طرف السيد إيمانويل ديريك دوكسترلي غشت 2008.*

امحمد الزرولي

التوبالي (مولاي -) **أحمد** بن سيدي **محمد** بن الخضير، ولد بقبيلة مستي في آيت بعمران، سنة 1930، وترعرع في بيت علم وجاه فقد كان والده القاضي الشرعي بآيت باعمران الذي رفض عملية التجنيس التي وضعها الاستعمار الاسباني بالمنطقة. كما ينتمي لأسرة مقاومة وجهاد، فعمه سيدي سالم شارك في معركة أيگالفن ضد الاستعمار الفرنسي حيث قتل حيدة أمايس سنة 1915، كما أن عمه الآخر سيدي لحسن بن سيدي الخضير كان من شهداء المعارك التي قادها الضابط لاموط Lamothe على منطقة تزنيت سنة 1917. درس مولاي أحمد القرآن في البداية على يد والده، ثم انتقل إلى المدرسة العتيقة بسيدي محمد بن داوود بآيت باعمران حيث أخذ العلم على يد الفقيه سيدي محمد العبدلاوي، ثم درس في المسجد العتيق بآيت بوبكر وبمدرسة سيدي علي بن سعيد بالأخصاص وبمدرسة الجامع الكبير بتزنيت لينتقل بعد ذلك إلى جامع ابن يوسف بمراكش حيث درس على يد الشيخ مولاي الصديق العربي والشيخ الفقيه البصري. وفي سنة 1947 انخرط في حزب الزعيم عبد الخالق الطريس وبعدها انضم إلى حزب الاستقلال حيث كان والده كاتبا عاماً للحزب بآيت بعمران، كما انضم لحركة الكشفية الاستقلالية حيث كان من الطلبة الذين حملوا السلاح للمقاومة وحارب الأمية بين صفوف رجالها. وبعد استقلال المغرب، التحق مولاي أحمد بمدرسة يحيى الليلي بالطرفاية حيث بدأ التدريس وكان أول معلم صحراوي بالمنطقة. وسيقضي أربعين سنة في التعليم بكل من الطرفاية والطنطان

والعيون. كما ساهم هذا المقاوم في تنظيم المسيرة الخضراء انطلاقا من مدينة أگادير بتسجيل المتطوعين وكتابة الشعارات وضبط اللوجستيك. وقد انضم إلى "جبهة التحرير والوحدة" لاسترجاع الصحراء، ناهيك عن مشاركته في عملية "تحديد الهوية" بصفة شاهد ومؤطر. وقد حصل على أوسمة وطنية عديدة.

للراحل مجموعة كتابات أدبية وقصائد شعرية وطنية وقومية، كما كانت له مشاركات في العديد من التظاهرات وحصل على جوائز.

توفي مولاي أحمد في يوم الأحد 23 دجنبر 2007 فووري جثمانه الثرى بالمقبرة العائلية ببلدة الدورة شمال عيون الساقية الحمراء.

عبد الله كيكر، *معركة إيگالفن ونهاية حيدة بن مايس*، أگادير، 2010 ؛ *تحريات ميدانية* بمدينة العيون، شتاء، 2011 ؛ *خزانة وثائق عائلة أهل الليلي*، كنانيش عيسى الليلي، مدينة العيون.

محمد دحمان

توزيع القبائل الصحراوية ووظائفها الاجتماعية، تنقسم القبائل الصحراوية التي تقطن منطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب إلى ثلاث مجموعات وذلك تبعا للوظيفة الاجتماعية التي يقوم بها أفرادها داخل النسيج الاجتماعي العام.

المجموعة الأولى ويُطلق عليها اسم القبائل المحاربة. وذلك بسبب قوتها وبأسها أمام باقي القبائل الصحراوية. ويتميز أبناؤها بحبهم الشديد لحمل السلاح والتنقل بين مختلف المناطق الصحراوية. وبسبب هذه القوة الحربية كان أفراد هذه القبائل يحصلون على كل ما يحتاجون إليه من مواد غذائية. وتمكنوا من فرض بعض الضرائب على القبائل الصغيرة التي كانوا يوفرون لها الحماية اللازمة في حالة تعرضها لغزو من طرف القبائل الأخرى. ومن أشهر قبائل هذه المجموعة قبائل الرگـيبات، أولاد دليم، أولاد بوسبع، العروسيين، إزرگـيين وآيت لحسن.

أما قبائل المجموعة الثانية والتي تسمى قبائل الزوايا، وذلك بسبب اشتغال أبنائها بالعلم والدين وابتعادهم عن حمل السلاح، فقد كانت سندا قويا للقبائل المحاربة لأنها تكفلت بتهذيب أخلاق أبناء المحاربين وتلقينهم مبادئ الدين الإسلامي وضرورة حفظ القرآن الكريم، بالإضافة إلى تحميسهم للدفاع عن أراضيهم ضد الغزو الأجنبي، ومن أهم فصائل قبائل الزوايا، نذكر أهل الشيخ ماء العينين، وأهل بارك الله وقبيلة فيلالة التي انتقل أفرادها من بلاد تافيلالت واستقروا في الساقية الحمراء منذ عدّة قرون، بالإضافة إلى قبيلة توبَّـالْتْ.

والمجموعة الثالثة ويطلق عليها اسم القبائل الصغرى. وذلك بسبب عدم قدرة أبنائهـا على الدفـاع عن أنفسهم واكتفائهم بدفع ضريبة سنوية تُسمّى الـحُرمة للقبائل المحاربة لتوفير الحماية لهم والدفاع عن مصالحهم ومجالهم الترابي، ومن بين قبائل هذه المجموعة أولاد تيـدرارين، لـقّيكات، لـمْيَارْ، إمراغن والشناكلـة.

أما فيما يخص مجال تنقل كل قبيلة على حدة، فنجد على رأس قبائل وادي الذهب، قبيلة أولاد دليم، التي تنتشر خيامها على طول السواحل وكان أبناؤها خلال القرن التاسع عشر مسلحين بأسلحة عصرية حصلوا عليها من خلال مبادلاتهم التجارية مع بعض صيادي جزر الكناريـاس. وهي تتكون من خمسة فخدات : أولاد تكدّي، لوديگـات، السراغنة، أولاد لخليفة، أولاد باعمَّار. ونظرا لطابع الترحال الذي ألفه أولاد دليم فقد كانت لهم علاقات مع مختلف القبائل التي تقطن المناطق الواقعة بين شبه جزيرة أرگين في الجنوب ومصب وادي الساقية الحمراء في الشمال. وكان أبناؤها يتوغلون كذلك في المناطق الداخلية التي تبعد عن الساحل بمسافة مائة كيلومتر. وبسبب قوّة شكيمتها فقد كان أولاد دليم يوفرون الحماية الكافية لقبيلتي الشناكلة وأمراغن أثناء ترددهم على السواحل لممارسة الصيد البحري. وكانوا يفرضون كذلك بعض الضرائب على القوافل التجارية التي تضطر لاجتياز مجالهم الترابي قصد الوصول إلى أسواق وادي نون، كما هو الحال بالنسبة لقبائل مدينة ولاتة. ونظرا لقوتهم الحربيّة ومعرفتهم بشعاب الصحراء فقد أوكل إليهم المخزن المركزي مسؤولية الدفاع عن سواحل البلاد الجنوبية. وعيّن من بين شيوخهم وأعيانهم قوادا وأمرهم بالتصدي لمحاولات الأجانب الطامعين في بناء مراكز تجارية في هذه السواحل لتسهيل عملية احتلالها عسكريا فيما بعد. ورغم الظروف الطبيعية القاسية والمتسمة بالجفاف وبقلة الأراضي الصالحة للزراعة فقد ظل أبناء قبيلة أولاد دليم متمسكين بأرضهم. وذلك بسبب توفرها على عدّة مزارات دينيّـة مقدسة مثل قبر سيدي منصور مزار فخدة لوديگـات، ومزار لفقيرْ لأولاد باعمّار ومزار سيدي الحفيظ، مزار كل أبناء أولاد دليم.

أما قبائل الرگـيبات القوة الضاربة في كل أنحاء الصحراء المغربية، فإنها تنتجع كل المناطق الواقعة بين وادي درعة في الشمال ونهر السنغال في الجنوب ومن المحيط الأطلسي في الغرب إلى حدود منطقة عرق الشاش في الشرق وينقسم إلى جدعين أساسيين هما :

رگـيبات الساحل ورگـيبات الشرق الذين يعرفون كذلك باسم لقواسم ويمتازون بالشجاعة وحبّهم الشديد لحمل السلاح. وكانوا يكرهون الاشتغال بالفلاحة لأنها حسب زعمهم تُـقلص من قوتهم ومن بأسهم.

ومن بين فخدات رگـيبات الساحل نذكر أولاد موسى والسواعد، وأولاد الشيخ وأولاد الطالب والتهالات، وأولاد داوود والمؤذنين. أما فخدات رگـيبات الشرق أو لقواسم فنجد فيهـا لبويهـات، أهـل ابراهيم وداوود، الفقرة، العْيَايْشـة.

وتمكنت قبائل الرگـيبات من فرض سيطرتها على كل قبائل الصحراء بعد انتصارها في حروب مريرة ضد أولاد بوسبـع وأولاد دليم وتجاكـانت، وأصبح أبنـاؤهـا

يلقبون بأسياد الصحراء. وكانوا ينتجعون مراعي بلاد شنقيط، ويتاجرون في أسواق گـليمين ومراكش وتندوف وآطار وبئر أم گـرين. وخاض أبناؤها معارك ضارية ضد الجيوش الفرنسية المرابطة سواء في الجنوب الجزائري أو في بلاد شنقيط، وسطع اسم بعض المقاومين من أبنائها مثل إسماعيل ولد الباردي وأحمد ولد حمادي وعلي ولد ميارة.

وبخصوص أولاد بوسبع فإنهم كانوا يستقرون في منطقة وادي الذهب وتربطهم علاقات تجارية قوية بأسواق السودان الغربي، وكانوا يملكون أسلحة نارية متطورة بالنسبة لباقي القبائل الصحراوية. ولذلك اشتهروا بشدة بأسهم وبالاستماتة في حروبهم، الشيء الذي جعلهم ينعتون برؤوس الرماح عند المحاربين الشناقطة. وقد قال في حقهم الشنقيطي في كتابه "*الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*" : "وكان أولاد أبي السباع مسلحين بسلاح جيّـد، يصل رصاصه من مسافة بعيدة لا يصل منها رصاص غيرهم من أهل تلك البلاد..." وبفضل هذه القوة الحربية استطاع أولاد بوسبع فرض سيطرتهم على المناطق الواقعة بين وادي درعة والسودان الغربي. ودخلوا في صراعات وحروب مع باقي القبائل المحاربة الأخرى حول انتجاع المراعي. لكنهم فقدوا هذه الهيبة سنة 1906 بسبب انهزامهم أمام الرگـيبات. واكتفوا بالمشاركة في العمليات التجارية الكبرى التي كانت تتم بين أسواق وادي نون والجنوب الجزائري وأسواق السودان الغربي. ويتكون أولاد بوسبع من ثلاث فخدات رئيسيّة. أولاد الحاج بن دَمْـويسْ، أولاد سيدي محمد بن دَمْـويسْ وأولاد إبراهيم. ومن بين القبائل الأخرى التي كانت تقطن منطقة وادي الذهب، نجد قبيلة أهل بارك الله التي أسسها الشيخ محمد فاضل بن مامين والد الشيخ ماء العينين. واستقر أبناؤها في أول الأمر بالقرب من بئر النصارى في بوادي الذهب، ثم انتقلوا للعيش في المناطق الداخليّة ونصبوا خيامهم بالقرب من بئر الزوگ واشتهر أبناؤها بالعلم والدين. ومن بين أشهر علمائها نذكر الشيخ محمد المامي بن البخاري. ثم هناك قبيلتا إمراغن والشناكلة التي يشتغل أبناؤهما بالصيد البحري على طول سواحل وادي الذهب. وكانوا يخصصون قسما هاما من الأسماك المصطادة لأولاد دليم مقابل حمايت هم من أي خطر خارجي يهدد مصالحهم.

أما قبيلة أولاد تيدرارين فيستقر أبناؤها بالقرب من رأس بوجدور ويتوزعون على الفخدات التالية : أهل الطالب علي، أولاد موسى، أولاد علي، لعْبُوباتْ، ليدَادْسة، الحسينات، أولاد سليمان، الفَعَاريسْ، أهل الحاج اسْتيلاتْ. ويعتبر أولاد تيدرارين من أغنى قبائل الصحراء المغربية لأنهم كانوا يمتلكون قطيعا ضخما من الإبل. وكانوا محميين من طرف أولاد دليم. واكتفوا بالاشتغال بالعلم والدين والمشاركة في العمليات التجارية الكبرى التي كانت تتم بين أسواق الجنوب المغربي وأسواق السودان الغربي.

ومن القبائل التي تقطن منطقة الساقية الحمراء. نجد قبيلة العروسيين التي ينحدر أبناؤها من جدّهم سيدي أحمد العروسي دفين الساقية الحمراء. ويتوزعون على الفخدات التالية، أولاد خليفة، أولاد سيدي بومهدي وأهل سيدي إبراهيم. والقبيلة كانت في الأصل من قبائل الزوايا لكن أبناءها اضطروا لحمل السلاح للدفاع عن أنفسهم وعن مصالحهم. وكانوا يترددون على مراعي منطقة إمْريگلي الخصبة. ولذلك ربطوا علاقات ودية مع أولاد دليم. وهاجر قسم منهم بسبب الظروف الطبيعية الصعبة المتسمة بالجفاف وقلة المراعي الخصبة إلى مدينة السويرة واستقروا بها.

ثم هناك قبيلة إزرْگـيّين التي تنتشر خيامها على طول سواحل الساقية الحمراء. وتنقسم إلى ثلاثة فخدات هي : شتوكة، آيت أُسْعِيدْ، الـگـراحْ، وكانت من أهم القبائل المحاربة في منطقة الساقية الحمراء. واستطاع أبناؤها الجمع بين حياة الاستقرار والتنقل، وكانوا يزرعون الأراضي الخصبة في منطقتي الـدُّورة والـگـعدة الواقعتين شمال وادي الساقية الحمراء. وقسم منهم كان ينـزل نحو منطقـة وادي الذهب لانتجاع مراعي منطقـة إمريكلي. وبسبب قوتهـم الحربيّة تمكنـوا من فرض هيمنتهم على قبائـل لـفّيكات وتُوبّـالتْ ولـمْيَـارْ، وكانوا كذلك يوفـرون الأمـن والحماية لقبيلـة أولاد موســى من رگـيبات الساحل أثناء تردد أبنائها على أسواق وادي نـون.

أما بخصوص قبيلة آيت لحسن التي كان أبناؤها يقطنون المناطق الواقعة بين وادي آساكا ووادي الشبيكة، فإننا نجد الرحل منهم مثل فخدة إيـنْـجُورَنْ، وآيت بُومگُوت وآيت بُوگـزَانَنْ يجتازون منطقة الساقية الحمراء نحو منطقة وادي الذهب بهدف انتجاع مراعي گـلتة زمور وتيريس. وكانوا من أشهر القبائل المحاربة في منطقة الساقية الحمراء ولذلك وفروا الأمن والحماية لأصحاب القوافل التجارية المترددين على أسواق وادي نون. وكانوا يؤمّنون الطريق لقوافل أولاد موسى والسواعد والتهالات المنتمين لرگـيبات الساحل. وكانت لهم علاقات ودية مع أولاد دليم.

ونجد كذلك قبيلـة آيت أوسى التي كان أبناؤها يقطنون المناطق الواقعة شمال وادي الساقية الحمراء. وهي تتكون من فخدتين اثنتين هما : إدَّ أمْليلْ وإدْ أمْكيت. وكانت بعض الأسر منهم وخاصة عائلة أجْـوَاكِينْ المنحدرة من قبيلة التوابير تقطن منطقة آدرار بوادي الذهب. وقد استطاع أبناء هذه القبيلة التوفيق بين حياة الاستقرار والترحال إذ نجد أن ثلثي القبيلة عبارة عن رحل ينتجعون مراعي الساقية الحمراء وبعض المناطق من وادي الذهب. أما المستقرون فقد فضلوا الاستقرار في قصر آسا. وبسبب الظروف الطبيعية القاسية، فقـد دخل أبنـاء آيت أوسى في صراعات دموية مع أولاد دليم ومع آيت لحسن وإزرْگـيّين. واستطاعوا فرض هيمنتهم على قبائل تيدرارين ولـمْيَارْ وتوبالت ولـفّيكات.

ونجد كذلك قبيلة فيلالة وهي من الزوايا. فضلت الاستقرار في منطقة الساقية الحمراء وينتسب أبناؤها إلى الولي الصالح سيدي بوبكر أحد شرفاء تافيلالت الذي أسس زاوية الـݣونية. وتنتشر خيام هذه القبيلة بين وادي الشبيكة ومنطقة الكعـدة. وتنقسم إلى قسمين قسم يطلق عليه اسم الشرفـاء وقسم يلقب أبناؤهـا باسم أولاد سيدي بوبكر. ونظرا لنسبها الشريف واشتغالهـا بالعلم والدين، فقـد حظيت باحترام وتقديـر من طرف القبائـل المحاربـة. لذلك تكفلت هـذه القبائـل بحماية فيلالـة ومجالها ولم تطالبهـا بدفع أية ضريبـة مقابل ذلك. ومن أشهـر علمائهـا نذكـر الفقيـه العلامـة سيدي عبد الله ولد سيدي بوبكـر الذي كان يشغـل منصب قاضي ݣـليمين، وقـد حظي باحترام وتقديـر من طرف كل قبائـل بلاد تكنة. وكانوا يلقبونـه بفم الحق بسبب استقامته ودفاعه عن الحق.

ونجد خيام قبيلة لـݣّيكات تنتشر وفي المناطق الواقعة بين ساحل طرفاية ووادي الساقية الحمراء. وتتكون من أربعة فخدات رئيسية هي : أهل الشّيبْ، أهل أكيِّيد، أهل بْـهَاهُو، علية ولد سعيد، كانت لها علاقات تجارية مع صيادي جزر الكناريا‌س.

أما أهل الشيخ ماء العينين فقد حظي أبناؤه بشرف كبير بين مختلف قبائل الصحراء بسبب نسبهم الشريف. وهم ينحدرون من قبيلة القلاقمة أو الجلاجمة التي كانت تقطن منطقة الحوض بموريتانيا الحالية. واشتهروا باسم أحد أبنائها وهو محمد المصطفى الملقب بماء العينين الابن الثاني عشر لوالده محمد فاضل بن مامين مؤسس الطريقة الفاضلية. وقد ولد الشيخ ماء العينين في منطقة القبلة بالحوض سنة 1838 وأخذ علومه الأولى على يد والده محمد فاضل. وفي سنة 1854، غادر منطقة الحوض لأداء فريضة الحج فمر على شنقيط وآدرار ووادي نون والسويرة ومراكش التي استقبله بها الخليفة السلطاني الأمير سيدي محمد بن عبد الرحمن ومنها اتجه نحو مكناس حيث استقبله السلطان مولاي عبد الرحمن الذي كلفه بمرافقه بعض أبنائه الأمراء لأداء فريضة الحج. وأثناء عودته من الديار المقدسة توقف ماء العينين بمدينة تندوف وأخذ عن شيخها الفقيه إبن الأعمش وعالمها الشهير محمد المختار الجكاني. ثم قرر والده إرساله إلى منطقة الساقية الحمراء لتعليم أبناء القبائل تعاليم الدين الإسلامي ونشر الطريقة الفاضلية بينهم. فحط ماء العينين رحاله سنة 1870 بمنطقة الساقية الحمراء وبنى بها زاوية له في منطقة ݣرزيم أطلق عليها اسم الدار الحمراء. وحاول جمع شتات القبائل عن طريق دعوتها إلى تناسي الأحقاد والحروب لمواجهة خطر خارجي يهدد مصالح الجميع ويتربص الفرص للانقضاض على بلادهم. فاستجاب له العديد من أبناء القبائل الصحراوية وانخرطوا في دعوته. وتمكن من توطيد العلاقات، بين المخزن المركزي وقبائل الصحراء، وذلك عن طريق قيادته للعديد من الوفود الصحراوية نحو فاس أو مراكش إما لتجديد البيعة للسلطان أو للحصول على الدعم المـادي والأسلحة الكافية لمواجهة خطر الأطماع الاستعمارية وفي سنة 1879. وقد عينه السلطان مولاي الحسن الأول نائبا عنه بالصحراء وسوس وكلفه بمنع رسو السفن الأجنبية في السواحل الجنوبية. فاستطاع هذا الشيخ أن يفرض حصاراً قوياً على المركز الذي شيـده البريطانيين في ساحل طرفاية مند سنة 1878. وهاجمه أتباعه عدة مرات من سنة 1880 إلى حدود سنة 1894، الشيء الذي أرغـم البريطانيين على الاستسلام سنة 1895 والاعتراف بسيادة السلطان على ساحل طرفاية. وأرغم كذلك الإسبانيين على التحصن داخل الحصن الذي بناه المغامر إميليو بونيلّي Emilio Bonelli بوادي الذهب "بيّا ثيسنيروس" سنة 1884.

وتمكن الشيخ ماء العينين من بناء زاوية السمارة سنة 1902 بمساعدات من السلطان مولاي عبد العزيز وجعلها قاعدة جنوبية للمقاومة ضد الأطماع التوسعية الأجنبية في الصحراء المغربية. واستمر الشيخ في جهاده ضد الغزاة، مربيا لأبناء القبائل الصحراوية في محضرته بالسمارة إلى أن وافته المنيّة سنة 1910. فخلفه ابنه الشيخ أحمد الهيبة في رئاسة القبائل والدفاع عن سواحل المغرب الجنوبية.

أما خيام قبيلة مجاط فنجدها بالقرب من ساحل طرفاية ووادي الشبيكة وتتكون من الفخدات التالية : الـݣـرُّونة، البَّيِيضْ، أهل محمد بن إبراهيم، أهل علي بن سالم. ويشتغل أبناؤها بالصيد البحري بالقرب من ساحل طرفاية. أما قبيلة توبَّالتْ فهي من قبائل الزوايا فضلت الاستقرار بالقرب في منطقة الساقية الحمراء. ويعتقد أبناؤها أن أصلهم يعود إلى زاوية تازرولت التي أسسها أبو حسون السملالي المشهور باسم بودميعة، وتتكون من فخدتين هما أولاد لـخْلاَيَفْ ويْوامْيَا. ومن أشهر علمائها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، الفقيه الشيخ علي المعروف باسم اللّـيْلِي.

وتنتشر خيام قبيلة يـݣـوت في المناطق الواقعة بين وادي الشبيكة وجبل واركزيز. وبسبب قساوة الظروف الطبيعية، فقد كان أبناء هذه القبيلة ينتجعون مراعي منطقة الـݣـعدة ولحمادة. وتتكون قبيلة يـݣـوت من فخدتين هما : آيت حماد، وآيت ياسين.

وهناك قبيلـة لميـار التي تعتبر من القبائـل الصغيرة التي هاجـرت من منطقة وادي نون للاستقرار بالقرب من الساقيـة الحمراء، وتتوزعها فخدتين هما : أهل لـهْبِيلْ وأهل ابراهيم.

الخليل النحوي، *بلاد شنقيط*، المنارة والعلم، تونس، 1987 ؛ المختار السوسي، *المعسول*، المحمدية، مطبعة فضالة، 1960 ؛ الشيخ النعمة، *الفواكه في كل حين من بعض ألفاظ شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، الخزانة الوطنية، الرباط ؛ محمد بن الأمين الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*، القاهرة، مطبعة السنة، المحمدية، 1958 ؛ محمد الغربي، *الساقية الحمراء ووادي الذهب*، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1975 ؛ ماء العينين بن العتيق، *سحر البيان في مناقب الشيخ ماء العينين*، مخطوط، الخزانة الوطنية، الرباط ؛ محمد بن عزوز حكيم، *السيادة المغربيـة فـي الأقاليم الصحراويـة من خـلال الوثائق المخزنية*،

الدار البيضاء، 1981 ؛ محمد عنان، *الصحراء الغربية*، حقيقة وتاريخ، بيروت، مطبعة فن الطباعة، 1975 ؛ مولاي الحسن كفناني، *قبيلة أولاد بوسبع في القرن التاسع عشر*، دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب الرباط، 1987 - 1988 ؛ عبد العزيز بن عبد الله، *الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية*، *معلمة الصحراء*، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1976 ؛ علي الشامي، *الصحراء الغربية عقدة التجزئة في المغرب العربي*، بيروت، دار الحكمة، 1980.

Angel Domenech Lafuente, Colonia de Rio de Ora Las tribas, *Revista Mauritania*, Tanger, 1945 ; Attilio Gaudio, *Le dossier du Sahara occidental*, Paris, Nouvelles éditions Latines, 1978 ; Paul Marty, *Les tribus de la Haute Mauritanie*, Paris, 1915 ; Robert Rezette, *Le Sahara occidental et les frontières marocaines*, Paris, Nouvelles éditions Latines, 1975 ; F. de Lachapelle, *Les Tekna du Sud Marocain*, Paris, 1934 ; Ressot (capt), *Vers le Sud du Maroc et La Haute Mauritanie*, Paris, 1926 ; J. Cauneille et j. Dubief, *les Reguibat Legouacem, chronique et nomadisme*, Paris, Librairie, Larose, 1955 ; Angel Flores Morales, *El Sahara Español*, Madrid, 1946 ; Manuel Mulero Clemente, *Los Territorios españoles del Sahara y sus grupos nomadas*, Las Palmas, 1945 ; Lauzanne (cdt), *Une reconnaissance au Sahara occidental*, Paris, 1921 ; A - Lechatellier, *Tribus, du Sud – ouest Marocain*, Paris, Ed. Ernest – Lerroux, 1891 ; H – Martin, *Les tribus du Sahel Mauritanien et du Rio de Oro*, les Ouled Bousba, Paris, Librairie Larose, 1939 ; Mahmadou Ahmadou Ba, *Les tribus secondaires au Sahel Mauritanien*, Paris, 1928 ; AL Moutabassir, *Ma – el Aïnin ech – changuity*, Paris, Ed. Ernest – Lerroux, 1907 ; Galo Bullon Dior, *Smara y elxej Ma – el Aïnin*, Ceuta, 1934.

نور الدين بلحداد

التوييبع، قبيلة صحراوية كانت معروفة بحماية القوافل. وتكشف بعض كتب الرحلات وجل الإشارات المحلية عن المقدرة الحربية المتميزة لقبيلة أزوافيط بمنطقة وادي نون والساقية الحمراء (*أزوافيط*، *المعلمة*، 364-367). فعلى الرغم من أهمية الحضور الصنهاجي والحساني المتميز بالصحراء الأطلسية كانت قبيلة التوييبع مؤهلة عبر القرون لحماية ومرافقة القوافل على امتداد المحور التجاري الرابط بين الضفتين. لم يكن مرد هذه القدرة الحمائية إلى احتكار أزوافيط أهم أسواق وادي نون ومواسمه (گويرة السوق وأسرير). فما تؤكده مجمل المنوغرافيات حتى النصف الأول من هذا القرن ينضاف إلى كتب الرحلات ليركز على المقدرة الحربية في تثبيت الحضور الزفاطي بمسالك الصحراء. فخلال القرنين الحادي والثاني عشر (17 و 18م) كان الحضور الدليمي والإداوبلالي بالساقية الحمراء يفترض إرادة سياسية وحربية كبيرة للدفاع عن حركية أسواق ومواسم وادي نون وباني.

هذا ما يفسر يومها نزوع أزوافيط المتزايد لاحتكار الأراضي الأكثر خصوبة والحفاظ على ديناميكية موسمي گويرة السوق وأسرير. كان الاستعداد الأمني لهذين الموسمين يتطلب أزيد من عشرين يوما من الاتصالات لكل واحد. لم يكن موسم گلميم قد ظهر بينما عرفت أسواق تاگاوست انحطاطا تدريجيا منذ القرن العاشر (16م) (*تاگاوست*، *معلمة*، 2084-2089). وإذا أضفنا إلى ذلك حضور أولاد دليم وإدا أوبلال بالساقية الحمراء، وجدنا رفض أزوافيط للتحالف مع هاتين القبيلتين دليلا لاحتكارها الوظائف الأمنية (P.Marty, *Les hautes tribus*, 61). لم تكن الأسلحة النارية قد أصبحت مشاعة بين القبائل منذ وصولها إلى مرافئ السعديين. إلا أن مادة البارود كانت معروفة من طرف الغور السكاني الأمازيغي منذ مدة (إيعزى أوهدى، *المعلمة*، 517-518). من هنا تظهر أهمية منطقة التوييبع الواقعة بين وعرون وأسرير حيث كان الناس يقومون بتبخير التراب لاستخراج البارود، واستحواذ أزوافيط على هذه المنطقة في وقت لم يتسربوا فيه بعد إلى وعرون القريب (*أگاوس*، *المعلمة*، 597-598)، زاد من تطورهم بشكل متميز مقلصا إلى حد بعيد إمكانيات القبائل الأخرى. هذا العامل أفسح المجال أمام المد الزفاطي على أخصب الأراضي وأهم المداشر. ومع ظهور الأسلحة النارية بكثرة على السواحل القريبة، أصبح سوق البارود بأسرير من بين ما اشتهر به من سلع متميزة. رسخت القبيلة من قدراتها الفعلية معززة بذلك لدى القبائل الأخرى تصور العلاقات الاجتماعية وفق مقتضيات التنافس بين لفي تكنة. وإذا انتقلنا إلى مستوى العلاقات بين اللفين خلال القرن الماضي وجدنا شاعر أزوافيط علي فال يشهّر بالمد الزفاطي على وعرون قائلا :

أرشكَ يا وعرون أكَطاطيك   واللي تعرف فيك ألا فيك

نَعرفْ فيك ألا ما تَليـــــانْ   يَعْرفهــا ملك فَمَــلــــكْ

وَ يَعْرفها عسكر بُجَخَّانْ

دراسة ميدانية ورواية شفوية.

مصطفى ناعمي

تيدرارين، (أولاد + قبيلة -) : قبيلة عريقة تتمركز بالساقية الحمراء ووادي الذهب، تنسبها المصادر التاريخية إلى الأنصار، يقول عنها المختار ولد حامد "قبيلة أولاد تيدرارين الأنصار من أوفر قبائل الساحل حتى قيل إنه كان باستطاعة المسافر أن يسافر من غير حاجة إلى زاد من حاشية البحر الأخضر من حومة الداخلة إلى مراكش يصبح ويقيل ويبيت في أحيائهم، والكثير من بطونها في المغرب ولها فروع في القبيلة وفي أفطوط الشرقي، كما أن لها تاريخا في أدرار وخاصة في وادان" (*حياة موريتانيا*، *الجزء*، 10 : 1).

وتنحدر هذه القبيلة من جد واحد يدعى : حنين بن سرحان القـادم من وادان إلى ناحيـة رأس بوجدور حيث صاهر قبيلة كندوز وعقب ابنه إبراهيم، وحنين هذا دفين لمسيد من أرض الساحـل. وتضم خمسة وعشرين بطنا هي : أهل الطالب اعلي - أولاد موسى - أولاد يسين - الفعاريس - أهـل استيلة - أولاد إسماعيل - أولاد بوشيكر - الرحيلات - ليدادسة - أهل ابريهمات - أولاد سليمان - أولاد الغـازي - أولاد اعلي - أهل الحاج - أهل

يارة - أهل أحمد مسكه - العبوبات - الصنوبات - الحسينات - المنابهة - المناصير - لفيكات - الصوالح - الحميدات - الدعانين - أولاد بوسحاب.

ومجال انتشارها تحكمت فيه طبيعة نمط عيشها الرعوي، حيث كانت من القبائل الصحراوية الغنية بفعل ما كانت تملكه من قطعان الماشية من إبل وماعز وغنم، الشيء الذي جعلها تحتاج للمراعي الفسيحة ونقاط الماء المتعددة، لذلك من آبارهم بالساقية الحمراء ووادي الذهب: انخيلة جنوب العركوب، وتاشكتنت شرق الداخلة، وتاكرزيمت في منطقة اكركر، وآبار : الكراع، انويفظ / الترتار، أوفيست، أوزيوالت، حيمر ماه، تيكري، هباز وكلها بإقليم بوجدور، وجنوب شرق ذلك نجد : حاسي أردال، لمعيذر، تيراكلين، أماسين، الحيرش، لمريرة، اعويشة، توزنين، سركاو ولمسيد قرب الشاطئ شمال رأس بوجدور، ثم أنوتي والعيافة، وتافراوت، والطاح وحاسي اللكاح وكلها بالساقية الحراء. مواقع هذه الأحساء تبين أن مناطق تنقل أولاد تيدرارين هي المراعي القريبة من السواحل الأطلسية انطلاقا من منطقة الداخلة جنوبا (انخيلة) في اتجاه الطاح شمالا بناحية الطرفاية.

وتجدر الإشارة إلى أن أولاد تيدرارين انتشرو شمالا وجنوبا، حيث نجد مثلا : أولاد الغازي ابن اعلي بن أبي يعزى وهم في فيطوط بقبيلة الرحامنة شمال مراكش، كما نجد الصوالح وأهل أحمد مسكة المنتمين للفغ المختار قد توطنوا في قبيلة إدا بلحسن بمنطقة الترارزة في موريتانيا. ونجد من ذرية موسى بن عبد الله بن سيد أحمد بوغمبور من امتهنوا العلم وصاروا من الزوايا بقبيلة ايد كجملة بالترارزة كذلك. ويوجد أولاد تيدرارين كذلك في منطقة تيورار جنوب شرق مراكش حيث نجد أهل الصنوبي وأهل زعمان الذين يقيمون في الدشيرة بناحية أگــادير، كما يوجد أولاد تيدرارين بناحية الصويرة مع الشياظمة وخاصة منهم الصوالح وبعض العبيات وبعض أهل استيلة وأولاد اعلي بمناطق بوحولي. ومنهم فرقة في بير اكويدير بالمجون مع أولاد أبي السباع ومتجرهم خميس سيدي بوزيد. ناهيك عن زاوية أهل سيد هيبة بتيورار وفرقة أخرى بالصميرة بالرحامنة من أولاد يسين وأهل أحمد مسكه، وبعض العبيات يجاورون قبيلة السراغنة ويقيمون موسما دينيا هناك في العشر من رجب كل سنة، ويوجدون كذلك بمنطقة الحدرة بالرحامنة خاصة بطن الرحيلات. وفي منطقة القبلة من موريتانيا توجد فرقة بإسم أولاد تيدرارين من أولاد موسى تسكن مع أهل الشيخ سيديا، وفرقة أخرى من أولاد موسى تسكن مع قبيلة إيدكشمة بالقبلة كذلك.

ويعرف أولاد تيدراريــن بتربيتهم للماشيــة وعنآيت هم بها، وأيضا بممارســة زراعــة الحبوب في حالة سقوط المطــر بالمناطــق المعهودة للزراعــة المعروفة محليا ب "لگــرار"، وكانوا يوجهون قوافــل سنويــة لجلب المؤونة من أسواق منطقة واد نون بناحية گــلميم، حيث يبيعون الإبل ويجلبون ما يحتاجون إليه من أثواب وشاي وسكر وأوانــي.

وقد ظهر في هذه القبيلة مجموعة من الصلحاء والعلماء والمتصوفة من أشهرهم سيد أحمد بوغمبور دفين "أزريبة" شمال بوجدور وأيضا مقلش بن اعلي دفين انخيلة، وسيدي عبد الله امحمد دفين لكراع وموسى ولد عبد الله وسيد أحمد أبو غمبور دفين أجريفية، وأحمد ولد يداس دفين الترتار (بئر شمال واد لكراع) وسيدي الغازي ولد بابا اعلي دفين أكطي الغازي وأحمد ولد إبراهيم دفين حاسي توزنين والعالم ولد محمد الشيخ دفين أوديات العالم وعيسى امنبراهيم دفين الساقية الحمراء وبابا اعلي (اعلي لعصام) دفين أكطي وباب اعلي جواز البحر شمال لمسيد وميارة ولد سيدي إبراهيم دفين تافراوت شمال فم الواد. ومن الصالحات : لالة العيافة بنت ميارة دفينة أزبار العيافة غرب العيون، ولالة مالوكت زوجة باب اعلي المدفونة معه في اكطي باب اعلي جنوب لبلايا (العيون الشاطئ).

وخلال القرن التاسع عشر عرفت القبائل الصحراوية حركة مجالية مكثفة بفعل التدخل الاستعماري بهوامش المنطقة، الفرنسي بالسنغال والإنجليز بالطرفاية، ومحاولة تحويل مسالك القوافل الصحراوية، الشيء الذي أثر على توازن القبائل ودفعها إلى المواجهة فيما بينها، وزاد من ذلك التوتر دخول الأسلحة النارية إلى المنطقة، وكان من نتائج ذلك دخول أولاد تيدرارين في مواجهات حربية مع قبيلة أولاد دليم كانت بدايتها حسب الباحث الإسباني خوليو كاروبروخا (Julis Caro Baroja) سنة 1305 / 1877 مرورا بسنة 1306 / 1878 و 1309 / 1891، وكان الحرب سجالا بين الطرفين حيث تدخلت فيها القبائل المجاورة من الرگــيبات وتكنــة ولم تنتــه إلى حدود سنة 1310، وكانت من نتائجها إضعاف أولاد تيدرارين وهجــرة بعضهم إلى شمــال المغرب وانكماش مجالاتهم الرعويــة في اتجــاه منطقــة إيمريكلــي الأبيض ورأس بوجدور وناحيــة "ازريبة" حيث يقضون فترة الصيف.

وبعد السيطرة الاستعمارية على المنطقة ظل أولاد تيدرارين بعيدين عن الإدارة الاستعمارية ويرفضون الانخراط في خدمة المستعمر بل يمنعون أبنائهم من الدراسة في المدارس التي فتحها الاستعمار بالطرفاية والعيون والداخلة، ولم تعرف القبيلة رئاسة مستبدة بالسلطة، بل كانوا يحكمون الأعراف و"اجماعة" في أمورهم، و"اجماعة" هذه يكون على رأسها شيخ عام يتولى شؤون القبيلة إلى جانب قاضي وأعيان، فمثلا لما أرادت السلطات الاستعمارية الإسبانية من أولاد تيدرارين أن يدفعوا لها العشر، أفتى هذا الشيخ بعدم شرعيته وسجن إثر ذلك مدة في العيون، بعدها ألغت إسبانيا العشر عن القبائــل الصحراويــة، كما كان هذا الشيخ محمد بن عبد الله بن محمد بن البشيــر بن ميارة، من جملــة الشيــوخ الذين استقبلهــم الملك محمد الخماس عند استقلال المغرب.

واليوم تتمركز غالبية قبيلة أولاد تيدرارين بإقليم بوجدور، بالإضافة إلى فروع في كل من الداخلة والعيون وحوز مراكش وبناحية الصويرة.

المختار بن حامد، حياة *موريتانيا، قبائل الأنصار*، الجزء 10، مخطوط، مرقون بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، نواكشوط ؛ *رواية شفوية مع الشيخ إبراهيم الناجم* ولد محمد إبراهيم التدراريني - العيون، 2009.

Domenech Lafuente, Rio de Oro, Las Tribus, *Mauritania, N° 211*, Junio, 1945, p. 168 – 173 ; Julio Caro Baroja..*Estudios saharianos*, C.S.I.C, Madrid, 1955 ; Lloyed Cabot Briggs, *Tribes of the Sahara*, Harvard University Press, Cambridge, 1960 ; Mahmadou Ahmadou Ba, Les tribus secondaires du Sahel Mauritanien, in : *Renseignements Coloniaux*, N) 9 Septembre, 1928, p. 571 – 579 ; Jose Enrique Alonso del Barrio. *Las Tribus del Sahara*, Aiun, 1973 ; Douls Camille. *Voyage d'exploration à travers le Sahara Occidental et le Sud marocain*, Rouen : Cagniard, 1888.

التِّيدراريني، بابي ولد محمد : هو البشير بن محمد بن البشير بن ميارة بن سيدي إبراهيم بن محمد بن الطالب علي بن سيد أحمد بوغمبور، لكنه اشتهر ب : بابي، ولد بمنطقة اجريفية بتاريخ 1844 ميلادية في أسرة عريقة من قبيلة أولاد تيدرارين. وأمه هي امباركة بنت عيسى من بطن ليدادسة من نفس القبيلة. عقب من الأبناء ستة ذكور واثنتين من الإناث. عرف بشغفه بالإبل والعناية بها، حتى أنه كان يقضي معظم وقته في المراعي بعيدا عن خيامه، لذلك خبر الحياة البدوية، وصار من سراة القوم بحنكته في حياة الصحراء، بل اشتهر بالحكم وكان من ذوي الرأي والجاه داخل قبيلته وعند القبائل الأخرى. ظل بابي طيلة حياته يتنقل في مجال نجعة قبيلته مابين أدرار سطف جنوبا والساقية الحمراء شمالا، وخاصة مناطق لگرب وأجنابة وإيمريگلي وتيرس. كما عرف برفضه لسياسات الإدارة الاستعمارية بالصحراء إلى درجة أنه لا يسكن المدينة بل يبتعد في القفار لكي لا يرى "النصارى" ذلك أن القبيلة انتخبته سنة 1939 ليكون رئيسها العام، لكنه رفض تلك الرئاسة وأمر أن تسند إلى ابن أخيه محمد ولد عبد الله بشرط أن لا يتقاضى مقابلها أية أجرة من الإدارة الاستعمارية.

كان بابي أحد حكماء القبائل الصحراوية بفعل ما كان يبدعه من حكم سائرة في مجال الرعي وسياسة القبيلة والتعامل مع الطوارئ البيئية والسياسية، حيث كان يستشيره العديد من الزعماء المحليين من قبائل تكنة والرگيبات وغيرها. ومن أقواله المأثورة "اتناسب، اتحاسب"، "الإبل نباتها گبلة وأحصاده تل" تكف ادرسان، واتگعد الكيسان" وغيرها كثير.

كانت وفاته بتاريخ 18 مارس 1969 بمنطقة لمسيد، حيث دفن ب "أزريبة" شمال رأس بوجدور، ويعد من صلحاء قبيلة أولاد تيدرارين المعاصرين بل صار أكثر شهرة من القبيلة في حد ذاتها.

مقابلة شفوية مع الشيخ إبراهيم الناجم ولد محمد إبراهيم، بالعيون، ماي 2009 ؛ *رواية شفوية مع ابنة بابي* ببوجدور، 2009.

Julio Caro Baroja *Estudios saharianos*, C.S.I.C, Madrid, 1955 ; Domenech Lafuente. Las Tribus, *Mauritania*, N° 209, 1945, p. 106 - 110.

محمد دحمان

التِّيدراريني، محمد عبد الله : هو محمد عبد الله بن البشير بن ميارة بن سيدي إبراهيم بن محمد بن الطالب علي بن سيدي أحمد بوغنبور، من شيوخ القبيلة التيدرارينية وزعيمها السياسي خلال فترة حكم إسبانيا، وهو من الذين رفضوا سياسة هذه الأخيرة وخير دليل على ذلك رفضه دفع العشر للحاكم الإسباني في الصحراء، بحيث أفتى بعدم شرعيته وسجن إثر ذلك مدة في العيون، بعدها ألغت إسبانيا العشر عن قبائل الساحل واستقبله بعد ذلك محمد الخامس مع شيوخ القبائل الصحراوية. وأثناء انعقاد مؤتمر أم اشگاگ سنة 1956 شارك محمد عبد الله فيه كممثل للقبيلة التيدرارينية إلى جانب وفد كبير من أعيانها مجددين بيعتهم وبيعة قبيلتهم للمغفور له محمد الخامس.

قتل محمد عبد الله في مدينة طانطان في ظروف غامضة كما تؤكد ذلك الرواية الشفوية.

ابن حامدون، *حياة موريتانيا، ملف قبائل الأنصار*، وهو جزء لم ينشر بعد، ج 10، ص. 3 و 4.

Julio Caro Baroja, *Estudios saharianos* I.E.A, Madrid, 1955, p. 135.

زهرة فعرس

تيدرگيت، مدشر تاريخي على الساحل الأطلسي بوادي نون والساقية الحمراء، تقطنه قبيلة آيت لحسن كبيرة أحد لفي اتحادية تكنة آيت الجميل. ولا تعدو هذه التسمية أن تكون مجرد تجسيد لممارسة تربية الإبل كنمط أساسي للعيش عبر المحور الرعوي المحادي للساحل الأطلسي بوادي نون والساقية الحمراء (انظر مادة آيت بلة *بالمعلمة*). السمات التي يمكن أن نستعرضها بشأن قبيلة آيت لحسن كبيرة هذا اللف الساحلي هي من صميم بنيتها الاجتماعية، فانطلاقها نحو نمط هذا لا يعني أنها قديمة العهد بالترحال الرعوي الكبير النجعات. فمازال آيت بومگوت أكبر فصيلة بهذه القبيلة يطالبون بحقهم في ساقية ونخيل أسرير حيث كانوا يقيمون إلى حدود القرن الحادي عشر (17م). تسببت صراعات مفتوحة يومها بينهم وبين آيت احماد أوعلي في انسحابهم إلى المنطقة الفاصلة جنوبا بين وادي درعة الشبيكة حيث أقاموا مدشر تيدرگيت (v. Monteil, *Notes sur les Tekna*, 17). كانت قبيلة إزرگيين تنتجع يومها حوالي منطقة أوريورة المجاورة للمحيط الأطلسي. وقد كانت تمثل امتدادا فعليا لفصائل أزوافيط شأنها في ذلك شأن أهل أمغار اسعيد بمنطقة الركن بتاسريرت المسماة حاليا بسلسلة جبال آيت باعمران (انظر مادتي إزرگيين وتاسريرت *بالمعلمة*). ولما تمكن

تحالف فصائل آيت لحسن من طرد أولاد إدريس من القصابي الحالية (انظر مادة تـگـاوست *بالمعلمة*) خلال القرن الثاني عشر (18م) بدأت فصائل إزرگـيين في التوجه نحو وادي الساقية الحمراء والدورة. عرف هذا القرن تقوية النفوذ المحلي لتكنة على حساب أولاد مبارك وأولاد دليم المعقليين الذين انسحبوا نحو مواقعهم الحالية بتيرس وأدرار، بل نجد أن إعادة تشكيل التحالفات بين مختلف الفصائل تتداخل وتتقاطع مع الصراعات ذات الطابع الانقسامي. فقد عرف هذا القرن طرد آيت احماد من تاغاجيجت إلى فصك ومن تيغمرت إلى إيغرم إيـگـزولن مستندين في ذلك إلى مبادئ تحالفية مع منافسي آيت إبراهيم وأزوافيط الذين طردوهم.

من هنا يمكن أن نقول بأنه لا وجود لأية مطابقة بين التوزيع المجالي ومدى انصهار تجزؤات كل قبيلة ضمن وحدات اجتماعية وسياسية أشمل. فلا يمكننا التغافل مثلا عن الفرق الشاسع الذي يفصل دائماً بين أهالي تيدرگـيت من آيت لحسن وفصيلة الرويمات الكويتين بنفس القبيلة. لقد أبرزت فاعليات التحالف مع المد الإيبيري منذ سنة 1500 دور التعبئة الفعلية للرويميات إلى جانب الحضور الإسباني. وهذا مبدأ لا انقسامي سوف يعمل باستمرار على الفصل الحثيث بين الريميات وآيت بومگـوت المرتبطين بدينامية القيم المحلية والرموز الدينية. إذا كان أهل بوعيدة قد فرضوا نفوذهم بفعل مواقف وانتماءات، فإن آيت بومگـوت ومجمل أهل تيدرگـيت من آيت لحسن لعبوا أدواراً هامة على صعيد السياسة التي انتهجوها داخل تحالفات آيت الجمل.

ليس صدفة أن يجتمع ممثلو آيت الجمل ليعلنوا منذ القرن الثاني عشر (18م) نزوعهم إلى الحياد والمسالمة والتحالف مع لف آيت عثمان. فقد كان اللفان مندمجين في إطار وحدة فاعلة ومتنافسة كثيرا ما عرفت استقبال تيدرگـيت لمجالس جماعة من الحجم الكبير. لم تنحصر قط دائرة مدشر تيدرگـيت في سلطة آيت لحسن بل بقي سكان المدشر بحكم تعاملهم مع منتجعي الأودية والسهول المجاورة من الأهمية ما جعلهم يمثلون نواة تجارية محلية. وبعد أن حاولوا ولو بشكل متواضع الاستجابة لمتطلبات الأفراگ الجهوية، تجدهم ينساقون في تيار تثبيت الحضور الفعلي لقبيلتهم، حقا لا أحد من الكبار الذين تعاقبوا على رأس تيدرگـيت تمكن من فرض هيمنة متواصلة. والسبب يكمن دونما شك في أن السلطة لم تكن ممركزة إلى درجة تجعل من المدشر عاصمة محلية راسخة. فقد كان أكبر وأهم شيوخ القبيلة هم أعيانها وكبار فصائلها المحورية. وعلى غرار المجتمع الذي يمارس نمط العيش الترحالي تميزت البيئة الاجتماعية لمدشر تيدرگـيت بالهشاشة وبتداخل مختلف مستويات أفراگ القبيلة بعيداً عن عاصمتهم القصابي.

يبقى أهم شيء يمكن أن نميز به دور تيدرگـيت التاريخي خاصة خلال القرن الثالث عشر (19م) هو قدرة آيت لحسن المحلية على احتكار الماء الصالح للشرب. هذا ما يمكن أن نستشفه من خلال الكيفية التي تعامل بها أهل تيدرگـيت مع مسألة استغلال الماء وتوزيعه على الأفراگ المجاورة. إن ندرة الماء الصالح للشرب بهذه المنطقة المحادية للمحيط المالح تجعل من تيدرگـيت بحق محطة نادرة لرصد وتحليل مجمل التفاعلات والدوافع والأهداف التي حدت بآيت لحسن إلى إنشاء هذا المدشر، إذا كان استغلال المراعي بعد جماعيا على امتداد مختلف فترات وفرة الكلأ، فإن التحكم في المياه الجوفية النادرة لم يكن يستند هنا على أساس المبادئ المشتركة، وهو بالضبط ما يؤكد قدرة آيت لحسن الفعلية على التحكم في المجال الحيوي سواء على مستوى تنظيم الحياة الرعوية أم على مستوى الحفاظ على وحدة المجال التكني. كانت التعارضات بين آيت لحسن وأزوافيط قد شكلت ميكانزما أساسيا للحفاظ على ثنائية اللفين التكنيين وجسدت القدرة الفعلية للسلطة القبلية على مراقبة المجال. وإذا كان أزوافيط قد احتكروا منذ زمن بعيد أهم المداشر بوادي نون (انظر مادة أزوافيط *بالمعلمة*)، فإن تيدرگـيت انضافت إلى القصابي لتجعل من قبيلة آيت لحسن إطاراً فعلياً للتغيير عن شخصية آيت الجمل.

دراسة ميدانية وروايات شفوية.

تيسرگـيوين، أو تسرگـون، أسرة صحراوية لعبت أدوارا تاريخية مهمة، وما تزال قرية تيغمرت تجسد مخلفات نول لمطة بوادي نون حيث احتفظ الشارع التجاري المركزي بإسم تامسّوفت منذ المرابطين. على مقربة من معمل سك الدينار الذهبي المرابطي كانت تتجلى أهمية هذا السوق المركزي في أثمان المنازل التي اشترى عمار بن محمد تسْرگـونْ إحداها حوالي سنة 1160 / 1750. تبرهن وثيقة الشراء على تداخل المشجرات النسبية داخل فصيلة آيت أحماد أعلي من قبيلة أزوافيط (إزفاضن) حين تؤكد انتماء المشتري إلى هذه الفصيلة. كيف يمكن لمن تأمل صيغة تسرگون التي تخص بها الوثائق هذه العائلة أن يتأكد من علاقات الامتزاج القرابية ؟ ما يسترعي الانتباه هنا هو كون صيغة تسرگون لا تستنفد إمكانيات المقارنة مع الصيغ المشابهة. اول شيء يجب أن نؤكد عليه هو أن الكتابة السليمة لصيغة تسرگون تعتبر محليا هي تيسرگيوين. وهي صفة إلزامية تفيـد الجبليين المنحدرين من مرتفعـات الأطلس الصغير إلى السهـول حيث استقرت منهم هذه العائلـة بتيغمرت. إذا كانت صيغة إيبودرارن هي المرادفـة الفعلية لصيغة تيسرگيوين، فإنه يكون لزاما علينا الرجوع إلى ما قالته المصادر لمعرفة ما جاء حول الموضوع.

لكي نتبين صور الترابط المجالي والنسبي يحسن بنا أن نعود إلى ما قاله الباعقيلي منذ أربعة قرون حين تحدث خلال القرن العشر (16م) عن تيغمرت التي قضى بها أربع سنوات. علاوة عن كونه يعتبرها قاعدة نول لمطة القديمة نجده يؤكد بأن بلدة تيزرگين تدخل في نطاق المجال المجاور لها. وهو ما يؤكد بأن القرب المجالي يشكل لحاما لاستقراء الذاكرة التي تصب كلها في قالب نسبي معين. قد لا يتعلق الأمر هنا ببلدة

تيزرگين القريبة من أمانوز بقدر ما يتعلق بمدشر أخذ في التلاشي والاندثار منذ زمن الباعقيلي (*مناقب*، 28). مهما يكن فإن شهرة فقهاء تيزرگين ستتأكد على لسان الباعقيلي والتامنارتي على حد سواء في شخص العالم الصوفي أحمد بن عبد الرحمان التيزرگيني المعاصر لمحمد الشيخ السعدي. بل إن التامنارتي يؤكد على أن هؤلاء الفقهاء كانوا يستثنون منطقتهم من بلد سوس الذي كانوا يسمونه "بلد الملك" (م. السوسي، *المعسول*، 3 : 267 ؛ Al Tamanarti.*Fawa'id*, 80-81). كما أن من المقاربات التي استوجبت يومها الربط بين بلدة تيزرگين وتيغمرت وفرة الماء والخضرة التي تغنى بهما الشعراء في هذه الضفة الصحراوية. أورد م. المختار السوسي بعض ما قاله البونعماني في حق تيزرگين مستوجبا بذلك تمييز المكان عما حواليه من اصفرار وقلة ماء وحرارة مفرطة (*المعسول*، 3 : 278).

نرى إذن أن الوقائع تستوجب مقارنة تيسرگيوين بتيزرگين التي يحورها الحضيگي بدوره إلى صيغة تصرگن (*طبقات*، 1 : 12-13) فيصبح بذلك لزاما علينا أن نعتمد الدراسة الميدانية لنستشف أي هذه الصيغ أقرب إلى الوثائق التي بين أيدينا والتي تقتصر على تسرگون. هنا نسجل بأنه إذا كانت صيغة تيسرگيوين هي أقرب هذه الصيغ إلى الاستعمال اليومي فإن الصيغ المتبقية تكشف عن دور الفقهاء في تنويع الصيغ المكتوبة وتحريف النطق. وقد يكون من الضروري لتبيان طبيعة التفاعل بين الصيغ المتقاربة الربط هنا بين تيسرگوين القدامى وإحدى فصائل الغور الصنهاجي الأقدم بمنطقتي تيرس وأدرار بالصحراء الأطلسية (المختار حامدون، *حياة موريتانيا*، X : 9 من ملف الأنصار ؛ P.Marty, *Les* 31 *Tribus*.). فبتيرس حيث ما يزال أحد الآبار يحمل إسم إسرگـاو تمثل قبيلة إسرگـاو ن علامة من علامات التاريخ الصنهاجي الممتد عبر القرون البعيدة. ولربما كان للانتجاع الكبير ونمط العيش الترحالي دوره في الوصول بإسرگـاون إلى بسيط أگـادير حيث اعتادت محلة السلطان مولاي الحسن الأول الإقامة قرب المرسى (ابن زيدان، *إتحاف*، 1 : 217-245) وحيث أقيم فيما بعد أقدم مطار بالمدينة. ولاتندرج آليات الحركة الانتجاعية الكبيرة فقط ضمن السياق الداخلي لتحالف فصائل صنهاجة بل أيضا في مواجهة المد الحساني منذ القرن الثامن (14م) وبذلك يبدو معنى القرب المجالي بين تيغمرت وتيسرگيوين خلال القرن العاشر (16م) كمن يركز على أن التحالف لا يعود فقط إلى التوازنات الانقسامية، بل كذلك إلى المهام الأمنية التي تنهض بها كل فصيلة أو تجزئة صنهاجية. فيكون من بين أهم الاحتمالات التي يمكن أن نصل إليها هو أنه يصعب علينا الحديث عن بنية حربية تحالفية.

في خضم المد الحساني - المعقلي على وادي نون والساقية الحمراء خلال القرن العاشر (16م)، لم يحل اضمحلال نول لمطة التجاري دون صمود آيت الخنوس وآيت يكو وإدا أولگـان وآيت امحند أو لحسن وآيت احماد في تيغمرت. تقدم آيت احماد أوعلي لإقامة حزام واق يحد بين هذه الفصائل والهجمة الحسانية خاصة لأولاد مبارك يومها. على أن صراعا مفتوحا سينتهي بطرد إدا أوعقان المقيمين حاليا بتارگمايت محددا دور آيت أوعلي في اكتساح المجال القروي. قبل هذا الاكتساح، كان آيت احماد أوعلي ينتجعون قرب المداشر والقصبات فارضين مقاييس جديدة تعتمد يومها التدخل الحربي على المستويين المحلي والجهوي. بهذا المعنى، فإن إدماج أسلاف "عمار تسگون" الذي رأيناه يشتري دارا بتيغمرت في منتصف القرن الثاني عشر (18م) في إطار آيت احماد أوعلي يركز على مفهوم التحالف ويطرحه على أنه الإطار المحدد لآليات القرابة. لاشك أن قلة المعطيات الأولية تحول دوننا والتأكد هنا من صحة المقولة التي تجعل من أسلاف "عمار تسرگون" أمراء وأعيانا أعطوا الأولوية يومها لجوانب الصراع المفضي إلى طرد مزاحميهم / حقا كانت تيسرگيوين لا تقل ماء وخضرة عن تيغمرت، غير أن اندماج أسلاف "عمار تسرگون" في إطار آيتا حماد أوعلي تعدّ نتيجة أوضاع جديدة مختلفة عن الوضعية السابقة. ولعل في التأكيد على جوانب هذا التداخل ما يحدد هنا المستوى الاجتماعي المميز لأسلاف عمار تسرگون. فبينما لا يرتبط ذكر هذه العائلة إلا بالنشاط الحربي أو الفلاحي، تؤكد الرواية الشفوية تعاقب كبارها على رأس لوائح أعيان القبيلة ولف آيت عثمان التكني.

إذا تناولنا لوائح أعيان قبيلة ازوافيط على امتداد القرون الثلاثة الأخيرة وجدنا أن أهل عمار لن يتجردوا من الانتساب إلى "تسرگون" قبل عام 1229 / 1814. على أن عدم التصاق هذه النسبة يسعفنا هنا في معرفة حلقة قوية في سياق تبلور فصيلة آيت احماد أوعلي داخل قبيلة أزوافيط. إن اندراج كل عين من أعيان القبيلة ضمن إطار إجتماعي كل يبرز بما لا يدع مجالا للشك مكانة أهل عمار على رأس سلم التراتبات المجتمعية. كما أن تصدرهم الأحداث الحربية والسياسية يتجلى في قدرتهم على احتكار أرض تيرمسين باعتبار أن تملك منطقة بكاملها يمس جوهر الحياة الاجتماعية. لن يفوتنا إذن التأكيد على أن هذا التمكن يجعل من أهل عمار كيانا مستقلا قائما بذاته يندرج في سياق احماد أوعلي كوحدة متكاملة، حقا لم يكن الناس يوثقون ممتلكاتهم من الأرض البورية خلافا للماء والبساتين المسقية والمنازل، على أن الشهادات العينية تؤكد بأن آليات التحالف مع أهل الفيجج (أهل علي أوعبد الله قائد المولى إسماعيل) كانت قد تجاوزت منذ القرن الثاني عشر (18م) التعارضات الانقسامية. بل إن من شأن مصاهرة عمار تسرگون لأهل علي أوعبد الله أن تحجب عنا التباينات النسبية مرجحة تكافؤ الوزنين الاجتماعي وتوظيف النفوذ الحربي في الاستحواذ بشكل او بآخر على الأرض والساقية (أزوافيط، *المعلمة*، 364-367). على أننا إذا أسقطنا من حسابنا ممارسات أبناء عمار تسرگون التي ترجع في أصلها إلى تمتين النفوذ الذي خلفه والدهم، نكون قد أهملنا دور الصلات المعقودة في تجاوز التعارضات الانقسامية وتجسيد مفهوم التماسك الزفاطي.

خلف عمار بن محمد تسرگون الجد الفعلي لهذه العائلة ثلاثة أولاد هم احماد وبلال وبيروك خلال فترة تميزت في أواخر القرن الثامن عشر بطرد إحدى فصائل آيت احماد من تيغمرت إلى إيغرم إيگزولن (V.Monteil, *Notes*, 17). تتمثل علاقة هؤلاء الأبناء بالأرض المسقية في شراء احماد أوعمار ليلة ماء بساقية تيغمرت تقدر ب 24 ساعة مائية. أهمية هذه العملية تنكشف أكثر إذا علمنا أنها قد تمت في آخر ربيع الأول 1807-6-7/222 حسب ما خطه العدل عبد العزيز بن علي الزيات. ذلك أن طاعون 1798-1800 كان يومها قد جمد الديناميات الفلاحية والبشرية بسهول سوس ودكالة والشاوية وحال دون الفلاحين والاستفادة من وفرة الأمطار (Jakson, *An Account*, 175). وإذا كنا نجهل ما إذا كانت مدة هذا الطاعون قد ضربت وادي نون بنفس الدرجة، فإن الخلافات التي انفجرت بين أبناء عمار بن محمد تسرگون حول اقتسام دار تامسوفت في أوائل ربيع الأول 1223/27-4-1808 تبدو مرتبطة، فقد شكل تملك احماد التعسفي لهذه الدار سببا في احتداد الصراع بينه وبين أخويه إلى أن تراضوا في التاريخ المذكور بشهادة مبارك بن العيد التناني الزروالي. يبقى إذن والحالة هذه أن نتساءل ما إذا كان تفكك الهياكل المحلية بفعل الطاعون وهجرة آيت احماد هو الذي فسح المجال أمام توزيع الملكيات المهجورة والموارد المائية ؟ للإجابة عن هذا السؤال يجب ألا نتغافل عن كون تشبث أبناء عمار بن محمد تسرگون بالأرض والساقية يصب في اتجاه التملكات الخاصة والاقتطاعات التي سنها والدهم منذ منتصف القرن السابق. نقطة ثانية يجب أن نأخذها بعين الاعتبار هي دور وثائق القرى والمداشر المجاورة في إثبات زحف الملكية الخاصة ونزوعها المتزايد يومئذ إلى التوسع على حساب الأرض الجماعية التي أصبحت بسبب ذلك تفقد تدريجيا وزنها القديم في الحياة الاجتماعية. من هنا فإن التنافس على تملك الأراضي والساقية يدخل دون شك في إطار تطوير الدور الفلاحي الذي كان يعززه أبناء عمار في تيغمرت وأحوازها. على أن ثالث نقطة يجب أن نقف عندها هي دور أنماط الملكية والوزن المختلف لكل منها على مستوى انتظام أبناء عمار بن محمد تسرگون في الحياة الاقتصادية بتيغمرت.

إذا كنا لا ندري مدى تأثر وادي نون بمضاعفات الطاعون الجارف، فإن هجرة إدا أوبلال وأولاد دليم وأولاد بو السبع إلى ظاهر تاسرسرت (آيت باعمران) ومراتع تكنة (*المعسول*، 3 : 250) قد رفع من مستوى الطلب على المواد الاستهلاكية. نتصور أن فئة من التجار قد تكون تصدرت لمهمة إمداد المنطقة بما تحتاجه من حبوب مستندة في ذلك إلى أرستقراطية حربية أحكمت تنظيم النقل من الشمال. هذا ونتسائل لماذا اشترى احماد أو عمار كمية هامة من الحبوب بالمنطقة الشمالية (التل) سنة 1223 / 1808 ؟ قد تساعد هذه العملية على تسليط الأضواء على ازدواجية دوره التجاري والحربي أو قد تفيد توفره على فائض نقدي كبير أهله لتقليص وطأة الطبيعة. هذا الاحتمال الأخير يبدو مستبعدا لسببين : أولهما أن وفرة الأمطار خلال هذه السنوات قد سهلت تربية المواشي وتحقيق الاكتفاء الذاتي من الحبوب. ثانيهما أن طغيان تربية المواشي على الفلاحة بفعل هجرة الرحل قد هيأ لمحتكري الأراضي الفلاحية المسقية فرصة التفتح بدرجة أكبر على تجارة الأسواق ومنتجاتها النباتية. نرى إذن أن الطاعون الذي تسبب في إعادة توزيع الثروات لا يساعدنا في الحكم على نزوع أبناء عمار بن محمد تسرگون نحو الاستحواذ على الفائض الزراعي. هذه السمة الطاغية على متملكي الأرض المسقية جسدت دائما سعيهم إلى الحفاظ على التحامهم والدفاع عن كيانهم ضد مخاطر مد الرحل مربي المواشي.

إذا حاولنا في الواقع الراهن للبحث أن نتتبع مسار هذه العائلة، فسنكون مضطرين للاقتصار على وثائق احماد أوعمار بن تسرگون وابنه عمار. خلال إحدى وعشرين سنة التي ربطت بين 1807 و 1828 تخول إحدى عشرة وثيقة لاحماد أوعمار التحكم في قدر هام من ماء ومرافق ساقية تيغمرت حسب ما تسمح به نصوص العرف المحلي والشريعة الإسلامية. تميزت هذه الفترة بظهور طاعون 1819 - 1820 (الزياني، *الترجمان*، 435) ومجاعتي 1817 و1825 (J.F.Clement, *Revoltes*, 20-40) (الزياني، *الترجمان*، 435). من بين هذه السنوات الإحدى والعشرين، تمثل فترة 1810-1819 مرحلة سعي احماد أوعمار الحثيث إلى إنماء ملكيته وتوسيع نطاقها كمؤشر واضح عن عدم استفادته من السنوات العجاف، وهي حقيقة تؤكد ما رأيناه من عدم اعتماده على مضاعفات الكوارث الطبيعية للاستفادة والاستغناء السريع. بل نسجل على العكس من ذلك أن طاعون 1819 - 1820 قد حد بشكل حاسم من وتيرة مشترياته العقارية والفلاحية. معنى هذا أنه رغم استحواذ الفلاحة على قسط كبير من جهوده يعتمد على تربية الماشية في تحسين مداخيله. وهو ما يفسر إلى حد كبير مدى تأثره بظاهرة تفشي الوباء الجارف التي كانت تقتضي ضرورة التنقل والترحال بعيدا عن المداشر.

ونظرا لتباين مكونات المحيط الزفاطي ولما يسود لدى آيت ا حماد أوعلي من قيم مساواتية، فقد اقتضى قانون المعاملات الداخلي الاندماج الفعلي في عمليات الدفاع والهجوم. تعددت أسباب الاصطدامات القبلية وكشفت يومها عن قدرة احماد أو اعمار بين ذويه حيث ما تزال الرواية المحلية تفرده بصفات مميزة كانت السبب في إطلاق تسمية "الحمّير" عليه هذا ما يمكن أن نتأكد منه إذا نحن تصفحنا وثيقة 1 رجب 1231/28-5-1816. كان التعايش بين أحياء الرحل من شماليي الصحراء وذوي النجعات الكبيرة يصل إلى حد الاندماج بالساقية الحراء وتيرس. كما أن أراضي وادي نون البورية لم تكن مفصولة عن أراضي الرعي إلا خلال فصول الاستغلال في السنوات الممطرة. ندرك لماذا جسدت هجرة بعض قبائل الصحراء إلى المنطقة مقتضيات الالتحام الزفاطي. فمهما تكن حدة الخلافات،

نجدها لا تنفي كون الخط العام للعلاقات يغلب عليه طابع التوافق والتساند. ومن الملاحظ بهذا الصدد أن حماس احماد أوعمار للدفاع عن مرس أزريزيلة ومدشرها الذي غادره إزرگيين وآيت بلقاسم، دفعه إلى بناء إحدى أكبر منازل المدشر في حركة كانت تستهدف إقرار الأمن الداخلي. عمد احماد أوعمار إلى حصر فائض الإنتاج الفلاحي ضمن حدود توفير الاحتياطي الضروري لمواجهة طوارئ الخصاص، كان لابد أن يدرج هذه العملية الاقتصادية في سياق عام من الممارسات القرابية التي سهلت فعالية التحالف مع آيت بليد إحدى فصائل آيت احماد أوعلي. لم تكن صدفة أن تتعزز مكانة احماد أوعمار داخل آيت بليد في وقت كان هدف آيت ياسين المجاورين لازريويلة هو إضرام النار في مطاميره وداره المتميزة. فالمعايير التي يتم على أساسها التمايز الاجتماعي لم تكن تأخذ أشكالا اقتصادية صريحة بقدر ما كانت تتلبس بقيم ورموز مقبولة اجتماعيا، أو تختفي وراء فاعليات لا تجرؤ على تبيان معالمها ومراميها الاقتصادية. لسنا ندري في الواقع الراهن للأبحاث ما إذا كان احماد أوعمار قد خلف أبناءه من أم تنتمي إلى أهل المهدي الذين يمثلون أقدم عائلة بوليدية، على أن مصاهرة جل أبنائه وسليله لهذه العائلة يسمح لاختيار مدى نجاعة الاستراتيجية القرابية والمكانة المتميزة للطرفين. لقد كان الزواج ينظم التعايش ويسهم في تقوية التداخل القرابي مع المحافظة على تعارضات البنية الانقسامية البلدية. لقد جسد أهل أعمار بدون شك عامل تقوية لم يكن يتعارض مع المبادئ التي كان يقوم عليها آيت بليد كما سنرى.

لا شك أن احماد أوعمار بن محمد تسرگون قد توفي بعد آخر رسم يحمل إسمه في منتصف ربيع الأول عام 1244/25-9-1828 وأول رسم يحمل إسم ابنه عمار في غرة شعبان عام 1244/6-2-1829 عن سن تناهز المائة حسب الرواية الشفوية. السمات المميزة لهذه السنة هي ظهور داء الكوليرا الذي ضرب المغرب مخلفا عددا كبيرا من الضحايا قد يكون احماد أوعمار من بينهم. تكون بذلك مرحلة الخصوبة التي ميزت الحقبة السابقة قد مكنت المتوفى من توظيف نفوذه الحربي والفلاحي في فسح المجال أمام أبنائه. إذا كان تراتب هذا المجتمع يقوم بدرجة كبيرة على أساس هيمنة المعيار القرابي والاجتماعي، فإن سياسة ابنه عمار ستجد امتدادا فعليا. تتدرج الرسوم التي بين أيدينا من 1244 - 1828 إلى سنة 1281 - 1867 لتكشف باسم عمار بن احماد اوعمار عن ثمان وثلاثين سنة من العمل على توسيع نطاق الملكية العائلية في إطار مزاولة الفلاحة وتربية المواشي.

يكشف استعراض هذه الأنماط من الملكية التباينات القائمة ما بين تيغمرت وازريويلة والوزن المختلف لكل منهما على مستوى انتظام الحياة الاقتصادية للسكان. فإذا كانت ازريويلة مشاعة اقترن دخول آيت بليد وباقي آيتا حماد أوعلي إليها بأحداث الفترة المعاصرة لاحماد أوعمار، فإن أشكال الملكية في ساقية تيغمرت قد انتقلت لتقترن بدينامية القيم الأحماد أوعلي. إذا لم نسقط من حسابنا هذا النمط من التملك التعسفي الذي يرجع في أصله إلى سيطرة أعيان آيت احماد أوعلي، وجدنا عمار بن احماد أوعمار يحصل بساقية ازريويلة على أربع وعشرين ساعة مائية كأكبر وحدة تم احتكارها. ولا أدل على ذلك من أن بقايا الغور الأزرگي الأقدم (أهل ازرگين وأهل بومزيريگ) الذين كانت لهم أولوية استقبال الوافدين من مرابطي آيت إيعزى وهدى لم يتمكنوا من توظيف نفوذهم من أجل محاربة مد أهل لحمير، تسجل المصادر الشفوية الالتحام الزفاطي المتمخض يومها عن تحريك دينامية قيم التملك التعسفي كمظهر من أقوى مظاهر التضامن الزفاطي وأوثقه. يكفي أن ننظر لدور هذه القبيلة الحربي في تخريب قصبة گلميم يومها لنتأكد من الالتحام الزفاطي على جميع الواجهات الحربية. لم يكن السواد الأعظم من أفراد القبيلة ينتجون ما يستهلكون معتمدين على تربية المواشي كوسيلة للتبادل. أما انفتاحهم على منتجات السوق، فإنه لم يبرز من بينهم إلا قليل جدا من الوسطاء المختصين في مهام التوزيع بصفة متواصلة. كان عمار بن احماد أوعمار شأنه شأن جل أزوافيط مربيا للماشية فلاحا لايقيم بداريه بتيغمرت وازريويلة إلا خلال الشتاء بائعا ومستهلكا محتضنا صراعات آيت بوليد وباقي الفصائل على أنها الحد الأدنى لما يمكن أن يحدق به من خطر. هذه السمات هي من صميم البنية الاجتماعية كما يمكن أن تكشفها الوثائق التي بين أيدينا.

ع. ابـن زيـدان، *إتحـاف*، 1 ؛ م. البعقيلـي، *مناقـب*، 1987 ؛ م. الحضيگـي، *طبقات* 1355 / 1936 ؛ محمد المختار السوسي، *المعسول*، 3 ؛ المختار بن حامدون، *حياة موريتانيا*، *ملف الأنصار* ؛ مجهول، *الابتسام عن دولة ابن هشام*، مخطوط خ ح ز 1242 ؛ الزياني أبو القاسم، *الترجمان المغرب*، مخطوط خ ح د 658 ؛ محمد سالم ولد لحبيب ولد الحسين ولد عبد الحي، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، 1992 ؛ *معلمة المغرب*، *مواد أزوافيط*، *تيغمرت*، *آيت بوليد*.

J.F.Clement. Révoltes et repressions au Maroc. *Al Asas, n°13, Janvier, 1979, 20-40* ; F.C .De La Chappelle, *Les Tekna du S-O Marocain* ; J.C.Jackson, *An Account of the Empire of Morrocco*, London , 1811 ; P.Marty, *Les Tribus de la Haute Mauritanie*, 1914 ; V. Monteil , *Notes sur les Tekna du Sud Ouest Marocain*, 1948 ; Tamanarti, *Fawa'id al Jamma*,1953.

تيسْگْـنـانْ، قصبة ببسيط وادي نون وعند سفح سلسلة جبال آيت باعمران لا تبعد عن شمال القصابي إلا ببضعة أميال (أنظر مادة *تگاوست بالمعلمة*). وتيسْگْنانْ تبرز كامتداد عضوي لتگاوْستْ القديمة حيث تمثل القصبتان مع قصبة أگوس مجمل الصفات الطبيعية والحضارية والبشرية لملتقى بسيط وادي نون بمرتفعات آيت باعمران (أنظر مادتي *أگوس وتاسريرت بالمعلمة*). تمر الطريق المتوجهة من باقي مداشر وقصبات نول لمطة القديمة بقصبة تيسْگْنانْ (أنظر مادة *أسرير وتغاجيجت وتيغمرت بالمعلمة*). وهي إشارة ذات أهمية قصوى تفيد مـدى اقتـراب تيسـگـنان من الجبـل، ومن هنا دراسة نمط الاستقـرار القـروي بأماكن هـي أشبه

ما تكون بالبوابات الجبلية. قد يكون استخدام الكثافة الحسابية المطلقة للسكان هنا مقياسا مفيدا، رغم عيوبه، لمقارنة وإظهار التباين النسبي في التوزيع السكاني حسب الانتماء إلى الجبل أو السفح من جهة وكمؤشر لتوضيح التركيز السكاني في الموقع الأقرب إلى الجبل. فالخريطة التاريخية تكشف منذ ابن سعيد والإدريسي عن اكتظاظ موقع تكاوست وأكوس وتيسكنان وعبودة ونول لمطة بالسكان (أنظر مادتي *أكاوس وتكاوست بالمعلمة*). ولا شك أن الغور الكوشي اللمطي الجزولي والصنهاجي قد شكل أسلوبا محليا في التداخل. كان التداخل بين لمطة ولمتونة من جهة وبين جزولة وكدالة من جهة أخرى يتم تبعا لمقاييس حركة الترحال الرعوي وحقيقة الاندماج الفعلي بين سكان البسيط والجبل (أنظر مادتي *تغاجيجت* و*تكجكالت وآيت تيكني بالمعلمة*). فسكان الجبل يتوفرون على مساكن بقصور ومداشر وادي نون مما يجعل منهم جزءا لا يتجزأ من الغور الإثني المندمج. وكل محاولة للفصل يومها بين الجبليين وسكان البسيط تفشل أمام حتمية الانتماء الإثني والتداخل البين. ندرك من هنا لماذا فشل المد الحساني والشباني على المنطقة خلال خمسة قرون من احتكار المجال الترحالي المجاور في تغيير أو بلورة المعطيات الإثنية الأساسية. هذا ما يمكن أن نتأكد منه إذا تتبعنا مجمل المصادر المواكبة لهذه المرحلة الزمنية الممتدة منذ بداية القرن السابع (13م) إلى حدود القرن الثالث عشر (19م). بل الأكثر من هذا وذاك أن مقاييس التداخل الإثني ما زالت تحد إلى يومنا هذا من صلاحية نظام التحالفات المجالي الذي ظهر بظهور اتحاديتي تكنة وآيت باعمران. ففي مثل هذه الجهات المتميزة بمجاورة صحراء الترحال يمثل الماء والسواقي عنصرا إنتاجيا نفيسا يربط الأهالي بالأرض على امتداد القرون ويحد من دور الهجرة والتنقل المحلي في تفتيت عوامل الارتباط الإثني.

هذا ما يمكن أن نقوله بشأن جل المداشر والقصبات، غير أن الواقع يختلف إلى حدما بالنسبة لتيسكنان. فقد أثبتت وثيقة الحماية التي أمضاها أهالي بوطاطا على امتداد تاسريرت ووادي نون وتامنارت وإفران سنة 1499 مع الحاكم العام الإسباني بجزر كناريا، تورط شيوخ بعض القبائل بهذه المنطقة في تحالف سياسي مع ملك وملكة قشتالة (M.Naïmi, *Le Pays Takna*). وقد أصبح من السهل تبعا للمعطيات التي كشفت عنها دراسة هذه الوثيقة إعطاء تفسير موضوعي لخلو تيسكنان من أهاليها الأصليين بعد أن اشتق ربها أحد شيوخ أولاد عمران بجيشه وعتاده وأهاليه. كانت معرفته للغة القشتالية ومصاهرته لشيخ تكاوست الذي ينتمي لنفس القبيلة من أكبر الدلائل على تجذره النسبي بعين المكان حيث كانت للمقيم العام الإسباني على جزر كناريا دار للإقامة بتكاوست. وتبعا لذلك ندرك كيف تمكن هذا الشيخ وذووه من الاستيطان النسبي بتيسكنان الصغيرة المساحة. لم تكن هذه القصبة تبدو أكبر مما هي عليه اليوم، تحيط بها كمية من مياه السواقي لسقي المحاصيل وللأغراض المنزلية. وكان طبيعيا أن يهجرها غورها السكاني الأقدم حيث يشكل الجبل القريب أحسن أداة لتحصن من تحالف المد المعقلي الإيبيري. ندرك إذن لماذا أصبحت القصبة مباشرة بعد سطو الغور الأقدم عليها وطرد أولاد عمران والإيبيريين من المنطقة سنة 1500م مقر إقامة الشرفاء الذين لا يجرؤ أحد على معاداتهم (أنظر مادة *أساكا بالمعلمة*).

استوطن الشرفاء وعمروا تيسكنان، فما زال دور أهل القصبة في التدخل بين المتخاصمين وحسم الصراعات المحلية والجهوية كبيرا إلى يومنا هذا. للتحقق من صحة هذه الرؤية أو عدم صحتها، فإن قياس العلاقة الفعلية بين أهل تيسكان الشرفاء وباقي الفصائل المنحدرة من الجبل أو المقيمة بالبسيط يمكننا وحده من تحليل صيغ التحالفات المحورية او المرحلية التي قامت منذ أربعة قرون. يمكننا أن نقار، بشكل تقريبي وعام تاريخ آيت باعمران كما يبينه لنا شرفاء تيسكنان بتاريخ تكنة. من هذا المنطلق يصير تاريخ الاتحاديتين تاريخا للعلاقات المحورية بين البسيط والجبل وبنية مجالية تضفي على الصيغة التحالفية جوهرا سياسيا محضا ويجعل من الاختلاف الإثني عنصرا معزولا غير واقعي وغير قادر على تفسير النمو الفعلي للعلاقات بين فصائل الغور السكاني الأسبق بالسفح والجبل.

F.C. De la Chappelle et P. de Cenival. Possessions espagnoles sur la côte occidentale d'Afrique : Sama Cruz de Mar Pequena et Ifni. *Hesp.. 1935, 2-4ème trim. 19 – 77* ; Id. et Th Monod. *Description de la Côte d Afrique de Centa au Sènègal par Valentin Fernandès*. 1506 – 1507. Paris. 1938. 214 p. ; Id.. *Les Tekna du Sud Ouest Marocain*. A.F. 1934. 108 p. : CI. Justinard. *Villes et Tribus du Maroc*. Vol. VIII. *Tribus berbè*res.T.I. *Les Aït Ba Amran*.1930.

تِيشِيشْتْ، عاصمة قديمة بوادي نون. وتعتبر قريتا تيغمرت وأسرير المجسدتين الفعليتين لبقايا نول لمطة على ضفاف وادي نون بالضفة الشمالية الغربية للصحراء الأطلسية (أنظر مادتي أسرير وتيغمرت *بالمعلمة*). وقد اعتمد مونتيي الرواية المحلية ليسجل خلال الأربعينات بأن تيشيشت التي تقع حيث يقيم آيت مسعود بتيغمرت هي مركز العاصمة القديمة (V. Monteil, *Notes sur les Tekna* ; 21). ولم يتوان D. Eustache بدوره انطلاقا من هذه الفرضية عن تحديد موقع ورش سك الدينار الذهبي المرابطي بتيشيشْتْ (*Les Ateliers*, 95-102). معلوم أن دخول المرابطين القادمين من الصحراء إلى نول سنة 448-1057-1056/449 قد تم في إطار عقد تحالف قبل بموجبه أهل المدينة دفع ثلث ممتلكاتهم للمرابطين ليطيب لهم بذلك الثلثان (البكري، *المغرب*، 166).

كانت نول تمثل يومها عاصمة الضفة الشمالية الغربية لمسالك الصحراء الأطلسية الساحلية. فقد كانت تحتكر مسلك نول - أوليل. كما كانت قوافلها تصب في

المحور الرابط بين سجلماسة وأوداغت. فلم يجد المرابطون لذلك أي صعوبة في إنشاء معمل لسك الدينار الذهبي الذي ما تزال المتاحف الأوربية والمغربية والجزائرية تحتفظ بعينات كثيرة منه. تميزت الفترة الفاصلة بين 497-540/1103-1140 بوفرة معامل سك الدينار المرابطي الذي كان يزيد وزنه عن أربعة غرامات من الذهب. وقد أوضحنا في دراسة خاصة عن معمل نول خلال هذه الفترة أن إنشاءه يعود بنظرنا إلى ما قبل سنة 486/1093-1094 معتمدين في ذلك على مكانته البارزة في الإنتاج. كان يمثل رابع معمل بالمنطقة الجنوبية مع سجلماسة ومراكش وأغمات. فبينما تخصصت تامدولت وتارودانت وإيجلي في سك الفضة، كان التبر يصل إلى نول على شكل تراب أو حبات أو قضبان أو أشكال هندسية مختلفة الأحجام. ما كان يميز تبر آبار الغرب الإفريقي المتعددة هو اعتباره يومها ذهبا خالصا قابلا للسك دونما تحليل. وبالرغم من أن أبحاث R. Messier المختبرية قد أثبتت وجود نسبة صغيرة جدا من النحاس والفضة، فإن هذا الذهب يظل مع ذلك أفضل مادة ذهبية قابلة للسك المباشر، نصل من هنا إلى إشكالية المقادير المسكوكة وما إذا كانت الكميات الواصلة من آبار الغرب الإفريقي تسمح بالاستعمال النقدي المباشر؟ إذا كان الباحثون قد أجهدوا أنفسهم في تحديد المقادير الذهبية العابرة للصحراء دون جدوى، فإن التقديرات والاحتمالات لا تسمح حاليا بمعرفة إذا كانت الكميات المسكوكة توفر المقدرة التأطيرية للمبادلات المحلية والجهوية كما كان عليه الشأن بالنسبة لمجتمعات البحر المتوسط (J.Devisse, *Commerce*, 416). نعلم فقط بأن عملية سك الذهب لم تستهو أهالي أوداغست وغانة حتى بعد سنة 422 / 1050 وهو تأكيد لعدم احتياجهم التعامل بمسكوك ذهبهم العائد من الضفة الشمالية. من هنا ندرك بأن رواج الدينار المرابطي لم يتجاوز الصحراء جنوبا وأنه أخذ وجهة الأندلس وما وراءها شمالا. ولا تزال تكشف التنقيبات الأوربية عن عينات من هذا الدينار المرابطي الذي جسد نوعية العلاقات التجارية بين ضفتي المتوسط وفق مقتضيات البنيتين الاقتصادية والاجتماعية (Colson, *Notes*, 241). لقد تمثل التمايز الاقتصادي بين الضفتين إلى حد بعيد في قدرة الشماليين على جلب موفور الدينار لتوطيد دعائم اقتصادهم وإدماج تجارة القوافل في محيطه. وهي إشارة إلى أن معمل نول لمطة لسك الدينار لم يكن، شأنه في ذلك شأن باقي المعامل الجهوية، قادرا على تأطير النشاط الاقتصادي وتعميم مفهوم التبادل بالعملة المسكوكة. وقد زاد من حدة هذا العجز استقلالية سياسة السك بهذه المعامل الجهوية. كان تحكم أمراء المرابطين ومديري معامل السكة في قرار السك يهم بشكل أو بآخر القضايا السياسية والاقتصادية العالقة. هذا ما يمكن أن نقره بشأن إبراهيم بن أبي بكر بن عمر اللمتوني عامل سجلماسة (462/1069، 70/1074، 467/1075). وهو أيضا ما يؤكده تمسك معمل نول لمطة بسك دينار مرابطي سنتين بعد انهيار دولة المرابطين على يد الموحدين.

انطلاقا من هذه الاستقلالية الإدارية والعسكرية، نرى أن سك التبر الإفريقي لم يكن يرقى رغم جودة الدينار وسمعته المتميزة، إلى مستوى الاستغلال المكثف للأسواق الشمالية البعيدة. بل الملاحظ أن سياسة سك الذهب لم تكن مندمجة ضمن أي مشروع لخلق بنية ترويجية متكاملة في الضفة الشمالية للصحراء، بقدر ما كانت منعزلة عن المبادلات الداخلية وتابعة لحاجيات الضفة الشمالية للبحر المتوسط. استنادا إلى هذا المنظور ندرك لماذا توقف معمل نول لمطة عن العمل بعد فترة قصيرة من انهيار المرابطين. فرغم ما أورده Th.Monod وP.Cenival بشأن استمرار العمل به خلال الموحدين وبعدهم، نرى غياب شواهد الإثبات، من مسكوكات ومصادر، كفيلا وحده بعدم الاقتناع بهذا الاحتمال (*Description de la Côte*, 159-161, note 191). على أنه لا يمكننا التغافل عما قامت به نول لمطة من دور طلائعي في تطوير المبادلات بين ضفتي الصحراء من جهة وبين سوس والبحر الأبيض المتوسط من جهة ثانية. لقد أبرزت فاعليات الرواج التجاري أهمية نول في التحام فصائل لمتونة وتبعا لذلك فإننا لسنا هنا أمام تعارض بين مفهوم التلاحم القبلي وتأسيس معمل لسك الدينار الذهبي. ونفس الملاحظة يمكن أن نبديها بشأن التداخل النسبي بين البنية التجارية المحلية وتسرب استعمال النقود الذهبية. فمجرد إقامة علاقة اقتصادية من هذا النوع ما كانت لتثير مثل هذا النقاش لو لم تكن تعزيزا لمسلسل تسرب القيم النقدية.

مصطفى ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة*، الرباط، 1988.

Colson. Notes sur les dinars trouvés en 1851 dans l'ancienne chappelle du monastère Del-Camp. *Revue Numismatique. XVIII. 1853, 240-243* ; J.Devise. *Commerce et routes du trafic en Afrique Occidentale. Histoire Générale de l'Afrique* III. *L'Afrique du VIIème au XIème siècle*. Paris. 1990. 397 – 463 ; D. Eustache. *Les ateliers monétaires du Maroc*, II-T. 1970-95-102. Carte ; R. Messier. Quantitative analysis of Almoravid dinars. *J.E.S.H.O.. XXIII. Parts I – II. Figures 2 et 3, 105 – 114* ; Id., *The Almoravids. West africain gold and the gold currency of the mediterranean.*

تيغْمَرْت، موقع بمحاذاة مدشر أسرير (*معلمة*، 409-411) على ضفاف وادي نون حيث يتفرع الرافدان وارگ النون ووادي بوكيلة. وهو اسم صنهاجي مرادفه تارمگيست بمعنى الزاوية أو الركن أو المرفق. هذه السمة المميزة للموقع تحدد خصائصه بالنسبة لأسرير المجاور أو تاغاجيجت شرقاً أو تا گـاوست غرباً على نفس الوادي. ولكي نعطي هذا التمييز معنى مشخصاً علينا أن نرجع إلى ما يسجله الباعقيلي الذي قضى بتيغمرت أربع سنوات خلال القرن العاشر (16 م) حيث لا يفردها باسم نول لمطة دون جارتها أسرير بنفس الموقع (*مناقب*، 28 - 29) وهو معطى لن يتوانى عن تأكيده V. Monteil اعتماداً على الرواية الشفوية خلال

بداية هذا القرن حين يحدد مركز نول لمطة ببقايا تيشيشت بديار آيت مسعود بتيغمرت (*Les Tekna*, 21).

هذا ما تكشف عنه في غياب الحفريات الدراسات والتحريات الميدانية حيث تتضح بحي السوق القديم (تامسّوقت) آثار ومعالم حي تجاري وصناعي بحجم مهم يتوسطه مسجد كبير ويحده موقع السوق الأسبوعي يوم الخميس. وبذلك فإن تعدد الاحتمالات يعكس تصوراً متعدد الجوانب لا تزيد من غناه إلا مقولة أهل أسرير المجاورين. فهم يؤكدون بأن نول لمطة كانت سابع مدينة بعد سجلماسة وفاس وتلمسان وأغمات وقرطبة وغرناطة. وهو بالضبط ما يؤكده حجم المسكوكات من الدينار المرابطي بنول المتبقي بمتاحف باريس ولندن والرباط والجزائر، فنجد أنفسنا إزاء تداخل مجالي لا يتنافى مع أهمية نول لمطة كعاصمة كبيرة تشمل تيغمرت وأسرير على حد سواء.

لقد أكد البكري بأن حجم رواج المسكوكات لم يكن كبيراً قبل المرابطين. وهي مرحلة تؤكد أقدم المصادر العربية وجود نول لمطة كعاصمة للتجارة المنتظمة بين ضفتي الصحراء. من هنا فإن سك الدينار يؤكد النمو المتواصل خلال القرن الخامس (11م) محدداً بذلك الصورة المتطورة لمستوى نمو القوى التجارية والإنتاجية كما أورد ذلك الإدريسي. أما دور المرابطين كأداة فاعلة في الربط بين ذهب جنوب الصحراء ومعامل سك الدينار بنول، فيعبر بقوة عن تكامل لمطة (ايليميضن) وواد نون بلمتونة (إيويليميضين) ذلك أنه حتى إذا كان تداول هذه العملة قد اقتصر على شمال الصحراء وعلى بلاد الأندلس (J. Devisse, *Commerce et routes*, 416) فإنه يكشف عن درجة نمو الإنتاج ونوعية المنتجات التي تتطلب مراقبة المجال ودمج فعالياته ومردوديته. بذلك يجوز الاعتماد على تكامل تيغمرت وأسرير في الانتقال بأهل وادي نون إيليميضن إلى المقام الأول في تحديد الإثنية بنول لمطة. وهو ما يتأكد أكثر إذا تتبعنا الاندفاعة التي ميزت نول خلال القرن السادس (12م) كنتيجة لتحالف لمطة مع لمتونة.

هناك ملاحظة أساسية تتعلق بمكانة هذا التحالف داخل التصنيفات التي وضعتها المصادر العربية لقبائل صنهاجة (إزناگن). فالتحديد إما غائب تماماً أو أنه يقتصر على شغل حيز ثانوي كمساعد على الوصف. يتضح ذلك من القراءة الأولى حيث لا يخرج التصنيف عن الخط التقليدي الاعتيادي الذي يحشر نسابة العرب ضمن الاتجاه العبراني الأقدم كما هو واضح لدى ابن حزم وناسخه ابن خلدون. وهكذا نجد لمطة يرتبطون بصنهاجة الصحراء مما يضفي عليهم طابعاً محدداً يستند إلى أسس إثنية توثق التداخل بينهم وبين جزولة (إيگزولن) الأطلس الصغير. ومن فحص المواقع التي تستند إليها هذه الأسس لا يعمل النسابة العرب على إدخال التصنيف مجال الشرعية إلا انطلاقاً من مراقبة المجال. يتضح من هنا عدم عناية هؤلاء النسابين بتدقيق المشجرات مما يدعو إلى ضرورة تجاوزها. ولتوضيح هذا الجانب، فإن الأولى هو الانطلاق من منطلقات التحالف القبلي ومن طبيعة التفاعلات المصلحية التي قامت بين إيليميضن نول وبعض الفصائل الصنهاجية المقيمة بسوس خلال القرن السادس (12 م). نسجل هنا أن الأحداث *الواردة بكتاب أخبار المهدي ابن تومرت* لأبي بكر البيذق تكشف، شأنها في ذلك شأن رسالة يهودية مؤرخة بـ 542 / 1148 (A. Chouraqui, *Histoire*, 120)، عن حجم المجابهة بين عبد المومن الموحدي والتجليات المتنوعة لتماسك إزناگن إيليميضن بوادي نون. أما إيگزولن، فإن كتاب *البيان المغرب* يساهم في رصد التراكيب القبلية التي لا تسمح بكشف نوعية ولا حقيقة تلاحمهم بإيليميضن. فتيغمرت وأسرير تبرزان كقاعدة مركزية للمطة بملك لمتوني. وتتجلى أهمية هذا التحالف في القدرة التامة على مجابهة جيوش عبد المومن إلى حدود 550 / 1155. يومها فقط عمد عبد المومن وقائده الأعلى أبو حفص إلى غزو أمهات القرى بوادي نون مستعملاً في ذلك ثلاثة جيوش دفعة واحدة. وإذا كان أحد هذه الجيوش قد دخل تاغاجيجت سنة 548 / 1153 (*البيذق*، 77 - 87) فإن أهگار اللمتوني سلطان تيغمرت وأسرير وربما تاگاوست أيضاً، قد توجه بطلب المساعدة إلى اللمتوني المكنى الصحراوي. لم يلبث هذا القائد أن عاد لتوه من الصحراء ملبياً النداء. فلم تكتف فصائل قبيلة لمطة بالمجابهة، بل قامت بغزو المنطقة الواقعة بين سوس الأعلى ووادي درعة حادة بذلك من المد الموحدي. بهذه الكيفية، نستطيع أن نفهم حركة التوجه من الصحراء نحو وادي نون ثم العودة إليها على نحو ما يمكن أن نشبهه بالمد والجزر في مواجهة الخطر الخارجي. وتصبح بذلك قدرة لمطة ولمتونة على مراقبة المجال أكثر وضوحاً. بعبارة أخرى، فإن هذه المجابهة المستمرة للموحدين التي لم يقف عندها أبو بكر البيذق بما يكفي من التأني، قد ساهمت في تحديد هوية أهل تيغمرت حيث ظهرت قبيلة أزوافيط منذ نهاية المرابطين.

يكشف مخطوط *البحر المحيط في نسب تكنا وأزوافيط* عن دور أبي الوليد ابن رشد قاضي علي بن يوسف بن تاشفين خلال القرن السادس (12م) في توظيف المقدرة الحربية لبعض فصائل أزوافيط في مرافقة القوافل العابرة للصحراء، وهو ما تؤكده الصياغة الصنهاجية لفعل إسفد الذي يشتق من إسافادن. تاريخ هذه القبيلة كما أوردناه (*معلمة، أزوافيط*، 364-367)، لا ينصف من جهته إلا على مفاهيم هي حصيلة الصياغات المصلحية منذ المرابطين (م. ناعمي، *تشكل*، 244-245) وحتى نتمكن من إبراز أهمية هذه المفاهيم، يكون لزاماً أن نتخطى سياج النظرية التقليدية حول البنية القبلية الالتفافية حول مراقبة المجال سواء في تصنيفها لنظام التحالفات أو نقدها له. وهنا نصل إلى دور أزوافيط في تحديد سيرورة لف آيت عثمان بالنسبة للف آيت الجمل الساحلي. ذلك أن مفهوم التحالف الذي يكمن وراء الاصطلاح اللغوي يرجع بأزوافيط إلى عثمان بن مندى كجد لمجمل اتحادية تكنة التي تراقب وادي نون والساقية الحمراء وباني الغربية. فإذا كان عثمان بن مندى هو

عامل ابن ياسين وأبي بكر بن عمر اللمتوني على نول لمطـة، فإن حلقات تماسك لفـي الاتحادية يكشفـان بما لا يدع مجالاً للشك عن بنية سلالية قرابية تبرر الوحدة الداخلية. ذلك أن كلا اللفين يتحرك داخل منظومة تستقي مبادئها التحالفية ومنطلقاتها من سياق التطور الذي يجعل فصائل آيت لحسن (لف آيت الجمل) ترث في ماء وساقية ونخيل أسرير وتيغمرت (لف آيت عثمان). وهو ما يؤكد أن تعميم اسم آيت الجمل على قبائل الشريط التكنى الساحلي الممتد من حدود آيت باعمران إلى ما وراء منطقة زمور جنوب الساقية الحمراء، إنما مرده إلى سيطرة الترحال الرعوي وتربية الإبل بفعل المعطيات المناخية والجيومرفلوجية.

إذا كانت تيغمرت تحمل اسم المرفق فذلك لأنها ترسم شكلاً محدداً يبرز بوضوح معالم موقع مائي رئيسي ببسيط وادي نون. على أن تحديد مظاهـر التشكيـل على هـذا الموقـع وضبط الآلـيات والعوامل التي تتحكم فيه لا تتم إلا بتحديد مجموعة العوامل المسؤولة عن ذلك. فنوعية التربة تسمح بتنوع وكثافة الغطاء النباتي الذي يقلـل نسبياً من تركـز الريـاح. وإذا كان تركـز الرياح لا يستطيع زعزعة حجم وكثافة النخيل وأشجار الرمان والزيتون والإجاص والحناء، فإن لشبكة الري المحلية دورها في ترطيب المناخ بما تهيئه من غطاء نباتي. فنلاحظ بذلك أهمية عامل الري في نشاط المساحات المسقية حيث تحد نباتات الرطم المتناثرة من فعالية التشكل الريحي. أما دور التدخـل البشـري، فإنه يكتسـي أهمية بالغة بتدخلاته المختلفة سواء عندما يؤدي إلى اختلاف التوازنات البيئية أو عندما يعيدهـا ويـدرأ خطر التعرية أو يقلـل من أهميتهـا بواسطـة إعادة التشجير أو إقامة المشاريـع السقويـة. عموماً فـإن هـذه العوامل مجتمعة، تساهم منـذ القـرن الخامس (11 م) على الأقـل فـي تشكيـل المساحات المسقيـة الممتدة بجـوار القرى والمداشر.

لقد لعب سيدي محمد بن عمرو اللمطي دفين أسرير قطب وادي نون خلال القرن السادس (12 م) دوراً هاماً في تقسيم الماء المار من تيغمرت نحو أسرير. إذا كان اشتغاله بهذا التقسيم يعد بمثابة عامل تأكيد لدوره الكبير كسلطة فعلية خلال هذه الفترة، فإنه ينبغي أن نؤكد على أن تصوفه ظل بعيداً في غالب الأحيان عن كل نزعة باطنية، شأنه في ذلك شأن التصوف الجهوي بشكل عام (ابن خلدون، *شفاء السائل*، 59 ؛ *المقدمة*، 323). وفي هذه المقاربة علاقة جوهرية بين سيدي امحمد بن عمرو وأهل تيغمرت والبنية العقائدية والثقافية المحلية. ولعل مما يساعد خلال هذه الفترة على تحديد تصور دقيق للنشاط الفكري اضطلاع أبي سليمان داوود بن علي الحيحائي بتدريس مادتي الحساب والفرائض بطريقة موسعة. فنجد بين يديه سنة 663 / 1264-1265 تلميذه عبد الله بن أبي بكر بن يحيى الجدميوي الصودي، يأخذ عنه الحساب وكتاب *الكافي في الفرائض* ويتقن عليه المادتين. أمـا الصودي فهـو واضـع ثلاثـة مؤلفـات في الفرائض يحمل أكبرها اسم *نهاية الرائض في خلاصة الفرائض* وثانيها *كفاية المرتاض في تعاليل الفراض* وثالثها *مفتاح الغوامض في أصول الفرائض*. والمؤلفات الثلاثة يضمها مجموع مخطوط بدار الكتب الناصرية بتامگروت تحت رقم 1647. وبذلك يتضح أن تيغمرت كانت مسرحاً لنشاط تعليمي تتعدى أبعاده نطاق وادي نون بما يوفره لأهل الصحراء وسوس من أساتذة وطلبة. فندرك من هنا أن الحركية المحلية لم تنمح بما ذهب عن لمطة من الشوكة خلال زمن الموحدين. بل الأكثر من هذا أن ازدهار التجارة خلال القرن السادس (12م) ساعد على إيجاد متنفس لليهود الفارين بدينهم من القمع الموحدي، وهو متنفس مرده إلى التكافل الاجتماعي الذي ميز دائماً العلاقة بين نول لمطة ويهود إفران القريبة (Chouraqui, *Histoire*, 119 ; V. Monteil, *Gens*, 394-4). على أن مستوى العيش سيعرف نوعاً من الركود حاداً بذلك من تطور الوسائل والقوى الإنتاجية بعد نهاية القرن. ذلك أن اضمحلال تجارة المحاور الغربية للصحراء بظهور امبراطورية مالي شرقاً سيسبب بعض الركود الاجتماعي والاقتصادي. فقد أخذت تامدولت في الاندثار لتحل محلها تدريجياً أقا. وإذا كان علي بن يدر المنشق عن الموحدين بسوس قد ساهم في دخول الشبانات وذوي حسان وأولاد جرار إلى المنطقة (*البيان*، الموحدون، 457-461. 3/ 124)، فإن تمايزاً سياسياً واجتماعياً سوف يميز مواقف لمطة بوادي نون عن كل من لمتونة بالصحراء وجزولة بسوس. لقد أصبحت المنطقة مسرحاً لتبدلات عامة نتيجة لعاملين : الركود الاقتصادي والتجاري ثم الخراب العمراني الذي عمل على تفتيت البنية المجالية المتناسقة الأبعاد. بذلك يتحول تاريخ تيغمرت تدريجياً إلى سيرة ذاتية يمكن تسجيل مراحلها من خلال الإشارات المتفرقة.

إن الجهد الذي بذله أهل تيغمرت يومها من أجل بلورة عادات وتقاليد سياسة متوارثة تقتضي الاحتفاظ بمهامهم السلطوية الاقتصادية والاجتماعية، يحيلنا على عصبية محلية تكاد اليوم تكون مجهولة. فمخطوط *البحر المحيط* يعد أداتنا الوحيدة لتسجيل طروحات تتداخل من خلالها الإشارات حول السطور العريضة لتاريخ أهل تيغمرت. لقد وصل بلّة، الجد الأسمي لآيت بلة، ومن معه إلى تامدولت أقا قادماً إليها من توات. ومن خلال الاستقبال الذي حظي به من لدن صاگ، جد القائد الجزولي التامانارتي، تتضح أهمية دوره في توظيف المقدرة الحربية للقضاء على تامدولت. هذه العلمية التي نراها تواكب انحطاط عاصمة إيگزولن خلال القرن السابع (13 م) تكشف عن عصبية بلة ومن معه وتستعرض الشروط التي تخصهم كرحل وكقوات مساعدة. فيبقى بذلك السؤال مطروحاً حول علاقتهم الفعلية بأزوافيط الذين رأيناهم يحمون قوافل الصحراء منذ القرن الخامس (11 م). يجيبنا المخطوط بانتقال بلة ومن معـه إلى تاگجگالت آيت تيكني حيث ينتهي بهـم الترحـال بعـد ذلك إلـى مـزاحمـة أمازيـغ القـاطنيـن

بتاغاجيجت. غير أن الصراع حول مراقبة المجال ينتهي ببلة ومن معه إلى حط الرحال قرب جبل تايَرْت على مقربة من تيغمرت حيث كان يقيم إذا أوعفان وأسرير حيث يوجد يومها ادا أوبوزيا. فما موقع أزوافيط من الصراع الذي سينشب بين الرحل الوافدين وإذا وعفان وإذا أوبوزيا ؟ المخطوط الذي لا يدقق موقفه من هذا السؤال يعتبر القوة القبلية هي وحدها القادرة على تغيير البنية التحالفية المتآكلة. لقد ابتدأ التدخل الذي اعتبره صاحب المخطوط معاينة فعلية لاندماج بلة ومن معه بالغور السكاني الأقدم باستغلال التناقضات المصلحية. وإذا كان اهتمام بلة يومها بأسرير وتيغمرت مرده إلى غياب قوة متماسكة تستظل بظل التماسك والتحالف فذلك لأن عدم اصطدامه بعصبيات قوية يعد المحدد الوحيد لوظيفته الجديدة بعين المكان. من هنا فأولية تطور سلطة بلة راجعة إلى عدم دقة المصطلحات التي استعملها المخطوط لتوضيح الترتيب القبلي وراجع أيضاً إلى غياب وصف لتطور السلطة في مختلف مستوياتها.

إن نظرة على مستويات السلطة تكشف بسهولة عن تباين مواقف الواردين على المنطقة والغور السكاني الأقدم حيث يعتبر الأمازيغ أنفسهم خارجين عن الانتماءات القبلية بوادي نون وباني (La Ruelle, *Id* *Brahim*, 11). كما أن من الشواهد التي يمكن أن نعرض لها دور آيت بلة في طرد إدأوعفان من تيغمرت إلى حيث مواقعهم الحالية بتارگـامآيت بجوار تاغاجيجت. ولعل لهيمنة آيت بلة ما يدعو إلى تكريس نظرية تغلب الرحَّل على المستقرين وإيرادها كتبرير للمقولة الخلدونية. إلا أن تاريخ وتطور تيغمرت لا ينبغي مطلقاً أن يتجاوز مستوى التأويل الذي يفترضه تعدد الروايات وتشابكها. فما أكثر ما نصادف في الوثائق العائلية القديمة إشارات إلى اعتداء الرحل الواردين على الساقية والأرض واغتصابها بشكل لا يقدم لنا تاريخاً مفصلاً بقدر ما يلتزم بتعميق معرفتنا بحدة الصراع من أجل مراقبة المجال واستغلال الأرض. ونشير في هذا الباب إلى أن النعوت التي كان يطلقها ابن خلدون على وادي نون يومها تجعل من نول لمطة عاصمة سوس والمناطق المجاورة (*H.B., 1 : 155-156-111 : 280*). وباتّكائنا أيضاً على وطواط نسجل وفرة السدود الصغرى التي كانت تعود إلى زمن المرابطين. أما الأرحاء التي كانت تحركها مياه الأودية فقد كانت تتكفل بطحن الأقوات وتكشف عن وفرة القرى والمداشر المحصنة والخصبة على ضفاف الأنهار. وحتى بعد انتصار المرينيين على ذوي حسان والشبانات فإن غنى الأسواق المحلية كان ما يزال يجذب نحوها التجار من الأصقاع البعيدة. على أن حفريات الضفة الجنوبية للصحراء بأودغست قد كشفت عن تطور ظاهرة القحولة خلال القرنين السادس والسابع (12-13 م) (j . Devisse , *Tegdaoust*, 1 : 23) . ومع ذلك، فإن شهادة ابن خلدون تتيح لنا مادة هامة عبر تعدد الإشارات عن وفرة المياه واستغلالها من طرف الغور السكاني الأقدم. كانت المنطقة أيضاً مجالاً لتسرب الأوبئة وازدياد الضغط المعقلي. فبينما نلاحظ اصطياف ذوي حسان والشبانات بحوض وادي نون ومرتفعاته، كانت سياستهم تقتضي التركيز على حدة الصراعات بين الفصائل المحلية القديمة.

هذه الصراعات تنقلنا مباشرة إلى دور استراتيجيات تسرب الواردين على المنطقة أعراباً كانوا أم أمازيغاً إلى فصائل الفرقاء المحليين. فتفاقم الصراعات المحلية يتجلى في ظاهرات استيطان الواردين نتيجة لتلاشي العصبية المحلية وعجز فئاتها عن ممارسة أدوار دفاعية. ولعله يحسن أن نعود إلى مخطوط *البحر المحيط* لنجده يتحدث عن كيفية استقرار بعض فصائل قبيلة أزوافيط في أسلوب تقليدي لا يخرج عن الموروث. فهو يعتبر أسعيد أواحماد الجد الإسمي لإحدى فصائل أزوافيط من فصيلة آيت بومگوت التي تنتمي إلى قبيلة آيت لحسن التكنية. كما يرى بأن سعيد أواحماد قد دخل ومن معه الصراع في صف إدأوعفان بتيغمرت ضد إدأوبوزيا بأسرير. فما كان من هؤلاء إلا أن احتجوا لدى مجمع تكنة ضد هذا التدخل الذي يخل بالحياد المعمول به من طرف الجميع. فكانت النتيجة أن أحرقت خيمة سعيد أواحماد حسب مقتضيات الاتفاق المعمول به في هذا الشأن. فيضطر بذلك أهل تيغمرت، إضفاء للشرعية على تحالفهم مع سعيد أواحماد إلى منحه ما قدره يوم وليلة من ماء الساقية ما يزال يحمل اسم تاصدرت أهل اسعيد أواحماد ومائة حلقة بستان وربوة السوق القديم (تامسوقت). لن يلبث بواغارون الذي كان ينتمي أيضاً لنفس آيت بو مگوت من قبيلة آيت لحسن أن يخطو ومن معه نفس الخطوة عندما تدخل إلى جانب إدا أوبوزيا بأسرير. وسينتهي الأمر بهؤلاء إلى تسليمه القصبة التي أصبحت تعرف حالياً بالخربة غير بعيد عن مدخل المدشر من الجهة الساحلية وجزءا من الطريق الواصلة إلى ربوة سوق الأحد القديم الذي سبق سوق گلميم. ويتكرر نفس الإخلال بالحياد مع الجد الأسمي لآيت ياسين المقيمين حالياً بالربوة المعروفة بربوة آيت ياسين ومع أحد أولاد مبارك اسمه محمد، حصل بدوره على جزء من الوادي قرب سوق خميس تيغمرت وأردوم القريبة من الساقية. يتضح بذلك انقباض أيدي الغور السكاني الأقدم من أمازيغ وآيت بلقاسم وأهل حايين وإدا أوعفان وإدأوبوزيا وإدا أولگان وآيت بكو عن صد الهجرة والتسرب إلى الأراضي والساقية. عملية الاستقرار التدريجي تكشف هنا عن استغلال التناقضات الداخلية كاستراتيجية للتدخل السريع المباشر. لقد ابتدأ المتدخلون كما رأينا بتبني الاتفاق الجماعي الذي يقوم على أسس الحياد كقاعدة تسمح للمخلين بتكوين أرستقراطية حربية إقطاعية. يضفي التصنيف المحلي على هذه الوحدات شرعية محددة ستكون المسبب الحقيقي في طرد إدا أوعفان وإدا أوبوزيا إلى مواقعهم الحالية. فالتناقضات والصراعات المحلية تتيح للعصبيات الجديدة إمكانية الاستيلاء على المجال وإعادة الدورة

التاريخية الخلدونية المعهودة. نرى إذن أن المخطوط الذي ينحى منحى السرد يتميز بغياب التواريخ فيضطرنا إلى اعتباره عملاً تركيبياً لفترة تظل مراحلها الأساسية غامضة لا تشمل إلا بعض النتف عن التفاصيل الضرورية. وإذا كنا وقفنا عند هذا المخطوط فذلك لنبرز خاصية الروابط بين الفصائل وتنوع انتمائها إلى تكنة.

عندما حاولنا فحص الروابط بين فصائل تيغمرت خلال القرن التاسع (15 م)، فإننا لم نعثر باستثناء وثيقة 904 / 1499 على ما من شأنه أن يساهم في الحد من غياب المعطيات الأولية (Naïmi, *Le Pays de Takna. Commerce*). يشغل التاريخ الفعلي لتيغمرت بهذه الوثيقة حيزاً معيناً ينضاف إلى ما نعرفه عن تطور نول لمطة منذ اضمحلال تجارة المسالك الساحلية وتسرب المد المعقلي وتكالب المضاعفات السياسية لهذا المد والكوارث الطبيعية. والجديد مع هذه الوثيقة الهامة أنها تكشف عن دور الاقتراب من الساحل الأطلسي حيث بدأ التسرب الإيبيري، في تمييز تاگاوست عن تيغمرت. يتضح أن قبيلة أولاد عامر الهلالية كانت تهيمن يومها على قرى ومداشر إيفني وإفران وتامنارت وبعض قرى ومداشر وادي نون كتاگاوست وأگاوس وتيسگنان.

رغم حملات أهل كناريا المكثفة وغزو قرى وقصبات وادي نون خلال نهاية القرن التاسع (15 م) فإن بعض الوثائق الكنارية تدل على بداية التعامل التجاري المنتظم بين الطرفين (P. de Cenival et La Chappelle, *Possessions*) فهل تعامل تجار تيغمرت مباشرة مع الجزر الكنارية القريبة أم اقتصروا على تجارة القوافل عبر المواسم الأسبوعية والموسمية ؟ عن الكيفيات الفاعلة الأولى التي ميزت علاقة أهل تيغمرت بمحيطهم التجاري والسياسي نسجل لجوءهم إلى الأساليب الاحتياطية السائدة. فبعض الوثائق العائلية تدل على مدى حرصهم على تطوير نظام المراقبة والاستعداد الدائم لإغلاق بوابات القصبة تحسباً لكل الهجومات. كانت گويرة السوگ يومها هي مقر السوق الموسمي الأكبر بوادي نون ولم يكن لهذا الموسم من منافس حقيقي سوى موسم مغيمية القريب من طاطا الذي أشار إلى أهميته الحسن الوزان الإفريقي. ندرك من هنا أن احتكار السوق الموسمي يعد من بين الأولويات التي كان يتنافس حولها أهل تيغمرت وأعراب تاگاوست. وهي إشارة تؤكد ما تورده المصادر عن التداخل النسبي بين الأعراب والغور السكاني خلال نهاية هذا القرن. إلا أن الإشارات إلى تطور العلوم الدينية داخل القصبة تؤكد بأن المعارف والنشاط التجاري كانا يومها لا يزالان محورين لتفهم أهمية وحجم تيغمرت (الديماني، *روضة التحقيق*).

إن يسير ما أوردناه فيه دلالة كافية على أن تيغمرت قد ورثت عن الحقب المتلاحقة هيكلاً عمرانياً أغنته التجارب وهدته التقلبات. فإذا كان إدا أولگان قد حموا وحرسوا بودميعة، فإنهم لم يتوانوا عن صده عندما أمعنوا الملاحظة وتأملوا فيما دعاهم إليه من خلاف مع لف آيت الجمل. وإذا كان ماضي آيت مسعود قد أورثهم إمعان الروية عند التعرض لخلافاتهم مع جيرانهم، فإنما ذلك مرده إلى دور تيغمرت كهيكل منظم مرتب ومنسق تحتل فيه كل فصيلة مكانة محترمة في سلم التدرج. وإذا كان آيت امحند لا ينفصمون عن سياستهم التوفيقية بين الفرقاء فذلك لأنهم ورثوا عن أسلافهم حكمتهم وقناعتهم. إنا نعلم أن آيت الخنوس قد جسوا أمجاد تيغمرت خلال القرن الثاني عشر (18م)، لذلك فإن تيغمرت تدخل القرن اللاحق صحبتهم بهمة لا تلين وشهرة لا تنقص كما رأينا. لقد ظهر بوحلايس بآيت باعمران ووادي نون مباشرة بعد مقتل المولى اليزيد سنة 1206 / 1792. وإذا كانت حركته قد لقيت إقبالاً كبيراً في بدآيت ها، فإن قتله لمجموعة من مرابطي أسرير وشريفين بتغميرت يكشف عن حدة الصراع بينه وبين أهالي نول لمطة. هذه النّزعة التحريرية تصور دور العصبية الحاسم في التعليلات السياسية. لقد تدرع اعبيد الله أو سالم والد بيروك بوجود ابن المولى عبد الرحمن معه قبل أن يخلف المولى سليمان، لينتزع من أهل تيغمرت حق إنشاء موسم جديد بگـلميم، لكنهم أفهمـوه أن التجـارة والعمران تـوأمان لا ينفك أحدهما عن الآخر. ارتبط هروب اعبيد الله أو سالم بعد ذلك من وادي نون بفشله أمام بوحلايس، وبالمقابل نقرأ حماية علي ولد الكوري لمسالك أگـاوس (وعرون) وأمن گـويرة السوق وتمتين نظام التحالف. حاول الحسين أوهاشم حفيد بودميعة بعد ذلك تحطيم هذه الخطة مضيفاً إلى تحديه لسلطة بيروك التجارية. غير أن تحالف تاكنة الاعتيادي ضد الأخطار الخارجية حد من تطلعات دار إليغ. لقد ابتدأ آيت إبراهيم بطرد الحسين أوهاشم من إيفران فلم يلبث أهل تيغمرت أن حدوا نهائياً بينه وبين وادي نون (La Ruelle, *Id Brahim*, 8). هناك إذن فارق هائل بين ما يهدف إليه منافسو تكنة وما يمكنه أن يحصل بين اللفين وداخل كل لف من تفاعلات وتناقضات. تدور مراقبة المجال في نطاق گـويرة السوق حول المرونة والخبرة الحربية لأزوافيط المتأصلة. وهي استمرارية لن تنعدم إلا حين سيؤثر تفاقم الصراع بين اللفين خلال نهاية القرن التاسع عشر في الإطار العام الذي يتحكم في ديناميكية گـويرة السوق. نقرأ في بعض الوثائق أن تحالف آيت الخمس الباعمرانيين بلف آيت الجمل وتجار إليغ قد أدى إلى إحداث سوق الأحد بگلميم لتبقى أسواق آيت بلة محصورة في نطاق محلي محض. إذا انزلق موسم گـويرة السوق إلى مكانه الحالي قرب زاوية سيدي امحمد بن اعمرو، فذلك بسبب وطأة الصراعات المحلية التي قضت على حيوية وعرون والمداشر القريبة منها. نصل بذلك إلى استقراء عام تدخل على إثره تيغمرت إلى القرن العشرين الذي تستبد خلاله المقاييس الفرنسية والإسبانية بالتطور الاقتصادي والسياسي والاجتماعي للمنطقة. وبانتصاف هذا القرن تظهر الهجرة نحو أوربا من أجل العمل كضرورة مرحلية أدت بأهل تيغمرت، شأنهم في ذلك شأن باقي أهالي وادي نون، إلى التغاضي عن مشكلاتهم البنيوية العالقة. وهي وضعية ستعكسها بشكل متزايد التجربة المحلية بمغرب ما بعد سنة 1956. إن الخطوة التي ميزت سيرورة أهل تيغمرت داخل بيئتها ومجتمعها وبالتالي

قادتها إلى رفض مبدئي للتيارات المستحدثة، تكمن في كونهم لم يكتشفوا بديلاً أو ميداناً جديداً للبحث عن نشاط ميداني يغنيهم عن الهجرة نحو أوربا كيد عاملة رخيصة وإلى گلميم التي أصبحت تعكس أحوال مجتمع مشرد.

أ. البيذق، *أخبار المهدي*؛ محمد المختار السوسي، *المعسول*، 10، 166، 211 ؛ مصطفى ناعمي، *إيعزى ويهدى*، *معلمة المغرب*، 517 - 518 ؛ *آيت إبراهيم*، *معلمة*، 1127-1130.

E. Lévi-Provençal, *L'Histoire des Almohades*, in *Documents inidites d'histoire Almohade*. Fragments manuscrits du "Legajo" 1919 du fonds Arabe de l'Escurial. Paris, 1928 ; V. Monteil, Gens et choses du Bani, *Hesp., 1946, 3-4, 393-394* ; Id., Chronique de la zaouia d'Asa. In *Mélanges Mohamed El Fassi*. Publiés à l'occasion du dixième anniversaire de l'Université Mohamed V, 1957, Rabat, 81-90 ; Cl. La Ruelle, *Id Brahim*, CHEAM ; A Chouraqui, *Histoire de l'Afrique du Nord*, Paris, 1985, 119-120.

مصطفى ناعمي

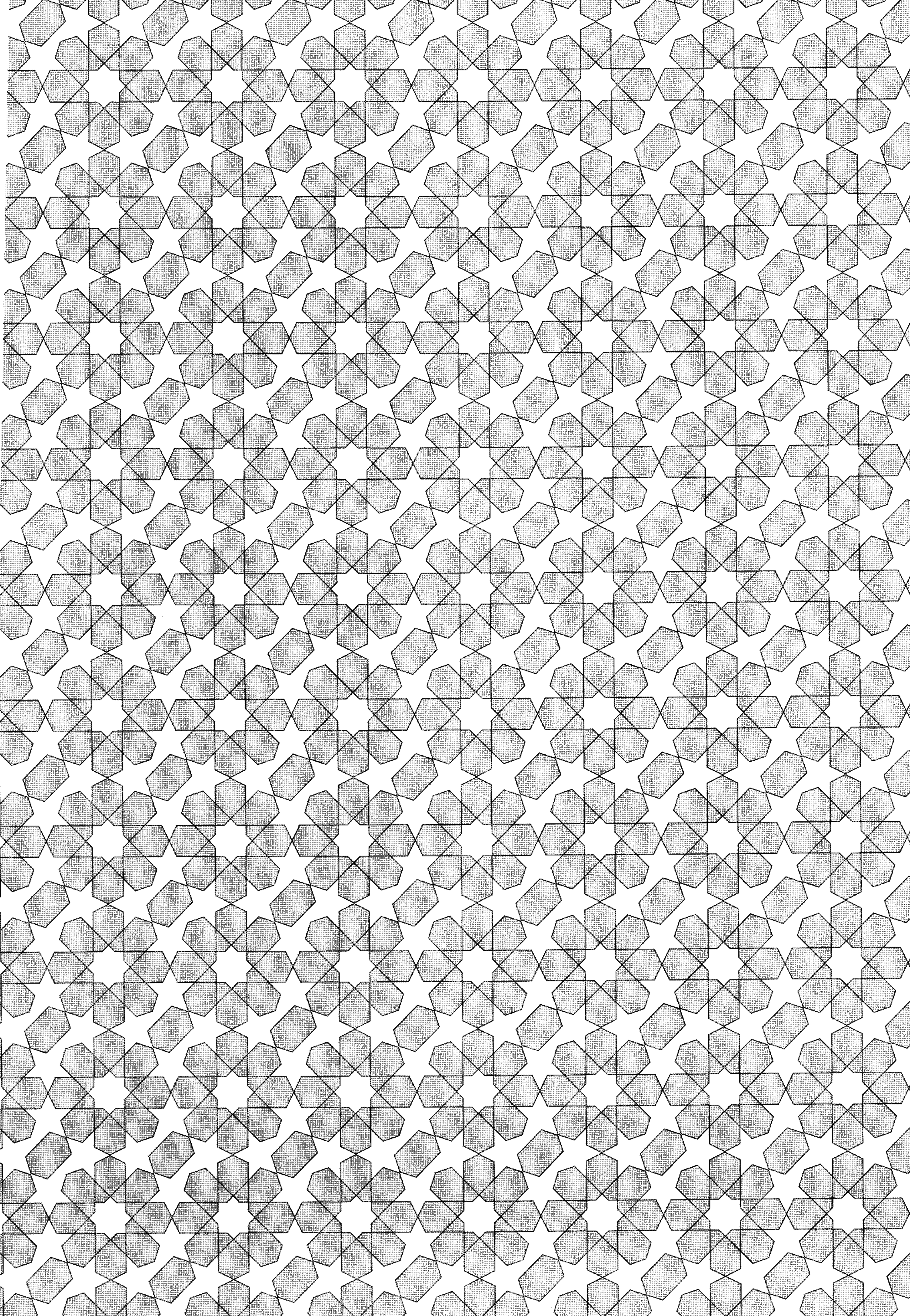
تيليوين، جماعة قروية تمتد على مساحة تصل تسع كلمترات مربعة (وتمثل أصغر جماعة في المغرب)، تسمى إداريا تيليوين أساكا، تحدها شمالا إيمينغاست، وجنوبا وشرقا لقصابي / تگاوست وغربا تارگاوساي، ساكنتها في أغلبها من آيت باعمران وتحديدا فرع آيت إيوب، إلى جانب آيت لحسن والرگيبات خاصة منهم أولاد موسى. كانت تيليوين مركزا إداريا للإدارة الإسبانية، وهي المنطقة الحدودية مع المجال الترابي للإدارة الفرنسية. شهدت تيليوين معركة 23 نونبر 1957. وأقامت بها الإدارة الإسبانية مطارا عسكريا. قال دو لاشاپيل (De Lachepelle) أنها كانت عاصمة الملكة المسيحية الواردة في الأسطورة المحلية والوافدة من جزر الكناري، تعرف بالملكة نونة، كانت تقيم حكمها في أگادير نونة، بل أن هناك دوارا يحمل اسم أگادير وبجواره ممر / فج يربط بين تيليوين وأساكا يحمل إسم ترروميت (الرومية بالأمازيغية).

مجموعة مقابلات مع بعض شيوخ المنطقة من قبائل آيت لحسن، والرگيبات وآيت باعمران بتاريخ 27 يوليوز 2009.

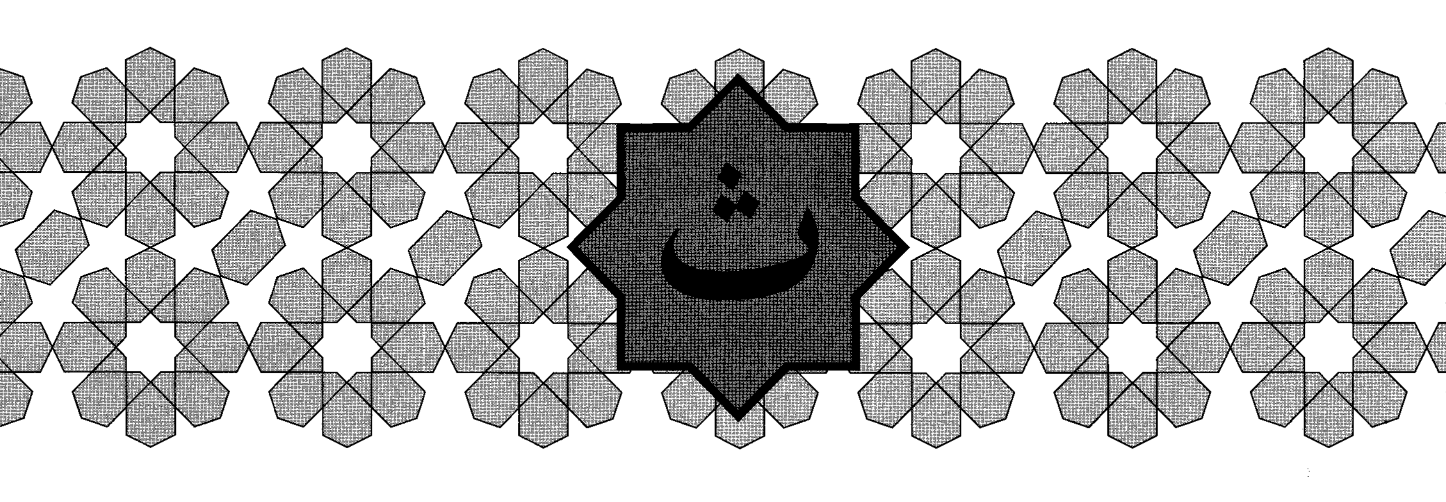
عبداتي الشمسدي

تيمشي (مرض -) هو عبارة عن حساسية شديدة مفرطة تصيب جسد الإنسان إذا أكل طعاما تعود على أكله مدة معينة من الزمن ثم توقف عنه فإذا عاد إلى أكله من جديد ثم انقطع عنه يصاب بهذا المرض الذي لا يتم علاجه إلا بالعودة لأكل نفس الطعام ومداومته حتى يشفى. ويقال للإنسان المصاب بهذا المرض "مْتَيْمَشْ".

ماء العينين النعمة علي






ث

ثربيرا بابييرا، خوليو (Cervera Baviera, Julio)، ضابط إسباني ولد سنة 1854 في سيكوربي (Segorbe) بإقليم كاسطيون (Castellon) من إسبانيا. كان ثالث الموفدين من قبل شركة الجغرافية التجارية الإسبانية إلى جانب كيروگا (Quiroga) وريتّو (Rizzo) لبسط النفوذ الإسباني داخل السواحل الصحراوية المغربية وذلك سنة 1886، فخرج ثلاثهم رفقة جنديين مغربيين من الريف وبعض الأدلاء الصحراويين من المركز الذي أقاموه بشبه جزيرة الداخلة تحت إسم بيّا ثيسنيروس (Villa Cisneros) في ماي 1886 وتوغلوا في خلاء تيريس حتى وصلوا إلى سبخة إيجل، وعلى بئر قريب من هناك أمضوا في يوليوز من تلك السنة معاهدات مع بعض شيوخ القبائل ومع أمير أدرار أحمد ولد محمد ولد عيدا ادعوا أنهم تخلوا بمقتضاها لإسبانيا عن كل ما يوجد من الأراضي بين بوجدور والرأس الأبيض بما في ذلك إقليم أدرار التمر. وسواء كان ذلك صحيحا أو مجرد أماني تمنوها من تلقاء أنفسهم، فالمؤكد أن القبائل هاجمتهم عند ذهابهم وعند إيابهم وأن إسبانيا نفسها لم تعترف بتلك المعاهدات كما أن القوافل التجارية الصحراوية ظلت تسير حسب الطريق اللمتوني بين شنگيط وتكنة ولم تعرج على بيّا ثيسنيروس كما كان يتطلع إلى ذلك رواد الاستعمار الإسباني ومنهم المترجم له الذي انتخب نائبا في الكورطيس سنة 1908.

ولم نقف على تاريخ وفاته.

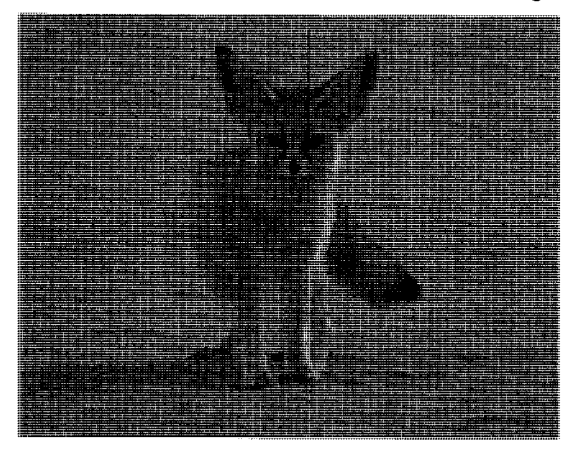
Hodges, T., *Historical Dictionary of Western Sahara*, *London*, 1982.

إبراهيم بوطالب

ثعلب الصحراء، يدعى ثعلب الصحراء علمياً (Vulpes rueppelli (Seh.) وبالفرنسية Renard famelique وبالإنجليزية Sand tox وبالإسبانية Zorro famelico وبالأمازيغية أكعب وأباغوغ. وهو أصغر حجماً من الثعلب الأحمر حيث لا يتعدى طوله عند الغارب 25 سم وطوله 40 - 48 سم جمعا بين الرأس والجسم وطول ذيله 30 - 39 سم. يتراوح وزن الكبار ما بين 3 و4 كلغ. القوائم قصيرة، الأذنان طويلتان وعريضتان، الذيل كثيف الشعر أبيضه في المؤخرة، شعره أصفر فضي ملطخ، داكن على ظهره وفاتح على البطن والجوانب. شعر الذيل بُنيّ مصفر ممزوج بالشعر الأسود.

يعيش في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية الجنوبية الممتدة من الأطلس الصغير إلى الحدود الموريتانية. يمتد توزيعه الجغرافي العالمي من المناطق الصحراية المغربية إلى إيران وأفغانستان.

والثعلب الصحراوي قوي البصر يتمتع بسمع حاد ودقيق. ويعيش غالباً وسط مجموعات تتكون من أفراد القطيع يشبه الثعلب الأحمر في الولادة ويعمر عشر سنوات.



ـ ثعلب الرمال أو الفنك يدعى علمياً Fennecus Zerda وبالفرنسية وبالانجليزية Fennec وبالإسبانية Fenek. يعد من أصغر أنواع الثعلبيات حجماً إذ لا يتعدى طوله عند الغارب 21 سم وطوله 35 - 41 سم جمعاً بين الرأس والجسم. وطول ذيله 18 - 30 سم. يتراوح وزنه ما بين 1.2 و1.5 كلغ. ويعرف بأذنيه الكبيرتين اللتين تتعديان عشر سم من الطول وبعينيه الواسعتين والكبيرتين، منكبه ضيق، طويل وحاد، لون شعره شبيه بلون الرمال، مؤخرة ذيله كثيفة الشعر وسوداء.

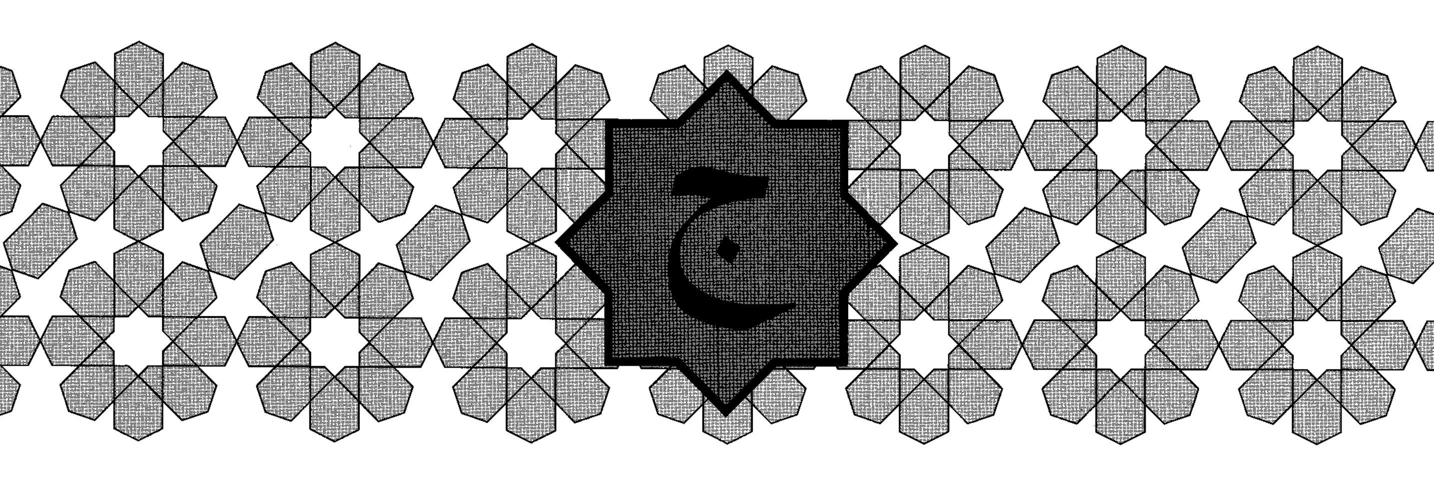
يتوالد في فصل الربيع وتضع الأنثى من اثنين إلى خمسة صغار بعد حمل يدوم حوالي خمسين يوماً. يعيش وسط مجموعات تتكون من ثلاثة إلى خمسة أفراد.

وهذا الثعلب شائع في ضواحي وادي درعة وتافيلالت وطرفاية والساقية الحمراء ولكويرة واسمارة، توزيعه الجغرافي من المغرب إلى شبه الجزيرة العربية.

أمين المعلوف، معجم *الحيوان*، القاهرة، 1932.

J. Dorst et P. Dandelot, *Guide des grands Mammiféres d'Afrique*, Lausanne, p. 286, 1976.

محمد رمضاني


ج

الجامع (أدغار-)، منطقة بورية خارج الشريط السكني لمدشر أسرير بوادي نون. وأدغار هو الموضع أو القرية. يؤكد الموقع على أهمية الامتداد المجالي لنول لمطة إذا اعتبرنا أن المقاييس الحالية تبين أن الجامع (المسجد) المقصود هو "تمزگيدَة" القديمة التي ترجعها الرواية الشفوية إلى مخلفات نول عاصمة وادي نون في القرن الخامس (11م)، والتي كانت التجمعات العمرانية تمتد بها غربا حتى مشارف وعرون (أگوس) كما تشهد على ذلك التوزعات الطوبونمية والمخلفات الأثرية، وكذا الملكيات الكبيرة للجامع والتي يجهل فعلا حقيقة انتقال جانب منها إلى الجامع الحالي بأسرير كما ترى الروايات الشفوية، ولكن إذا كان نصيب أدغار الجامع حبسا فكيف تم تمليكه ؟ ولماذا لم ينتقل كغيره من الأملاك. وهل يؤرخ ذلك بالعكس إلى ظرفية القطيعة خلال القرنين الثامن والتاسع (14-15م) أم إلى مظاهر الاستحواذ على الأراضي خاصة وأن أهل حابين (أنظر المعلمة) يملكون أكبر نصيب من الأراضي بأدغار.

وعلى العموم فهذا الأخير يبيّن التطور الداخلي للمدشر وتحول الاستغلاليات ونمط الملكية، كما أنه إلى جانب مواقع طوبُونيمية عديدة يسمح لنا بمقاربة ومحاولة استكشاف تاريخ المنطقة عبر التاريخ الداخلي للمداشر والبوادي الوسيطية (Block, 946).

D.P.Block. Histoire et toponymie, *Annales. E. S. C, juil-août*, 1969.

أحمد جوماني

جبهة التحرير والوحدة، ظهرت هذه الجبهة بموازاة مع تأسيس جبهة الـپولساريو سنة 1973، حيث أعلن المغرب عن تشكيل جبهة التحرير والوحدة (F.L.U.) Front de Libération et d'Union بشقيها السياسي والعسكري. فهذه الجبهة لم تكن فكرة جديدة، بل هي امتداد لجيش تحرير الجنوب.

كان هدفها الأساسي هو تحرير الصحراء الجنوبية من الاستعمار الإسباني، وقد أسندت قيادتها لحبوها لحبيب (مجموعة ألف)، وانظم إليها كذلك إدوارد موحا (محمد الرگيبي) مؤسس الحركة الثورية للرجال الزرق، هذه الأخيرة انصهرت بكل أعضائها في هذه الجبهة. قام حبوها لحبيب، وهو القائد المحنك، بتجنيد عدد كبير من أفراد المقاومة وجيش التحرير من أبناء الصحراء، ونظمهم في كتائب عسكرية وتم تدريبهم في كل من سيدي إفني وطانطان. فقامت هذه الجبهة بحملات هجومية منظمة على جيش الاحتلال الإسباني في البداية في كل من موقعي "اجديرية" و"حوزة" التابعين لإقليم السمارة.

وفي سنة 1975 سيطرت جبهة التحرير والوحدة على مواقع إستراتيجية، خاصة بعد إخلائها من طرف الجيوش الإسبانية كالحگونية (إقليم العيون)، واجديرية (إقليم السمارة)، وهذا كي لا تقع في يد جبهة الـپولساريو والجيش الجزائري المرابط على الحدود آنذاك. ومع انطلاق المسيرة 6 نونبر 1975 وتراجع الجيش الإسباني من الحدود المغربية الإسبانية في اتجاه ثكناته بالمدن الساحلية (العيون والداخلة)، بدأت جبهة التحرير والوحدة تتوغل شيئا فشيئا في التراب الصحراوي، حتى دخلت مع الجيش المغربي مدينة العيون في شهر يناير من سنة 1976، بعد أن نكس الجيش الإسباني علمه، ليحل محله العلم المغربي.

وما يحسب لهذه الجبهة هو مشاركتها الفعالة في معركة "أمگالة" بعد أن تصدت مع الجيش المغربي لهجوم فيلق من مشاة الجيش الجزائري مدعم بالمدفعية الثقيلة وبقوات من جبهة الـپولساريو الذين احتلوا منطقة أمگالة التابعة لإقليم السمارة، فقامت حرب بين الطرفين حسمت إثرها المعركة لصالح المغاربة وأسر فيها ما يقرب 104 من الجنود الجزائريين، وأصيب في هذه المعركة الضروس النقيب حبوها لحبيب في ساقه.

ولم تقتصر مشاركة الجبهة إلى جانب الجيش المغربي فقط على هذه المعركة بل برزت في مواقع حربية شتى ك "توكات" الشهيرة، و"جرف سعدون" بنواحي منطقة الفارسية، و"بن زكا" بواد الساقية الحمراء، و"المريجنات"، و"حاسي المطلاني"، و"تفاريتي" بإقليم السمارة. فإن أفراد هذه الجبهة شاركوا في كل المعارك التي خاضها الجيش المغربي

بالصحراء، بحكم انتمائهم ودرايتهم الكبيرة بجغرافية الصحراء، فكانوا بالنسبة للجيش المغربي المرشد الفعال في كل معاركه التي خاضها ضد جبهة البوليساريو والجيش الجزائري.

إلا أنه في شتنبر من سنة 1976 تم حل جبهة التحرير والوحدة، ليلتحق وينخرط مقاوموها بالجيش المغربي. وما يشهد به ويسجله تاريخ المقاومة بالجنوب هو أن وحدات هذه الجبهة تركت بصماتها في كل معارك الصحراء بدون استثناء، بل وصفت بالشراسة في تصديها لجبهة البوليساريو، التي كانت تتجنب التصادم معها في ميدان الحرب. ونذكر من بين هؤلاء البواسل قائد الجبهة الحبيب حبوها، وايدا التامك، وعمر مراد، وعلي سالم ولد بيروك، وسيد أحمد بوليد، والعبادلة بن الشيخ محمد الأغظف، وأبا الشيخ، ومحمد الخر، ومحمد مبارك ولد الزين، ورشيد الدويهي، وهيباته ولد العبادلة بن الشيخ محمد الأغظف، وغيرهم من أبناء الصحراء المقاومين.

رواية عمر موراد، يوميات المقاوم الأسير عمر موراد، *جريدة الوطن العدد 354*، الخميس 8 أكتوبر 2009 ؛ أنخيلا هيرنانديث مورينو، *حرب أعلام في الصحراء* (محنة إسبانيا)، ترجمة، ماء العينين مربيه ربه، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، عدد 21، مطبعة بني يزناسن، سلا، 2006.

مولاي إدريس شداد

الجراري، محمد عبد الرحمان، هو الشاعر والأديب محمد عبد الرحمان بن القائد عياد الجراري وأمه هي النزهة بنت البناني السباعية. ولد سنة 1914 بقرية عين أولاد جرار ودرس القرآن الكريم على محمد التيزنيتي ثم افتتح عند الفقيه محمد بن أحمد الإكراري فلازمه سنتين ثم لازم أحمد بن الحميد الغرمي والشيخ سيديا ثم أخذ عن ماء العينين بن العتيق إضاءة الدجنة للمقري وعن عبد الرحمان البوزكارني السلم في المنطق وعلم الأدب وأخذ عن محمد سالم بن عبد الفتاح المعلقات السبع وبعض أراجيز العجاج كما أخذ عن الشيخ الولي والشيخ مربيه ربه والشيخ الجيه أبناء الشيخ ماء العينين.وكان أغلب استقراره في إفني الذي مكث فيه من سنة 1938 إلى سنة 1942 وهي السنة التي توفي فيها والده القائد عياد فرجع إلى قرية عين أولاد جرار وبقي فيها إلى سنة 1956 حيث انتقل إلى مدينة الرباط واستقر فيها بعد استقلال المغرب واشتغل كاتبا في مكتب رئيس البحوث والإرشادات عبد السلام الفاسي وظل في هذا المنصب إلى أن توفي سنة 1965.

المختار السوسي، *المعسول*، مطبعة فضالة، المحمدية، 1960.

ماء العينين النعمة علي

الجكني، الفقيه **محمد الأمين** المعروف بالشيخ محمد الأمين الجكني، فمن هو هذا العالم ؟ وما هي سيرته وما مقومات شخصيته العلمية ؟ ومن هم مشايخه وتلامذته ؟ وهل له آثار علمية تميزه ؟

إنه أحد العلماء المخضرمين، عاش في موريتانيا والصحراء، فهو شنقيطي المولد جكني النسب، أبوه هو المرابط (العالم) عمر بن جد بن محمد ولد محم بوب، ولد الصبار ولد عبد الرحمان، ولد ويس النبض ولد أحمد ولد علي ولد أعمر أكيلال بن شاكر، ولد عام 1930 بمقاطعة كارو بولاية العصابة، (عن هذه الولاية أنظر المختار ولد حامد الحياة الجغرافيا : 135) وينحدر من أسرة علمية، فأبوه هو المرابط أعمر صاحب محضرة علم بموريتانيا، وإخوته أساتذة علم بالمملكة العربية السعودية خاصة أخوه محمد عبد الله بن المرابط أعمر، أستاذ بكلية القرآن بالمدينة المنورة (رواية شفوية لإبنه أعمر). ولما بلغ سن التمييز تولت أمه عائشة بنت الحسن تعليمه مبادئ القراءة والكتابة، وأكملت الدور جدته مريم بنت عبد الودود تدريسه القرآن حيث شارطت عليه الفقهاء، حتى تمكن من حفظ القرآن الكريم قبل سن البلوغ. للإشارة فعادة تكلف النساء بمهمة تلقين المبادئ الأولى في التعليم للأطفال أمر معهود في تراب البيضان منذ ظهور الثقافة المحضرية. وما إن تمكن محمد الأمين من حفظ القرآن الكريم، وأخذ بعد ذلك الإجازة فيه على يد شيخه أحمد سالم الموريتاني قبل سن الرشد، حتى بادر إلى البحث عن العلوم الشرعية الأخرى، فكان أن درس مدة عامين على يد والده العالم لمرابط أعمر، وغادر محضرته في اتجاه محضرة الشيخ أواه ولد الطالب إبراهيم التاكاطي، وعليه درس ابن أبي زيد القيرواني في المذهب المالكي، وبوفاة شيخه استمر في نفس المحضرة حيث درس على أبنائه مختصر خليل. ولما كان تحصيل العلم والسعي في طلبه عبر الرحلة والاغتراب عن الأهل والأحبة والأوطان أمرا محمودا رغم الصعاب والمشاق، فإن محمد الأمين تنقل بين عدد من المدن العتيقة كولاتة وتجكجة وأطار، وكان أن درس بالأولى قواعد المنهج المنتخب، وبالثانية علم متن الأصول بمتن مراقي السعود لسيدي عبد الله ولد الحاج إبراهيم العلوي، في حين درس في أطار النحو والصرف بألفية ابن مالك وألفية ابن بون الجكني المسماة بالاحمرار على يد شيخه البشير الغلاوي من قبيلة الأغلال. والاغتراب في طلب العلم كان ديدن العلماء والفقهاء البيضان حيث "كان طلبة العلم والعلماء يرحلون إلى المحاضر البعيدة، ويتغربون هناك لأخذ العلوم بعيدا عن مهام البيت والأسر ومعارف الحي" (الخليل النحوي، بلاد شنقيط : 137). فبوسائل بسيطة اللوح والقلم الحبر" تمكن محمد الأمين من مواكبة العلم والصبر على مشاقه من قلة الزاد والمأوى شأنه شأن باقي الطلبة الذين سبقوه للدراسة في المحاضر، والذين صور صاحب الوسيط وضعيتهم ومعاناتهم، (الشعر والشعراء، 2). بيد أن مشاغل الدراسة ومشاقها لم تثن عزيمة الشيخ محمد الأمين، الذي ما إن تمكن من ناصية العلم الشرعي في المحاضر البيضانية حتى بدأ في الإعداد لحياة جديدة توجها بزواجه من إمرأة يقال لها عائشة من عائلة

محافظة في موريتانيا، وسار بأهله إلى مدينة گلميم قادما إليها من تندوف مرورا بآسا الزاك، حيث بـگلميم ذاع صيته بين الناس، وشارطته القبائل معلما يدرس أبناءهم القرآن الكريم، وذلك في منتصف السبعينيات من القرن الماضي، غير أن هذا الشرط لم يدم لما كثر أتباع الشيخ وتلامذته الذين حجوا إليه من نواحي وادي نون، حيث درسهم العلوم الشرعية لوجه الله، معطيا لطلبته الحرية في اختيار كل واحد منهم الفن الذي يريد، وعدم تجاوز السطر والسطرين للطالب إن كان المتن نثرا والبيتين إن كان المتن نظما، وهو يقول رحمه الله : "ولو تعلموا في كل يوم سطرا لفازوا بعلوم القوم". (رواية شفوية لإبنه أعمر).

وكان من بين تلامذته الذين زرناهم وأخذنا عنهم روايات شفوية موثقة عن سيرة شيخهم العلمية، كلا من ابنه أعمر خطيب الجمعة بمسجد القصبة بـگلميم، ثم الفقيه كريم إبراهيم، وكذا القيم على زاوية تنكارفا السيد عمر البشير الإدريسي الذي أجازه، ثم المرحوم أباه الجيه ولد الشيخ محمد وأخرين. وبجانب هؤلاء شهد عدد من معاصري محمد الأمين على مكانته العلمية، ومنهم رئيس المجلس العلمي بـگلميم السيد محمد الجيه ماء العينين، ثم خطيب وإمام المسجد الأعظم المختار بوطاطا بالمدينة نفسها، ثم العدل محمد القاري عبد القادر عدل بمحكمة العيون، ثم العالم الذائع الصيت في المغرب كله، الحاج الطيب المنذر صاحب زاوية الرحمان العتيقة بإيمي نوداي بنواحي تارودانت.

ومن عجيب أمر هذا العالم أنه لما شاع خبره بين الناس وكثر أتباعه ومريدوه عرضت عليه السلطة المحلية بمدينة گلميم عددا من المناصب الدينية فقابلها بالرفض، انسجاما وزهده وتصوفه، إذ الزاهد من أتته الدنيا صفوا عفوا وهو قادر على التنعيم بها من غير نقصان فرفضها وكبح جماح نفسه، وتركها خوفا من أن يأنس بها، ويكون آنسا بغير الله كمن عبد المال" (الإمام الغزالي / الفقر والزهد، ص. 65). فقد عرضت عليه السلطة المحلية أن يكون إماما للمسجد الأعظم بـگلميم فامتنع، واقترحت عليه أن يكون قاضيا على منطقة تغاجيجت فأعرض، كما عرضت عليه إمامة مسجد عبد العزيز بمدينة العيون مقابل راتب محترم، بيد أن الشيخ محمد الأمين رفض كل هذه العروض المادية التي كان يرى فيها مدعاة للتمسك بالدنيا، وهو مع ذلك لم يمارس تجارة ولا مهنة تعود عليه بالمال، وإنما تفرغ لتدريس العلم لوجه الله والدعوة إليه في المساجد. وقد يطرح السؤال من أين يعيل أفراد أسرته ؟ يجيب ابنه أعمر من زكاة المحسنين وهبات مالية من إخوته في المملكة العربية السعودية، الذين كان على اتصال دائم بهم، فقد حج بيت الله الحرام بمكة المكرمة مرتين، الأولى صحبة ابنه محمد محفوظ عام 1997، لأداء فريضة الحج والثانية عام 1998 صحبة ابنه أعمر لأداء العمرة، فكان بذلك على اتصال بإخوته هناك.

وهكذا قضى محمد الأمين جل وقته في التعليم والكتابة والتأليف والاهتمام بالعلوم العربية "النحوية والصرفية والعروضية والبيانية والمنطقية..."، وكان شاعرا مجيدا ترك ديوان شعر متكامل وبعض المخطوطات التي هي عبارة عن نسخ لبعض الكتب علق عليها. وله إجازة حصل عليها من شيخه أحمد سالم الموريتاني في موريتانيا لما أكمل حفظ القرآن الكريم، وعلى منوالها كتب إجازته لتلامذته الذين أخذوا عنه العلم، كما سلمت له جمعية علماء سوس بطاقة العضوية اعتزازا منها به وتقديرا لمكانته العلمية، ولديه شهادة التزكية العلمية التي قدمت له من طرف المجلس العلمي بتيزنيت عام 1992. (بحوزتنا نسخ للشواهد التي حيل عليها محمد الأمين).

وعليه فإن الشيخ محمد الأمين ظل على ما كان عليه من ورع واستقامة وعلم وتدريس وزهد طيلة حياته، وحتى لما هرم وصار شيخا كبيرا لم يثن ذلك عزمه بل سار على هذا النهج.

هكذا كان محمد الأمين واحدا من العلماء الذين نور الله قلوبهم فأدركوا حقيقة الإيمان ونعمة الإسلام، وصار العلم الشغل الشاغل في حياتهم بعيدين عن أمور الدنيا وحطامها، فقد كان موازنا بين العلم والتدريس، بين الإفادة والاستفادة، بين النهل من حقائق العلوم والاعتكاف على العبادة، كان هذا دأبه طيلة حياته يعلم ويفتي، ويدرس ويتعلم، ويبحث ويناظر ويكتب ويطالع، حتى بلغ شأوا في العلم شهدت به عليه مكتبته الزاخرة بالكتب والمراجع الدينية والمصنفات الفقهية، وكذا بعض الكتب التاريخية والمخطوطات النادرة.

توفي فجر الثلاثاء 19 مارس 2003 بمدينة أگادير بعد صراعه مع مرض عضال ألم به، عن عمر يناهز ثلاثا وسبعين عاما.

محمد المختار ولد أباه، *الشعر والشعراء في موريتانيا*، الشركة التونسية لتوزيع، تونس، 1987، ص. 2 ؛ الخليل النحوي، *بلاد شنقيط المنارة والرباط*، عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة، تونس، 1987، ص. 137 ؛ المختار ولد حامد، *حياة موريتانيا الجغرافيا*، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، جامعة محمد الخامس، الرباط، طبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1414 / 1994، ص. 8135 ؛ لمحم أعمر بن الفقيه محمد الأمين، *رواية شفوية*.

الحسين حديدي

الجكني، الطالب محمد المختار بن الأعمش، هو محمد المختار بن الأعمش بن أشفاغ محم، من بطن أولاد موساني من قبيلة تجكانت، أخذ الطريقة القادرية على يد سيدي محمد الخليفة بن الشيخ سيدي المختار الكنتي.

هو مؤسس قصر تندوف سنة 1270 / 1854 حيث شيد مدرسة علمية وزاوية ونظم التجارة العابرة للصحراء ما بين درعة وشنقيط وبلاد السودان. وإلى جانب نشر العلم، قام محمد المختار بشؤون الرئاسة والقضاء وساهم في التواصل الثقافي ما بين حافتي الصحراء. عرفت تندوف في عهده ازدهارا عمرانيا وعلميا وصارت سوقا سنوية تؤمها القبائل والقوافل التجارية من مختلف

الجهات. أنجب محمد المختار مجموعة من الأبناء الذين حملوا راية العلم والإفتاء، تحدث المختار السوسي عن بعضهم حيث دخلوا مناطق درعة وسوس بعد سقوط تندوف في يد قبيلة الركَيبات نهاية القرن التاسع عشر.

توفي هذا العالم والفقيه المفتي سنة 1287، ودفن بتندوف حيث ينظم موسم سنوي حول ضريحه.

أبو بكر بن أحمد المصطفى المحجوب، *منح الرب الغفور في ذكر ما أهمل صاحب فتح الشكور*، تحقيق، ذ. الهادي المبروك الدالي، مطابع الوحدة العربية، الزاوية، ليبيا، 2001 ؛ الطالب أخيار بن مامين الشيخ ماء العينين، *علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوربي*، مطبعة بني يزناسن، سلا، ج 1، 2005.

Lieutenant de Labarrière, Tindouf et les Tajakant, in : *L'Armée d'Afrique, N° 21*, janvier, 1926, p. 28 – 32.

محمد دحمان

الجكني، محمد العاقب : هو العلامة الكبير الشيخ محمد العاقب بن الشيخ سيدي عبد الله بن سيدي أحمد المشهور بمايابى الجكني وأمه هي فاطمة بنت محمد الأمين بن خطار الجكنية. "كان من أكابر سادات العلماء المشهورين وأفاضل مريدي شيخنا الشيخ ماء العينين الذين بمحاسن الفضائل مذكورين، عالم شهير وولي نحرير، عارف محقق وشاعر مفلق".

ولد سنة 1275 / 1859 في قرية تكبة بولاية الحوض الغربي التي تقع في شنقيط، قرأ القرآن الكريم وألفية بن مالك في النحو على والده سيدي عبد الله وعلم القراءات على محمد الأمين بن محمود الجكني وقرأ بعض العلوم الأخرى على الشيخ بن حامني الغلاوي ولازمه مدة، ولما سمع بخبر الشيخ ماء العينين ومكانته العلمية والدينية والروحية "من جهة ابن عمه عبد الله بن باريك وصاحبه محمد بن سيدي وابن عبد العزيز وابن حنبوب" قدم عليه بتيرس "فتتلمذ عليه في جميع العلوم وأذن له في إقراء كل منطوق ومفهوم من المنقول والمعقول والفروع والأصول وعلم الأسرار على اختلاف أنواع الجميع وائتلافه، وسمعته غير ما مرة يقول إنه ما فعل له ذلك حتى صار يستحق كل ما هنالك". وكان "له اجتهاد شديد في العبادة واشتغال كثير في الاستفادة والإفادة وهذا ما يؤكده الشيخ مربيه ربه قائلا : "العالم العامل الواصل الكامل الجامع بين الشريعة والحقيقة فصيح النظم والنثر النجم الثاقب الشيخ محمد العاقب".

في سنة 1311 / 1892 صدره الشيخ ماء العينين إلى أهله بعدما "لبث عنده برهة من الزمن وهو في غاية المجاهدة والاستقامة والعبادة" لكنه ظل دائما يتردد على حضرته ويردد قولته المشهورة" عرفت عددا كبيرا من العلماء وجادلتهم وحاورتهم ولكنني ما وجدت فيهم من يشفي غليلي في جميع العلوم كالشيخ ماء العينين".

في سنة 1325 / 1906 قدم عليه في مدينة السمارة مهاجرا بعدما بدأ الفرنسيون احتلالهم لبلاد شنقيط ومعه جماعة من عشيرته وبعض إخوته منهم محمد تقي الله ومحمد الخضر ومحمد حبيب الله ومكثوا معه ما يقرب من ثلاث سنوات. وفي هذه الفترة شارك في بعض المعارك الحربية ضد القوات الفرنسية منها معركة دامان في شهر أبريل ومعركة كجوجت الثانية في شهر ماي ومعركة الميناء في شهر يونيو من سنة 1908 ونظم أشعارا وأنظاما في الحث على الجهاد.

في سنة 1327 / 1909 أرسله الشيخ ماء العينين رفقة إخوته إلى السلطان مولي عبد الحفيظ في فاس الذي استقبلهم استقبالا كبيرا وأشاد بدورهم العلمي والديني والسياسي وبمواقفهم الرافضة للخضوع لسيطرة المستعمر الأجنبي، ثم توجهوا من عنده بأمر منه وعلى نفقته إلى المشرق لأداء فريضة الحج وبقي معه محمد العاقب وكانت بينهما مناقشات علمية ودينية ومناظرات أدبية كما كانت له علاقات مع عدد من العلماء في مدينة فاس منهم : محمد الكتاني والعلمي اليملاحي وعبد الله القباج ومحمد بن إدريس القادري ومحمد الدباغ ومحمد الوزاني، لكن المقام لم يطل به في هذه المدينة العلمية إذ سرعان ما توفي بعد شهور من وصوله إليها ودفن فيها.

خلف أعمالا علمية متنوعة منها "نظم نوازل سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم" و"نظم لالتزامات الحطاب" و"نظم لقواعد مذهب الإمام مالك" و"رشف اللمى في شرح كشف العمى" "في رسم القرآن الكريم و"رقم الحفاظ المقصرين في شرح المحتوى الجامع المعين" و"كفاية السعيد في السجود على غير الصعيد" و"نشر الطرف في أحكام الشرف" و"مجمع البحرين في مناقب شيخنا الشيخ ماء العينين" بالإضافة إلى ديوانه الشعري في مختلف الأغراض الشعرية.

الشيخ محمد الغيث النعمة بن الشيخ ماء العينين، *ديوان الأبحر المعينية في بعض الأمداح المعينية*، تحقيق، محمد المداح المختار، د د ع، تحت إشراف الدكتور محمد بنشريفة، مرقون بخزانة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، السنة 1994 - 1995 ؛ الشيخ ماء العينين، *علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي*، الطالب أخيار بن مامينا، مطبعة بني إزناسن، سلا، الطبعة الأولى، 2005 ؛ الشيخ أحمد بن الشمس، *النفحة الأحمدية في بيان الأوقات المحمدية*، مصر، الطبعة الأولى، 1330 / 1912 ؛ الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين، *قرة العينين في كرامات شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، خزانة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ *رسالة الشيخ محمد العاقب إلى الشيخ ماء العينين*، مؤرخة بتاريخ 7 محرم سنة 1320، خزانة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت.

ماء العينين النعمة علي

الجُمَّاني (أهل -) إذا كان البحث التاريخي والتخصص المونوغرافي يطمح لإنارة المسكوت عنه في تاريخ قبائل وادي نون فإن الاقتصار على الفخذات بالرغم من أهميته البارزة في حصر النتائج على مستوى أكثر تصغيرا لا يتأتى إلا من خلال تفكيك بنية المكونات إلى أبسط درجات الانشطار التفصيلي وبالتالي ضرورة الحفر في خصوصيات العائلات منفردة من أجل تكوين صورة أكثر موضوعية وقابلة لتغيير التوجهات والاهتمامات، بمعنى المرور من سطح الميكرو قبلي قصد فهم ميكانيزمات الماكرو قبلي.

وإذ يعد آيت حماد أعلي - بالرغم من صعوبة التدقيق فيهم- أضخم وأهم فصيلة مكونة لقبيلة أزوافيط بوادي نون، في وضع تحتفظ فيه أسرة أهل المعطي بوضعية سيادية ونافذة منذ مدة من الزمن (*معلمة*، 2 : 365)، فتطبيق هذا النموذج عليها يمكننا من رصد أو مخالفة أهم المعطيات الكامنة وراء التجربة التاريخية لعائلة أهل الجُمَّاني، إحدى الأسر المنتمية لأهل المعطي مع استنطاق الظرفية والمتغيرات المجالية والخصوصيات المرتبطة بأفراد هاته العائلة.

إن انتقال أهل المعطي من أوزرولت إلى أسرير جاء على ما يبدو وليدا للتنقلات الجيومجالية التي عرفتها قبيلة أزوافيط والتي كرست هذا المدشر كمركز هام وحيوي للقبيلة تتأطر عبره أهم الوظائف الاقتصادية والسياسية الداخلية والخارجية. لذلك فإن المعطي الذي وفرت له أملاكه الواسعة والمتمثلة في قطعان الإبل ونوبات الماء والمرس بأوزرولت تطلعات متزايدة تفسر انتقاله إلى أسرير، وحتى وإن كانت الرواية الشفوية ترجع ذلك إلى صراعه مع أخواله (أهل مبارك أسعيد) فإنها ترى أن التوسع الاقتصادي للمعطي يفسر هذا الخلاف، ويأتي استقراره أيضا في الحدود بين آيت بلقاسم وأهل حايين المتمتعين بنفوذ حربي وسياسي متزايد آنذاك ليكرس ضخامة الدور الإستراتيجي الذي سيحظى به أهل المعطي لحفظ التوازنات أو الإخلال بها داخل مدشر أسرير. وفي صلب هذا الوضع ينفرد الجماني ابن المعطي عن أخواله بخصوصيات بارزة تكاد ضمنيا تخالف المعطيـات التي جرى عليه باقي أفراد عائلته، فالروايــة الشفوية تتحدث عن الجماني كرحالة كبير مع التركيز خاصة على العمل التجاري الذي كان يوصله إلى تنبكتو وتاودني، بينما تقتضي نجعاته الإقامــة دومــا في المنطقة الممتــدة بين وادي نون والساقية الحمراء.

ونشير هنا إلى أن روايات أخرى لم تغفل التلميح إلى المقدرة الحربية الهائلة التي تمتع بها الجماني في شبابه والتي رسمت له أبعادا مميزة داخل الذاكرة الجماعية، إلا أن هذا الاختيار بالرغم مما تحاول الرواية إلصاقه وتثبيته هنا قد تغير مع مرور الزمن، إذ لن يتأخر الجماني في استغلال ذلك لصالح ممارسته التجارية، ولعل زواجه من أولاد دليم يدخل في إطار عام لا يمكن له أن يكون إلا تمتينا لهذا العمل من حيث اعتبار هؤلاء حملة كبارا للسلاح على طول منطقة انتجاعه في وقت اتضح فيه تفكك الأهمية العسكرية لقبيلة العروسيين، ويعتبر ذلك طبعا محاولة لتمتين التحالف الاستراتيجي دون أن يبلغ حد الحماية أو الاحتماء، بل إن مصاهرة الجماني أيضا مع أهل حايين وخاصة فخذ أهل هيبة تعد تزكية لروابطه على المستوى المحلي لأن تطليق هذا البعد سيحكم على تطلعاته وخصوصياته لا محالة بالانهيار أمام عنف الصراعات الداخلية على مستوى قبيلة أزوافيط آنذاك والتي لم تمر دون أن تعصف ببعض أبنائه، وقد نفهم أيضا من مصاهرته مع أولاد بوالسباع رغبة في الجمع على مستوى ذاتي وشخصي بين تراكم تجربة حمل السلاح والسهرة التجارية وبين الاستفادة من النهج الديني الذي كان يضطلع به السباعيون كسلطة ناجعة إذا نحن استحضرنا تجاوز أنشطته إلى ما وراء الساقية الحمراء، هذا فيما يتعلق بالشطر الأول.

أما من جهة ثانية فالتفوق العسكري والسياسي لآيت أحماد أوعلي إضافة إلى القيمة الاستراتيجية الشهيرة التي حظي بها أسرير فيما يتعلق بالعمليات الاقتصادية (التجارة – الزراعة - الرعي) علاوة على التمركز البارز للمسالك والمحاور الصحراوية الأطلسية في يد اتحادية ومتانة الهياكل الإدارية والعسكرية لهاته الأخيرة على نفس المواقع، من شأنها أن تنجب نوعا خاصا من أوجه التحالفات الاجتماعية يبررها توزع الأدوار والمعطيات المرتبطة بالأنشطة الاقتصادية المعاشية مع اقتسام هام لميكانيزمات مراقبة المجال في ما اصطلح عليه بالمعاهدات الحمائية المتجسدة في عملية الذبح أو النحر كبروتوكول للمعاملات تنظمه القيمة الخاصة للحامي ومكانته الاجتماعية تخفي تعددا لأنماط السلوكات المصلحية (*جوامع*، 67).

وهكذا تتحدث الرواية الشفوية عن حماية الجماني لعدد من الفصائل تأتي في مقدمتها التهالات والفقرا من قبائل الرگيبات (La Chapelle. 76) دون أن يعترضنا في تجربة الجماني نفسه ما يكذب أو ينفي هاته الإمكانية نظرا للمزة الكبيرة التي استطاع مراكمتها ضمن مسار من الاختيارات المتنوعة، على أن المحجوب ولد الجماني، الذي تسعفنا وثيقة للتهالات حمايته لتزيد من تأكيدها هذا المعطي، يبدو أنه قد اختار طريق والده مع أن الرواية الشفوية تؤكد على تراجع نسبي في أنشطته التجارية مقارنة مع ماضي والده. غير أن مشاركته الفعلية في العمليات العسكرية ساهمت ولا شك في حفظ هذا الإرث في وقت كان باقي أهل المعطي قد دشنوا إغراق اهتماماتهم في الأعمال السلطوية القائدية على وجه الخصوص، حيث نجد لحبيب وعلي وباهي قد تعاقبوا على هذا التوجه الذي تشهد عليه الرسائل السلطانية للعلويين الأواخر، لدرجة أن الباحث دولاشاپيل يرى في شخص أحمد ولد المعطي من بداية القرن زعيما لكل قبيلة أزوافيط (La Chapelle. 94)، فلماذا أيضا قبل أهل بوعيدة من آيت لحسن (الرويميات) تزويج إحدى بناتهم للمحجوب إذا نحن أكدنا على ضوابطهم الخاصة في هذا الصدد ؟ وكيف كان يحظى المحجوب ولد الجماني باحترام بالغ يخول له دخول گلميم والرجوع منه في عزّ الصراع والمواجهة المحلية ؟ في حين نجد محمد سالم ولد الجماني أيضا يعيد نفس العمل الدائري مع هجرات العمل الحربي والاحتفاظ بطابع سلمي لم يمنعه مع ذلك من إيواء عدد مهم من فصائل قبيلة مختلفة إلى حدود منتصف القرن خاصة أثناء موسم الولي سيدي محمد بن عمرو بأسرير بينما اختار إدريس تزكية مكانته الشخصية والزواج من أهل التركيزي.

وفي الختام يحق لنا التساؤل حول دور كل هاته المعطيات التي تمكننا من رصدها في هاته العجالة، في التحكم في الأنشطة التجارية لأبناء محمد سالم بالسينغال

(أحمد والمحجوب) بعد انهيار المسالك التقليدية بشكل واضح بعد التحكم الفرنسي. ثم بموريتانيا (مبارك والمحجوب حاليا) إضافة إلى توجهاتهم الخاصة التي ستجيب بشكل واضح لسلفهم الجماني على مستوى القبيلة ؟ في هذا الصدد نستطيع أن نقول إن التاريخ يملك في شكل لا يدع مجالا للشك عاملا حاسما يتضح معه أنه بمثابة خيط موجه لممارسة دامت أزيد من قرن من الزمن نرجو من ورائها الالتفات إلى أهميته وإحقاق المنهج الذي حددناه في مقدمة هذا العرض.

م. سالم بن لحبيب بن لحسين بن عيد الحي، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، تحقيق، مصطفى ناعمي، الدار البيضاء، 1992 ؛ *معلمة المغرب*، الجزء الثاني.

F. De la Chapelle. *Les Tekna du S.O. Marocain. étude géograhique.Historique et sociologique*. Paris, 1934.

أحمد جوماني

الجنوب المناضل صحيفة أصدرها في تمام التكتم مجموعة من الطلبة الصحراويين سنة 1972 للتنديد بالاحتلال الإسباني واستنهاضي الهمم لمقاومته.

Hodges, Tony, *Historical Dictionary of Western Sahara, London*, 1982.

إبراهيم بوطالب

الجهوية (حالة جهة گلميم ـ السمارة)، مع الخطاب الملكي السامي بتاريخ 6 نوفمبر 2006 وتأسيس المجلس الملكي للشؤون الصحراوية اللذين من خلالهما تم اقتراح الحكم الذاتي كحل لقضية الصحراء يبدو موضوع الجهة والممارسة الجهوية دائم التجديد والحيوية وهو ما يجعل سؤال التدبير الجهوي يطرح بشكل أكثر حدة إلى درجة المراهنة على الجهوية الموسعة كصيغة عملية لمقترح الحكم الذاتي مما يدعو إلى التأمل مليا وتقييم الممارسة الجهوية بالمغرب خصوصاً على ضوء التطورات التي عرفها المسار الجهوي بالمغرب في ظل إقرار الجهة كجماعة محلية ومدى إمكانية استيعاب اللامركزية الجهوية بالمغرب لموضوع من حجم الحكم الذاتي قد يكون فرصة سانحة لبلورة هذه الجهوية وتطويرها بشكل يعمل على تجاوز إخفاقاتها وتصحيح ثغراتها.

وهذه المحاولة تسعى إلى البحث عن أليات الممارسة الجهوية على مستوى جهة گلميم ـ السمارة باعتباره نموذجاً عملياً للجهات الصحراوية المعنية بشكل أو أخر بمقترح الحكم الذاتي كما أن هذه الجهة تتقاطع مع بقية الجهات الجنوبية على مستوى المعطيات الطبيعية والاقتصادية والبشرية إلى جانب تشابه إن لم يكن تطابق الجسور التاريخية والإرث الثقافي المشترك.

وتظل الممارسة الجهوية رهينة مجموعة من الأدوات والإمكانيات التي تتحكم بشكل كبير في نتائجها.

والبحث عن آليات هذه الممارسة بجهة گلميم ـ السمارة سيتم من خلال ملامسة الإمكانيات التي تقدمها هذه الجهة الصحراوية سواء الطبيعية أو الاقتصادية أو البشرية وكيفية التعامل مع هذه المعطيات من خلال دراسة التقسيم الإداري والجماعي لهذه الجهة. وذلك في مبحث أول.

أما المبحث الثاني فيتناول دعامات الممارسة الجهوية المتمثلة في النظام القانوني والإداري لجهة گلميم ـ السمارة من جهة والإمكانيات التدبيرية التي يتيحها هذا النظام من جهة أخرى والتي تتمثل في التخطيط الجهوي والتدبير اللامتمركز للاستثمار.

المبحث الأول : جهة گلميم ـ السمارة : البنيات الديمغرافية والاقتصادية الادارية.

لا يمكن الإلمام بجهة گلميم ـ السمارة إلا من خلال محدداتها الاقتصادية والديمغرافية والطبيعية كما أن معرفة تدبير هذه المعطيات يتطلب التوقف على واقع التعمير والتطور الحضري من جهة ومستوى اللامركزية واللاتمركز بهذه الجهة باعتبارهما محددين رئيسيين لأليات التدبير الإداري المعمول به في مختلف الوحدات الترابية.

بناء على ما سبق سيعمل هذا المبحث على تقديم جهة گلميم ـ السمارة من خلال معطياتها العامة البشرية والاقتصادية والإدارية والطبيعية في مطلب أول، أما التعمير واللامركزية واللاتمركز فسيكون موضوع المطلب الثاني.

المطلب الأول : جهة گلميم ـ السمارة : معطيات عامة.

تجتمع عدة معطيات جغرافية واقتصادية وتاريخية فيما بينها لتعطي جهة گلميم ـ السمارة نوعا من الخصوصية التي لا يمكنها تجاوز مقتضيات القانون 47.96، لأن القاعدة القانونية عامة ومجردة وتسعى إلى إعطاء هوية لهذه الجهة وهو ما سنسعى إلى ملامسته من خلال التقديم الذي سنعطيه لجهة گلميم ـ السمارة.

الفرع الأول : جهة گلميم ـ السمارة : تعريف وتحديد.

مثلت جهة گلميم ـ السمارة أحد المكونات الرئيسية للجهة الجنوبية كما هو وارد في مضامين الظهير الشريف رقم 1.71.77. بتاريخ 16 يونيه 1971 ؛ وفي ظل التقسيم الجهوي الحالي لسنة 1997 صارت جهة قائمة الذات وقد احتفظت بمساحة شاسعة الأطراف وتضم أقاليم : السمارة، گلميم، طانطان، أسا الزاگ، طاطا. وبالإضافة إلى المجال الجغرافي الممتد تحظى جهة گلميم ـ السمارة بإمكانيات طبيعية واقتصادية هامة.

أولا : جهة گلميم ـ السمارة : المجال والسكان.

تعتبر هذه الجهة إحدى الجهات الشاسعة جغرافيا فهي تمتد على مساحة إجمالية تصل إلى حوالي 134 ألف كلم مربع أي ما يناهز 18.81٪ من مجموع المساحة

الوطنية ويمكن تقسيم تراب الجهة جغرافيا إلى ثلاث مناطق كبرى متباينة :

منطقة جبلية تشكل امتدادا للأطلس الصغير في الشمال والشمال الشرقي ومنطقة شبه صحراوية في الوسط ومنطقة صحراوية في الجنوب.

وتتميز الجهة بغنى مقوماتها الحضارية وموروثها الثقافي الذي ينعكس من خلال التركيبة البشرية لهذه الجهة.

بحيث تضم مجموعة قبائل منها : تكنة، الركيبات، آيت بعمران، آيت يوسا، آيت لحسن وايگوت، ترگز، أولاد جلال، إذأوبلال، آيت طاطا،...

ثانيا : الإمكانيات الطبيعية والاقتصادية.

تتمثل هذه الإمكانيات بشكل أساسي في القطاعات المنتجة أي الفلاحة والصيد البحري والسياحة التي تظل المجالات القابلة للعب دور الدعائم الأساسية لاقتصاد جهوي متكامل. لكن ذلك لاينفي وجود بعض القطاعات الاقتصادية وإن لم تكن رئيسية إلا أن مساهمتها لا يمكن القفز عليها وإنما تطويرها بشكل يجعلها تمثل رهانات للتنمية الجهوية ويتعلق الأمر بالصناعة والمعادن.

الفرع الثاني ، التقسيم الإداري والجماعي لجهة گلميم ـ السمارة.

أحدثت الجهة بموجب المرسوم رقم 246 - 97 - 2 المتعلق بتحديد الجهات وأسمائها ومراكزها ودوائر نفوذها وتتكون من خمسة أقاليم هي : السمارة، گلميم، أسا الزاگ، طانطان، طاطا وتضم 60 جماعة محلية منها 11 بلدية و49 جماعة قروية كما هو مبين في الجدول الآتي :

جدول حول التقسيم الإداري والجماعي لجهة گلميم ـ السمارة

الإقليم	عدد القيادات	عدد الدوائر	عدد الجماعات	
			جماعة حضرية	جماعة قروية
السمارة	4	1	1	5
أسا الزاگ	5	2	2	5
طان طان	8	2	2	5
طاطا	12	3	4	16
گلميم	7	2	2	18
مجموع الجهة	36	10	11	49

يتضح من خلال التقسيم الجماعي لجهة گلميم ـ السمارة أن عدد الجماعات المحلية لا يتناسب مع حجم المساحة التي توجد عليها هذه الجهة والتي توازي خمس المساحة الوطنية وذلك مقارنة بجهة سوس ـ ماسة ـ درعة التي رغم أن مساحتها لاتمثل سوى 10,3٪ من مجموع التراب الوطني إلا أنها تحتل الرتبة الأولى من حيث عدد الجماعات على الصعيد الوطني إذ تضم 27 بلدية و212 جماعة قروية وهو ما بات يفرض إعادة النظر في التقسيم الجماعي والإداري لجهة گلميم ـ السمارة بشكل يجعل الجماعات المحلية تعبر عن خريطة الجهة الديمغرافية والجغرافية للعمل على توطين ساكنتها بمختلف الحواضر والمراكز القروية وذلك بالحد من الهجرة القروية التي تمثل ظاهرة حادة على مستوى جهة گلميم ـ السمارة. وللحد من هذا النزيف الديمغرافي يجب على الدولة أن توفر البنيات التحتية والتجهيزات الضرورية لاستقرار السكان.

المطلب الثاني : التعمير واللامركزية واللاتمركز بجهة گلميم ـ السمارة.

في إطار تناول المحددات المادية والقانونية بجهة گلميم ـ السمارة سيتم التطرق للامركزية واللاتمركز بهذه الجهة في فرع أول. أمّا التعمير والتطور الحضري بها فسيكون مضمون الفرع الثاني.

الفرع الأول : اللامركزية واللاتمركز بجهة گلميم ـ السمارة.

تمثل اللامركزية وسيلة تدبيرية ملائمة لإرساء معالم الديمقراطية المحلية وتوسيع المشاركة السياسية ويبدو اللاتركيز كمكمل ضروري وحيوي لها.

أولا : اللامركزية بالجهة.

يتبين من خلال التقسيم الإداري لجهة گلميم ـ السمارة أنه يندرج ضمن نفوذها 60 جماعة محلية منها 49 جماعة قروية.

على مستوى الموارد المالية لهذه الجماعات نشير إلى أن جهة گلميم ـ السمارة لا تكاد تخرج عن المشاكل المالية التي تتخبط فيها الجماعات المحلية على الصعيد الوطني خصوصا بالنظر إلى كون معظم جماعاتها قروية بحيث لا تتوفر على موارد ذاتية وتعتمد بشكل أساسي على إمدادات الدولة مما يزيد من تبعيتها ويحد من استقلالها.

كما أن الجماعات المحلية بهذه الجهة لاتشذ عن القاعدة العامة التي ظلت تحكم العنصر البشري والهيآت المحلية ببلادنا خصوصا أن غالبية تلك الجماعات قروية تتخبط في نقص حاد على جميع الأصعدة، حيث يزداد مشكل الموارد البشرية تعقيدا لا من حيث غياب التخصصات الحيوية (المهندسين والأطباء والأطر العليا...) إلى جانب عدم استفادة الموظفين من إمكانية التكوين والتدريب لتطوير مهاراتهم التدبيرية وكفاءتهم المهنية.

من خلال الحديث عن الموارد المالية والبشرية للجماعات المحلية بالجهة يبدو أن اللامركزية بها تعيش صعوبات تجعل نتائجها في إنعاش الاقتصاد المحلي وتحقيق التنمية محدودة وذلك على الرغم من القيمة العملية التي يمكن أن يقدمها اللاتركيز بهذه الجهة.

ثانيا : اللاتمركز بالجهة.

يعتبر المجال الجهوي بمثابة الإطار الذي يمكن الحديث داخله عن سياسة اللاتمركز الإداري الذي من شأنه أن يقوم بتفعيل هذا الأسلوب الإداري المحلي والجهوي الذي أصبح في الوقت الحالي لا غنى عنه وذلك من أجل الدفع بسياسة اللامركزية.

على مستوى جهة گلميم ـ السمارة نجد أن اللاتمركز بالإضافة إلى المحددات التي تمثل سمات عامة تحكم

مجموع التراب الوطني فإنه لازال يعاني من بعض الصعوبات ولعل أهمها عدم تعميم المصالح الخارجية على مجموع التراب الجهوي.

وإذا عدنا إلى النصوص القانونية المنظمة لمختلف القطاعات الحكومية نجد أن التقسيم الجهوي (16 يونيه 1971) لا يزال متحكما إلى حد ما في الخريطة الإدارية لتلك القطاعات بحيث لم تتم مواءمة سياسة اللاتمركز المعتمدة من قبل الإدارات المركزية مع التقسيم الجهوي الحالي لسنة 1997 مما نتج عنه تشتت المصالح الإدارية للجهة الواحدة بين جهات أخرى عديدة رغم أن بعض الأنظمة الأساسية لبعض الوزارات عرفت تغييرات بعد إعلان التقسيم الجهوي الأخير باستثناء وزارة التربية الوطنية من خلال نظام الأكاديميات الجهوية للتربية والتكوين الذي عرفه النظام التربوي المغربي مع مطلع السنة الدراسية 1987 - 1988 بموجب المرسوم 753 - 87 - 2 الصادر بتاريخ 16 نوفمبر 1987 وتم تطويره بالقانون رقم 07.00 الصادر سنة 2000 ليصل عددها ستة عشر أكاديمية جهوية تبعا للتنظيم الجهوي الحالي.

وموازاة مع المشاكل التي يطرحها اللاتمركز توجد عدة اقتراحات من شأنها الرفع من مستوى هذا الأسلوب الإداري وهو ما نجده في توصيات المناظرة الوطنية للجماعات المحلية الأخيرة التي أصدرت 36 توصية حول اللاتمركز الإداري.

إن الصعوبات التي تعرفها اللامركزية مع اللاتمركز على مستوى جهة ݣلميم - السمارة تنعكس بشكل كبير على التعمير.

الفرع الثاني : التعمير والتطور الحضري بالجهة.

في سياق الحديث عن التعمير على مستوى جهة ݣلميم - السمارة تعتبر هذه الجهة تاريخيا من بين أقدم المناطق التي استقر بها السكان بالمغرب وتؤكد ذلك النقوشات الصخرية المنتشرة عبر تراب الجهة وتحديدا منطقة باني (إقليم طاطا) ومدينة أسا وضواحي مدينة السمارة التي تم بها إحصاء ما لا يقل عن سبعة مواقع للنقوش الصخرية وهذا ما يؤكد أن تعمير جهة ݣلميم - السمارة يعود على الأقل إلى ما بين 8000 و4000 سنة ق.م.

وبالنسبة للتطور الحضري بجهة ݣلميم - السمارة فإنه بلغ مع مطلع التسعينيات 59٪. وهذا المعدل يفوق النسبة الوطنية سنة 1998 التي وصلت ساكنته الحضرية في هذه السنة 54٪.

ورغم مستوى التمدن الذي تعرفه الجهة فإن وثائق التعمير على مستوى الأقاليم المكونة للجهة لا تعكس الواقع بحيث أنها لا تغطي سوى مناطق محدودة كما أن كل الدراسات المتعلقة بإعداد وثائق التعمير تعرف بعض التأخير الذي يعود في جزء منه إلى مكاتب الدراسات وأحيانا إلى الجماعات المحلية وأخرى إلى المصالح المركزية.

ويتضح من تناول المعطيات الديمغرافية والاقتصادية والإدارية والاقتصادية لجهة ݣلميم - السمارة أنها تمتلك مجموعة من الإمكانيات الكفيلة بتحقيق البناء الجهوي وبلورة الممارسة الجهوية لها إلا أن ذلك يتطلب مجموعة من الدعامات المؤسساتية والشروط القانونية التي تظل رهينة بتفعيل النظام القانوني للجهة.

المبحث الثاني : دعامات الممارسة الجهوية.

تحتاج الممارسة الجهوية إلى مجموعة دعامات تكون بمثابة أسس ضرورية لبناء أرضية ملائمة لانبثاقها وانطلاقها بل أن هذه المقومات تتحكم إلى حد بعيد في المسار العام للتجربة الجهوية وهو ما حاولنا التركيز عليه من خلال المبحث السابق. ومادمنا بصدد جهة ݣلميم - السمارة كحال تطبيقية للممارسة الجهوية فإن النظام القانوني لها يتضح في المؤسسات الفاعلة في هذه الممارسة أي المجلس الجهوي والموارد البشرية والمالية لجهة ݣلميم - السمارة والغرف المهنية المنضوية تحت دائرة نفوذها. وبالموازاة مع هذا النظام نجد أن التخطيط الجهوي هو أحد نتائجه العلمية، أما التدبير اللامتمركز للاستثمار فيظل هدفا استراتيجيا تحاول الممارسة الجهوية من خلاله تقديم الجدوى منها وإضفاء دينامية اقتصادية عليها.

المطلب الأول : النظام القانوني لجهة ݣلميم - السمارة.

يبرز النظام القانوني للجهة وجود مجموعة من المؤسسات المنشطة للعمل الجهوي كما أن المجلس الجهوي بموارده المالية والبشرية والغرف المهنية يتوفر على أدوات للممارسة الجهوية.

الفرع الأول : المجلس الجهوي : النظام الداخلي واللجان الدائمة.

بالعودة إلى مضامين القانون 47.69 المنظم للجهة نجد تنصيصا على مجموعة من الآليات القانونية التي أتاحها المشرع المغربي للجهة حتى تتمكن من الانخراط في ممارسة جهوية كفيلة بتجاوز الاختلالات الجهوية وتحقيق التوازن والنمو الجهوي وهو ما جعل القانون المذكور يشير إلى القانون الداخلي للمجلس (المادة 40) كأداة ضبطية وتنظيمية للعمل الجهوي واللجان الدائمة (المادتين 36 و37) كهيآت ضرورية ولازمة للممارسة الجهوية.

أولا : النظام الداخلي.

عمل مجلس جهة ݣلميم - السمارة على إعداد نظام داخلي حاول من خلال مقتضياته توضيح وتتميم القانون الأساسي للجهة بشكل يحقق الانسجام والتطابق المطلوب بين القانونين وعدم التعارض بينهما. وقد تمت المصادقة على مشروع النظام الداخلي لجهة ݣلميم - السمارة من لدن سلطات الوصاية طبقا لمقتضيات المادة 43 من القانون 47.96 بموجب الرسالة الوزارية عدد 1093 بتاريخ 24 مارس 1998.

وبتفحص هذا النظام الداخلي نجد أن اللجان الدائمة من أهم الأجهزة الواردة ضمن مقتضياته.

ثانيا : اللجان الدائمة.

تعتبر اللجان الدائمة أهم آليات الممارسة الجهوية وذلك للدورها في تفعيل دواليب المؤسسة الجهوية كما أنها وسيلة لدمقرطة تدبير الشؤون الجهوية وتوسيع

المشاركة في إدارة ومعالجة القضايا الجهوية من قبل مجموع المستشارين الجهويين. إلا أن ترسبات الفكرة الإقليمية الضيقة وغياب الوعي الجهوي له انعكاس سلبي على مردودية المستشارين الجهويين وعلى الانخراط بفعالية وجدية في اللجان الدائمة وأشغالها وتكريس القناعة بالبعد الجهوي والفكرة الجهوية وجدوائيتها، وذلك لبناء لجان دائمة تؤمن بالعمل الجماعي وأهمية مردوديته بفعل تجميع المهارات والخبرات والإمكانيات الجهوية البشرية والفنية.

الفرع الثاني : الموارد المالية والبشرية للجهة.

أولا : النظام المالي والمحاسبي للجهة.

إذا ما حاولنا التطرق للنظام المالي والمحاسبي للجهة على ضوء القانون المنظم لها وكذا الموارد المالية بصنفيها الذاتية والاستثنائية المكونة له يتضح أنه بالنسبة لجهة گلميم ـ السمارة، بالرغم من المجهودات المبذولة لتعبئة الموارد المالية لهذه الجهة الفتية، فلا زالت بعض المشاكل تتخلل تحصيل هذه الموارد. فمن جهة هناك الرسوم التي لم تتمكن جهة گلميم ـ السمارة من استيفائها إما بفعل التهرب الضريبي (الرسم المفروض على الخدمات المقدمة بالموانئ) أو نتيجة الإعفاء الضريبي (الرسم المضاف إلى رسم النظافة) أو الفراغ القانوني الذي تعرفه بعض الرسوم نتيجة غياب مقتضيات قانونية تنظمها (الرسم المفروض على المناجم).

كما أن التأخيرات التي تعرفها بعض الإمدادات المحولة من الدولة لفائدتها ينعكس بشكل واضح على الميزانية الجهوية وعلى تمويل بعض المشاريع التنموية وهذا ما يتضح من خلال البرمجة التي تعرفها الميزانية الجهوية.

ثانيا : الموارد البشرية الجهوية.

بخصوص الموارد البشرية نميز بين المستشارين الجهويين وموظفي الجهة :

أ ـ المستشارون الجهويون :

بخصوص الانتماء السياسي للمستشارين الجهويين بجهة گلميم ـ السمارة فإنهم يتوزعون ما بين أحزاب اليمين واليسار وأحزاب الوسط وفئة محدودة بقيت بدون انتماء سياسي.

على مستوى الهيئة الناخبة للمستشارين الجهويين نجدهم ينتمون إلى منتخبي الجماعات المحلية والغرف المهنية بجهة گلميم ـ السمارة باستثناء غرفة الصيد البحري التي لا وجود لها بالجهة رغم أهمية سواحلها.

ب ـ الموظفون الجهويون :

بخصوص جهة گلميم ـ السمارة تجدر الإشارة إلى أن الإدارة الجهوية لا تتوفر على الأطر الإدارية (الكاتب العام للجهة ـ المكلفون بالدراسات ـ المكلفون بمهمة) المنصوص عليها في القانون 47.96 المنظم للجهة وإنما هناك خلية تضم مجموعة من الموظفين التابعين للعمالة مركز الجهة تتولى الإشراف وتسيير الإدارة الجهوية، وهو ما قد لا يتجاوب مع توصيات لجنة الجهات المنبثقة عن المناظرة الوطنية السابعة للجماعات المحلية.

إلى جانب المجلس الجهوي تعتبر الغرف المهنية مؤسسات إدارية موازية تعمل على تدعيم الجهة والجهوية بالمغرب وتطوير الممارسة الجهوية إن لم تكن إحدى دعاماتها الرئيسية .

الفرع الثاني : الغرف المهنية.

تتواجد بجهة گلميم ـ السمارة أربعة غرف مهنية تمثل الفعاليات الاقتصادية والاجتماعية بالجهة وهي :

ـ الغرفة الفلاحية لأقليم گلميم، أسا الزاگ، طانطان، السمارة.
ـ الغرفة الفلاحية لطاطا.
ـ غرفة الصناعة التقليدية.
ـ غرفة التجارة والصناعة والخدمات.

وتظل جهة گلميم ـ السمارة بدون غرفة للصيد البحري وذلك رغم أهمية سواحلها الاستراتيجية والممتدة على طول أكثر من 170 كلم مربع ويؤكد ذلك توفر الجهة على أهم الموانئ لصيد السردين على الصعيد الوطني ويتعلق الأمر بميناء طانطان.

وتبقى الغرف المهنية بجهة گلميم ـ السمارة بحاجة ماسة إلى تطوير صيغ العمل التعاوني وبلورته بشكل يتماشى والتحولات التي يعرفها القطاع التعاوني إن على الصعيد الوطني أو الدولي فعدد التعاونيات يبقى محدودا بالنظر إلى أعداد وأهمية القطاعات المهنية في هذه الجهة.

ولا تقتصر آليات الممارسة الجهوية على ما تم ذكره وإنما تمتد لتشمل التخطيط الجهوي والتدبير اللامتمركز للاستثمار كمقومات لها وأساس ديناميكيتها.

المطلب الثاني : التخطيط الجهوي والتدبير اللامتمركز للاستثمار.

يمثل التخطيط الجهوي والتدبير اللامتمركز للاستثمار دعامتين رئيسيتين للممارسة الجهوية بحيث أنهما يقدمان القيمة العملية لهذه الممارسة ويبرران اللجوء إلى الجهوية كآلية تدبيرية لإدارة الشأن العام على المستوى الجهوي وما يتطلبه من إجراءات مواكبة تهم تطوير اللامركزية واللاتمركز.

الفرع الأول : التخطيط الجهوي دعامة للممارسة الجهوية.

على مستوى جهة گلميم ـ السمارة وتماشيا مع المقتضيات القانونية المتعلقة بالتخطيط (المادة 7 من القانون 47.96) كإحدى الآليات لصياغة وتدبير الشأن العام الجهوي عملت هذه الجهة على الانخراط في مجموعة من المخططات الإنمائية بهدف رسم وتحديد استراتيجياتها التنموية الكفيلة بالنهوض بالجهة.

فإلى جانب إعداد المخطط الخماسي للجهة لسنة 2000 - 2004، نجد أن المخطط الجهوي لمحاربة السكن غير اللائق اعتبر من أهم المخططات الجهوية كما علمت جهة گلميم ـ السمارة كذلك على إعداد مخطط جهوي في إطار وكالة الإنعاش والتنمية الاقتصادية والاجتماعية لأقاليم الجنوب بالمملكة باعتبار هذه الجهة أحد المجالات الترابية لتدخلات المؤسسة التنموية المذكورة.

لكن على أهمية المجهود التخطيطي وخاصة على المستوى الجهوي فان تلك العملية تتوقف بشكل أساسي على مدى مراعاتها للسياسات السكانية المعتمدة باعتبارها قاعدة للمعطيات السكانية والتي تمثل أحد مقومات التخطيط سواء على المستوى الجهوي أو الوطني ومادمنا في سياق جهوي نؤكد على أهمية عمل اللجنة الجهوية للسكان.

الفـرع الثاني : التدبير اللامتمركز بجهة گلميم - السمارة.

تزخر جهة گلميم - السمارة بالعديد من المؤهلات الطبيعية والإمكانيات الاقتصادية الكفيلة بتحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية مستديمة خاصة في ميادين الفلاحة والسياحة والصيد البحري والمعادن والتجارة.

لكن تحريك هذه المؤهلات رهين بالمؤسسات التي تتولى إدارة الاستثمار وفي هذا الإطار تم تأسيس المركز الجهوي للاستثمار لجهة گلميم - السمارة عملا بمضامين الرسالة الملكية السامية حول التدبير اللامتمركز للاستثمار الموجهـة إلى الوزير الأول والمؤرخة بتاريخ 9 يناير 2002 وقد تم افتتاح المركز الجهوي للاستثمار بالجهة يوم 15 أكتوبر 2002.

ويقوم المركز بالمهام الموكولة له لإنعاش الاستثمارات على مستوى الجهة رغم عدم وجود نظام قانونـي خاص به ويعتمـد في عملـه أساسا على مجموعة من المراسيم القانونية والقرارات الوزارية التي تزامن صدورها مع الرسالة الملكية حول التدبير اللامتمركز للاستثمار.

لكن رغم الإمكانيات الواعـدة في مجال الاستثمار بهذه الجهـة فثمّـة جملة مشاكل تمثـل صعوبات عمليـة يجب تكاثف المجهـودات بين الدولة والجماعـات المحلية والقطـاع الخاص للتغلب عليها والحد من تأثيراتها في تحقيـق حركيـة استثماريـة على مستوى جهـة گلميم - السمارة ويمكن الإشـارة إلى بعض من هذه الصعوبات :

- شساعة جهة گلميم - السمارة خاصة أنها تمتد على مساحة تقدر بحوالي 20٪ من التراب الوطني وهو ما يجعل المسافة بين أطرافها بعيدة، خاصة بين عاصمة الجهة أي گلميم وباقي الأقاليم الأخرى كطاطا والسمارة مما بات يفرض فتح ملحقات تابعة للمركز الجهوي للاستثمار على مستوى الأقاليم المذكورة كما جاء في الرسالة الملكية حول التدبير اللامتمركز للاستثمار الموجهة إلى الوزير الأول بتاريخ 9 يناير 2002.

- العقار يعتبر مشكلا قائما على مستوى جهة گـلميم - السمارة بحيث أن النزاعات الناتجة عن ذلك تؤدي إلى الحد من أهمية الاستثمارات بهذه الجهة.

- عدم توفـر أقاليـم الجهة ماعـدا ميـناء طانطان على مناطق صناعية مجهزة بإمكانها استقطاب مشاريع استثماريـة هامـة.

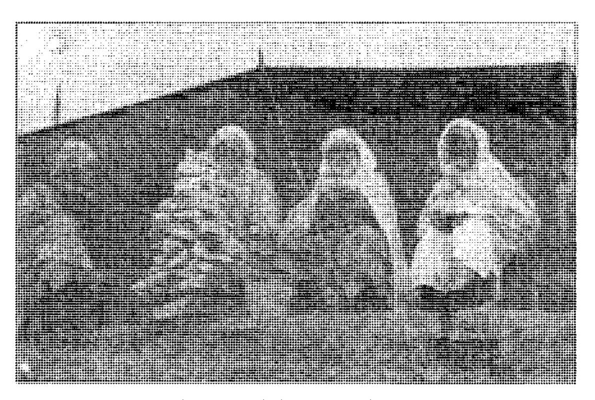
تستفيد جهـة گـلميم - السمارة من مجموعة من الآليات القانونية والمؤسساتية التي يتيحها النظام القانوني للجهة الذي يؤطر الممارسة الجهوية بالمغرب إلا أن تفعيل القطاعات التي تتوفر عليها الجهة يبقى رهينا بالمجهود التخطيطي الذي يتم توظيفه لتحقيق الاستراتيجية التنموية للجهة ومدى استفادتها من التدبير اللامتمركز للاستثمار.

جهة گلميم - السمارة، الحوار الوطني حول إعداد التراب عناصر تمهيدية، منشورات عكاظ، الرباط، 1999، ص. 5 ؛ وزارة التوقعات الاقتصادية والتخطيط، التنمية الجهوية وبرامج الجماعات المحلية، *وثيقة مصاحبة لمخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية، 2000 - 2004*، مديرية البرمجة، ص. 163 ؛ *جهة گلميم - السمارة، عناصر تمهيدية*، م.س، ص. 9 ؛ الجريدة الرسمية عدد 4509 بتاريخ 18 غشت 1997، ص. 3275 ؛ *ظهير شريف رقم 203 - 100* ؛ *توصيات المناظرة الوطنية السابعة للجماعات المحلية*، م.ع.ج.م، منشورات مركز التوثيق للجماعات المحلية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص. 41 - 42 - 43 - 44 ؛ عبد الجليل بوزكار، البداية الأولى للإستقرار البشري بالجنوب المغربي من خلال آخر معطيات أركولوجيا ما قبل التاريخ، مدينة السمارة نموذجا ؛ *ندوة السمارة حاضرة الأقاليم الجنوبية*، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أگادير، ص. 28 - 29 ؛ *محضر الدورة العادية لمجلس جهة گلميم - السمارة، يناير 1998* ؛ *الجريدة الرسمية عدد 5044* الصادر بتاريخ أكتوبر 2002.

Dynamiques urbaines et développement rural au Maroc, C.E.R.E.D, 1999, p. 71.

علي أمجـد

جُوَّان، مبارك بن **الحسين** الباعمراني الخلفي، ثقافته لا تتجاوز حفظ القرآن، لكنه كان ذكياً طموحاً، فاشتغل في البداية بالفلاحة وكسب الماشية وتجارة القوافل في بداية القرن العشرين، وخاصة لما توفي الشيخ محمد بن مبارك بُـوزاليمْ، فكان جُـوَّان هذا يرسل جماله إلى مدينة تيزنيت يتّـاجر في مادة السكر والشاي والسلع الأخرى، وكانت فرنسا تشجع تجار آيت باعمران، حيث تبيعُ لهم بأثمان رخيصة، قصد ربط العلاقة بين شمال المغرب وجنوبه، خوفاً من أطماع ألمانيا التي ظهرت في آيت باعمران حينئذاك.



الشيخ مبارك جوان (الثالث عاى اليسار)

وفي هذه الظروف تمت تجارة جُـوَّان مبارك، وبسرعة أصبح من أغنياء البلد، فكوَّن لنفسه هالة بفضل

كرمه، وصارت داره دار ضيافة بين رائح وغاد، وخاصة ما بيّن سنوات 1920 و1930. وفي هذه الفترة كانت الأوضاع متدهورة في آيت باعمران، بسبب الجفاف من جهة، وطغيان ظاهرة السِّيبة من جهة أخرى، وحدث أن ضعفت عائلة بني الشيخ همّو محل قيادة القبيلة بسبب استشهاد القائد محند ضد الجنرال دولاموط سنة 1917 وقُتل أخوه الشيخ الحسن والشيخ مبارك بن القائد أحمد من نفس العائلة بالسّم، فظهر فراغ سياسي بالنسبة لقيادة قبيلة آيت اخلف.

وهنا برزت أسر لسد هذا الفراغ منها أسرة جُوّان هذا، لكن عارضتها عائلة الضِّلْعيّين الخلفية بزعامة عيسى بن عثمان، فتسبّب هذان الشخصان في تقسيم القبيلة إلى قسمين، وبدأت المناوشات والاغتيالات بين الطرفين، والحق أن اليد الأجنبية لم تكن بعيدة عن تحريك تلك الفتن، والهدف هو إضعاف تلك الجهات التي وقفت أمام حملة الباشا حيدا ابن مَايْس، وكذلك حملة الجنرال دولاموط، وإذا كانت فرنسا تمد أصحابها بالمال من تيزنيت، فإن مطامع إسبانيا ظهرت كذلك في آيت باعمران، إلى أن رجحت كفة هذه الأخيرة حسب تقسيم النفوذ الاستعماري. ولما خرجت إسبانيا من سيدي إفني حسب اتفاقية ثلاثاء الاخصاص سنة 1934 اجتمع رأي القبيلة من جديد على الشيخ عبد الكريم الخلفي فوقع باسم آيت اخلف وثيقة ثلاثاء الاخصاص، كامغار للقبيلة إلى جانب أعيان آيت باعمران مثل القائد أحمد اصْبَايَو ... كما عين مبارك جُوّان أنْفْلُوساً على فخذة - إدْ عْلي - من آيت اخلف فكان يشارك في مجلس الحكم الذي يترأسه الضابط الإسباني بـتِيغْزَى كل يوم خميس.

كتب مبارك جُوّان هذا كناشة سجل فيها إحصاء ربع قبيلة آيت اخلف، وخاصة الولادات الوفيات والذكور والاناث والمهاجرين والعسكريين.

وفي دار أنفلوس جُوّان هذا نزل الجنرال كبّاث عندما قام لأول مرة بوضع الحدود بين إسبانيا وفرنسا صحبة أعيان آيت باعمران، إلا أن الجَوَّ بين هؤلاء الأعيان وهذا الضابط كان مُكْفَهِرّاً، وخاصة عندما تنازل كبّاث لفرنسا عن جزء مهم من قبيلة آيت بوبكر في الساحل، وكان النقاش حول ذلك سيشار معه في دار جُوّان هذا، فإذا ببرقية مستعجلة ترد عليه من مدينة سيدي إفني فغادر منزل جُوّان، وصارت مسألة الحدود تتقادم بتمكن الاستعمار وتقويته.

توفي مبارك جُوّان عن سن عالية في سنة 1377 / ماي 1957، لكن عائلته مازالت مستمرة، فمنهم من لعب دوراً هاماً في جيش التحرير، ومنهم القادة ومنهم تجار في الخارج.

منكرة عند عائلة جُوّان ؛ الحسين الجهادي، *جانب من تاريخ آيت باعمران*، مخطوط ؛ *رواية شفوية* عن الشيخ عبد الكريم الذي عايش الأحداث.

الحسين الجهادي

جيش التحرير وإسبانيا في الصحراء، إن التأريخ للمقاومة وجيش التحرير واجه ويواجه مجموعة من العقبات، باعتبار الموضوع قريبا منا من حيث البعد الزمني، إضافة إلى أن التراكم المعرفي المكتوب حول هذه القضية لازال في بدايته الأولى وتشوبه مجموعة من النقائص، مما يستدعي إعادة كتابة تاريخ هذا الحدث البارز في الفترة المعاصرة من تاريخ المغرب عموما والمناطق الصحراوية خاصة. وتتطلب منا إعادة كتابة تاريخ المقاومة وجيش التحرير، توظيف مجموعة من المناهج المختلفة التي ستفيدنا في الكشف عن الحقائق وضبط سناريوهات الأحداث متى وقعت وكيف وقعت ولماذا وقعت.



كان جيش التحرير بمثابة الجنين الذي أفرزته المقاومة المسلحة التي قامت بها القبائل الصحراوية إبان التسرب الفرنسي في أقاصي الجنوب والشرق حيث امتدت المقاومة حتى التراب الموريتاني. وقد برز في هذا الإطار الشيخ ماء العينين الذي كان يشكل خطرا حقيقيا على المصالح الغربية في المنطقة انطلاقا من موقعه الديني والعلمي الذي تم عليه استنفار القبائل الصحراوية للقيام بالعمليات الجهادية. وقد تناولت الأسطغرافية الأجنبية خاصة الفرنسية والإسبانية الشيخ ماء العينين وأبناءه تناولا يضفي عليهم طابع الشوفينية والتطرف والتعصب اتجاه الغرب ومؤسساته. وبعد فشل المقاومة المعينية المدعومة بالمد القبلي من أندر (سان لوي) جنوبا حتى وادي نون شمالا، وبعد تمكن القوتان الاستعماريتان من تقوية نفوذهما بفضل

ترسانتهما العسكرية فإنهما اثبتتا السيطرة الفعلية على وادي نون والصحراء بداية من سنة 1934، فاندلعت من جديد وبعد حوالي 22 سنة شرارة جيش التحرير. وكانت سنة 1956 محطة هامة في تاريخ الصحراء إذا ما ربطنا ذلك بالجو العام الذي كان يعيشه المغرب والمتمثل في البدايات الأولى للاستقلال بعد رجوع ملك البلاد محمد الخامس من المنفى، ففي نفس السنة وبالضبط في شهر نونبر انعقد مؤتمر أم الشـگـاگ (توجد على بعد 75 كلم غرب السمارة) بمشاركة ممثلي كل القبائل الصحراوية، وقد كانت تلك المنطقة ذات شأن حيث انعقد فيها مؤتمر عفوي دام ثلاثة أيام متتالية نوقشت فيه مجموعة من المواضيع على رأسها موضوع استقلال المغرب وعودة ملك البلاد وتم تعيين الوفد الذي سيزور الرباط لمبايعة محمد الخامس وتهنئته على رجوعه واستقلال البلاد وحثه على الدفاع عن المناطق التي لا زالت ترزح تحت السيطرة الإسبانية والمطالبة باستقلالها، وفي هذه الأيام احتجز بعض الشبان ضابطين إسبانيين فلجأ إلى أهل الشيخ ماء العينين طالبين الأمان، فلما أطلق سراحهما ووصلا إلى مدينة العيون جهزت إسبانيا حملة عسكرية لتمشيط منطقة أم الشـگـاگ، فوصلت أخبار قدوم الحملة إلى المؤتمر فانتقلوا من المنطقة متوجهين إلى الشمال نحو منطقة وادي نون، ويمكن تشبيه الرحلة بمسيرة مصغرة انتقلت من أم الشـگـاگ نحو روضة سيد أحمد العروسي، ثم الكعدة، ثم روس الخيالات بين الساقية وراس الخنفرة نهاية الكعدة شرقا، ثم واد أبطيح، ثم معذر السعد ثم النواميس ثم تلمزون ثم بوشلفان وهو مقطع عند واد درعة ثم خنيك لعظام والروسيات وصولا إلى لكصابي في رحلة استغرقت حوالي 6 أيام. وبقي الوفد في الكصابي لمدة ثلاث ليالي بعدها توجه إلى الرباط عبر مدينة أگادير، وقد كانت كل القبائل الصحراوية ممثلة في هذا الوفد. وكانت هذه المجموعة تمثل أول وفد صحراوي جاء لمبايعة محمد الخامس. وبداية من سنة 1956 بدأت تتكون الطلائع الأولى من جيش التحرير خاصة بعد قنبلة المناطق المجاورة لمنطقة الاحتلال الإسباني في إفني، ففي هذه السنة قامت القوات الإسبانية بقنبلة بعض المداشر وهي على التوالي الكصابي وتيسگنان وعبودة واميفيس، فانطلقت طلائع جيش التحرير من واد نون بتنسيق مع ضباط جيش التحرير وهم على التوالي القائد بن حمو وحرمة ولد بابانا وإدريس بوبكر وإدريس العلوي، وكان مقر التخطيط هو دار أهل بيروك.

وقـد تقرر أن يقـوم أفراد جيش التحريـر بمجموعة من العمليات العسكرية في المناطـق التي كانت خاضعة للاحتلال الإسباني والفرنسـي على السواء، وقد كانت هـذه العمليات متعـددة وشملـت مناطق مختلفـة، ففي منطقـة السمارة التي كانت منضوية تحت لـواء المقاطعة الثامنة كانت هناك، مجموعة من المعارك التي يمكن إجمالها في الآتـي.

جـرد لأهـم المعارك التي عرفها إقليم السمارة

اسم المعركة	تاريخها	قائد المعركة
* معارك سنة 1956		
رغيوة 1	1956	مبـارك منـار
تملالت	1956	ناضل الهاشمي
الفوارة	1956	ناضل الهاشمي
روضة الحاج (قرة الحوزة)	1956	ناضل الهاشمي
* معارك 1957 - 1958		
الروضة (أحمد العروسي)	أواخر 1985 وأوائل 1958	ناضل الهاشمي
واد الصفــا	أواخر 1957 وأوائل 1958	ناضل الهاشمي
الرغيــوة 2	1957	ناضل الهاشمي

المصدر : المندوبية الاقليمية لقدماء المقاومين وأعضاء جيـش التحرير - السمارة

وفي نفس الإطار عرفت المقاطعة التاسعة مجموعة من المعارك نذكر من بينها معركة تافودارت سنة 1957 ومعركة الدشيرة سنة 1958 ومعركة لمسيد الأكحل سنة 1958، هذا إضافة إلى معارك أخرى لا يتسع المجال لذكرها لهذا سنقتصر على بعض المعارك التي عرفتها المقاطعة الثامنة والمقاطعة التاسعة.

معارك المقاطعة التاسعة :

وأشهرها هي معركة الدشيرة (شرق العيون) والتي سبقتها أيام أخرى نوردها بالتتابع.

- معركة الشانطي بين البلايا والعيون ترأسها بنيب ولد محمد سالم (آيت بوكزاتن).
- عمليـة السيطـرة علـى بوجـدور مـن طـرف الحسين ولـد عمـر.

هجوم المورطي (نوع من السلاح وكان قائد الرحى : (رتبة عسكرية يصبح بموجبها صاحب اللقب حاكما على 170 إلى 300 فرد أي كتيبة فتصبح خاضعة لأوامره) هو صالح الجزائري، وتفرع جيش التحرير إلى ثلاث فرق تراقب الشطيب (الضفة) الشمالية من واد الساقية وهي فرقة بنبا ولد محمد سالم وفرقة الحسين ولد عمار المرابطة خوي تيفا عند دخلة العيون، وفرقة ولد خر في حين فرقة الرگيبات كانت تراقب الضفة الجنوبية وقد كان الهجوم حوالي الساعة 12 ليلا.

- هجوم المسيد ترأسه البشير ولد براهيم ولد عمر اوداود في التاسعة صباحا كانت هذه أيام بمثابة الأرضية التي مهدت لمعركة الدشيرة.

وقد وقع هجوم الدشيرة يوم 13 يناير 1958 شاركت فيها الفـرق السابقـة الذكر حيث كانت فرقـة بنبا مرابطة عند الدشيرة، أما فرقـة ولد خر التي كان يترأسها نائبه سلامة ولد الزفاطي فكانت ترابط في "خوي فضرة اللبنة".

ومباشرة بعد هجوم لمسيد جاءت حملة عسكرية إسبانية مجهزة تجهيزا قويا من العيون وكان توقيت المعركة في الثامنة صباحا على وجه التقريب فاختلط الجيش الإسباني بأفراد جيش التحرير فتعذر على سلاح الطيران الإسباني في 50 طائرة، أن يتدخل ثم قامت القوات الإسبانية ببناء قاعدة متنقلة في المكان المسمى "امات امازير" بمحاذاة البئر الكائن على ربوة تشرف على إحدى حافات وادي الساقية القريبة من موقع الدشيرة، وهذه القاعدة ستصبح فيما بعد تكنة عسكرية أحكم بناؤها وهي تشبه في كثير من خصائصها القلاع الأوربية القديمة. وباقتراب فترة الزوال ظهر تفكك في قوات جيش التحرير والقوات الإسبانية على السواء فتراجع أفراد جيش التحرير نحو الوراء إلى بطحة الوادي فأمر أحر المتعاونين الصحراويين مع اسبانيا بإعطائه كتيبة ليباغت جيش التحرير من الوراء، لكن تدخلت بعد ذلك فرقة الركَيبات التي يترأسها دحان الطالبي وفرقة حسين ولد عمر وفرقة من أولاد الدليم يترأسها أولاد الخطاط عبد الله ومحمد فاضل. وكانت فرق العميل لإسبانيا تضم ثمان شاحنات من نوع لاندروفير محملة بأكياس الرمال والمؤونة وجهاز للاتصال وكان مع الفرقة ضابط إسباني من درجة قبطان وكان أصحاب الرفالات (بوتسارات) في مقدمة الفرقة فاختلط بهم أفراد جيش التحرير، فاتصل هؤلاء بأصحاب المدافع بإطلاق قذائف الكور فتضرروا من ذلك فاتصلوا ثانية فأمروا بإيقاف القذائف. وكان الطيران يراقب مجريات الأمور وينقل الأخبار ولم يتجرأ على إلقاء القنابل لأن هناك اختلاط بين أفراد جيش التحرير والجيش الإسباني، وفي حدود الثالثة بعد الزوال تقريبا بدأت تظهر بشائر هزيمة الجيش الإسباني بعد أن غنم منهم أفراد جيش التحرير كميات من السلاح. وفي هذه الأثناء جرى حوار بين بنبا والعميل الذي كان يعمل لصالح إسبانيا فحثه الأول على الرجوع إلى إخوانه المجاهدين فلم يبال بذلك ورفض فقام أحد الأشخاص يدعى البشير ولد الغزال برميه برصاصة فارداه قتيلا. بعدها توقف القتال من طرف الإسبان حتى التاسعة ليلا فبدأ الانسحاب من الطرفين. وفي اليوم الموالي جاءت القوات الإسبانية لسحب قتلاها من ساحة المعركة. واعتماداً على رواية خليهن ولد أحمد فال وهو من أصل موريتاني كان يعمل في البريد الإسباني فإن القوات الإسبانية فقدت حوالي 750 قتيل من دون احتساب المتوفين في المستشفيات من جراء الاصابات. وقد استشهد من جانب أفراد جيش التحرير مجموعة من الشهداء. وتوجد لائحة بأسمائهم في مقبرة الشهداء بالدشيرة وهي تطل على وادي الساقية. بعد ذلك تجمع أفراد جيش التحرير في فم آيتغى وطريك الصدرة حيث شنت القوات الإسبانية هجوما مضادا من التاسعة صباحا حتى حدود الرابعة بعد الزوال بقوة عسكرية تناهز العشرين ألف جندي مجهزة بالمدافع والدبابات ومختلف أنواع الأسلحة ومدعومة بثلاثة أنواع من الطائرات المقاتلة المتطورة وطائرة قاذفة للقنابل المدخنة، وانقسمت هذه القوات إلى فرعين، فرع قام بهجوم على مركز المقاطعة التاسعة في "فم آيتغى" و"طريق الصدرة" والفرع الآخر قام بهجوم على مركز تافودارت، وقد صمد أفراد جيش التحرير حتى انسحاب القوات الإسبانية. وقد استشهد مجموعة من أفراد جيش التحرير.

أما معارك المقاطعة الثامنة في الناحية الشرقية التابعة لإقليم السمارة فإنها كانت طاحنة ذكرناها في الجدول أعلاه. وقد كانت أيام رغيوة وبعدها بأسبوع وادي الصفا ثم تاوجافت ثم الطوارف شديدة واجه فيها جيش التحرير في المقاطعة الثامنة مصاعب كثيرة أمام قوة الآلة العسكرية الفرنسية المتطورة مقارنة مع الآلة الإسبانية، وقد كان ناضل الهاشمي هو رئيس المقاطعة الثامنة.



مجموعة من جيش التحرير

أما في القطاع الجنوبي الممتد على الساحل حتى تيرس فقد دارت مجموعة من المعارك ونخص بالذكر معارك وأيام العركَوب وواد ايشياف في تيرس الغربية شرق النكجير، وميجك شمال اغوينيت وبقرب سبخة أم الضروس وأمات اللحم شرق الكَلتة وتكل في آطار بالتراب الموريتاني والسعدان في منطقة تيرس وتأملت جنوب الكَلتة وقد انحصرت زمن هذه المعارك بين سنوات 56 و57 و58.

ونورد معركة العركَوب نموذجا لمعارك الساحل وهي في الواقع سلسلة عمليات عسكرية تم تدشينها بالهجوم الأول في العركَوب ثم الهجوم الثاني في أكَركَر عند جوا الكاربية قرب تكتشنت شرق العركَوب ثم بعد

أسبوعين وقع الهجوم الثالث في واد العشاريات في ركبة النكجير، حيث وقع هجوم الطيران الفرنسي على افركان من أولاد الدليم وأهل الشيخ ماء العينين وفرقة كبيرة من أفراد جيش التحرير، وتوفي على اثر الهجوم أربعة أفراد من أهل الشيخ ماء العينين ورجل من أولاد الدليم. وقد كان أفراد جيش التحرير يتواصلون مع افركان الرحل الذين يزودنهم بالماء والمؤن والأخبار. وبعد هذه العملية توجه جيش التحرير نحو لكلات (عن جبال في أرض تيؤس تتخللها مستنفعات (أكلات) وأشجار وغيران) (عبارة عن كتل بركانية في أرض تيرس) فجاءت فرنسا بقوات مختلفة التركيبة من العناصر السوداء المستقدمة من المستعمرات الفرنسية، وقوات الـگـوم المستقدمة من موريتانيا على ظهور الإبل، إضافة إلى التسليح القوي المعتمد على الدبابات والطائرات، فدخلت إلى أوسرد وبعدها إلى لـگـلات، وقامت فرنسا بعد ذلك بمحاصرة منطقة لـگـلات لتقوم بعملية إبادة لأفراد جيش التحرير المرابطين في المنطقة. وكان سلاح الطيران نشيطا حيث كان يلقي القنابل وبرامل النفط لإشعال النيران، لكن أفراد جيش التحرير احتموا بالغيران هذا إضافة إلى الدور الذي لعبته لـگـلات في إطفاء النيران، وبقي الوضع كذلك لمدة ثلاثة أيام، وفي اليوم الرابع اجتمع أفراد جيش التحرير فقرروا الانسحاب من المنطقة عبر أحد الأودية العميقة والتي يتخللها غطاء نباتي كثيف، فتسربوا فوق ظهور الإبل دون أن تشعر بهم الحراسة القوية. وعندما وصلوا تيزنكاتن في تيرس وانقسموا إلى قسمين :

أهل الساحل (آيت لحسن ـ أولاد ادليم ـ العروسيين..) توجهوا نحو الشمال الغربي عبر بئر انزران، أما الرگيبات فتوجهوا نحو منطقة الطوارف فوجدوا أمامهم القوات الفرنسية فرجعوا إلى السمارة ورغيوة، أما أهل الساحل فقد تعقبتهم القوات الإسبانية حيث التحقت بهم في منطقة ايشياف في الزوال وعرضت عليهم بواسطة الجنرال ترانكوسو التفاوض السياسي على أساس التوافق فتبنى جزء من أفراد جيش التحرير الطرح الإسباني، في حين رفض الجزء الآخر فلجأ إلى الشمال نحو طانطان. وفي يناير 1958 ومن خلال مجموعة من العمليات العسكرية تبين أن جيش التحرير في الصحراء أصبح يواجه مصاعب كثيرة تمثلت أساسا في التحالف الإسباني الفرنسي العسكري ومن تم التخطيط لعملية تمشيط واسعة تشكّل أفراد هذا الجيش وقد سميت هذه العملية "ايكوفيون" وقد كان من بين مهندسي العملية الجنرال كونيي الحاكم العام للقوات الفرنسية بالمغرب الذي حرك القوات الفرنسية التي كانت متجمعة في أگادير وإنزكان للمساهمة في العملية دون إطلاع الحكومة المغربية. وكانت فرنسا تروم من وراء هذه العملية تحقيق مآرب تكتيكية واستراتيجية منها منع جيش التحرير من غزو موريتانيا الفرنسية وقسط من الصحراء الجزائرية التي كانت تابعة للمغرب قبل إقرار الحماية الفرنسية في علاقة مع فكرة المغرب الكبير التي كان يروج لها حزب الإستقلال. لهذا لم تتردد فرنسا في التحالف مع إسبانيا رغم عداوتها الشديدة لنظام فرنكو الفاشي لتدمير جيش التحرير أو حصره على الأقل في واد درعة الذي كان يعتبر الحد الطبيعي للمغرب.

واتجهت القوات الإسبانية المجهزة بأحدث الأسلحة ومدعومة بالطائرات، نحو مركز المقاطعة التاسعة في تافودارت، أما القوات الفرنسية بقيادة الكونونيل بريكان فقامت بهجوم من الشرق والجنوب انطلاقا من السمارة نحو الروضة الشرقية وروضة سيدي أحمد العروسي حيث مقر المقاطعة الثامنة، عندها بدأت عناصر جيش التحرير تنسحب نحو طانطان وعيون أغمان : (شمال واد درعة كانت تحت الحكم الفرنسي) ولمسيد وابطيح. وتشير بعض الروايات أن مسألة الكرامة لدى الأولياء كانت حاضرة أثناء تنقل أفراد جيش التحرير إلى طانطان. فقد توجهوا إلى الشيخ محمد لغظف ولد الشيخ ماء العينين فطلبوا منه أن يتضرع إلى الله ليحول بينهم وبين القوات المتحالفة فقال لهم الشيخ اختاروا بين المطر أو الغمام أو الريح، فقالوا له أنت أعلم فقال : "بسم الله على بركة الله" فتزعم عملية الانتقال بفريكه فعم الجو غمام أحمر تصعب معه الرؤيا، فكانت عملية التنقل تتم بالنهار في جو من الأمن بعد أن عجز طيران التحالف عن ترقب أفراد جيش التحرير أمام هذه الظاهرة الجوية الغريبة، ثم تستأنف بالليل بعد غروب الشمس حتى وصلوا إلى واد الشبيكة.



أفراد جيش التحرير

وعند وصول أفراد جيش التحرير إلى الطنطان ظهر تصدع في صفوفهم نتيجة تجاوزات القواد الذين اتهموا بعض الأفراد والعائلات بالخيانة كذريعة للاستيلاء على ممتلكاتهم، فتمردت عليهم العناصر الصحراوية داخل جيش التحرير التي جردت من أسلحتها، فعملت من جديد على تسليح نفسها بعد الهجوم على بعض التكنات (كسير الماكزا)، وكادت هذه الأحداث أن تؤدي إلى نشوب نزاع مسلح بين العناصر الصحراوية والعناصر الموالية لقواد جيش لتحرير المغربي، فكانت النتيجة أن التحقت أعداد من العناصر الصحراوية إلى مناطق النفوذ الإسباني في الصحراء الغربية أو مناطق النفوذ الفرنسي في تندوف.

وقد صادفت هذه السنة (أول 1958) أن كان ولي العهد آنذاك الحسن الثاني قد حضر مؤتمر بوخشيبة عند رأس المعلك (طريق السمارة) عندها دخل الحسن الثاني إلى طرفاية.

وقد عملت البيئة الصحراوية بمكوناتها الطبيعية على توجيه العمليات العسكرية والتي في غالبيتها دارت في الوديان التي توفر مخابئ طبيعية لأفراد جيش التحرير أثناء تعرضهم لهجمات القوات الإسبانية أو الفرنسية وتتمثل هذه المخابئ الطبيعية في المحاور أو الكهوف وفي هذا الإطار يتبادر إلى الأذهان دور الكهوف في حرب الرمال إضافة إلى الكهوف فقد لعب الغطاء النباتي فـي الوديـان والمتمثـل فـي الأصـدار (أشجـار) دورا لا يستهان به في حماية أفراد جيش التحرير. وقد كانت هذه المخابئ الطبيعية تقوم بمهام الدفاع ضد هجمات سلاح الطيران. من هنا نخلص إلى أن لكل بيئة طبيعية إمكاناتها الخاصة في الدفاع الذاتي.

واستفاد أيضا أفراد جيش التحرير من نمط العيش الذي تطبعه حياة الترحال ذلك أن "المحاصر" و"افركان" لعبت دورا كبيرا في الحماية ناهيك عن التموين بالمواد الغذائية المتوفرة والمنحصرة أساسا في اللحوم والحليب والألبان وبعض المواد الغذائية الأخرى كالشاي والسكر وقد يتعدى الأمر ذلك إلى ما هو أهم حيث تزود هذه المحاصر أفراد جيش التحرير بالمعلومات والمستجدات الخاصة بتحركات القوات الإسبانية أو الفرنسية. وكانت قبائل الصحراء ممثلة وبدون استثناء في جيش التحرير سواء قبائل الساحل أو قبائل الشرق أو قبائل الـگبلة (موريتانيا) تكنة والركَيبات وأولاد الدليم والعروسيين وأولاد بالسبع وأولاد تيدرارين، هذا إضافة إلى بعض القبائل الموريتانية كالترارزة وأولاد غيلان وأولاد عمني وأولاد اكشان وإديشلي وأهل بارك الله وامكاريج، ويجرنا هذا أيضا إلى محاولة الكشف عن طبيعة مشاركة "أهل الكتب" أو الزوايا والتي أثبتت الحقائق أنها أسهمت إسهاما فاعلا على مستوى التحميس الديني، بل تذهب الرواية الشفوية إلى أبعد من ذلك حيث تورد بعض الفتاوى التي توجب منازلة القوات الغازية، فقد جاء أحد أفراد إحدى القبائل قبل انخراطه وسأل عن وجوب الانخراط في أفراد جيش التحرير، ويتعلق الأمر بالكوري ولد المامي ولد محمد الذي كان يرعى شؤون البيت بما في ذلك أبويه وبعض أفراد عائلته، فأجابه محمد سالم ولد الهاشمي وهو أحد تلامذة أهل الشيخ ماء العينين قائلا : "حينما كان الجهاد بعيـدا فـلا حرج وعندما أصبح عند "ركاب إمرحان" وهي أماكن انتعاج قطعان الماشيـة، فقد أصبح واجبا كما فرض علينا نحن أهـل الكتب أن نغلـق كتبنـا ونقـوم للجهاد".

وخلاصة القول أن القبائل الصحراوية وباختلاف شرائحها مثلت في جيش التحرير. وإضافة إلى أفراد جيش التحرير في الصحراء وقياديي جيش التحرير على المستوى الوطني، فقد كان جيش التحرير يضم عناصر قيادية أخرى من موريتانيين وجزائريين ونخص بالذكر حرمة ولد بابانا (كان لحرمة ولد بابانا قريب من أبناء عمومته هو محمد أحمد باهي الذي كان حاضرا في أحداث جيش التحرير ويدون مشاهداته في رسائل مختلفة وصالح بن عسو الجزائري ليكتمل بذلك البعد المغاربي لجيش التحرير.



أفراد جيش التحرير

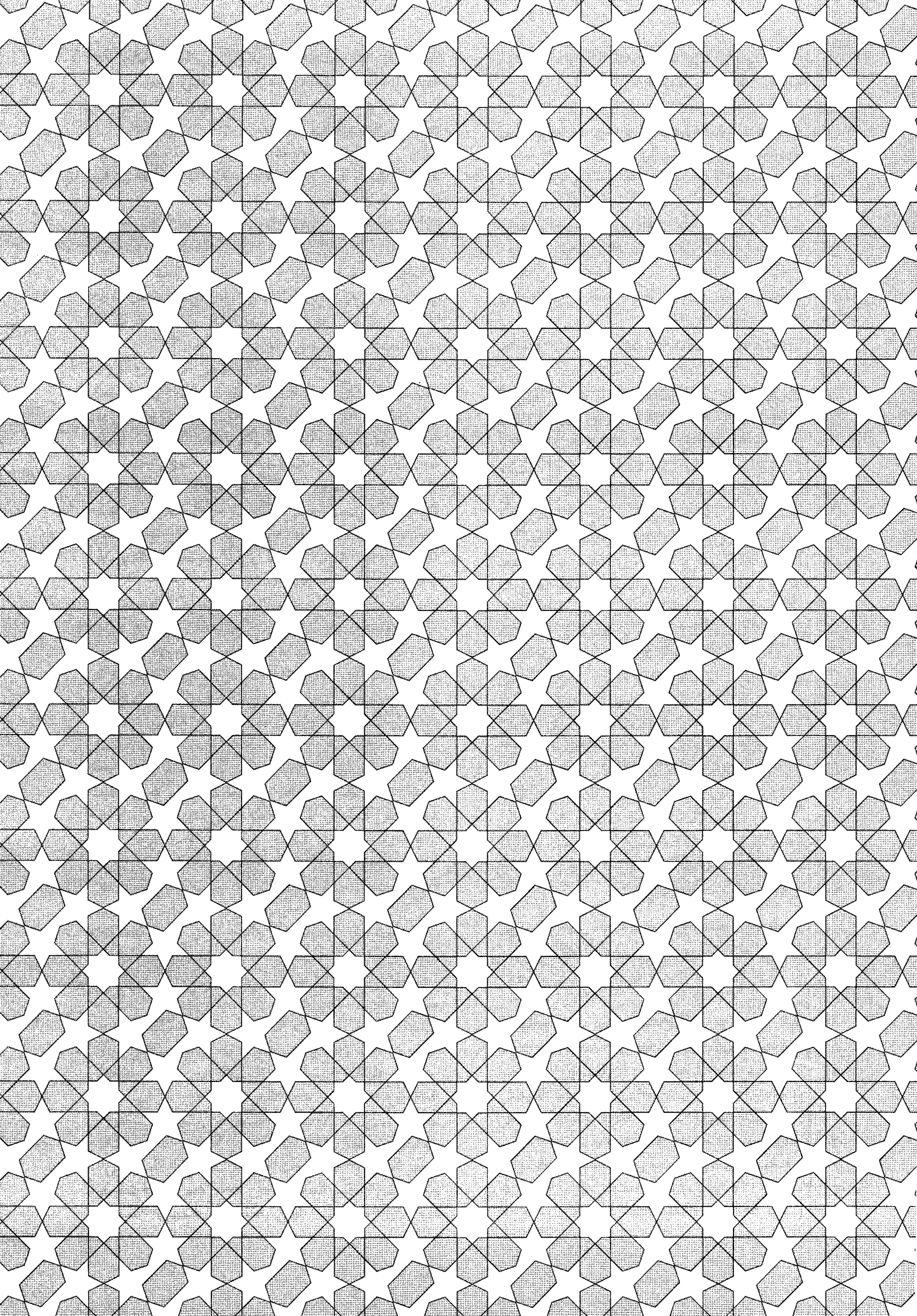
وكانت المرأة بدورها حاضرة من خلال إمداد جيش التحرير بمستلزماته من قرب الماء وصنع الخيام والكساء والراحلة ومرفقاتها الخاصة بالإبل ومنهن من كن يتنقلن مع أفراد جيش التحرير للطبخ وتقديم الإسعافات بالرغم من شح الامكانات. واكتمل دورهن بالتحميس النفسي لأفراد الجيش من خلال بعض الأشعار والأغاني وتأنيب المتأخرين والمتقاعسين وقد كان لهذا التهيئ النفسي دور كبير في شحذ همم الرجال بل أحيانا بالمخاطرة بشن هجمات يُعرف مسبقا أنها في غير صالح جيش التحرير في غياب تسليح قوي، وقد يعبر المقاتل عن هذا الحماس النفسي كما أقر أحدهم بأنه "السلاح بالقلب" ويعني هنا الإيمان بالقضية. ولا يفوتنا أن نشير إلى أن التسليح كان هزيلا إذا ما قورن بالترسانة العسكرية سواء للفرنسيين أو الإسبانيين وخاصة بعد انضمامهم لحلف الناتو. ويمكن حصر القطع العسكرية في الخماسية والثلاثية والرباعية وقد كانت هذه القطع تأتي من الشمال وتقدمها الدولة عن طريق قياديي جيش التحرير ولا يفوتني هنا أن أذكر بأن العمليات العسكرية الفرنسية والإسبانية كانت تتخذ طابعا وحشيا خاصة سلاح الطيران الذي كان يهاجم الرحل العزل وقد فتك بقطعان هامة من الماشية والإبل، من ذلك الغارات الوحشية التي قام بها الطيران الفرنسي والإسباني على كليب عباد ووسط الساقية.

جريـدة *العلم*، عدد 1849 بتاريـخ 31 دجنبـر 2000 ؛ معطيـات إحصائيـة أمدتنـا بها *المندوبيـة الإقليميـة لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير*، السمارة ؛ عبد الرحيم الـورديغـي، *الخفايا السرية فـي المغرب المستقل* 1956 - 1961، دار الرشـاد الحديثـة، 1982 ؛ مضاميـن *الرواية الشفويـة*، محمـود ولـد مبـارك آيت لحسـن، گلميـم،

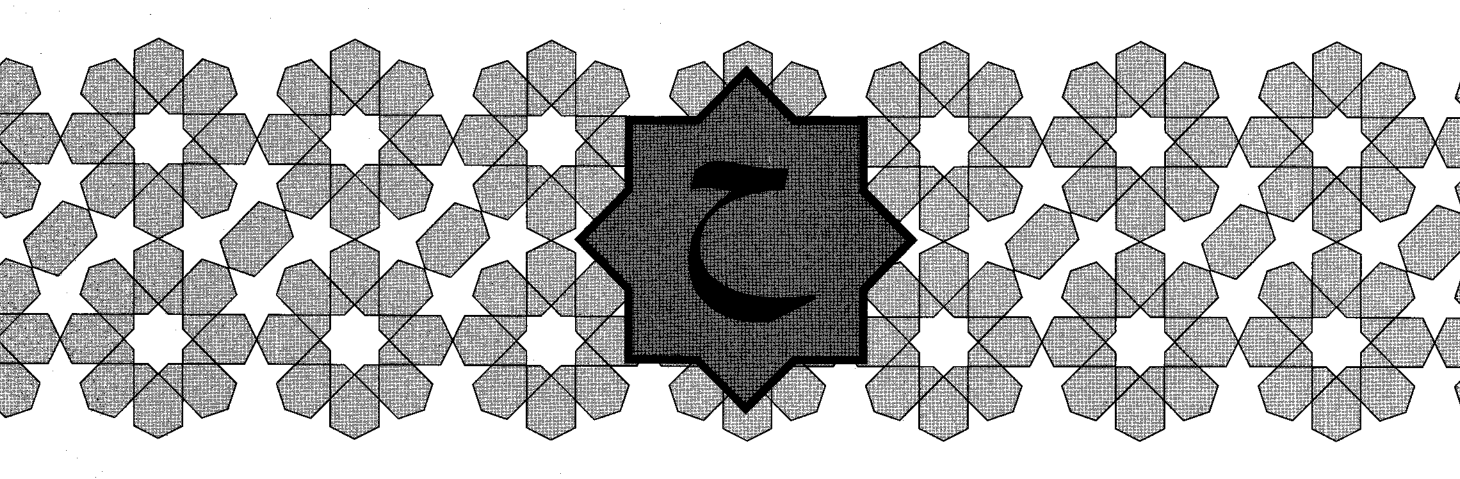
الكـوري ولد المامــي آيت لحســن، الطنطان، سليمة ولد علوات إزركيين الطنطان، الخير ولد لحين أولاد غيـلان العيـون، محمد لاميـن ولد سيد العربي الركيبات السمارة).

El Hiba fils de Ma El ainine, *BCAF, N. 3*, 1917 ; C.Leuhuraux, *Les francais au sahara et les territoires du sud*, Alger, s.date ; Angel Flores, La religion en el dieserto, *Africa*, N. 119 ; 1915.

عمر ناجيه






ح

الحاجي (الشيخ -) **أحمد** بن **الشمس** هو العالم العلامة الكبير الشيخ أحمد بن محمد أنفال الملقب الشمس بن عبد الله بن المختار بن محمد اغربط بن بابا الشمس محمد أنفال. وأمه هي الفاضلة الناصرة بنت بابا حمدي. ينحدر من قبيلة إدولحاج الشهيرة التي أنجبت عددا كبيرا من العلماء والأدباء والشعراء والأولياء والمجاهدين الأوفياء وكان لها دور كبير في ازدهار الحركة الفكرية والأدبية والعلمية في الصحراء وموريتانيا وغرب إفريقيا.

ولد بشنقيط في سنة 1850، وبدأ تكوينه العلمي بحفظ القرآن الكريم على والده العلامة محمد أنفال الملقب الشمس ثم درس بعض العلوم الأخرى كمبادئ الفقه والنحو واللغة على جده لأمه العالم الجليل بابا بن حمدي ثم درس على عدد من العلماء في بعض محاضر العلم في شنقيط. بعد ذلك التقى بابن عمه السيد محمدن بن المختار بن المصطفى الذي نصحه بالتوجه إلى شيوخ التربية الروحية ليطهر نفسه ويربي قلبه. فعمل برأيه ونصيحته وشد الرحال سنة 1870 إلى الشيخ ماء العينين في الصحراء ولازمه زمنا طويلا وأخذ عنه علوما متنوعة وكثيرة كالفقه والأصول واللغة وعلوم التفسير والنحو والبلاغة والعروض والفلك وجميع أوراد الطرق الصوفية حتى أجازه "إجازة مطلقة لا تتقيد بورد دون ورد ولا بشخص دون شخص ولا بعلم دون علم"، ثم صدره إلى قبيلته إدولحاج" ونال فيهم وفي غيرهم من أهل القبلة مرتبة عالية وتتلمذ عليه جلهم وكثرت أتباعه في تلك النواحي". يقول عن إجازة الشيخ ماء العينين له في نظمه للسلسلة الشاذلية والناصرية.

إذ بي أم الغوث فيمن أمه	حتى أجازني بطرق جمه
بالناصرية والشواذل	وبعضها إلى ختام الرسل
أستاذنا الغطمطم الرباني	الشيخ مالعينين الباني

وقد أمضى الشيخ أحمد بن الشمس سنوات في قبيلته ثم عاد إلى شيخه الشيخ ماء العينين. يقول ماء العينين بن العتيق : "صحب الشيخ أحمد بن الشمس الشيخ ماء العينين ثلاثين سنة وجد في خدمته وكان من أقرب تلامذته له حتى تضلع من العلوم وسلك الطريق فكان من كمل الأولياء العارفين والعلماء العاملين فأجازه الشيخ ماء العينين وصدره إلى قبيلته فظهر فيهم ظهورا عجيبا وتتلمذ عليه كثير منهم ومن غيرهم ثم بعد مدة قدم على شيخه الشيخ ماء العينين فشرب منه عللا بعدما نهل وازداد كمالا بعد ما كمل". وكان دائما يثني عليه ويقول فيه". إن أحمد بن الشمس لا يضره صغر جسمه مع كبر قدره".

في سنة 1901 عينه الشيخ ماء العينين خليفة له على زاويته في فاس وواسطة بينه وبين السلطان مما يعبر عن مكانته الكبيرة لديه". فسكن فاس وظهر فيه ظهورا لا يوصف وتتلمذ عليه جل أهل تلك البلاد وانتفعوا به وأخذوا علم السلوك على يديه وأذعنت لفضله علماء فاس وعظموه وعرفوا له قدره وكان الواسطة في كثير من الأمور الخاصة بين الشيخ ماء العينين وبين سلطان المغرب". وكان يخبره بجميع ما يطرأ في الصحراء بأمر من شيخه الشيخ ماء العينين ليكون على علم بما يجري فيها وبما يفعله المستعمر الإسباني ودليل ذلك هذه الرسالة التي بعث بها إلى السلطان مولاي عبد العزيز يخبره فيها بما يقوم به الإسبانيون في الداخلة يقول : "... فليكن في علم سيدنا أن النصارى اسبانيول اشتغلوا في البناء في الداخلة موضع يكون بينه مع

الطرفاية مسيرة سبعة أيام أو ثمانية وينبغي أن تكون على بال وهذا ما يجب به الإعلام وعلى المحبة السلام". وقد أقام في هذه الفترة الطويلة التي قضاها في مدينة فاس "علاقات متميزة وروابط وطيدة مع كبار رجال الدولة في عهد السلطانين : عبد العزيز وعبد الحفيظ من أبرزهم القائد إدريس بن يعيش". الذي "كان يشغل منصب الحجابة ويتمتع بنفوذ كبير كما كان يعرف للشيخ أحمد بن الشمس مكانته عند الشيخ ماء العينين فتطورت هذه الروابط إلى المصاهرة حيث تزوج الشيخ أحمد بن الشمس بالسيدة أم الفضل بنت القائد إدريس وكان هذا الزواج سببا في ربطه أكثر بالسلطان عبد الحفيظ الذي كان متزوجا أختها مينة. وكان الشيخ أحمد بن الشمس واسع الإطلاع والمعرفة بشؤون الدولة كما كان يرصد قناصل الدول الغربية في فاس وخاصة تحرك الفرنسيين في الحدود مع الجزائر".

في أواخر سنة 1912 انتقل إلى القاهرة للتدريس بالجامع الأزهر وتلقي بالقبول وتتلمذ عليه عدد كبير من العلماء والأدباء واعتقدوا فيه وصحبوه وانبهروا بغزارة علمه في مختلف العلوم منهم السيد عبد الفتاح الطنطاوي والسيد محمد أفندي الحلو الذي تولى إعادة طبع كتابه "*النفحة الأحمدية في بيان الأوقات المحمدية*" الذي ألفه في الرد على بعض علماء فاس في شأن تعجيل وقت صلاة العشاء وبعض أمور العبادات بطلب من عدد كبير من العلماء منهم محمد بن عبد الواحد الإدريسي والفقيه المهدي الوزاني وأحمد بن جعفر الكتاني وعبد العزيز الكتاني وعبد الرحمان الكتاني والفقيه الفاطمي الشرادي ومحمد بن القاسم القادري. قال محمد الأمين بن الشيخ محمد الخضر بن مايابي الجكني "أنه رأى الشيخ أحمد بن الشمس عندما كان في القاهرة، كان إذا مر في طريقه إلى الجامع الأزهر تزدحم الناس عليه يطلبون منه الدعاء ويتبركون به وأنه كان قصير القامة نحيل الجسم، يلبس دراعة قصيرة، ويتجلل فوقها برداء أسود عريض".

في سنة 1914 قصد الحجاز لأداء فريضة الحج "ولما حج توطن المدينة واشترى دارين سكن إحداهما ووقف الأخرى على التلاميذ وغرباء المغاربة والشناقطة واقبل عليه أهل الحجاز إقبالا بليغا وكان يحج كل عام بمن معه من الناس وأعطى الله تعالى له تسخير القبائل التي كانت تقطع الطريق فلم يزل يجير الحجاج من جميع الأقطار سنين عديدة".

في سنة 1915 اشتغل بالتدريس في المدينة المنورة وكان يدرس لطلبته الفقه والأصول وعلم اللغة وكان يلح في تدريسه على علم اللغة لأن به يفهم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

خلف أعمالا أدبية وعلمية منها : "*النفحة الأحمدية في بيان الأوقات المحمدية*" و "*خلع النعال في السفر إلى الكبير المتعال*" و"*الممسك في ذكر كل منسك*" *وديوان* شعر كبير في مختلف الأغراض الشعرية.

توفي سنة 1924 ودفن بالبقيع.

الشيخ محمد الغيث النعمة، *الأبحر المعينية في بعض الأمداح المعينية*، تحقيق، الدكتور أحمد مفدي، رسالة دبلوم الدراسات العليا تحت إشراف الدكتور عباس الجراري، مرقون بخزانة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، السنة 1975 - 1976 ؛ *ديوان الشيخ أحمد بن الشمس*، مخطوط، خزانة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين بن العتيق، *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، مخطوط، خزانة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ الشيخ ماء العينين، *علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي*، الطالب أخيار بن الشيخ مامينا، الطبعة الأولى، 2005، مطبعة بني إزناسن، سلا ؛ وثيقة في خزانة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ الشيخ أحمد بن الشمس، *النفحة الأحمدية في بيان الأوقات المحمدية*، المطبعة الجمالية، مصر، 1330.

ماء العينين النعمة علي

الحركة الثورية للرجال الزرق Morehob

في سنة 1969 تم تأسيس المنظمة أو الحركة الثورية للرجال الزرق "موريهوب" Morehob لتحرير الصحراء، برئاسة محمد الركيبي الذي اتخذ اسم "إدوارد موحا" كلقب له. كانت هذه الحركة تحمل في ما قبل اسم "حركة المقاومة لتحرير الأقاليم الواقعة تحت السيطرة الإسبانية". بدأت كمنظمة سرية نتيجة القمع والاغتيالات التي كانت تتعرض إليه ساكنة المنطقة الصحراوية. وتنتمي إيديولوجيا لليسار، إذ كانت مدعومة من قبل الحزب الشيوعي الإسباني ومن الجزائر أيضا، وتعاونت مع "حركة استقلال جزر الكناري" التي كانت تتخذ من الجزائر مقرا لها. وتعتبر الحركة الثورية للرجال الزرق عمليا أول منظمة سياسية صحراوية يسارية.

وقد كان الهدف من التأسيس الاستقلال التام للصحراء الجنوبية وقطع كل العلاقات مع إسبانيا والمغرب، في أفق تأسيس دولة صحراوية ديمقراطية تقدمية شعبية، إذ كانت هذه الحركة في بدايتها ضد الانضمام إلى المغرب، لتتراجع فيما بعد وتؤيد المطالب المغربية في الصحراء، خاصة بعد فرار مؤسسها إدوارد موحا إلى المغرب سنة 1975. وانصهرت هذه الحركة مع جبهة التحرير والوحدة Front pour la libération et l'unité (FLU). وفي أواخر سنة 1975 تم تغيير اسم هذه الجبهة التحررية إلى "جمعية المنحدرين من الساقية الحمراء وواد الذهب" (l'Association des Originaires de Sakia Al Hamra et Rio de Oro, Aosario).

ولا بد أن نشير هنا إلى نبذة عن حياة مؤسسها إدوارد موحا، الذي مازال على قيد الحياة. اسمه الحقيقي هو محمد الركيبي، بينما إدوارد موحا هو لقبه أو اسمه المستعار. وموحا هو تصغير لمحمد، ينتمي إلى قبيلة ركيبات الساحل (العيون)، فخذ أولاد الطالب. ولد سنة 1943، وتلقى تعليمه بالمغرب، ويعد من أول المؤسسين للحركة التحررية بالصحراء، وناضل من أجل استقلالها من قبضة المعمر الإسباني. كما ألف عدة كتب عن الصحراء، وله مقالات عدة في صحف وطنية ودولية، ومثل المغرب في عدة تظاهرات أممية ودولية، كمدافع عن مغربية الصحراء.

أنشأ سنة 1969 الحركة الثورية للرجال الزرق (Morehob)، كانت هذه الحركة تحمل في ما قبل اسم

"حركة المقاومة لتحرير الأقاليم الواقعة تحت السيطرة الإسبانية". اتخذت حركته الثورية في أول الأمر من الجزائر مقرا لقيادتها ثم انتقلت إلى فرنسا سنة 1973 لتستقر عام 1975 بالمغرب.

وقد تعرض كذلك إدوارد موحا في سنة 1975 لمحاولة اغتيال من طرف المخابرات الجزائرية، نجا منها بأعجوبة. وفي أواخر سنة 1975 عين على رئاسة "جمعية المنحدرين من الساقية الحمراء وواد الذهب".

ويعيش الآن متنقلا بين فرنسا والمغرب. من مؤلفاته، نذكر :

- *Un Sahraoui révèle*, Albin Michel, Paris, 1983.
- *Mercenaires d'un pays imaginaire*, Albatros, Paris, 1984.
- *Immigrés. Autre Enjeu Politique*, Editeur Zine, 1987.
- *Le Sahara occidental ou la sale guerre de Boumediene*, éd. Jean Picollec, Paris, 1990.
- *Las relaciones hispano-marroquíes*. Editorial Algazara, Málaga, 1992.
- *Trente ans de relations algéro-marocaines, les vérités cachées*, Sepeg, Paris, 1993.
- *Histoire des relations franco-marocaines*, éd. Jean Picollec, 1995.
- *Les relations hispano-marocaines*, Eddif, Casablanca, 1996.

علي الشامي، *الصحراء الغربية عقدة التجزئة في المغرب العربي*، دار الكلمة للنشر، 1980 ؛ أنخيلا هيرنانديث مورينو، *حرب أعلام في الصحراء (محنة إسبانيا)*، ترجمة، ماء العينين مربيه ربه، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، عدد 21، مطبعة بني يزناسن، سلا، 2006.

John Mercer, *Spanish Sahara*, Ltd. George, Allen & Unwin, London, 1976.

الحركة الطليعية لتحرير الساقية الحمراء وواد الذهب، مهدت التغيرات السوسيو- اقتصادية التي شهدتها الصحراء الجنوبية في الستينات إلى ظهور حركة قومية شابة مستندة على الطبقة الوسطى الجديدة، خاصة منها الطلبة الصحراويون الذين إستفادوا من التعليم الجامعي في المغرب وفي بعض الدول العربية كمصر وسوريا وإسبانيا والذين تأثروا أيضا بالأفكار المعادية للاستعمار المنتشرة آنذاك وقد سميت هذه الحركة بـ "الحركة الطليعية لتحرير الساقية الحمراء وواد الذهب" (1966 - 1969) وكان قائدها محمد سيدي إبراهيم البصيري الذي ولد عام 1944 ودرس بالرباط ودمشق والقاهرة وامتهن الصحافة حيث عمل محررا لصحيفتي "*الشهاب*" و"*الشموع*" الصادرتين بالرباط، وهو مؤسسهما.

بدأ نشاط الحركة الجديدة من خلال الإضرابات في أوساط العمال للتعبير عن رفض الإدارة الاستعمارية الإسبانية وممثليها. واستغلت أحداث 17 يونيو 1970 للتعبير العلني عن رفض سكان الصحراء المغربية للاحتلال الإسباني لرفع مذكرة تطالب فيها إسبانيا بمنح الأقاليم الصحراوية الاستقلال في أسرع وقت ممكن، نظرا لما تعانيه ساكنة الأقاليم الصحراوية من :

- سوء الظروف المعيشية حيث الأجور هزيلة.
- سوء ظروف العمل بالنسبة للعامل الصحراوي.
- تكثيف الهجرة الإسبانية نحو الأقاليم الصحراوية وتفضيل الموظف الإسباني عن الصحراوي في الإدارات.
- التهميش الذي طال ساكنة المدن الأصليين - السكن في أحياء مهمشة تفتقد لأبسط ظروف العيش -.
- عدم وجود مدارس كافية للتعليم والتأهيل (فقط مدرستان ابتدائيتان في مدينتي العيون والسمارة ومعهد صغير واحد في العيون).
- استغلال ونهب الثروات من طرف المستعمر الإسباني.

وقد هيأت كل هذه الظروف انتفاضة 17 يونيو من عام 1970، وتزامنت مع قرار إسبانيا تنظيم تجمع شعبي في العيون للبرهنة على أن الصحراء جزء من إسبانيا -البلد الأم-، فنظمت حفلا كبيرا في مدينة العيون جلبت إليه العديد من الصحفيين الإسبان والأجانب وممثلي حكومة فرانكو وبعثت من جهة أخرى بشاحنات لجمع السكان الرحل من البادية لإشراكهم في الحفل. فشعرت الحركة الطليعية بالمؤامرة، فجمعت أعدادا كبيرة من أنصارها في حي "الزملة" على ربوة تشرف على مكان الاحتفال الإسباني للتعبير العلني عن رفضها للوجود الاستعماري الإسباني بكل أساليبه الهادفة إلى إخضاع الصحراويين وطمس هويتهم العربية والإسلامية وإذابتهم في الهوية الإسبانية إلى الأبد. مما دفع بالحاكم العسكري الإسباني للمنطقة إلى إرسال رئيس الشرطة ليطلب من المحتجين الانضمام إلى السكان في التجمع الذي تنظمه القيادة الإسبانية والتباحث مع السلطات الإسبانية في مطالبهم. وأمام إسرار المتظاهرين على تحديهم للمحتل الإسباني قامت القوات الإسبانية النظامية بتطويق الحركة الطليعية وأنصارها في خيامهم وإطلاق النار عليهم من كل صوب. ففر كثير من السكان وسقط آخرون شهداء وفرض منع التجول على المدينة لمدة ثلاثة أيام واعتقلت السلطات الاستعمارية المئات من المواطنين الصحراويين كما تم سحق "الحركة الطليعية لتحرير الساقية الحمراء وواد الذهب" والاستيلاء على كل وثائقها وأموالها. أما قادة الحركة، خصوصا محمد سيدي إبراهيم البصيري ومحمد بن لوشاعة وخمسة أفراد آخرون من قيادة الحركة فلا يزال مصيرهم مجهولا حتى يومنا هذا.

تمثلت مطالب الحركة الطليعية في :

- المطالبة بتدريس اللغة العربية والتاريخ وبناء المدارس.
- السماح للطلبة الصحراويين بالدراسة خارج إسبانيا في البلاد العربية بهدف الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية.
- المساواة بين الإسبان والصحراويين في الرتب والمناصب ومستوى المعيشة.

- وقف الهجرة الإسبانية وإعطاء الأولوية لليد العاملة الصحراوية.

- تكوين أطر صحراوية قادرة على تسيير شؤونها المحلية.

- حل "الجمعية العامة الصحراوية" (لاسمبليا) وإجراء انتخابات حرة ونزيهة.

- المطالبة بانسحاب المستعمر الإسباني من كل الأراضي الصحراوية.

علي الشامي، *الصحراء الغربية عقدة التجزئة في المغرب العربي*، دار الكلمة للنشر، 1980 ؛ حسن بو قنطار، *البولساريو لعبة تحت المجهر*، مطبعة اليت، سلا، 1980 ؛ عبد الحكيم بديع، *البولساريو من التأسيس إلى التفكك*، مطبعة الساحل، 1995 ؛ عبد الحق ذهبي، *قضية الصحراء المغربية ومخطط التسوية الأممية : دراسة قانونية في مسار التسوية في نطاق المنظمات الدولية*، دار أبي رقراق، 2003.

مولاي إدريس شداد

الحرمة : هي ضريبة تقدمها بعض القبائل أو الأسر المستضعفة إلى قبائل أخرى مقابل حمآيتها من النهب والغزو. وبالتالي فالمجموعة المحمية تصبح في حرم المجموعة الحامية، وهي ممارسة ناتجة عن ظروف القبائل المترحلة في مناطق قاحلة معرضة دوما للغزو والغزو المضاد. إن القبائل المحاربة هي التي تحمي القبائل التابعة مقابل إتاوة سنوية هي "الحرمة"، وعادة ما تتكون من رأس من الإبل أو مجموعة رؤوس من الغنم. إنها مغرم مفروض على المستضعف لحماية نفسه وماله من النهب. وقد شكلت هذه الممارسة موضوعا للعديد من النوازل الفقهية التي تطرق لها فقهاء الساقية الحمراء ووادي الذهب لفتاوي الشيخ محمد المامي بخصوص زكاة مال أزناكَة وقضية المال المغصوب، وفتاوي ورسائل محمد بن محمد سالم المجلسي. ولم تتوقف هذه الممارسة لدى قبائل الصحراء إلا مع هيمنة الاحتلال الأجنبي على المنطقة حيث أزال مختلف المؤسسات التقليدية خاصة منها حمل السلاح والتعاطي للحرمة.

الشيخ محمد المامي، *كتاب البادية*، نشر زاوية الشيخ محمد المامي، انو اذيبو ؛ محمد دحمان، المجتمع الصحراوي من خلال فتاوي الشيخ محمد المامي، *مجلة بحوث*، *العدد 1*، 1999، المحمدية ؛ حماه الله ولد السالم، *المجتمع الأهلي الموريتاني*، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008.

Caro Baroja, Julio, *Estudios, saharianos*, Madrid, 1955 ; Flores Morales, Angel, *El Sahara Español*, Madrid, 1949 ; Tony Hodges, *Historical Dictionary of Western Sahara*, London, 1982 ; Alberto Lopez Bargados. *Arenas coloniales : Los Awlad Dalim ante la colonizacion franco-española del Sahara*, Barcelona, 2003.

محمد دحمان

حَسَّان، إن الحديث عن حسان أو القبائل الحسانية يقتضي منا الحديث عن أصولهم وتاريخ وصولهم إلى الصحراء الكبرى، حيث دخلوا ضمن القبائل العربية التي جاءت إلى المغرب الأقصى من شبه الجزيرة العربية، مثل بني سليم وبني هلال وبني معقل، وهؤلاء انطلقوا من الصحراء الشرقية في اتجاه الواحات فاستولوا على تافيلالت واستبدوا بقصورها، ثم اتجهوا نحو واحات وادي درعة فاصطدموا بالقبائل الصنهاجية التي كانت تسيطر على المراعي.

وابتداء من القرن 8 هـ / 14م أصبحت القبائل المعقلية ذات شوكة وقوة تتكون من الأعراش التالية : ذوو عبد الله وذوو منصور والثعالبة وحسان، هذه الفروع شكل مجيئها للصحراء سببا رئيسيا في تغير الخصائص القيمية الصنهاجية كما يقول الباحث مصطفى ناعمي.

واستطاعت القبائل المعقلية مع الدولة المرينية أن تنزح إلى الصحراء حيث الطبيعة البدوية التي ألفتها بشبه الجزيرة العربية وحيث المراكز والمحطات التجارية الكبرى فاستقرت في فضاء رحب واسع، شكل جزءا من ماضيها وجزءا من حياتها. فقد نجم عن وصول هذه القبائل العربية، ومن ضمنهم فرع بني حسان الذين دخلوا إلى مجال البيضان، أن اتخذوه موطنا لهم، فخلف به حسان ذريته وهم ثلاثة أبناء : دليم ودي وحم، فأنتشر دليم وأبناؤه وأتباعه وذراريهم في منطقة تيرس (وادي الذهب) شمال مجال البيضان، وانتشر أدي وقومه في بلاد شنقيط على أطراف السودان، وكان حم وقومه في قلب مجال البيضان من إكيدي إلى نهر النيجر.

وذكر ابن خلدون مواطن استقرار فرع بني حسان من قبائل بني معقل بما نصه : "... ومواطن ذوي حسان من درعة إلى البحر المحيط، وينزل شيخهم بلاد نول قاعدة السوس، فيستولون على السوس الأقصى وما إليه، وينتجعون كلهم في الرمال إلى مواطن الملثمين من كدالة، وكان دخولهم إلى المغرب مع الهلاليين في عدد قليل يقال إنهم لم يبلغوا المائتين". (*العبر*، ج 6 : 77).

والجدير بالذكر أن هؤلاء المهاجرين جاؤوا إلى المنطقة في وفود متتالية هي : العزيزات والبرابيش الذين استوطنوا القبلة وحاولوا فرض المغرم على الزوايا، وتلاهم مجموعات أولاد رزك الذين أزاحوا العزيزات والبرابيش وسيطروا على المنطقة في القرن التاسع الهجري، وبسبب خلافات داخلية في هذه المجموعة انشق عنهم فوج اتسم بالقوة يدعى المغافرة تولى زعامة المجموعات الحسانية، مما مكن القبائل الحسانية من إحكام قبضتها على غرب الصحراء ابتداء من القرن 17م، فأصبحت قبائل صنهاجة تتثاقف مع الثقافة السائدة وتتبع عادات وتقاليد الأقوى.

وأهم القبائل الحسانية الموجودة في مجال البيضان، هي أولاد داود وأولاد يونس وأولاد أدليم والبرابيش وأجمان وأولاد أمبارك وأولاد الناصر ولبراكنة والترارزة وأولاد يحيى بن عثمان وأولاد داود محمد وأولاد رزق وأولاد عقبة. وقد قال المختار ولد أباه عن نتائج وصولهم إلى مجال صنهاجة الصحراء ما نصه : "وبعد وصول عرب المغافرة قامت نهضة جديدة في ميدان التعريب، فدخلت اللغة العربية (الحسانية) جميع

البيوت والخيم، فحدث امتزاج بين الثروة اللغوية التي جاء بها الوافدون والثروة التي تكمن في الروح الإسلامية والعلوم الدينية في السكان الأصليين". وتمكنت هذه القبائل من السيطرة على صحراء الملثمين ابتداء من القرن السادس عشر الميلادي، واستطاعوا نشر لغتهم العربية (الحسانية) في المناطق الممتدة من درعة شمالا إلى نهر السنغال جنوبا ومن المحيط الأطلسي في المغرب إلى أزواد شـرقا. وعن هـذه اللهجة يقـول العلامة محمد اليدالـي : "إن لغة بني حسان كانت لأهـل هذه الأرض بمنزلة القنطـرة إلى الفصحى. "فقد كانت فئـات حسان العربية مؤهلـة لإعـادة إنتاج ثقافتها العربية الأصيلة لغويا وشعـريا وملحميا ودينيا. وتوسعت بذلك العروبة في أرض وصفها ياقـوت الحموي (ت 627 / 1229) في معجمه بأنها بحـر الرمـال الذي لا يعرف ما وراءه.

وتعيش هذه المجموعة على اقتناء السلاح والنهب والاستلاب وإدمان الغارات، أموالهم "سلاحهم وحصونها ظهور خيلهم ونجائبهم، عيشهم الصيد وما يأخذون من المغارم أو ينتهبون من الأعداء، وما عدا ذلك فهو عيب عندهم من تجارة أوحرث أو اقتناء ماشية". وهذه الخصال هي عنوان على الشهامة والمجد عند هذه الفئة، التي لا ترضى لغيرها حمل هذا الاسم (حسان). ولقد عرف بني حسان بقوتهـم الحربية وبجمل السلاح، فهم المحاربـون الذين حاربـوا كل من تصدى لهم، وغالبا ما حسموا الصراع لصالحهم وألزموا الخاسـر في المعركة من قبائل صنهاجة أداء المغارم، مما نجم عنه معارضة محتشمة ومتخوفـة من لدن هذه القبائل الصنهاجية، التي ستتحالف فيما بعد ضد حسان في المعركة الشهـيرة بحرب شـر ببه، التي دارت رحاها بين قبائل حسان فرع المغافرة وحلف من الزوايا تزعمه ناصر الديـن.

وشهدت منطقة مجال البيضان خلال القرن التاسع عشر، سلسلة من الحروب والنزاعات فتكت بالنسيج الاجتماعي مثل حروب قبائل حسان فيما بينها وهم : أولاد رزق والمغافرة وأولاد داود والبرابيش...، أو بين حسان والزوايا مثل أولاد يحيى بن عثمان وإدوعيش، وأولاد دليم وتيدرارين، وإدوعيش وأولاد امبارك، والعروسيون وتجكانت، والأغلال والرقيبات، وأولاد دليم وأولاد أبي السباع.

وأمام تمادي هذه الفئة (بني حسان) في ظلمها للفئات الأخرى، لم يكن من خيار أمام أبناء الفئات المستضعفة سوى استنكار هذا الواقع، فقد أشار محمد اليدالي أحد أبناء الزوايا مدى بشاعة وظلم وجبروت القبائل الحسانية الذي بلغ حدا لا يطاق بقوله : "ومن تسلط حسان على الفئات المستضعفة فرض عدد من الضرائب عليها واستخلاصها في وقت الرخاء كما هي في الشدة، ومن أمثلة هذه الضرائب نذكر ضريبة الحرمة والغفر والزعامة أو العانة...".

وهو ما أثقل كاهل الفئات الغارمة وزاد من بؤسها وحرمانها كما يدل على ذلك قول أحمد بن الأمين الشنقيطي : "... فلما وضعت الحرب أوزارها، واجتمعت هذه الطوائف، بقي الزوايا على شأنهم من طلب العلم وإقامة الدين. وصارت حسان تتناهب الأميال، ويقاتل بعضها بعضا، وصار ما كانوا يأخذون من اللحمة ملكا متوارثا، إلى أن صاروا يبتاعون رقاب اللحمة أعني أنه يبيع أحدهم وما يتولاه للآخر، مع اعترافهم بأنهم أحرار، ولا يعنون بالبيع الاسترقاق الشرعي، بل مرادهم بيع المكس، الذي يؤخذ من أحدهم". (*الوسيط*، 476).

هكذا عاشت قبائل حسان على الغارات والنهب، وفرضت سلطانها على الزوايا ومن دار في فلكهم، وكانت إمارات حسانية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وهي إمارة المغافرة بالترارزة، وإمارة أولاد أمبارك بالحوض، ثم إمارة أولاد يحيى بن عثمان بأدرار، وإمارة البراكنة.

عبد الرحمان بن خلدون، كتاب *العبر وديوان المبتدإ والخبر*، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، لبنان، بيروت، 1401 / 1981، ج 6، ص. 77 ؛ أحمد بن الأمين الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*، بعناية فؤاد السيد، الطبعة الرابعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ومؤسسة منار، موريتانيا، 1409 / 1989، ص. 480 ؛ الخليل النحوي، *بلاد شنقيط المنارة والرباط*، عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة، تونس، 1987، ص. 32 - 102 - 103 ؛ محمد المختار ولد أباه، *الشعر والشعراء في موريتانيا*، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1987، ص. 10 ؛ أحمد ولد الحسن، *الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري* مساهمة في وصف الأساليب، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، الطبعة الأولى، 1424 / 1995، ص. 58 ؛ محمد أحمد باهي، *الليث سيدي أحمد الركيبي*، الطبعة الثانية، 1999، مطابع أمبريال ساحة العلويين، الرباط، ص. 102 - 104 ؛ محمدو بن محمدن، *المجتمع البيضاني في القرن التاسع عشر قراءة في الرحلات الإستكشافية الفرنسية*، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، جامعة محمد الخامس، الرباط، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2001، ص. 211 ؛ أحمد بن سيدي، *موريتانيا الماضي المتحرك والمكان المؤثر، الصراع ضد الطرد من الزمن*، الشركة الإفريقية للطباعة والنشر والإعلان، ص. 160 ؛ أحمد ولد عبد القادر، المحضرة الشنقيطية من عهد المرابطين إلى اليوم، *ندوة لجنة القيم الروحية والفكرية* أيام 26 - 27 ذو الحجة 1422 / 11 - 12 مارس 2002، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2003، ص. 277.

الحسين حديدي

الحسّانية (لهجة وشعر) لهجة عربية مستعملة في الصحراء المغربية وموريطانيا. وتشكّل الحسانية اللغة الأم لساكنة تعيش في مساحة جغرافية تمتد من وادي نون في الجنوب المغربي إلى نهر السنغال جنوب القطر الموريتاني.

تنسب الحسانية إلى اللهجات العربية البدوية التي تختلف عن اللهجات الحضرية بخاصياتها الصوتية والصرفيـة. وبالرغـم من اتسـاع مجال الحسانية فإنها لا تختلف كثيراً من منطقة إلى أخرى. وتسمى الحسانية عند الناطقين بها "كلام البيضان" أو "كلام البيض" لتمييزها عن اللهجات الزنجية والبربرية التي تحيط بها. يقول أحمد الأمين الشنقيطي في كتابه الوسيط : "وهي -

الحسانية - خليط من العربية الفصحى الممزوجة بالعامية (...) ويسميها أهلها بكلام حسان ولا أعلم مَن حسان هذا ...".

تنتمي الحسانية إلى اللهجات العربية البدوية كما أسلفنا إلا أن ما يميزها على الخصوص هو غنى معجمها بالكلمات والتعابير البربرية خاصة في ميدان الفلاحة والأعشاب والأعلام الجغرافية، وهذا ليس غريبا إذ أن المناطق التي تستعمل فيها الحسانية كانت أصلاً بلاد بربر وكان دخول هذه اللهجة عامل تغيير لساني واضح أحدثته القبائل المعقلية والهلالية على فترات متفرقة من التاريخ الإسلامي لشمال إفريقيا.

تعرف الحسانية كسائر اللهجات اختلافات على المستوى الصوتي والمعجمي من منطقة إلى أخرى. وأهمها نطق القاف غينا "ق / غ" والغين قافا "غ / ق" خاصة في القطر الموريتاني على عكس الصحراء المغربية، كأن يقول المرء "غاضي" "قاضي" أو الغلم" بدل "القلم" على سبيل المثال. كما يمتاز القطر الموريتاني باستعمال صوامت لا وجود لها في مناطق أخرى كالـ "v" اللاتيني والـ "p" كأن يقولب المرء الـڤضة" بـدل "الفضة" بمعنى المال. وأهـم ملاحظة هي أن الحسانية استطاعت أن تحافظ على بنية تركيبية هي أقرب إلى الفصحى من غيرها من اللهجات الحضرية والبدوية في شمال إفريقيا. ودراسة هذه اللهجة قد تأتي بالكثير حول بعض مظاهر تطور اللهجات العربية عبر التاريخ.

أما الشعر الحساني فبالرغم من وجود شعر عربي فصيح ذي تاريخ عريق في الصحراء المغربية وموريطانيا فإن الشعر الحساني يحتل مكانة مرموقة في هذه المجتمعات. فهذا الشعر له أشكال وأوزان متعددة، وأهم ما يميزه هو أنه شعر غنائي بالدرجة الأولى، ومن الصعب التفريق بين الجانب الغنائي والجانب العروضي فيه. إن أصغر وحدة في الوزن الحساني تتكون من شطر واحد وتسمى "تيفلويتْ". ويمكن تقسيم أنماط الشعر الحساني إلى ثلاثة أنواع :

1) التَّبْـراعْ : وهو نمط خاص بالنساء ينشد في المناسبات التي تجتمع فيها النساء. وهو ذو قالب شعري سهل وبسيط لا يتجاوز في غالب الأحيان شطرين قد يتساويان في الوزن أو يختلفان، ويظهر "التَّبْـراعْ" على الشكل التالي :

شطر قافية (حرف) شطر قافية (حرف) (والحرف يعوض أحد حروف الهجاء) كمثال على ذلك :

ش واس حَـدْ   لسْقامْ عْليهْ ألا تْشْتَدْ
(ماذا يفعل من اشتد به المرضُ)

2) الـگـاف : وهو الأكثر شيوعاً في الشعر الحساني نظراً لسهولة نظمه وهو يبدع عادة في الأفراح والمناسبات وينقسم الـگـاف إلى أربعة أنواع :

2 - 1 - "الـگـاف لمرابَـحْ" وهو الأكثر شيوعاً لقلة أشطره. وهو عبارة عن أربع "تيفلواتن" أو أشطر متعاقبة / فالشطر الأول والشطر الثاني يعرفان بالمـگـيِّم لاعتماد الكاف عليهما، والشطران الثالث والرابع يعرفان بالمـگـعدة لأنهما يكملان الـگـاف.

2 - 2 - "الـگـاف لمـلّـخ" : وهو أصلا كاف مرابع لوروده بأربعة أشطر إلا أن الشطر الرابع منه يختلف عن البقية.

2 - 3 - "الـگـاف لمساتْ" وهو قليل الاستعمار ويتكون من ستة أشطر.

2 - 4 - "الـگـاف المثامن" ويتكون من ثمانية أشطر.

3) الطلعة : وهي تلعب دوراً هاماً في الشعر الحساني لأنها أقرب إلى القصيدة بمعناها العام وهي تعبر بوضوح عن قدرة الشاعر الإبداعية وطول نفسه على عكس الكاف المستعمل كثيراً نظراً لقصره وتعبيره عن حالات آنية ومنعزلة. وكما هو الشأن بالنسبة للكاف فإن الطلعة أنواع من ناحية الشكل، فقد تكون مستقلة في بنائها أو مبتدئة بـگـاف أو منتهية به.

الوزن والعروض : إن أهم ما يميز الشعر الحساني على العموم هو أنه غنائي بالدرجة الأولى كما قلنا أي أنه ينظم ليُغنى به، وهذا ما يطرح مشكلاً كبيراً للباحثين بسبب التداخل الكبير بين الجانبين الإيقاعي الغنائي والعروضي، والتفريق بين بحور الشعر الحساني "أظهور تلعن" يتم عند مستعمليه بطريقة عفوية أو فطرية. وتتنوع المقامات الغنائية الحسانية إلى ثلاث مقامات : "الجنبة البيضة" و"الجنبة الكحلة" ثم الجنبة الزرگـة". أو جنبة لـگـنيدية"، وتتميز كل واحدة بإيقاعها الموسيقي، يعرفها المغنون "إگـاون" جيداً ويتطلب شرحاً ومعرفة خاصة بالموسيقى على العموم والموسيقى الإفريقية على الخصوص. وهذا المظهر جعل أغلب من يبحثون في العروض الحسانية يقعون في غلط الخلط بين الجانب الموسيقي المحض والجانب لشعري والعروضي. وهذا ميدان يفتح آفاقاً هامة للبحث.

محمد الأمين الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدباء سنقيط*، القاهرة، 1958 ؛ باه النعمة، *الشعر الحساني، المجال النقدي والمرجع*، الدار البيضاء، 1992.

D. Cohen, *Le dialecte arabe Hassaniyya*, Paris, 1963 ; Ahmed Al Makari, *Focus et topique en Hassaniyya*, Thèse 3[ème] cycle, Université Mohammed v, Rabat, 1987.

أحمد المقري

الحسناوي، السالك الفيطح : هو السالك بن محمد فاضل بن عمران الفيطح، من قبيلة آيت لحسن بطن إنيجورن، مزداد سنة 1930، انفصل عن قوات الجيش الإسباني بمدينة الطنطان في 10 ماي 1956 حاملا معه أول مذياع للاتصال اللاسلكي وعشر بندقيات وكيسين من الرصاص والقنابل اليدوية وعشرة جمال لجيش الاحتلال، حيث رافقه في هذه العملية بعض الوطنيين المناوئين للاحتلال الإسباني بالطنطان وعموم الصحراء أمثال المهدي بن بوجمعة اليگوتي وابريكة بن محمد لحبيب الأزرگـي وحمادي بوفوس الحسني،

انخرطوا جميعهم في جيش التحرير بمدينة كَلميم في 15 ماي 1956، وتم توزيعهم على مختلف المقاطعات التابعة له بمنطقة الصحراء المغربية. وجدير بالذكر أن المئات من أبناء الصحراء وكذا موريتانيا، انضموا إلى جيش التحرير المؤسس بوادنون سنة 1956، الذي التحقت به قيادات بارزة من منطقة الطنطان على رأسها أبا الشيخ ولد أبا علي الركَيبي وآخرون أمثال بنيبة ولد محمد سالم البوكَزاتني الحسني والمهدي ولد لحويمد اليكَوتي، تولوا زمام قيادة جيش التحرير بالجنوب المغربي وأبانوا عن شجاعتهم وإقدامهم في جهاد المستعمر.

وقد شارك السالك الفيطح هؤلاء بخبرته العسكرية العالية التي اكتسبها من السنوات التي قضاها في خدمة الجيش الإسباني بالطنطان حيث قلدته القيادة العليا لجيش التحرير رتبة قائد الرحى وساهم بخبرته هذه في معارك عدة أهمها معركة أم لعشار الأولى وتكَل وشمام والسنين ومعركة جول وفي معارك أخرى بالساقية الحمراء من تافودارت غربا إلى الفرسية شرقا قبل أن تتمكن القوات الإسبانية بمشاركة القوات الفرنسية من القضاء على مقاومة جيش التحرير بالساقية الحمراء في فبراير 1958 بعد عملية "إكوفيون" التي استخدمت فيها جيوش الاحتلال الطائرات والعتاد الثقيل.

وقد واصل السالك الفيطح الجهاد ضد المستعمر الإسباني ضمن جيش التحرير بآيت باعمران وشارك في معارك عديدة أهمها : معركة تلوين وتيزداي وآزضر وأربعاء مستي وخنفوف التي أصيب خلالها إصابة بالغة بساقه اليمنى، واستمرت مشاركته في معارك التحرير إلى نهاية عمليات جيش التحرير في 30 يونيو 1959.

ثم إنه التحق بالقوات المسلحة الملكية بمدينة الحاجب، برتبة ضابط "ملازم" وانتقل إلى الصحراء سنة 1974 حيث شارك في تأطير المسيرة الخضراء في نونبر 1975، وتقلد مسؤولية الفيلق الخامس لقبيلة آيت لحسن وخاض معارك عديدة ضد مقاتلي البوليساريو تزيد عن مائة معركة أبان خلالها عن قدرات عسكرية مهمة، ونال خمسة أوسمة حربية، كما تم تكليفه آنذاك بتسيير شؤون المدنيين بمنطقة أبطيح التابعة لعمالة الطنطان، ويعتبر هذا المقاوم من أعيان قبيلة آيت لحسن المدافعين عن وحدة المغرب الترابية، قبل أن توافيه المنية بمدينة الطنطان في 6 شتنبر 2001.

وثائق عائلة السالك الفيطح - الطنطان ؛ *مقابلة ميدانية* مع إبن هذا المقاوم، الصديق الفيطح - الطنطان.

Maurice Barbier, *Le conflit du Sahara occidental*, Paris, 1982 ; Christine Garnier, Opération Ecouvillon, *La Revue des deux Mondes*, Novembre, 1960.

محمد سبي

الحسناوي، سلامة ولد **محيميد ولد رمضان**، واحد من قياديي أولاد دريس (الأدارسة) المنتمين لأهل حماد أوبراهيم المنتمين لآيت اعمر إحدى تجزءات آيت بومكوت (آيت لحسن). تزامن مولده مع قدوم الحسن الأول في زيارته الثانية إلى منطقة وادي نون سنة 1304 / 1886. وقد ترعرع في جو عائلي تميز بالتنقل في أحواز وادي نون في امتهان لرعي الماشية والسبي (الغزيان). وتزوج من البتول منت بوجمعة من فرقة لعبيدات من قبيلة يكَوت، ودخل أبناؤه بذلك في علاقة خؤولة مع البيهات من قبيلة الركَيبات، وكانت الأوضاع الاجتماعية في القرن التاسع عشر متسمة بشدة الصراع القبلي بين لفي تكنة آيت الجمل وآيت بلا.

وقد ساهمت هذه الأوضاع في تنشئة الرجل نشأة عسكرية أصبح بموجبها يجيد فنون الحرب والفروسية وجعلته يحظى بشهرة كبيرة في المنطقة والصحراء بدليل أن فن الفروسية أكسبه تقنيات بارعة في ترويض الخيل. وكان من علامات قوته العسكرية أنه كان يرتدي قبعة عسكرية عرفت في تراب البيضان كلها وكانت لها دلالة كبيرة ألا وهي "الترورية" وهي قبعة كان يرتديها القياديون العسكريون حتى في بلاد الشناقطة. وكان لدوره العسكري البارز في حروب آيت الجمل مع آيت بلا رفقة أخيه الخليل الذي رافقه في المناوشات العسكرية التي دارت بين اللفين زمن السيبة، قلت كان للشخص شأن كبير مكنه من أن يحظى بالمشاركة في حركة سيد أحمد لهيبة ولد الشيخ ماء العينين المتجهة من الصحراء وسوس نحو مراكش إبان دخول الفرنسيين إلى المغرب سنة 1912. وإذا كنا لانتوفر على معلومات دقيقة عن مشاركته الميدانية في هذه الحركة فإننا نحتفظ له ببعض الأبيات الشعرية باللهجة الحسانية تحث على الجهاد ضد النصارى حيث يقول أحد مرافقيه في الحركة :

حنا هاذو كنــــا فسيـــــب	مارينـــا سلطان إجيـــــن
وكتن جان سيد أحمد لهيــب	طلـــع البــدر عليـــــــن

فرد عليه سلامة ولد محيمد قائلا :

عنـد لحـك لي للسلطـــــان	لحاكم ما فتن جيـــــــن
نحان نمش بـإغمبـــــــان	ياك نعودو مجاهديــــــن

وكانت هذه الأبيات بمثابة إشارات دالة على الوقع الذي خلفته الحركة التي يقودها سلطان الجهاد سيد أحمد لهيبة حيث كانت التعبئة شاملة في صفوف قبائل منطقة وادي نون والصحراء. ولا تمكننا المعطيات الموجودة من تحديد طبيعة مشاركة قبائل تكنة في هذه الحركة وحدود المهام المنوطة بها في إدارة الملحمة التي لم يكتب لها النجاح.

وفي ثلاثينيات القرن العشرين تنقل بمعية أحد الأشخاص من قبيلة إزركَيين يسمى فال ولد المحيفيظ إلى إمارة الترارزة ببلاد شنقيط حيث أقام هناك لمدة وكانت مهمته محددة في جلب الهدية السنوية التي كانت تعطيها إمارة الترارزة منذ عهد علي شنظورة لقبائل تكنة نتيجة مساندتها العسكرية ضد الإمارات الموريتانية منذ زمن مولاي إسماعيل العلوي. وإلى جانب هذه المهمة السياسية والعسكرية قام سلامة ولد محيميد بترويض

فرس جامحة، ضالعا مع ذلك في العلم وفي سابقة تاريخية التقى فيها حامل العلم مع حامل السلاح، خصوصا إذا ما علمنا أن سلامة ولد محيمد بعد عام "دخول النصارى" إلى وادي نون عام "مجي العافية"، عرف تحولا في مساره من العمل العسكري إلى العمل الذي يصب في تغذية ميدان المعرفة والتحصيل من خلال صنع الأقلام التي تستعمل في المساجد والمحاضر القرآنية لتحفيظ القرآن وتلقي العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية ليس فقط في وادي نون بل في سوس كذلك. كما أن عامل السن جعله يرغب عن الاستمرار في امتهان العمل العسكري للتطوع الخيري. سلم المشعل لأحد أبنائه، وهم للإشارة يحضيه ومحمد وسليم، قلت سلم المشعل ليحضيه ولد سلامة الذي بلغت سمعته الآفاق من خلال شخصيته القوية والجذابة والمؤثرة. فقد انخرط في الجيش الفرنسي منذ الأربعينيات من القرن العشرين. واشتغل في المراكز الفرنسية بمنطقة وادي نون وهي تباعا مركز بوجريف، ثم مركز أوريورة ومركز تفنيديلت في الجزء السفلي من وادي درعة شمال مدينة الطنطان. وكان هذا المركز نقطة التماس بين مناطق النفوذ الفرنسي شمالا ومناطق النفوذ الإسباني جنوبا. ومن أهم اللحظات التاريخية التي خلدت إسمه هو مشاركته غير المباشرة في التأريخ والتدوين للأحداث التاريخية للمنطقة، ذلك أن أحد الإخباريين العسكريين وهو ڤانسان مونتيي Vincent Monteil الذي يعتمد كل الدارسين المهتمين بمنطقة وادي نون على كتاباته في التاريخ للمنطقة، كان مرتبطا بإثنين من عناصر الجيش. هما يحضيه ولد سلامة وعالي ولد الغمري من فرقة آيت يحي (قبيلة آيت لحسن) في التزود بحاجياته اليومية من لحم الغزلان نظرا لخبرتهما في الصيد. وفي مساء كل يوم، وبعد الإتيان بالغزلان تبدأ المسامرة بين الإخباري العسكري وزعماء قبيلة آيت لحسن حيث كان يجمع كل المعلومات المتعلقة بالمنطقة إن على المستوى الاجتماعي أو الاقتصادي أو الثقافي وهي المعلومات التي دونها في كتابه *Notes sur Les Tekna de Oued Noun*. وأثناء مقامه في مركز تافنيديلت في قلب الجزء السفلي من واد درعة، كان يتابع سريان القوانين الضابطة للتحرك القبلي بين مناطق النفوذ التابعة للفرنسيين والإسبانيين بين شمال وادي درعة وجنوبه سنة 1937، وهي القوانين التي كانت سارية بين وادي نون وآيت باعمران والتي شكلت صدمة لقبائل المنطقة والصحراء عموما لأنها حدت من الحركية القبلية التي تعتمد أساسا على الترحال، لذا اتفق الوعي الجمعي على تسمية العام الذي صدرت فيه "عام التسارح". ورغم تجنيده في زمن الحماية الفرنسية، فقد انخرط في صفوف حزب الاستقلال بصفة سرية من خلال الانضمام إلى صفوف المقاومة سنة 1953 التي كانت تمارس العمل السياسي قبل ظهور جيش التحرير في الصحراء الذي انطلق نشاطه من وادي نون بعد رجوع محمد الخامس من المنفى واستقلال المغرب.

عمر ناجيه

الحسناوي، عبد السلام عمارة : هو عبد السلام بن عمارة، من قبيلة آيت لحسن، بطن آيت بوكزاتن، أحد مقاومي المستعمر الإسباني بمنطقة الساقية الحمراء، مزداد سنة 1928، بعثته السلطات الإسبانية إلى تطوان لتعلم اللغة الإسبانية ما بين 1936 - 1940، حيث إشتغل لمدة خمسة عشرة عاما مترجما لدى السلطات الإستعمارية الإسبانية بالعيون، وأسس عبد السلام عمارة رفقة : العبادلة بن الشيخ محمد لغضف وفراجي بن الرزمة وحسنا بن الدويهي وأحمد الخياط حركة التحرير الصحراوية بمنطقة الساقية الحمراء التي إنضم إليها سنة 1955 كل من لاراباس بن الشيخ محمد لغضف وعبد الوهاب بن سيدي عبد الله بن سيدي بوبكر وسيداتي بن الشيخ أحمد الهيبة بن الشيخ ماء العينين ومجموعة أخرى من الوطنيين المناوئين للإستعمار.

وقد تم تشكيل إدارة منظمة التحرير الصحراوية سنة 1956 بحي "السوق القديم" بالعيون حيث اشتغلت المنظمة على تحريض ساكنة العيون وخاصة فئة التجار ضد المستعمر الإسباني وقدمت دعما ماديا ومعنويا لصالح جيش التحرير قبل أن تلقي السلطات الإسبانية القبض على نشطائها بالعيون سنة 1957، حيث اعتقل عبد السلام عمارة رفقة فيضول الدرهم في 13 نونبر 1957 كما تم إعتقال كل من لاراباس بن الشيخ محمد لغضف والشيخ محمد عبد الرحمن بن الدخيل وفراجي بن الرزمة وآخرين ألحقت بهم مجموعة الطرفاية يتصدرها : أحمد بن سيد أحمد البخير الموريتاني وقضى المعتقلون أربعة أشهر بسجن الداخلة قبل أن يتم نقلهم إلى جزيرة "فوينتيبنتورا" بجزر الخالدات وألحقت بهم مجموعة جديدة من المعتقلين أتت بهم السلطات الإستعمارية من سيدي إيفني حيث لقي المعتقلون شتى أنواع التعذيب والتنكيل لمدة عامين، كاد خلالها عبد السلام عمارة أن يلقى حتفه قبل أن يتم إطلاق سراح المعتقلين سنة 1959، بعد المفاوضات المغربية الإسبانية، نقل بعدها المعتقلون إلى مدينة العيون على متن طائرة، فرفضت السلطات الإستعمارية بالمدينة رجوع عبد السلام اعمارة الذي نقل رفقة أفراد من قبيلة آيت باعمران شاركوا في معركة الدشيرة إلى أگادير حيث إستقبلهم الملك محمد الخامس.

إستقر عبد السلام عمارة بعد إبعاده عن مدينة العيون بالطنطان، حيث شارك في جبهة الصحراء المغربية التي أسسها الملك الحسن الثاني سنة 1967، كما إنخرط في صفوف جبهة التحرير والوحدة سنة 1974 وشارك في المسيرة الخضراء في نونبر 1975، وحصل على بطاقة صفة مقاوم رقم 5031127 ويعتبر عبد السلام اعمارة من كبار أعيان قبيلة آيت لحسن بمدينة الطنطان كما تولى منصب رئيس جماعة أبطيح بظهير شريف ما بين 1979- 1992، وظل يدافع عن وحدة المغرب الترابية.

توفي في 31 دجنبر 2003 بمدينة الطنطان.

ناجيه عمر، البنيات الاقتصادية والاجتماعية بمنطقة واد نون خلال القرنيـن 18 و19، نمـوذج قبيلة آيت لحسن، رسالة د.د.ع

مرقونة بكلية الآداب، شعبة التاريخ، 1999 ؛ وثائق عائلة المقاوم عبد السلام ولد عمارة الحسناوي الطنطان ؛ مقابلة ميدانية مع حفيد هذا المقاوم، علي عمارة، ربيع سنة 2009 بالطنطان.

محمد سبي

الحسناوي، محمد المصطفى، ولد محمد المصطفى ولد براهيم ولد البن في قرية لقصابي بمنطقة وادي نون في سنة 1880، وينتمي إلى قبيلة آيت لحسن فرع إنجورن. شب وترعرع في وسط عائلي مبدع في الأدب وخاصة الشعر الحساني. وقد تتلمذ في بداية مشواره الدراسي على يد عمه الحسن ولد البن الذي كان يشهد له بنباغته في الأدب الحساني. وبما أن غرب الصحراء كان مجال جذب لطلبة العلم والمعرفة على شاكلة حواضر إسلامية كفاس والقيروان، فإن محمد المصطفى ولد البن بدأ رحلته الجنوبية بالمحطة الأولى في گورگنيفيدة الموجودة شرق المسيد التابعة لإقليم الطنطان حيث يوجد ضريح الشيخ سيدي امحمد الكنتي، ولا نعرف بالضبط المدة التي قضاها في هذه الحاضرة، ثم انتقل بعد ذلك إلى شنقيط سنة 1920 حيث استقر بكي هيدي وتزوج هناك وخلف طفلة تسمى الشريفة. وقد تتلمذ على يد الشيخ سيديَ من قبيلة أولاد أبيري، والشيخ أحمد ولد المهدي من قبيلة أولاد أبي السباع الذي توفي بالديار المقدسة. وعند انتقاله إلى سمبت بمالي تزوج امرأة أخرى وخلف خديجتو، وبعد انتقاله إلى أزواد خلف عبد الكريم ومحمد ونفيسة، كما عايش الشيخ عابدين الكنتي في حاضرة أكلهوك بمالي، والشيخ سيدي حبيبلَ والميمون ولد حمادي في أزواد إحدى المعاقل الخلفية لكنتة. ورغم ارتباطه الوثيق بمراكز العلم التابعة للطريقة القادرية الكنتية التي جعلته أكثر قربا من العلماء والأدباء والشعراء، فإنه تعاطى مع ذلك للأعمال التجارية التي كانت نشيطة بين حواضر غرب الصحراء الكبرى خاصة وادي نون وشنقيط ومالي وتندوف.

ونظرا لتميز محمد المصطفى ولد البن بفصاحة لسانه وذكائه الخارق، فإن ذلك انعكس على شعره الذي حوى الحكم والأقوال المأثورة والآيات القرآنية والتاريخ والجغرافيا رغم أنه لا يتقن القراءة والكتابة، لكن رغم ذلك فقد خلف قصائد شعرية لازالت متناثرة مشتتة، والجهود مبذولة لجمعها وتدوينها ونشرها. وقد لامست هذه القصائد مواضيع مختلفة يأتي على رأسها شعر المقاومة والحماسة ثم الشعر الوطني. وكانت قصائده الحماسية مدوية في أمگار الشيخ محمد لغظف بالطنطان سنة 1972. وقد قيم الشناقطة شعر محمد المصطفى ولد البن فقالوا في حقه بأنه شعر شجاعة وحرب وليس شعر طمع وتكسب ولقبوه بمتنبي الصحراء.

ورغم مقامه الطويل في أزواد، فإنه كان دائما يراوده الحنين للرجوع إلى مسقط رأسه بقرية لقصابي بوادي نون، وبعد عودته إلى المغرب تنقل كثيرا بين حواضر الصحراء وسوس.

توفي يوم 24 غشت 1988 بمسقط رأسه بقرية لقصابي.

تحريات ميدانية بواد نون والساقية الحمراء.

عمر ناجيه

الحفرة (معركة -) 25 شوال 1331 (28 شتنبر 1913) "الحفرة الأولى"، كما تم التعارف عليها بعد ذلك، لأن نفس هذه الحفرة ، وهي "حفرة وادان"، شهدت معركة أخرى في 23 أكتوبر 1924.

فقد انطلقت مجموعة من المجاهدين مكونة من حوالي مائتى رجل تحت إمرة المجاهد علي بن ميارة التهالي الرقيبي من ناحية "گلتة زمور" في اتجاه "وادان" إلى الشرق من أطار، وتمكنوا في 28 شتنبر 1913، من اقتحام معسكر للقوات الفرنسية في "حفرة وادان"، وبعد معركة ضارية شرسة وخاطفة تمكن المجاهدون من قتل سبعة وعشرين من الرماة السنيغاليين المجندين ضمن القوة الفرنسية وعشرة من فرقة "الگوم". وتتواتر الروايات الشفوية على أن الذي قتل كل الرماة السينغاليين هو قائد المجاهدين على بن ميارة وأن "الگوم" قتلهم ولد بيبات الشيخي.

استشهد في هذه المعركة ثلاثة رجال من الرقيبات هم : باهية بن مبارك البلاوي، وشان بن آفرييط وعبد الحي بن دَبَّـه.

الطالب أخيار بن الشيخ مامينا، الشيخ ماء العينين، *علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي*، ج 6، ص. 546 - 547.

الحفرة الثانية (معركة -) 23 ربيع الأول 1343 (23 أكتوبر 1924) وتعرف كذلك بوقعة "الگديم"، شارك فيها مائة وثلاثة عشر رجلا تؤطرهم مجموعة من قادة الجهاد التاريخيين أمثال إسماعيل بن الباردي وأحمد بن حمادي ومامينا بن سيداتي وأحمد بن الخطاط الدليمي. وقد انطلقت هذه المجموعة من "گلتة زمور" في اتجاه "وادان" حتى وصلوا "حفرة وادان" دون أن يكتشف أحد أمرهم. وتسلّل المجاهد إسماعيل بن الباردي في زي راع، وكان أسمر السحنة، إلى داخل الثكنة الفرنسية حيث اطلع على أحوال جنودها ومواقعهم وأسلحتهم وحالتهم النفسية دون أن يثير انتباه أحد، وعاد ليخبر جماعته فقرروا الإغارة على الحامية مع الصباح الباكر. وقبل ذلك كلفوا 40 رجلا بالمرابطة عند ظهر المعسكر حتى إذا بدأ إطلاق النار على الجنود الفرنسيين، وهم هؤلاء بالرد ومهاجمة المجاهدين، انقض عليهم الأربعون رجلا من الخلف لإرباكهم وسحقهم. وقبيل بزوغ الشمس، خرجت ثلاث مجموعات من الحراسة الفرنسية لمرافقة قطعان الإبل عند خروجها من حظيرة المعسكر، فما أن برحت المكان حتى تصدى لها المجاهدون بنيران كثيفة واثخنوا الحراسات قتلا وداهمت أغلبيتهم المعسكر واحتدم القتال، ثم أظهر المجاهدون أنهم يهمون بالانسحاب وبدأت قوات المعسكر تستعد لملاحقتهم

فانقضت عليهم مجموعة الأربعين رجلا من الخلف فسبب ذلك ارتباكا كبيرا في صفوف العدو وتحولت أنظمة دفاعاته وتنظيماته إلى فوضى عارمة استطاع خلالها المجاهدون أن يهزموهم شر هزيمة مستحوذين على كميات هائلة من الذخيرة والأسلحة. وقد اعترف الفرنسيون بمقتل جميع ضباطهم الذين كانوا في المعسكر ماعدا ملازم واحد أصيب بجروح إلى جانب 31 قتيلا، وأن المجاهدين غنموا، فضلا عن الأسلحة وكميات الذخيرة، 200 من الإبل.

استشهد في هذه المعركة من الرقيبات : بشير بن حَبَدّي بن احميميد وبيّه بن محمد بن أحمد وولد احويشي الشيخي ؛ واستشهد من تلامذة أهل الشيخ ماء العينين الطاري بن فركاك وابن عمه عبد الودود بن فركاك والسالك بن الناجم. كما جرح في هذه المعركة إثنان من قادتها هما مامينا بن سيداتي بن الشيخ ماء العينين وأحمد بن حمادي الساعدي الرقيبي.

الطالب أخيار بن الشيخ مامينا، الشيخ ماء العينين، *علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي*، ج 6، ص. 589 - 594.

Conmandaut Gillier, *La pénétration en Mauritanie*, p. 262.

ماء العينين مربيه ربه

الحْـفُـولْ، هو الاحتفال في اللهجة الحسانية، ويطلق على العمليات التي تتّبعها المرأة والوسائل التي تعتمد عليها للتزيين أو الزينة التي تشمل تقريبا كل المناطق الظاهرة من الجسد، حيث يتم توظيف الكحلة لتزيين الأعين كما يدهن الوجه بالدهن الخالص مخلوطا بالقليل من ورق الزعفران الحر، بينما توظف النيلة التي تجلب من السودان وجنوب موريتانيا في صيغ الأنف ورؤوس الشفاه (حتى تسودّ لكمَمَة) وبعدها تأخذ المرأة المسواك وتلوكه في فمها حتى يصبح لونه أحمر، ثم ترسم خطا صغيرا على الخدين باستعمال "الحَمَّيْرَة" وهي عبارة عن حصى صغيرة تفرز لونا أحمر ولتزيين أطراف أخرى كأعلى الخدين والحاجب والجبهة، وتشترك المناطق الصحراوية كلها تقريبا في أنماط ووسائل الحقول، كما أن الجواهر والحلي الفضية بشكل خاص تعتبرها المرأة من المكونات الرئيسية للزينة كالخواتم والخلاخل، الـگـلايد، أمْزْرَّدْ، الطوَانَكْ... ليس فقط لأن الاعتياد على انعدام الأمن وضرورات الترحال تفرض على المرأة أن تحمل كل أنواع الحلي حيث تغطي الرأس والعنق واليدين (Puigaudeau, 26) بل إنه في مناطق تزاوج الاستقرار والترحال كوادي نون نجد نفس المعطيات.

وتعد الظفـرة بدورهـا مظهرا من مظاهـر الحفـول لا يمكن فصلها عنه كما فعلت دي بيگوردو. وهي العملية التي تنجزها نساء متخصصات في تصفيف الشعر، وتختلف الظفرة حسب نوع الشعر والمناطق، وإذا كانت العملية تعاد كل شهر تقريبا فإن الظفرة العادية كما نجدها في أطار بموريتانيا ووادي نون تشتهر بتوفرها على خمس ظفائر تقليدية : گطّب وگرنين وظفرتين (Puigaudeau, 20) إلا أن ظفرة العرس تختلف نسبيا إذ يقسم الشعر إلى قسمين، الأمامي يقسم بدوره إلى ثلاثة أجزاء : أزُورْ يعلق عليه خيط مزين ب "الخْرَزْ الحر" (لـگـرْ - الكركوب - التيلْ الحر...) ثم "الجدايل" وهي خمس ظفائر صغيرة تزين ب "أمجُونْ" و"شْعيل" و"الميَّالْ" ثم تليه "أخطاطيم" وهما ظفيرتان تجذبان إلى الأمام وازيينات "أمجونة" كبيرة. أما القسم الخلفي فنجد فيه "أتَبَّيب ظفرة صغيرة لا تزين، ثم "العتاتيكَ" وهي ظفائر تزين بأمجون ولخْرَابْ.

وتعتبر العطور أيضا مكملة للحفول حيث نجد فيها ما هو محلي وما هو مستورد خاصة من جنوب الصحراء. وما يهم في هده العملية في الثقافة المحلية لوادي نون هو كونها مرتبطـة بعدد من الطقـوس والمحددات، إذ باعتبار "الحفـول" رغبة في البحث عن التزيين والتجميل الصطماعي، فإنه بالمقابل يكتنز نسبة هامة من الرموز (Mauss, 99).

إن الضوابط الاجتماعية التي ترافق وترتبط بتنظيم هذه العملية تُظهر باكرا عن ارتباطها بالعلاقات الجنسية وشروط الاتصال (امرأة - رجل) وبالتالي عن تكامل النسق الاحتفالي الذي تنطوي عليه مكوناتها، فليس من حق الفتاة التي لم تتزوج بعد أن تمارس "الحفول" بل يسمح لها بذلك ابتداءً من صبيحة عرسها شرط أن تكون قد أثبتت عذريتها وأصبح الحفول "حـلالاً" عليها، كما لا يحق للمراة / الزوجة أن تواصل وتستمر في "حفولها" في حالى غياب زوجها، في حين يجوز للمرأة المطلقة أو الأرملة بعد أن تكون قد أنهت فترة "العدة" أن تحتفل لأنها تعتبر في الثقافة المحليـة "ديَّـارة" أي أنها ما زالت ترغب في الزواج ثانية.

إن الطقوس الموازية للحفول تتناسل فيها أيضا مفاهيم الاستعراض والإغراء، وكذا وضعيات وظروف المرأة في المجتمع الصحراوي - كما أنها تخفي عددا من المتغيرات المتلاحقة في قرون من الزمن، إذ ضمن هاته المعطيات يجري الصمود ضد تحولات القيم الاجتماعية وشروط المثاقفة (Annales, 1105) هكذا نجسد أمازيغ بوادي نون يختلفون نسبيا عن تكنة في بعض مراسيم وشروط الحفـول. ومع غياب معلومات ومعطيات مونوغرافيـة حول الموضوع يظـل اللجـوء إلى الوصف والمقارنة أمرا أوليا ولكنه على مستوى معرفي يصعب من خلاله إصدار أحكان بل تجميع نتائج البحث المعاصر (E.Prichard, 33).

M.Mauss, *Manuel d'ethnographie*, Paris, 1967 : Evans Pritchard, *La femme dans les sociétés primitives*. Paris, 1971 ; A.Puigaudeau, *Arts et coutumes des Maures H.T.*, vol.XI, 1970 ; M.L.Tenèse, *Introduction à l'étude de la littérature orale*. A.E.S.C. N° 5, Sept.-Octobre, 1969.

جوماني أحمد وجوماني محمد

الحكاية الشعبية في الثقافة الحسانية، الثقافة هي ما أنتجه المجتمع من عادات وتقاليد ومعتقدات وفن وأعراف تحدد سلوك الفرد، وبالتالي فهي حاضرة في

كل الظواهر المجتمعية. إنها جزء من حضارة المجتمع، بل هي أساس هذه الحضارة. ونمو شخصية الفرد تابع بكيفية أساسية لبيئته الثقافية، منها يستمد تكوينه، ويكتسب رؤية أو موقفا يتعامل من خلاله مع باقي أفراد جنسه. وهي بذلك وعي يربط الفرد بالنسيج العام للمجتمع.

وتنتقل الثقافة إلى الفرد عبر التنشئة الاجتماعية، أي عن طريق الاكتساب الذي يتم بوسائط تلعب الأسرة الدور الأكبر فيها.

كما أن كل ثقافة تتشكل من مجموعة من الثقافات، وقد ينشأ هذا التنوع إما عن طريق التفاعل الحضاري الحاصل بين الشعوب عبر مراحل تاريخية متعاقبة، وإما عن طريق الغزو والثقافي الذي يعمل على طمس عناصر ثقافية لمجتمع من المجتمعات لتحل محلها عناصر ثقافية جديدة للمجتمع المسيطر.

وعلى العموم، فإن الثقافة بكل عناصرها، تكون نتاج عملية تطور بطيء امتد عبر قرون عديدة، على شكل ترسبات داخل المجتمعات البشرية، متضمنة أنماطا شديدة التنوع، قاومت وترسخت في الذهن الإنساني بشكل يستحيل معه الهروب من تأثيرها في أي مجتمع من المجتمعات، ابتداء من أكثر المجتمعات بدائية، إلى أكثرها تطورا ورقيا.

خلاصة القول، أن الثقافة "تعيد صلة الأمم بتاريخها، وتكون المعرفة اللازمة لتكوين موقف على قدر من الشمول والالتزام، وتساهم في بلورة وعي يكشف أبعاد العالم ويسعى لتغييره".

2 - الثقافة الشعبية :

لقد حظي مفهوم الثقافة الشعبية بنفس الاهتمام الذي حظي به مفهوم "الثقافة" كما أنه لم يسلم هو أيضا من الغموض والتنوع اللذين عرفهما مصطلح الثقافة. هذا الغموض والتنوع لا يقتصر فقط على التسمية، وإنما ينسحب على عناصر ومحتوى الثقافة الشعبية أيضا.

فبخصوص التسمية، نلاحظ أن المهتمين بهذا الحقل المعرفي يستعملون تسميات تتباين حسب اختلاف الأهداف التي تتحكم في هذا الباحث أو ذاك. فمرة نجد البعض يطلق اسم "التراث الشعبي" أو "المأثورات الشعبية"، بينما نجد البعض الآخر يفضل تسمية هذا الحقل ب "الثقافة البدائية" أو "الأدب الشفاهي" وكلها تسميات ترشح عناصر دون أخرى. إلا أن التسمية الرائجة بين المهتمين بهذا الميدان سواء في الوطن العربي أو خارجه هي مصطلح "فولكلور". وكلمة فولكلور مكونة من شقين "فولك" (folk) وتعني الشعب أو عامة الناس و"لور" (lore) بمعنى العلم أو المعرفة.

ويعتبر الكاتب الإنجليزي "وليام جون تومز" أول من استعمل هذا المصطلح، في رسالة بعث بها إلى صحيفة "ذي أثينيوم" عام 1846. واقترح استعمال هذا المصطلح، كإسم لحقل يشمل دراسة العادات والتقاليد، والممارسات، والخرافات، والملاحم والأمثال.

وقد بدأ هذا العلم بالظهور داخل الأوساط العلمية الأوربية، منذ مطلع القرن التاسع عشر. وفي النصف الثاني من هذا القرن انتشرت دوائره المختصة في أرجاء أوروبا، ثم في الولايات المتحدة الأمريكية فيما بعد.

وخلال القرن العشرين (20) تطور مفهوم مصطلح "فولكلور" بحيث صار يشمل إلى جانب الفنون القولية بأشكالها، الثقافة المادية أيضا.

وفي هذا القرن، استطاع علم الفولكلور أن يحرز استقلاله، وأن يأخذ مكانته إلى جانب العلوم الإنسانية الأخرى. وقد أنشئت في هذا القرن الدوائر والجمعيات والمؤسسات والمجلات المتخصصة بمجالات الفولكلور المتعددة. كما أنه أصبح كمادة تدرس في أكبر الجامعات العالمية.

ونظرا لما يتسم به هذا المصطلح "فولكلور" من دلالة سياحية في مجتمعنا، سواء داخل الأوساط المثقفة أو غير المثقفة، فإننا سنعوضه بمصطلحي "الثقافة الشعبية" أو "التراث الشعبي" لما لهما من دلالة شمولية.

ونطلق مفهوم الثقافة الشعبية، ونقصد به كل الإنتاجات الشفاهية التي تعبر عن الضمير الجمعي لمجتمع من المجتمعات، متضمنة كل ما يدور حول حياة الإنسان، من مواقف إنسانية، وفنون، وأساليب تعبيرية، وكل ما يندرج تحت الثقافة المادية والروحية للإنسان.

وتتشكل الثقافة الشعبية من مجموعة من العناصر صنفها "درسون" (Dorson) في نظريته المعاصرة التي ظهرت عام 1971 على الشكل التالي :

1 - ميدان الأدب الشفاهي.

2 - الحياة الشعبية المادية أو الثقافة المادية.

3 - العادات الاجتماعية الشعبية (متضمنة المعتقدات الشعبية).

4 - فنون الأداء الشعبي.

ويعتبر الأدب الشفاهي أهم هذه العناصر، ويشتمل على المواد القولية ومنها : الحكاية، النادرة، السيرة، المثل، اللغز، النداء، الأغنية والأسطورة. وما يهمنا أساسا من هذه العناصر هي الحكاية، والتي سنحاول لاحقا أن نتحدث عنها بنوع من التفصيل.

أما العنصر الثاني وهو ما أطلق عليه دورسون : الحياة الشعبية المادية. ويندرج تحت هذا العنصر كل ما يرتبط بالحياة العملية للإنسان من صناعات يدوية يستعملها الإنسان في حياته اليومية، في إعداد الطعام وطرق الفلاحة والزراعة والصيد وما إلى ذلك.

أما العادات الاجتماعية الشعبية فهي ظواهر اجتماعية أساسية في المجتمعات، سواء منها المتقدمة أو المتخلفة. وترتكز هذه العادات على معتقدات اجتماعية متوارثة. وتتعلق في الغالب بالعالم الخارجي ما فوق الطبيعي. وهي ظواهر خبيئة في صدور الناس، يؤمن بها المجتمع، ويعيد إنتاجها يوميا بوعي أو بدون وعي، وتعمم على أفراده مشكلة قواعد وأعراف تحدد علاقاتهم المجتمعية وحتى الميتافيزيقية. وهي في مجملها رواسب لديانات بدائية، قاومت وترسخت جيلا بعد جيل، على امتداد آلاف السنين.

الحكاية الشعبية

أمام شيوع الحساسية المدنية، وانتشار وسائل الحضارة الحديثة وسيطرتها على وقت الناس في البيت والعمل والمدرسة، تبدلت الحياة تبدلا حقيقيا، فاستحالت إلى حياة عصرية معقدة أثرت بشكل سلبي على الحكاية الشعبية وعلى تداولها بين الناس.

في هذه الظروف، لم يعد يسمح لجماعات السمار أن تتحلق حول الراوي فتسمع منه، لتحمل عنه روائع المخزون الثقافي، وتقوم بإيصالها إلى الأجيال التي تعقبها. وإذا أضفنا إلى هذا، أن هذا التراث في مجمله شفاهي لم يعرف طريقه إلى التدوين، فإنه بذلك، يموت بموت حفظته، وأغلبهم من الطاعنين في السن، وبذلك يكون مصيره الإندثار والضياع.

في ضوء هذه المؤثرات، وكثمرة للجهود المبذولة على مستوى العالم المتقدم، تزايد وعي مثقفي العالم الثالث، وخاصة العالم العربي، بأهمية الاعتناء بنصوص الحكايات الشعبية وتدوينها، ومن ثم دراستها. لكن هذه الجهود ما تزال في بداية مسارها في بعض البلدان العربية - باستثناء القطر المصري - نظرا لندرة المتخصصين في هذا المجال، ونظرا للجهد الفردي الذي يطبع هذه الأبحاث.

من هنا، تنبع ضرورة الاهتمام بهذا الجانب من التراث. وعلى الرغم من تنوع موضوعات الحكاية الشعبية، وتعدد الحقب التاريخية التي تمثلها، ونظرا لكونها ثابتاً أساسياً من ثوابت الفكر الشعبي، فإن دراستها هي "إعادة التعرف على طفولة وتطورات وتحولات المخلية البشرية" فهي سجل حافل تزخر مضامينه بقضايا الشعوب، ونضالاتها السياسية والاجتماعية. كما أنها ترسم ملامح المجتمعات النفسية والفلسفية، فتصور العلاقة بين الإنسان وقوى الطبيعة وبينه وبين الحيوان. كل هذا تعكسه الحكاية الشعبية كعمل فني، يتبع منهجا إبداعيا ممـيزا، ويقوم على الرواية الشفاهية الساذجـة والأداء المباشـر.

وتعتمد الحكاية الشعبية، لغة الشعب التي يتخاطب بها الناس في حياتهم اليومية. وتستلهم جذورها من الرصيد الثقافي للمجتمع الذي تنبثق منه. وهذا هو السر في شيوعها بين الناس لتلعب دورها في عملية التوعية، وإبلاغ النشء القيم الإنسانية العليا التي بنيت منها صروح حياتنا الحاليــة.

والحكاية الشعبية الحسانية في مجتمعنا، كأية حكاية شعبية في المجتمعات الأخرى، ترجع إلى أصول عالمية مشتركة، ورثتها الأجيال عن الأمم البدائية واعتقاداتها الدينية القديمة القائمة على الأساطير والخرافات. كما أنها في ذات الوقت ترجع إلى أصول محلية إقليمية نلمسها في اللهجة والزي والتقاليد وطرق العيش والنكتة، التي تصورها الحكاية، والتي تختلف باختلاف بلدان العالم، بل وتختلف داخل البلد الواحد.

والحكاية الشعبية على هذا الأساس، حدث مستمر يواكب تطور البيئة المكانية والزمانية التي ولدتها وعاشت بين أحضانها.

وإلى جانب اهتمام الحكاية الشعبية بالجوانب التعليمية، فإنها أيضا تهتم بجانب الوعظ الديني والنقد الاجتماعي والهجاء. وللفكاهة نصيب كبير في هذه الحكايات. كل هذا شاهد ناطق يمثل جوانب مختلفة من واقع المجتمع على اختلاف عصوره خير تمثيل.

إلا أن إغفال تدوين ودراسة الحكاية الشعبية التي يزخر بها تراثنا قد أخفى حتى الآن الملامح الحقيقية في حياة الإنسان وخصائص بيئته، ومقومات مجتمعه الإنسانية والفنية. وهي بهذا تمثل الحلقة المفقودة في التواريخ الرسمية للشعوب. فعن طريق دراستها يستطيع المؤرخ أن يعزز رواياته عن التاريخ الرسمي وأحداثه التي دونت من أجل تتبع حركات الملوك والحكومات، بحكايات عن نضال الشعوب وأبطالها.

كما أنها، تساعد الباحث على استكشاف منابع الحكايات وانتقالها بين الشعوب، وتطلعه أيضا على اللهجة الشعبية التي صيغت بها هذه الحكايات، وعلى التأثيرات التي خضعت لها هذه اللهجة عبر تطورها. ومنها أيضا، يستلهم المبدع والفنان في الشعر والمسرح والتشكيل إبداعاته ورموزه الفنية.

2 - أصناف الحكاية الشعبية وبناؤها :

تقوم الاستنتاجات التي سترد في هذه الفقرة على مجموعة من الحكاية الشعبية الحسانية التي اعتمدتها هذه الدراسة، وقد جمعت من مناطق كل من گلميم وطانطان والعيون، وقد قسمنا هذا المتن إلى أربعة أصناف من الحكاية وهي على الشكل التالي :

- الحكاية الخرافية
- الحكاية الهزلية أو الفكاهية
- حكاية الحيوان
- حكاية التجارب الشخصية.

على أن بعض الحكايات تمتزج فيها هذه الأنماط كلها، بشكل يستحيل معه الفصل بينها.

أ - الحكاية الخرافية :

ترتكز الحكاية الخرافية على معتقدات يرجع تاريخها إلى العصور الغابرة. وتعد هذه المعتقدات "جزءاً أساسياً من تراث ديني قديم". وبما أن الحكاية الخرافية تقوم على هذه المعتقدات التي عاشت بين جميع الشعوب وفي كل الأزمنة فإنها تأخذ طابع العالمية. ولتوضيح انتشار هذه الديانات يقول تايلور : "إن التشابه بين التصورات والأساطير أو غيرها من المأثورات الشعبية حاصل دون أن يكون بينها أية صلة تاريخية تذكر، فشعوب آسيا وإفريقيا والإسكيمو والأمريكيتين عندهم تقاليد متشابهة ومعتقدات شعبية متشابهة". والحكاية الشعبية في مجتمعنا على غرار المجتمعات المتخلفة لا يزال نصيبها من هذه المعتقدات وافرا، يتداولها الناس ويعيدون إنتاجها يوميا بدون وعي بخرافيتها.

إلا أنها، وعلى الخصوص المرتبطة منها بالديانات القديمة، لم يعد لها في الاعتقاد الشعبي نفس المغزى الذي كان لها من قبل. ورغم ذلك، ما تزال تشكل الأساس الذي تنبني عليه الحكاية الخرافية. من هذه المعتقدات مثلا القوة الخاصة التي لا تتأتى إلا لبعض الأسلحة لقتل

بعض المخلوقات الخارقة. ومنها كذلك تقديم الضحية لكائن مهول، وتقمص الروح وأنسنة بعض الكائنات الطبيعية. وإضفاء القدرة السحرية على بعض الأدوات كالخاتم مثلا. وكل هذا نجده في الحكاية الشعبية الحسانية. وتأتي الحكاية الخرافية عموما على شكل قصة قصيرة (حكايات شرتات) أو طويلة. وتكون مركبة من "مجموعة أفعال مرتبة، تدور حول موضوع محدد. وهي ذات مغزى أخلاقي. وغالبا ما يكون الأشخاص فيها وحوشا أو جمادات أخرى متخيلة". ويمتزج في هذه الأفعال ما هو من صميم الواقع، وما هو من نسيج الخيال. فتصور قوى الطبيعة المروعة وأسرارها، كما تصور ما هو بعيد عن الإدراك. وتمتلئ الحكاية الخرافية الحسانية، بموضوعات يظهر فيها العالم الآخر غير المرئي، والذي يصور غرائب الحياة والقوى الخفية وقدراتها الخارقة من غيلان وجن وعفاريت وأدوات سحرية.

فعالمها إذن، عالم لا منطقي، عالم السحر والأحلام. إذ ليس هناك من حدود منطقية تفصل بين الإنسان والحيوان والجماد. وتتمركز الحكاية الخرافية حول البطل أو البطلة، والذي يكون في الغالب وحيدا، أو منبوذا أو معزولا في بداية القصة، وبعد أن يمر من مجموعة من المغامرات والامتحانات الخطيرة التي تلعب فيها الخوارق دورا أساسيا، يخرج منها البطل في النهاية منتصرا، ويصل إلى مبتغاه ويعيش حياة سعيدة. وغالبا ما يتكرر الحدث في الحكاية الخرافية، إذ يتحتم على البطل أن يكرر المحاولة ثلاث مرات، يصل بعدها إلى الهدف المنشود بنجاح. ويكاد الفعل يتكرر بنفس الترتيب وبنفس العبارات. ويكثر استعمال أرقام معينة في الحكاية الخرافية بشكل يبعث على الاستغراب، وأكثر هذه الأرقام ظهورا في الحكايات الرقم سبعة، ويليه الرقم ثلاثة، وهذه الخاصية تنسحب على أكثرية نصوص المتن الذي اعتمدناه، وليس غريبا تكرره وهو يحمل ورائه تاريخا حافلا في الديانات والأساطير والتاريخ". كما تحفل بعض الحكايات الخرافية بأشعار تضفي عليها صبغة خاصة. إلا أن هذه الأشعار لا ترقى إلى مستوى الشعر الجيد، والقصد منها توضيح بعض أحداث الحكاية. هذا ما نجده مثلا في الحكايات المعروفة بحكايات شرتات. كما أن الحكاية الخرافية تزخر بمدركات محسوسة، ذات صلة وثيقة بالواقع المعاش. فتصور الطباع البشرية، ودقائق الأمور التي تتصل بالحياة اليومية، وما يحيط بها من ظروف طبيعية وبشرية تتلائم والحقب التاريخية التي حدثتنا عنها كل حكايات المتن. وقد ارتبطت مجموعة كبيرة من الحكاية الخرافية بأغراض تعليمية، يتداولها المجتمع لنشر القيم النبيلة فتأتي للعظة والإرشاد وإصلاح الطبائع.

ب ـ حكاية الحيوان :

تعتبر الحكاية الحيوانية وثيقة الصلة بالحكاية الخرافية. ويطلق عليها أيضا "الفابولا" وهي الحكايات التي تخلع على الحيوانات والكائنات الطبيعية خصائص بشرية. ويرى بعض الباحثين أن حكاية الحيوان أقدم من الأساطير وأنها ترجع إلى مراحل التوحش والباربارية والطوطمية. ويقسم الباحث ألكسندر كراب الحكاية الحيوانية إلى قسمين :

أولا : حكاية الحيوان الشارحة أو المفسرة، وتهتم بتفسير بعض مظاهر الحيوان، وتعلل اتصاف حيوان بصفة معينة حسب الذهن الشعبي، كأن تفسر مثلا غباوة شرتات، أو حذق القنفذ أو القط في الحكاية الحسانية.

ثانيا : حكايات الحيوان الخرافية : وهي التي يلعب فيها الحيوان الدور الرئيسي، فيتصرف تصرف الإنسان العاقل بإتيانه أفعال آدمية مع احتفاظه بأوصافه الحيوانية. وهي بذلك حكايات تكسر الحواجز بين عالم الإنسان وعالم الحيوان، بحيث يؤدي هؤلاء جميعا وظائف فيما بينهم، ويتواصلون عن طريق الحوار.

وحكاية الحيوان من الحكايات الشائعة في الحكاية الشعبية الحسانية، يأخذ فيها الحيوان أشكالاً وأوصافاً متعددة وقد لا نجد له أوصافا محددة في بعض الحكايات. فقد يظهر الحيوان في بعض الأحيان صديقا للإنسان يؤازره في وقت الشدة، وقد نجده عدوا له يترصده ويتربص به. ورغم قوة الحيوان وشدة بأسه فإن النصر يكون في النهاية حليفا للإنسان في كل الحكايات.

وحكاية الحيوان في كل هذه الحالات، تجسد الشر والجشع والشراهة والخصال الذميمة. وتدعوا للحرص من ذوي الحيل والدهاء، وتعتبر هذه الحيوانات رموزا يمكن أن تتخذ منها العبر والعظات. وليست طريقة سردها على لسان الحيوان إلا "عملية تنكر محض يسمح بإعادة النظر في مواقف الحياة الإنسانية.. من أجل نقدها أو هجائها".

والحكاية الحيوانية عموما حكاية ملخصة "تشرح وتحكي وتسلي وتعلم مازجة كل هذه الأغراض مزجا بديعا"، يهدف قبل كل شيء إلى تثبيت القيم الإنسانية العليا التي تحرص الشعوب على الحفاظ عليها.

ج ـ الحكاية الفكاهية المرحة :

تختلف الحكاية الفكاهية المرحة مع الحكاية الخرافية والحيوانية في أنها ذات طابع محلي تختلف باختلاف الشعوب بل تختلف داخل البلد الواحد. ويشكل الهزل موضوعا أساسيا تعتمد عليه في إبراز أحداثها. والحكاية الفكاهية تتميز بكونها جد قصيرة، تحكي نادرة أو سلسلة من النوادر المسلية وتنتهي إلى موقف فكاهي يبعث على الضحك. وغالبا ما تأخذ مادتها من الحياة اليومية، ولهذا تنعدم فيها الخوارق. كما أنها شديدة الإيجاز، فأحداثها جد قصيرة، تقتصر على أجوبة أو جمل ساذجة بسيطة أو نوادر طريفة أو ساخرة. فعالمها إذن عالم منطقي، واقعي، وليس هو عالم السحر والخوارق كما نجد في الحكاية الخرافية أو الحيوانية. ويلعب الراوي دوراً أساسياً فيها، وذلك من خلال طريقة إلقائها التي تستجوب تقليده لأصوات شخصياتها وهو ما يعطيها فكاهتها. والقصد منها إثارة الضحك والمتعة و"يختفي تحت غشاء الإضحاك الذي تظهر به الحكاية المرحة لون من النقد الاجتماعي لا بد أن يكون الموجه لمن كانت على حسابهم صور هذه الحكايات". ويمكن أيضا أن يختفي وراء هذا

الغشاء من الإضحاك نقد لاذع يوجه من طرف طبقة أو فئة اجتماعية إلى أخرى، إما أدنى منها أو العكس.

د ـ حكاية التجارب الشخصية :

إن الحكاية التي تهتم بالتجارب الشخصية قد تنسب إلى شخص بعينه أو مجموعة أشخاص، بخلاف الحكايات التي تحدثنا عنها سابقا، والتي ليس لها مبدع واحد بل إن الشعب بأكمله يشترك في صياغتها. وتتناول حكاية التجارب الشخصية موضوعات تلتحم بالواقع وأخرى تصور علاقة بعض الأشخاص ببعض القوى الخفية كالجن مثلا، وبالعالم الآخر غير الملموس.

وترتبط حكاية التجارب الشخصية ارتباطا وثيقا بالأمثال الشعبية التي تنبع من فلسفة الناس الاجتماعية، فتلخص ما يقع في أيامهم من وقائع ومشكلات نتيجة اختباراتهم في الحياة. ويرتبط هذا النوع من الحكايات بالمثل الشعبي الذي يعبر عن موقف الفرد والجماعة، بحيث يضفي عليه الاعتقاد الشعبي العصمة، فيشدد على مصداقيته باعتباره حكمة الشعب بكل فئاته. وهو بتكراره يعد جزءا من الماضي، هذا ما يعبر عنه الصحراوي من خلال عبارة "الكلام سابق" وعبارة "شي قالوه اللولين ما يكذبوه لكتوب" بمعنى أن ما قاله الأوائل، لا يمكن أن تكذبه الكتب. والمثل هو "عبارة صادقة عن حدث واقعي، وبذلك يتحول المثل إلى مثال، وآية تضرب لأولي الألباب، متخذا شكل الأمر الواقع أو الحكم النهائي". ويتميز المثل بالشكل التعبيري القصير، يصاغ باللسان الدارج، ووظيفته الأساسية هي التأثير في الفرد أو في الأفراد الذين قيل على مسامعهم إما للنهي عن فعل شيء، وإما للحث على القيام به أو تحبيبه. لذلك فإننا نجده بكثرة في الخطاب اليومي، يستعمله الناس لتبرير مواقفهم، فيتوجه به المتكلم إلى السامعين لتأييد قضية عامة، أو للدفاع عن فكرة اجتماعية أو فلسفية. وفي الحالة التي لا يتم فيها فهم المثل من السامعين، يرجع قائله إلى الحكاية الأصل التي كانت سبب وجوده لتوضيح مغزاه.

مجمل القول، أن الحكاية الشعبية بكل أصنافها، والأدب الشعبي بصفة عامة يمثلان الأدب الخالد، الذي قاوم آلاف السنين إلى أن وصلنا على هذه الحالة التي وجدناه عليها الآن. فهو بتأثيراته السلبية والإيجابية يساعد على تماسك المجتمع حول النظم السلوكية التي تتوخى هذه الآداب ترسيخها عند شعب من الشعوب. وهذا ما عبر عنه فرانز فانون بقوله : "إن هذا الجو الخرافي السحري الذي يخيف الفرد، يتصرف تصرف واقع لا سبيل إلى الشك فيه، وهو إذ يبث الرعب في الفرد، يدخل هذا الفرد في تقاليد بلده أو قبيلته، يدخله في تاريخهما، وهو في نفس الوقت يطمئنه، يعطيه حقوقا ويمنحه هوية". وفضلا عن هذا، فهو متنفس للفرد وللجماعة بشكل مباشر أو خفي، يحرر السامع والراوي معا من الموانع، ويفجر الكراهية والقلق وكل المكبوتات التي تترسب في لا وعي الإنسان الضعيف. ويبرز الأماني والآمال الفردية والجماعية، ويسهل الوصول إليها في عالم الخيال.

ولا ننسى ما له من دور فعال في توجيه صغار السن، وتوسيع قدراتهم الخيالية. وفي نقد سلبيات القيم من خلال ما تحاربه الحكاية من بخل وكسل أو بلادة أو جبن. إنه الرمز / المفتاح، الذي يعيد بناء الحياة حسب معايير إنسانية تضيء وتهدي وتغير قيمة الحياة وتؤلف بين الذات والعالم.

ناجي علوش، *المثقف العربي والنضال القومي*، ص. 161، المثقف العربي دوره وعلاقته بالسلطة والمجتمع، المجلس القومي للثقافة العربية، المغرب، الرباط، 1985 ؛ *الموسوعة العربية الميسرة*، مادة : فولكلور ؛ أورد هذا التقسيم، محمد الجوهري، *علم الفولكلور*، ص. 58، دار المعارف، الطبعة، 2 : 1977 ؛ عبد الصمد بلكبير، جريدة *أنوال الثقافي*، الرباط، المغرب في الثقافة والثقافة الشعبية، العدد 30 - 31 يناير 1987 ؛ شوقي عبد الحكيم، *الحكاية الشعبية العربية*، ص. 5، دار الحداثة، 1979 ؛ خليل أحمد خليل، *نحو سوسيولوجيا للثقافة الشعبية*، ص. 5، دار الحداثة، 1979 ؛ شوقي عبد الحكيم، *الحكاية الشعبية العربية*، ص. 5 دار ابن خلدون، الطبعة، 1 : 1980 ؛ فون ديرلان، *الحكاية الخرافية*، ترجمة، نبيلة إبراهيم، ص. 119، دار القلم، بيروت، الطبعة، 1 : 1973 ؛ عبد الرزاق جعفر، *أدب الأطفال*، ص. 294، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1979 ؛ عبد الرحمان الساريسي في كتابه *الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني*، ص. 250، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة، 1 : 1980 ؛ ألكسندر كراب، *علم الفولكلور*، ترجمة، رشدي صالح، ص. 94.

محمد عبد ربه

الحكم الذاتي، تتباين التعاريف المعطاة لمفهوم الحكم الذاتي حسب المستويات التي تلامسه، فحسب القانون الدولي العام، يعرّف الحكم الذاتي بأنه صيغة قانونية لمفهوم سياسي تتضمن منح نوعا من الاستقلال الذاتي للأقاليم المستعمرة لكونها أصبحت من الوجهتين السياسية والاقتصادية جديرة بأن تعتمد على نفسها مع ممارسة الدولة المستمرة السيادة عليها. أما القانون العام الداخلي فيعرف الحكم الذاتي بأنه نظام للامركزي يقوم على أساس الاعتراف لإقليم مميز قوميا أو عرقيا بإدارة شؤونه تحت إشراف ورقابة السلطة المركزية. علاوة على ذلك، يؤثر شكل الدولة كان بسيطا أم مركبا ليس فقط على التعريف الممنوح لمفهوم الحكم الذاتي بل على أجرأته كذلك، إذ يُعدّ الحكم الذاتي أقصى ما يمكن أن تصل إليه النظم المركزية الأحادية دون الوصول إلى مستوى الدولة الفيدرالية. وتأسيسا على ذلك، يمكن القول بأن نظام الحكم الذاتي في دولة موحدة يختلف في الدرجة وليس في الطبيعة عن النظام الفيدرالي. ورغم هذا الاختلاف الذي يجعلهما يطرحان كحلول لمشاكل مختلفة، فهما يتقاسمان وظائف عديدة كسيادة الدولة وقاعدة الأغلبية واللامركزية الفعلية في إدارة الشؤون العامة واحترام حقوق الأقليات والخصوصيات المحلية والإقليمية.

ولن تستقيم عملية استيعاب المبادرة المغربية بشأن التفاوض لتخويل الصحراء حكما ذاتيا والإحاطة بها من جوانبها الأساسية إلا من خلال رصد سياقاتها الأممية / الدولية والوطنية وتبيان محدداتها وتفاعلاتها.

أ ـ السياق الأممي والدولي :

بعدما تكونت قناعة راسخة عند كل الأطراف المعنية بقضية الصحراء بوصول الملف إلى النفق المسدود واستحالة إجراء الاستفتاء أو فرض حل خارج الحل السياسي خصوصا منذ اتفاق وقف إطلاق النار في 6 شتنبر 1991 وما تلي تلك المرحلة من تجريب فاشل لمختلف الصيغ الهادفة إلى إيجاد حل سلمي، جاء القرار الأممي رقم 1754 والصادر بتاريخ 3 أبريل 2007 ليقطع بجلاء مع المقاربات المطروحة ويتجاوز مشروع بيكر Baker ومخطط التسوية ويقضي بإجراء مفاوضات مباشرة بين أطراف النزاع بدون شروط مسبقة وبنية حسنة، وذلك بعدما قدم الطرفان مشروعين متباينين، يذهب الأول إلى إقرار نظام الحكم الذاتي في إطار السيادة المغربية بينما يركز الثاني على الاستقلال التام بعد إجراء استفتاء. وبناء على ذلك، يمكن حصر أهم تجليات السياق الأممي ـ وكذا الدولي الإقليمي ـ في العناصر التالية :

ـ تحول عميق في تدبير ملف قضية الصحراء على المستوى الأممي حيث تم الانتقال في التعامل مع القضية من منطق تصفية الاستعمار وحق الشعب في تقرير المصير إلى البحث عن تسوية سلمية، أي الانتقال من منطوق الفصل السابع (فيما يتخذ من الأعمال في حالات تهديد السلم والإخلال به ووقوع العدوان) إلى منطوق الفصل السادس (في حل النزاعات حلا سلميا) من ميثاق الأمم المتحدة ؛

ـ استحسان بعض الدول النافذة للمبادرة المغربية وتنويه الأمم المتحدة ووصفه بالجاد الرامي إلى المضي قدما صوب التسوية ؛

ـ حرص الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن على مصالحها المشتركة مع كل من المغرب والجزائر يغلّب كفة الحل السياسي بالنسبة لقضية الصحراء ويستبعد فرض أي حل لا تقبل به الأطراف.

ـ استمرار تبعية قيادات البوليساريو للجزائر وتماديهما في مواقفهما المتشددة وتشبثهما بمطلب الاستقلال.

ب ـ السياق الوطني الداخلي :

أتى نص المبادرة المغربية بشأن التفاوض لتخويل الصحراء حكما ذاتيا في سياق وطني داخلي يطبعه التحول والدينامية وكنتيجة للمعطيات التالية :

ـ حرص الدولة المغربية على التوفيق بين سيادتها الوطنية ووحدتها الترابية ومبدأ تقرير المصير الذي يمكن حسب القرار الأممي رقم 1514 (1960) أن يُمارس إما عبر إنشاء دولة مستقلة ذات سيادة، أو عبر ارتباط دولة ما ارتباطا حرا مع دولة مستقلة، أو الاندماج بكل حرية في دولة مستقلة، أو اكتساب نظام سياسي يختاره بنفسه بكل حرية ؛

ـ قبول الدولة المغربية لأول مرة تقاسم السلط مع سكان جهة الصحراء دون الجهات الأخرى من خلال هيآت تشريعية وتنفيذية وقضائية تتمتع باختصاصات حصرية وتتوفر على موارد مالية كفيلة بتنميّة الجهة في كافة المجلات ؛

ـ اعتماد المقاربة التشاركية التصاعدية مع كافة فعاليات المجتمع الجمعوية والحزبية والأكاديميّة بشأن مناقشة المقترح المغربي ،

ـ اعتبار المبادرة المغربية بشأن التفاوض لتخويل الصحراء حكما ذاتيا نفسا جديدا للامركزية بصفتها نهجا يسعى إلى توسيع الديمقراطية والممارسة. وقاعدة النخب وكذا تنظيم سياسة القرب ومشاركة الساكنة وتجاوز بطء مساطر اتخاذ القرار.

3 ـ مضمون المبادرة المغربية بشأن التفاوض لتخويل الصحراء حكما ذاتيا :

إن منح السلطات المركزية حكما ذاتيا لإقليم معين يتيح لساكنته صلاحية التدبير الديمقراطي لشؤونها في احترام تام للسيادة والوحدة الوطنية المعطى عرفه تاريخ المغرب السياسي، حيث أقدم مولاي سليمان وهو الذي امتدت فترة حكمه للمغرب من 1792 إلى 1822، بتجربة في الصحراء في منطقة توات "دون طلب من السكان ولاضغط منهم وإنما رغبة في إشراكهم في الحكم وتمكينهم كمواطنين من مقاليد إقليم يعرفونه أكثر من غيرهم". (عبد العزيز بن عبد الله *معلمة الصحراء* (ملحق 1) 1976، ص. 93 - 95).

أمام الفراغ الذي خلفته استقالة السيد جيمس بيكر المبعوث الخاص للأمين العام لهيئة الأمم المتحدة ودعوات مجلس الأمن المتكررة للأطراف ودول المنطقة إلى مواصلة تعاونها مع الأمم المتحدة لوضع حد للمأزق الذي تعرفه قضية الصحراء منذ العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين، بادر المغرب إلى صياغة نص المبادرة القاضية بمنح الصحراء حكما ذاتيا في إطار السيادة الوطنية قدّمها للأمم المتحدة بتاريخ 11 أبريل 2007.

يحتوي نص المبادرة المغربية على 35 مادة في ثلاثة فصول : التزام المغرب بالعمل على إيجاد حل سياسي نهائي (أ)، العناصر الأساسية للمقترح المغربي (ب)، ومسار الموافقة على الحكم الذاتي (ج).

أ ـ التزام المغرب بالعمل على إيجاد حل سياسي نهائي :

من خلال هذا الفصل الأول والذي يضم 10 مواد، يتبين أن التزام المغرب ببذل كل الجهود للتوصل إلى حل سلمي عادل مستدام حكمته قوة مبادئ موجهة نذكرها كالآتي :

ـ جرأة الانخراط في مساعي الأمم المتحدة لفض النزاع تعكسها مبادرة الدولة المغربية المركزية بقبول تقاسم السلط مع سكان الصحراء بنوع من الانفتاح والمرونة في إطار سيادتها الكاملة، وكذا الاستعداد والتعاون مع أطراف النزاع والهيأت الوسيطة (المواد، 1، 2، 7، 9، و10).

ـ إرادة لوضع أسس لمصالحة شاملة في ظل مقومات الحداثة ومبادئ حقوق الإنسان المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، كفيلة بالحد من

المأساة الانسانية التي تعاني منها العائلات الصحراوية الموجودة بمخيمات تندوف وبالأقاليم الصحراوية (المادة، 3)،

- تكريس مبدأ الفصل العمودي للسلط والموارد المالية، يدبر بموجبه سكان الصحراء شؤونهم من خلال هيآت تشريعية وتنفيذية وقضائية (المادتان، 4 و5)،

- احتفاظ الدولة باختصاصات سيادية تقتصر على الشؤون الخارجية والدفاع والسلطات الدستورية والدينية للمؤسسة الملكية (المادة، 6)،

- حرص المغرب على التوفيق بن مطلبي الوحدة الترابية ومقومات القانون الدولي العام المرتبطة بتقرير المصير من خلال طرح نظام الحكم الذاتي المتفاوض بشأنه للاستفتاء (المادة، 8).

ب - العناصر الأساسية للمقترح المغربي :

1 - اختصاصات جهة الحكم الذاتي للصحراء :

تتمتع الهيآت التشريعية والتنفيذية والقضائية لجهة الصحراء باختصاصات حصرية وبدرجة معينة من الاستقلال المالي، تجعلها تضطلع بمسؤولية الإشراف على الإدارة المحلية والشرطة المحلية ومحاكم الجهة والتنمية الاقتصادية والتخطيط الجهوي والسياسة الاستثمارية والتجارة والصناعة والسياحة والفلاحة والميزانية والنظام الجبائي والبنيات التحتية والسياسات الاجتماعية والبيئية والثقافية والتعاون مع جهات أجنبية (المواد، 12، 13، و15)، في حين تحتفظ الدولة المغربية باختصاصات حصرية تمس مقومات السيادة لاسيما العلم والنشيد الوطني والعملة والسلطات الدستورية والدينية للمؤسسة الملكية (المادة، 14) التي تفوض لمندوب الحكومة الذي يزاولها في الجهة (المادة، 16).

أما الاختصاصات التي لم يتم التنصيص على تخويلها صراحة إلى هيآت منطقة الحكم الذاتي، فسوف تمارس عملا بمبدأ التفريع (Subsidiarité) والذي يسمح للدولة كتنظيم علوي أن يتدخل ويجر لنفسه المهام التي لا تستطيع الوحدات الدنيا القيام بها بشكل فعال وناجع رغم توفرها على موارد مالية وبشرية كافية (المادة، 17).

وارتباطا بالديمقراطية المحلية والتي تعد أحد المرتكزات الأساسية التي يقوم عليها المقترح المغربي، وعلاوة على توسيع دائرة المشاركة والممارسة وتقريب السياسة إلى الساكنة في الصحراء، بصفتها المعنية الأولى ببرمجة وتنفيذ المشاريع الخاصة بنطاقها، فقد تم الحفاظ في ذات الآن على حق الصحراويين في التمثيلية داخل البرلمان بمجلسيه لضمان إشراكهم في صناعة الخيارات التشريعية والسياسية للبلاد (المادة، 18).

2 - هيآت جهة الحكم الذاتي للصحراء.

تقترح المبادرة المغربية تكوين برلمان محلي ينتخب من لدن مختلف القبائل الصحراوية بالاقتراع العام المباشر، تنبثق عنه السلطة التنفيذية يمارسها رئيس حكومة جهة الحكم الذاتي الذي ينتخبه نفس البرلمان وينصبه الملك (المادتان، 19 و20). كما يعهد للرئيس بتشكيل حكومة الجهة وتعيين الموظفين الإداريين (المادة، 21). وفرضت المادة 24 أن تكون كل القوانين والمراسيم التنظيمية والأحكام القضائية الصادرة عن هيآت جهة الحكم الذاتي مطابقة لنظام الحكم الذاتي المتفاوض بشأنه ولروح المقتضيات الدستورية الضامنة كذلك لحقوق الإنسان كما هي متعارف عليها دوليا (المادة، 25).

وتجدر الإشارة أخيرا إلى أن مبدأ التوزيع العمودي للسلط بين المركز وجهة الصحراء شمل كذلك الجانب القضائي وخوّل بموجبه للمحكمة العليا الجهوية نهائيا تولي تأويل قوانين الجهة دون الإخلال باختصاصات المجلس الأعلى والمجلس الدستوري للمملكة (المادة، 23).

وإن نجاح أوفشل المفاوضات - كفرصة تاريخية وخيار استراتيجي لحل القضية بصفة نهائية - بين طرفي النزاع رهين بترتيبات مواكبة تتمثل في الآتي :

- إجراء استفتاء يعرض على السكان المحليين وفقا للشرعية الدولية القاضية بتفعيل مبدأ تقرير المصير والتزام الأطراف بتفعيل الحل السياسي وموافقة سكان الصحراء (المادتان، 27 و28)،

- القيام بمراجعة الدستور المغربي بغية التنصيص على نظام الحكم الذاتي (المادة، 29)،

- إصدار عفو شامل وإدماج كل الأشخاص للحفاظ على الكرامة والسلامة وحماية الممتلكات (المادة، 30).

- تكوين مجلس انتقالي من ممثلي الأطراف يعهد إليه بعد الموافقة على مشروع نظام الحكم الذاتي، بتدبير عملية عودة سكان المخيمات إلى الوطن ونزع السلاح والتسريح وإعادة إدماج العناصر المسلحة (المادة، 31).

4 - المفوضات والسيناريوهات المحتملة :

إذا كانت أرضية المفاوضات بين المغرب وجبهة البوليساريو غير معروفة وغير محددة، فإنه انطلاقا من جدلية تدويل النزاع وتدويل معالجته، أضحى من البديهي بأن الطرف الثالث أو الوسطاء يضطلعون بأدوار مهمة ويتبنون استراتيجيات مختلفة للتأثير على موافق الأطراف المتنازعة، مما قد يأخذ أشكالا ثلاثة : هي الإقناع أو المساومة أو الإكراه. ويرتبط اختيار استراتيجية معينة من هذه الاستراتيجيات الثلاثة بالظرفية الزمنية وبحيثيات السياق الداخلي والخارجي الذي يدخل فيه الطرف الثالث، سواء كانت منظمات دولية، أو دولا أو منظمات غير حكومية وذلك في أربع حالات وهي :

- حالة ما قبل التصعيد الرامية إلى اجتناب نشوب نزاع ؛

- حالة التصعيد الهادفة إلى تدبير الاصطدامات الحربية ؛

- حالة إنهاء التصعيد كإنهاء للنزاع ؛

- وحالة ما بعد التصعيد لوضع مسلسل للسلم وتفعيله.

كما أن اختيار الطرف الثالث عادة ما تحدده مواصفاته في الجانب الذي لا يتحيز لأية جهة، ويسعى جاهدا إلى تغليب ضرورة إنهاء النزاع بأساليب سلمية على المنطق الجيوستراتيجي المحض.

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أن بنية التفاوض لن تكتمل إلا إذا تطرقنا إلى وظائف الجهات الوسيطة التي

يمكن أن تلعب في مسلسل المخاض العسير دور المولدة والمشرفة والمراقبة. وتكمن وظيفة "المولدة" في تنظيم مسلسل المفاوضات عبر تسخير ألية الدبلوماسية المكوكية وممارسة الضغوطات الاقتصادية أو السياسية أو العسكرية للدفع بطرفي النزاع إلى الجلوس على طاولة المفاوضات. في حين تتمثل وظيفة الإشراف والمراقبة في وضع كل التدابير المرتبطة بتنفيذ ومراقبة الاتفاقيات وإجراء التحكيم والصلح وضمان السلم والأمن الدوليين، عن طريق تقديم المساعدات الأنسانيـة والاقتصادية وتأطير عودة اللاجئين، ونزع الأسلحة والألغام. أما إجراءات التفاوض، فيمكن اختزالها في ست خطوات :

- تندرج الخطوة الأولى في صميم وظائف الوسيط الذي يسعى إلى تنوير طرفي النزاع بشأن الصيغ والخيارات الممكنة ؛
- تكمن الخطوة الثانية في بلورة السيناريوهات العامة وصياغة الحلول الممكنة المرتبطة بالنزاع، أو بعض جوانبه دون الاهتمام بأولويات طرفي النزاع ؛
- تتميز الخطوة الثالثة باختيار نموذج معين من لدن المتفاوضين ؛
- تعد الخطوة الرابعة أصعب وأهم المراحل إذ تسعى الأطراف المتفاوضة إلى الوصول إلى تسوية أو حل وسط توافقي تدون بموجبه الاتفاقيات التي يتم التوصل إليها بشأن المشروع التالي وكذا نقاطه الفرعية موضوع النزاع ؛
- تتميز الخطوة الخامسة بالإعداد الملموس والصياغة الفعلية للاتفاق المبرم حول المبادئ والآليات من لدن لجنة مشتركة متساوية الأعضاء ؛
- وتعرف الخطوة السادسة إبرام الاتفاق أو العقد والمصادقة عليه من لدن كل الأطراف المباشرين وغير المباشرين.

أما الشروط الكفيلة بإنجاح مثل هذه المفاوضات، فيمكن حصرها في الآتي :

- تكثيف تدابير إعادة بناء جسور الثقة بين الأطراف من خلال مراعاة البعد الإنساني وإزالة الألغام وتفادي الانتهاكات التي تطال حقوق وكرامة الإنسان ؛
- العدول عن المواقف المتشددة وإبداء قدر من البراغماتية والليونة في تقديم بعض التنازلات لتمهيد الأرضية لبلورة استراتيجيات مشتركة ؛
- حل النزاع بطريقة عادلة ومستدامة لا يُحقق إلا إذا اعتبرت أطراف النزاع بعضها البعض شرفاء ؛
- اعتبار المشاركة المباشرة أو غير المباشرة لكل أطراف النزاع داخل وخارج منطقة النزاع شرطا أساسيا لضمان نجاح التسوية، بمعنى أن إقصاء فاعلين معنيين بالمفاوضات وبعملية صياغة وأجرأة الحلول المتفاوض بشأنها غالبا ما يبرر عدم الالتزام بها.
- معالجة التفاوتات السوسيو اقتصادية والمجالية بين المركز والمحيط، على ضوء الوضع القائم والوضع المرتقب وترسيخ مبادئ التضامن، وضمان وحدة مستويات العيش وتكافؤ الفرص ؛
- وإبداء استعداد النخبة المحلية الصحراوية داخل وخارج منطقة النزاع وقبولها بمبدأ الحوار وقدرتها على إقناع أجنحتها المعارضة.

أما السيناريوهات المحتملة بشأن مسار المفاوضات استنادا إلى المبادرة المغربية القاضية بمنح حكم ذاتي للصحراء، والتي كما ذكرنا أنفا تعد مرتبطة بالظرفية الزمنية وبحيثيات السياق الداخلي والخارجي، وكذا بالمصالح الإستراتيجية والاقتصادية لكل الأطراف والوسطاء فنجملها كما يلي :

- الشروع في إعمال المبادرة المغربية في منطقة الصحراء بالموازاة مع مواصلة المفاوضات كعربون على حسن النية. ويستمد هذا التصور الهجومي قوة احتماله من الموقف الرسمي المغربي انطلاقا من قناعة راسخة تتمثل في أن المغرب لن يبقى مكتوف الأيدي ينتظر ما ستسفر عنه التطورات في مواقف البوليساريو.
- الاستمرار في مسلسل المفاوضات على أساس افتراض تخلي البوليساريو والجزائر عن مواقفهما وقبولهما بالمبادرة المغربية كنتيجة ربما للمساومة أو الإقناع أو الإكراه. لكن الأرجح هو اعتماد ألية الإكراه بمعنى ممارسة الضغوطات على الفاعلين للتصدي مثلا للمخاطر كالإرهاب والتهريب والهجرة السرية التي تهدد الأمن الإقليمي والأوربي والدولي، عوض المساومة أو الإقناع المستبعدين نظرا لصعوبة حدوث تغيير في موقف الجزائر وبالتالي في موقف البوليساريو.
- الاستمرار في مسلسل المفاوضات على أساس افتراض تمادي البوليساريو والجزائر في تصلبهما، وهو ما سيؤدي إلى الجمود وليس بالضرورة إلى جمود دور المنتظم الدولي والدول النافذة ذات المصالح والراغبة في عدم الزج بالمنطقة في وضع اللأمن واللااستقرار.
- مقاطعة المفاوضات والعودة إلى السلاح وهو تصور ضعيف الاحتمال يعزى إلى التغيرات التي عرفتها العوامل الإيديولوجية السياسية والعسكرية والنفسية المصاحبة للنزاع منذ نشأته، حيث أن انهيار جدار برلين وانتكاسة المعسكر الشرقي، ترتب عليه تضاءل الدعم لجبهة البوليساريو، وارتفاع عدد الدول التي سحبت اعترافها بها مما انعكس سلبا على الجانب العسكري والنفسي. ويظهر جليا بأن المبادرة المغربية بشأن التفاوض لتخويل الصحراء حكما ذاتيا، والتي تتضمن عدة مقومات كالسيادة والارتباط بالسلطة المركزية والاستقلالية في تدبير الشؤون المحلية، وتوزيع الصلاحيات والثروات والمشاركة في صناعة القرار، ستعرف لا محالة تحديدا أكبر وتدقيقا أعمق خلال المفاوضات خصوصا إذا ما قبل الطرف الآخر بالحل السياسي التوافقي كنتيجة ربما لضغوطات الدول النافذة.

المبادرة المغربية بشأن التفاوض لتخويل الصحراء حكما ذاتيا (11 أبريل 2007).

Arrach, Abdeljabar, *Föderalismus in Deutschland und Regionalisierung in Marokko, Politische Perspektiven, institutionelle und rechtliche Rahmenbedingungen in Ländervergleich, 1997, Frankfurt ;* Lapidoth, Ruth, *Autonomy, Flexible Solutions to Ethnic Conflicts*, 1997, Washington ; Lederach, J. Paul, *Building Peace, Sustainable Reconciliation in divided societies*, 1997, Washington ; Schneckener, Ulrich, Making Power-sharing work, Lessons from successes and failures in Ethnic Conflicts Regulation, in : *Journal of Peace Research*, 2002, 39,2, p.203 – 228.

عبد الجبار عراش

الحكم الذاتي لتقرير المصير كان المغرب قبل الهجمة الاستعمارية هو الدولة العظمى في الركن الشمالي الغربي من القارة الإفريقية. ولذلك استحال أن يستحوذ على ترابه إحدى القوى الاستعمارية الكبرى بمفردها، فكان مصيره التقسيم والتجزئة بين الطامعين في التمكن من أراضيه من بين إنجليز وفرنسيس وإسبان الذين ظلوا بعد إقدامهم على الوزيعة بينهم يعترفون بوحدة الدولة المغربية في شخص ملوك الأسرة العلوية الشريفة ويصدعون وهم يجزئون البلاد بوحدة ترابها. ولما كانت الحقيقة في ما تشهد به الأعداء، كان لزاما أن تعود الأجزاء المغتصبة إلى سابق الوحدة فور استرجاع الدولة لكامل سيادتها سنة 1956. وكان لا بد أن يعترض ذلك عراقل ترتبت على فترة الاستعمار وعلى مناورات التسويف في الاستجابة لمطالب المغرب المشروعة، لاسيما وأن الدولة اختارت أن تسعى في ذلك بالتي هي أحسن وبالجدل الدبلوماسي والقانوني، مما جعلها تسترجع طرفاية سنة 1958 وإفني سنة 1969 مفاوضة مع إسبانيا، وتتوجه إلى الأمم المتحدة منذ سنة 1957. لإقناع هذه الدولة بضرورة تحرير الأجزاء التي كانت تحتلها من الصحراء الغربية الأطلسية.

وجاء جواب الهيئة الأممية في شكل القرار رقم 1514 الذي أعلن عن لزوم منح الاستقلال لكل الأراضي المستعمرة دون مراعاة ما كانت عليه تلك الأراضي من الأوضاع القانونية الدولية قبل الاغتصاب الاستعماري. فبادر المغرب إلى إثارة انتباه المنتظم الدولي إلى ضرورة التمييز بين مختلف تلك الأوضاع السابقة، ذلك بأن القانون والتاريخ متلازمان فلا فعل للواحد منهما بدون الآخر. ولذلك اتخذت الأمم المتحدة قرارا جديدا تحت رقم 1541 يقضي بأن ما لا يزال تحت الاستعمار من الأراضي لها أن تختار بين الإلحاق بالدولة التي كانت لها معها روابط من قبل أو أن تتمتع بالاستقلال الذاتي في إطار تلك الدولة أو أن تستقل بشؤونها وتقيم كيانا سياديا جديدا. وبناء عليه طالب المغرب في دجنبر سنة 1963 بأن يستفتى سكان الأقاليم الصحراوية عن مصيرهم ليقينه من أنهم لا يرغبون سوى في العودة إلى حظيرة الوطن المغربي لما يرتبطون به من روابط البيعة الشرعية منذ قديم الزمان. بيد أن سنة 1963 تميزت بحدثين بالغي الخطورة لم يكونا في الحسبان. أولهما شروع إسبانيا في استغلال مناجم الفوسفاط التي كانت قد اكتشفت منذ سنة 1943 في تلك الأقاليم المستعمرة. وما كانت إسبانيا لتتخلى عنها للمغرب فنسجت خيوط مناورة دبلوماسية واسعة ضد الوحدة الترابية المغربية لم تجد صعوبة في حبكها مع جيران المغرب من إخوانه الموريطانيين والجزائريين المحرزين قريبا على الاستقلال سنتي 1961 و1962. أما الحدث الثاني فكان في اشتعال نيران القتال بين الجزائر والمغرب في خريف 1963 من أجل الحدود بينهما وكان المغرب قاب قوسين أو أدنى من دخول تندوف لولا تدخل منظمة الوحدة الإفريقية التي أقرت أن لا يقع المساس بالحدود التي كان الاستعمار قد رسمها لمصالحه. هكذا تعززت صفوف خصوم الوحدة الترابية المغربية إذ وجدت أسبانيا من يساندها في مناوراتها في العلانية والخفاء. فاعتمدت المقرر 1514 ضاربة عرض الحائط بالمقرر 1541 الذي يصححه وأعلنت عن قيام شعب صحراوي صرحت باستعدادها لمنحه بعض الصلاحيات وللتفاوض مع بعض وجهائه حول استمرار الاستغلال الاستعماري مقابل شيء من الاستقلال الذاتي. واصطنعت لذلك حزب الوحدة الوطنية الصحراوية أول الأمر. ثم لما تبين عجز هذا الحزب سعت في السنوات الأخيرة مما كتب لها من التصرف بالأقاليم الصحراوية في إحداث حزب اشتهر في الحين ولا غرابة في ذلك باسمه الإسباني "بولساريو" أو الجبهة لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب التي احتضنته الجزائر وجعلته أداتها العسكرية لمحاربة المغرب. ولقد امتدت المناورات الإسبانية والجزائرية طيلة الستينات والسبعينات من القرن العشرين. وقد استطاع المغرب في شخص ملكه الراحل الحسن الثاني طيب الله ثراه أن يحبط تلك المناورات بتحويل مجراها لفائدة المغرب، وذلك أولا بالاعتراف بالدولة الموريطانية سنة 1969 فجعلها حليفا وصديقا، وباللجوء ثانيا إلى المحكمة الدولية في لاهاي التي دحضت ما كانت إسبانيا تدعيه من أن الصحراء الغربية الساحلية كانت أرضا خلاء لا يملكها أحد مؤكدة أنها كانت مرتبطة بالعرش المغربي بروابط البيعة التي هي قاعدة الكون تحت لواء واحد في الشريعة الإسلامية. ولما كانت المحكمة منكبة على إعداد حكمها، كان الحسن الثاني يعد لمسيرة جماهيرية مغربية التحمت صفوفها في نونبر 1975 فدخلت الأقاليم الصحراوية المغتصبة يوم سادس منه، القرآن في يد والراية الحمراء في يد أخرى، فانتزعتها دفعة واحدة بأقوى وألطف سبيل. ثم وقع الاتفاق بين المغرب وموريطانيا على إلحاق إقليم الداخلة والـگويرة بموريطانيا وإلحاق إقليم وادي الذهب والسمارة وبوجدور بالمغرب. ولما تم التحرير هرع شيوخ القبائل الصحراوية إلى القصر الملكي لتجديد البيعة. مما جعل الجزائر تكشف عن نواياها الحقيقية بعد أن ظلت تتستر عليها بدريعة التوسط بين الإخوة المغاربة والموريطانيين. فلما وقع الاتفاق بينهما صارت الحكومة الجزائرية تهدد موريطانيا بالويل والثبور بعد أن كانت قد احتضنت عصابات البولساريو في تندوف ممدة إياها بكل أشكال السلاح، بل ورامية بجنودها في قلب التراب المغربي

لمؤازرتهم، متشدقة بشعار الاستعمار الإسباني القائل بوجود شعب صحراوي ابتكر ابتكارا لا يزال لم يحقق مصيره ولم يستقل بعد من الحجر الإمبريالي. وانطلقت إذن سلسلة جديدة من المناورات العسكرية والدبلوماسية تمولها وتقودها الجزائر، تصدى لها المغرب صفا متراصا فأبطلها الواحدة تلو الأخرى. ففي ميدان القتال استطاع المغرب إن يوقف الجزائر والبولساريو عند حدودهما مستفيدا من انسحاب موريتانيا من النزاع ليضم إقليم الداخلة والكويرة إلى الوطن في صيف 1979. وأما من الجانب الدبلوماسي فإنه أبدى بصوت ملكه وكبار المسؤولين في الحكومة والأحزاب في كل المحافل الدولية عن استعداده لاستفتاء سكان الأقاليم الصحراوية عما يريدون من المصير مطمئنا إلى رغبتهم في الكون في الجماعة الوطنية بما تجلى من مشاركتهم في كل الانتخابات المحلية والمركزية منذ 1976 إلى يومنا. لكن أعداء الوحدة الترابية المغربية من الجزائر والبولساريو لم يفتأوا يتآمرون على مفهوم تقرير المصير يتشدقون به ويلوحون لا لشيء سوى ليكون أداة لفصل الأقاليم الصحراوية عن دولتها الأصلية لتقام فيها دويلة مزعومة تحت إسم "الجمهورية العربية الصحراوية الديموقراطية" تابعة للجزائر، تحاصر المغرب من الجنوب الغربي وتقطع بينه وبين جذوره الصحراوية الإفريقية. وقد تصدى المغرب ولا يزال لهذه المؤامرة. وأول ما كان من ذلك وقوف الحسن الثاني بنفسه أمام منظمة الوحدة الإفريقية سنة 1982 ليصرح بقبول المغرب لاستفتاء سكان الأقاليم الصحراوية المسترجعة عما يريدون من المصائر. ولكنه ما أن صرح بذلك حتى بادر الخصوم إلى المطالبة بفتح باب التفاوض حول ذلك بين المغرب والبولساريو كما لو كان هذا الحزب الانفصالي يمثل إرادة السكان سلفا وقبل الاستفتاء نفسه. ولما لم يكفيهم هذا التناقض الصارخ فإنهم عززوه بآخر أشد منه تطاولا على القانون الدولي بأن تواطأوا مع الكاتب العام لمنظمة الوحدة الإفرقية لإقحام الجمهورية العربية الصحراوية الديموقراطية المزعومة في المنظمة عضوا كامل الحقوق والصدارة على افتقارها لأبسط شروط السيادة المنصوص عليه في القانون الأساسي لتلك المنظمة. وما كان المغرب الذي هو من مؤسسيها ليغض الطرف عن مثل هذا الاستخفاف بأسمى المواثيق فأعلن انسحابه من المنظمة التي صارت أغلبية فيها مكرا وعدوانا قاضيا وطرفا في النزاع. ولذلك خرج من المجال الإفريقي لينتقل إلى حظيرة الأمم المتحدة التي تدخلت هي بدورها ليس بناء على القرار رقم 1541 المتمم لقرار رقم 1504 ولكن بناء على هذا القرار الأخير ليس إلا، معتبرة أن الصحراء الساحلية الغربية لا تزال مندرجة في قائمة الأقطار التي لم يصفّ الاستعمار فيها بعد. ولذلك بادر كاتبها العام يومئذ السيد بيريث دي كويار Perez de Cuellar إلى التقدم بمشروع للتسوية سنة 1989 يقترح وقف إطلاق النار في الأقاليم الصحراوية المسترجعة وإعداد استفتاء عام للسكان بعد اتفاق الجهات المتنازعة على قائمة المدعوين للإدلاء بصوتهم في ذلك.

وقد أسفرت المبادرة بعد حين على وقف لإطلاق النار في شهر اكتوبر 1991، تبنت الأمم المتحدة عمليات الإشراف على الالتزام به بواسطة بعثة خاصة تحت إسم "بعثة الأمم المتحدة لتنظيم الاستفتاء في الصحراء الغربية" أو "مينورسو" MINURSO. بيد أن هذا البعثة ظلت طيلة العقد التسعيني من القرن الماضي تحاول وضع قائمة المصوتين الصحراويين دون جدوى لتعثرها بين رغبة الجزائر والبولساريو في اعتماد آخر إحصاء قامت به السلطات الإسبانية في الأقاليم سنة 1974 وبين رغبة المغرب وأغلبية السكان الذين تضخمت صفوفهم بفضل عودة الصحراويين إلى ديارهم من داخل باقي الأقاليم المغربية التي كانوا قد هاجروا إليها فرارا من الاضطهاد الاستعماري. وقد بدا للسيد بيريث دي كويار من تضارب الموقفين وتوالي اللقاءات والاجتماعات بدون أدنى تقدم أن تحقيق المصير في الأقاليم الصحراوية لا يمكن أن يؤدي لا إلى دولة مستقلة ولا إلى مجرد إلحاق بالجهاز الإداري المغربي، وأنه يتعين البحث عن حل آخر يكون وسطا بين ذلك فقال في هذا الصدد : "قد حظيت دائما فيما يعنيني بتفهم مجلس الأمن كلما اجتهدت بحثا عن حل النزاعات الدولية القائمة أو عن وسيلة لمعالجة كل ما من شأنه أن يمس بالسلم. وكلما عجز المجلس عن اتخاذ قرار بسبب انعدام الوفاق بين أعضائه الدائمين أو تقدم بوصية يرفضها أحد الأطراف أو تبنى حلا لا تسانده بعض الدول النافذة ممن يعنيها الأمر من قريب أو بعيد فلا تسانده أو لا يبدو منها أنها قابلة لمساندة العمل به، فإن الكاتب العام لا بد أن يقوم مقام الوسيط بين الأطراف المتنازعة. وبهذه الصفة بوسعه أن يساهم في صون الجوانب التي تمكّن تلك الأطراف من التسوية بينها أو الاتفاق بل وربما مع شيء من الحظ من وضع الأسس لذلك. وعلى الكاتب العام وهو يمارس هذه المهمة أن يرتجل بل وقد يجد نفسه مضطرا لاقتراح وسائل أخرى غير التي كان يفكر فيها أول الأمر لبلوغ المقاصد المحددة من قبل مجلس الأمن. ولقد ازدادت هذه المهمة خطورة شأن لدى الكاتب العام مع مرور الزمان. فلم تعد تنحصر في النزاعات والحالات التي هي من اختصاص مجلس الأمن، بل حتى في القضايا التي تعنى بها الجمعية العامة التي يترتب على قراراتها جعل حد للنزاع فإنه من واجب الكاتب العام أن يسعى في العمل بكل ما من شأنه أن يبقي أبواب الحوار مفتوحة بين المتنازعين". وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن منظمة الأمم المتحدة خولت نفسها حق التدخل مباشرة في النزاع لفضه مع أن الأعراف الأممية تثبت أن دورها ينحصر في التأكد من أن السلطات الإدارية القائمة لا تتصرف بمصير السكان دون الأخذ برأيهم، مثلما جرى في تيمور الشرقية مثلا حيث إن أندونيسيا هي التي تكفلت باستشارة السكان ثم قبلت بما عبروا عنه من الرغبة في الانفصال عنها. وقد كان الملك الحسن الثاني مدركا، قبل الكاتب العام للأمم المتحدة المذكور لضرورة السعي في حل توافقي في الصحراء يحفظ للمغرب سيادته الترابية ويحفظ لسكان تلك الأقاليم

أعرافهم ومميزاتهم الثقافية، مناديا منذ 1984 إلى الشروع في تنظيم إداري يراعي ما كان مرعيا دائما في التقاليد السياسية المغربية فقال : "وقد رجعت بي الذاكرة إلى ما كنت أحلم به دائما وهو أن أترك (...) لخلفي مغربا يضم برلمانا يمثل الوطن أسمى تمثيل وأترك حكومة تنفذ السياسة التي يكون قد قررها الملك بعد الإنصات إلى الحكومة والبرلمان، وأطمح كذلك في وضع هياكل جهوية تكون أساسا لذلك كله، لها من الإمكانيات تشريعيا وماليا وإداريا ما يجعلها قادرة على أن تقف على رجلها وأن تعرف حاجياتها وأن تقيم سلم أسبقياتها وأن تعبر بصوت جماعي كامل، بقطع النظر عن اختلاف الأحزاب أو المسارب السياسية، عن الحاجيات وعن المطامح، وأن تكون هي الناطقة وهي المبرمجة وهي البانية والمطبقة على أراضيها، وأقصد أرض الإقليم وليس أرض الجهة..."، ذلك بأن الدولة المغربية أعرق في الأصالة من أن لا تأخذ بعين الاعتبار ما تنطوي عليه التركيبة الاجتماعية الوطنية من الاختلاف الذي ترتب عليه بالضبط ائتلافها، فلذلك اعتنقت الإسلام الذي جعل وحدة الصف في مواقيتها مثلما جعل أمور الناس شورى بينهم. ولقد تطلب إثبات ذلك للمجتمع الدولي أزيد من عقدين إضافيين بعد خطاب الحسن الثاني، ذلك بأن هيئة الأمم المتحدة فشلت في وضع قائمة من له الحق في الأقاليم المسترجعة في المشاركة في الاستفتاء رغم سعيها في ذلك لمدة تناهز العقد التسعيني من القرن الماضي، كما فشل في عهد كاتبها العام السيد كوفي أنان في التوفيق بين وجهات النظر المتباينة بالرغم من مساعي مبعوثه الشخصي السيد جيمس بيكر، وزير الشؤون الخارجية الأمريكية سابقا، الذي اقترح أن تمنح الأقاليم الصحراوية حكما ذاتيا لمدة من الزمن محصورة قبل أن يستفتى سكانها عن مستقبل مصيرهم بناء على ما تكون عليه يومئذ تشكيلتها السكانية، مع احتمال انفصالها عن الوطن. وكان من فوائد مساعي السيد بيكر أن باح له الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة باستعداد حكومته لتسوية النزاع على أساس تقسيم الأقاليم بين شمال يلحق بالغرب وجنوب تقام فيه الدويلة الصحراوية المزعومة. وأمام هذا الفضيحة التي تبين فيها أن المتشدقين بمبدأ تقرير المصير من حكام الجزائر إنما يريدون الوصول إلى المحيط الأطلسي على حساب المغرب، لم يلبث المبعوث الأممي أن نفض يده من الأمر كله فاستقال من المهمة. وحل محله السيد ڤان ڤالسوم الذي سرعان ما أيقن باستحالة إقامة دولة مستقلة في الأقاليم الصحراوية المسترجعة وأن الحل الأنسب الوحيد هو تخويلها أوسع أسباب الحكم الذاتي في إطار الدولة المغربية الموحدة. وذلك ما دعا إليه الملك محمد السادس بصفة كونه ضامن استقرار هذه الدولة واستمرارها، مما لا يتنافى وتعدد وجوه الهوية الوطنية وتفعيل تلك التعددية بفتح المجال أمام كل إقليم وكل جهة ليقوم السكان بإدارة شؤونهم المحلية مثلما كانوا يفعلون قديما ويجب أن يفعلوا اليوم في ظروف هذا الزمان القاضي بممارسة أساليب الديموقراطية الدستورية. ويسجل التاريخ للملك محمد السادس سعيه الحثيث منذ تربعه على العرش في تقريب الإدارة العمومية من المعنيين بها وإدراكه المرهف بأن لاسبيل إلى ذلك بدون جعل المواطنين يمارسون الحقوق والواجبات الديموقراطية في كل المستويات. ولذلك بادر إلى الالتزام بمنح الأقاليم الصحراوية الاستقلال بتدبير شؤونها كما بادر إلى إقامة لجنة لاقتراح نظام جهوي أسفرت عن مخطط سرعان ما اندمج في الدستور الجديد الذي أجمع عليه المغاربة يوم فاتح يوليوز 2011.

El Ouali, *Abdelhamid, Autonomie au Sahara, Prélude au Maghreb des Régions*, London, 2008.

إبراهيم بوطالب

الحَمَّاية، إنشاد يغنى مع رقصة الگدرة بمنطقة وادي نون، وهي رقصة ذات أبعاد دلالية ورمزية كبيرة. و"الحَمَّاية" هي تلك الكلمات الموزونة التي ينشدها أفراد الجوقة، ويغنونها بناء على الإيقاع الخاص بالرقصة.

وتكتسى "الحَمَّاية" صبغة دينية وأخرى غزلية. ومن خلال الأولى يتبين مدى ارتباط رقصة الگدرة بالممارس الديني، حيث إن قانون الرقصة يحتم أن تبدأ الممارسة بإنشاد الحَمَّاية التالية :

ويا نبتي اللهْ   أشفع لي يا رسول الله

إذ يردد فريق من أعضاء الجوقة شطرها الأول ويردد الفريق الآخر شطرها الثاني. وهذه الحَمَّاية هي ما يسمى في الرقصة ب "السباب" إذ تفتتح بها جولات الرقصة المتتالية.

وتعتبر الحَمَّاية ذات الصبغة الغزلية هي الأكثر ترديداً في الرقصة كما أنها تشكل مجال إبداع مستمر، ومنها على سبيل المثال :

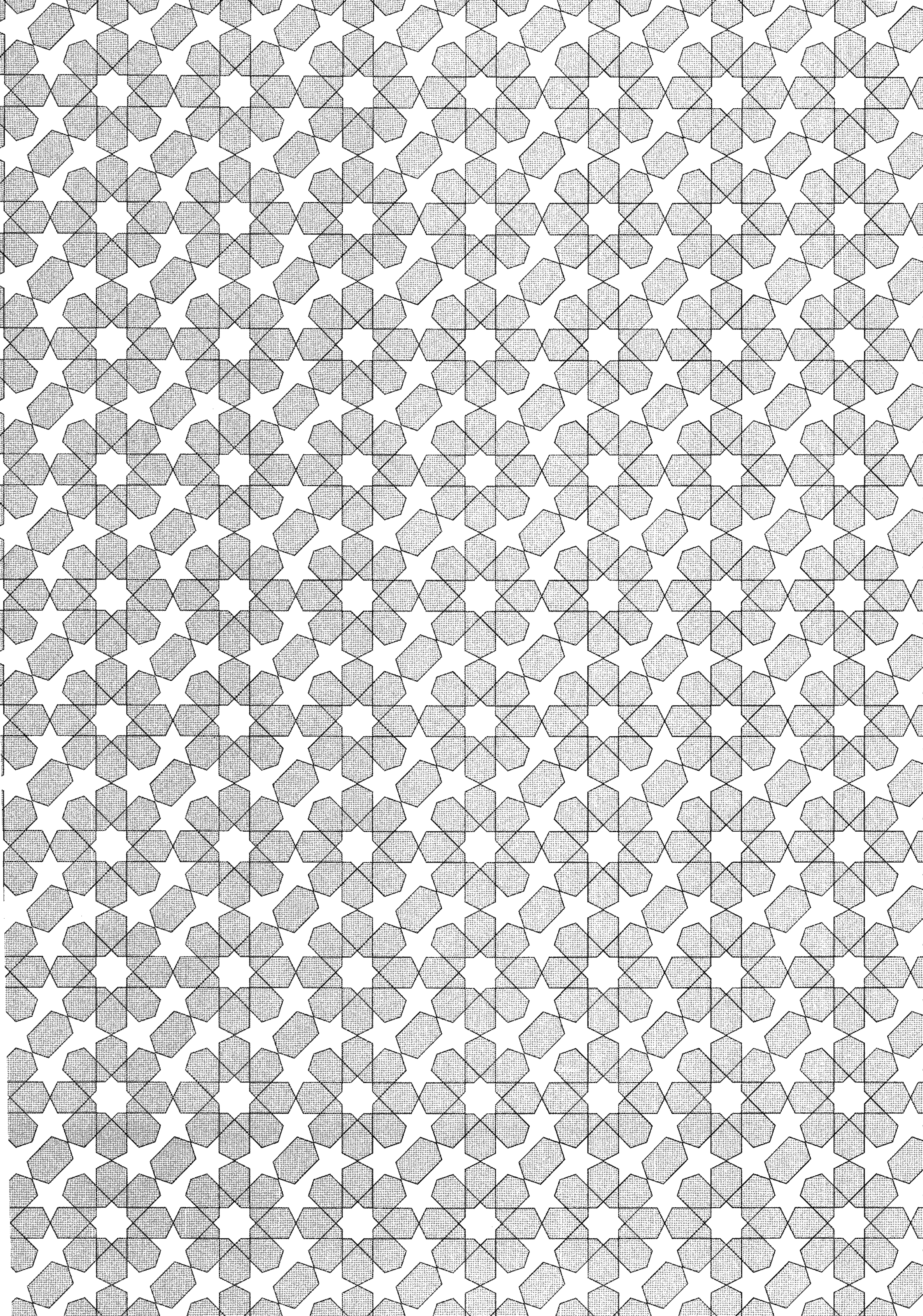
ويا عْرش البنَانْ   خَلِّ زَيْنَك ذاكْ يْبَانْ
رأي : يا غصنْ الحوز   دَعْ جمالك يتبدَّى
وبالرگبة يا الغزالْ   كيف اللبَّان إلى بَانْ
رأي : أيها الجيدُ جيد الغزال   مثل تمظهُر اللبَان

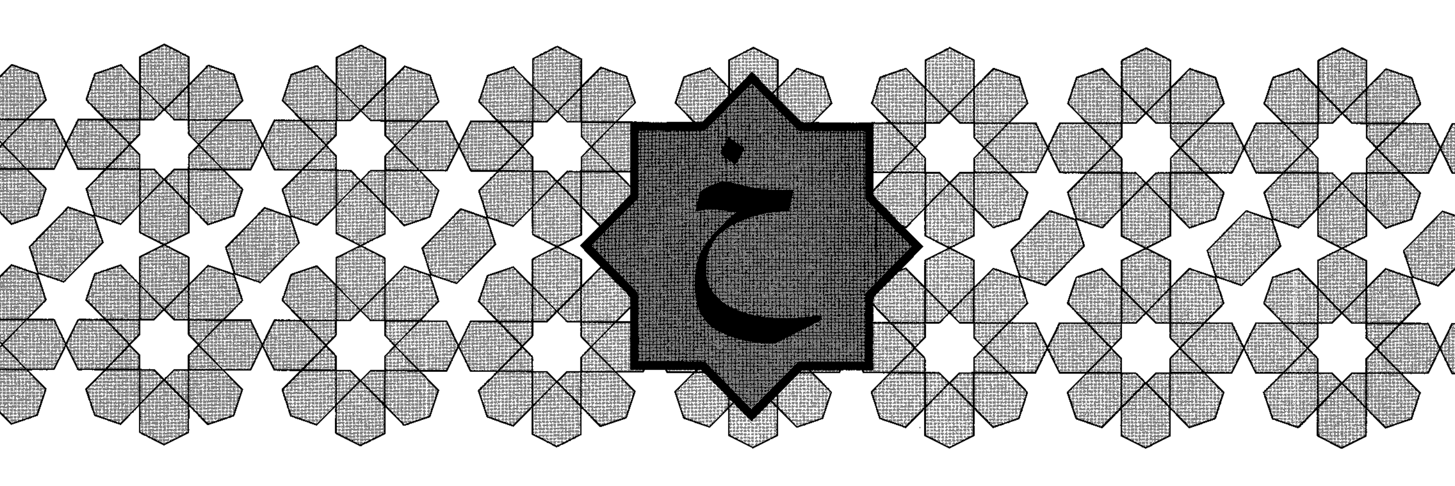
إنَّ القيمة الإبداعية للحمَّاية في رقصة الگدرة ترتبط أساساً بالجمالية التي تكتنزها اللهجة الحسانية أحياناً في بعض عباراتها وإيحاءاتها.

ويثير مفهوم "الحمَّاية" هذا مسألة هامة تتعلق بارتباط رقصة الگدرة بالنار كعنصر ضمني ورمزي يتحكم في الممارسة. فأدواتها الموسيقية التي يُضرب عليها لإحداث إيقاع خاص يوجه الرقصة هي في الأصل إناء للطبخ مرتبط بالنار، كما أن الممارسين الذين يتقنون هذه الرقصة يسمون هم أيضاً ب "النار". والحمَّاية دلاليا تعني فضاء أو أداتها توقد النار أو أداة تشعلها. والشخص الذي يمارس رقصة الگدرة هو نفسه يسمى : "الحمَّايْ" وهذه كلها كلمات ترتبط بحقل دلالي يعني الحرارة المفرطة (الحمَّانْ) أو الأشياء والفضاءات المشتعلة (حامي - حامية).

تحريات ميدانية.

محمد جوماني




خ



الخَرْبَـة، لغة من الخراب والتخريب، وهي في هذا السياق منطقة بمدخل مدشر أسرير الذي يبعد بحوالي عشرة كيلومترات عن مدينة كلمين، حيث تجثم أهم البقايا للمدينة الشهيرة نول لمطة عاصمة وادي نون في العصر الوسيط، وتتناثر آثار المدينة المندرسة على مساحة واسعة. وإذا كان البحث في تاريخ هاته الأخيرة يتوسع نسبيا، فإن الباحث فوق ذلك يطرح جملة من الأسئلة لاستنطاق هاته المخلفات واستغلال آفاق البحث الأركيولوجي لتغذية هذا الخصاص المعلوماتي حول نول لمطة. هذا إذا استحضرنا أن الأدب الجغرافي يزيد من غموض النصوص الواردة حول تاريخ المنطقة إن لم يكن في غالبه مجرد إعادة إنتاج يشكك في حقيقة اطلاع رواده على الأوضاع الاقتصادية والعمرانية لهاته الحاضرة.

تأتي "الخربة" في أسفل إحدى الهضاب حيث الموقع الشهير بأكويدير الذي يحتفظ بآثار أسوار متفرقة تنم عن تحصين قديم يجرنا السمك القياسي لأسواره وضخامتها إلى اعتبارها مؤشرات لدور عسكري (ناعمي، *الصحراء*، 43) ويكرس ترجيحه الموقع الاستراتيجي المتنع الذي يسمح بمراقبة كل المناطق المحيطة بالمدينة بجانب الخنادق المنجزة أسفل الأسوار، وهو ما يعطي أيضا للباحث مشروعية التفكير في مدى ومبررات صمود نول أمام الحملات الموحدية المكثفة.

هذه المخلفات المتباينة تدل فعلا على التوسع الكبير للمدينة التي ربما تكون فعلا قد شملت في امتداها التخوم الجنوبية لمدشر تغمرت بينما تبقى المواقع والأسماء الجغرافية بالغة الأهمية في ترجمة هذا الامتداد على الأراضي البورية المحيطة الآن بالمداشر حتى مشارف واعرون (أكاوس). ويفسر أيضا هذا العمران الذي بلغ أوجه في القرن العاشر الميلادي كثافة التجمع السكاني الذي كانت تحويه المدينة والذي سبق أن عبر عنه الإدريسي حيث قال : "ومدينة نول مدينة كبيرة وعامرة" (Jacques-Meunié, 246) ومع أننا واعون بالاحتياط المنهجي لاستحالة تطبيق وإسقاط المفاهيم الجغرافية المعاصرة، غير أن العلاقات المجالية والموقع الاستراتيجي للمدينة كمحطة تجارية ومركز للعبور والتنقل السريع وفرت لها إمكانية جذب واستقطاب أعداد كبيرة من السكان مع اكتظاظها وامتدادها (ناعمي، *الصحراء*، 43).

ومن حيث إن المساءلة هنا تظل واردة ووحيدة في غياب معطيات قارة ومحددة تنقص من حدة الطابع الاستفهامي، فإن لنا أن نقارن بين حجم المقبرة التي خلفتها المدينة والتي تتجاوز قرية أسرير متركزة بشكل أضخم في منطقة "الخربة"، وبين معطى الساكنة الكبيرة (جوماني، 34) والمهم في هذا الصدد هو الحيّز الكبير الذي تحتله الخربة في الذاكرة الجماعية بوادي نون وفي الرواية الشفوية المتعلقة بنول لمذة (مدينة لمطة) في صيغة تجعل من الإحالة عليها ممرا ضروريا تتناقله الأجيال وتعيده محافظة على مجمل مكوناته، كاشفة عن مضمرات غيبية لفكرة الخراب وعن تعدد الحمولات الرمزية التي تخلط فيها الرواية بين الرموز الدينية ومشاغل الاهتمام التاريخي بالحقائق، فإشعاع المدينة المعروف لا يلبث أن ينقلب إلى رغبة في تأويل وتفسير هذا الخراب الضخم والمحير، فنلتفت هنا بقوة إلى أهمية عنصر الطوفان (العرقة أو بومعروق بالتعبير المحلي) الذي تدور حوله الرواية الوحيدة، ولا ننفي هنا سيطرة المرجعية الدينية إذا نحن تذكرنا بأن العناصر الحكائية المكونة للرواية تستلهم بشكل مورفولوجي قصة سيدنا نوح مع ساكنة ناطقة بالعربية، هكذا يدفعنا هذا التنظيم الشكلي إلى التأكيد على المفاهيم الرمزية للطوفان والانتباه إلى مستويات تعريب "الذاكرة المحلية" وهي مواضيع يجب أن يطرقها ميدان الأدب الشفوي. بين الحقيقة التاريخية والرغبة في التفسير يقع عنصر"الخربة" كمهماز للمخزون الثقافي، فالطوفان يصبح مدمرا لأن درجة الإيمان باتت ناقصة لكنه في نفس الوقت يكون متبوعا بتجديد المساكنة، لأنه في الحقيقة ينتج عن أخطاء سابقة ويظل الماء في هذا الوضع دلالة على اغتسال جماعي من الذنب وعلى مستوى لاحق مطلبا لطهارة هذا الجيل اللاحق (*Dictionnaire*, 182) زيادة على كونه شهادة للاعتبار من "الخربة"، دون أن نغفل طبعا عنصر الماء وحضوره في فترة يُؤرخ لها القرنان الثالث عشر والرابع عشر

للميلاد المطبوعان تدريجيا بندرة خطيرة وجفاف مميز حتى إن من بين احتمالات انقراض نول لمطة قلة الماء وقرب تاگاوست من المحور الساحلي (Naïmi, *Le pays Tekna*, 127).

إننا نؤكد هنا على نجاعة البحث والتفكير في محاور الطوبونيميا والميكروطوبونيميتا كعوامل مساعدة لتخطي الفقر المعرفي الخاص بوادي نون أولا ولدورها في توجيه مساعي التنقيب الأركيولوجي في المنطقة من جهة ثانية.

أحمد جوماني، *المدينة المغربي في العصر الوسيط، نول لمطة نموذجا*، بحث لنيل شهادة الإجازة في التاريخ، جامعة ابن زهر، كلية الآداب أگادير، 1993 - 1994 ؛ مصطفى ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة : تاريخ العلاقات التجارية والسياسية*، عكاظ، 1988.

Jacques-Meunié, *Le Maroc saharien des origines à 1670*, Vol.I, Paris, 1982 ; J.Chevalier et A .Gheerbrant, *Dictionnaire des symboles*, vol.I. Paris, 1974 ; M.Naïmi, Le pays Takna : commerce et ethnicité avant la constitution conféderale, in *Le Maroc et l'Atlantique*, Rabat, 1992.

خرّوبة (عين -) توجد في المنطقة الممتدة ما بين مدشري أسرير وتغمرت حاليا (بوادي نون) مع ميلها النسبي نحو الجنوب، وترجعها الرواية الشفوية إلى الاستغلال السقوي المبكر لمدينة نول لمطة عاصمة المنطقة في الفترة المرابطية، فالمخلفات الأثرية لنظام سقوي متطور ما تزال تشهد على الأهمية التي كان يوليها السكان لمياه العيون، ولعل الامتداد الجغرافي للمدينة الذي تشير إليه وفرة الأنقاض سيكون قد جعل البساتين منتشرة على طول المجال الفسيح الرابط بين المدشرين حاليا، لكن الرواية الشفوية مع ذلك تتحدث عن عيون مائية بوادي صياد (وادي نون)، فهل يعني ذلك تعددا للموارد المائية أم اختلاطا في معطيات الذاكرة الشعبية ؟ ولماذا نجد گويرة تاناست (السلطة = آنية لتوزيع حصص الماء) محاذية لضفاف وادي صياد بعيدا عن تغمرت ؟ وبالمقابل أي معنى نستنبطه من كون السواقي التي ظهرت الآن بفعل عوامل التعرية، متجهة في شكل انحنائي منحرف عن وادي صياد ومتجه نحو عين خروبة ؟ ألم يلتفت الحميري نفسه إلى هذا التعدد إذ صرح بأن مدينة نول "ماؤها جار" ؟ (الحميري، 524).

والأكيد جدا أن علي بودميعة (أبو حسون السملالي) حين سيطرته على وادي نون والصحراء في القرن السابع عشر، قام باستغلال عين خروبة من أجل تزويد مغارسه الواسعة بالماء المنتظم، قبل أن يعمل السكان فيما بعد على تخريب منشآته وأهمها البنيات السقوية إذ ما تزال بقايا الخطاطير (ج، خطارة) المنطلقة من عين خروبة منتصبة إلى الآن، فلماذا إذن لم يعمل بودميعة على استغلال العيون الأخرى الموجودة شرقي تغمرت ؟ ولماذا ركز على نظام الخطاطير ؟ هل كان يطمح ويبحث عن موارد تغنيه أو تجعله مستقلا عن ملكيات جماعية من شأنها أن تفشل مساعيه الاستثمارية ؟ ثم هل فعلا قام بإعادة استغلال عين خروبة بعد أن جفت كما تميل إلى ذلك أغلب الروايات الشفوية ؟ واضح فعلا أن النزاعات حول الماء في القرن الثاني عشر بين أهل أسرير وأهل تغمرت والتي تتكرر أكثر في بيوغرافية الولي محمد بن عمرو الأسريري لم تكن تعني سوى العيون التي ما تزال مستثمرة إلى الآن مما يشفع لنا في إمكانية التأكد من أن عين خروبة قد أتت عليها حروب وأزمات القرن الثاني عشر أو ربما أيضا القرن الرابع عشر، إذا نحن علمنا أن من بين أسباب اضمحلال نول لمطة نقصا خطيرا في عنصر الماء. غير أن مصطلح "خروبة" الذي لا نجد له تفسيرا في القاموس السوسيو-اقتصادي المحلي في الوقت الذي نصادفه في موازين وأكيال السوائل في اللغتين الإسبانية والبرتغالية، خاصة في الجهات التي خضعت لسيطرة القوى الإيبيرية، يزيد من ضرورة الاستنطاق التاريخي واللساني للمعطيات الجهوية في أبعادها الواسعة، فهل تؤرخ عين خروبة فيما بعد لاستغلال فلاحي إسباني في المنطقة أو على الأقل مجرد تنظيمات تضمن منتجات من هذا الميدان ؟ الرواية الشفوية في غياب معلومات موثقة تشير إلى منشآت كثيرة متعلقة بالتخصص السقوي كإنشاء سد تقليدي بوادي صياد وترميم السواقي... حتى إن سيطرة المشاريع المرتبطة بالسقي تكاد تستحوذ على جل روايات ماضي الوجود الإسباني المبكر بوادي نون. ألم تشر وثيقة في أواخر القرن الخامس عشر (مؤرخة في سنة 1499) بتبعية تغمرت للتاج الملكي الإسباني ؟ (P.Cénival-R.Ricard).

وعلى العموم فالعمليات الأركيولوجية ستجيب وحدها عن مجمل هاته التساؤلات التي تظل إلى الآن معلقة، وستسمح برفع حجاب الغموض عن طبيعة الأنشطة السقوية وعن تطورها طوال الفترة الممتدة لربما حتى ما قبل المرابطين. Chappelle.

الحميري، *الروض المعطار*، تحقيق، إحسان عباس، ط 2، بيروت، 1980.

P.Cenival et F. De La Chappelle, Possessions espagnoles sur la côte occidentale d'Afrique, *Hesp., 2-3 trimestre*, 1935 ; Jacques-Meunié, *Le Maroc saharien des origines à 1970*, vol. I, Paris, 1982 ; M.Naïmi, *Le pays Takna, commerce, histoire et structure*, Fac. Des Sci.Jur.et Soc., Univ. Med. V, Rabat, 1987.

أحمد جوماني

الخلجان (معركة -) سنة 1910 ويطلق عليها كذلك وقعة "برجيمات". ذلك أن مجموعة من أولاد دليم يقودها كل من سيد أحمد بن ميشان وأحمد بن عبيد الله اعترضت قافلة فرنسية كبيرة محملة بالمؤن والبضائع قادمة من السنغال لإمداد العساكر الفرنسية المتمركزة في موريتانيا، وتلاحمت معها عند "برجيمات" في اشتباك خاطف وعنيف لم يقو معه عناصر القافلة من الصمود فولوا الأدبار فارين نحو معسكر فرنسي قريب من

"برجيمات، تاركين القافلة بحمولتها وجثتي اثنين من قتلاهم في الميدان. وانسحب المهاجمون بغنائمهم نحو الشمال. إلا أن قوة فرنسية كبيرة مدعمة بفرقة من "الـگـوم" اقتفت آثارهم ولحقت بهم عند "الخلجان" دون أن يثيروا انتباه المقاومين الذين باغتهم هجوم الفرنسيين في محاولة لاسترداد القافلة وحمولتها، وبعد قتال عنيف شرس واستماتة في الدفاع لم يستطع العدو استرجاع القافلة وحمولتها. وقد كلفت هذه المعركة المقاومين خمسة شهداء من بينهم سيد أحمد بن ميشان ومحمد الحبيب بن الجمجي.

وقد ذكر هذه المعركة الرائد الفرنسي جيليه (Gillier) في كتابه "التوغل الفرنسي في موريتانيا" ص. 207 - 208 إلا أنه لم يعترف سوى بمقتل جندي واحد وجرح آخر من القوات الفرنسية.

الطالب أخيار بن الشيخ مامينا، الشيخ ماء العينين، *علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي*، ج 6، ص. 395 - 396.

Commandant Gillier, *La pénétration en Mauritanie*, p. 207 - 208.

ماء العينين مربيه ربه

الخلخال، حلي تزين به ساق النساء ويُصنع من الفضة أو الذهب، يأخذ شكلاً دائرياً غير مكتمل ينتهي بكعبين كبيرين بينما تكون الواجهة مصفحة ومزينة بأعداد وأشكال مختلفة من النقوش، ويسمى الزوج المتشابه منها توأماً، تضعهما النساء في أرجلهن عند ملتقى الساق والقدم، ويشيع استعمالها بشكل واسع في المناطق الصحراوية ومنذ زمن بعيد في إفريقيا الغربية والسودان وشمال إفريقيا عموماً.

يعتبر الخلخال من أهم مكونات وعناصر الحفول لدى المرأة في هاته المناطق (اخفول : معلمة) إذ يسمح بتمديد الزينة حتى أسفل السيقان ويسمح للمرأة في أماكن تعتمد على الترحال خاصة بنقل هذه الملكية الهامة من الفضة دون عناء، ما دامت الفضة هي المادة الرئيسية التي يُصنع منها الحلي بالمناطق الجنوبية كما تشهد على ذلك وثائق ترجع إلى القرن الثاني عشر (18م) على الأقل، فإن الخلخال يختزن قدراً مهما من الفضة الخالصة إذ يبلغ وزن الواحد منها 300 غرام تقريباً (Puigaudeau : 40).

وما تزال العديد من النساء إلى الآن يستعملن الخلخال للزينة رغم تراجع ارتدائه بسبب كثافة الاعتماد على الحلي الذهبية.

O du Puigaudeau, Arts et coutumes des Maures, *H. – T., 1970.*

أحمد جوماني

الخمس (آيت -) هي قبيلة من قبائل آيت باعمران، يحدها من الشمال قبيلة آيت عبد الله وآيت النص ومن الجنوب ومن الغرب مستي واصبويا ومن الشرق قبيلة الأخصاص.

وتنقسم آيت باعمران من حيث الانتماء إلى إد بوبكر ويحيي و إد باها ويحيى الذي يضم كلا من القبائل التالية : اصبويا وآيت عبد الله وآيت اعزى وآيت الخمس.

وهي إحدى قبائل آيت باعمران الكبرى. سيمت آيت الخمس بهذا الاسم لأنها قبيلة كبيرة تتكون من خمسة فخذات كبرى هي : آيت السيمور أكثر الفخذات تعدادا بشريا و آيت علي اكوك و آيت موساكنا و آيت أيوب. في حين انضمت إليها عن طريق الذبيحة فخذات تابعة أخرى هي ادا اوسوكم والسماهرة و آيت اعلاتن.

ويتكلم آيت الخمس بتاشلحيت وينتشرون بجزء كبير من حوض وادي إفني وروافده : اسيف وندر واسيف ندلعروصي، ولهم أراضي فلاحية خصبة بحوض املو. ويعتمدون في مياه الشرب على مياه الأمطار المخزنة بالمكفيات أو بعض العيون ك "تالعينت أن بلا أو حمو" بتانكارفة بآيت السيمور.

ولهم على منحدر وادي نون واحة اكيسل وبالقرب منها منبع اباينو المشهور بحامته الساخنة القريب من ضريح سيدي سليمان بوتوميت، غير أن هاتين الواحتين ينتميان اداريا إلى إقليم گلميم. وغير بعيد عن الاثنين، في حوض تانكارفة، على الطريق الكبرى للجنوب، توجد زاوية سيدي سليمان التي يقام بها موسم ديني سنوي.

والصلحاء الاخرون هم : سيدي بوملحافت في جبل تانكارفة بين قبيلة آيت الخمس وقبيلة آيت عبد الله الباعمرانية، وسيدي مسعود الزينة في سهل املو الذي يعقد به موسم ديني سنوي.

ولآيت الخمس مدارس عتيقة مشهورة في حفظ القرآن وتعليم العلوم الشرعية وهي مدرسة آيت يوب ومدرسة تادارت بآيت علي اكوك ومدرسة تانكارف بآيت سيمور.

ولهم سوق تعرف باثنين آيت سيمور غير أن هذا السوق توقف نشاطه، وأصبح يعقد هناك سوق السبت تانكارفة. ويتبضعون كثيرا بسوق الخميس تيوغزا بتاكراكرة بقبيلة آيت بوبكر أو في مدينة سيدي إفني وگلميم.

وعرفت آيت الخمس باعتبارها الخصم التقليدي لقبيلة اصبويا الباعمرانية، مما جعل آيت باعمران تنقسم إلى لفين متصارعين هما لف آيت الخمس ولف اصبويا. وما لبثت كل واحدة منهما أن وسعت من أحلافها إلى خارج اتحادية آيت باعمران باللجوء إلى قبيلة الأخصاص وقبائل تكنة التي كانت هي بدورها تنقسم إلى لفين متصارعين هما لف آيت الجمل بزعامة آيت الحسن ولف آيت عثمان بزعامة أزوافيط. وقد تحالف اللف الأول مع لف آيت الخمس فيما تحالف اللف الثاني مع لف اصبويا، ودارت عدة معارك بين الطرفين أشهرها معركة بيوكرى ومعركة أسيف وندر. إلا أن الصراع بين القبيلتين ليس هو السمة الدائمة بينهما، وانما هناك أحيانا أخرى تلاحم يجمعهما في مواجهة خصم خارجي هو المدني الأخصاصي مثلا في معركة اغري نجامع.

وتعتبر آيت السيمور فخذة المشيخة بامتياز في قبيلة آيت الخمس. ومن بين الشيوخ الذين كانوا يرأسون القبيلة، علي السيموري الذي كان شيخا على آيت الخمس ثم ورثها عنه ابنه يحيى بن علي. وبعد ذلك تولى المشيخة أحد أبناء عمومتهم في بداية القرن 19 وهو الشيخ محمد الباعمراني الذي دعاه السلطان مولاي عبد الرحمن سنة 1240 / 1824 إلى نصرته بعد أن تولى الحكم.

وتولى كذلك المشيخة في القبيلة كل من الشيخ يحيى بن الشيخ علي وابن عمه الشيخ إبراهيم بن الشيخ محمد الاسيموري، إذ أن مولاي عبد الرحمن في رسالة وجهها سنة 1244 / 1828 حثهما على أن يتم الإحسان إلى حامل الرسالة وهو الفقير أحمد بن محمد فضال لقبا الباعمراني ومساعدته على القبض على أحد عبيده الذي هرب له قبل موسم الحرث.

وكان من بين شيوخ آيت السيمور كذلك أولئك الموقعين سنة 1290 للهجرة على الاتفاق المتعلق بالأوفاق العرفية الذي حصل بين جماعة آل بهى ويحيى والتي تضم آيت عبد الله وآيت سيمور واد موساكنة و آيت أيوب و آيت علي واصبويا وهم : الشيخ بهى بن بحليس والشيخ محمد والشيخ يحيى بن يحي، إلى أن حلت حركة السلطان مولاي الحسن الأول سنة 1886 إلى آيت باعمران وعين أثناءها من ضمن قياد الجنوب علي بن إبراهيم بن بوهيا بوحلايس المنتمي لفخذة آيت سيمور وتخلى عن ترقية الشيخ يحيى بن يحيى لهذا المنصب. غير أن أسلوب تدبير القائد لشؤون القبيلة سيعرض منزله للخراب بعد وفاة السلطان. ولما عادت الهدنة إلى القبيلة استرجع مكانته، وبعدها توفى سنة 1340 / 1921 بمنزله القريب من جهة الغرب لبلدة تانكارفة.

وبعد وفاة القائد عادت آيت الخمس من جديد إلى نظام الشياخة، حيث تولى الشيخ الحسين بن يحيى هذا المنصب إلى أن قضي عليه على يد القائد أحمد أصواب العزاوي في معركة كانا حلفاء فيها مع زعماء آخرين من آيت باعمران في مواجهة القائد بوهيا الأخصاصي. وخلفه في المشيخة ابنه سعيد بن الحسين بن يحيى المعروف بأمغار سعيد، حيث اتفقت آيت الخمس على توليته لتسيير أمورها وذلك في الأول من صفر عام 1362 للهجرة. وكان أمغار سعيد رمزا من رموز آيت باعمران في مرحلة السيبة والاستعمار إلى أن توفي سنة 1957.

لقد عرفت آيت الخمس برئاسة أمغار سعيد عدة نزاعات قبلية يكون ميدانها في الغالب آيت باعمران وتحالفاتها تتعدى ذلك إلى قبائل تكنة وآيت جرار. لكن ذلك سينحصر بتدخل طرف جديد ثالث ومختلف وهو الاستعمار الفرنسي في المنطقة.

لقد تحالفت آيت باعمران ومن ضمنها آيت الخمس على مقاومة التدخل الفرنسي الذي قاده حيدة بن مويس في المنطقة. لكن مقتل هذا القائد في المعركة على مشارف آيت باعمران وغنم الكثير من الذخائر أرغم ذلك القوات الفرنسية على التراجع.

وفي السنة الموالية عادت فرنسا بقيادة الجنرال دو لاموط لاسترجاع أسلحتها دون نية التدخل في المنطقة بعد أن حسمت الأمر مع إسبانيا حول مناطق توزيع النفوذ. وقد توغلت القوات الفرنسية إلى المكان المسمى إسك بآيت باعمران واستردت أسلحتها وتراجعت إلى مشارف تيزنيت دون نشوب أية مناوشات، ووقعت بعد ذلك مع أعيان آيت باعمران اتفاق تيزي الشهير الذي غاب عنه شيخ آيت الخمس أمغار سعيد والذي ناب عنه ابن عمه محمد أفقير. ومن تم توالت اتصالات رؤساء وأعيان قبائل آيت باعمران مع إسبانيا بالصحراء. وقد كان للشيخ سعيد عدة اتصالات مع حاكم طرفاية حول دخول إسبانيا إلى سيدي إفني وآيت باعمران.

وكان أمغار سعيد من رؤساء وأعيان آيت باعمران ممثلا لقبيلة آيت الخمس الذين استقبلوا الكولونيل أوثبالدو كباث (Osvaldo Capas) بالمكان المسمى أمزدوغ عندما دخل سيدي إفني بتاريخ 6 أبريل 1934. وعندما اتفق مع الكولونيل مع هؤلاء الرؤساء والأعيان قام بجولة في المنطقة لمعرفة حدود آيت باعمران حيث زار من خلالها تاكنزا وآيت سيمور واكيسل بتراب قبيلة آيت الخمس.

وفي 2 ماي 1934 أعاد كباث تثبيت أمغار سعيد على راس مشيخة آيت الخمس. وفي 8 ماي 1934 طلب منه جمع أسلحة القبيلة وتسليمها لسلطته بسيدي إفني. ثم أقام سوقاً أسبوعية هي اثنين أملو سنة 1937 تتوسط فخذات قبيلة آيت الخمس قرب مزار سيدي مسعود الزينة وغير بعيد من زاوية سيدي سليمان الشهيرة بالمنطقة.

وفي 11 محرم سنة 1355 للهجرة اتفق أعيان آيت الخمس على أحداث سوق أسبوعي على أرض القبيلة وكان ذلك بأملو قرب ضريح الولي الصالح سيدي مسعود بن الزين.

ولما اشتعلت نار الحرب الأهلية الإسبانية فيما بين 1936 و1939، شارك فيها رجال آيت الخمس. ولما انتهت الحرب، طالب الحاكم الإسباني بسيدي إفني من أمغار سعيد إحصاء القتلى من أبناء القبيلة الذين توفوا في هذه الحرب من أجل تعويض ذويهم.

وفي سنة 1945، قدم أعيان آيت الخمس وثيقة تحمل توقيعاتهم مرفوعة إلى حاكم سيدي إفني الكولونيل خوسي بريميخو (José Bermejo) يرفضون فيها سياسة التجنيس التي أرادت إسبانيا تطبيقها حيال الباعمرانيين. فقد ثارت آيت الخمس ضد عملية التجنيس. وانتفضت 1947 تطالب بجلاء المستعمر، ولما تدخلت القوات الإسبانية فر البعض من سكان آيت الخمس إلى قرية اكيسل التابعة للقبيلة بوادي نون وقبض على الكثير من رجالاتهم وزج بهم في سجن سيدي إفني وكان من بينهم الشيخ سعيد الذي اقتيد إلى سجن الداخلة حيث مكث هناك زهاء ستة أعوام.

وقد عرفت آيت الخمس أسوة بالقبائل الباعمرانية الأخرى هجرة مكثفة نحو المدن المجاورة نظرا لتوالي سنوات الجفاف وندرة المياه الصالحة للشرب وعدم

وجود مرافق صحية وتعليمية. وهي تعتمد في نشاطها اليومي على الفلاحة وفي مداخيلها على عائدات المهاجرين بالخارج.

مقابلات مع بعض الشيوخ من آيت باعمران صيف 1998 وربيع 2009 ؛ عبد الرحمن ابن خلدون، *المقدمة*، دار الرشاد الحديثة (د. ت) ؛ *وثائق خاصة بقبيلة آيت الخمس* ؛ رسالة بين السلاطين العلويين وشيوخ وقواد آيت باعمران ؛ *رسائل* بين أمغار سعيد بن الحسين شيخ آيت الخمس والحكام الإسبان بسيدي إفني ؛ عبد الرحمن بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ج 1 و2، المطبعة الوطنية، الرباط، 1930 ؛ المختار السوسي، *المعسول*، ج 4 و20، مطبعة فضالة، المحمدية، 1960 ؛ علي المحمدي، *السلطة والمجتمع في* المغرب، نموذج آيت باعمران، دار توبقال للنشر، 1989 ؛ محمد بن أحمد الأكراري، *روضة الأفنان في وفيات الأعيان وأخبار العين وتخطيط ما فيها من عجيب البنيان*، تحقيق، حمدي أنوش، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أگـادير، 1998.

A. Le Chatelier : *Tribus du sud ouest Marocain : Bassin côtier entre Sous et Draa*, Ernest Leroux Editeur, Paris, 1981 ; Lieutenant-Colonel Justinard : Villes et Tribus du Maroc, Tribus Berberes, Tome I, *Les Ait Ba Amran*, Honore Champion Editeur, Paris, 1930 ; F. De Lachapelle : Les Tekna du Sud Marocain, *Bulletin du comité de L'Afrique Française*, 1934 ; Monteil V. : *Notes sur Ifni et les Ait Ba-Amran*, Edition Larose, Paris, 1948 ; Monteil V. : *Notes sur Les Tekna*, Edition Larose, Paris, (V) 1948 ; Jeronimo Saénz Martinez : La vivienda en el Territorio Espanol de Ifni, *Archivos del Instituto Africano*, III, 7, Madrid, 1949 ; Manuel LLord O'Lawlor : El Territorio de Ifni y su Derecho, *Boletin de la Sociedad Cientifica Hispano-Marroqui de Alcazarquivir*, No. 2, 1950 ; Hart D.M. : The Ait Ba'Amran of Ifni : an ethnographic survey, *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, Vol. 15, Num. 1, 1973.

محمد شرايمي

الخنّوس (آيت -) تعتبر هذه الكلمة إسما لفصيلة من أهم فصائل قبيلة أزوافيط التي تنتمي إلى لف آيت بلة باتحادية تكنة (أنظر مادة *أزوافيط بالمعلمة*). ويعد مقر إقامة آيت الخنوس هو مدشر تيغمرت حيث كانت تتمركز قديما نول لمطة عاصمة المرابطين بمنطقة وادي نون (أنظر مادة *تيغمرت بالمعلمة*). نتساءل من هنا عن مدى ارتباط هذه الفصيلة بالغور السكاني الأقدم ؟ فتجيبنا المصادر العربية خاصة منها مصادر القرن السادس الهجري (12م)، بوجود نفس الإسم غير ما مرة بأماكن متعددة من جبال وقبائل الأطلس والريف. نبقى من هنا أمام أكثر من تساؤل، ولا يسعنا إلا أن نضيف هذا السؤال إلى غيره من الأسئلة العالقة بشأن هذه الفصيلة. مهما يكن من أمر فالغالب على آيت الخنوس هو ارتباطها اللصيق بصنهاجة الصحراء وحداثة عهدها بالحسانية كما يكشف ذلك الفحص الميداني.

من خلال أي جرد لنوعية العلاقات التحالفية بين هذه الفصيلة وباقي كبريات فصائل قبيلة أزووافيط خلال القرون الثلاثة الماضية، يتضح جيدا أن تنافسا قويا بينها قد هدد غير ما مرة الوحدة القبلية بسبب حدة التنافس من أجل مراقبة المجال وخاصة منه الحقول المسقية المحيطة بمدشري تيغمرت وأسرير. فتتضح بذلك للمدقق المقدرة الدفاعية الحربية لآيت الخنوس ومحافظتهم على استقلالية قرارهم وفرض رأيهم على باقي الفصائل.

ويعتبر الكوري الخنوسي أبرز شيوخ آيت الخنوس خلال القرن الثامن عشر (18م). فقد كانت له من المقدرة الحربية ما أهله لحماية قوافل التجار حتى تمبكتو مرورا بتيندوف وتاودني. ولا تزال أبراج قصبته بمدشر تيغمرت ترسم معالم نواة سلطوية يدل عليها عدد الحراطين وسليلي العبيد المقيمين بها إلى يومنا هذا. ولم تكن يومها گلميم قد ظهرت كعاصمة تجارية لوادي نون. وهو ما تشهد به الكنانيش التجارية التي تذكرنا اليوم بأهمية أهل الكوري بقصبة تيغمرت وبحجم تجارتهم على امتداد مسالك الصحراء. ولا شك أن هذه القصبة كانت تمثل يومها آخر مظاهر الحياة ببقايا نول لمطة القديمة. بل إن الكوري الخنوسي يعتبر بمثابة آخر السلط المحلية القوية بهذه العاصمة المرابطية. و لربما كان في ذلك ما يشهد على قدم آيت الخنوس وعلى مدى تشبثهم بالأرض المسقية والمجاورة.

معلمة المغرب، *أزوافيط* ؛ تيغمرت.

مصطفى ناعمي

الخيمة، تشتهر البيئة الصحراوية بخيامها المنتشرة والكثيرة على طول الصحاري، ورغم أن الحياة المدنية اقتحمت الأجواء لكن الخيمة مازالت تشكل تراثا ومكونا أساسيا في حياة الإنسان الصحراوي.

فخيمة فلان يعني عائلته التي تجسد إطارا قويا للعلاقات الاجتماعية والعائلية، فإن قيل خيمة أهل فلان، تعني أسرتهم الصغيرة أو الكبيرة، وإذا قيل فلان تخيّم أو استخيم بمعنى تزوج... وشكل عائلة ما ...

والخيمة المنزل أو مكان الإيواء التي يستقر فيها الصحراويون خاصة الرحل منهم والذين يعيشون حياة الترحال والرعي.

وتتميز الخيمة بشكلها المثلث الذي يحمي ساكنها من الرياح والأمطار، وتنسج الخيمة الصحراوية ذات اللون الأسود من شعر الماعز أو وبر الإبل وقد يضاف لها صوف الغنم، وتتكون من عدة أجزاء.

لكن مع التقدم المادي والحداثة التي اكتسحت الفضاء الصحراوي فقد بقي لها مدلول خاص، إذ عوض أن تكون قائمة في بادية الصحراء فهي مجموعة وجاهزة للاستعمال في أي وقت في المنزل المبني بالآجُرْ والإسمنت ويقتصر دورهـا على توظيفهـا فـي خرجات للبادية قد تطول أو تقصر خاصة أيام العطل ونهاية الأسبوع وفي فصل الربيع أو لنصبها أمام المنازل في مختلف المناسبات العائلية خاصة الزفاف.

ويسمى كل جزء "افليج" وجمعها فلجة، وتختلف الخيام اتساعا وضيقا حسب إرادة صاحبها وقدرته ومكانته داخل القبيلة، ويختلف طولها وعرضها إذ قد يصل إلى 20 مترا وأصغره 10 إلى 8 أمتار.

ويعتبر اليوم الذي تخاط فيه الخيمة احتفاليا بكل المقاييس لدى صاحب الخيمة، ففيه تجتمع النسوة للخياطة. وعلى ربة البيت إعداد وطهي الطعام والشراب خاصة لحم الإبل أو الغنم والشاي واللبن، وأثناء الخياطة يتم بسط الفلجة الواحدة بجانب الأخرى في مكان ملائم ومنبسط، وتوضع الفلجة مرتبة حسب نمط محكم فهناك تداخل منظم بين الفلجة القديمة والجديدة حين يتعلق الأمر باستبدال أو تجديد جزئي من الخيمة.

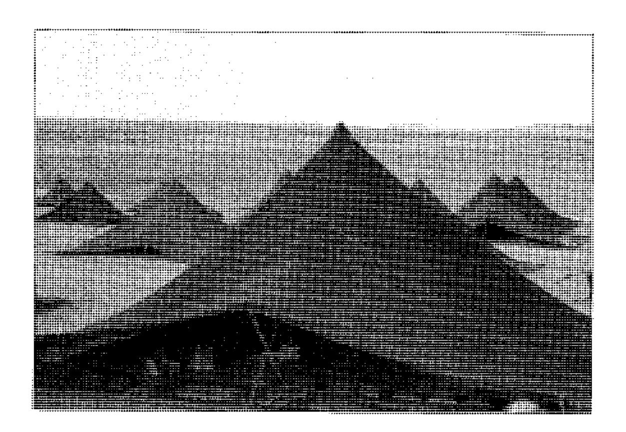
وتقف الخيمة على ركيزتين أساسيتين يشدهما من الوسط حبل جلدي غليظ يسمى "لعصام" وعند مدخلها عمودان يسميان "البابين"، ويسمى أوسطهما الثالث "المسمك" ويشدان إلى الخيمة بحلقتين حديديتين تسميان "الحلكات" خيطت مع الجزء الأمامي للخيمة الذي يمتد على طول مدخلها ويسمى "المطنبة" وهي عبارة عن تفليج عرضه يقارب الثلاثين سنتمترا تقريبا. وتحتوي الخيمة على كل ما يمكن أن يحتويه البيت من ممتلكات الإنسان الصحراوي فهي تفرش بالحصير المصنوع من السمار وهو نبات طويل ملولب الشكل حاد الرأس وتبسط في جوفها الزرابي الصوفية أو الغير مزركشة وهي الأكثر شيوعا وتسمى "لكطيفة" ذات اللون الأحمر، أما في جوانب الخيمة فتقف محامل خشبية تسمى الرحلة تمد فوقها أعمدة تسمى "اشداديم" لتحمل "التيزياتين" وهي الحقيبة الجلدية المربعة الشكل التي يخزن فيها كل ما خف حمله وغلا ثمنه. ويتم رفع الخيمة بواسطة عمودين "ركايـز"، ويشد هذين العمودين بعضهما البعض بحبل، ويتم تثبيت الخيمة على الأرض بواسطة أوتاد تسمى "أخوالف".

الطالب بويا لعتيك، *شذرات من التراث الحساني* منشورات طارق بن زياد للدراسات والأبحاث، 1999 ؛ إبراهيم الحسين، *التراث الشعبي الحساني، العناصر والمكونات*، 2004.

محمد البوزيدي

خيمة السَّاحل : هي نوعية السكن الوحيد الذي كان سائدا في مناطق درعة السفلى والساقية الحمراء ووادي الذهب. وهو خباء ينسج من شعر الماعز أو من وبر الإبل، أو منهما معا. وصناعة "الخيمة" هي مهمة نسائية محضة، حيث يجتمع النسوة ويقمن بنسج وغزل الشعر أو الوبر ويصنعن قطعا كبيرة تدعى "الفلجة" جمع "أفليج" وفي مرحلة ثانية يقمن بجمع هذه القطع خلال أيام معلومـة في إطـار نوع من العمـل الجماعـي يدعى "اتويـزة". ويقترب الرجال من هذا التجمع النسائي. وإذا اقترب أحدهـم من هـذه الجماعة، يقمن برميه بكبة من شعر الماعـز وآنذاك يصبح الرجل ملـزما بدفع مبلغ من المال أو رأس من الغنم أو قطع من السكر كضريبة مـرور.

وعند الانتهاء من نسج الخيمة تعد هؤلاء النسوة وليمة جماعية ويتم الاحتفال ببناء الخيمة حيث توزع المكسرات أو قطع السكر أو الفستق على الأطفال. على أن ما يميز "خيمة الساحل" عن خيام شمال الصحراء وعن خيام جنوب موريتانيا، هو أن وبر الإبل يكثر فيها على حساب شعر الماعز، وذلك راجع إلى نوعية قطعان الماشية، ففي الساقية الحمراء ووادي الذهب تكثر الإبل وتقل الأغنام خاصة منها الماعز. والخيمة تتخذ شكلا مستطيلا وبابها موجه دائما نحو الجنوب لمعاكسة اتجاه الرياح، وكان طول الخيمة يقاس بالـذراع فيقولـون خيمـة

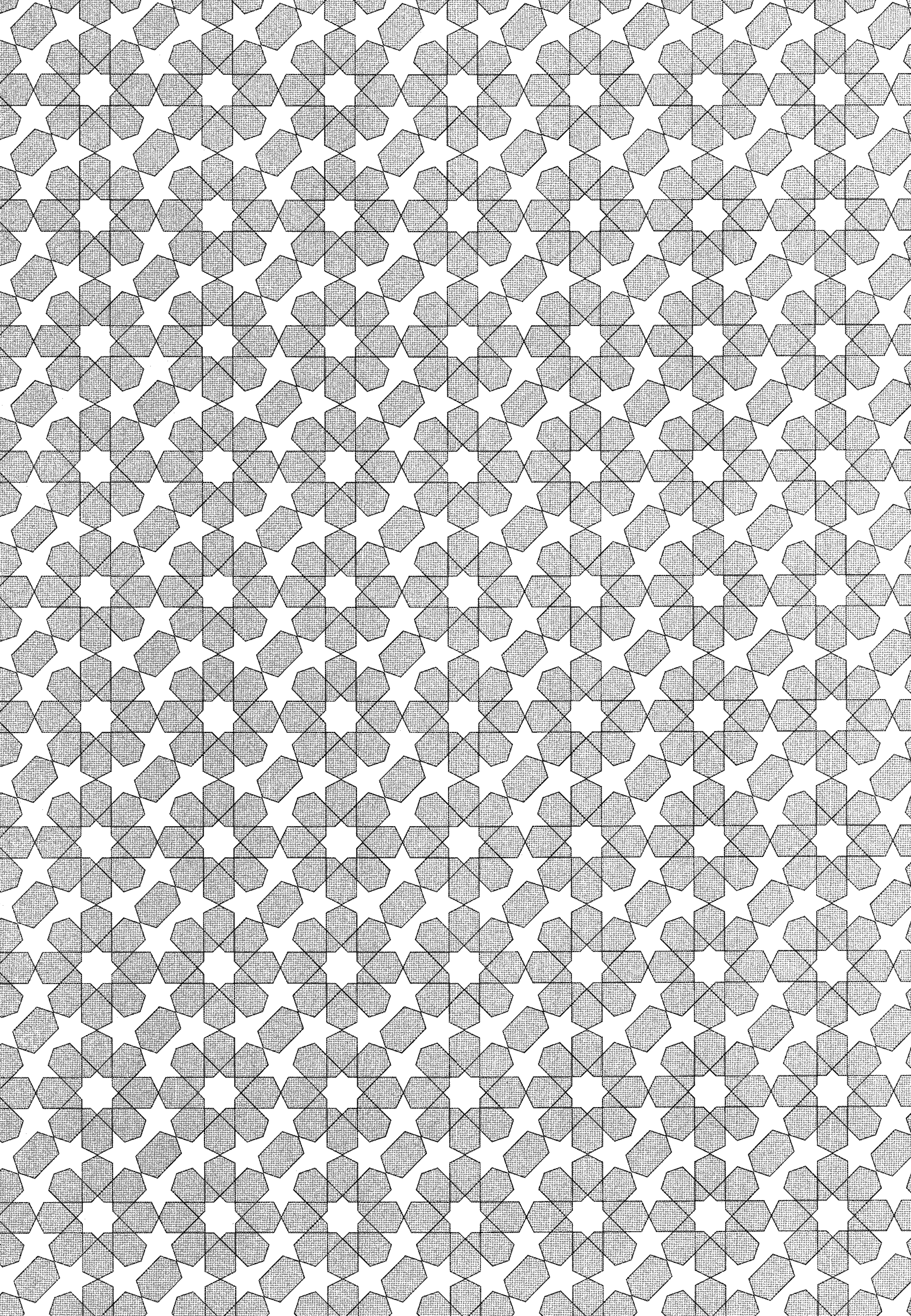


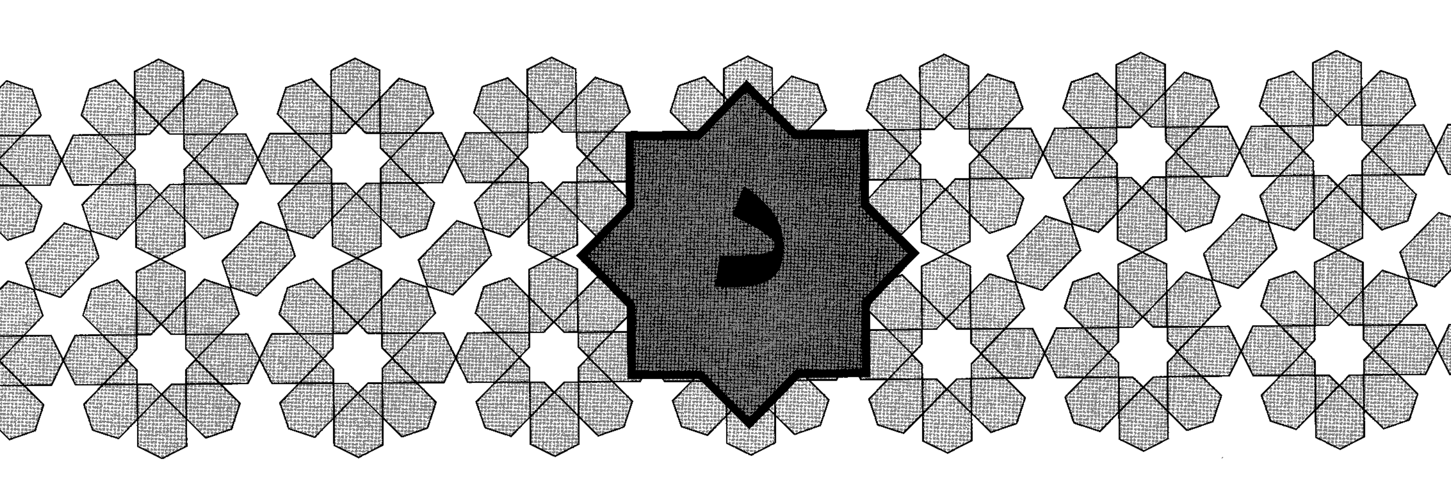
من 20 ذراعا أو خيمـة من 25 ذراعا، وذلك حسب غنى وفقر العائلات. وهذا الخباء يجدد كل سنة، وهي العملية المسماة ب "تـگـلاب الخيمة" حيث يقومون باستبدال "افليج" مكان آخر، أو تجديد "مطنبة" (الحاشية الأمامية أو الخلفية للخيمة) مكان أخرى. وهناك اختلاف في شكل تجهيز الخيمة والإقامة بها، فخيمة القبائل المحاربة مفتوحة وليس فيها فصل بين مكان للنساء وآخر للرجال عكس خيام القبائل الزاوية وقبائل تكنة التي تضع ما يسمى ب "الساتر" ليفصل ما بين مجال تحرك النساء ومجال حركة الرجال. أما خيمة الحرفيين فهي عبارة عن مكان سكن وورشة عمل حيث يلتقي الناس ويتم التواصل ما بين مختلف الفئات الاجتماعية على اختلاف سنهم وجنسهم. واليوم حصل تحول على مستوى مادة خياطة الخيام، حيث انقرضت خيام الشعر لصالح خيام الثوب "أخيام آدرابيل" التي تتم خياطتها بسرعة، كما يتم بناؤها في ظرف وجيز، وهي ذات لون أبيض وتتم زركشتها من الداخل بألوان زاهية وهي المشاهدة اليوم في بادية الأقاليم الصحراوية.

محمد دحمان، *الترحال والاستقرار بمنطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب*، مطبعة كوثر، الرباط، 2006 ؛ المختار ولد حامد، *حياة موريتانيا*، الجزء الثاني، الدار العربية للكتاب، تونس، 1990 ؛ الشيخ محمد المامي بن البخاري، *كتاب البادية*، نشر زاوية الشيخ محمد المامي بأنواذيبو، موريتانيا، ب .ت ؛ أم كلثوم بنت الغلاوي، *أثاث وزينة المرأة الشنقيطية في القرن 13 هـ* بحث لنيل المتريز من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، انواكشوط، 1990.

Angel Flores Morales, *El Sahara Español*, Madrid, 1946 ; Caro Baroja, Julio, *Estudios, saharianos*, Madrid, I.E.A. 1955 ; Caratini, Sophie, *Les Rgaybat*, 1610 – 1934, tome, II, L' Harmatlan, Paris, 1989 ; Tony Hodges, *Historical Dictionary of Western Sahara, London*, 1982.

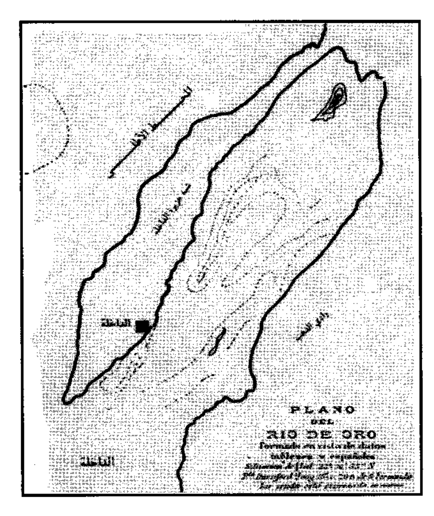
محمد دحمان




د

الداخلة (تاريخ) : شبه جزيرة تقع في إقليم وادي الذهب، عبارة عن رأس صخري يبلغ طوله 37 كلمتر داخل المحيط الأطلسي، مكونة بذلك خليجا عرف بخليج وادي الذهب الذي تتوسطه جزيرة تدعى "كـارة لمنيعة". في شبه جزيرة الداخلة شيد الإسبانيون مركزا عسكريا سنة 1885 وسموها بيّا ثيسنيروس (Villa Cisneros)، وتعرض هذا المركز لمقاومة قوية من طرف السكان. فانطلاقا من سنة 1881 بدأ الكناريون محاولاتهم للاستقرار بالداخلة، وذلك على يد شركة الصيد الكنارية الإفريقية (Sociedad Pesquerias Canario-Africanas) التي رفعت العلم الإسباني هناك. لكن ظل الحضور ضعيفا إلى أن ظهرت / شركة التجارة الإسبانية الإفريقية (Compaña Comercial Hispano - Africana) التي مثلها الضابط المستعرب إميليو بونيلـي (Emilio Bonelli Hernando) الذي نزل بشبه جزيرة الداخلة شهر نونبر سنة 1884 وفتح كوخا هناك للتبادل التجاري وقد شجعته على ذلك جمعية الإفريقانيين الكولونياليين، كما بادر إلى فتح مفاوضات مع زعماء القبائل النافذة محليا آنذاك مثل أولاد دليم وأولا بسباع. وهكذا وقع بونيلـي اتفاقية بتاريخ 28 نوفمبر 1884 مع عبد العزيز ولد المامي السباعي غايتها تيسير التبادل مع مركز الداخلة. ولكن هذه الاتفاقية سرعان ما سيرد عليها أولاد دليم بالهجوم على مركز الإسبان بالداخلة بتاريخ 9 مارس سنة 1885 حيث تم قتل بعض الجنود الإسبان، والبقية الناجية غادرت الموقع. وفي شهر يونيه الموالي عاد بونيلـي وجنده من جديد معززا بفيلق من العساكر حيث شيدو ثكنة دائمة بالداخلة. ونشير إلى أنه في تاريخ 10 يوليوز سنة 1884 كان قد صدر مرسوم ملكي إسباني يعلن وضع المنطقة الواقعة ما بين رأس بوجدور والرأس الأبيض تحت سلطة التاج الإسباني في شخص الحاكم بونيلـي تابعا لوزارة ما وراء البحار لمدريد.

ولم تتوقف مقاومة القبائل لاحتلال الداخلة من طرف الإسبان عند ذلك الحد، ففي مارس من سنة 1887 وكذا في 4 شتنبر 1890 وفي مارس توالت هجمات المجاهدين على الداخلة من مختلف القبائل وخاصة أولاد دليم وأولاد بسبـاع والعـروسيين ومريـدي الشيخ مـاء العينين، وكان آخرها معركة 1894. وقد كان الإسبان يهدفون من وراء احتلال الداخلة إلى جلب تجارة إفريقيا السوداء، لذلك قام بونيلـي برحلة نحو آدرار التمر ووقع معاهدات مع أمير آدرار ومع أحمين ولد الشيعة الدليمي ومع عبد العزيز ولد المامي السباعي غايتها التبادل التجاري. لكن النشاط التجـاري لـم يتحقـق بالداخلـة، فالصحراويون لا يجلبـون



إلى هذا المركز سوى الصوف والجلود وبعض ريش النعام وهي بضاعة تراجعت أثمانها في السوق الدولية نتيجة وفرتها بجنوب إفريقيا. وخلال تلك الفترة لم يتجاوز الإسبان الداخلة نحو المناطق الأخرى إلى حدود سنة 1916، حيث جاء الضابط بينس Bens لاحتلال الطرفاية، ثم الـگويرة سنة 1920. ففي سنة 1926 لم يكن بالداخلة سوى 35 من الجنود ومدير الشركة العابرة للأطلسي Transatlantica، إضافة إلى مخيم من السكان المحليين. وفي الثلاثينيات من القرن العشرين بدأت الحكومات الإسبانية تبعد السجناء إلى منفى الداخلة. وبقي عدد سكان الداخلة قليلا وأغلبهم من الإسبانيين العاملين في الجندية والصيد البحري. فإلى حدود 1974 لم يتجاوز عدد سكان الداخلة 5413 نسمة، إضافة إلى 3000 من الإسبانيين. وبعد حركة جيش التحرير في الخمسينات بدأت سلطات الاحتلال في بناء بعض الدور السكنية وتجهيز بعض الإدارات وفتح مدارس وتنظيم انتخابات

ابتداء من سنة 1963 حيث تم انتخاب مجلس بلدي يتكون من تسعة أعضاء : أربعة من الإسبانيين وخمسة من الصحراويين وانتخبوا رئيسا للمجلس : اسويلم بن عبد الله. وفي سنة 1964 تم اكتشاف فرشة مائية هامة أسفل مدينة الداخلة، التي كان لها انعكاس كبير على تطور المدينة. وبعد اتفاقية مدريد 1975، دخلت الداخلة في المنطقة الباقية تحت وصاية موريتانيا تابعة لولاية تيرس الغربية.

وفي 14 غشت 1979 قدم سكان الداخلة البيعة لجلالة الملك الحسن الثاني، وأصبحت الداخلة حاضرة إقليم وادي الذهب التي ستعرف تزايداً كبيراً في عدد السكان الذي يتجاوز اليوم 100 ألف نسمة، ونمو اقتصاديا قائما على الصيد البحري والنشاط السياحي والرعوي. كما ستعرف امتداداً عمرانيا متسارعاً وانقلابا في التركيبة السكانية وفي تنوع الأنشطة الاقتصادية وفي حركية الموارد البشرية والانفتاح على العالم الخارجي بفعل المطار والموانئ والطريق البري العابر نحو إفريقيا جنوب الصحراء.

محمد دحمان، *الترحال والاستقرار بالساقية الحمراء ووادي الذهب*، الرباط، 2006 ؛ الشيخ ماء العينين، *هداية من حارا في أمر النصارى*، المعارف الجديدة، الرباط، 1998.

Emilio Bonelli, Viajes al interior del Sahara, *Boletin de la Sociedad Geografica de Madrid, tomo XXI, 1886* ; Andres Coll, *Villa Cisneros*, Toledo, 1937; Emilio Bonelli, *EL Sahara*, Peant, Madrid, 1887 ; Garcia Cabrero, c. EL banco pesquero canario-Sahariano, *Archivos del Instituto de Estudios Africanos, vol, XVIII*, Madrid, 1964 ; Bens Argandoño Francisco, *Mis memorias*, E.A.O.E., Madrid, 1947 ; Julio Caro Baroja, *Estudios Saharianos*, Madrid, 1955 ; Lopez Bargados, *Arenas del Sahara*, Madrid, 2003.

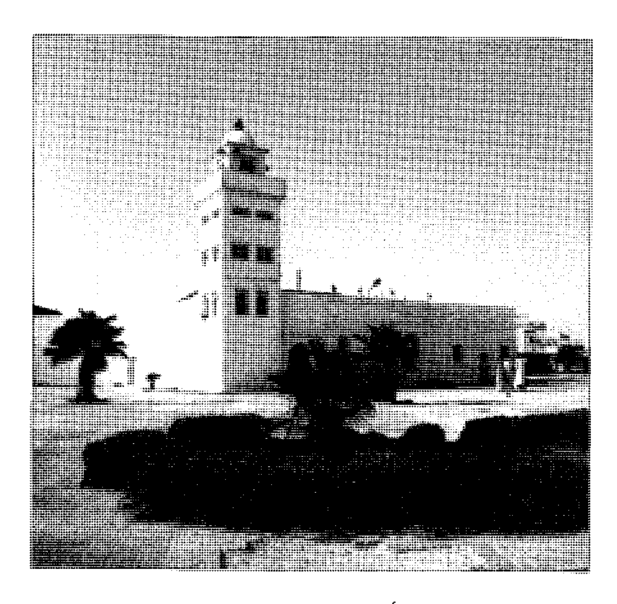
محمد دحمان

الداخلة (تاريخ -) يرتبط تاريخ مدينة الداخلة بالإسبانيين، فقد أسسوها بشبه جزيرة الداخلة في الصحراء (إقليم وادي الذهب حاليا) سنة 1303 / 1885، وسموها بِيِيَا ثِيسْنِيرُوس Villa Cisneros نسبة إلى الأسقف الإسباني فرانسيسكو فيرنانديث دي ثيسنيروس Francisco Fernandez Cisneros الذي اختارته الملكة الإسبانية إيسابيل الكاثوليكية Isabel la Católica معرفا لها.

في يوم 16 سبتمبر 1877 ترأس الملك الإسباني ألفونصو الثاني عشر بمدريد الجلسة التأسيسية للجمعية الإسبانية لاكتشاف الصحراء Asociacion Española para la exploracion del Sahara وبناء على مقرراتها بعثت جمعية الصيد الكنارية الإفريقية Sociedad de Pezcas Canario – africanas وكيلين عنها إلى شبه جزيرة الداخلة قاما باتصال مع بعض المغاربة القاطنين بها وعادا إلى الجزر الخالدات يدعيان بأنهما اشتريا منهم شبه الجزيرة المذكورة، وكان ذلك أواخر سنة 1299 / 1881.

وفي 5 نوفمبر 1301 / 1883 انعقد بمدريد المؤتمر الإسباني للجغرافيا الاستعمارية والتجارية Congreso español de geografia colonial وكان من بين مقرراته العمل على إنشاء مركز أو مركزين إسبانيين بالشاطئ الصحراوي الموالي للجزر الخالدات، وتأسيس شركة إسبانية للمستعمرين الإفريقيين Sociedad española de Africanistas. وقامت بالفعل هذه الشركة بمدريد في شهر ديسمبر من نفس السنة. وفي يوم 30 مارس 1884 عقدت مهرجانها الأول بمسرح الحمراء بالعاصمة الإسبانية. ولما علمت شركة الصيد الكنارية الإفريقية بهذه التحركات شبه الرسمية، قامت بتفويت "حقها" في شبه جزيرة الداخلة إلى الشركة التجارية الإسبانية الإفريقية المؤسسة بمدريد يوم 9 نوفمبر 1883 والتي قامت بإرساء سفينتين تجاريتين بالقرب من شاطئ الداخلة في شهر فبراير من سنة 1884.

وما أن علمت شركة المستعمرين الإفريقيين بهذه الصفقة الوهمية وبوجود السفينتين المذكورتين بالشاطئ الصحراوي حتى كلفت الملازم الاحتياطي إميليو بونيلي Emilio Bonelli بالقيام بعملية استطلاعية للشاطئ المذكور الموالي للجزر الخالدات فقام بجولة بحرية وبرية من رأس بوجدور (خط العرض 27 درجة) إلى الرأس الأبيض (خط العرض 20 درجة)، ونتج عن ذلك أن اختار يوم 3 نوفمبر من نفس السنة ثلاث بقع أقام فوق كل واحدة منها كوخا من خشب رفع عليه العلم الإسباني الأول بشبه جزيرة الداخلة وأطلق عليها اسم بيّا ثِيسْنِيرُوس، والثاني بخليج الرأس الأكحل وسماه بْويرْطو بدية Puerto Badia، والثالث بالگويرة (الرأس الأبيض) وسماه بْويرْطو أو مدينة گاطيي Puerto o Medina Gatell.



وعلى إثر ذلك أعلنت حكومة مدريد يوم 26 ديسمبر 1884 بلاغا أخبرت فيه الدول الأوربية بأنها قررت بسط حمايتها على الشاطئ الصحراوي الممتد من رأس بوجدور إلى الرأس الأبيض. وفي شهر يناير 1885 شرع

بونيلـي في بناء مركز الداخلة بالحجارة، فكان رد فعل المغاربة أنهم هاجموا المركز يوم 9 مارس وحطموا البناء وأحرقوا الكوخ ونهبوا الأمتعة وقتلوا بعض الإسبانيين وأسروا البعض الآخر ولم ينج منهم إلا من كان على ظهر السفينة التي كانت راسية بمياه الداخلة وتمكنوا من الفرار واللجوء إلى الجزر الخالدات.

لم يبق للإسبانيين وجود بأرض الصحراء المغربية طيلة ثلاثة أشهر أي إلى أن طلبت شركة المستعمرين الإفريقيين من الحكومة الإسبانية حماية "مصالحهم" بالداخلة، واستجابت مدريد لذلك فأذنت لبونيلـي في العودة إلى الداخلة مرة ثانية معززا بكتيبة عسكرية مكونة من 20 جنديا يرأسهم القبطان خوسي شاكون José Chacon وكان ذلك يوم 8 يونيو من نفس السنة.

وفي 10 يوليوز عين بونيلـي مندوبا ملكيا Comisario regio بالشاطئ الصحراوي الممتد من رأس بوجدور إلى الرأس الأبيض. وفي 10 أكتوبر سلمت شركة المستعمرين الإفريقيين حصن الداخلة إلى الحكومة الإسبانية التي قامت باحتلاله عسكريا يوم 16 ديسمبر.

وفي سنة 1317 / 1899 أعفي بونيلـي من منصبه، وحل محله ضباط عسكريون إلى أن تم التوقيع على المعاهدة الإسبانية الفرنسية ليوم 27 يونيو 1900 والتي بمقتضاها اعترفت فرنسا بـ "حق" إسبانيا في بسط نفـوذها على بيّـا ثِيسْنِيرُوس Villa Cisneros وجزء من الصحراء المغربية الممتد من خط العرض 26 درجة (جنوب رأس بوجدور) إلى خط العرض 21 درجة و20 دقيقة (شمال الرأس الأبيض). غير ن إسبانيا لم تتمكن من احتلال أية بقعة من الأرض المغربية المذكورة حيث إن وجودها بناحية الترس (وادي الذهب) اقتصر على وجودها بمدينة بيّـا ثِيسْنِيرُوس، وهذا ما جعل التشريعات التي أصدرتها حكومة مدريد ابتداء من سنة 1901 تطبق فقط بالمدينة المذكورة، ونعني بذلك المرسوم الملكي ليوم 12 أبريل 1901 الذي بمقتضاه أصبح شاطئ الصحراء صوريا تحت نظر وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الخارجية، والمرسوم الصادر في 7 نوفمبر من نفس السنة بخصوص كيفية تسيير الشاطئ المذكور إداريا.

وفي شهر ديسمبر 1903 عين الضابط فرانثيسكو بنس Francisco Bens حاكما سياسيا وعسكريا على شاطئ الصحراء. وحل بمدينة بيّـا ثِيسْنِيرُوس يوم 17 يناير من السنة التالية مصحوبا بواحد وثلاثين جندياً وممرض واحد، غير أنه لم يتمكن من القيام باحتلال أية بقعة أخرى بأرض الصحراء إلا يوم 29 يونيو 1916 حيث احتل رأس جوبي (طرفاية)، والـﮕويرة يوم 30 نوفمبر 1920.

وابتداء من صدور المرسوم الإسباني بتاريخ 25 يناير 1919 أصبحت مدينة بيّـا ثِيسْنِيرُوس تابعة للإقامة العامة الإسبانيـة بتطـوان في شمال المغرب، وفي سنـة 1934 احتلت القـوات الإسبانيـة منطقة إفني ومدينة اسمارة بالساقية الحمراء، وعندئذ أصبحت مدينة بيّـا ثِيسْنِيرُوس عاصمة للأقاليم الصحروية المحتلة من لدن إسبانيا إلى غاية سنة 1940 حيث انتقلت الإدارة المركزية إلى مدينة العيون.

وظلت مدينة بيّـا ثِيسْنِيرُوس تحت الحكم الاستعماري الإسباني إلى أن تم التوقيع على اتفاقية مدريد المبرمة بين إسبانيا والمغرب وموريطانيا، فأصبحت المدينة المذكورة تابعة للنفوذ الموريطاني إلى أن تخلت عنها موريطانيا وقام سكان المدينة بمبايعة ملك المغرب يوم 13 غشت 1979 حيث أصبحت عاصمة إقليم وادي الذهب وعاد إليها اسمها الحقيقي : الداخلة.

Bonelli, E., Nuevos territorios españoles en la costa del Sahara. *Bol. Soc. Ceografica*, Madrid, XVIII, 1885 ; *El Sahara*, Madrid, 1887 ; Garcia Figueras, T, *Santa Cruz de Mar Pequeña – Ifni. – Sahara*, Madrid, 1941 ; Domenech, A., *Algo sobre Rio de Oro*, Madrid, 1946, Bens, General. *Mis memorias* (22 años en el desierto), Madrid, 1947 ; Espasa-Calpe, Madrid, t. 28, p. 2784 ; Carnero Ruiz, *Vocabulario geografico-sahariano*, Madrid, 1955 ; Ibn Azzuz Hakim, M., *Por que reivindicamos Rio de Oro*, Rabat, 1960.

محمد ابن عزوز حكيم

الداخلة (جغرافيا -)، مدينة متوسطة الحجم (37000 نسمة عند منتصف سنة 2000)، تقع على بعد 600 كم من مدينة العيون بأقصى الجنوب الغربي للأقاليم الصحراوية المغربية. وتتميز بموضعها عند نهاية شبه الجزيرة التي تحمل نفس الاسم والتي تمتد على مسافة 40 كم طولا و2 إلى 5 كم عرضاً مُشكّلة عند التقائها بالمحيط الأطلنتي ما يسمى بخليج وادي الذهب. وتعتبر آخر نقطة حضرية جنوب البلاد وعاصمة جهة وادي الذهب الـﮕويرة.

كانت في الأصل عبارة عن مستعمرة أنشأتها إسبانيا التي كانت تحتل هذه المنطقة إلى حدود سنة 1975، وقد استرجعها المغرب يوم 14 غشت 1979 على إثر تخلي الإدارة الموريتانية عنها.

وتفيد المعطيات الإحصائية المتوفرة حول المدينة، أن عدد سكانها تزايد بشكل سريع منذ بداية الثمانينيات، إذ مر من 17309 نسمة سنة 1982 إلى 29831 سنة 1994 ثم إلى 37000 نسمة سنة 2000، أي بزيادة إجمالية بلغت حوالي 19700 نسمة في ظرف 18 سنة، أي ما يعادل نسبة تزايد سنوي يقدر بـ 431٪، وهذا يبين أن عدد السكان بالمدينة تضاعف مرة خلال العقدين الأخيرين. وبالاقتصار على فترة 1982 - 1994 فقط، يلاحظ أن الأصل في الزيادة المذكورة لا يعود فقط إلى الزيادة الطبيعية التي ساهمت بنسبة 5.46٪ ولكنه يرتبط أيضاً وبالدرجة الأولى بالتوافد الذي يمثل نسبة 53.5٪. وفي الواقع، شكلت الداخلة منذ استرجاعها على غرار بقية المدن بالأقاليم الصحراوية المغربية قبلة للتوافد ليس فقط على مستوى الأقاليم الجنوبية ولكن أيضاً على الصعيد الوطني. وتتوزع أصول الوافدين عليها طيلة العشرية الأخيرة على الشكل التالي :

- الأقاليم الجنوبية : 17٪
- السهول والهضاب الأطلنتية الوسطى : 47٪
- المناطق الداخلية : 32٪
- أقاليم أخرى : 4٪

ويبلغ عدد الأسر بالمدينة 5855 سنة 1994 في مقابل 1528 سنة 1982. وهذا يبين أن الزيادة الإجمالية للأسر خلال فترة 12 سنة كانت تقدر 4327، أي أنه على عكس عدد السكان تضاعف عدد الأسر ثلاث مرات تقريبا. ويبلغ حجم الأسرة في المتوسط خمسة أفراد بدل 11.83 الذي سجل بالمدينة سنة 1982. ويرتبط هذا التراجع أساساً بالتوافد الذي هم على الخصوص الأسر النووية وعنصر العزاب.

ويبرز توزيع السكان النشيطين حسب القطاعات الاقتصادية سيادة أنشطة القطاع الثالث التي يستأثر بنسبة 61٪ من المجموع. وتمثل الإدارة العمومية والجندية الفروع التي توفر أكبر عدد من مناصب الشغل (51٪). كما تعتبر التجارة هم أنشطة هذا القطاع بدورها، خاصة وأنها تدخل في التقاليد العريقة لسكان المنطقة بصفة عامة. وتستحوذ التجارة حاليا على حوالي 8٪ من مجموع النشطين، ويغلب على أنشطة المحلات التجارية بيع المواد الغذائية بنسبة 45٪، إضافة إلى الألبسة وأمتعة التجهيز المنزلي بنسبة 12٪.

كما يعتبر قطاع الصيد البحري من أهم الأنشطة الحضرية حيث يساهم في التشغيل بنسبة 22٪. ويتميز هذا القطاع بسيادة الصيد الساحلي الذي يوجه إنتاجه أساسا إلى السوق المحلية. أما الصيد في أعالي البحار فيكتسي بدوره أهمية كبيرة بساحل الداخلة، لأنه يهم أزيد من 70٪ ن الأسطول الوطني. إلا أن انعكاساته على الاقتصاد الحضري المحلي منعدمة تماما. ويرتبط هذا النشاط بوجود ثروة سمكية هامة على طول الساحل الأطلسي للمنطقة وكذا بالخليج الصغير لوادي الذهب، وهي اليوم معرضة لمخاطر الاستغلال المفرط والتلوث القوي. ويرتبط بهذا القطاع نشاط صناعي جد متواضع يتمثل أساسا في بعض وحدات إنتاج الثلج الذي يستعمل لحفظ الأسماك عند الخزن والنقل.

ويتكون المجال الحضري بالداخلة من النواة التي تعود إلى الفترة الإسبانية والأحياء الجديدة التي ظهرت بعد 1979. وتنتظم المدينة حول المرفقين الأساسيين اللذين يربطانها بالخارج وهما الميناء والمطار. تمتد الأحياء الأصلية على طول شارع الحسن الثاني الذي يربط الميناء بالمطار، والذي تتفرع عنه شبكة من الطرق في اتجاه الأحياء الجنوبية والشمالية من المدينة. ويعتبر هذا المحور وامتداده الجنوبي مركز المدينة لأنه يحتضن التجهيزات السوسيوثقافية والثكنة العسكرية والمركز التجاري. أما الأحياء الجديدة فتمتد جنوب وشمال مركز المدينة وهي أساساً عبارة عن مناطق سكنية.

وتجدر الإشارة إلى أن تركّز معظم سكان جهة وادي الذهب الـﮕويرة والخاصية السريعة التي تم بها التمدين بالداخلة قد أسفرا عن تدهور المشاهد الحضرية بشكل كبير جداً، سواء بالأنوية الحضرية الموروثة عن الفترة الاستعمارية أو بالأحياء الجديدة. وتتجلى هذه الظاهرة في تقادم البنايات بأحياء لخصيصات ولبويشات وحي الميناء وكذا حي الـرﮕيبات... كما تتمثل أيضاً في تداخل أنواع السكن على مستوى نفس الحي ونفس الشارع وغياب أي تجانس أو تناسق معماري بالمدينة. أضف إلى ذلك أن تفكك النسيج الحضري يطرح بدوره مشكل عدم توفر نوع من التدرج في المراكز الحيوية بالمدينة، وضعف التمفصل ما بين مختلف الأحياء المكونة لها.

أبحاث شخصية ؛ تصميم تهيئة مدينة الداخلة.

عثمان هناكا

دامـان (معركة -) 4 ربيع الأول 1326 (7 أبريل 1908) معركة خاضتها فصيلة من المجاهدين مكونة من 28 مقاتلا يقودهم الشيخ سيدي محمد بن عبد العزيز بن حَـامَّـنِّي عند بئر دامان التي تقع على الطريق بين اكجوجت وانواكشوط ضد قوة فرنسية مكونة من 20 قناصا سنغاليا يقودهـم ثلاثـة ضباط فـرنسيين وقد خيمـوا عند البئـر.

فما كان من المجاهدين إلا أن أخفوا أسلحتهم تحت ملابسهم، وساقوا قطيعا من البقر كانوا قد استولوا عليه قبل ذلك من الفرنسيين، متظاهرين بأنهم رعاة جاؤوا ليسقوا بقرهم من البئـر، ثم عندما أصبح الفرنسيون في مرمى نيران مدافعهم، انقضوا عليهم بسرعة فائقة فقتلوا الضباط الفرنسيين وأبادوا القوة الفرنسية بحيث لم ينج منها إلا إثنان، واستولوا على جميع أسلحتها وأمتعتها ومواشيها، وتمكنوا من فك أسر رجل من الزوايا كان مسجونا عند القوة الفرنسية.

استشهد من المجاهدين في هذه المعركة أربعة رجال.

الطالب أخيار بن الشيخ مامينا، *الشيخ ماء العينين، علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي*، ج 6، ص. 300 - 302 ؛ الشيخ مربيه ربه، *قرة العينين في كرامات شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، ورقة 112 - 113.

Connmandant Gillier, *La pénétration en Mauritanie*, p. 159 - 161.

ماء العينين مربيه ربه

الدراعة، لباس صحراوي ناعم خاص بالذكور، ويتشكـل من ثوب مفتـوح من الجهتيـن، خيط من أسفل طرفيه وله جيب على الصدر، ويكون خاصا بالمناسبـات العائليـة أو القبليـة، وهي ذات لون أبيض وأخضر الـذي يطلق على اللون الأزرق في الصحراء. وتتنـوع الدراعـة حسب الأثـواب التي تخاط منها فهنـاك دراعـة الشﮓ، ودراعـة بلمـان ودراعـة مـن بازان ودراعة مجيب ... إلى غيرها مـن الأنواع التي تسـتـورد

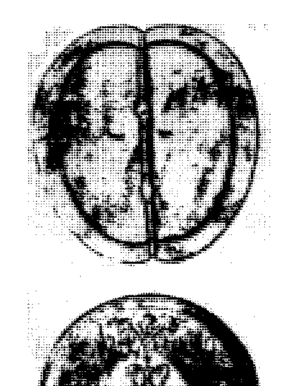
موريتانيا أو تخاط في العيون وغالبا ما يتم ارتداء سروال تقليدي وفضفاض مناسب لها.

محمد البوزيدي

الدروق اللمطية، عبارة عن دروق بيضاوية الشكل تتميز بصلابتها وقدرتها على رد ضربات السيوف والنبال والحراب. يتكون سمكها من مجموعة من الطبقات الجلدية ملتحمة فيما بينها بتقنية متميزة تجعل منها أداة حربية بالغة الأهمية وهي تقنية تشهد على التطور الملحوظ لصناعة الجلود بالضفة الشمالية للصحراء حيث تقع مدينة نول لمطة. استعملت هذه الدروق كأسلحة وقائية خلال المعارك بين الجيوش خلال قرون طويلة.

على أن تسمية الدروق اللمطية تطرح إشكالا من حيث تحديد معنى كلمة اللمطية. فهل المقصود بهذه الكلمة انتماء هذه الدروق إلى مدينة نول لمطة التي عرفت بإتقانها لهذه الصناعة ؟ أم المقصود بها جلد اللمط (اللمث) الذي تصنع منه هذه الدروق. مهما يكن من أمر، فإن مدينة لمطة قد عُرفت تاريخيا بدورها كعاصمة لبعض فصائل قبيلة لمطة الكبيرة. كما عُرفت أيضا بدورها الريادي المتميز في إنتاج هذه الدروق من جلود ظباء اللمط وخاصة منها الإناث المسنة.

تعتبر مدينة نول لمطة رأس المحور التجاري الرابط بينها وبين مدن منطقة أدرار الثمر كأزوگي وأطار وشنقيط أو ملاحة إيجيل جنوب الصحراء. وتُفيد المصادرفي وجوب اعتبارها عاصمة الضفة الشمالية للصحراء من حيث إنتاج الدروق ومراقبة التجارة عبر المحور الساحلي المحادي للمحيط الأطلسي. وكانت فصائل لمطة الشمالية تنتقل على امتداد هذا المحور مراقبة تحرك القوافل وأمن وسلامة عاصمتها نول. وهو ما أهل هذه المدينة لتطوير مرافقها التجارية والإنتاجية وبنياتها الدفاعية. ولعل هذا ما ساعدها على أن تصبح عاصمة لإنتاج الدروق المصنوعة من جلود اللمط المتوفرة بكثرة في محيطها.



تعتبر ظباء اللمط (اللمث) عينة عاشبة من أصل إثيوبي مرتبطة بالوسط الصحراوي المحادي لضفتي الصحراء الجنوبية والشمالية. فهي عادة ما تضطر للإقامة بمحطات نباتية أو مائية توفر لها الغذاء اللازم مما يجعلها تتجمع على شكل قطعان تسهل مطاردتها. هذا ما يمكن أن نستشفه من كتابات الجغرافيين مؤلفي كتب المسالك كاليعقوبي وابن حوقل والإصطخري والبكري والإدريسي وابن سعيد والعمري والدمشقي وابن بطوطة وابن خلدون والوزان. ومجمل هؤلاء يركزون على دور نول لمطة كعاصمة متخصصة في إنتاج الدروق نظرا لوفرة ظباء اللمط في محيطها القريب والبعيد. على أن المصادر الإيبيرية قد ركزت بدورها على أهمية هذه الأسلحة إلى حدود القرن الحادي عشر (17م) عندما أصبحت مدينة فاس هي عاصمة إنتاجها في فترة ما بعد اضمحلال نول لمطة.

وما تؤكد عليه حفريات مدينة أودغست بالضفة الجنوبية للصحراء هو أهمية الاصطياد التلقائي لهذه الظباء قصد استهلاك لحومها وتصدير جلودها إلى نول لمطة حيث صناعة الدروق. نفهم من ذلك أن هذه الجلود قد كانت تجمع بمجمل مناطق الصحراء قصد إرسالها إلى المعالجة والتصنيع بمدينة نول لمطة إلى حدود اضمحلال هذه الأخيرة.



وتؤكد معلومة واردة لدى ابن عذاري على استعمال كميات كبيرة من هذه الدروق اللمطية كهدايا من المعز بن زيري بن عطية إلى عبد الرحمان بن أبي عامر أحد أمراء الأندلس (*البيان*، 1 : 253). على أن المصادر الإيبيرية تؤكد بما لا يدع مجالا للشك الاستعمال الكبير لهذه الأسلحة حتى أواخر القرن الحادي عشر (17م). فقد سجلت معركة وادي المخازن الأهمية الفعلية لهذه الدروق في ترجيح كفة المغاربة. وقد أورد الباحث الفرنسي افرانسوا بيتان وثيقة من المنجد الذي ألفته الأكاديمية الإسبانية سنة 1726 تؤكد الاستعمال المتأخر لهذه الأسلحة. وتعتبر الدراسة الهامة التي قام بها هذا الباحث حول دروق مدينة فاس من أهم الدراسات التي أنجزت في هذا الباب.

وقد ركزت قبل ذلك جل الإشارات الواردة بالمصادر على دور مدينة نول لمطة في إنتاج مواد أخرى كالسفسريات العالية وكثرة الطلب عليها. وإذا كانت هذه المواد على تنوعها قد زادت من أهمية المدينة مقارنة مع

غيرها من المدن التجارية الكبرى، فإن إنتاج الدروق جعل منها أحدى كبريات عواصم التجارة ومنتجات ضفتي الصحراء. ولاشك أن قلة هذه المعطيات التاريخية المجسدة لتاريخ المدينة يدعو إلى كثير من الجهد لاستحضاره وإعادة اكتشافه من جديد.

كتاب الأنساب، مخطوط، خ.ع. رقم ك 1275 ؛ ابن فضل الله العمري، *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*، تحقيق، مصطفى أبو ضيف ؛ أبو عبد الله البكري، *كتاب المسالك* ؛ شمس الدين عبد الله الدمشقي، *نخبة الدهر في عجائب البر والبحر*، بغداد، 1973 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب* ؛ م. ابن بطوطة، *تحفة النظار*، ابن حوقل، صورة الأرض، أبو الحسن علي موسى ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، الشريف الإدريسي، *وصف إفريقيا*، أبو إسحاق الفارسي الإصطخري، *كتاب المسالك والممالك*، 1927 ؛ ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، 1866 ؛ اليعقوبي، كتاب البلدان، ع. ابن خلدون، *العبر*، حسن الوزان، *وصف إفريقيا*.

F.Buttin. Les adarques de Fès, *H.T., vol.I. Fase. III. 1960, 409 - 456* ; Aly ben Abderrahman ben Hodeil el Andalusy. *La parure des cavaliers et l'insigne de preux,* Traduction Louis Mercier, Paris, 1924 ; H. de Castries. *Les sources inédites de l'histoire du Maroc de 1530 à 1845,* première série-dynastie saadienne 1530-1660, t.I. p. 594, n° 2, Paris, 1905 ; P. de Cenival et Th. Monod, *Description de la côte d'Afrique de Ceuta au Sénégal par Valentin Fernandès 1506-1507*, Paris, 1938, I.S. Allouche, La vie économique et sociale à Grenade au XIVè siècle, in *Mélanges d'histoire et d'archéologie de l'occident musulman,* Alger, 1957 ; Napoléon Louis Bonaparte, *Etudes sur le passé et l'avenir de l'artillerie,* Parisn, 1845, vol.I ; H.Peres, *La poésie andalouse en arabe classique*, Paris, 1953 ; Demmin,*Guide des amateurs d'armures,* Paris, 1879 ; M. Leloir, *Dictionnaire du costume et de ses accessoires,des armes et des étoffes des origines à nos jours,* Paris, 1951.

مصطفى ناعمي

الدشيرة (معركة -) وقعت يوم 13 يناير سنة 1958 عندما خرج جيش العد و الإسباني "معززا بالسيارات المصفحة والدبابات والطائرات ومدافع الهاون ليقضي على مراكز جيش التحرير بتافودارت ونواحيها لكنه اصطدم بفرق هذا الجيش بالموضع المسمى الدشيرة الواقع على بعد عشرين كيلومترا من العيون وأربعين كيلومترا من تافودارت وهذه الفرق هي : فرقة بنيبة بن محمد سالم وفرقة محمد بن خيرات وفرقة محمد الغالي بن خطور وفرقة دحان. واستمر الإشتباك بين الجانبين اثنتي عشرة ساعة من الثامنة صباحا إلى الثامنة مساءا وانتهت بانتصار كبير لجيش التحرير المقاوم الذي كبد الجيش الإسباني خسائر فادحة في الأرواح والعتاد. فقد قتل منه ستمائة قتيل وجرح ثلاثمائة جريح كلهم أصيبوا بجروح متفاوتة الخطورة كما أحرق ثلاثة عشرة سيارة مشحونة بالذخائر والمواد الغذائية وغنم أسلحة كثيرة ومتنوعة منها : ثمان عشرة بندقية من نوع تشيكوسلوفاكي وست رشاشات وثماني مسدسات وجهاز للأخذ والإرسال.

واستشهد في صفوف رجال جيش التحرير إثنا عشر شهيدا بعد أن أبلو بلاء يجل عن الوصف في ساحة البطولة والشهامة والإباء وعرف هذا اليوم عند أهل الصحراء ورجالاتها بيوم الدشيرة.

الحاج صالح بنعسو، *أضواء على كفاح المقاطعة التاسعة لجيش التحرير بالصحراء المغربية 1956 / 1960*، المطبعة الوطنية، مراكش، يوليوز، 1987.

ماء العينين النعمة علي

دليم (أولاد -) تجمع المصادر التاريخية على أن أولاد دليم قبيلة تنحدر من جد جامع هو "دليم" المنحدر بدوره من حسان جد المجموعات الحسانية المنتشرة جنوب المغرب وفي موريتانيا. وذلك ما أشار إليه أقدم مصدر محلي "*الحسوة البيسانية في الأنساب الحسانية*" لصالح بن عبد الوهاب الناصري حيث يقول : "... وأما أولاد دليم ابن حسان فقبيلتان : أولاد امعروف وأولاد سنان، وهم من أوقع وقعة" أم اعبانة "بالمغافرة في عام سبعة ومائة وألف". أما أصل تسمية "دليم" فيرجعها الشيخ سيدي المختار الكنتي (ت. 1811) إلى أن "... دليم بن حسان إنما فضلهم بنو أدي لأن أم بني أدي هلالية وأما أم دليم فامرأة كانت تخدم أدي فتزوجها سرا، وكانت قصيرة دميمة فسموها دليما لقصرها، فلما ولدت ابنها قصيرا على هيئتها وشكلها قالوا دليما أولدت دليما، فكبر ينكره والده اتقاء ما يغير خاطر زوجته الهلالية، فلما شب الولد وظهرت شجاعته ونجدته، فارتحلوا يوما وبقيت في متاخمهم وبنوها ومعهم دليم فبينما هي تصلح هودجها إذ العدو وقد هجموا عليهم، ففرّ عنها بنوها وقاتلهم دليم حتى استخلصها منهم، وقتل منهم رجالا، فلما نزل الحي وجعلوا يتغذون أرادت أن تقدم عليه بنيها وتؤخره، كما كانت تفعل، فقال لها : والله لا يتقدم علي أحد منهم بعد اليوم وقد فروا عنك واستخلصتك". وتبين هذه النصوص حكاية التأسيس لمجموعة اجتماعية عريقة بالجنوب المغربي، إذ بدأت تتمركز بواد نون ثم بالساقية الحمراء منذ القرن السادس عشر الميلادي، بعد أن كانت تجوب مناطق درعة الوسطى وعرق شاش والحنك، وهم من عرفوا بدليم الشرق وتبين ذلك الرسائل السلطانية لمولى إسماعيل إلى ابنه بتافيلالت مولاي المامون.

وخلال القرنين 17 و18 وصل أولاد دليم إلى مناطق وادي الذهب والسواحل الأطلسية للرأس الأبيض وجزيرة تيدرة (أگـادير دومة). آن ذلك اتضحت المعالم الأساسية للقبيلة من بطون وأعراش. يقول صالح بن عبد الوهاب بهذا الصدد : "وأما أولاد دليم بن حسان فقبيلتان : أولاد أمعرف وأولاد اللب المغفري بن الشويخ. وفيهم رئاسة أولاد دليم كلهم. وقيل اللب المغفري لأن أمه المغفرية بنت الغويزي أو بنت ابنه النبيك، وأولاد سالم بن الشويخ والقرع وأولاد الرميثية

وفيهم عدد ورئاسة وهم لوديكات، منهم أهل جابر، ومن أهل جابر الشيخ وأحمد ابنا منصور بن علي بن جابر وأولادهما. ومحمد بن علي بن بكار بن جابر وولده، وفيهم رئاسة أولاد الرميثية وأولاد باعمر وأولاد لخليگـ، وأولاد تكد، واسراحن". ولم ينحصر انتشار أولاد دليم بوادي الذهب فقط بل انتقلت منهم فرق نحو حوز مراكش إبان قيام دولة السعديين ضمن قبائل أهل سوس وأولاد مطاع وأولاد أبي السباع ودرعة إذ نجد دواوير منهم اليوم شمال غرب مدينة مراكش جوار الرحامنة واحمر وزمران، كما نجد منهم مجموعات بمنطقة الغرب جوار مدينة سيدي قاسم وقد اندمجوا ضمن قبيلة الشراردة وزيرارة وتكنة، ناهيك عن فرق أخرى بكل من اتوات وموريتانيا. غير أن أهم تجمع لأولاد دليم اليوم، هو الموجود بمنطقة وادي الذهب - تيرس حيث توجد جميع البطون المكونة للقبيلة وهي خمسة : لوديكات - أولاد تگـدي - أولاد باعمر - أولاد لخليگـة - اسراحنة.

وتعد هذه القبيلة من المجموعات المحاربة في الصحراء، حيث امتهنت حمل السلاح وممارسة الغزو، لذلك كانت الرماية ممارسة اجتماعية لها قيمة رمزية واعتبار سياسي في المجتمع. ولذلك كان رد فعل القبيلة قويا اتجاه الاستعمار الفرنسي والإسباني على السواء. فهي أول قبيلة في الجنوب المغربي واجهت الغزو الأجنبي على سواحل المحيط الأطلسي، وحسبنا هنا مهاجمتهم لأكواخ بناها الإسبان بشبه جزيرة وادي الذهب (الداخلة) سنة 1885، وهجومات 1887 وفي شهر شتنبر من سنة 1890 وفي مارس من سنة 1892، وفي نونبر من سنة 1894، كما هاجموا المجموعات التي تعاملت مع الاستعمار الفرنسي ببلاد شنقيط وجنوب غرب الجزائر وفي صحراء مالي. واشتدت مقاومة أولاد دليم للاستعمار بعد أن بدأ يتدخل عسكريا في موريتانيا وجنوب المغرب، حيث نجد رجال القبيلة ينظمون "غزيان" لوقف زحف القوات الفرنسية نحو شمال موريتانيا فهاجموا العساكر الفرنسية في تكانت واگجوجت وانواذيبو، كما ناصروا الشيخ ماء العينين وأبناءه حسن والوالي والطالب أخيار والهيبة في مواجهة الاحتلال خاصة بعد زحف الضابط گورو بفيالقه على منطقة آدرار التمر سنة 1909، الشيء الذي ضيق الخناق على القبائل الصحراوية ولم يعد أمامها سوى المواجهة الحربية مع الغزو الدخيل. هكذا كان أولاد دليم في المواجهة، لكونهم القبيلة المتاخمة لشمال موريتانيا، ولذلك شاركوا في مختلف المعارك الجهادية التي واجه فيها سكان الصحراء قوات الاحتلال سواء الفرنسية منها أو الإسبانية، وظهرت زعامات جهادية ضمن هذه القبيلة بصمت تاريخ المقاومة بالجنوب المغربي مثل : سيدي ولد الشيخ ولد لعروسي وإبراهيم السالم ولد ميشان وأحمد بابا ولد اعلي سالم وأحمد بابا ولد أحمد زين وسعيد بن أحمد لعلي وعبد الفتاح ولد العالم، وأحمد ولد ميشان والسييد ولد بوسيف، ومحمد ولد باهي وغيرهم كثير. وبقيت هذه القبيلة في معارك الجهاد سواء في وادي الذهب أو في زمور والساقية الحمراء وكذلك كانت من القبائل المشاركة في حملة الشيخ أحمد الهيبة بسيدي بوعثمان سنة 1912، إلى أن تغلبت جحافل الاستعمار على المقاومة المسلحة سنة 1934. ثم نجدها في حركة جيش التحرير سنة 1957 وفي سنة 1958، في معارك أوسرد ولگـلات ولعشاريات والعرگوب وأطوارف وتگـل وغيرها. وكذلك ساهم أعيانها في تجديد البيعة للملك محمد الخامس سنة 1956، ورغم هذا التاريخ الحافل، تعد قبيلة أولاد دليم من القبائل التي لم تحظ بالدراسة والبحث وذلك يعد مهما نظرا لمساهمة القبائل الحدودية في الحفاظ على الوحدة الوطنية، وأهمية تاريخ هذه القبيلة بالذات في فهم ودراسة مجموعات اجتماعية أخرى من نفس المحتد توجد بمناطق جغرافية بالحوز وبالغرب وحتى خارج التراب المغربي.

الوزان ليون الإفريقي، *وصف إفريقيا* ؛ صالح بن عبد الوهاب الناصري، *الحسوة البيسانية في الأنساب الحسانية*، مخطوط ؛ سيدي محمد الكنتي، الرسالة الغلاوية، تحقيق، حماه الله ولد السالم، نشر معهد الدراسات الإفريقية بالرباط ؛ محمد بن سيدي الطيب، *كتاب الشرفاء الجعفريين الزينبيين أبناء حسان*، مطبعة النصر انواكشوط، ب. ت ؛ الطالب أحمد بن اطوير الجنة، *رحلة المنى والمنة*، مخطوط ميكرو فيلم، الخزانة الوطنية، الرباط ؛ محمد الغربي، *الساقية الحمراء ووادي الذهب*، دار الكتاب، الدار البيضاء، ت. ب ؛ محمد دحمان، *الترحال والاستقرار بمنطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب*، الرباط، 2006 ؛ محمد دحمان، *أعلام الجنوب، المجاهد إبراهيم السالم ولد ميشان*، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2007.

Caro Baroja, Julio, *Estudios, saharianos*, Madrid, 1955 ; Mariano Aceytuno Gavarron, Un tribu del Sahara : los Ulad Delim, in : *Africa, N° 233*, Mayo, 1961, p. 219 - 232 ; Lafuente Domenech, *.Algo Sobre Rio de Oro.*Madrid, 1946 ; Marty Paul. : *Les tribus de la Haute Mauritanie*. C.A.O.F, Dakar, 1915 ; Gaston Donnet, *Une mission au Sahara Occidental du Sénégal au Tires*, Augustin Challamel, Paris, 1896 ; Bargados, Alberto Lopez, *Arenas coloniales : Los Awlad Dalim ante la colonizacion franco-española del Sahara*, Bellaterra, Barcelona, 2003.

الدليمي، إبراهيم السالم بن **ميشان** : هو إبراهيم بن علي بن الكوري بن أحمد بن محمد (الملقب بميشان) بن عبد الله بن شگـاف بن إبراهيم بن حمد بن هيبة بن اخليگـة بن اعمر الفائز بن امحمد بن بويعلي بن أمحمد بن امعرف بن دليم. ولد حوالي 1891، يقول عنه الطالب أخيار بن مامين : كان رحمه الله متميزا عن أقرانه بسمو الأخلاق والشهامة والتدين، وكان شجاعا مقداما عرف بسرعة العدو إذ يسابق الخيل، وقد خاض معارك كثيرة ضد القوات الفرنسية، وكان مظفرا فيها، اشترك مع محمد المامون بن اعلي الشيخ في معركتي "آزويگـة" و"اغسرمت" سنة 1925، وكان يعطف على المساكين ويذب عن الضعفاء وكان شديد الاعتقاد في الشيخ الولي بن الشيخ ماء العينين وعقب إبراهيم السالم بن ميشان من الذرية شيبة والقائد أحمد ومبارك ومربيه وأحمد سالم وفاطمة واتفرح.

ومن أشهر المعارك التي كان في قيادتها إبراهيم السالم، نجد "غزي أم التونسي" الذي كان بتاريخ 18 غشت 1932 (14 ربيع الثاني سنة 1351)، حيث كانت الإدارة الاستعمارية في أطار قد علمت بتوجه غزوة صوب الجنوب فأبلغت عن طريق جهاز الراديو بأطار الفرقة المتنقلة للترارزة أن عليها أن تستعد بمقارعة الغزوة. وأمر القائد الفرقة بالتوجه لاعتراض المقاومين، فانطلقت قبيل بزوغ الشمس متوجهة نحو الشمال، وبينما هي تحثٌ السير بناحية أم التونسي اكتشفها المقاومون فمكنوا لها وسط شجر الفرنان حتى اقتربت منهم فأطبقو عليها وأسرعوا في قتل كل الضباط الفرنسيين الستة الذين كانوا على رأسها ومن بينهم المدعوا ماك ماهون (Mac Mahon) نجل رئيس الجمهورية الفرنسية وكان برتبة ملازم. وفي رواية سلمنة بن عبيد الله وقد حضر هذه المعركة أن عدد من شارك في هذه المعركة من المقاومين بلغ مائة وعشرين رجلا، مائة من أولاد دليم، والباقي من مختلف القبائل، وكانوا تحت قيادة كل من سيدي بن الشيخ بن العروسي، وإبراهيم السالم بن ميشان، وسيد أحمد بن الكوري بن علي". وأضاف سلمنة "أنهم قبل نشوب المعركة نزلوا وسط شجر الفرنان، الأمر الذي مكنهم من مباغتة فرقة النصارى وهزيمتها، وأضاف أن المقاومين خسروا سبعة عشرة رجلا على رأسهم سيدي بن الشيخ أحد زعماء الغزوة لكن خسائر الفرنسيين كانت أفدح إذ مات منهم ما يزيد على أربعين رجلا وجرح منهم نحو عشرين".

ويقول الضابط لويـﭙسكي (Loyewski) عن هذه المعركة : "أنه تمت مباغتة الفرقة المتنقلة وبعد أن هزمت تماما، حيث مات الملازم ماكمهون وخمسة ضباط صف وعشرة رماة واثنان وعشرون من الحرس. وعادت الغزوة أدراجها بعد أن فقدت سبعة وعشرين رجلا من بينهم قائد الغزوة وتكبدت عددا كبيرا من الجرحى". وأثار موت الملازم ماكمهون سخطا عاما في باريس.

ويضيف السيد سلمنة في روآيته : "أن المعركة تميزت بالشراسة والسرعة، وأن رجال المقاومة في هذا اليوم كانوا من الشجاعة والبسالة بمكان، لكنهم لم يبلغوا مدى إبراهيم السالم بن ميشان في الإقدام، فقد رأيته يلتف من الخلف على جنود الفرقة فيقتل ثلاثة من الفرنسيين وسبعة من الرماة، وأنه كان يكر ويصول بسرعة البرق في ميدان المعركة".

وقد كانت هذه المعركة عبارة عن ملحمة في التاريخ المعاصر لمنطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب، نظرا للانتصار الباهر الذي حققه المقاومون، وكذا لأثرها على السياسة الاستعمارية في تعاملها مع القبائل الصحراوية.

ومن المعارك التي قادها إبراهيم السالم بن ميشان كذلك معركة "غزي حريق السيارات" و"غزي احريگ الوتات" حيث قام هذا المجاهد في شهر يناير من سنة 1934 بشن هجوم على قافلة مكونة من ستة سيارات عسكرية في سهل "آمساگة" غربي آدرار التمر وبعد اشتباك عنيف تكبدت خلاله القافلة خسائر مادية وبشرية إذ مات أحد ضباط الصف وتم جرح ثلاثة من الرماة واثنين من "الگوم" كما تمت إصابة سيارتين وتعطيلهما عن الحركة، وتمكن إبراهيم السالم من إضرام النار في إحدى الشاحنات بعد أن استولى على ما فيها من متاع، ويقول الضابط الفرنسي لويـﭙسكي بهذا الصدد : أنه في 8 يناير سنة 1934 انطلقت قافلة من ثلاث شاحنات مدنية، وشاحنة تابعة للطيران وشاحنتان عسكريتان للخفر تحت إمرة الملازم لى ﭙيتي Le petit وقد علم من اكجوجت أن "أمجبور : من 17 بندقية بقيادة المتمرس إبراهيم السالم بن ميشان يتوجه إلى "اغسرمت"، وتم تنبيه الفرقة المتنقلة لأكجوجت. وشرعت في تقفي آثارهم لكن إبراهيم السالم الذي كان يراقب القافلة عن قرب سار حتى وصل إلى حوالي 300 متر وعندما رآهم أصحاب القافلة ارتابوا فيهم أولا، ثم قرر الملازم أن يتوجهوا نحوهم حتى يتبينوا أمرهم. فلما رآهم إبراهيم السالم يغيرون مسارهم ويقصدونهم اختفى هو ومجموعته وراء بعض الصخور الكبيرة وتركوهم حتى اقتربوا منهم فأطلقوا عليهم وابلا من الرصاص أرغموهم على التوقف والتقهقر إلى الوراء. وأصيب محرك السيارة برصاصة عطلت سيرها فاضطر الجنود إلى الانبطاح أرضا، وبعد تبادل كثيف لإطلاق النار جرح أحد قادة الجنود، كما جرح العديد من الجنود الرماة، وحاولت السيارات الفرار، فلم تستطع التحرك من مكانها إلا بصعوبة كبيرة، وجرح سائق إحدى الشاحنات بعد أن تم إطلاق نار كثيفة على السيارات، واضطر الملازم إلى العودة إلى أكجوجت (مدينة) بعد أن بقي سبعة من أصحابه غير مصابين. وعندما ابتعدت السيارات في اتجاه المركز لعلاج جرحاها، ركب إبراهيم السالم ولد ميشان ورجاله جمالهم في اتجاه الشمال دون أدنى وقت لنهب الشاحنتين اللتين تمت مغادرتهما".

وفي فبراير من سنة 1934 تكون فيلق من المقاومين يتكون من حوالي سبعين مقاتلا بزعامة إبراهيم السالم بن ميشان ومعه محمد المهدي بن البو الرقيبي وانطلقوا من نواحي تيرس في اتجاه لحمادة، ثم توجهوا إلى اگيدي حيث أغاروا على ابن اعـگيدة وهو في الأصل من قبيلة الشعانبة، وكان من الموالين للفرنسيين، واستولوا على العشرات من الجمال التي كانت بحوزته، ثم بعيد ذلك اشتبكوا مع وحدة من الفرق الفرنسية المتنقلة جاءت لنجدة ابن اعـگيدة، وأوقعوا بها بعض الخسائر، ثم مروا بالقرب من تندوف فلحقت بهم أربع سيارات عسكرية في اليوم الموالي وعندما اقتربت منهم السيارات، تصدوا لها بهجوم عنيف لكن الجنود الفرنسيين استطاعوا صد الهجوم بفعل كثافة النيران من المدفع الرشاش. مما اضطر المقاومين إلى التراجع في غير انتظام، لكن إبراهيم السالم تمكن من الاختفاء وراء لسان رملي حتى اقتربت منه السيارة الأمامية، فأطلق عليها النار فقتل جنديين إحداهما صاحب الرشاش فحل محله جندي آخر فهشم رأسه أيضا، فتراجعت السيارة إلى الوراء، عندئذ

حاول المقاومون إعادة الكرة على السيارات والالتفاف عليها بكل جرأة، لكنهم أخفقوا نتيجة النيران الكثيفة التي جوبهوا بها، ثم استمر القتال بين الكر والفر حتى غروب الشمس فانسحب المقاومون بالغنائم التي كانوا قد استولوا عليها بعد أن استشهد منهم ثلاثة من بينهم : احميمة السباعي، وعبد الله بن السويح الذي أمضى عقدا من الزمن وهو وسط لهيب الرصاص ونيران المدافع، وجرح الكوري بن ميشان جرحا خطيرا.

هذه نماذج من المعارك البطولية التي قادها إبراهيم السالم، حيث ظل في ميدان الوغى إلى أن بسطت كل من العساكر الفرنسية والإسبانية سيطرتها على الجنوب المغربي، لذلك تعد معركة لحمادة أو "غزي لحمادة" آخر شعلة أضاءت فضاء المقاومة، بها توجت حقبة الجهاد التي استمرت عدة عقود من الزمن. وحتى بعد الاحتلال التام للمنطقة، فقد ظل المقاوم إبراهيم السالم معارضا للسياسة الاستعمارية ومبتعدا عن العمل لصالح إدارة الاحتلال.

توفي سنة 1958 حيث دفن بموقع أربيگ في أسفل واد الحولي بإقليم وادي الذهب.

ندوة علمية حول موضوع مقاومة إقليم وادي الذهب، نشر *المندوبية السامية للمقاومة وأعضاء جيش التحرير*، مطبعة بني يزناسن، سلا، 1996 ؛ محمد دحمان، *أعلام الجنوب : المجاهد إبراهيم السالم بن ميشان*، من منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، الرباط، 2007 ؛ الطالب أخيار بن الشيخ مامينا، *الشيخ ماء العينين*، مطبعة بني يزناسن، سلا، 2007.

Gavarron Aceytuno, Un tribu del Sahara, Los ulad Delim, in : *Africa, Mayo*, 1961 ; Domenech Lafuente, *Algo sobre Rio de Oro*. Madrid, 1946 ; Capitaine Otton Loyewski, *Rezzous sur l'Adrar*, Imprimerie du Gouvernement Général, Paris, 1942 ; Sahara Occidental et Mauritanie, in : *L'Afrique Française, N° 2, Fevrier*, 1933 ; Colle Andres, *Villa Cisneros*, Libreria Genèral de Victoriano Suarez, Madrid, 1933 ; Paul Marty, *Les tribus de la Haute Mauritanie*, Comité de l'A.O.F, Dakar, 1915.

الدليمي، احميَّن بن **لعروسي** بن الشيعة بن منصور، ولد سنة 1860 بصحراء تيرس، إقليم أوسرد، يعد من أشهر شيوخ قبيلة أولاد دليم، ينتمي لبطن لوديكات الذي يمتد في نجعته إلى شمال موريتانيا. تميز بالدهاء السياسي والحنكة حيث استطاع التفاوض مع الإدارة الفرنسية بموريتانيا للحصول على منافع لقبيلته من قبيل حرية التنقل والانتجاع بشمال موريتانيا وذلك انطلاقا من مركز انواذيبو بشمال موريتانيا وكان ذلك سنة 1909. كما سبق له أن أجرى مفاوضات مع الإسبان بثغر الداخلة سنة 1895 بعد الهجومات التي قادتها أولاد دليم ضد المركز العسكري الذي شيده الإسبان بشبه جزيرة الداخلة، وقد كللت تلك المفاوضات باتفاق وقعه أحمين مع الإسبان قصد تسهيل التجارة مع المناطق الداخلية. ونظراً لقدرته التفاوضية ودفاعه عن المصالح الحيوية لامتداد أولاد دليم جنوبا داخل المستعمرة الموريتانية، قامت الإدارة الفرنسية بأنواذيبو بتعيينه كشيخ عام لمجموع أولاد دليم الواقعين بالمنطقة الخاضعة للاستعمار الفرنسي. وظل احمين في تلك المنطقة.

توفي سنة 1940، فخلفه ابنه البن ولد أحمين الذي كان أحد أعضاء جماعة "آيت أربعين" التي نظمت "غزي أم التونسي" صيف سنة 1932 ضد قوات الاحتلال الفرنسية، كما كان البن أحد شيوخ قبيلة أولاد دليم الذين شاركوا في الوفد الذي ذهب للقاء الملك محمد الخامس بعد عودته من المنفى واستقلال المغرب سنة 1956.

سيد أحمد الشرادي، *الملامح العامة لمجتمع البيظان*، دراسة مونوغرافية لقبيلة أولاد دليم، أطروحة دكتوراه في علم السياسة، كلية الحقوق - عين الشق، الدار البيضاء، 2007 / 2008.

Capitaine Royer, Rapport politique du mois d'octobre, 1909 – *ANM Serie E dossier 31* ; Paul Marty. Les tribus de la Haute Mauritanie, *Renseignements Coloniaux*, CAF, Dakar, 1915.

محمد دحمان

الدليمي، إدريس بن **يهديه** بن **الوالي** : هو العابد الزاهد والمقاوم المجاهد إدريس بن يهديه بن الوالي بن عمار بن عثمان الدليمي وأمه الرعبوب بنت الحبيب بن عمار الدليمية، فهو ينتمي أبا وأما إلى قبيلة أولاد الدليم التي تعد من القبائل الصحراوية العريقة المعروفة بجهادها ومقاومتها للمستعمر الأجنبي منذ أواخر القرن التاسع عشر عندما بدأت طلائعه الأولى تغزو سواحل الصحراء.

في سنة 1852 ولد بمنطقة العركوب بوادي الذهب وبدأ بحفظ القرآن الكريم ثم انتقل سنة 1870 إلى الشيخ ماء العينين في موضع القريزيم قرب مدينة السمارة ولازمه سنين عديدة ملازمة المريد لشيخه فنال منه من العلوم مالم ينل أحد من الطلبة والمريدين من أقرانه ومعاصريه. فقد جدد عليه قراءة القرآن الكريم ودرس عليه علوما متنوعة وكثيرة منها الفقه والأصول والنحو والبلاغة والعروض والفلك ثم ختم دراسته بأخذ الطريقة. وكان الشيخ ماء العينين يثني عليه ويشيد به ويقول "ما رآيت من يشبهه في تحصيل العلم ومعارفه". وكان إلى جانب أخذه العلم منشغلا بالعبادة لا يفتر عنها ولا يشغله عنها شاغل. ولما تكاملت معارفه وعلومه أجازه إجازة تامة في مختلف العلوم وصدره مما يدل على تقديره الفائق له ومكانته الكبيرة لديه. وفي سنة 1887 وجهه إلى الحج والتقى هناك بعدد من العلماء والأدباء وكانت له معهم محاورات علمية وأدبية في مختلف العلوم وكان كثيرا ما يستشهد بأقوال وآراء شيخه الشيخ ماء العينين ويقول "مانفعني الله إلا بشيخي الشيخ ماء العينين". ولما رجع من الحج، "عينه على قوافل التموين فكان مثالا للاستقامة والصدق والنزاهة. وكان كذلك يستشيره في كثير من الأمور العامة ويكلفه

بكثير من المهام الصعبة لما رأى فيه من حنكة العقل ورزانة الفعل وشدة الحزم وصرامة العزم وقوة الشكيمة ورجاحة الرأي ومتانة الحكمة.

في سنة 1904 انخرط في الجهاد رفقة اثنين من أبناء الشيخ ماء العينين هما الشيخ حسن والشيخ الولي وشارك في عدة معارك حربية في الصحراء وشنقيط أظهر فيها جرأة وبطولة نادرتين. من أشهرها معركة اقصير الطرشان التي جرح فيها والتي وقعت يوم 28 يوليوز من سنة 1909 بقيادة الشيخ الولي بن الشيخ ماء العينين حيث اشتبك المجاهدون الصحراويون والشناقطة مع وحدات فرنسية يقودها النقيب "ديبرتويس" الذي لقي حتفه مع عدد كبير من جنوده.

بعد وفاة الشيخ ماء العينين واصل مسيرته الجهادية، فجاهد مع ابنه الشيخ محمد الأغظف وخاض معه معارك متعددة منها معركة البيرات التي وقعت يوم 10 يناير من سنة 1913 حيث شن المجاهدون من قبائل الصحراء هجوما مباغتا على الوحدة العسكرية الفرنسية الموجودة في البيرات وأبادو جميع جنودها بمن فيهم قائدها "مارتان" وجميع الضباط وضباط الصف الفرنسيين كما أبادوا معظم الهجانة واستولوا على أسلحتهم وذخيرتهم وجميع جمالهم، ومعركة القليب التي وقعت يوم 9 مارس من سنة 1913 والتي تكبدت فيها القوات الفرنسية بقيادة العقيد "موريه" خسائر فادحة في الأرواح والعتاد والجرحى حيث فقدت أكثر من ثلاثين قتيلا وجرح منها خمسون وأسر حوالي ستين وتم الاستيلاء على صندوقين مملوءين رصاصا فر عنهما الرماة. واستشهد من المجاهدين ثمانون رجلا وجرح خمسة عشر.

وفي سنة 1915 التحق بالشيخ أحمد الهيبة بن الشيخ ماء العينين في كردوس وخاض معه معارك في منطقة سوس منها معركتي وجان وإيكالفن سنة 1917 ومعركة تيفرنين سنة 1918. وبعد وفاة الشيخ أحمد الهيبة واصل جهاده مع أخيه الشيخ مربيه ربه الذي قاد من بعده الحركة الجهادية في الجنوب المغربي وشارك معه في بعض المعارك من أشهرها معركة آيت وادريم التي وقعت سنة 1921 والتي انهزم فيها القائد الكندافي الموالي للقوات الفرنسية، ومعركة تيغمي التي وقعت سنة 1929 وانتهت بانهزام تجريدة موالية للقوات الفرنسية أرغمت على التراجع إلى مركزها في مدينة تيزنيت، ومعركة الأخصاص التي وقعت في شهر فبراير من سنة 1934. وهي من بين آخر المعارك التي وقعت في السهل بين المجاهدين بقيادة الشيخ مربيه ربه والقوات الفرنسية لأن هذه القوات تمكنت من بسط سيطرتها على مختلف المناطق الجنوبية التي ظلت عصية حتى هذه السنة بسبب استمرار المقاومة وصمود زعيمها في الجنوب المغربي الشيخ مربيه ربه.

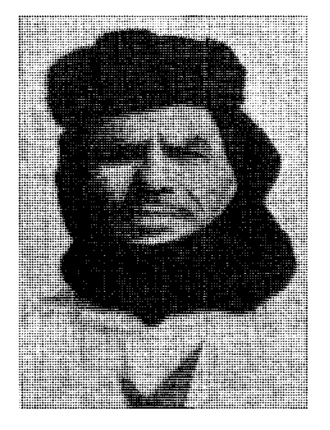
وفي أواخر سنة 1934 انتقل إلى مدينة الداخلة وانشغل بقية حياته بالعبادة والزهد والعلم وكانت له مشاركة في كثير من الفنون العلمية. وقد توفي سنة 1941 ودفن بتاشكتنت شرقي منطقة العركوب بوادي الذهب.

رسالة من الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين إلى إدريس بن يهديه تتعلق بأمور الجهاد، خزانة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ الشيخ ماء العينين، *أمراء وعلماء في مواجهة الاستعمار الأوروبي*، الطالب أخيار بن الشيخ مامينا، مطبعة بني إزناسن، سلا، المطبعة الأولى، 2005 ؛ *رسالة من الشيخ الولي إلى* والده الشيخ ماء العينين يخبره فيها بتاريخ المعركة، خزانة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت.

ماء العينين النعمة علي

الدليمي، اسويلم ولد **عبد الله** ولد أحمد لبراهيم، أحد الزعماء المعاصرين لقبيلة أولاد دليم بمنطقة وادي الذهب، ولد سنة 1913 بزوگ جنوب شرق مدينة الداخلة. كان من شيوخ القبيلة أيام الاستعمار الإسباني، كما انتخب في شهر ماي سنة 1963 عمدة لمدينة الداخلة (alcalde de Villa Cisneros) وفي تلك السنة حصل على مقعد في البرلمان الإسباني (cortes) حيث ظل عضوا فيه إلى حدود سنة 1975. وفي سنة 1966 كان عضوا في الوفد الصحراوي الذي كونته إسبانيا للذهاب إلى نيويورك للدفاع عن الإدارة الإسبانية في الأمم المتحدة. بعد ذلك في سنة 1967 انتخب عضوا للجماعة الصحراوية المكونة من شيوخ القبائل. وفي نونبر 1975 غادر الداخلة ليحضر اجتماع "الجماعة الصحراوية" المنعقد بتاريخ 28 نونبر 1975 بگلتة زمور. بعد ذلك ذهب إلى موريتانيا وأصبح عضوا في حزب الشعب الموريتاني الحاكم في عهد الرئيس ولد داداه حيث اصبح نائبا بالبرلمان ممثلا للداخلة التي كانت آن ذاك تحت الإدارة الموريتانية. بعد انقلاب 10 يوليوز 1978 على المختار ولد داداه عاد إلى الصحراء وظل يعيش في مضارب البدو.

توفي سنة 1996 حيث ووري جثمانة الثرى بصحراء أم اگرين.



Africa, N° 338, Feberero, 1970, Madrid ; *Africa*, N° 356, Agosto, 1971, Madrid ; Tony Hodges, *Historical Dictionary of Western Sahara*, London, 1982.

الدليمي، بابا ولد **حسن** ولد **اعلي** سالم، ولد سنة 1928 عند تگبة بصحراء وادي الذهب، ينتمي

لفخذ أولاد باعمر من قبيلة أولاد دليم، لعب أدوارا طلائعية في إدارة شؤون القبيلة خلال النصف الأول من القرن العشرين إلى حدود السبعينات، وعند تكوين السلطات الإسبانية "للجماعة الصحراوية" انتخب بابا ولد حسنَّ نائباً أول لتلك الجماعة (Asemblea del Sahara) وذلك بتاريخ 11 شتمبر 1967، كما أعيد انتخابه مرة أخرى نائبا لرئيس الجماعة الصحراوية في سنة 1971، ثم أصبح عضوا في البرلمان الإسباني (Cortes). وفي سنة 1975 غادر الداخلة نحو البادية حيث حضر آخر اجتماع للجماعة الصحراوية بگلتة زمور بتاريخ 28 نونبر 1975. كما زار موريتانيا لما صارت منطقة تيرس الغربية تحت الإدارة الموريتانية إثر اتفاقية مدريد الثلاثية. ترك بابا خمسة من الأبناء هم السالك وطول عمرو وأباه ومحمد عبد الله، ومن البنات مَنينة والغالية.

توفي في شهر يوليوز من سنة 2000 ودفن عند بئر أم اگرين (Fort Trinquet).

مقابلة ميدانية مع السيد محمد لمين بن محمد فاضل السملالي، شتاء سنة 2011 بالداخلة.

Tony Hodges, *Historical Dictionary of Western Sahara*, London, 1982 ; *Africa, N° 338*, Feberero, 1970, Madrid ; *Africa, N° 356*, Agosto, 1971, Madrid.

الدليمي، الباشا سيد أحمد شكاف هو سيد أحمد بن السالك بن شكاف، ينتمي إلى فخذ أولاد لخليكة من قبيلة أولاد دليم. ولد سنة 1931 بصحراء وادي الذهب. التحق بحركة جيش التحرير بمنطقة واد نون منتصف الخمسينات من القرن العشرين، وشارك في المعارك الجهادية سنوات 1956 و 1957 (مثل معركة تالوين بواد نون) كما كان عضوا في جماعة آيت أربعين الممثلة للقبائل الصحراوية بمدينة گلميم حيث مثل أولاد دليم إلى جانب كل من عبد الله ولد الخطاط وابراهيم السالم ولد عمار ولد امبارك.

يقول أحمد سالك أبو زيد عن هذه "الجماعة" "إن هؤلاء الأشخاص شكلوا ما يسمى بنواب الاتصال وهم جماعة تجتمع بالقيادة للاستشارة أو جمع المال وتبحث الطرق التي يجب اتباعها" (رواية شفوية كتاب المقاومة الصحراوية : 51/2008). كان المقاوم سيد أحمد شكاف منتمي لتيار الحركة الشعبية في جيش التحرير إلى جانب كل من أحمد سالك أبو زيد الموسوعلي، وحرمة ولد ببانا العلوي، وأبا الشيخ الركيبي وحبوها لحبيب الرگيبي وعبد الله ولد سعيد الرگيبي وخطري ولد سعيد الجماني، إلى جانب بعض الزعماء المنحدرين من قبائل زمور. وبعد عملية إيكوفيون التي تراجع على إثرها جيش التحرير، أقام الراحل ولد شكاف بمدينة الطنطان حيث تقلد منصب خليفة إداري بمركز الطنطان. وفي سنة 1979 التحق بمدينة الداخلة حيث عين باشا للجماعة الحضرية لـگويرة، وبقي في ذلك المنصب.

توفي بالداخلة بتاريخ 17 يونيو 2011، حيث دفن بمقبرة أهل التاورطة الشهيرة.

علي العمري، *المقاومة الصحراوية والعمل الوطني*، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، 2008 ؛ *مقابلة ميدانية* مع حفيد المترجم له المهندس علي سالم شكاف.

الدليمي، الباشا محمد فاضل بن **السملالي** : هو محمد فاضل ولد محمد ولد إبراهيم ولد السملالي، المعروف ب : بل، أما والدته فهي : عائشة بنت أخليل السباعي. ولد سنة 1923 بمنطقة لمگتمة جنوب واد الكراع بإقليم وادي الذهب، بدأ تعليمه المحضري بمضارب قومه، ثم تعلم اللغة الإسبانية في مدارس الگويرة والداخلة حيث التحق بالجيش الإسباني وانضم للفيالق المتنقلة (Tropas nomadas) وذلك في بداية الأربعينات من القرن العشرين، وكان مكلفا بالاتصال، حيث اشتغل في مركز الطنطان وتلمزون ولمسيد، وبقي هناك إلى منتصف الخمسينات حيث تم إلحاقه بالعيون، ثم نقل إلى الداخلة. وخلال سنتي 1957 و 1958 أظهر تعاطفه مع حركة جيش التحرير وانضم إلى خلايا حزب الاستقلال الشيء الذي جعل الإسبان يعتقلونه وهو آنذاك في رتبة رقيب عسكري، وأودعوه سجن الگويرة، أما أخوه حسن ولد السملالي فقد انضم إلى مقاتلي حركة جيش التحرير.

وبعد خروجه من السجن أعاده الاستعمار إلى الخدمة العسكرية حيث عينوه من جديد في مركز العرگوب مكلفا بالاتصال، وكان هذا المركز خاصا بالفيالق المتنقلة بمنطقة النفوذ الإسباني بوادي الذهب. وقد احتل مكانة مرموقة في هذه الفيالق العسكرية بفعل الالتزام والعمل الدؤوب والنزاهة. وفي سنة 1970 تقاعد من الجيش الإسباني، وتم إلحاقه كعضو في الجماعة الصحراوية (Asemblea del Sahara)، ولما خلق الإسبان "حزب الاتحاد الوطني الصحراوي" (PUNS) انضم محمد فاضل إليه، حيث كان مكلفا بإدارة مكتبه بالعرگوب، كما عين نائبا لرئيس فرع الحزب بمنطقة وادي الذهب الذي كان يرأسه محمد الأمين ولد حرمة الله. ولما بدأ المغرب في تنظيم المسيرة الخضراء، حاول محمد فاضل ومحمد الأمين ولد حرمة الله ربط العلاقات بالرباط، لكن اتفاقية مدريد الثلاثية جعلت منطقة وادي الذهب من نصيب موريتانيا، حيث بقي محمد فاضل بالداخلة تحت النفوذ الموريتاني إلى أن مرت سنة كاملة، بعد ذلك اتصل بالسلطات المغربية. وكان من الذين حضروا لبيعة قبائل وادي الذهب لجلالة الملك الحسن الثاني في شهر غشت سنة 1979 إلى جانب الشريف الدليمي وعبد الله بن الخطاط والجنرال أحمد الدليمي. وفي نفس السنة تم تعيينه بظهير كباشا لمدينة الداخلة، وهو المنصب الذي ظل يشغله إلى حدود سنة 2002، حيث تم تعيينه كاتبا عاما ملحقا بعمالة إقليم وادي الذهب.

عمل محمد فاضل في المجال السياسي خدمة لوحدة التراب الوطني، حيث شارك في بعثات ووفود عديدة نحو نيويورك ونايروبي وفريتاون وإسبانيا وموريتانيا، كما شارك بفعالية في عملية تحديد الهوية وتأطير المواطنين.

ترك الباشا محمد فاضل أربعة من الأبناء هم : محمد الأمين المعروف بميني، والشيخ لكبير المعروف بأكبيري، وأم كلثوم المعروفة بأندآي وأختها منتو، وهم أشقاء أمهم مانفشين بنت السملالي. وله ولد ثالث هو أعزيزي أمه اكريكبات بنت أكماش العروسية.

توفي محمد فاضل بن السملالي بمدينة الداخلة سنة 2005، حيث دفن بمقبرة التاورطة.

أرشيف عائلة الباشا محمد فاضل السملالي - الداخلة ؛ *مقابلة* مع ابنه، محمد الأمين السملالي وأخوه أكبيري، صيف سنة 2009.

Tony Hodges, *Historical Dictionary of Western Sahara*, London, 1982.

الدليمي، محمد سالم بن **محمد آعمر** : هو محمد سالم بن محمد اعمر بن السالك بن النفاع، ولد سنة 1914 بمدينة الصويرة إبان مصاحبة والده للشيخ ماء العينين أيام المقاومة التي تلت معركة سيدي بوعثمان، وبعد ذلك عادت أسرته إلى سوس ثم الطرفاية والدورة.

درس القرآن على يد الفقيه محمد فاضل بن محمد البار القلقمي نسبا، الدليمي البعمري سكنا. أما والدته فهي عائشة بنت أحمد من قبيلة ادوعيش، وبعد تخرجه من مدرسة الفقيه محمد فاضل، أصبح من الحفظة المرموقين داخل قبيلة أولاد دليم بإقليم وادي الذهب. ثم تصدر للتدريس كما كان إماما لمسجد الداخلة (مسجد حي الكسيكسات)، وأحد وجهاء القبيلة، وبقي في تلك المهمة.

إلى أن توفي في شهر ماي من سنة 2003. حيث وري جثمانه الثرى بمقبرة الداخلة.

مقابلة ميدانية مع ابنه محمد الحسن بالداخلة - صيف 2009 ؛ *مقابلة مع السيد* حمادي بن هنون العروسي، الداخلة، صيف 2009.

محمد دحمان

الدليمي، محمد فاضل بن **إبراهيم** هو البطل المجاهد الكبير والفارس المغوار الشهير محمد فاضل بن إبراهيم بن بله بن السملالي البعمري الدليمي نسبة إلى قبيلة أولاد الدليم التي أنجبت عددا كبيرا من الأبطال المجاهدين والأشاوس المقاومين. ولد سنة 1880 في تيرس قرب مدينة الداخلة ودرس القرآن الكريم على والده إبراهيم بن بله ثم انتقل معه إلى الشيخ ماء العينين حيث درس عليه جل العلوم من نحو وبلاغة وفقه وحديث وأصول وأخذ عنه الطريقة ومكث معه زمنا طويلا وكان يسافر معه ويستشيره في كثير من أموره. قال عنه الشيخ مربيه ربه "العالم العابد والولي الزاهد مريد شيخنا الشيخ ماء العينين الواصل وتلميذه الكامل وفد عليه مع والده ودرس عليه جميع العلوم الظاهرة والباطنة حتى أنه لم يبق لديه علم إلا وأعطاه له ومكث معه سنين عديدة لا يفارقه حتى اكتملت معارفه وعلومه وكثرت قراطيسه وفهومه فأجازه رضي الله عنه إجازة تامة شاملة وأذن له في الرحيل إن أراد أو البقاء في حضرته ففضل البقاء". وكان دائما يخاطبه بقوله "ابننا وصفينا وسمي والدنا محمد فاضل حفظك الله بحفظه الكامل وجعلك في عز متواصل وشامل".

في سنة 1906 انخرط في سلك المجاهدين مع الشيخ حسن بن الشيخ ماء العينين الذي عينه والده قائدا للحملة الجهادية التي انطلقت لمحاربة القوات الفرنسية لما بدأت احتلالها لشنقيط والجنوب المغربي فشارك معه في مختلف المعارك التي قادها، منها معركة النميلان التي وقعت يوم 5 نوفمبر من السنة نفسها ومنيت فيها الجيوش الفرنسية بهزيمة ساحقة ومعركة اكجوجت التي وقعت يوم 16 مارس من سنة 1908 وتكبد فيها الفرنسيون كذلك خسائر في الأرواح والعتاد وانتهت بمقتل النقيب "ربو" ومعركة دامان التي وقعت يوم 17 أبريل من السنة نفسها وانتهت بانتصار المجاهدين.

وفي شهر يناير من سنة 1910 هاجر مع الشيخ ماء العينين إلى مدينة تيزنيت وبعد وفاته وتولي ابنه الشيخ أحمد الهيبة قيادة الجهاد شارك معه في جميع المعارك التي خاضها ضد القوات الاستعمارية الفرنسية "وأبدى فيها شجاعة وجرأة نادرتين سواء في سوس أو أحواز مراكش"، منها معركة سيدي بوعثمان التاريخية قرب مدينة مراكش ومعارك أزغار وماسة وشتوكة وتيكمر واسرسيف ووجان وتيزنيت وأكلو وبونعمان. وبعد وفاة الشيخ أحمد الهيبة وتولي شقيقه وخليفته الشيخ مربيه ربه قيادة الجهاد شارك معه في جميع المعارك التي خاضها ضد الاستعمار الفرنسي من أشهرها تيغمي والأخصاص وآيت بلا. وكان يرافقه في جميع تحركاته وجولاته بين القبائل في سوس وآيت باعمران وواد نون. وقد حاولت فرنسا مرارا إلقاء القبض عليه وجندت لذلك جميع الوسائل لكنها فشلت في ذلك.

وفي سنة 1934 وبعد أن أحكمت فرنسا سيطرتها الكاملة على الجنوب المغربي انتقل إلى الصحراء ومكث زمنا مع الشيخ محمد الأغظف بن الشيخ ماء العينين وفي بداية سنوات الخمسينيات انتقل إلى مدينة الداخلة واشتغل بالقضاء الذي أداره بحنكة ورزانة ورجاحة عقل وكان عادلا في أحكامه صادقا في أقواله وفيا لواجباته وأعماله.

وفي سنة 1956 ذهب إلى الرباط مع عدد كبير من أعيان قبائل الصحراء لتهنئة الملك محمد الخامس برجوعه من المنفى وتجديد البيعة والولاء والإخلاص له.

وفي سنة 1957 أشاد بظهور جيش التحرير في الأقاليم الصحراوية ودعا عددا كبيرا من أبناء الصحراء إلى الانخراط فيه لتحريرها من الإستعمار الإسباني.

توفي سنة 1993 بمدينة الداخلة ودفن بها بعد أن عاش عمرا طويلا قضاه كله في الجهاد والنضال والمقاومة والعلم والعمل والعبادة.

الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين، *تقييد خاص*، خزانة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ رسالة الشيخ ماء العينين إلى المترجم له، خزانة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ انظر بشأن هذه المعارك رسائل الشيخ ماء العينين في الجهاد خزانة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ الشيخ النعمة بن الشيخ ماء العينين، *ديوان الأبحر المعينية في بعض الأمداح المعينية*، تحقيق، الدكتور أحمد مفدي، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا، مرقون بخزانة كلية الآداب بفاس، السنة 1975 / 1976 ؛ الشيخ ماء العينين، *أمراء وعلماء في مواجهة الاستعمار الأوروبي*، الطالب أخيار بن الشيخ مامينا، الطبعة الأولى، 2005، مطبعة بني إزناسن، سلا.

ماء العينين النعمة علي

دوپوي، جان ريني، Dupuy Jean-René وهو فرنسي من أبرز فقهاء القانون الدولي. ولد بتونس في شهر فبراير 1918. درس بالجزائر قبل أن يشارك في الحرب بجانب الحلفاء ابتداء من سنة 1942. وباشر بعد ذلك دراساته في مجال القانون ليحصل على الدكتوراه بباريس سنة 1948. درّس للقانون بفرنسا والجزائر وكان عميد كلية الدراسات القانونية والسياسية بنيس بفرنسا. ومن بين المهمات العديدة التي تولاها، نذكر منصب الكاتب العام لأكاديمية القانون الدولي بلاهاي، وعضواً في أكاديمية العلوم السياسية بفرنسا وأكاديمية المملكة المغربية ومراسلا لأكادمية اليونان وإسبانيا ورئيس أكاديمية السلم والأمن الدولي. وقد تم توشيحه بكثير من الأوسمة بفرنسا ودول عديدة أوروبية وأمريكية وإفريقية وبالوسام العلوي بالمغرب. وله العديد من الدراسات والكتب حول القانون الدولي والتنمية والسياسة والمنظمات الدولية والقوانين المنظمة للموارد الطبيعية. وقد صنفه الأمين العام السابق لليونيسكو فريديريكو مايور ضمن ألمع المفكرين في الكون لما كان يتصف به من بعد نظر وصدق وعمق في التفكير شمل ميادين متعددة، واعتبره بطرس غالي منبع الكثير من المقترحات والدراسات على المؤسسات الدولية. ويرجع له الفضل في تطبيق مفهوم الإرث الحضاري المشترك للإنسانية.

ويذكر أن آخر تكريم له سنة 1998 حضره مئات الشخصيات المرموقة على المستوى الدولي. وقد طبع في شخصه وأعماله مؤلف يضم شهادات من بين ما صنفته فيها كونه منبع إلهام دائم حول مستقبل النظام الدولي، خدمة لكرامة وحقوق الإنسان. وكانت تصوراته تجمع بين البعدين القانوني والفلسفي.

ويعتبر من أكبر المدافعين بقناعة فكرية وتاريخية وقانونية عن قضية الصحراء المغربية، حيث تجلت أهم مبادرة له في المرافعة التاريخية التي قدمها بمحكمة العدل الدولية في شهر مايو 1975، والتي قال في مجملها، بارتباطها بمفهوم البيعة، ما يمكن أن نترجمه بالنص التالي :

"لقد ناضل المغرب منذ عدة قرون من أجل الحفاظ على استقلاله ووحدته الترابية ضد تحالف دول عظمى. وعندما استسلمت الدولة، في فترة معينة، أمام جبروت هذه القوى الكبرى، انتفض الشعب المغربي وحل محل الدولة لمواصلة الكفاح على مختلف الجبهات إلى إن يتحقق النصر النهائي. وتلكم هي الملامح السامية للإرادة الوطنية القصوى التي تفوق كل استفتاء". ومن منطلق هذه الرؤية الصائبة والحجج الدامغة وبعد تحليل دقيق للأبعاد التاريخية والقانونية للنصوص والاتفقيات الثنائية والدولية والدوافع الكامنة وراء مخططات أطراف النزاع حول المناطق الصحراوية، أكد المترجم أنه لا جدال حول الروابط القانونية القائمة بين المغرب وصحرائه، مبعدا بذلك الطرح الإسباني الذي اعتبر المنطقة أرضا خالية وبدون حاكم خلال فترة ما قبل الاستعمار، ومبديا أن محاولة جميع الأطراف المترافعة أمام المحكمة في البحث عن الأسس القانونية والتاريخية سواء من خلال وثائق القانون أو وثائق السيادة، هي في حد ذاتها إبعاد لكل لبس حول الطبيعة الحضارية للمنطقة. فأبان عن ضعف الأسس التي اعتمدتها إسبانيا وعن قصورها المقصود في جرد الروابط القائمة عبر مراحل التاريخ بين المغرب ومناطقه الجنوبية، ولا أدل على ذلك من تلك المحاولات السابقة التي اعتمدتها إسبانيا للتصدي لكل مطالبة صادرة عن المغرب من أجل استكمال وحدته الترابية وسيادته على مناطقه الجنوبية، مدعية في الوقت ذاته انعدام أي نزاع بين الدولتين.

ولإبراز الأهمية في قراءة التاريخ بكل أبعاده وتوظيف نتائج البحث في قضية الصحراء المغربية، قام باستحضار بعض الأمثلة الحية التي تبناها المجتمع الدولي في قضايا تصفية الاستعمار، وخص بالتحليل مسألة الكاميرون التي اعتمدت في دراسة جذورها التاريخية الرجوع إلى القرون الوسطى، وأصبحت هذه الخطوة سابقة أولى أثارت اهتمام الباحثين والمختصين.

والأساس بالنسبة للمغرب الذي طالب بالرأي الاستشاري في هذه القضية أنه لم يطالب المحكمة بتحديد الوضع المستقبلي لمنطقة الصحراء، لأنه لا ينتظر الكثير من نتائج الرأي الإستشاري، اعتبارا لتداخل المصالح القانونية لأطراف النزاع، بقدر ما يتعلق الأمر بمسألة مبدئية تتجلى في وحدته الترابية وفي مبدأ سيادته التي لا يجب أن توضع محل سؤال.

وقد ذهب الدكتور دوپوي إلى اعتماد الوثائق المقدمة من طرف إسباني لدى محكمة العدل الدولية، ليبرز من جهة، التناقضات الواردة في قراءتها وتأويلها، ومن جهة أخرى إثبات معظمها لاستمرارية الروابط القانونية بين المغرب والصحراء الغربية خلال فترة الاستعمار. ثم تعدى ذلك ليتقدم باسم الوفد المغربي بالشكر إلى

الحكومة الإسبانية على كشفها لمستندات تشكل برهانا ثابتا على مغربية الصحراء.

وذكر بأن قراءة الوثائق التاريخية تبرز بوضوح بأن تأسيس الدولة المغربية في عهد المرابطين، تم تحقيقه من طرف رجال منحدرين من الساقية الحمراء، وعندما تعرضت الدولة لنكسة في آخر القرن التاسع عشر، فإن أبناء أولائك الرجال هم الذين أخذوا بزمام الأمر للدفاع عن مؤسسة الدولة المغربية.

وعند محاولة يائسة من طرف المجلس الإسباني المرافع لدى محكمة العدل الدولية، الذي اعتبر الفترة الممتدة من سنة 1767 إلى عام 1884، مرحلة تاريخية حاسمة لفائدة الطرح الإسباني، رد الدكتور دوپوي، بأنها حقبة حاسمة بالنسبة للمغرب، أخذا بعين النظر أنه خلال سنة 1767 توجهت السلطات الإسبانية بطلب رسمي إلى السلطان المغربي ملتمسة" من صاحب الجلالة الإمبراطوري، السماح لسكان جزر الكناري باتخاذ منطقة شمال واد النون محطة لتجفيف منتوجاتهم البحرية"، "مشروع اتفاق مؤرخ في 20 مايو 1767 موجه من طرف السفير الإسباني خرخى خوان إلى الحكومة المغربية". ويوضح في هذا السياق أن الجميع يعلم بأن السلطان المغربي لم يستجب لهذا الطلب إلا تحت الضغط وبعد هزيمة عسكرية تمت على إثرها توقيع اتفاقية تطوان سنة 1860.

في حيز دقيق من مرافعة الدكتور دوپوي متعلق بالمعطيات المقدمة من طرف الوفد المغربي، وخلافاً لادعاءات الطرف الإسباني حول استغلال المغرب لمفهوم المجاورة كعنصر أساسي في إثبات الروابط القانونية بينه وبين والصحراء الغربية، أبان بأن المغرب يعتبر هذا المفهوم عنصرا مكملا لجملة من المعطيات الأساسية. كما أكد بأن المفهوم الجغرافي للمجاورة "contiguïté" يستمد أهميتــه وقوتــه من تضاعف الوحدة الجغرافيــة لتولــد وحدة إنسانية ومنها إلى وحدة في ممارســة السلطة، وهــي معطيات ظلت متكاملــة وحاضرة خلال فترة الاستعمــار الإسباني للصحراء الغربيــة، خصوصا في الساقية الحمراء، التي باتت، رغــم التقسيم الاصطناعي الذي تعرضت له تعرف وحدة إدارية وبشرية.

وكما هو الشأن في مرافعة الدكتور فؤاد عمون، فقد شبه البروفيسور دوپوي، بدوره حالة الصحراء المغربية بالشكل المطابق، ليس فقط لوضعية منطقة كاتانغا الكونغولية، التي لم تجادل فيها لا منظمة الأمم المتحدة ولا منظمة الوحدة الإفريقية، بل تطابق دون شك حالة الفيتنام، باعتبار أن الاستعمار استهدف دولتين كان متعارفاً على سيادتهما من طرف المنتظم الدولي، تعرضت أراضيهما للتمزيق من طرف الاستعمار. وبالتالي فإن جميع المناطق المنضوية تحت الإمبراطورية الشريفة تشكل كلا عضويا مغربيا معترفا به من طرف القانون الدولي.

توفي بباريس يوم 17 يوليوز 1997.

ماء العينين الطالب أخيار

دو پويگودو، أوديت، Du Puigaudeau, Odette 1894 - 1990

الرائدة الفرنسية التي ذاع صيتها في العقــود الوسطى من القرن العشــرين بسبب رحلاتها المتعــددة عبــر الصحراء الغربية وما كــان يسمى بتراب البيضان عند أهله وموريطانيا عند رواد الاستعمار الفرنسي.

ازدادت يــوم 20 يوليــوز 1894 بســانــزيــــر (Saint-Nazaire) ميناء من موانئ إقليم بريطاني في فرنسا الذي كان عيش أهله قائما على التوغل في أعلى البحار لصيد السمك. إلا أن والد أوديت دو پوگودو كان رساما ووالدتها كانت تشتغل بالنحت على الخشب، فنشأت الطفلة بينهما فريدة وتعلمت بينهما ما كتب لها أن تتعلم فأطلقت لمخيلتها العنان مستعيضة بذلك عما شاب شبابها من الملل والكآبة. ولم تترك منزلها إلا سنة 1920 حيث رحلت إلى باريس بقصد متابعة بعض الدروس عن علوم البحار. لكنها تركت ذلك لتشتغل بالرسم في "كوليج دى فرانس" وتعمل لحظة في هذا الميدان عند دار جان لانڤـان الدائعة الصيت في عالم الموضة. ثم إنها عادت سنة 1929 إلى موطنها الأصلي راغبة في ركوب البحار مع الرجال لصيد التّن. ومع أن التجربة سرعان ما باءت بالفشل إلا أن رغبة جامحة في التخلص من الآفاق الضيقة وحب المغامرة الذي كان يجري في دمائها جعلها تقبل عرضا بارتياد التراب الموريطاني باقتراح من وزارتي المستعمرات والتعليم الفرنسيتين ومن متحف تاريخ الطبيعة في باريس. وكانت موريطانيا عندما وطئت قدما أوديت دو پوگودو نواديبو (أنذاك پور إتيين Port-Etienne) قد تمت السيطرة العسكرية عليها، ولكن السيطرة الإدارية لا تزال في حاجة إلا كشف النقاب عن باطن المجتمع وعن أسراره الإثنوغرافية وسوابق كل ذلك في التاريخ. وهل يمكن أن يطلع على ذلك إلا إمرأة جاءت مع رفيقة لها، إسمها ماريون سينونيس (Marion Senones)، فتجولتا طولا وعرضا في بلاد شنگيط وأماطتا الحجب عن كل الخبايا، مبديتين للعالم أجمع أن موريطانيا المفصولة عمدا من المغرب صارت مستعمرة فرنسية تنعم بالأمن والسكينة بدليل رحلات تينك المرأتين.

لكن أوديت دو پوگودو لم تكن من جنس الجواسيس وإنما كانتا من المولعات بالفن والعلم وروح المغامرة وحب الاستطلاع، فانطلقت ورفيقتها تجوب الصحراء الغربية طولا وعرضا تقطع الأودية والفيافي على ظهر الجمل تارة ومشيئا على الأقدام تارة أخرى، تبيت تحت الخيام في الغالب وفي "القصور" الصحراوية كلما كتب لها أن تدخلها، واصفة بلغة أنيقة كل ما كانت تقف عليه من المشاهد وراسمة بالريشة كل ما ارتسم أمامها من وجوه الحياة في الصحراء، وذلك في عدة كتب ضمنتها تفاصيل رحلاتها قبل الحرب العالمية الثانية ثم بعدها. ففي *Pieds nus à travers le Sahara* (حفاة عبر الصحراء) الصادر سنة 1936، وفي *La grande fête des dattes* (موسم الثمور الأكبر) الصادر سنة 1937، وفي *Le sel du désert* (ملح الخلاء) الصادر سنة 1938، وفي Mon ami Rachid

(صديقي رشيد) وهو اسم فهيد ربّته أثناء تنقلاتها، صدر 1939، دونت أوديت دو پوگودو ماجريات رحلتيها الأوليين في الصحراء خلال النصف الأول من ثلاثينات القرن العشرين. ثم بعد أن وضعت الحرب أوزارها عادت الرحالة إلى الصحراء الغربية فيما بين 1949 و1951، ودخلتها تلك المرة من الشمال انطلاقا من أگادير وتيندوف نحو الجنوب ذاكرة تفاصيل بناء الطريق الاستعماري الجديد في كتاب بعنوان *La piste Maroc Sénégal* (المسلك من المغرب إلى السينغال) صدر سنة 1954، علما بأن ذلك المسلك لم يكن سوى الطريق اللمتوني المعهود أو طريق المرابطين الذي كانت قد وصفت منطلقه من الجنوب في كتاب آخر بعنوان *La route de l'ouest* (طريق الغرب) صدر سنة 1945. وإن شهدت هذه الكتُب على شيء فإنما تشهد على أن أوديت دو پوگودو لم تكن سيدة مرهفة الحواس فحسب وإنما كانت من العالمات اللائي لا تخفن في الجهر بالحقائق العلمية لومة لائم، ذلك بأنها لم تكتف بإدراك ما كان يجري في الصحراء الغربية من مناورات الاستعمار وإنما أبت إلا أن تجهر بذلك وأن تحتج للحقيقة بحجج دامغة وشهادات كبار مديـري تلك المنـاورات. ولا أدل على ذلك من استقرارها في الرباط في طليعة الستينات إلى أن وافتها المنية. وفي الرباط أصدرت كتاباً بعنوان *Le passé maghrebin de la Mauritanie* (الماضي المغربي لمورطانيا) صدر سنة 1962، علما بأن صروف التاريخ وتقلبات السياسية لم تكن لتشدها إلى الصحراء الغربية لو لم يمسك بألبابها ما ينبعث من تلك الرمال والصخور المتناثرة من وجوه السحر ولسكانها رجالا ونساء من الجاذبية والتأثير. هكذا تحول ما كان أول الأمر ضربا من الأوامر الرسمية إلى افتتان وإلى إلهام بضرورة المبادرة إلى إرساء معالم مجتمع فريد من نوعه أصيل صار مهـددا بالتغيير. لقـد أخـذت أوديت دو پوگودو على عاتقها أن تثبت باللفظ وبالرسم أوصاف مجتمع مبني على الترحال صارت تتسرب إليه رياح الحداثة الصناعية ويلزمه النظام الموروث عن الاستعمار بالاستقرار في القرى والمدن. ولذلك تشكل شهادة هذه السيدة وما رسمته عن خيام الصحراويين وقصورهم ومساجدهم ومدارسهم وأدواتهم وتقنياتهم وأشكال أفراحهم وأتراحهم وزخارفهم وملابسهم ذخيرة لا تقاس بثمن، كانت الغاية منه أن يصاغ في شكل أطروحة جامعة تقدم لنيل الدكتورة من جامعة السوربون. لكن أبواب السوربون أغلقت في وجه أوديت دو پوگودو جراء عدم مسايرتها للطرحات الاستعمارية. فما كان على مجلة إيسبريس تمودا المغربية (*Hesperis - Tamuda*) إلا أن تنشر تلك الأبحاث القيمة في سلسلة من أعدادها بين 1969 و1980 تحت عنوان *Arts et Coutumes des Maures* (فنون وأعراف الموريين)، وقد أعيـد نشـر ذلك في كتـاب واحد مبـادرة من وكالـة الأقـاليم الجنوبية سنة 2009.

ويستخلص من هذا المؤلف الذي هو زبدة أعمال الرحالة الكبيرة ما يستقرأ من كل مؤلفاتها. وأولى الخلاصات أن الصحراء الغربية تراب متماسك وإقليم واحد جغرافيا وبشريا. فلا يمكن استكناه أمره ولا الإتيان على وصفه إلا بإغفال صروف التاريخ وبغض الطرف عن تضاريس الأرض. تقول أوديت دو پوگودو : "إن الدراسة المستوفية عن الإثنيـة المورية لا يمكـن أن تقف عند الحدود السياسية العصريـة التي تتعارض مع الحياة الرعوية ومع المبـادلات التجارية والعلاقـات العائلية والدينية والثقافيـة. ولذلك فـإن هذه الدراسة تشمل كل هذا القسـم من الغرب الإفريقـي الذي يسكنه أو يجوبـه الموريون البربر أو العـرب على اختلاف درجاتهم في الترحال".

بيد أن هذه القواعد المادية لا يتأتى تصورها خارج المصهر العربي الإسلامي الذي انصهرت فيه. وهذه هي الخلاصة الثانية من خلاصات أوديت دو پوگودو. فنحن هاهنا في أحد معاقل الإسلام وإن كنا في أقصى غرب المهد الذي منه انبعث، ولا أدل على ذلك من المكانة التي يتبوّؤها نشر العلوم العربية الإسلامية في هذا الإقليم. تقول الرحالة : "التعليم (هنا) واجب ديني" وتذكر بالمناسبة ما أثبته الإسكطلندي گراهام Graham عندما كتب سنة 1897 قائلا : "لا يجتمع دوار من ست خيمات في ركن مهجور من أية واحة صحراوية نائية إلا ويقوم فيه معلم ومدرسة". وتقول أوديت دو پوگودو : "قلّ من كان من بين الرجال البسطاء الذين كانوا يرافقوننا سواء منهم الجند أو الخدام أو الرعاة لا يستطيع أن يكتب إسمه على الأقـل، مصحوباً بشـيء عن نسبـه وأن يقـرأ أمـراً صـدر إليـه"، ذلك بـأن ظـروف الترحـال التي لا تسمح بالأشكـال المدرسية الملزمة، تجعل من التعلم متعة تخفف من وعثاء الترحال ومن الفقهاء والمتعلمين مشائين بالعلم والعرفان.

أما الخلاصة الثالثة فهي سؤال عن مصير مجتمع يعيش من الترحال كيف يتعامل مع ما فرض عليه من الحدود وكيف يطيق السكن والاستقرار في المدن والقرى. ذلك بأن الاستعمار الفرنسي الإسباني جعل من الصحراء الغربية، الممتدة طولا من المحيط إلى واحات توات وعرضا من الأطلس الكبير إلى نهري النيجر والسينغال تجزئة تصرف بأجزائها بحسب مصالحه يوم كانت السيطرة بيده، وزرع أسباب الخلاف والتشاجر بين أصحاب الأرض لليوم الذي يسترجعون فيه استقلالهم. مما تبلور في نزاع تشابكت خيوطه بعد أن استرجع المغرب من إسبانيا الجزء الساحلي من هذه الصحراء الغربية وقام الجيران وأعداء وحدة التراب المغربي ينازعونه في الأمر متنكرين لما وقفت عليه أوديت دو پوگودو من حقائق التاريخ والجغرافية وجاعلين أيام الترحال الحر الطليق في المنطقة في خبره كان.

إبراهيم بوطالب

دورو، فيرنانديث Duro, Fernandez ضابط إسباني ولد يوم 24 فبراير سنة 1830 بمدينة ثمورا Zamora، عاش حياة حافلة بالخدمات العسكرية والدبلوماسية لصالح الاستعمار الإسباني، حيث أحب

الخدمة العسكرية كما تميز بالقدرة على البحث والتحقيق الميداني وكذا الاهتمام بالتاريخ لا سيما التاريخ البحري الذي ألف فيه كتابا عاما سماه *Armada Española* وهو من أهم الكتب الجامعة حول الملاحة الإسبانيــة، ناهيك عن عشـرات الأعمال العلميــة.

لقد كان ضابطا نشيطا في البحرية الإسبانية حيث جاب شواطئ أوروبا كما جال في جزر الكناري وكوبا وشارك في حرب تطوان، ناهيك عن بحثه عن موقع "سانطا كروث دي ماريـيكينيا" بالجنوب المغربي حيث زار شواطئ آيت باعمران وواد الشبيكة ورأس أخفنير، وكتب بصدد ذلك تقاريرا وتحاليل نشرها في مجلات علمية مثل نشرة "الأكاديمة الملكية للتاريخ الطبيعي" ونشرة "الجمعية الملكية للجغرافية" (Real Sociedad de Geografia) دافع فيها عن (حقوق) إسبانيا في احتلال شواطئ الجنوب المغربي. فكان من الممهدين للاحتلال الإسباني بآيت باعمران والصحراء وسخر لذلك قلمه وبندقيته، بل ألهمت أعماله جملة من اللذين جاؤوا بعده من ضباط الاحتلال وكتاب الفترة الاستعمارية مثل خيرونيمو بيكر Jeronimo Bécker، كما استثمر أعماله ورحلاته الإفريقاني إيميليو بونيلي (E.Bonelli) الذي اعترف بفضل دورو عليه وبدوره في التعرف على موقع " سانطا كروث دي ماريـيكينيا".

إن دراسة حياة هذا الضابط الإسباني تمكن من معرفة استراتيجيات الاستعمار في احتلال آيت باعمران والصحراء وكذلك تبين سيرورة الاحتـلال ودواعي القوة الاستعمارية.

توفي دورو بتاريخ 5 يونيه سنة 1908.

Enrique Barbudo Duarte «El Capitan de Navio Fernandez Duro, Explorador de la Costa Noroeste de Africa» in : *Archivos del I.E.A*, Madrid, N° 1, 1947 (67-81) ; Fernandez Duro « Cautivos españoles en Cabo Blanco» in : *la Ilustracion Espanola y americana*, N° 33, Septiembre 1899 ; «Exploracion de Una parte de la costa Noroesta de Africa, en busca de Santa Cruz de Pequeña» *Boletin de la Real Sociedad Geografica*, Tomos 4y5, 1887.

محمد دحمان

دومينيك، لافوينتي Domenech Lafuente يصفه الدكتور فؤاد عمون بأبرز المؤرخين الإسبان الذين قدموا بحوثا علمية وتاريخية قيمة حول المناطق الصحراوية، وأنه لم يتردد في تقديم الدعم والدفاع عن القضية الوطنية المغربية بكل قناعة ودونما أي شرط.

فقد ألف العديد من الكتب حول الصحراء، بما في ذلك "إفني" و"وادي الذهب" والحماية الإسبانية بالمغرب" وكذا حول الإسلام، مبرزا امتداد السلطة المغربية بالمناطق الصحراوية ومشيرا إلى أن سلطة الدولة المغربية لم تشهد فترة انقطاع وظلت متواصلة عبر السلطات الحاكمة المتعاقبة. وقد اعتمد المؤرخ في بحوثه على دراسات ميدانية تاريخية وجيولوجيـة مكنته من رصيد معرفي حول الطرق الرابطة بين المناطق الصحراوية الممتدة إلى بقية المناطق الإفريقية. وقد خص بالدرس طريقين شكلا محورا أساسيا للاتصال والتجارة ومحط اهتمام العديد من الباحثين، وهما طريق لمتونة وطريق جودر.

ومن خلال هذه الدراسات تمكن من تفنيذ الادعاءات القائلة بتشييد هذه الطرق من طرف الرحل. ويشير إلى أن تاريخ تشييد طريق لمتونة والتي ذكرها العديد من الباحثين في مؤلفاتهم، يعود إلى ما يزيد عن تسعمائة سنة، وقد عبرها السلطان مولاي إسماعيل مرتين سنة 1678 في رحلتين قادتاه إلى مناطق جنوب الصحراء.

أما طريق جودر، فيرجع تاريخ بنائها إلى عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي والتي كانت تمهد له الرحلات الاستكشافية للسودان الغربي. هكذا، يؤكد المؤرخ أن سلطة السلالات الثلاث الإدريسية والمرابطية والموحدية ظلت متواصلة دونمـا انقطاع بالمناطق الصحراويـة، مدعمـا ذلك بالروابط المتينـة المتجلية في طلب الدعـم من السلطان للتصدي للهجومات الخارجية.

وقد ذكر المؤرخ أيضا أنه عندما وصل الفرنسيون إلى الحدود الموريتانية طالب السكان الدعم من طرف السلطان مولاي عبد العزيز الذي أبلغ الفرنسيين بأن المنطقة تحت سيادته، وبعث بعد ذلك، ابن عمه مولاي إدريس في كتيبة لمساندة هل آدرار وقد زادت حركة التجنيد قوة منذ وصوله مدعمة بالسلاح والعتاد.

ماء العينين الطالب أخيار

دي أورو بوليدو، دون أنتونيو (Don Antonio, De Oro Pulido) ملازم في الجيش الإسباني ولد في سيمپوثيولوس (Cienpozuelos) بتاريخ 2 يوليوز سنة 1905. دخل الأكاديمية العسكرية سنة 1921 وتخرج منها سنة 1923، وفي العام الموالي حصل على رتبة رقيب (Sargento) بعد ذلك توجه للعمل في المغرب باللفيف الأجنبي Tercio de Extranjeros في ماي 1924 حيث تألق في عمله وظهرت مواهبه العسكرية التي ستجعل منه أحد زعماء العساكر الاستعمارية المرموقين الذين عرفوا جيدا البلدان الإسلامية.

فقد عاش حرب التدخل الاستعماري في شمال المغرب التي استمرت حتى غشت سنة 1926 حيث أصيب بجروح وأبرز خلالها قدرات قتالية عالية. بعد ذلك قاد التدخل العسكري حيث التقى بالكونوليل كپاث (Coronel Capaz) الذي عمل تحت أوامره في التدخل بمنطقة غمارة طيلة المدة ما بين 1926 وتاريخ 14 ماي 1927 حيث أصيب بجروح بليغة مرة أخرى، وحصل آنذاك على درجة ملازم مكافأة على إنجازاته الميدانية. في هذه المرحلة تكونت كفاءاته كضابط في مجال التدخل العسكري. وقـد جمـع أورو پوليدو بين النشاط العسكري

ومواصلة التحصيل العلمي حيث تعلم اللغة العربية في مدة وجيزة ليتحول بسرعة إلى أحد أحسن المستعربين لدى الإدارة الإسبانية. وهكذا استطاع بعصاميته أن يحصل تكوينا قويا وخبرة جيدة كقائد استثنائي ساعد كثيرا كپاث في السياسة الأهلية بكثير من الفطنة والذكاء. وسيعمل على تيسير مهمة كپاث في احتلال منطقة سيدي إفني حيت قاد حملة بتاريخ 29 فبراير سنة 1934 مكونة من العساكر الهجانة (La Mia de Camellos) إلى داخل الصحراء. ولما رجع إلى الطرفاية أمره كپاث بتاريخ 6 أبريل 1934 بالتعاون معه لتمهيد احتلال منطقة أفني.

وعندما جاء وقت وضع الحدود ما بين مناطق الاحتلال الإسباني ـ الفرنسي ـ ، ساهم أورو پوليدو في اللجنة التي خصصت لتلك الإجراءات نظرا لخبرته الميدانية ومعرفته بالشؤون الأهلية. وعلى إثر ما أنجزه بمنطقة سيدي إفني من مهام، تم تعيينه بتاريخ 7 دجنبر 1934 في رتبة حاكم (Comandante)، فقد مد يد العون للكولونيل كپاث، وساهم في استقطاب السكان المحليين وضبط منطقة آيت باعمران، كما شغل منصب نائب المفوض الحكومي بالصحراء، وكذا نائب المفوضية العليا لمنطقة الحماية الجنوبية بالصحراء رغم أنه لم يستمر كثيرا في ذلك المنصب (ما بين 4 ماي 1934 و 4 أبريل سنة 1935). ورغم ذلك فإنه استطاع معرفة الصحراء فقد كان أول مشرف على العمليات العسكرية الاستكشافية بداخل المنطقة عن طريق الوحدات المتنقلة (Unidas Nomadas). في 4 نونبر 1935 عين مساعدا ملازما لكپاث حيث اتصل بالوحدات العاملة باللفيف الأجنبي Ejército والمجموعة النظامية بتطوان، كما شارك في الحرب الأهلية الإسبانية تحت زعامة فرانكو إلى حدود 25 فبراير 1937. وخلال سنوات 1937 و 1938 جاب منطقة الساقية الحمراء، وتعرف على أهلها بفعل ذكائه وحنكته وقوة إنصاته حيث تمكن سنة 1940 من إصدار عمل علمي حول اللهجة الحسانية عنونه (المزيد حول الحسانية) (Algo Sobre el Hasania).

توفي أورو پوليدو بمدينة تطوان بتاريخ 28 دجنبر 1940.

Antonio De Oro Pulido, *Algo Sobre El Hasania*, Tetuan, 1940 ; Teniente Coronel Zea. El Teniente Coronel De Oro. In : *Revista Geografica Española*, N°10, Madrid, S.F ; Julio Caro Baroja, *Estudios Saharianos*. Madrid, 1955.

محمد دحمان

الديماني، سيديا بن الشيخ **أحمد** : هو العالم العلامة الجليل والإمام المجاهد الكبير الشيخ سيديا بن الشيخ أحمد بن سليمان بن أحمد سالم بن بارك الله من قبيلة بني ديمان. ولد سنة 1290 / 1873. أخذ العلم في بداية حياته عن أخيه الشيخ محمد وهو عمدته وأخذ الفقه عن أحمد بن محنض ميلود وأخذ اللغة والنحو عن معي بن سيدي ثم وفد على الشيخ ماء العينين بالسمارة هو وأهله فارين من جيوش الاحتلال الفرنسي لما احتلوا منطقة الترارزة بشنقيط سنة 1325 / 1906 فتتلمذ عليه وأخذ عنه الطريقة وكثيرا من العلوم.

في يوم 17 رمضان من سنة 1324 الموافق 5 نوفمبر سنة 1906 شارك في معركة النيملان التي قادها الأمير مولاي إدريس بن عبد الرحمان مع عدد كبير من المجاهدين الذين انطلقوا من مدينة السمارة والتقوا مع الفرقة الفرنسية في موضع النيملان قرب تجكجة واحتدم القتال بينهم واستمر خمس ساعات تمكن خلالها المجاهدون من سحق هذه الفرقة وإلحاق هزيمة بها، مما جعل ما تبقى من جنودها يلوذ بالفرار.

وفي جمادى الأولى سنة 1325 الموافق ليونيو سنة 1907 شارك في معركة خروفة حيث انطلق مع مجموعة من المجاهدين من موضع "السودة" جنوب شوم "للهجوم على الحامية الفرنسية في موضع خروفة وكان الشيخ حسن بن الشيخ ماء العينين قد زودهم "ببعض السلاح المرسل من قبل والده الشيخ ماء العينين وأوصاهم بإخراج الخمس وألا يتعرضوا لأحد من المسلمين إلا من اعترض سبيلهم"، وفعلا تمكنوا من مباغتة الحامية والهجوم عليها والحقوا بها خسائر في الأرواح والعتاد ولم يصب أحد منهم.

وفي سنة 1909 هاجر مع الشيخ ماء العينين إلى مدينة تيزنيت ولم يزل يأخذ عنه إلى ن توفي سنة 1910. ولما تولى الشيخ أحمد الهيبة حركة الجهاد والمقاومة في منطقة سوس صاحبه في مختلف جولاته وخاض معه جميع المعارك ضد الاحتلال الفرنسي "وكان مقربا منه يستشيره في كثير من الأمور" ويعمل برأيه ومشورته، وبعد وفاة الشيخ أحمد الهيبة سنة 1919 صاحب أخاه الشيخ مربيه ربه من بعده واستقر معه في كردوس وخاض معه كذلك مختلف المعارك ضد الفرنسيين في سوس وكانت له معه مناقشات علمية ومساجلات أدبية وشعرية وهو الذي يقول فيه : "كان الشيخ سيديا من أذكياء العلماء والأدباء فصيحا نصوحا له مشاركة في العلوم كلها ومعرفة بغوامض عقدها وحلها ومهارة في خبايا حرمها وحلها يستعذبه المجالس ولا تمله المجالس فكأنه بل هو المحقق من يعنى بقول محمد اليدالي في المعنى :

إنا بني ديمان إن ذكر العلا نذكر وإن ذكر الخنا براء

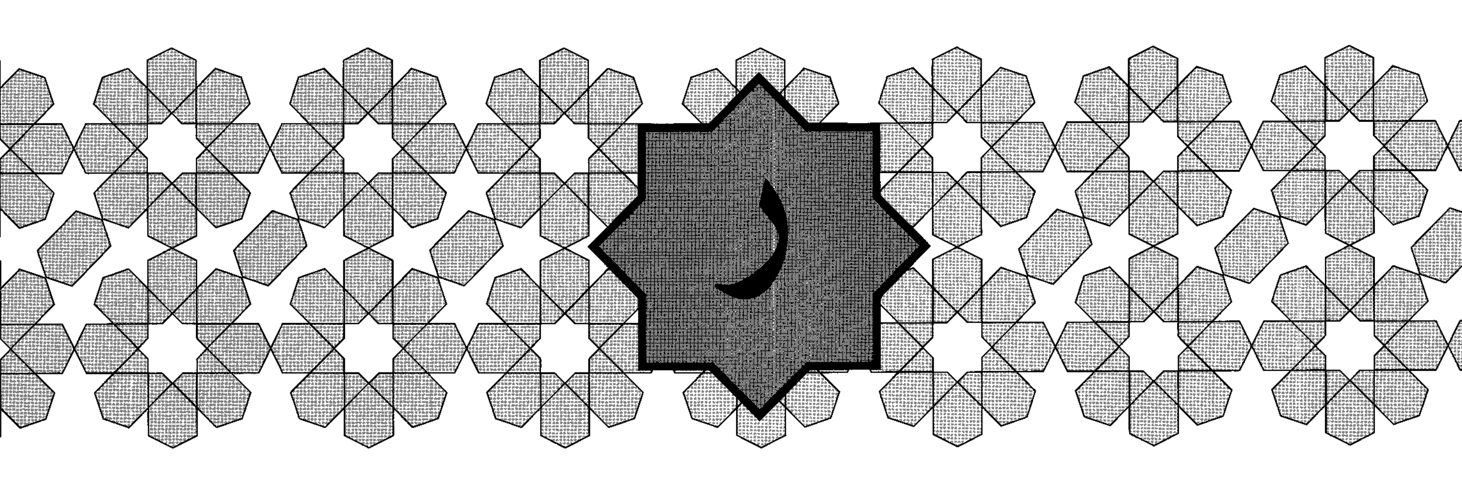
هاجر حين وجوب الهجرة من أرضه ولم يزل مشتغلا فيما يعينه من سننه وفرضه ولم يضيع أوقاته، وله أشعار ومنظومات وتقييدات ومجموعات في فنون شتى كالتوحيد والفقه والنحو والتاريخ يعرف من طالعها حسن مطالعها ويتطلع على طول يد جامعها".

خلف أعمالا أدبية وعلمية متنوعة منها تعليق على ألفية ابن مالك وشرح على العقيدة الأشعرية وتعليق على مختصر خليل وديوان شعري في مختلف الأغراض الشعرية.

توفـي سنــة 1943.

الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين، *قرة العينين في كرامات شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، خزانة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ الشيخ ماء العينين، *أمراء وعلماء في مواجهة الاستعمار الأوروبي*، الطالب أخيار بن الشيخ مامينا، مطبعة بني إزناسن، الرباط، الطبعة الأولى، 2007.

ماء العينين النعمة علي


د

رايلي، جيمس Riley, James رئيس مركب أمريكي يدعى كومرس (Commerce) كان متوجها من جبل طارق إلى جزر الرأس الأخضر لمقايضة الخمور بالملح فحرثت به السفينة في شتنبر 1815 فوقع هو وطاقمه في قبضة بعض الصحراويين. وبعد أيام قليلة بيع هو وثلاثة بحارة من رفاقه لتاجر انتقل بهم إلى الصويرة - موگادور في رحلة طولها 1300 كلم دخلوها في منتصف أكتوبر حيث تم افتكاكهم بما يقابل 920 دولار. وقد كتب رايلي عن طبائع سكان الصحراء كتابا يعد من أمهات الأبحاث الإثنوغرافية عن المنطقة صدر في لندن سنة 1817.

Hodges, T., *Historical Dictionary of Western Sahara, London*, 1982.

إبراهيم بوطالب

بن **الرباني** (الشيخ) **محمد** (أسرة) تنتمي هذه الأسرة إلى تندغة، وهي من القبائل الصحراوية الشنقيطية المشهورة بعلمائها وكثرة محاضرها ومساهمتها العلمية والوطنية. من أبرز علمائها :

1) الإمام عبد الله الرباني بن بـلـلـهـنـا بن محمد يَارَ بن المختار ابن محمد بن المختار بن يعقوب بن علي بن عبد الله التندغي الحلي، عاش في القرن الثاني عشر الهجري وعاصر ثلة من رواد المحظرة الشنقيطية الذين تركوا أثراً كبيراً في نفسه مثل خاله محمد اليدالي الديماني المتوفى سنة 1166، وابني خالته العلامة المختار بن بونه الجكني المتوفي سنة 1220 والعلامة محمد سالم المجلسي.

كانت له محظرة علمية مشهورة في بلاد شنقيط لا تزال تحمل اسمه إلى اليوم. لم يترك مؤلفات معروفة إلا ما ذكره حفيده الأستاذ الأديب سيد المختار بن الجيلالي من وجود مؤلف له ضائع في علوم القرآن اسمه "المفيد" كان متداولا إلى عهد قريب في بعض محاظر (الرقيبة) في المناطق الشرقية من موريتانيا.

خلف عدة أبناء وأحفاد ساروا سيرته العلمية منهم محمد بن المختار ومحمود، وكان الشيخ عبد القادر بن محمذن (ق 13) عالما جليلا وشيخا كريما أخذ الطب عن المرابط محمد فال بن متالي، وكانت عنده طريقة خاصة يقول إنها لاتورث، وكان تلامذته يسمون "الزّهارة" بمعنى (أنهم يصدرون أصواتا مجلجلة تشبه زئير الأسود). وكانت عند محمود بن الرباني محظرة في بداية القرن 13هـ.

2) وممن أنجبته هذه المخطرة ابنه العلامة الشاعر الشيخ محمد عبد الرحمان الرباني الذي لمع صيته في القرن 13 بعد أن تلقى العلوم في محظرة العلامة حرمة بن عبد الجليل العلوي المتوفى سنة 1243، والشيخ محمد أحمد بن محمذن بن المختار ابن أحمد الحلي في القرن 13هـ، والشيخ سيدي بن المختار بن الهيه الانتشائي المتوفى سنة 1284، وغيرهم من علماء شنقيط، ويعرف بأبي اللحية الحمراء، توفي سنة 1316 / 1897، بعد أن أخذ العلم عنه خلق كثير منهم الشاعر الشيخ محمد وبن حنبل الحسني المتوفى سنة 1302، والشاعر محمذن بن السالم الحسني، والشيخ صلاحي ابن المقري التندغي البوحبيني وأبناؤه خصوصاً منهم الشيخ المستعين المتوفى سنة 1941 والعلامة الشاعر الشيخ كلاه، بالإضافة إلى أبنائه، خاصة منهم محمود والعلامة الشيخ أحمد وعبد الوهاب. ومن أبرز مؤلفاته :

- اللمعان في تفسير القرآن.
- الفلك المدسر (وهو حاشية على الميسر لمحنض بابا بن اعبيد الديماني).
- منازلة المقاسين لنازلة آل ياسين.
- نظم في معاني أسماء الله الحسيني.
- حل القفل بالمفتاح في عفاف ابنة عبد الفتاح.
- أنظام متفرقة في الفقه واللغة وعلوم القرآن والعقيدة.
- ديوان شعر.
- بعض الرسائل والمسائل المختلفة.

وبعد وفاته انقسمت محظرته إلى فرعين كبيرين، فرع استقر في المناطق الغربية المحادية للمحيط

الأطلسي، ويقوم عليه ابنه الأكبر محمود، وكان على درجة كبيرة من العلم والمعرفة، وأخوه عبد الوهاب الذي كان ماهراً بالقرآن وعلومه. وقد احتفظ هذا الفرع بنصيب وافر من مكتبة الشيخ.

3) أما الفرع الثاني فهو الذي أسسه الشيخ محمد أحمد في المناطق الممتدة من شرق الترارزة وحتى أعماق منطقة البراكنة، وقد شهد ازدهاراً كبيراً بسبب القدرات العلمية الهائلة التي كان يتمتع بها شيخ هذه المحظرة. وقد تخرج منها مئات الفقهاء والشعراء والقضاة والمفتين، منهم إخوة الشيخ الصغار محمد المصطفى المتوفى سنة 1389، وعبد القادر الملقب بالقطب المتوفى سنة 1374، والعلامة الشيخ عبد العزيز المتوفى سنة 1377، وكذلك أبناء الشيخ محمد محمود الملقب أمود المتوفى سنة 1362، ومحمد عبد الودود الملقب بيده، وأحمد يوره المتوفى سنة 1366. وكذلك أبناء عمومته : الشيخ سيد المختار بن عبد الجليل المتوفى سنة 1366، والشيخ محمد السالم بن الشيخ محمد عبد الرحمان المتوفى سنة 1369، والعالم القارئ أحمد محمود بن معاوية المتوفى سنة 1360، والشاعر المصطفى بن حبيب المتوفى سنة 1363، والقاضي محمد يحيى بن الدنبجة المتوفى سنة 1400، والشاعر الحساني محمد والسالم بن محمد الشيخ المتوفى سنة 1989، وابن أخيه العلامة محمد عبد الرحمان بن عبد القادر المتوفى سنة 1983، وابن أخته محمد عبد الرحمان بن أحمد الملقب تندغ المتوفى سنة 1984، والشيخ جار الله اخليفة المتوفى سنة 2006 وغيرهم.

وكان لشيخ هذه المحظرة علاقات واسعة بمختلف أطياف المجتمع الشنقيطي من حملة القلم والسيف، منهم الشيخ سيديا بابا بن الشيخ سيدي وأمير أدرار أحمد بن امحمد بن عيدة، وصديقه المقرب سيد أحمد بن بوبكر شيخ أولاد أحمد وغيرهم، ومن آثاره :

- كتابه الضخم المسمى خلاصة التدريس للمبتدئ والعالم النقريس.
- نصرة من يضام ممن يتصدى لنقض الكلام.
- نظم في العقائد.
- نظم في طبقات النحاة.
- نظم في الجيم والجيم.
- نظم في السور المكية والمدنية والناسخ والمنسوخ وأحكام الهمز.
- تفسير بعض الآيات القرآنية.
- نظم في مصطلح الحديث.
- نظم في الشهداء.
- أنظام في السيرة.
- مجموعة من الفتاوي والأقضية المتفرقة.

توفي سنة 1353، ودفن في مقبرة انواتيل الشهيرة إلى جانب جده محمود وأخويه محمذن والمختار وجد أبيه الرباني وجد جده بلليهنا. وبعد وفاته ازداد اتساع المحظرة الربانية، ففي حين واصل أبناؤه تدبير شؤون المحظرة في منطقة الـگبلة ظهر فرع جديد لها في الشمال غطى منطقة تيرس وأقاليم وادي الذهب والساقية الحمراء من خلال أخي الشيخ الأصغر وأحد أبرز المتصدرين على يده.

4) الشيخ عبد العزيز. ولد هذا الشيخ في ثمانينيات القرن 19م، ببلدة أم الأحياظ من نواحي تيرس، وبعد أن استكمل دراسته على يد أخيه وشيخه محمد أحمد اتجه إلى الشمال صوب منطقة تيرس في أواخر عشرينيات القرن التاسع عشر، والتف حوله عدد من الرجال الذين تتلمذوا عليه، منهم ابناه : محمد سعيد والأديب الكبير محمد عبد الرحمان وكذلك ابن أخيه العلامة محمد عبد الرحمان بن عبد القادر الملقب حان، وأخوه محمد محمود الملقب حمود، والشيخ الجليل محمد بن آمنة والشيباني بن مختار الله، ومحمد المامي بن أحمدو التندغيـون، ومحمد بن محمد المامي اليعقوبي، وباهية بن الحافظ الدليمي وغيرهم.

نصب الشيخ عبد العزيز قاضيا بمدينة الداخلة سنة 1935، فكان كعبة للظامئين إلى العلم والمتطلعين إلى كرمه وعدله، وكانت له علاقات مع علماء ومشايخ عصره أمثال الشيخ مربيه ربه وإخوته، وكذلك أبناء الشيخ محمد المامي وأهل الشيخ سيديا، وكذا اسويلم بن أحمد إبراهيم أحد سادة وشيوخ أولاد الدليم، ومحمد بن آفرياط الـگرعاني، والمترجم المعروف عبد و ابن صحب نور الذي كان مكينا عند الفرنسيين وغيرهم. توفي هذا الشيخ سنة 1957 ودفن في مقبرة أم اعمود بوادي الذهب وترك ديواناً شعرياً ونظماً في أسماء الله الحسنى ومجموعة من الفتاوى والأقضية وبعض الأنظام في العقائد والفقه والسيـرة، وقـد قام مقام الشيخ بعد وفاته أبناؤه لاسيما الكبار منهم : الشيخ محمد سعيد ومحمد عبد الرحمان.

5) فقد كان الشيخ محمد سعيد عالماً ورعاً تقياً، استطاع تعزيز المكانة العالية التي تبوأها والده قبله، وقد استوطن مدينة لـگويرة لفترة طويلة قبل أن يقيم في مدينة نواديبو في مطلع ثمانينات القرن العشرين معلما ومربيا وموجها. توفي في رحاب المسجد الحرام سنة 2001.

6) أما أخوه محمد عبد الرحمان فقد ولد سنة 1345 / 1926 بوادي الذهب، وكان نابغة عصره علما وأدبا، وكان مع ذكائه موضع عناية خاصة من والده الذي سهر على تعليمه وتهذيبه إلى أن وصل إلى درجة كبيرة مع المعرفة بوأته فيما بعد منصب القضاء في محكمة الداخلة سنة 1959، ثم قاضي القضاة بنفس المحكمة، ثم مديراً ومفتشاً عاماً للتعليم بإقليم وادي الذهب. ساهم بدور فعال في مناهضة المستعمر بشعره ومواقفه الوطنية. فكان ضمن الوفد الذي مثل سكان الصحراء سنة 1965 في الأمم المتحدة. امتحن بالسجن من طرف المستعمر الإسباني سنة 1969، ثم أبعد عن الوطن. وبعد إطلاق سراحه عاد إلى الصحراء بعد أن أعلن جلالة الملك الحسن الثاني نداءه التاريخي إن الوطن غفور رحيم.

توفي سنة 1998 بسبب مرض ابتلي به في المغترب. وله مـؤلفـات كثيرة وأشعار وطنية غزيرة عربية وحسانيــة نشر بعضها فـي حياتـه في كـراسات صغيرة

منها : شفاء الغربة والحنين في نداء إن الوطن غفور رحيم وغيره. ومن أبرز أبناء هذا الفرع حاليا الأديب اللامع / والشاعر الكاتب عبد القادر حمتى بن الشيخ عبد العزيز الوزير السابق لحكومة البولساريو والوالي حاليا بوزارة الداخلية بالمملكة المغربية.

وفاء وولاء : منتخبات شعرية من أقاليم المغرب الجنوبية، تقديم، ذ. عباس الجراري، جمع وتنسيق محمد الظريف والطالب بوي لعتيد، منشورات كتابة الدولة المكلفة بالثقافة، مطبعة المناهل، مارس، 1998 ؛ *كتاب الأخبار* للمؤرخ هارون بن الشيخ سيدي حياة موريتانيا للمختار بن حامد ؛ *ديوان العلامة الشيخ عبد العزيز بن الرباني*، تحقيق، ذ. عبد القادر بن محمد عبد الرحمان.

محمد الظريف

الرشيد (معركة -) 14 رجب 1326 (16 غشت 1908) كان هدف الفرنسيين من هجومهم على "الرشيد" التي هي قرية بوادي نخيل تبعد عن تيجكجة بحوالي 50 كلم هو القضاء على المجاهد الكبير الشيخ محمد المختار ابن الحامد زعيم قبيلة كنتة الذي كان ضمن الوفود الموريتانية التي توجهت إلى الشيخ ماء العينين بالسمارة، ومنها إلى مراكش لطلب السلاح والمعونة لمواجهة الزحف الفرنسي على موريتانيا. وبعد عودته قام على رأس مجاهديه بعدة عمليات قتالية ضد الفرنسيين في نواحي عديدة من "تكَانت" و"الحجافية" بـ "أفلة" و"بوعش" ومنطقة "لبيرات" و"لتفتار" وشاركوا في معارك "الميتان" و"آفريوات" و"تنواعدين" و"انتاكش"... وهي عمليات كبدت الفرنسيين خسائر فادحة في الأرواح والعتاد وأربكتهم وقضّت مضاجعهم. فقرروا مهاجمة قرية الرشيد للقضاء على الشيخ محمد المختار والمجاهدين معه.

كان الشيخ محمد المختار جريحا جراء مناوشات حصلت بينه وبين مجموعات عثمان بن بكار بن سويد أحمد ولكن ذلك لم يثنه عن الاستعداد لتنظيم عملية الدفاع عن بلدته.

حشد الفرنسيون قوات هائلة زحفت على قرية الرشيد الغير محصنة، وما أن اقتربوا منها حتى بدأوا في قصفها بالمدفعية الثقيلة والرشاشات ومختلف الأسلحة، واستمر هذا القصف، حسب الفرنسيين أنفسهم لمدة خمس ساعات استبسل المجاهدون خلالها في الرد بالأسلحة المتوفرة لديهم. وأظهر الشيخ محمد المختار من الثبات والشجاعة ما أربك المهاجمين، إذ لم تثنه جراحه عن إدارة المعركة بحنكة ومهارة رائعة حيث استطاع، رغم التفوق الهائل لقوات العدو وأسلحته الضخمة أن يشق - وسط النيرات - طريقا لانسحاب المجاهدين دون إلحاق خسائر فادحة بهم. وعندما شعر الفرنسيون بفشل خطتهم انهالوا بقصف عشوائي على ما تبقى من دور القرية ودمروها عن آخرها. وأما الشيخ محمد المختار فقد انسحب ليلا وابتعد مع رجاله مسافة 15 كلم غربا، وكمن مع جماعته حتى تأكد من عدم جرأة الفرنسيين على ملاحقته، فتوجه إلى آدرار.

كلف هذا الهجوم الفرنسي العنيف المجاهدين ستة شهداء هم عبد الرحمان بن أحمد دونا، ومحمد بن امحمد بن خواه وامحمد بن الدويك وسيدي بن الكيحل وسيدي الأمين بن عبد الرحمان واسلمو ابن بوبو.

أما الفرنسيون فقد اعترفوا بمقتل أحد قناصتهم وإصابة إثنين من ضباط الصف إلى جانب خسائر مادية.

محمد محمود بن ودادي في تحقيقه كتاب "*كنتة الشرقيون*" لبول مارتي، ص. 220 ؛ الطالب أخيار بن الشيخ مامينا، الشيخ ماء العينين، *علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي*، ج 6، ص. 325 - 328.

Conmandant Gillier, *La pénétration en Mauritanie*, p. 170 - 171.

ماء العينين مربيه ربه

الرصافي، محمد معروف (1932 - 2005) هو محمد معروف بن سيدي عثمان بن محمد المامون بن الشيخ محمد تقي الله بن الشيخ محمد فاضل بن مامين. ولد بالجريف في قرية تبعد باثنين وثمانين كلو متر جنوب شرق مدينة أطار. تنقل عبر عدد من مدارس الصحراء المغربية في تيرس وتندوف إلى أن حصل على العالمية من معهد كولاخ بالسنغال سنة 1957. التحق بالوطن الأم سنة 1961 بصفة نهائية. حصل على الإجازة من كلية اللغة بمراكش سنة 1974 والإجازة من كلية الشريعة بفاس سنة 1975. ساهم بدور فعال في حركة المقاومة في الصحراء المغربية ابتداء من سنوات الخمسين. انخرط في صفوف القوات المسلحة الملكية سنة 1962. وله أشعار غزيرة بالعربية والحسانية تدور في معظمها حول الدفاع عن مغربية الأقاليم الصحراوية ووحدة المغرب الترابية. ولذلك يلقب بشاعر الدفاع.

توفي سنة 2005 إثر حادثة سير. اشتهر بأحاديثه الإذاعية حول الشعر الحساني.

من مقابلة أجريتها مع المترجم له بالعيون بتاريخ 31 دجنبر 1983 ؛ *باقة شعر من أقاليم الجنوب*، ص. 55، مطبوعات وزارة الشؤون الثقافية، مارس، 1985 ؛ *وفاء وولاء*، ص. 123، مطبوعات وزارة الشؤون الثقافية، 1998.

محمد الظريف

رغيوة (معركة -) وقعت يوم الثالث عشر من شهر فبراير سنة 1957 برغيوة وهو مكان بمنطقة أم كَرين المجاورة لتندوف وحقق فيها جيش التحرير انتصارا كبيرا على الجيش الفرنسي الذي فقد خمسين ومائة جندي، وأسر ضابط صف فرنسي كورسيكي يدعى مارسيكاكيرا سلمته قيادة جيش التحرير إلى الملك محمد الخامس وقام هو بتسليمه إلى السلطات الفرنسية وأهله بكورسيكا عند زيارته لمنفاه هناك. وكانت هذه المعركة بقيادة مبارك منار ومشاركة ناضل الهاشمي.

محمد بن سعيد آيت إيدر، تقرير قيادة جيش التحرير، *صفحات من ملحمة جيش التحرير بالجنوب المغربي*، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، يونيو، 2001.

ماء العينين النعمة علي

الرگيبات : تنسب هذه القبيلة إلى ولي صالح هو سيدي أحمد الرقيبي بن سيدي أحمد بن محمد بن يوسف، ينحدر من نسل عبد السلام بن مشيش. ويعد هذا الولي الجد الجامع للرگيبات، وقد نزح من أعالي واد درعة نحو منطقة واد الشبيكة جنوب مدينة الطنطان الحالية حيث عاش في سياحة صوفية هناك، وإثر ذلك اجتمع حوله مجموعة من التلاميذ والأتباع، كما أنجب هناك أبناءه الذكور المعروفين : القاسم واعلي واعمر. وهؤلاء الأبناء تزوجوا وأنجبوا بدورهم مجموعة من الرجال الذين أصبحوا أجدادا لمجمل أفخاذ قبيلة الرگيبات، وأفخاذهم هي : رقيبات الشرق وتضم : أهل إبراهيم أوداوود - لبيهات - لعيايشة - الفقرة - سلام. ورقيبات الساحا وتضم أولاد موسى - السواعد - المؤذنين - أولاد داود - أولاد بورحيم - أولاد الشيخ - التهالات - أولاد الطالب. ونظرا لمكانة سيدي أحمد الرقيبي عند الناس فقد التحقت به العديد من العائلات والشخصيات ودخل أبناؤه في علاقات زواجية مع مختلف القبائل خاصة سلام وامريبط ويگوت وغيرها من القبائل القديمة بالمنطقة. وقد أدى تعدد أحفاد الشيخ وتزايد أعداد مريديه إلى امتداد المجموعة الرقيبية في اتجاه الجنوب نحو مناطق آيدار والگعدة والساقية الحمراء، وهي المنطقة التي كانت تدعى : "إلويش سيدي أحمد الرقيبي" دفين في منطقة الحبشي شمال شرق مدينة السمارة، كانت نواة القبيلة قد تشكلت من حيث طبيعة الاشتغال إذ يشير القاضي محمد سالم ولد عبد الحي إلى أن الرگيبات قد "اشتغلوا بقراءة القرآن وتعلم العلم وأنواع الكسب والتجارة والحراثة إلى أن كثر مالهم وكثروا وتناسلوا وصبروا" (*جوامع المهمات* : 76). وإن تزايد قطعان الماشية عند الرگيبات سيقود هذه المجموعة إلى البحث عن مراعي جديدة، وهو ما سيضطرهم إلى تشكيل قوة حربية تقودها هيئة تدعى "آيت أربعين" أو "اجماعة" وذلك لمواجهة نهب القبائل الأخرى وتنظيم شؤون القبيلة الداخلية، هذه "اجماعة" يترأسها "مقدم" وهو رجل معروف بالشجاعة والجرأة وحسن الرأي ويكون معه رجال اختارهم من القبيلة. ويقول محمد سالم ولد عبد الحي عن هذا : "ويحدون زواجر على كل أحد فعل أمرا فيه فشل للقبيلة أو خالف الجماعة. ويأتون ممن له الخبرة بالشريعة ويأمرونه أن يكتب لهم ما توافقوا عليه. ويأخذ المقدم ذلك الكتاب وتبقى منه نسخة عند الكاتب أمانة. والرأي بعد ذلك للمقدم وقومه" (*جوامع المهمات في أمور الرقيبات* : 77). والرگيبات من القبائل التي عرفت امتدادا مجاليا موسعا بفعل الزواج الخارجي وتضخم قطعان الماشية من الإبل والبحث عن مراقبة سبل القوافل التجارية الرابطة ما بين أسواق واد نون وبلاد شنقيط، لذلك انطلاقا من نهاية القرن الثامن عشر الميلادي وخلال القرن التاسع عشر، نلاحظ بداية هيمنة قبيلة الرگيبات على مناطق زمور ولحمادة والحنك وعرق شاش حيث أصبحوا - عند بداية القرن العشرين - يداهمون منطقة أدرار التمر بمراكزها الحضرية التاريخية مثل وادان وشنقيط. وهذا الانتشار سيدخل الرگيبات في دوامة جديدة من الحروب القبلية كانت من نتائجها سيطرتهم الرگيبات على قصر تندوف وبروز توزيع للمجال على أساس طائفتين من الرگيبات هما : رقيبات الشرق وتركزوا بزمور وأعالي واد الساقية الحمراء ولحمادة والحنك، ورقيبات الساحل الذين تمركزوا بتيرس والساقية الحمراء وناحية بئر أم گرين وتيرس زمور. ولن تتوقف تلك المواجهات ما بين القبائل الصحراوية إلا عند التدخل الاستعماري في المنطقة، الذي تضررت منه القبيلة أكثر من غيرها حيث أصبحت مراعيها وقطعانها مهددة بفعل محاصرة الفرنسيين للمنطقة التي صارت تعرف آنذاك ب "أتراب الرگيبات". وهكذا سينخرط العديد من رجالات هذه القبيلة في حركة مقاومة الاحتلال الأجنبي، وقد اهتمت القوات الفرنسية بأمر القبيلة وحاولوا مراقبة تحركاتها عن طريق الجواسيس من أبناء المنطقة، كما ألبوا عليها القبائل المحاربة في منطقة آدرار التمر الموريتانية، ورغم ذلك فقد عانت قوات الاحتلال من "غزيان" الرگيبات ، وبرز من بينهم مقاتلين أشاوس وزعماء مقاومين من أمثال علي ولد ميارة وأحمد ولد حمادي وإسماعيل ولد الباردي وغيرهم كثير، كما شاركوا في مختلف المعارك التي واجه فيها الصحراويون جنود الاحتلال الفرنسي والإسباني مثل معارك الطريفية ولگديم وقصر الطرشان ويشعث والحفر وأم التونسي وصنگت برميل وغزي بنعميرة وغزي الكدية...إلخ.

وظل الرگيبات في ميدان الجهاد حتى فترة جيش التحرير حيث شاركوا في مختلف معارك الوطنيين ضد الاحتلال الفرنسي والإسباني مثل أم لعشار ومرگالة وأرغيوة والدشيرة وروضة الحاج أحمر اللحية والسمارة في واد نون والساقية الحمراء ووادي الذهب) إلى أن كانت عملية أيكوفيون (Ecouvillon) خلال شهر فبراير 1958 حيث تحالفت كل من فرنسا وإسبانيا من أجل تصفية جيش التحرير.

وفي الفترة الحديثة ظهر زعماء سياسيون داخل قبيلة الرگيبات لهم تجذر قبلي مثل امحمد ولد الخليل، والحبيب ولد البلال، وخطري ولد سعيد الجماني، وصيلة ولد اعبيدة، وبات ولد اعبيدة وسيدي محمد ولد الرشيد وغيرهم كثير. كما ينتمي إلى هذه القبيلة سيدي إبراهيم ولد البصير الذي درس بالدار البيضاء وسوريا والتحق بالساقية الحمراء نهاية الستينات من القرن العشرين لتأطير السكان من أجل استقلال المنطقة وطرد الاستعمار الإسباني، حيث كانت أحداث "آخبيط الزملة" بتاريخ 17 يونيه 1970 التي واجهت فيها قوات الاحتلال السكان بالنار والحديد وإثرها اختطف سيدي إبراهيم وغاب عن الأنظار إلى حد اللحظة.

وخلال العهد الاستعماري بالمنطقة كانت الرگيبات ممثلة بأكبر عدد من الشيوخ داخل الجماعة الصحراوي (Asamblea del Sahara) وهي جماعة من الشيوخ تمثل الساكنة المحلية، بل إن رئيس هذه الهيئة كان دائما ينتمي لقبيلة الرگيبات ، حيث كان الأول صيلة ولد اعبيدة، ثم خلفه سنة 1971 خطري ولد سعيد الجماني. ذلك أن

الركيبات هم القبيلة الأكثر عددا من بين القبائل الصحراوية. واليوم يتمركز الركيبات بكل من أقاليم السمارة والعيون والداخلة وبناحية بنگرير، كما يوجدون بجنوب غرب الجزائر (ولاية تندوف) وفي موريتانيا.

الأحسن بن محمد البعقيلي، *تبيين الأشراف أهل دائرة الوسائل وقبلة توجه لكل سائل*، المطبعة العربية، الدار البيضاء، 1958 ؛ محمد سالم بن الحبيب بن عبد الحي، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، المعهد الجامعي للبحث العلمي، تحقيق، مصطفى ناعمي، الرباط، 1992 ؛ المختار ولد حامد، *حياة موريتانيا : الجغرافيا*، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994 ؛ عبد العزيز منير، *الشرفاء الرقيبات بالصحراء المغربية*، مطبعة التيسير، الدار البيضاء، 1991 ؛ محمد دحمان، *إسماعيل ولد الباردي*، نشر مؤسسة الشيخ مربيه ربه، الرباط، 1999 ؛ محمد أحمد باهي، *الأسد الجريح : خطري ولد سعيد الجماني*، الرباط ؛ محمد دحمان، *الترحال والاستقرار بمنطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب*، مطبعة كوثر، الرباط، 2006.

Babeau H., Le Frig Rguibi, Paris, *CHEAM, N° 3928*, 1962 ; Julio Caro Baroja. *Estudios Saharianos*, I.E.A, Madrid, 1955 ; Cauneille A., Réguibat Legouacem, *CHEAM*, N° 300257, Paris, 1946 ; Lesourd M, Notes sur le droit coutumier des Réguibat, in : *Travaux de l'I.R.S*, Tome XVII-Alger, 1959, p. 213 - 220 ; Ba Mahmadou A. Les Réguibat, in : *Renseignements coloniaux*, Paris, Avril, 1927, p. 137 -141 - 337 - 359 ; Beslay François, *Les Réguibat*, Paris, l'Harmattan, 1984 ; Bisson J. La Nomadisation des Réguibat Lagouacem, in *Nomades et nomadisme au Sahara*, Paris, unesco, 1963, p. 51 - 58 ; Borricaud, contribution à la connaissance des Coutumes Régueibat, in : *Notes africaines*, N° 61, Janvier, 1954, p. 7 - 9 ; Charre, J. P, Les Reguibat-Lagouacem, Système juridique et social, in : *Revue de Géographie alpine*, Grenoble, 19, p. 343 - 350 ; Hart David, The social structure of the Rgibat Bedouins of the Western Sahara, in : *Middle East Journal*, vol. 16, N° 4, 1962, p. 515 – 527 ; Caratini Sophie, *Les Rgaybat*, (1610 - 1934), 2 tomes, L'Harmattan, 1989 ; Paillard, Destin des Rguibat, Paris, *CHEAM*, N° 3085, 1959 ; Paillard, Le problème des Rguibat, Paris, *CHEAM*, N° 4202.

الرگيبي، أبا الشيخ بن **ابا اعلي** : هو أبا الشيخ بن السالك بن أبا اعلي بن ابريكة بن أبا علي بن قاسم بن إبراهيم بن داوود بن امحمد بن قاسم بن الشيخ سيدي أحمد الرگيبي. ولد سنة 1924 بالساقية الحمراء ببادية مدينة السمارة، فهو إذن ينتمي إلى بطن أهل القاسم أوبراهيم من قبيلة الركيبات، وكان مضرب خيام أهله يلقبون ب (محصر لعناية)، أما عشيرته فتدعى "خيمة النص" أو"الخيمة الكبيرة" وسمو بذلك لأن خيمتهم كانت توجد في وسط الصحراء في منطقة كلتة زمور، وقد كان الناس القادمون من الشرق أو الساحل أو القبلة أو التل يقصدونها ويقيمون عند أهلها الذين تميزوا بالشجاعة والكرم وإنصاف المظلوم، كما كانوا يتصدون للهجومات الفرنسية إبان التغلغل الإستعماري في المنطقة.

ونتيجة حياة الظعن التي عاش فيها المقاوم أبا الشيخ، فلم يتلقى من التكوين سوى التعلم في الكتاب بعض مبادئ القرآن واللغة العربية والفقه. أما أهم مآثره فقد كان الشعر الحساني حيث تحدث عن الأرض والوحدة الوطنيـة والحب والحكمـة. إلى جانب ذلك قيلت فيه أشعـار حسانيـة كثيـرة تنويها بخصاله الحميـدة من كرم وشجاعة وحماية للجار والضعيف، كما قيلت فيه مراثي عـديـدة.

كان أبا الشيخ معروفا لدى عامة الناس بالشجاعة والصرامة والمروءة النادرة وخاصة في أوقات الحرب وكان رزينا متريثا متصفا بالحكمة والحنكة والدهاء العسكري الذي مكنه من الانتصار دائما في المعارك التي شارك فيها في إطار المقاومة وجيش التحرير، وهكذا فقد عمل في صفوف الحركة الوطنية ما بين سنتي 1949-1952، إذ قام بتعبئة السكان وبث روح الحماسة فيهم لتحفيزهم على مواجهة المستعمر. ومما يسجل له أنه باع قطعة من إبله واشترى بثمنها بعض السلاح وعدداً من (الراديوات) لكي تتمكن المقاومة في الجنوب من معرفة نضال الوطنيين في الشمال. وسجل له كذلك أنه ترأس وفدا من أبناء عمومته بتاريخ 20 فبراير 1956 يزيد على عشرين نفرا منطلقا من الساقية الحمراء قصد تقديم البيعة لجلالة المغفور له الملك محمد الخامس وهم :

- القائد الحبيب بن البلال والقائد أبا اعلي حمدي بن السالك والقائد أبا اعلي أبا الشيخ بن السالك والقائد الحاج محمد بن لعريبي والقاضي محمد محمود بن بيد الله والقائد البلال بن هد بن أحمد الشلح والقائد محمد سالم بن ادخيل والشيخ محمد بن ادخيل والقائد عبد الله بن البلال والشيخ مولاي بن الداه والشيخ السالك بن عبد الله بن علال والقائد مولاي بن محمد البشير والقائد حدو بن محمد صالح بن احبابي والقائد إبراهيم بن يزيد والشيخ عمر بن المانع والقائد محمد الشيخ بن محمد الوالي والقاضي محمد عبد الله بن أحمد بم حمد الله والقائد عبد الله بن محمد السكراني العالم محمد نوح الأبيري والقائد محمود بن الحبيب بن البلال.

بعد ذلك ترأس أبا الشيخ إحدى المجموعات المسلحة التي تنتمي إلى جيش التحرير فقاد هجوم أم لعشار الأول سنة 1956، حيث كانت الانطلاقة من گلميم في اتجاه فم الحصن (إيمي أو كادير) حيث انضمت إليهم مجموعة أخرى من المقاومين وقد أصيب أبا الشيخ ومحمد ولد برهاه بجروح بسيطة. وكان بصحبة هذه المجموعة سيارتان واحدة أتلفها القذف والثانية حملوا فيها المعطوبين الذين كان عددهم أربعة عشر وقد استشهد واحد منهم أصله من ناحية الخميسات بزمور.

وأمضى أبا الشيخ مدة من الزمن بمستشفى أكادير وبعد أن شفي التحق بمجموعته التي انتقلت إلى اعوينة تركز بعدها إلى بئر أم اگرين لأن جيش التحرير كان يخطط لهجوم كاسح يشمل مناطق عديدة : بئر أم اگرين وفم لعشار ومرگـالة وأزمول، لا تتعدى مدته ليلة واحدة، قبل بداية الهجوم اتجهت المجموعة التي يرأسها أبا الشيخ إلى (مركالة) ولما علم المستعمر بخطة المقاومين المتمثلة في قيامهم هذه الفرقة بمحاصرة القوة الاستعمارية القادمة من تندوف بدأ هجومه في الساعة

الثامنة صباحا مستعملا الأسلحة الثقيلة (الطائرات والدبابات)، فجرح أبا الشيخ ورغم ذلك شارك في المعركة وأبلى بلاء حسنا وقام بتنظيم أفراد مجموعته الذين لا يتجاوز عددهم ثلاثين فردا وقادهم إلى تركانت، حيث التقوا بفرقة أخرى يترأسها (حبوها بن لعبيد) و(امبارك منار) وقد تبادل الطرفان الآراء حول الهجوم، فقال أبا الشيخ أن الهجوم كان ناجحا وطلب منهم التريث حتى لا يعلم العدو القوة التي يتوفر عليها جيش التحرير، بعد هذا الجدال العسكري اتجهت فرقته من جديد لنجدة إحدى الفرق التي كان يرأسها البلال بن هدا، والتي هاجمتها القوات الاستعمارية هجوما عنيفا خلف استشهاد أربعة عشر وطنيا كما أسر محمد بن السالك بن أبيري الذي رفض الإدلاء للمستعمر بمعلومات عن تحركات المقاومة وجيش التحرير. وبعد هذه المعركة عاد أبا الشيخ إلى المركز بتاركانت ورقي إلى درجة قائد المائة ثم انتقل إلى هجوم "أرغيوة" الذي كان من أنجح المعارك التي شارك فيها المرحوم أبا الشيخ بجانب أخيه الأكبر المسمى حمدي ولد السالك الذي كانت مشاركته فعالة بعد هجوم "تـگل". وفي هذه المعركة تمكن أحد أفراد فرقته وهو علي بويا بن ميارة، الذي كان قائد المائة من أسر أحد جنود المستعمر وعندما انتهت فرقته من مهمتها رجع بعض أفرادها إلى واركزيز بينما ذهب أبا الشيخ والشريف بن المختار إلى واد الساقية الحمراء حيث كانت تتمركز جل قوات جيش التحرير على طول خطه وبصحبتهما ابنه محمد الذي كان يريد التوجه إلى الدار البيضاء للدراسة وأثناء انتظار وسيلة النقل هاجمتهم القوات الاستعمارية بالروظة (مزار الحاج أحمر اللحية) بضواحي السمارة. وهذا الهجوم يسمى الهجوم الثلاثي وفيه برزت شجاعة وبسالة أبا الشيخ وأسِر منهم تسعة أفراد وقتل سبعة ولم يبق على قيد الحياة إلا محمد بن أبا الشيخ وشخص آخر من أهل بارك الله يسمى محمد بن اعثيمين.

ولما استرجع المغرب استقلاله انتقلت عائلات صحراوية عديدة إلى منطقة الطنطان وگلميم وأگادير، كان من بينها أهل أبا الشيخ الذي انضم إلى القوات المسلحة الملكية سنة 1960، حيث أصبح يشغل رتبة ملازم ثم رقي إلى رتبة قبطان سنة 1967 حيث أمضى مدة من الزمن بالناحية الشرقية (الزاگ - أسا - فم الحصن - طاطا - لبيرات - المحبس)، ثم وشحه جلالة الملك الحسن الثاني بوسام من درجة فارس سنة 1973، بعد ذلك وشح بوسام من درجة قائد عند تقديم البيعة بأگادير سنة 1990، وبطبيعة الحال كان أبا الشيخ يحمل بطاقة مقاوم تحت رقم 160 بتاريخ 11 / 02 / 1975، وبينما كان يقود حامية عسكرية عدد أفرادها خمسة وأربعون جنديا حوصر من قبل الاستعمار الإسباني فسلم نفسه لا خوفا على حياته وإنما حفاظا على أرواح العسكريين المرافقين له فأسروه ونقلوه إلى مدينة الداخلة حيث أغروه بالمال والجاه مقابل التنازل عن مبادئه المتشبثة بالوحدة الوطنية لكنه رفض مصرا بإيمانه بوحدة وطنه ومغربيته.

وقد ساهم في إنجاح المسيرة الخضراء ومواجهة خصوم الوحدة الترابية للمملكة المغربية، هذا إضافة إلى أنه كان عضوا نشيطا في المجلس الاستشاري الخاص بشؤون الصحراء الذي أسسه جلالة الملك الراحل الحسن الثاني في سنة 1981. ويعتبر أبا الشيخ ولد أبا اعلي رجل التوافقات الكبرى، إذ كان يدعو إلى الوحدة ويتدخل لفض النزاعات ويحارب العصبية القبلية ويساند الالتحام والالتفاف حول السلطان كرمز للوحدة، فلعب دور واسطة العقد ما بين الإدارة المركزية والقبائل، لذلك فهو نموذج للنخبة الفاعلة المنغرسة اجتماعيا للمساهمة في الوحدة الوطنية والهادفة إلى الاندماج والتنمية والمشاركة الفعالة.

توفي في مدينة الطنطان بتاريخ 8 مارس 1991.

خونا ماء العينين وآخرون، *أبا الشيخ، رحلة سلاح وقلم*، مطبعة ديديكور، سلا، 1996 ؛ *مقابلة مع البلال بن هدا* : من أعلام جيش التحرير بالصحراء، ينتمي لبطن أهل القاسم أوحماد من الرگيبات الشرق، اندمج في الجيش الملكي ووصل رتبة قبطان، كان راوية لأحداث جيش التحرير، توفي صيف سنة 2006 بمدينة الطنطان حيث دفن جوار أبا الشيخ ؛ اعتمدنا في هذه الترجمة لأبا الشيخ على *الرواية الشفوية* كذلك مع بعض كبار السن بكل من مدن الطنطان، العيون، والسمارة.

محمد دحمان

الرگيبي، أحمد (الشيخ سيدي -) جد قبائل الرگيبات أضخم التجمعات القبلية في الصحراء المغربية ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي وفاطمة بنت رسول الله (صلع) عن طريق مولاي عبد السلام بن مشيش دفين جبل العلم كما يقرره النسابون الذين اهتموا بتأصيل قبائل الجنوب المغربي. ويميز المهتمون بالتحقيق في نسب قبائل الرگيبات بين ثلاثة أشخاص يحملون نفس الاسم : المترجم له الجد وابنه وحفيده.

عاش الرگيبي، الشيخ سيدي أحمد الجد في أواخر الدولة المرينية في زمن انتشرت فيه الفتن والنزاعات والأوبئة، انتقل من شمال المغرب إلى تافيلالت واستقر عند أبناء عمه بسجلماسة، وتزوج بالسيدة فاطمة الزهراء بنت الشريف محمد الفاضل، ثم انتقل إلى وادي درعة وتوفي بنواحي زاگورى تاركاً زوجته حاملاً.

الرگيبي، أحمد (الابن -) ولد بعد وفاة والده الشيخ سيدي أحمد الرگيبي فحمل اسمه كما تقتضي ذلك التقاليد المغربية، عاش في نواحي وادي درعة وتوفي بها في مكان يعرف "بالرگبة" أو "الرگيبية" تاركاً أيضاً زوجته حاملاً. فسمي المكان الذي توفي به بلقب سيدي أحمد الرگيبي، ولذلك يكون لقب الرگيبي أطلق لأول مرة على هذا الشيخ، وحمل ابنه من بعده اسمه ولقبه (*الليث*، ص. 73).

الرگيبي، أحمد (الحفيد -) ولد حوالي سنة 999 / 1590 بنواحي درعة، وانتقل إلى الصحراء فهو يمثل النواة الأولى للتجمع القبلي الرگيبي في الصحراء المغربية، وهو صاحب الزاوية المعروفة باسمه في

الساقية الحمراء. اشتغل في بدأيته بتحصيل العلم، فلما حفظ القرآن بالروايات السبع ساح في الأرض متعبداً على طريقة الصوفية، ولما رجع من سياحته إلى درعة أنف من الاستقرار بها وانتقل إلى الساقية الحمراء.

توفي حوالي سنة 1074 / 1665 عن عمر يناهز 75 سنة، ودفن في الساقية الحمراء بوادي الحبشي، وخلف أربعة أولاد وثلاث بنات. إبراهيم وعلي وعمر وقاسم وسلطنة وحوّاء وحوزة.

محمد الظريف

الرگيبي، أحمد ولد حمادي : هو أحمد بن حمادي بن أحمد بن أحميمد من فخذ أولاد بوسعيد من بطن السواعد، من قبيلة الرگيبات -الساحل، وأمه الحبيبة بنت أمحمد بن عمار من بطن التهالات من الرگيبات - الساحل كذلك. ولد هذا المقاوم بمنطقة تيرس حوالي 1880، وتربى على يد والديه، وتعلم بعض مبادىء اللغة والقرآن في الكتاب كما تعلم فنون الحرب والرماية. كان خبيرا بمكايد الحروب، اشترك في جل المعارك ضد القوات الفرنسية في جنوب وادي الذهب وكان محظوظا في غزواته. وكانت له مراسلات مع الشيخ مربيه ربه في شأن الجهاد، توفي سنة 1960 ودفن عند گلتة زمور بإقليم بوجدور عقب من الذرية حمادي وبده.

من المعارك الجهادية التي قادها أحمد بن حمادي، معركة "الخرفانية" حيث قاد فرقة تتألف من اثنين وسبعين مقاتلا قصدت المتعاون مع الفرنسيين المسمى محمد سالم بن أحجور وذلك بمنطقة أدرار. ومن قادة هذه المعركة كذلك سيدي امحمد بن اعلي بن الرشيد، وقاضي الغزوة محمد عبد الله بن عبد الوهاب. وكانت أحداث المعركة كما يلي : عندما اقترب المقاومون من مخيم محمد سالم بن أحجور انقسموا قسمين : قسم شن هجومه من الغرب، وقسم شن هجومه من الشرق. وقبل الهجوم على رئيس المخيم، بعثوا رجلا متنكرا يبحث عنه، وكان هذا الرجل يدعى العروسي بن كروم من المؤذنين. وكان طويل القامة ضخم البدن فوقف أمام خيمة محمد سالم يسأل عنه، ولم يكن موجودا في خيمته في ذلك الوقت، فقالت له امرأة كانت داخل الخيمة : مات محمد سالم إن كنت أنت مقدم الغارة، فلم يلبث محمد سالم الذي كان بالقرب من مخيمه أن انطلق يعدوا إلى كثيب بالقرب منه، وكان به ظلع فعرفوه بعرجه، فانطلق نحوه سيدي امحمد بن اعلي بن الرشيد التهالي فتبادلا الطلقات فماتا. وقام ولد بخير، وهو من جماعة ولد أحجور، فأجهز على ولد الرشيد فلم يلبث ولد بخير أن قتله أحميميد بن الداف العياشي واستولى على بندقية محمد سالم، فظن الناس أنه قاتله.

ومات من جانب أهل أحجور الموالين للاستعمار، قائدهم محمد سالم بن أحجور ومات معه عدد من قومه من بينهم محمد سالم بن بيد له ومحمد أحمد بن أعبيدي بن أحجور، وإبراهيم بن السالك وعلي بن أحجور وأخوه سيدي أحمد، وزگد بن أحجور، وأحمد بن باب بن أحجور، وأحمد بن السالك وسيدي وعلي ابنا اعليوات، وجرح اعلي فال بن إبراهيم بن أحجور ومحمد السالك بن إبراهيم جرح في الفخذ، ودحو جرح في منكبه وقاتلت أخت محمد سالم، المسماة أتويتو قتالا مستميتا.

أما المقاومين رفاق أحمد بن حمادي فقد خسروا ثمانية شهداء هم : عمار بن المعطي وأحمد سالم بن بابا بن عيلال ومحمد بن المولود بن البشير ومولاي أحمد بن اعلي بن الحسن ووهؤلاء من السواعد والصالح بن اللود البيهي، وسيدي امحمد بن أعالي بن الرشيد، قاتل ولد أحجور، ومحمد محمود بن محمد بن عمار وسيدي امحمد بن محمد الصلح التهاليات، ومحمد بن أجماني الشيخي، قتلهم محمد سالم بن بيد له قبل أن يقتله التقى بن المامي. وجرح سبعة منهم الحافظ بن الرشيد وكان المخيليل بن العالم الساعدي هو دليل الغزوة، ومعه بوزيد بن محمد بن إبراهيم من أهل بلاو والمرخي بن لحبيب من أولاد الغاظي والطيني بن البشره والمحجوب بن إبراهيم وغيرهم، وقد وصف الضابط الفرنسي جيلييه (Gillier) هذه المعركة التي قتل فيها محمد سالم بن أحجور قائلا : "لوحظت عصابة ولد حمادي، فقد كانت تتألف من زهاء المائة من البنادق، وهاجمت مخيم أهل أحجور قرب تجگجة، وفقدت كثيرا من رجالها، وانقسمت بعد ذلك ونهبت بين تگانت وأدرار، ثم في الترارزة قريبا من السباعية حيث توجد قطعان عديدة، فأنبرى ولد الديد ومحاربوه في مطاردته نحو الشمال.

أما في معركة الحفرة الثانية المسماة بوقعة "الگديم" التي كانت بتاريخ 23 أكتوبر سنة 1924، فقد كان عدد المقاومين فيها مائة وثلاثة عشر رجلا، تحت قيادة "آيت أربعين" وكان في المقدمة أحمد بن حمادي وإسماعيل بن الباردي وماමينا بن سيداتي وأحمد بن الخطاط الدليمي. انطلق هؤلاء المجاهدون من موضح "گلتة زمور" في اتجاه "وادان" واستمروا في سيرهم دون أن يكشف أمرهم حتى عسكروا على بعد عدة أميال من الحامية الفرنسية، وبعد صلاة المغرب تسلل، اسماعيل بن الباردي، متنكرا في زي راع، حتى داخل معسكر الگوم يتصنت أخبارهم، فوجدهم يغنون ويتناشدون الأشعار، غافلين لا شعور لديهم بالموت الناقع الذي يترصدهم، وتيقن أن الحامية لا علم لها بالمقاومين، وبعد هنيهة تسلل راجعا إلى أصحابه، وأخبرهم بأن الحامية في حال غرة، وليست في حال استنفار. وهكذا قرر المجاهدون الإغارة على الحامية في الصباح الباكر، فساروا حتى نزلوا بالقرب منها، وجعلوا أربعين رجلا خلف الحامية وأوصوهم أن لا يبرحوا أماكنهم، حتى إذا رأوا الجنود يهاجموهم عندها، عليهم أن يباغتوهم من الخلف ويقاتلوهم. وكانت الحامية تتخذ من موضع "آطويرف الكباش" محلا لمعسكرها، وهو موضع أستراتيجي مطل على ما حوله. وقبيل بزوغ الشمس انطلقت ثلاث فرق من الجنود الفرنسيين لحراسة الإبل عند خروجها من الحظيرة، وكانت هذه الفرق قدام الإبل برئاسة أحد الضباط الفرنسيين فما هي إلا لحظات حتى شن المجاهدون هجوما كاسحا على هذه الفرق، واندفع أحد المقاومين وهو بشير بن حبدي نحو أحد الضباط، لكنه

سقط شهيدا بطلقة عريف فرنسي، غير أن هذا العريف لم يلبث أن عاجله أحمد بن حمادي فأرداه صريعا، واحتدم القتال بين الفريقين فأصيب أحمد بن حمادي بجرح في ساقه اليمنى، وماتت فرسه بطلقة سددها إليه أحمد بابا بن الوداد، فانبرى أنداديه بن الجعيدر فأطلق النار على ابن الوداد فأرداه قتيلا، وأقبل إسماعيل على فرسه حتى انتشل أحمد بن حمادي من أتون المعركة. وعندما حمله على فرسه انبرى له سيدي أحمد بن محمد الزناگي فأطلق النار على إسماعيل فأصاب فرسه فماتت. ثم وثب إسماعيل وهو يحمل مع أحمد ست بنادق، وصار يعدو وسط وابل من الرصاص حتى نجا بجريحه.

ثم التحم الجيشان، وحمي الوطيس، وأبلى المجاهدون في هذا اليوم بلاء حسنا، حيث أظهروا من الشجاعة ما أربك الجانب الآخر وحيره، وهكذا زحفت كوكبة من المجاهدين حتى اقتحمت حظيرة الحامية وقصدت مخزن الذخيرة واستولت على صندوق مليء بالرصاص وشرعت في توزيعه على المجاهدين الذين أوشك رصاصهم على النفاذ ومن بين هذه الكوكبة التي اقتحمت الحظيرة : سيدي بن عبد الحي ويحفظه بن أسلم، وعبد الله بن بلال والحبيب بن أجعيدر وأخوه أنداديه. وقد صف هذه المعركة الضابط جيليي قائلا : "في الصباح الباكر هوجمت المفرزة التي كانت ذاهبة في حراسة المنتجعات بعد ذهابها من الزريبة بقليل من قبل جيش من 150 بندقية، كانوا يتخفون وراء شجر أوراش". وقد أبيدت هذه المفرزة بكاملها، قتل كافة أصحاب الرتب، ومن بينهم عريف أوربي، وقتل من الرماة ثمانون وجرح سبعة، وهرب إثنان من حرس البيضان، واستولى المهاجمون على الأسلحة والذخيرة التي بقيت في الميدان، وانقسموا إلى ثلاث مجموعات، وبدأوا في اتجاهات ثلاثة مختلفة السير نحو الاقتراب من الزريبة. واقتربوا مستخدمين الميدان بروعة، ووجهوا إلى الزريبة نارا كثيفة لاتسمح للمدافعين بالانتقال إلا زحفا. واقتربوا شيئا فشيئا، وتمكن إثنان من إحدى المجموعات من القفز في زاوية المربع التي أخلاها اثنان من حرس البيضان، لجأ إلى الخلف فقتل المهاجمان عن كثب، وتعطلت الرشاشتان والمدفع الرشاش ومدفع البازوكا، وبعد ساعتين من القتال المستعر هرب المهاجمون، ولكنهم انسحبوا في نظام يغطون انسحابهم بإطلاق النار، وساقوا أكبر عدد من الجمال. كانت خسائرنا 17 قتيلا من بينهم عريف أوربي و 14 من الرماة و2 من الحرس و15 جريحا من بينهم ملازم، وأخذوا 12 قناصا واثنين من الحرس، وفقدنا 14 بندقية كانت لدى مفرزة حراسة المراعي و200 جملا ساقها المنشقون (Les dissidents)، وقتل زهاء العشرين من الجمال، وترك العدو 9 قتلى وجريحين مثخنين بالجراح" على ما قال جيليي وبعد رجوعهم من هذه المعركة نزل المقاومون في مكان يدعى اگرارت بارسكلة حيث قسموا الغنائم وعالجوا الجرحى، إذ كانت عندهم أدوات طبية ومواد العلاج وكانوا يحصلون عليها بالشراء من الإسبان.

أما في معركة تجنين سنة 1931، التي قادها أحمد بن حمادي إلى جانب الإمام الشيخ محمد المامون، فقد كانت من أشرس معارك المقاومة في الجنوب المغربي حيث تكبد فيها الفرنسيون خسائر فادحة، بل أوشك المقاومون على إبادة كل من كان فيها من الجنود. فقد كانت الوحدة الفرنسية تتكون من مائة وسبعة عشر مقاتلا، يقودهم ضابطان وأربعة ضباط صف وتتكون الوحدة من 63 من الرماة و28 من الحرس و20 من المناصرين "الگوم" يقول الضابط لويوسكي (Loyewski) بهذا الصدد : "في يوم 6 سبتمبر جاء الاستطلاع مسرعا وأخبر بأن الغزاة قد وصلوا. وإنهم يتألفون من 170 بندقية تحت قيادة محمد المامون وأحمد بن حمادي". ومن أجل الحصول على بعض المعلومات بعث محمد بن غناه الله الرقيب الأول ومعه أربعة من الحرس واتخذ قائد الوحدة الاحتياطات اللازمة حيث جعل الرماة في أماكنهم وأقام الحراس أمام المعسكر. كانت ليلة مظلمة، تمر ساعات وينام الجنود، يأتي المهاجمون رابطين أفواه جمالهم، وكانوا يلبسون ثيابا خفيفة، شبه عراة، زحفوا حبوا نحو المعسكر واستطاعوا أن حددوا مواقع الجنود الرماة وأماكن الحرس، ثم انسحبوا للتشاور، ثم قاموا بشن هجوم في الساعة الثالثة صباحا.

وكانت الخسائر : مقتل ضابط وثلاث ضباط صف و32 قناصا و2 من الحرس من بينهم الشيخ بن إبراهيم واثنان من المناصرين. وجرح خمسة من القناصة جروحهم خطيرة ماتوا بعد ذلك. وبعد المعركة بيومين انطلقت الوحدات الفرنسية في مطاردة المجاهدين، كان ذلك يوم 8 من شتنبر، تتقدمها طائرتان تستطلع أماكن المجاهدين فلحقت بهم عند "آقوينيت" وقت القيلولة، بعضهم نيام والبعض يسقي الجمال من البئر، فلما رأى المقاومون طلائع القوات الفرنسية تقترب منهم، تشاور القادة هل يتصدون للمطاردين أم ينسحبوا عنهم ؟ فارتأى أحمد بن حمادي أن يواجهوا المهاجمين ويناجزوهم، بينما ارتأى محمد المامون أن ينسحبوا، لأن الفرنسيين لديهم المدافع الرشاشة التي تمكنهم من ترجيح كفتهم، فاستجاب جل الغزوة لرأي محمد المامون وشرعوا في الانسحاب بطريقة غير منتظمة تحت تراشق متقطع. ووجد الفرنسيون في "آقوينيت" مصحفا ومنظارا وسبحة كانت عند محمد المامون. وأثناء المتابعة انبرت كوكبة من المقاومين فاشتبكت مع طلائع المفرزة الفرنسية، وبعد قتال ضار رجعت القوات الفرنسية أدراجها.

بعد الهيمنة الاستعمارية على منطقة الصحراء سنة 1934، ظل أحمد بن حمادي رجلا شجاعا مناهضا لقوات الاحتلال وإدارته، خاصة أنه من أعيان قبيلة الرگيبات، وشخصية ذات رأسمال رمزي قوي ومكانة اجتماعية مرموقة، لذلك سنراه ضمن الوفد الذي قدم إلى الرباط بعد عودة الملك محمد الخامس وأسرته من المنفى، كما ساند حركة جيش التحرير سنتي 1957 و1958 على الرغم من كبر سنه، إلى أن أدركته الوفاة كما ذكرنا سابقا

بـكتلة زمور حيث دفن وسط مرتفعاتها وأصبح قبره ضريحا يزار من طرف السكان.

الطالب أخيار بن الشيخ ماء العينين، الشيخ ماء العينين، *علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوربي*، ج 2، مطبعة بني يزناسن، سلا، 2007 ؛ *مقابلة ميدانية* مع الشيخ محمد يربى ولد الوالي، 2005.

Gillier, *La pénétration en Mauritanie*, Ernest Leroux, Paris, 1926 ; Loyewski, *Rezzous sur l'Adrar*, Paris, E. Leroux.

محمد دحمان

الركيبي، إسماعيل ولد الباردي هو إسماعيل بن الوالي بن الباردي، ينتمي إلى أولاد موسى إحدى قبائل الرقيبات الضاربة في أعماق الصحراء المغربية، ولد سنة 1300 / 1883 في عام النجمة بمنطقة تيرس داخل أسرة توارثت الزعامة في قبيلته، فكان أبوه الوالي بن الباردي بن عبد الله بن لحسن (أولاد لحسن) رئيسا لعشيرته، وكذلك جده لأبيه الباردي وجده علي. عاش حياة زهد وجهاد طيلة حياته، اشتهر بمقاومته للمستعمر والمتعاونين معه، ويعتبر من رموز المقاومة المسلحة في أقاليم المغرب الجنوبية الذين واجهوا الجيوش الفرنسية في أدرار في بداية سنوات العشرين من القرن العشرين، وكان بينه وبين محمد بن الخليل نزاع شديد بسبب خضوعه للفرنسيين، وقد أغار عليه عدة مرات سنة 1923 نهب مضاربه، كما كانت بينه وبين الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين عدة مراسلات في شأن الجهاد، منها قول الشيخ مربيه ربه في رسالة يوصيه بمديد العون والدعم لابن عمه المجاهد محمد المأمون :

"الحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده ابننا صاحب الجهاد إسماعيل ابن الوالي بن الباردي، السلام عليك، أما بعد، فإنا نحمد الله ونشكره على ما سمعناه عنك من الغزوات الجهادية والظفر فيها، موجبه أن الحامل ابن عمنا السيد محمد المامون، نحب منك أن تشد له العضد في الجهاد الذي هو بصدده كما كنت مع أخيه المرحوم بالله. "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان"، أعانكم الله ووفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه بالتمام والسلام، في 10 من شوال عام 1343" (5 ماي).

من أشهر المعارك التي خاضها :

معركة "أم اغوابة"، وتعرف ب "الشريرك"، وذلك يوم الثلاثاء 17 ربيع الثاني 1342 الموافق 28 نونبر 1923، وقد قاد هذه المعركة المجاهد وجاهة، وشارك فيها أزيد من مائة وأربعين مقاتلا، انطلقوا من موضع "ريش اناجيم"، جنوب بئر أم اقرين، وهاجموا الحامية الفرنسية التي توجد بالقرب من "وادان"، وقد قتل في هذه المعركة ثلاثون من الرماة بالإضافة إلى قائد الحامية الملازم بدرين Bedrines، كما أسر فيها مجموعة من "الـكوم" والرماة السنغاليين، واستشهد فيها محمد بن برهاه الساعدي وولد الباردي.

- معركة "الحفرة" الثانية، وتعرف بوقعة "الكديم"، وقد وقعت بمنطقة وادان يوم الأربعاء 23 ربيع الأول سنة 1343 الموافق 23 أكتوبر 1924، واشترك فيها مائة وثلاثة عشر رجلا تحت قيادة "آيت الأربعين" من بينهم أحمد حمادي ومامينا بن سيداتي وأحمد بن الخطاط الدليمي وغيرهم. وقد أبدى فيها إسماعيل ولد الباردي بطولات لازالت الذاكرة الشعبية تذكرها باعتزاز، فقد دخل الحامية العسكرية الفرنسية الموجودة قرب "حفرة وادان" متنكرا في زي راع وتعرف على أحوالها دون أن يثير انتباه الحراس، وبعد الهجوم على هذه الحامية واحتدام المعركة، أصيب أحمد حمادي بجرح في ساقه وماتت فرسه، فانتشله من أتون المعركة وحمله على فرسه، ثم قتلت فرسه أيضا، فوثب وهو يحمل أحمد حمادي وست بنادق ونجا بجريحه.

- معركة الطريفية، وقد وقعت على بعد عشرين كلم جنوب شرق "شار" بمنطقة آدرار يوم الأربعاء 6 - 9 رمضان 1343 الموافق لـ 2 - 5 أبريل 1925، واشترك فيها ثلاثمائة مقاتل، وقد شارك في قيادتها إلى جانب إسماعيل ولد الباردي مجموعة من المجاهدين منهم أحمد ابن حمادي، وإبراهيم بن وداد البيهي، ومامينا بن سيداتي وأحمد بن الخطاط، ومحمد عبد الله بن عبد الوهاب وغيرهم. وقد تم الهجوم فيها على الحامية الفرنسية النازلة بربوة "الطريفية"، وأبدى فيها المجاهدون بسالة أرهبت الفرنسيين وأوقعت في صفوفهم خسائر فادحة جعلتهم يخصصون "مكافأة مالية قدرها ألف فرنك وبندقية وألف رصاصة لمن يقتل اعلي بن ميارة أو إسماعيل ولد الباردي، أو أحمد بن حمادي". وقد استشهد في هذه المعركة أربعة عشر رجلا منهم محمد عبد الله بن عبد الوهاب القلقمي قاضي المعركة وامحمد بن عيداد بن احميد وهدي بن الشريف وعبد الودود بن معطله ابن المكي والمعلوم بن ألبو وعبد الودود بن عمار بن مياره وغيرهم.

وبعد تصفية المقاومة سنة 1934 واستشهاد عدد كبير من رفاقه ظل ينتقل في منطقة الاحتلال الإسباني، بينما كانت أسرته تقيم في منطقة الاحتلال الفرنسي إلى سنة 1940 حيث عاد إلى منطقة آدرار، وحاول جمع أفراد أسرته من جديد، لكن السلطات الفرنسية عرقلت محاولته هاته، ففضل الابتعاد عن المراكز الفرنسية رفقة ذويه وظل يتنقل بين تيرس وآدرار.

توفي سنة 1972 بنواحي بئر أم گـرين.

نور الدين بلحداد، *التسرب الإسباني لشواطئ الصحراء المغربية*، الملحق ؛ الشيخ ماء العينين، *علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي*، ج II، ص. 375، الطالب أخيار ؛ إسماعيل ولد الباردي، محمد دحمان، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، 1999.

محمد الظريف

الركيبي، اعلي بن ميارة التهالي : هو اعلي بن ميارة بن أحمد بابا بن أعمر من بطن التهالات من قبيلة الركيبات الساحل، وأمه هي فاطمة بنت إبراهيم

بن التروزي العروسية، ولد سنة 1878 بمنطقة تيرس. نشأ أعلي في كفالة والده، وبعد أن شب عن الطوق لازم خاله الفارس المعروف سيدي أحمد بن إبراهيم بن التروزي، فعلمه الفروسية والرماية ودربه على فنون القتال ومكايد الحروب. يروى أنه كان شجاعا مقداما، طويل القامة واسع العينين جميل الصورة، موطأ الأكفاف حسن الخلق، ذا مهابة، قليل الكلام، حدث عنه من يعرفه أن لم يسمع منه أحد كلمة سوء، مع السخاء والكرم، وعندما بدأت القوات الفرنسية تزحف على الجنوب المغربي قادمة من السنغال تصدى لها هذا المجاهد بجدارة ورباطة جأش، وكبدها خسائر فادحة في كل المعارك التي شهدها، وكان رحمه الله لاتطيش له رصاصة، ولا يخطئ هدفا. وأول معركة خاضها ضد الفرنسيين كانت وقعة "المالحة" شمالي أدرار سنة 1909. وبعد ذلك ظل يركز في جهاده على الجيوش الفرنسية في ناحية أزواد وتخوم دولة مالي الحالية، والمتصفح لحوليات الجيوش الاستعمارية ونشراتها حول المعارك يلاحظ حضور اسم أعلي بن ميارة باعتباره ماهرا في السلاح وفي وضع الكمائن وحرب المواقع، الشيء الذي تعجب له كل الضباط الفرنسيين الذين كتبوا حول التدخل العسكري الاستعماري في الصحراء تميز اعلي بن ميارة بين زعماء المقاومة في الجنوب المغربي بالشجاعة والمهارة القتالية، كما ظل مناهضا للاحتلال الاستعماري إلى أن استشهد عند جبل "ميجك" في ساحة المعركة. ومن المعارك الشهيرة التي قادها معركة بداوة، التي وقعت في النصف الثاني من سنة 1917 في منطقة أزواد وكان اعلي بن ميارة برأس أربعين من المجاهدين، كانوا قبل هذه المعركة قد هاجموا بعض الوحدات الفرنسية في الحوض، ثم توجهوا صوب أزواد حيث اشتبكوا مع مفرزة جلها من الـگوم وقد تم سحقها بالكامل، وتم الاستيلاء على العشرات من الجمال وعلى سبعين بندقية، وقد استشهد في المعركة الفراح بن ميارة وهو الأخ الأكبر لعلي، وجرح فيها اعلي نفسه بعد أن أباد جل هذه المفرزة وحده.

وقبل هذه المعركة كان اعلي بن ميارة قد خاض غزوة أخرى عرفت بمعركة الحفرة الأولى وذلك بتاريخ 28 شتنبر 1913 (25 شوال 1331) بلغ عدد المجاهدين فيها زهاء المائتين. انطلقوا من ناحية "گلتة زمور" في اتجاه وادان وتمكنوا من اقتحام حظيرة الحرس في "حفرة وادان" وبعد معركة ضاربة وسريعة تمكن المجاهدون من قتل سبعة وعشرين من الرماة السنغاليين وعشرة من "الـگـوم" وكان الذي قتـل كل الرمـاة هو اعلي بن ميارة أما "الـگوم" فقـد قتلهم ولد ببيات الشيخي. وغنم المجاهـدون أربعين بندقية وصناديق من الذخيـرة وبعض المواد الغذائيـة وجميع الجمـال التي كانت بحوزة الفرنسيين. واستشـهد في هـذه المعركة كـل من باهية بن امبارك البلاوي وشـان بن أفـرييط وعبد الحي بن ديـه الرقيبيون.

وفي سنة 1933 كانت مضارب خيام بطن التهالات والسواعد من الرگيبات تنتجع مرابع زمور، لكن لما علموا بخصب نواحي جبل "ميجك" قرروا الانتجاع في تلك النواحي، ولما عزموا على الرحيل - حسب رواية الباحث الطالب أخيار- حاول محمد سالم بن أحمد بابا أن يثنيهم عن الرحيل وقال لهم : "علينا أن نعرف ما إذا كنا نريد الحرب أم نرغب في السلام، فإذا كنتم تصرون على الحرب، فاحتفظوا بمخيماتكم في الشمال (يقصد ناحية كلتة زمور) خارجا عن مدى الفرنسيين، وإذا كنتم قد اتخذتم قرار السلام، فاذهبوا أولا إلى أطـار لطلب الأمـان، عندئذ سيكون بإمكانكم أن تنتجعوا أي مكان يطيب لكم. لكن أن نظل في حرب، ونضع ممتلكاتنا في متناول خصومنا، فهذه حماقة لن تطاوعني عليها نفسي". فرد عليه كل من أحمـد بن حمادي واعلي بن ميارة : "لقـد أصبحت فزعا، لن يجرؤ الفرنسيون على مهاجمتنا، بل سنحتل مواقعهم عندما نبعث غزوة إلى أدرار". فـرد محمد سالم : "سأبقى حيث كنت". وبعد أيام نزل اعلي وأحمد بن حمادي ومن معهما في السهول حول جبل "ميجك".

آن ذلك راجت شائعات بأن اعلي بن ميارة قد جمع أكثر من مائتي مقاتل وأنه سيقوم بشن غارات ساحقة على المعسكرات الفرنسية في أدرار. عند ذلك لم يهدأ بال للفرنسيين، لإبعاد الخطر عنهم، فبدأوا في الإعداد لشن هجوم كاسح على مخيمات اعلي وأحمد، فقام قادة الوحدات المتمركزة عند "أوادي" بالزحف في اتجاه "ميجك" فوصلوه فجر 31 يناير 1933، وكانت الوحدات الفرنسية تتألف من عشرة ضباط وضباط صف وتسعين من الرماة وخمسين من الحرس ومائة وخمسين من رجال الميليشيات وثلاثة مائة بندقية، زحف الجميع إلى "ميجك" على حين غرة.

وقام الملازم گـوفلي (Capt. Gauffelet) وأمر الرقيب محمد بن اغناه الله والرقيب سيدي أحمد بن الزناگي ومعهما الحرس والميليشيات بالالتفاف على المخيمات. وفور أخذهم مواقعهم بدأ الرماة في الزحف على المخيمات عند بزوغ الفجر، واستطاع الرماة أن يصلوا إلى مسافة ثمانمائة متر من الخيام وسط ضباب كثيف. وعندما علم اعلي بن ميارة بالحشود المهاجمة أحضر جواده وأسرجه ثم عبأ مقاتليه الأوفياء وتقدم لمنازلة العدو، ثم اندفع ومن معه كالليوث الضارية صوب المهاجمين، وأطلقوا عليهم وابلا من الرصاص ترك البقعة كلها جحيما، عندها فر الرماة وولوا الأدبار وسط عويل وصراخ، وصار أعلي بن ميارة يقول بصوت عال والله لئن انقشع هذا الضباب لأرين الفرنسيون وأعوانهم من أهوال الموت ما ينسيهم ما سلف من أيامهم. وصار هذا المقاوم يزمجر في كل اتجاه، ويجول يمنة ويسرة على صهوة جواده في الميدان، وبينما هو في معمعان القتال أصابته رصاصة طائشة أسقطته عن صهوة جواده، وعندما سقط شعر مقاتلوه بخسارة المعركة، فانسحبوا بعدما فقدوا عدة قتلى من بينهم عمار بن أحمد بابا بن ميارة، والشيخ بن الفراح بن ميارة، ومحمد بن سيدي أحمد، وبر بن عبد القادر، ومحمد بن المامي بن عبد النبي، والرقيبي بن علي سالم الشيخي،

ومحمد بن عطار السباعي، وحمـادي بن التناخه، وعمار بن البشير بن بينه المؤذني، واللوه بن برهاه، واعبيدي بن الطيب. وجرح العديد من بينهم ماء العينين بن أحمد بابا التهالـي.

وكان استشهاد اعلي في أول فبراير 1933. وقد شارك مقاومون من أولاد أبي السباع إلى جانب اعلي بن ميارة من بينهم بابا بن عبد الله، وخطري بن صنبه، ومحمد بن عطار الذي استشهد.

استشهد اعلي بن ميارة بعدما أمضى قرابة ثلاثة عقود وهو يشن الغارة تلو الغارة على المعسكرات الفرنسية في أزواد وفي الحوض الشرقي وفي تكانت وفي أدرار التمر وفي كل المعارك التي خاضها ضد القوات الاستعمارية لم تنتكس له راية، وقد شهد له أعداؤه الفرنسيون بقولهم : "إن اعلي بن ميارة كان جديرا بما حظي به من سمعة المقاتل البارع" (Rezzous sur l'Adrar : 87 - 88)، كما نوه بممارسته الجهادية الكتاب العرب من أمثال سعيد القشاط في كتابه عن "أعلام الصحراء"، وخلدت الذاكرة الشعبية صورة اعلي بن ميارة باعتباره مجاهدا صنديدا وصاحب ذاكرة قوية ومهارة قتالية منقطعة النظير، ورجل مبـادئ ثابتة إلى أن رحل شهيـدا.

الطالب أخيار بن مامين، الشيخ ماء العينين، *علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوربي*، مطابع بني يزناسن، سلا، 2007 ؛ *تحريات ميدانية* قمنا بها في مدينة الداخلة ومدينة العيون حول أعلام الجهاد بالمنطقة ؛ محمد سعيد القشاط، *أعلام من الصحراء*، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 1997 ؛ المختار ولد حامد، *حياة موريتانيا، الحياة الجغرافية*، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994.

Gillier, *La pénétration en Mauritanie*, Paul Geuthner, Paris, 1927 ; De la Chapelle, Les tribus insoumises, in : *Revue des troupes coloniales*, N° 207, Juillet-Septemre, 1932 ; Notre politique à l'égard des insoumis, in : *Revue des Troupes coloniales*, N° 210, Janvier-Fevrier, 1933 ; Loyewski, *Rezzous sur l'Adrar*, E. Leroux, Paris.

محمد دحمان

الركيبي، حسن أحمد علي عبد الله،

المناضل والوطني الصادق، ولد سنة 1938 بالدار البيضاء من أسرة تنتمي إلى قبائل الشرفاء الرقيبات أولاد داود، نزحت من الصحراء أوائل القرن العشرين، ضمن عائلات أخرى، لتستقر في منطقة الرحامنة ومنها إلى الدار البيضاء. ومارس نشاطه في صفوف حركة المقاومة والنضال ضد المستعمر منذ سنة 1951 وعمره لم يتعدَّ عشرة، حين انخرط في مجموعة رحال المسكيني ورفاقه ما بين عامي 1953 و1955.

وبعد عودة جلالة المغفور له محمد الخامس إلى أرض الوطن، قرر استئناف مشواره الدراسي في الدار البيضاء، ثم في سلا، التي سيؤسس بها سنة 1957 مدرسة خاصة في حي بطانة، بتشجيع من هيئة الحركة النسوية، التي دعمت المشروع، على غرار غيره من المشاريع الوطنية، بإشراف السيدة فاطمة حصار والسيدة رقية لمرانية، مما مكنه من اكتساب الخبرة والتجربة وتأمين مصدر رزق قار.

وبدأت اتصالات السيد حسن علي عبد الله بأهله في الصحراء في سنة 1962، لتتركز بعد ذلك حول مستقبل الصحراء في ظل الاستعمار الإسباني وسُبل عودتها بالوطن الأم، حيث قرر الانتقال إلى مدينة طانطان للقيام بالاتصالات اللازمة في عين المكان ومنها إلى تيندوف، التي دخلها، رفقة مجموعة من أعيان الصحراء، يوم 17 يونيو 1962، حيث مكث بها 3 شهور قبل أن يعود إلى طانطان ومنها إلى العيون بدعوة خاصة من المرحوم خطري ولد سعيد الجماني، رئيس الجماعة الصحراوية آنذاك، ليصبح من مستشارية مكلفاً بإجراء الاتصالات مع الإدارة المركزية ومع الكتابة الخاصة لجلالة الملك الراحل الحسن الثاني، رحمه الله.

ثم إنه التحق سنة 1966 بالإذاعة المحلية للعيون، مسؤولا عن البرامج السياسية، وأحد المكلفين بالترجمة، فكان له دور كبير في إجهاض مخططات الإدارة الاستعمارية ووضع شيوخ وأعيان الصحراء، أعضاء البرلمان الإسباني، في صـورة ما يُحـاك من مـؤامرات ضد مستقبل الصحراء ومنهـا مشروع قـرار يقضي بـ "إدماج الجماعات المسلمة في الصحراء الإسبانية ضمن الجماعات الإسبانية المسيحية في شبه الجزيرة الأيبيرية"، الذي كانت الإدارة الإسبانية تسعى في توقيعه من قبل شيوخ الصحراء وأعيانها، من دون أن يطلعوا على محتواه. وبعد اكتشاف الإدارة الإسبانية بالعيون لما يقوم به السيد حسن علي عبد الله من أعمال تحُد من فاعليتها، قررت نفيه إلى مدينة "لـﯕويرة" وإيداعه في سجنها، في الأسبوع الأول من شهر غشت 1966، حتى تتدبر أمره وتؤمن طرده إلى الدار البيضاء عبر ميناء نواديبو الموريتانية وجزر الكناري. وفي شهر 13 يناير 1967 سيتم إطلاق سراحه بضغط من الأهالي وإلحاح شيوخ القبائل الصحراوية، وحالة الاضطراب التي أصبحت تشهدها منطقة العيون، مما أدى إلى زعزعة استقرار الإدارة الإسبانية، نتج عنه تغيير حاكم المدينة بحاكم آخر.

وبعد عودته إلى العيون عاد السيد حسن علي عبد الله إلى سلك التدريس، ثم اشتغل صحافيا، غير متفرغ في الإذاعـة، قبـل أن تُناط به مهام رئاسـة مكتـب رئيس المجلس الإقليمـي للعيون آنـذاك السيـد صيلا ولد اعبيد ولد سيـد أحمـد، ثم كاتبـا خاصا للسيد خطـري ولد سعيد الجماني، بصفتـه رئيسا للجمعية الصحراوية، بعد تأسيسها.

وقد ساهم السيد حسن علي عبد الله، سنة 1970، في تأسيس الحركة الطليعية بزعامة محمد بصير، التي منحت دفعة إضافية لحركة النضال في الصحراء ضد المستعمر، وأشعلت المواجهات مما ساهم في خلخلة قناعة الإسبان ودفعهم إلى ممارسة العنف الذي أدى إلى سقوط ضحايا في صفوف المواطنين المنتفضين وسجن العديد منهم.

أسهم السيد حسن علي عبد الله في تأسيس حزب "الاتحاد الوطني الصحراوي"، إلا أنه ما لبث أن غادر هذا التنظيم رفقة آخرين لاختلاف في وجهات النظر مع قيادة الحزب حول ظروف تأسيسه وأهدافه المُعلنة وغير المعلنة. وكان أيضا من مؤيدي "الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء" في بداية نشأتها قبل أن تحيد عن خطها بسبب موجة العُنف التي مورست ضد رجالاتها من الشباب المغاربة الذين وضعوا على عاقتهم المساهمة في تحرير هذا الجزء من التراب الوطني.

بعد وصول بعثة الأمم المتحدة إلى العيون في 12 ماي 1975، قام السيد حسن علي عبد الله بنشاط كبير مع رئيس الجمعية الصحراوية وعدد من أعيان الصحراء لتقديم الحقائق عن الأوضاع في الصحراء وعن تطلعات مواطنيها إلى الاستقلال والعودة إلى الوطن الأم. وفي شهر نونبر 1975 سيغادر العيون في اتجاه مدريد بأمر من الحاكم العام لتولي الإشراف على القسم العربي في إذاعة مدريد، فكانت فرصة استغلها المترجم له للتخلص من حالة الحصار التي كانت مفروضة عليه في العيون والعودة إلى المغرب عبر السعودية بعد السماح له من قبل إسبانيا بأداء شعيرة الحج في العام التالي. وبعد عودته إلى وطنه، استقر في مدينة الرباط واستأنف نشاطه السياسي في خدمة قضية الصحراء من خلال إنتاجه لمجموعة من البرامج الإذاعية التي كانت تُذاع على أمواج الإذاعة الوطنية وعلى أثير إذاعة العيون وطنجة ووجدة وأبرزها برنامج "الحقيقة".

وفي السنوات الأخيرة من عمره، اعتكف في بيته على القراءة والكتابة وحفظ القرآن والتبحر في متون الفقه والأدب، بعد مسيرة حافلة بالعطاء بتفان ونُكران ذات، إلى أن وافاه الأجل المحتوم في إحدى المصحات بسلا في 25 ماي 1991.

محمد سالم الشرقاوي

الرگيبي، الحسين بن عبد الحي بن علال،

فقيه وشاعر ينتسب أصلا لبطن لمحافيظ من قبيلة البرابيش، ثم للرگيبات خؤولة ودارا. اشتهر بأحكامه القضائية الفيصلية فهو من قضاة الصحراء المشهورين. له من الآثار : نظم عقد به مختصر خليل في الفقه، ورسالة في الدفاع عن أموال من احتلت بلادهم ولم يقدروا على الهجرة، ومناقضات في أحكام الدماء ضد أحمد بن عبدي السمسدي، وفتاوى في الرد على الشيخ سيدي باب في شأن النصارى.

توفي سنة 1329 / 1911.

يحيى ولد البراء، *المجموعة الكبرى الشاملة لفتاوى ونوازل وأحكام أهل غرب وجنوب غرب الصحراء*، المجلد الثاني، انواكشوط، 2009 ؛ محمد سالم بن الحسين، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، الرباط، 1992.

الرگيبي، خطري بن سعيد الجماني : هو

خطري بن سعيد بن الجماني بن إبراهيم بن بوجمعة بن دادا بن حيدان بن اعلي بن بنحماد بن أيا بن اعلي بن بابيه بن قاسم بن سيد أحمد الرقيبي ولد سنة 1915 بمنطقة قبيلة الأخصاص بسوس، وهي السنة التي يسميها أهل الصحراء : "عام لعراگيب". وسبب ميلاده بأرض سوس يعود إلى كون خيام أهله كانوا في حالة نجعة هناك هروبا من الجفاف الذي ضرب منطقة الساقية الحمراء نهاية سنة 1914. ومباشرة بعد التهاطلات المطرية بالصحراء سنة 1915، شد أهل الجماني الرحال نحو الساقية الحمراء خاصة منطقة "لعراگيب" التي سميت بها تلك السنة نظرا لخصبهـا آن ذاك. أما والدة خطـري فهي رقية بنت مولود، وكان هو ابنهـا البكر، تربى خطري بين مضارب أهله من فخـذة لبيهات إحدى بطون قبيلة الرقيبـات الشـرق التي كانت تجوب المناطق الممتدة من واد نون إلى حدود زمور ولحمادة والحنك وعرق شاش.

وفي منتصف الأربعينات من القرن العشرين بدأ خطري عمله القبلي والسياسي طامحا إلى تحقيق زعامة عامة على فخذة لبيهات حيث كان ينافسه في هذا الطموح لبيه حنين ولد لولاد (عبد الله ولد موسى)، لكن في أعقاب وفاة هذا الأخير في يناير سنة 1947 ستطرح مسألة الزعامة داخل لبيهات، وأمام الضغط الإسباني في إطار التغلغل الإداري والعسكري داخل الساقية الحمراء ووادي الذهب، سيرسل سعيد ولد الجماني ابنه خطري في مهمـة إلى تيزنيت وگليميم لكي يقول للفرنسيين بـأن والده وباقي قبيلة الرقيبات - الشرق ترغب في حماية الفرنسيين.



وفي سنة 1951 توفي والده سعيد بن الجماني، ودفن عند التفاريتي بمنطقة زمور. وقد زامن ذلك بداية سياسات إسبانية جديدة في الصحراء منها إنشاء مراكز حضرية هي عبارة عن ثكنات ومراكز عسكرية لمراقبة السكان، إلى جانب التقرب من أعيان القبائل، وهكذا بدأ خطري في تدعيم مكانته لدى الإسبان وكذا لدى لبيهات بصفته وارث سر أبيه الذي كان أحد أعيان هذه الفخذة.

وابتداء من سنة 1956 ستعرف الصحراء حركة جيش التحرير أو ما عرف محليا ب "الوطنيين" آنذاك انضم خطري إلى هذه الحركة بمدينة گليميم، لكن سرعان ما عاد إلى الساقية الحمراء لما سمع عن دسائس تحاك ضد شخصه من طرف بعض قادة جيش التحرير - الجنوب، حيث غادر گلميم متنكرا في زي امرأة، ليصل إلى بئر أم

اكرين سنة 1958 حيث أحس بضعف السلطة الإسبانية بالصحراء لذلك فاوض السلطات الفرنسية في أفق سياسة بديلة بالصحراء عشية التحالف الفرنسي الإسباني ضد جيش التحرير. لكن سرعان ما ولى مدبرا نحو المنطقة الخاضعة لإسبانيا، حيث استقبلته السلطات الإسبانية بترحاب عله يفتح صفحة جديدة في العلاقة مع السكان، بعد عملية إيكوفيون (أو Teide في الكتابات الإسبانية) التي تحالفت فيها العساكر الاستعمارية الفرنسية والإسبانية ضد جيش التحرير، وكان خطري قد حضر قبل ذلك مؤتمر حزب التجمع الموريتاني بتاريخ 2 و5 ماي سنة 1958 بزعامة المختار ولد داداه. وهكذا ستنظم إسبانيا انتخابات جديدة بالصحراء في ماي 1963، في إطــار سياســة استعماريــة جديــدة تــروم التأسيس لكيان سياسي محلي، حيث انتخب خطري ولد سعيد الجماني رئيسا لما كانوا يسمونه "المجلس الإقليمي" (Cabildo Provincial)، وهو المنصب الذي بقي عضوا فيه إلى حدود 1965 حيث حل محله صيلة بن أعبيدة الرقيبي. وفي 17 يوليوز من نفس السنة منحه الإسبان عضوية البرلمان الإسباني (الكورطيس / Cortes) الذي بقي عضوا فيه إلى حدود سنة 1975. وخلال تلك الفترة كانت إسبانيا قد أنشأت ما عرف ب "الجماعة الصحراوية" المكونة من زعماء القبائل والبطون المكونة لسكان المنطقة، وكان خطري رئيسا لهذه الجماعة منذ يناير 1971 إلى حين مبايعته للملك الراحل الحسن الثاني. كما كان رئيسا لما كانت تسميه إسبانيا "اللجنة الدائمة للجماعة الصحراوية" التي تم إنشاؤها في فبراير من سنة 1975، وكانت مكونة من 16 عضوا تقوم بدور الوساطة ما بين "الجماعة الصحراوية" والسلطات الإسبانية، وكل هذه الهياكل التي صنعتها الإدارة الاستعمارية الإسبانية كانت تهدف إلى التمهيد لزرع كيان مصطنع بالمنطقة، إذ حاولت توظيف خطري للتفاوض مع شباب حركة البولساريو سواء في شمال موريتانيا أو في عين بنتيلي وتندوف خلال الفترة الممتدة ما بين ماي وأكتوبر من سنة 1975.

وبعد إعلان جلالة الملك الحسن الثاني عن تنظيم المسيرة الخضراء إلى الصحراء، كان خطري بن سعيد الجماني في رحلة إلى الجزر الخالدات، ومنها حل بمدينة أكادير حيث قــدم البيعــة لجلالة الملك في 3 نوفمبر 1975، وقد تميــز استقبــال الملك لــه بوضع سلهامه الخاص على ظهره.

لقد قضى ولد الجماني ثمانية عشرة سنة شيخا لقبيلة الرقيبات ورئيسا "للجماعة الصحراوية" وعضوا للكورتيس الإسباني في صراع مع الإدارة الاستعمارية يسايرها أحيانا ويجمد مناورتها ويستفزها في بعض الأحيان. لهذا تعد عودة خطري إلى الوطن الأم حدثا بارزا في تلك الفترة. يقول أحمد بنسودة مدير الديوان الملكي آنذاك : "إن عودة خطري قبل المسيرة كانت حدثا هاما جدا، لأن الإسبانيين بنوا آمالهم كلها عليه وعلى الجماعة، هاته الجماعة التي كانت مهيأة ليجري الاستفتاء بواسطتها". فهذا الحدث كان منعطفا في قضية الصحراء إذ قدم شيخ الجماعة الصحراوية إلى ملك البلاد وأعلن البيعة، وسرعان ما جاء بعد ذلك زعماء حزب (PUNS) الذي خلقته إسبانيا بالمنطقة كمنافس لجماعة شيوخ القبائل، وبالتالي تحققت أهداف المسيرة الخضراء. وخلال سنة 1975 كانت اتفاقية مدريد، بتاريخ 14 نوفمبر التي بموجبها استعاد المغرب الصحراء، كما انتخب خطري رئيسا للجماعة القروية لكَلتة زمور في انتخابات 12 نونبر 1976، وكذا انتخب رئيسا للمجلس الإقليمي لبوجدور في 25 يناير سنة 1977، وفي يونيه من نفس السنة تم انتخابه كذلك عضوا للبرلمان المغربي حيث انتخب نائبا لرئيس هذا المجلس. هكذا دخل خطري ولد الجماني معترك الحياة العامة لبلاده في المجال السياسي، وأيضا في المجال الاقتصادي حيث منحت له امتيازات في مجال الاستثمار في قطاع الخدمات والصناعة والمال، كما ساهم في ملف القضية الوطنية على المستويين الداخلي والخارجي بكثير من الصبر والحكمة والأناة وتجاوز الخلافات الشخصية والمحلية لصالح الوحدة الوطنية.

توفي سنة 1993 بمدينة الرباط بعد مرض عضال، ونقل جثمانه إلى مدينة العيون ليدفن بالساقية الحمراء.

محمد الغربي، *الساقية الحمراء ووادي الذهب*، 1975 ؛ محمد سالم ولد عبد الحي، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، م.ج.ع، الرباط، 1992 ؛ محمد دحمان، *أعلام الجنوب، إسماعيل ولد الباردي*، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1999 ؛ محمد أحمد باهي، *خطري ولد سعيد الجماني*، الأسد الجريح، سلمى للطباعة، الرباط، 2002 ؛ سيد أحمد الشرادي، *دراسة مونوغرافية لقبيلة أولاد دليم*، أطروحة دكتوراه في الحقوق، الدار البيضاء، 2008.

A. Cauneille et J. Dubief. Les Reguibat Legouacem : chronologie et nomadisme in : *Bulletin de Ifan-t*. XVII, N° 3 - 4, Juillet / Octobre, 1955, p. 528 – 550 ; Tony Hodges, *Historical Dictionary of Western Sahara*, London, 1982 ; Georges Chaffard, *Les carnets secrets de la décolonisation*, Calmann-Lévy, Paris, 1965.

محمد دحمان

الركَيبي، سعيد بن **أحمد** مقاوم ولد سنة 1934 بالساقية الحمراء. انخرط في صفوف جيش التحرير بمركز مركَالة تحت قيادة أبا الشيخ جلال سنة 1956، وقد كان نشيطاً في عمله متحمساً في إيمانه معروفاً بشجاعته، شارك في عدة معارك بالصحراء المغربية ضد الجيش الإسباني، كمعركة أم العشار ومركَالة التي استشهد فيها سنة 1957.

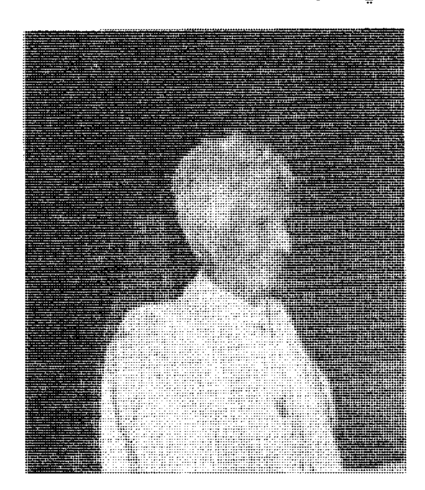
المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

محمد الظريف

الركَيبي، صيلة ولد **اعبيدة** ولد أحمد، من فخذة أولاد الشيخ من قبيلة الركَيبات، ولد عند تكَبة

بمنطقة وادي الذهب سنة 1920، وكان من الزعماء السياسيين لقبيلة رگيبات - الساحل حيث ترأس المجلس الاقليمي (Cabildo Provincial) للصحراء زمن الاحتلال الإسباني في انتخابات 1965. وكان زعيما للوفد الصحراوي الذي ذهب للنيويورك في سنة 1966 بايعاز من الإدارة الإسبانية. وفي سنة 1967 صار عضوا في البرلمان الإسباني (مجلس الكورطيس) ممثلا لإقليم الصحراء. كما عين الحاكم الأعلى للعيون (alcalde mayor de El Aiun) . وظـل عضوا في الكورطيس إلى حـدود سنـة 1975. وعندمـا خلقـت إسبانيـا ما يعرف بـ "الجماعة الصحراوية" في تاريخ 11 شتنبر 1967 تم انتخابه أول رئيس لها، وهي جماعة استشارية مكونة من شيوخ القبائل، وظل في ذلك المنصب إلى حدود سنة 1971. ثم غادر وادي الذهب بعد شهر أكتوبر من سنة 1975 هو وعائلته ليقطن البادية حيث عرف بعشقه لها وظل في المضارب البدوية.

توفي سنة 1985 حيث ووري جثمانه الثرى بمقبرة انواكشوط في موريتانيا.



مقابلة ميدانية مع السيد حمودي ولد اعبيدي الرگيبي، شتاء 2010 بالداخلة.

Africa, N° 234, junio, 1961, Madrid ; *Africa*, N° 356, Agosto, 1971, Madrid ; *Africa, N° 338*, Febrero, 1970, Madrid.

محمد دحمان

الرگيبي، علي بن **أحمد**، وقد تفرعت عنه عدة بطون منها : أولاد موسى، السواعد، أولاد داود، المـؤذنيـن.

الرگيبي، عمرو بن **أحمد** تفرعت عنه البطون التالية : أولاد الشيخ، التهالات، أولاد الطالب، أهل الدليمي (*قبائل الصحراء المغربية*، ص. 46).

محمد الظريف

الرگيبي، فاطمتو بنت **سيد إبراهيم** بن مفتـاح من قبيلـة الرگـيبات فخـذ أولاد مـوسى من فـرع أهل بلاوي بالساقية الحمراء، كانت تتحقق كل رؤاها ومعروفة بالإخبـار بالخواطـر، كما اشتهرت بكرمها وسخائها.

توفيت بنواحي طرفاية سنة 1974 ودفنت بالقرب من قبـة "سيدي حمود التوبالي" من أبرز علماء وشيوخ قبيلة توبالت.

بحث ميداني، صيف 2009 حول النساء الوليات في الساقية الحمراء وواد الذهب.

الغالية بلعمش

الرگيبي، قاسم بن **أحمد** وهو أكبر الأبناء وجدّ القواسم، وقد تفرعت عنه عدة بطون منها : البيّهات، أهل إبراهيم وداود، الفقراء، سلام، أهل الحسن واحْماد، أهل القاسم وإبراهيم، الجنحة أهل سيدي علال، السلالكة، أولاد سيدي احْماد، الحميدنات وغيرهم.

محمد الظريف

الرگيبي، لحبيب ولد **أحمد** بن الكحيل بن البلال، أحد زعماء قبيلة ارگيبات الشرق المرموقين، من بيت أهل سيدي علال المنتمي لفخذ أهل أبراهيم أوداود. يذكر الضابط فرانسوا بيسلاي أنه نزل مدينة گلميم سنة 1957 قادما من صحراء لحمادة، ثم عاد إلى تندوف مرة أخرى، وبعد استقلال الجزائر رجع لمدينة گلميم حيث أقام هناك هو وأسرته، تميز بدماثة الأخلاق وشهامة البدو، بل ظل يحمل كابوسه (مسدسه) إلى آخر أيام حياته، وتحتاج هذه الشخصية للدراسة والبحث من أجل فهم حلقة هامة من تاريخ قبائل الصحراء عامة، وقبيلة الرگيبات على وجه الخصوص.

توفي لحبيب ولد البلال سنة 1973 بمدينة گلميم.

مقابلة مع السيد خليلي بنبابا الرگيبي بالرباط، شتاء 2011 ؛ *مقابلة مع السيد مبارك تميم لعريبي* بعيون الساقية الحمراء، شتاء 2011.

François Beslay, *Les Reguibats*, l'Harmattan, 1984, Paris.

محمد دحمان

الرگيبي، محمد أبهاه، ولد عبد الحي : هو محمد بن الحبيب بن الحسين بن عبد الحي بن سيدي أحمد بن علال بن الصبار بن موسى بن بدلة بن غانم بن المحفوظ، من آل عبد الحي الذين عرفوا في قبيلة الرگيبات بالإفتاء والقضاء، ينتهي نسبهم إلى المحافيظ من البرابيش من بني حسان. يلقب بأبهاه تعظيما وتقديرا له. كان من العلماء الفطاحل الذين عرفوا بعلو كعبهم في العلم والإفتاء والقضاء يَردُ عليه المتنازعون من كل مناطق الصحراء فيقضي بينهم بحكـم لا يمكن لأحد بعده أن يعقب عليه حتى أنه اشتهر بين أهل الصحراء أن الحكم الذي يوجد عليه ختم آل عبد الحي المسمى (الخنيفيسة) لا يمكن أن تجد له ردا ولا تعقيبا.

عرف الرجل بنزاهة في الأحكام ودرايته بعلوم الدين وخبرته بتاريخ الصحراء. قدم إلى وادي درعة حوالي 1948 مع قبيلة الرگيبات فحل ضيفا على قبيلة اعريب فطاب له المقام بينهم فاستقر معهم، فصاهرهم أبناؤه. فأصبح قاضيهم الذي يلجأون إليه في كل نوازلهم ونزاعاتهم واستفساراتهم، وأمور دينهم، وعباداتهم، حتى أنك إن سألت أحدهم عن بعض هذه الأمور يقول لك (قال ولد عبد الحي كذلك، أو سمعته يقول كذا أو سألته عن كذا فأجاب...).

- ترك من الأبناء :

- عبد الوهاب : كان قاضيا وأحمد نصرة جيلها، ومريم، وفراحة وبندة.

توفي سنة 1985 بالطنطان.

المختار بن حامد، *حياة موريتانيا*، ج 26، (بنو حسان)، منشورات الزمن، 2008، ص. 19 - 20 ؛ *تحريات ميدانية*.

أحمد شيخي

الرگيبي، محمد الحبيب ولد العبيد

(حبوها) : المعروف بحبوها الحبيب، ينتسب إلى فخذ أولاد الشيخ من قبيلة الرگيبات، ولد سنة 1930 بمنطقة الساقية الحمراء، وتنقل على عادة أهل تلك الجهة مع خيام أهله في الصبا ما بين تيرس وزمور والساقية الحمراء، وتعلم حمل السلاح والمبارزة منذ نعومة أظفاره، وظل بعيدا عن إدارة الاحتلال الإسباني، كما اعتزل الاحتلال الفرنسي في تندوف، إلى أن كانت الحركة الوطنية، ودخل جيش التحرير إلى جنوب المغرب، فانخرط في أولى طلائعه وكان من قواد معركة أم لعشار سنة 1956 وكذلك شهد معركة مركالة سنة 1957. ثم حصل له خلاف مع قواد جيش التحرير، فرحل نحو تندوف، ليعود مع حمدي ولد أبا اعلي إلى جنوب المغرب بمجموعة من العتاد والرجال لمواصلة حركة جيش التحرير، لكن سرعان ما كانت عملية إيكوڤيون (Ecouvillon) التي تراجع أمامها جيش التحرير، وسيطرت القوات الإسبانية والفرنسية من جديد على الساقية الحمراء وواد الذهب. آن ذاك ذهب حبوها للعمل مدة في مناجم الفوسفاط باخريبكة كما سكن مدينة الرباط وهناك تأثر بالوعي القومي والتحرري حيث تعرض للوشاية، وكانت نتيجة ذلك وضعه في السجن رفقة آخرين بمركز بويزكارن، ومنه وضع في سجن آخر بمدينة أگادير.

وبعد الخروج من السجن توجه إلى منطقة آسا الزاگ ووجه، رفقة آخرين، رسالة إلى فرنسا التي كانت تسيطر على منطقة تندوف، وعلى إثر خلافات مع القائد بنحمو قضى حبوها ثلاث سنوات في تندوف ولم يعد منها للمغرب إلا في عام 1962 على رأس مجموعة من الرجال والسلاح. وبالعودة إلى البلاد أدمج حبوها في القوات المسلحة الملكية برتبة ملازم "اليوتنان". ولكنه لم ينعم باستراحته بعد كل تلك السنين الطوال من لعلعة الرصاص، بل كان عليه عام 1963 أن يقود الفيلق "باء" في وقيعة "حاسي بيضة" ليشارك بعدها في المسيرة الخضراء بصفته مسؤولا عسكريا عن حشد بشري بلغ 350 ألف مغربي هبوا لاسترجاع الصحراء دون رشاشات ودبابات.

وما بين 1974 و1992 تسلق حبوها الرتب العسكرية من قبطان (نقيب) إلى عقيد، وحصل على عدة ميداليات منها ميدالية الاستحقاق العسكري وميدالية بنجمة حرب مع التاج، وميدالية حرب بنجمة مذهبة. كما التحق بدواليب السياسة، حيث عين عاملا على إقليم السمارة ما بين 1979 و 1983، ولم يقبع حبوها في حدود المغرب بل أتيحت له فرص استنشاق هواء ما وراء الحدود عندما توجه ضمن بعثات مغربية إلى الأمم المتحدة وسيراليون ونيربوبي وإثيوبيا، يقول عنه ابنه محمد علي واصفا حزمه إبان معركة حرب الرمال : "لم تكن حياة الرجل سهلة... خلال حرب الرمال ضد الجزائر ظل أبي منتعلا حذاءه طيلة المواجهات، وعندما انتهت الحرب أزالوا حذاءه العسكري الثقيل في المستشفى، كان الحذاء قد أصبح جزءا من جسده" (من مقابلة مع حفيده)، كما تجدر الإشارة إلى أنه شارك في معارك حرب الصحراء وقاد معركة، "أمگالة"، سنة 1976 ضد البولساريو حيث أسر مئات الجزائريين. ولما بلغ من الكبر عتيا سكن بمدينة الطنطان الهادئة بجنوب المغرب.

توفي في سنة 2006 حيث دفن بالساقية الحمراء.

أحمد الجلالي، العقيد المغربي المتقاعد حبوها الحبيب من أبرز الذين عاشوا تفاصيل "حرب الرمال"، صحيفة : *الشرق الأوسط، العدد 9864*، الأربعاء 30 نونبر، 2005 ؛ *رواية شفوية* مع الشيخ، امبارك تميم ولد حمادي - العيون ؛ محمد علي حبوها، حفيد المترجم له.

Opération Ecouvillon, : *Revue des deux Mondes*, Novembre, 1960, p. 93 – 102 ; *Le Monde*, 15 Février, 1958, Paris.

محمد دحمان

الرگيبي، محمد سيد إبراهيم البصير

هو محمد سيد إبراهيم البصير الملقب بالبصيري، من قبيلة الرگيبات (الرقيبات)، فرع ارگيبات الشرگ (الشرق)، فخذ المؤذنين، ينحدر من أسرة علمية عريقة، اشتهرت بزاويتها الصوفية التي أسسها والده الشيخ العلامة سيدي إبراهيم البصير الرگيبي ببني ملال (دوار بني عياط). ولد سنة 1944 وتلقى تعليمه الأولي على يد والده بحفظ القرآن، وواصل دراسته بعد ذلك في المدارس الابتدائية والثانوية بمدينة الرباط، ثم شد الرحال إلى القاهرة ملتحقاً بجامع الأزهر حيث درس فيه لمدة سنتين، غير أنه شعر بالحاجة إلى دراسة العلوم السياسية والصحافة، فانتقل إلى دمشق وحصل على الإجازة هناك، كما زار بيروت التي كانت عاصمة الإشعاع الثقافي في العالم العربي. وبعد أن أمضى فترة لا يستهان بها في هذه البلدان العربية المشرقية، رجع إلى المغرب مشبعا بالأفكار القومية البعثية والناصرية، حاملا معه رغبة قوية في

تحرير الصحراء الجنوبية وحلما دفينا بوحدة قومية عربية. فبدأت محاولته الأولى بتجربة صحفية متواضعة ثم ما فتئت أن أعطت أكلها بتأسيسه لجريدتي "*الشهاب*" (1966) ثم "*الشموع*" فيما بعد، اتخذهما منبراً يعرض فيهما أفكاره السياسية القومية والتحررية، إذ كان مقتنعا بأن طريق تحرير الأقاليم الصحراوية الجنوبية لن تتم إلا بالكفاح المسلح وليس عبر الطريق الدبلوماسي الذي يؤمن بالاستسلامية للأمر الواقع وبالنفس الزمني الطويل في التفاوض.

غير أن تجربة الرباط كانت مريرة، دفعته سلبياتها إلى اختيار الحل الصحراوي المنفرد، لأن الحكومة المغربية آنذاك، أسست سنة 1967 جبهة تحرير الصحراء برئاسة ولد السالك وتبنت الطريق الدبلوماسي بدل التحرري (الكفاح المسلح). ابتداء من هذه السنة، دخلت الدولة المغربية في حملة دبلوماسية داخل قبة الأمم المتحدة تطالب باسترجاع أراضيها المغتصبة، استمرت زهاء ثمانية سنوات (1967- 1975).

وقد وجد محمد البصيري في هذه الجبهة مشروعا يتناقض مع طموحاته وقناعته ؛ فهي من ناحية تضم أشخاصا لا يثق بهم، ومن ناحية ثانية، تسلك طريقا سلميا يتعارض مع منطق التحرير الذي كرسته تجربة جيش التحرير بالجنوب. لهذه الأسباب أعلن موقفه المعارض في جريدته، الأمر الذي ساق إليه سلسلة من المضايقات والملاحقات من قبل أجهزة الدولة. أما الحكومة المغربية آنذاك، فكانت غير مستعدة لخوض مرحلة أخرى لتحرير الأقاليم الجنوبية من الاستعمار الإسباني بالكفاح المسلح، ففضلت الدبلوماسية خاصة في وقت غلبت فيه الاهتمامات الداخلية (تثبيت الأمن وأسس الدولة الفتية). فلم يقف البصيري فقط عند إعلانه لموقفه بجريدة "*الشهاب*" بل قام بمناقشة الموضوع مع كل من حزب الاستقلال والاتحاد الوطني للقوات الشعبية للوصول إلى برنامج عمل مشترك مع هذه الأحزاب، إلا أن نتيجة النقاش لم تفض إلى أية نتيجة، ففضل الرحيل إلى الأقاليم الجنوبية لتفعيل كفاحه التحرري على أرض الواقع.

دخل الصحراء خلسة في دجنبر من سنة 1967 وظل مختبئا طيلة الفترة التي استلزمتها وساطة أقربائه للحصول على إقامة دائمة. وطيلة هذه الفترة كانت تتبلور أفكاره وتزداد وضوحا، وبدا نشاطه التحرري والدعائي في البداية بجامع مدينة السمارة، وأخذ يتحول فيما بعد إلى الاتصالات السرية المباشرة بأقربائه وأصدقائه المخلصين، اللذين سيشكلون فيما بعد نواة الحركة التحررية. ففي 12 دجنبر 1969 تأسست الحركة الطليعية لتحرير الصحراء بمنزل إبراهيم ولد لمام بمدينة السمارة. حضر هذا الجمع كل من محمد سيد إبراهيم البصيري وعبد الحي سيدي محمد وإبراهيم غالي وسالم لبصير وسيدي لبصير وسلامة المامي، هؤلاء الستة هم الذين شكلوا النواة الأولى للمكتب الوطني للحركة مقره السمارة. وانبثقت عنه بعد ذلك مكاتب أخرى جهوية بكل من العيون والتفاريتي والمحبس وحوزة واجديرية والحكونية والدورة. وتتلخص الخطوط العريضة لهذه الحركة في ثلاث أهداف رئيسية :

- تحرير الصحراء من الوجود الإسباني.
- الانضمام إلى المملكة المغربية مع الاحتفاظ بحقوق السكان كاملة.
- الحرب المسلحة المعتمدة على جيش محلي من السكان.

إلا أن المعمر الإسباني أجهض الانتفاضة التي نادى بها البصيري في 17 يونيو من سنة 1970 بحي الزملة الواقع على تل يشرف مباشرة على باقي أحياء العيون والذي تقطنه الفئة الغالبة من الصحراويين، وسمي هذا العام عند المجتمع الصحراوي ب "عام اخبيط الزملة".

فقد تحول تجمع الزملة إلى لقاء شعبي حافل، طالب فيه الشباب المتحمس والسكان بالاستقلال وتنحي الاستعمار، إلا أنه جوبه بإطلاق النار على التجمع، فقتل خلاله 37 شخصا وجرح 83 آخرون، واعتقلت سلطات الاحتلال مئات المتظاهرين، وتم إعلان حالة الطوارئ بمدينة العيون. فانتهت هذه التظاهرة بمجزرة وامتلأت سجون الداخلة وبئر أنزاران وأوسرد وتفاريتي بالمناضلين الصحراويين وبشيوخ وزعماء بعض القبائل، بل نقل جزء منهم إلى جزر الكناري. وكان مصير البصيري هو الاختطاف والنفي والتعذيب من طرف قوات الاحتلال، وظل مفقودا إلى يومنا هذا.

علي الشامي، *الصحراء الغربية : عقدة التجزئة في المغرب العربي*، الطبعة الأولى، دار الكلمة للنشر، بيروت، لبنان، 1980 ؛ محمد دحمان، مكانة زاوية سيدي إبراهيم البصير الركيبي في العلاقة ما بين الساقية الحمراء والحوز المراكشي، مقال نشر بمجلة *دعوة الحق*، التي تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة الأمنية، الرباط، أبريل، 2010.

Tony Hodges, *Historical Dictionnary of Western Sahara*, London, 1982, p. 241 - 242.

مولاي إدريس شداد

الركيبي، محمد عبد الرحمان من فخذ أولاد الطالب ساهم بدور فعال في نشر الدرقاوية في الصحراء، توفي سنة 1379 / 1959 (*المعسول*، 12 - 172).

محمد الظريف

الركيبي، محمد ولد **محمد سالم** ولد عبد الله، ولد سنة 1924 بصحراء الساقية الحمراء، ينتمي لفخذ التهالات من قبيلة الركيبات، ينحدر من الولي الصالح سيدي عبد الرحمن التهالي دفين واحة وين مذكور. تربى في أحضان أسرة عريقة وتعلم في المدارس البدوية المتنقلة "المحاضر". وفي عهد الاحتلال الإسباني للصحراء تصدر للتدريس ونشر الوعي بين السكان. ومن الأدباء الألمعيين وكذلك أخوه بادي، حيث أبدعا في مجال الشعر الشعبي الحساني وفي الشعر العربي الفصيح. وقد مارس التدريس في كل من أجديرية

بأعالي واد الساقية الحمراء، كما درس في مدرسة المرابطين بالعيون في ثمانينيات القرن الماضي. ويحتاج شعره الشعبي والفصيح للجمع والدراسة نظرا لما له من قيمة فنية وأدبية وتاريخية في الماضي الحضاري لمجتمع البيضان.

توفي الأستاذ محمد ولد محمد سالم المعروف بالابراهيمي بعيون الساقية الحمراء بتاريخ 18 دجنبر من سنة 2009.

مقابلات ميدانية مع السادة : عمر الدخيل، أحمد التهالي ولد محمد لمين، ومحمد نيمة، العيون شتاء وخريف 2010 / 2011 ؛ محمد نيمة، *الأدب الحساني والكلام المهذب بالمعاني*، الرباط، 1998 ؛ *مقابلة ميدانية مع الراحل* بتاريخ 31 / 12 / 2008 بالرباط.

محمد دحمان

الرگيبي، محمد محمود بيد الله من أعلام أولاد الشيخ البارزين في العلم والفتوى، اشتهر بفقه النوازل، وله في ذلك مجموعة من التآليف. (*وفاء علماء الصحراء لبيعة الملوك العلويين*، ص. 54).

الحاج الأحسن البعقيلي، *تبيين الأشراف أهل دائرة الوسائل وقبلة توجه كل سائل*، الدار البيضاء، 1358 ؛ محمد المختار السوسي، *المعسول*، ج 2 ؛ م. سالم ولد لحبيب بن لحسين بن عبد الحي، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، تحقيق، مصطفى ناعمي، الرباط، 1992 ؛ محمد أحمد باهي، *الليث سيدي أحمد الرگيبي*، ط 2، الرباط، 1999 ؛ حمداتي شبيهنا ماء العينين. قبائل الصحراء المغربية، أصولها، جهادها، ثقافتها، الرباط، 1919 / 1998 ؛ محمد دحمان، *إسماعيل ولد البارودي*، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه، الرباط، 1999.

Caratini Sophie, *Les Regaybat (1610-1934)*, des chameliers à la conquête d'un territoire, Paris, 1989.

محمد الظريف

الرگيبي (سيدي -) **محمد الموساوي** (زاوية) : تقع زاوية سيدي محمد الموساوي بمنطقة "خنيگ لعظم" حوالي 60 كلم بالشمال الشرقي لمدينة الطنطان، والمنطقة عبارة عن مدشر صغير من منازل طوبية، تجاورها ضيعات فلاحية تسمى محليا "اجنانات"، حيث ساعدت وفرة المياه وخصوبة التربة على قيام نشاط فلاحي مهم، وتستوطن المنطقة قبائل تكنة وآيت لحسن وآيت أوسي وآيت ياسين وآيت بوهو. كما بنت بها السلطات المحلية مدرسة ابتدائية إذ تقع المنطقة بالتراب الإقليمي لعمالة "گلميم"، الذي تبعد عنه بحوالي 80 كلم، ويقال أن المنطقة أخذت إسمها من مخلفات حرب قديمة دفن ضحاياها ب "گويرة" (هضبة)، قريبة منها جرفت السيول عظامهم نحو منطقة خنيك لعظام المكونة طبيعيا من أراضي منبسطة وجبل يسمى "أزگاغ"، ومنخفض يسمى "العرگوب" يربط الجبل بالسهل المنبسط. بهذه المنطقة استقر الولي الصالح سيدي محمد الموساوي المنحدر من قبيلة الشرفاء الرگيبات، وهو سيد محمد ولد سيدي إبراهيم ولد علا ولد بنعبيد ولد سيدي أحمد موسى بن علي بن سيدي أحمد بن سيدي أحمد بن سيدي أحمد الرگيبي الذي يمتد نسبه إلى الولي الصالح عبد السلام بن مشيش.

وحسب الرواية الشفوية فإن الولي الصالح قدم إلى منطقة خنيگ لعظام سنة 1942 وبنى بها زاويته بعد رحلة طويلة قادته من مدينة الدار البيضاء التي كان يمتهن بها الطب العام، وتركها بعد أن توالت وفاة أبنائه الإحدى عشر وانشغل بتعليم الناس القرآن والسنة وبتتبع الطريقة الدرقاوية البوتشيشية الجنيدية، حيث وصل إلى المنطقة المذكورة بعد أن زار قبر الولي الصالح مولاي إبراهيم بنواحي مراكش وقبر الولي الصالح سيدي أحمد الركيبي بمنطقة الحبشي بالساقية الحمراء، وبنى زاويته بها بعد أن منحته قبائل المنطقة قطعة أرضية طولها 12 كلم، يحاذيها واد يسمى اليوم بإسمه، فأصبحت الزاوية مزارا لقبائل المنطقة الذين عهدوا تقديم الهدايا سنويا للزاوية من جمال وماعز ودقيق وسكر وشاي وأقاموا عندها موسما سنويا تخصص له النحائر والذبائح يسمى "گور زاوية سيدي محمد الموساوي".

وقد انشغل الولي الصالح بتعليم الناس القرآن والسنة وحثهم على العمل الصالح كما لعب دور الوسيط في حل النزاعات التي تنشب بين القبائل وتحريضها ضد المستعمر الفرنسي الذي أقام مركزه بمنطقة عيون إغمان الغير بعيدة عن مقر الزاوية. ومن كرامات هذا الولي الصالح حسب الرواية الشفوية أن أحدهم دخل إلى ضيعة الزاوية لسرقة معدات فلاحية فأصيب بشلل تام بعد أن احترقت يداه، كما يروى أنه قد صرح في إحدى المرات أن منطقة "خنيگ لحمام" سيكون لها شأن كبير وستزود مدينة الطنطان بمياه الشرب، فتحقق ذلك بعد أن اكتشفت بالمنطقة كميات كبيرة من المياه، تستفيد منها اليوم مدينة الطنطان.

توفي محمد الموساوي في 27 ذو القعدة سنة 1387، الموافق ل 29 فبراير سنة 1968 ودفن بزاويته التي لازالت إلى يومنا هذا وجهة للكثير من أبناء القبائل والمدن الصحراوية گلميم والطنطان والعيون والسمارة...) اللذين يفدون عليها للتبرك ببركة وليها والمشاركة بالموسم السنوي "گور سيدي محمد الموساوي"، الذي يقام بالزاوية كل شهر غشت من كل سنة.

محمد دحمان، *المجاهد إسماعيل ولد الباردي*، مطبعة المعارف، الرباط، 1999 ؛ صدوق محمد أبيه، الشرفاء *الرقيبات بالصحراء المغربية* ؛ *وثائق زاوية سيدي محمد الموساوي الرگيبي*، بالطنطان ؛ *مقابلة ميدانية* مع حفيد هذا الشيخ، سليمان ولد سيدي محمد الموساوي، ربيع 2009، الطنطان.

محمد سبى

الرگيبي، الولي مصطفى السيد من قبيلة الرگيبات، ذات نفوذ وشكيمة قوية بالصحراء الجنوبية، وتنقسم جغرافيا إلى رگيبات الساحل (أي الغرب) نسبة

للعيون ونواحيها ؛ وركَيبات الشرقَ (أي الشرق) نسبة للسمارة ونواحيها، وينتمي مصطفى الولي إلى هذا الفرع الشرقي وإلى فخذ التهالات. ولد عام 1948 / 1369، في منطقةٍ تقع بين "بئر لحلو" و"اكْجيجيماتْ" نواحي السمارة، من عائلةٍ بدويةٍ دائمة الترحال. وقد طُردتْ أسرته من تلك المنطقة عام 1960، بسبب تمرّدها على سلطات الإدارة الاستعمارية الإسبانية، حيث نزحتْ شمال الساقية الحمراء لتستقرّ بطانطان. وهناك درس الولي مصطفى في مدرسة طانطان الابتدائية. وفي سنة 1964 انقطع عن الدراسة للعمل بالإنعاش الوطني. إلا أنه في عام 1966 تخلى عن عمله ليلتحق بمعهد التعليم الأصيل بتارودانت، ثم تابع دراسته الثانوية بالرباط. بعدها التحق بجامعة "محمد الخامس" عام 1970، ودخل كلية الحُقوق فرع العلوم السياسية بأكَدال. وكان الطلاب الصحراويون في فترة السبعينيات يقيمون في حي المحيط بالرباط مهد تجمعهم، وتشبعوا آنذاك بأفكار اليسار الجديد الذي خرج من مخاضه فصيلة "الجبهة الموحدة للطلبة القاعديين"، التي كانت تضم ممثلين عن تياري "إلى الإمام" و"23 مارس"، فكان مصطفى الولي من المؤسسين وممن ينشط داخل الاتحاد الوطني لطلبة المغرب "أوطم". وتيارا "إلى الأمام" و"23 مارس" هما حركتان لينينية - اشتراكية، عرف منهما الشباب الصحراوي إيديولوجية ومبادئ النضال والثورة، بل تتلمذوا على أهم رموزهما آنذاك. فكان مصطفى الولي مناضلا سياسيا بارزا بالجامعة، وأثار عام 1971 قضية تحرير الصحراء الجنوبية لأول مرةٍ في تجمع طلابي بالرباط، وقاد العديد من التظاهرات السياسية احتجاجاً على الوجود الإسباني بالجنوب المغربي، فاعتقل غير مرةٍ لإثارة قضيته التي كان يؤمن بها إيمانا راسخا ويناضل من أجلها في كل المحافل الطلابية. واتصل عام 1972 بجبهة التحرير الوطني الجزائرية وطلب منها الدعم. ثم هاجر جامعتهُ والتجأ إلى الجبال مع مجموعةٍ من الطلبة الصحراويين لمحاربة المستعمرين الإسبان.

في عام 1973، راسل قائد الثورة الليبية العقيد "معمر القذافي"، وأطلعهُ على أوضاع المُقاومة الصحراوية ضد الاستعمار الاسباني وطلب منه العون، فتبنى هذا الأخير نضال هؤلاء الشبان الصحرايين واستقبلهم، وأمدهم بكل الوسائل المادية واللوجستيكية.

وكان مصطفى الولي من المؤسسين الأوائل، شغل موقع مُلحق باللجنة التنفيذية للجبهة، وكاتبا لمشروع بيانه السياسي. وأصبح إلى جانب مهامه العسكرية كاتب الجبهة وعقلها المُفكر والمدبر، وترأس جميع بعثاتها إلى الخارج. وقام خلال العام 1975، بحملة سياسية وإعلامية واسعة للتعريف بقضية الصحراء الغربية ؛ فعقد عدت ندوات سياسية في باريس وبيروت وطرابلس (ليبيا) والجزائر. وكان من أبرز الثوار الناشطين في الجبهة، إذ نسج وأقام شبكة من العلاقات الدولية لكسب المزيد من الأصدقاء المتعاطفين مع قضيته، وبذل جهوداً كبيرةً لتدويل القضية. وكان له الفضل الكبير في التعريف بجبهة البولساريو وخاصة بعد أن احتضنتها الجزائر ومولتها ليبيا وتزايد الاعتراف بها في القارة الإفريقية وأمريكا اللاتينية بالخصوص. كما تبناها المعسكر الشرقي بزعامة السوفيات وبعض دول عدم الانحياز.

وندرج هنا الأسماء التأسيسية لجبهة البولساريو التي تكونت منها اللجنة التحضيرية للمؤتمر التأسيسي الأول سنة 1973 بالزويرات، وهم :

- مصطفى الولي السيد
- العظمي محمد أو عمر الحضرمي
- أحمد تو ولد خليلي وهو محمد ولد خليلي محمد عبد العزيز المعروف ب "عبد العزيز الركَيبي أو المراكشي"
- الشيخ بيد الله
- محمد لامين ولد الليلي
- الصالح ولد الغشيو "ولد باكرا"
- نور الدين بلالي
- محمد لمتين
- محمد لامين أحمد
- أمهمد ولد زيو
- محمد لامين ولد البوهالي ولد الغنيجر
- موسى لبصير المؤدني
- لوشاعة عبيد
- محمد ولد سعيد بوه
- البشير ولد مصطفى
- البندير ولد معييق
- حبيب الله ولد لكويري
- الداه نفعي
- أحمد ولد القايد صالح
- غالي ولد سيدي مصطفى غالي إبراهيم
- محمد سالم ولد عبد الله
- سيدي ولد حيدوك خطري
- البشير ولد عبد الله
- سيدي المعروف بكوير
- الفراح ولد الحسني "عبد الغني"

وكانت اللجنة التحضيرية التي سهرت على تأسيس التنظيم الجديد وانتخاب لجنة تنفيذية مكونة من سبعة أفراد هم غالي ولد سيد المصطفى أمينا عاما للجبهة وإبراهيم غالي والعظمي محمد (عمر الحضرمي) ومحمد لمتين ومحمد ولد سعيد بوه ومحمد لامين أحمد ومحمد لامين ولد البوهالي والصالح ولد الغشيو والفراح ولد الحسني. كما انتخب مجلس وطني مكون من 21 عضو، وتم الإجماع على أن يتولى مصطفى الولي السيد منصب ملحق بالمكتب التنفيذي مكلف بمهمة سكرتير خاص.

وأصدر المؤتمر بيانا سياسيا ختاميا يدعو من خلاله إلى "الكفاح الثوري المسلح" صيغ من سنة 1971 إلى سنة 1973، انطلاقا من لقاءات سرية بكل من المحبس والعيون وطانطان وتندوف لينتهي بالزويرت بموريتانيا، يعلن فيه بأن "الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب (البولساريو) هي حركة تحرير الصحراء الغربية، بهدف تحريرها من قبضة الاستعمار الإسباني، وذلك بالكفاح الثوري المسلح. وهو البيان الذي

طغى في تحليله رؤيا التيار اليساري الجذري رغم وجود تيارات سياسية كالبعثية والناصرية، إلا أن الصياغة النهائية كانت لصالح تيار مصطفى الولي السيد الماركسي - اللينيني.

ولقد عاش الولي مصطفى السيد حياة المُناضل الثائر، قبل أن يلقى حتفه في واحدة من سلسلة عمليات عسكرية لجبهة البولساريو ضد الجيش المغربي والموريتاني شارك في تنفيذها بنفسه، رغم كونه رئيسا للجبهة. وكانت تلك العملية داخل العاصمة الموريتانية "نواكشوط"، ومعها انتهت حياته المليئة بالمغامرات والنضال، عن عمر لم يتجاوز الثامنة والعشرين في 9 يونيو من سنة 1976 / 1397.

سالفادور باياريس كاري ؛ وباولا كانيت كاستيا، "*الصحراء في القلب* Sahara Al Cor" فالنسيا - إسبانيا 1999، ترجمة، أحمد الشيعة ؛ طاهر مسعود، *نزاع الصحراء الغربية بين المغرب والبولساريو*، دار المختار للطباعة والتحضير الطباعي، دمشق - مكتبة الأسد، 1997 ؛ مصطفى الكتّاب ومحمد بادي، *النزاع على الصحراء الغربية بين حق القوة وقوة الحق*، دار المختار للطباعة والتحضير الطباعي، دمشق - مكتبة الأسد، 1998 ؛ علي الشامي، *الصحراء الغربية : عقدة التجزئة في المغرب العربي*، الطبعة الأولى، دار الكلمة للنشر، بيروت، لبنان، 1980.

الرؤوس الساحلية بالصحراء، الساحل يتكون من عدة أشكال جيومورفلوجيا متنوعة ومتشعبة، نشأت نتيجة الصراع المتواصل بين المياه البحرية ويابس الأرض.

- العوامل التي تؤثر في تشكيل السواحل :

يتوقف شكل الساحل على تفاعل عدد من العوامل نجملها فيما يلي :

أولا : فعل الأمواج وحركة المد والجزر والتيارات البحرية، وهي جميعا تقوم بوظائف النحت والنقل والإرساب في المناطق الساحلية.

ثانيا : طبيعة الساحل أو هامش اليابس الذي يتعرض لفعل تلك العمليات البحرية، تتحكم فيه شدة الإنحدار وخصائص تكوين وبنية الصخر ودرجة مقاومته للتعرية، ومدى التجانس أو التفاوت في تركيب الصخر.

ثالثا : التغيرات التي انتابت وتنتاب المستوى النسبي لليابس والبحر، والتي تعرف أحيانا بالتغييرات الموجبة والسالبة بحسب نتائجها في رفع أو خفض مستوى البحر بالنسبة للساحل.

وعوامل التعرية هذه هي التي خلفت عدة أشكال نحتية، منها :

- الجروف البحرية :

يطلق على الحافة الصخرية التي تشرف على البحر مباشرة، وتكون على شكل حائط مرتفع مواز لخط الساحل. ونميز بين جرفين : جرف حي وجرف ميت. فالجرف الحي يمثل الحافة الصخرية المشرفة مباشرة على البحر، بانحدار يتراوح ما بين 45 و90 درجة وهي المجالات التي تتلاطم فيها الأمواج وخاصة سافلة الحافة. أما الجرف الميت فهو جزء الحافة التي يكون بمنأى عن تأثير النحت البحري.

- الرصيف البحري التحاتي :

يرتبط بتراجع الجروف صوب اليابسة نتيجة عمليات النحت البحري عن طريق الأمواج والتفويض السفلي لقواعد الجروف البحرية. وتتميز الأرصفة البحرية باستوائها نتيجة احتكاك الأمواج بسطوحها.

- المداخل البحرية :

يعبر هذا المصطلح على ممر مائي ضيق يتداخل في اليابس وكثيرا ما يتأثر بتيارات المد والجزر، وقد ينشأ المدخل البحري عن انهيار أسقف الكهوف البحرية أمام إرتطام الأمواج. كما ترتبط المداخل البحرية أيضا بمصبات الأودية. ويمكن أن نميز بين ثلاث أنواع من المداخل البحرية.

أ - المداخل البحرية الانكسارية : تنشأ عن الانكسارات وخاصة إذا كان خط الانكسار عمودي على اتجاه خط الساحل، ويكون المدخل البحري أكثر عمقا في حالة الأغوار الصدعية.

ب - المداخل البحرية الالتوائية : تتكون نتيجة للضغط الحاصل عن تصلب الطبقات الصخرية الملتوية مما يؤدي إلى ظهور بعض الشقوق الطويلة المرتبطة بمحور الالتواء، فتصبح هذه الشرخات عرضة سهلة أمام قوة الأمواج، وبذلك نعطي الشكل النهائي للمداخل البحرية الالتوائية.

ج - المداخل البحرية للأودية : يرتبط هذا النوع من المداخل البحرية مع مصبات الأودية سواء أكانت دائمة الجريان أو موسمية أو حتى جافة أو شبه جافة.

- الفجوات البحرية :

تكون عبارة عن حزوز أو ثلوم أفقية في قواعد الأجراف عند مواضع اصطدام الأمواج بها والتي تلتقي مع مستوى المد. وتنمو هذه الفجوات باستمرار نتيجة تفاعل قوة الأمواج واصطدامها بأسفل الجرف.

- الكهوف البحرية :

يرجع تكون الكهوف البحرية إلى تراجع الأجراف البحرية، إذ تتشكل على طول مناطق الضعف في الطبقات عند قواعد الجرف. وتنشأ عن اصطدام الأمواج بها فتتآكل الصخور القابلة للنحت وخاصة التي تتوفر على فجوات دائرية، ما تلبث أن تتسع تدريجيا حتى تتحول إلى مغارات وكهوف في حافة الجرف. ومع استمرار نشاط عملية النحت البحري يزداد عمق الكهوف مما يؤدي إلى انهيارها فتتحول بالتالي إلى مدخل بحري.

- الأقواس والأنفاق البحرية :

هي فجوات متقابلة محفورة في الأجراف الصخرية، تكون على شكل أقواس أو أنفاق تنحتها الأمواج البحرية وتعطيها فجوات ممتدة في الصخر الأم.

- الثقوب الإنفجارية :

تنشأ عن ضغوطات بفعل ديناميكية الأمواج داخل الكهوف البحرية وخاصة حينما تتصادف مع وجود أحد الشقوق أو الفواصل الرأسية داخل الكهوف.

ـ المسلات البحرية :

وهي عبارة عن أعمدة من الصخور الناتئة كجزر في البحر ومتاخمة للجروف البحرية، وتنشأ عن تراجع هذه الجروف وعن انهيار أسقف الأقواس والجسور البحرية أمام قوة الأمواج. وهناك من يطلق عليها الأعمدة البحرية أو المداخن البحرية.

ـ الرؤوس البحرية :

وهي التي تهمنا نظرا لانتشارها الكبير بالساحل الصحراوي إلى جانب الخلجان، التي تشكل مع الرؤوس الساحلية تعرجات على طول الخطوط الساحلية للجنوب المغربي. وتبرز الرؤوس داخل البحر بسبب عدة عوامل نحصرها فيما يلي :

أ ـ رؤوس بحرية ليثولوجية : نشأت عن صلابة بعض التكوينات الصخرية وصمودها أمام عوامل النحت البحري.

ب ـ رؤوس بحرية تركيبية : تنشأ عن بعض التراكيب الجيولوجية مثل الطيات الوحيدة الميل. وقد تتكون الرؤوس أيضا نتيجة الطيات المحدبة والانكسارات الممتدة بصورة عمودية على اتجاه خط الساحل.



ج ـ رؤوس بحرية تنشأ بسبب ضعف عوامل النحت البحري الذي يحدث نتيجة ضحالة المنطقة الشاطئية أو نظم الرياح السائدة، أو مسارات التيارات البحرية وعلاقتها بتوجيه خط الساحل وغيرها من العوامل.

وبعد سرد هذه الأشكال البحرية الناتجة عن التعرية النحتية، والتي تعطينا صورة واضحة عن السواحل البحرية وما تضمه من بيئة جيمورفلوجية فريدة الشكل والتكوين، سنتطرق في ما يلي إلى الساحل الصحراوي، ثم نسرد أهم الرؤوس الساحلية بهذا المجال.

يمتد الساحل الصحراوي على مسافة تقدر ب 1600 كلم من سيدي إفني شمالا إلى شبه جزيرة لـگويرة جنوبا، ويمثل 47,05% من المساحة الإجمالية للسواحل الوطنية التي تبلغ 3400 كلم. أما مورفلوجية هذا الساحل فتتكون من جهة الشمال من تضاريس جبلية تمثلها جبال الأطلس الصغير التي تشرف بقوة انحدارها على البحر، حيث تتكون من صخور الـگرانيت وتتناوب في اتجاه الجنوب مع الصخور الهشة كالفليش والشيست والحث في تأثيث الساحل الجنوبي، وتمتد هذه الأشكال الصخرية حتى مصب واد درعة على مشارف طانطان.

أما جنوب مصب واد درعة فتختفي صخور القاعدة الأولية على طول الساحل، لتمتد الهضاب الساحلية المرتفعة بعشرات الأمتار عن مستوى البحر. وتتشكل هذه الهضاب في اتجاه الساحل من أجراف كلسية من نوع الكريتاسي ومن صخور الحث الساحلي التي تنتمي للفترات البليورباعية. وتتخلل هذه الهضاب الساحلية أهم مصبات الأودية بالمنطقة كدرعة وشبيكة وأم فاطمة والساقية الحمراء، كما تشكل هذه المصبات ممرات طبيعية تسهل الاتصال المباشر بين القارة والبحر.

وهذه الهضاب المنخفضة الساحلية تضم عدة أشكال بحرية كالرؤوس الساحلية والأجراف البحرية والكهوف والثقوب الانفجارية وغيرها. ونجد أن السواحل لا يكسر من رتابتها سوى الشواطئ الرملية كالشاطئ الأبيض بنواحي گلميم وشاطئ طنطان الوطية وهور أخنيفيس وشواطئ طرفاية وشاطئ فم الواد ـ المرسى بالعيون والشواطئ الممتدة من بوجدور إلى شبه جزيرة الداخلة والخلجان الشاطئية الممتدة جنوب الداخلة إلى لـگويرة.

وبمحاذاة هذه السواحل الممتدة تنتشر العديد من السبخات الساحلية (انظر مادة السبخات) أهمها : سبخة الطاح وسبخة أم الضبع وتيسلاتين وأريدال وإمليلي وغيرها.

ـ أهم الرؤوس الساحلية cap ou punta ou capo ou Cabo بالصحراء من الشمال إلى الجنوب :

رأس واد نون ورأس درعة ورأس أگويدير Aguer ورأس جوبي Juby ورأس Punto Del Coral ورأس بوجدور Bojador ورأس أوفيست ورأس Peña grande ثم رأس Point Levent ورأس Monocab ورأس Punta Durnford ورأس Punta Sarga ورأس Cabo Santa Ana ورأس Porto Rico ورأس Punta Chica ورأس الملكة Punta de la Reina ورأس Punta Negra ورأس Cap Flacon ورأس Cap Barbas ورأس لحجر Roco Chico ورأس لـگويرة، وهناك رؤوس تحمل أرقاما ك : Cap 5, Cap 7 et Cap 8.

ومن خلال هذا الكم الهائل من الرؤوس الساحلية للصحراء، يتبين أن جل أسمائها من مخلفات الاحتلال الإسباني، الذي أطلق عليها أسماء من وحي مخيلاته.

وقد سبقه إلى ذلك البرتغاليون الذين احتلوا سواحل المغرب وجاء بعدهم الإنجليز.

وترجع هذه الأطماع التوسعية كما ذكرنا إلى ق 15، وخاصة بعد احتلال إسبانيا جزر الكناري سنة 1476، فأخذت أطماع حكامها تتطلع إلى سواحل المغرب الجنوبية. وبدأت حملات التوغل في سواحل الصحراء عن طريق Diego Garcia de Herrera الذي شن هجمات عسكرية على المناطق الواقعة ما بين رأس بوجدور ورأس أغوير أو أگويدير Aguer، كما شرع في بناء حصن في هور خنيفيس ما بين رأس واد نون ورأس بوجدور أطلق عليه إسم سانطا كروث دي مار پيكينيا Santa Cruz de Mar Pequeña. وفي أواخر القرن 19

احتلت إسبانيا الجنوب المغربي واتخذت من السواحل ثكنات عسكرية كالداخلة Villa Cisneros والعيون وبوجدور، وكذا طرفاية وسيدي إفني.

محمد الغربي، *الساقية الحمراء ووادي الذهب*، ج 1، مطبعة دار الكتاب، الدار البيضاء، بدون تاريخ ؛ أحمد الهاشمي، المشهد الطبيعي في طوبونيميا المجال الصحراوي، *كتاب الصحراء الأطلنتية، المجال والإنسان*، منشورات وكالة الجنوب، الرباط، 2007 ؛ عدة مؤلفين، الأقاليم الجنوبية المغربية، *البيئة والمجتمع وآفاق التنمية*، الجمعية المغربية للجيومورفلوجيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 2006 ؛ عدة مؤلفين، *مجالات مغربية : خاص بالأقاليم الجنوبية*، الاتحاد الجغرافي المغربي، عدد 3 - 4، مطبعة أورو - طباعة، الدار البيضاء، 2003 ؛ مولاي إدريس شداد وآخرون، *جهة كلميم - السمارة*، ذكرى 12 قرنا في حياة مملكة، سلسلة تاريخ جهات المغرب، منشورات عكاظ، الرباط، 2009 ؛ مولاي إدريس شداد وآخرون، *جهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء*، ذكرى 12 قرنا في حياة مملكة، سلسلة تاريخ جهات المغرب، منشورات عكاظ، الرباط، 2009 ؛ مولاي إدريس شداد وآخرون، *جهة واد الذهب - لكويرة*، ذكرى 12 قرنا في حياة مملكة، سلسلة تاريخ جهات المغرب، منشورات عكاظ، الرباط، 2009 .

Beaudet, G. Al., Formes, formations superficielles et variations climatiques récentes du Sahara Occidental, *Revue de Géographie Physique et Géologie Dynamique* (2), vol. XVIII, fasc. 2-3, Paris, 1976 ; DE Cenival, P. & DE La Chapelle, F., Possessions espagnoles sur la côte Occidentale d'Afrique, Santa Cruz de Mar-Pequena et lfni, in *Hespéris, T. XXI*, Librairie Larose, Paris, 1935 ; Dresch, J., *Géographie des régions arides*, PUF, Paris, 1982 ; Gautier, E. F., Sahara Marocain (au), *Revue de Paris* IV, 1910 ; Gharbaoui Ahmed, *Géographie du Sahara marocain*, Casablanca, 1985.

مولاي إدريس شداد

الرويميات، تعد هذه التجزئة فصيلا من قبيلة آيت لحسن التي تنتمي إلى لف آيت الجمل من اتحادية تكنة بوادي نون والساقية الحمراء. ويبدو من خلال تاريخ هذه الفصيلة ومعنى تسميتها، تباين انتمائها الأصلي مع الجذر الإثني المؤسس للقبيلة. كيف ذلك ؟ يكشف هذا السؤال الإشارات الهامة إلى تنوع مشارب الفصائل المكونة لهذه القبيلة. ذلك أن هذا الانتماء يعد من بين الموجهات الفعلية والمنهجية للبحث الميداني المكثف. ننطلق من إشارة أحمد التوفيق إلى الرابطة القروية بين أهل بوعيدة أعيان هذه الفصيلة والمد الإسباني خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين (أنظر مادة أساكا *بالمعلمة*). فنتساءل عن معنى صيغة "الرويميات" وهل هناك ما يدعو إلى ربطها بالغور المسيحي الإسباني خلال القرن الخامس عشر الميلادي بالساحل المواجه لجزر كناريا ؟

كانت قبيلة آيت لحسن خلال هذه الفترة تنتمي إلى الغور السكاني التاكني المقيم بأسرير حيث ما تزال ملكياتها المسقية المسماة حاليا (تواغيل آيت لحسن) تشهد على انتمائها إلى لف آيت عثمان (لف آيت بلة). انتقلت جل فصائل آيت امحند أو لحسن (آيت بومكوث وإنجورن وآيت داود أو عبد الله) يومها من أسرير إلى المشابيك الواقعة بمنطقة كير جنوب غرب وادي نون لتشكل فيما بعد تدريجيا ما أصبح يعرف بقبيلة آيت لحسن، وفي هذه الأثناء بقي جزء من آيت امحند أو لحسن بأسرير حيث ما يزالون يمثلون بعين المكان فصيلة من أهم فصائل قبيلة أزوافيط.

تعد مدينة تكاوست إحدى العواصم الثلاث لوادي نون مع نول لمطة وتغاجيجت. فقد ورد الإسمان الأولان لدى كل من ابن خلدون وابن سعيد بينما ورد الثالث لدى أبي بكر البيدق على صيغة "تاعكيزت" . وعلى الرغم من تكالب الضربات المعقلية الحسانية خلال القرنين الرابع والخامس عشر، فإن ابن الوزان يشير إلى أهمية مدينة تكاوست التي كانت ما تزال من بين أهم العواصم التجارية بهذه الضفة الشمالية الغربية للصحراء (أنظر مادة تكاوست *بالمعلمة*). ولا شك أن هذا العامل الأساسي هو الذي جعل المد الأيبيري يركز عليها طلعاته مستهدفا الإقامة بها والتحكم في حركيتها إلى أن تم له ذلك كما يتضح من خلال وثيقة بوطاطا سنة 1499. وكانت مجموعة من فصائل الغور السكاني الأقدم تقيم يومها بتكاوست من بينها أولاد إدريس وآيت أيوب وآيت إبسك والسماهرة. وكانت هذه الفصائل في صراعات مفتوحة بينها ومع المغافرة بني حسان المسيطرين يومها على حوض وادي نون سياسيا دون التسرب إلى ملكية الأرض والساقية.

لن تصل قبيلة آيت لحسن إلى عين المكان قبل نهاية القرن الحادي عشر (17م). وبدخولها إلى المدشر المتهالك من جراء تكالب المحن السياسية والبيئية والتجارية، لربما أخذ الرويميات يومها في التحول من ممثلين للمد المسيحي إلى أعيان محليين بعد أن مثلوا تحالفا طبيعيا مع المد الإسباني. ولربما كان دخولهم الإسلام يعود إلى هذه الفترة. مهما يكن من أمر هذه الفصيلة، فإنها تنتمي إلى أصل إيبيري حسب ما أكد السيد علي بوعيدة. وهي فرضية قد تزكيها نوعية التسمية. ذلك أن صيغة "الرويميات" إنما تفيد ما معناه "الأروام" الذين قد لا يقاسمون الغور السكاني الأقدم نفس الانتماء الإثني. يوجد على موقع مدينة تكاوست التاريخية السوق المعروف بسوف الرويميات "النصارى". وتسمح أية معاينة ميدانية بالتأكد من أن الطبونيميا تلعب هنا دورا أساسيا في المزج العضوي بين الحركية المحلية وديناميكيتها التجارية عبر مسالكها الساحلية المتجهة نحو البحر حيث كان سوق النصارى وما زال يحتل موقعا بالغ الأهمية للربط بين المدينة ومحيطها الساحلي.

تنتمي فصيلة الرويميات إلى إينجورن من قبيلة آيت لحسن شأنها في ذلك شأن أهل الناجم وأهل امبارك أو احماد وأهل عمار أو داود وآيت عبد القادر وآيت ساعد. على أن أي متأمل لتشكل فصيلة الرويميات يدرك بسهولة نوعية التحالفات التي تميز مكوناتها. ذلك أن الرويميات يتكونون علاوة على أهل بوعيدة من أهل

الراعي وأهل السلامي وأهل الصحراوي وأهل امحمد الدليمي. وهـي تسميات تكشف عن الطابع المختلط المتباعد الانتماء الإثني. هذا المعطى يدل على دور أهل بوعيدة في تسهيل مأمورية أهل الراعي وأهل السلامي وأهل الصحراوي وأهل امحمد الدليمي في الاستقرار بالمكان وتحصيل شرعية الانتماء إلى الوحدة القبلية الحسنية.

يرتبط بمجال ترحال آيت بومكوت الذين يضمون من بين فصائلهم الرويميات بمنطقة وادي نون أساسا، وهو مجال تحده من الغرب إلى الشرق كل من أرض امفيس وكدية كير مرورا بمدشر تسكنان المجاور لتكاوست. ولا شك أن الاعتبارات المجالية أساسية هنا لتوضيح هذا الارتباط بالشريط الساحلي. ذلك أن الاقتراب من الساحل الأطلسي يعد مركزيا بالأساس في التأطير لنظام التحالفات داخل الفصيلة. ومن شأن أية متابعة للعلاقات بين الرويميات وآيت الخمس المنتمين لآيت باعمران أن توضح حقيقة هذه العلاقات. كما أن من شأن الانتساب لجدود مختلفين داخل فصيلة صغيرة من هذا الحجم أن يكشف عن مستوى التداخل البين الذي يحد بشكل واضح من أحقية الرويميات في ادعاء الانتماء إلى جد مشترك واحد. من هنا فإن إشكالية الانتساب القبلي لا تطرح أي مشكل كفيل بتحديد الهوية القبلية كمشجر قرابي جينيالوجي متكامل الأبعاد. بل على العكس نجد هذه الاشكالية إطارا طبيعيا لبنية تبادل المصالح والتحالفات والدمج والاستيعاب التي تحدد بشكل واضح ملامح وحدود الانسجام داخل الفصيلة. على أن إحدى مميزات فصيلة آيت بومكوت شأنها في ذلك شأن باقي فصائل قبيلة آيت لحسن هي استراتيجية احتواء الدخلاء عبر عمليات التزويج. فقد كان من بين الشعارات المعروفة آنذاك شعار "دفوا بالرجال" الذي كان يفيد استراتيجية التزويج مقابل صداقات رمزية. وإذا كان الهدف من هذه الاستراتيجية هو توسيع حجم القبيلة ديموغرافيا في مواجهة أزوافيط، فإن خصوصية الرويميات كانت تتمثل في ضرورة تجاوز هذه الخطة. كانت استراتيجية الرويميات تتمثل في قدرتهم الفعلية على المصاهرة مع أزوافيط أنفسهم. فقد كانت لهم من الكفاءات السياسية والحنكة ما أهلهم للتحالف مع أهم خيام آيتا حماد أو اعلي عبر منحهم النساء الرويميات. نجد هذه الاستراتيجية سارية المفعول حتى منتصف القرن العشرين. وإذا كان منح النساء قصد احتواء الرجال من أبرز المكونات القرابية لآيت لحسن، فإن مقولة انتمائهم لأحرار تكنة ظلت مع ذلك من أهم القيم الأيديولوجية التي انبنت عليها توجهاتهم السياسية داخل الاتحادية.

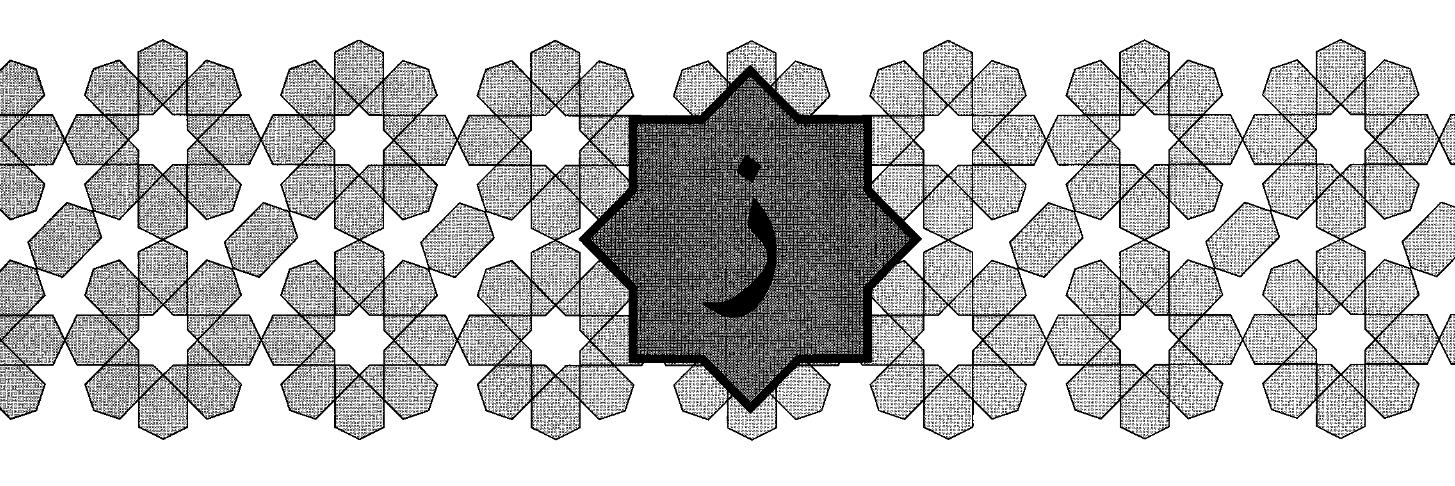
وهنا نسجل أن تملك الأراض يعتبر من بين أهم الأسباب العملية التي تقف وراء استراتيجيات التحالف القبلية. بل وتجسد هذه الأستراتيجية المحرك الأساسي الذي يولد من خلال النزاعات نوعية العلاقات الاجتماعية. وهو ما يتضح هنا من خلال ارتباط الرويميات بملكياتهم الأرضية البورية والمسقية. والمتتبع للخلافات القديمة بين الرويميات وآيت بومكوت، يدرك بكامل الوضوح ترامي هذه الفصيلة على بقايا الغور السكاني المجاور تارخيا للرويميات بعين المكان، فقبل وصول آيت بومكوت، كان الرويميات يثبتون مواقعهم عبر تملكهم لأراض من حجم لا يستهان به مقارنة مع ما يمتلكونه حاليا. فبمعية أهل الكويتي مؤسسي دولة الكويت الحالية، كان أهل بوعيدة خاصة يجسدون غورا سكانيا حوالي تكاوست يعود تاريخه المحلي إلى ما قبل سنة 1500 ميلادية كما رأينا. وهناك وثائق محلية تثبت نوعية الصراع الذي كان قائما بين الرويميات الأوائل والواردين عليهم من آيت بومكوت، ندرك من خلالها لماذا تبنت هذه الفصيلة المرونة التحالفية مع مختلف القوى المحلية بما فيها آيتا حماد أو اعلي من قبيلة أزوافيط وآيت الخمس وباقي فصائل آيت لحسن.

مصطفى ناعمي

ريثو، فليـبـي Rizzo, Felipe رفيق ثربيرا بابييرا (Baviera) وكيروگـا (Quiroga) في البعثة الإسبانية التي توغلت في الأراضي الصحراوية سنة 1886 انطلاقا من شبه جزيرة الداخلة عبر خلاء تيريس الغربية، ووصلوا إلى سبخة إيجل حيث ادعوا أنهم أمضوا معاهدات مع بعض شيوخ القبائل ومع أمير أدرار أحمد ولد محمد ولد عيدا تخلوا لهم بمقتاضا عن كل ما يوجد من التراب وراء بوجدور إلى حـدود الـرأس الأبيض (الـگويرة) بما في ذلك من أدرار التمـر. وكان ريـثـو هذا من السلك الدبلوماسي الإسباني ويحسن شيئـا من العربيـة فكان هو الترجمان عن رفيقه. ومعلوم أن هذا البعثة كانت عبثا في عبث إذ هاجمها سكان الصحراء في الذهاب والإياب ولم تعترف إسبانيا نفسها بتلك المعاهدات إن كانت قد أبرمت بالفعل.

Hodges, T., *Historical Dictionary of Western Sahara, London*, 1982.

إبراهيم بوطالب


ذ

الـزاگ : تبعد الزاگ بحوالي أربعة وسبعين كيلومتر شرقا من مدينة أسا عاصمة إقليم أسا الزاگ. وهي عبارة عن واحة صغيرة تقـع على وادي الزاگ، توجد بها مجموعة من أشجار النخيل يغلب على منتوجها تمور بو سوير أو السير وينتشر إلى جانبها نبات السمار والقصب والـديس. وكانت الزاگ مصدر ماء للرحل الذين ينتجعون الصحراء حيث تعرف ببئرها عگـالي الإبل الذي ترد فيه مواشي الرحـل، بالإضافة إلى عوينات الحلفاء التي تبعد عنــه بحوالي كيلومتر ونصف، وهي عيون تحيط بها عدة أشجار من النخيل. ويحدهـا من الشمــال وادي بوجنيبـة ووادي سكور، ومـن الجنـوب الحمـادة، ومـن الغـرب جبل صغير يسمـى گـور فياض التمات، ومن الشرق وادي ارتيمي وادي الـگوراريات.

أما عن الطوبونوميا فهناك من يرجع سبب التسمية إلى نوع من تمور النخيل يسمى الزاگ. أما أغلب المخبرين فيرجع ذلك إلى تلك الحبات المعروفة بأزاكو والتي ينتجها نبات يسمى بالغردگ الذي ينتشر بالصحراء. وكانت تعد جزءا من معيشة الإنسان الصحراوي إلى جانب نباتات أخرى مثل الدانون وطازية، إذ كان يسافر أحيانا من أجل جمعها. وعندما يسأل البعض من أهل الخيام عن متغيب من الناس أو عن مكان ذهابه، يجيبهم البعض الآخر على أنه ذهب إلى أزاكو، ومع مرور الزمن تحولت الكلمة أزاكوا إلى الزاگ وأصبحت تحمل إسم واحة الزاگ الحالية.

وقد عرفت الزاگ وجود آيت اعزى ويهدى بها. ولم يكن وجودها يتعدى الواحة بكثير. فقد كانوا بكل من واحة أسا وواحة الزاگ. ويذكر أن مجرى الماء على الجانب الأيمن من واحة الزاگ المسمى بالريشة كان لآيت اعزى ويهدى. إلى أن أتت قبيلة دوبلال وأجلتهم عن الواحة أسوة بما فعلت بهم آيت أوسى في واحة أسا. وانتشرت قبيلة دوبلال فيما بعد على الأرض بعد أن كانت تعم تقريبا أرض الصحراء حيث كانت تتميز بكبر تعدادها البشري. ولما بلغت من خلال سيطرتها على المجال شأنا كبيرا، اتحدت قبيلة آيت أوسى وقبيلة مريبط واجلوها عن المنطقـة إلى حيث وجودهـم اليوم بنواحي طاطا. ومن ثم سكنت آيت أوسى أسا وسكن مريبط شرق أسا بالقرب من مكان توناويس.

وأسوة بواحة أسا، كانت الزاگ تعرف هي أيضا التغلغل البرتغالي بها، حيث كان متمركزا على طريق القوافل التجارية التي تربط فيما بين البحر بالمعدر بأصبويا مرورا بواحة أسا وواحة الزاگ ثم تيندوف وصولا إلى جنوب الصحراء.

وعند إجلاء آيت اعزى ويهدى ودوبلال والبرتغاليون، بقيت الزاگ أرضا يؤمها الرحل للرعي والانتجاع الذي تقوم به قبائل الصحراء وخاصة الرگيبات وآيت أوسى. غير أن هذا وجود هذه العناصر البشرية لم يخلف أي آثار مادية لمنازل سكنية، بل كان عبارة عن خيام تسكن من حين إلى آخر للتزود بالماء وجني ثمار النخيل.

وقد خضعت الزاگ إلى الاستعمار الإسباني، وكانت عبارة عن مركز صغير للحراسة ترصد من خلاله تحركات البدو وتجمعاتهم.

وفي هذه المرحلة بالذات، ارتبطت الذاكرة المحلية للزاك بحية الأصلة أو الصات، حيث تتحدث الرواية المحلية عن أن حية كبيرة عرفت محليا بالصات كانت تعترض المارة وتعتدي على قطعان الماشية التي تقصد مشرب الماء. وصادف يوما أن كانت هناك فرقة عسكرية إسبانية في أعوينات الحلفاء المذكورة أعلاه. وإذا بأحد جنودها ذا بشرة سوداء من قبيلة آيت أوسى قد غادر الفرقة بدون ترخيص وذهب إلى الزاگ وترصد الحية المذكورة وضربها ببندقيته إلى أن قتلها، ولما عاد إلى فرقته وعلم به رئيســه، قال له هذا الأخير : سأسامحـك على مغادرتك للفرقـة بدون إذن لأنك قمت بعمل كبيـر، ولـو أنك حصلت مني على ترخيص لتقوم بهذه المهمـة التي أرقت النـاس بالـزاگ لتمت ترقيتك إلى درجـة رقيب.

وكان الزاگ نقطة هامة من نقاط مرور القوافل التجارية بالصحراء، حيث كانت هذه القوافل تربط فيما بين مالي والجزائر وموريتانيا وذلك للدور الكبير الذي كانت تقوم به التجارة البينية، إلى أن توقفت هذه القوافل في أواخر الخمسينات.

وفي فترة الاستقلال تم العثور على عيون أخرى بالزاگ، من بينها تلك العين المشهورة بعين الشفاء أو عوينت جدارمي وهي اليوم عيون دائمة الجريان تعتبر مصدرا لسقي بعض الزراعات الخفيفة كالنعناع والخضر.

وإلى جانب العثور على مزيد من عيون الماء وتوفر المؤونة المجانية التي كانت تزود بها الدولة أهل المنطقة، بدأت الزاگ تعرف بداية لحياة مشجعة على الاستقرار بالواحة. وكانت أول بناية هي تكنة الجيش التي بناها الجنود المغاربة في أواخر الخمسينات.

وبعد ذلك عرفت الزاگ استقرارا لبعض الأسر من الرحل وذلك انطلاقا من بناء بعض الأكواخ المغطاة من زعف النخيل وأخشاب الطلح والطرفاء ثم تلا ذلك بناء أول منزل حوالي سنة 1964 باللوح المصنوع من التراب. ويسكن واحة الزاگ اليوم خليط من القبائل الصحراوية من بينها آيت إيدر إحدى فخذات قبيلة آيت أوسى وقبيلة الرگيبات وقبيلة دوبلال وقبيلة أعريب وغيرها.

ومن بين المزارات المشهورة التي يؤمها أهل الواحة الولي الصالح محمود أبو الدرويش الذي يجهل انتماؤه والمدفون قرب بئر عگلة الإبل والولي الصالح الشيخ محمد وهو من إدا وعيش من الزوايا من مواليد أجريف بموريتانيا وأحد تلاميذ أهل الشيخ ماء العينين الذي يعرف بكونه هو من علم مكان وفاته بالگرارية الكبيرة شمال الزاگ، ثم الولي الصالح محمد ولد نافع ولد بييان من أهل بييان من قبيلة الرگيبات المدفون بمقبرة الزاگ.

والزاگ اليوم هو دائرة تابع لعمالة إقليم أسا - الزاگ يبلغ عدد سكانه 12653 نسمة. ويعتمد في اقتصاده على التجارة وتربية الماشية وعلى دخول الموظفين والفحم الحجري وجمع أحجار النيازك وعلى بعض النباتات الصيفية مثل الكمأ الترفاس الذي تنبت إلى جانبه نبتة اليرگيگ والذي ينقسم إلى أبيض وأحمر، يطلق عليه محليا بحيبور وهو الأقل جودة.

مقابلات مع مسنين من المنطقة ربيع 2009 ؛ *مونوغرافية* إقليم أسا - الزاگ، 2004.

محمد شرايمي

الزرقي، حسنة بن **دويهي** بن البكاي بن سيدي يوسف، ولد في سنة 1907 وتلقى تعليمه على يد والده دويهي وجده البكاي حيث بدأ بحفظ القرآن الكريم ثم اتبعه بالعلوم اللغوية والدينية والأدبية، ولما أتمها أجازه والده وصدره.

في سنة 1927 قام بأول عمل وطني ضد الاستعمار الإسباني. وفي سنة 1936 توجه نحو گلميم التي كانت خاضعة للنفوذ الفرنسي حيث ألقي عليه القبض باعتباره مبحوثا عنه من قِبَلِ المستعمر الفرنسي. وبعد تدخل قواد تكنة تم إطلاق سراحه بأمر من الحاكم الفرنسي الذي كان موجوداً بمدينة أگادير واشترط شرطين لإطلاق سراحه :

أولا : أن يوقع بمعية قواد تكنة وثيقة بعدم دخول الأراضي التابعة لنفوذ الاستعمار الفرنسي.

ثانيا : أن يذهب رفقة قواد تكنة إلى مدينة طان طان ويلتزم أمام المستعمر الإسباني بعدم دخول هذه الأراضي. في سنة 1953 وبعد نفي الملك محمد الخامس قامت المقاومة بتنظيم نفسها وبدأت أفواج المهاجرين تتوافد على منطقة الصحراء قادمة من المنطقة التابعة لنفوذ الاستعمار الفرنسي وفي هذه الفترة عينت إسبانيا الجنرال أمزيان حاكما على جزر كناريا التي تتبع منطقتا الصحراء وإفني لإدارتها فقام بزيارة لمدينة العيون وأخبر الصحراويين بأن إسبانيا لن تعترف بابن عرفة ملكا على المغرب، عند ذلك ازداد عدد المهاجرين المتقاطرين على المنطقة وازدادت التعبئة والتضامن مع ملك البلاد حتى رجع من منفاه سنة 1955 يحمل معه بشرى الاستقلال والخلاص من الاستعمار فعمت الفرحة كل مناطق الصحراء خاصة مدينة العيون التي نصبت فيها الخيام ورفعت الأعلام. وكان هناك دور بارز لمحمد فاضل بن بهي الذي قام بتقديم الهدايا والدعم المادي في مكان ساحة المشور الحالية رفقة المقاوم والمناضل حسنة بن دويهي. بعد ذلك طالبت إسبانيا سكان الصحراء بدفع ضريبة عن مواشيهم لكن السكان رفضوا ذلك حتى يكون عن طريق خليفة السلطان بتطوان مولاي الحسن بن المهدي. وعلى إثر ذلك وقع مؤتمر أم الشگاگ سنة 1955 عند الشيخ محمد الأغظف بن الشيخ ماء العينين وتمخض عنه إرسال وفد إلى مدينة الرباط لتجديد البيعة والولاء للملك محمد الخامس برئاسة إبراهيم بن عبد الله. وقد رجع هذا الوفد بعد أن قدم فروض الطاعة والولاء للملك محمد الخامس وهنأه برجوعه وبقي منه في مدينة الرباط حسنة بن دويهي والعبادلة بن الشيخ محمد الأغظف وأخوه لارباس الذين حضروا اجتماعا بالإقامة الأميرية ترأسه ولي العهد مولاي الحسن بحضور عدد من الشخصيات الوطنية كعلال الفاسي والمهدي بن بركة ومحمد الغزاوي مدير الأمن. وبعد رجوع حسنة بن دويهي إلى مدينة العيون استمر في تسيير مكاتب حزب الاستقلال والاستماع إلى الناس وفض نزاعاتهم والصلح بينهم. وكان في ذلك الوقت العلم المغربي يرفرف على كل البنايات فأصدرت إسبانيا قرارا أشارت فيه إلى أن العلم المغربي لن يرفع إلا يوم الجمعة، مما جعل الكثير من الفعاليات والشخصيات وأعيان القبائل الصحراوية يجتمعون عند الشيخ محمد الأغظف بالمسيد حيث اتفقوا أن ترفع أول راية مغربية بيد السيد حسنة بن دويهي وبعدها ترفع الأعلام على كل البنايات، فألقي عليه القبض رفقة محمد براهيم وعبد السلام عمارة وفيضول الدرهم، فاندلعت على إثر ذلك مظاهرات عارمة وسط الناس بمدينة العيون وكان من أبرز المتظاهرين إبراهيم بن الليلي وبابا أحمد بن دويهي الذي قام بصفع ضابط إسباني، وفي المساء قام الشيخ محمد الأغظف بالتوسط لإطلاق سراحهم. ولما أطلق سراحهم علم السيد حسنة بن دويهي أن إسبانيا ستحكم عليه بالإعدام ليلا فتمكن من الهرب إلى مقر قيادة جيش التحرير بتافودارت ثم ذهب

من هناك إلى مدينة گـلميم حيث شارك في الهجوم على الإسبان بمنطقة آيت باعمران كما كان ضمن المجموعة التي دخلت إلى الثكنة العسكرية بتلوين والتي كانت محاطة بالأسلاك الشائكة وكان برفقته سيد أحمد شكاف ولحسن والراعي الذي استشهد وايد بن التامك. وقد أصيب حسن بجروح كثيرة في هذه المعركة وظل يعالج منها طيلة حياته فقد أجريت له أول عملية لإزالة شرارات البارود بمدينة أگـادير والثانية على يد الدكتور الخطيب. بعد ذلك استمر في العمل الوطني حتى وقع تحالف إيكوفيون فالتحق بمدينة گـلميم، ثم توجه بعدها إلى مدينة طرفاية التي دخلها يوم 15 أبريل من سنة 1958 رفقة الجنرال أفقير وعبد القادر القاسمي بأمر من ولي العهد الأمير مولاي الحسن الذي دخلها بعد ثلاثة أشهر دخولا رسميا. فتم تعيينه رجل سلطة ومنها توجه إلى مدينة طان طان التي عين رئيسا لدائرتها وظل يشتغل بها إلى أن أحيل على التقاعد.

وفي سنة 1975 وبعد استرجاع المغرب لصحرائه دخل مدينة العيون بعد أزيد من عشرين سنة من الهجرة عنها، واستقبل استقبال الأبطال، فاجتمعت عدة قبائل من بينها أزرقيين وتوبالت ومجاط ولفيكات ولميار وقدموا ملتمسا إلى عامل إقليم العيون لرفعه إلى السلطات العليا يقضي بتعيين حسنة بن دويهي قائدا عليها وهو ما استجاب له الملك الحسن الثاني فعينه قائدا مدى الحياة.

توفي سنة 1997.

الحاج إبراهيم دويهي

الـزّرگـة : عادة اجتماعية متبعة وهي عربون محبة يدفعه الرجل في حق من تنال إعجابه، يحدث ذلك في ظروف تختلف باختلاف البواعث : الإعجاب، أو الحب، أو دواعي لاقتران ؛ ومفادها أن يقوم الرجل في التجمعات والمحافل الشعبية برمي لثامه أو بعض أدواته الخاصة مثل أداة تدخين أو تمائم أو ما شابه على المرأة التي تنال إعجابه كعربون للمودة والمحبة وذلك بعد أن تُطلق زغرودة مدوية مؤذنة بقدومها أو مصاحبة لحركة إيقاعية ترسلها البنت على توقيعات الطبل لعرض زينتها، وهذا العربون تتلقفه أتراب البنت وذووها الأقربون كبادرة للاهتمام. وتسترجع "الزرگـة" بفدية معلومة "الطلصة"، وبقدر غلاء الفدية يكون الاهتمام بالبنت أكبر، ومثله "الـحَوْصْ" و"اـْشعرگيبة"، ولا تزال هذه العادات متبعة في بعض النواحي والأوساط الاجتماعية في الأقاليم الصحراوية.

الري الركيبي، *كنز الذاكرة*، سفي، ب. ت ؛ إسماعيل ولد الحسن، *الممتع المحيط من كلام أهل شنقيط*، دار الفكر، أنواكشوط، المجلد الثالث، 2010. *مقابلة ميدانية* مع السيدة فاطمة بنت أحمد سالم، الداخلة، صيف 2010.

الزرگـي، أحمد ولد **البشير** المدعو "بوذريع" ولد في فاتح ماي من سنة 1918 بعيون الساقية الحمراء، كان من الشيوخ التقليديين بالصحراء والتجار داخل قبيلة الزرگيين. خلال عقد الستينات من القرن العشرين انتخب عضوا "للجماعة الصحراوية" وظل في ذلك المنصب إلى حدود اتفاقية مدريد الثلاثية سنة 1975، كما كان عضوا في الكورتيس الإسباني (procurador en el cortes) ما بين سنتي 1970 و1975، وعضوا في "الحزب الوطني الصحراوي" (PUNS) الذي خلقته إسبانيا بالمنطقة في شهر نونبر من سنة 1974. وفي نهاية 1975 قرر تجديد البيعة لجلالة الملك الحسن الثاني، وكان ذلك بتاريخ 14 يناير سنة 1976، ثم حضر آخر اجتماع "للجماعة الصحراوية" التي ساندت ضم المنطقة لكل من المغرب وموريتانيا وذلك بتاريخ 26 فبراير 1976. وفي 12 من شهر نونبر 1976 تم انتخابه عضوا في المجلس الاقليمي للعيون ثم صار رئيسا لذلك المجلس فيما بعد. وبتاريخ 21 يونيه 1977 انتخب عضوا في مجلس النواب المغربي في الاقتراع الغير المباشر.

توفي أحمد ولد ابراهيم ولد البشير في سنة 1994 بمدينة العيون حيث ووري جثمانه الثرى بمقبرة خوي الـزَّوَّايا بواد الساقية الحمراء بالضاحية الغربية للعيون.

مقابلة ميدانية مع السيد البشرة محمود الزرگـي بعيون الساقية الحمراء، شتاء 2011.

Tony Hodges, *Historical Dictionary of Western Sahara*, London, 1982 ; *Africa, N° 338*, Feberero, 1970, Madrid ; *Africa, N° 356*, Agosto, 1971, Madrid.

الزرگـي، بركة بن **لحسن**، المعروف بأبريكة الزروالي، ينتمي لفخذة آيت سعيد من قبيلة الزرگيين، ولد سنة 1930 وساهم في حركة جيش التحرير إلى جانب والده الذي استشهد في معاركها ضد الاحتلال. وفي سنة 1958 تولى عدة مناصب في الإدارة الترابية. كما تزعم جبهة تحرير الصحراء التي كونها مجموعة من الصحراويين داخل المغرب، قامت بنشاطها ما بين 1966 و1969، وترأس هيئة نشر (editor) صحيفتها الأسبوعية الناطقة باللغة الإسبانية (*Nuestro Sahara*) "صحراؤنا" التي تطبع بدعم من وزارة شؤون موريتانيا والصحراء ما بين مارس 1967 ويونيه 1968. آنذاك كان أبريكة منخرطا في حزب الاستقلال. وفي ما بين سنتي 1974 و1983 شغل منصب مدير مركزي بالوزارة الأولى مكلف بالشؤون الصحراوية. وما بين 1983 و1997 ظل عضوا في مجلس النواب ونائبا ثالثا لرئيس هذه المؤسسة التشريعية. كما انتخب فيما بين 1997 و2003 رئيسا لجهة العيون - بوجدور الساقية الحمراء، وعضوا لمجلس المستشارين إضافة إلى رئاسة لجنة الداخلية والجماعات المحلية بهذه المؤسسة.

يعد بريكة من مؤسسي الحزب الدستوري حيث تقلد منصب عضو المكتب السياسي منذ ظهور هذا الحزب سنة 1983، هذا ناهيك عن عضويته للمجلس الملكي الاستشاري للشؤون الصحراوية.

توفي بتاريخ 18 يوليوز 2011، فووري جثمانـه الثـرى بالطرفاية.

علي العمري، *جيش التحرير الجنوب*، نشر المندوبية السامية للمقاومة ؛*تحريات ميدانية* بمدينتي العيون والطنطان.

Tony Hodges, *Historical Dictionary of Western Sahara*, London, 1982.

الزرگـي، محمد سالم ولد **بَيْدة** : أحد رجالات المقاومة وجيش التحرير بمنطقة الساقية الحمراء، ينتمي إلى أهل بوصولة من فخذ اشتوكا، إحدى بطون قبيلة الزرگيين، شارك في حركة جيش التحرير في الصحراء سنوات 1957 و1958. وخلال مواجهته لقوات الاحتلال الاسباني ألقي عليه القبض سنة 1958 وأودع في السجن بمدينة العيون حيث فارق الحياة تحت التعذيب. وترك من الأبناء : حمة بن بيدة، واخوته الحسين ومولاي علي وتَسْلم. تم دفنه بمقبرة الشهداء بحي كاطالونيا بمدينة العيون سنة 1958.

مقابلة ميدانية مع السيد محمود البشرة الزرگـي، شتاء سنة 2011 بالعيون.

Tony Hodges, *Historical Dictionary of Western Sahara*, London, 1982.

الزرگـيين (قبيلـة ـ) تنتشـر في المنطقـة الواقعة ما بين وادي درعـة شمالا ومنطقة رأس بوجدور جنوبـا ومـابين المحيط الأطلسـي غربا ومنطقة زينـي شرقـا. ينسبهـم المؤرخ بشر ولد حيدار إلى جعفر بن أبي طالب. ويشير الأنثروبولوجي الأسباني كارو باروخا (Caro Baroja) إلى أن هذه القبيلة تتميز باللباقة الديبلوماسية وبالإصرار على الجد في العمل. لذلك نجدهـم يمارسـون الرعي والتجارة كما يتعاطون لزراعة الشعير والقمح والـذرة عنـد التساقطات المطرية، ناهيك عن حمل السلاح حيث يربون الخيل ويشترونها ويمارسون الغزو.

وتتوزع هذه القبيلة على أفخاذ هي : اشتوكة (أهل أحمد بن سعيد ـ لكوانة) والكرح (أهل عياش ـ أهل أولاد عمر ـ أهل بلقاسم) وآيت سعيد (لمرازكية ـ أهل حمو وعلي ـ الزراولة ـ آيت موسى ـ أولاد مبارك). كما مارس بعض الزركيين العلم والتعليم وظهرتْ فيهم عائلات تتعاطى للتدريس مثل : أهل سيدي بوبكر - أهل الليلي - أهل الطالب أحمد - أهل عياش - أهل سيدي يوسف ـ أهل سيدي لعروصي ـ أهل إبراهيم بن امبارك ـ أهل سيدي علي ـ أهل سيدي عبد المجيد.

وكانت هناك داخل مجال ظعن الزرگيين أماكن حيوية بالنسبة لهم مثل : مصب واد درعة، ومصب واد الشبيكة والنعيلة والطرفاية والدورة ومصب واد الساقية الحمراء، لذلك شيدوا بعض البنايات في هذه الأمـاكن مثل قلعة سبخة لمبيديع قرب مصب وادي درعة، وقلعة وادي الشبيكة عند حاسي أم الزبد وقلعة عند حاسي الدورة التي تم بناؤها سنة 1978. كما يعد الزرگيون من أول القبائل التي استقرت بعيون الساقية الحمراء، حيث أن عيون الماء التي كانت جارية هناك سميت بأسماء أسر عريقة من هذه القبيلة مثل عين عطاف وعين ميان وعين البشير ولد الرظاع وعين محمد فاضل بن أحمد سالك والحاج بابا أحمد. ولأهمية هذا الموقع أقام به الاستعمار الإسباني مركزا عسكريا سنة 1938، شكل النواة الأولى لمدينة العيون الحالية.

وتعد هذه القبيلة من القبائل الصحراوية المحاربة التي كانت تخضع لنظام "أجماعة" أو زعامة "آيت الأربعين"، المكونة من ممثلي أفخاذ القبيلة من الرجال البالغين الأشداء وذوي الرأي. يقود هذا المجلس رجل يدعى "المقدم" ولهذه "الجماعة" جميع السلطات التشريعية والتنفيذية. أما السلطة القضائية فموكولة إلى القضاة. وقد برزت داخل هذه القبيلة زعامات تاريخية مثل حمو سعيد الذي عاصر السلطان المولى إسماعيل العلوي، أو سيدي يوسف وأبناؤه وحفدته. أما القضاء فقد تخصصت فيه عائلات عريقة مثل أهل سيدي بوبكر من قبيلة فيلالة، وأهل الليلي من قبيلة توبالت، وأهل سيدي علي من قبيلة مجاط وأهل الطالب أحمد وأهل سيدي يوسف وأهل إبراهيم ولد امبارك اشتوكة وأهل عياش وأهل لعروصي من الـگـرح.

كما دخلت قبيلة الزرگيين في علاقات ود وجوار وتحالف مع الترارزة في الجنوب الموريتاني إبان حكم الأمير اعلي شنظورة، ومع أولاد أبي السباع بحكم المصالح التجارية وعلاقات الجوار والمصاهرة حيث كانت لمولاي أحمد الشيگـر السباعي دار في قصبة الـدورة التي شيدهـا الزرگـيون، كما ربطوا علاقـات مع قبائـل أولاد دليم ومجاط وتوبالت وفيلالـة، ناهيك عن مشاركتهـم في حركة الجهاد ضد الاحتـلال الفرنسي والإسبـاني التي قادهـا الشيخ مـاء العينين وأبنــاؤه من بعده.

ونظرا لموقع هذه القبيلة المجاور للشواطئ الأطلسية، فإن مجالهم ظل مهددا بالغزو الأجنبي، كما فرض عليهم ذلك ممارسة التجارة أحيانا مع جزر الكناري، وخاصة لما بنى التاجر الإنجليزي دونالد ماكينزي دارا قرب الطرفاية (Casamar) حيث مارس التبادل التجاري مع الزرگيين ابتداء من سنة 1879، لكن سرعان ما فشل ذلك المشروع بفعل مقاومة أطراف من القبيلة، ثم تحرك المخزن إبان رحلة السلطان الحسن الأول نحو الجنوب حيث أرسل حامية إلى الطرفاية هدمت متجر ماكنزي سنة 1888 وقتل ممثله هناك. وإثر حركة الحسن الأول نحو سوس والصحراء، تم تعيين قائد وقاضي من قبيلة الزرگيين. وفي عهد السلطان مولاي عبد العزيز تم تعيين ثلاثة قواد وقاضيا وأمينا من قبيلة الزرگيين. وخلال الاستعمار الإسباني بالصحراء دخل بعض أفراد القبيلة في سلك الجندية فيما يعرف ب "لاميا" بالطرفاية ثم في الفيالق المتنقلة (Tropas Nomadas)، غير أن الزرگيين ظلوا ميالين إلى ممارسة التجارة ونقل البضائع وتملك قطعان الماشية على عادة القبائل الصحراوية. وإبان حركة جيش التحرير، كان الزرگيون من القبائل التي أبلت البلاء الحسن في معارك

جيش التحرير، وقبل ذلك في المقاومة بداية القرن العشرين، حيث شاركوا في معارك أحميم، حيث استشهد عبد الله ولد محمد سالم بن اعلي سالم بن بوصلة، والبكاي بن بابا أحمد بن سيدي يوسف، وفي معركة لگليب التي استشهد فيها محمد سالم بن أمبيركات بن يحيى. وفي هجوم انواذيبو الذي استشهد فيه احميدي ولد أخناوش و"يوم اكلال" بالترارزة الذي استشهد فيه رمضان بن محمد بن الزفاطي، و"يوم تجنين" الذي جرح فيه عبد الله ولد اميسى وأسر فيه محمد رشيد بن عمار بن أندور، وفي معركة أم التونسي التي استشهد فيها أحمد ناه بن خطاري بن سيد امحمد، ناهيك عن مشاركتهم في معارك أم اغوابة ولعگل، وشمالا شارك الزرگيون في معارك آگلو مثلا. وخلال معركة جيش التحرير انخرط من هذه القبيلة مائتا رجل بقيادة القائد إبراهيم بن عبد الله بن سيدي يوسف وقائد المائة محمد بن امبارك بن خيرات وإبراهيم بن محمد الحسن بن الليلي الذي كان مسؤولا وكاتبا عاما للمقاطعة التاسعة لجيش التحرير بالساقية الحمراء. ولما تكالبت القوات الفرنسية والإسبانية سنة 1958 على حركة جيش التحرير، كان الزرگيون من القبائل التي عملت على حماية العديد من أفراد هذه الحركة وذلك بنقلهـم إلى أعيون إيغمان فواد درعة لينجوا من قصف طائـرات التحالف الاستعماري. وأثناء الهجوم على المراكز الاستعمارية سنوات 1957 و1958، شارك الزرگيون في معارك الدشيرة وطريق السدرة وتافودارت ولبلايا...

وخلال الستينات والسبعينات من القرن العشرين، شارك الزرگيون في مواجهة سياسة الاحتلال الإسباني الرامية إلى تجنيس الصحراويين وجعل المنطقة إقليما تابعا لإسبانيا حيث ألقي القبض على الكثير منهم وتم الزج بهم في السجون وإبعاد بعضهم إلى جزر الكناري، وقد استشهد منهم محمد سالم بن بيدا تحت التعذيب.

ومنذ نهاية الخمسينات بدأ الزرگيون في الاستقرار بالمدن التي ظهرت في الصحراء، فتمركزوا بكل من الطنطان والطرفاية والعيون. واليوم أصبحت منهم بطون وعائلات في بوجدور والداخلة وفي موريتانيا.

كما تعـد هذه القبيلـة من المجموعات التـي اندمجت فـي الاقتصاد الحديث بفعـل مِراسهم التجاري والسياسي القديم وظهور أجيال جديدة من الأطر والكفاءات داخلهم.

بشر أحمد حيدرة، *الصليب المقدس في البحر الصغير*، مطابع أمبريال، الربـاط، 1998 ؛ محمـد دحمـان، *الترحال والاستقرار بمنطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب*، مطبعة كوثر، الرباط، 2006.

F. De lachapelle, *Les Tekna du Sud Marocain*, Paris, 1934 ; Domenech Lafuente, De la zona al sur del Dra, en : *Mauritania*, N° 272, Julio, 1950 ; Del Barrio, Jose Enrique. *Las Tribus del Sahara*, Aaiun, 1973 ; Angel Flores Morales, *El Sahara Español*, Alta Comisaria de España en Marruecos, 1946 ; Attilio Gaudio, *Sahara Espanol : fin d'un mythe colonial*, Errisala, Rabat, 1975 ; Tony Hodges, *Historical Dictionary of Western Sahara*, London, 1983.

محمد دحمان

الزروالي، بريكة بن **محمد**، يعتبر ابريكة الزروالي الذي ولد بالداورة نواحي مدينة العيون سنة 1930، من رجالات المقاومة وجيش التحرير المغربي، ومن المناضلين في صفوف حزب الاتحاد الدستوري ونشط في تنظيماته الوطنية والجهوية، وتقلد مهام عضو بالمكتب السياسي لفترة طويلة، كما كان له حضوره الوازن والمتميز بالبرلمان، واضطلاعه بأدوار طلائعية في الديبلوماسية البرلمانية. وبعد مسيرة تعليمية متوسطة، امتهن الترجمة وعمره لا يتجاوز 16 سنة.

وقد التحق ابريكة الزروالي، الذي كان من أعيان قبيلة أزركيين إحدى قبائل التكنة، بصفوف المقاومة وجيش التحرير سنة 1957، كما كان من الرعيل الأول الذي ارتبط بقضية الوحدة الترابية للمملكة والدفاع عنها عبر مختلف مراحلها. وقد تمرس في أسلاك الداخلية منذ أن كان مترجما في عهد الاحتلال الإسباني للصحراء المغربية، فتقلب في عدة مناصب بالإدارة الترابية. في سنة 1958، عين باشا لمدينة سيدي إفني، ورئيس دائرة ببويزكارن وكلميم وطانطان، ثم مديرا مركزيا بالوزارة الأولى مكلفا بالشؤون الصحراوية خلال الفترة الممتدة من سنة 1974 إلى سنة 1983.

وانتخب عضوا بمجلس النواب ما بين سنوات 1983 و1997، حيث كان خليفة لرئيس المجلس طيلة هذه الفترة. كما انتخب رئيسا لجهة العيون، قبل أن ينتخب بمجلس المستشارين سنة 1997 إلى سنة 2003، حيث تولى مهام رئاسة لجنة الداخلية والجماعات المحلية بالمجلس. وهو من مؤسسي حزب الإتحاد الدستوري، الذى ظل يشغل عضوية مكتبه السياسي منذ تأسيس الحزب سنة 1983 إلى حين وفاته. كما كان عضوا في المجلس الاستشاري للشؤون الصحراوية حيث شغل مهام أحد نواب الرئيس.

وقد بعث صاحب الجلالة الملك محمد السادس برقية تعزية إلى أسرة الفقيد بريكة الزروالي، وضمن جلالة الملك، هذه البرقية، أحر تعازيه وأصدق مواساته في هذا القدر الذي لا راد له.

ومما جاء في هذه البرقية "بهذه المناسبة المحزنة، نعرب لكم ومن خلالكم إلى زوجته الفاضلة، الحاجة الزهرى بنت محمد فاضل، وإلى أبنائه البررة، ونخص منهم بالذكر خديمنا الأرضى الوالي خالد الزروالي، مدير الهجرة ومراقبة الحدود بوزارة الداخلية، وكذا إلى ذويه ومحبيه وسائر أفراد قبيلة إزرگيين الأوفياء، الذين يحظون بسابغ رضانا وعنايتنا السامية، عن أحر تعازينا وصادق مواساتنا في هذا الرزء الفادح، الذي لا راد لقضاء الله فيه".

وذكر جلالة الملك بما كان يتحلى به الفقيد من خصال الوفاء للبيعة المقدسة لجلالته ولأسلافه الميامين، والولاء للعرش العلوي المجيد، والغيرة الوطنية الصادقة، والتشبث بمقدسات المغرب في الوحدة الوطنية والترابية،

والتفاني في الدفاع عن مغربية الصحراء، التي كان من رجالاتها المخلصين الأفذاذ.

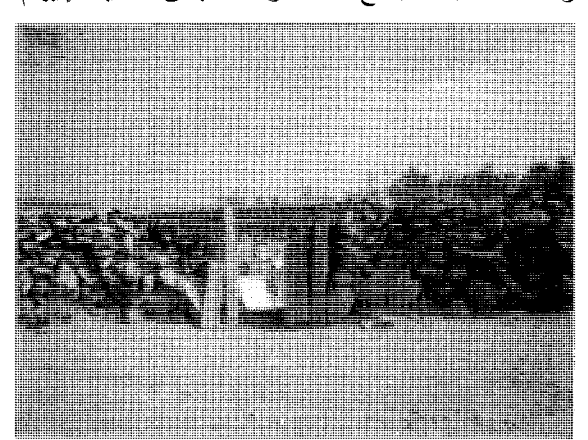
كما استحضر صاحب الجلالة المهام الجسيمة التي تقلدها الراحل باقتدار ومسؤولية وحكمة وحنكة، سواء كنائب برلماني، وخليفة لرئاستي مجلسي النواب والمستشارين، وكعضو للمجلس الملكي الاستشاري للشؤون الصحراوية، وكمسؤول بوزارة الداخلية وإدارتها الترابية، حيث كان رحمه الله نعم الخديم الوفي للمملكة، فضلا عن عمله المبرور لوطنه، وتجنده الدائم للدفاع عن مغربية صحرائه، وعن وحدته الوطنية والترابية، في مختلف المؤسسات والهيئات والمحافل الداخلية والخارجية.

توفي بمدينة الرباط يوم الإثنين 18 يوليوز سنة 2011 عن عمر يناهز 81 سنة. ووري جثمانه الثرى عصر اليوم الثلاثاء بمقبرة أهل الفقير لحسن الزروالي بمدينة طرفاية مسقط رأسه، وذلك بعد صلاة الجنازة التي أقيمت بمدينة بالعيون.

بلاغ وكالة المغرب العربي للأنباء يوم 19 يوليوز، 2011، من خلال موقعها الإلكتروني ؛ جريدة بيان اليوم، عدد بتاريخ 21 يوليوز، 2011 ؛ جريدة المسار، عدد : 4، بتاريخ 21 يوليوز، 2011.

بوعبيد التركي

الزريبة (أهل -) : مزار لجماعة من صلحاء قبيلة أولاد تيدرارين، يقع على ساحل المحيط الأطلسي شمال رأس بوجدور بمسافة 60 كلم في مكان يدعى "لمسيد"، حيث تنبع عين ماء دائمة الجريان. وأول من دفن بها حنين، وهو الجد الجامع لقبيلة أولاد تيدرارين، ثم ابنه إبراهيم، وبعد ذلك دفن بها سيدي يسين وابنه عبد الرحمن، ثم أحمد ولد عبد الرحمان وإيعزة ولد عبد الرحمان، واعلي ولد عبد الرحمان. كما دفن بها سليمان ولد أحمد الجد الجامع لفخذ أولاد سليمان. أضيف إليهم



بعد ذلك سيدي أحمد بوغمبور وابنه ايعزى المكنى فعراس، وأخوه يسين بن سيد أحمد بوغمبور، وعبد الله بن سيد أحمد بوغمبور والطالب علي بن سيدي أحمد بوغمبور وأم هؤلاء فاطمة منت إيعيش. كما يوجد هناك ضريح الحكيم بابي وأبيه وإخوته وإثنين من أولاده. ومقام هؤلاء الصلحاء له مكانة خاصة عند قبائل الصحراء عامة وعند قبيلة أولاد تيدرارين على الخصوص، حيث تتم زيارة، "أهل أزريبة" عن طريق النحر والذبائح والدعاء لهم والتوسل بهم، وهذا الموقع الساحلي يعد مكانا لمصيف قبيلة أولاد تيدرارين نظرا للطافة الجو وقرب نقاط الماء المجاورة للسواحل، مع الإشارة إلى أنه لايدفن داخل هذه "الزريبة" إلا من كان ينتمي لقبيلة أولاد تيدرارين فقط، وحسب التحري الميداني فإنه لم يعد بالإمكان الدفن بذلك المكان منذ سنة 1993 نظرا لامتلاء "ازريبة" عن آخرها بالمقابر. هؤلاء الصلحاء يوجدون اليوم فوق تراب الجماعة القروية للمسيد التابع لعمالة إقليم بوجدور حيث شيدت هناك دور سكنية وبنايات إدارية ومرافق صحية وتعليمية واقتصادية وخدماتية إلى جانب محطة للتزود بالبنزين ولراحة المسافرين العابرين نحو الداخلة وموريتانيا، أو نحو العيون وداخل المغرب.

مقابلة ميدانية مع الشيخ، إبراهيم الناجم ولد محمد إبراهيم التدراريني، العيون، ماي، 2009.

Mahmadou Ahmadou Ba, Les Tribus secondaires du Sahel mauritanien in : *Renseignements Coloniaux*, N° 9, Septembre, 1928, p. 571 - 579 ; Caro Baroja, Julio, *Estudios saharianos*, I.E.A y C.S.I.C, Madrid, 1955 ; Tony Hodges, *Historical Dictionary of Western Sahara*, London, 1982.

محمد دحمان

الزمول (معركة -) الزمول مكان يقع بين "تنغوشاي" و"تندوف أسس به الجيش الفرنسي معسكرا يضم حوالي ألفين من جنوده وكان "يقوم بدور في حماية منطقة تندوف والمناطق الأخرى بالصحراء الشرقية من كل خطر يهددها من الغرب كما يزود المعسكرات المجاورة بحاجياتها الغذائية والعسكرية. وفي يوم 30 من شهر أكتوبر سنة 1956 هاجمته فرقة من جيش التحرير مكونة من قائد الرحى مبارك منار وقائد الرحى إدريس بن عبد السلام وقائد الثلاثين محمد بن الجيلالي وقائد الثلاثين الكبير بن بوزكري ورؤساء الطلائع بنيبة بن محمد سالم وعلي بويا بن ميارة وأبا الشيخ بن باعلي. وكانت هذه الفرقة قد أعدت العدة لتنفيذ هذا الهجوم ومارست تدريبا بمركزي آقا وطاطا "على مختلف أنواع الأسلحة وعلى تحطيم المعدات الحربية من مصفحات وسيارات عسكرية وكيفية أسر جنود العدو وتشجيع المغاربة على الالتحاق بصفوف جيش التحرير حاملين أسلحتهم. وبلغ مجموع أفرادها مائة وخمسة عشر فردا مجهزين بأنواع الأسلحة من بنادق ورشاشات ومائة وسبعة وعشرين من الإبل انطلقت محملة بهذه الأسلحة المتنوعة وما يحتاجه الجنود من تموين وأدوية فالتقوا في وقت محدد" مع طلائع جيش التحرير التي جاءت بدورها مقسمة إلى مركز "عوينة الخروف" المحيطة بالزمول. وعلى الساعة الثانية صباحا وبالقرب منه انقسمت الطلائع إلى أربع فرق تتوفر كل واحدة على

أسلحة الدفاع والهجوم، وطوقت العدو من جميع الجهات وكلفت الفرقة التي يترأسها علي بويا بن ميارة ببداية إطلاق النار على مخازن البترول في حين كانت الفرق الثلاثة الأخرى تقتحم مساكن الجنود الفرنسيين. واستعملت في هذه العملية القنابل والسلاح الأبيض مما أربك العدو وشل حركته. فمني بهزيمة كبيرة لم يعهدها من قبل تتجلى في كثرة القتلى والجرحى الذين سقطوا في هذه المعركة، فقد قتل منه خمسة وعشرون جنديا من بينهم خمسة ضباط وجرح مائة وأحرقت خمسة عشر سيارة عسكرية من سياراته ودُمِّـرَ عدد كبير من أسلحته الثقيلة، كما غنم رجال جيش التحرير مائة من الإبل وستين بندقية ومئات من صناديق الذخيرة الحربية المختلفة كان يستعملها الجيـش الفرنسي في نقل التمويـن والجنود. أما رجال جيش التحـرير فقـد استشهد منهم شهيد واحد وجرح ستة بجروح خفيفة. وبعد نهاية المعركة التحق بقـوات جيش التحرير خمسـة وعشرون جنـديا صحراويا من المجـندين في الجيـش الفرنسي من قبائل الشعابنة وتبلبالت وجنود من اللفيف الأجنبي كانوا يعملون في صفوفه "من جنسيات أوربية مختلفة ألمان وهولنديون وبلجيكيون استفاد جيش التحرير من خبرتهم العسكرية".

منوغرافية تاريخية عن إقليم طاطا، فريد إدشويخ، *مجلة الذاكرة الوطنية*، العدد 1، السنة 1422 / 2001 ؛ محمد بن سعيد آيت إيدر، *صفحات من ملحمة جيش التحرير بالجنوب المغربي*، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، يونيو، 2001.

الزمول الثانية (معركة ـ) وقعت يوم الرابع من شهر يناير سنة 1957 عندما خرجت دورية مكونة من عشرة رجال متوجهين من المعسكر الموجود في حومة "عوينة الخروف" إلى ناحية السويحات حيث مكثوا ستة أيام. وطافت الدورية بنواحي الزمول ثم هاجمت القوات الفرنسية القائمة هناك وقتلت جنديين كانا يحرسان المركز. وبعد أن هدأ الجو وخمدت النار التي كانت تشتعل توجه رجال المقاومة لجيش التحرير إلى مكانهم دون أن يمسسهم ضرر. والرجال الذين اشتركوا في هذه المعركة هم حمد البخاري وحمد بن حماد وهيب بن محمد ومحمد الأمين باعل ومحمد بن موسى والنوف بن محم والبكاي بن البكاي ومحمد بن الأمين وحسن بن رابح ومحمد بن زاز.

محمد بن سعيد آيت إيدر، تقرير قيادة جيش التحرير، *صفحات من ملحمة جيش التحرير بالجنوب المغربي*، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، يونيو، 2001.

ماء العينين النعمة علي

الزوايا بتراب البيضان، تطلق هذه الكلمة بمجمل الصحراء الأطلسية على فئة الذين استقروا في أماكن خاصة بممارسة التعلم والعبادة. وهي أمكنة متميزة كثيرا ما أعتبرت ربطا للمرابطة في سبيل الله عادة ما ارتبط المتصوفة وحملة الكتاب من فقهاء وعلماء بهذا الاشتقاق اللفظي الذي يربطهم بأسباب وبتاريخ معين، فمعلوم أن تاريخ هذه "الصيغة" يعود بالأساس إلى دور دولة المرابطين في خلق وتمتين ركائز سلطة الفقهاء ذوي العلم الظاهر وغيرهم من المتصوفة ذوي العلم الباطن. فما تزال هذه الدولة تعتبر في نظر الزوايا هي التي حركت المتصوفة والعلماء وجعلتهم يعتبرون أن عليهم مسؤوليات سياسية على جميع المستويات الاجتماعية والاقتصادية. كان مفهوم المرابطة والترابط من أجل الجهاد بقصد "دفع المظالم" هو الشعار المؤسس للدولة المرابطية. فكان أن وفرت لهم دولة أبو بكر ابن عمر اللمتوني مرتكزات فعلية جعلت من علمائهم "ورثة الأنبياء وتراجمة الوحي وحفظة الكتاب وأمان الأرض وسور الإسلام الحصين". وبسقوط دولة المرابطين واختلاف مبادئ وأسس ومرتكزات دولة الموحدين، اضطلع أهل الكتاب من فقهاء ومتصوفة وعلماء من صنهاجة الصحراء بأدوار تاريخية عملت على تحديد العلاقة بينهم وبين باقي فئات المجتمع الصحراوي. يمكن اعتبار أن الأجداد الإسميين لجل قبائل الزوايا الحاليين ينتمون إلى هذه الفترة بالذات. على أنه يكون من اللازم التأكيد هنا على دور السلاح في تفجير الصراع بين الغور السكاني الصنهاجي والفصائل المعقلية الواردة. فقد تميز سلوك المعاقيل بالاعتماد المتزايد على دور السلاح في تدعيم مركزهم الاجتماعي. أما تثبيت شوكة أهل الكتاب الزوايا خلال هذه الفترة فقد ارتبطت بتطور الغور السكاني الصنهاجي بمختلف فصائله الكبرى والصغرى. ظل هذا الغور مكونا من حاملي السلاح وحاملي الكتاب إلى حدود القرن الحادي عشر / السابع عشر الميلادي. يومها فقط حسدة سياسة ناصر الدين آخر محاولة للغور السكاني لمواجهة المد المعقلي المتزايد.

تعتبر فئة المعاقل المسلحين من الفئات الاجتماعية التي استطاعت التغلغل التدريجي خلال الفترة الفاصلة بين القرن الثامن (13م) والقرنن الحادي عشر (17م). فقد قامت على أساس عصبية مغايرة ذات تطلعات حربية متأثرة بظرفيات مصارعة الغور الصنهاجي المتفرع إلى كمفدراليات وفصائل مختلفة الأصول والمصالح. ومع التقلبات السياسية وتنافر المصالح اضطلع المعاقلة بأدوار متخصصة في مراقبة المجال عن طريق السلاح وفرضا لأتاوات على القوافل. من هنا فإن ما أكدت عليه النصوص المعاصرة يعد بمثابة المعطى العملي الذي تأسست عليه الحقائق التاريخية لنوعية الصراع المفتوح بين الغور السكاني والحضور المعقلي. لقد مثلت الحروب المسمات "شرببّة التباري" خلال منتصف القرن السابع عشر الميلادي الحدث الحاسم الذي فصل في إشكالية العلاقة بين حملة الكتاب وحملة السلاح. تجسدت منذ ذلك الحين سلطة المعقليين في احتكار سلطة السلاح رغم احتفاظ بعض التجزؤات وفصائل الغور السكاني بطابعها المحارب.

أصبح شعار الزوايا من حيث هم كحجج الدين، "من حمل السلاح ترك الصلاح" معتبرين أنفسهم "فخر البلاد

وعمارتها ونورها علما وصلاحا ودينا وثروة. فيهم أهل المدارس العامرة والتآليف المفيدة والمشايخ أهل حلق الذكر والدين القويم والأموال الطائلة، أهل إنباط آبار وتفجير العيون وحرث الحبوب وغرس الأشجار وأهل التجارة، وهم السفراء بين القبائل ومصلحو الثأر وأهل القضاء والفتوى والمحافظة على الدين والمروءة" (ابن البراء، *الفقه*،47) تكون بذلك الزوايا قد تخصصت في الاستئثار بحمل الكتاب.

توسلوا بتقنيات النصوص الدينية والعلمية ضامنين بذلك حدا أقصى من المشروعية السياسية الحاثة على التسليم لأوامرهم. ليس هذا وحسب، ولكن دراسة إشكالية علاقة أهل الكتاب وأهل السلاح لا يمكن أن تتأتى إلا من خلال دراسة علاقتهم بالسلطة. وذلك أن سلطة الزوايا تتمثل في علاقتهم بالعامة التي لا يستقيم أمرها إلا بمشروعية علاقتهم بالسلطة الحربية. وهنا تكشف المصادر بما لا يدع مجالا للشك، تهيؤ الظروف الملائمة لتناغم وتفاعل بين السلطتين الدينية والحربية في بلاد تميزت بدواعي وأسباب السيبة. تكشف كتب الفتاوي عن دور الزوايا أهل الكتاب في تشكيل العنصر الرابط ونقطة الالتقاء بين الفئات المجتمعية المختلفة والسلطة المعقلية. والملاحظ أن الزوايا أهل الكتاب كانوا يشاركون أهل السلاح في أكبر تجليات النفوذ التي هي الطاعة والخضوع. فقد كانت لهم رقابة على السلطة السياسية باعتبارها حاملة للشريعة وللشرع والتصدي لأية انحرافات تقع من السلطة الحربية. في هذا الإطار كان تقديم النصح والمحاسبة من المقتضيات التي تستدعي التمسك بالمجال المعرفي وامتلاك المعرفة وتأطيرها وتوجيهها. وهو ما كان يستدعي الابتعاد عن الأمراء بل ومقاطعتهم في بعض الأحيان. هذا ما تكشف عنه كتب السير والتراجم الفقهية وأدب الطبقات الصوفية مزكية دور العلماء والفقهاء المستقل سياسيا واجتماعيا مما أهلهم في كثير من الأحيان لتصدر الأحداث.

ومما يؤكد دورهم كقوة رقابية فاعلة كف أيديهم عن التدخل في أمور الدولة إلى أن سيطرت الإدارة الفرنسية وفرضت أمنها. تمتع الزوايا بمركز ومكانة اجتماعية لم تنحصر في المجالات التربوية والتعليمية ولكن دعمت قاعدتهم الاقتصادية. تطورت تدريجيا هذه القاعدة لتنتهي إلى متغيرات بنيوية أصبحت تفرق اجتماعيا بين "الزاوي" المتشبث بقيم وممارسات الزوايا و "المرابط" الذي اقتصر على ممارسة الطقوس مبتعدا عن أخلاقيتها و "التلميذي" الذي فقد الدين والمروءة. (ابن البراء، *الفقه والمجتمع والسلطة*، 46).

كل الدراسات الميدانية تشهد على أهمية النسيج الاقتصادي الذي ميز الانتماء الاجتماعي لهذه الفئة بأعلى السلم الاجتماعي. تحدد حجم هذا الانتماء الاجتماعي في خضوع فئات من الغور السكاني الأقدم من صنهاجة وأكواش حراطين وغيرهم لسلطة الزوايا السياسية. وتتمظهر فعالية نفوذهم الاقتصادي في قدرتهم على إحكام صبلاتهم الاقتصادية بمنتوجات الأرض وتربية المواشي. ولعل أهم ما ميز هذه العلاقة التعبئة السياسية التي قادوها في مقاومة التغلغل الأوربي على السواحل.

ابن البراء يحيى، *الفقه والمجتمع والسلطة، دراسة في النظر الاجتماعي والسياسي للفقيه بين شمول أهل القبلة وأسرة أبناء القبيلة*، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، نواكشوط، 1993، محمد المختار ولد السعد. حرب شربيه، *التباري أو أزمة القرن (17) في الجنوب الغربي الموريتاني*، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، 1992.

مصطفى ناعمي

الزوايا في مجال البيضان، شهدت الزوايا مثلها مثل القبائل الحسانية تطورا وإن اختلفت سبله ومناهجه وأهدافه، فلقد حددت حرب شربيه بين حسان والزوايا منتصف القرن السابع عشر الوظيفة اللاحقة لكل منهما، حيث كان تطور الزوايا فكريا فسمح لها باستغلال ثقافتها الدينية والعلمية وكسب عدد مهم من الأتباع بفضل ترك السلاح والنزوع نحو الاستقرار وممارسة الزراعة والرعي والتجارة إلى جانب العلم، فنمت مواردها الاقتصادية والمادية والديمغرافية بسبب تحسن أوضاعها.

والزوايا كما يعرفهم المختار ولد حامد : "هم من اشتهروا بالعلم والتدريس وهي خاصية تطلق على من سار بسيرهم من بني حسان والغارمين، ويسمى الداخل في صفهم من حسان أو اللحمة تائبا أو مهاجراً، فلقد اكتفت فئة الزوايا بنشر العلم في المحاضر والمجالس العلمية لترسيخ الثقافة الإسلامية، فأدركت بالعلم والتعليم ما عجزت عن بلوغه بالسلاح، وتمكنت بالقلم من فرض سلطانها واحترامها على سائر القبائل، وفرض الحدود لترسيخ العدل بين الناس وأخذ القصاص من الظلمة والمعتدين.

وذكر بابا بن الشيخ سيدي أنهم "سمو بالزوايا لملازمتهم للزوايا جمع زاوية وهي أيضا موضع العبادة أي أهل الزوايا"، وأهل الزوايا لا ينتسبون إلى عرق سلالي معين يميزهم عن الأعراق الأخرى، بل المرجع في تحديد الزوايا عند أهل المنطقة هو كل قبيلة تزاول التعليم والتدريس وما إلى ذلك من أمور الدراسة والعبادة فهي قبيلة زاوية، والغالب عليها ممارسة الوظائف الدينية والاقتصادية والاجتماعية. وقد أفاض محمد بن سعيد اليدالي في خصال الزوايا بقوله : "أما شيم الزوايا فهي حقيقة التمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والعض عليها بالنواجذ فهذا ما تعاقدوا عليه فقد أسسوا سيرتهم وأحكموها بالشرع وتمسكوا بها حتى صارت لهم طبعا ودينا. وقال عنهم الشيخ محمد الإمام : "فالزوايا بالجملة من أحفظ الناس لأنسابهم، وهم أهل المدارس العامرة والتآليف المفيدة والمشايخ الكبار والأموال الطائلة، وهم أهل الاشتغال بمصالح الأرض غرسا وحرثا وتجارة وحفراً للآبار وإجراء لعيون الأنهار، وهم صدر المنتدى ومصلحوا الثأر وأهل القضاء والفتوى، محافظون أشد المحافظة مما يزري بعرضهم أو يخل بمروءتهم".

لقد منحت هذه الخصال سلطان الزوايا هبة واحتراما في تراب البيضان من لدن الصغير والكبير، الضعيف والقوى، الحاكم والمحكوم، فقد خضع لسلطانها في القرن 19 م عدد من أمراء حسان، فهذا أمير تگانت محمد بن محمد شين المتوفى عام 1236 / 1820، الذي قال عنه الخليل النحوي أنه كان "يدين بخضوع تام وولاء أسطوري للعلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم المتوفى عام 1233 / 1817، ولا يقطع أمرا دونه"، ومثله في ذلك أمير أدرار أحمد الملقب ولد عيدة المتوفى عام 1279، "يجل المشايخ والعلماء وكان مريدا لشيخه الطالب بن طوير الجنة". أما الشيخ سيدي فقد أذعنت له الزوايا، وصار مثل الملك بينهم. "وكانت العرب في أرض شنقيط تجعله حرما آمنا، فيجتمع عنده أحدهم بمن قتل أباه أو أخاه، فيجلسهما على مائدة واحدة" لإحقاق العدل والمساواة، والفصل في المنازعات والخصومات.

وينقسم الزوايا إلى عدة قبائل، ذكر المختار ولد حامد أصنافها، فمنهم المنحدرون من بقايا المرابطين كقبائل مسومه وتجكانت ولمتونة وأبدوكل وتاشدبيت، وتندغة وإدا ولحاج، وكذا المنتسبون من القبائل الزاوية إلى الأنصار، كأولاد الحاج عثمان والصيام من وإدا ولحاج، ثم إيديبسات، ثم الزويا المنتسبون إلى قريش ومنهم المدلش الذين ينتسبون إلى بني أمية ثم قبيلة تركز التي تنتسب إلى عقبة بن نافع الفهري، وكذا قبيلة كنتة ومنهم أولاد الشيخ المختار الكنتي وغيرهم. وهناك كذلك الزوايا المنشقون عن حسان، خاصة قبائل إديقب وتشمشة، ثم قبائل إجمان وأولاد الناصر وأولاد أبييري.

وساد في صفوف الزوايا نوع من تقديس الكرامات، التي تحدث عنها أبناء الزوايا كثيرا، لإضفاء الشرعية على تعاليمهم وجعل الناس يحترمونهم ويقدرونهم ويتقون شرهم، فقد ساعدت البيئة البدوية على تصديق هذه الخوارق والكرامات والتوسل بأصحابها لجلب الخير ودفع الضرر، وهو ما أشاع ظاهرة الولاية وكثرة الأولياء وتقرب الناس تبركا منهم، حيث ذكر محمد اليدالي في النجم الثاقب عددا من هؤلاء الأولياء.

ومعلوم أن انتشار الزوايا بمنطقة "القبلة" من مجال البيضان كان أكثر من انتشارها في منطقة الشمال في مجال تكنة بوادي نون والساقية الحمراء، حيث إن دراسة الأنتروبولوجي كارو بروخا (Caro Baroja) لهذه المنطقة أكدت على قلة الزوايا بمنطقة النفوذ الإسباني الذين كان يطلق عليهم فيه "أهل لكتوب". كما يطلق عليهم الشرفاء الذين يشتركون في الخاصية الدينية والتعليمية مع الزوايا، ومن هؤلاء نذكر : الركيبات الذين ذكر ولد حامد من بين فروعهم فرع أولاد موسى في أطار، والسواعد وأولاد داود في تيرس، والمؤذنين في السمارة. وزار أحمد بن الأمين الشنقيطي موطنهم فقال عنهم : "الرقيبات قبيلة أصلهم من الزوايا إلا أنهم يحملون السلاح في أكثر أوقاتهم، والعلم فيهم قليل"، ثم هناك الشرفاء فيلالة : انتقل جدهم إلى الصحراء زمن المولى إسماعيل حيث تمركزوا في منطقة وادي نون ممتهنين مهنة التوجيه الديني والإصلاح بين الناس والتمسك بالمذهب المالكي والطريقة القادرية والعقيدة الأشعرية. فتسلسل بهم العلم وبالخصوص في أسرة آل سيدي بوبكر الذين توارثوا تحصيل العلم، وبجانبهم الشرفاء توبالت الذين ينسبون إلى الولي الصالح سيدي وسيدي دفين مدينة تارودانت وهذه المجموعات ذات الشرف تنتشر في الصحراء ابتداء من منطقة واد نون حتى الساقية الحمراء وتيرس.

هكذا ساهم الزوايا بمجال البيضان في إشعاع الحياة الفكرية من خلال تأسيس المحاضر العلمية وتعليم الطلبة لمختلف العلوم الشرعية ومنح المشايخ للأوراد الصوفية، والجلوس للتأليف والقضاء وإصدار الفتاوى ومعالجة فقه النوازل، فظهر فيهم علماء كبار أمثال المختار الكنتي وأبنائه والشيخ سيدي عبد الله ولد الحاج إبراهيم ومحمد المامي الباركلي صاحب كتاب البادية وغيرهم كثير لا يسع المقام لذكره، إذ كانوا نبراسا للعلم استفادت المحاضر من إنتاجاتهم فعم صيتهم في كافة قبائل الزوايا.

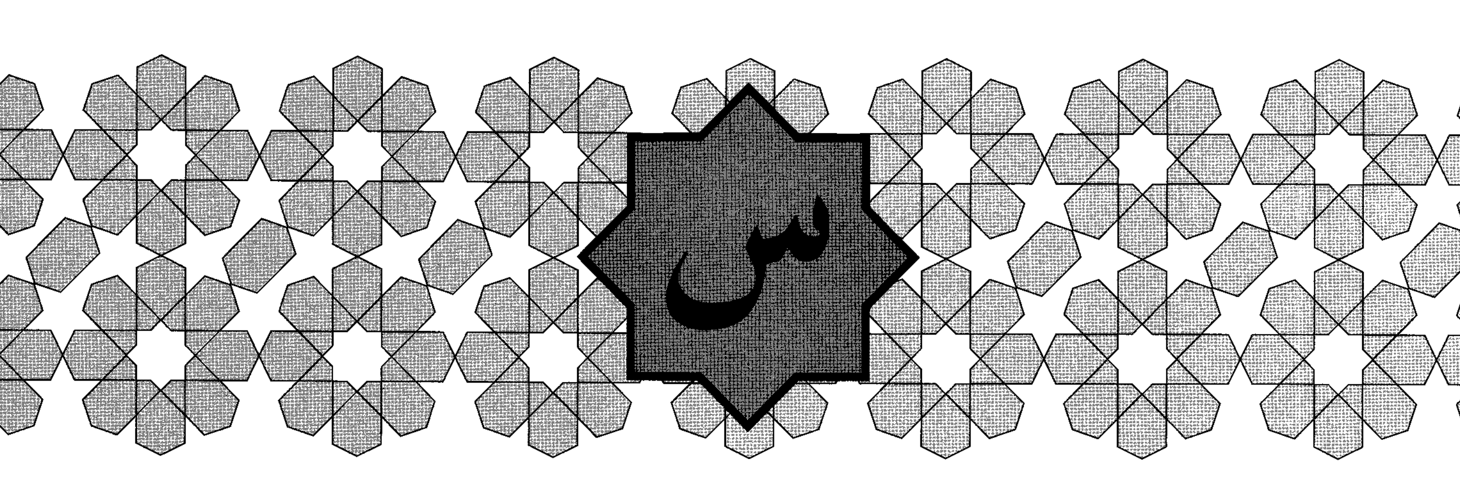
أحمد بن الأمين الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*، بعناية فؤاد سيد، الطبعة الرابعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ومؤسسة منير، موريتانيا، 1409 / 1989، ص. 241 ؛ الخليل النحوي، *بلاد شنقيط المنارة والرباط*، عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة، تونس، 1987، ص. 35 ؛ المختار ولد حامد، *حياة موريتانيا الجغرافيا*، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، جامعة محمد الخامس، الرباط، مطبعة دار الغرب الإسلامي، 1414 / 1994، ص. 30 - 41 - 50 - 74 ؛ أحمد ولد الحسن، *الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري مساهمة في وصف الأساليب*، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، الطبعة الأولى، 1424 / 1995، ص. 100 ؛ أحمد محفوظ مناه، *ميراث السيبة دراسة في تاريخ الثقافة السياسية ببلاد شنقيط موريتانيا*، د. ت، ص. 42 ؛ حمداتي شبيهنا ماء العينين، *قبائل الصحراء المغربية أصولها ـ جهادها ـ ثقافتها*، المطبعة الملكية بالرباط، 1419 / 1998، ص. 43 ؛ ناجيه عمر، *البنيات الاجتماعية والاقتصادية لقبائل وادي نون في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر قبيلة آيت لحسن أنموذجا*، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1998 - 1999، ص. 193 - 203 ؛ بوبريك رحال، *دراسات صحراوية، المجتمع والسلطة والدين*، دار أبي رقراق لطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2005، ص. 165.

الحسين حديدي

زينابة، أكلة من الأكلات التقليدية بالمناطق الصحراوية، لها طريقة خاصة ومميزة في الإعداد، حيث لا تعتمد على أواني الطبخ إذ تقطع الذبيحة كلها وتغسل معدتها (الكرشة) جيدا ويوضع اللحم فيها كله وتكون على شكل كيس بفتحة واحدة تشد على قطعة عظم الساق المفتوح من رأسيه، ثم يدفن الكيس في الرمال الحارة الملتهبة بفعل ما أوقد عليها من حطب

الذي ينقل من الأسفل بعـد وضع الكيس إلى الأعلى ليتخذ شكل غطاء للحفرة، ورأس العظم إلى الأعلى بحيث يكون بمثابة المتنفس الوحيد لها. وتطلق صفيرا متناغما لمحتوياتها حتى إذا مكثت ساعة أو ساعتين استخرجت من مدفنها الملتهب لتظهر على شكل قدر وقد اكتسبت طعما لذيذا ومميزا.

الغالية بلعمش


س



الساقية الحمراء، تقع الساقية الحمراء إلى الجنوب الغربي للبلاد بين خطي عرض 26° و40 ,27° شمالا وتمتد على مساحة تصل 82000 كلم^2، وتنقسم من الناحية التضاريسية إلى أربع وحدات :

تتسم المنطقة بغلبة الطابع الصحراوي المتسم برتابته، أما التشكيلات الصخرية السائدة في المنطقة فهي مرتبطة بالحركات التي ميزت القشرة الأرضية خلال الزمن الثالث، وهكذا فإن التضاريس الصحراوية الغالبة على المجال هي نتيجة حتمية للتغيرات الناجمة عن عوامل النحت والتعرية، وبالتالي نستطيع التمييز في التشكيلات الصحراوية بين مجموعة من الرقوق والعروق والسبخات ولـﯕلاب ولـﯕراير. وهكذا نميز في المنطقة بين وحدات تضاريسية كبرى هي التالية :

- ظهر الرﯕيبات : وهو عبارة عن سهل واسع يمتد طوليا على حوالي 1400 كلم، ويتراوح عرضه بين 200 إلى 400 كلم، ويشغل المجال الفاصل بين السمارة ولـﯕويرة، وتنتشر عليه صخور صلبة على شكل مرتفعات على نحو محدب تسمى محليا الـﯕلب.

- الحمادة : تمتد في الجهة الشرقية، فهي امتداد لحمادة تيندوف، وتغطي بذلك بهضابها المجال الممتد بين درعة والساقية الحمراء وﯕلتة زمور، وتمتاز باخضرارها النسبي وبسيادة أشجار الطلح، أما تربتها فتتميز بالنفاذية مما ينذر بوجود المياه التي تتجمع في شكل بحيرات صغيرة متباعدة، أو في شكل مجاري محدودة وموسمية تمثل روافدا طبيعية لواد الساقية الحمراء.

- الـﯕعدة : وتهم معظم السواحل الشمالية والمحصورة بين جبل زيني شمالا ووادي الساقية الحمراء جنوبا، والحمادة شرقا والمحيط الأطلسي غربا، وهي تتشكل من هضاب كلسية واسعة، يفصل بينها والساحل حوالي أربع كيلومترات، بارتفاع لا يتجاوز 200م، وهي المستفيدة من موقعها المحاذي للساحل، مما يتيح استفادتها من تساقطات مطرية تتيح جريانا موسميا، وبالتالي توفر غطاء نباتياً يتشكل من نباتات شوكية تستغل كمجال رعـوي.

- منطقة السهل الساحلي : تتكون من إرسابات تعود للزمنين الثالث والرابع، وتمتد لتشمل سواحل الصحراء المغربية، وتعرف المنطقة امتداد كثبان رملية، وأحواض رسوبية مغلقة كما هو الحال بالنسبة لسبخة الطاح، وبالنظر لنشاط التعرية الساحلية فقد عرفت المنطقة طابع التموج وكثرة الخلجان وبعض الأجراف الصخرية المسننة.

ويستعرض دي لاشاپيل (De La Chapelle) وصفا جغرافيا للساقية الحمراء مفاده التغير المناخي الذي همّ المنطقة، فيورد شهادة لسترابون (Strabon) أن مجال سيادة المناخ المداري كان ممتدا ليشمل المنطقة الشمالية ما يفسر تعمير المنطقة بشكل أكبر مما هي عليه حيث كانت تعرف استقرارا حضريا مع إقامة أنشطة زراعية مكثفة في إشارة إلى الساقية الحمراء التي كانت تستفيد من تساقطات مدارية أكسبتها صبغة الاخضرار، حسبما تفيد أسطورة تقول أن الساقية الحمراء كانت تسمى الساقية الخضراء، إذ كانت تغذيها روافد دائمة الجريان، على غرار وادي سوس، وبالتالي تسمح بسقي الزراعات والأشجار.

وفي رواية على لسان الشيخ الطالب أخيار بن الشيخ ماء العينين : "علمت من والدي أن المنطقة من أدرار إلى وادنون كانت في الماضي ترى المداشر بعضها البعض، وفي كل منها برج بمثابة فنار، وفي حال وجود أي تهديد يتم إيقاده كإشارة يتم تمريرها من مدشر لآخر".

ويستفاد من هذه الروايات أن المنطقة كانت مأهولة منذ عهود بعيدة ومتمتعة بظروف مناخية إيجابية أكسبتها أهمية خاصة على غرار المناطق الممتدة من الجنوب الموريتاني الحالي إلى وادنون، مما يشي بوجود مدن أو تجمعات سكنية وأنشطة اقتصادية مرتبطة بشكل أساسي بالنشاط الزراعي، غير أن المنطقة في حاجة ماسة لتكثيف الأبحاث الأركيولوجية التي من شأنها تأكيد أو تفنيد الروايات القائلة بعمران الساقية الحمراء كمثيلاتها من المناطق المشمولة بصفة التصحر اليوم التي تعطي الانطباع بكونها منطقة خلاء قديما.

وإذا سلمنا بالتغير المناخي وانعكاسه على تعمير المنطقة، فيمكن الحكم بإيجابية هذا الانعكاس من الناحية الروحية، ذلك أن قساوة الظروف المناخية ستحتم إخلاء المجال لفضاءات بديلة تتيح إمكانية عيش واستقرار أفضل لأكبر قدر من السكان، لكن بالمقابل بات مجال الساقية الحمراء في ظل هذه الظروف مجالا لخلوة الصلحاء والمتصوفة، إذ بات يأوي إليها كل متعبد ينأى بنفسه عن مشاغل الحياة زاهداً في ملذاتها كشكل من أشكال الرفض للواقع الاجتماعي والسياسي للبلاد في فترات تاريخية من تاريخ البلاد، فاستحقت بذلك أن تنعت الساقية الحمراء ببلاد الصلحاء، بل أن جاك بيرك يرى في الساقية الحمراء أصل الصلاح بالمغرب بقوله : "أصل جل أولئك الأولياء في الساقية الحمراء بجنوب المغرب، ذلك المكان الذي جعلت منه الأسطورة منطلقا للانتشار". ولعل هذه النعوت تحتاج لنقاش أعمق للوقوف على مدى دقتها ولماذا خُصَّت الساقية الحمراء بهذه النعوت دون غيرها ؟، لكن نكتفي هنا بالتذكير ببعض الرموز الدينية التي اشتهرت بها المنطقة من قبيل : الشيخ ماء العينين وإن كان تكوينه ومنطلقه من الحوض لكن إشعاعه الديني والسياسي كان بالساقية الحمراء، والشيخ سيدي أحمد الركيبي، والشيخ سيدي أحمد لعروسي، والشهداء السبعة لأولاد أبي السباع.

محمد الغربي، *الساقية الحمراء ووادي الذهب*، دار الكتاب، ج 1، الدار البيضاء، بدون تاريخ، ص. 20 - 21 ؛ نور الدين بلحداد، *التسرب الإسباني إلى شواطئ الصحراء المغربية* (1860 - 1934)، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، سلسلة : أطروحات (2)، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2008، ص. 22 - ؛ جاك بيرك، "في مدلول القبيلة في شمال إفريقيا"، *في الانتروبولوجيا والتاريخ*، ترجمة عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، منشورات دار توبقال للنشر، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص. 124.

De la Chapelle, François, Esquisse d'une histoire du Sahara Occidental, in *Hesperis*, volume 10, pub, edaraf, rééditée par flsh-Rabat, 1986, p. 37.

الشمسدي عبداتي

السالك (أهل -) تنتمي أسرة أهل السالك إلى فخذة إينجورن من قبيلة آيت لحسن إحدى كبريات قبائل تكنة وادي نون. ظهرت على ساحة الأحداث في وادي نون وغرب الصحراء الكبرى والسودان الغربي منذ أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين من خلال شبكة العلاقات التجارية التي نسجها أفرادها بين وادي نون عموما وتگاوست (لقصابي) خصوصا، وعواصم غرب الصحراء الكبرى منها على سبيل المثال لا الحصر شنقيط وتنبكتو واندر وأطار وتندوف وتودني وكولخ. وتبين الوثائق التاريخية الموجودة في متحف دار أهل السالك الأثرية أن هذه العلاقات التجارية كانت مزدهرة في النصف الثاني من العقد الأول من القرن العشرين وصولا إلى نهاية العقد الثاني من القرن العشرين أي مابين 1915 و 1926.

وقد اشتهر زعماء الأسرة وهم محمد سالم ولد السالك والكوري ولد السالك وأحمد ولد السالك بالممارسات التجارية ليس فقط مع غرب الصحراء الكبرى بل حتى مع الأوربيين، وقد كان من ثمار هذه العلاقات المتميزة مع الاوربيين، أن حصل أفراد الأسرة على وثائق المواطنة البريطانية ممثلة في جوازات السفر البريطانية إقرارا بالجنسية البريطانية إبان تعرض المغرب للحماية الفرنسية والإسبانية. وبما أن منطقة وادي نون لم تتعرض للاحتلال الفرنسي إلا سنة 1934 (عام طياح النجوم)، فإن دار أهل السالك كانت تحت سلطة گامبيا وهي أقرب مستعمرة تابعة مباشرة للتاج البريطاني، حيث كانت الدار ترفع العلم البريطاني وسط لقصابي إحدى عواصم منطقة وادي نون التابعة للحماية الفرنسية، وقد عملت السلطات الفرنسية في السودان الغربي جاهدة على عرض الجنسية الفرنسية على أفراد العائلة في كولخ جنوب السنغال فرفضوا العرض الفرنسي متشبثين بالجنسية البريطانية. وتتوفر الأسرة على وثائق رسمية تثبت هذه العلاقات وهي وثائق مصنفة ومعروضة في متحف دار أهل السالك الأثرية التي يعود بناؤها إلى نهاية القرن التاسع عشر. وقد كانت الأسرة حاضرة في التأريخ لحقوق الإنسان في المنطقة وهي سابقة انفردت بها ليس فقط في جنوب المغرب وغرب الصحراء الكبرى، بل وفي شمال إفريقيا كلها، وذلك من خلال الوثيقة التي قدمت للجنة الدولية لحقوق الانسان بباريس سنة 1914 وهي وثيقة موجودة في متحفهم وتوجد هذه الدار الأثرية في جماعة لقصابي تگاوست التابعة لإقليم گلميم باب الصحراء.

وكان لزاما بعد هذا التعريف بدار أهل السالك ورجالاتها أن نعطي نظرة على الوثائق التجارية والسياسية تتوفر عليها الدار وعلى شبكة العلاقات التجارية التي تطرقت لها الوثائق الرسمية، وعلى المراكز التجارية وعلى بعض الأسر التي كانوا يتعاملون معها، وعلى مضامين المراسلات.

فبخصوص الوثائق التاريخية التي طالعناها وتفوق الألف وستمائة (1600) وثيقة تاريخية فأغلبها يتناول التبادلات التجارية ومتعلقاتها من تصريف الأموال والسلع والبضائع عبر البر والبحر، وهو إحصاء أولي في انتظار اكتمال الحصول على جميع الوثائق سواء منها ذات البعد التجاري أو تلك الخاصة بالشؤون الدبلوماسية. ويلاحظ أن كل المراسلات كان مصدرها واحد وهو مركز "كولخ" جنوب السنغال. أما المراكز التجارية التي تم إحصاؤها في المراسلات فهي تفوق ستة وعشرين مركزا أغلبها في غرب الصحراء نورد بعضا منها على سبيل المثال لا الحصر وهي : واد نون، تنبكتو، بامكو، النعمة، شنقيط، أنجربل، اندر، تاودني، رفسك، وگدوگو، روصو، الطرفاية وغيرها. على أن المراسلات شملت مراكز توجد شمال الصحراء منها آيت باعمران، أگادير، الصويرة، مراكش، مكناس، الدار البيضاء، بل وصلت بعضها إلى الديار المقدسة (مكة). والملاحظ في بعض المراسلات وجود بعض العائلات

المشهورة في شمال المغرب تستقر في السودان الغربي كعائلة العراقي وعائلة بنجلون وعائلة الصفريوي وعائلة الشامي وغيرها حيث أثبتت الوثائق بأن بعضها يوجد في مركز أندر (سان لوي) بالسنغال. وقد غطت المراسلات الفترة الزمنية الممتدة من 1333 / 1915 إلى حدود 1344 / 1926 أي قبل دخول المستعمر الفرنسي والإسباني إلى وادي نون والصحراء. وكانت مضامين المراسلات متعددة ولامست قضايا مختلفة كالتجارة في الشاي والخنط والأحذية ومواد أخرى مختلفة، كما تناولت جميع المتغيرات المتحكمة في الرواج التجاري سواء منها المحلية أوالجهوية أو الدولية، والمعاملات المالية (القروض - الأوراق المالية). وتناولت المراسلات القادمة إلى وادي نون وخاصة مركز لقصابي إلى جانب الشؤون التجارية، أخبار عائلة أهل السالك، حيث أن جميع مراسلات محمد سالم ولد السالك من كولخ يوصي فيها أهله بأمور ذات دلالات عميقة منها ما هو مرتبط بالتجارة كالزرع الذي يوصي به ويكرره في المراسلة لعدة مرات، ويوصي ويشدد في وصاياه بتعليم الأبناء، حيث يظهر أن موقعه على رأس هذه الشبكة التجارية الواسعة جعله يدرك القيمة الكبيرة التي يحظى بها العلم والمعرفة، كما يوصي بحسن المعاشرة مع الناس، ويحث على إخباره بجميع المستجدات التي يعرفها وادي نون. وتجدر الإشارة إلى أن معظم المراسلات مكتوبة باللغة العربية، في حين كتبت نسبة قليلة منها باللغة الفرنسية بارتباط مع المجال الذي كان تابعا للسلطات الاستعمارية وهو إفريقيا الغربية الفرنسية.

الوثائق التجارية المعروضة في متحف دار أهل السالك في قرية لقصابي التابعة لإقليم گلميم باب الصحراء ؛ الوثائق الدبلماسية في المتحف السالف الذكر ؛ الوثائق السرية للسلطات الفرنسية المعروضة في المتحف نفسه ؛ الوثائق العائلية لأسرة أهل السالك.

عمر ناجيه

سانطا كروث دي ماريـكينيا، Santa Cruz de Mar-Pequeña نظرا لعوامل الضعف التي أصابت البلاد المغربية في نهاية القرن الخامس عشر ميلادي، اشتد التنافس بين إسبانيا والبرتغال لاحتلال سواحلها الجنوبية. وقد تدخلت الكنيسة في عدّة مناسبات لفض النزاع الحاصل بين المتنافسين. وتوصلت إلى التوقيع على عدّة معاهدات نذكر منها معاهدة الكاصوباس في 4 شتنبر 1479، ومعاهدة طورديسياس في 7 يونيو 1494، ومعاهدة سنترا في 18 شتنبر 1509.

وبمجرد ما احتلت إسبانيا جزر الكناriاس سنة 1476، أخذ ملوكها يتطلعون إلى احتلال سواحل المغرب الجنوبية لضمان سلامة الملاحة البحرية لسفنهم. وشجعوا حكامهم بهذه الجزر على القيام بحملات عسكرية ضد سكان المناطق الواقعة بين ماسة والساقية الحمراء للحصول على العبيد. لكن هذه الحملات كانت تتطلب بناء حصون وقلاع عسكريـة. الشيء الذي جعل الملك الإسباني هنريكي (Henrique) الرابع يرخص سنة 1476 لحاكمه بجزر الكناriاس دييگو گارثيا دي هيريرا (Diego Garcia de Herrera) القيام بعدة هجومات عسكرية على سكان المناطق الواقعة بين رأس بوجدور ورأس أغوير. فجهز هيريرا حملة عسكرية وقرر أن يحتل تلك المناطق في الليل لكي لا يتعرض جنوده لأي هجوم من طرف القبائل. ولتوفير الحماية لجنوده شرع في بناء حصن في المناطق الواقعة بين رأس نون ورأس بوجدور أطلق عليه اسم (Santa Çruz de Mar-Pequeña) أي الصليب المقدس للبحر الصغير. وجعله تحت قيادة القائد العسكري ألونثو كبريرا (Alonzo Cabrera) وكلّفه بحماية الحصن ومواصلة الهجومات ضد المناطق الداخلية، ثم عاد هيريرا إلى مقر حكمه بجزيرة لانثاروطي بالكناriاس سنة 1478. ولم تنتظر قبائل المنطقة طويلا، بل بادرت بالهجوم على الحصن في سنة 1478 وأرغمت الحامية العسكرية الإسبانية الموجودة به على التحصن بداخله وطلب المساعدة من سلطات جزر الكناriاس، فجهز هيريرا حملة قوامها ستمائة جندي وخمس سفن حربية استطاع بواسطتها إعادة احتلال الحصن وتعقب القبائل المهاجمة في المناطق الداخلية.

وفي سنة 1490، أصدر الملك الإسباني قرارا نص فيه على إلحاق حصن سانطا كروث دي ماريـكينيا بالتاج الإسباني. وقد ساعده في ذلك ضعف سلطة بني وطاس التي كانت تحكم المغرب. لكن قبائل الجنوب المغربي لم تستسلم فبادرت إلى تجديد هجوماتها ضد الحصن في سنة 1517. ولولا المساعدات الحربية لتي تلقاها حاكمه لوبي دي سوثا (Lope de Soza) من حاكم جزر الكناriاس لوقع الحصن في أيدي القبائل. ومع ظهور حركة السعديين بالجنوب المغربي أخذت القبائل تكرر هجوماتها ضد المراكز الأجنبية فشنت سنة 1524 هجوما عنيفا ضد الحصن الإسباني، وأضرمت النار في منشآته وأرغمت ما تبقى من الحامية العسكرية على الفرار إلى جزر الكناriاس، ثم عمدت إلى طمس معالمه. وحاول الملك الإسباني شارل الخامس إعادة بناء الحصن في 26 أبريل 1524، لكنه فشل أمام تزايد قوّة المجاهدين السعديين الذين أصبحوا يحكمون المغرب فاكتفى بالترخيص لسكان جزر الكناriاس سنة 1533، بحمل السلاح للدفاع عن أنفسهم من أي هجوم تقوم به قبائل الجنوب المغربي ضد جزرهم.

وبمجرد ما علمت إسبانيا بمحاولات التاجر الإسكتلندي جورج گلاص (G. Glass) الذي حاول سنة 1764 بناء مركز تجاري في نفس المكان الذي كان يوجد فيه الحصن الإسباني، فإنها احتجت على ذلك واعتبرته خطرا يهدد مصالحها في جزر الكناriاس، وقررت إرسال سفارة إلى المغرب سنة 1767 بقيادة خورخي خوان (Jorge Juan)، لتقديم طلب للسلطان سيدي محمد بن عبد الله حول إمكانية إعادة بناء الحصن القديم، لكن السلطان رفض الاستجابة لهذا الطلب وحذّر سكان جزر الكناriاس من عواقب ترددهم على سواحل المغرب الجنوبية لصيد الأسماك دون الحصول على إذن منه.

وجددت إسبانيا مطلبها للسلطان مولاي سليمان سنة 1799 بواسطة سفيرها خوان منويل كونثاليس سلمون (Juan Manuel Gonzales Salmon)، الذي طلب من السلطان السماح لبلاده بإعادة بناء الحصن، لكن السلطان رفض واكتفى بالترخيص لسكان جزر الكناريا بمزاولة عمليات صيد السمك. لكن إسبانيا لم يكن يعنيها صيد الأسماك في شيء، بل كانت تهدف إلى إقناع السلطان بالتنازل لها عن قطعة أرض بالجنوب لبناء حصن بها.

وهذا التهافت على سواحل المغرب الجنوبية، سيدفع بعض المغامرين الأجانب للبحث عن إمكانية بناء مراكز تجارية للاتصال المباشر بالقبائل، نذكر من بينهم التاجر البريطاني جون دڤدسن (John Davidson) الذي حاول منذ سنة 1836 إقناع الشيخ محمد بن بيروك بإقامة علاقات تجارية معه.

ولما انهزم المغرب أمام الجيوش الفرنسية بوادي إيسلي سنة 1844، ازدادت مخاوف إسبانيا على مصالحها بالجنوب المغربي فأخذت تبحث عن ذريعة لتمكينها من إرغام المخزن المغربي على الاستجابة لمطالبها فأعلنت حرب تطوان سنة 1860، واشترطت على المخزن في المادة الثامنة من معاهدة 26 أبريل 1860 التنازل لها عن قطعة أرضية بالجنوب لإعادة بناء الحصن القديم، واقترحت عليه إرسال لجنة مختلطة من مهندسي البلدين إلى سواحل المغرب الجنوبية للبحث عن بقاياه وتحديد المكان الذي سيبنى فيه من جديد.

وبعد عدّة مفاوضات عسيرة وتبادل السفارات بين المغرب وإسبانيا، حصل الاتفاق على إرسال بعثة مختلطة إلى سواحل المغرب الجنوبية سنة 1878، وكانت البعثة الإسبانية تتكون من قنصلها بالصويرة بريث (Perez) والكولنيل بثانطي كليمنطي (Vicente Clemente) والمترجم أنطونيو أرفيلا (Antonio Orfila). وجعلتها تحت رئاسة ثساريو فيرنانديث دورو (Cesario Fernandez Duro) وقد أبخرت البعثة الإسبانية من ميناء قادس يوم 22 دجنبر 1877 على متن السفينة Blasco de Garay. وتوقفت بمرسى السويرة ونقلت أعضاء البعثة المغربية التي ضمّت كل من عمر بن عمر والقائد محمد الكوري وعبد الله بن بوبكر، واتجه الجميع نحو السواحل الجنوبية فزاروا مرسى أگادير ولم يجدوا بها أية علامة تدل على بقايا الحصن القديم. ثم أبحروا نحو سواحل وادي نون فلم يجدوا بها مبتغاهم.

فاختلط الأمر على أعضاء البعثة الإسبانية ووقعوا في حيرة من أمرهم. وللخروج من المأزق أعلن قائد البعثة الإسبانية أن منطقة افني تطابق المكان الذي بنى فيه هيريرا حصنه سنة 1478، فاعترض أعضاء البعثة المغربية على ذلك، واقترحوا على الإسبان مواصلة الإبحار نحو السواحل الجنوبية لاختبارها. لكن الإسبانيين تمسكوا بإفني. والسبب في ذلك لا علاقة له بمطابقتها لمكان الحصن، بل بسبب استقرار تاجر بريطاني بساحل طرفاية الشيء الذي هدد مصالحها بجزر الكناريا. لذلك قرروا إرسال سفارة بقيادة رينالدي (Rinaldey) إلى المغرب سنة 1879، لإقناع السلطان مولاي الحسن الأول بالتنازل لهم عن ساحل إفني. لكن السلطان رفض هذا المطلب، واقترح على الحكومة الإسبانية منحها مبلغ خمسة عشر مليون فرنك مقابل حذف المادة الثامنة من معاهدة 1860. بل ذهب إلى حدّ إبداء الموافقة على منحها منطقة كبدانة الواقعة في شمال المغرب. لكن الإسبان تمسكوا بافني واعتبروها مكانا مناسبا لإنجاز مشروعهم.

ولإيجاد حل لهذا الخلاف حول مكان الحصن، تقرر إرسال بعثة مختلطة ثانية إلى سواحل المغرب الجنوبية. وفي أواخر شهر يوليوز من سنة 1883 وصلت السفينة (Ligera) إلى مرسى السويرة وعلى متنها أعضاء البعثة الإسبانية وحملوا معهم أعضاء البعثة المغربية وانطلقوا نحو السواحل الجنوبية. فزاروا ساحل أگادير من جديد ومرسى آساگا وساحل طرفاية لكنهم لم يعثروا على مبتغاهم، فاقترح الإسبانيون على المغاربة العودة إلى ساحل إفني لمعاينته. وعلى الرغم من عدم حصولهم على أية إشارة أو علامة تدل على بقايا الحصن القديم فقد تمسكوا من جديد بساحل افني. وحرروا تقريرا مفصلا عنه قدموه للمغاربة للتوقيع عليه. فامتنع الوفد الغربي وعلل موقفه بأنه غير مرخص لهم بالتوقيع على أية وثيقة دون حصولهم على موافقة السلطان. ولإنهاء هذا التوتر في المواقف قرر السلطان مولاي الحسن الأول السماح للإسبانيين ببناء مركز للصيد البحري في ساحل إفني كتعبير منه على حسن الجوار وصدق نيته في تقوية أواصر الصداقة مع الملك الإسباني وذلك سنة 1883. وهكذا تم الاتفاق بين الطرفين على إنهاء هذا المشكل الذي عمّر طويلا. لكن إسبانيا لم تتمكن من بناء هذا المركز لعدّة اعتبارات نذكر من بينها عدم معرفتها بالأرض التي رخصّ لها السلطان بالبناء فوقها وخوفها من التعرض لهجومات القبائل الصحراوية. لذلك ظلت تراقب بحذر شديد تطلعات فرنسا في الجنوب الغربي. ولم تتمكن من احتلال ساحل إفني وباقي المناطق التي منحتها لها الاتفاقيات التي وقعتها مع فرنسا إلا بعد سنة 1934، بعد أن استسلمت جل قبائل الجنوب المغربي للمستعمر بعد نفاذ أسلحتها وذخيرتها الحربية.

ظل مكان حصن سانطا كروث دي مارپيكينيا مجهولا بالنسبة للإسبانيّين وحاول العديد من المؤرخين تحديد مكانه بالضبط، لكنهم فشلوا في ذلك واكتفوا ببعض الفرضيات فظلت عمليات البحث والتنقيب عن المكان الذي شيد فيه دييگو گارثيا دي هيريرا حصن سانطا كروث دي مارپيكينيا في الجنوب الغربي منذ سنة 1478. من الألغاز التي طفت على أغلب المعاهدات التي وقعتها إسبانيا مع المغرب. ولم يتوصل المؤرخون الإسبان إلى تحديد مكانه بصورة دقيقة لعدم وجود بقايا أثرية تدل على أعمال البناء. فمنهم من ذهب إلى الاعتقاد بأن الحصن بني في سواحل المغرب الجنوبية الواقعة بين أگادير ورأس بوجدور. أما المؤرخ الإسباني Valentin Fernandez. فحدد مكانه بين وادي نون ورأس بوجدور.

وحسب الخريطة المعروفة باسم خريطة فنيسيا الموضوعة سنة 1489 فإنها جعلت مكان الحصن بين رأس ألطو (Alto) ووادي نون. أما الرحالة كريستوف كولب فقد حدد مكان الحصن في الخريطة التي رسمها سنة 1492، بين رأس جوبي ووادي نون.

وفيما يخص الجانب المغربي. فإنه كان على يقين بأن إفني لا تطابق مكان الحصن القديم، وحسب رأي أعضاء بعثاته التي زارت سواحل المغرب الجنوبية بين سنتي 1878 و1883. فإن الحصن قد يكون بني في منطقة كويدر الرجيلة الواقعة جنوب ساحل طرفاية.

محمد بن عزوز حكيم، *محاولات البرتغاليين والإسبانيين في الطرق البحرية منذ القرن الخامس عشر*، جريدة *العلم*، الرباط، 17 - 12 - 1974 ؛ شوقي الجمل، *تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها*، القاهرة، 1971 ؛ أحمد بن خالد الناصري، *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، 9 أجزاء، الدار البيضاء، 1955 ؛ محمد داوود، *تاريخ تطوان*، ج 4، مطبعة المهدية ؛ عبد الهادي التازي، *التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم*، المحمدية، 1989.

Tomas Garcia Figueras, *Santa Cruz de Mar – Pequeña, Ifni, Sahara*, Madrid, 1941 ; España en el sur de Marruecos y en el Africa occidental, *Africa* Ceuta, 1934 ; P – de Cenival et F. De la Chapelle, Possessions espagnoles sur la côte occidentale d'Afrique, Santa Cruz de Mar – Pequeña et ifni *Hésperis*, 1935 ; Robert Rezette, *Les enclaves espagnoles au Maroc*, Paris, 1976 ; Robert Ricard, Recherches sur les Relations des Îles Canaries et de la Berbérie au XXIe ème siécle *Hespeis, 1935* ; Michaux – Bellaire, Santa Cruz de Mar – Pequeña et le Port d'Assaka, *Revue du Monde Musulman*, Paris, 1911 ; Monteil, Vincent, *Notes sur Ifni et les Ait Ba Amrane*, Paris, 1948.

نور الدين بلحداد

السباخ أو **السبخات**، السبخة في كتاب ابن منظور "لسان العرب"، هي الأرض ذات نزّ، وجمعها سباخ، وقد سبخت سبخا. وتقول انتهينا إلى سبخة يعني الوضوع، والنعت أرض سبخة. والسبخة : الأرض المالحة، والسبخ : المكان، يسبخ فينبت الملح وتسوخ فيه الأقدام ؛ وقد سبخ سبخا، وأرض سبخة : ذات سباخ. وفي الحديث النبوي الشريف أنه قال لأنس وذكر البصرة : "إن مررت بها ودخلتها فإياك وسباخها"، فهي ما يعلو الماء من طحلب ونحوه ؛ ويقال قد علت هذا الماء سبخة شديدة كأنه الطحلب من الترك. وحفروا فأسبخوا : بلغوا السباخ ؛ تقول : حفر بئرا فأسبخ إذا انتهى إلى سبخة.

وهذا المصطلح العربي احتفظ به جغرافيوا العالم كما هو Sebkha ويقابله باللاتينية Kévir Salin وSalar وSalina. أما في شبه الجزيرة العربية فيطلق عليها السنجات الملحية.

وجاء تعريفها عندهم كما يلي : السنجات الملحية تتكون من طبقة ملحية تغطي سطح الأرض بسبب طغيان مياه المد عند ارتفاع منسوب سطح البحر المجاور أو تساقط الأمطار مما يؤدي إلى انغمار المنطقة بالمياه لفترة طويلة، ومع ارتفاع درجات الحرارة يتبخر جزء كبير ويترك طبقة ملحية صلبة تغطي السطح. وتظهر هذه السنجات في المناطق الساحلية من الصحاري الساحلية وتوجد أيضا في مناطق التصريف الداخلي للبيئات الجافة مع انصراف مياه الأمطار، وباتجاه المنخفضات وارتفاع درجات الحرارة التي تؤدي إلى تبخر المياه التي تترك طبقة ملحية على السطح.

كما يطلق عليها في بعض بلدان المغرب العربي كتونس وليبيا الشط (ج. الشطوط) وهي عبارة عن بحيرات ملحية نشأت بفعل الضغوط المصاحبة للحركات الألبية في الزمن الثالث، ويرجع تكوين بعض الشطوط إلى نشاط بحري خلال الزمن الثاني. وتتميز الشطوط بشدة ملوحاتها وتظهر فوق سطوحها عيون على شكل فتحات دائرية تغذي الشطوط بالماء الأجاج.

أما التعريف الجغرافي للسبخة فهي منخفضات مالحة مقعرة تغطي سطوحها المياه بصورة دورية. وقد صنفها الجغرافيون إلى ثلاث أنواع من السباخ التي تتباين في كيفية تكوينها وأول نوع منها :

السباخ الساحلية : التي تتكون على الساحل أو بقربه كما يدل إسمها.

سباخ الأودية التي يؤدي جريانها إلى تكوين سبخات متناثرة في قعورها.

- والنوع الثالث والأخير، هي السباخ الداخلية أو تلك التي تتكون بين الكثبان الرملية، ويوجد هذا النوع في الأحواض المنخفضة من الصحاري.

وتشترك جميع هذه الأنواع بخصائص معينة، وعلى الرغم من أنها مقصورة عل المناطق الجافة القاحلة، إلا أن سطحها يكون دائما قريبا جدا من الفرشة المائية الجوفية الشديدة الملوحة، فهذه الأخيرة تغذي سطحها عن طريق الجذب في اتجاه الأعلى. وبفعل الجاذبية الشعرية تصل المياه إلى السطح، وتتبخر حال وصولها إلى الأعلى، وذلك نتيجة تعرضها إلى درجة حرارة عالية. وتسبب هذه العملية في تسرب الأملاح الذائبة في المياه الجوفية المتبخرة من ضمنها كربونات الجير والجبس، التي تترسب حسب عملية كيماوية معقدة مرتبطة بالوسط البيئي والمناخ السائد أثناء صعود المياه الجوفية إلى السطح. هذه العملية تكون على الشكل التالي : إما تعطينا كلورير الصوديوم (NaCl) أو ملح الطعام أو كبريت الكالسيوم (Ca So4).

وتشكل هذه الأملاح قشرة صلبة غير نافدة تمتد إلى ما يقارب النصف متر تحت السطح، ولا تتمكن النباتات من النمو على هذه السطوح بسبب شدة ملوحتها ووجود قشرة ملحية سميكة وصلبة. بالإضافة إلى ذلك تمنع هذه القشرة السميكة من تسرب ونفاد المياه السطحية إلى

التربة أو إلى داخل السبخة بعد سقوط الأمطار أو الفيضانات المفاجئة، فتتبخر عقب فترة من الزمن، تاركة وراءها طبقة ملحية ناصعة البياض.

وفي بعض السبخات نجد بعض النباتات الإلف ملحية التي تعيش داخل هذا الوسط البيئي الشديد الملوحة، خاصة التي تتوفر على سمك ضعيف للقشرة الملحية مع بقع ترابية متناثرة. ومن بين هذه النباتات نذكر المقصبة Roselière ومنبت السمار Jonchaie وكذلك نبات البوط Typha، وهذه النباتات الإلف محلية تستغل كمواد أولية في بعض الصناعات التقليدية الصحراوية.

وتحتضن أرض الصحراء الجنوبية للمغرب حوالي 52 سبخة، تتوزع من الساحل نحو الداخل، وأهمها على طول الساحل أو بجواره، ثم يتقلص كلما توغلنا نحو الداخل القاري. وتشكل هذه السباخ خزانا هاما لمادة الملح، ويمكن تقسيم السباخ حسب الجهات والأقاليم إلى :

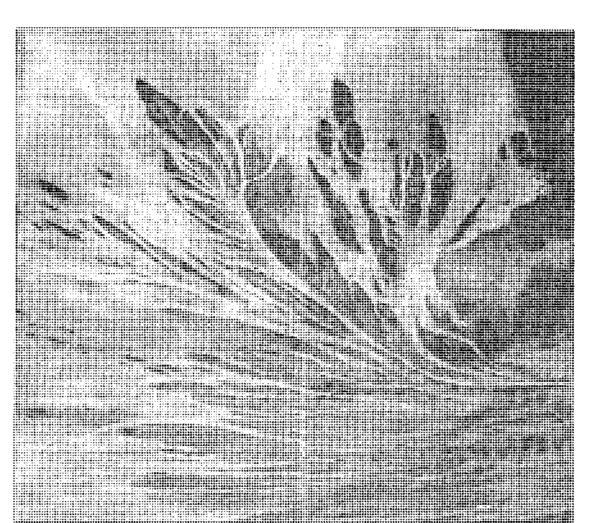
- سباخ جهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء :

وأهم السبخات بهذه الجهة، تأتي على رأسها أكبرها حجما سبخة إكْطيان التي تبلغ مساحتها 1800 كلم^2، وتتغذى على مياه الأودية التالية : مرموزة وسهب النكْيد وواد الساقية الحمراء، وقد أطلق عليها الإسبان إسم "لاس ميتيلاس".

ثم تليها أهمية من حيث الحجم والاستغلال سبخة تازغا، أم الضبع، تيسلاتين، تيسفورين، أريدال قرب بوجدور، الطاح، أكينيكان، الخط، السقاية، كورارة، بوكْرب، أريد، توزونين ثم تاسرة قرب أخنيفيس.

- السباخ الداخلية لكْلتة زمور إقليم بوجدور :

أهمها سبخة أكْزومال جنوبي زمور تغطي مساحة قدرها 500 كلم^2، سبخة امات اللحم، سبخة امكْالا، سبخة وين تركت، وغيرها.



وتعد سبخة الطاح من أخفض هذه السباخ بالصحراء، بحيث ينحدر مستواها إلى 55 متر عن مستوى البحر، وتبلغ مساحتها 360 كلم^2.

وتستغل حاليا سبخة تازغا بالقرب من مدينة طرفاية في استخراج الملح، وتبلغ مساحتها 600 كلم^2، ويقدر احتياطها من الملح بحوالي 4,5 مليون طن. بدأ استغلالها منذ سنة 1991 بطرق عصرية من طرف شركة سوماسيل، ويقدر إنتاجها من الملح بحوالي 20000 طن سنويا. بينما السبخات الأخرى تستغل بطرق تقليدية كأريدال، أم الضبع، وغيرها.

- سباخ جهة واد الذهب - لكْويرة :

أهمها على الساحل، ثم تليها تلك الموجودة بداخل القارة، ونذكر من الساحل في اتجاه الداخل : إمليلي، لمحاريات، فارس، أوتيل لفراس، الرقيوية - لمحار الطويل، أم لبينة، لمهيريز، السخيمات، لمطال، العكْلة، ادجلية، التنمود، الكرزية، خنيفيسات، أغراش، التيدسيت، دومس، ظلوع الصدر، لروي بوكْرن، كْلب أم الظويات، بولوتاد، الكسمنات، الدام، معطى الله، تتواكة، وغيرها. وتتميز سبخة إمليلي عن باقي سباخ الصحراء باحتوائها على أسماك تعيش في وسطها البيئي.

- سباخ إقليم السمارة :

في هذا الإقليم تقل السباخ، وتكاد تنعدم، ومن أهمها على الإطلاق سبخة الرجامية، تقع على بعد 60 كلم جنوب شرق السمارة، أخذت اسمها من العين التي تنبع منها وتغذيها حمولة مياه واد تادابيكت الذي تعتبر السبخة مصبا له.

تعد السباخ أهم الأحواض الملحية بالمنطقة ومن بين التضاريس البيئة التي تطبع المجال الصحراوي، لكن هشاشتها البيئية والاستغلال المفرط لها يعرضها إلى التدهور مما يجعلها تفقد طبيعتها البيئية الأولى.

ابن منظور، *لسان العرب*، ص. 469، حرف السين، ج 4، دار الحديث، القاهرة، مصر، 2003 ؛ محمد الغربي، *الساقية الحمراء ووادي الذهب*، ج 1، مطبعة دار الكتاب، الدار البيضاء، بدون تاريخ ؛ مولاي إدريس شداد وآخرون، جهة كلميم - السمارة، *ذكرى 12 قرنا في حياة مملكة*، سلسلة تاريخ جهات المغرب، منشورات عكاظ، الرباط، 2009 ؛ مولاي إدريس شداد وآخرون، جهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء، *ذكرى 12 قرنا في حياة مملكة*، سلسلة تاريخ جهات المغرب، منشورات عكاظ، الرباط، 2009 ؛ مولاي إدريس شداد وآخرون، جهة واد الذهب - لكْويرة، *ذكرى 12 قرنا في حياة مملكة*، سلسلة تاريخ جهات المغرب، منشورات عكاظ، الرباط، 2009.

Dresch, J., *Géographie des régions arides*, PUF, Paris, 1982 ; Gautier, E. F., Sahara Marocain (au), *Revue de Paris*, IV, 1910 ; Gharbaoui, Ahmed, *Géographie du Sahara marocain*, Casablanca, 1985 ; Furon Raymond, *Sahara* (géologie, ressources minières), 2ème éd. Payot, Paris, 1964 ; Rognon, P., Essai d'interprétation des variations climatiques au Sahara depuis 40.000 ans, *Revue de Géographie Physique et Géologie Dynamique* (2), vol. XVIII, fasc. 2-3, Paris, 1976 ; Rognon, Pierre, *Une biographie d'un désert* : le *Sahara*, L'Harmattan, Paris, 1994.

مولاي إدريس شداد

السباع (أولاد أبي -) من القبائل العريقة بالجنوب المغربي، تنسبهم المصادر التاريخية إلى ولي صالح يسمى عامر الهامل أبي السباع، الذي كان من أهل السياحة الصوفية يجول في مناطق اتوات ودرعة وجبال باني، إلى أن رمى عصا التسيار بجبال الأطلس الصغير حيث أقام في قبيلة آيت اصواب، وكان قد تزوج من قبيلة البرابيش الحسانية حيث انجب من ذلك ابنيه اعمر وعمران، ثم تزوج امرأة أخرى أنجب منها ابنه النومر، وكان صاحب كرامات. ولما توفي دفن على قمة جبل يتوسط منطقة آيت اصواب يدعى اضاد انميدن، حيث مزاره إلى اليوم. أما أبناؤه فيوجد مزارهم بقرية تگاوست (لقصابي) قرب مدينة گلميم من الجهة الغربية، ومن هؤلاء انحدرت بطون وأعراش كونت قبيلة أولاد أبي السباع الذائعة الصيت، التي تعتبر من القبائل التي ناصرت قيام دولة السعديين انطلاقا من منطقة تاكمدارت بدرعة نحو حوز مراكش، وكان ذلك من أسباب تمركز القبيلة في مناطق تغسريت وبوجمادة (إقليم شيشاوة) وعلى الطريق الرابطة ما بين مراكش والصويرة، كما يوجدون بعبدة ودكالة والشاوية إثر قيامهم بالجهاد ضد الغزو الإيبيري خلال القرن السادس عشر الميلادي / 10 هـ. وآنذاك برز منهم صلحاء وعلماء ومجاهدون مثل سيدي عبد الله بن ساسي البوسبعي، وسيدي امحمد السباعي دفين عبدة، وسيدي عمارة بعبدة وسيدي اعلي أمعاشو بالشياظمة، وسيدي سعيد لمعاشي بالشاوية وغيرهم كثير. ومن العوامل التي ساهمت في انتشار السباعيين قوة عصبيتهم والجفاء الذي كان يحدث بينهم وبين ملوك عصرهم فيؤدي بهم ذلك إلى التنقل من مواطنهم الأصلية، وكان ذلك من عوامل تسربهم إلى الصحراء نحو مناطق الساقية الحمراء وتيرس وبلاد شنقيط، ناهيك عن عامل الجهاد المذكور سابقا، حيث كانوا من أوائل من واجه المد الاستعماري البرتغالي في منطقة الساقية الحمراء وحسبنا هنا أضرحة أولاد أبي السباع السبعة قرب مدينة السمارة.

كما عرفت هذه القبيلة حركة علمية وأدبية خاصة خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر وبداية القرن العشرين تمثلت في المدارس العلمية العتيقة والعلماء المفتين والشعراء في كل من سوس (المدرسة البعارية، مدرسة سيدي سعيد الشريف، مدرسة أهل واعزيز) والصحراء (أهل سيدي محمد التشيتي السباعي، مدرسة القاضي بن اعلي أمم، أهل معينية) وفي حوز مراكش (أهل عبد المعطي، السعيدات، أولاد المومنة) وفي دكالة (الزاوية التونسية) وغيرها، حيث ساهموا في نشر الفقه الإسلامي والدراسات القرآنية وفي تزويد المساجد والمدارس بالقراء والفقهاء والقضاة. وقد ساعد النسب الشريف وتعلم العلم على نجاح أولاد أبي السباع في التجارة العابرة للصحراء، حيث شكلوا ما أسماه الشيخ سعد بوه بـ "قنطرة البقاع" ما بين السودان الغربي والمغرب الأقصى. وكانت بضاعتهم تتكون من الكتب والورق وريش النعام والزرابي وأواني الشاي والسكر، ولعبوا أدواراً طلائعية في التجارة الصحراوية خاصة خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حيث نجد تجارا منهم في كل من الداخلة وگلميم وإليغ وشنقيط وأطار وتشيت وگاوة ونيورو (في مالي) وفي اللوكة وسان لوي (بالسنيغال)، لذلك كانوا من أول القبائل التي تعاملت مع التجار الأجانب، كما كانوا من أول من ادخل السلاح الناري إلى الصحراء، آنذاك سيبسط أولاد أبي السباع هيمنتهم على الساقية الحمراء ووادي الذهب وزمور، ولن تتراجع تلك الهيمنة إلا سنة 1910 حيث تحالفت بطون الرگيبات ضدهم، ولذلك نزح العديد من أولاد أبي السباع من المنطقة إما نحو موريتانيا والسنغال أو نحو داخل المغرب.

وإبان مقاومة الاستعمار، شارك العديد من المجاهدين من هذه القبيلة في حركة المقاومة في معارك أم التونسي وشرواط وانوانيبو وغزي يشعث وغزي وادان وغزي تگانت. كما ساهموا في التوعية بخطر الاستعمار وفي نقل أخبار الحركة الوطنية من داخل المغرب بفعل مراسهم التجاري وتنقلاتهم الدائمة.

وعلى المستوى الاجتماعي ربطوا علاقات تحالف وتواد مع العديد من القبائل ذات الثقل المحلي مثل تكنة والرگيبات وأولاد دليم وإيد يشل، كما دخلوا في مواجهات مع قبائل أخرى بفعل المنافسة التجارية والتوسع المجالي إثر تنامي قطعان الماشية التي كانوا يملكونها وهيمنتهم على أهم الأسواق بآدرار التمر وإينشيري والساقية الحمراء وتيرس وفي ثغر الداخلة، حيث كانوا من أول القبائل التي أبرمت اتفاقيات تجارية مع التجار الكناريين الأسبان وذلك عند مقدم الضابط الإسباني بونللي Bonelli إلى شبه جزيرة الداخلة حيث تلاقى مع شخصيات سباعية كان على رأسها أحميدة السباعي وعبد العزيز ولد المامي السباعي اللذين وقعا الاتفاقية التجارية التي بموجبها يجلب السباعيين الصوف والمواشي والفحم والخشب من الداخل نحو الداخلة لينقل إلى جزر الكناري، وبالمقابل يزود الإسبان أولاد أبي السباع بالسكر والشاي والأثواب والبنادق.

كما حاول أولاد أبي السباع ممارسة زراعة الحبوب بمناطق الساقية الحمراء وإيمريكلي ونكجير، ونتج عن ذلك خلافهم مع أولاد تيدرارين حول حيازة أرض إيمريكلي (بإقليم بوجدور) الشيء الذي قادهم إلى القضاء حيث أفتى الطالب ولد اطوير الجنة بأحقية أولاد أبي السباع في حيازة تلك المنطقة الزراعية، فقاموا ببناء بعض الدور هناك وجوار حاسي أردال، خاصة عائلة أهل امبيريك. وفي قصبة الدورة شمال واد الساقية الحمراء، التي شيدتها قبيلة الزرگيين خلال القرن التاسع عشر، كان القائد مولاي أحمد ولاد الشيگر يتملك دارا ومارس التجارة عبر الصحراء قبل أن يذهب إلى حوز مراكش حيث عينه السلطان قائدا على أولاد أبي السباع بمنطقة بوجمادة بالحوز.

ونجد اليوم مقابر ومزارات لأولاد أبي السباع في مختلف مناطق الساقية الحمراء ووادي الذهب، فهناك أولاد أبي السباع السبعة جوار ضريح سيدي أحمد

العروسي على الضفة اليسرى لواد الساقية الحمراء، وهناك سيدي عزوز في ناحية گلتة زمور، والقاضي يحظيه ولد عبد الباقي عند ليتيمة شمال بوجدور، وعبد الوهاب عند بئر دومس وبجواره أحميدة بن الحاج، والعلامة محمد بن سيدي محمد السباعي عند اگـليب لكرامة، والولية الصالحة عائشة بنت احميدة، بمنطقة تيرس، وسيدي الجمودي بمنطقة تاولكت (إقليم الطرفاية).

واليوم نجد أولاد أبي السباع في مجمل الأقاليم الصحراوية، ناهيك عن وجودهم في موريتانيا ومالي والجزائر وليبيا وفي الشرق الأسط، وفي المهجر بأوربا وأمريكا. فهم مولعون بالرحلة والتجارة وتحصيل العلم.

محمد بن عبد العظيم الزموري، *تقييد في نسب الأشراف*، مخطوط بالخزانة الوطنية، الرباط، رقم D 1512 ؛ عبد الله البكري، *تقييد في نسب الأشراف*، مخطوط في حوزة صالح بنبكار، آسفي ؛ أحمد بن محمد العشماوي، *التحقيق في النسب الوثيق*، مخطوط بالخزانة الوطنية، بالرباط، رقم 1094 د ؛ والد بن خالنا الديماني، *كتاب الأنساب*، مخطوط في حوزة أحمد سالم عبد الودود بالنواكشوط ؛ محمد ابن إبراهيم السباعي، *البستان الجامع*، مخطوط بالخزانة الوطنية، تحت رقم 1340 د ؛ الشيخ سعد بوه، *تقريظ الأسماع في الذب عن بغض أبناء أبي السباع*، تحقيق، عبد العزيز بن الطالب موسى، الرباط، 2004 ؛ مربيه ربه بن عبد العزيز، *الغطارفة الكرام من أبناء أبي السباع الأعلام*، مخطوط في حوزة مؤلفه بقرية وجاه - إقليم تزنيت ؛ عبد الله بن عبد المعطي، *الدفاع وقطع النزاع عن نسب الشرفاء أبناء أبي السباع*، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1940 ؛ محمد السباعي، *نصرة الشرفاء في الرد على أهل الجفاء*، المطبعة الحجرية، فاس، ب. ت ؛ عمر العلاوي، *تحفة الأحقاب فيما لاستقرار السباعيين في شيشاوة من أسباب ومالهم وللشيشاويين الركراكيين في العلم والجهاد من أقطاب*، بحث مرقون في حوزة مؤلفه بمدينة شيشاوة ؛ مولاي حسن كفناني، *قبيلة أولاد أبي السباع خلال القرن التاسع عشر*، رسالة جامعية، كلية الآداب بالرباط، 1988 ؛ الحبيب أرسموك، *إزاحة الغشاوة عن تاريخ الحركة العلمية بإقليم شيشاوة*، الوراقة الوطنية، مراكش، 2001 ؛ الحاج الأحسن البعقيلي، تبيين الأشراف، المطبعة العربية، الدار البيضاء 1358 ؛ المختار بن حامد، *موريتانيا، الجغرافيا*، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994 ؛ محمد المختار السوسي، *المعسول*، 20 جزءا، مطبعة النجاح بالدار البيضاء، ومطبعة تطوان، 1960 - 1962 ؛ أحمد بن الشمس، *النفحة الأحمدية*، مطبعة الجمالية، القاهرة، 1330 ؛ محمد سالم بن عبد الحي، جوامع *المهمات في أمور الرقيبات*، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1992 ؛ محمد دحمان، *الترحال والاستقرار من خلال دراسة سوسيو تاريخية لأولاد أبي السباع*، أطروحة لنيل دكتوراه في علم الاجتماع بكلية الآداب بالرباط، 2003 - 2004.

Caro Baroja, Julio, *Estudios Saharianos* I.E.A. Madrid, 1955 ; Emilio Bonelli, *El Sahara*, Madrid, 1887 ; Bonefous, Capitaine, Une tribu marocaine en Mauritanie : Les oulad Bou Sbaa in *Bulletin de la S. Geog. Et d'Arch. d'Oran, tome 1 septembre – décembre, 1929, 249 – 267* ; Pierre Bonte, *L'Emirat de l'Adrar*, Thèse de doctorat d'Etat, E.H.E.S.S, Paris, 1998, 2600 pages ; Diaz Bullon Galo, Los Ulad Busba del Sahara, in : *Africa*, N° 37 – 38, Enero-Febrero, 1945, p. 40 – 44 ; Domenech Lafuente, *Algo sobre Rio de Oro*, Mardid, 1946 ; Martin, H. Les tribus du Sahel Mauritanie et du Rio de Oro : Les Oulad Bou Sba, in : *Bulletin de l'I.F.A.N*, Avril – Juin, N° 2 – 3, 1939 Dakar, p. 587 – 629 ; Théodore Monod, Une traversée de la Mauritanie Occidentale de Port Etienne à Saint – Louis, in : *Revue de géographie physique et de géographie dynamique*, Mars – Juin, 1929, p. 1 – 40 ; P.Pascon, *La Maison d'Iligh et l'histoire sociale du Tazerwalt*, SMER, Rabat, 1984 ; Perrigault, Jean, *On se bat dans le désert*, L. Fournier, Paris, 1933 ; Ghislaine Lydon. *On trans-Saharan trails : Islamic Law, Trade Networks, and Cross-Cultural Exchange in Nineteenth Century Western Africa*, Cambridge, U.S.A, 2009, 498 pages.

محمد دحمان

السباعي (الشيخ -) ولد **إبراهيم**، هو إبراهيم الخليل بن محمد بن سيدي أحمد بن الطالب محمد ينحدر من فخذة أولاد عمران من قبيلة أولاد أبي السباع، ولد بمنطقة واد نون سنة 1810، حيث شب وترعرع ودرس في المدارس العلمية العتيقة في سوس، وكان زواجه الأول بواد نون حيث أنجب ابنه البكر سيدي أحمد. وكان من كبار التجار الذين ربطوا بقوافلهم ما بين سوس والسودان الغربي حيث كانت له علاقات مع "دار إليغ" وهناك تزوج مرة ثانية ليرحل إلى مدينة تيشيت في الأربعينيات من القرن التاسع عشر حيث شكلت هذه المدينة مركزا تجاريا بالنسبة له ما بين مالي والمغرب. وقد اعتمدت تجارته على نوعية معينة من البضائع التي كان ينقلها من المغرب إلى السودان مثل : الزرابي والأواني النحاسية والبراد ومختلف معدات الشاي، وكان من أهم بضاعته الكتب والورق التي طالما نقلها من المغرب إلى موريتانيا الشرقية ومالي، هذا ناهيك عن المتاجرة في ريش النعام.

وأثناء إقامته بتشيت تزوج الشيخ بن إبراهيم الخليل من امرأة من قبيلة مَاسْنَة، تسمى فاطمة سري منت انيابة، وكانت فقيهة ومن عائلة عريقة لا تزال حاضرة إلى اليوم في بلدة نيورو، إلى جانب ذلك كانت هذه المرأة تمارس التجارة ولها العديد من القوافل والعمال والحراطين، وقد أنجب منها ستة من الأبناء وبعض البنات. وبفضل هذه المرأة فتح الشيخ بن إبراهيم الخليل شبكة من العلاقات التجارية والروحية مع مناطق عديدة من مالي انطلاقا من مكان إقامته بتيشيت. كما ربط علاقات مع الحاج عمر تال وأيضا كان من أنصار الشيخ حماه الله التجاني. وقد التحق به في تيشيت ابنه سيدي أحمد القادم من واد نون، وبقيت العلاقات ما بين هذه الأسرة وموطنها الأصلي بالمغرب مستمرة.

توفي الشيخ بن إبراهيم الخليل بتشيت سنة 1890، حيث انقطع التواصل، ونزح أبناء هذا الرجل من تيشيت إلى نيورو ثم باماكو، ولا تزال ذريتهم هناك إلى اليوم، وتعد هذه الشخصية من الرجال الذين ساهموا في التواصل ما بين المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء في فترة حرجة من تاريخ التغلغل الاستعماري في البلاد المغربية.

تحريات ميدانية قمنا بها مع سليمان ولد سيدي أحمد بن الشيخ بن إبراهيم الخليل، أحد حفدة هذا الشيخ بانواكشوط، 2001.

Paul Pascon, Le commerce de la maison d'Iligh d'après le registre comptable de Husayn b.Hachem (Tazerualt-1875) in : *Annales. Economies, sociétes, civilisations, N° 1, Janvier*, 1980, p. 700 – 730 ; Paul Pascon, *La maison d'Iligh et l'histoire sociale du Tazerualt* SMER, Rabat, 1984 ; Ghislaine Lydon. *On Trans-saharan Trails : Trading Networks and Cross-Cultural Exchange in Western Africa*, 1840 – 1930, Ph.d. Department of History. Cambridge USA, 2009.

محمد دحمان

السباعي، إبراهيم الخليل هو المقاوم إبراهيم الخليل ولد سيدي علي ولد سيدي محمد، من قبيلة أولاد أبي السباع، ازداد سنة 1896 / 1317 بمنطقة حوزة التابعة لإقليم السمارة حاليا، عاش ضمن قبيلة ركيبات الشرگ، فكان يلازمهم منذ صغره في سائر مناحي الحياة، وشارك معهم في معظم المعارك التي خاضوها ضد الاستعمار الإسباني، كما شارك مع جيش تحرير الجنوب المغربي.

أنجب ولدين هما : خناتة منت إبراهيم الخليل والمقاوم علي ولد إبراهيم الخليل السباعي (1929 - 1998 الموافق ل 1350- 1419)، الذي سار على نهج أبيه في التصدي للاستعمار الاسباني، بحيث قاومه بشدة وعزيمة، وترك بصماته في تاريخ المقاومة الصحراوية.

توفي المقاوم إبراهيم الخليل ولد سيدي علي (الأب) بالسمارة سنة 1973، قبل أن تتحرر الصحراء من الاستعمار الإسباني سنة 1975.

مندوبية المقاومة وجيش التحرير فرع السمارة ؛ *مقابلة مع أحفاده*، وسعود عبد الله السباعي، السمارة والعيون، 2010.

مولاي إدريس شداد

السباعي، أحمد بزيد بن **العالم** : هو أحمد بزيد بن إبراهيم الخليل بن الحبيب بن سيدي محمد بن العالم، ينحدر من الطالب بوبكر بن أدميس السباعي. ولد بمنطقة تيرس بإقليم آوسرد سنة 1915 / 1333، وهي السنة المعروفة محليا بـ "عام وفاة الشيخ سعد بوه". أما والدته فهي هند بنت خد الدميسية السباعية. نشأ داخل أسرة عريقة، ولما بلغ السادسة من عمره بعثه والده إلى الكتاتيب لحفظ القرآن الكريم. فلما أنهى دراسته القرآنية قرأ بعض علوم الدين الأخرى كالعقيدة والفقه، وقرأ بعض علوم اللغة العربية. ولما بلغ السنة الثانية عشرة من عمره تعلق بحياة التحصيل العلمي والمعرفة، فأعانه والده على ذلك فألحقه بمحضرة العلامة الشبيه بن محمد عبد الله بن أبوه اليعقوبي (ت. 1360) التي قضى فيها ثلاثة عشرة سنة، وقد رغب والده في مجاورة هذا العالم حتى يكمل ابنه دراسته، وحافظ أحمد بزيد على مجاورة هذه المحضرة بل رعايتها، فقام عليها حتى توفي شيخه الشبيه بن أبوه.

وقد تركزت دراسته في علوم اللغة والفقه والآداب والأخلاق، وتبحر في علوم التجويد والرسم. كما أصبح شاعرا وأديبا خلف ديواناً شعريا عكس مقدرته الأدبية. ورغم علمه الواسع لم ينتصب أحمد بزيد للتدريس كما كان يفعل بعض العلماء من معاصريه، نظرا لانشغاله بالعمل السياسي والاجتماعي، وإقامته بموريتانيا إبان الاحتلال الأجنبي، حيث ناضل في حركات التحرير السياسي الوطني حتى استقلال موريتانيا عن فرنسا سنة 1960، ثم اتجه للعمل الاجتماعي حيث كان ميسور الحال، إلى جانب تخصيص جانب هام من وقته للإبداع الشعري والمشاركات العلمية. وقد كان على الطريقة الصوفية القادرية التي أخذها على يد الشيخ سيد محمد الحمدي التاگنيتي الذي كان يقطن في ضواحي بوتيلميت بمكان يدعى "الميسر" بموريتانيا. وقد أشاد بهذا الفقيه مجموعة من العلماء والشعراء منهم العلامة المختار بن محمد موسى اليعقوبي، والفقيه محمد عبد الرحمان بن الشيخ عبد العزيز بن الرباني التندغي دفين الداخلة.

من الأعمال الأدبية التي خلفها أحمد بزيد نجد ديوانا شعريا مهما تم تحقيقه بجامعة انواكشوط سنة 2005.

توفي في 15 ربيع الثاني سنة 1408 / 1987.

أحمد سالم ولد عبد الودود، *إماطة القناع عن شرف أبناء أبي السباع*، مرقون في حوزة مؤلفه، انواكشوط ؛ الدرجاله بنت عبد الفتاح، *ديوان أحمد بزيد بن العالم السباعي* : جمع وتحقيق، بحث لنيل شهادة المتريز في الآداب، جامعة انواكشوط، 2004 / 2005 ؛ *رواية محمد عبد الله بن الشبيه*، انواكشوط ؛ *رواية حفيد الشاعر* سيد محمد بن بد، انواكشوط، 2004 ؛ *تحريات ميدانية* قمنا بها صيف سنة 2009 بانواكشوط.

السباعي، أحمد سالم ولد سيد **أحمد** ولد عبد الرحمان ولد صنبة المعروف بـ "الطرنيش"، ولد السنة المعروفة بـ "عام النجمة"، أي سنة 1880 بمنطقة بوگطرة في منتجعات إينشيري، ينتمي لفخذ أولاد أحميدة من قبيلة أولاد بسباع. كان زعيما حربيا خبيرا بمكائد الحروب مما أهله لخوض الكثير من المعارك، وكذلك أخوه خطري ولد صنبة الذي كان من رموز مقاومة الاحتلال الفرنسي والإسباني. ولما قتل والده غدرا بالساقية الحمراء، لم يقبل بالدية المغلظة وهي (700 رأس من الإبل) وإنما هاجر منطقة الصحراء نحو واد نون حيث نزل بأرض تكنة وبدأ في الاستعداد للأخذ بالثأر من الجناة. وفي الآن نفسه كان يمارس المقاومة المسلحة رفقة مجموعة من المجاهدين أمثال أبيب ولد صمبة، أحمد ولد بحاي، افظيلي ولد اعل ولد لحسن، أولاد الكوري وهما إخوة والده سيد أحمد من الأم وأبناء عمه، وعبد الودود ولد اطير، ومحمد الحسن ولد عبد الرحمن. هكذا يخلق أحمد سالم ولد صمبة (الطرنيش) دينامية جديدة في مقاومة الاحتلال نهاية العشرينات من القرن العشرين وبداية الثلاثينيات مما جعل الإدارة الاستعمارية في موريتانيا تتخذ مجموعة من الإجراءات عن طريق أعيان الركيبات وأولاد بسباع من أجل استقطاب

(الطرنيش) نحو الجنوب، حيث جاؤوا به إلى السنغال وتم استقباله من طرف الفرنسيين وأبناء عمومته وشخصيات بارزة من ارگيبات وتم الصلح بضغوط فرنسية وبعث الفرنسيون رجلا يسمى حسن ولد علوش إلى أسرة أحمد سالم في جنوب المغرب ونقلوها بحرا من المغرب إلى السنغال ومن ثم إلى موريتانيا برا، وتم تكليف أحمد سالم من طرف الفرنسيين بمنطقة اينشيري بصفته زعيما لفخذ أولاد أحميدة من قبيلة أولاد بسباع. فعاش أحمد سالم بقية حياته في موريتانيا.

توفي بتاريخ 11 أكتوبر 1964، حيث دفن بمدينة أنواكشوط.

الرائد جلبيه، *التوغل في موريتانيا*، ترجمة، محمدو ولد حمينا، دار الضياء ؛ حيمودة ولد خطري ولد صمب، *نماذج من المقاومة الوطنية*، أنواكشوط، 2010 ؛ *مقابلة مع الراحل الحافظ ولد صمب*، أنواكشوط، صيف سنة 2001.

Lafuente Domenech, *Algo sobre Rio de Oro*, Madrid, 1946.

محمد دحمان

السباعي (مولاي -) **أحمد** بن **الشيگر** هو مولاي أحمد بن سيدي محمد بن سيدي عبد الله المعروف بالشيگر، فخذ أولاد البگار من قبيلة أولاد أبي السباع، ومن مواليد بداية القرن 19م / 13هـ، مات والده وهو في سن صغيرة فتحمل مسؤولية إخوته من بعده، ولما بلغ الحلم نزل واد نون والساقية الحمراء ومارس التجارة التي أهلته لاكتساب نفوذ وجاه وتواصل مع القبائل الصحراوية، وانكب على طلب العلم على عدة علماء بالمغرب وموريتانيا وتنبكتو.

هذه الشخصية لها مكانة في تاريخ المغرب من حوز مراكش إلى الأقاليم الصحراوية الجنوبية بل تعدت شهرته إلى بلاد شنقيط وتنبكتو بمالي، ترك بصماته على قبيلته أولاد أبي السباع بالخصوص وقبائل الصحراء على العموم، وذلك بورعه وحنكته التجارية والسياسية والاجتماعية والعلمية، مما دفع بالسلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام العلوي (بويع سنة 1238 / 1822) إلى الاستعانة بخدماته، إذ وجد فيه الدعامة المتينة لإعادة الأمن والاستقرار في منطقة "السيبة" الممتدة ما بين الصويرة ومراكش، حيث اضطربت الأوضاع وعمت الفوضى داخل القبائل إثر قنبلة السفن الحربية الفرنسية لمدينة الصويرة سنة 1844.

وقبل هذا التعيين كان مولاي أحمد بن الشيگر تاجرا يجول بلاد واد نون والساقية الحمراء وبلاد شنقيط وتمبكتو كم تذكر المصادر، ومنها ما جاءت به الباحثة الأمريكية غزلان لايدن (Ghyzlaine Lydon) عن شخصية هذا الرجل والأهمية الإستراتيجية للتجارة الصحراوية آن ذاك. تقول بهذا الصدد : "إنها هجرة مكثفة لأولاد أبي السباع نحو غرب إفريقيا منذ بداية القرن 19م عندما أقام مولاي أحمد بن الشيگر من أولاد البگار بمدينة وادان وبدأ التعاطي للتجارة البعيدة المدى ما بين وادي نون وتنبكتو، في نفس الوقت الذي كان يتابع فيه دروس الشريف مولاي إبراهيم بن مولاي البخاري، ويوطد علاقته مع هذا الفقيه الصوفي ويتزوج ابنته المسماة "دماحة". وبعد ذلك سيغادر مولاي أحمد ولد الشيگر وادان في اتجاه تنبكتو. وبعد سنوات من الممارسة التجارية ما بين وادي نون، ووادان، وتنبكتو (خلال الأربعينيات من القرن 19م)، سيعود مولاي أحمد بن الشيگر إلى حوز مراكش ويساهم في الجهاد ضد الفرنسيين الذين قنبلوا الصويرة ويحاول تهدئة روعة القبائل الحوزية. هكذا عين المولى عبد الرحمان العلوي مولاي أحمد بن الشيگر سنة 1260 / 1844، قائدا على أولاد أبي السباع بالرغم من رفضه المبدئي لتقلد المنصب، إذ لم يقبله إلا بعد وعد من مولاي عبد الرحمن بإقالته بعد إصلاح الأمور وإعادة الأوضاع الأمنية إلى طبيعتها في المنطقة. فلما تحقق ذلك وطلب من مولاي عبد الرحمن إعفاءه من منصبه غضب السلطان لذلك".

وقد أضاف الباحث مولاي حسن كفناني عن شخصية هذا القائد السباعي ما نصه : "... وكان تاجرا يتردد كثيرا على الصويرة لبيع ريش النعام، وبيضه، وغبرة الذهب، وغير ذلك من البضائع المستقدمة من تنبكتو. وكان فقيها جليلا على جانب كبير من التقوى والورع، ولم تكن له ميولات للخدمة المخزنية، وإنما أرغمه مولاي عبد الرحمن على تسيير أمور القبيلة السباعية نظرا لصلاحه واستقامته".

كما أورد الشيخ المصطفى الأبييري الموريتاني نبذة عن حياة مولاي أحمد بن الشيگر نقلا عن حفيده الأستاذ عبد الوهاب بن الشيگر السباعي، جاء فيها ما نصه :

"ولد مولاي أحمد بن الشيگر في أهله في بلاد المغرب، ومات والده وترك له أخوات يتيمات، ولما بلغ الحلم نزل مدينة وادي نون المغربية يصحب معه أنواعا من السلع، ومارس التجارة ليحصل على مال عريض، وأعان أخواته اليتيمات، وانكب على طلب العلم وأخذه عن الشريف مولاي إبراهيم. ثم تزوج بنت شيخه مولاي إبراهيم، (...) وارتحل بأخواته وبأموال تجارته عن بلاد المغرب متوجها إلى تنبكتو، وثوى بها، فنظم شؤون إدارة تجارته، وتابع دراسته لعلوم الشرع، فصحب أجلاء علماء تنبكتو، وأخذ عنهم العلم، وواظب على ممارسته التجارة، وبعدما تضلع من العلم خصوصا الفقه المالكي وعلم الكلام والتوحيد، رجع إلى وطنه وأهله بالمغرب بعلم واسع، ومال هائل، فأثبت لعلماء المغرب صحة رأيه في العقيدة السنية، (...) وبعد وقت من الزمن دعا الناس إلى جهاد الحامية الفرنسية وطردها من مدينة الصويرة التي هي من بلاد المسلمين، فوافقته قبيلة أولاد أبي السباع وقبائل أخرى من سكان تلك الناحية من بلاد المغرب، فحاصروا مدينة الصويرة حصارا طويلا [...] ثم اقتحموها واستولوا على ذخائر أسلحة الفرنسيين، وأموال حامية الجنود الفرنسيين، وأخرجوهم نهائيا من مدينة الصويرة. ثم اتصل مولاي أحمد بن الشيگر بالسلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام، فعينه قائدا على أولاد أبي السباع المقيمين بنواحي مراكش، فقام بأعمال دينية وخيرية، وساس البلاد التي يتولى قيادتها وأهلها

أحسن سياسة، فبنى المساجد والمدارس في القرى والمدن، وبذل وسع جهده في إنجاز المصالح العامة والخاصة، فأسقط العشر عن المعلمين، وفتح أبواب المساجد، وأكثر من بناء المدارس في أحياء وقرى قبيلة أولاد أبي السباع في بلاد المغرب كمدرسة السعيدات، ومدرسة العنقاوي، ومدرسة بلخير من أولاد عمران، ومدرسة الأمين من أولاد عيسى، ومدرسة سيدي عمر العزوزي، ومدرسة ابن عبه من أولاد إبراهيم، ومدرسة سيدي الضوء من أولاد المؤمنة، ومدرسة عبد المعطي وغيرها، فنهض التعليم والعلم في أيام قيادته نهضة انتشر نفعها في بلاد المغرب وغيره. وبعد الاحتلال الفرنسي لبلاد المغرب وجد الفرنسيون في قبيلة أولاد أبي السباع أكثر من عشرين مدرسة تدرس فيها مختلف فنون العلم. إن قيادة مولاي أحمد بن الشيگر الرشيدة على قومه التي أنجز فيها ما ذكرنا من المصالح العامة والخاصة كانت في القرن الثالث عشر الهجري في أيام سلطان المغرب مولاي عبد الرحمن بن هشام. وبعد أن استعفـي مولاي أحمد من القيـادة سافـر من المغرب على متن سفينة بحرية نحو بيت الله الحرام قاصدا تأدية فريضة الحج ومعه المصلوحـي البقـاري، ومحمـدو بن محمدي العلوي الشاعـر الموريتاني الشهير، والعالم محمد بن السوداني السباعـي، وذلك حوالـي سنة 1250، وبعد تأديتـه مناسك حجه وزيارتـه قبر جده محمد رسول الله (ص) آب إلى وطنه وأهلـه بالمغرب، ثم ارتحـل منه إلى الصحراء واستقر بها وحضر حرب سيدي امحمد الكنتـي التي دارت رحاها بين سكـان الساحـل من كنته وسكان الصحراء الموريتانية من أولاد أبي السباع، وشاهد مولاي أحمد بن الشيگر يوم گـور أگنيفيده سنة 1282 / 1865".

ويعد مولاي أحمد بن الشيگر أول قائد سباعي عين بظهير مخزني على قبيلته بعد أن ظل السباعيون في تبعية إما لباشا القصبة بمراكش أو لقائد الشياظمة على غرار غيرهم من قبائل الدير والجبال.

يقول العالم المؤرخ محمد بن إبراهيم السباعي في مخطوطه (سيف النصر ...) حول ظروف تولية مولاي أحمد بن الشيگـر على القبيلة السباعية آنذاك : "إن سبب تولية مولاي أحمد على قبيلته قضية السويرة (...) حيث اختلط أمر القبائل (...) جبره مولانا عبد الرحمان قدسه الله على الولاية، ووعده أنه يخرجه منها عند صلاح الأمر. وحيث تم سد تلك الثلمة، وانجبر ما انصدع، سأله التخلي كما وعد به فغضب السلطان حتى ظهر الغضب في وجهه، وقال له : يا فتى، الناس يروننا، ويظنون فرحنـا بهذا الملك، لمكان نيلنا منه شهواتنا ومستلـذاتنـا، ووالله الذي لا إله هو لولا أنني خشيت مواخـذة الله لي بحق المسلمين إن فسدوا بتركي إياهـم، لانسخلت من هذا الملك، ولحقت بموضع أشتغل فيه بإصلاح خاصة نفسي...".

وكان السلطان المولى عبد الرحمان العلوي دائم الاتصال بهذا القائد البارز، يستشيره في كل الأمور كما جاء في كتاب "*الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*" هذا نص رسالة السلطان المولى عبد الرحمان : "محبنا الفقيه مولاي أحمد السباعي، السلام عليكم ورحمة الله، وبعد، فقد استفهمت جانبنا أمر الذين توجههم لجباية الزكاة هل يعطون أجرتهم منها أو من غيرها ؟ وهل الزكاة تؤخذ بأعبائها غنما وإبلا أو نأخذ القيم ؟.. ما بينت فاسلك في ذلك كله جادة الشريعة وصميمها، فإن جاءك من جانبنا كتاب يخالفها، فلا تعمل بمقتضاه والسلام".

وقد عمل هذا القائد على لم شمل القبيلة، بعد أن شتتها القواد الخارجيون، كما مكن قبيلته من الحصول على ظهير شريف تملكت بموجبه أرض بوجمادى وتغسريت سنة 1261 / 1845، وحصلت على خمس ماء وادي القهرة سنة 1270 / 1849 الذي كان يتحكم فيه سكان قبائل سكساوة وادويران. وهذا الامتلاك للأرض وحصة من الماء كانتا من بين العوامل الأساسية في استقرار أولاد أبي السباع في بلاد الحوز، بعدما كانوا مجرد عزب ورحل ما بين الصحراء والحوز (بوجمادى ـ تغسريت)، يمارسون التجارة أو الرعي.

وهكذا فاستقرار السباعيين ببوجمادى ومجون (حوز مراكش ـ إقليم شيشاوة حاليا)، لم يتحقق بالنزاعات مع القبائل التي كانت تقطن المنطقة قبلهم (متوگـة ومزوضة)، ولا بالصراع مع المجموعات التي تتوافد على المنطقة من فترة زمنية إلى أخرى (كتكنة وأولاد الدليم)، بل إن ذلك الاستقرار لم يصبح واقعا ملموسا حتى حصل السباعيـون على ظهير حيازة الأرض مختوما من قبـل السلطان عبد الرحمان. وهكذا صار للقبيلـة سند قانوني يضمن استقرارها ويعمل المخزن بمقتضاه على تصفيـة النزاعات التي كانت تظهر من حين لآخر بين السباعيين وجيرانهم خاصة في اقتسام المياه والأراضي الرعويـة.

ومن أعماله على القبيلة، أنه بادر إلى حفر ساقية (تاسباعيت) لتحويل قسط من مياه وادي بوعنفير إلى منطقة تيغسـريت واستغلاله في الزراعـة. كما عمل على إحياء المدارس العلميـة خاصة بعد ركودها لفترة من الزمن بحيث كان يمدها بهبات لطلبة مر العلم والعلماء المقيمين عليها.

توفي مولاي أحمد بن الشيگر في أواخر السبعينيات من القرن 19م / 13هـ بمنطقة "لحفر" بأرض الساحل.

محمد بن إبراهيم التكرور السباعي، سيف *النصر لدفع الإيهام وذكر موجب محنة ذرية مولانا* هشام، مخطوط بالخزانة الملكية بالرباط، مرقون تحت رقم 903 ؛ العباس بن إبراهيم التعارجي المراكشي، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، ج 2، المطبعة الملكية، الرباط، 1977 / 1397 ؛ مولاي حسن كفناني، *قبيلة أولاد أبي السباع خلال القرن التاسع عشر*، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ المعاصر، كلية الآداب، الرباط، 1987 / 1988 ؛ محمد دحمان، *الترحال والاستقرار من خلال دراسة سوسيو ـ تاريخية لقبيلة أولاد ابي السباع* (حالة المغرب وموريتانيا)، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب، الرباط، 2003 / 2004 ؛ صالح بن بكار السباعي، *الأنس والإمتاع في أعلام الأشراف أولاد أبي السباع*، منشورات الرابطة العالمية للشرفاء السباعيين، ط 2، مطبعة ووراقة داكـار، الرباط، 2005 ؛ سداتـي بـن الشيـخ

المصطفى الأبييـري، *إماطة القناع عن شرف أولاد أبي السباع*، ج 2، طباعة مكتبة آل الحاج أحمد السباعيين، نواكشوط، 1422 / 2001.

Lydon Ghislaine, *On Trans-Saharan trails, Trading Networks and Cross-cultural Exchange in Western Africa*: 1840s – 1930s, Michigan State University, USA, 2000.

السباعي (مولاي -) **أحمد الطاهر** بن عبد المعطي، هو مولاي أحمد المعروف بالطاهر (أو الطاهري بالجزائر) بن عبد المعطي بن أحمد بن محمد بن عبد المعطي بن علي بن إبراهيم بن يحي بن محمد بن عبد المولى، يعود نسبه إلى أولاد أبي السباع، من فخد أولاد عبد المولى بن غازي، وهم من الشرفاء الأدارسة. انتمائه العلمي متأصل إذ يعود إلى أسرة علمية عريقة "آل عبد المعطي"، يضرب بها المثل في شتى العلوم بقبيلة أولاد أبي السباع. قال الشيخ مولاي عبد الله بن عبد المعطي وهو أخو الشيخ مولاي أحمد ومعلمه في آن واحد : "ولد أخي النبيل والغطريف الأصيل بالقرية المعروفة بأولاد عبد المولى ببوجمادة (إقليم شيشاوة حاليا)، في محافظة مراكش عام 1325 / 1804 بعد استقرار والده في قرية أولاد عبد المولى وكان أبوه مولاي عبد المعطي شيخ عصره وفريد دهره آنذاك". لقد كان الشيخ بعد بروزه لعلم الوجود في حضانة أمه، وكفالة أبيه إلى خمس سنين من عمره. ثم توفي والده، وتولاه أخوه مولاي عبد الله بن عبد المعطي، الذي كان على درجة كبيرة من العلم حتى أصبح سيد العلماء في مراكش وأحوازها. رباه أخوه على أحسن تربية وأنشأه بالأخلاق الكاملة الزكية فلما رأى فيه علامة النجابة وتوسم فيه الفطانة والحذاقة واللبابة، ابتدأ له تعليم القران الكريم فيما يقرب السبع من السنين وفي العشر من عمره حفظه حفظ إتقان، وتوجه لطلب العلم، وقبل مجاوزته الرابعة عشرة من العمر تحصل على جملة من فنون العلم بتحقيق ويقين، تفقه في مذهب الإمام مالك بالخصوص، فتمكن فيه بالفروع وأدلتها القاطعة من القياسية والنصوص، فكان له في ذلك الباع الطويل والمقام العالي الجليل، وهكذا شأنه في جميع أنواع العلوم إذ كان نحويا بليغا منطقيا أصوليا مفسرا محدثا حسابيا فرضيا فقيهـا، ذا علم بالقراءات، وبالجملة فهو بحر ذاخر في شتى العلوم خطا فيهـا خطوات بجد واجتهاد حتى انتهى لمقـام الإفـادة والاستفـادة، ولما كان بذي المكانة والمقام تاقت نفسه للسلوك إلى الملك العلام بطريق السـادة الصوفية الأعلام فأخذ الطريقـة القادرية على أخيه الشيـخ عبد الله بن عبد المعطي فلقنه إياها وأجازه فيها بالإذن التـام.

أما عن ذكر شيوخه فهم متواترون ابتداء من أخيه الشيخ مولاي عبد الله الذي كان يعرف بسيد غالب العلماء في المغرب، وهو يعرف من نفسه التفوق على غيره ويدرك من علماء تلك الناحية أنهم دونه بمراحل فكان يشيد بنفسه تحدثا بنعم الله عليه وكان القضاة والمُفتون هناك يتحامونه، وإذا حضر ألقوا إليه الزمام وأجلسوه في صدر المجلس متفرغا للتدريس والإشراف على مدرسة والده بعد أخيه، حيث شهدت المدرسة في عهده ازدهاراً واسعاً ونشاطا علميا كبيرا.

أخذ الشيخ الفقيه مولاي أحمد العلم عن أخيه الشيخ مولاي عبد الله عن أبيه مولاي عبد المعطي عن أحمد بن مبارك الرسموكي عن محمد بن محمد الهلالي، عن الشيخ سيد أحمد بن محمد الميموني، عن الشيخ سيدي محمد بن يحيى، عن الشيخ أحمد الضحيكي عن الشيخ أحمد الصوابي عن الشيخ سيدي أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، عن الشيخ سيدي أحمد السكوتي، عن سيدي إبراهيم بن حسان الكودي الكوزاني عن الشيخ سيدي عبد الله الأهواز، عن الشيخ سيدي أحمد محمد بن أحمد النهرواني، عن الشيخ أبي الفتوح الطاووس عن الشيخ بابا موسى الهواري عن الشيخ بن شاد يخت الفارسي الفرعاني، عن الشيخ أبي لقمان يحيى بن عمار بن مقيل بن شاهان بن معمر الختلاني، عن الشيخ سيدي محمد بن يوسف البربري عن الشيخ يزيد بن محمد بن إسماعيل البخاري عن الشيخ المكي بن إبراهيم عن الشيخ يزيد بن عبيد الله عن الشيخ مسلمة بن الأكوع...".

ولما تجاوز الثلاثين من عمره غادر المغرب الأقصى وسبب ذلك هو نضاله في حزب الاستقلال ضد الاستعمار الفرنسي، إذ صارت كلمته مسموعة في وسط المجتمع المغربي فطاردته أيادي الاحتلال، فكانت أول محطاته بلاد شنقيط (موريتانيا حاليا)، وهي تزخر بالعلم والعلماء، أقام بها حوالي عامين مع أقاربه السباعيين وتصدر في المنطقة للتعليم والتدريس فتخرج على يديه علماء جهابذة نقاد. وكان أول من قابله عند نزوله شنقيط الشاعر الموريتاني محمد سالم بن أبوه اليعقوبي، الذي رحب بمقدمه بأبيات من الشعر رد عليه الشيخ بأبيات مثلها. ويقول تلميذه الشيخ الحاج امحمد الكنتي أن "الشيخ كان يتسمى باسم مخالف لاسمه الأصلي في كل منطقة يدخلها". فلقد اتخذ عدة أسماء في رحلته هذه، ففي موريتانيا لقب باسم أخيه "محمد الصغير" وهو أخوه الأكبر، وسمي في الجزائر باسم مولاي أحمد وهو اسم لأحد إخوته كذلك وذلك لإخفاء اسمه الحقيقي، وهذا ما يعطي الدليل على سبب خروجه من المغرب وهو مطارد من طرف الاستعمار الفرنسي أين ما حل وارتحل، إذ كانت منطقة المغرب العربي آنذاك تحت سيطرة الاستعمار الفرنسي.

كان الشيخ رحالة، يستعين في سفره بقوافل الإبل لعبور الصحاري لهدف واحد هو تعلم العلم وتعليمه وهذا يعبر عن إرادته وعزيمته القوية حيث يعتبر من العلماء المعاصرين الرحالة في وقت كانت فيه الطرق البرية صعبة السلوك جراء قطاع الطرق والاستعمار. فقد قطع مسافات تقدر بآلاف الكيلومترات بحثا عن العلم وصحبة العلماء. أما محطته الثانية في هذه الرحلة فكانت أرض تنبكتو بمالي، ففي هذه المدينة العلمية التقى بعلماء أجلاء أفادهم ونهلوا من علومه، وكانوا يتنافسون ويتشاجرون معه في العلوم ويمتحنهم ويمتحنونه، على ما جاء في كتاب إزاحة الغشاوة : "... فانتهى في تلك الوجهة إلى

أرض السودان فكان له برهان ساطع وعظيم شأن ثم منها إلى شنگيط فأقام فيها سنتين وتصدر للتدريس والتعليم ففتح على يديه رب العالمين وتخرج عليه هناك جهابذة نقاد فتح الله عليهم وأمدهم منه بكامل الأمداد وفي حال سياحته بأرض السودان ... اجتمع بأرض تنبكتو بعلماء أجلاء ذوي التحقيق والإتقان فتذاكروا في مسائل عديدة ونكت غريبة مفيدة فأخجلهم شأنه وأحجمهم بما انطوى عليه ذهنه وفي النهاية فاز عليهم فوزا عظيما وجه لهم أسئلة متعددة عجز القوم عن الإجابة عنها".

وفي 1356 / 1935 خرج الشيخ من أرض تنبكتو فارتفق بجماعة منها متوجهين إلى توات وكان ذالك في شهر ربيع الأول من ذلك العام وهذا حسب رواية مترجمه وتلميذه سيد الحبيب بن عبد الرحمان في الكتاب الذي ألفه الشيخ مولاي أحمد، كتاب "الدر المنظوم في شرح مقدمة بن أجروم"، حيث يرى أن دخول الشيخ توات كان عام 1356هـ . أما الشيخ محمد باي بلعالم وهو من تلاميذه كذلك، فيرى أن دخوله لم يكن في عام 1356، بل كان عام 1363 / 1944 والملاحظ أن كلا التاريخين يشوبهما الخطأ لأنهما لم يعتمدا الحجة والأدلة القاطعة لتدعيم رأييهما. وانتهى المطاف بالشيخ إلى منطقة توات فكان أول ما دخل إلى منطقة رفان ثم منها إلى سالي. ولقد كان من بين العلماء الذين أثروا تأثيرا واضحا على الحياة العلمية في منطقة توات بالجزائر، إذ حمل مشعل العلم الذي كاد ينطفئ في هذه البقاع بحكم الوجود الفرنسي، الذي عمل على طمس العلوم الدينية وحاربها بكل ما يمتلكه من وسائل، فظهر هذا العالم الجليل ليرد الاعتبار لهذه العلوم ويوصلها كأمانة على عاتقه إلى الأجيال بعده. وعرف هذا العالم في هذه المنطقة الصحراوية بالشيخ مولاي أحمد الطاهري السباعي الإدريسي الحسني.

وزاد في تعريف هذا العلامة مؤلف كتاب "*إزاحة الغشاوة عن تاريخ الحركة العلمية بإقليم شيشاوة*"، جاء فيه : "هو الفقيه الجليل العالم العلامة المدرس السيد أحمد الطاهر بن عبد المعطي لحسني الإدريسي السباعي كان رحمه الله عالما كبيرا ومدرسا مشهورا انتقل في بادئ أمره إلى ولاية أدرار بالجزائر وأسس هناك مدرسة علمية مشهورة حيث نشر العلم هناك وتخرج به الكثير من العلماء في توات والقطر الجزائري الشقيق وأنشأت هناك فروع لمدرسته وكثر هناك تلامذته واشتهر هناك بعلمه وتدريسه أعظم شهرة ومن بين تلامذته على سبيل المثال لا الحصر العلامة الجليل السيد محمد باي بلعالم بأدرار بالجزائر الذي زارنا جزاه الله خيرا صحبة نخبة من أبناء هذه الأسرة العالمة وزودني بمؤلفه (أي مولاي أحمد) القيم في علم الحديث الذي سماه كتاب *كشف الدثار على تحفة الآثار* وغيره من مؤلفاته في اللغة والفقه والعبادات والموارث من ذلك كتاب :

- كوكب الزهري، نظم مختصر الأخضري، وله الدرة السنية منظومة في علم الفرائض.
- اللؤلؤ المنظوم في نظم منثور لابن أجروم.

ومن تلامذته أيضا في الجزائر الأستاذ العلامة عبد العزيز سيدي عمر صاحب كتاب "*قطف الزهرات من أخبار علماء توات*" إمام مسجد مهدية ببلدية تيمي ولاية أدرار الجزائر.

فمولاي أحمد الطاهر خريج مدرسة عبد المولى المنتمية لأسرته العلمية آل عبد المعطي ببوجمادة (إقليم شيشاوة) التي تعد النواة الأولى لهذه الأسرة العريقة في العلم والتي أعطت تفرعات عدة خاصة في القطر الجزائري بولاية أدرار، حيث نجد : مدرسة ألف ومدرسة سالي ومدرسة تاسفون إضافة إلى المدرسة التي كان يُدرس فيها الشيخ مولاي أحمد الطاهر السباعي (مدرسة آل عبد المعطي)، التي تولى ابنه مولاي عبد الله بن أحمد الطاهر التدريس بها من بعده بتوات.

وفي فجر الاستقلال رجع مولاي أحمد الطاهر بن عبد المعطي إلى المغرب عن طريق المملكة العربية السعودية بعد أداء فريضة الحج واستقر بمراكش حيث كان يعمل أستاذا بمدرسة ابن يوسف ومحدثا بمسجدها الكبير.

توفي سنة 1982 / 1403 ودفن بجوار والده وإخوانه بمدرسة أولاد عبد المولى ببوجمادى، جماعة السعيدات، إقليم شيشاوة.

سيدي عبد الله بن عبد المعطي السباعي، *الدفاع وقطع النزاع عن نسب الشرفاء أبناء أبي السباع*، ط 1، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1940 ؛ محمد المختار السوسي، *المعسول*، 20 جزء، المطبعة المهدية، تطوان 1956 - 1960، ومطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1962 ؛ لشقر مولاي أحمد بن مولاي المامون السباعي، *الإبداع والإتباع في تزكية شرف أبناء أبي السباع*، ط 1، مطبعة الجنوب، الدار البيضاء، 1994.

السباعي، أحمد فال ولد **امبيريك** هو أحمد فال ولد امْـبَـيْريكْ بن أحمد فال بن عبد الله (گلاد) بن امحمد بن الطالب الحسن بن احميدة بن الحاج بن ادميس، من فخذ أولاد حميدة الدميسي. ولد في ق 19 / 13 هـ وقد ذكره سيدات بن المصطفى الأبييري قائلا في حقه ما يلي : "ومن فقهائهم (يقصد فخذ أولا احميدة من أولاد أبي السباع) الفقيه أحمد فال بن امْـبَـيْريكْ بن أحمد فال، وكان تعلم الفقه المالكي على العلامة الجليل محمد بن محمد سالم المجلسي، وفي مدة دراسته للفقه نسخ نسخا من مختصر خليل بن إسحاق في الفقه المالكي بخط قلمه الواضح الصحيح، وانتفع بالنسخ التي نسخ طلاب العلم من تلاميذ الفقيه العلامة المدرس محمد بن محمد سالم المجلسي، فشكره العلامة المدرس أحمد بن محمد بن محمد سالم على نسخه النسخ التي سهلت للتلاميذ حفظ نص مختصر خليل، ونسخ نسخة منه صحيحة لنفسه. وبعد أن درس من العلم على العلامة محمد بن محمد سالم المجلسي، رجع إلى أهله، وتصدر لتدريس العلم والإفتاء، فاشتهر في الناس بمعرفة الفقه حتى لقب بـ "الفقيه". وكان ورعا عابدا تقيا، حدث عن علمه وورعه وعبادته القاضي الإمام بن الشريف المجلسي،

وقال إنه جالسه وسامره وناقشه في مسائل من عويصات العلم، فقها، ولغة، ونحوا، ومسائل من قواعد المذهب المالكي، فوجده عارفا بالعلوم التي تدرس في بلاد شنقيط".

تتلمذ على يد علماء كبار منهم : محمد فاضل بن محمد بن أعبيدي القلقمي، ومحمد يحيى الولاتي، وأحمد بن البشير الغلاوي الشنقيطي. ومارس الفتوى مدة حياته واشتهر بنبوغه فيها واضطلاعه الفقهي المتمكن، إذ كانت القبائل البيضانية تتوافد عليه ليحسم بينها ويفض نزاعاتها.

وكان كثير الترحال وهذه خصوصيات أهل التصوف اللذين يجولون الصحراء بحثا عن الخلوة والتزهد ورفقة العلماء الأجلاء والنهل من علمهم وأخلاقهم السمحاء. واستقرت به الأوضاع بأرض الساحل (إقليم بوجدور حاليا) حيث مارس الزراعة بگراير إمريكلي الأبيض والأحمر، أراضي زراعية في ملكية قبيلته. وبهذه الأرض المعطاء وافته المنية، وتم دفنه بمنطقة أمات ابديديز (إقليم بوجدور) في أواخر ق 19 م / 13 هـ.

ابن الشيخ المصطفى الأبييري، *إماطة القناع عن شرف أولاد أبي السباع*، ج 2، مطبعة مكتبة آل الحاج السباعيين، نواكشوط، 2001 ؛ محمد دحمان، *الترحال والاستقرار من خلال دراسة سوسيو - تاريخية لقبيلة أولاد ابي السباع : حالة المغرب وموريتانيا*، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2003 / 2004.

مولاي إدريس شداد

السباعي (أبو -) **إسحاق ابراهيم** بن علي الدرعي، أحد رواة الحديث في الجنوب المغربي، ولد بمنطقة درعة سنة 1034، نشأ بها فأخذ عن الشيخ أبي عبد الله بن ناصر وغيره. ورحل إلى فاس فأخذ عن عبد الرحمن بن القاضي وعبد القادر الفاسي كما لقي محمد بن سعيد المرغيتي واستفاد منه. وأجاز له أبو سالم العياشي بفهرسته. ورحل إلى المشرق فأخذ عن شيوخ كثيرين في مقدمتهم ابن سليمان الروداني وابراهيم الكوراني وعيسى الثعالبي وغيرهم كثير. ثم عاد لدرعة وتصدر للتدريس في الزاوية الناصرية بتامگروت، فأخذ عنه أبو العباس بن ناصر والشيخ موسى بن ناصر، وغيرهما من أبناء الزاوية المذكورة وطلبتها. وله فهرستان : الأولى إجازة طويلة شملت ذكر مروياته وأسانيدها وقد أجاز بها بعض أبناء بني ناصر، وعبد الله الحوات العلمي، وسماها الشموس المشرقة بأسانيد المغاربة والمشارقة. أما الثانية فهي مجموع إجازات شيوخه له وبينها مجموعة من الفهارس التي أجازه بها هؤلاء الشيوخ.

عبد الله المرابط الترغي، *فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة*، منشورات كلية الآداب بتطوان، 1999 ؛ *الجواهر المرصعة بأعلام درعة*، تحقيق، لحبيب نوحي، رسالة د.د.ع. بكلية الآداب بالرباط.

محمد دحمان

السباعي (سيدي -) **امبارك** بن **أحمد** باب بن الشيخ المختار الدميسي عالم جليل، وشيخ تربية، وسليل أسرة علمية أبا عن جد، فوالده أحمد باب من العلماء العاملين، وجده الشيخ المختار بن أحمد كان من العلماء البارزين، ويكفي أن نذكر هنا أنه تتلمذ على يديه الفقيه الجليل عبد المعطي السباعي الفقيه النحرير مؤسس مدرسة أولاد عبد المولى العتيقة ببوجمادة. والشيخ المختار هذا قد قدم من الصحراء إلى مراكش في عهد السلطان مولاي عبد الرحمان، فأكرم وفادته ورفع مكانته وأولاه عناية خاصة إثر إصابته بمرض عضال توفي على إثره، فدفن بمقبرة باب دكالة، وقبره مشهور مزار.

وقد كان سيدي امبارك مهابا رئيسا في قومه، وقد أخذ الطريقة القادرية عن الشيخ ماء العينين. له آثار علمية من أهمها *نزهة العيون في المفروض والمسنون*.

توفي سنة 1359.

محمد عبد الله ولد بزيد، *معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي*، منشورات سعيدان للطباعة والنشر، تونس، 1996 ؛ صالح بن بكار السباعي، *الأنس والإمتاع في أعلام الأشراف أبناء أبي السباع*، مطبعة وراقة داكار، الرباط، 2005.

عبد العزيز ابن الطالب موسى

السباعي، البشير بَيْرَة هو البشير ولد محمد ولد إبراهيم الخليل ولد أحمد ولد بيرة، المعروف عند العامة بالبشير بيرة، ينتمي إلى قبيلة أولاد أبي السباع، فخذ المثلوثة، عرش أهل الطالب الطاهر. ولد في سنة 1355 / 1934 بمدينة الداخلة واد الذهب، وترعرع في كنف أبيه محمد ولد إبراهيم، الذي لقنه مبادئ الدين والاعتماد على النفس والتحلي بالأخلاق العالية، مما مكنه أن يتقلد مشيخة قبيلته أولاد أبي السباع. وفي عهد الحماية الإسبانية أبقته هذه السلطات على رئاسة وزعامة قبيلته، إذ كان يمثلها في الجمعية العامة لتسيير شؤون الصحراء الغربية.

يعد من كبار رموز رجالات المقاومة الصحراويين المشهود لهم ببطولاتهم ضد الاستعمار الإسباني بالصحراء، عرف بروحه الورعة ونضاله المستميت ضد المحتل، فقاوم جنبا إلى جنب مع شخصيات ورجالات المقاومة وجيش التحرير، نذكر منهم على الخصوص المقاوم صالح الجزائري الذي ذكر الفقيه في كتاباته، وما كان يتسم به من شجاعة وتفاني ونضال من أجل تحرير وطنه من الغزاة الأجانب، كما أشاد بخصاله الحميدة والإنسانية، لأنه كان رجل صلح وإصلاح بين القبائل، ولكونه كذلك تاجرا معروفا لدى العامة والخاصة، بالإضافة إلى مكانته الاجتماعية ونسبه الشريف.

كما يشهد له التاريخ موقفه المصيري والصمودي ضد المخطط الإسباني الذي كان يهدف من خلاله إلى تقليص وتحجيم قبائل أخرى. إلا أنه فطن إلى مكيدة المعمر فوقف هو وشيوخ قبائل أخرى ندا في وجه هذا المخطط، فتم إحباطه مما ألزم المعمر على إبقاء

تراتبية وتصنيف القبائل كما هي، أي على شاكلتها الأولى دون إقصاء أي طرف.

توفي سنة 1399 / 1978 بمدينة العيون. وترك خمسة أبناء : ثلاث ذكور وبنتين وهم : عبد اللطيف وبابا أحمد وعبد الرحمان وفاطمة وعزيزة. ومباشرة بعد وفاته تولى ابنه البكر عبد اللطيف بيرة مشيخة قبيلة أولاد أبي السباع بالصحراء، إذ مثلها في كل المحافل الدولية منها والوطنية كتحديد الهوية، وهو الآن عضو فعال بالمجلس الملكي الاستشاري للشؤون الصحراوية.

صالح بن بكار السباعي، *الأنس والإمتاع في أعلام الأشراف أولاد أبي السباع*، ص. 92، ط. 1، مطبعة دار وليلي، مراكش، 2000 ؛ مولاي إدريس شداد ومحمد دحمان، *الشرفاء أولاد أبي السباع*، مصادر ومراجع، مطبعة ابن زناسن، سلا، 2002 ؛ *الرواية الشفوية* لابنه عبد اللطيف بيرة، وسعود عبد الله.

مولاي إدريس شداد

السباعي، الحضرمي بن الشيخ **محمد الأمين** هو العالم الفقيه المحقق والأصولي المقرئ المدقق السيد الحضرمي بن الشيخ محمد الأمين بن الشيخ أحمد بن محمد بن مصطفى بن مولاي عاشور بن مولاي مبارك بن اكريم من قبيلة أبناء أبي السباع، وأمه هي الشريفة الفاضلة ربيعة بنت الشيخ محمد فاضل بن الشيخ مامين، أخت الشيخ ماء العينين.

ولد يوم الثلاثاء مقيلا سابع المحرم سنة 1270 الموافق 11 أكتوبر 1853، ودرس جميع العلوم على خاله الشيخ ماء العينين ولازمه وانتفع به وأخذ عنه الطريقة وأجازه إجازة تامة مطلقة في علمي المعقول والمنقول وأذن له في إعطائها لمن شاء. وكان عالما بعلوم القرآن وبقراءاته السبع متبحرا في المفهوم والمنطوق وفي علوم الحديث، مما جعل الشيخ ماء العينين يأمره بتدريس أبنائه القرآن الكريم، فتخرج على يديه جلهم وصدر كذلك "كثيرا من الحفاظ والمهرة في كتاب الله". وكان الشيخ ماء العينين يستشيره في كثير من أموره ويقول له "أقول لك ما قال سيدنا عمر في سيدنا علي اللهم إني أعوذ بك من معضلة ليس لها أبا الحسن"، لما كان يتصف به من رجاحة عقل ورباطة جأش وحنكة رأي وتثبت في الأمور، أشار إلى ذلك الشيخ مربيه ربه في قوله : "كان الشيخ الحضرمي رجلا عاقلا حاذقا كيسا عالما حافظا للقرآن تقيا اتخذه شيخنا رضي الله عنه معلما لأولاده القرآن الكريم وغيره وقد أجاز بعضهم في قراءة نافع وأعطي من ملكوت التعليم ما لم يعط لغيره كسهولة الطبع والموافقة حتى إن بعض الصبيان قبله يجزم من كان يعلمه بعدم أهليته للتعليم وأنه لا يحصل على طائل فيأتيه ولم يلبث أن يجازيه في القرآن ويفتح الله عليه فيه وفي غيره من العلوم". وهذا ما يؤكده الشيخ أحمد الهيبة بن الشيخ ماء العينين قائلا : "جازى الله عنا معلمنا العالم العامل الأنجد السيد الشيخ الحضرمي بن الشيخ أحمد أحسن الجزاء، فإن تعليمه، إنما كان بالزجر وعصر الأذن والمراقبة والتهديد مع عدم الفعل وإمساك الصبي بعد تسريح الصبيان ونحو ذلك. ومن هذا حفظ ما شاء الله على يده خلق كثير منهم جل أبناء شيخنا الشيخ ماء العينين رضي الله عنهم وحفظهم. وقد استفدت من الثقات أن عصر الأذن مما يؤدي للفهم. وكان يزجرنا بقوله : "اقرؤوا الله يفتح عليكم" ودعاؤه مقارن لزجره، فالصبي يظن الدعاء عليه وهو له فحصل الزجر والدعاء، وكان حلفه للصبيان : بالله الذي لا إله إلا هو إن الله هو الرحمان الرحيم".

في سنة 1885 شارك في معركة الداخلة وأبلى فيها بلاء كبيرا ضد أول بعثة إسبانية إلى الصحراء المغربية بقيادة إيميليو بونيلي (Emilio Bonelli) الذي نزل يوم 3 نوفمبر وتمكن من بناء ثلاثة أكواخ خشبية وحاول ربط علاقات تجارية مع القبائل، لكن الشيخ ماء العينين تصدى لهذه المحاولة وأعطى أوامره لقبائل الساحل من أولاد الدليم والعروسيين بعدم التعامل مع الحامية الإسبانية وحثهم على مهاجمة هذا المركز الذي أقامه. في يوم 9 مارس هاجمه رجال القبائل واقتتلوا مع النصارى "وهزموهم وغنموا غنائم كثيرة وقتلوا أشخاصا ولم يمت أحد من المسلمين ودخل النصارى البحر منهزمين ولله الحمد".

وفي سنة 1906 شارك في معركة النيملان التي حقق فيها المجاهدون الصحراويون والشناقطة انتصارا كبيرا على القوات الفرنسية بقيادة الأمير مولاي إدريس بن عبد الرحمان الذي انطلق من مدينة السمارة ومعه جيش يتكون من حوالي سبعمائة رجل "ولديهم أكثر من ستمائة بندقية سريعة الطلقات ولما وصل إلى مشارف آدرار انضم إليه كثير من القبائل كأولاد أبي السباع ومشظوف ومجموعات من قبائل الشوكة بآدرار فضلا عمن انضم من قبائل البراكنة وتكانت والرقيبة والحوض". والتقوا في النميلان واحتدم القتال بينهم الذي استمر خمس ساعات. "وضاق الخناق على الفرقة الفرنسية ولم تزل المعركة تسعر والفارس مع قرنه يصطدم حتى كادت الحراب تستخدم بالأيدي وثبت المجاهدون ثباتا عظيما. عندئذ شرعت الفرقة الفرنسية في التقهقر إلى الوراء والاحتماء ببعض الصخور الكبيرة وفوجئ الضابط الفرنسي بالرصاص المتدفق من الأسلحة ذات الطلقات السريعة ووجد نفسه تحت لهيب بنادق جماعة المريدين، وفي أعقاب المعركة وفرار فلول المنهزمين اعترض طريقهم المجاهد محمد المختار بن الحامد الكنتي في كوكبة من فرسانه وقضى على بقيتهم، وقد استشهد في صفوف المجاهدين نحو ثمانين فردا وجرح نحو ثلاثين جريحا".

في سنة 1909 انتقل مع الشيخ ماء العينين إلى مدينة تيزنيت وبعد وفاته وتولى الشيخ أحمد الهيبة حركة الجهاد شارك معه في مختلف تحركاته وجولاته وشهد بعض المعارك ضد الفرنسيين من أشهرها معركة سيدي بوعثمان. وبعد رجوعه إلى سوس ظل يرافقه في كل المناطق التي نزل بها يجاهد ويقاوم وخاض معه معارك كمعركة آكلو واشتوكة وتيزنيت ووجان واستقر معه في كردوس وكان يستشيره في كثير من أموره ويعمل برأيه سيرا على نهج والده الشيخ ماء العينين. وبعد وفاة الشيخ

أحمد الهيبة سنة 1919 ظل مع أخيه الشيخ مربيه ربه من بعده يخوض المعارك ضد الفرنسيين ويوجه وينصح ويرشد، صامدا، ثابتا في مواطن المقاومة والجهاد لم تضعف عزيمته ولم تهن قوته.

قال عنه الشيخ أحمد بن الشمس : "المشارك المروض لنفسه في بدأيته ونهآيته المكاشف الشريف الأريحي محمد الحضرام بن الشيخ محمد الأمين بن الشيخ أحمد معلم البعض من أبناء شيخنا القرآن الكريم وبعض العلم، فإنه جاهد في بدآيته مجاهدة ما رآيت من جاهدها".

توفي يوم الجمعة ثالث ذي الحجة سنة 1345 الموافق 5 يونيو سنة 1927 بكردوس وبه دفن.

ماء العينين الحضرام، *إفادة الأقربين في التعريف بذرية شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، خزانة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تزنيت ؛ الشيخ أحمد الهيبة بن شيخنا الشيخ ماء العينين، *سراج الظلم فيما ينفع المعلم والمعلم*، مخطوط، خزانة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تزنيت ؛ الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين، *قرة العينين في كرامات شيخنا ماء العينين*، مخطوط، خزانة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تزنيت.

ماء العينين النعمة علي ومولاي إدريس شداد

السباعي، حمود بن إبن **عمار** (الملقب أعريرة) بن لمخيطير ينحدر من فخذ الدميسات من قبيلة أولاد بسباع، والدته هي خديجة بنت عبد العزيز بن أبهاه، ولد بمنطقة تيرس بإقليم آوسرد سنة 1885 / 1303، درس القرءان في طفولته كعادة الأطفال في زمانه، أما دراسته للعلوم الأخرى من فقه وعلوم لغة وغيرها فقد جاءت في العقود المتأخرة من عمره حيث انكب على تحصيل العلم من بطون الكتب وخاصة الكتب المالكية. وكان رحمه الله قد أخذ الطريقة القادرية على الشيخ ماء العينين القلقمي ثم جددها في آخر عمره على الشيخ سيد محمد. اشتهر بالفروسية ومكارم الأخلاق. ومن حيث الكتابة فإنه ألف كتابين في الفقه أولهما هو موضح الغوامض من علم الفرائض على المنظومة المسماة منارة الأفكار، المطبوع الطبعة الثانية سنة 2004 بأنواكشوط ؛ وثانيهما هو كتاب مصباح السالكين في نهج علوم الدين.

توفي رحمه الله عن عمر ناهز الثمانين سنة، عام 1970 / 1388 بمدينة أكجوجت في موريتانيا.

حمود بن اعريرة، *موضح الغوامض من علم الفرائض*، نشر اعزيزي ولد المامي، الطبعة الثانية، مطبعة المنار، 2004 ؛ محمد دحمان، *الترحال والاستقرار من خلال دراسة سوسيو ـ تاريخية لقبيلة أولاد بسباع*، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب بالرباط، 2004 ؛ يحيى بن البراء، *الفتاوى الكبرى*، المجلد الثامن : الأنكحة، أنواكشوط، 2009.

محمد دحمان

السباعي، سلامي (ولد ـ) **الحبيب**، هو محمد سالم المكنى بسلامي ولد الحبيب ولد محمد المصطفى ولد السيد ولد عبد الوهاب، من فخذة الحاج دميس (الدميسات)، وعرش أهل الطالب الطاهر المثلوثة، ولد سنة 1328 / 1907 بقرية أولاد جرار نواحي تزنيت، وتيتم وهو في بطن أمه بعد أن استشهد واله في معركة ضد الاستعمار الفرنسي، ولما بلغ سن الرشد انتقلت به أمه إلى الصحراء حيث الاستقرار والتشبع بالعلوم الدينية.

تعلم في عدة محاضر وتلقى علوم الفقه والدين على يد شيوخ كبار وأجلاء منهم محمد الأمين ولد خطاري العلوي وغيرهم من علماء الصحراء من مختلف القبائل سباعيين واغلاليين وتجكانيين. فظهر نبوغه في حفظ القرآن الكريم وتفسيره المحكم، كما تمكن من ضبط العلوم الدينية من فقه وأصول وحديث، وكان يتقن اللغة العربية وآدابها بالإضافة إلى الفلسفة الإسلامية كعلم الكلام والتصوف والمنطق، وهذا يظهر جليا في كتاباته ومخطوطاته التي ترك منها الكثير في حوزة ابنه الأديب والشاعر والصحفي الإذاعي سيداتي السلامي المعروف بلقبه المشهور "ذاكرة الصحراء" وهو الذي أنجبه من ابنة الشيخ الولي ابن الشيخ ماء العينين السيدة تفرح.

كان الشيخ سلامي رجلا مزواجا، إذ تزوج ثمانية نساء تركوا له عدة أولاد منهم على الخصوص سيداتي والشيخ لكبير وعبد المعطي ووهيلة والدرجالها والنزيهة والزوينة وفطمتو.

ولقد عرف الشيخ بورعه وزهده في الدنيا في كل بقاع الصحراء من موريتانيا إلى تندوف مرورا بالصحراء المغربية أي الساحل، كما كان يعتبره الجميع ملاذا ومرجعا في فك النزاعات بين القبائل. واشتغل أيضا بالتجارة التي مكنته بالاحتكاك مع مختلف القبائل المتاخمة مما زاد في صيته.

ومن أولاده الذين استمروا على نهج أبيهم ابنه البار سيداتي السلامي ولد الحبيب الذي ولد سنة 1362 / 1941 بمنطقة نـگجير، كف بصره وهو ابن السنة الثانية من عمره لكن الله عوضه ببصيرة حادة في حفظ القرآن والشعر والأدب العربي والحساني. إذ حفظ القرآن وهو ابن اثنا عشر سنة على يد علماء وشيوخ أجلاء منهم محمد البيرة ومحمد فية البركة بن خطري ومصطفى ولد صنيبة ومحمدو ومحمد حمنا ولد ماء العينين ومحمد عبد الله التيدراريني، وأجازه في القرآن الشيخ محمد لمام ولد الشيخ ماء العينين وماء العينين العتيق وأحمد فال ولد بيمين والسعد ولد الشيخ حسنا ومحمد ولد عبد الله الغلاوي وغيرهم. ثم درس النحو والفقه والأدب واللغة والتاريخ والفلسفة الإسلامية على يد علماء وأساتذة أجلاء منهم أحمد حبيب الله ولد بوه ولعبدة وله بيمين وماء العينين يحجبو وغيرهم.

شارك كذلك في جيش التحرير وقاوم الاستعمار الإسباني، وفي سنة 1962 التحق بإذاعة العيون، واشتغل بها كمنسق للقسم الخاص بالحسانية والدين والأدب، وحاز سنة 1972 جائزة وشهادة تقديرية بإسهامه في أول برنامج متلفز في لاس بالماس، فإنه كان يتقن اللغة الإسبانية.

وبعد استقلال المناطق الصحراوية بقي يشتغل بالإذاعة الجهوية بالعيون إلى أن تقاعد، كما عين عضواً في المجلس العلمي بالعيون سنة 1986، وهو عضو نشيط

بمنظمة المكفوفين الإسبانية. وله عدة مشاركات في ملتقيات ومؤتمرات دولية ووطنية ومحلية، كما له إسهامات في حقول الآداب والشعر والتراث الحساني، وبحوزته موروث خاص به في فترة مزاولته للصحافة المسموعة بالإذاعة والتلفزة الجهوية يتجلى في انتاجاته وبرامجه الثقافية والأدبية سواء منها في الشعر الحساني او التراث المحلي.

ويعتبر من أكبر شعراء الصحراء وله إنتاجات شعرية جمعها في ديوان من ثمانية عشرة جزءا استمر في جمعها لأكثر من ثلاث وعشرين سنة، وله كذلك مخطوطات تاريخية وتراثية عن المنطقة، ويعد مرجعا هاما بالصحراء خاصة لدى الباحثين في التراث الصحراوي.

توفي سلامي ولد الحبيب أب سيداتي السلامي (ذاكرة الصحراء) سنة 1407 / 1985 بالعيون.

لشقر مولاي أحمد بن مولاي المامون السباعي، *الابداع والاتباع في تزكية شرف أبناء أبي السباع*، ط. 1، مطبعة الجنوب، الدار البيضاء، 1994 ؛ صالح بن بكار السباعي، *الأنس والإمتاع في أعلام الاشراف أولاد أبي السباع*، ص. 92، ط. 1، مطبعة دار وليلي، مراكش، 2000 ؛ *الرواية الشفوية* لسيداتي السلامة لحبيب بالعيون.

مولاي إدريس شداد

السباعي، سيد أحمد بن **الطالب** موسى هو سيد أحمد بن عبد الجليل بن عبد الله بن الطالب موسى بن عبد الله بن الطالب اعلي بن امحمد بن الحاج بن دميس بن عبد الوهاب بن عبد المنعم بن سيدي اعمارة بن إبراهيم بن أعمر بن عامر الهامل (المكني بأبي السباع). فقيه حافظ، عرف بالورع وحسن الأخلاق والكرم، حفظ القرآن وبعض المتون على يد أبيه الفقيه عبد الجليل الذي كان له الفضل في تكوينه وتربيته.

ولد سنة 1900 ببئر انزران بتيرس بالصحراء، ارتحل أبوه مع بعض من أبناء عمومته إلى أحواز مراكش واستقر بهم المقام بدوار النص بمنطقة تيغسريت، قرب سيدي المختار، والتي تعتبر هي وبوجمادة ملكية جماعية لأبناء أبي السباع، ومن أهم الأسر التي كانت تقطن معهم أهل مولاي المامون، من أولاد الحاج (منهم الفقيه العلامة مولاي المامون وابنه أحمد لشقر السباعي)، وأهل بزيد من أولاد المومنة (جدهم العالم الجليل القاضي ولد اعلي أمم)، وأهل اعلية من انبوبات (ينحدر منهم الرئيس الموريتاني السابق اعل ولد محمد فال والرئيس الموريتاني الحالي محمد ولد عبد العزيز)، وأهل أحمد الطيب من أولاد عزوز.

كان شعاره في الحياة أن يعيش بعمله، حيث احترف التجارة كسائر أبناء عمومته. وقد راكم خبرة كبيرة في المواد التي تجلب من الصحراء وغرب إفريقيا، فضلا عن المواد والمنتوجات المغربية، وخاصة الزربية السباعية. وقد لعب دورا تجاريا هاما ما بين شمال المغرب والصحراء وموريتانيا والسنغال.

وقد استقر به المقام بمدينة گلميم، بحي القصبة، ثم بحي لقصر. خلف من الأبناء امبارك وهو فقيه حافظ، وله عقب، وسالم وكان منخرطا في المقاومة. توفي ولم يعقب.

توفي سيد أحمد سنة 1988، ودفن بگلميم.

صالح بن بكار السباعي، *الأنس والإمتاع في أعلام الأشراف أبناء أبي السباع*، مطبعة وراقة داكار، الرباط، 2005 ؛ *مقابلة شفوية* مع امبارك ابن الطالب موسى، بگلميم.

عبد العزيز ابن الطالب موسى

السباعي، عبد العزيز ولد **المامي** من قبيلة أولاد أبي السباع وبالضبط من فخذة الدميسات، ينحدر من صلب محمد بن ادميس بن عبد الوهاب بن عبد المنعم بن عمارة بن عزوز بن إبراهيم بن اعمر بن عامر الهامل الجد الجامع لقبيلة أولاد أبي السباع.

عاش في وسط وأواخر القرن 19 الميلادي، وكان موطنه الأصلي هو بلاد تيرس أي واد الذهب حاليا، وهذه الربوع كانت مرتعا ومجالا لقبيلتي أولاد الدليم وأولاد أبي السباع. وكان شيخا على قبيلته، كما عرف بعلو الهمة والشهامة، وكان فقيها وزعيما في آن واحد. وهذه الشخصية دخلت التاريخ بتوقيعها معاهدة الحماية مع المحتل الإسباني.

وفي هذا الإطار تم بتاريخ 28 نونبر 1884 إبرام عقد بين بونيلي (Emilio Bonelli)، ورئيس الشركة الإفريقية الإسبانية وعدد من شيوخ قبائل واد الذهب، بقصد تأسيس ثلاثة مواقع لإرساء السفن الإسبانية بالداخلة، Puerto Badi Madinat Gatell. وينص الاتفاق على أن القبائل الصحراوية الموقعة على المعاهدة قد "سلمت لبونلي كافة المنطقة المسماة أوديب بالرأس الأبيض من الساحل، لكي تكون تحت الحماية الوحيدة للحكومة الإسبانية...". واستنادا على هذا العقد أصدرت إسبانيا مرسوما بتاريخ 26 دجنبر 1884، ينص على أن جلالة الملك "... قضى بتأكيد العقود الموقعة أمام بونيلي، وبوضع أراضي سواحل إفريقيا الغربية تحت حماية الحكومة الإسبانية...". وعلى إثر ذلك أرسلت اللجنة الجغرافية الإسبانية ممثلين عنها إلى المنطقة لإبرام مزيد من العقود مع شيوخ القبائل الصحراوية. وقد توجهت أول بعثة سنة 1886 برئاسة Jose Alvarez Perez، وكانت تهدف إلى الاتصال بالقبائل ما بين واد درعة ورأس بوجدور. وقد توصل هذا الأخير إلى إبرام عقود مع قبائل إزرگيين وآيت موسى بتاريخ 10 ماي 1886، أكدت فيها قبولهما للحماية الإسبانية.

أما البعثة الثانية فترأسها ثربيرا (Cervera) وكيروگا (Quiroga) وريثو (Rizo)، وصلت إلى الصحراء بتاريخ 14 ماي 1886، ونهجت نفس المنهج، مبرمة عقود الحماية مع شيوخ القبائل المتاخمة بالصحراء، وجاء في تقريرها : "أن كافة التراب الموجود بين الشواطئ المملوكة لإسبانيا بالمحيط الأطلسي من رأس بوجدور إلى الرأس الأبيض والحدود الغربية لأدرار، تعد مملوكة لإسبانيا ابتداء من اليوم...". يجب هنا الإشارة إلى أن بونلي صرح لدى رجوعه إلى إسبانيا بتاريخ 7 أبريل 1885، أنه "بكافة التراب

الصحراوي يوجد فقط شيخان يتمتعان بالاعتراف التام للقبائل الصحراوية هما عبد العزيز ولد المامي وأحمد محمد ولد العايد"، هذا الأخير هو أحد شيوخ إقليم آدرار بموريتانيا.

إلا أن معاهدة 28 نونبر 1884، لم توقع إلا من طرف شيخ قبيلة أولاد أبي السباع عبد العزيز ولد المامي، بينما لم يرد ذكر محمد ولد العايد.

عبد الفضيل اكنيديل، *الأوجه القانونية الدولية للصحراء المغربية*، مطبعة الرسالة، الرباط، 2006.

Barbier, M., Le Sahara Occidental et le Droit International, in : *Colloque de Massy*, 1978 ; Bonelli, Emilio, *Nuevos territorios españoles de la Costa deI Sahara*, Fortanet, in 8°, Madrid, 1885 ; Bonelli, Emilio, Relaciones con las tribus del Sahara Occidental, *Rev. De G. Com. Y Merc*., t. l, Madrid, 1903 ; Campos, Torres, L'Espagne en Afrique, in : *RDILC* (*Revue de Droit International et de Législation Comparée*) T. 24, 1892 ; Flory, M., L'avis de la Cour Internationale de Justice sur le Sahara Occidental, in : *AFDI (Annuaire Français de Droit International*), 1975 ; Gaudio, A., *Le dossier du Sahara Occidental*, Paris, 1978 ; Valle, Ch., L'affaire du Sahara Occidental devant la Cour Internationale de Justice, in *MM*, T. 71, 1976.

السباعي، عبد الله بن **عبد المعطي**، هو سيدي عبد الله بن عبد المعطي بن أحمد بن محمد بن عبد المعطي، من فخذ أولاد عبد المولى (قبيلة أولاد أبي السباع)، ولد بصحراء شنقيط (موريتانيا حاليا) بمكان يقال له تيرس الشرقيــة عام 1310 / 1889. أخذ العلـم عن والده عبد المعطــي بن أحمـد مؤسس مـدرسـة أولاد عبد المولى ببوجمـادة إقليم شيشـاوة حاليـا، وقد لقبـه أبوه ب "التكرور الصغير" نسبــة للعالم الكبير محمد بن إبراهيم التكـرور السباعي (شيخ الجماعة) الذي شاع صيت علمه وفتاويه في كل من مراكش وفاس، وكان من أكبر علماء المغرب آنذاك.

وقال في حقه محمد المختار السوس، أحد تلامذته الكبار، ما يلي : "محمد بن عبد الله بن عبد المعطي، هذا الأستاذ من أساتذتي غير السوسيين، لأنني بعد أن أخذت عن أستاذي سيدي عبد الله بن محمد الألغي وعن الأستاذ الصالح سيدي أحمد بن مسعود في (بونعمان) وعن العلامتين سيدي الطاهر بن محمد وولده سيدي محمد التحقت بما وراء (الأطلس) في أواخر سنة 1336 فأخذت عن أستاذي سيدي عبد القادر السباعي وصنوه سيدي الضوء بمدرستهما بـ (الساعدات)...". "وأما شيخنا المترجم (أي عبد الله بن عبد المعطي) فهو علامة جهبذ. مشارك بحاثة. وليحمل القارئ أوصاف كلها على حقيقتها. وهو أكبر من أخيه محمد الصغير شأوا في كل العلوم. وكفى والده شرفا أنه تخرج به. كان إبان أخذه عن والده في إكباب غريب. وفي سهر لا تغمض معه عين بوسن غالب الليالي. فكان والده يسميه التكرور الصغير. تشبيها له بالأستاذ محمد بن إبراهيم التكرور السباعي الفقيه المشهور إذ ذاك. وقد صدق فيه حدس والده. فهو اليوم سيد غالب العلماء بأحواز (مراكش) في المشاركة. وفي الاستحضار وخصوصا في الجزئيات الفقهية. فلـولا أبنـاء سيدي العربي ب (الساعدات) ولـولا القاضي الضوء المومني، لقلت إنه فريـد لا نظير له فـي كـل القبائــل الحوزيــة. وكان يعرف من نفسه حق المعرفة هذا التفوق ويدرك من علمــاء تلك الجهة أنهم دونه بمراحل...".

اشتهر سيدي عبد الله بن عبد المعطي بالعلم والتدريس والإفتاء في كل من حوز مراكش وسوس وشنقيط. حفظ كتاب الله حفظا وإتقانا ورواية ونهل من مختلف العلوم بمدرسة أبيه بأولاد عبد المولى، والتي ما زالت إلى يومنا هـذا يشـع نورهـا يأتيهـا الطلبــة من كل حدب وصوب.

اشتغل بالتدريس في مدرستهم المشهورة (مدرسة عبد المولى)، ودرس وتعلم على يده كثير من أبناء المغرب المنتشرين في جميع أنحاء المعمورة والمتقلدين لأسمى المناصب، ومنهم :

- العلامة الكبير محمد المختار السوسي، كان وزيرا للأوقاف العمومية في أول حكومة بعد الإستقلال في عهد محمد الخامس ثم وزير التاج في عهد الحسن الثاني ؛ القاضي الفقيه علي بن عبد الرحمان السباعي، المفتي المشهور، أحد أعلام مراكش في العلم والمعرفة ؛ الفقيه الحاج الطاهر بن عبد المعطي ؛ الفقيه عبد المعطي بن عبد الجليل السباعي ؛ الفقيه سيـدي عبـد السلام بـن عزوز السبـاعي العباسي ؛ الفقيه سيدي محمد بوشبوك (أكَـادير) ؛ الفقيه السيـد الحبيب اللمطي القاضي المشهـور بأكَـاديـر ؛ الفقيه الأستاذ سدات ماء العينيين محامي بهيئة مراكش ؛ الفقيه الأستاذ أبو بكر الجراري ؛ الفقيه الأستاذ أحمد بن محمد بن عزوز الرحماني بالمحكمة الإبتدائيــة بمراكش ؛ الفقيه الحاج عبد المعطي بن عبد الله ؛ الفقيه عبـد الوهاب بن عبـد الله ؛ الفقيه عبد الرحمــان بن عبد الله ؛ الفقيه إبراهيم بن عبد الله (إمام وخطيب).

وقد خلف أحد أبرز الكتب عن النسب الشريف لأولاد أبي السباع "*الدفاع وقطع النزاع عن نسب الشرفاء أبناء أبي السباع*"، الذي ألفه وطبعه في سنة 1940، بحيث يعد من أهم ما كتب عن النسب وما يثبت به حيث أهم شرح مسائل فقهية لها علاقة بالنسب، وجاء بشرف (أبناء أبي السباع) على سبيل المثال لا سبيل الحصر.

تصدى فقد للرد على الطاعنين في نسب الشرفاء أبناء أبي السباع، وفي مقدمتهم الفقيه محمد بن أحمد العبدي الكانوني، الذي نقل مزاعم عبد الحفيظ الفاسي في كتابه (*تاريخ آسفي وما إليه قديما وحديثا*) دون أن يبدي رأيه في الموضوع، وهو أعلم الناس به، فانبرى عدد من العلماء السباعيين للرد عليه، وفي طليعتهم سيدي عبد الله بن عبد المعطي الـذي رد على تلك المزاعـم بكل ما يملك من قوة تعبير وبيان، موظفـا حججا عقليــة ونقليــة ضمن كتابه المذكـور بيّـن في مقدمتــه الدواعي والأسباب التي دفعته إلى تأليفه فقال : "حملني على هذا المؤلف ما عثرت عليه لمن لم يراقب الله في حرمة أهل

بيت نبيه، وهان عليه جانب من أوصى على رعاية ذريته، فهجم على هؤلاء الأشراف، يواقيت الأصداف، وتكلم في نسبتهم المصونة، الدرة المكنونة، الذاهل عن حق أهل البيت الناسي، المسمى عبد الحفيظ الفاسي، فقد ذكر كليمات في ترجمة شيخه شيخ شيخنا الفقيه العلامة محمد بن إبراهيم السباعي، في مؤلفه الذي ألفه في أشياخه...".

وكتاب (الدفاع) هذا كتاب فريد في مضمونه، متميز بتبويبه ونهجه، أنيق في أسلوبه ونظمه، وظف فيه مؤلفه تخصصه في علمي الفقه والنسب، ونبوغه في علوم اللغة والأدب، فأجاب بدقة متناهية عن كثير من التساؤلات الموضوعية، وفسر العديد من الإشكالات الفكرية، فجاء كتابا متكاملا، ومؤلفا جامعا شاملا، مما دفع بعض العلماء يقول : "فقد قام بأهم الفروض، وناب عن علماء عصره في ذلك، فتصدى للنقد والتصحيح، والتزم التنقيب والتنقيح، وكشف عن التدليس، وأزال التلبيس، وأنار الظلام، وأماط اللثام والنقاب، ورفع عن النسب السباعي الحجاب...".

له مؤلفات كثيرة نذكر من بينها :

- الدفاع وقطع النزاع عن نسب الشرفاء أبناء أبي السباع (طبع مرتين : الأولى سنة 1940 / 1359، والثانية سنة 1986 / 1406).
- الأجوبة السباعية عن الأسئلة المراكشية (مخطوط).
- الارتفاق في الرد على من يقول بزكاة الأوراق (مخطوط).
- عدة قصائد شعرية في مدح الأسرة العلوية الشريفة (مخطوط).

توفي في 26 شوال عام 1390 / 1970 عن سن تناهز التسعين، ودفن في فناء مدرسته إلى جوار والده وأخويه العلامة محمد الصغير بن عبد المعطي ومولاي أحمد الطاهر بن عبد المعطي.

سيدي عبد الله بن عبد المعطي السباعي، *الدفاع وقطع النزاع عن نسب الشرفاء أبناء أبي السباع*، ط 1، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1940 ؛ محمد المختار السوسي، *المعسول*، 20 جزء، المطبعة المهدية، تطوان، 1956 - 1960، ومطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1962 ؛ لشقر مولاي أحمد بن مولاي المامون السباعي، *الإبداع والإتباع في تزكية شرف أبناء أبي السباع*، ط 1، مطبعة الجنوب، الدار البيضاء، 1994 ؛ صالح بن بكار السباعي، *الأنس والإمتاع في أعلام الأشراف أولاد أبي السباع*، ص. 92، ط 1، مطبعة دار وليلي، مراكش، 2000.

السباعي، عبد المعطي بن **أحمد** هو عبد المعطي بن أحمد بن محمد بن عبد المعطي بن علي بن إبراهيم بن يحيى من قبيلة أولاد أبي السباع، فخذ أولاد عبد المولى بن سيدي الغازي، ازداد حوالي سنة 1840 / 1261 بدوار عبد المولى ببوجمادى (جماعة السعيدات، إقليم شيشاوة حاليا). أسس مدرسة أولاد عبد المولى، بدواره الذي يحمل نفس الاسم، وأنجب هذا العالم علماء كبار كعبد الله بن عبد المعطي، ومحمد الصغير بن عبد المعطي، ومولاي أحمد الطاهر بن عبد المعطي، ومحمد الحسن بن عبد المعطي، ومبارك بن عبد المعطي، ومحمد لامين بن عبد المعطي، وأحمد الكبير بن عبد المعطي، داع صيتهم في المغرب وبلاد شنقيط والجزائر. وأصبح يطلق عليهم في قبيلة أولاد أبي السباع سواء بالحوز أو بالصحراء بآل عبد المعطي، أهل علم ودراية. وهؤلاء العلماء الأجلاء تركوا بصماتهم في تاريخ هذه القبيلة، من الناحية العلمية والفقهية وكذا في ثبوت النسب الشريف لأولاد أبي السباع والدفاع عنه.

ونستدل بنبذة عن حياة هذا الشيخ العلامة نقلها بتفصيل ودقة ابنه البكر سيدي محمد الصغير بن عبد المعطي في مخطوط سماه "مهذب الأخلاق والطباع بمناقب سيدي عبد المعطي سلالة أبي السباع"، ذكر فيه شيوخ المترجم وأبرز تلامذته، وقد فرغ من كتابة هذا المخطوط سنة 1916 / 1335، جاء فيه ما يلي : "هو عبد المعطي بن علي بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن عبد المولى أحد أبناء أبي السباع السبعة المشهورين هم وسيدي أحمد العروسي بالساقية الحمراء... وعبد المولى بن عبد الرحمان الغازي عرف ابن عمر - بفتح العين - ابن عمر - بهمزة وصل وعين ساكنة - بن سيدنا عامر جد القبيلة السباعية، المكنى بأبي السباع للقصة المشهورة وفي كتب التاريخ منشورة، المدفون بسوس في بلاد البربر على (...) الشمال من الولي المشهور سيدي أحماد بن موسى، وغير بعيد منه جبل عظيم صعب يسمى بكلام البربر "أضاض مدن" أي أصبع الناس، وقبره هناك مشهور [...] "والشريف الحسني الإدريسي السباعي العبد المولي (أي والده عبد المعطي) كان - رحمه الله - شيخا عارفا كليته، في الله صارما راغما في العلم وغيره، زاهدا عابدا ناسكا، متقنا، مشاركا، راسخ القدم في معنى أي الكتاب المحكم، وله القدر المنيف في صحيح الحديث الشريف عارفا بالشمائل النبوية، والسير المصطفوية، عارفا بالفقه والكلام والمنطق والبيان، واللغة واللسان، والفرائض طويل الباع، كثير الاطلاع، ذاكرا الخلاف العالي بين الأئمة وتواريخهم، يشهد على نفسه أنه ما سعى إلى حرام، ولا مد يده إلى غير ذي محرم، وكذلك شيخه الأوحد أبو عبد الله محمد بن إبراهيم التكرور الآتي ذكره في شيوخه. ابتدأ قراءة العلم بعد حفظ كتاب الله عن الشيخ الورع الزاهد الفاضل الصوفي : سيدي الطالب بن أحمد بن عبد الوهاب الحوضي الغلاوي الويني المتوفى بمراكش سنة 1284 وعلى الشيخ العلامة الأفضل الأمثل الفهامة سيدي محمد خوي بن مصطفى المجلسي المتوفى بمراكش سنة 1283 وعلى الشيخ الكبير الصالح النحرير البركة الزاهد أبو العباس سيدي أحمد بن مبارك الرسموكي المتوفى سنة 1312 بداره بأولاد أبي السباع. ثم رحل إلى مراكش فقرأ على الفقيه سيدي محمد بن المعطي السرغيني المتوفى ثالث عشر محرم سنة 1296 ودفن بروضة القاضي عياض، بإذن المولى الحسن الأول. وعلى الفقيه اللبيب الشاعر المفلق الأديب العدل الأريب الشيخ سيدي محمد بن المدني السرغيني المتوفى شهيدا بالطاعون بعد العشاء ليلة الثلاثاء 14 قعدة سنة

1296 ودفن بروضة أبي العباس السبتي، وعلى الإمام سيدي محمد بن إبراهيم التكرور السباعي المتوفى ليلة الاثنين 6 رجب عام 1332 بمراكش ودفن بمولى القصور. ومن شيوخ المترجم له : الشيخ الناصح الفاضل الصالح سيدي محمد گنون الرحماني.. ثم توجه لواد سوس الأقصى فوجد بها الشيخ العلامة المشارك أبا عثمان سيدي سعيد بن أحمد الكثيري الشريف في بلاد هشتوكة، بإذا أو محمد قرأ عليه التفسير بالجلالين، والقرطبي والوجيز وغير ذلك من التفاسير، وصحيح البخاري والشفا والشمائل وأخذ عنه مختصر خليل والتحفة والخلاصة والتسهيل.. إلى غير ذلك (...) وقرأ صاحب الترجمة على الفقيه الفرضي أبي محمد سيدي عبد الله التتاني الخرطيطي في الفرائض والحساب، وأجازه قاضي الصويرة الشيخ العالم القاضي العدل أبو الحسن سيدي الحاج علي بن أحمد بن عبد الصادق بن يحيى الشيظمي بجميع مسموعاته ومروياته، أواسط صفر عام 1289 بما أجازه به شيوخه العلامة سيدي محمد بدر الدين الحموم الفاسي (بإجازة) مؤرخة ب 13 قعدة عام 1255 (...) وبما أجازه به شيخه سيدي محمد السنوسي إجازة عامة، وهو محمد بن أحمد الشهير بالسنوسي الحسني، وبذلك أجازه. وممن أجازه ابن عبد الصادق المذكور الفقيه البليغ أبو عبد الله سيدي محمد بن سعيد بن محمد الحاج سعيد الحسني التلمساني نجارا ونشأة ودارا الفاسي، يوم الكتاب هو يوم الجمعة 11 صفر سنة 1256. كان عبد الصادق يحب آل البيت محبة صادق : من ذلك أنه خطب امرأة سباعية ؛ وبذل لها مهرا وافرا، فلما زفت إليه دفع لها مثل ما أمهرها وردها، فسئل عن ذلك فقال : خفت أن لا أوفيها حقها وهي شريفة (...).

ولقي السيد عبد المعطي أيام حجه الشيخ أبا سالم سيدي إبراهيم بن إدريس السنوسي الفاسي الحسني بالأسكندرية، وأجازه في منظومة البدرية المسماة (سيف النصر بالسادة الكرام أهل بدر)، والإجازة بها مؤرخة ب 21 محرم عام 1293. وأخذ الطريقة الناصرية عن الشيخ البركة، الصالح الشريف، الأفضل سيدي مبارك بن الشيخ المختار السباعي الدميسي، وكان هذا الشيخ أصابه جذام فرحل إلى مراكش، فعلم به السلطان، فأجل مقدمه، وكان يبعث إليه ويجالسه، لفضله وبركته، وهو الذي ابتدأ صلاة الجمعة بالحارة، وبنى صومعتها، توفي سنة 1284. ودفن في الروضة التي تحت الحارة. وأخذها أيضا عن الولي الصالح سيدي محمد الزوين، وأخذها المؤلف المذكور عن الفقيه الصوفي سيدي الطاهر بن محمد المعروف بابن حمُّ السباعي العزوزي نجارا الشيظمي الحاجي دارا المتوفى أواخر صفر عام 1280 وهو أخذها عن الفقيه الصالح سيدي محمد بن رَحَّ ومن سيدي الزوين المذكور، وأخذها أيضا - سيدي عبد المعطي - عن الشيخ أبي سالم إبراهيم اليحياوي الشهير برأس الواد بسوس، وأجازه بسندها عن سيدي محمد بن عبد السلام الناصري، والشيخ الطيب بن كيران، من أبي عبد الله التاودي. وكان قد بنى مدرسته بأولاد أبي السباع - حوز مراكش -، فدرس به ثم أصابه مرض هاجر بسببه إلى الصحراء. ولقي المترجم له من فضلاء الصحراء الشيخ العلامة النفاعة القدوة الناسك، شيخ الجماعة ذو التصنيف العديدة والتآليف المفيدة، أبو عبد الله محمد بن محمد سالم المجلسي، له تأليف في التفسير سماه (الريان على القرآن) وله (النهر الجاري على البخاري) و(لوامع الدرر على المختصر) وله تآليف أخرى، وله أولاد علماء أفاضل منهم العلامة البحر الزاخر : أبو العباس أحمد والفقيه البركة : أبو عبد الله سيدي محمد، وأخوهما المشارك الفهامة الأجل الحجة الأفضل المقتفي آثار والده في التدريس والتصنيف وجمع النفيس من التأليف، بل قال الشيخ عبد المعطي : إنه يعجبه أكثر من أبيه، في التأليف تنسيقا واختصارا، المقصود : أبو محمد عبد القادر. شرح المختصر شرحا عجيبا سماه : (ثمر الدرر في تبيين معنى المختصر) وله في التوحيد تأليف سماه : (سلم القاصد إلى أشرف المقاصد) وله شرح على خطبة أبي زيد، وشرح على (إضاءة المجنة) للمقري، وأرجوزة في حق آل البيت في مائتي بيت سماه : (الفائق البديع في حق أهل المنصب الرفيع)، وهو أعجوبة دهره، في علم التوحيد، وله شرح على منظومة (قرة الأبصار في سيرة النبي المختار)، وكلهم صاروا لعفو الله، الأخير منهم سيدي عبد القادر توفي يوم عيد الأضحى سنة 1338 / 1919.

ومن تلامذته كذلك نذكر، الفقيه الإمام المشارك المدرس النفاعة أبو عبد الله سيدي محمد بن الفقيه البركة سيدي مسعود الطالبي النعماني، كان - رحمه الله - صوفيا عابدا، مضت أيامه في التدريس، والتعليم والتقييد والسياحة، أخذ عنه الطريقة الناصرية، توفي يوم الخميس 18 ربيع الأول عام 1330 / 1911 ودفن في قبة أبيه بالمعذر، حذاء تيزنيت، وأقام أخوه الفقيه أبو العباس أحمد مقامه في التدريس.

ولما بلغ سيدي عبد المعطي الساقية الحمراء، ونحر بها ناقة، جمع أسماء أبناء أبي السباع السبعة المدفونين في (الطويحل) في نظم قال فيه :

جئنا بني السباع السبعة	ذوي الفضائل الكرام النبْعهْ
سيدنا الوالد عبد المولى	شقيقه العباس فهْوَ أولى
وأخويه عيسى وإبراهيم	ثم أكللش محمد الكريم
والجار نعم الجار أحمد الأغر	هو لعروسي الذي اشتهر
والكل بالساقية الحمراء	فهم رجالها بلا امتراء
عليهم السلام والرحمة معْ	بركة الإله ما نجم طلع

ولما كثرت الفتن في الصحراء، آب المترجم له منها سنة 1318 / 1900. بعد أن لبث فيها خمسا وعشرين سنة، وكان انتقاله سنة 1294 / 1877. وجاء إلى مدرسته وجددها وزاد فيها فأقبل على التعليم والتدريس إلى أن وافاه الأجل (...)" فرغ المؤلف من مهذب الأخلاق والطباع لثمان من رمضان سنة 1335 / 1916. ثم ألحق به أشياء ونقحه وفرغ منها غروب شمس يوم الثلاثاء 29 رجب عام 1341 / 1922.

وقد أورد ذكره كذلك العلامة محمد المختار السوسي في كتابه (*المعسول*، ج 8 ص. 269)، قائلا عنه (أي عبد المعطي بن أحمد) وعن ابنه عبد الله بن عبد المعطي، ما يلي : "هذا السيد المترجم شيخنا محمد عبد الله. والده هو الأستاذ الكبير سيدي عبد المعطي الذي كان مذكورا بين الآخذين عن سيدي سعيد الشريف الهشتوكي وسيدي إبراهيم أبي السدرة السوسي. وبسبب إسناده انتشر لبعض كبار السوسيين ذكر عطر. وهو أستاذ جليل القدر. له ترجمة واسعة قام بها ولده سيدي محمد الصغير في تأليف حسن رآيته عنده. ولم أكن طالعته ولا استنسخته إذ ذاك [...] وله مدرسة قائمة في عهده بالتدريس منه ومن أولاده من بعده. وقد تخرج به أناس في مقدمتهم أولاده أكبرهم سيد محمد الصغير العلامة النحوي اللغوي الدراكة مع يد غير قصيرة في الأدب. (...) وله أخ أخاله يسمى محمد الحسن. ولكنه وإن أدرك شأوا في العلوم لم يجر فيها مجرى إخوته وأظنه لا يزال حيا الآن 1357 وهم إخوة بارك الله فيهم فكانوا كلهم نحارير".

ومدرسة آل عبد المعطي أو مدرسة عبد المولى مازالت على إشعاعها العلمي، تستقطب الطلاب من كل فج، ويقوم أحد أحفاد هذه السلالة العلمية الشريفة الطيبة الحاج عبد المعطي بن عبد الله منذ سنة 1968 على التدريس وتلقين علوم الفقه والدين كما كان عليه أسلافه من قبل.

أما ما جاء في كتاب "إزاحة الغشاوة عن تاريخ الحركة العلمية بإقليم شيشاوة من خلال الزوايا الصوفية والمدارس العلمية"، لمؤلفه الحبيب أرسموك، في حق هذا العالم، فهو كالآتي : "هو العلامة سيدي الحاج عبد المعطي بن أحمد الحسني الإدريسي السباعي أسس هذه المدرسة على تقوى من الله ورضوان سنة 1270 بعد أن برز كعالم مقتدر حاصل على حظ وافر من العلوم الدينية واللغوية والأدبية حيث تخرج بعدة شيوخ من سوس ومراكش والعنافرة حيث أخذ عن شيخه أحمد بن مبارك الرسموكي وصار ينشر العلم في مدرسته كباقي المدارس الأخرى المجاورة إلى أن تأثرت علاقته مع القائد عبد الله ولد بلعيد حيث تدخل لديه متشفعا في نفر أبناء أبي السباع ولم يستجب القائد لطلب الفقيه حيث بطش بهم ولم يأمن الفقيه جانبه واتقاء لشره غادر المنطقة متوجها نحو الصحراء إلى منطقة دمس واشتغل بنشر العلم وبثه في قلوب أبناء المسلمين وعاد بعد وفاة القائد إلى هذه المنطقة بعد أن انتقل إلى الشرق حيث أفاد واستفاد من رحلته وجل أبنائه ازدادوا بالصحراء وقد تخرج به عدد كبير من العلماء الأعلام من بينهم أبناءه الثلاثة سيدي الحسن بن عبد المعطي والعلامة سيدي محمد الصغير والعلامة سيدي عبد الله ومن بين تلامذته الفقيه أبوبكر الفلالي القاضي المشهور بگلميم، والفقيه محمد محمود الفيلالي القاضي المشهور بمدينة إيفني، والفقيه السيد مصطفى الفيلالي القاضي المشهور بطانطان. كما تخرج به الكثير من العلماء الأعلام منهم الفقيه العلامة السيد مبارك بن عبد المعطي.

وأضاف صاحب "إزاحة الغشاوة"، قائلا : "إن أسرة عبد المعطي على جانب كبير من الأهمية خصوصا في تربية النساء وتعليمهن، فلقد اشتهرت في هذه الأسرة السيدة الكريمة فاطمة بنت حمزة حرم الفقيه العلامة سيدي عبد المعطي بن أحمد السباعي فهي حافظة لكتاب الله عز وجل وذات نصيب كبير في اللغة والأدب والشعر والشواهد من أقوال العرب قد اقتفت أثرها من بعدها حفيدتها السيدة فاطمة بنت الفقيه السيد محمد الحسن بن عبد المعطي وأختها الحافظة لكتاب الله وعلى علم بكلام العرب وحفظ الشواهد والأشعار الصوفية وكانتا تعتنيان بالطب التقليدي انتفع بطبهما وتجربتهما خلق كثير وهناك إضافة إليهن من مثيلتهن في هذه الأسرة أخت البنين بنت إبراهيم زوجة العلامة السيد عبد الله ابن عبد المعطي والسيدة الغالية بنت الخيرفية زوجة العلامة السيد الحاج مبارك بن عبد المعطي".

توفي الشيخ العالم عبد المعطي بن أحمد السباعي سنة 1333 / 1914، ودفن بإزاء محراب مدرسته بأولاد عبد المولى ببوجمادى (جماعة السعيدات، إقليم شيشاوة حاليا) في قبة مع بعض أقاربه.

محمد الصغير بن عبد المعطي السباعي، *مهذب الأخلاق والطباع بمناقب سيدي عبد المعطي سلالة أبي السباع*، مخطوط بحوزة مدرسة أولاد عبد المولى ببوجمادى، جماعة السعيدات، إقليم شيشاوة ؛ سيدي عبد الله بن عبد المعطي السباعي، *الدفاع وقطع النزاع عن نسب الشرفاء أبناء أبي السباع*، ط 1، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1940 ؛ محمد المختار السوسي، *المعسول*، 20 جزء، المطبعة المهدية، تطوان 1956 - 1960، ومطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1962 ؛ لشقر مولاي أحمد بن مولاي المامون السباعي، *الإبداع والإتباع في تزكية شرف أبناء أبي السباع*، ط 1، مطبعة الجنوب، الدار البيضاء، 1994.

السباعي، قاسم بن المحجوب هو العالم الفقيه قاسم بن المحجوب بن سيد امحمد، من قبيلة أولاد أبي السباع وفخذ أولاد البگار، ازداد سنة 1867 / 1288 بسيدي المختار (إقليم شيشاوة) بدوار أولاد البگار. فوالده المحجوب بن سيد امحمد كان يعيش بنواكشوط، حيث نشأ وترعرع بها، فقرر الاتجاه شمالا أي نحو أبناء عمومته بحوز مراكش (سيد المختار) وذلك لأسباب عدة، حتمت عليه الهجرة واللجوء بعائلته إلى مكان آمن يسوده الاستقرار والأمن. ومن هذه الأسباب نذكر كثرة حروب قبيلة أولاد أبي السباع بموريتانيا وتيرس الغربية بواد الذهب مع القبائل المتاخمة في الصحراء كالرگيبات وأولاد اللب، وغيرها، ونسجل كذلك الظروف الطبيعية القاسية التي شهدتها الصحراء في القرن 19 مع تواتر فترات الجفاف وشدتها على البدو الرحل وإبلهم (الحية) وما صاحبها من قلة الأمطار والمراعي، فكان لزاما عليه التوجه شمالا حيث الكلأ والاستقرار.

وعامل الاستقرار بحوز مراكش لعب دورا هاما في نشأة وورع الفقيه بحيث اشتهرت قبيلة أولاد أبي السباع بالحوز بكثرة مدارسها العلمية العتيقة، وأنجبت علماء كبار، اشتهروا في كل أرجاء بلاد المغرب والمغرب العربي (الجزائر وموريتانيا) وحتى بالمشرق (مصر) كالجيلالي العبيدي حفيد الولي الصالح سيدي المختار،

والعالم الكبير محمد بن إبراهيم التكرور وعالم عصره عبد المعطي وأولاده وغيرهم من فطاحل علماء السباعيين. وليسلك قاسم بن المحجوب مسلك هؤلاء العلماء الكبار وجهه أبوه إلى مدرسة سيد الزوين العتيقة، حيث بقي فيها عشر سنوات حتى حفظ القرآن الكريم والقراءات السبع وعلوم الفقه والدين واللغة وقواعدها، فنهل من هذه المدرسة العتيقة كل أنواع العلوم الجمة، واشتهر بقدرة الحفظ حتى قيل أنه يختزن القرآن في قنينة عقله وإدراكه، يلتجأ إليها كلما امتحن أو ذكر بآية، فيروي بها ظمأ السائل والمتلقن. كما عرف بخطه ونسخه لكل المخطوطات والوثائق، إذ كان ينسخ المصاحف بيده ويوزعها على أصحابه، نظرا لبراعته في هذا الميدان. واشتهر كذلك موثقا يحرر للناس عقود البيع والشراء والتمليك والإفتاء ونص النوازل، وترك عدة مخطوطات وعقود نذكر منها نسخه لوثيقة تمليك تخص أرض إيمريكلي بنواحي بوجدور حاليا، هي عبارة عن حكم للقاضي اطوير الجنة إيدولحاجي، إثر نزاع اشتد بين أفراد من قبيلة أولاد أبي السباع وأولاد تيدرارين حول ملكية هذه الأرض الزراعية. فاضطر أولاد أبي السباع إلى اللجوء إلى حكم القاضي المذكور بمدينة مراكش لفض هذا النزاع بينهم وقبيلة أولاد تيدرارين، فحكم بموجبها القاضي اطوير الجنة لصالح أولاد أبي السباع، بعد تقديمهم الحجج الكافية والشهود العينة من قبائل أخرى. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الوثيقة لها ثقل تاريخي وشرعي، فهي ضمن الحجج التي قدمت لمحكمة لاهاي بهولندا عند مطالبة المغرب باسترجاع الصحراء. وقد استنسخ الفقيه هذه الوثيقة سنة 1934 / 1355، وورد فيها اسمه ونسبه، ورافقها بنبذة عن حياته وسبب رحيله من سيد المختار إلى الصحراء، أي الرجوع إلى موطن أبيه الأصلي بعد وفاة هذا الأخير. وقد تأتى له ذلك برفقته لقافلة تجار سباعيين من أهل الصحراء قادمين من مراكش حيث يتزودوا بكل ما يحتاجونه من بضائع ليبيعوها بالمناطق الصحراوية بما فيها بلاد شنقيط. فصاحب هؤلاء التجار في سفرهم، فنزلوا بمجموعة من خيام أولاد البگـار السباعيون، اللذين كانوا يرابطون ما بين واد الساقية الحمراء وواد الذهب، وأثناء تبادل الحديث بين أفراد القبيلة والتجار، سألهم شيخ القبيلة عن الشاب الذي يرافقهم فقالوا له إنه من أبناء عمومتنا بحوز مراكش (سيد المختار)، فأراد هذا الشيخ التعرف عليه عن كثب، خاصة نسبه وفخذته وما يحفظه من القرآن والعلوم الدينية بحكم ما عرف عن أبناء عمومته من أولاد أبي السباع بالحوز من علم وعلماء. فكان جواب قاسم بن محجوب للشيخ السائل متواضعا، رغم حنكته ودرآيته في ذلك، بقوله : شيئا ما. فقال الشيخ لابنه أتيني بلوح فأتاه به فأعطاه إياه، وبدأ الفقيه قاسم بكتابة ما طلبه منه الشيخ، وبعجالة كبيرة صاغ له ثمن حزب من القرآن بخط واضح ومقروء. ولما تبين للشيخ أنه يتقن الحفظ والخط، عرض عليه البقاء برفقة أبناء عمومته "أولاد البگـار"، لكي يعلم أبناء القبيلة حفظ وقراءة القرآن الكريم، وبقي إثرها في كنف أبناء عمومته إحدى عشرة سنة، وتزوج منهم. ولما ضاق به المكان، قرر امتهان التجارة وبدأ يتنقل بين مالي وموريتانيا (بلاد شنقيط) وواد نون، وكان يتاجر في العبيد والذهب والملح، وحطت به الرحال بأولاد الدليم سنوات عديدة، فخلع عليه لباس التاجر ليعوضه بلباس الفقيه المدرس ثانية أخرى، فدرس ولقن حفظ القرآن وعلوم الدين لكل من قبيلة أولاد الدليم وأولاد اللب بواد الذهب وتيرس الغربية والشرقية، وتزوج ثانية امرأة من أولاد اللب، اسمها فاطمة منت هيبة وأنجب منها بنتاً، وعاش لمدة في بلاد شنقيط، فلم يطب له خاطر في هذه البلاد فقرر الرجوع إلى الساقية الحمراء وواد نون، فمكث فيهما كثيرا يعلم القرآن وأصول الدين وينتقل بين أفخاذ قبائل إزرگـيين (اشتوكة، الگرح، أولاد سعيد، أولاد امبارك، وغيرهم). فتخرج على يده ثلة من العلماء نذكر منهم الشيخ الفاضل بشر ولد حيدار.

وكان الفقيه رجلا مزواجا، تزوج من جل القبائل، فلقد تزوج من قبيلة أولاد تيدرارين (أولاد علي) امرأة اسمها أم الحسين منت امحمد ولد سالم، وأنجب منها ابنتين. وعند دخول المعمر الإسباني للمنطقة، عمل على إحصاء فقهاء وعلماء الصحراء لكي يعينهم في مجال القضاء، ليقوموا بفض النزاعات بين الناس. وكان من بين الفقهاء اللذين رفضوا هذا المنصب في ظل الاستعمار، نظرا لكونه يعي كل الوعي ما مصير من يتخذ الكفار أولياء من دون المؤمنين، فقاوم الاستعمار بكل الوسائل المتاحة له، فكان أن شن عليه المعمر الاسباني كل وسائل التضييق والمتابعة أينما حل وارتحل. فقرر في سنة 1950 النزوح نحو الشمال أي واد نون، حيث استقر به المطاف عند قبيلة آيت موسى واعلي بمكان يقال لـه لبيـار جنوب غرب گـليميـم، وبها درس القـرآن وعلوم الدين مرة أخـرى لمدة ثماني سنوات، وهناك تزوج امرأة اسمها امباركة منت لعروسي ولد محمد البيكـم، فخذ أولاد امبارك من قبيلـة إزرگـيين، أنجبت له بنتـاً وولداً اسمه مولاي أحمد بن قاسم بن محجوب، يدرس اللغة العربية بمدينـة العيون بالساقية الحمراء.

وتبين كثرة زواجه هذه، مدى العناية الذي موليها القبائـل الصحراوية لمصاهـرة العلماء، بحكم تفقههـم في الدين ونبوغهم في تدريس علومه. إذ كان أهل العلم في الصحراء يعدون على الأصابـع، لهذا كانت لهم مكانة متميـزة داخل كل قبيلة، رغم عـدم انتمائهم للقبليـة المضيفة.

توفي الفقيه قاسم بن المحجوب بگـلميم سنة 1961 / 1342، وتم دفنه بمقبرة أم العشار.

وثيقة حكم وفتـوى أرض إيمريكلي (نواحي بوجدور)، مخطوط في حوزة مولاي أحمد بن قاسم السباعي، العيون. (مذكور فيها حياة الناسـخ قاسم بن المحجوب السباعـي وتنقلاته بين الصحراء) ؛ *مقابلة* أجراها عبد الله سعود بمدينة العيون مع ابن الفقيه مولاي أحمد بن قاسم بن المحجوب السباعي، سنة 2010.

مولاي إدريس شداد

ISBN (Ensemble) 9981 - 03 - 000 - 7
ISBN (Part 26 Supplément III) 9981 - 03 - 033 - 6

Editée par



Dar Al Aman - Rabat
Kingdom of Maroc - 4, Zanaka Mamouniat - Rabat
Tel.:+212 5 37 72 32 76 / +212 5 37 26 37 87
Fax.:+212 5 37 20 00 55
e-mail: libdarelamane@yahoo.fr

Encyclopédie du Maroc



SUPPLEÉMENT (3)

Editée par



Dar Al Aman - Rabat

1ere Edition 2014 / 1435



Encyclopédie

du

Maroc

السباعي (سيدي -) **القاضي** ولد **اعلي أمم**
هو سيدي القاضي بن اعلي أمم (الملقب أنكا) بن المدني بن عبد الكريم بن عبد المنعم بن مأمون بن الحاج بن إبراهيم بن أعمر بن عامر الهامل أبي السباع، من فخذ أولاد المومنة. فقيه جليل وولي صالح وقاض ترضى أحكامه، من أهل القرن الثالث عشر، كان حيا سنة 1208. أخذ عن العالم الجليل شيخ الشيوخ البوحسني، الذي تخرج على يديه الكثير من العلمــاء. كمــا أخذ أيضا عن العالم ألميــن بوعتروس.

يلقب ب "عزري أناجيم" وهي بئر شهيرة بتيرس، مدفون عندها. له بركة عظيمة وولاية مشهورة، يقال له أيضا "سهداي لركاب" بالحسانية، أي دليل الركب ؛ حيث تواترت الرواية الشفوية أنه يسمع عند قبره صوت كضرب الطبول بالليل، فيكون ذلك الصوت دليلا للقوافل على وجهة بئر أناجيم.

السباعي لشقر مولاي أحمد بن مولاي المامون، *الإبداع والإتباع في تزكية شرف أبناء أبي السباع*، مطبعة الجنوب، الدار البيضاء، 1994 ؛ صالح بن بكار السباعي، *الأنس والإمتاع في أعلام الأشراف أبناء أبي السباع*، مطبعة وراقة داكار، الرباط، 2005 ؛ مقابلة شفوية مع البشير ولد بزيد، نواكشوط.

عبد العزيز ابن الطالب موسى

السباعي، ماء العينين بن **محمد الأمين** :
هو العالم اللغوي والفقيه الكبير ماء العينين الملقب مـاعينـي بن الشيـخ محمد الأميـن بن الشيخ أحمد بن الشريف محمد السباعــي، وأمــه هــي ربيعــة بنت الشيخ محمد فاضل بن مامين، "كان من أكابر العلماء العالمين والأتقياء العارفيــن والأذكيــاء النجبييــن والأدباء اليلمعيين".

ولد في ليلة الجمعة لتسع خلون من ذي القعدة عام 1273 الموافق للثاني من يوليوز عام 1857. بدأ بحفظ القرآن الكريم وأتمه وهو ابن تسع سنين، ثم قرأ على خاله الشيخ ماء العينين ودرس عليه جميع العلوم من فقه وأصول وحديث ومنطق وبلاغة وعروض ثم أخذ عنه الطريقة وتتلمذ عليه ولازمه وانتفع به حتى صدره وأجازه إجازة مطلقة، "ولما صدره ظهر عليه الفضل الذي لا ينكر ونال من التسخير القبول عند العامة والخاصة ما لا يوصف" وكان "كثيرا ما يقدمه في الأمور العلية وتظهر عليه سيم سياسات وأحوالا سنية ويثني عليه بكثير من الثناء الحسن لاسيما في جهة التقى والعبادة وامتثال الأوامر واجتناب النواهي وصدق إرادته حتى أنه سافر معه في بعض أسفاره ولما قدم سأله بعض العيال عن أحوال من كان معه وممن نص عليه هو، فقـال : كل شيء أتانا دون الظن في هذا السفر إلا صدق إرادة ماء العينين بن الشيخ محمد الأمين بن الشيخ أحمد وعبادته ومحافظته على ذلك".

وكان حافظة لا يسمع شيئا إلا حفظه، فقد كان يحفظ تأليف مشرب الزلال في الصلاة على أفضل الرجال للشيخ ماء العينين وحزبه المسمى حزب الخيرات وأسبابها الدافعة للمضرات وأوبائها ومتن العاصمية في الفقه وألفية بن مالك في النحو وأما حفظه لقطع الشعر ونحوها في حكاية واحدة فلا يحصى كثرة. وهذا ما جعل الشيخ ماء العينين يرتبه مدرسا في زاويته بمدينة السمارة وكان يدرس النحو والتفسير.

في سنة 1906 شارك في عدة معارك حربية ضد القوات الفرنسية مع الشيخ حسن بن الشيخ ماء العينين لما تزعم الجهاد والمقاومة بأمر من والده وأبلى فيها البلاء الحسن منها : النيملان وتجكجة وكجوجت ودامان.

في أواخر سنة 1909 هاجتر مع الشيخ ماء العينين من مدينة السمارة إلى مدينة تيزنيت وظل معه لا يفارقه وهو الذي يقــول :

يامن بعادكم موتــي وقربكـــــم   به حياة فؤادي وهو إجــلال
وحبكم أنس روحي عند غيبتكم   وذكركم عندما قولي وأفعالي

وكان يستشيره ويكلفه بالمهام وينجزها على الوجه الأكمل الذي يريد ويقول : "تحقق أمر تكفل به ابني وسميي ماء العينين بن محمد الأمين". وبعد وفاة الشيخ ماء العينين سنة 1910 رجع إلى الصحراء وظل بها.

خلف أعمالا أدبية متنوعة وكثيرة في فنون شتى من رسم القرآن وتجويده وفي المنطق والنحو منها : نظم على غريب القرآن وتفسيره، وشرحه المسمى "إفادة المتعلمين على هداية المبتدئين"في النحو للشيخ ماء العينين / و"الصدف الجامع على شرح درر اللوامع" لابن بر و"معين من علم على معاني السلم" في المنطق و"مبصر اللامع على شرح المحتوى الجامع" المعروف برسم الطالب عبد الله في رسم القرآن، ومنظومة في أحكام المسألة للناس، وشرحه للرحبية في الفرائض، وتأليف في محنة أهل البيت. وأنظام كثيرة في أجوبة عن مسائل ناظر فيها بعض العلماء وأظهر أن الحق ما قاله"، بالإضافة إلى ديوانه الشعري الضخم في مختلف الأغراض الشعرية.

توفي يوم الجمعة 8 رمضان عام 1356 الموافق 13 نوفمبر عام 1937.

ديوان الأبحر المعينية في بعض الأمداح المعينية، الشيخ محمد الغيث النعمة بن الشيخ ماء العينين، تحقيق، محمد المختار المداح، د د ع، تحت إشراف الدكتور محمد بنشريفة، مرقــون بخزانة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، السنة 1994 - 1995 ؛ الشيخ ماء العينين، *علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي*، الطالب أخيار بن مامينا، مطبعة بني إزناسن، سلا، الطبعة الأولى، 2005.

ماء العينين النعمة علي

السباعي (مولاي -) **المامون** بن **أحمد**، هو العلامة الأديب والشاعر الصوفي الشهير، مولاي المامون بن أحمد لشقر بن محمد الحاجي السباعي، نشأ بالصحراء في أواخر ق 19م، حيث تلقى تعليمه الأولي، وحفظ القرآن، ثم رحل لطلب العلم في كل من منطقة دكالة وفاس، فأخذ عن مشايخها علوم الفقه والدين والنحو، وأكمل بفاس دراسته العلمية، وبرزت إذاك مواهبه، وتفتقت قريحته العلمية والأدبيـــة، مما أهله للقيام بمهام التدريس بمدرسة طاطا، ثم أنيطت به مهمة

القضاء والإفتاء بها، فأبان عن حكمة نادرة، وشخصية فذة مقتدرة، بعدها طلب منه الانتقال إلى أوريكا وأغبالوا للتدريس ونشر الطريقة التيجانية التي كان مقدما فيها. له مؤلفات في مختلف العلوم، جلها مخطوط، وله انتاجات شعرية أغلبها في التصوف والزهد ومدح الرسول (ص) والنسب والوعظ والإرشاد، فمن قصائده الوعظية قوله :

ليس الغريب غريب الشام واليمن ... إن الغريب غريب اللحد والكفن
لا تنهرن الغريب طالت غربته ... الدهر ينهره بالذل والمحن
يا نفسي توبي لله واعملي حسنا ... يجزيك ربك يوم الموت بالحسن
تيقني ليس لي مال ولا ولد ... ولا صديق ليوم الموت ينفعني
إذ جاءني الموت لا ترد ساعته ... وحال حولي وروحي فارقت بدني

كما أسس مدرسة عتيقة بدوار السي المامون وانكب على التدريس بها.

توفي سنة 1345 / 1926، ودفن بزاويته بدوار السي المامون، قرب سيدي المختار، إقليم شيشاوة. ومن أولاده نذكر الفقيه الأديب والشاعر مولاي أحمد بن المامون لشقر.

عبد الله بن عبد المعطي السباعي، *الدفاع وقطع النزاع عن نسب الشرفاء أبناء أبي السباع*، ط. 1، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1940 ؛ لشقر مولاي أحمد بن مولاي المامون السباعي، *الإبداع والإتباع في تزكية شرف أبناء أبي السباع*، ط. 1، مطبعة الجنوب، الدار البيضاء، 1986.

مولاي إدريس شداد

السباعي، محمد بن **إبراهيم** تكرور ولد في أواسط العشرة الخامسة من القرن الثالث عشر للهجرة 1245 - 1830.

تلقى تعليمه الأولي بمراكش حيث حفظ القرآن الكريم وبعض المنظومات من المتن العربي، لينتقل بعدها إلى قبيلة دمسيرة حوالي سنة 1260 - 1844 لاستكمال دراسته، ثم انتقل إلى فاس بجامع القرويين حيث قضى بها حوالي سبع سنوات حسب عبد الحفيظ الفاسي - وخمس سنوات حسب العباس بن إبراهيم التعارجي - حيث تمكن من مختلف العلوم والفنون، وكان ذلك حوالي سنة 1276 - 1860.

وبعد هذه الجولة، عاد إلى مراكش ليستقر بها عالما ومدرسا ومفتيا ومجاهدا، بعد أن أجازه شيوخه في مختلف العلوم، قال عنه تلميذه محمد بن محمد الموقت المراكشي : "وكان كثير الفنون، منقطع القرير، أديبا شاعرا ومحدقا باهرا... وبالجملة فهو أحد من رمقته العيون بالإعظام والإكبار... وله قصائد رائعات بديعات فائقات".

درس بمراكش زهاء نصف قرن، ودرس بفاس حينما تم نفيه، وقضى بها زهاء سبع سنوات. واهتم بالتدريس طيلة هذه المدة، لأنه كان يعتبره رسالة كل طالب وعالم، ووسيلة لتبديد عتمة الجهل. وقد عرضت عليه عدة مناصب منها القضاء، وبعض المناصب العليا في الحكم. إلا أنه كان يقول مفضلا العلم وأهله : "أنعم الله علي بفراغ اليد في شواغل الدنيا، فلا أتعاطاها بتجارة ولا غيرها مما يخل بالديانة، فانقطعت للتعليم، ومال المتعلمون كلهم لي عن غيري، ... يأتون بظن حسن ونية خالصة، فيفتح الله عليهم في قريب لخلوص نيتهم، فاشتد الحسد ممن ليس لهم هم إلا في سعاية أو شكاية أو حكاية أو نكاية".

ومن تلامذته نذكر :

- محمد بن محمد بن الموقت المراكشي (ت 1369 - 1950) الباحث والمؤرخ، صاحب السعادة الأبدية - حضر دروسه العلمية ومجالسه الحديثية ؛ العباس بن إبراهيم المراكشي السملالي (ت 1378 - 1959) القاضي المؤرخ، كان السباعي عمدته في الفقه ؛ عبد الحفيظ الفاسي بن الطاهر (ت 1383 - 1964) القاضي المؤرخ، وأحد مؤسسي "جمعية الترقي" قبل الحماية، أجازه السباعي مرتين الأولى بفاس، والثانية بمراكش، وقد أشار عبد الحفيظ الفاسي إلى ذلك في كتابه : "معجم الشيوخ.." حيث أورد نص الإجازة.

وعرف الفقيه محمد بن إبراهيم بكثرة الإنتاج والتأليف، خصوصا في الفقهيات وعلوم الشريعة بصفة عامة، كما اهتم بالكتابة التاريخية، وأغلب أشعاره وقصائده ومتفرقاته ومقطوعاته الشعرية توجد في :

- "سيف النص لدفع الإيهام، وذكر موجب محبة ذرية مولانا هشام"، وهو كتاب مخطوط في تاريخ الدولة العلوية، تعرض فيه إلى سجنه ومحنته ؛ "البستان الجامع لكل نوع حسن وفن مستحسن، في عد بعض مآثر السلطان مولاي الحسن" في تاريخ عصر الحسن الأول ؛ "إقامة الحجة في واضح المحجة" تقييد علق فيه على قصيدة قدمها للحسن الأول، وشرح فيها وقائع حركاته ؛ "مختصر زهر الأكم في الأمثال والحكم" لليوسي.

- قصيدة قدمها للحسن الأول.

- قصائد في ختم كتب البخاري والشفا ومختصر خليل، لأنه من عادته ينظم قصيدة في ختم كل كتاب نفيس ؛ وله فتاوى وحواش أشار إليها العباس بن إبراهيم في الإعلام ؛ "جواب حول تصلية بعض الكتانيين" م. خ. ع، الرباط رقم د 3740 ضمن مجموع ؛ "نبذة يسيرة في التعريف بمولانا عبد القادر الجيلالي وتقاييد في الأنساب" م. خ. ع، الرباط رقم 1661 ؛ سؤال كشف النور عن حقيقة كفر أهل بصبور م. خ. ع، الرباط رقم د 1326 ؛ كراسات في الرد على أهل البدع م خ ع - ج 1154.

يعد محمد بن إبراهيم تكرور أكثر الشعراء السباعيين نظما للشعر، لأن أغلب أشعاره دونها في كتبه المخطوطة، كما شارك بها في المناسبات إلى جانب شعراء آخرين من جيله، كالصنهاجي وابن موسى وغيرهم، وأحرز على جوائز من السلطان.

وشعره له سمتان، ما يتعلق بالمدحيات، وأغلبه قاله في مدح السلاطين، إما تقربا، أو تزلفا، أو درءا لكل الشبهات التي كان يعانيها، من قول الحاقدين عليه، والذين تسببوا له في محن كثيرة، كالسجن والإبعاد والنفي عدة مرات، وآخر يتعلق بالزهد والتصوف

والوعظ والحكم، وشعر آخر يتعلق بختم الدروس في حلقات ابن يوسف أو القرويين.

ومن أشعاره في المدح :

أخلاي إن ذا السرور تجــــددا وأربى على ما كان قدما ومعهدا
وأصبح ثغر يرسل النور ضاحكا وكف يد النوى على ما تعــودا
وأبدى سرورا لا يقاس قليلـــه بموج ولو طما وطم وأزبـــدا

وقد قالها بمناسبة المولد النبوي، كما مدح السلطان مولاي الحسن الأول بقوله : مطلعها :

قوم أبوهم هشام حيـــن تنسبهـم طابوا وطاب من الأفلاك ما ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بفضلهم أو مجدهم قعــــدوا

كما مدح السلطان مولاي عبد العزيز بقوله :

لقد برح الخفا وما كان من خفى ولكن إذا انخفى على جاهل غمر
فهذي معان بينت كـــل نجـــدة وآثارها تغنيه عن كل ما خبــر
فكل يرى طرق الشجاعة والندى ولكن كلهـــم إلى طبعه يجـــري

وقال قصيدة في مدح مولاي الحسن الأول، متشفعا في ابن عمه الذي كان سجينا : "... فاقمت صدر مطية لاحقا به، إلى أن دخلت وسط جيشه يوم الخميس ثامن عشر شعبان، ويوم الجمعة ظفرني أيده الله بحاجتي، مع زيادة كبير جائزتي، ويوم السبت بكرة نهض من ذلك المحل، ولما توجهت لحضرته مستشفعا فيمن ذكر، قدمت له بين يدي شفاعتي بطاقة وقطعة شعر، أطلب لهما حلمه الذي جبل عليه، وغلب على طبعه وهو صفة من صفات الله ...".

والقصيدة جاءت كالتالي :

مناك منال سل وكن غير نـــازع عن السؤل لا تسام ودم خير فارع
مديح الفرع لا شـط والـــــج ومن جد واجد لأقصى المطامـــع
ولا سيما حيث الكريم له الرضى بإلحاح سؤل شاع عن خير شافـع

إلى قوله :

ومستشفع لي عنده قلت إنــــه كريم نداه عنده خيـــر شافـــع
إلى كرم المولى رجعت وحلمه ببغية قاض بين راء وسامـــع
فإن الذي عليك قد فرض القـرآ ن رادك للمعاد أفضل راجـــع

وقـــال عنه : "ومن معهود حلمه وحيائه وحسن خلقه وكرمه، بمجرد ما قرأ البطاقة والقصيدة، غلبته جبلة طبعه، فأمر بتسريحه وبصلـــة لي مشتملـــة على دراهم وقمـــح وكســـوة، زيـــادة على مطلبـــي الخاص... فرجعت قريـــر العيـــن مسرورا، ومن ثم لسانـــي منطلق لـــه بالـــدعـــاء".

ونلاحظ ملامح الزهد والورع في نصوصه حيث التذكير بالموت والرحيل والنار، وقد استقى مفاهيمه، من قصيدة البردة على سبيل الاحتذاء الدلالي، ونظمها في البحر البسيط، كما فعل البوصيري، وأغلب معارضيه من بعد، وتعد هذه القصيدة نموذجا من نماذج تلقي الشعراء السباعيين لقصيدة البردة بنوع من الانزياح، حيث التخلي عن موضوع البردة المباشر - مدح الرسول (ص) - إلا أنها ظلت تحافظ على بعض بنياتها العامة دلالة وإيقاعا، مما يبين مدى هيمنة قصيدة البردة على الفضاء الشعري المغربي، الذي كان يستنشق هواء الزهد والتصوف.

وأغلب الشعراء الذين عاصروا محمد بن إبراهيم تكرور، كانوا يحافظون على هذا النمط، لما له من اثر كبير على نفسية المتلقي، مثل الشاعر إدريس بن محمد الجعيدي، وعبد الله بن الهاشمي بن خضراء.

ومن ختمياته قوله في ختم صحيح البخاري :

لله در ذا البخاري وصنعـــه وشرط صنيعه به اكتسبت الفخـــرا
فطوق جيد العلم عقدا منضدا وزاد حلى الحديث حسنا كما يدرى

وبعد مفارقته للحياة قال عنه تلميذه العباس بن إبراهيم : "كانت له جنازة حافلة بعد العهد بمثلها في مراكش، حضرها كافة الناس حتى الخليفة السلطاني، وعظم مصاب الناس بموته، لما له من العلم والدين المتين..." وقد رثاه بقصيدة طويلة :

صروف الدهر أكثرها شـرور ووقع النائبات به مبيـــر
وأيـــام الســـرور به قصـــار وأوقات العزاء به كثيـــر
سهام الموت فينــــا صائبـــات ففي الآفات نعي مستطيـــر

توفـي بمراكـش عام 1332 كما قال تلميذه محمد بن محمد الموقت : "توفي يوم الاثنين، سادس رجب الفرد عام اثنين وثلاثين وثلاثمائـــة وألف، ودفـــن داخل قبة القطب الغزواني، رضي الله عنه واحتفل الناس بجنازته غاية الاحتفـــال ووقع الازدحام عليها حتى كاد أن يتقاتـــل عليها الرجال".

السباعي محمد بن إبراهيم تكرور، *سيف النصر لنفع الإيهام، ونكر موجب محبة نرية مولانا هشام*، مخطوط، خ.ع. رقم : 2942، الرباط ؛ *البستان الجامع لكل نوع حسن وفن مستحسن، في عد بعض مآثر السلطان مولانا الحسن*، مخطوط، خ.ع. رقم : 5، الرباط ؛ عبد الحفيظ بن محمد الطاهر بن عبد الكبير الفاسي، *معجم الشيوخ : المسمى رياض الجنة أو المدهش المطرب*، صححه وخرج حواشيه وعلق عليه عبد المجيد خيالي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003.

محمد رشيد السيدي

السباعي (سيدي -) **محمد** ولد **إبراهيم** الصغيري، هو الفقيه العلامة سيدي محمد بن إبراهيم بن سعود بن إبراهيم بن علي بن سيدي محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمان بن محمد الأصغر، ولد سنة 1315 / 1895 بـدوار أولاد الصغيـــر بتغسريت (سيدي المختار) نواحي مراكش، وبها نشأ وترعرع ودرس علوم الدين والفقـــه في مدرسة أولاد مومنـــة، حيث تتلمذ على يد العلامة سيدي محمد الضو بن عبد الكريـم المومني السباعي، وأخذ عنه الفقه المالكي وعلوم الشريعة والميراث.

اشتهر بالزهد وانتقاد البدع والتواضع الجم للعام والخاص، واشتهر بفصاحته وورعه في علوم النحو، وكان يقصده الناس من كل المناطق بقصد الإفتاء والاستشارة في بعض النوازل، وقد وصل صيته إلى بلاد شنقيط. وكان ضمن الوفد السباعي الذي زار الملك محمد الخامس على إثر قضية الشافعي وبركاتو، وعلى إثر

ذلك زار محمد الخامس القبيلة وصلحت الأمور. كما كان يتراسل مع العلامة المصري التومي الفلكي وكانت له علاقة وطيدة مع علماء جامعة القرويين بفاس. ومن أصدقائه العلماء آنذاك نذكر الفقيه عبد القادر من السعيدات، الفقيه محمد عبد الله البوجمادي، الفقيه محمد الحسن السباعي من دوار الصفية، والفقيه عمر العزوزي السباعي. وله عدة ظهائر سلطانية ترك عدة أعمال في الأدب والفقه، نذكر منها :

- صمصامة عمرو في الرد على الكانوني وموافقيه من علماء العصر، مخطوط يوجد في حوزة ابنه عبد الله سعود بالعيون، ونسخة منه في حوزة لشقر مولاي أحمد بن مولاي المامون السباعي بسيدي المختار. وله كذلك عدة فتاوي فقهية. إلا أن الكثير من أعماله ضاع إثر الحريق الذي تعرضت له خزانته الخاصة بعد وفاته.

وترك من الأبناء : إبراهيم، وعبد الرحمان، وأحمد، وعبد الله وفاطمة (النوار)، ولعزيزة، والغالية.

توفي سنة 1386 / 1966 بمسقط رأسه.

عبد الله بن عبد المعطي السباعي، *الدفاع وقطع النزاع عن نسب الشرفاء أبناء أبي السباع*، ط. 1، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1940 ؛ لشقر مولاي أحمد بن مولاي المامون السباعي، *الابداع والاتباع في تزكية شرف أبناء أبي السباع*، ط. 1، مطبعة الجنوب، الدار البيضاء، 1986 ؛ صالح بن بكار السباعي، *الأنس والإمتاع في أعلام الاشراف أولاد أبي السباع*، ص. 92، ط. 1، مطبعة دار وليلي، مراكش، 2000 ؛ مولاي إدريس شداد ومحمد دحمان، *الشرفاء أولاد أبي السباع*، مصادر ومراجع، مطبعة ابن زناسن، سلا، 2002 ؛ *مقابلة شفوية* مع كل من السيد لحبيب ولد عبد الله المومي السباعي بگلميم، وولده عبد الله سعود الصغيري السباعي بالعيون.

مولاي إدريس شداد

السباعي، محمد (الشيخ -) ولد سيدي اخليل

هو : محمد الشيخ بن سيد العباس بن بن سيد اخليل بن سيدي سالم بن سيدي امحمد بن سيدي إبراهيم بن رزوك، ينتسب إلى أولاد أبي السباع، ولد حوالي 1920 بامحاميد الغزلان، درس مبادئ القراءة والكتابة في مضارب خيام أهل سيدي اخليل، كما انخرط مبكرا في العمل التجاري وحضور "اجماعة" القبيلة. وقد اشتهرت أسرته - أهل سيدي اخليل - داخل قبيلة أعريب المعروفة، حيث ينتمون لفخذة أولاد بوذن من بطن لكراذبة. كما كان له أخ مشهور هو سيدي محمد بن سيدي خليل، الذي كان له تأثير قوي على قبيلة اعريب بفعل رأس ماله الثقافي - علوم لغوية ودينية - وكذا رأس ماله التجاري وبذلك استطاع الحصول على درجة "شيخ العام" أي شيخ القبيلة. وهكذا ترعرع محمد الشيخ في هذا الجو الاجتماعي والسياسي الذي زامن الهيمنة الاستعمارية الفرنسية على منطقة درعة الوسطى، وكان لهذا المقاوم زوجتان من قبيلة أعريب، الأولى هي المرأة الحكيمة والشاعرة لحجيلة بنت حمادي بن عدو، ولما توفيت تزوج الثانية في الخمسينات من القرن العشرين، وقد أنجب من الأولى والثانية مجموعة من الأبناء الذين تعلموا في المدارس النظامية وصاروا أطرا عليا في مجال الطب والعلوم وكذا مستثمرين في مجال السياحة الصحراوية بمنطقة درعة.

انخرط محمد الشيخ في العمل الوطني منذ الأربعينيات من القرن العشرين، بل أصبح من الأعيان الذين لهم اطلاع على الأحداث الوطنية ويتابعون برامج الحركة الوطنية بالشمال، نظرا لتنقله الدائم نحو مراكش والبيضاء والرباط وكذا لممارسته التجارية ومتابعة قضايا قبيلة أعريب التي اعتبرها الاستعمار الإسباني والفرنسي من القبائل المناهضة (Dissidente) لسياسته. فإنهم واجهوا توسع الباشا لگلاوي في منطقة درعة حيث استطاعوا طرد عماله من ناحية امحاميد الغزلان، ولم يستطع أن يبسط نفوذه عليهم. هذا ناهيك عن المقاومة الثقافية، حيث ظل أهل سيدي اخليل خاصة، وقبيلة أعريب عامة يتحاشون التعامل المباشر مع الإدارة الاستعمارية.

وفي المقابل همش الاستعمار تلك المنطقة - منطقة امحاميد الغزلان - من حيث التجهيزات الأساسية، بل فرض عليها الحصار بفعل توقف التجارة الصحراوية وتوالي السنين العجاف في أربعينيات القرن 20.

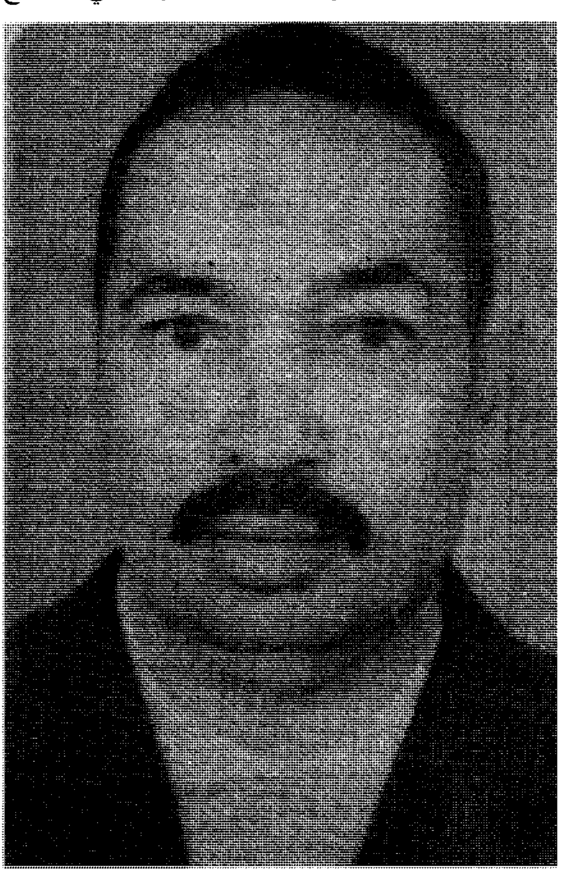
ولما تقدمت طلائع جيش التحرير إلى الجنوب المغربي كانت قبيلة أعريب، ومحمد الشيخ بن سيدي اخليل واحد منها، في مقدمة المنخرطين في تلك الحركة. هكذا كانت داره من ضمن المنازل التي أصبحت مأوى للمقاومين، كما استطاع جمع المال والعتاد والمؤونة للازمة لمواجهة قوات الاحتلال، إذ استطاع مقاتلو جيش التحرير القيام بعمليات عسكرية انطلاقا من امحاميد الغزلان في اتجاه الشرق حيث كانت معركة الغردكي في واد الساورة، وفي اتجاه الجنوب حيث كانت معارك مركالة وأم لعشار. لهذا كان لقبيلة أعريب ولأعيانها وصلحائها مثل سيدي المدني بن أحمد ومحمد الشيخ بن العباس وغيرهما أدواراً طلائعية في تأطير المقاومين وتوفير العتاد والمال، ذلك أن منطقة امحاميد الغزلان هي المكان الحقيقي والتاريخي لانطلاق عمليات جيش التحرير في الجنوب، ولا أدل على ذلك من الزيارة الملكية التي قام بها مباشرة بعد استقلال المغرب (فبراير 1958) الملك محمد الخامس حيث استقبل جميع القبائل الصحراوية وأعلن عن مواصلة تحرير ما تبقى من الأراضي المغربية المغتصبة، وكان من بين مستقبليه محمد الشيخ بن العباس وأعيان قبيلة أعريب وقبائل شنقيط والرگيبات وأولاد دليم وتكنة، وظل محمد الشيخ أحد أعيان ووجاء المنطقة كما شارك في مختلف الأنشطة الوطنية وعمل على رص الصف وخدمة الوحدة الترابية للمغرب، حيث ساند المسيرة الخضراء، كما ساهم في تأطير القبائل إبان القيام بعملية تحديد الهوية بصدد الاستفتاء الذي كان ينتظر تنظيمه في الأقاليم الجنوبية. حاصل على بطاقة مقاوم، وظل رافعا رأسه متعففا مساندا فهو لانعتاق وتحرر الشعب المغربي رافضا للأمية مقاوما للتخلف والانغلاق.

توفي بتاريخ 13 فبراير سنة 2005 ودفن جوار ضريح جده الولي الصالح سيدي اخليل قرب قصر أولاد امحيا بامحاميد الغزلان (إقليم زاگورة).

مقابلة ميدانية أجريت مع هذا المقاوم في ربيع سنة 2001 بامحاميد الغزلان ؛ جورج سليمان، *آيت عطا الصحراء وتهدئة درعة العليا*، ترجمة : محمد بوكبوط، نشر المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، 2008، الرباط.

Lieutenant Terrason, Etude sur la Tribu des Arib, in : *Renseignements Coloniaux*, N° 8, Aout, 1931.

السباعي (مولاي -) **محمد** ولد **امبارك** : هو مولاي محمد ولد امبارك ولد حيفوظة (شداد)، ينحدر من سلالة الغازي فخذ أولاد جمودة، أحد أولاد أبي السباع السبعة الموجود مزارهم بواد الساقية الحمراء. ولد سنة 1339 / 1919 بمنطقة بوجمادة بقبيلة أولاد أبي السباع



جنوب غرب مدينة مراكش. تربى في حضن والده الذي ينحدر من أسرة رئاسة في قبيلته، ولما اشتد ساعده وشب فرضت عليه الإدارة الاستعمارية الفرنسية التجنيد نهاية 1939، ونقلوه إلى فرنسا للمشاركة في الحرب العالمية الثانية. وبعد انتهاء الحرب عاد إلى أرض الوطن بعد أن منحوه رتبة رقيب أول نظرا لما أبلاه في الحرب ضد الحلفاء. ومع نهاية الأربعينيات تأثر بالحركة الوطنية الناشئة بالمدن، وكانت نتيجة ذلك انخراطه في جيش تحرير الجنوب، حيث أصبح من المؤطرين العسكريين في سوس وآيت باعمران إلى جانب كل من إبراهيم أعراب السباعي وسيدي إبراهيم البوكرفاوي ومحمد بنسعيد آيت يدر، فكان من الذين مهدوا لانتفاضة قبائل آيت باعمران ضد الاحتلال الإسباني.

وبعد إعلان استقلال المغرب، استقر مولاي محمد بمدينة أگادير للعمل في إدارة ميناء هذه المدينة مسؤولا عن توظيف المستخدمين في هذه المؤسسة، حيث ساهم في تشغيل العديد من أبناء القبائل الصحراوية من الصحراء والحوز وسوس، كما كان بيته مفتوحا في وجه الضيوف والوطنيين المارين نحو الصحراء أو نحو الشمال، ولما قامت حرب الرمال بين المغرب والجزائر سنة 1963، التحق بالجيش الملكي من جديد حيث شهد معارك إيش ولكْرب واحْمادة گير. وبعد أن وضعت الحرب أوزارها، عاد إلى عمله المدني بأگادير، فمنح أوسمة تقدير واحترام، كما منح منصب نائب رئيس قدماء المحاربين وجيش التحرير لمنطقة أگادير والنواحي.

توفي سنة 1392 / 1972 ودفن في أگادير ترك من الأبناء ثمانية من الإناث وذكر واحد.

محمد بنسعيد آيت يدر، *صفحات من ملحمة جيش التحرير بالجنوب المغربي*، 2006 ؛ صالح بن بكار السباعي، *الأنس والإمتاع في أعلام الأشراف أولاد أبي السباع*، مطبعة دكار، الرباط، 2005 ؛ *خزانة وثائق* أهل مولاي محمد ولد حيفوظة (شداد) بأگادير.

محمد دحمان

السباعي (سيدي -) **محمد التشيتي** البوعنگاوي، هو العالم والفقيه، الشيخ محمد بن سيدي محمد، الملقب بالتيشيتي بن عبد الله بن المختار بن محمد بن أكنابر بن محمد بن إبراهيم، من قبيلة أولاد أبي السباع ومن فخذ بوعنگة أو بوعنقة. ولد بتيرس الغربية حوالي سنة 1172 من أبوين كريمين، فوالده هو الفقيه الشيخ سيدي محمد بن عبد الله التيشيتي البوعنقاوي السباعي، الذي أعجب به العلامة أفلواط بن مولود وجاء به من مراكش، واتخذه إماما ومعلما وأكرمه بما هو أهله، ولقبه بالتيشيتي. وأما والدته فهي مريم بنت يرشيد بن محمذن بن الحاج بن المختار، وهي سيدة فاضلة تنسب لقبيلة إيديقب عرفت بالعلم والعلماء.

تزوج الشيخ سيدي محمد التشيتي من مريم بنت حبيب الله اليعقوبية، فأنجب منها خمسة أولاد ذكور، وبنتاً واحدة، وهم : أحمد، وعبد الرحمن، والنعمان، ومحمذن، والمختار، وفاطمة المكنات بأمتو وهي والدة أبناء الشيخ العالم محمد بن محمد سالم المجلسي.

قال فيه العلامة الأستاذ المختار بن حامد : "... ولما بلغ سن التعلم ظهرت عليه ملامح الذكاء وامتاز بالفهم وسرعة التعلم، فبدأت والدته في تعليمه القرآن حيث لم يستغرق تعلمه له كثيرا من الوقت بل كان يعتقد كل من رآه أنه كان يحفظه، وذلك بسبب الموهبة التي وهبه الله إياها، وكان لا يقتصر على تعلم القرآن وحده، فقد كان والده يعلمه العلوم الأخرى، وما أن بلغ حتى صار بحرا لا ساحل له أحرى في السر". كل ذلك على يد والده الذي كاد يفوقه علما وحكمة، كما أنه كان أديبا زاهدا حليما إلى أقصى درجة فلا يتكلم إلا فيما يعنيه وأكثره يكون في

أمور الآخرة، وكان حسن الخلق مع الأقارب والجيران الأرقاء، وله كثير من الكرامات والمشاهدات.

عاصر الشيخ محمد التشيتي الكثير من العلماء الأجلاء نذكر منهم على سبيل المثال : الشيخ سيدي المختار الكنتي (1226)، وابنه الشيخ سيدي محمد الغوث (1244)، والشيخ سيديا الكبير بن المختار بن الهيبة الأبيري (1285)، والشيخ محمد فال بن متالي (1287)، والشيخ محنض بابه بن أعبيد الديماني، والشيخ محمد المامي بن البخاري الباركلي (1282)، والشيخ البخاري بن الفلالي، والشيخ محمد بن محمد سالم المجلسي، والشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل القلقمي (1328)، والعلامة بابه بن أحمد بيبه العلوي وغيرهم.

أما عن مكانته الصوفية، فيقول محمد عبد الله بن البخاري بن الفلالي في كتاب الحياة العمرانية : "... أما مكانته الصوفية فالشيخ محمد هو الولي الكبير والمربي الشهير مورد المريدين ومفيد المسترشدين القطب الكامل والعالم العامل الصمداني الرباني الشائع ذكره وصيته عند ذوي الألباب أهل الفضل والأقطاب ممن هو في زمانه ويعرف بأقرانه خالد الذكر بالشفاه والحبر ذو الكرامات الوافرة والأسرار الباهرة والتصرفات الشهيرة والكشوفات النادرة المعروف بالخمول وحسن الطبع والزهد والورع. فقد كان يحاول إخفاء ما فيه خوفا من الظهور إلا أن ذلك لم يصح له وقد كان كثير التلاميذ وأحرى في الصوفية وقد ثبت جذب هؤلاء وحصولهم على مطلوبهم بإذن الله الذي لا مانع لما أعطى ولا راد لما قضى، وقد كانوا رجالا ونساء، كما كان حسن التصرف معهم بالتوجيهات الصائبة والإرشادات القيمة وخرق العوائد المتكررة والورع والعفة والإعراض عما سوى الآخرة".

كان الشيخ محمد بن سيدي محمد التيشيتي من أجل علماء بلاد شنقيط والجنوب المغربي أي منطقة تيرس الغربية (واد الذهب)، وكان من مشايخ الصوفية، وانتفع بعلمه كثير من طلبة العلم، ومتصوفين. وقد كثر طلابه واتباعه، وكانوا يقولون أنه من أهل التمكين وأهل الكرامات لما أعطاه الله من الفضل والولاية والصلاح ومن أبرز تلاميذه في العلم الظاهر كالقرآن، والحديث، والفقه، والنحو، واللغة، وفي علم التصوف كما جاء عند الأبييري، "إماطة القناع"، (ج 2، ص. 103)، نذكر على سبيل المثال :

- ابن أخته الشيخ العلامة محمد بن محمد سالم المجلسي صاحب التصانيف المفيدة التي منها شرحه على مختصر خليل بن إسحاق في الفقه المالكي الذي سماه : (لوامع الدرر، في شرح المختصر) في عدة مجلدات، وتفسيره للقرآن الذي سماه : (الريان، في علوم القرآن) وشرحه لصحيح البخاري الذي سماه (النهر الجاري، على صحيح البخاري) وهو ممن أخذ عليه، وقيل في آخر زمنه أنه ترك ورده لابن أخته إلا أن الشيخ أكد عدم ذلك. والشيخ العتيق بن بارك الله بن مولود بن بارك الله، وهو مدفون بجواره في مقبرة بئر إيكني بتيرس. والسيدة أم الخير بنت أحمد الخرشي، المرأة الصوفية الصالحة، أخذت الورد على الشيخ محمد بن سيدي محمد، وهي مدفونة بجواره في مقبرة (بئر إيكني).

قال العلامة محمد بن محمد سالم المجلسي في شيخه وخاله الشيخ محمد بن سيدي محمد التيشيتي ما يلي :

أراك على الأكوان أحوط حائط	يعود على كل بأحصن حائط
فيمنك موفور وسيبك واسع	وأسمح مزن منك واهي الروابط

عثر بعد وفاته على بعض مؤلفاته في علم التوحيد وأكثرها منظومات شعرية، وفتاوى في فقه المذهب المالكي، منها أرجوزة في علم التوحيد أولها :

الحمد لله الذي دل عليه	إيجادنا ثم افتقارنا إليه
الأول الفرد بلا بدايه	والآخر الباقي بلا نهايه

توفي سنة 1263، ودفن بئر إيكني بتيرس.

ماء العينين بن أماتي ولد النعمان، *الشيخ محمد بن سيدي محمد السباعي* (1172 / 1263)، بحث لنيل شهادة الإجازة في الشريعة الإسلامية، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، نواكشوط، السنة الجامعية 1985 / 1986 ؛ سيدات ابن الشيخ المصطفى الأبييري، *إماطة القناع عن شرف أولاد أبي السباع*، ج 2، طباعة مكتبة آل الحاج أحمد السباعيين، نواكشوط، 1422 / 2001 ؛ صالح بن بكار السباعي، *الأنس والإمتاع في أعلام الأشراف أولاد أبي السباع*، ط. 2، مطبعة ووراقة داكار، الرباط، 2005 ؛ محمد عبد الله بن البخاري بن الفلالي، الحياة العمرانية، مخطوط بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم 298.

السباعي (سيدي -) **محمد الجمودي** هو القطب والولي الصالح سيدي محمد الجمودي بن عبد الرحمان الغازي بن عبد المولى السباعي، وهذا الأخير من الشهداء السبعة لأولاد أبي السباع، اللذين حاربوا ضد التوغل البرتغالي بالمنطقة، ولقوا حتفهم على يد الضابط البرتغالي الشمصعي Somida، ومزارهم يوجد بنفس المنطقة التي دارت بها الحرب، تسمى الطويحيل على واد الساقية الحمراء بنواحي مدينة السمارة.

عاش هذا الولي الصالح في ما بين القرن 10 و11 هـ / 16 و17م، وعرف بغزارة علمه وتفقهه في علوم الدين وبزهده في الحياة، كما عرف بكرامته التي لقب بإحداها "الجمودي"، فبعض الروايات تروي أنه كان يجمد الماء لذا سمي بالجمودي. ويوجد مزاره بگلب سيدي هباب وسط أفرا جماعة رأس أمليل إقليم گلميم، ويقصده الناس للزيارة والتبرك وخاصة قبائل آيت لحسن وأولاد أبي السباع.

فهو الجد الجامع لفخذة من قبيلة أولاد أبي السباع تحمل إسم "أولاد جمودة"، يوجدون بكل من حوز مراكش ببوجمادة (جماعة السعيدات إقليم شيشاوة)، وجزء آخر يتواجد بإقليم اشتوكة آيت بها بسوس يطلق عليهم "بنگمود"، وهناك أسر منهم متناثرة ما بين الساقية الحمراء وموريتانيا وخاصة بالسمارة والعيون ونواكشوط.

عبد الله بن عبد المعطي السباعي، *الدفاع وقطع النزاع عن نسب الشرفاء أبناء أبي السباع*، ط. 1، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1940 ؛ لشقر مولاي أحمد بن مولاي المامون السباعي، *الإبداع والإتباع في تزكية شرف أبناء أبي السباع*، ط. 1، مطبعة الجنوب، الدار البيضاء، 1986 ؛ صالح بن بكار السباعي، *الأنس والإمتاع في أعلام الأشراف أولاد أبي السباع*، ص. 92، ط. 1، مطبعة دار وليلي، مراكش، 2000 ؛ مولاي إدريس شداد ومحمد دحمان، *الشرفاء أولاد أبي السباع*، مصادر ومراجع، مطبعة ابن زناسن، سلا، 2002.

مولاي إدريس شداد

السباعي، محمد الحسن بن سيد عبد الله

(الدميسي) ولد حوالي 1220 / 1805 بمدينة ولاتة في الجزء الشرقي في بلاد شنجيط - على ما ذهب إليه هارون بن الشيخ سيديا - وذهبت معظم الروايات الشفهية المتواترة إلى أنه ولد في مدينة تيندوف الواقعة حاليا في أقصى الجنوب الغربي الجزائري، وكانت آنذاك موطنا لكثير من العائلات العلمية والدينية من بلاد شنجيط.

وكان والده سيدي عبد الله بن أحمد السباعي علامة معروفا. وقد أقام خلال مراحل مختلفة من حياته ما بين "تيندوف" وما جاورها وولاته وأحيانا "تنبكتو" وضواحيها، ولعله كان يجمع إلى العطاء العلمي النشاط التجاري سعيا إلى استقلالية مواقفه العلمية، واستقرار حياته اليومية ويظهر أن ابنه محمد الحسن ولد في تيندوف ونشأ في ولاته وفي هذا نوع من الجمع المعضد بقدر من الاستنتاج العلمي بين الروآيتين السابقتين. وكانت والدته تدعى "مامسري" وهي ابنة أحد علماء وشيوخ قبيلة بمبارة .. وكان يقيم في مدينة أنيور المالية.

فقد نشأ بمدينة "ولاته" وفيها درس، ثم رحل إلى مناطق مختلفة من بلاده، والبلاد المجاورة لطلب العلم، وهكذا حفظ القرآن الكريم، وأجيز في حفظه وتجويده، كما تضلع في علوم الشريعة واللغة وغيرها من علوم ومعارف عصره، ومن أبرز شيوخه الشيخ محمد الأمين بن عبد الوهاب الفلالي المتوفى سنة 1254 / 1839 الذي أجازه في القرآن الكريم في قراءة الإمام نافع برواية ورش وقالون وذلك بتاريخ 17 ذي القعدة عام 1248 / 1833. وتمر هذه الإجازة بالحافظ العلامة سيدي عبد الله بن أبي بكر التنواجيوي عبر الطالب صالح بن الطالب المختار، عن الحاج سيدي عبد الله بن أبي بكر التنواجيوي، عن سيدي أحمد لحبيب الفلالي اللمطي...

ويبدو أنه قد أجيز من طريق أخرى لأن الدارج عند الكثير من المصادر الشفهية الموثوقة أن لديه إجازة أخرى في القراءات السبع، يرجح أنه أخذها من مدينة فاس حسب ما هو مشهور في وسط أسرته..

وقد ربطته بالشيخ سيديا الكبير بن المختار بن الهيبة الأبييري (ت. 1284 / 1867) أخوة وصداقة لله خالصة من أعمق ما يكون، وتختلف الروايات الشفهية والمكتوبة في كيفية التقائهما، فيذهب البعض إلى أنهما التقيا في "أزوواد" وهي الرواية المتواترة عند أسرته ويذهب هارون بن الشيخ سيدنا إلى أنهما التقيا في مكان يدعى تنياكرت قرب بوتلميت، وتجمع رواية أخرى بين الروآيتين السالفتين فتذهب إلى أنهما التقيا في أزواد، وأن الشيخ سيديا أطلع تلامذته على قرب وصول الشريف محمد الحسن السباعي، وأمرهم بتهيئة ما يلزم لاستقباله، ثم تلقاه قبل مراحل من حاضرته العامرة.

وتعمقت علاقتهما بقبول محمد الحسن بن سيد عبد الله تدريس الشيخ سيد محمد بن الشيخ سيديا (ت 1286 / 1869) وتحفيظه القرآن الكريم وعلوم التجويد، وقد قدم محمد الحسن السباعي والشيخ سيدي محمد في سنته الخامسة وأن الشيخ سيديا قال له خذ هذا الطفل يعني الشيخ سيدي محمد ولا يفارقك حتى يحفظ كتاب الله تعالى ولا يشرب إلا سؤرك. وقد أجازه فيه في يوم مشهود ؛ ولا شك أنه قد أخذ عنه أيضا العلوم الشرعية وغيرها من علوم ومعارف عصره.

وقد ترك الشيخ وصية لأبنائه تخص نصيب شيخه وهي "مدا" ؛ وهي أمر من لالة "محجوبة" أمامة بنت عالي ولد عبدي السيدة الفاضلة الكريمة زوج الشيخ سيديا الكبير ووالدة الشيخ سيدي محمد إلى من دعته في رسالتها المريد الصادق المكرم الفائق عمر "تأمره أن يبقي "المد" الذي يخص الشريف محمد الحسن على ما هو عليه، ويبدو أن هذا الكتاب أرسل إليه بعد وفاة الشيخ سيديا الكبير تأكيدا لاستمرار "المد"، وظل كذلك إلى فترة غير بعيدة.

وقد ظل الشيخ محمد يحفظ ذلك ؛ ويقول بمناسبة مولد ابنه محمد الأمين بن محمد الحسن ووالدته مريم الجدل بنت لمهابة من أهل محند نلل ابن امرابط مكة الأبييري :

بشرى فهذا هلال السعد قد طلعا	من هاشم في سماء المجد مرتفعا
من جعفري وعلي اصل عنصره	مقابل الطرفين الأشرفين معا

كما تخرج عليه عدد من حفاظ وعلماء عصره، بلغ عددهم 13 رجلا، كانوا من أكابر العلماء والحفاظ في البلاد خاصة في الجنوب والغرب.

ويتميز سنده في قراءة الإمام نافع عبر عبد الله بن أبي بكر التنواجيوي المشار إليه سابقا أنه الأقدم حسب البحوث الحالية الذي لا يمر بحرمة بن عبد الجليل في المنطقة الجنوبية الغربية من بلاد شنجيط، كما أنه من أقصر الأسانيد في المنطقة قياسا إلى الأسانيد الأخرى المتعارفة، ومن تم فإنه يعد رافدا مستقلا من رافد القراءات القرآنية في هذا الجزء من البلاد، تقتضي الدراسة الدقيقة لها الاهتمام به وترصد انتشاره في المنطقة، وامتداده خارجها سعيا لإنجاز صورة أكثر دقة ووضوحا لمعرفة مسارها، وتتبع منابعها وخريطتها التفصيلية.

وبعد أن شاع أمره بين الخاص والعام كما قال هارون بن الشيخ سيديا، واشتهرت بين الناس كراماته وفضائله ؛ انتقل إلى گامبيا داعيا وإماما ومعلما، وكان من أوائل من نزلها من أبناء بلاد شنقيط والمغرب العربي عموما، وأسهم على نحو واضح في نشر الإسلام بها، وكانت له بها حضرة عامرة، لازالت تشهد بها

مكانتــه العميقــة في نفــوس أبناء ذلك القطــر وتزاحمهم على زيارة ضريحــه رحمه الله، وكثــرة من يعيــش منهم ومن غيرهم مــن الناس هنالك على أوقافــه وهــداياه إلى يومنا هذا.

وقد تناقل الناس عبر الزمان مناقبه وكراماته، وأخبار صلاحه واعتنى هارون بن الشيخ سيديا بذكر جانب من أخبار مناقبه وكراماته، وهو من هو في الدقة والتوثيق والاهتمام بالرواية، والحرص على الموضوعية، قال : ويحكى أنه ربما سمع تلاوة القرآن عند قبره، وقد حفر عنه السيل مرة أو أمواج البحر فوجد كما دفن ؛ وله شهرة عند أهل گامبيا إلى اليوم..

وقد أخبرني الباحث الثقة الحجة إسحاق بن محمد بن باب بن الشيخ سيديا رحمه الله أنه وجد الرجل الغامبي الذي تولى عملية نقل قبره من موضع قرب البحر إلى موضعه الحالي البعيد عنه نسبيا وقال لي : عن الرجل الغامبي - وقد ذكر لي اسمه وكتبته عنه ولكني لم أعثر عليه بعد في وثائقي - إن هذا الغامبي ومن كان معه من مساعديه وجدوا جثمان الشريف محمد الحسن كما دفن وذلك أمام جمع من الناس عظيم وعلى مراقبة من السلطات الاستعمارية الأنجليزية ؛ وذكر لي أن لقاءه بهذا الرجل كان خلال سفره مع الشيخ سيديا إلى گامبيا أثناء زيارة الشيخ عبد الله لضريح الشريف محمد الحسن السباعي وكان ذلك قبل حوالي نصف قرن من الزمن. وترك من الأبناء أربعة أبناء وثلاث بنات.

توفي بأنجول بگامبيا سنة 1290 / 1873. وقبره بها مزارة مشهورة.

هارون بن الشيخ سيديا (ت 198، *كتاب الأخبار*، ج 3، تحت الطبع بعناية باب بن هارون، ص. 252 ؛ محمد المصطفى بن محمد لحسن (ت 1987) *من جلسة* معه بتاريخ 1980 / 5 / 11 ؛ محمد محمود بن محمد الأمين (ت 1987) *من لقاء علمي* معه بتاريخ 1987 / 2 / 7 ؛ الطالب محمد بن أبي بكر البرتلي، *فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور*، تحقيق، محمد الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981 ؛ أحمد بن الأمين الشنجيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنجيط*، ط 4، دار الخانجي، مكتبة منير، 1989، ص. 241 ؛ إبراهيم بن إسماعيل بن الشيخ سديا وسيدي أحمد بن أحمد سالم، *عن أعلام الموريتانيين*، ج 1، ط 1997 ؛ ابن حامد، *موسوعة ابن حامد*، جزء أولاد أبي السباع (بدون تاريخ) نواكشوط ؛ حرمة بن عبد الجليل الدنبجة بن معاوية، *واضح البيان في معرفة أشياخي في القرآن*، مخطوط، نواكشوط.

محمد الحسن ولد محمد المصطفى

السباعي، محمد الصغير بن عبد المعطي

هو محمد الصغير بن عبد المعطي بن أحمد بن محمد بن عبد المعطي، من قبيلة أولاد أبي السباع، فخذ أولاد عبد المولى. ازداد في الصحراء حوالي سنة 1885 / 1306 وهو الابن البكر للعلامة عبد المعطي الذي رحل من حوز مراكش في اتجاه الصحراء لنشر العلم وبثه في القبائل الظاعنة والمتاخمة في هذا الجزء من البلاد.

تعلم على يد أبيه العلوم الدينية واللغوية والنحوية، كباقي إخوته عبد الله بن عبد المعطي، ومولاي أحمد الطاهر بن عبد المعطي، ومحمد الحسن ابن عبد المعطي. فكان يلازم أباه في كل الحلاقات العلمية وجال معه في كل البقاع حتى بلاد تيرس الشرقية بشنقيط (موريتانيا حاليا)، وهذا ما حفزه لكتابة سيرة أبيه العالم عبد المعطي، في مخطوط سماه "مهذب الأخلاق والطباع بمناقب سيدي عبد المعطي سلالة أبي السباع"، ذكر فيــه الشيوخ اللذيــن أخذ عنهم أبوه وأبــرز تلامذته، وقد فرغ من كتابته سنة 1916 / 1335، ثم ألحق به أشياء ونقحه وفرغ منها غروب شمس يوم الثلاثاء 29 رجب عام 1341 / 1922. ومن مؤلفاته كذلك، مخطوط : "شنوف (أو تشنيف) الأسماع بنسب أولاد أبي السباع"، وله عدة مؤلفات وقصائد شعرية، وحاشية "بهجة السيوطي على ألفية ابن مالك"، قال عنه محمد المختار السوسي في كتابه (*المعسول*، ج 8 ص. 269)، في ترجمة لأخيه عبد الله بن عبد المعطي وأبيهما عبد المعطي بن أحمد، ما يلي : " هذا السيد المترجم شيخنا محمد عبد الله (أي أخوه). والده هو الأستاذ الكبير سيدي عبد المعطي الذي كان مذكورا بين الآخذين عن سيدي سعيد الشريف الهشتوكي وسيدي إبراهيم أبي السدرة السوسي. وبسبب إسناده انتشر لبعض كبار السوسيين ذكر عطر. وهو أستاذ جليل القدر. له ترجمة واسعة قام بها ولده سيدي محمد الصغير في تأليف حسن رآيته عنده. ولم أكن طالعته ولا استنسخته إذ ذاك لكون هذه الهمة مني لا تزال في العدم. وله مدرسة قائمة في عهده بالتدريس منه ومن أولاده من بعده. وقد تخرج به أناس في مقدمتهم أولاده أكبرهم سيد محمد الصغير العلامة النحوي اللغوي الدراكة مع يد غير قصيرة في الأدب. عرفته وجالسته مرارا. وكان بيننا وداد كبير. وهو متواضع تلقن الطريقة الصوفية عن بعض رجالات حمْر المشهورين من (ءال بوسونى) وقد تلقنها هذا من الشيخ الإلغي. فبذلك التلأم جدا ما بيني وبينه. وقد قام خليفة لأبيه في الدرس وإطعام الطعام. إلى أن اعتره مرض في إحدى رجليه. بل سرى في غالب جسده. وقد لقيته وهو على هذه الحالة بالرباط وبالبيضاء فوجدت لسانه الفصيح كما كان. وكان يتعاطى القريض. ولكنه دون قريض شيخنا بدرجات. وقد ذكر لي أن له حاشية على بهجة السيوطي على الألفية. ولعلها لم تتم. أتاه حينه وهو بالزاوية العباسية بمراكش نحو 1350 فنقله أهله إلى قريتهم في مواطن القبيلة السباعية. وله أخ أخاله يسمى محمد الحسن. ولكنه وإن أدرك شأوا في العلوم لم يجر فيها مجرى إخوته وأظنه لا يزال حيا الآن 1357 وهم إخوة بارك الله فيهم فكانوا كلهم نحارير".

وجاء في كتاب للرسموكي *"إزاحة الغشاوة عن تاريخ الحركة العلمية بإقليم شيشاوة"*، ما نصه : "هو الفقيه المحقق النبراس المحلق عالم الدهر ومفتي العصر محمد الصغير بن عبد المعطي الحسن السباعي كان عالما عاملا شاعرا وأديبا محققا لا يشق له غبار له مؤلفات وقصائد ومقالات ...".

وفي كتاب *"الأنس والإمتاع في أعلام الأشراف أولاد أبي السباع"*، لصالح بن بكار السباعي، ما يأتي : "هو العلامة النحوي الباهر، واللغوي الأديب الشاعر، الفقيه الزاهد محمد الصغير بن الشيخ عبد المعطي،

درس وتخرج على يد والده، وخلفه بعد وفاته في التدريس وتسيير شؤون مدرستهم، فكان بحق خير خلف لخير سلف، أخذ الطريقة البسونية عن بعض رجالات أحمر، وله آثار أدبية وشعرية، منها القصيدة التي ذيل بها تقريظه لكتاب *فهرس الفهارس* لمؤلفه الشيخ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني (...). نهج العلامة محمد الصغير طريقة أبيه في الاهتمام بالتدريس والاهتمام بالتربية الروحية، سواء في مدرستهم بأولاد عبد المولى أو بمدينة مراكش، فقد كان يدرس بمسجد الزاوية العباسية ومن أشهر تلامذته الذين نهلوا من معارفه الأستاذ العدل الشاعر عبد الكبير بن الطالب الزمراني. وله مؤلفات أشهرها : (مهذب الأخلاق والطباع بمناقب سيدي عبد المعطي سلالة أبي السباع) وكتاب (شنوف الأسماع بنسب أولاد أبي السباع) ويقال : إن له حاشية على بهجة السيوطي على ألفية ابن مالك...".

توفي بمراكش سنة 1350 / 1931، فنقل إلى قريته بأولاد عبد المولى ليدفن إلى جوار أبيه وأخوته بمدرستهم العتيقة.

محمد الصغير بن عبد المعطي السباعي، *مهذب الأخلاق والطباع بمناقب سيدي عبد المعطي سلالة أبي السباع*، مخطوط بحوزة مدرسة أولاد عبد المولى ببوجمادى، جماعة السعيدات، إقليم شيشاوة ؛ سيدي عبد الله بن عبد المعطي السباعي، *الدفاع وقطع النزاع عن نسب الشرفاء أبناء أبي السباع*، ط 1، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1940 ؛ محمد المختار السوسي، *المعسول*، 20 جزء، المطبعة المهدية، تطوان 1956 - 1960، ومطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1962 ؛ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، *فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات*، تحقيق، إحسان عباس، جزئين، الطبعة 2، الناشر : دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982 ؛ لشقر مولاي أحمد بن مولاي المامون السباعي، *الإبداع والإتباع في تزكية شرف أبناء أبي السباع*، ط 1، مطبعة الجنوب، الدار البيضاء، 1994 ؛ الحبيب أرسموك، *إزاحة الغشاوة عن تاريخ الحركة العلمية بإقليم شيشاوة من خلال الزوايا الصوفية والمدارس العلمية*، الطبعة الأولى، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 2001 ؛ مولاي إدريس شداد ومحمد دحمان، *الشرفاء أولاد أبي السباع*، مصادر ومراجع، مطبعة ابن زناسن، سلا، 2002 ؛ صالح بن بكار السباعي، *الأنس والإمتاع في أعلام الأشراف أولاد أبي السباع*، ط 2، مطبعة وراقة داكار، الرباط، 2005 ؛ عبد العزيز محجوبي ومحمد بن عزاوي، *شخصية مولاي أحمد الطاهري ومآثره في توات*، المعهد الإسلامي لتكوين الإطارات الدينية، بسكرة، الجزائر، 2005 / 2006.

السباعي، محمد الضو بن عبد الكريم

المومني هو العلامة الفاضل، والقاضي المقتدر، سيدي محمد الضو بن عبد الكريم بن عبد النعيم السباعي المومني من فخذة أولاد مومنة بتغسريت قيادة سيدي المختار إقليم شيشاوة، ازداد بدوار مومنة في الربع الأخير من ق 19، وتوفي أبوه وهو صغير السن، فحرست أمه على تنشئته وتربيته، فحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، وكان يعيش هو وأمه بالسعيدات (بوجمادة)، فالتحق بمدرستهم المشهورة ودرس مختلف العلوم على شيوخها وفي مقدمتهم العلامة العربي بن اعلي السباعي، فظهر نبوغه في الحفظ والتمكن من العلوم الدينية واللغوية، مما أهله للتفوق في امتحان حفاظ المختصر الخليلي بحضرة السلطان مولاي الحسن الأول سنة 1308 / 1890، فخلع عليه كسوته العادية وألبسه كسوة ملكية وسلمه ظهيرا بالتوقير والاحترام، كما أعفي من جميع الخدمات والتكاليف المخزنية هو وجميع أفراد عائلته، وعينه ساردا للمختصر بجامع ابن يوسف بمراكش، فمكث هناك بضعة أشهر درس خلالها السلم في علم المنطق على الحاج محمد گنون، ثم عاد لإتمام دراسته بالسعيدات على شيخه المذكور أعلاه.

وفي سنة 1314 / 1894، توجه إلى جامعة القرويين بفاس، فأخذ عن كبار شيوخها وأبرز علمائها، متوجا دراسته بالحصول على إجازة علمية أهلته لتولي الإفتاء والقضاء بجماعة سيدي بوزيد التابعة لشيشاوة. ثم اتصل بعلماء الصحراء وسوس، وفي طليعتهم الشيخ ماء العينين الذي كانت تربطه به روابط خاصة، بحيث كان يجمعهما العلم وانتماؤهما لنفس الطريقة الصوفية (القادرية)، ولطالما رافقه في حله وارتحاله بين أرجاء المملكة، وكانت له كذلك علاقة وطيدة بالعلامة إيندو الحيحي أحد أشهر علماء حاحا، وتتجلى خاصة في مضامين الرسائل المتبادلة بينهما.

ولم يقتصر محمد الضو في حياته على القضاء والإفتاء، بل انكب على التدريس بمدرسته التي أسسها ومولها من ماله الخاص سنة 1314، وهي مدرسة علمية عتيقة عمت شهرتها الآفاق، أسسها بقرية أولاد المومنة بمنطقة تغسريت قيادة سيدي المختار فكان لها صيت ذائع حتى موريتانيا يؤمها طلاب العلم من كل ناحية. فتخرج على يديه ثلة من العلماء البارزين منهم محمد بن إبراهيم الصغيري السباعي مؤلف "صمصامة عمرو في الرد على الكانوني وموافقيه من علماء العصر"، والعلامة سيدي امبارك الضو وهو ابنه وغيرهما من الفقهاء الأجلاء، ومن مؤلفاته التي ضاع جزء وفير منها "رجالات گسيمة" مخطوط، ألفه المؤلف حول علماء سوس أي گسيمة المسگينة، إلى جانب مخطوطاته العلمية والفقهية والشعرية منها، الفتاوى.

قال محمد المختار السوسي في حق علماء قبيلة أولاد السباع، كما جاءت في كتابه *المعسول*، ج 15، ص. 265 - 266 : "... ولئن اشتهر بنو أبي السباع بالقواد الكبار في عصورهم الأخيرة، فقد اشتهروا في هذا العصر وقبله بعلماء فطاحل، وصالحين لهم ظلال وريفة، وكفاهم شرفا سيدي المختار ياقوتتهم، وحفيده سيدي الجيلالي الحافظ الكبير، ثم تتابعت حلقات علمائهم في القرن الثالث عشر 13، وفي صدر هذا القرن في الحوز وفي سوس (...). وأما الذين في الحوز فقد بنوا مدارس كثيرة في قبيلتهم، حتى لا تسمع إلا المدارس السباعية المتكاثرة التي تحمل مشاعل العلوم في (الحوز)، فتمد كل ما في جوارها من القبائل، فكانت مدرسة الساعدات، ومدرسة بوعنفير، ومدرسة بني عبد المولى، ومدرسة سيدي الضوء المومني من بعض هذه المدارس التي بثت من العلم والإرشاد ما بثت مما لا يزال إلى الآن ذكره طريا على كل لسان...".

وكانت وفاته سنة 1365 / 1946، ودفن بمدرسته بأولاد مومنة. فخلفه في تسيير شؤون المدرسة نجله الفقيه الجليل سيدي امبارك بن محمد الضو، وهو كذلك من خريج جامعة القرويين بفاس، فسار على نهج ابيه إلى أن ألحق بركاب التعليم العصري. وقد ورث سيدي امبارك عن أبيه حفظ القرآن والفقه الديني واللغوي وعلم المنطق والبيان والبلاغة. وقد استمر في مزاولة مهنة التعليم إلى أن تقاعد فعاد إلى مدرسة أبيه كمدرس فأحيى شعاعها العلمي العتيق وبقي بها إلى أن التحق بالرفيق الأعلى.

توفي سنة 1413 الموافق لسنة 1993.

عبد الله بن عبد المعطي السباعي، *الدفاع وقطع النزاع عن نسب الشرفاء أبناء أبي السباع*، ط. 1، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1940 ؛ محمد المختار السوسي، *المعسول*، 20 جزء، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1962 ؛ لشقر مولاي أحمد بن مولاي المامون السباعي، *الإبداع والاتباع في تزكية شرف أبناء أبي السباع*، ط. 1، مطبعة الجنوب، الدار البيضاء، 1994 ؛ صالح بن بكار السباعي، *الأنس والإمتاع في أعلام الاشراف أولاد أبي السباع*، ص. 92، ط. 1، مطبعة دار وليلي، مراكش، 2000 ؛ مولاي إدريس شداد ومحمد دحمان، *الشرفاء أولاد أبي السباع*، مصادر ومراجع، مطبعة ابن زناسن، سلا، 2002.

السباعي، محمد عبد الله بن عبد الباقي هو المقاوم والفقيه والشاعر والأديب، محمد عبد الله بن محمد يحظيه بن عبد الباقي بن الحبيب بن محمد بن المهدي بن عثمان من آل الخرشي بن الحافظ، من فخذ أولاد عزوز السباعي. ولد سنة 1345 / 1926 بالغساليات بتيرس. نشأ وترعرع في بيت علم وشرف، ودرس على يد والده القاضي الشهير محمد يحظيه، نهل منه مختلف العلوم من فقه ونحو وبلاغة وعروض وشريعة وأدب وشعر. تم هاجر سنة 1932 مع والده من منطقة تيرس في اتجاه منطقة ليتيمة بإقليم بوجدور حيث استقر هناك، وكانت له صلات وعلاقات برواد جيش التحرير الجنوبي، والحركة الوطنية. ففي سنة 1950 استقبله كل من المهدي بن بركة وعلال الفاسي، وأطلقا عليه لقب "سيبويه"، نظرا لحنكته في علوم النحو والعروض والبلاغة ولفصاحته اللغوية.

وفي سنة 1954، عاد إلى الصحراء وكون خلية لجيش التحرير بمنطقة الطوارق قرب گلتة زمور، وخاض عدة معارك ضد المعمر الإسباني. وبعد استقلال طرفاية سنة 1958 عين قاضيا بهذه المدينة المحررة، ثم انخرط في الجيش، ثم موظفا في السلك المدني، وبعدها عين كأول رئيس جماعة بمدينة طرفاية سنة 1961. بعد ذلك عين كرجل سلطة مكلفا بالحدود بين الصحراء الجنوبية المحتلة والمملكة المغربية إلى سنة 1975. وبعد استقلال الصحراء عين بجماعة بئر أنزران كرجل سلطة، وبعد ذلك بإقليم بوجدور، واستمر في منصبه.

توفي عام 1425 / 2004. فدفن إلى جوار أبيه القاضي محمد يحظيه بن عبد الباقي بمنطقة ليتيمة بإقليم بوجدور.

مولاي إدريس شداد ومحمد دحمان، *الشرفاء أولاد أبي السباع*، مصادر ومراجع، مطبعة ابن زناسن، سلا، 2002 ؛ صالح بن بكار السباعي، *الأنس والإمتاع في أعلام الأشراف أولاد أبي السباع*، ط. 2، مطبعة وراقة داكار، الرباط، 2005 ؛ *الرواية الشفوية* لأبناء عبد الباقي.

السباعي، محمد فاضل ولد سيدي **علي** هو المقاوم محمد فاضل ولد سيدي علي ولد سيدي محمد الملقب ببُصُولة، من قبيلة أولاد أبي السباع، فخذ الدميسات، ومن عرش أهل السيد، ولد سنة 1900 / 1321 بمنطقة تافودارت نواحي إقليم العيون، وبها نشأ وتعلم القراءة والكتابة على يد والده، فكان يلازمه في كل مكان، وتعلم على يده خبايا طبيعة الصحراء وكذا حمل السلاح والصيد البري (الغزال والنعام). وعند دخول الاستعمار الإسباني للساقية الحمراء وواد الذهب، سارع إلى مقاومته بكل ما اكتسب من حنكة وخبرة مع والده، ولم يكتف فقط بمقاومة الاستعمار الاسباني بل تعداه إلى المشاركة كذلك في التصدي للحملات الفرنسية بمنطقتي طانطان وگليميم. خلف من الأبناء الذكور : المقاوم محمد يحيى (قائد العشرين ضد الغزو الاسباني)، وأحمد سالم، والحريطاني، وسيد مبارك، والحاج علي، وابنة واحدة خديجة.

توفي سنة 1977 / 1398.

مندوبية المقاومة وجيش التحرير، إقليم العيون ؛ الرواية الشفوية لأبنائه، وسعود عبد الله السباعي، مدينة العيون، 2010.

السباعي، محمد لشگر بن **جامع** هو المقاوم محمد لشگر بن جامع السباعي أصلا، والبعمراني دارا، ولد سنة 1900 / 1221 بدوار عرگوب بآيت إخلف التابع لسيدي إفني، حيث ترعرع وتلقى تعليمه الأولي بمسجد الجماعة، لكنه لم يحالفه الحظ لاستكمال حفظ القرآن، ففضل الغمار في التجارة التي سنحت له بمعرفة مجتمعات ومناطق أخرى من التراب الوطني. امتهن التجارة منذ بلوغه سن الرشد، فقد شاع صيته في هذا النطاق، إذ كان يتنقل ما بين وهران بالجزائر والصويرة وگلميم والصحراء الجنوبية خاصة مدينة العيون. ومكنته هذه التجارة من نسج روابط قوية مع معظم القبائل البيضانية بحكم حسن خلقه وكرمه.

بعد دخول الاستعمار الاسباني لمنطقة آيت باعمران سنة 1934 تم تجنيده ضمن صفوف الجيش الإسباني، فشارك في الحرب الأهلية الإسبانية وفي معركة وادي "دي سيگري" (Rio de Segre) ببرشلونة سنة 1938 التي تعرض خلالها إلى جروح بليغة بقدمه اليمنى (أصيب بخمسة وعشرين طلقة نارية)، أعجزته عن مواصلة التجنيد، وحاز على إثرها على وسام إسباني من درجة رفيعة، يعرف بوسام التضحية من أجل الوطن أو ما يعرف ب "ميدالية التفوق الوطني" (Medailla de supremiento por la Patria).

مارس الجندية في كل من مدن برشلونة وإشبيلية ولاس بلماس وسبتة وسيدي إفني المحتلتين آنذاك، وتلقن فيهما فنون الحرب والقتال إلى أن تنحى عن الجندية المفروضة على أبناء المنطقة في ذلك العهد، بحكم أن سيدي إفني كانت تابعة لإسبانيا.

وبعد كشف المستعمر عن نواياه الحقيقية قرر المقاوم لشكَر السباعي الفرار من الجندية الإسبانية للالتحاق بصفوف المقاومة وجيش التحرير مستغلا خبرته العسكرية لتأطير ودعم المقاومين من أبناء منطقته آيت باعمران. وأدمج ضمن عناصر المقاومة ابنيه الحسين وأحمد لشكَر، الذي هاجر إلى فرنسا في وقت لاحق والحسين الذي تابع نشاطه الجهادي إلى أن استقلت منطقة آيت باعمران وسيدي إفني. وقد عرف المقاوم لشكَر السباعي بإسهاماته وكرمه إزاء أعضاء المقاومة وجيش التحرير، إذ وهب ماله وكل ما بوسعه في سبيل إمداد جيش التحرير بدوار عرگوب آيت إخلف منطقة آيت باعمران. فكان منزله بمنطقة "مووالفان" محج عناصر المقاومة، قبل أن يتم استهدافه من طرف الطيران الإسباني. ومازالت آثار القصف بالطائرات بادية للعيان بمنطقة "مووالفان"، وكذا بمنطقة "إكديان" إذ قام المعمر باحتلال ممتلكاته وتحويلها إلى خنادق، مازالت إلى حد الساعة تحمل معالم الدمار والمعارك العنيفة التي دارت رحاها بين المقاومين والجيش الإسباني.

توفي المقاوم محمد لشكَر بن جامع السباعي عام 1411 / 1990 بسيدي إفني عن عمر ناهز 90 سنة، ودفن بمقبرة منشئه بدوار عرگوب بآيت إخلف.

الرواية المنقولة عن ولده المقاوم الحسين لشكَر (الحامل لبطاقة المقاومة)، الذي شارك معه في جل المعارك التي خاضها مقاومي آيت باعمران، (القاطن بآيت ملول، أگادير) ؛ نفس الرواية نجدها عند كل من المقاوم الحاج لحسن بوسنينة من دوار عرگوب بآيت إخلف، والمقاوم الحاج محمد عاشور من دوار بشبورطا (آيت إخلف) قبيلة آيت باعمران، إقليم سيدي إفني.

السباعي، محمد يحظيه بن الحسين بن بوعمامة

هو المقاوم سيدي محمد يحظيه بن الحسين بن بوعمامة الملقب "بوعمامة الأصغر"، ينتمي إلى قبيلة أولاد أبي السباع، فخذة أولاد البگار، عرش أولاد سيدي علي (أهل بوعمامة)، من رجالات المقاومة بالصحراء، ويعد من الذاكرات التاريخية الحافلة بالبطولات والجهاد ضد المعمر الإسباني. ولد سنة 1324 / 1903 بالصحراء وترعرع في كنف والديه وحفظ القرآن كما تلقى تعليمه في المدارس الإسبانية التي أهلته أن يكون آنذاك ترجمان للجيش الإسباني في الأربعينيات، فأقحم في الجندية الإسبانية برتبة "سرخينتو"، إلا أن الإسبان كانوا يشكون في نزاهته اتجاههم، إذ كان يتعاون مع المقاومة وأعضاء جيش التحرير بالجنوب ويزودها بكل المعلومات حول تحركات الجيش الإسباني. وكانت النتيجة في هذا الشكوك المتزايد أن تم سجنه سنة 1945 بطرفاية لمدة سنتين وتم نفيه من الصحراء إلى واد نون. وبعد مرور عدة سنوات من النفي رجع متسللا إلى الصحراء لينخرط من جديد في صفوف المقاومة وجيش التحرير بمنطقة تافودارت سنة 1957، وفي نفس السنة تعرض هو وعائلته بمكان يقال له فدرة تورجا ساحل تغزرت لقصف جوي إسباني بحكم أن خيمته كانت مقر تجمع المقاومة وانطلاقها. وممن شارك معه من المقاومين آنذاك محمد يحي بوصولة وغيرهم من المجاهدين، فلما نجا من هذا القصف رجع من جديد إلى واد نون الذي كان يعد بمثابة القاعدة الخلفية لجيش التحرير حيث تنطلق التنسيقات والعمليات الجهادية ضد المعمر الإسباني. وفي سنة 1958 تم إخلاء طرفاية من الاستعمار الإسباني فعين شيخا على قبيلته أولاد أبي السباع يوم 6 / 5 / 1958 وتم تجديد تعيينه بقرار من وزارة الداخلية سنة 1974، إلى أن تقاعد. وبقي بواد نون ومدينة طانطان طيلة عقده الأخير إلى أن توفي بنفس المدينة يوم 25 / 5 / 1996 ودفن بجوار ضريح صديقه في الكفاح الشيخ محمد لغظف.

المندوبية السامية للمقاومة وأعضاء جيش التحرير بالعيون والطنطان ؛ *الرواية الشفوية* لأولاد أهل بوعمامة وعبد الله سعود السباعي.

مولاي إدريس شداد

السباعي، محمد يحظيه ولد عبد الباقي

هو العلامة الكبير، والقاضي المفتي الشهير، محمد يحظيه بن عبد الباقي بن الحبيب بن سيدي امحمد بن سيدي المهدي بن الحاج عبد المالك الشريف الحسني. ولد بالصحراء سنة 1304 / 1856 فشب في بيت علم وشرف ودرس بمدرسة سيدي الزوين بنواحي مراكش، ومنها انتقل إلى مدينة فاس حيث نهل من مختلف العلوم ثم حطت به الرحال بالحوض بموريتانيا ومنها إلى السينغال لطلب العلم والتفقه في الدين. ثم عين قاضيا ومفتيا في ما بين نهر السينغال وواد نون بگليميم من طرف قاضي مراكش محمد المدني الغرفي بأمر من السلطان مولاي الحسن الأول أواخر القرن التاسع عشر الميلادي.

له عدة مؤلفات، معظمها لا يزال مخطوطا في مكتبة آل عبد الباقي بمدينة بوجدور، وهي مكتبة غنية بالمخطوطات النادرة في شتى العلوم والفنون من فقه وأصول وحديث بكافة فروعه واللغة والمنطق والبيان، كما تحدث عن القبائل الصحراوية وخاصة قبيلة أولاد أبي السباع. ومن بين مؤلفاته نذكر :

- الأسرار في الكف عن إيذاء أبناء النبي المختار، مخطوط توجد نسخة منه بقسم المخطوطات الموريتانية، نواكشوط.
- نيل المطلوب في كل ما من الأصول الثلاثة مرغوب، رد فيه على مزاعم محمد بن عبد الوهاب، مخطوط يوجد بمكتبة أهل عبد الباقي ببوجدور.
- سلم المطر، (في علم الأصول)، فرغ من كتابته سنة 1322، مخطوط يوجد بمكتبة أهل عبد الباقي ببوجدور.
- من وحي الحديث، استنبط فيه الأدلة الشرعية من الحديث، مخطوط يوجد بمكتبة أهل عبد الباقي ببوجدور.
- صور من حياتنا، يصف فيه حالة المجتمع في عصره، فرغ من كتابته سنة 1326، مخطوط يوجد بمكتبة أهل عبد الباقي ببوجدور.

ـ جمع النظائر، مخطوط يوجد بمكتبة أهـل عبد الباقي ببوجـدور.

لـه كذلك فتـاوي وأحكام في قضايا اجتماعية وتجارية متعـددة، يوجد جزء منها بمكتبـة أهل عبد الباقي ببوجدور.

توفي سنة 1370 / 1950، ويوجد مزاره بمنطقة ليتيمة قرب مدينـة بوجدور، وإلى جواره دفن ابنه العلامة الكبير والشاعر المقاوم المرحوم محمد عبد الله بن محمد يحظيه بن عبد الباقي.

عبد الله بن عبد المعطي السباعي، *الدفاع وقطع النزاع عن نسب الشرفاء أبناء أبي السباع*، ط. 1، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1940 ؛ لشقر مولاي أحمد بن مولاي المامون السباعي، *الإبداع والاتباع في تزكية شرف أبناء أبي السباع*، ط. 1، مطبعة الجنوب، الدار البيضاء، 1986 ؛ صالح بن بكار السباعي، *الأنس والإمتاع في أعلام الأشراف أولاد أبي السباع*، ط. 1، مطبعة دار وليلي، مراكش، 2000.

محمد يحظيه سيبويه

السباعي، المختار بن **حبيب الله** من علماء القراءات، أخذ العلم بمحضرة أهل حبت بمدينة شنقيط، وجال في مناطق تيرس بوادي الذهب وشمال موريتانيا. ترك من المؤلفات "درر المجيد الغائض في بحور التجويد" يعد من أهل القرن 13 هـ / 19م.

سيد محمد ولد بزيد، *معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي*، منشورات سعيدان، تونس، 1996 ؛ الخليل ولد النحوي، بلاد *شنقيط المنارة*.. والرباط، تونس، 1987.

محمد دحمان

السباعي، يرعاه الله القائد هو مولاي أحمد يرعاه الله بن محمد بن العالم بن سيدي المختار الصغير العبيدي السباعي، المزداد سنة 1272 / 1862. كان في بداية حياته يرافق القوافل التجارية بالصحراء، لحمايتها من قطاع الطرق، فاكتسب خبرة قتالية عالية. وتلقى علومه الأولى على يد أمه العالمة الشهيرة بتاي السباعية خريجة مدرسة سيدي محمد دليل، توجهت إلى قبيلة عبدة في إحدى سنوات القحط واشتهرت كعالمة، فتعلم على يدها القائد عيسى بن عمر العبدي، فأحضرها لداره وعقد مجلسا للفقهاء لمناظرتها، فتفوقت عليهم ومن ثم ألحقها بقصره لتعلم أولاده ونساءه، فالتحق بها ابنها يرعاه لزيارتها، وخلال دخوله على القائد عيسى بن عمر رفض أن يخلع سلاحه، وأظهر صلابة وقوة، فأعجب به القائد وساعده بطلب من أمه بتاي على تبوأ منصب القيادة سنة 1312 / 1895.

يعتبر يرعاه السباعي من أكبر القادة العسكريين المتميزين بالقوة والروح القتالية العالية، إلى جانب الحنكة السياسية، والإرادة الصلبة القوية، ويظهر ذلك واضحا في مواقفه وقراراته التي اتخذها في تلك الظروف الحالكة المضطربة والفتن السياسية والاجتماعية، التي كانت تعصف بوحدة المغرب آنذاك، وأشدها خطورة على الإطلاق فتنة بوحمارة (الجيلالي الزرهوني) في عهدي مولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ، فحين ظهر الرجل "بوحمارة" في الحيانة بالضبط، وبويع في تازة على أنه مولاي محمد بن مولاي الحسن، ثم توجه إلى فاس، وقبل أن يصلها واجهة الجيش بقيادة مولاي الكبير، الذي كان من جملة قادته الكبار، قائد الرحى يرعـاه السباعي، فالتقـى الجيشان في "البهارجة" بالحيانة، فانهزم جيش بوحمارة، ثم استمرت الحرب سجالا بين الطرفين إلى أن انتهت بالقبض على بوحمارة سنة 1327 / 1909. ثم عاد يرعاه مع قواد الحوز الجدد الذين عينهم السلطان للحد من هيمنة سلطة المدني الـݣـلاوي.

ومع فرض الحماية على المناطق الشمالية تغيرت الأوضاع في الجنوب بظهور حركة الهيبة الجهادية سنة 1330 / 1912. وهي حركة ساندها القائد يرعاه ماديا ومعنويا، بحيث جمع حوله أبناء قبيلته أولاد أبي السباع بحوز مراكش، فكان رفيق الهيبة وعونه فعينه على المصاريف والشؤون المالية لثورته، فلم يحرض فقط أفراد قبيلته بل ذهب إلى واد نون ليجمع المتطوعين ويحث القبائل على الجهاد ضد المعمر. فوجد فيه الشيخ الهيبة السند القوي في ثورته.

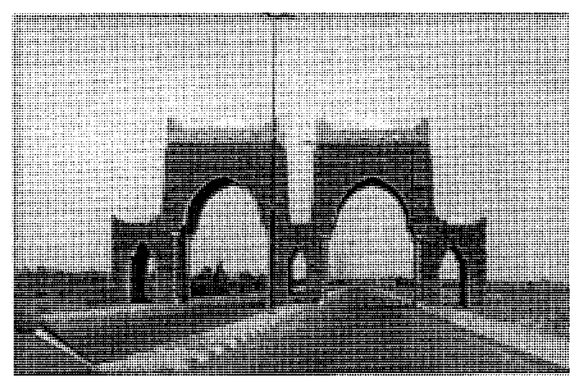
توفي القائد يرعاه في أواسط ق 20، وخلف أولاد منهم على الخصوص القائد عبد الرحمان يرعاه.

عبد الله بن عبد المعطي السباعي، *الدفاع وقطع النزاع عن نسب الشرفاء أبناء أبي السباع*، ط. 1، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1940 ؛ لشقر مولاي أحمد بن مولاي المامون السباعي، *الإبداع والإتباع في تزكية شرف أبناء أبي السباع*، ط. 1، مطبعة الجنوب، الدار البيضاء، 1986 ؛ مولاي إدريس شداد ومحمد دحمان، *الشرفاء أولاد أبي السباع*، مصادر ومراجع، مطبعة ابن زناسن، سلا، 2002 ؛ محمد دحمان، *الترحال والإستقرار من خلال دراسة سوسيو ـ تاريخية لقبيلة أولاد أبي السباع* (حالة المغرب وموريتانيا)، دكتوراه في علم الإجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2004 ؛ صالح بن بكار السباعي، *الأنس والإمتاع في أعلام الأشراف أولاد أبي السباع*، ط. 2، مطبعة وراقة داكار، الرباط، 2005 ؛ محمد المختار السوسي، *المعسول*، عشرون جزءا، مطبعة المهدية، تطوان، 1956 - 1960.

السمارة (مدينة -) في فترة وجيزة (35 سنة) تغيرت ملامح المجال الصحراوي ونمط عيش ساكنته (الترحال والبداوة) إلى مجال حضري ومعماري تحتل فيه المدينة المكانة الأساسية في حياته اليومية من استقرار وخدمات ومشرب ومسكن مأمن، وهذا راجع لعدة أسباب منها تتبيب الأمن بهذه المناطق عبر استقرار الساكنة خاصة في فترات الحروب التي امتدت لفترات طويلة مابين 1975 و1991، وكذا الاهتمام المتزايد للدولة بتنمية هذا الجزء من التراب الوطني وذلك في شكل منجزات تنموية تستجيب لمتطلبات الساكنة في جميع الميادين، وتتطلع من خلاله الدولة لردم الهوة التنموية مابين المناطق الجنوبية والشمالية للمملكة.

عرف هذا المجال استقرارا بشريا قديما كما تدل على ذلك النقوش الصخرية بـل عرف أكثر بمنطقة "الساقية الحمراء" عبر عصـور خلت نسبة لأكبر أودية الصحراء الجنوبية على الإطلاق. ويرجع اسم "السمارة" إلى احتماليـن : أولهما هو وجود نبات "اسمار" خاصة

بقعر واد سلوان أحد روافد واد الساقية الحمراء، أما الاحتمال الثاني فيرجع الاسم للصخور السوداء السائدة بالمنطقة "L'ardoise" والتي تنتشر بشكل كبير على سطح المنطقة، وهناك من استعملها كمواد للبناء. اشتهرت السمارة تاريخيا بزخمها الديني وغناها الثقافي حيث كانت قبلة للعلماء والراغبين في العلم والمعرفة، ووجهة للزوار المريدين ليتتلمذوا على يد شيوخ الزوايا، فلقبت بالعاصمة العلمية والروحية للأقاليم الجنوبية.



بوابة مدينة السمارة

وقد اكتسبت مكانة بارزة في تاريخ المغرب، باعتبارها نقطة استراتيجية وصلة وصل بين شمال المملكة وجنوبها، مما جعلها تحظى على الدوام باهتمام ملوك الدولة العلوية الشريفة، حيث اتخذها السلطان مولاي الحسن الأول معقلا للجهاد وقاعدة خلفية لصد أطماع المعتدين على المناطق الجنوبية للمملكة، وهو نفس الدافع الذي جعل خلفه السلطان مولاي عبد العزيز يقدم الدعم المادي والمعنوي للشيخ ماء العينين لبناء زاويته فيها، وذلك بإرسال مواد البناء من ميناء الصويرة إلى ميناء طرفاية، بالإضافة إلى إيفاد مهندس خصيصا لهذا الغرض، مما مكنها من أن تلعب دورا تاريخيا بارزا كمركز للإشعاع الديني، فضلا عن دورها الجهادي. ففي سنة 1888 شرع الشيخ ماء العينين في شق طريق يربط بين السمارة وطرفاية ، بهدف جلب المواد الضرورية لبناء زاويته. وفي سنة 1895 شرع في البناء وكلف ابنه الشيخ الطالب خيار بمهمة السهر على أوراش البناء بعد ما وصلت المواد الضرورية عن طريق البحر إلى شواطئ طرفاية على متن باخرة مخزنية تابعة للبحرية السلطانية، بقيادة الربان أحميدة، الملقب بالتركي، وعلى متنها أربعة من البنائين المختصين ينتمون إلى مدن مراكش وفاس وطنجة وتطوان، وبعد سنة التحق بهم عامل خامس من مدينة وجدة.

وهذه المكانة المتميزة جعلتها محط أطماع الدول الأوربية (فرنسا وإسبانيا) التي اصطدمت بمقاومة باسلة من طرف قبائلها المتاخمة بزعامة قبائل الركيبات وأهل الشيخ ماء العينين والعروسيين وآيت أوسى وغيرهم من القبائل الصحراوية. ومن بين المعارك التي تكبد فيها المستعمر الفرنسي خسائر فادحة نذكر على سبيل المثال لا الحصر معركة مركالة عام 1957 ووادي الصفا سنة 1958 ومعركة سيدي أحمد لعروسي في نفس السنة.

ولقد شكل هذا الفضاء عبر عصور ولت خلوة يقصدها الصلحاء والمتصوفة، بحكم موقعه الجغرافي وسط الترسبات الغرينية لوادي الساقية الحمراء وروافده واد سلوان والحبشي، إذ يوفر الكلأ والماء لكل راحل أو زائر. وقد استقر بها أحمد الركيبي الحبشي كما يذكر الأمين الشنقيطي في كتابه الوسيط، حيث يصف المنطقة وساكنتها، بقوله : "... وهي في الأصل، للركيبات، قبيلة أصلهم من الزوايا، إلا أنهم يحملون السلاح في أكثر أوقاتهم، "...

وأضاف قائلا : "... وكانت الساقية الحمراء، خالية لا أنيس بها لشدة الخوف، ولقحولتها دائما، حتى عمرها الشيخ ماء العينين، وبنى فيها الدور، وغرس النخل فسهلت المواصلة بين شنقيط وغيرها من المواضع المغربية، أعني التابعة للمخزن،...". إلا أن منطقة الساقية الحمراء لم تكن "خلاء لا أنيس فيها"، بل كانت عمارة وخلوة لأهم أولياء الصحراء قبل مجيء الشيخ ماء العينين بقرون. فهذه الأرض المقدسة بأوليائها تضم آباء وأجداد بعض القبائل كالشيخ سيدي أحمد الركيبي الحبشي، دفين واد الحبشي شمال شرق الساقية الحمراء. ومن بين الأولياء الذين سكنوها نذكر شهداء أولاد أبي السباع السبعة المدفونين بالطويحل التابع لجماعة سيد أحمد العروسي، وبجوار هؤلاء الشهداء ضريح الشيخ سيدي أحمد العروسي. ومن صلحاء الساقية الحمراء سيدي الحاج أحمر اللحية جد فخذة أولاد الشيخ من الركيبات، والجد الجامع لأولاد الدليم بويا علي الدليمي على واد وين تركت، والشيخ مربه رب بواد تافودارت أحد روافد واد الساقية الحمراء وهو من أولاد الشيخ ماء العينين.

وبعد أن كانت مدينة السمارة تشكل في الماضي مربط الجهاد ومرحلة مهمة في طريق القوافل هاهي اليوم تصل حاضرها بماضيها وتصبح إحدى المحطات الرئيسية للمحور الطرقي عبر الصحراء تربط بين الشرق الجنوبي المحادي للحدود بمنطقة طانطان وواد نون مع شمال المملكة وبالساحل الأطلنتي غربا عبر بوكراع في اتجاه العيون. وتقع النواة القديمة للمدينة في الجزء المنخفض منها حيث توجد زاوية الشيخ ماء العينين وهي مصممة على شكل مربعات.

وشهد إقليم السمارة في ظرف وجيز بعد استرجاع أقاليم المملكة الجنوبية نهضة كبيرة ومنجزات ضخمة في جميع الميادين سواء منها الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية، التي تطلبت جهودا جبارة في بنائها و تشييدها علما بأن الاستعمار الإسباني لم يترك بها أي عمل أو انجاز.

يوجد إقليم السمارة في أقصى الجنوب الشرقي للمملكة المغربية، وقد أحدث بموجب المرسوم رقم 470 - 76 - 2 بتاريخ 6 غشت 1976، ويحده من جهة الشرق والجنوب حدود دولة موريتانيا، ومن الغرب إقليم العيون، ومن الشمال إقليمي طانطان وآسا - الزاگ، ومن

الجنوب الغربي إقليم بوجدور. ويخترقه طريقان أساسيان، الأول يربطه بالعيون إلى الغرب، والثاني بطانطان، وعبرها إلى الأقاليم الشمالية من المملكة، مرورا بـكلميم.

ويمتد على مساحة شاسعة تبلغ حوالي 61.760 كلم^2، ويقع بين خطي الطول والعرض 11 و26 درجة، ويعلو عن سطح البحر ب 110 متر. ويتكون من جماعة حضرية واحدة (مدينة السمارة)، وخمس جماعات قروية، هي جماعة الجديرية، جماعة تفاريتي، جماعة حوزة، جماعة أمكالة، وجماعة سيد احمد العروسي.

- التضاريس والمناخ السائد بإقليم السمارة :

تنتمي تضاريس إقليم السمارة من الناحية التاريخية إلى أقدم حقبة جيولوجية عرفها المغرب، فمن خلال الأبحاث الأركيولوجية يتبين أن الاستقرار البشري بها يعود إلى عهود قديمة، وهي عبارة عن هضاب صلبة شرقا، وهضاب رملية هشة غربا مسطحة وشاسعة، يخترقها وادي الساقية الحمراء الذي يتجه من الشرق نحو الغرب حيث ينحدر من أقصى الهضاب الشرقية للحمادة إلى المحيط الأطلسي (مصبه عند فم الواد - مدينة العيون -) حوالي 450 كلم، جاعلا من المناطق التي تجتاحها مياهه في فتـرات فيضانه هضابا مكسوة بنباتات ومراعي للماشية.

أما المناخ فيتميـز بكونه قارياً صحراوياً جافـاً. فهـو حار صيفا وبارد شتـاء، ويلعب بعد الإقليم عـن البحر دورا مهما في تشكيل المدى الحراري، حيث تتراوح درجة الحرارة ما بيـن 48 درجة صيفـا و15 درجة شتاءا، كما يتميز مناخـه بقلـة التساقطات المطرية خلال السنة، وتتحول هذه التساقطات الضعيفة إلى سيول جارفة في بعض الأحيان على شكل زخات مطريـة تحدث فيضانات كاسحة، ويتراوح معدل التساقطات ما بين 20 و40 ملم في السنة.

- ساكنة الإقليـم :

فتتكون من قبائل ارگيبات الشركَ (الشرق) التي تشكل الأغلبية بالإضافة إلى بعض قبائل تكنة كآيت لحسن وآيت آوسى وأهل ماء العينين والعروسيين وبعض العناصر الوافدة من الشمال المغربي (قبائل أولاد أبي السباع واحمر والرحامنة،...). وقد ارتفع العدد من 7280 نسمـة سنـة 1972 إلى 20480 نسمـة سنـة 1982 وإلى 60 ألف نسمة حسب إحصاء 2004.

ويعرف التوزيع الجغرافي للسكان تمركزا بالمجال الحضري، بفعل توطينها من خلال مجموعة من التجهيزات الأساسية، وهو ما مثل عامل جذب واستقطاب، الشيء الذي جعل نسبة سكان الوسط الحضري تفوق 90%. وللحد من الهجرة القروية نحو المدينة، نهجت الدولة خطة استراتيجية بغية إعمار الجماعات القروية، وذلك بتدعيم البنيات التحتية للجماعات القروية التي تندرج ضمن النفوذ الترابي للإقليم، وتزويدها بالتجهيزات الأساسية كبناء مقرات لها وتوفير المدارس وشق الطرق وبناء المستوصفات،...

- التطور الحضري لمدينة السمارة :

فتنامي وتطور مدينة السمارة جاء نتيجة استقرار البدو الرحل واتخاذ المدينة كثكنة عسكرية للجيش المرابط على الحدود الجزائرية المغربية منذ 1975، وكذا الهجرة الوافدة من الشمال لقبائل ذات أصول صحراوية وبعض موظفي الإدارات العمومية الذين حفزوا السلطات المحلية على أن توفر لهم السكن والمرافق العمومية من إدارات وتجهيزات لتمكينهم من الاستقرار. وأدت هذه التحولات السوسيو مجالية التي شهدتها المنطقة إلى الانتقال من نمط عيش بدوي ترحالي إلى نمط عيش حضري يسوده الاستقرار والتحضر والذي أفرز عدة مشاكل وعوائـق في بدآيتـه سواء للساكنة الجديـدة أو الآتية من مختلف مدن الشمـال كانعدام أبسط التجهيزات الأساسيـة والبنيات التحتية من شبكة تطهير (الواد الحار)، أو التبليط، بينما وفـرت الدولـة في البدايـة الماء الصالح للشرب والكهرباء وكذا وسائل الاتصال. وتنامت المدينة على شكل عشوائي على شكل "المخيمات" أو دور الصفيح.

بيد أن الدولة ساهمت في إعادة تأهيل الأحياء الهامشية، في أغلب مدن الأقاليم الجنوبية، وذلك في إطار تقوية البعد الحضري للمدينة من خلال تزويد هذه الحواضر بتصاميم معمارية ومخططات توجيهية تلبي حاجيات المجال والساكنة في آن واحد، علما بأن هذه العملية اعتمدت مقاربة تشاورية وتشاركية لتضمن للمدينة آفاقاً لنمو وتطور عمراني يحترم المكوّنات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية والثقافية كقاعدة للتنمية المستدامـة، ومستقبـل سوسيـو - اقتصادي متوازن. وفي هذا الصدد ومن أجل تعزيز عروض السكن اللائق لفائدة الفئات الاجتماعية ذات الدخل المحدود وكذا محاربة السكـن غير اللائق، أعدت الدولة والمؤسسات العمومية ذات الاختصاص العديـد من البرامـج السكنية (ERAC والعمران حاليا)، وكذلك من أجـل تمكين الأحياء ناقصة التجهيز من الاستفـادة من شروط التهيئـة (شبكة التطهير).

وقد عملت الدولة ولازالت تعمل على محاربة هذا الصنف من السكن بالأقاليم الجنوبية سواء بالعيون أو بالسمارة أو المدن الأخرى، إدراكا منها لما يشكله من تهديد لتماسك وتوازن النسيج الاجتماعي، ولكونه مصدرا لظواهر الإحباط والإقصاء والانحراف. ومن هذا المنطلق اتخذت الدولة على عاتقها تحسين ظروف عيش السكان بالمدينة والمساهمة في امتصاص العجز السكني من خلال برامج سكنية تلبي الحاجيات.

- الوضعيـة العقاريـة بالأقاليـم الصحراويـة بما فيها السمـارة :

إن الوضعية العقارية للأراضي والعقارات بالأقاليم الجنوبية قد تختلف من منطقة إلى أخرى في بعض الجزئيات، من قبيل نسبة الأراضي المحفظة أو التي في طور التحفيظ من جهة، ومن جهة أخرى الأراضي المتنازع عليها بخصوص ملكيتها. لكن هناك مجموعة من المنظومات العقارية تؤطر ملكية الأراضي بالأقاليم الجنوبية أهمها : الملكية الخاصة، الملكية الجماعية

للقبيلة، ملك الدولة العام والخاص، ملك الجماعات، الخاص والعام، الأراضي العسكرية، أراضي الزوايا.

- الوعاء العقاري بمدينة السمارة :

تعرف مدينة السمارة ضعف الوعاء العقاري مما يجعل الأثمنة تخضع لتقلبات السوق (العرض والطلب)، وهي المدن الصحراوية خاضعة كباقي النظام العقاري المتعامل به وللتذكير، فإن البقع الأرضية تسلم بقرارات تصدر من العمالة (أي من العامل على الإقليم)، وتسلم غالبا للأشخاص مجانا.

ورغم الوعاء العقاري المتوفر بمدينة السمارة إلا أن ثلث ساكنة الإقليم تقطن المخيمات. ذلك بأن توافد هذا الكم الهائل على مدينة السمارة في وقت تسجيل ذوي الأصول الصحراوية من ساكنة الشمال المغربي بلوائح الاستفتاء (التي تم تجاوزه ليحل محله الحكم الذاتي) من مدن بنجرير (أولاد احمر) وشيشاوة (سيدي المختار - أولاد أبي السباع) والرحامنة لازالوا يقطنون في أحياء صفيحية وينتظرون إعادة إسكانهم على غرار بقية الأقاليم الصحراوية الأخرى. كما توافد على تجزئة الحي الصناعي، أوما يعرف "بلازاب"، الكثيرون من ذوي الدخل المحدود لكونها في متناول هذه الفئات محدودي الدخل. أما تجزئة حي السلام فقد وزعت بها البقع قبل تجهيزها خاصة بالصرف الصحي. ولا زالت هناك صعوبة في تحفيظ البقع والمنازل مما يطرح كثيرا من التساؤلات خلال كل اللقاءات والمجالس البلدية والإقليمية.

- مرفلوجية مدينة السمارة :

إذا كان هناك قطاع عرف تحولات كبيرة بجهة الصحراء فهو قطاع التعمير. بحيث أن برنامجا موسعا للتهيئة بالمناطق الحضرية تم تبنيه منذ 1975 في معظم مدن جهة الصحراء. هذه الدينامية العمرانية تتجلى بالخصوص في التهيئة الحضرية التي واكبت هذا التحول الجذري بالمنطقة من خلال تحيينها باستمرار لتلبية الحاجيات المتزايدة للساكنة فيما يخص السكن والتجهيزات الأساسية.

وتصنف مدينة السمارة ضمن المدن المتوسطة، بحيث تقدر ساكنتها ب 60000 نسمة (إحصاء 2004)، وموقعها الإستراتيجي هو الذي أهلها لتلعب دور المدينة الحدودية والواجهة الأمنية بالنسبة للجنوب الشرقي للمملكة. فهي تتاخم حدود موريتانيا، بالإضافة إلى قربها من حدود الجزائر وقربها من المحبس التابع لإقليم آسا - الزاگ، مما أهلها لتلعب دورا طلائعيا كثكنة عسكرية متقدمة تندرج ضمن الاستراتيجية العسكرية الأمنية. ورغم هذه المكانة المهمة فإنها، ظلت مدينة بدون استقطاب وجذب لساكنة جديدة، وذلك لبعدها عن المناطق الساحلية وعدم توفيرها لفرص العمل نظرا لغياب تام للقطاع الصناعي والمعدني الاستخراجي، باستثناء الإدارة والقطاع الثالث وبعض الخدمات. ورغم هذا الركود المسجل في الاستقطاب، فإنها عرفت مدينة نموا لا يستهان به بفعل دينامية البناء والتوسع العمراني الذي تبنته الدولة. وقد اتخذ التوسع شكلا طوليا في البداية انطلاقا من وسط المدينة وبالضبط من شارع الحسن الثاني، الطريق الرئيسي للمدينة، ليشمل الأطراف الأخرى للمجال الحضري على شكل أحياء متناثرة. أما الدينامية العمرانية فتبدو مطردة بين المد والجزر، ويظهر ذلك من عدد رخص البناء المسلمة وكذا عدد المساكن المبنية. ويلاحظ أن نمو المدينة يتسم بعدم التجانس في دينامية البناء والجاذبية من حي لآخر، بحيث هناك أحياء تعرف استقطابا كبيرا نظرا لقربها من وسط المدينة ومن المراكز الإدارية والتجارية، بينما أخرى تعرف نوعا من الركود بسبب البعد عن هذه المراكز الحيوية. ويستفيد قطاع السكن بالمدينة بدعم كبير من السلطات العمومية، وذلك عبر توزيع الأراضي المجهزة أو من خلال المشاريع السكنية التي تشرف عليها مجموعة العمران، التابعة لوزارة السكنى والتعمير.

أما أنماط السكن فيطغى عليها السكن المغربي، إلا أنه في السنوات الأخيرة عرفت الفيلات تطوراً محتشما، نظرا لتنامي دخل فئات ميسورة والتي أصبحت تتطلع إلى تغيير سكناها ذو الطابع المغربي إلى سكن فيلات على النسق العصري.

- إستراتيجية الدولة التعميرية بجهة الصحراء تستهدف ثلاث أهداف أساسية :

- الأول يخص إعادة إسكان العائلات المعوزة و التي كانت تقطن بالسكن الغير اللائق.

- الثاني يهدف إلى الاستجابة للطلب المتزايد على السكن الناتج عن الانفجار الديموغرافي الذي تعرفه المدن الكبرى بالجهة وبالمملكة بصفة عامة.

- الثالث يتمثل في انجاز تطور متوازن للنسيج العمراني مع أخذ بعين الاعتبار الخصوصيات السوسيواقتصادية للجهة.

ومند سنة 1976 تمت إعطاء الانطلاقة للعديد من البرامج الاستعجالية لامتصاص الأحياء الصفيحية الموروثة عن الحقبة الاستعمارية أو الحالية سواء في العيون والداخلة والسمارة وبوجدور. وتلث هذه البرامج الاستعجالية برامج السكن الاجتماعي الخاص بالفئات المعوزة. فتمت تهيئة قطع أرضية لتشجيع ومساعدة المستفيدين على بناء مساكنهم بأنفسهم.

وهكذا فان مجموعة من الوحدات السكنية رأت النور بالمناطق الحضرية. وقد رافق بناء هذه المساكن أعمال التعبيد والتبليط، ومد قنوات الصرف الصحي وتوسيع شبكة الواد الحار بالإضافة إلى التزويد بشبكة الماء الصالح للشرب والكهرباء والهاتف الثابت.

وقد عزز بناء هذه المناطق السكنية ببناء محلات تجارية أو ذات منفعة عامة، مدارس، مراكز التكوين والتأهيل، مستشفيات، مستوصفات، قاعات رياضية، دور الشباب و الثقافة...

كما كان للبنيات التحتية حصة الأسد من شيمات التهيئة الحضرية بمدن جهة الصحراء. و قد شملت الطرق الوطنية والإقليمية، الموانئ، المطارات، والربط بشبكة الماء والكهرباء الوطنية، وبشبكة الاتصالات. وهذا دون إغفال مناطق الأنشطة والتي تمثل حجر

الأساس الاقتصادي للمدن وحيث تعمل جميع الفئات السوسيومهنية.

ونظرا لمخططات التهيئة الحضرية الجديدة بالمدن العصرية و وما رافقها من إرادة محلية للساكنة الصحراوية التي تطمح إلى التغيير والتطور، فإن جهة الصحراء قد تمكنت من فرض نفسها كجهة من أكثر الجهات الواعدة للمملكة بإمكانيات هامة في جميع الميادين الاقتصادية والاجتماعية منها.

- الأنشطة الاقتصادية بالإقليم :

فكل مدينة إلا ولها أنشطتها الاقتصادية الخاصة بها، فمدينة السمارة كما سبق الذكر مدينة إدارية وثكنة عسكرية بالدرجة الأولى ثم يلي هذا النشاط القطاع الثالث والخدماتي بما فيه التجارة، ثم يأتي القطاع الفلاحي في المراتب الأخيرة خاصة الشق الرعوي منه، بفعل كثرة مربيي الإبل نظرا لتوفرها على مساحات شاسعة للرعي تمتد على أميال الكيلومترات. أما القطاعات الأخرى كالسياحة فتعرف بداية محتشمة بحكم غياب بنية سياحية تحتية كالفنادق المصنفة والدعاية الإشهارية اللازمة. ويمكن أن نتكلم على القطاع السياحي بكونه من القطاعات الواعدة بالمنطقة، إذ يتوفر إقليم السمارة على مؤهلات سياحية لازالت غير مستغلة وتظل السياحة، بحكم المؤهلات الطبيعية والتاريخية والسوسيوثقافية التي يزخر بها الإقليم، القطاع المعول عليه لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية المنشودة. فإلى جانب إشعاع شمسي طيلة السنة وفضاء صحراوي شاسع، يتوفر الإقليم على عوامل جذب سياحية يمكن إجمالها كالآتي :

- المعالم التاريخية :

تختزن السمارة من الناحية التاريخية والأركيولوجية عددا من المباني التاريخية والمواقع الأثرية، منها ما يرجع إلى فترات ما قبل التاريخ ومنها ما يعود إلى بداية القرن العشرين.

- النقوش الصخرية : تنوع المواقع الأثرية التي تحتوي على نقوش صخرية ترجع إلى أزمنة ما قبل التاريخ وتتمركز في المواقع التالية : ميران، الفارسية، حوزة، وادي سلوان، العصلي بوكرش وغيرها. ويشكل موقع العصلي بوكرش أبرزها، فهو على بعد 40 كلم غرب مدينة السمارة، ويختزن نقوش صخرية تعود لفترة ما قبل التاريخ ويتكون من شريط صخري يعرض لوحات صخرية منقوشة لمجموعة من الحيوانات كالنعام والزرافة والفيل والغزال وغيرها. بالإضافة إلى مجموعة من المقابر الجماعية المسماة "تومول" يصل عددها إلى خمسة مقابر كلها مبنية بالأحجار.

- زاوية الشيخ ماء العينين : تم بناؤها من قبل الشيخ ماء العينين بدعم من السلطان مولاي عبد العزيز خلال الفترة الممتدة بين سنتي 1898 و1904، وتتكون أو ما تبقى منها من عدة بنايات مازال بعضها قائما محافظا على طابعه الأصيل.

- كريزيم أو قصر التازي : تقع بقايا هذه البناية شمال شرق المدينة على بعد حوالي 10 كيلومترات وتمثل بقايا بناية استقر بها الشيخ ماء العينين حتى حدود 1259 ولم يبق منها إلا جناح مكون من غرفة مبنية بالحجارة المنجورة والطين.

- المسجد العتيق : يقع هذا المسجد وسط بنايات الحي الذي شيدته السلطات الاستعمارية الإسبانية، ويشكل نموذجا متناسقا محكم التصميم تتجسد فيه عدة مهارات وتقنيات معمارية، كما أنه خضع منذ سنة 1994 لعمليات توسعة وترميم.

وتبقى السمات السياحية الطاغية على هذا الإقليم هو خصائصه الجغرافية والمناخية وخاصة التضاريسية كالحمادات، والطبيلة، وواد الساقية الحمراء، وگلتة زمور وأمگالة وتفاريتي وأشجار الطلح وغير ذلك من المؤهلات السياحية التي توحي بسياحة واعدة في مجال الاستكشاف والمغامرة والتحدي.

ورغم هذه المؤهلات الطبيعية والأثرية التي تزخر بها المنطقة تظل، فإنها غير مثمرة في غياب البنيات السياحية والتجهيزات الأساسية من فنادق مصنفة واندماج في المشاريع السياحية الكبرى (2020) والقيام بدعاية إشهارية خاصة للتعريف بها على الصعيدين الوطني والدولي. كما ان الاستفادة من الإمكانيات التي يتيحها القطاع السياحي تبقى محدودة لذلك فمن الضروري تأهيل القطاع وتنميته على المدى المتوسط والبعيد وهو ما سيمكن لا محالة من إنعاش مختلف الأنشطة المرتبطة به، وهذا ما يستوجب بالدرجة الأولى اعتماد بعض التدابير بهدف التحفيز على الاستثمار في هذا القطاع بشكل يعطي للإقليم حقه في السياسة السياحة التي خططت لها الدولة.

- المشاكل التي تعاني منه حواضر الصحراء :

إن التعمير السريع والإرادي، الذي عرفته مدن الصحراء ومدينة السمارة خاصة، ابتداءا 1976، سمح باستقرار جزء كبير من السكان الذين كانوا بدوا رحل يعيشون من تربية الماشية. وهكذا، أصبحت هذه المناطق تضم حواضر تعتبر أكثر تعميرا في المملكة، بنسبة تعميرية تقارب 92% من ساكنة الحواضر، متجاوزة المتوسط المسجل وطنيا، والذي هو 52%. وبالإضافة إلى ذلك، فان هذا التغيير المفاجئ والكلي لنمط عيش قديم، لم يخل من تأثير على المجال الصحراوي، بما أنه قاد إلى تجهيزات حضرية مشتتة، والى مدن مكدسة ومتباعدة فيما بينها، وفي وسط صحراوي غير مؤهل تقريبا وبإمكانيات محدودة.

ومن الاختلالات الوظيفية التي تعاني منها مدن الصحراء، ندرج ما يلي :

- تفكك بنية النسيج الحضري الناتج عن نمو غير مضبوط ؛
- استمرار البنية الاجتماعية البدوية الأصلية بالمدن ؛
- النقص الحاصل في البنيات التحتية ؛
- تدهور المنظر العمراني، غياب شكل معماري خاص يراعي خصوصيات الصحراء (مثلا تبني شكل هندسي موحد لمدن الصحراء كالبناء بحجارة l'ardoise كما في السمارة أو الشكل المقبب للبنايات التي تركها المعمر الإسباني بكل من العيون والداخلة) ؛

- تفشي ظاهرة مدن الصفيح والمخيمات ؛
- استفحال المشاكل البيئية (الواد الحار الذي يقذف مباشرة في الأودية مما يلوث الفرشة المائية الجوفية، وانتشار متناثر للمطارح العشوائية، إلخ.) ؛
- الاستنزاف الجائر للثروات الطبيعية للمنطقة، وما يترتب عنه من تفقير للاقتصاد البيئي للصحراء (خاصة الثروات البحرية التي تعتمد عليها مدن الساحل) ؛
- ظاهرة الترمل، التي تعتبر كعائق طبيعي تعاني منه كل مدن الصحراء، وما تكلفه من عبء على الجماعات المحلية خاصة في ميدان إزالة زحف الرمال على الطرقات والموانئ والمطارات.

وإن سوسيولوجية المدينة بما تحمله من "تحضر" ومواطنة مدنية ونمط عيش رغيد هي في طور احتلال مكانة رئيسية في المجتمع الصحراوي المعاصر، الذي انتقل من ترحاله في مجال شاسع وممتد الأفق وعشوائي تتحكم فيه قساوة الطبيعة وأعراف القبلية إلى مجال ضيق (منزل، نسيج حضري متكدس) تتحكم فيه سلطة الدولة وتسيره وتنظمه حسب القوانين المنظمة للمواطنة والتمدن. وهكذا شهد مجال البدو - الرحل تحولات سوسيو - مجالية واقتصادية بدأت مع استقرارهم بالمدن التي وفرة لهم جل حاجياتهم بدون عناء.

وإقليم السمارة من الأقاليم التي حظيت بعناية كبيرة من الدولة رغم قساوة الظروف الطبيعية والبعد الجغرافي من الساحل وإمكانيات تنموية هزيلة لا تستقطب ولا تشجع المستثمرين الخواص. مما حتم على إرادة الدولة أن تكثف مجهودها لوحدها في مواجهة هذا الفراغ الاستثماري وتأخذ على كاهلها مسار تنمية هذا الجزء من التراب الوطني كي تساوي وتوازي بين المجالات الترابية للصحراء خاصة مابين مدن الساحل الصحراوي المستقطبة ومدن الداخل الطاردة.

مولاي إدريس شداد وآخرون، جهة كلميم - السمارة، *ذكرى 12 قرنا في حياة مملكة*، سلسلة تاريخ جهات المغرب، منشورات عكاظ، الرباط، 2009 ؛ مولاي إدريس شداد، إشكالية الماء في الوسط القاحل، وثقافة تدبير الندرة في المجتمع البيضاني، مساهمة في *ندوة "الصحراء ذاكرة الإنسان"*، نظمها معهد الدراسات الإفريقية بمدينة العيون ما بين 20 - 21 أبريل 2004، ونشر المقال بمجلة "المغرب الإفريقي" عدد 7، مطبعة المعارف، الرباط، 2006، ص. 37 - 60 ؛ مولاي إدريس شداد وآخرون، منوغرافية جهة كلميم - السمارة، أعدتها وزارة إعداد التراب الوطني والبيئة والتعمير والإسكان بمناسبة *الحوار الوطني حول إعداد التراب (مديرية إعداد التراب الوطني)*، مطابع منشورات عكاظ - الرباط، دجنبر، 1999.

Cheddad My Driss, Sahara, écosystème fragile, ressources naturelles limitées et engagement de l'Etat pour un aménagement régional exceptionnel et une mise à niveau socio-économique et spatiale, *Revue Horizons Universitaires*, n° 3, vol. 2, Université Mohammed V -Souissi- Rabat, Novembre, 2006.

مولاي إدريس شداد

السمارة (معركة -) وقعت في شهر يناير 1957 عندما تمكن رجال جيش التحرير التابعين لقيادة المقاطعة الثامنة من تحرير مدينة السمارة العاصمة العلمية والروحية للصحراء ومركزها المهم فانضم إليهم من هذا المركز جميع الجنود المرابطين هناك وعددهم 160 جنديا صحراويا ينتمون إلى الجيش الإسباني كما استولوا على جميع الذخائر الحربية الموجودة فيه.

محمد بن سعيد آيت أيدر، *صفحات من ملحمة جيش التحرير بالجنوب المغربي*، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، يونيو، 2001.

ماء العينين النعمة علي

السواحل الصحراوية المغربية، تعد المجالات الصحراوية الساحلية الجنوبية الممتدة على طول 1200 كلم على ضفاف المحيط الأطلسي من أهم الأوساط البيئية والاقتصادية بالمغرب، تعرف نمواً اقتصاديا وديمغرافياً سريعاً وتوسعا عمرانيا تواكبه تحولات اجتماعية واقتصادية مهمة. تتوفر على موارد متفاوتة من حيث الأهمية مجالياً ونوعياً. فهناك موارد تتميز بالوفرة كالثروات السمكية والفوسفاط والملح والرمال والمؤهلات الثقافية ذات القيمة الذاتية والسياحية الهامة. بالإضافة إلى موارد طبيعية غير مستغلة يأتي في مقدمتها الطاقات المتجددة الشمسية والريحية التي يبقى استعمالها محدوداً جداً، هذا مع إمكانية توفر كميات متوسطة من الغاز والنفط بالرصيف القاري. وصخور نفطية وخامات معدنية أهمها الحديد لم يحن بعد موعد استغلالها. لكن ندرة الموارد الزراعية وقلة التساقطات وانعدامها لعدة سنوات شكل إكراها حقيقيا للتنمية المستدامة، فرغم رطوبة الجو بالساحل التي تتعدى 85% فإن الأمطار نادرة مما يترتب عنه انعدام المياه الجارية وفقر الفرشات المائية القليلة والتي تعاني من ارتفاع نسبة الملوحة.

ويعتبر الشريط الساحلي الصحراوي جنوب مصب واد درعة المحرك الأساسي للتنمية من خلال الدور الذي يلعبه في تنظيم المجال الصحراوي حيث يقطن به حوالي نصف مليون نسمة يتوزعون بشكل متناثر على طول الساحل ضمن تجمعات حضرية تضم المنشآت الاقتصادية والاجتماعية خصوصاً تلك المتعلقة بالصيد البحري والتنقل والصناعة والخدمات والسياحة. كما تعرف هذه السواحل تطوراً مطرداً يرتبط بمشاريع التهيئة المبرمجة من أجل تنمية الأقاليم الصحراوية ودمجها في آليات الاقتصاد الوطني النامي.

معطيات جيومورفولوجية : تنتمي بنية سواحل الصحراء المغربية إلى الدرع الأفريقي المتميز بتاريخه الجيولوجي الطويل، ويتكون هذا المجال من تضاريس يغلب عليها الطابع الصحراوي الجاف فنتجت مورفولوجيتها عن نشاط آليات تعرية سيطر فيها التهشيم الحراري والتقصف الملحي والدينامية الريحية. أما تأثر السيول فقليل ماعدا الأشكال الموروثة عن فترات رباعية رطبة قديمة. وتتكون السواحل الصحراوية من نهايات هضاب منخفضة وأحواض رسوبية ساحلية أهمها أحواض طرفاية والعيون وبوجدور ظهرت خلال

الجوراسي على الهامش الغربي لقارة گودوانا وتزامن تكوينها مع انفتاح المحيط الأطلسي، وتمتد من جنوب واد درعة حتى السنغال، وتختفي صخُور القاعدة الأولية على طول الساحل لتمتد فوقها هضاب مرتفعة بعشرات الأمتار عن مستوى سطح البحر الحالي وتتكون من :

* صخور الكلس الكريتاسي التي تشكل امتداداً لسحنات الفوسفاط في بوگراع وهي تمثل الأساسي الجيولوجي لساحل الصحراء المغربية، فهي تغلف القاعدة القديمة الممتدة من جنوب تندوف ولا تظهر قرب السواحل إلا في مواقع محدودة مثل منخفض العيون وجنوب بوجدور. وتختفي غالبا تحت الامتدادات الواسعة للهضاب البليورباعية.

* صخور الحث الساحلي البحري والكثباني المتصلب، التي تنتمي للفترات البليورباعية وتنتشر على الساحل الحالي وتغلف سحنات الكلس الكريتاسي بسمك وامتداد متباينين، وتصل أقصى امتدادها 120 كلم داخل القارة جنوب بوجدور. وتنتهي الهضاب الساحلية غالباً بأجراف بحرية مشرفة على أشرطة ساحلية ضيقة أو متقدمة، لايستثنى من ذلك سوى مصبات الوديان مثل درعة وشبيكة والساقية الحمراء التي تمثل ثغرات الاتصال المباشر بين القارة والبحر وتتعرض اليوم لغزو الكثبان الرملية الساحلية.

مورفولوجية خط الساحل : تغلب عليه عموماً مورفولوجية الأجراف الوعرة المنحوتة في صخور الكلس والحث الباليورباعي خاصة، في حين جاء امتداد الشواطئ الرملية محدوداً. فابتداء من واد درعة نحو الجنوب تظهر أجراف منحوتة في هضاب الحث يتراوح ارتفاعها مابين 20 - 50م ولا تظهر الشواطئ الرملية إلا على مسافات ضيقة خاصة عند مصبات الوديان مثل واد شبيكة والأهوار الساحلية. لكن ابتداء من رأس جوبي عند طرفاية تصبح أجراف الهضاب الساحلية بعيدة عن خط الساحل ببضع كيلومترات حيث تفصلها عنه شواطئ رملية واسعة تمتد جنوبا على مسافة 120 كلم حتى جنوب العيون، ثم تعود الهضاب الساحلية للظهور على طول ساحل بوجدور لتشرف بقوة على المحيط مشكلة أجرافا وعرة تتراوح ارتفاعاتها ما بين 10 - 50م. وابتداء من شمال الداخلة بحوالي 150 كلم باتجاه الجنوب تتميز الهضاب بانحناء تدريجي ضعيف نحو البحر مما يسمح مرة أخرى بامتداد شواطئ رملية واسعة تستمر على طول 300 كلم إلى مقربة من الگويرة حيث تظهر من جديد الأجراف الصخرية الساحلية.

امتداد الرصيف القاري : تعرف شواطئ الصحراء المغربية امتداداً واسعاً للرصيف القاري الذي يتراوح عمقه مابين 1 - 200م وهو المجال البحري الذي يستقبل التوضعات القارية (عضوية وفتاتية ووحلية) مما يجعله مرتعاً خصباً للثروة السمكية. يتميز الرصيف البحري جنوب واد درعة بضعف تأثره بالحركة البنائية الجيولوجية التي شكلت الجبال المغربية، مما يسمح بتزايد عرضه ليصل إلى 90 كلم بين طانطان وطرفاية، وابتداء من رأس جوبا عند طرفاية يعود الرصيف إلى الضيق بحيث لا يتجاوز عرضه 20 كلم ويستمر كذلك إلى جنوب مدينة العيون ثم يتسع قليلا إلى حوالي 30 كلم حتى بوجدور. وانطلاقا من بوجدور نحو الجنوب يعرف الرصيف أقصى عرضه إذ يصل إلى أكثر من 150 كلم في المجال الأوسط بين بوجـدور والداخلـة، ويعود بعدها ليضيق قليلا في اتجاه الجنوب أمام خليج الداخلة مابين 70 - 80 كلم إلى حدود رأس كاريرو ثم يضيق إلى حدود 40 كلم عند الـگويرة.

ويتميز الوسط البحري هنا بوجود نظامين للمياه واحد سطحي ساخن غني بالمواد العضوية بفعل وفرة الحرارة وضوء الشمس، آخر عمقه بارد نسبياً يتمثل في صعود المياه الباردة نحو الطبقة السطحية تحت تأثير الرياح التجارية المرتبطة بضغط الآسور المرتفع إضافة إلى دور تيار كناريا البارد أصلا القادم من الشمال، ولقلة عمق البحر بالرصيف القاري فإن التيار يحرك رواسب الأعماق ويرفعها إلى أعلى نحو السطح مما يؤدي إلى تركيز العناصر المغذية وتثبيت النشاط البيولوجي والغذائي للأسماك.

وإن هذه السواحل تضم ثروات سمكية مهمة جلبت إليها الأطماع منذ القرن 18. ولازالت تحظى بثروات سمكية متنوعة وفيرة تجعل منها إحدى أكبر مناطق الصيد البحري في العالم، إذ تحتوي على أكبر احتياطي عالمي للسردين إلى جانب أنواع أخرى يشتد عليها الطلب من الأسماك السطحية الزرقاء وأسماك القاع البيضاء. لكنها تبدو اليوم مهددة بالاستنزاف وظهور بوادر التلوث مما يدعو إلى إقامة أجهزة علمية وأمينة وقانونية لحمآيتها وتنظيم استغلالها. وهذا ما دفع السلطات المختصة إلى فرض راحة بيولوجية لبعض الأنواع وتحديد الكميات المصطادة من كل نوع. ويعدّ معدل كمية الصيد السنوي بالمغرب في العقد الأول من القـرن 21 : 1 مليون طن، تأتي 80% منها من هذه السواحل الصحراوية ونصفها من ميناء العيون.

الخصائص المناخية لسواحل الصحراء المغربية :

تقع المنطقة ضمن النطاق البيومناخي الصحراوي المتميز بظروفه القاسية جراء ندرة الأمطار وعدم انتظامها وارتفاع درجات الحرارة كلما اتجهنا نحو الداخل وبقوة التبخر إضافة لسرعة وقوة الرياح وفقر المعطيات البيوجغرافية والبنيوية كالتربة والغطاء النباتي. ويظهر أثر تيار كناريا قوياً بالساحل حيث ترتفع نسبة الرطوبة إلى 85% بسبب برودة الجو وتشبعه ببخار المياه المحيطية. لكنها تنخفض نحو الداخل بسرعة إلى مادون 50% وتسجل أقصى درجات الحرارة صيفاً في غشت : 27. بالعيون وأدناه في فصل الشتاء دجنبر 14,4. درجة بالداخلة مما يجعلها رحبة للاصطياف السياحي. أما المعدلات المطرية السنوية فلا تتجاوز 20 ملم وتدوم مدة الجفاف أحياناً 4 إلى 5 سنوات وتتعرض المنطقة طيلة السنة إلى هبوب رياح قوية ذات اتجاه شمال / شمال شرقي تصل سرعتها أحيانا إلـى 50 كلم / س تتحول إلى عواصف رملية عنيفة انطلاقا من بداية يوليوز حتى نهاية شتنبر. وتُعاني كل المدن والأراضي

والموانئ من شدة العواصف الرملية وتراكم الرمال مما طرح صعوبات كبيرة أمام الفاعلين في هذا المجال إذ كثيراً ما يمتد زحف الرمال بطمر أحياء سكنية وطرق بل وموانئ. مما يتطلب آليات خاصة وعملا مستمراً لإزالة الرمال وكبحها والبحث عن أنجع الطرق العلمية والعملية لتجنب مشاكلها.

استقرار بشري قديم وتطور حضري سريع :

عمرت هذه الأوساط الطبيعية قبائل أمازيغية وإفريقية زنجية منذ أقدم الأزمنة ثم انضافت إليها موجات من المهاجرين من شرق الصحراء الكبرى خاصة الآتي من القرن الإفريقي ووفد إليها العرب في القرون الوسطى. ومن أشهر قبائلها اليوم : أولاد دليم والرگيبات والعروسيين وأولاد تدرارين وأولاد أبي السباع وإزرگيين... ظلت هذه العناصر متحاربة أو متهادنة أو تابعة بعضها لبعض يغلب عليها طابع البداوة والترحال والجمع بين الرعي والزراعة في بعض الأماكن المحظوظة وممارسة التجارة والغزو، في حين ظلت مراكز الاستقرار محدودة إلى عهد قريب من فترة الاستقلال. وأكبر مشكل كانت تواجهه القبائل هو ندرة المياه الذي ولَّـدَ لديها الحرص على الماء إذ يحتفظ الصحراويون بتراث غني يتعلق بتدبير ندرة المياه. لكن التحولات الاجتماعية والاقتصادية بعد عودة الصحراء إلى الوطن الأم أدت إلى تحول السكان نحو الحياة الحضرية والاستقرار واكتساب عادات استهلاكية جديدة مطبوعة بالاستهلاك المجحف لموارد الطبيعة خصوصاً المائية والمنتوجات الفلاحية والاستهلاكية التي تأتي من وسط المغرب خاصة من جهة سوس - ماسة - فبذلت أجهزة الدولة المغربية مجهودات جبارة لخلق تنمية مستدامة برزت نتائجها في كل القطاعات الاقتصادية والاجتماعية. لكنها تعاني اليوم من مجموعة من المشاكل ستكون لها لا محالة انعكاسات بيئية سلبية على المدى البعيد مما سيعرقل المشاريع التنموية. وهي ناتجة إما عن تدخلات غير معقلنة وسوء تدبير مواردها أو مشاكل مرتبطة بدينامية الوسط نفسه وقلة موارد الزراعة وندرة المياه.

التحولات المجالية بالسواحل الصحراوية :

تعرف السرعة السكانية بالصحراء المغربية ظاهرة مجالية متسارعة هي تنقل السكان المحليين بل وتوافد هجرة العناصر الشابة من أقاليم وسط المغرب وشماله. وتركيزهم بمراكز حضرية أو قروية أحيانا على الشريط الساحلي وذلك لأسباب عديدة أهمها :

- ظروف مناخية أقل قساوة من المجالات الداخلية مما يجعلها مفضلة للاستقرار البشري.

- توفر مناصب الشغل خاصة بالأنشطة البحرية والعمرانية (البناء).

- سهولة النقل وإمكانية التواصل والتبادل مع الخارج عبر البحر.

وقد بلغت نسبة التركز بالساحل 80% من سكان الصحراء. كما ترتب عن هذه الظاهرة نمو سريع لمدن الساحل مما رفع السكان بمدينة العيون إلى أكثر من 200.000 نسمة بحيث صارت تضم وحدها مع ميناءها حوالي نصف سكان السواحل الصحراوية تليها طنطان 70.000 نسمة والداخلة 58.000 نسمة وبوجدور 47.000 نسمة (إسقاطات سنة 2010). وقد واكب هذا التركز الحضري مشاكل اجتماعية واقتصادية يرجح أن تزداد حدتها مع تطور السياحة وتوسيع قطاع الخدمات خاصة الصحية والتطهير وتلوث المياه البحرية ونمو قطاعات النقل والصناعة فضلا عن استفحال أزمة نقص الماء الشروب الذي لا يحل مشكله إلا بإنشاء المزيد من محطات تحلية مياه البحر أو مياه الآبار المالحة التي فاق عددها 20 محطة. وتحلية مياه البحر تطلب من الدولة تكاليف باهضة.

محمد الطيلسان، عبد الرحيم وطفة ورشيدة نافع، زينب مبسوط، ظهرت بمنشور : *الأقاليم الجنوبية المغربية : البيئة والمجتمع وآفاق التنمية*، للجمعية المغربية للجيومورفولوجيا، وجامعة القاضي عياض بمراكش، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش.

أحمد هوزلي

السويحات (معركة -) وقعت في الثامن والعشرين من شهر دجنبر سنة 1956 عندما هاجمت قوات جيش التحرير قافلة للمستعمر الفرنسي بمنطقة "السويحات" مما جعل مجموعة كبيرة من قبائل الشعابنة المجندين في الجيش الفرنسي بالجزائر يفرون إلى منطقة حاسي مادي ويلتحقون بجيش التحرير المغربي. كما هاجمت هذه القوات فرقة من الجنود الفرنسيين القادمين من تندوف لإغاثة إخوانهم بمركز الزمول بالمؤن والعتاد والدواء فقتلت منهم واحدا وجرحت أربعة ودمرت بعض المصفحات وغنمت ست قطع من السلاح الخفيف وكمية من المؤن والأدوية ولم تصب قوات جيش التحرير المهاجمة بأية خسارة.

منوغرافية تاريخية عن إقليم طاطا، فريد إدشويخ، *مجلة الذاكرة الوطنية*، العدد 1، السنة 1422 / 2001.

ماء العينين النعمة علي

سويد (ولد -) **بكار** هو بكار بن سويد أحمد بن محمد بن امحمد شين آخر أمراء إداوعيش، ولد حوالي سنة 1230 / 1810 بمضارب والده اسويد أحمد تولى الإمارة بعد أخيه محمد سنة 1258، ويعتبر من "عظماء قادة إداوعيش بالإضافة إلى ما تميز به من شجاعة وفروسية ورباطة جأش. فقد كان حكيما، بعيد النظر، عارفا بأحوال الناس، عطوفا على الضعفاء، كثير الصدقات والإنفاق في سبيل الله، "فكان يوزع الاتاءات التي تأتيه من الفرنسيين على الضعفاء والفقراء، ولا يذخر منها شيئا، ويتصدق بمهور بناته على الفقراء وبفحول نسل خيله.

شهدت إمارة اداوغيش في زمانه من القوة والهيبة ما لم تشهده قبله. فكان الحظ دائما حليفه في المعارك التي قادها ضد اشراتيت وأمراء أولاد امبارك ومشظوف وأمراء أولاد يحيى بن عثمان، وقد عمر طويلا، إذ عاش أربعا وتسعين سنة.

اشتهر بمنازلته للقوات الفرنسية في مواقع كثيرة منها معركة "أميت" التي حقق فيها انتصارا كبيرا على وحدة عسكرية فرنسية في "أميت"، وقد تمت هذه المعركة في فبراير سنة 1904 وشارك فيها الأمير أحمد بن سيدي علي، وقتل فيها سبعة أفراد من الحامية الفرنسية، واستشهد من المجاهدين تسعة عشر مجاهدا منهم : محمد محمود بن اعميره ومحمد محمود ابن عمار بن ثالوث وعثمان بن أعلى بلاك وغيرهم.

وبعدها شن أتباعه هجوما آخر على فرقة فرنسية بقيادة الضابط ريي Rey في "جار"، فتم القضاء عليها بكاملها، وأصيب قائدها، وأمام هذه الانتصارات الكبرى التي حققتها إداوعيش على الفرنسيين أمر كوپولاني (Coppolani) النقيب افريرجان بالالتحاق لمساعدة ريي والزحف على تگانت، فكانت القوات الفرنسية تستولى على كل ما يقع في طريقها من جمال وتحرق الأمتعة والخيام وتزهق الأرواح وتنهب الماشية ولا تردها لأهلها إلا بعد الإعلان عن خضوعها، وقد توجت هجومها الكاسح على هذه المنطقة بالإغارة على مخيم الأمير بكار عند موضع "بوگادوم" في ارگيبة ونهبه وإحراقه وذلك يوم 26 محرم 1322 الموافق 13 أبريل 1905، وبعد ثلاثة أيام من هذا الهجوم استشهد الأمير بكار وذلك بسبب إصابته في فخذه جراء إطلاق النار بطريقة عشوائية، فكان استشهاده خسارة كبرى للمقاومة في الجنوب المغربي.

الشيخ ماء العينين، *علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي*، ج II، ص. 83، الطالب أخيار ؛ سعد خليل، *تكوين موريتانيا الحديثة من الاحتلال حتى الاستقلال*، رسالة ماجستير، معهد الدراسات والبحوث العربية العلمية، القاهرة، 1977.

محمد الظريف

السياحة الصحراوية، تعد السياحة الصحراوية قطاعا هاما ومكمّلا لأشكال السياحة الأخرى خاصة الشاطئية والأثرية. ولقد عملت الوزارة الوصية، في إطار سياسيتها الاستشرافية المستقبلية الرامية لبلوغ 10 ملايين سائح في سنة 2010، إلى تنويع منتوجاتها السياحية وذلك بإدراج منتوج جديد - السياحة الصحراوية - في تركيبتها السياحية الوطنية، كي يقوي مكانتها ويعززها داخل التنافسية الشرسة لدول حوض البحر الأبيض المتوسط.

إن هذا الرهان السياحي والإرادة السياسية، جعلا الدولة تنكب بشكل كبير على تطوير منتجاتها السياحية وتفعيل مؤهلاتها الطبيعية وتقوية بنيتها، وذلك بتأهيل المناطق الصحراوية وإشراكها في هذا المشروع الكبير (2010). لهذا أولت الدولة ووكالة تنمية الأقاليم الصحراوية اهتماما كبيرا بهذا القطاع الحيوي، وأدمجته ضمن أولوياتها ومشاريعها التنموية، واعتبرته قاطرة تنموية ونهضوية للإقلاع الاقتصادي والاجتماعي بالأقاليم الصحراوية، ذات الموارد الطبيعية والبيئية الجد محدودة والهشة في آن واحد جراء ندرة الماء، وضعف الغطاء النباتي، وحساسية المجال البيئي.

وتشكل الجهات الصحراوية الثلاث : گلميم - السمارة والعيون - بوجدور - الساقية الحمراء، وواد الذهب - لگويرة جزءا لا يتجزأ من التنوع الطبيعي والثقافي الأمازيغي، العربي، الإفريقي، الذي يتكون منه المجال والمجتمع المغربي. فالتنوع الطبيعي والسوسيو- ثقافي الذي تزخر به هذه الجهات يؤهلها لفرض منتوجها السياحي ضمن المنتجات الأخرى التي تقدمها باقي المناطق المغربية. وتتجلى هذه المؤهلات السياحية بالخصوص في الامتداد الساحلي للشواطئ على طول 1400 كلم مكونة من شواطئ رملية ممتدة وخلجان منعزلة ومصاب أودية تشكل وسطا ملائما لتطور السياحة الشاطئية والرياضية على الخصوص (pêche, surf, voilier, planche à voile, etc.) بالإضافة إلى التضاريس الرملية (سيوف، برخان، إلخ)، والرگ، والگعدة، والگراير، والواحات إلخ.

ولهذه الأشكال التضاريسية وقع كبير على السائح الأجنبي الذي يبحث عن طبيعة متميزة وفريدة تدخل ضمن سياحة المغامرات والسياحية الرياضية (Rallye Paris-Dakar, marathon des sables, etc.)، وسياحة الترحال، وسياحة الواحات، بل وكذا السياحة الإيكلوجية وسياحة الحامات المعدنية بأباينو، أو الحامات الرملية، وسياحة الاستحمام البحري.

أما بالنسبة للسياحة الثقافية فهي تستمد أسسها من التاريخ العريق للمنطقة، الذي كان له دور بارز في صنع تاريخ المغرب عامة، ومن ذلك نجد أن جل الدول التي اعتلت عرش المغرب يرجع أصلها إلى المناطق الصحراوية، بفضل موقعها الاستراتيجي كصلة وصل بين شمال إفريقيا ودول جنوب الصحراء، وبين الشرق العربي والغرب الأوربي المتوسطي، قامت هذه المنطقة - من هذا الموقع - بدور ريادي في تجارة القوافل الصحراوية التي ساهمت في حضارة المغرب. كما يرجع لها الفضل أيضا في تشييد مدن تاريخية لها دور طلائعي في بناء الاقتصاد والمجتمع المغربي كسجلماسة، ومراكش، وغيرها. وكان لهذه التجارة آثار إيجابية على المنطقة، إذ عرفت ازدهارا اقتصاديا واجتماعيا، واستقطبت عبر تاريخها أعدادا هائلة ومختلفة من الأجناس البشرية في الأصول والمعاش وفي اللغات والعادات والتقاليد، خاصة ثقافة البدو الرحل. ويمكن أن نعتبرها كنوع سياحي خاص بهذه المناطق مما يعطي لها طابعا انفراديا يمكن أن ننعته بسياحة مسارات القوافل التجارية التي قد تربط مواقع تاريخية كتامدولت ونول لمطة والگصابي والسمارة وواد الذهب.

وتزخر الجهات الثلاث بمآثر تاريخية مهمة تتجلى في النقوش والرسوم الصخرية، والمعمار الكولونيالي، والقصور والقصبات، والزوايا، إلخ. أما الجانب السوسيو - ثقافي فهو يتنوع بحسب الثقافة والانتماء الاجتماعي، الذي يتجلى في الفلكلور المحلي الغني : الگدرة، أحواش الركبة، الهرمة، گناوة، الطرب الحساني إگاون -، إلخ، والمواسم : سوق الجمال بگلميم، موسم طانطان الدولي ملتقى الرحل الذي أصبح تراثا عالميا، إلخ.

1 - جهة گلميم - السمارة :

لهذه الجهة من المؤهلات ما يمكنها أن تصبح قطبا سياحيا كبيرا، سواء على الصعيد المحلي الصحراوي أو على الصعيد الوطني، فهي تزخر بمؤهلات طبيعية متنوعة ومآثر تاريخية بعضها يرجع إلى الزمن النيوليتي، بالإضافة إلى ثقافتها وفلكلورها المحلي ومنتجاتها الصناعية التقليدية التي تمثل ما أبدعته يد الصانع من فئة المَعْلمين، مما أثرى التنوع التراثي المحلي وأغناه.

وتتصدر الجبال المؤهلات الطبيعية بالجهة : كالأطلس الصغير وجبل باني وزيني ووارگزيز، ثم الحمادات حيث تضم هذه المنطقة جزءا من حمادة تندوف ودرعة، بالإضافة إلى توفرها على أهم الأودية بالمنطقة كواد درعة، وواد الساقية الحمراء العلوي وواد الصياد، وأم لعشار، وواد نون، وواد آسا، وواد شبيكة، وواد أم فاطمة، وواد سلوان، وواد بن خليل، وواد بوإسافن، وواد مقطع.

وجل هذه الأودية تصب في المحيط الأطلسي، وتشكل مصباتها ملجأ طبيعيا للطيور المهاجرة، ونذكر على سبيل المثال : مصب واد درعة، وواد شبيكة، وواد أم فاطمة، ومن مؤهلاتها السياحية حامة معدنية كبريتية بأباينو گلميم. هذا بالإضافة إلى وجود خوانق طبيعية وشلالات (أگليز بنواحي طاطا)، وسبخات أهمها سبخة أبطيح، وبعض المناظر المورفولوجية كالطبيلة وتيفاريتي بنواحي السمارة، ومغارات وادي بولمغاير والخلوة، وبحيرات داخلية أهمها إريقي بنواحي طاطا، ومنتزهات في طور الإنجاز كمنتزه درعة السفلى، ومنتزه بحيرة إريقي، إلخ، وتضم المنطقة غطاء نباتيا مهما كشجرة الطلح، والأرگان، والطرفاء، والنخيل، والبلانين. أما ثروتها الوحيشية فهي أيضا جد مهمة تضم الغزال، والضبع، وإبن آوى، والفهد الصحراوي الذي أصبح نادرا بل يكاد ينقرض، والعناق والشنصر، وحرباء الصحراء، والضب، إلخ. وأنواع مختلفة من الطيور المهاجرة كالبطريق الصغير، والبجع، والنحام الوردي، والبط القطبي الأسود،... وتعد هذه الجهة كذلك من أكبر المناطق المشهورة في المغرب بواحاتها الممتدة من فم ازگيد شرقا إلى واد نون غربا إلى واحة وين مذكور وواحة وادي بوعلاقة جنوبا بإقليم طانطان.

وتتميز المنطقة عن باقي الجهات الأخرى بتنوع إرثها الثقافي والأركيولوجي حيث تضم نقوشا ورسوما صخرية نيوليتيكية، يوجد أهمها بنواحي آقا، وبتمنارت، وفم الحصن، وفم أزگيد، وبنواحي السمارة، والمسيد بطانطان التي تعد أول ما اكتشف من الرسوم الصخرية بالأقاليم الصحراوية. ومن المآثر التي أرخت لهذا المجال نجد مدنا قديمة ارتبط نموها ونشاطها التجاري بالطرق والقوافل التجارية كنول لمطة بواد نون، وتمدولت، وتگاوست القصابي حاليا بواد نون، والسمارة بواد الساقية الحمراء، الذي يشكل مع واد درعة وواد نون مجالا للخلوة وللأولياء والصالحين منذ القدم، حيث نجد بهما أضرحة تقام حولها مواسم سنوية كسيدي عمر وعمران والنومر بالقصابي، وسيدي الغازي بإقليم گلميم، وسيدي بن يعقوب، وسيدي عبد الله أوامباك، وسيدي دانيال بإقليم طاطا، وأضرحة "الأجداد الأوائل" لبعض القبائل الصحراوية كسيد أحمد الرگيبي، وسيد أحمد لعروسي، والشهداء السبعة لأولاد أبي السباع قبورهم كلها موجودة بضواحي السمارة. بالإضافة إلى زاوية الشيخ ماء العينين.

ومن المآثر الأخرى التي تزخر بها المنطقة نجد القصبات والقصور وبعض المخازن - إيگودار - التي تنتشر بالواحات أو بقدم أو قمم جبل باني والأطلس الصغير من فم ازگيد شرقا، مرورا بتيسنت وطاطا وفم الحصن وأقا وآسا إلى نواحي گلميم وبيزكارن وتغجيجت شمالا وجنوبا إلخ. كما أن هناك مآثر أخرى حديثة العهد مرتبطة أساسا بالفترة الاستعمارية كمنزل شارل دو فوكو بتسينت (إقليم طاطا). وتشهد المنطقة تنظيم مواسم ثقافية لها أوجه اقتصادية مهمة كسوق الجمال بـگلميم، وموسم الرحل الدولي لطانطان، الذي تم تصنيفه مؤخرا كتراث عالمي.

2 - جهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء :

لهذه الجهة مؤهلات سياحة مرتبطة أساسا بالطبيعة الساحلية الشاطئية التي توفر للزائر وللسائح مؤهلات ومناظر بحرية ذات خصوصيات كفيلة بتطوير السياحة الشاطئية خاصة بفم الواد بالعيون، وشاطئ بوجدور، إلخ. بالإضافة إلى وجود إمكانيات سياحية إيكولوجية يمكن أن تستغل بهور النعيلة - خنيفيس، حيث يشكل هذا الموقع البيو - حيوي أهمية كبرى، فصنف بذلك حسب اتفاقية "رمسار" (1980) كمحمية بيولوجية وطنية، صدر مرسوم وزاري في شأنه سنة 1983.

وبالإضافة إلى مواقع أخرى بحرية كالخلجان والشواطئ الممتدة من طرفاية إلى جنوب مدينة بوجدور، تزخر الجهة بمواقع طبيعية أخرى كالسبخات ومن أهمها : سبخة الطاح، وتازغة، وأريدال، وأم الضبيعات، فضلا على أنواع الصحاري التي تسود المنطقة من رق وعرق، تغطي جزءا هاما من تراب الجهة، يمكن أن يسخر في ما يسمى بالحامات الرملية. وتوفر المناطق الداخلية مناظر طبيعية ومورفولوجية كگلتة زمور، وواد الساقية الحمراء ورافده واد الخط، وتافودارت، وواد إتقي مثلا، وبعض الگراير والواحات الصغيرة كالمسيد. كما أن للجهة إرث تاريخي يعود إلى بدايات الأطماع الاستعمارية بالمنطقة، كقلعة "كازامار" والنصب التذكاري لطائرة "سانت إيكزبري" (Saint-Exupéry) بطرفاية، والمنارة الإسبانية ببوجدور، والكنيسة الإسبانية الكاتوليكية بالعيون. وتزخر المنطقة كباقي الجهات الأخرى بتربية الإبل التي تربط الساكنة بالبادية وبالترحال، وبطقوس وتقاليد عريقة تساهم في إنتاج الألبان وشراب الزريگ وأكل اللحوم التي تزين المائدة الصحراوية. وتشكل الإبل أيضا رأسمالا أساسا يربطها بمختلف الطقوس والأعراف خاصة في الزواج والمهور، ويستعمل جلدها بشكل واسع في الصناعة التقليدية المحلية. وأصبح يقام لها في الآونة

الأخيرة سباق خاص وهو سباق الهجن بكل من العيون وكَلميم وطانطان.

3 - جهة واد الذهب - لكَويرة :

لهذه الجهة من الحوافز مجال جذاب لاستقطاب السياح حيث توجد بها مجموعة من الوديان والمنخفضات الخصبة الغنية بغطاء نباتي صحراوي متنوع في كل من منطقتي تشلا وتيرس الغربية، وهناك أيضا عدة تلال رملية كسبيطة وتبارك الله ... وسلسلة من الجبال الصحراوية التي ترجع إلى أزمنة جيولوجية قديمة تعود إلى ما قبل الكامبري خاصة جبال سطف وميجك ولكَلات... كما يشكل التنوع البيئي لهذا الوسط ملجأ لأنواع كثيرة من الحيوانات الهجينة كالغزال والماعز البري والطيور المهاجرة. وبالمنطقة أيضا مواقع للنقوش الصخرية ببئر أنزران وأوسرد. وتبقى الشواطئ الممتدة على أكثر من 600 كلم من شمال خليج واد الذهب بالداخلة إلى لكَويرة جنوبا، أهم المؤهلات السياحية بالجهة وأهمها : شاطئ ريستينكَا، ونتيريفيت، وأم البير، وخليج الداخلة، ولا صاركَا، وبورت ريكو، والبويردة، وخليج سينترا - ما بين رأس الملكة والرأس الأسود، وعين بيضة، وخليج سان سابريان، والمهيريز، وسانت آن، ورأس برباس، والكَويرة.

وتعد هذه الجهة منطقة عبور السيارات القوافلية، وهي مجال لممارسة السياحة الرياضية كالصيد والزوارق والألواح الشراعية، والتزحلق على الأمواج.

وتعرف المنطقة أيضا تنوعا وحيشيا وبيئيا من طيور مهاجرة، وقطعان للغزلان، وثروات سمكية والفقمة المهددة بالانقراض، الشيء الذي جعل الدولة تنكب على حماية هذا الموروث البيئي بخلقها لمحميات ومنتزهات وطنية منها منتزه داخلي ما بين أوسرد شمالا وتشلا جنوبا، وآخر ساحلي من رأس برباس إلى لكَويرة جنوبا، وهو المسمى بمنتزه الداخلة، في إطار المحافظة على المناطق الصحراوية الرطبة ذات البيئة الحساسة والهشة.

ومازال الاهتمام ناقصا بالجوانب السياحية للاقتصاد المحلي الصحراوي، - رغم هذه المؤهلات الطبيعية التي تزخر بها، كما أن السياحة بهذه الجهات لم تحظ بالمكانة وبالقيمة اللائقة بها لتطوير منتوجها المحلي، مما يفرض زيادة في الاهتمام والدعم الرسمي الذي عرفته المناطق الشمالية. ويرجع تخلف هذا القطاع بالجهات الثلاث إلى غياب الاستثمار السياحي بهذه المناطق، وإلى ضعف البنية السياحية التحتية من فنادق، ومركبات سياحية، وبرامج التهيئة السياحية، إلخ. والسبب في ذلك عدم وضوح استراتيجية خاصة بالسياحة الصحراوية أو غيابها.

الطاقة الإيوائية والمبيتات السياحية بالجهات الصحراوية الثلاث :

تعد الطاقة الإيوائية اللبنة الأساس لتطوير السياحة بأي مجال كان، فهي العمود الفقري للقطاع السياحي ومقياس نموه وازدهاره، ومن خلالها يتم تشخيص أهمية الاستثمار السياحي في المنطقة. ومن خلال الجداول التالية، سنتعرف بشكل تفصيلي على الطاقة الإيوائية، والمبيتات (الليالي)، ونسبة التوافد السياحي على المنطقة حسب المدن والجهات الصحراوية الثلاث.

1 - الطاقة الإيوائية للفنادق المصنفة وغير المصنفة حسب كل جهة

الجهة		الفنادق المصنفة			الفنادق غير المصنفة	
	العدد	الغرف	الأسرة	العدد	الغرف	الأسرة
العيون	10	523	1034	29	620	1131
الداخلة	2	120	240	14	330	672
كَلميم	10	185	380	10	174	248
طانطان	4	75	152	41	599	898
طاطا	2	109	218	6	95	186
أسا - الزاكَ	1	10	20	2	20	20
المجموع العام الجهوي	29	1022	2044	102	1838	3155
المجموع الوطني	982	57 431	119 248	1 310	22 897	39 723

المصدر : وزارة السياحة والصناعة التقليدية والاقتصاد الاجتماعي 2004

الجدول 1 : يبين نسبة الطاقة الإيوائية بالجهات الثلاث والتي لا تمثل سوى 2.9% من حيث عدد الفنادق المصنفة و 1.7% من الأسرَّة المصنفة على الصعيد الوطني، وهذه النسبة جد ضعيفة مقارنة مع مساحة هذه المجالات التي تمثل 58% من المساحة الإجمالية للبلاد. وتبقى أهميتها السياحية منحصرة على السياحة الوطنية أو الداخلية المتمثلة بالخصوص في الفنادق غير المصنفة والتي تمثل 7.7% من حيث عدد الفنادق و7.9% وهي نسبة أكثر من نسبة الفنادق المصنفة.

ويوحي الجدول 2 بسوء التوزيع للطاقة الإيوائية بالمنطقة، فنجد كلا من العيون وكَلميم تسيطران على الجزء الأكبر من عدد الفنادق المصنفة بأكثر من 68% (50% لكل مدينة) في حين الباقي أي 32% يوزع بشكل متفاوت على 4 مدن (طانطان، طاطا، الداخلة وآسا - الزاكَ). وتبقى لمدينة العيون حصة الأسد بالنسبة لعدد الأسرَّة بالجهات الثلاث، حيث تمثل 58,58% من مجموع الأسرة الجهوية.

2 - الليالي السياحية المسجلة حسب نوع الفنادق المصنفة داخل المدن

المدن	نجمة واحدة	نجمتان	3 نجوم	4 نجوم	القرى السياحية
العيون	3 759	10 502	5 535	13 701	-
الداخلة	-	2 366	-	7 748	-
كَلميم	3 952	-	1 864	-	5237
طانطان	669	1 955	-	-	-
طاطا	-	5 120	5 123	-	-
أسا - الزاكَ	-	-	707	-	-
المجموع العام	8 380	19 943	13 229	21 449	5 237
المجموع الوطني	**330 233**	**698 829**	**1 968 013**	**4 607 514**	**2 477 572**

المصدر : وزارة السياحة والصناعة التقليدية والاقتصاد الاجتماعي 2004

فالجدولان يؤكدان مكانة مدينة العيون وجهتها داخل المجال الصحراوي، وسيطرتها على أكثر من نصف الطاقة الإيوائية وكذا المبيتات (الليالي السياحية)، حيث تسجل لوحدها 33497 ليلة في جميع أنواع الفنادق المصنفة، تقريبا 49% من مجموع الليالي للجهات الثلاث، متبوعة بجهة گلميم - السمارة ب 24627 ليلة (36%)، بينما واد الذهب لا تمثل سوى 10114 (14.8%). ونسجل كذلك غياب أصناف من الفنادق الراقية من 5 نجوم والقرى السياحية .V.V.T (باستثناء قرية واحدة بـگلميم)، وكذا الإقامات السياحيـة Résidences touristiques.

أما بالنسبة للجدول 3، فيبدو أن تطور الليالي عرف تراجعا كبيرا ما بين سنوات 2002 و2004، بحيث سجلت مدينة العيون في سنة 2002 ما يناهز 71319 ليلة وتراجعت بشكل ملحوظ في المبيتات لسنة 2004 بما يناهز 33497 (46.9% ليلة)، في حين أن بعض المدن الأخرى عرفت انتعاشا ملحوظا كمدينة گلميم التي انتقلت من 2537 ليلة سنة 2001 إلى 11053 ليلة سنة 2004، وكذا مدينة الداخلة التي عرفت قفزة ما بين سنة 2003 و2004، من 6879 ليلة إلى 10114 ليلة.

3 - تطور الليالي السياحية بالفنادق المصنفة حسب المدن

الجهة	2000	2001	2002	2003	2004
العيون	31 484	24 288	71 319	62 991	33 497
الداخلة	-	-	7 048	6 879	10 114
گلميـــم	4 653	2 537	2 769	4 742	11 053
طانطان	2 185	4 806	1 349	1 256	2 624
طـاطـا	9 000	8 660	9 491	8 943	10 243
آسـا - الـــزاگ	622	623	488	531	707
المجموع العام	47 944	40 914	92 464	85 342	68 238
المجموع الوطني	13 539 567	12 695 227	11 320 882	11 173 119	13 164 870

المصدر : وزارة السياحة والصناعة التقليدية والاقتصاد الاجتماعي 2004

ويمثل الجدول 4 نسبة التوافد بالجهات الثلاث، وهي نسبة جد ضعيفة (12.33%) سنة 2004 بالمقارنة مع النسبة الوطنية التي تمثل 43% خلال السنة نفسها. ويعزى هـذا إلى ضعف الدعايـة الإشهاريـة، وكـذا عدم إدراج هذا المنتوج الصحراوي ضمن قائمة المنتجات السياحية الأخرى.

4 - نسبة التوافد على الفنادق المصنفة حسب الجهات الثلاث

الجهة	2001	2002	2003	2004
العيون بوجدور - الساقية الحمراء	16%	27%	27%	16%
گلميـم السمارة	12%	12%	12%	15%
واد الذهب لگويرة	-	21%	12%	16%
النسبة الجهوية	12.66%	20%	17%	12.33%
النسبة الوطنية	48%	42%	39%	43%

المصدر : وزارة السياحة والصناعة التقليدية والاقتصاد الاجتماعي 2004

السياحـــة والتنميـــة الاقتصاديـــة والاجتماعيـــة للمناطق الصحراوية :

للتنمية السياحية دور أساسي في التنمية الاقتصادية حيث يؤثر هذا القطاع بشكل مباشر على اقتصاد الصناعات الأخرى ورواجها والأنشطة المرتبطة بشكل مباشر به (الصناعة التقليدية والخدماتية)، ولا شك أنه كلما زاد تدفق حجم الحركة السياحية إلا وزاد معه الاستهلاك على المواد المحلية وبالتالي ارتفاع معدلات الادخار والقيمة المضافة .T.V.A، مما ينشط هذه الصناعات والخدمات المرتبطة أو المتصلة بصناعة السياحة. ومن المسلم به في نظرية الاقتصاد أن كل استثمـار جديـد يتولـد عنه استهلاك جديـد فيترتب عنه مداخيـل جديـدة.

فإن التنمية السياحية تعمل على خلق فرص عمل متعددة سواء في القطاع السياحي نفسه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، مثل الوكالات السياحة والمطاعم والفنادق وشركات النقل السياحي والبازارات، الخ. ومن خلال نتائج عدد من الدراسات التي أجريت في كثير من الدول السياحية الأوروبية والأمريكية حول مدى تأثير التنمية السياحية على محاربة البطالة، أكدت العديد من الدراسات السياحية قدرة التنمية السياحية على امتصاص يد عاملة كبيرة بحيث يمكن لسرير واحد شاغر أن يشغل 2 إلى 4 أفراد حسب الدول. وأكدت معظم الدراسات التي أجريت على أن بناء غرفة فندقية جديدة يخلق ثلاث فرص عمل مباشرة وغير مباشرة لذلك فإن زيادة تخصيص الموارد اللازمة لتطوير المناطق السياحية التي تتمتع بمزايا طبيعية ومناخية مثل الجهات الصحراوية الثلاث، إضافة إلى تحفيز القطاع الخاص المحلي والأجنبي على الاستثمار السياحي في هذه المناطق سوف يضاعف من فرص العمل، وستتحول هذه المناطق النائية إلى مناطق جاذبة للسياح والاستثمار، بعد أن كانت طاردة لساكنتها.

والدولة قامت مؤخرا بإعداد تصاميم خاصة بتهيئة كل من الشاطئ الأبيض بـگلميم وواد شبيكة بطانطان، وهما مشروعان كبيران تهدف من خلالهما إلى تعزيز الطاقة الإيوائية لهذه المناطق في إطار سياستها التنموية والمستقبلية لتحقيق هدفها المنشود لبلوغ عشرة ملايين سائح في سنة 2010. لكن بقيت مشاريعها الكبرى تقتصر على الشمال وخاصة المناطق السياحية الكبرى كمراكش وأگادير دون توجيه الاستثمار والمستثمرين الأجانب نحو المناطق الصحراوية التي لم تدخل بعد في إطار هذا التوجه الجديد الذي نهجته الوزارة الوصية. ومن الملاحظ أن الساحل أو ما يسمى بالسياحة الساحلية او الشاطئية أخذت حصة الأسد في المشاريع الخاصة بالصحراء (الشاطئ الأبيض ومصب واد شبيكة) بما يؤكد أن توجه الدولة في هذا القطاع ضل يرتكز على منتوج واحد هو الساحل أو ما يطلق عليه بالتسحل بدلا من تنويع منتجاتها السياحية كي تنفرد عن باقي منافسيها داخل البحر الأبيض المتوسط.

ويرتبط هذا القطاع منذ القدم بفئة اجتماعية تنعت بالـمَـعَلمين، دورها داخل المجتمع الصحراوي جد محدود، بحيث تعد اجتماعيا من الطبقات الدنيا إلى جانب كل من الحراطين وإگاون، رغم ما قدمته عبر التاريخ لهذا المجتمع الصحراوي من خدمات يومية كسك الحلي وصناعة الأواني المنزلية وبعض الأسلحة الحربية، إلخ. ظلت مهمشة اجتماعيا. لكن في عصرنا الحالي، بدأت تتحرر شيئا فشيئا من القيود الموروثة، وأصبح ارتباطها أكثر بالسائح الذي يبحث عن تذكار صحراوي أو ديكور لتزيين بيته، بينما بدأ المجتمع الصحراوي يستغني شيئا ما عن هذه المنتجات التقليدية أمام المنتجات والأثاث العصرية، باستثناء بعض البدو الرحل الذين ما يزالون يفضلون استعمال المنتجات التقليدية في حياتهم اليومية. وترتبط الصناعة التقليدية الصحراوية بشكل كبير بما توفره تربية الماشية (الحية) من جلود ووبر خصوصا الماعز والإبل، التي تعدّ المصدر الرئيس للمنتجات التقليدية، بحيث تستعمل الجلود في صنع النعال، والمتكآت، وبعض الأفرشة، بينما الوبر يستعمل في نسج الزرابي والخيام. وتتميز الصناعة التقليدية كذلك بتوظيفها للمعادن كالفضة والنحاس في صنع الحلي، والخناجر، إلخ، أي ما يسمى بالصياغة. ويلجأ الصانع كذلك لاستعمال الخشب في صنع الصناديق المزركشة. وما يميز الصحراوي عن باقي سكان المغرب هو لباسه وزيه التقليدي (الفتگة بالنسبة للرجل والملحفة بالنسبة للمرأة)، الذي يستعمل فيه قماش خاص يستورد غالبا من موريتانيا أو بعض الدول الإفريقية المجاورة. وهذا القطاع منظم في تعاونيات حرفية، ينضوي تحتها جل الحرفيين، وعملت الدولة في هذا الصدد على إنشاء مركبات وغرف للصناعة التقليدية في كل مدينة، وذلك لدعم الشباب وتأطيره وتكوينه، والحفاظ على الموروث الثقافي والحرفي المحلي، والتعريف به على الصعيد الوطني والدولي من خلال تنظيم للمعارض خارج وداخل الوطن.

ومـن المشاكـل التي تعرقـل تنميـة السياحـة بالجهات الثلاث :

- الألغام التي تشكل خطرا على السياح، خاصة منهم الذين يتطلعـون إلى معرفة تخوم الصحراء، أو المغامرون منهم ؛

- مشكل ندرة المياه العذبة خاصة بالمناطق الساحلية، باستثناء گلميم وطاطا ونواحيهما، فإن ندرة المياه مطروحة بشكل كبير، خاصة أن السياحة تعتبر من القطاعات المستهلكة للمياه (المسابح، الحدائق، المنتزهات، فالسائح يستهلك أكثر من المواطن العادي المغربي نظرا لمستواه المعيشي المرتفع ؛

- مشكل الترمل الذي يعرقل عملية السير ويتطلب ميزانية هامة لإزاحته ؛

- الرياح القوية في بعض الشواطئ، والتي لا تساعد السائح على الاستجمام ؛

- تلوث بعض الشواطئ من جراء الاستغلال العشوائي لبعض الصيادين أو ما يسمى بقرى الصيد المتناثرة في جل الشواطئ الصحراوية، والتي أساءت بشكل كبير للبيئة الساحلية ؛

- مشكل التطهير الذي تعاني منه جل المدن الصحراية، حيث تقذف المياه المستعملة في قعور الأودية أو مباشرة في البحر ؛

- معاناة بعض المدن كگلميم مثلا من مشكل العقار، الذي يعرقل تنمية المدينة سواء السياحية أو الاقتصادية ؛

- الافتقار إلى قانون خاص لحماية النقوش الصخرية من التدهور والسرقة الدولية.

بعض المقترحات العملية :

- العمل على إحداث مدارس فندقية جهوية تستجيب لمتطلبات القطاع من اليد العاملة ؛

- خلق مندوبية سياحية دائمة بالجزر الكناري لترويج المنتوج الصحراوي ؛

- تشجيع المستثمرين المحليين للنهوض بالقطاع السياحي ؛

- إلزام المستثمر بمراعاة المعمار المحلي والخصوصيات الصحراوية في البناء، كي يحظى بجاذبية وتأثير خاص على السائح أو الزائر، وخير مثال على ذلك مدينة السمارة التي بدأت تسخر الأحجار المحلية السوداء في البناء، فأعطى المدينة طابعا خاصاً ؛

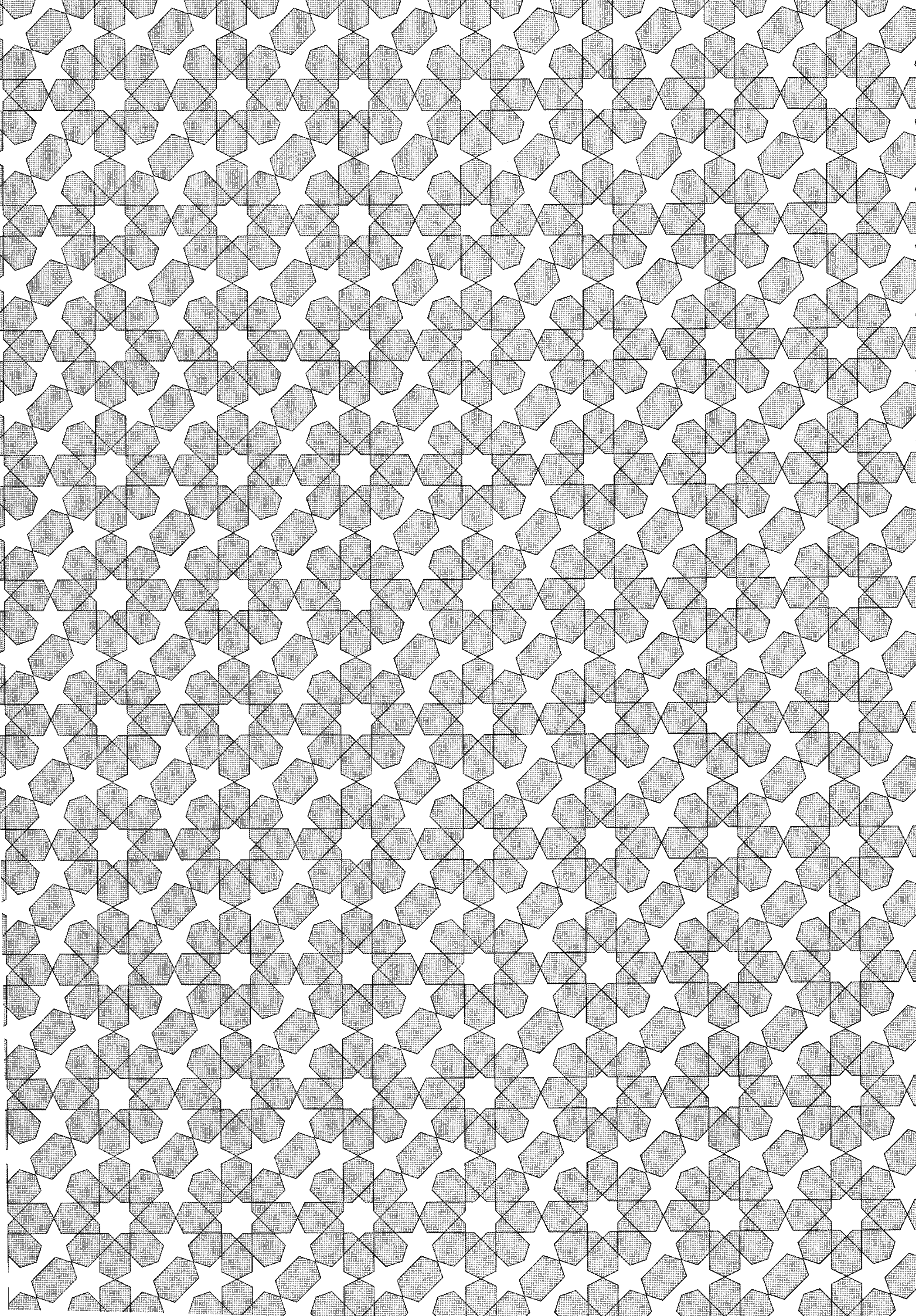
- الاستفـادة من المعمـار الاستعماري على شكـل قباب مقوسة ؛

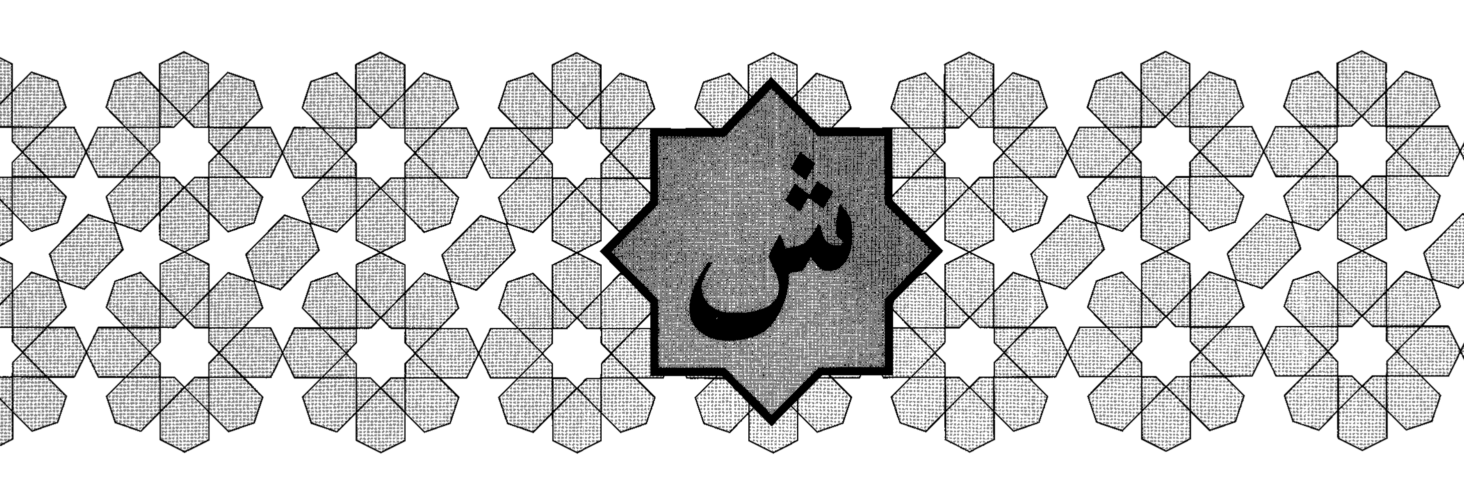
- العمل على ترويج المنتوج الصحراوي في أوربا.

شداد إ.، العلوي الأمراني ع. م.، الحولي م.، كليكيم خ.، جهة العيون ـ الساقية الحمراء : *الحوار الوطني حول إعداد التراب عناصر تمهيدية* ـ، مديرية إعداد التراب الوطني، مطبعة عكاظ، الرباط، دجنبر 1999 ؛ شداد إ.، العلوي الأمراني ع. م.، الحولي م.، كليكيم خ.، جهة گلميم ـ السمارة : الحوار الوطني حول إعداد التراب عناصر تمهيدية ـ، وزارة إعداد التراب الوطني والبيئة والتعمير والإسكان، مديرية إعداد التراب الوطني، مطبعة عكاظ، الرباط، دجنبر 1999 ؛ *تصميم هيكلة وتنظيم منطقة الداخلة : خلاصة عامة*، وزارة إعداد التراب الوطني والماء والبيئة، قطاع إعداد التراب الوطني، المفتشية الجهوية لإعداد التراب لجهة وادي الذهب، مكتب الدراسات نبيل الرحموني ونور الدين بلمين، الرباط، 2004 ؛ معطيات إحصائية للطاقة الإيوائية، والمبيتات، وتوافد السياح، من *وثائق وزارة السياحة والصناعة التقليدية والاقتصاد الاجتماعي لسنة 2004*، مولاي إدريس شداد، السياحة الصحراوية مؤهلات وآفاق، *كتاب الصحراء الأطلنتية* : المجال والإنسان، منشورات وكالة الجنوب وجامعة ابن زهر بأگادير، الرباط، 2007.

Cheddad, D., *L'activité touristique et son impact socio-économique et spatial dans le triangle touristique du sud marocain : Agadir, Marrakech et Ouarzazate*, Doctorat d'Université, Université Nancy II, juin, 1997 ; Elajlaoui, El M. et d'autres, *Prospection archéologique dans la vallée de Seguiat El Hamra*, Rapport interne du Ministère de la Culture, Septembre, 1999 ; Naimi M. & autres Groupe d'Etudes Sahariennes Pluridisciplinaires (GESP), *Mission scientifique dans la Lagune de Naïla*, plusieurs rapports (Géologique, archéologique, géographique, touristique, etc.), IURS, Rabat, Juillet, 1997.

مولاي إدريس شداد




ش

الشاطئ (معركة -) وقعت يوم 26 نونبر سنة 1957 عندما هاجمت كتيبة من فرق جيش التحرير المقاتلة المكونة من أربعين مجاهدا بقيادة محمد بن خيرات المعسكر الإسباني بالشاطئ في نواحي عيون الساقية الحمراء المسمى عند السكان "بلاية لعيون" وقد كانت المعركة حامية الوطيس استعمل خلالها العدو المدافع الثقيلة والقنابل اليدوية واستغرقت ساعتين من الساعة العاشرة إلى الساعة الثانية عشرة ليلا وانتهت بسقوط ثلاثين قتيلا من جنود العدو بينهم عدة ضباط وعشرين جريحا بجروح خطيرة من بينهم ضابطان ولم يسقط من رجال هذه الكتيبة التي شنت الهجوم سوى جريح واحد أصيب بجروح خفيفة.

الحاج صالح بنعسو، *أضواء على كفاح المقاطعة التاسعة لجيش التحرير بالصحراء المغربية 1956 / 1960*، المطبعة الوطنية، مراكش، يوليوز، 1987.

ماء العينين النعمة علي

الشاي الصحراوي، ارتبطت البيئة الصحراوية بالإقبال النهم على الشاي الذي يخلو من ورق النعناع وذلك راجع لمختلف الأدوار الاجتماعية والصحية التي يلعبها في حياة الإنسان.

فاجتماعيا يعتبر دلالة للحفاوة ورمزا للكرم والاحتفال واستقبال الآخر، فالدعوة إلى الشاي تعني الدعوة لمأدبة فاخرة، وإقامة الشاي لا تقل أهمية على خلاف باقي المناطق المغربية عن تقديم الطعام لذلك تكون العناية بإعداده استثنائية من حيث الشخص الذي سيعده وطبيعة الشاي المقتنى وفضاء الخيمة التي ستحتضنه، كما يكون مناسبة للتداول والحديث في مختلف الأمور العامة والخاصة، خاصة التي تعني القبيلة فهو يشكل بذلك عنصرا هاما في كل الاجتماعات العمومية، ومعروف أن الشاي ترافقه ثلاث جيمات وهي :

1 - الجمر : إذ لا يعد الشاي فوق قنينات الغاز وإنما على الجمر.

2 - الجيرة : وهي الإناء الذي يقدم فيه الحليب للضيوف والذي يحضر في كل جلسات الشاي فلإعداد لشاي يكون مسبوقا بتقديم اللبن في هذا الإناء.

3 - الجماعة : أي الأشخاص الذين يحضرون جلسات الشاي باعتبار الإنسان الصحراوي يستحضر الشاي لحظات سهره وسمره ولحظات جلساته مع ضيوفه وأصدقائه وأقربائه إذ يستحيل ويندر أن يجتمع أكثر من شخصين دون أن تكون أواني الشاي ثالثهما.

أما صحيا فمعروف أن الشاي يساعد على الهضم وتسكين بعض أوجاع الرأس المختلفة خاصة أن الإنسان يبقى طوال مدة الرعي تحت الشمس الحارقة.

ويطلق الصحراويون على "القيام" المعروف بجودة إعداد كؤوس الشاي "فلان تياي" على وزن فعال، حيث يشترط له شروطا أهمها قول أو رواية الشعر وبلاغة الحديث والهندام الجيد...

ومن الطقوس لدى الصحراويين أثناء جلسة الشاي الرمي بالأكواب (الفارغة) في اتجاه "القيام" إقراراً منهم بجودة كؤوس الشاي، خاصة إذا كان المجلس يتكون من الشباب.

رشيد خويا، عادات وتقاليد، *مجلة درعة*، العدد 3 فبراير 2001 ؛ إبراهيم الحيسن، *التراث الشعبي الحساني العناصر والمكونات*، 2004.

محمد البوزيدي

الشعر الحساني (لغن)، إن الشعر الحساني، أو ما يعرف محليا ب "لغن"، يدخل ضمن أنواع الأدب الشعبي بالصحراء، وقد استطاع لغن أن يحتل مركز الصدارة في ثقافتها، حتى ليظن البعض أنه هو قوامها وجوهرها المنفرد، وذلك لعمق تداوله في ثقافة شفوية، كان الموزون فيها أكثر حفظا من الضياع، وأكثر قابلية للاستمرار، وأشد جاذبية للاحتفاء.

إلا أنه ينبغي التنبيه هنا إلى أن قوام هذه الثقافة كان مبنيا إلى جانب لغن، على الأمثال الحسانية والحكايات

الشعبية وغيرها من الخبرات والمهارات المرتبطة بمختلف نواحي الحياة. ونظرا لارتباط لغن باللهجة الحسانية، فقد عرف ذيوعا منقطع النظير في مختلف طبقات المجتمع، وشاع إبداعه وتداوله في مختلف التجمعات، بل أصبح حظ المرء من حفظه أو نظمه أو إبداعه مقياسا للارتقاء في السلم البيضاني. هكذا شاع تداول لغن عند أهل الصحراء، فملأ جل أوقاتهم انطلاقا من تحلقهم في جلسات الشاي، إلى مسامراتهم الليلية، مرورا بأتراحهم وأفراحهم، واحتفالاتهم في الأعراس والمناسبات، حيث يتم إظهار البراعة والقدرة على نظم الشعر بين الحاضرين من خلال ما يبدعونه من (گيفان) في (الأشوار) التي يرددها (إيگاون) أو (النشادون). ويتم ذلك في جو حماسي تنافسي تبرز فيه قوة السليقة وحضور البديهة في النظم.

وليس الذيوع الواسع لهذا الشعر، مرادفاً لعدم انضباطه لقواعد محددة، ذلك أن للغن قواعده وبحوره وظهوره الموسيقية وبنيته الشكلية وأعرافه الصارمة التي لا ينبغي للمبدع أن يحيد عنها، وإلا أصبح عرضة للنقد عند المتبصرين، بل وعند إيگاون في المحافل العامة، إذا أبدع گافا لا ينضبط لشروط الشور المغنى، حيث يصيحون في وجهه : (هذا ماه وازن)، هذا فضلا عن انتقادات الحضور وشهاداتهم بصوت عال بهدف إسماع الجميع، والمتراوحة بين الاستحسان التام الذي غالبا ما يعبر عنه بكلمة (هح)، أو المتوسط الذي يعبر عنه بـ (زين)، أو الانتقاد الصارخ الذي يعبر عنه بـ (هذا ما يمش)، أي لا يستحق الترديد. وقد واكب تطور لغن، شيوع الممارسة النقدية المبنية على الذوق والتلقائية في الغالب. فالناقد لا يعرف بين الحضور، إلا حين تنطلق أحكامه كالسهم لتقييم "گاف" معين مثلا. فلا يتردد في وصفه حينها بـ (بوسوير)، إذا كان متكلفا في إقامة الوزن، دون مراعاة المعنى. أما إذا توفرت فيه صفة التكامل والجودة فينعت بـ (گاف معسوس عليه). أما المعاني فينبغي أن تتسم بالعمق والبعد عن المباشرة، فيصفون المعاني السطحية بقولهم (امصرح)، بينما يطلق على بعد المعنى (مردوم)، في حين أن الغموض، سواء أتى متعمدا أو عفويا، فإنه يوصف بـ (لغن لكحل).

وكثيرا ما يتم الاستشهاد ببعض الـگيفان وترديدها، على سبيل زجـر المتطفلين على لغن، وتحذير المبتدئين فيه، مثل قولهم :

حد سكت عن بدع المـوزون	ماه شين غير ال شيـــــن
حد يـگـول ماه مــــــوزون	وال موزون ألاه زيــــــن

وهو في الحظ على الإحجام عن النظم، بدل الإتيان به فاسدا من حيث الوزن، أو موزونا ولكنه فاسد المعنى.

وكثيرا ما نجدهم ينبهون إلى أن لمغن هو وحده القادر على الإبداع في لغن، ويكفي الآخرين الاستماع إليه وحفظ إبداعه، بقولهم :

حد امغن لغن يحكيـــــــــه	داك امغن خبر يشتـــــــــد
والا ماه امغن لغن كافيــــــه	من لغن شي گـــالول حـــد

والمعنى أن لمغن المبدع، الذي يجيد حكاية لغن، سيشتهر بجودة إبداعه. ومن ليس كذلك، فيكفيه أن يستمع ويحفظ لغن الذي يقــال.

وإذا كان حظ المرء من حفظ لغن، يعتبر مقياسا محددا للترقي في السلم الاجتماعي البيضاني، فأننا كثيرا ما نجد أن حفظ لغن وحسن حكايته تعادل عمليه إبداعه. وفي ذلك يقول "محمد ولد هدار" :

آن لغن نتولع بيــــــــــــه	ال منو ملكـ ملـــــــــك
وال ماه ملكـ نحكيــــــــه	والحكاية كالملـــــــــك

أي أنا متعلق بالشعر الحساني، ما أبدعته فهو لي، وما لم أبدع أحكيه، والحكاية كالإبداع.

وينبغي التنبيه هنا إلى أن التفوق في نظم لغن، يبقى مقتصرا على طبقة الشعراء أو "المغنيين"، باللهجة الحسانية. فهناك فرق شاسع بين التذوق العام لهذا الشعر وحفظه والإبداع المحدود لبعض الـگيفان، وبين درجة لمغن الذي هو الشاعر المبدع.

وبقدر ما ذاع لغن في مجتمع الصحراء وتطور، فقد نضجت أيضا القيم الفنية والأعـراف الأدبيــة لهذا الفــن، فأصبحت له قواعــده وبحــوره وأشكال الفنية، التي التــزم المبدعــون جادتها، وعدوا في خانة الخطأ كل خرق أو تجاوز يصيبها. فما هي يا ترى أهــم مكونات الشعر الحساني.

إن نضج الممارسة الإبداعية في لغن كان متماشيا مع ترسيخ قواعده الفنية، التي أصبح لها من الذيوع ما يشكل قوة مرجعية ترفد كل مبدع، بنفس القدر الذي أصبح لها سلطة ردعية، تدحض رغبة كل متطاول، وتكبح طموح كل مجدد، فحافظت بذلك على الفن الحساني واستمراره طيلة قرون خلت. ولعل أهم المكونات التي ينبني عليها لغن، والتي سنعرض لها بالحديث هي : بنية لغن وأوزانه وأغراضه الشعرية وعلاقة البحور الشعرية بالموسيقى والغناء، إضافة إلى أهم الاصطلاحات المرتبطة به.

- بنيــة لغــن :

إذا كان الشعر العربي يتأسس في بنيته الشكلية على البيت الشعري كوحدة أساسية، ثم تنتقل مراحل البناء الشعري، اعتمادا على هذه الوحدة من البيت اليتيم إلى النتفة فالقطعة ثم القصيدة، فإن الوحدة الأساسية التي تكون لغن - في نظري - هي (التافلويت)، وهي تقابل - تجاوزا - شطر البيت في الشعر العربي، بينما أقل وحدة بنائية هي (الـگـاف). من هنا فإن تقطيع الشعر الحساني من حيث الشكل الفني ينقسم إلى نوعين :

1 - الـگــاف : بكاف معقودة، أصغر وحدة في بناء لغن، ويمكن أن نقابله تجاوزا - بالبيت في الشعر العربي، ويتكون الـگـاف من أربع تيفلواتن (أشطر) على الأقل. ويكون روي وحركة التافلويت (الشطر) الأولــى مجانســة للتافلويت الثالثة، وروي وحركة التافلويت الثانية مجانسة للتافلويت الرابعة. وتسمى التافلويت الأولى والثانية بـ (المـگيم)، أما التافلويت الثالثة والرابعة فيسميان بـ (المـگـعده).

ومثال الݣـاف المرابع قول لمغن :

ذل لازم عـت نســـــــع   فنراه ابتصريـح [المݣيم]
ݣط اعطان بعـد نســــع   تجمع لمفاتيـح [المݣعدة]

والمعنى أن الذي أصبحت أسعى للقائه بصراحة سبق أن أعطاني جامعة للمفاتيح تصنع من الجلد (النسع)، وفي البيت جناس تام بين (نسع) الأولى التي هي بمعنى أسعى، و(نسع) الثانية التي هي أداة لجمع المفاتيح. ونلاحظ في البيت أن روي وحركة التافلويت الأولى مجانسة للتافلويت الثالثة، والتافلويت الثانية مجانسة في الروي والحركة للرابعة.

وقد يتكون الݣـاف من ست تيفلواتن ويسمى حينها (الݣـاف المسات)، أي السداسي. وإذا زاد على ذلك يسمى (مثامن)، رغم أنه يتخذ بناء الݣاف العادي، ومثال الݣاف المسات قول لمغن :

راص نعامة ذ العيد ابكـــــت   بيه الزهر عن جمع الغيـد
واكتن جان عيد أوخرجــــات   وال وسات أذاك ابعيــــد
للغيد افـــذاك العيـد لفـــات   وسات للغيد افذ العيـــــد

و(راص انعامه)، ويقال بالحسانية (فلانة شايله راص انعام) أي أنها امرأة جميلة، تنال الحضوة أكثر من غيرها. وشبهت برأس النعامة لبروزهـا في المحفل، فهي تشاكل راس النعامــة البارز في الصحراء. فكأنما جمال المرأة يرفعها فوق قريناتها درجات. وقد كان نصيب (راص انعامة) هذا العيد للمسماة الزهرة التي انفردت به عن جميع النساء، ولما أتى عبد آخر تكرر الأمر لها مرة ثانيـة.

وإذا اتحدت تيفلواتن الݣاف الأربعة في حرف الروي، فإن اختلاف الحركة يصبح ضروريا، حيث تختلف حركة روي التافلويت الأولى والثالثة عن حركة روي التافلويت الثانية والرابعة، ومثال ذلك قول الشيخ محمد المامي :

حامد لل دݣ حديـــــــــد   أزين من دݣ الحــــــــــداد
وازين من ريظات إݣيـد   وازين من جعبات أݣـــــــاد

والمعنى أن ضربه للحديد أجمل من ضرب الحدادين، وهذا لا يمكن أن يكون إلا مجازا، وأظنه يقصد به نظمه، الذي هو أجمل كذلك من رياض أرض إكيدي بالصحراء، وأجمل أيضا من سلسلة النظم (جعب) في القلادة المسماة (أݣـاد). وذلك أن أݣـاد هي قلادة تعمل من الخرز الحر والذهب، فتكون على شكل سلاسل، تفصلها واسطة كبيرة مربعة تسمى (فصل)، أما كل سلسلة فتسمى (جعب). هذا ونلاحظ في الݣاف أعلاه أن روي الدال أتى في جميع التيفلواتن، لهذا اختلفت الحركة بين روي التافلويت الأولى والثانية التي أتت مكسورة، بينما روي التافلويت الثانية والرابعة أتت منصوبة.

2 ـ الطلعة : الطلعة في الحسانية يمكن أن نقابلها ـ تجاوزا ـ بالقصيدة في الشعر العربي، ويختلف مبناها عن منبى الݣـاف "ويسمى طلعة بمعنى أنه طلع على الأشطار الأربعة المتعارفة". وتكون قافية التيفلواتن الأولى والثانية والثالثة متحدة في حرف الروي وحركته، وتسمى بـ (حمر الطلعة)، أما التافلويت الرابعة فتختلف عن سابقاتها من حيث الروي والحركة، وتسمى بـ (الكصرة) أو (العݣرب).

وبعد ذلك تأخذ الطلعة شكـل الݣـاف العادي، ذلك أن التافـلويت منها تشبه حمر الطلعة في الروي، ومقابلتها تشبـه الكسرة في الـروي. هكـذا تنطلق الطلعة وأقلها ست تيفلواتن، ولا حد لأكثرها. وشاهدها من الغزل قول لمغن :

صيد الريم ال منه فاصهيد   ما يتحيد تحياد ابعيـــــد
ݣـاس البارح عنه لمسيـــد   صل لعش رمش وامـــش
والليل غلب ݣـاع أعيـــــد   لمسيد ألا صل لعـــــــش

و(صيد) بمعنى الزوج و(الريم) بمعنى الظبي تشبيها للمحبوبة به. والمعنى أن زوج هذه المحبوبة التي أجد في قلبي ضغطا وشدة من حبها (صهيد)، ذهب إلى المسجد (ݣـاس لمسيد) لدقائق (رمشة)، والليلة (ݣـاع)، كلمة تعجب، عجز عن الذهب إلى المسجد، وذلك ما يقف حاجزا دون لقاء الريم المذكورة. هكذا نجد في الطلعة المتقدمة المكونات التالية :

ـ التيفلواتن : 1 ـ 2 ـ 3، هم حمر الطلعة التي اتخذت كروي لها الدال الساكنة.

ـ التافلويت : 4، هي الكصرة أو العݣرب، واتخذت كروي لها الشين الفتوحة.

ـ التافلويت : 5، مماثلة في الروي لحمر الطلعة.

ـ التافلويت : 6، مماثلة في الروي للكصرة أو العݣرب.

ولابد هنا من الإشارة إلى أن الطلعة قد تؤسس على ݣـاف تبتدئ به أو تنتهي به، وتسمى الطلعة (ملات الݣـاف)، أي صاحبة الݣـاف. ومثالها قول "امحمدي ولد الشيخ أحمد الهيبة" :

اباش انتم مصطحبيـــــــــن   صحـب يالعـراد انݣـــي
نزرݣ بكلام الݣراظيـــــــن   والا زرݣ بيـــه انتـــــي
غارش عنك يال يحظيـــــك   من ݣد ݣـد حـد إيجيـك
مايبغيني وال يلهيـــــــــك   بيـه ألا تـركيـب فـــي
وان نجبرش ما يبغيـــــــك   وايـركبـل فيـك انتـــي
ذاك الحد ال ركبل فيـــــك   والحـد ال ركب لك فـــي
اكلام لا يدخل وذنيـــــــك   وان مـا يـــدخـل وذنـــي

فقد ابتدأ لمغن هذه الطلعه بݣـاف. والمعنى أنه يوصي إلفه لكي يحافظا على صحبتهما، وذلك بأن يعرضا معا عن كلام الوشاة (الݣراظين). فهو متيقن أن كثيرا ممن يكرهونه يأتوا لحبيبته بالوشايات الكاذبة

(تركيب)، مثلما يأتيه بها من يكرهها هي، فارتأى أن يتحدا في وجه الوشاة بأن يصما آذانهم عن وشاياتهم.

وقد تكون مجموعة من (اطلع)، لكن گافها واحد، ولا يتغير إلا الحمر فقط، وتسمى القصائد عندئذ بـ (الضرات) أي الضرائر، فيقال بالحسانية (اطلع مظايرات اعل گاف)، أي قصائد ضرات على بيت واحد. وفي هذه الحالة لابد من إيجاد ترابط بين القصائد والگاف، وتسمى هذه الحالة (النصلة)، بمعنى التنصل من سياق القصيدة إلى سياق الگاف. أما إذا بتدأ لمغن الطلعة بكلام معين واستطاع أن يعطف مؤخرة الطلعة على نفس الكلام، بحيث تصبح الطلعة ملتحمة في شكل دائري بين مطلعها ومختمها، فإن ذلك يسمى (طلعه عاظ اسبيبها)، أي طلعة عضت على مقودها تشبيها لها بالعقرب التي تقوس ذيلها بشكل دائري لتضعه فوق رأسها. وهو من درجات الإبداع الجيد في لغن.

يتضح مما تقدم أن تقطيع الشعر الحساني ينقسم إلى شكلين رئيسيين متباينين من ناحية البناء الفني، حيث تعتبر التافلويت أصغر وحدة شكلية، يتكون الگاف من أربعة تيفلواتن، وهو أصغر وحدة بنائية. وقد يطول الگاف فيصبح طلعة، كما أن الطلعة قد تطول فتصبح "كرزة" أو "اتهيدينة".

3 - الكرزة : هي القصيدة الحسانية المطولة التي تتجاوز اشطرها الخمسين، ولا حد لأكثرها. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الكرزة والتهيدينة، هما مصطلحان مترادفان من حيث الدلالة الشكلية لبنائهما، متباينان من حيث الأغراض الشعرية. ونظرا لطولهما فإنهما يتطلبان طول النفس الشعري وقوة الملكة الإبداعية.

أما من حيث الشكل، فقد يتكونان من (الگيفان)، حيث تحافظ الكرزة و(التهيدينة) على بناء الگاف العادي، فيلتزم الشاعر بالحفاظ على نفس الروي، حيث يأتي الجانب الأيمن على روي واحد، يخالف روي الجانب الأيسر، الذي يأتي بدوره على روي واحد. ويوصفان حينها بأنهما (صبت گيفان)، أي صبيب من الأبيات. وتختلف الكرزة والتهيدينة عن الطلعة، بأنهما بلا حمر، عكس الطلعة التي تتميز بوجود حمر الطلعة. وإذا كانت القصيدة قصيرة تسمى كرزة وإذا كانت طويلة تسمى تهيدينة. فالكرزة هي القصيدة المنسابة بلاحمر، وهي أقصر من التهيدينة وأطول من الطلعة. كما أنها تختلف عن التهيدينة، لكونها ليس فيها (التعرگيب). فالقصيدة الحسانية من حيث الطول تنقسم تباعا إلى الطلعة ثم الكرزة فالتهيدينة.

4 - اتهيدينه : هي القصيدة المطولة التي تتجاوز أشطرها الخمسين ولا حد لأكثرها، وتتميز بوجود (التعرگيب) في آخرها. وترتبط ب (إيگاون)، كما تختص بأغراض المدح التكسبي والفخر والحماسة. و(اتهيدينة) مرتبطة بـ (اتهيدين) وهو من أقدم أصناف لغن، يقول "محمد المختار ولد اباه" : "وأقدم صنف من الغناء نجده في ذلك الفن الذي يسمى (اتهيدين) وهو من مادة (هدن) التي من معانيها الترقيص، وموضوعه غالبا في مدح أمراء البلاد، وفي الإشادة بمفاخرهم بالشجاعة في الحرب والسخاء والحلم، فهو نوع من الشعر الملحمي الذي يقص مفاخر الحكام والأعيان من هؤلاء القبائل". ويمكن أن نؤكد على أن قوة التهيدين تكمن في طريقة أدائه الغنائي، وما يخلقه من جو حماسي في أنفس المستمعين فقد "اعتاد منشئوه، وهم غالبا من الرجال، أن ينشدوه على الجمال ضابطين أصواتهم على وقع حماسي خاص يناسب مقاما من السلم الموسيقي المعروف (فاغو)، وكلما مرت منه تقطيعة، ترفع القينات تغاريدها بترديدات عالية تربط بين ترجيع الحكاية واللحن الموسيقي... ولقد كانت الأناشيد والألحان والكلمات تحدث سورة في نفوس المحاربين تدعوهم إلى ميدان القتال في جو مفعم بالتحمس والالتهاب".

وهناك نوع يسمى "التبراع" : والتبراع، جمع ومفرده (التبريعة) وهو شعر خاص بالنساء، ومن خاصيته أن النساء تتغزل فيه بالرجال غزلا عفيفا. وإذا كان الشعر الفصيح قد انحصر في كونه اشتغالا ذكوريا بالأساس، فإن لغن الحساني قد خرج عن هذا الإطار، حيث عرف شعرا خاصا بالنساء (التبراع). فالتبريعة كانت في الأصل مستعملة من طرف الفتيات العاشقات كوسيلة للتعبير عن أحاسيسهن وعواطفهن، والتي غالبا ما تحول المواضعات الاجتماعية دون التعبير عنها علانية. وعندما ينفردن بعيدا عن الأنظار والآذان، يكشفن ويسررن إلى صديقاتهن ما أبدعن من تبراع شريطة أن لا يفشين ذلك في المجتمع، وغالبا ما تتكفل إحداهن بإيصال ذلك التبراع بطريقة سرية إلى الشخص الذي قيل فيه. فالتبراع إذن خاصية للنساء في الشعر، إلا أن هذا لا ينفي وجود نساء امغنيات شهيرات في لغن، فضلا عن وجود مبدعات مفلقات في الشعر الفصيح. فالنساء مشاركات للرجال في أصناف الشعر المختلفة، إلا أن شعر التبراع مقصور عليهن. وهذا ما يدل على مكانتهن المتميزة في الإبداع. ويجب التنبيه هنا إلى أن التبراع لا تقوله المرأة مباشرة للرجل، بل تقوله لنساء أخريات، ثم ينتقل الأمر إلى المعنى بالتبريعة. لهذا فالتبراع هوشعر مجهول المبدع، وذلك يدخل في إطار أعم، فلمغن الرجل قلما ينسب الشعر لنفسه، وعندما يكون بصدد إبداعه يقول تواضعا : (گال لمغن). ومن عادة النساء أن يبدعن التبراع وهن مجتمعات، فيتغنين به ويحفظنه، ثم يتناقلن التبريعات الجيدة لتشيع بعد ذلك في المجتمع.

وتتكون التبريعة من تافلويتين (شطرين) فقط، وقد تكون من هذه الناحية، تطويرا شكليا لمبنى الگاف ذي الأربع تيفلواتن. كما أن التافلويت الأولى من التبريعة تتكون من خمس حركات دون عد السواكن، والتافلويت الثانية تتكون من ثمان حركات دون عد السواكن أيضا. ويتميز الشطران بوحدة الروي والحركة.

ومن أمثلة التبراع :

الگلب احمـــــــــوم والجسم اخبر فيـه انتـــوم

أي أن قلبها أصبح متفحما من شدة نار الحب، وجسمها أعلم بحاله كل أحد.

ولا فـــي حفــــــــــر   من حب ترفـد م لخــــر

أي لا توجد فيها حفرة، من حبه يمكن أن تملأ بماء أخرى. وفي التبريعة صورة بدوية جميلة، ذلك أن مياه الأمطار تملأ الحفر، وما يفيض عن حاجة هذه من الماء يسيل ليملأ الأخرى التي بجانبها. إلا أن تساوي هذا الشخص في جميـع أعضائهـا ومشاعـرها، جعلها تشبهه بالحفر الممتلئة، التي لا يمكن أن تقبل فضل زيــادة أو نـقصان.

عنـــدو تبسيـــــم   تحيي العظام الرميــــم

أي لديه بسمة تحيي العظان الرميمة.

عندو تبسيــــــــم   بان فيها ابليس اخويـــم

أي عنده بسمة بنى فيها إبليس خيمة صغيرة، وابليس دلالة على الفتنة ومواضع الجاذبية.

حد احلم باقريــــــن   ليث الاحلام قريـــــن

والمعنى إذا حلم أحد بقرينه ومحبوبه، فليث هذا الحلـم حقيقـة.

قيس الملـــــــــوح   أطم آن من واشـــــح

أي أن عناءها في الحب أعظم وأكبر (أطم) مشقة من عناء قيس الملوح.

مصاب الـــــــوداع   ما يوف وايعود اعل انـــواع

أي ليث الوداع لا ينتهي ويكون على أنواع متعددة.

جميل بن معمـــــر   ايبان اسكن واستعمـــــر

أي أن جميل بن معمر سكن ذاتها واستعمرها.

ومجيه البــــــارح   فرح بيه اسبع جـــــوارح

أي أن مجيئه البارحة، فرحت به سبع جوارح.

اعليه اكمــــــام   أحرم من مال اليتـــــام

أي أن شفاهه السود (الكمام) أحرم من مال اليتامى.

بيك أنـك يخــــــي   يبيك أنك ما كيفك حــــي

أي أن إعجابي بك ينبع من أنه لا يوجد حي مثلك.

الزضف الماكـــــن   عاين وازضف واكتلـــن

أي أن شدة الحب الذي بي، قد عايني، وتقصد المعاينة الخاصة من دون النـاس، وضربني ضربة قاتلة، فقتلني.

وغالبا ما يتم إبداع التبريعات الجديدة، باستحضار التبريعات القديمة، وذلك بالمحافظة على التافلويت الأولى منها، وإبداع التافلويت الثانية، بما يناسب مشاعر المرأة. ومن أمثلة ذلك :

التبريعة القديمة : من متن اسقامـو   طالت اعلي ليـــام

أي أن أيامها أصبحت طويلة من شدة حبه.

التبريعة الجديدة : من متن اسقامـو   نسمع من تونس اكلام

أي من شدة حبه، فإنها تسمع من تونس كلامه.

ويلاحظ أن التبريعات القديمة محتشمة في الغالب، بينما تنحو التبريعات الحديثة نحو المباشرة، حيث يتم التصريح باسم المحبوب مثلا :

أحمد نيــــــــــان   باش نحكـ باش زيـــان

أي أن نيبي أحمد كلما نظفت، كلما ازدادت جمالا.

هذه بعض نماذج التبراع التي تدل دلالة واضحة على قيمة المرأة في مجتمع الصحراء ودورها البارز في مختلف المجالات، هذا الدور تعدى المشاركة في أتعاب الحياة إلى التعبير الإبداعي عن إحساس المرأة تجاه الرجل. وبالرغم من كون هذا التعبير قد حصر في حيز بيت يتيم، إلا أن ذلك من بين أسباب جاذبية التبراع الذي يقوم على اللمحة الدالة والاختصار البليغ. وإذا أضفنا إلى ذلك عدم تساوي اشطره ووحدة قافيته، فإن النظم فيه يكون أصعب من غيره من أصناف لغن. ومن نافلـة القول الإشارة إلى أن كلا من الـگـاف والطلعة ينضبطان من حيث الإيقاع لبتوتـة لغن (بحور الشعر الحساني)، كما تنضبط هذه لبتوتـة في علاقتها بالغناء لظهور الهول (بحور الموسيقى).

- الأوزان والموسيقى في لغن :

1 - ابتوتة لغن (= بحور الشعر الحساني) :

من المعلوم أن للغن عروضاً خاصاً به يختلف عن عروض الشعر العربي، إذ المعتبر فيه الحركات دون السواكن، فعدد المتحركات هي التي تحدد اختلاف البحور الشعرية. يقول "العميد محمذن ولد سيد إبراهيم" : "... فالأبحر عند الأدباء الشعبيين تسمى (ابتوته)... وكما قدمنا، فإنهم لا يعتبرون في عروضهم إلا الحركات دون السواكن، وأعلى ما تصل إليه هذه الحركات عشرة، وتزيد نادرا كما في البت الكبير..". وسنحاول تبسيط تحديـد هذه لبتوتـه (= البحور)، متدرجيـن في ذلك من أكبـر عـدد للمتحركـات إلى أقـل عـدد منهـا، مع إعطـاء شاهـد من لغـن لكـل بت حتى يتضح الأمـر.

- البت لكبير : وتتكون كل تافلويت منه، من عشر متحركات دون عد السواكن، ويسمى (التـگسري)، ويعرفه لمغن بقولـه :

أهيه بت متحركات عشـــر   ماه گـاع عند لمغنيين امعسـر

ذاك ينـگـال يل لاريت كشر   افعبارات لمغنييـن اتـگسـر

والمعنى أن هناك بحراً متحركاته عشرة وهو معروف مشتهر عند لمغنيين، أي الشعراء الحسانيين، ويطلقون عليه (اتـگـسري).

ومن البت لكبير أيضا نوع يعرف بـ (الواكدي)، تتألف التافلويت منه، من عشرة متحركات، ويجب التقاء أربعة سواكن في كل تافلويت، ساكنان في أولها قبلهما متحركان، وساكنان في آخرها بعدهما متحركان. والـگاف منه، تافلويتان (شطران) فقط، متفقتان في الروي. وتجدر الإشارة إلى أن المحترفيـن للفـن الحساني لا يتفقون على تعريف شامل لمفهوم (البت لكبير)، فهناك رأيان أساسيان :

ـ الأول منهما يعرف البت الكبير بأنه يعني جميع ابتوتة لغن التي يكثر فيها ما يسمى بـ (النتر)، أي التقاء الساكنين، سواء في أول التافلويت أو في آخرها. وعليه فيكون منه بت (امريميده) و(بوعمران) بالإضافة إلى (الواكدي)، ويذهب إلى هذا الرأي الأستاذ محمد عبد الجليل ولد أحمد ديده.

ـ والرأي الثاني يعرف البت الكبير بأنه هو (الواكدي) الذي تتألف التافلويت منه، من عشرة متحركات، ويجب التقاء أربعة سواكن في كل تافلويت، ساكنان في أولها قبلهما متحركان، وساكنان في آخرها بعدهما متحركان، والـگاف منه تافلويتان (شطران) فقط، متفقتان في الروي. ومن أنواعه (انـگادس) و(المسـگم). وقد تكون التافلويت منه تسع متحركات، وقد يتغير موقع الساكنين من مكانهما.

ـ لبتيت التام : من إيقاعات العروض الحساني ويضم كل شطر من أشطاره ثمانية متحركات ليس بينها التقاء ساكنين. ويعرف أيضا بـ (لبتيت)، وهو أكثر البحور استعمالا قديما وحديثا، وشاهده من لغن :

الزين ال ماه حـــــالات   لحفول اعل وجه البتـــــول
لحفول إحفل لعيــــالات   والبتول اتحفل لحفـــــول

والمعنى أن الجمال الطبيعي غير المتصنع هو الذي يزين وجه المسماة البتول، فإذا كان التزين (الحفول) يجمل النساء (العيالات)، فإن البتول تجمل التزين.

ـ بت التيدوم : أحد بحور لغن، تضم التافلويت منه سبع متحركـات لا يلتقي فيها ساكنان، ولم يعد كثير الاستعمال في الأوزان حديثا، وشاهده من لغن :

اغن ذي النحي وحـــــل   ما يغن سر مـــــــــــدا
باگـ للشطار ابـــــــل   طمع فيه البلـــــــــدا

أي أن الإنتاج الشعري في هذه (النحي) وهو وزن يلتزم الشعراء بالإنتاج فيه، فيه مشقة (وحل)، وهو باق (باگـ) للشطار العباقرة، ولا يطمع فيه البلداء. ويصنف هذا البت إلى (امريميده) و(بوعمران).

ـ بت امريميده : وزنه سبعة متحركات في كل تافلويت، يلتقي فيها ساكنان بعد ثانيها، وشاهده من لغن :

عراد بوست الوايـــــا   گراظ مان في حـــــظ
ارعاي من عـظ اگـفـــأي   وكفاك نرع من عـــــظ

يتهم الشاعر حبيبته (العراد) بأنها تسيء إليه (تـگرظ)، ويوصيها بأن ترعاه ممن يسيء إليه في غيبته (گفاي). كما أنه هو سيرعاها في غيبتها أيضا.

ـ بت بوعمران : وزنه سبعة متحركات يلتقي ساكنان بعد أولها، وغالبا ما يبدأ بحرف نداء. وشاهده من لغن قول الشيخ محمد المامـي :

يالرب اگــدات النيـــران   فاگـشار وصبط ازفـــال
يالرب اطف بالغفـــــران   ذنب شعل هاذ التشعــال ...

والقطعة من شعر الاستقساء يصف فيها لمغن ما لحق بعض المواضع (اگـشار، أزفـال) من قحط وجفـاف، أحـرق نبتهـا، ويطلب من الله أن يطفئ غضبـه بأمطار الرحمـة.

ـ بت لبير : وزنه سبعة حركات يلتقي ساكنان قبل الأخير منها في الشطر الأول ويسمى (اگـلال)، أي مقطوع الذنب، أو في الشطرين ويسمى (تاطرات). وهناك أيضا (تـگادرين لبير)، وهي ابير كثير التقاء السواكن ومقارعتها، وكل هذا يبقى في نطاق بت لبير. وهذا البت من الأوزان المشهورة والكثيرة الاستعمال خاصة عند المتأخرين، وشاهده من لغن :

عهد واياكم يالغيـــــــد   ملان عن عالــــــــــــم
درت ذ الدهر انبان فيـــد   منت أهل أحمد سالـــــــم

والمعنى : أن العهد الذي كان بينه مع جميع الغانيات يعلم الله أنه جعله بيد المسماة منت أحمد سالم.

هذا وقد تشترك تيفلواتن الأشوار في كل من (تاطرات) و(تـگادرين) وقد قيل في الموضوع :

هذا الشور اغناه ناتـــــك   تيفلواتن متعاگبيـــــــــن
وحد منهم تاطراتـــــــك   بله اوحـــد تـگـادريــــــن

ـ بت اسغير : له سبع حركات في الشطر الأول وخمس حركات في الشطر الثاني. ويقال أن الشعر أصعب فيه من غيره، لعدم تساوي أشطاره، وفي هذا المعنى يقول لمغن :

اسغير ما فيه طمـــــع   مستـگس ظنيـــــــــت
من تافلويت سبــــــع   خمس تافلويـــــــــــت

والمعنى أن بت اسغير لا يطمع أحد بالإبداع فيه، نظرا لصعوبته الناتجة عن عدم تساوي أشطره. وأهم ما يتميز به هذا البت هو عدم تساوي أشطره، فكأنه جمع بين بت (لبير) المتقدم بسبعة حركات، وبت (حثو الجراد) الذي سيأتي ذكره بخمس حركات. وقد وضعناه تجاوزا بعد لبير، لأن شطره الأول ينتمي إلى البحور ذات المتحركات السبع. أما شاهده من لغن فهو :

هاذ من ليعات يطـــرف   واتبايـــل اكتيـــــــــل
الريم ء لحزيم نعـــــرف   بعد ان ثقيـــــــــــــل

والمعنى أن حب الريم أصبح يشتد (لحزيم)، وأصبحت ليعاته قاتلة، ويؤكد أنه يجد صعوبة في تحمله.

- بت السروزي : أحد الأوزان المستقلة، وله ثلاث حمر (أشطار قريبة من الأغصان في الموشح)، على روي واحد، وعقرب (شطر رابع قد يكون قريبا من القفل في الموشح)، يختلف رويه عن الثلاثة. الشطر الأول فيه وزنه سبع متحركات، والشطر الثاني منه وزنه أربعة متحركات، والثالث كالأول والرابع كالثاني. والنظم فيه نادر جدا، وشاهده من لغن مطلع هذه الكرزة (القصيدة الحسانية) :

وجهت سيدن عثمـــــــان ابن عفـــــــــان
وحمز وراد السرحـــــان اعل أهل الثــــــار
أوجهت الزبير الفتــــــان اغليظ الشــــــان
وبوبكر الصدق والايمــــان شور يـــــــــدار
وعمار ظـر اهل العصيـان ابعود الـــــــزان

وفي الطلعة توسل بجاه الخلفاء الراشدين وبعض العشرة المبشرين بالجنة. وعود الزان هي السهام والأقواس.

- لبتيت الناقص : ولبتيت تصغير (البت)، للدلالة على قلة الحركات، وهو بت لـه ست حركات بدون (نتر)، أي بدون التقاء ساكنين فيما بينهما، وشاهده من لغن :

امشيت امنين امشـــــــات الخيت امع الصيـــــــات
البارح وكتن جـــــــــات الخيت البارح جيـــــت
وازاگـلن كلمــــــــات وامنين اتكات اتكيــــت
واغفيت امنين اغفـــــات وامنين أوعات أعيــــت

والمعنى، أن لمغن يحاكي محبوبته المسماة (الخيت)، ويقول أنه ذهب عندما ذهبت مع النساء (الصيدات)، وعندما رجعت رجع، وتحاور معها بكلمات قليلة (ازاگلن) قبل النوم. وعندما اتكأت ونامت نوما خفيفا (اغفات) نام، وعندما استيقظت استيقظ.

- بت الرسم : ويتألف وزنه من ثلاثة حمر (أشطار) لها نفس الروي، وعقرب (شطر رابع)، له روي يخالف الأشطار الثلاثة، فالشطر الأول منه حركاته ستة، والثاني حركاته ثلاثة، والثالث كالأول والرابع كالثاني، مع التقاء ساكنين في أول متحرك. وله (گاف) فيه ثلاثة تيفلواتن من بت (التيدوم) وبقيه الگاف على وزن (الرسم) العادي، أي ستة وثلاثة. وشاهده من لغن قول "سدوم ولد انجرتو" في مدح "أحمد ديه بن بكار بن اعمر" :

مير اعرب تنـــــــزلاط وكـــــــــــــي وراط
وانيزرك وانتشمــــــاط بسمـــع شــــــــاع
انبط نبطت الانبـــــــاط گـوط الاگـــــــواط
سلسلة تانبـــــــــــاط ســـرل گــــــــــاع
أحمد دي گمـــــــــاط جيـل الانبـــــــــاط
بالتسر بيهـم حــــــــاط ميــــر الاربــــــاع
سـخ مــاه گنــــــــاط نهـر شطـــــــــاط...

في النص مدح لهذا الزعيم بالشجاعة والسخاء والكرم، وتنزلاط وكي وراط وانيزرك وانتشماط أعلام أمكنة.

- بت حثو الجراد : له خمس حركات في كل تافلويت (شطر) بدون نتر، أي دون التقاء ساكنين، ويسمى البعض هذا الوزن بـ (التماري)، وهو بالحسانية يعني الترقيص والمداعبة، وشاهده من لغن :

راجل يل نهـــــــــواك شافـك گـــد اغيــــار
واصبــر عنــــــط ذاك الراجــل صبـــــــار

والمعنى أن محبوبة لمغن فاتنة، ولا يمكن لرجل أن يراها بنظرة خاطفة (گـد اغيار)، دون أن يقع في حبها، وإلا فإنه يتميز بالصبر والسيطرة على عواطفه.

- بت أحويويص : واحويويص تصغير (المحاص)، وهي بالحسانية تعني المخطوف أو المختطف، لربما سموه بذلك لقلة حركاته، حيث أن له أربع حركات في كل تافلويت (شطر)، وتراكيبه سهلة شيقة، وشاهده من لغن :

النــــــاث بعـــــد نعــرف عنـــــــك
ما فيــــــهم حــــد أشعــــر منـــــــك

والمعنى أنني أعرف أنه لا يوجد في الإناث من هو جمل وأرق (أشعر) منك.

- بت اثلاث : وهو كاسمه بت له ثلاث حركات في كل شطر، وشاهده من لغن :

طــول اگبــــال ذي العفيـــــــــــف
مـــس البــــال بتــر فريــــــــف

بمعنى أن طول مراقبته (طول گبال)، وعدم نيل أي فائدة مما يطلب المحبوب من محبوبته من العفة، أصاب قلبه برفرفة (مس البال بترفريف).

- بت إثنان : له حركتان في كل شطر وشاهده :

رب كفـــر
دنب اغفـــر

- بت واحد : وله حركة واحدة في كل شطر، وشاهده من لغن :

فـم ام
لـم نيـن
فـم زيـن

وهذا الشاهد عبارة عن تقطيع لعبارة (فم املمنين، فم زين)، أي فم المسماة املمنين، وهو اسم امرأة، فم جميل. ولم نجد في هذا البت غير هذا الشاهد العروضي، فهو بمثابة شاهد العروض في بحر المتدارك.

ولعل أهم ما نلحظه حول إيقاع لغن هو الآتي :

- كونه إيقاعا يعتمد على عدد المتحركات دون السواكن في كل تافلويت.

- حركات لبتوتة أقصاها عشرة في بت (التگسري) واقلها واحد في (بت واحد).

- إن النتر أو التقاء السواكن يكون محددا لاختلاف البحور التي تتساوى فيها عدد الحركات، فبت (امريميده) و(بوعمران) و(لبير)، تتساوى في عدد الحركات، وإنما الاختلاف كامن في موقع النتر منها. ففي بت امريميده يلتقي ساكنها بعد المتحرك الثاني، أما في بت بوعمران، فيلتقي ساكنان بعد المتحـرك الأول، أما في بت لبير، فيلتقــي الساكنــن قبل المتحرك الأخير. هذا فضلا عن اختلاف المقام الغنائي لبت لبيــر عــن بت امريميده وبوعمــران، وهــو ما سنتطــرق له لاحقا عند الحديث عن علاقــة لبتوته بالموسيقى والغناء، أو ما يسمى (ظهور الهول).

- إن كل ابتوتة لغن متساوية الحركات في كل تافلويت، باستثناء ثلاثة هي :

· بت اسغير الذي تكون التافلويت الأولى والثالثة منه سبع حركات، والثانية والرابعة خمس حركات.

· بت اسروزي الذي تكون التافلويت الأولى والثالثة منه سبع حركات، والثانية والرابعة أربع حركات.

· بت الرسم الذي تكون التافلويت الأولى والثالثة والرابعة ثلاث حركات. وهذه لبتوتة من أصعب أوزان لغن، نظرا لعدم تساوي أشطرها. فإذا استثنينا اسغير، فإن النظم في البحرين الأخيرين نادر جدا.

- إن بت تسع حركات لا يوجد في لغن.

- هناك تفريعات داخل بعض ابتوتة لغن، مثل بت لبير، الذي تدخل فيه (تاطرات) أو (تاطراتك)، التي تتميز بارتخاء والتقاء الساكنين في الشطرين معا. وتدخل فيه أيضا (تگـادرين) وهي (ابير) كثير التقاء السواكن، وكل ذلك يبقى في نطاق بت لبير.

- هناك من يجمع بين لبتوتة من ثلاث حركات إلى واحد في بت مشترك يطلق عليه (بغزز).

وينبغي التنبيه هنا، إلى أن هناك علاقة خاصة ومحددة بين ابتوتة لغن، والموسيقى الحسانية، وذلك من خلال ارتباط ابتوتة لغن بظهور الهول.

2 - علاقة ابتوتة لغن بظهور الهول (علاقة البحور الشعرية بالموسيقــى) :

يندرج موضوع هذا المبحث في إطار الموسيقى البيضانية بشكل عام، وهو موضوع شائك ومتشعب، قل أن يفي الحديث فيه ولو طال، لأنه لم ينل حظه من الدراسة بعد. ولربما يرجع ذلك إلى ارتباط الموسيقى والغناء بطبقة اجتماعية خاصة هي (طبقة إيگـاون). التي تحترف الغناء والعزف من أجل عيشها، ورغم أنها تقع في أسفل الترتيب الهرمي للمجتمع البيضاني إلى جانب فئات اجتماعية أخرى، إلا أن لها دورا مهما في مجتمع يقيم لكلمات المدح ونغمات الموسيقى وزنا خاصا. لهذا عاش بعض إيگلون المتفوقين في بحبوحة من رغد العيش "كسدوم ولد انـچرتو" و"اعلي ولد مانو" وغيرهم. ومن المعلوم أيضا أن مصطلحات الموسيقى الحسانيــة، قد تختلف مسمياتها حسب المناطق والجهات، ولكن القواعــد الأساسية تبقــى موجــدة عند كــل المهتمين وفي كل المناطق.

إن لغن هو شعر يتداوله أهل الصحراء شفاهيا منذ قرون خلت، وقد زاد من شيوع هذا الشعر ارتباطه بالغناء. وينبغي أن نشير هنا إلى أن اصطلاحات هذا الفن لا ينبغي أن تختلط على القارئ. فمصطلح (لغن) هو للدلالة على الشعر الحساني، ويجب أن لا تنصرف دلالته إلى ظاهر الكلمة (الغناء)، فليست بينهما أية علاقة تذكر، و(لمغن) هو الشاعر الحساني. بينما الغناء بالمعنى المتداول فهو (الهول)، فعند الحديث عن لغن نكون بصدد (ابتوتة لغن)، وعندما نتحدث عن الهول، نكون بصدد (اظهورة الهول) بالإضافة إلى (جوانب الهول).

ومن نافل القول الإشارة إلى أن علاقة النغم بالانفعال هي علاقة تفاعل منذ أن اهتدى الإنسان إلى صياغة أنغام متوازنة يرددها في العمل أو عند الرجاء أو العطب أو الخوف أو الفرح، أو غيرها من المشاعر التي تعتري الإنسان، وقد تنبه إلى الأمر كثير من الفلاسفة المسلمين، يقول ابن سينا" : فإن للنغم مناسبة مع الانفعالات والأخلاق، فإن الغضب تنبعث منه نغمة بحال، والخوف تنبعث منه نغمة بحال أخرى، وانفعال ثالث تنبعث منه نغمة بحال ثالثة. فيشبه أن يكون الثقل والجهر يتبع الفخامة، والحاد المخافت يتبع ضعف النفس، وجميع هذا يستعمل عند المخاطب، إما لأن يتصور الإنسان بخلق تلك النغمة أو بانفعالها عندما يتكلم، وإما لأن يتشبه نفس السامع بما يناسب تلك النغمة قساوة وغضبا، أو رقة وحلما". وتبعا لذلك، فإن إيگـاون (المغنون) لهم دور حاسم في تطوير الجانب الموسيقي وتحديد جوانب الهول المختلفة، ويتوارث الشعار المغنون فن الغناء ولهم فيه تفوق ومعرفة تامة. وقد فطن إيگاون إلى اختلاف حالات الهول تبعا لاشتداد الأوتار وارتخائها والتوسط بين هاتين الحالتين، وهو ما رصده الكندي بقوله : "فإن الإيقاعات الثقيلة الممتدة في الأزمان مشاكلة للشجن والحزن والخفيفة المتقاربة مشاكلة للطرب وشدة الحركة والتبسط، والمعتدلة مشاكلة للمعتدل".

إن أساس الموسيقى الحسانية هو ما يعرف بـ (ظهور الهول) جمع (ظهر)، وهو يناسب مصطلح (مقامات) في الغناء العربي. ومن المعلوم أن ظهور الهول هذه لها مجموعة من التركيبات والتوليفات قد تختلف حسب المناطق. وهذه التوليفات تتضمن مجموعة مختلفة من (لشوار) جمع (شور)، والشور خاص بكيفان الشعر الحساني، بينما يخصص لقصائد الشعر الفصيح (النحي) مفرد (انحايا). وهذان المصطلحان لهما بعد التوجيه في الغناء، حيث أن قافية الشور مثلا، هي التي تحدد طريقة الغناء بما يناسبها. والأشوار بطبيعتها متنوعة وغير محددة بعدد معين، فكل إيگيو يمكنه أن يبدع أشوارا جديــدة، لأن الأشوار هي مجرد إيقاعات موسيقية يتفنن إيگاون في إبداعها، وقد تصاحبها أحيانا شواهد مغناة، إلا أنه يمكن الاستغناء عنها. كما أن بعض الأشوار

الشهيـرة أصبحت تقليدا عند إيگـاون، نظرا لجودتها ومكانة مبدعيهـا.

وقبل بداية الغناء "يدوزن"، صاحب الآلة الإيقاع ليخلق جو الظهر الذي سيغنى فيه، وهذه الطريقـة تسمـى (آنـگـر) أو (آمنـگر). فيختار إيـگـيو شورا محدداً داخل ظهر معين فيكون بمثابة (دخول)، أي بداية وافتتاح للهول. ففي (بحر كر) مثلا في الجانب السوداء) يبدأ بـ (أنتماس) وفي (بحركر) من (الجانب البضياء) يبدأ بـ (مك موسى) وهكذا. والطريقة التقليديـة في الغنـاء هي أن يستمر إيـگيو في نفس (الجانبه) أو الطريقة، مثلا في (الجانبه الكحلة) لظهر معين إلى نفس (الجانبه) من ظهر آخر.

ويشتمـل الغنـاء الحسانـي على أربع نغمات أساسية تسمى ظهـورا يتمثل فيهـا التأثـر بالعواطف التي تعتري الإنسان وهــي :

- الفرح وظهره (كــر).
- التحمس واستعظام النفس وظهره (فاغو).
- الشوق وظهره (سنيمه).
- الحزن وظهره (بيـگـي) أو (لبتيت).

وقد اجتهد إيكاون في تقسيم ظهور الهول الأربعة المتقدمة إلى طريقة بيضاء وطريقة سوداء وطريقة متوسطة بينهما تسمى (لـگـنيدي)، هكذا أصبح "تحت كل ظهر نغمات وألوان مختلفـة، وفي كـل ظهر ثلاثـة ألوان (طرق) : لون أبيض يغلب فيه أسلوب العرب، ولون أسود يغلب فيه أسلوب السودان، ولون متركب منهما وأقـوى منهما، ولكـل منها قوانين منظمة وأسمـاء قد تختلف بحسب النواحي والجهات. فالطريقة السوداء تتميز بتفاوت في نغماتها ما بين الارتفاع والانخفاض، فيتحتم على صوت إيـگيو أن يتماشى مع هذه النغمات المختلفة. وإيـگاون يفضلون الطريقة السوداء، وهي طريقة السودان. أما الطريقة البيضاء فتتميز بتغيرات متناغمة من حيث الإيقاع، بدون ارتفاع في النغمات. وهي أقدم من سابقتها، ويفضلها المجتمع البيضاني، وهي من أصل عربي.

هكـذا يتضح أن للموسيقى الحسانية ثلاث جوانب فقط هــي :

- اجانب الكحل (الجانب الأسود).
- اجانب البيظه (الجانب الأبيض).
- جانبت لـگنيدي (الجانب المتوسط بين الجانبين).

ولتبسيط العلاقة بين ابتوتة لغن وظهور الهول بجوانبه الثلاثة، يمكن أن نعتمد على جدول مختصر لأهم هذه الجوانب، وهو كالتالي :

الجوانب / الظهــر	الجانبه الكحله	الجانبه البيظه	جانبت لكنيدي
كــر	انتماس	مكه موسى	نوفـل
فاغو	تنجوگــه	اسروز	أشبار
لكحال أو سنيمة	سنيمة هيبة	أنيام	الموسطي أو منجله
لبتيت أو لبيـگـي	أعظال	لعتيگــ	بيـگـي المخالف أو بيـگـي الجراد

وقد سبق أن أشرنا إلى أن بعض جوانب الهول في هذه الظهور تتضمن مجموعة من (لشوار) جمع (شور). وهذه الأشوار كثيرة ولا يمكن تحديد عددها، لأنها تشكل إبداع إيـگـاون في المجال الموسيقي. كما أن بصمات الكثير من إيـگـاون القدماء ظلت بارزة في الكثير من هذه الاشوار كما تقدم. وتختلف الأشوار، لأن كل قطر فيه إيـگـاون وهم يبدعون على حسب خيام إيـگـاون، وعلى حسب البيضان الذين هم معهم ومدى كرمهم. ومن هنا فهم يبدعون أشوارا تحمل أسماءهم للاحتفاء بها حتى تدخـل أزوان. ولكي يتضح الأمر أكثر سنحاول تحديد ابتوتة لغن في ارتباطها بظهور الهول، الذي تردد فيه قصائدها وأبياتها، وذلك لإبراز ظهر الهول الذي تحكى فيه أبيات بت معين، ولنتبين كذلك لبتوته التي ليس لها ظهر تحكى فيه أبياتها أو تردد من طرف إيـگـاون. وسنستعين بالجدول التالي :

البـــت	ظهر الهول الذي تردد فيه أبياته
احويويص	بدون
حثو الجراد	بدون
البت الكبير	فاغو
لبتيت التام ولبتيت الناقص	لبتيت
امريميده	كــر
بوعمران و التيدوم	سيني كــر
لبير	لبياظ
اسغير	لكحال

هكذا يتضح من الجدول المتقدم، كيف أن لأهم بحور لغن ظهورا (أي مقامات موسيقية) محددة يغنى في إطارها. فعندما يكون ظهر الهول (فاغو)، فإن نصوص (البت لكبير) هي التي تحضر في الغناء، ويكون ذلك في جو مفعم بروح المدح والحماسة والحرب. وعندما يكون ظهر الهول (كـر) فإن نصوص (بت امريميده) يكون لها الحضور، ويكون ذلك في جو من الخفة وسرعة النغمات المحيل على الفرح والحبور، وهكذا ذواليك.

وهناك ضوابط كثيرة في الهول، ذلك أن على الإيـگـيو أن يحترم تسلسل الموسقى البيضانية، ويلتزم ببحور كل "جانبة"، ولا يمكنه تغييرها إلا إذا استوفى بحورها. هذا إضافة إلى مراعاة ترتيب البحور داخل نفس الجانبة، بحيث أن القفز على بحور بعينها لإتمام الجانبة يعتبر نشازا. وقد اعتاد إيـگـاون التنبيه على الانتقال من جانبة إلى أخرى، أو من بحر إلى آخر، بأن يعزفوا نغمات إيقاعية خفيفة تفتح المجال للرقص. وهو ما يسمح للإيـگـيو بأخذ نفسه، ودوزنة آلته بما يناسب إيقاع البحر الموالي، وهذه الطريقة تسمح أيضا بخلق الجو النفسي المناسب عند المستمع لمواكبة إيقاعات بحور الجانبة التي يغنى فيها.

لقد ارتبط لغن بالرواية الشفوية والذاكرة الحافظة، مما ساهم في حفظه من الضياع. كما ارتبط أيضا بالحياة اليومية فساهم في التفاعل مع معطياتها، في بيئة صحراوية مترامية تسودها سلطة الفراغ، فعمرها الإنسان بالكلمة المعبرة واللحن المؤثر. كما ارتبط لغن أيضا بالهول (الموسيقى والطرب)، مما ساهم في رواج نصوصه وإظهار قيمها الإيقاعية والتعبيرية والإبداعية.

وقد حرصنا على تبسيط علاقة لغن (الشعر الحساني) بالهول (الموسيقى والطرب)، منتهجين أوضح السبل، و رغم ذلك فقد أحسسنا بتشعب الموضوع ودقة مصطلحاته وتنوعها. إن صعوبة الإحاطة بجوانب الموضوع نابعة من انعدام مرجع جامع مانع، وتفرق المعلومات عنه هنا وهناك، هذا فضلا عن ارتباطه العملي بالعزف والموسيقى.

- أغراض لغن :

لقد تناول "المغنيون" مختلف الأغراض الشعرية المعروفة، فطرقوا كل غرض حسبما تمليه مواقف الحياة المتقلبة، وما تثيره في النفس من مشاعر متباينة. كما طبعت حياة الصحراء بمعطياتها المتناقضة هذه الأغراض الشعرية بطابعها الخاص، حيث نلمس رقة رمال الصحراء وصفاءها وانسيابها، بنفس القدر الذي نلمس شدة عواصفها وتقلب نوائبها.

ومن أهم أغراض لغن : الغزل والمدح والهجاء والرثاء والفخر والحكمة والمساجلة (لـݣـطاع).

- الاصطلاحات المرتبطة بلغن :

1 - الاصطلاحات المرتبطة ببناء لغن وإيقاعه :

أ - اتفلو : وهو مشتق من (التافلويت)، أي شطر البيت، وهو ترتيب التيفلواتن (الأشطر) على الروي طبقا لمقياس الموزون، ولو بتجزئة الكلمة وهو شبيه بالفلق. وهذا ما يدل دلالة واضحة على أن لغن الحساني كان يتداول شفاهيا بالرواية، مما قد يؤدي إلى اختلاط أشطره عند غير الماهرين به، لكن عملية اتفلو تعيد الأشطر إلى ترتيبها وفقا للروي والوزن.

ب - الفلق : يستعمل الوزان الفلق في الموزون الحساني، وهو من فلق الشيء، أي شقة. ويدل على فلق الكلمة لضرورة الوزن، ومن أمثلته قول لمغن :

لاه نمش ماكلت ݣيــــݣ	وامع راص متنـــــــــاص
داير كان من ذي التيـــݣــ	ـويت انسلـــــــــــك راص

وهنا نجد فلق كلمة (التيݣويت) وهي المغنية، قد شطرت بين التافلويتين الثالثة والرابعة، وهذا يشبه البيت المدور في الشعر العربي. وقد يكون الفلق أيضا في المعنى، وهو أن تبنى التافلويت على كلام يكون معناه في الشطر الذي يليه. ومن ذلك قول "محمد الغيث ݣين" :

ݣـلت عن عزت منت باي	لحـݣت في لعظم مـــــان
جاحـــدها وانت لا تنســاي	إذا التقـــى ساكنـــــــان

فلمغن هنا فصل بين (مان) للنفي في نهاية التافلويت الثانية، وبين الفعل (جاحدها) في بداية التافلويت الثالثة. والمعنى أن امرأة قالت له : بأن حبه لابنة باي، قد وصل فيه شأوا بعيدا، وهو لا ينكر ذلك، ولكنه يذكره بالقاعدة النحوية : إذا التقى ساكنان يحذف ما سبق.

ج - اللـــزوم : اللزوم في موزون لغن هو التزام النطق بحرفين أو ثلاثة عند انتهاء المقطع (التافلويت)، من أمثلته :

ماتـــور فانكيـــــــــــــر	عندكــ رد مــــــــن دن
أبـــدا في الدهـــــــــــر	دائما صـرمـــــــــــدا

فلمغن هنا التزم بتكرار حرفين هما الدال والنون، وهذا مرادف في الشعر العربي للزوم ما لا يلزم.

د - التعرگيب : مشتق من العرگوب، أي العرقوب. وهو تغيير في إيقاع القصيدة، ويتمثل أساسا في تحول روي النص وخاصة في المقطع الأخير من التهيدينة، وقد يؤشر على أن لمغن حصل على نائل من الممدوح، وهو من الميزات الأساسية للتهيدينة. فالتعرگيب يلجأ إليه لمغن عندما يكون بصدد إبداع اتهيدينة، فيعوزه الروي في نهايتها لطولها، فيخرج إلى شبه اتهيدينة أخرى يقال لها (عرگـابه). والمعنى الرمزي لذلك أن التهيدينة الأولى المنتهية قد مرت وأتى لمغن وراءها، أي عند (عراگيبها). وهي (عرگابة) في القافية فقط، أما المعنى فيبقى مستمرا، وتبقى الأشطار هي هي والبحر هو هو، وتتغير القافية لأجل نفاذ روي القافية الأولى. وهي بدروها تعرگب التهيدينة، أي أنها تأتى وراءها. ومن نماذج التعرگيب قول "سدوم ولد انـچرتو" في اتهيدينة يمدح بها الأمير "بكار بن أعمر بن امحمد خونا" أحد أمراء ايدوعيش (ت 1175 / 1761) :

... ونفسه ساحل حـݣـف الـدار	إلصبح ألا عزت لنفـــــاس
ونفست هي زاد انهـــــــــار	سلنب ما زار أو ســـــواس
واكش العد بار عود اكبــــــار	ما يسمعهم حادث مـــــاداس
الله يرفع شان الفخيـــــــــــر	سند أولاي الله والاشعـــــار
ول اعمر بكار الجنكيـــــــــر	سبع اكفان أبيلنيـــــــــــار

نلاحظ ظاهرة التعرگيب في البيتين الأخيرين من التهيدينة، حيث تغير الروي من السين إلى الراء.

هـ - اللحـن : اللحن في الاصطلاح الشعبي ظاهرة إيقاعية تلاحظ على مستوى حرف الروي أساسا أو غيره، وذلك بتحويله من عين ساكنة إلى حاء، وهو من اختراع "سدوم ولد انـچرتو"، وتبعه في ذلك الشعراء التقليديون فظل سنة متبعة. ولـ "سدوم ولد انـچرتو" اتهيدينة تسمى (اتهيدينة اللحن) مدح بها "محمد بكار بن أعمر" الملقب بـ "أبا"، أحد قادة قبيلة إيدو عيش الشجعان يقول فيها :

بسم الله اعل شكر ازعيـــم خيل إدوعيش واسبـــح
حيطام الزعم فاتلاطيـــم الحوم منهم يشبـــح
فارس الحمر أفارس امعيليم أخمراز يومن صفـــح

الحمر وامعيليم وخمراز أسماء أعلام خيل لقبيلة إيدوعيش، واسبح بمعنى سبعها، ويشبح بمعنى يشبعها من لحم البشرية. وهذا هو اللحن، حيث انقلبت العين حاء.

و ـ النشيد : ويدخل النشيد في اللون الجديد من موزون الفن، وهو تلحين بيت قصير من الفصحى أو الموزون. وهو مناسب لجميع بحور الأوزان. ومن أمثلته :

هذا آخر نومنـــــا بلادنا لا تشتكـــــي ..

ز ـ المحص : وهو عدم التقيد بالقافية المتعارف عليها في الـگاف، والتي تكون موحدة بين الشطر الأول والثالث من جهة والثاني والرابع من جهة أخرى. لكن هذه الظاهرة محدودة. يقول "محمذن ولد سيدي إبراهيم" : "وكان بابا ولد هدار يتميز بإنتاجه فيما يسمى المحص، وهو في الحسانية يشبه الشعر الحر في العربية إلى حد ما، فهو يقول فيه :

عاگب تسدار باگليـــد والنفناف معطـــــوف
يبوگ زاد الا اوليـــگ والنخلات أو لخشـــوم

وبما أننا لم نعثر على أمثلة كافية تجعل من ظاهرة المحص قاعدة متواترة، فإننا نعتبره محاولة محتشمة للخروج عن إطار قواعد لغن، هذا إذا لم نعتبره "ترفا" فنيا لأهل هدار الأحراكيين، الذين عرفوا بالتفوق في لغن والإتيان بكل غريب وفريد في إبداعاتهم.

2 ـ الاصطلاحات المرتبطة بعيوب لغن :

أ ـ الليط : وهو كلام مكرر في اللفظ والمعنى، وتصفها الناس بالدرجة السفلى للموزون، وتعتبر من عيوب القوافي، حيث يتخذ لمغن نفس الكلمة للحفاظ على الروي. والليط تعني الإيطاء في الشعر العربي، حيث تتكرر القافية الواحدة وبنفس المعنى. وشاهدها من لغن قول "امحمد بن هدار" :

امنيوه بامسيحتـــــه واكتن هاذ ماه ختـــــه
غير إل عادت فگعتـــه هي گـاع ابلا مسح گـــاع
ولل ما نعرف حيلتـــه ولل ما نعرف شنه گـــاع
هاذ ليط فالظاهــــرل غير اگبيل الحگت اعل گـاع
والحگت اعل گـاع امـل كيفن گـاع الحگت اعل گـاع

و(امنيوه) اسم امرأة و(المسحة) هي صغر الشعر، وقد كرر لمغن لفظ (گـاع) بمعنى ايضا، أربع مرات وبنفس المعنى في القافية، وهو ما يعرف بالليط.

ب ـ الملـخ : من تملخ الشيء إذ فسد، وعادة ما يكون گـافا موزونا خارج الروي. ومن أمثلته :

بيت كان املان نفـــظ رجل من لخيـــــــام
أعند كنت ازناد گبـــظ محمد الاميـــــــن

وغالبا ما يكون القصد من وراء (گـاف أملخ)، هو إيراد مثل حساني في التافلويت الأخيرة منه، مثل قول لمغن :

جان سقـم ال نختيـــــر سامع عن ياسـر كنـت
انهيـت حت يغيـــــر "الما يسمع لك ما تنفـع"

أي جاءني سقم التي أحب، وقد سمعت عنها الكثير، ونهيت نفسي عن حبها، ولكن (الما يسمع لك ما تنفع) وهو مثل حساني، معناه أن الذي لا يصغي إلى نصائحك لن تفيده.

ج ـ اضـلاع : وهو العرج لغة، واصطلاحا وورود أحد أشطر النص ناقصا أو زائدا في عدد متحركاته عن باقي الأشطر.

د ـ التفرص : التفرص أو التفرص، وهو لغة كلمة دخيلة تعني استعمال القوة في الحصول على الشيء، وهي مشتقة من الكلمة الفرنسية (Force). واصطلاحا تعني الإتيان بكلمة في غير مكانها من الناحية الموسيقية، مما يحتم على المستمع بدل مجهود غير عادي في تحقيقها.

هـ ـ لعـوار : وهو لغة العور، واصطلاحا تعني الإكفاء في الشعر العربي وهو "اختلاف حرف الروي في قصيدة واحدة، وأكثر ما يقع ذلك في الحروف المتقاربة المخارج". وقد سمي بذلك لأن النص الذي تختلف فيه حروف الروي هو كالشخص الذي فقد أحد عينيه. ومن أمثلته :

اغزيت مجموع الشعـــار غزوك مضمون انتصــــار
اسو ذاك المنهم يطـــوال واسو ذوك ال يـگصــــار

فلمغن في الـگـاف أعلاه قد خالف بين حرفي الراء واللام في روي الجانب الأيمن.

و ـ الـزي : بالزاي المفخمة، وهو لغة صوت الطير ؛ واصطلاحا اختلاف حرف الروي من حيث صفاته الصوتية، ومثال ذلك ما يقع في حرف الراء الذي قد يرد في النص الواحد تارة مرققا وتارة أخرى مفخما. ومن أمثلته :

نبـغ نجبـر ذل نختيـــر مذكور هون افذ الدشـــر
مبيـن الدحميـس ألعصيـر أتمرگـن من فـم البحـــر

فالراء جاءت مرققة في الشطر الأول، ومفخمة في الشطر الثاني، كما جاءت مفخمة في الشطر الثاني ومرققة في الرابع.

ز ـ اتعـگلي : وهو من العيوب المرتبطة بالوزن، وحدّه التقاء ساكنين في التافلويت في محل لا يجوز فيه ذلك، ويقع ذلك في أمريـن :

ـ أولا : أن يلتقي ساكنان في بت من لبتوته الخالية من (الـﮕـدع)، أي التقاء الساكنيـن، مثـلا في لبتيت التـام والتبـراع...

ـ ثانيا : أن يلتقي ساكنان في بت من (ابتوتت الـﮕـدع) ولكن في غير محل الـﮕـدعه العادي.

ح ـ لحــراش : وهو انعدام السلاسة في التراكيب داخل التافلويت، ذلك أن التافلويت السلسة التراكيب توصف بأنها (ملس)، وغير السلسة بأنها (حرش) أو فيها (احراش). ويجب التنبيه هنا إلى أن بعض المهتمين بلغن يستعمل مصطلح (لحراش) كمرادف للـﮕدعه، أي التقاء الساكنين، ونحن نعني بلحراش العيب الوزني المتمثل في عدم السلاسة في التركيب، إذ أن لحراش لغة هو الخشونة، ولذلك يبدو أن التعبير به عن عيب وزني أقوى حجة من التعبير به عن الـﮕدعه، التي لها في الوزن وظيفة موسيقية سامية.

ط ـ اتحركيـز : بزاي مغلظة، يطلق على كل ما يمكن أن تتضمنه التافلويت من صعوبة في نطق بعض كلماتها أو تراكيبها، ولكـن دون إخلال بقواعـد سلاسة التركيب، ومثال ذلك أن تتجاوز الحروف المتنافرة. ويمكن أن تكون لهذا المصطلح دلالة أوسع، ليعني كل نقص في سلاسة التافلويت، فيشمل بذلك (لحراش) كنقص في السلالة التركيبية و(اتعـﮕلي) كنقص في السلاسة الموسيقية.

ي ـ الحـشو : وهو استعمال كلمات لإقامة الوزن، فتكون ضرورية حتى لا يختل الوزن، لكنها من حيث المعنى زائدة، وتعتبر حشوا.

3 ـ الاصطلاحات المرتبطة بالهول وما يتعلق به :

أ ـ الهـول : ويرادفـه فـي العربيـة الغنـاء والطرب والموسيقـى.

ب ـ إيـﮕاون : جمع إيـﮕيو، ومؤنثه تيـﮕويت وجمعها تيـﮕواتن. وإيـﮕاون هم المطربون ويطلق عليهم أيضا اسم (الشعار) أو (الزفانين)، وغالبا ما يوجدون لدى الخاصة من ذوي الجاه والمكانة يمدحونهم ويذمون أعداءهم. ومنهم من يتنقل بين الأحياء متكسبا بمدحه. فإيـﮕاون إذن فئة اجتماعية تجمعهم المهنة ولا يجمعهم النسب، ويرتبطون بحسان، لأن الزوايا يبتعدون عن نشاطهم الغنائي. أما الذي يطرب بصوته من غير هذه الطائفة فيسمونه "نشادا".

ويعتمد إيـﮕاون في غنائهم على المهارة في العزف وجودة الصوت في الغناء، وغالبا ما تكون أصوات الرجال من إيـﮕاون أجود من أصوات النساء من التيـﮕواتن. إن الحاجة إلى إيـﮕاون أملتها تركيبة المجتمع البدوي، الذي يحدد لكل فئة أدوارها ووضعها الاعتباري. وهذه فئة تنهض بالغناء والمدح والطرب في المجتمع، مقابل الحصول على الهدايا، التي تعتبر مصدر عيشها. ويجب التنبيه هنا، إلى أن فئة (لمعلمين) تقوم بوظيفة إيـﮕاون، في بعض التجمعات البدوية، التي تنعدم فيها أسر إيـﮕاون، كما هو الشأن في الصحراء.

ج ـ الشور : مفرد جمعه أشوار، ومعناه اللغوي الاتجاه أو الوجهة. أما المعنى الاصطلاحي فهو إيقاعات موسيقية تفنن إيـﮕـاون في إبداعها. فكما أسلفنا سابقا، فإن ظهور الهول لها مجموعة من التوليفات، قد تختلف حسب المناطق، وهذه التوليفات تتضمن مجموعة مختلفة من (لشوار). والشور خاص بقصائد لغن بينما يخصص لقصائد الشعر العربي الفصيح (النحي). وهذان المصطلحان لهما بعد التوجيه في الغناء، فقافية الشور مثلا هي التي تحدد طريقة الغناء بما يناسب إيقاعها وقافيتها. والأشوار بطبيعتها متنوعة وكثيرة، وذلك راجع إلى تعدد مواهب إيـﮕاون الموسيقية، حيث بإمكان كل إيـﮕيو موهوب أن يبدع أشوارا جديدة. هذا إضافة إلى تنوع البيضان، الذين يوجد إيـﮕاون معهم، ومدى شهرتهم وكرمهم. كما أن هناك أشوارا اشتهرت فأصبحت تقليدا يؤدى عند إيـﮕاون نظرا لجودتها ومكانـة مبدعيها. وأغلب الأشوار لها شاهد يتكون من تافلويتين، وقد يكتفى فيها بترديـد كلمة مثـل (الله) و(ازوين) أربع مرات لتخلق إيقاع الشور. فليتزم الحضور بالإبداع في وزن شاهد الشور وقافيته. من هنا، فإن إيـﮕاون يميزون بين نوعين من الأشوار :

ـ أولا : أشوار لغن أو أشوار (يغنى فيهم)، أي أن هذه الأشوار تغنى، فيردد إيـﮕـاون شاهدها من لغن.

ـ ثانيا : أشوار (لخبيط)، أي أشوار الإيقاع، وهي مقطعات للعزف على التدنيت.

واشوار لغن يمكن أن تغنى في مختلف طرق الهول، التي تقدم الحديث عنها، وليس لهذه الأشوار أسماء محددة، بل تعرف من خلال شواهدها المغناة، وأغلب الموسيقى الشعبية البيضانية، هي من هذا الصنف. أما أشوار لخبيط، فيه تعزف في جوانب طرق الهول المختلفة، وأغلب الأشوار القديمة تنتمي إلى هذا الصنف، وتسمى (لشوار الزمنيين)، أي أنها رسمية وقديمة تنتمي إلى التراث المشترك لكل إيـﮕاون، وأغلبها يحمل اسم مبدعه. كما تسمى (أشوار الفتح)، لأن مبدعيها الأوائل كانوا مفتوحين في الهول، ولهم قدرة على فتح مجاهله وإبداع الجديد فيه، مستنيرين بخبرة ودراية عالمة لآلة "التدنيت". ويجب التنبيه إلى أن أشوار لخبيط تعتمد أساسا على محاكاة إيقاع التدنيت، وشواهدها تقوم على (الدندين)، وهي محاولة إيـﮕاون تمثل وتجسيد الإيقاع في شواهد لا دلالة لها تحاكي أصوات التدنيت. ونختم بإعطاء أمثلة للأشوار، مراعين تراتبية ظهور الموسيقى البيضانية. فمن أشوار لغن شور يسمى (لميليد) يغنى في (مقام لكحال) حيث يردد إيـﮕاون : (يلالك يا ميليد) ليخلقوا إيقاع الشور. من نماذج الـﮕيفان التي أبدعت فيه نجد على سبيل المثال :

يا تمرميـــد اتجيـــــــــــن عنك ثم ألا زيـــــــــــــد

هاذ ظـحكت كيـــــــــــــن تجـل كل اتمرميـــــــــد

في الـﮕاف تغزل بمحبوبة واضحة العفة تسمى (كين)، حيث أن لمغن لا يجد من وراء حبها إلا المشقة والعناء (اتمرميـد)، لكنه لن يتخلى عن حبهـا، فيكفيـه

أن ضحكتها الجميلة تزيل عنه مشقة وعناء عدم الحصول على طائل.

ومن أشوار الغناء أيضا في (مقام لبياظ) شور (دان ادكي يبابلنك)، الذي يردده إيگاون لخلق إيقاع الشور.

ومن نماذج الـگيفان فيه:

شافت عين يامس عينيـــــن مكتوب فيهـــم لا شـــك

عينين الترك والعينيــــــن الماهم عينيـــن التـرك

يتغزل لمغن بأمرأة رأى عينيها، وفي قوله (عينين) تأكيد على سلامة عينيها من كل عيب، فضلا عن جمالهما وجاذبيتهما، وقد قرأ في عينيها أعين الأطفال (عينين الترك)، وهذا يدل على أنه قد استنتج من رؤيته لعينيها أنها ستكون من نصيبه في الزواج، الذي سينتج عنه الأولاد. أما قوله (العينين الماهم عينين الترك)، فهو تعبير عن الجمال والجاذبيه والفتنة التي في عينيها.

ومن أمثلة أشوار لخبيط، شور (تندن تندن تندن) الذي يغنى في (مقام لبتيت). ويردده إيگاون لخلق إيقاع الشور محاكاة لصوت التدنيت.

ومن أمثلة الـگيفان فيه نجد :

يكــان فالفتـــــــــن تغلبـــن مريـــــــم

يعمـــن ناگتـــــــن لكبـــير تــــــــرم

يتغزل لمغن بامرأة تسمى مريم، ويقول : إذا تفوقت عليه في شدة الحب والولع والهيام، فإنه سيدعو على ناقتهم الكبيرة بمرض (لرام). و(ترم) مرض يصيب ضرع الناقة، وذلك بأن ينتفخ ما بين جلد الضرع وداخله، يقال له (لرام)، ويصعب معه حلب الناقة، لما يسببه من ألم. والملاحظ أن الدعاء هنا له ارتباط بالمحيط الاجتماعي لأهل الصحراء، ذلك أن أساس التنمية عندهم تمثله النوق، وأساس العيش يشكله لبنها.

د ـ النحـية : مفرد جمعه (انحايا)، وهي مثل الشور المتقدم لها بعد التوجيه في الغناء، إلا أنها تختلف عن الشور بكونها خاصة بقصائد الشعر الفصيح، كما أن لها شواهد مغناة، أما الشور فخاص بقصائد لغن. فالنحية هي تلحين لمقطعات من الشعر الفصيح، ثم يبدع الحضور على منوالها وقافيتها في لغن. وهي كثيرة، فيكفي أن يخوض الإيـگيو في نحية معينة، أي إيقاع وزن معين، ليحتم على الحضور من لمغنيين وغيرهم الالتزام بالنحية والإبداع فيها، حتى يقع (تعگار النحية)، أي أنها تصبح عقيمة لاستنفاذ كل الـگيفان، فيجب حينها على الإيـگيو أن يغيرها بنحية جديدة، وهكذا دواليك. ومن أمثلة ذلك في (ابياظ انتماس) النحية التالية :

جملة العشاق موتوا صبابة كما مات في الهجران قيس معـذب

ويكون الـگاف فيها مثلا :

يكان انـگظ واطــــــوال عراد مـــن عطــــــب

يسـوا راه لغـــــــــزال ال امــــوت افـجــــدب

والمعنى إذا كان إلفي (العراد) قد هزل (انـگظ) وطال من شدة عشقه، فإنه مثل غزال الجدب الذي يموت في أرضه ولا يبحث عن بديل لها، وفي الـگاف تضمين للمثل الحساني : (اغزال اجدب إموت فيه)، أي غزال الجدب يموت فيه، وهو مثـل يضرب في وفـاء الكريـم لوطنـه وثباتـه فيـه مهمـا قاسى من شظـف العيش، كما يضرب أيضا للوفـاء بين المحبين رغم النوائب والمصائب. وهنــاك من يرى أن النحية هــي كل ما نحي من لهجــة أو لغة أخـرى غير لهجة حســان، سواء كانت عربية فصيحة أو زنجية، ومثال ذلك النحية التاليــة من لهجة لكور :

اتــريــر ما گــمگـــم واسدار بـــرن دبراريـــج

ونظرا لصعوبة نطقهـا، فقد ثم خلق شور على وزنها وهــو :

بايدنجا بايدنجا بايدنجا

ومن ذلك نحية : سراق كيل شمبان

ومن نماذج الـگيفان في هذه النحية :

* الـگاف الأول : يخيات ران خوكـــم أمان فيكم ضمــــان

إن الله يأمركـــــــم أنكم تؤدوا الامــــان

* الـگاف الثاني : نبغ حد أصل يعرفـن وامعاهدن ما ينسان

ذاك ال گـايل فاوجهن ايتم أيـگول فاگفـان

والمعنى في الـگاف الأول أن لمغن يخاطب جماعة قائلا لهم : يا إخوتي إني أخوكم، وأعطيكم الآمان ضمانا على ذلك، مضمنا قوله تعالى : "إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانــات إلى أهلهـا". وفي الـگـاف الثاني تــرد عليــه الجماعة على لســان لمغن قائلـة : أنها تفضل من يعرفهـا ولا يخون عهدها ويكون مخلصا لها في حضورها وفي غيابها.

هـ ـ أزوان : بزاي مفخمة، هو اسم لمجموع الآلات الموسيقية الصحراوية، القديم منها مثل (التدنيت) وهي آلة وترية يعزف عليها الإيـگيو، و(آردين) وهي آلة وترية تعزف عليها التيـگويت. وهناك أيضا الطبل وهو آلة إيقاعية مستديرة الشكل تصنع من جذوع الشجر، ويسد تجويفها بجلد الماعز أو البقر أو الإبل، ويربط إلى الأسفل بواسطة الحبال والعيدان. كما تستعمل الآلة الحديثة في بعض الأحيان وهي القيثارة.

و ـ آرديــن : مفرد جمعه إرديون، وهو آلة وترية خاصة بالنساء، تعزف عليه التيـگواتن، وتعريفه : "أما المزهر : آردين، فهو آلة موسيقية موريتانية تعتمد على نصف قرع من المقطعين نصف كروي، وظيفته تقوية الصوت الصادر عن الأوتار، وهو مجلد بإهاب رقيق من جلود الغنم، به فتحة مستديرة بداخلها عود تمتد على طوله أربعة عشر وترا مشدودة بعيدان، أطرافها السفلى تمر بثابت يدعى ثابت العنق. ولأطراف الأوتار مفاتيح يمكن بواسطتها تغيير الشد في الأوتار، مما يساعد في

الحصول على النغمة التي يريدها العازف. ويسمى نصف أوتار آردين بدءا من أعلاه (لمهار)، والباقي يسمى كل وتر منه (التشبط)، وبه عصبتان تدعى كل منهما : (اسبيبت اللگ)، ويتميز بجامع آنگار. وعادة تصنع أوتاره من العصب وما ينوب عنه". وتضع العازفة آلــة آرديــن على الأرض وتسندهــا إلى يمينهــا، وتمسك بيدهــا اليمنى المقبض وتسنــده إلى كتفها، وتضع المقبض بين الإبهام والأصابع، ثم تضرب على الأوتار بأظافر يدها.

ز ـ التدنيــت : مفرد جمعه (تدناتن)، وهي آلة موسيقية وترية خاصة بالرجال يعزف عليها الإيگـاون، وتعريفها كالتالي : "فالتدنيت آلة موريتانية بحتة، وهي تتبوأ المنزلة الأولى بين آلاتنا الموسيقية. وتعتمد على صندوق خشبي على شكل زورق صغير يقطع عادة من شجر البشام، فيغطى برقعــة جلد عجـل ونحوه، به فتحة تمتد منها عصا رقيقــة تشد عليها أربعة أوتار بدءا من داخل الفتحــة إلى ما دون منتهى العصا التي كثيـرا ما تقطع من شجر النبع. وظيفــة الصندوق تقويــة الصوت الصادر عن الأوتـار، التي تتفاوت في الطــول والقصر، ويسمى الوتر الأول والثاني منها بـ (المهر) وهما أطول الأوتار، والثالث والرابع بـ (التشبط)". ويضع العازف آلته على ركبته اليمنى، مسندا إياها على صدره، بطريقة أفقيــة، ويضع يده اليسرى على المقبض وأصابعه على الأوتار، بينما ينقـر الأوتـار بأظافـر يــده اليمنى، أو بقطعــة من العظم صغيرة مثبتــة بسبابــة اليد، وتسمى (اظفــر إيـگـيو).

ح ـ الطبــل : وهو من الآلات الإيقاعية، وعند العزف يوقع على حافته باليدين، ويرشد العازفين إلى الموقع القوي والضعيف من المعزوفات. أما شكل الطبل، فيعتمد على شبه كوب كبير من جذع شجرة الدوح مغطى بجلدة من جلود البقر مشدودا ومشلولا من أسفله إلى أعلاه بواسطة الحبال والعيدان. ويضرب للطرب والإنذار المبكر وعودة الضالة.

ط ـ الربــاب : الرباب آلة وترية معروفة عند العرب منذ القديم، يستعملون في وترها أمعاء الغنم الرقيقة أو خيوط نايلون. والقوس الذي يعزف به على الوتر عبارة عن عود من الخيزران مقوس، يصل بين طرفيه شعر ذيل الحصان. ويمتاز الرباب بحسن العزف ومسايرة الآلات في النغمات، والعزف عليه خاص بفئة لحراطين.

ي ـ النيفــار (النــاي) : قصبة جوفاء مفتوحة الطرفين تصنع من القصب أو اللحاء ونحو ذلك، وتقــع على جانبها ستة ثقــوب، بالإضافــة إلى ثقب آخر في الخلـف، يسد بالإبهــام. ويحدث الصوت فيها بالنفــخ على الحافــة العلويــة للقصبة مباشــرة، وعزفهــا يسايــر باقــي عــزف الآلات المذكورة. ويمتاز صوت النيفار بمناسبتــه للمقامات الحزينة.

ولد أحمد ديد، محمد عبد الجليل، *الجوهر الحلي في تعريف الفن الحساني*، مخطوط، مرقون، نواكشوط، نسخة مصورة في حوزتنا ؛ الشيخ محمد المامي، *ديوان الشعر الحساني*، جمع محمد عثمان، نسخة مصورة في حوزتنا، من أصل في ملك جامعه بالداخلة ؛ ابن سينا، الخطابة من *كتاب الشفاء*، تحقيق، محمد سليم سالم، وزارة المعارف العمومية، الإدارة العامة للثقافة، القاهرة، 1373 / 1954 ؛ أحمد بن الأمين الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*، مطبعة السنة المحمدية، ط 2، القاهرة، 1378 / 1958 ؛ *مؤلفات الكندي الموسيقية*، تحقيق، زكريا يوسف، بغداد، 1962 ؛ ولد اباه محمد المختار، *الشعر والشعراء في موريتانيا*، الشركة التونسية للتوزيع، ط 1، تونس، 1987 ؛ ولد حامد المختار، *الحياة الثقافية*، نشر الدار العربية للكتاب، ط 1، طرابلس، ليبيا، 1990 ؛ ولد سيد إبراهيم محمذن، *تهذيب الأفكار في أدب الشعر الحساني المختار*، تركيب وطباعة المطبعة الجديدة، ج 1 - 2، نواكشوط، موريتانيا، 1992 - 1993 ؛ باه النعمة، *الشعر الحساني المجال النقدي والمرجع*، الشركة المغربية للطباعة والنشر، ط 1، الرباط، 1992 ؛ ولد انچرتو سدوم، *ديوان الشعر الشعبي*، تقديم وتعليق، سيد أحمد ولد أحمد سالم والسالك بن محمد المصطفى وسيدي محمد بن حد أمين وابادو بن همد فال، نشر المعهد الموريتاني للبحث العلمي، طبع المطبعة الجديدة بنواكشوط، 1996 ؛ نيمة محمد، *الأدب الحساني والكلام المهذب بالمعاني*، مطبعة المعارف الجديدة، ط 1، الرباط، 1998 ؛ الطالب بويا، لعتيك ماء العينين، *شذرات من الأدب الحساني*، منشورات مركز طارق بن زياد للدراسات والأبحاث، ط 1، الرباط، 1999 ؛ ولد كاكيه، المختار، *كيف تتعلم لغن بدون معلم*، منشورات جريدة رجل الشارع، موريتانيا، 2000 ؛ عمل جماعي، *الأمثال والحكم الشعبية الموريتانية*، نشر مشترك بين اللجنة الوطنية لجمع ونشر الثقافة الشعبية، وبين المعهد التربوي الوطني، نواكشوط، موريتانيا، د. ت ؛ عمل جماعي، *الحكايات والأساطير الشعبيــة الموريتانية وحكايات الحيوان*، نشر مشترك بين اللجنة الوطنية لجمع ونشر الثقافــة الشعبيــة وبين المعهــد التربــوي الوطني، نواكشــوط، موريتانيا، د. ت ؛ بن هدار المختار، *الكتاب المختار من أدب آل هدار*، نواكشوط، موريتانيا، د. ت ؛ *مقابلات شفوية* مع : الأديب سيداتي السلامي ولد لحبيب (العيون) ؛ محمد الغيث اكين (گليميم) ؛ محمد الجيلاني لعبدة (الداخلة).

Leriche, Albert, Instruments de musique maure et Griots, *Bulletin de* L'IFAN., Tome ; XII, N° 3, 1950, Dakar. p. 728 ; Leriche, Albert, Les Haratins (Mauritanie), Note éthnographique et linguistique, *B.L.S, N° 6*, 1951, p. 24 – 29 ; Ould Hamidoun, Mokhtar, *Précis sur la Mauritanie*, centre IFAN, Mauritanie, Saint-Louis, Sénégal, 1952 ; Miské, Ahmed Baba : *Alwasit : Tableau de la Mauritanie au début du XX[e] siècle*, Klincksieck, Paris, 1970 ; Guignard, Michel ; *Musique Honneur et plaisir au sahara : Etude psycho-sociologique et musicologique de la société maure*, Librairie orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1975 ; Ould Bah, M[ed] El Mokhtar, *La littérature juridique et l'évolution du Malikisme en Mauritanie*, Publication de l'université de Tunis, 1980 ; Taine Cheikh, Catherine : *Dictionnaire Hassaniyya – Français*, Librairie orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1988, Tome I ; Tauzin, Aline : A haute voix, Poésie féminine contemporaine en Mauritanie, *Revue M.M.M.*, N° 54, 1989 / 4, p. 178 – 187 ; Ould Hasni, Moulaye Ahmed : Le Theydin, Alwasit (*Bulletin de l'institut Mauritanien de recherche scientifique* = I.M.R.S, N° 4, 1414 H = 1993, p. 5 – 30.

عبد العزيز ابن الطالب موسى

الشْنَــاگـلة، قبيلة عريقة تنسب إلى أولاد امعرف من بني حسان، دخلت حروب كثيرة داخلية، الشيء الذي

حكم عليها بالتراجع، حيث لا يوجد منها حليا إلا عائلات قليلة في مدن العيون والطنطان مثل أهل فيداد، وفروع قديمة نزحت نحو حوز مراكش ثم صاحبت قبيلة الشراردة نحو منطقة الغرب بناحية سيدي قاسم، وهذا الفصيل مكون من فرعين هما : أولاد للي، ولبراقيق. كما يذكرهم المختار حامد باعتبارهم بطناً من بطون أولاد بلة من قبيلة أولاد أمبارك الحسانية. وتذكر الرواية الشفوية أن هذه القبيلة شكلت في الماضي قوة حربية ذائعة الصيت خاصة في الساقية الحمراء ودرعة السفلى، حيث لايزال ذكرهم إلى اليوم، بل هناك بعض المواقع التي تشير إلى حضورهم بالمنطقة خاصة في "انعيلة" شمال الطرفاية حيث يوجد هناك موقع استراتيجي عبارة عن أخدود عميق ما بين الجزء الشمالي من "انعيلة" وطرفها الجنوبي قرب ساحل المحيط الأطلسي، يسمى "كرزيمة الشناكلة"، كما مارس الشناكلة الصيد البحري والرعي بشكل محدود نظرا لقلة عددهم وغياب الإمكانيات لديهم.

المختار ولد حامد، *حياة موريتانيا : الجغرافيا*، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992 ؛ بشر أحمد حيدرة، *الصليب المقدس في البحر الصغير*، مطابع أمبريال، الرباط، 1998 ؛ محمد دحمان، القبائل الصحراوية بمنطقة الغرب : دراسة سوسيو-تاريخية، *مجلة الآداب والعلوم الإنسانية*، كلية الآداب بالقنيطرة، العدد 9، 2009، ص. 215 - 224 ؛ *الترحال والاستقرار بمنطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب*، مطبعة كوثر، الرباط، 2006.

del Barrio Jose Enrique, *Tribus del Sahara*, Aiun, 1973 ; Tony Hodges. *Historical Dictionary of Wwestern Sahara*, London, 1982.

محمد دحمان

الشنگيطي، أحمد بن **الأمين** بن محمد الأمين بن عثمان، ولد سنة 1280 / 1863 ونشأ في بلدته بين منطقتي "العقل" وبحيرة "الركيز" في جنوب موريتانيا، تعلم في سنواته الأولى القرآن ومبادئ العلوم الإسلامية واللغة العربية، إلا أنه كان ميالا إلى الشعر والأدب لسرعة الحفظ والضبط التي امتاز بها. وقد اشتهر برحلاته العلمية منطلقا من بلاده التي جال فيها وتعرف على عاداتها وخصوصياتها الاجتماعية، والتقى بأدبائها وعلمائها الذين أخذ عنهم مادة غزيرة اعتمدها في تدوين كتابه "*الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*" في اتجاه عواصم المغرب مثل مكناس وفاس حيث التقى بعلمائها وشيوخها، كما قصد السمارة وزار الشيخ ماء العينين وزاويته، ثم تابع رحلته لأداء فريضة الحج ليقابل هناك مشايخ وعلماء مكة والمدينة ويستفيد الكثير منهم، ليستقر بعد ذلك في القاهرة عقب زيارته لكل من سوريا وتركيا.

وكان تاريخ دخوله إلى القاهرة حوالي سنة 1320 / 1902 التي مكث فيها إلى أن وافته المنية، حيث عاش فيها حالة من التقشف والزهد منكبا على المطالعة والتحصيل العلمي والتحقيق، وكان من اهتماماته الأساسية النحو واللغة والآداب، إذ يظهر ذلك جليا من خلال الآثار التي خلفها، وفي مصر احتك بالعديد من العلماء مثل محمد توفيق البكري شيخ الطرق الصوفية والعلامة أحمد تيمور باشا صاحب الخزانة التيمورية المليئة بالمخطوطات والمطبوعات، كما كانت له علاقة وطيدة بأمين الخانجي صاحب المطبعة الشهيرة الذي وفر له وسائل التأليف والتحقيق وطبع له أغلب مؤلفاته، كما منحه سكنا بمبنى المطبعة. ولقد استطاع أحمد بن الأمين الشنقيطي أن يحتل مكانة علمية في الأوساط المصرية، حيث وصفه فؤاد السيد أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية : "إنه على فهم تام ومعرفة كبيرة بالعلوم الأصولية والفقهية، كما كان له دراية بالتعاليم الصوفية، هذا فضلا عن علو كعبه في علوم العربية وآدابها"، كما أشاد بمجهوده العلمي الشيخ سليم أبو الأقيال اليعقوبي.

وتنقسم الآثار التي خلفها إلى قسمين، قسم يضم الكتب التي قام بشرحها والتعليق عليها مثل شرحه لتحفة المودود في المقصور والممدود لابن مالك وديوان طرفة بن العبد وديوان الشماخ بن ضرار وتصحيح كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني، والقسم الآخر يخص الكتب التي ألفها والتي يأتي على رأسها كتاب "*الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*" الذي يتناول فيه العادات والتقاليد الثقافية والاجتماعية لبلاد شنقيط وتراجم لمجموعة من أعلامها مع تطرقه للجانب التاريخي من خلال ذكره للحروب التي دارت بين القبائل وبعض الوقائع وتاريخها، ويرجع السبب وراء تأليف هذا الكتاب إلى أن أحد علماء مصر كان يظن أن الآداب العربية يمتاز بها أهل المشرق فقط، مما أثار غيرة أحمد بن الأمين الشنقيطي فقرر التعريف بأدب الشناقطة وبلاد الشعراء، فكان أغلب ما كتبه في الوسيط من ذاكرته نظرا لقوة حفظه، وإلى جانب هذا الكتاب هناك "الدرر في منع عمر" و"طهارة العرب"..

توفي الشنقيطي بالقاهرة التي استقر فيها ما يقارب العشر سنوات في الثامن عشر من شهر رمضان سنة 1331 / 1913.

أحمد بن الأمين الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط* ؛ محمد بن أحمد بن المحبوبي، *علماء بلاد شنقيط ورحلات الحج في القرون الماضية*، منشورات جامعة محمد الخامس، الرباط، عدد 20، 1995.

الغالية بلعمش

الشنگيطي البيضاوي، محمد بن عبد الله الجكني اللمتوني ولد في بلدة "جوك" بمنطقة تگانت جنوب بلاد شنگيط سنة 1311 / 1892 في بيت علم وصلاح ينتهي نسبه إلى جاكان، جد قبيلة تجكانت. حفظ القرآن وتعلم مبادئ اللغة والإعراب والصرف والتاريخ وهو ابن إحدى عشرة سنة على أمه خديجة بنت البيضاوي دفينة المقبرة السهيلية بمراطس وجدته لأمه

فاطمة دفينة اسمارة، وأخواله محمد محمود دفين اكردوس وسيدي محمد وسيدي أحمد دفيني البقيع والطالب سهيد انـملان.

هاجر مع أخواله وأبناء عمه إلى اسمارة ونزلوا في جوار الشيخ ماء العينين بعد اشتداد الضغط الفرنسي على الجنوب المغربي، ومنها انتقل إلى مراكش سنة 1326 / 1908، فصار من حاشية السلطان مولاي عبد الحفيظ واستكمل تكوينه في مراكش وفاس على يد مجموعة من الشيوخ، منهم الشيخ محمد الأغظف بن الشيخ أحمد الولاتي وأبناء عمه أولاد مايابا وسيدي أحمد بن الخياط والفقيه المهدي الوزاني وأبو شعيب الدكالي وغيرهم. بعد توقيع معاهدة الحماية سافر مع أخواله وأبناء عمه إلى المشرق، فجاور بالأزهر الشريف وأخذ على مجموعة من علماء مصر مثل الشيخ سليم البشري ومحمد أبي الفضل ومحمد بخيت والشيخ الرداد الطرابلسي ومبارك الصعيدي. بعد تنازل السلطان مولاي عبد الحفيظ عن العرش مـرَّ بمصر في طريقه إلى الحجاز، فاستصحبه معه ومكث بالمدينة ثلاثة أشهر. ثم استصحبه بعد حجه إلى طنجة، فظل في خدمته إلى أن رحل عبد الحفيظ إلى أوربا، فانتقل الشنگيطي البيضاوي إلى تطوان يعلم ويتعلم الفرنسية إلى أن انتقل إلى بني ملال عن طريق طنجة للكتابة والترجمة. تولى مناصب كثيرة، منها : تحرير جريدة *السعادة* بالرباط ابتداء من أكتوبر 1920، وعضوية مجلس الاستيناف الشرعي بالرباط والقضاء في قبيلة بني عمير من 1921 إلى سنة 1926، ثم وادي زم من سنة 1926 إلى 1932، وأخيراً ولي باشوية تارودانت من سنة 1932 إلى 1945.

وهو من الشعراء المتميزين والكتاب المرموقين في زمانه، ومن أشهر آثاره :

- بعض الأحكام الشرعية في العقار والمواريث، مخطوطة.
- بعض المقالات النقدية حول الشعر، نشرت في مجلة المغرب.
- أشعار متنوعـة معظمها منشور بجريدة *السعادة*، وقـد تـم جمع هـذه الأشعار وإخراجها في ديوان يجمع بين إنتاجه الفصيح والحساني وتحقيقها علي يد كاتب هذه الترجمة.

توفي سنة 1365 / 1945 بعد مرض عضال ودفن بمراكش بمقبرة باب أغمات.

محمد المختار السوسي، *خلال جزولة*، ج 4، ص. 157 - 159، تطوان، د. ت، 1، ص. 196 ؛ عبد الله الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين*، الرباط، 1391 / 1971 ؛ معالم مغربية، ص. 140، ط 1، 1991، الرباط ؛ محمد الظريف، *ديوان العلامة الأديب محمد البيضاوي الشنگيطي*، جمع وتحقيق، سلا، 2000.

الشيخة يوحانيدو، ولدت في صفر عام 1304 بمضارب والدها الشيخ ماء العينين بالساقية الحمراء. نشأت في صيانة وأدب وديانة، فقرأت القرآن على أمها السيدة هند حتى حفظته، وحفظت عليها كثيراً من المتون. كما قرأت على أبيها بعض العلوم، اشتهرت بالصلاح والعبـادة والزهـد، فكانت لاتفتر عن الذكر وتلاوة القرآن والصلاة على الرسول (ص)، كما كانت لها مشاركـة في كثير من الفنـون وضبط وحفـظ لمجموعة من المتـون، تنقـلت في عدد من الأماكن في بلاد سوس رفقة حرم والدها الشيخ ماء العينيـن وشقيقها الشيخ النعمـة وبقية تلاميذها ومتعلقاتها الضعاف، فسارت فيهم بسيرة أبيها وأخيها.

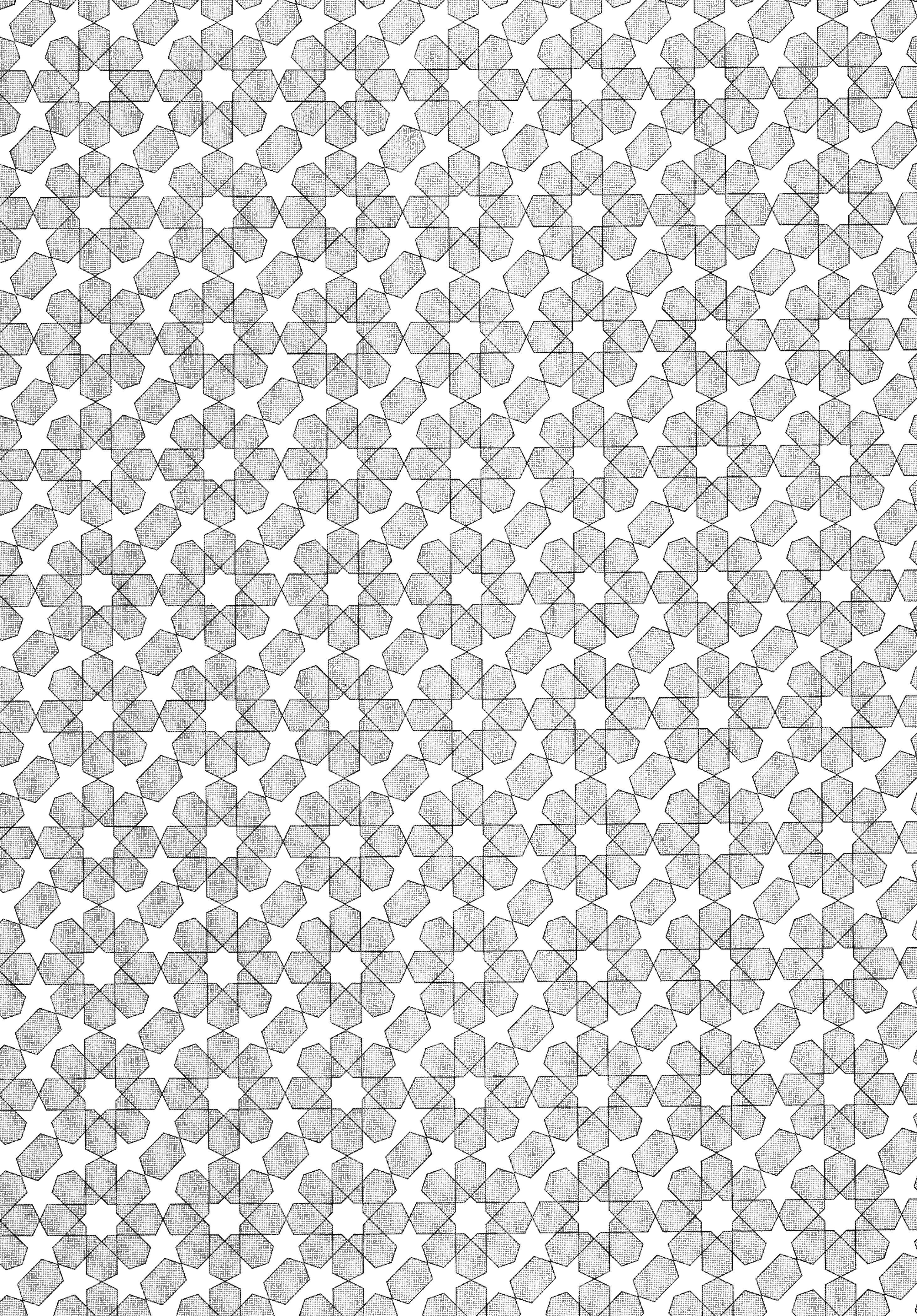
استقرت بآيت الرخا وأسست بها زاوية على غرار زاوية والـدهـا بالسمارة، فكـانت الوفـود تتوالي عليهـا من مختلف جهات المغرب من فاس والرباط والدار البيضاء ومراكـش وغيرهـا قصد التبـرك بزيارتـهـا والتمـاس دعواتـهـا.

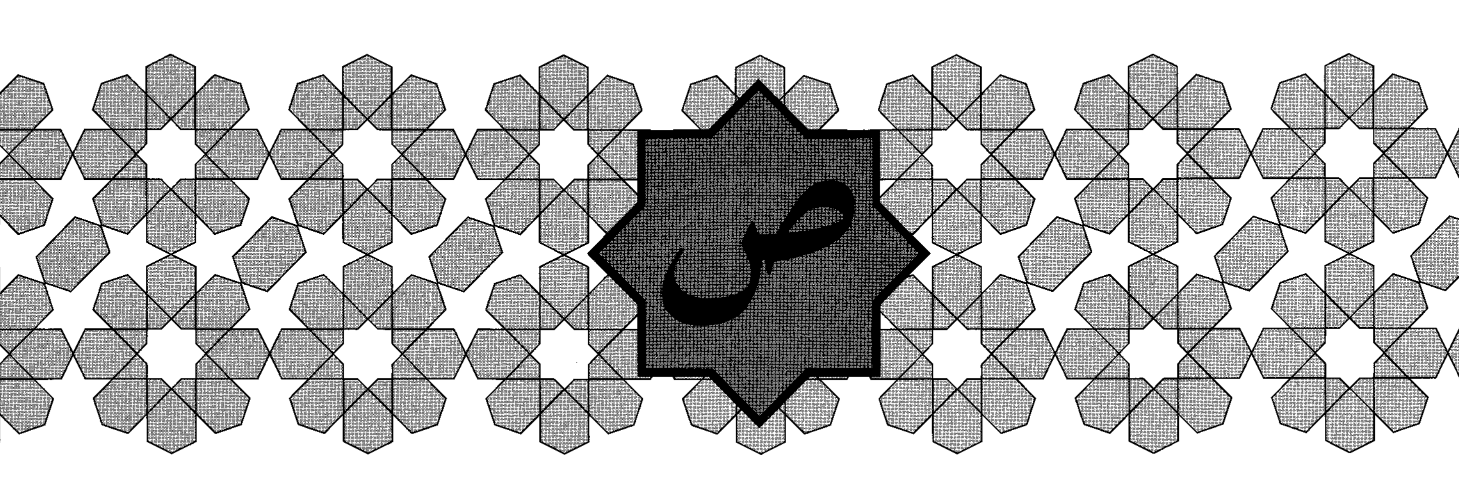
تزوجت من العلامـة السيد مفتاح بن مامين، وله منها ذرية ماتـوا صغاراً، ثم تزوج بها الأديب العلامة آبَّ بن عبد الإلـه.

توفيت بتزنيت عشية الخميس 17 ذي الحجة عام 1388 ونقل جثمانها إلى الزاوية التي كانت تتولى الإشراف عليها بآيت الرخا. ورثاها عدد كبير من الشعراء منهم ماء العينين يحجب ومقدم زاويتها الصوفي السيد عبد الرحمان بن مثال وغيرهما.

ماء العينين بن العتيق، *سحر البيان*، ورقة 144، نسخة مخطوطة ؛ ماء العينين مربيه ربه، *إثبات علماء الصحراء*، ورقة 186، مخطوط.

محمد الظريف




ص

الصحراء في تاريخ المغرب، للصحراء في تاريخ المغرب وقع تتجلى أهميته من أول وهلة، إلا أن كل محاولة لتقويمه بنوع من الدقة ينذر بإيقاع المؤرخ في مزالق الحتمية الجغرافية، لاسيما وأن الأمر، كما هو الحال في السطور التالية، لا يهدف إلى الإلمــام بجزئيات تاريخ الصحراء بقدر ما يهدف إلى ذكر بعض أسباب عمل الصحراء المستمر في تاريخنا.

لكن كيف السبيل إلى إثارة الانتباه إلى وزن التاريخ، الذي هو تحليل لأعمال الإنسان في مجتمعه وفي بيئته، في منطقة تقوم فيها الجغرافية التي هي قبل كل شيء تحليل للمعطيات الطبيعية بدور يستحيل معه غض الطرف عما كان لتلك الأرض حتما من التأثير على الجماعات البشرية التي استقرت بها ؟

وحيث إن غايتنا تنحصر عند ذكر التاريخ من خلال تموّجاته العريضة، فإننا على العكس سوف نعمل على تجنب أفات الحتمية بإبراز دور الإنسان وإثبات أن التاريخ كان بالصحراء أيضا أقوى من الضغوط الجغرافية بالرغم من سطوة المظاهر. ولقد سبق لبعض علماء الجغرافية وفي طليعتهم المدرسة الفرنسية، أن بينوا بما لا مزيــد عليه من البيــان، أن تأثير البيئــة على الإنســان لا ينفصل عن تأثيــر الإنسان على بيئتــه. مما يترتب عليه أن مقدمة كل تحليل جغرافي هي بالضرورة كتابة في التاريخ وأن كل تحليل تاريخي لابد وأن يتقدمه ذكر للحتميات الجغرافية. وهكذا تدور إشكالية تاريخ المغرب بالنظر إلى الصحراء حول معرفة أسباب تغلب الإنسان على قوانين الطبيعة الصحراوية بعد أن أتى عليه حين من الدهر كان يبدو خلاله مغلوبا للصحراء خاضعا لقساوتها. وتلك الصحراء التي كانت أرضا لا تخضع لملكية أحد وكانت خلاء عاريا من كل سيطرة، كيف تحولت بها الظروف التاريخية حتى أصبحت اليوم مفصلة مجزأة تحسبها رقعة من مطلق رقع الشطرنج ؟

- الرموز اللغوية

لقد استعار العرب كلمة "إقليم" من اليونان للدلالة على الناحية العريضة أو المنطقة المتميزة المترامية الأطــراف. كــان المعنى اليونــاني للكلمــة يوحي بانحنــاء أشعة الشمس على سطح الأرض وبما يترتب عليه من الاختلاف في المناخ. ولقد احتفظ العرب بهذا المعنى ضمنيا كما تدل على ذلك كتبهم في الجغرافية، وجاءت كلمة "إقليم" مواتية لنعت الصحراء التي أول ما يميزها شدة الطــقس في الحر والــقر. على أن اللغة العربية كانت قد وضعت، قبل احتكاكها باليونانية، ما به تعبر بالبديهة عما تبدو عليه الصحراء لأول نظرة خلاء لا حد له وإشعاعا شمسيا لا يطاق. فمادة "ص ح ر" حسبما ورد في كتب اللغة، لها أصلان أحدهما البراز من الأرض، والأخر لون من الألوان، فمن الأول الصحراء وهو الفضاء من الأرض ومنه لقيــته صحرة بحرة إذا لم يكن بينك وبينــه ستر، والأصــل الثاني الصحرة وهو لــون أبيض مشــرب بحمــرة، وكلا الأصلان يوحــي بما يتبادر إلى الرؤيــة منها أول الأمــر، الامــتداد والعراء والغــبرة ولونها الأصحر، وكان يقال أصحرته الشمس بمعنى أصهرتــه، وفي المجاز لا تصحر أمــرك أي لا تظهره.

واستعمل العرب كلمة "بادية" وهي من مادة "بدو" وهو أصل واحد بمعنى ظهور الشيء، قــال ابن فــارس : "وسمي خلاف الحضر بدوا من هذا لأنهــم في بــراز من الأرض وليســوا في قــرى تسترهم أبنيتها"، ومنــه في المجاز "بــدا لي" أي ظهر بمــا في ذلك من إعمال النظر والخيال.

واستعمل العرب أيضا مادة "ب ي د" وهو أن يؤدي الشيء، وهو مخالف للمادة السابقة بما يفيد من معاني الغياب والهلاك، والبيداء عندهم هي المفازة، وفي لفظ المفازة ما فيه مما يوحي بالمعاناة والتغلب. وتستخلص معان مماثلة من كلمة "الفلاة" التي تنطوي على ما يفيد البحث الحثيث والمتريث وقطع القفار مع احتمال عدم الإفلات من مخاطرها.

ومن شأن الألفاظ والطوبــونوميا البربرية ولا ريب أن توحي بإيحاءات مماثلة. وإن اللجوء إلى الإيتمولوجيا في هذا المجال ليس ضربا من العبث، لأن المصطلحات دليل قائم على قدم سيطرة الإنسان على بيئته. وما التسمية إلا رمز لامتلاك المسمى، فما كانت الأعلام

الجغرافية توضع لغوا بل كثيرا ما كانت تفيد تفاعل الإنسان والطبيعة القاسية، والأمثلة السابقة ناطقة من تلقائها بجهود الإنسان المغربي في الصحراء.

ـ الصحراء في تاريخنا

إذا ما وقفنا عند الأزمنة التاريخية وغضضنا الطرف عن عالم ما قبل التاريخ لعدم الاختصاص، وإذا تجنبنا كل محاولة للتجزئة أو التمييز بالحدود في إقليم كان لا يعرف معنى للحدود، فبوسعنا أن نجزم بدون هذر ولا مبالغة أن مفعول الصحراء في تاريخنا كان شاملا عميقا غير منقطع، فإنه كان شاملا من حيث ما كان له من التأثير من جميع الآفاق الجغرافية، وإنه كان عميقا من حيث ما كان له من الفعل في مجال الاقتصاد والاجتماع وأيضا في المعنويات التي هي نسيج التاريخ، وكان غير منقطع لأنه كان وما زال بالرغم من اختلاف الظروف يتحكم في مسارنا السياسي.

1) شمولية المفعول

لا يعني المؤرخ ولا رجل السياسة ولا بالأحرى الجغرافي أو عالم الاقتصاد أو السوسيولوجيا أن يلم بمدى انتشار سلطان المغرب بالمناطق الصحراوية بقدر ما يعنيهم هاهنا أن يتذكروا أن الصحراء من أقصاها إلى أقصاها قد أثرت أثرا قويا على وطننا وأنها ملأت صفحات تاريخنا طولا وعرضا. لقد جرى تعمير المغرب بشريا من دروب الشرق والجنوب الشرقي، وعبر الواحات التي تتخلل تلك القفار. وان أول ما استوطن بهذه الديار قبائل ليبية بالمعنى الأصلي للكلمة لدى قدماء الجغرافيين، ثم جاء بعدهم ابتداء من القرن السابع الميلادي قبائل العرب بكل ما في هذه الكلمة كسابقتها من المضامن المتنوعة. وفي رفقة هذه القبائل وتلك، هاجر إلى المغرب في ظروف متباينة أقليات لجأت إلى أقصى الغرب فرارا من قلاقل المشرق ومما كان يجري فيه من التناحر. وهكذا دخل البلاد جاليات من اليهود، وتثبت مجموعة من القرائن أن أقدمهم بالمغرب هم الذين كانوا مستوطنين السفوح الجنوبية للسلسلة الأطلسية، وكانت الصحراء منذ أقدم العصور طريقا مباشرا يربط بين المغرب والقارة الأسيوية، وكان القدماء على ما نقل اسطرابون "يدعون أن المورسيانيين (سكان الغرب القدماء في الاصطلاح اليوناني الروماني) هم هنود جاؤوا إلى هذه البلاد".

ومن البديهي أن الصحراء كانت بالأحرى صلة الوصل بين أفريقيا الشمالية وإفريقيا السودانية، يوم كانت خضراء مروية أو بعد أن أصابها الجفاف والوحشة، وأن الإنسان كان لا ينفك يعبرها من الشمال إلى الجنوب ومن الجنوب إلى الشمال بدلائل متعددة أبرزها للعيان انصهار الجنس السوداني في الساكن المغربي منذ سالف العصور، يشهد بذلك پلينوس الشيخ واسطرابون وآخرون من الكتاب القدماء، إضافة إلى الدلائل اللغوية التي منها على سبيل الاستئناس لفظتا "گانا" و"گينيا"، وأصلهما واحد من الكلمة البربرية "أگناو" ومعناه العجم، وفي اللهجات السودانية إلى يومنا كلمة للتعبير عن عيد الأضحى وهي "تابسكي"، من اللفظ الروماني Pascua، الذي يعني العيد، نقلته الأمزيغية إلى قلب القارة، والحالة هذه فإن القوافل كانت ذاهبة جائية تحمل بين ضفتي الصحراء من كل فن بطرف ومن كل بضاعة بمقدار.

2) عمق المفعول

لا يمكن استكناه التشكيلية الاجتماعية المغربية ولا المعنويات ولا اقتصاد المغرب دون قياس ذلك كله بتأثير الصحراء.

1) - فعلى الصعيد الاجتماعي، إن سيطرة البنية القبلية وقدم ثبوتها لا ينفصلان عن ظروف الحياة بالصحراء، ذلك بأن العيش في الخلاء يقتضي أولا وقبل كل شيء أن يكون الإنسان قادرا على التنقل بخفة وسرعة، والتشكيلية الاجتماعية التي تناسب عيشا قائما على دؤوب الحركة هي التشكيلية القبلية، وأن القبيلة تضمن للفرد وللجماعة على حد سواء نصيبا معقولا من الأمن والسلامة بما تضمن من حرية المبادرة والقدرة على مواجهة الطوارئ. ولذلك كانت تلك الحياة القبلية مطبوعة بأشد التناقض، إذ كانت في آن واحد مبدأ للحفاظ بل ولروح المحافظة ووسيلة للانتقال وإذن للتحول. وكانت القبيلة أرضية للمشاركة وللتضامن وكانت أيضا منهلا لروح الفردية والأنانية البدائية. وكانت تلك الحياة بالتالي تواكب عنف تقلبات الحرارة في اليوم الواحد، تصعد الدراجات إلى 50 فوق الصفر وقت القيلولة وتهبط إلى الصفر و50 تحته وقت السحر.

ولقد أشار ابن خلدون منذ عدة قرون إلى أوصاف رجال الصحراء فأثبت أن الذي يميزهم هو أنهم على الفطرة الأولى، التي تتركب من زهد في هوى ومن سذاجة في إقدام، وهي مرحلة نفسانية مرموقة تكون المشاعير فيها والعواطف على ما وضعها الله في الإنسان، وتلك الفطرة هي التي نزل الإسلام مرشدا لها ليقودها إلى الأمجاد، والإسلام هو الذي ذللها وملك بها البلاد والعباد، والإسلام دين الفطرة من حيث هو وعي المؤمن بمقدراته في هذه الحياة الدنيا ووعيه بأن المصير هو الآخرة، والإنسان في فضاء الصحراء مؤمن بالسليقة كما أوضح ذلك ابن خلدون. ولذلك تحولت الحركية الغريزية في أهل الصحراء باكرا إلى تجند لا يضاهى، وركب التوحيد روح العصبية القبلية فانشأ بها في ديارنا قواعد الدولة المغربية، وقليلا ما يخالف الشرع الأمر الوجودي كما قال ابن خلدون.

ب - أما بخصوص الاقتصاد فكيف لا تقاس المساحات الشاسعة من النجود القاحلة بسيطرة القطاع الرعوي على باقي القطاعات الفلاحية وبسيطرة التجارة على الصناعة وضمن القطاع التجاري نفسه بسيطرة أساليب الرسمال الريعي على باقي وسائل التراكم.

إن النجعة الدائبة تبوئ تربية الماشية المكانة الأولى في الإنتاج بالضرورة، والايتمولوجيا مرة أخرى ترشدنا إلى ذلك من خلال كلمة "مال" وهي من "مول"، إشارة إلى الثروة والتكسب، وأيضا إلى الانتقال والتفويت، وبديهي أن الماشية هي عنوان المال المتنقل بالطبع، وكانت في بعض المجتمعات العتيقة هي عنوان الصرف

والعملة، وكانت إضافة إلى ذلك تساعد على التنقل وتزود الإنسان من مواد الكن والتغذية. ولذلك كانت الفلاحة في الصحراء منحصرة عند إطار الواحات الضيق وكان من المفروغ منه أن تسد الحاجات الغذائية لقبيلة أو لفيف من القبائل بالأحرى، فكانت القبائل ملزمة بالتنقل من واحة إلى أخرى، وكان الاستقرار بالصحراء ضربا من الضياع، ولذلك كان لا يستقر إلا الأقليات الشاردة أو الجماعات الدخيلة التي مزقتها الظروف وساقتها الأقدار إلى تلك الجهات، حيث تكون سياسيا عالة على قبائل الإقليم بقوة الفعل أو بالعرف، وتجد نفسها مضطرة إلى التكسب لا بالنجعة لقلة أفرادها ولكن بالاعتماد على سواعدها وخبراتها اليدوية، فتتعاطى الزراعة التي هي حرفة البادية الأولى أو السكافة التي هي صناعة كل جماعة مستقرة قلت أو جلت، وكان من اللازم على الجماعة المستقرة بالواحات أن تحتمي بمن يضمن لها أدنى شروط الأمن والاطمئنان، مما يستخلص منه أن النظام الاجتماعي لم يكن جامدا وأن الحركية الأفقية كانت سبيلا إلى الحركية العمودية وكان ذلك من شروط الحياة السياسية.

ج) - لا عجب على الصعيد السياسي من ارتباط أصول الدولة المخزنية المغربية بالصحراء، ومقدمة ابن خلدون غاية ونهاية في هذا المضمار. فإن قساوة العيش في القفار تجعل من سكانها جنودا بالسليقة، والتشكيلية القبلية وروح العصبية تجعلان من كل قبيل جيشا قائما بالطبع ملتحما من أول نشأة، ولما كانت حرية التنقل وسرعة التحرك هما أساس كل فوز عسكري فإن الذي يفقدهما أو ينزوي ناحية من النواحي منقطعا عن البادية يكون حتما معرضا للهلاك في العاجل أو الأجل.

فلا بدع أن تكون الدول التي حكمت المغرب قد صدرت من ا لصحراء أو زحفت من تخومها. لقد جاء الأدارسة وبنو مرين والعلويون من جهة الجنوب الشرقي وجاء المرابطون والموحدون السعديون من جهة الجنوب الغربي، وتسلسلت مراحل التاريخ السياسي بالمغرب بحسب وتيرة اندفاعات قبلية كبرى، نلم بمضاعفاتها أكثر مما نلم بأسبابها الأولى، وكأن الصحراء كانت ترمي السهول الأطلسية المغربية الخضراء بالفائض من سكانها كلما ضاقت بهم تلك الفيافي بما رحبت. أو هكذا جرى بالتقدير إلى حدود القرن السابع عشر من الميلاد، عندئذ تقلد العلويون مسؤولية قيادة الدولة المغربية، وكان أن عجزت أية قوة قبلية من الصحراء أو من غير الصحراء أن تنافس شرفاء تافلالت أو أن تنازعهم الحكم بأدنى حظ من النجاح، ذلك بأن أحداثا جساما وقعت آنذاك في تاريخ المعمور وكان لها عملها المباشر في الصحراء على مناعتها الطبيعية وامتداد آفاقها.

المنعرج التاريخي للقرن السابع عشر (م)

من المعلوم أن الأمير البرتغالي هانريك المدعو بالملاح، (بالرغم من كونه لم يركب البحر أبدا)، بعث ذات يوم في القرن الخامس عشر ببعض الكرابلات البرتغالية نحو شواطئ المغرب الصحراوي وصوب ما وراء ذلك من شواطئ السودان. ومن المعلوم أيضا أنه كان أول الأمر لا يبحث سوى عن خطة لضرب الإسلام الغربي في شخص الدولة المغربية من الخلف، أي من الجنوب، وكان القصد من ذلك أن يميل ميزان الصراع القائم بين الإسلام والمسيحية لفائدة حملة الصليب دفعة واحدة. ولئن باءت الأهداف الصليبية بالفشل في حينها، فإنها أتاحت مع ذلك أمام أوربا أبواب الغزو المركانتيلي على مصاريعها وأضحت من يومئذ شواطئ إفريقيا من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب ميدانا محتكرا للأساطيل المسيحية، وأصبحت الصحراء المغربية مهددة بأقوى سلاح بل ومطوقة من الغرب والجنوب. وكان من عبقرية أحمد المنصور الذهبي أن أدرك أبعاد ما غدا يحدق بسلطان المغرب من الأخطار، فحاول أن يحتفظ له بسابق نفوذه على حوض النيجر، ولكن المحاولة ما كانت إلا لتبوء بالفشل لوقوع أسباب المنافسة والمضايقة الأوربية فيما وراء البحر بعيدا عن متناول السلاح المغربي.

وهكذا أخذت المبادلات عبر المحيط تجتذب بل وتدمج في حركة أساطيلها المبادلات بالقوافل عبر الصحراء حيث انقلبت خطوط التجارة رأسا على عقب وأتت الكرابلة بعد حين على القافلة التي أصبحت منذ القرن السابع عشر في حالة احتضار. وإن لم تندثر من حينها فما ذلك إلا لكون الحضارات التي كتب عليها الفناء هي كذلك لا تموت إلا بعد طول الاحتضار. وكان على الرسمال الصناعي الأوربي يوم شب وترعرع أن يوجه الضربة القاضية للرسمال الريعي العتيق الذي أشرنا إلى ما له من الاتصال بالعيشة البدوية. وسرعان ما تحولت السيطرة الرسمالية الصناعية إلى غزو واحتلال بالاستعمار، ففي الوقت بالذات الذي أخذ الأمراء العلويون يمهدون فيه لدولتهم بالمغرب، كانت الأساطيل التجارية الفرنسية تحتل ميناء سان لويس بالسنغال وقلعة باستيون فرنسا شرقي الجزائر، منذرة بما تمخض عنه التاريخ قرنين بعد ذلك من حملات فيدرب وبوجو التي تم بواسطتهما تطويق المغرب من الشرق والجنوب.

من الواجهة الصحراوية إلى الواجهة الأطلسية

لقد أصبح القانون الذي كان ابن خلدون قد استنبطه لقراءة تاريخ المغرب بشيء من المنطق قانونا لاغيا منذ اعتلاء الدولة العلوية عرش البلاد، وإن كان الأمراء العلويون هم كذلك عريقو الأصول الصحراوية إذ مهد أمجادهم من جهة الرجال هو إقليم تافلالت. وحيث إن السلسلة الملوكية تنسلت من لالة خناثة بنت بكار المغافري وهي زوج المولى إسماعيل، وكانت المغافرة إحدى قبائل معقل العربية المستوطنة بالساقية الحمراء، فإن العلويين ورثة التركة السياسية الصحراوية في المغرب. وعندما اختلت جميع الموازين بالقبائل الصحراوية غداة القرن السابع عشر من جراء الهزات الإمبريالية، فإنها أضحت عاجزة عن أدنى تدخل فيما كانت تسميه "المغرب" إشارة إلى السهول الأطلسية شمال الجبال. وغدا من اللازم إيجاد حلول أخرى والسعي في مقاييس جديدة، وكان ذلك من وظائف الدولة

العلوية التاريخية، فإنها وجهت عنايتها صوب الشواطىء الأطلسية ومال المغرب رويدا رويدا بقيادتها في ذلك الاتجاه لما أصبح يلوح بتلك الآفاق من التحديات الجسام. ولقد أدرك السلطان سيدي محمد بن عبد الله أن جنس الدواء من أصل الداء. وكانت أوربا في عهده، وهو النصف الثاني من القرن الثامن عشر، ما زالت لم تبلغ بعد ما تأتي لها من التفوق والغلبة، وكانت الدولة المغربية ما زالت تحتفظ نوعا ما بحرية المبادرة، ففي تلك الظروف المتميزة أقدم سيدي محمد بن عبد الله على تأسيس ميناء السويرة وجعله صلة وصل مضبوطة بين صبيب ما تبقى من القوافل الصحراوية وبين التخوم الجنوبية للسهول الأطلسية التي أصبحت منتجاتها هي أهم ما يعنى به تجار أوربا. ثم بعد السويرة أمر سيدي محمد بن عبد الله بفتح ميناء الدار البيضاء أمام الملاحة الأوربية لتصدر منه الحبوب في مقابل حاجيات المغرب من العدة والذخيرة العسكرية، بل ذهب الحال به إلى إصدار أمره لوزيره، مؤرخ الدولة أبي القاسم الزياني، بالعمل على تجنيد مجموعات من شباب آيت عطا الصحراويين بقصد تدريبهم على ركوب البحر، وتلك محاولة تدعو لا محالة إلى الاستغراب، إلا أنها لا تخلو من الدلالة على ما كان يومئذ يشغل بال الدولة. وهكذا مال مركز ثقل المغرب الذي كان يدور حوله من ناحية الصحراء إلى نواحي الشواطىء الأطلسية، وإن لم تبق الصحراء هي الرائد المباشر لتاريخنا فإن مصير أمتنا، دولة وشعبا، ظل مرتبطا بالأوضاع في الصحراء بالرغم من تقلب الأحوال.

من صحراء تاريخنا إلى تاريخ صحرائنا

لقد انتقل المغرب بثقله كله إلى الشواطىء الأطلسية لحاجة الدفاع عن حوزة التراب أول الأمر، ثم تحول إلى تلك الجهات من جراء جاذبية المركانتيلية الأوربية، فأصبح المحيط الأطلسي هو العامل في تاريخنا خلفا عن الصحراء التي أصابها الاختناق بالتدريج، وتغافل عنها الإفرنج مؤقتا وإن ظلوا يحلمون بكنوزها طيلة العصر الحديث. والواقع التاريخي هو أن المجتمع الصحراوي كان يعاني من الفاقة وضيق العيش أواخر القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر، يشهد بذلك بعض القرارات السلطانية مثل ظهير المولى سليمان (1792 - 1822) الصادر لأهل توات سنة 1808 بإعفائهم من جميع الكلف المخزنية، أكده المولى عبد الرحمان (1822 - 1859) بظهير مماثل في منتصف عهده.

وكانت نقطة التحول في تاريخ الصحراء هي سنة 1845 حيث أبرمت اتفاقية الحدود بين المغرب وبين السلطات الفرنسية بالجزائر، وكانت تلك الاتفاقية دليلا على أن فرنسا أصبحت شريكة لنا في الصحراء بالقوة قبل الفعل، اعتمادا على الفصل السادس من الوثيقة بالرغم من صيغته المبهمة بل وبفضلها الذي جاء فيه : "إن الأرض التي قبلة قصور الفريقين في الصحراء لا ماء فيها فلا تحتاج للتحديد لكونها أرض فلاة". لكن تلك "الفلاةُ أجحظت عيون المستعمر الفرنسي منذ ذلك الحين فأصبح يمهد ويناور لضمها إلى الجزائر المحتلة. واستطاع السلطان المولى الحسن أن يحبط تلك المناورات بمجرد قيادة "الحركة المخزنية" بنفسه إلى كل من وادي نون وإقليم تافلالت. فأفسدت فعلا الجهود الفرنسية التي كانت ترمي إلى احتلال واحات توات سنة 1892، وتأجل الغزو الاستعماري إلى ما بعد وفاة السلطان ولم يدخل الجيش الفرنسي قصور إين صالح إلا في نهاية سنة 1899، مما دفع بوكيل فرنسا من جهة الجنوب الغربي، وهو المدعو كوپلاني Coppolani، إلى وضع الحيلة القانونية للنيل من سلطان المغرب هناك حيث أخرج كلمة "موريطانيا" الرومانية من مدفنها وجعلها اسما لما انتزعه الجيش الفرنسي من الإيالات المغربية الجنوبية، وتمت بذلك أحلام هانريك الملاح وغدت الصحراء صنيعة للتاريخ بعد أن كانت فيما مضى هي التي تصنعه.

الصحراء والحدود

وحدث ما لم يكن في الحسبان من إدخال الحدود على ما لم يكن قابلا للحدود، وتجزأ المجال الصحراوي الفسيح وجرى تفصيله وتوزيعه من أعلى أرائك الوزارات الأوربية الوتيرة اعتمادا على خطوط الطول والعرض واستخفافا بالتاريخ، فأصبح جزء من الواجهة الأطلسية من الصحراء المغربية من نصيب إسبانيا وأطلق عليه لعزله عن الأصل عبارة "الصحراء الغربية" بل "والصحراء الإسبانية" استخفافا هذه المرة بالجغرافية. أما قلب الصحراء الغربية الحقيقية الذي يمتد من الشواطىء الأطلسية إلى جبال الهگار من الغرب إلى الشرق، ومن الأطلس الكبير إلى ضفاف نهر النيجر من الشمال إلى الجنوب، فإن أمر التصرف في مصيرها ترك لفرنسا "ليجرب ديك الغال صياصيه فيها"، على ما نسب من هذه القولة لوزير خارجية إنجلترا آنذاك اللورد سالسبري Salisbury، مما يذكر بما كان لهذه الدولة من اليد العليا آنذاك، وكانت غايتها الأولى بالشمال الإفريقي أن لا يهدد حركة أساطيلها بتلك المياه أي أسطول يضاهيها. ولذلك أبعدت فرنسا بالتي هي أحسن من مضيق جبل طارق، كما أبعدتها من المجاز البحري الذي يفصل بين الجزر الخالدات وبين شواطىء الصحراء المغربية، وكان ذلك المجاز ومازال مضيقا هو الآخر تمر منه المبادلات بين بحار الشمال البادرة وبحار الجنوب الدفيئة، وأسندت لإسبانيا شواطئنا على الأبيض المتوسط لأنها كانت عاجزة عن مناهضة قوة الأسطول الإنجليزي. وهكذا جرى تقطيع الصحراء الغربية بين أقطاب الاستعمار على الخرائط أولا ثم بمفعول السلاح بعد حين.

ولكن وكما أن الدول العظمى تجاهلت حقوق المغرب بالاعتماد على القوة الغاشمة، كذلك يجوز أن نقول إن الشعب المغربي تجاهل من وجهة نظره تقسيمات الاستعمار بالاعتماد على الإيمان بالحق، فإن المقاومة ما فتئت تشهر السلاح ضدا على العدوان، سلاح الدفاع الغريزي عن حوزة الوطن بالمعنى الأصلي لكلمة وطن،

ثم سلاح المناهضة بالكتاب والخطاب وتوحيد الصفوف، وأخيرا سلاح القتال الشامل روحا وجسداً بجهاد منسق على جميع الجبهات، مما أرغم الاستعمار على التقهقر.

وانسحب المعمرون، لكنهم خلفوا وراءهم براثين الاستعمار التي منها تجزئة الصحراء بالحدود الصلبة، وسرعان ما ظهرت تلك الحدود على حقيقة ما وضعت لأجله، مسارب تتسرب منها أسباب التنافس والتناحر بين أشقاء الأمس لفائدة الإمبريالية المهيمنة. وتحولت الحدود داخل الصحراء إلى "واجهات" ديبلوماسية وعسكرية مثبطة، وكلما اشتد التشاجر بين الوحدات السياسية الناجمة عن التقسيمات الاستعمارية إلا وكان ذلك وسيلة لإحكام خضوعها لمن يصنع القذائف والمدافع.

وبادر المنتدى الإفريقي إلى الإعلان، غداة أول نزاع ساخن بين المغرب والجزائر سنة 1963، بأن لا مساس بالحدود الموروثة عن الاستعمار، وكان ذلك أوضح دليل على أن إفريقيا ظلت بالرغم من الاستقلال السياسي مغلوبة على أمرها. وكان خيرا بأقطابها أن يدعوا إلى تجاوز الحدود وإقامة الكتل السياسية المنطقية من أن يلوحوا بتجميد الحدود، لأن الحدود واجهات سياسية ومتى كانت الواجهات السياسية عنوان الاستقرار ؟ ولذلك ما زال تاريخ الصحراء قابلا للأخذ والرد.

إن الصحراء التي كانت فيما مضى "إقليما" بالأساس، مع ما توحي به الكلمة من أشكال الكينونة والصيرورة، قد أضحت اليوم مجرد سلسلة من العمالات، يسعى المسؤولون والخبراء في أنسب السبل لدمجها في المجموعة الوطنية بعد طول انفصالها عنها من جراء الاستعمار.

والتاريخ يثبت أن الصحراء كانت إلى حين الغزو الاستعماري هي العامل الرئيسي في إلحاق أقطار المغرب العربي بعضها ببعض، ونأمل مخلصين أن تعاد هذه الحقيقة إلى الأذهان وأن يتذكر أبناء إفريقيا الشمالية أن الصحراء كانت ويجب أن تبقى صلة الوصل بيننا لنواجه بصف متراص عدونا الحقيقي الذي يحمل اسما واحدا وإن تعددت له الوجوه.

الزمخشري ابن فارس، *أساس البلاغة ومقاييس اللغة* ؛ ابن خلدون، *المقدمة*، غربي العربي، *تافلالت في القرن 17* (بالفرنسية).

Roget, Raymond, *Le Maroc chez Les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; Martin, A, G, P, *Quatre siècles d'Histoire marocaine*, Paris, 1923.

إبراهيم بوطالب

صحراء المغرب، مجلة أسبوعية أسسها الزعيم علال الفاسي في 6 مارس 1957 للدفاع عن حدود المغرب الطبيعية والتاريخية. وكانت منبراً حراً لكثير من الكتاب والصحفيين المغاربة الذين تتبعوا من خلالها الأحداث السياسية والعسكرية التي عرفتها الصحراء المغربية خلال سنتي 1957 - 1958، وعلى الرغم من قصر مدة نشرها، فهي تحتوي وثائق ونصوص تاريخية وأدبية مهمة حول أقاليم المغرب الجنوبية يعز الحصول عليها في المكتبة المغربية.

محمد الظريف، *الحياة الأدبية في زاوية الشيخ ماء العينين*، ص. 497، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه لأحياء التراث والتبادل الثقافي، 2003، ط 1، مطبعة بني يزناسن، سلا، 2003.

محمد الظريف

الصحراء المغربية، استعمل ابن خلدون لفظة الصحراء بمعنى المكان الخالي من العمارة، واستعمل كلمة القفر للدلالة على الصحراء كما هي في اصطلاحنا اليوم. كما استعمل كلمة القفار الغربية للدلالة على صحاري المغرب الأقصى واستعمل قاصية القفر ومفازة العطش للدلالة على الصحراء الواقعة جنوب الزاب (*العبر*، 6 : 77). واستعمل القلقشندي، في معرض حديثه عن صحراء بلاد المغرب، كلمة الصحراء الكبرى للدلالة على القفر (*صبح الأعشى*، 5 : 152).

ويعد أهم مصدر وسيطي عن صحراء المغرب الأقصى وكل الصحراء الكبرى في عداد المفقود اليوم، والأمل كبير في العثور عليه، يتعلق الأمر بكتاب الرحالة المغربي أبي عبد الله محمد ابن فاطمة، الذي وصلتنا إشارات منه في نقول المتأخرين عنه كالبكري وابن سعيد وابن خلدون وغيرهم. ورغم ما وصلنا من معلومات عن المسالك الصحراوية ونقط الماء ومواطن القبائل الصحراوية فإنه يصعب على الباحث تحديد مجال امتداد صحراء المغرب الأقصى في العصر الوسيط. فهي عند البكري مجالات الملثمين (*المسالك والممالك*، 2/ ف 1435). وأولهما وادي تارگة، الذي هو الساقية الحمراء اليوم، وبعده تبدأ المجابة الكبرى (*المسالك والممالك*، 2/ ف 1430). وذكر نفس المؤلف في موضع آخر من كتابه أن نول لمطة آخر مدن الإسلام وهي في أول الصحراء (*المسالك والممالك*، 2/ ف 1425). أما عرض هذه الصحراء من الشمال إلى الجنوب فهو مسيرة شهرين (*المسالك والممالك*، 2/ ف 1430). وتجب الإشارة هنا إلى أن البكري جعل بلد الواح الداخل الواقع جنوب بلاد مصر آخر مدن الإسلام بالجهة الشرقية للصحراء الكبرى (*المسالك والممالك*، 2/ ف 1109) فتكون حدود بلاد الإسلام في الجزء الشرقي من الصحراء في أكثر المنطقة توغلاً في الجنوب مقارنة مع مثيلاتها في الغرب زمان البكري.

وقسم صاحب *الاستبصار* بلاد المغرب إلى قسمين وقال : "فمنها الصحراوية أو ما قاربها، والساحلية وما يليها". وتبتدئ الصحراء بالنسبة إليه في شرق بلاد المغرب على مرحلة أو نحوها من الساحل (*الاستبصار*، 3 و109). في حين تحد عند الإدريسي في الشمال بسلسلة جبال دائرية، أي بجبال درن، وفي الجنوب ببلاد السودان في الشرق بفزان وفي الغرب ببلاد لمطة وصنهاجة.

وصحراء بلاد المغرب حسب ابن سعيد من الإقليم الثاني (*الجغرافيا* : 124) وتشغل أربعة أجزاء منه. فبالجزء الأول والثاني، من الغرب إلى الشرق، أرض قنورية، وهي قمنورية عند الإدريسي، ثم أعالي أرض غانة، ثم مجالات زغاوة. وفي الجزء الثالث أرض ودان وعلى سمتها شرقاً أرض سنترية، وتسمى الواحات الداخلة. قال ابن خلدون : "وفي الجانب الأسفل منهما، أي من الجزءين الأول والثاني، صحراء نستر متصلة من الغرب إلى الشرق ذات مفاوز يسلك منها التجار ما بين بلاد المغرب وبلاد السودان" (*المقدمة*، 73). وقد وهم ابن خلدون هنا حين جعل صحراء نستر إلى الجنوب من الجزءين الأول والثاني، فهما إلى الجنوب منهما في الخرائط القديمة، حيث ترسم المواضع الشمالية في الجنوب والجنوبية في الشمال، كما هي الحال في خريطة الشريف الإدريسي، لكن الصواب أنهما إلى الشمال منهما.

وصحراء نستر هي صحراء بني ينتسر وهي المجابة الكبرى أيضاً عند البكري لأن بني ينتسر هؤلاء قوم من صنهاجة الرمال، كانوا يتنقلون في هذه المجابة في النصف الثاني من القرن 11/5 (*المسالك والممالك*، 2 ف 1430). وسمى القلقشندي صحراء لمتونة ببادية البربر وجعل حدودها بين طرف بلاد المغرب من الجنوب وبين طرف بلاد السودان من الشمال (*صفح الأعشى*، 3 : 229).

والصحراء عند الوزان هو ما كان يعرف عند بطليموس بليبيا. وقد قسمها على أساس إثني إلى خمسة أقسام: صحراء صنهاجة وتبتدئ عند المحيط غرباً وتمتد شرقاً إلى ملاحة تغزة، وتنتهي شمالاً في تخوم نوميديا أي إقليم سوس عند أقا ودرعة. وتسير جنوباً حتى أرض السودان عند مملكتي ولاتة وتنبكتو. الصحراء الثانية التي يسكنها شعب ونزيگة وتبتدئ غرباً من تخوم تغزة، وتمتد شرقاً إلى تخوم الأير، وهي البلاد الخالية التي يسكنها شعب تارگة وتتاخم شمالاً صحراء سجلماسة وتابلبلت وبني گومي، وجنوباً صحراء گير التي تناسب مملكة كوبر. الصحراء الثالثة التي يسكنها شعب تارگة، وتبتدئ عند تخوم الأير غرباً وتمتد إلى قفر إيغيدي شرقاً وتتاخم شمالاً مفازات توات وتيگورارين ومزاب، وجنوباً المفازات القريبة من مملكة أگدز. والصحراء الرابعة التي يسكنها شعب لمطة وتبتدئ عند إغيدي وتمتد إلى تخوم القفر الذي يسكنه شعب برداوة وتتاخم شمالاً قفار تگرت وورگلة وغدامس، وجنوباً حتى المفازات الممتدة حتى گانو مملكة بلاد السودان. وأخيراً الصحراء الخامسة التي يسكنها شعب برداوة تبتدئ غرباً من حيث تنتهي سابقتها، وتمتد شرقاً إلى قفر أوجلة، وتتاخم شمالاً مفازات فزان وبرقة، ممتدة جنوباً إلى تخوم مفازة بورنو. ثم قال أما باقي صحاري ليبيا، أي التي تمتد من أوجلة إلى النيل، فيسكنها الأعراب وشعب يدعى لواتة وهو إفريقي أيضاً (*وصف إفريقيا*، 2 : 148 - 158).

اعتمد المعاصرون في تحديد مفهوم الصحراء على الخصائق المناخية أو البيولوجية أو الصخرية، وتعددت آراؤهم في ذلك بتعدد تخصصاتهم. يبرز المناخ كأهم عنصر لرسم حدود المناطق الجغرافية، لأنه هو الذي يحدد طبيعة العناصر الأخرى التي يستند إليها للحكم على منطقة دون أخرى كالغطاء النباتي مثلاً (*Afrique Occidental*, p. 83) وتظل الحدود الطبيعية للصحراء الإفريقية غامضة وغير واضحة بسبب الاختلاف الواضح بين المعطيات الطبيعية للحافة الشمالية للصحراء والحافة الجنوبية لها. وقد ناقش Capot Rey هذه المسألة بإسهاب، وانتهى إلى وضع حدود تقريبية بالاعتماد على العناصر المناخية، فجعل حدود الصحراء عند قدم جبال درن، من المغرب الأقصى إلى طرابلس، وبهذه الأخيرة تنتهي الصحراء على بعد بعض عشرات الكيلومترات جنوب ساحل سرت، وفي الجنوب وادي السنغال وثنية النيجر ومنطقة إيندي بتشاد ؛ (*Le Sahara Français*, t. 1, p. 7-35 ; *Le climat*, t. 1, p. 17 ; *Sahara Oriental*, p. 43).

غير أن الحدود الجنوبية وكذلك الحدود الشمالية لهذه الصحراء غير واضحة المعالم، لأنها غير ثابتة وانتقالية وتختلف بحسب مزاحمة الصحراء للعمارة ومباعدتها (*المعجب*، 493). ومن ثمّ، فإن المرور إليها يكون بالتدريج. فهي تصل في الشمال الشرقي لبلاد المغرب إلى الهضاب الليبية وصحراء سرت وجبل نفوسة وشط الجريد وفي الشمال الغربي إلى السورة وسجلماسة ودرعة (*Sahara Oriental*, p. 42-43). وقد اقترح Capot-Rey الحدود الآتية للصحراء : في الشمال من الغرب إلى الشرق قريباً من خط 29 و15 دقيقة بگلميم إلى 34 و30 دقيقة بقفصة. وفي الجنوب تنحدر الصحراء إلى 19 برأس تيميريس وإلى خط 16 بكوروطورو Koro-Toro. وما بين قفصة وأگابس تصل المسافة 2000 كلم في حين أنها بين گلميم ونواكشط 1400 كلم فقط (*Les Limites du Sahara*, p. 47).

لم تتحسن معارف الأوربيين عن الصحراء إلا في الأزمنة المتأخرة. ففي العصور القديمة كانت كل مناطق بلاد المغرب تعرف عندهم بليبيا وكل المناطق الداخلية تعرف بإثيوبيا. وظلت معارفهم عنها مضطربة في الخرائط والأطاليس التي تعود إلى العصر الوسيط. ففي أطلس كطلونيا الذي أنجز سنة 1375 على عهد شارل الخامس Charles V من طرف اليهودي الميورقي Abraham Gresques وضعت كلمة "الصحراء" في منتصف الطريق ما بين جبال الأطلس وممالك السودان. وبعد ذلك بحوالي قرنين من الزمن حصر Ortelius منطقة الصحراء في خريطته التي أنجزها سنة 1570 بالمناطق الجنوبية لليبيا. والصحراء عند Williams Caesius الذي رسم رسماً للكرة الأرضية سنة 1622 هي المناطق الداخلية لليبيا، ونفس الشيء نجده في خريطة Bleau التي أنجزها سنة 1665، ومع الزمن تَمّ التخلي عن أسماء ليبيا ونوميديا ككلمات دالة على الصحراء الإفريقية عند

الأوربيين، واستعاضوا عنها بكلمات أخرى ككلمة الجريد (Le Sahara, p. 4).

واهتم الفرنسيون بالصحراء منذ القرن 19 الميلادي، بدليل العدد الكبير من الرحالين الذين زاروا المناطق الصحراوية إن عبر السواحل أو عبر الدواخل. ومن أشهر هؤلاء نذكر René Caillé وPanet وDouls وMage وPaul Blanchet. لكن معرفتهم بها تزايدت بتزايد العمليات العسكرية التي قادتها فرنسا في اتجاه الصحراء عبر جنوب المغرب ابتداء من سنة 1934 فكثرت تآليف الضباط الفرنسيين حول الصحراء الأمر الذي توفرت معه مادة تاريخية من الأهمية بمكان رغم ما تحمله من نصائح للمعمرين، ورغم الأهداف الكولونيالية التي كانت وراء جمعها.

تزايد الاهتمام الأوربي بالصحراء في الثلاثينيات من القرن الماضي، لما أقام معهد الدراسات العليا المغربية مؤتمراً علمياً نشرت أعماله في مجلة *Hespéris* العدد : 10، 1930. ثم ما فتئت بلاد الصحراء تستأثر بالاهتمام، إلى أن ظهر كتاب *Le Sahara Français* في مطابع P.U.F. سنة 1953 متضمناً بيبليوغرافيا عامة عن الصحراء، شملت كتابات عدد كبير من المهتمين على اختلاف تخصصاتهم الجغرافية واللسانية والسوسيولوجية.

الزهري، *كتاب الجغرافية*، تحقيق، محمد حاج صدوق، بور سعيد، د. ت ؛ أبو الفدا، *تقويم البلدان*، باريس، 1840 ؛ ابن سعيد، *كتاب الجغرافيا*، تحقيق، إسماعيل العربي، بيروت، 1970 ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان*، ج 1، تح. ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1983 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 7، بيروت، 1981 ؛ القلقشندي، *صبح الأعشى*، القاهرة، 1969 ؛ حسن الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1982.

J. Lanfry, *Le Berbère de Ghadams*, p. 58-59 et 60 ; Gast, *Désert Saharien*, R.O.M.M., 1981 ; Capot-Rey, *Le Sahara français*, t. 1, P.U.F., Paris, 1953 ; *Les limites du Sahara*, Paris, 1952 ; Dubief, *Le climat du Sahara*, t. 1, Alger, 1959.

حسن حافظي علوي

صحراؤنا، جريدة أسبوعية أسستها جبهة تحرير الصحراء سنة 1967 تحت إدارة بْرَيْكَة الزروالي لدعم الحملة الدبلوماسية المغربية داخل الأمم المتحدة للمطالبة بتحرير الأقاليم الصحراوية وضمها إلى الأقاليم المحررة في شمال المملكة، وكانت مثل "*صحراء المغرب*" و"*شنقيط*" و"*الوحدة*" و"*الشهاب*" منبراً إعلامياً استقطب كثيراً من الأقلام الأدبية والسياسية والإعلامية في شمال المملكة المغربية وجنوبها، وتختزن نصوصاً ووثائق مهمة حول أقاليم المغرب الجنوبية.

محمد الظريف، *الحياة الأدبية في زاوية الشيخ ماء العينين*، ص. 497، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه لأحياء التراث والتبادل الثقافي، ط 1، مطبعة بني يزناسن، سلا، 2003.

محمد الظريف

الصحراوي الروداني، محمد بن صالح عالم وأديب لا نعرف من حياته إلا نتفا قليلة أوردها في مقدمة ديوانه المخطوط، وأوردها الجشتمي في كتابه "الحضيگيون"، فقد وصفه بأنه كان عالماً بارعاً متبحراً في كل فن من فنون علوم الشريعة، من علوم القرآن والحديث والتفسير والفقه والنحو والبيان والمنطق واللغة والحساب والفرائض والأدب" وقد ترجمه لأنه أحد شيوخه. ولد بالساقية الحمراء، وقرأ على والده، ثم انتقل ليأخذ عن شيخه أبي العباس أحمد ابن عبد العزيز الهلالي عالم سجلماسة الشهير.

أعمل الرحلة مع شيخه الهلالي ووفدا على السلطان محمد بن عبد الله بمكناس عام 1171، ورجعا معاً إلى مقر الشيخ بالزاوية الحمزاوية، ولزمه إلى أن أجازه عام 1173، فرحل عنه إلى موطنه بالساقية الحمراء، ولما بلغه نعي شيخه عام 1175، وكان عازما على القدوم عليه، لزم مكانه بالساقية الحمراء وقضى بها ما يقارب أربعين سنة. تزوج وولد هناك، واتسع رزقه فبنى خيمة كبيرة جعلها مسجداً للصلاة، ومكانا لقرى الأضياف، واستأجر مؤدبا يقرئ أولاده القرآن وما تيسر من العلم.

ولما أصيبت البلاد سنة 1212 بمجاعة شديدة، عزم على الرحيل وقصد سلطان الوقت سليمان مارا بمراكش والرباط وسلا، وقدم بين يدي السلطان مجموعة من القصائد في مدحه ومدح جده المصطفى عليه السلام.

تولى القضاء بمدينة تارودانت بتكليف من السلطان، بيد أن مهنة القضاء لم تعجبه، فاستعفى السلطان فأعفاه، وأقطعه أملاكا بتارودانت كانت مورد رزقه. ومازال إلى اليوم بدرب كسيمة بتارودانت بقايا داره الكبيرة وبقايا أملاكه وبقايا أبنائه الذين انقطع عنهم العلم.

ترك ابنه صالح بتارودانت ولداً اسمه العربي كان عالماً جليلاً محصلا له باع طويل في اللغة والأدب، وكان خطيبا بمسجد (سيدي وسيدي). وكان يعترض على بعض أحكام القاضي عبد الكريم التملي، مما أدى إلى نقله إلى فاس، وهناك بقي إلى أن توفي بعد عام 1230.

وإلى جانب ابنه العربي ترك ديواناً شعرياً قدم له بمقدمة طويلة ذكر فيها بعض جوانب حياته العلمية، وإجازة شيخه الهلالي له، وذكر فيها محتويات الديوان التي هي مجموعة من القصائد في مدح الرسول عليه السلام بلغ عددها 18 قصيدة متفاوتة الطول، وقد نظم على كل بحر من بحور الشعر العربي قصيدة، وختمها بأخرى. ويشتمل الديوان أيضاً على قصائد في مدح السلطان سليمان وعددها 26 قصيدة مع خمس نتف. وهذا الديوان مازال مخطوطا لدى إحدى الأسر السوسية.

محمد المختار السوسي، *المعسول* ؛ *خلال جزولة*، ج 4.

محمد الحاتمي

الصحراوي، محمد سالم (1322 / 1904 / 1364 - 1944) هو محمد سالم بن عبد الفتاح العلوي. ولد نحو سنة 1322 / 1904 بالساقية الحمراء بعد ورود والده على

الشيخ ماء العينين. أخذ العلم على يد مجموعة من أساتذة السمارة من بينهم محمد بابا والشيخ النعمة ومحمد محمود البيضاوي خال الباشا محمد البيضاوي الشنقيطي الشهير بتارودانت، والحضرمي بن الشيخ أحمد حفيد الشيخ محمد فاضل بن مامين، والد المحفوظ، ومحمد بن عبد العزيز حامّنّ وماء العينين بن العتيق والشيخ سيديا بن حمادو بن سليمان وآبَّ بن عبد الله من قبيلة آل بوحبين، وغيرهم.

هاجر مع الشيخ ماء العينين إلى تزنيت. وظل يتنقل عبر عدد من المناطق السوسية في كردوس ووجان وآيت الرخا ومراكش إلى أن توفيت زوجته نحو سنة 1358 / 1939. فرجع على الصحراء وبقي بها.

خلف أشعاراً غزيرة في أغراض متنوعة وخاصة في المديح النبوي، ومن أشهر أمداحه النبوية ميمية مشهورة طبعت بسلا سنة 1358 / 1939 تحت إشراف الأديب عبد الرحمان حجي مطلعها :

وقفت أبكي ودمع العين ينسجم   ونار شوقي في الأحشاء تضطرم

عنوانها "مجمع العرفان في مدح نبي عدنان" في مائة وعشرين بيتا.

كما له أشعار متنوعة في مدح الشيخ ماء العينين وبعض أدباء وعلماء سوس، وممازحات ومراسلات شعرية مع كثير من شعراء إلغ أوردها المختار السوسي في كتابه *المعسول*، ج 3، ص. 36).

توفي في نواحي طانطان نحو سنة 1364 / 1944.

محمد المختار السوسي، *المعسول*، ج 3، ص. 36 ؛ محمد الظريف، *الحياة الأدبية في الزاوية المعينية*.

محمد الظريف

الصْكارنة، قبيلة عريقة تنسب إلى أولاد المولات من بني حسان. وكان لهذه القبيلة مكانة حربية مهمة في وادي الذهب وشمال موريتانيا إلى حدود منتصف القرن التاسع عشر حيث تراجعت قوتها بفعل الحروب. ويتكونون من فخذتين هما : أولاد سليمان وتضم (أهل ديدة - أدْ حَاحنة، أهل محمد ولد أعبيد الله - أهل إبراهيم ، أهل إبراهيم الخليل) وأهل بكار (أهل أعلي طالب - أهل بنيوگ - أهل الزاوي - أهل اسويدات - أولاد المومنة - أهل بوكراع). وكان مجال انتشارهم القبيلة هو منطقة تيرس ومنطقة آدرار سطف وأحيانا يصعدون شمالا نحو منطقة گلتة زمور. ويتميزون بحمل السلاح ومداومة الكفاح والتصدي لكل من وجدوه في طريقهم. فقد خاضوا معارك حامية الوطيس مع أولاد اللب، منها معركة "علبْ أرگاد" في السنة المسماة محليا "عامْ أدْرَيرة" سنة 1280 في موضع جنوب بئر دومس بوادي الذهب حيث كانت مواجهات بين قبائل المنطقة - ومنها الصكارنة - وقبائل منطقة آدرار التمر، وإثر ذلك تعرضت الصكارنة لخسارة كبيرة أدت بها إلى النزوح لمجاورة قبيلة الرگيبات. فبطن أهل بكار نزل على أولاد موسى من الرگيبات خاصة فخذة أهل الغاظي. أما أولاد سليمان من الصكارنة فتحول اسمهم إلى أهل المبارك وسلكوا طريق الزوايا وسكنوا مع أهل لحسن وحماد من فخذة أهل إبراهيم أوداود من الرگيبات. لكن هذا التراجع الذي حل بقبيلة الصكارنة لم يمنعهم من الترحل عبر الصحراء التي يعرفون مسالكها، فهناك أحدهم وهو امبارك ولد اعبيدة قام بحفر بئر أگارگتم" الذي شكل نقطة تزود المجاهدين من القبائل الصحراوية الذين كانوا يجوبون تيرس وآدرار التمر لقصف قوات الاحتلال في موريتانيا وعلى تخوم مالي. كما تميزت هذه القبيلة بقوة عصبيتها وتضامن أفرادها رغم تباعد المسافة فيما بينهم. وظهرت فيهم عائلات تقلدت زعامة القبيلة هي أهل اعلي طالب وأهل دداش وأهل محمد ولد عبد الله.

ويتمركز الصكارنة اليوم بإقليمي وادي الذهب وأوسرد كما توجد منهم عائلات وفروع في حوز مراكش والعيون وخارج المغرب في موريتانيا ومالي.

المختار ولد حامد، *حياة موريتانيا : الجغرافيا*، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992 ؛ *حياة موريتانيا*، الجزآن، 26 و30، منشورات الزمن، الرباط، 2009 ؛ محمد دحمان، *الترحال والاستقرار بمنطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب*، مطبعة كوثر، الرباط، 2006 ؛ *مقابلة ميدانية* مع السيدة الخظرة بنت ددَّاشْ، بمدينة الداخلة، صيف 2009.

Mahmadou Ahmadou Ba. Les tribus secondaires du Sahel Mauritanien, in *Renseignements coloniaux*, N° 9, septembre, 1928, p. 571 – 579 ; Flores Morales, Angel, *El Sahara Español*, Madrid, 1946 ; Jose Enrique Del Barrio. *Las tribus del Sahara*, Aaiun, 1973.

محمد دحمان

الصيد البحري بالأقاليم الصحراوية من المميزات الطبيعية التي حبا الله بها المغرب، كونه يطل على بحرين استراتيجيين هما : البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلنتي. فهتان الواجهتان البحريتان ساهمتا بشكل كبير في تطوير الصيد البحري بالمغرب، إذ تمتد سواحله على طول 3500 كلم، كما تتميز مياهه البحرية باتساع الرصيد القاري ما بين 50 و 150 كلم - حيث تساعد على التقاء التيارات الباردة بالدافئة التي يسمح بنمو العوالق وتجمع الأسماك -، مما يجعلها من بين أغنى المياه البحرية على الصعيد العالمي.

ويبلغ طول السواحل الصحراوية 1700 كم، تمتد من رأس درعة شمالا إلى رأس لكويرة جنوبا، أي ما يقارب 48,5% من مساحة السواحل الوطنية وتوفر هذه السواحل الجنوبية ثروة إنتاجية تقدر بحوالي مليون طن من الأسماك سنوياً، تتوزع على الشكل التالي : 200 نوع من الأسماك و60 نوعاً من الرخويات، والعشرات من أنواع القشريات وراسيات الأرجل. ويعزى هذا الغنى الحيواني والبيولوجي البحري إلى الموقع الجغرافي والطبيعي الذي تنفرد به هذه المنطقة الأطلنتية الجنوبية عن باقي مناطق المغرب الساحلية. كما يمكن إرجاعه إلى عدة

عوامل منها ما هو مناخي وما هو وسط بحري أو منظومة محيطية، التي تسود في المحيط الأطلنتي الجنوبي - الغربي للقارة الإفريقية (من جنوب المغرب الصحراوي إلى السنغال وگامبيا مرورا بموريتانيا). ويعد مرور تيار "كناريا" البارد العامل الأول لغنى المنطقة بالأسماك، حيث يؤدي إلى تقليب وتدحرج المياه البحرية مما يتيح ارتفاع "البْلانْكتُون" الموجود في القعور البحرية العميقة إلى الطفو والانتشار في المياه وبالتالي يعمل على جلب الأسماك بمختلف أطيافها فيتيح لها غذاء وافرا.

وبفضل استغلال هذا التنوع البيولوجي، عرف قطاع الصيد البحري في الأقاليم الجنوبية دينامية نمو متصاعدة في الاستثمار العمومي والخاص منذ عودة هذا الجزء إلى حظيرة الوطن. مما دفع الدولة إلى الاهتمام به من خلال بناء ترسانة من الموانئ المجهزة على طول الساحل تستجيب لمتطلبات الصيد البحري بكل أنواعه الساحلي والتقليدي وصيد أعالي البحار. وأصبح بالتالي الساحل البحري، الذي كان إلى زمن قريب مهجورا من طرف الساكنة الصحراوية الأصلية (البدو الرحل) التي أدارت له ظهرها، باستثناء فئة "إمْراگن" - البحارة - أو "أهل البحر"، التي كانت تستغل موارد البحر بإمكانياتها المحدودة حتى دخول المعمر الإسباني الذي تعامل معها نظرا لخبرتها في هذا الميدان، ولمعرفتها ودرايتها بخبايا البحر. أما كلمة "إمْراگن" فهي أمازيغية الأصل، ذات أصول صنهاجية، مفردها "إمْرگ" الذي يعني دخل إلى مكان ما، وتعني كذلك الذين لا يخافون، بحيث يدخلون بشباكهم إلى جوف البحر بدون زوارق للصيد وبدون نقص أو خوف يذكر لكي يواجهوا البحر الذي يمدهم بقوت عيشهم اليومي. ولم يسبق لهذه الفئة الاجتماعية الصحراوية امتلاك زوارق للصيد نظرا لانعدام الأشجار بالصحراء، ولعدم خبرتها في صنع الزوارق. أما أصول هذه الفئة من المجتمع الصحراوي، فهي جزء لا يتجزأ من القبائل الظاعنة، بل نجد أن انتماءها يرجع في بعض الأحيان إلى مكونات هذه القبائل، وقد تكون في بعض الأحيان لحمة تابعة للقبائل الكبرى كأولاد الدليم والرگيبات وأولاد أبي السباع وغيرهم. فإمراگن لهم أعراف وطقوس اجتماعية وممارسات ثقافية خاصة بهم، أولا الاستقرار بالسواحل البحرية وثانيا اعتمادهم على الصيد البحري، وثالثا عدم حملهم للسلاح أو الكتاب، وهذا ما يميزهم عن باقي القبائل الظاعنة التي تعتمد على نمط الترحال والرعي والتجارة والقنص (الغزال والنعام) والزراعة الظرفية بالكَراير، ومنهم حملة السلاح والكتاب (الزوايا). بينما نجد فئات أخرى تنعت ب "اللحمة"، أي قبائل تابعة لأخرى أو تحت نفوذها وسيطرتها، ثم تأتي الفئات الدنيوية كالمعلمين (الحرفيين)، و"إگاون" الموسيقيين، والعبيد.

كما نجد أن هذه الفئة الاجتماعية (إمراگن) تطلق على الأسماك أسماء أمازيغية : تگاوة، أزول، تنويزيت، أخرخار، أبلاغ، أولاح، أدس، تمندرت، إلخ. ونضيف أن القبائل المتاخمة في جوف الصحراء للبدو الرحل كانت لا تأكل الأسماك، بل من العيب والعار أن يأكل البيضاني الحر لحوم الأسماك. وظلت هذه العادات والطقوس سائرة المفعول حتى رجوع هذا الجزء إلى الوطن، إذ شهد البدو الرحل استقرارا بالمدن الساحلية، التي أرغمتهم على الاندماج في وسطها الحضري وما يحمله من تغيير اجتماعي واقتصادي ومجالي، أثر بشكل كبير على نمط عيشهم وعاداتهم القديمة، فأصبح الصحراوي يأكل الأسماك في وجباته اليومية خاصة مع الأرز "مارو"، ودخلت طقوس أخرى جاءت من الشمال المغربي ك"طاجين الحوت"، إلخ. بل أصبح الساحل الذي كان إلى عهد قريب ينفر منه الرحل، من المناطق الأكثر جذبا ويعد من أكبر تجمع سكني وسكاني على الشريط الساحلي، بنسبة قدرت ب 90%، نظرا لما يوفره من رطوبة، واستقرار، وعيش رغيد، وأمن مائي وغذائي، وشغل قار. فظهرت مدن كبيرة كالعيون، ومتوسطة كالداخلة، وبوجدور، ارتبطت بموانئها وما توفره من شغل وثروات بحرية وسياحية.

- البنية التحتية البحرية بالصحراء :

يبلغ عدد موانئ الصيد البحري في المغرب 24 وتتنوع كالتالي : 6 موانئ تقع على الساحل المتوسطي، و18 ميناء تقع على الساحل الأطلنتي، ولعل أهم هذه الموانئ اعتمادا على حجم الكميات المصطادة من السمك عام 2005 هي : العيون، طانطان، الداخلة، طرفاية، بوجدور، وأگادير. وهي كلها موانئ تقع جنوب المغرب، حيث تقع أغنى المناطق المتوفرة على ثروات سمكية مهمة وطنيا. ولولا هذه الترسانة المهمة للموانئ لما عرف هذا القطاع الحيوي أي تطور يذكر. وقد عرفت البنية التحتية للنقل البحري بالمغرب تطورا مهما تجلى في :

- إعادة هيكلة الموانئ المغربية وذلك بتوسيع القديمة منها وتشييد أخرى جديدة وتجهيزها بالأرصفة والمخازن.

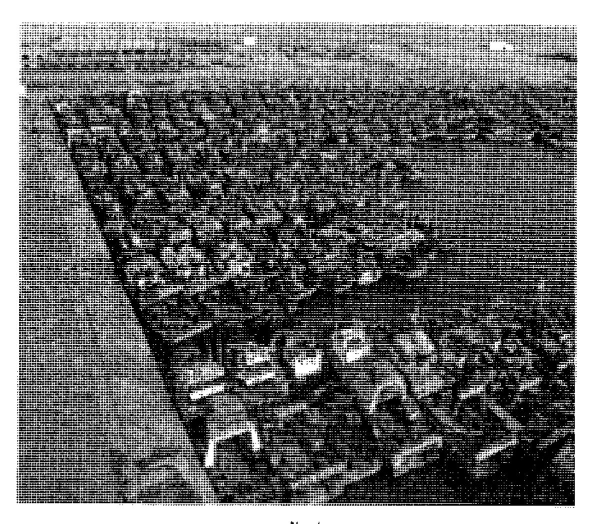
- و تختلف الموانئ المغربية من حيث أهمية الرواج التجاري ومن حيث التخصص في الصيد البحري وتصدير أو استيراد بعض المواد.

وتتوفر الأقاليم الصحراوية على أهم موانئ الصيد البحري بالمملكة، فجل المدن الساحلية الصحراوية تنفرد بميناء خاص بها، كطنطان - الوطية، وطرفاية والعيون - المرسى، وبوجدور والداخلة. ويعتبر ميناءا العيون والداخلة من أهم المنشآت المينائية بالمنطقة حجما ونشاطا، عرفا اهتماما كبيرا من طرف الدولة، خاصة في جانبي التجهيز والتوسيع كي يؤديا دورهما في أحسن الظروف، بالإضافة إلى الإمكانيات التي سخرت إلى كل من مينائي طانطان وبوجدور، وخاصة هذا الأخير الذي انطلقت به الأشغال في السنوات الأخيرة.

- ميناء العيون - المرسى :

يقع ميناء المرسى على بعد 25 كلم من مدينة العيون، ويأوي تجهيزات يرجع تاريخها للعهد الاستعماري الإسباني، وقد أقيمت تلك التجهيزات لكي تلبي، بالخصوص متطلبات تصدير فوسفاط بوگراع. وبالرغم

من ذلك وفي إطار تنمية الأقاليم الصحراوية، وبالخصوص استغلال الثروات البحرية للجهة، قررت الدولة ضمن مخطط 1981 - 1985 بناء ميناء في المياه



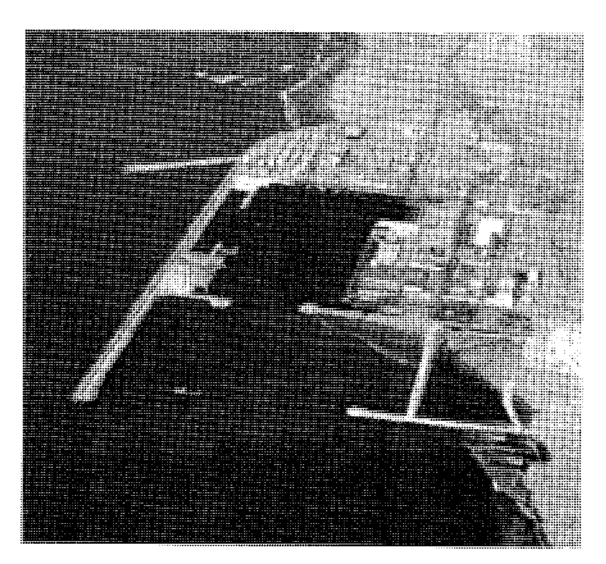
ميناء العيون

العميقة شكل مركبا مينائيا هاما، انطلاقا من التجهيزات الموجودة سلفا، بحيث كان الميناء القديم قبل سنة 1975 يتوفر فقط على رصيفين أساسيين الأول طوله 300 متر و حالته متردية والثاني طوله 3000 م وهما معدان أساسا لتصدير الفوسفاط في الفترة الاستعمارية. ومنذ سنة 1986 شرع في استغلال ميناء العيون بغرض تموين الأقاليم الجنوبية للمملكة وكذا معالجة وتثمين الموارد البحرية للمنطقة. وقد تطلب النمو السريع للنشاط الذي عرفه هذا الميناء توسيعا أوليا سنة 1991 وتوسيعا ثانيا ما بين سنتي 1997 و1999. وتفيد معطيات مكتب استغلال الموانيء بأن الرواج التجاري لهذا الميناء الذي يشمل الفوسفاط والرمال والمحروقات انتقل من 3 ملايين و167 ألف طن سنة 2001 إلى 4 ملايين و514 ألف طن سنة 2005. فهو ميناء متعدد الوظائف، تصل قيمة حركته التجارية إلى مليوني طن في السنة، ويصدر بالأساس الفوسفاط والرمال والطحالب ودقيق الأسماك والأسماك المجمدة، ويتوفر أيضا على منطقة صناعية. ويمثل الرواج التجاري فيه 7٪ من مجموع الرواج بموانيء المملكة خلال السنة ذاتها فيما يمثل 36٪ من مجموع رواج الصيد البحري 40٪ من مجموع رواج الصيد الساحلي بالموانيء الصحراوية.

- ميناء الداخلة :

تتوفر مدينة الداخلة على ميناءين : الميناء القديم يعود عهده إلى الفترة الاستعمارية الإسبانية، تم بناؤه لاستغلال الخيرات البحرية التي تزخر بها منطقة Ride ORO واد الذهب. وبعد استرجاع هذا الجزء من التراب الوطني سنة 1979 عملت الدولة على بناء مركب مينائي متعدد التخصصات تم تشغيله سنة 2001، بحيث أصبح يستجيب لمتطلعات هذه المدينة الفتية التي تعتمد على الصيد البحري كأول نشاط اقتصادي تنموي مدر للدخل بالإقليم، أما الميناء القديم فتم توظيفه كميناء خاص للبحرية الملكية.

ويتألف الميناء الحالي من مركبات وقائية، ومركبات رسو، ومرافق للنشاط البحري والتجاري. ويعتبر قطبا واعدا بالنظر لقربه من منطقة الصيد الاحتياطي (جنوب مدينة الداخلة إلى تخوم الحدود الموريتانيا)، فقد عرف خلال 2006 انطلاق أولى عمليات التفريغ، والتي بلغت حوالي 92 ألف طن، ليعزز بذلك من موقع المدينة المعروفة بأهمية نشاطها في صيد الاخطبوط، الذي يقدر رقم معاملاته بقيمة 50 مليونا درهم. وحسب المكتب الوطني للصيد فإن التصور الذي تم على أساسه إقامة السوق الجديد يرتكز على مبادئ أساسية تتمثل على الخصوص في التحكم في التدفقات داخل سوق السمك، ومراقبة الحرارة السائدة داخل هذه السوق لتتراوح ما بين 10 و12 درجة، قصد المحافظة على جودة الأسماك داخل الفضاءات المخصصة لبيع المنتوج، بالإضافة إلى إخضاع مسلسل التسويق إلى نظام معلومياتي بدءا من مرحلة التفريغ وصولا إلى البيع النهائي للمنتوج.



ميناء طانطان

وسيستجيب هذا المشروع الجديد لتسويق منتوجات البحر بالصحراء، بمجرد أن يصبح عمليا، لمعايير الجودة الأكثر صرامة، فضلا عن استجابته للمتطلبات التي يفرضها هذا النمط من النشاط الاقتصادي. كما سيتيح الفرصة لضمان تطوير جيد لمنتوجات البحر، إلى جانب إعطاء دينامية أفضل للنسيج الاقتصادي والاجتماعي الجهوي. ويندرج إنجاز السوق الجديدة للسمك بالعيون في إطار مخطط التهيئة الاستراتيجي الذي وضعه المكتب الوطني للصيد بالنسبة للفترة الممتدة من 2006 إلى 2010. ويهم هذا المخطط تنفيذ برنامج مهم لإنجاز أسواق جديدة للسمك من الجيل الجديد بغلاف مالي إجمالي يصل إلى 102 مليون درهم، وهو ما يمثل 50 في المائة من الغلاف المالي الإجمالي المخصص لمجموع أسواق السمك بالمملكة.

- ميناء طانطان - الوطيـة :

هذا الميناء تم إنشاؤه سنة 1982 ليلبي متطلبات صيد أعالي البحار والصيد بصفة عامة وقد تم تجهيزه بكل الوسائل الضرورية من مرافئ السفن وناقلات الحمولة وأرصفة وحواجز وقائيـة ومنحـدرات السفن، ناهيك عن تدعيم هذه البنية التحتية بمنطقـة صناعيـة تضم أهم الوحدات لمعالجة تصبير الأسماك تستغلها شركات القطاع الخاص. ويعد المتنفس البحري الوحيد لجهة كلميم - السمارة، وينفرد بصدارة الموانئ المغربية من حيث صيد أسماك السردين، ويشغل يدا عاملة مهمة كما جلب مستثمرين وساهم بشكل فعال في انتعاش التنمية بمدينة طانطان والوطية وخاصة قطاع البناء والتعمير. ويتوفر الميناء، الذي تناهز مساحته 78ر5 هكتارا، على تجهيزات مختلفة منها، على الخصوص، سوق السمك الذي تبلغ مساحته 3500 متر مربع، ومركز انتقاء السمك الصناعي، ومخازن للتبريد، وأربع مصانع للثلج بقدرة إنتاجية تصل إلى 600 طن يوميا، بالإضافة إلى عدة أوراش، إثنان منها لبناء وإصلاح السفن. ويعتبر ميناء طانطان ثاني أهم الموانئ المغربية من حيث إنتاج دقيق وزيت السمك خاصة نوع السردين، إلى جانب عدد آخر من الوحدات الصناعية في مجال تصنيع ومعالجة منتجات الصيد البحري، مثل وحدة صناعية لتصفية زيوت السمك وإنتاج دقيق السمك ذو القيمة الغذائية المهمة. فإن إنتاج دقيق وزيت السمك، يشكل أهم نشاط في المنطقة حيث تم خلال سنة 2009 إنتاج 140 ألف طنا من دقيق السمك بقيمة تناهز 140 مليون درهم مشغلا بذلك ما يقارب 370 شخصا.

- ميناء طرفايـة :

شيد الإسبان الميناء الأول أو القديم لطرفاية في أواسط ق 20، فهو عبارة عن جسر مبني فوق أعمدة إسمنتية تضمن انسياب مرور الرمال حتى لا يتوحل المرفق البحـري بترسباتهـا. وبما أن الميـنـاء القـديم لا يستجيب لمتطلبات المدينة وتطورها، فإن الدولة نهجت نفس السياسة الرامية إلى تنمية موانيء الصيد بالمملكة، وذلك من خلال بناء ميناء جديد سنة 1979 الذي صار يتوفر على تجهيزات تحتية مهمة، تتكون من حاجز رئيسي طوله 1140 مترا وحاجز عرضي طوله 270 مترا وحاجز وقائي ضد زحف الرمال طوله 300 مترا، وبلغت تكلفة الأشغال 280 مليون درهم. ويعد ميناء طرفاية من الموانئ المتوسطة، والمتخصص في صيد السمك بشتى أنواعه.

- ميناء بوجدور :

ميناء بوجدور الحالي بمثابة قاطرة للتنمية المستدامة في أفق تنفيذ الجهوية، إذ سيساهم المشروع في إخراج المنطقة من عزلتها الاقتصادية والتجارية، حيث تراهن الساكنة على هذا المشروع الهام. إن إنجاز الشطر الأول من الميناء الجديد يهدف إلى تحسين ظروف استقبال سفن الصيد في أعالي البحار وكذا السفن التجارية. وقد بلغت تكلفة المشروع ما يناهز 270 مليون درهم، منها 220 مليون درهم، خصصت للحصة الأولى لتثبيت الحواجز وجلب الحجارة و50 مليون درهم كحصة إضافية خصصت لإنتاج الأرصفة والتجهيزات، حيث كلف هذا المشروع جلب 132000م مكعب من الأحجار الصخرية، و81200م مكعب من الخرسانة وكذا 450100م مكعب من الخليط، و147000م مكعب من الردم. هذا الكم الهائل من



مرفأ بوجدور

الخرسانة والأحجار والردم جاء من أجل إنجاز الحاجز الرئيسي المشيد على مسافة طولها حوالي 800 متر، وكذا حاجز عرضي طوله حوالي 300 متر، علما بأن الأشغال تأخرت شيئا ما نظرا للصعوبات التي يواجهها المشرفون على المشروع أثناء هيجان البحر والتقلبات المناخية. وهذا المشروع الذي أعطى انطلاقته جلالة الملك محمد السادس أثناء زيارته لبوجدور في 26 يونيو 2006، سيجلب كبار المستثمرين وسيحدث عدة وحدات صناعية كمعامل لتصبير الأسماك ومحطات للتبريد، مما سيوفر في المستقبل القريب أزيد من 1000 منصب شغل، وسيمكن من استغلال عدة مؤهلات بحرية يمتاز بها الإقليم، ويجعله ينافس الموانئ الأخرى بالمناطق الجنوبية، من حيث موقعه الجغرافي الذي يربطه بالجهتين (بوجدور- الساقية الحمراء ؛ وودا الذهب - لكويرة) وقربه كذلك من جزر الكناري الإسبانية. ومن المتوقع أن يستقبل أساطيل الصيد بأعالي البحار وكذا سفن الصيد الساحلي و التقليدي.

- قرى الصيد البحري :

عرفت جهات الجنوب منذ الثمانينات تنامي وتفشي ظاهرة قرى الصيد البحري العشوائية التي احتلت جزءا هاما من الشواطئ، وأصبحت تشكل تهديدا للأنظمة البيئية الساحليـة، وذلك بفعل التلوث. هذه الكارثة جعلت الدولة وخاصة وزارة الصيد البحري والوكالة الجنوبية للتنمية تتدخل لبناء قرى نموذجية مجهزة بكل الوسائل الضرورية كنقط تفريغ مهيأة ومرافئ لرسو القوارب بهدف جعلها أقطاب تنمية صغرى متكاملة تستجيب للصيد الساحلي التقليدي. وتمتد هذه القرى من جنوب طرفاية شمالا إلى لمهيريز جنوب الداخلة، وهي كالآتي : أمكريو، تاروما (إقليم العيون) ؛ أكطي سيد الغازي،

أفتيسات، أوگنيت، لكراع - الكاب 7- (إقليم بوجدور)، تورطا، أم البير، إيموثلان، انتيريفت، لاسرگـا، بورتو ريكو، لبيردا، عين بيضا، سينترا (إقليم واد الذهب)، لمهيريز (إقليم أوسرد).

وأغلب مناصب الشغل الذي توفره هذه القرى موسمية مرتبطة بصيد الأخطبوط والأسماك البيضاء. ويتحكم في الصيد التقليدي الساحلي مخطط إعداد صيد الأخطبوط الذي خفض مدة صيده لبضعة أشهر فقط، وذلك لتتاح له فرصة التجديد والتوالد.

وندرج هنا نماذج لقرى الصيد التقليدي الساحلي بكل من إقليم واد الذهب وإقليم بوجدور اللذين يضمان أكبر عدد من قرى الصيد التقليدية.

يعد إقليمي واد الذهب وأوسرد من أكبر المناطق الصحراوية شساعة وكذا انتشارا لقرى الصيد التقليدي التي تعد بالعشرات وتشغل أكثر من 12500 بحار في كل من جماعة العرگوب، وجماعة بئر أنزران، وجماعة إمليلي، وجماعة بئر گندوز.

أما إقليم بوجدور : فنجد هذه القرى في كل من جماعة اجريفية جنوب مدينة بوجدور، ومنطقة سيدي الغازي، التابعة لجماعة لمسيد، ويعمل بها أزيد من 7000 بحار تقليدي يعملون على متن 5000 قارب صيد.

وقد خلقت هذه البرامج التنموية أقطابا صغرى جديدة للتنمية المحلية عملت على تحسين وضعية البحارة الصيادين اجتماعيا واقتصاديا.

وفي هذا الاتجاه، تم إنجاز بنيات الاستقبال التحتية في 11 مواقع صيد على مستوى جل الأقاليم الصحراوية : كامگريو وتاروما بإقليم العيون، وسيد الغازي ولكرع (كاب 7) وأفتيسات بإقليم بوجدور، وعين بيضا وإيموثلان ولاسارگة بإقليم وادي الذهب، ولمهيريز بإقليم أوسرد. وقد تم إنجاز بنيات تحيتية قاعدية وتجهيزات اجتماعية مشتركة وفضاءات للأسماك المصطادة (أماكن للتفريغ والتجميد) والمباني الإدارية، وتقدر التكلفة الإجمالية للاستثمارات ب 915 مليون درهم، بتمويل موزع ما بين صندوق الحسن الثاني ووكالة تنمية الأقاليم الجنوبية والمكتب الوطني للصيد البحري. وهذه القرى سواء منها المجهزة أو العشوائية يطغى عليها الطابع الموسمي، وتفتقد العشوائية منها إلى أبسط التجهيزات كالماء الصالح للشرب والكهرباء والسكن اللائق مما لا يوفر للصيادين الاستقرار الدائم فلا يرغبون في المجيء بعائلتهم إلى المناطق التي لا تؤمن ظروف عيش لائق. وتعرف هذه القرى هجرة مكثفة عند افتتاح مواسم الصيد تليها عودة مكثفة إلى المناطق الأصلية للصيادين (المناطق الوسطى من المملكة).

- الصيد البحري كقاطرة أساسية لتنمية الأقاليم الجنوبية :

يعتبر قطاع الصيد بالأقاليم الجنوبية إحدى الروافع الأساسية للتنمية الاقتصادية بالجنوب المغربي، بالنظر للإمكانيات الهائلة التي توفرها السواحل، من حيث غناها بالثروات السمكية المتنوعة وذات الجودة العالية، ومع ما رافق هذا الغناء البحري من بنية تحتية بحرية تجلت كما سلف الذكر في الموانئ المجهزة، والتي لعبت الدور الفعال في تنمية المنطقة وانفتاحها على عالمها الخارجي. هذه الموانئ ساعدت كذلك على تنوع الأسطول البحري بالأقاليم الصحراوية، الذي يضم مراكب (بواخر) كبيرة الحجم مختصة في الصيد بأعالي البحار، ومراكب متوسطة الحجم تخص الصيد الساحلي، وزوارق صغيرة الحجم تهتم بالصيد التقليدي.

وندرج هنا جدولا يبين مساهمة موانئ الجنوب في إنتاج الصيد الساحلي بالمغرب (سنة 2005)

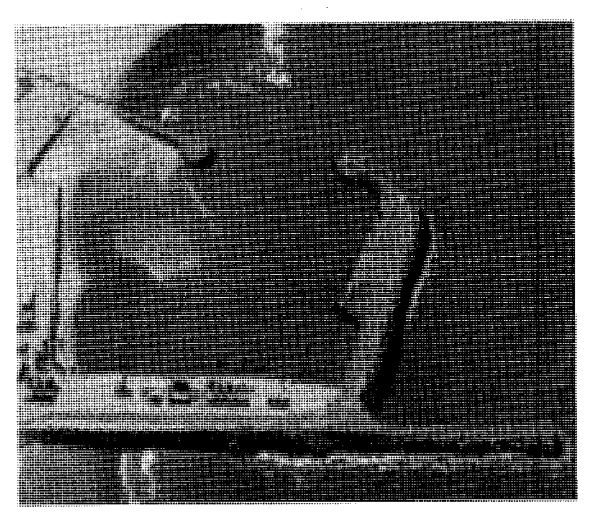
الواجهة البحرية	الوزن (بالطن)	القيمة (بآلاف الدرهم)
الواجهة المتوسطية	43.638	268.145
الواجهة الأطلنتية	821.741	3.135.601
مجموع أقاليم الجنوب	603.812	1.724.714
العيـون	361.127	630.750
طانطان	162.479	247.021
طرفايـة	39.224	83.704
الداخلـة	26.041	304.050
نتيرفت (قرية الصيد)	4.665	183.408
لبويردا (قرية الصيد)	2.423	82.692
لمهيريز (قرية الصيد)	1.910	20.823
بوجـــدور	3.176	117.437
سيد الغازي (قرية الصيد)	915	30.834
لكراع (رأس7) (قرية الصيد)	1.852	23.995
مجموع المغرب	865.378	3.403.747

المصدر : المكتب الوطني للصيد ـ سنة 2005-

ويظل ميناء العيون من أهم أقطاب منتجي السمك الساحلي بالأقاليم الجنوبية، بحيث يسجل لوحده 60% من مجموع الإنتاج الصحراوي للصيد الساحلي، يليه أهمية ميناء طانطان ب 27%، والباقي يتوزع على كل من موانئ طرفاية، والداخلة وبوجدور.

وبخصوص الصيد البحري في أعالي البحار، فلقد سجل إبان سنة 1997، ما قدره 502.891 كلغ ويوجه هذا الإنتاج بالخصوص إلى التصدير. ويتركز بالخصوص ما بين منطقتي بوجدور والداخلة، إلا أن وحداته مازالت

تفرغ حمولتها في موانئ كل من أكـادير وطانطان. أما حاليا فهناك تعزيز للتجهيزات التحتية بالعديد من المنشآت الجديدة الهادفة إلى إعطاء دفعة قوية للنشاط الاقتصادي بالمنطقة واستثمار المؤهلات التي تزخر بها سواحلها، سواء بالعيون أو الداخلة أو بوجدور. وتأتي المشاريع الجديدة في القطاع بهدف تقوية بنياته التحتية والرفع من إنتاجيته، والإسهام في توفير مناصب الشغـل



ميناء طرفاية

للساكنة بالأقاليم الجنوبية سواء في مجال الصيد أو التصنيع المرتبط به. كما اتسمت إرادة الدولة في جعل القطاع محورا استراتيجيا في التنمية الاقتصادية والاجتماعية بالمنطقة، وذلك من خلال تشجيع الاستثمارات، سواء من قبل القطاع الخاص بالنسبة لأسطول الصيد وصناعات تثمين المنتجات البحرية، أو بالنسبة للقطاع العمومي في ما يتعلق بالبنيات التحتية الخاصة بالاستقبال والتأطير. وبلغ حجم الاستثمارات بهذا قطاع ما يناهز 4 ملايير درهم، بحيث أتاحت هذه الاستثمارات ما يلي :

- إنشاء أسطول صيد يضم اليوم 190 باخرة، علاوة على 5866 قارب للصيد التقليدي.
- تطوير دينامية وفعالية المصايد التقليدية لصيد الأخطبوط قادرة على ضمان تزويد صناعة التجميد المحلية التي تم تأهيلها.
- وضع طاقة صناعية لتثمين منتجات الصيد تتكون من حوالي 130 وحدة، أي بنسبة 30% من مجموع عدد الوحدات على المستوى الوطني.
- بنـاء مبنييـن إثنيـن للتكويـن فـي مدينتي الداخلـة والعيون.
- تجهيز موانئ الصيد بوسائل إنقاذ البحارة في البحر ومستوصفات طبية.
- إقامة نقط تفريغ مهيأة من أجل تأطير الصيادين التقليديين وتحسين شروط عيشهم وظروف عملهم.
- تشييد البنيات التحتية وتجهيزات التسويق.

أما حجم الاستثمارات التي تم ضخها في أسطول الصيد المسجل في الأقاليم الجنوبية منذ 1975 إلى يومنا هذا فقدره 1445 مليون درهم، تتوزع كما يلي :

- الصيد في أعالي البحار : 510 مليون درهم.
- الصيد الساحلي : 700 مليون درهم.
- الصيد التقليدي : 235 مليون درهم.
- الصناعة التحويلية المرتبطة بالصيد البحري :

إن أبرز نشاط صناعي في الأقاليم الجنوبية هو المرتبط بتثمين منتوجات الصيد البحري، وتتخصص هذه الصناعة في تعليب السمك، وتجميده، وصناعة دقيق وزيت السمك. ومعظم هذه الأحياء الصناعية توجد إما بداخل الموانئ كالمتخصصة في التجميد، أو خارج الموانئ ولكن لا تبعد عن مدارها، مثل المتخصصة في التعليب (التصبير) أو دقيق وزيت السمك. والجدول التالي يبين وجهات تفريغ حمولة منتوجات الصيد الساحلي حسب الموانئ الجنوبية لسنة 2005 (بالطن).

الموانئ	الاستهلاك	التعليب	التجميد	صناعة دقيق وزيت السمك
العيون	75.358	63.741	27.193	190.084
طانطان	26.549	37.055	1.526	96.254
طرفاية	18.404	8.992	4.551	6.889
الداخلة	25.031	0	9.978	29

المصدر : المكتب الوطني للصيد البحري، 2005

من خلال الجدول أعلاه، يتبين أن الحصة الكبيرة من الصيد الساحلي توجه إلى صناعة دقيق وزيت السمك، ويأتي الاستهلاك في المرتبة الثانية، ثم يليه التعليب فالتجميد في المراتب الأخيـرة. وتحتل مدينة العيون - المرسى المراتب الأولـى في جـل الصناعات التحويليـة، تليها كل من طانطان، فطرفاية، وتأتي في آخر العنقود مدينة الداخلة.

إن تحليل مدى اندماج قطاع الصيد البحري في نسيج الاقتصاد المحلي للأقاليم الصحراوية يبين أنه إلى حدود سنوات 1990 لم يكن لهذا النشاط من تأثيرات اجتماعية واقتصادية أساسية على المنطقة الجنوبية سوى تلك المتأتية من نشاط تفريغ المراكب بالموانئ. وظلت أقاليم الجنوب لمدة طويلة تعاني من غياب تام للمؤسسات الصناعية بترابها، فكان لزاما على مالكي أساطيل الصيد الساحلي من إيجاد بدائل أخرى لتسليم حمولاتهم من السمك لمصانع الشمال خاصة المدن التي اشتهرت منذ أمد طويل بصناعة التعليب والتصبير السمكي كأكـادير وآسفي والصويرة. وللخروج من هذه الوضعية، منحت الدولة تسهيلات عقارية ومالية مشجعة للاستثمار في قطاع الصناعة التحويلية المرتبطة بالصيد البحري. ومنذ

ذلك الحين، سجل القطاع استثمارات هامة في مجال تثمين وتحويل منتجات الصيد. وظهرت بوادر هذه الصناعة في أول الأمر بمدينة العيون - المرسى مع إعطاء الانطلاقة الأولى لمصانع دقيق وزيت السمك، من خلال إنشاء 9 وحدات صناعية، فاق استثمارها آنذاك ما يناهز 63 مليون درهم، تلتها وحدات تجميد سمك الأخطبوط بنفس المدينة.

وهكذا ارتفع عدد وحدات التجميد في الداخلة من 4 في عام 1994 إلى 84 في 2006، مما جعل نشاط التجميد إحدى أهم ركائز الصناعة بهذه المدينة. وفي العيون، تأخر تطور صناعة التجميد إلى سنة 1998، بفعل تخصصها في صناعة دقيق وزيت السمك الذي تطور بشكل كبير. لكن سجل قفزة نوعية خلال ثماني سنوات، إذ انتقل عدد وحدات التجميد من 5 سنة 1998 إلى 30 وحدة سنة 2006.

وهذا التشجيع لخلق صناعة تحويلية بالأقاليم الجنوبية يرجع فضله إلى مجهودات الدولة التي سهلت مساطر القروض وقوانين الاستثمار كالإعفاء من الضرائب ومنح قروض بفائدة ضعيفة ومنح أراضي مجهزة بمناطق صناعية، كل هذا كي تلبي حاجيات هذه الأقاليم وقطاع الصيد البحري في آن واحد. ورافق هذه التجهيزات مرافق عمومية للتكوين المهني والتطبيقي، كالمراكز الجهوية للمعهد الوطني للبحث في الصيد البحري بكل من العيون والداخلة.

ويمكن أن نسجل أن قطاع الصناعة لم يواكب بما فيه الكفاية الثروات الهائلة المصطادة بالأقاليم الجنوبية، والتي تمثل 70% من الإنتاج الوطني، بحيث يوجه جزء كبير منه للأقليم الشمالية كأگادير والدارالبيضاء أو إلى الخارج إسبانيا بالخصوص، أو تهدر في صناعة دقيق وزيت السمك، بالرغم من أن استراتيجية الدولة تهدف إلى جعل هذه الأقاليم قادرة على تحقيق إنتاج 1.7 مليون طن من الأسماك، ورفع رقم المعاملات بالقطاع الى 4 ملايير درهم، وخلق أزيد من 30 ألف منصب شغل.

المشاكل التي يتخبط فيها هذا القطاع مع المحافظة على البيئة البحرية :

اعتبارا لما يحيط بهذه السواحل الجنوبية من رهانات إيكولوجية واقتصادية وكذا اجتماعية (تعد من أكبر الأنشطة التي توفر الشغل في الصحراء)، وما تتيحه من إمكانيات تنموية كفيلة لامتصاص البطالة بالمنطقة، وفي أفق المحافظة على هذه الثروة البحرية والعمل على استدامتها لتساير الأجيال الحالية والآتية، فلقد بات من باب الحيوية والاستعجال تأهيلها بالارتكاز على :

- الإسراع بوقف النزيف الذي تعاني منه سواحل الجنوب، عن طريق تفعيل القوانين الجارية وتوخي الشفافية والصرامة والاستمرارية في مراقبة وزجر المخالفات ؛

- تغطية السواحل الجنوبية والمغربية على العموم بمخططات مديرية لتهيئة المجال الساحلي، تكون بمثابة مرجعية إلزامية للمتدخلين من القطاع العمومي والجماعات المحلية والقطاع الخاص. ويتعين في هذا الإطار توجيه الاختيارات من منطلقي التنمية المستدامة والمحافظة على البيئة البحرية.

- استغلال موارد الصيد البحري بالكيفية التي تمكن من مسايرة آليات التنمية مع المحافظة على البيئة الساحلية. وفي هذا الأفق، يتعين البدء بإقامة قرى مندمجة للصيادين، وتكوين الشباب في هذا القطاع وتحفيز الحركة التعاونية وتوفير البنيات والتجهيزات الضرورية وتصريف المنتوج الجهوي في أحسن الظروف نحو الداخل أو الخارج، كما يجب حث المستفيدين من هذا القطاع على الاستثمار في المنطقة بدل مناطقهم الأصلية.

هذا وقد أبانت الدراسات والبحوث المختصة أن قطاع الصيد البحري يتغير بشكل كبير من سنة إلى أخرى تبعا للعوامل الطبيعية وتدخل الإنسان، إذ من المستحيل أن يظل صيد السمك في ارتفاع غير محدود زمنيا جراء الاستنزاف المفرط واللاعقلاني الذي تتعرض له الثروات البحرية، خاصة باستعمال الشباك الصغيرة القطر بالإضافة إلى وسائل الصيد المتطورة التي تستعملها بواخر أعالي البحار من أنابيب الامتصاص أو ما يسمى بالصمامات، التي تأتي على الكبير والصغير وتجرف معها البويضات والأسماك الصغيرة الحجم، مما ينتج عنه عدم تجديد المخزون السمكي، رغم وجود مراقبة صارمة للبحرية الملكية. كما أن بعض قرى الصيد العشوائية (الصيد التقليدي) التي تنتشر على طول الساحل الصحراوي لا تحترم الفترة البيولوجية لانعدام المراقبة وكذا لكونها بعيدة عن المراكز الحضرية. ثم إن نصف ما يتم اصطياده من هذه الثروة السمكية يوجه إلى صناعة دقيق وزيت السمك، هذا فضلا عن طابع هذه الصناعة المتسمة بالتلوث وضعف دورها التشغيلي. أما الأنواع السمكية التي تتعرض للاستغلال المفرط فنجد على رأسها الرخويات كالأخطبوط وكذا المحار البحري. ويساهم في هذا الاستنزاف كذلك الشركات الأجنبية المرتبطة بصيد أعالي البحار، بحكم الاتفاقيات المبرمة بين المغرب والدول الأوروبية وخاصة إسبانيا المستفيد الأول من هذه الاتفاقية، بالإضافة إلى المعاهدة بين المغرب وروسيا. ورغم ما تسخره الدولة من وسائل المراقبة والتتبع والضبط وتطبيق للراحة البيولوجية فإن القطاع مازال ينفلت منها، بحكم شساعة السواحل الوطنية (3500 كلم)، وعدم زجرية القوانين المعمول بها، وكذا غياب الوعي والمسؤولية وروح المواطنة لبعض المكلفين بهذه المهمة المنوطة.

والمراقبة في هذا المجال تقتضي أن تراعى فيها وبصرامة كل الخروقات التي تلحق بالموارد البحرية أضرارا وهدرا يحد من تجديدها واندثارها في

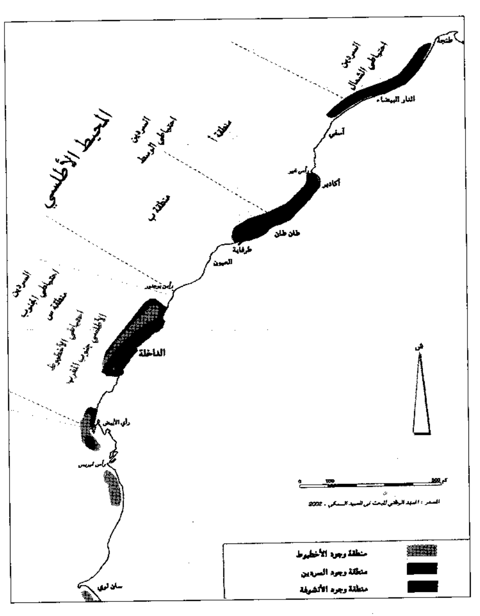
محيطها البيئي، وهي قوانين معمول بها عالميا، ونورد منها ما يلي :

- مراقبة البواخر والآليات (نوع شباك الصيد، قطر أعينها، الآليات الممتصة، إلخ.) والتقنيات (الرادارات، الفخاخ، إلخ.) ومناطق وفترات الصيد.

- مراقبة الكميات المصطادة وحجم البضاعة (حجم الأسماك المصطادة، ونوعها إما أن يكون مسموحا أو غير مسموح به للصيد، إلخ).

- تتبع ومراقبة أثر المنتجات البحرية وتتبعها من مرحلة الصيد إلى طرحها في السوق (حجم البضاعة ومصدرها بالنسبة لمواقع الصيد)، وتشمل كذلك أنشطة التسجيل (التصريح بالكميات المصطادة، يوميات الصيد على متن البواخر) والتفريغ (حجم البضاعة، الحصص)، والنقل وتخزين منتجات الصيد البحري.

- احترام معايير السلامة لبواخر الصيد وشروط الولوج إلى مناطق الصيد، كما يتم مراقبة صلاحية أوراق البواخر والعمال وشهادات التأمين، ووسائل سلامتهم.



- كما تتطلب المراقبة وسائل مادية وبشرية ضخمة، خاصة المراقبة في عرض مياه البحر سواء الإقليمية أو الدولية وعلى الأرض في الموانئ خاصة التي تعبئ البواخر والعربات وموظفي المراقبة المجهزون بآليات خاصة (تصنيف العينات، أجهزة القياس، والاتصال عن بعد)، وتلجأ كذلك هذه المراقبة إلى وسائل جوية كالمروحيات، بالإضافة إلى الزوارق البحرية السريعة.

وتتعرض الأقاليم الصحراوية لعواصف رملية عنيفة تؤدي إلى تفاقم ظاهرة زحف الرمال، مما يعيق بشكل كبير استغلال عدة بنيات تحتية خاصة الطرق والموانئ التي تسجل ترسبات رملية بإمكانها أن تعيق نشاطها وتفرض أن تقوم بعملية الجرف المنتظم والمكلف للدولة. والحالة الخطيرة في هذا السياق هي حالة ميناء طرفاية، الذي يعرف ترسبات رملية لموقعه على رأس جوبي، الذي يعرف تيارات ريحية قوية تحمل معها جزيئات رملية تترسب في قعر الميناء. وتعاني الموانئ الأخرى كالعيون - المرسى وطانطان، والداخلة وبوجدور في نفس الظاهرة لكن بشكل أقل من ميناء طرفاية. أما بخصوص الشبكة الطرقية فإنها مهددة بهذه الظاهرة فيتأثر بها وضع الأشغال العمومية. وهكذا فالشبكة الطرقية تفرض القيام بصيانة دائمة تستهدف إزالة الرمل لتجنب كل اضطراب في الطرق التي تربط هذه الأقاليم بالجهات الأخرى المغربية خاصة أگادير والدار البيضاء حيث الأسواق الكبيرة لبيع السمك بالإضافة إلى المعامل الكبرى للتصبير.

وفضلا عن ذلك، فإن أسطول الصيد البحري وخاصة حجم البواخر الكبيرة المرتبطة بالصيد بأعالي البحار تعاني هي الأخرى من الضيق في بعض الموانئ بالإضافة إلى تعدد وظائفها، الشيء الذي يؤدي إلى اختناق في بعض الموانئ، وبالتالي إلى إعاقة نشاط أسطول الصيد البحري إبان عمليات الإقلاع والتفريغ، مما يحتم عليها التوجه نحو ميناء آكادير، الذي يستفيد أكثر من هذه البواخر.

ومن المشاكل أيضا ما يتعرض له البحارة الموسميون بقرى الصيد التقليدية من طرف بعض تجار السمك Mareyeurs، فهؤلاء يحتكرون المضاربة وسوق السمك بل يحددون سعر أثمنة المبيعات حسب هواهم في غياب المنافسة الشريفة. وللحصول على منتوجات هذه القرى يتعهد هؤلاء التجار للبحارة المرابطين في هذه السواحل البعيدة بتزويدهم بكل حاجياتهم من مواد غذائية وماء صالح للشرب، بحكم البعد عن المراكز وعدم وجود مياه صالحة للشرب. أضف إلى هذا، المشاكل الاجتماعية التي يعاني منها هؤلاء البحارة، فهم يعيشون لمدة قد تطول ستة أشهر فما فوق بعيدين عن عائلتهم وأسرهم، ويعملون في ظروف جد صعبة وخطيرة في آن واحد (بدون تأمين على حياتهم، ولا ضمان تعاضدي، ولا تطبيب ولا مستشفيات تذكر).

ومن المشاكل كون رخص الصيد بأعالي البحار تمنح لبعض الأشخاص إما من أسر ميسورة بالصحراء أو لنفوذ سلطوية، تستغل هذه الرخص لمصالحها الشخصية وتكتريها بأثمنة باهظة ترجع عليها بالنفع دون استثمارها في مجالات وأنشطة أخرى بالمدن الصحراوية.

* التلوث البحري : فالساحل الجنوبي كمثيله الشمالي والوسطي يتعرض بشكل ملفت للنظر للتلوث الحضري لقربه من المدن الساحلية التي تقذف فيه مباشرة مياه الصرف الصحي، بالإضافة إلى التلوث الذي يتعرض إليه من طرف سفن الصيد (الهيدروكاربونات والقمامات) سواء داخل البحر أي في فترة إبحارها أو في رسوها بالموانئ. ولا ننسى التلوث الصناعي خاصة معامل تصنيع دقيق وزيت السمك، التي تلوث الجو والبيئة الصحراوية.

ورغم هذه المشاكل فالقطاع يظل من القطاعات الواعدة والحيوية بالأقاليم الجنوبية وذلك من خلال المعطيات التي ذكرناها سالفا، فإنه يختزن أكبر هامش للنمو على المدى القصير والمتوسط، فضلا

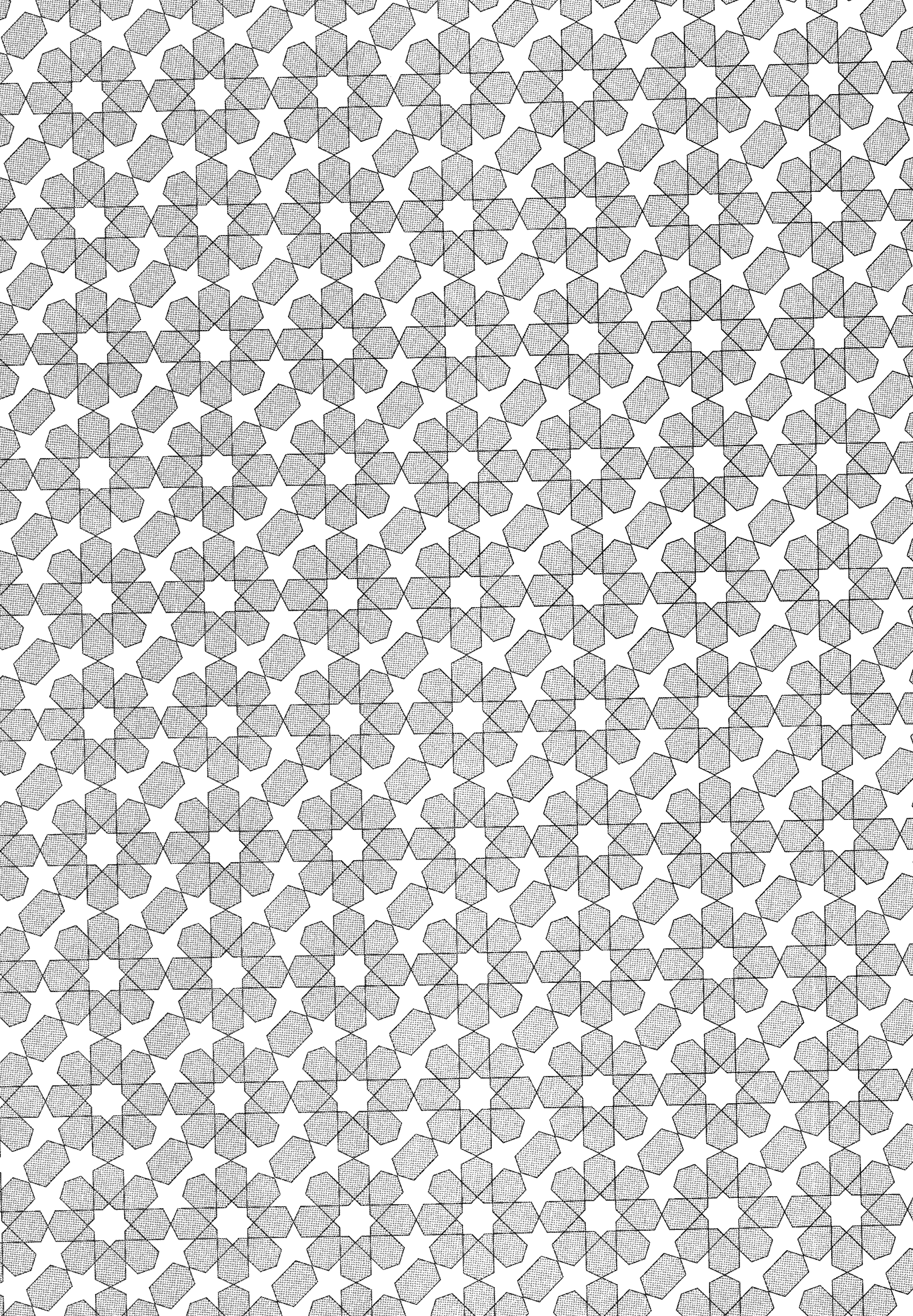
عن أنه مازال يعد بمستقبل زاهر للمناطق الصحراوية، وذلك بما يوفره من موارد بحرية مدرة للدخل منتجة ومشغلة في الوقت الحالي.

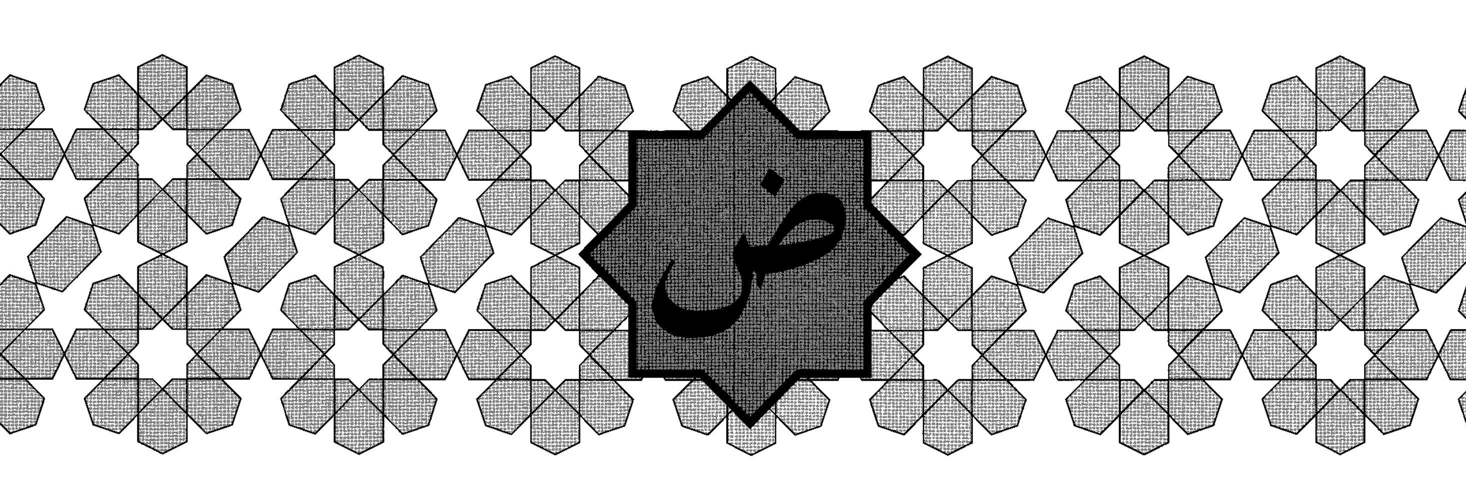
وتتمحور آفاق الصيد بالمنطقة الجنوبية حول المحافظة على المخزون البحري من الاستغلال المفرط واللاعقلاني الذي يتعرض له، مما يحتم إيجاد بديل يضمن للمنطقة والمستثمرين والشغيلة نشاطا مدرا وقارا ومستديما، وذلك بخلق ما يسمى مزارع لتربية الأسماك والأصداف والرخويات la pisciculture, la conchyliculture et l'aquaculture. فالظروف الطبيعية والمناخية والساحلية منها بالخصوص متوفرة بهذه السواحل الممتدة المميزة بكثرة خلجانها وشواطئها الرملية، وخير تجربة نجدها بهور النعيلة شمال مدينة طرفاية حيث تربية وزراعة الأصداف coquille Saint Jacques. فكل ما يجب فعله هو تكوين وتأطير وتوجيه الطلبة في هذا المجال، خاصة مع وجود المعهد الوطني للبحث في الصيد البحري بهذه الأقاليم.

مولاي إدريس شداد وآخرون، *منوغرافية جهة كلميم - السمارة، منوغرافية جهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء، منوغرافية جهة وادي الذهب - لكويرة*، أعدتها وزارة إعداد التراب الوطني والبيئة والتعمير والإسكان بمناسبة الحوار الوطني حول إعداد التراب (مديرية إعداد التراب الوطني)، مطابع منشورات عكاظ - الرباط، دجنبر، 1999 ؛ محمد منجيد، الدور الإستراتيجي للبحر في العالم المعاصر، *مجلة الصيد البحري*، العدد رقم 1، 2002 ؛ عبد الحق بنونة، قطاع الصيد البحري مشاكل وآفاق، *مجلة بحوث كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية*، 2002 ؛ *معطيات إحصائية للمكتب الوطني للصيد البحري* لسنوات : 1994 - 1996 - 2005 - 2006 ؛ وزارة إعداد التراب الوطني والماء والبيئة، *تصميم هيكلة وتنظيم منطقة الداخلة*، خلاصة عامة، مديرية إعداد التراب الوطني، الرباط، 2004 ؛ محمد دحمان، *الترحال والاستقرار من خلال دراسة سوسيو - تاريخية لقبيلة أولاد أبي السباع* (حالة المغرب وموريتانيا)، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب، الرباط، 2003 - 2004 ؛ محمد الطيلسان، القيمة الحقيقية للثروات السمكية بالأقاليم الصحراوية المغربية، منشورات الجمعية المغربية للجيومرفلوجيا، تحت عنوان : *الأقاليم الجنوبية المغربية، البيئة والمجتمع وآفاق التنمية*، الناشر جامعة القاضي عياض مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 2006 ؛ وزارة الإسكان والتعمير والتنمية المجالية، "*المخططات الجهوية لإعداد التراب للأقاليم الجنوبية للمملكة*، ملخص التقارير التشخيصية، مديرية إعداد التراب الوطني، الرباط سنة 2008 .

Cheddad My Driss, Sahara : Ecosystème fragile, ressources naturelles limitées et engagement de l'Etat pour un aménagement régional exceptionnel et une mise à niveau socio-économique et spatiale, *Revue Horizons Universitaires*, n° 3 vol.2, Université Mohammed V -Souissi- Rabat, Novembre, 2006.

مولاي إدريس شداد




ض

تجفيفها نتيجة شدة التبخر. وأگلميم أكبر من الضاية من حيث الحجم، فهو عبارة عن مصبات لعدة أودية تشكل بحيرة كبيرة، والتصغير هو أگلمين.

ومن بين الضايات نجد : الضاية الخضراء بجنوب بئر گندوز وضاية دمس وضاية لمرينات وضاية أشگيگ، كلها بإقليم واد الذهب، وأگلميم المعذر بگلتة زمور إقليم بوجدور، أگلمين أحمر راسو جنوب شرق بوگراع إقليم العيون وأمدا إعرابن بآسا.

أحمد الهاشمي، المشهد الطبيعي في طوبونيميا المجال الصحراوي، *كتاب الصحراء الأطلنتية* : المجال والإنسان منشورات وكالة الجنوب، الرباط، 2007.

Cheddad My Driss, Sahara, Ecosystème fragile, ressources naturelles limitées et engagement de l'Etat pour un aménagement régional exceptionnel et une mise à niveau socio-économique et spatiale, *Revue Horizons Universiaires*, n° 3 vol.2, Université Mohammed V – Souissi- Rabat, Novembre, 2006 ; Dresch, J., *Géographie des régions arides*, PUF, Paris, 1982 ; Gautier, E. F., «Sahara Marocain (au)», *Revue de Paris IV, 1910* ; Gharbari Ahmed, *Géographie du Sahara marocain*, Casablanca, 1985.

مولاي إدريس شداد

الضايات بالصحراء، الضاية بحيرة طبيعية تتجمع فيها مياه الأمطار أو السيول، أو تكون نابعة عن عين باطنية تزودها بالمياه. وتختلف مورفلوجية هذه الضايات من منطقة إلى أخرى خاصة من حيث الحجم والتسمية. ومن هـذه التسميات ما يلي : الـگلتة، المعذر، أگـلميم أو أگلمام، تمدا، إيفرض، نينسخت، إلخ. بينما تحتفظ في بقية الجهات الأخرى للمغـرب باسم الضاية أو المرجة أو الواحة، خاصة إذا كانت قليلة الماء، وفي القواميس العربية تنعت بالبحيرة.

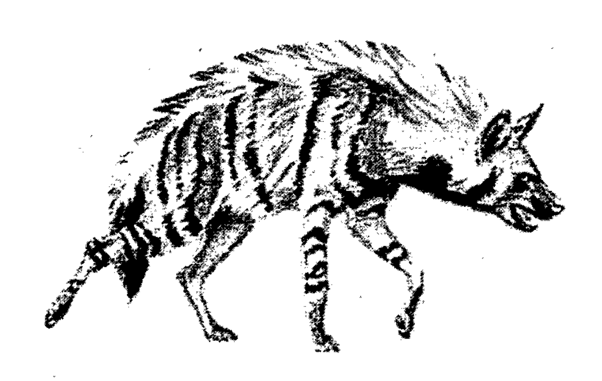
في الصحراء نجد ثلاث أشكال هي السائدة، الضاية، الـگلتة، والمعذر، ويمكن أن نجد بعض الأسماء المحلية كتمدا، وأگلمين. أما كلمة الغدير أو الغديرة فهي من الضايات الصغيرة التي تتشكل في الفترات المطيرة ولها زمن محدد، بحيث تتبخر بشدة الحرارة أو تتسرب مياهها في الرمال النافـذة، ويطلق عليها السكان المحليين لفظ "الغدير". وماء هذه الضايات الصغيرة يستحب عند البـدو في طهي الشاي وهو أفضل ما يقدم للضيوف للشراب. بينما الـگلتة هي أكبر حجما واتساعا ونجد أهمها في البيئة الصحراوية، وقد تحمل اسم منطقة أو جماعة بكاملها كگلتة زمور، وگلتة العوينا باخنيفس إقليم العيون - طرفاية.

ويكون المعذر وتمدا ذا قعور منبسطة تغمرها سيول الأمطار وتترسب فيها أتربة خصبة تصلح للزراعة بعـد

الضبع، كما هو في الدارج واللغة، والضبع المخطط وعرفاء والذيخ والذبحة والضاحك كما هو في المعاجم، حيوان ثديي لاحم من الضواري Carnivore ومن فصيلة الضباع Hyaenidae. يسمى علمياً Hyaena hyaena Linnaeus 1758 وبالأمازيغية إيفيس وئفيس وأريدال وتورسرا وبالفرنسية Hyène rayée وبالإنجليزية Striped hyaena. يتميز بقامة كبيرة وبقوائم خلفية أقصر بكثير من الأمامية مما أدى إلى انحناء الظهر نحو الخلف. هيأته شبيهة بالكلاب، رأسه كبير وعنقه ضخم ؛ أذناه مثلثتان وبارزتان. شعره غزير طويل وخشن، تمتد على طول العمود الفقري من العنق إلى الذيل خصلة من الشعر الطويل الخشن تنتصب في حالة الغضب ؛ لونه

رمادي إلى أمغر شاحب مع خطوط مستعرضة سوداء على الظهر والجانبين والقوائم. العنق أسود عموماً ؛ شعر الذيل كثيف جداً وطويل، موحد اللون أو مخطط بالأسود. الفكان قويان يحملان أسناناً صيغتها على نضف الفكين كالآتي :

3/ 3 قواضم؛ 1/ 1 أنياب ؛ 3/ 4 أضراس أمامية : 1/ 1 أضراس = 34 سناً.



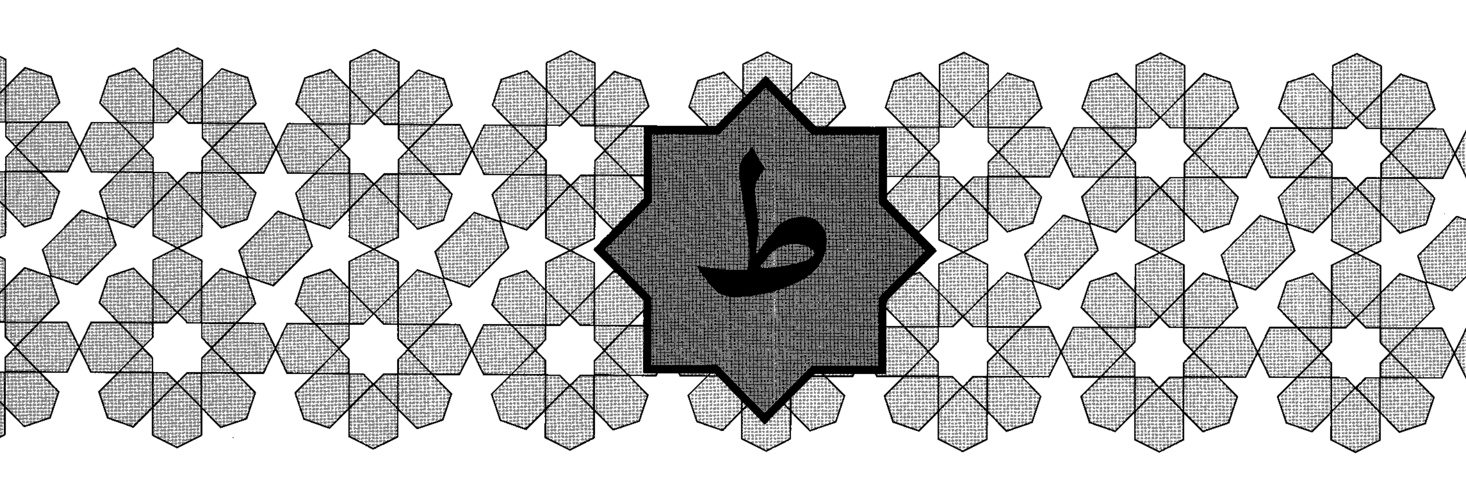
علوه عند الغارب 65-80 سم وطوله جمعاً بين الرأس والجسد 100-120 سن وطول الذيل 25-35 سم. يعيش منعزلاً أو مزدوجاً ويختفي نهاراً في المغاور وبين الصخور ليستأنف نشاطه ليلاً باحثاً عن مختلف الحيوانات الصغيرة والجثث والعظام ليسحقها بفكيه القويتين. وينسب إليه في بعض المناطق المغربية أنه يحفر المقابر ليأكل عظام الجثث كما ينسب إليه أيضاً أنه يهجم على قطيع الغنم. ما زالت بعض الفئات البدوية في شمال إفريقيا تؤمن بمنفعة مخ الضبع في عالم السحر. يتوالد في فصل الربيع وتدوم مدة الحمل حوالي 110 أيام وعدد جرائه 1-4، توضع في الغيران والكهوف وترافق الأم بعد ستة أسابيع.

موطنه الأصل إفريقيا الشمالية والمناطق الصحراوية الإفريقية والشرق الأوسط والجزيرة العربية والهند. وصار نادراً في المناطق المغاربية ابتداء من منتصف القرن العشرين. يوجد في المغرب منه عدة وحدات في شرق البلاد والأطلس الكبير والمناطق الصحراوية جنوب الأطلس الصغير. وانقرض في كل من الأطلس المتوسط والهضاب الوسطى.

ويعد من الحيوانات المهددة بالانقراض في المغرب ويحتاج إلى دراسة دقيقة تهدف إلى حمايته في أماكن آمنة. وتعيش عدة أفراد في الحدائق الحيوانية العمومية الوطنية والأجنبية.

J. Dorst et P. Dandelot, *Guide des grands mammifères d'Afrique. Les guides du naturalistes* ; Délachaux et Niestlé, Neuchatel, Paris, 1973 ; S. Aulagnier et M. Thevenot, *Catalogue des mammifèrs sauvages du Maroc. Trav. Scient.. Zool.*, n° 41, Rabat, 1986.

محمد رمضاني


ط

الطاح، إسم يطلق على مركز وعلى جماعة قروية وبشكل خاص على إحدى السبخات المشهورة بجهة العيون – بوجدور - الساقية الحمراء.

ظل موقع الطاح يشكل مركزا حدوديا خلقه المستعمر الإسباني لحراسة الحدود الوهمية الفاصلة بين الشمال المغربي وباقي ترابه الجنوبي المشكل من الساقية الحمراء ووادي الذهب، وذلك إلى غاية 1975 حيث تحول هذا الموقع إلى معبر للمسيرة الخضراء السلمية التي تم على إثرها استرجاع هذه الأقاليم الصحراوية.

وعلى إثر التقسيم الإداري الأخير لسنة 1992 فقد أصبح الطاح يطلق على جماعة قروية تابعة لدائرة طرفاية، التي تنتمي بدورها لإقليم العيون التابع لجهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء. وقد بلغ عدد سكان جماعة الطاح حسب نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1994 ما قدره 563 نسمة موزعين على 124 أسرة.

غير أن إسم الطاح يبقى مرتبطا أكثر بسبخة الطاح التي تعتبر بحق من أشهر المسطحات المائية المالحة المشهورة على صعيد الصحراء الإفريقية الكبرى الغربية.

تستقر سبخة الطاح عند الهضبة الساحلية المعروفة بالگعدة، التي تمثل في الواقع حمادة تنتمي موادها الصخرية إلى الزمن الثاني والثالث. وقد تطورت هذه السبخة على شكل منخفض يبلغ عمقه 55 مترا دون سطح البحر، وتتخذ شكل ممر تبلغ مساحته 250 كلم^2 باتجاه عام شش-شد/غ ج-غ بشكل مواز لساحل طرفاية، الذي لا يبعد عن الهامش الشمالي للسبخة إلا بحوالي 30 كلم، وبشكل مواز مع اتجاه الرياح التجارية التي تتردد بشكل قوي على هذه المنطقة.

وحسب هذه الظروف المحلية المتميزة بالجفاف، وبهبوب الرياح القوية بتردد عال، والمتميزة أيضا بوجود إمكانيات جيولوجية قابلة لاحتضان فرشة مائية جوفية، إضافة إلى توفر شروط وجود الملح، فإن سبخة الطاح لاتخرج عن نطاق السبخات التي تتطور بالأوساط الصحراوية تحت تأثير الدينامية الجيومرفلوجية الماء - هوائية القادرة على توسيع هذه المنخفضات وحفرها على أعماق بعيدة دون مستوى سطح البحر.

إن هذه السبخة تشكل ثروة طبيعية حقيقية يمكن استغلالها على أوجه مختلفة : فهي تقدم منظرا طبيعيا خلابا غير مألوف يمكن استثماره كمنتوج سياحي، وتقدم مكمنا ملحيا لا يتم استغلاله إلا على نحو محدود، كما يمكن استغلالها لتوليد الطاقة الكهربائية بالاعتماد على الفرق الارتفاعي بين سطح السبخة وسطح البحر. ويتم حاليا التفكير في إمكانيات خلق مركب هيدكهربائي توجه طاقته لاستخراج ملح السبخة بإنتاج قد يبلغ 100 ألف متر مكعب في اليوم.

عبد اللطيف رمان

الطبيلة، اسم مكان يقع في جنوب الساقية الحمراء، بحوالي 40 أربعين كيلومترا (40) غرب السمارة، ويوجد به واد يعرف بواد الطبيلة الذي يعتبر متنزها للأسر الصحراوية خاصة القاطنة بالسمارة، وسمي بالطبيلة نسبة إلى صخرة كبيرة توجد به على شكل مائدة، وهي التي وقع عليها الشيخ سيد أحمد لعروسي وأثر يديه وسبحته عليها، وذلك حسب الرواية المتداولة بين أحفاده، لكنها بدأت تفقد شكلها بفعل عوامل التعرية ولم تعرف استقرارا سكانيا باستثناء الفترة التي مكثها سيد أحمد لعروسي بها.

الغالية بلعمش

طردسيّاس (Tordesillas) المعاهدة المبرمة بين إسبانيا والبرتغال يوم 7 يونيو 1494 بإشراف البابوية الكاثوليكية توزعت بمقتضاها مناطق متابعة الحروب الصليبية ضدا على دار الإسلام بين تلك الدولتين، وجاءت مؤكدة لما سبق من الأوفاق بينهما في معاهدة ألكصوبة (1479) المبرمة في طليطلة سنة 1480 من أن الشواطئ الإفريقية جنوب بوجدور وإلى غينيا الاستوائية من نصيب البرتغال، بينما تكون الشواطئ شمال بوجدور إلى حدود ماسة من نصيب إسبانيا لأن تلك الشواطئ تقابل الجزر الخالدات، ولم تكن معاهدة ألكصوبة وطليطلة قد فصلت القول

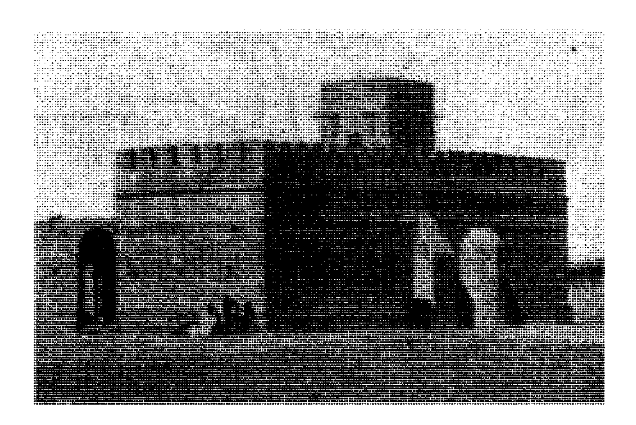
في أمر تلك الشواطئ بين الدولتين. ولذلك بادرت إسبانيا إلى تجديد صرح سانطا كروث دي ماريكينيا (Santa Cruz de Mar Pequeña) سنة 1496 على يد الوالي العام على الجزر الخالدات ألونصو فخاردو (Alonso Fajardo).

Hodges, T., *Historical Dictionary of Western Sahara, London*, 1982.

إبراهيم بوطالب

طرفاية (مدينة -) تقع مدينة طرفاية على الساحل الأطلنتي على بعد 231 كلم جنوب غرب مدينة طان طان وعلى بعد 100 كلم شمال مدينة العيون، تبلغ مساحة مدارها الحضري حوالي 25 كلم^2 يحدها من الشمال والغرب المحيط الأطلنتي ومن الجنوب والشرق جماعة الطاح القروية.

تطورت مدينة طرفاية عند رأس جوبي حيث أنشأ بها تاجر إنجليزي عند نهاية القرن التاسع عشر 1882 قلعة تعرف إلى يومنا هذا باسم كازامار (دار البحر)، وقد احتلها الإسبان سنة 1916 وتم استرجاعها إلى حظيرة الوطن سنة 1958، غير أن الفضل في شهرة طرفاية يعود إلى الطيار الفرنسي سان إكزوبري الذي ذكرها في كتاباته (بريد الجنوب) خصوصاً وأنها كانت محطة مهمة للطائرات ونقطة ربط داخل خط البريد الجوي الذي فتح سنة 1925 للربط بين الدار البيضاء وسان لويس بالسنغال.



وتعتبر سنة 1975 منعطفا مهما في تاريخ المدينة ذات دلالة رمزية حيث شكلت نقطة تجمع واستقبال المتطوعين المشاركين في المسيرة الخضراء المنحدرين من مختلف أنحاء الوطن، ومنها أعطيت انطلاقة عبور هذه المسيرة نحو الأقاليم الصحراوية الجنوبية التي ظلت تحتلها إسبانيا منذ أمد بعيد.

كانت المدينة تشكل عاصمة إقليم طرفاية، لكن بعد استرجاع الأراضي الصحراوية الجنوبية تم إلحاقها بإقليم العيون لتشكل مركزاً لجماعة قروية تابعة لدائرة الداورة. وعلى إثر التقسيم الإداري الذي شهده المغرب سنة 1992 رقي مركز طرفاية إلى بلدية تنتمي إلى إقليم العيون التابع بدوره لجهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء.

وتعتبر طرفاية عاصمة لدائرة طرفاية المشكلة من أربع جماعات قروية هي : اخفنير، الداورة، الطاح، الحگونية.

إن عدد سكان طرفاية حالياً (سنة 2000)، بالاعتماد على نسبة النمو السنوي المسجلة بين سنتي 1971 و1994 (6.3 ٪) لا يقل عن 6700 نسمة. وبذلك تكون هذه المدينة قد سجلت نفس وتيرة النمو القوية التي عرفتها باقي المدن الصحراوية المغربية. هكذا فقد انتقل عدد السكان من 1104 فرد سنة 1917 إلى 2909 سنة 1982 ثم 4506 سنة 1994.

ولم يكن هذا التطور ممكنا دون المجهودات التي سجلتها المدينة على مستوى خلق البنيات التحتية المتمثلة بالخصوص في ميناء طرفاية الذي يعد أهم محرك لعجلة التنمية والمتنفس الاقتصادي للمدينة. فقد أصبح يكتسي بعدا جهويا إذ يعد ثاني ميناء بالجهة بعد ميناء المرسى. فبعدما لم يكن يشكل في الستينيات سوى مرفأ صغير تحتمي فيه قوارب الصيد التقليدية من لجة المحيط الأطلنتي العالية، فقد أصبح اليوم يشكل مع الملحقات والوحدات الصناعية التابعة له أهم قطب اقتصادي بالمدينة.

شيد هذا الميناء سنة 1982 على مساحة 39,6 هكتارا يغطي فيها الحوض البحري مساحة 17 هكتار، ويبلغ طول حواجزه 1720 متر، أما طول الأرصفة فيصل إلى 214 متر. ونشاط هذا الميناء موجه بالأساس إلى الصيد البحري وتصدير الرمال والملح. وتجدر الإشارة إلا أنه يحتل مكانة رائدة في ميدان صيد السردين وذلك نظراً لانفتاحه على المصايد الأطلنتية الغنية المرتبطة بتردد التيار البحري البارد الذي يمر من سواحل طرفاية والمعروف باسم الكناري. غير أن هذا النشاط يعرف نوعا من عدم الانتظام ويعاني نوعا من ضعف التطور بسبب غياب بعض التجهيزات الأساسية داخل الميناء مثل الماء الشروب، وشبكة التطهير، وعدم ربط المركز بالشبكة الوطنية لتوزيع الطاقة الكهربائية. فالمركز يعتمد على محطة حرارية صغيرة لتوليد التيار الكهربائي.

إن مشكل الماء الشروب لا يقتصر على الميناء فحسب بل تعانيه المدينة بشكل عام بسبب ضعف الموارد المائية المحلية. ويعتمد في تزويد المدينة بالماء الشروب على تحلية المياه الجوفية بحجم لا يتجاوز 800 متر مكعب في اليوم. لكن أهم العوامل المعرقلة لنمو المدينة والتي لا تهدد مستقبل الميناء فحسب بل المدينة ككل يتمثل بشكل أساسي في ظاهرة زحف الرمال. إن موقع طرفاية الجنوبي الصحراوي المتميز بالتردد القوي للرياح، وشكل وطريقة رسم ساحلها تجعلها تعرف تعرية ريحية جد نشيطة تتجسد في تكوين وتحريك الكثبان الرملية التي تشكل عائقا حقيقيا أمام تنمية المدينة والمجال المحيط بها، فالكثبان الرملية تتسبب في خلق متاعب يومية للسكان، وتؤدي إلى دفن التجهيزات مثل الطرق وعرقلة السير العادي للميناء الذي يتعرض حوضه للطمر المتواصل. ومصدر هذه الرمال هو تفتت القشرة الصخرية الكلسية المكونة للصخر الأم على طول

الساحل، هذه الفتاتات الرملية تلقي بها التيارات البحرية فوق الشواطئ لتحملها الرياح التجارية (الأليزي) الآتية من الجهة الشمالية والشمالية الشرقية إلى داخل المدينة.

وللحد من مشكل الترمل اتخذت بعض التدابير في إنشاء سور واقٍ في التسعينيات لحماية المدينة، إلا أن هذا الحاجز أصبح دون جدوى الآن أمام تعاظم ظاهرة زحف الرمال، وتعد فكرة إنشاء حزام أخضر على شكل غابة الحل الأنجع لتثبيت الحقول الرملية. إلا أن تدبير مشكل الترمل يبقى صعبا ومعقدا ورهينا بالإمكانيات المادية والبشرية المهمة التي تفتقر إليها المدينة.

عبد اللطيف رمان

الطرق والمسالك بالصحراء، لعبت الطرق والمسالك دورا هاما في حياة القبائل الصحراوية القاطنة بمنطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب، وشكلت القلب النابض للحركة التجارية التي كانت تربط بين أسوق المغرب بالشمال وأسواق السودان الغربي بالجنوب. وكانت القوافل التجارية تعبر هذه المسالك في إطار رحلات شتوية. واحدة في فصل الخريف، وأخرى في أواخر فصل الربيع. ومن أهم المسالك والطرق التي حظيت باهتمام كبير من طرف القبائل الصحراوية نذكر المسلك التجاري الذي كان يربط الصحراء بالجزائر عبر تنذوف، ومسلكا ثانيا يربط بين مدينتي گليمين وتنبكتو عبر مدينة السمارة التي أسسها الشيخ ماء العينين في أواخر القرن التاسع عشر والتي استطاعت استقطاب العديد من القبائل الصحراوية وأصحاب القوافل التجارية العابرة للصحراء. ثم هناك مسلك ثالث كان يربط منطقة تافيلالت بالسودان الغربي عبر وادي نون والساقية الحمراء.

ونشير إلى أنه عبر هذه المسالك كانت تتم عمليات التبادل التجاري بين سكان الواحات والبدو الرحل. ونورد مثالا على ذلك خاصا بقبائل رقيبات الشرق الذين كانوا يتزودون من سوق گليمين بكل ما يحتجون إليه من مواد مثل السكر والشاي والزيت والقمح مقابل بيع قسم من إبلهم ومن مادة الملح التي يستخرجونها من سبخة تنذوف. كما كانت تربطهم علاقات تجارية مع سكان واحة توات، إذ كانوا يحصلون منهم على زرابي جبل عمور. أما رقيبات الساحل فقد كانت لهم علاقات تجارية قوية مع مراكز السودان الغربي، خاصة مركزي آطار وسان لوي. وكانوا يحصلون منها على بعض المواد الغذائية مثل الذرة البيضاء مقابل بيع قسم من إبلهم.

في حين اشتهر أبناء قبيلة أولاد بوسبع بالتجارة عبر كل أنحاء الصحراء. فكانت لهم علاقات مع مراكز السودان الغربي ومع منطقة وادي نون ومع مركز تنذوف. وكانت لهم دراية تامة بهذه المسالك وبتشعباتها وبنقاط الماء المتناثرة هنا وهناك. ولقد شكل الماء أكبر هاجس لأصحاب القوافل التجارية، بالإضافة إلى الزوابع الرملية التي كانت تصادف طريقهم. ولهذه الأسباب فقد كانت الآبار في الصحراء ترصص بسعف النخيل الممزوج بالطوب. وكانت تتميّز بشكلها المربع وبجدرانها غير المدعمة بهياكل ساندة. ومن أشهر هذه الآبار بئر الزوگ وبئر الكندوز الموجودة بأقصى جنوب منطقة وادي الذهب.

بالإضافة إلى مشكل الماء فقد كان هناك مشكل آخر يأرّق أصحاب القوافل التجارية وهو مشكل الأمن والسلامة في هذه الطرق والمسالك. لذلك كانت الدول التي تعاقبت على حكم المغرب تولي اهتماما بالغا لمسألة الأمن لتوفير السلامة لأصحاب القوافل التجارية. وعملت كذلك على إقامة النزالات - المحارس - لضمان التنقل. وتخصصت كذلك بعض القبائل الصحراوية في وظيفة توفير الأمن والسلامة ومرافقة القوافل التجارية في هذه المناطق النائية لتجنيب أصحابها خطر التيه أو الموت عطشا أو تعرضهم لعمليات النهب والسطو التي كان يقوم بها بعض قطاع الطريق. كما كانت هذه القبائل تلعب في أحيان أخرى دور الوسيط كناقل للسلع بين أسواق المغرب في الشمال وأسواق السودان الغربي في الجنوب.

ولعبت كذلك هذه المسالك والطرق التجارية، دورا مهما في تلاقح الثقافات المتنوعة وأتاحت فرصا للتطور المادي والحضاري لسكان الصحراء والدول المجاورة لها.

لكن هذه البنية الاقتصادية التي عمّرت لعدة قدون ستعرف اهتزازا بنيويا بعد توصل بعض المغامرين الأجانب إلى التسرب إلى سواحل المغرب الجنوبية، وبناء وكالات تجارية تمكنهم من المتاجرة مباشرة مع سكان الصحراء ومع بعض المراكز الحضرية. وخير مثال على ذلك المحاولات المتعددة التي قام بها المغامر الاسكتلندي دونالد مكينزي (Donald Mackenzie) بساحل طرفاية منذ سنة 1878، ورغبته في ربط علاقات تجارية مع عائلة بيروك بگليمين، والوصول عبرهم إلى تدشين علاقات تجارية أوسع مع مدينة تنبكتو، وأيضا المحاولات المتكررة التي قام بها المغامر الإسباني اميليو بونيللي (Emilio Bonelli) بساحل وادي الذهب من خلال المركز الذي شيده سنة 1884 بشبه جزيرة وادي الذهب، والذي أطلق عليه اسم بيًّا ثيسنيروس (Villa Cisneros). وخوفا من تفشي عمليات التسرب التجاري الأجنبي في سواحل الصحراء، أعطى المخزن المركزي أوامره لعماله وقواده بالأقاليم الجنوبية لمنع رسو السفن الأجنبية التواقة إلى تدشين عمليات البيع والشراء مع السكان إلا بعد حصولها على إذن أو ترخيص منه، والضرب بقوة على أيدي القبائل التي تسمح للأجانب بالاستقرار في سواحل بلادها. وبفضل هذه السياسة تمكن المخزن المغربي من تضييق الخناق على هذين المركزين وتكبيدهما خسائر فادحة في تجارتهما. لكن بعد فرض معاهدة الحماية على المغرب سنة 1912، وتمكن فرنسا وإسبانيا من استكمال احتلالهما لأغلب المناطق الصحراوية سنة 1934، وإقامة مراكز عسكرية جديدة وطمس معالم العديد من الآبار لإرغام القبائل على

الاستسلام والخضوع للأمر الواقع، تعذر على هذه القبائل الحصول على المواد الغذائية التي كانوا يحصلون عليها من خلال معاملاتهم التجارية مع أسواق المغرب أو السودان الغربي. وأصبح لزاما عليهم التزود من مراكز التموين التي أقامها الجيش الإسباني بالصحراء أو من المراكز الفرنسية التي شيدت في موريتانيا أو في منطقة سوس.

عبد العزيز بنعبد الله، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، *معلمة المغرب*، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ملحق 1، الرباط، 1976 ؛ علي الشامي، *الصحراء الغربية عقدة التجزئة في المغرب العربي*، بيروت، دار الحكمة للنشر، 1980 ؛ علي طعمه، *الصحراء مغربية، حقيقة التاريخ*.. وتاريخ الحقيقة، بيروت، 2005.

Biadillah Mohammed Cheikh, *Du nomadisme à la sédentarisation dans les provinces Sahariennes*, Editions Maghrébines, Casablanca, 1958 ; Jean Despois et René Raynal, *Géographie de d'Afrique du Nord* – ouest. Ed Payot, Paris, 1975. Henri Martin, *Les tribus du Sahel Mauritanien et de Rio de ORo*. Librairie Larose. Paris, 1939 ; Léopold Panet, Relation d'un Voyage du Sénégal à Souera (Mogador) en 1850, dans *Bulletin de la societé de géographie de Paris*, Paris, 1869 ; Marcel Emerit, *Les liaisons terrestres entre le Soudan et L'Afrique du Nord*, Alger, 1984 ; Vincent Monteil, Chroniques de Tichit, dans *Bulletin de L'Lnstitut Français d'Afrique Noire*, Librairie Larose, Paris, 1939.

** الطرق والمسالك بالصحراء، إذا كانت سلسلة الأطلس قد منحت المغرب عبر تاريخه الكثير من الخيرات، ووقفت في وجه تقدم الصحراء إلى سهوله الأطلنتية، فإن المسالك والطرق التجارية الصحراوية، شكلت شرايين الحياة بالنسبة له، وكذا بالنسبة لكل الوحدات السياسية القائمة على ضفتي الصحراء طيلة العصر الوسيط (المرابطون، والموحدون، والحفصيون بإفريقية، الزناتيون بالمغربين الأوسط والأقصى، والوطاسيون، والسعديون / غانة، ومالي، وكانم ـ برنو، وجولوف).

وتشهد النقوش الصخرية المتناثرة في أجزاء مختلفة من الصحراء على مدى حيوية هذا المجال في تنمية العلاقات ما بين ضفتيها، وذلك منذ عصور موغلة في القدم. وحسبما يستفاد من الشهادات المصدرية العربية المدونة خلال القرنين الثاني والثالث من الهجرة (8 ـ 9م)، يظهر أن تلك العلاقات عرفت تطورات هامة خلال القرون الميلادية الأولى، بيد أننا نجهل الكثير عن ملامحها وخصائصها.

وتشير كل القرائن أنه خلال القرن الرابع الهجري (10م)، أخذت التجارة الصحراوية تعرف نموا متواترا، مما ساهم في تقعيد تلك المسالك والطرق الصحراوية، وبالتالي تمكنت الوحدات السياسية القائمة في الشمال أو الجنوب من دعم وسند اقتصادي غاية في الأهمية (المرابطون في الشمال ومملكة غانة في الجنوب).

ويظهر أن أهم المسالك الصحراوية وقتئذ، تمثلت في الطريق اللمتوني، نسبة للقبيل المؤسس للدولة المرابطية، وقد كان ينطلق من منطقة سوس وخاصة من حاضرة أغمات، وينتهي عند مملكة غانة مرورا بأودغشت. وإلى الشرق من هذا المحور التجاري، كان هناك مسلك آخر يربط ما بين القيروان وگاو (كاغ أو كوكو)، مرورا بتادمكة السوق. وحينما تم تأسيس دولة بني عبد الواد بتلمسان خلال العقد الرابع من القرن 13م، تطورت التجارة الصحراوية بشكل لافت بفضل الدور الحيوي للوكالة التجارية لأسرة المقري، فأضحى المحور التجاري الرابط ما بين تلمسان ـ ولاتة ـ نياني عاصمة مملكة مالي، يحتل مكانة معتبرة في التجارة الصحراوية.

وإذا كانت سجلماسة طيلة العصر الوسيط قد احتكرت تجمع القوافل التجارية المغربية الراغبة في التوجه إلى بلاد السودان (السودان الغربي أو الفضاء السنغامبي)، فإن الحوض الأوسط لنهر النيجر حيث توجد گاو وتنبكت، شكل وقتئذ نهاية جل المحاور التجارية المنطلقة من بلاد المغرب أو مصر. ولعل أهم العوامل المساعدة في ثبات واستمرار نشاط هذه المسالك الصحراوية، أن بعض محطات الطريق، كانت تزخر بمناجم لاستخراج بعض المعادن، مثل الملح الحجري في إيجل وتغازة وولاتة، أو مثل النحاس في تكدة الواقعة في الطريق المصري نحو گاو. وبذلك أضحت هذه المحطات الصحراوية أسواقا تجارية، تساهم بدور كبير في تغذية الرواج التجاري بين ضفتي الصحراء.

ولأسباب غذائية وأخرى عقائدية، فقد كانت مادة الملح الحجري من أهم السلع التي أقبل عليها أهل السودان بشغف كبير، مما جعلها تتصدر لائحة مواد التبادل التجاري إلى غاية دخول الاستعمار نهاية القرن 19م. وفي المقابل فإن التبر (الذهب في حالته الخامة) إضافة للرقيق، شكلا، خلال العصر الوسيط، أهم السلع المصدرة لأسواق بلاد المغرب ومصر.

وباستقراء خريطة المسالك الصحراوية التجارية إلى نهاية القرن 19م، يتضح أنها حافظت على حيويتها ولم تعرف كبير تغيير إلى غاية منتصف القرن 14م، لكن بعد ذلك أخذت تتزحزح نحو الشرق، خاصة نحو أسواق مصر أيام المماليك. والغالب على الظن أن رحلة ابن بطوطة إلى مملكة مالي عام 1352، والتي كانت إشارة وبتلاشي الدور التجاري لمدينة سجلماسة، ثم بداية ظهور السفن الإيبيرية (في إطار الكشوف الجغرافية) على السواحل الأطلنتية لمنطقة السنغامبيا منتصف القرن 15م، إذ بدأ الحديث عن صراع مرير ما بين الكارافيل والقافلة، انتهى بانتصار الأولى على الثانية نهاية القرن 16م. وقد شاع هذا التصور بين الكثير من الباحثين، خاصة بعد أن قعّده ورسّخه المؤرخ البرتغالي كودينيو (Godinho) منتصف القرن العشرين.

ومع أن المواد التجارية المتداولة في التجارة الصحراوية، هي التي كانت تتعاطاها التجارة الأطلنتية باستثناء بعض المواد مثل النبيذ، فإن هذه

الأخيرة حققت نجاحا باهرا وأرباحا مغرية، بلغ معدلها في المتوسط 200%.

ويرجع سبب ذلك لعاملين أساسيين : أولهما، أن حمولة السفن كانت غاية في الأهمية، حيث يمكن أن تتجاوز 1200 طن، ومثل هذا الأمر لم يكن متاحا للتجارة الصحراوية المكلّفة. وأما العنصر الثاني المساعد، فيتمثل في تقلص المسافة الزمنية فيما بين أوروبا والواجهة الأطلنتية لبلاد السودان ؛ ذلك أنه إذا كانت القافلة في التجارة الصحراوية تحتاج لشهرين في الذهاب ومثلهما في الإياب، فقد كانت السفن البرتغالية القاصدة للشواطئ السنغامبية، تقطع أكثر من ضعف المسافة في أقل من ثلاثة أسابيع ومثلها في الإياب ؛ وحتى إذا انطلقنا من أحد موانئ هولندا، فلن يستلزم الأمر سوى ثلاثين يوما، ومثل ذلك في العودة.

على أن الدراسات التاريخية المتأخرة، التي أعادت النظر في علاقة الكارافيل بالقافلة خلال العصر الوسيط والفترات التالية إلى نهاية القرن 19م، حاولت التركيز على فكرة التكامل ما بين التجـارة الصحراويـة والتجارة الأطلنتيـة ؛ وتبعا لذلك، تم هجـر التصور القديم لكودينيو. ونعتقد أن السؤال الأساس الذي يفرض نفسه في هذا الإطار، يدعونا لرصد زمنية هاته العلاقة، وليس الحديث عن الصراع أو التكامل. وبعبارة أكثر دقة، متى كانت هاته العلاقة محط صراع، ومتى أصبحت تميل للتكامل ؟

أحمد الشكري، مقاربة تقييمية لدور الصحراء في علاقات بلاد المغرب ببلاد السودان خلال العصر الوسيط، مجلة *المناهل*، عدد خاص عن الصحراء، رقم 58، 1998 ؛ *الإسلام والمجتمع السوداني، إمبراطورية مالي 1230 - 1430*، أبو ظبي، المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، 1999.

Cuoq (J.) *Recueil des sources arabes çoncernant l'Afrique occidentale du 16è siècle (Bilad al-Sudan)*, Paris, C.N.R.S, 2 éd, 1985 ; De Moraes (N. I.) A la *découverte de la petite côte au 18è siecle (Sènègal Et Gambie)*, T. 1-2, Dakar. I. E. A., Université CH. A. Diop. – I.F.A.N, 1993 – 1995 ; Barry (B.) : La *Sénégambie du XVe au XIXe siècles : Traite négrière, Islam et conquête coloniale*, Paris, éd. I'Harmattan, 1988 ; La victoire de la caravelle sur la caravane : Quel destin pour l'Afrique. *In Actes du colloque Le monde Arabe et l'Afrique : Défis du présent et de l'avenir*. Rabat, Publication du ministère de la culture, 2005 ; Devisse (J.) L'Afrique dans les relations intercontinentales, In *Histoire Générale De L'AfriQue*. T. IV. Unesco / N.E.A, 1985. ch. 26, p. 693 -730 ; Hunwick (J.O.), *Les rapports intellectuels entre le Maroc et l'Afrique subsaharienne*, Rabat, Publication de l'Institut des Etudes Africaines, 1990 ; Mauny (R.), *Tableau géographique de l'ouest Africain au Moyen Age, d'après les sources écrites, la tradition et l'archéologie*, Amsterdam, 2 éd. Mémoires de l'Ifan, n° 61, 1967 ; Niane (D. T.), L'interdépendance des Empires Soudanais et des Etats Maghrébins aux XI-XIV siècle. In *Actes du IV éme Colloque Euro-Africain sur L'Histoire du Sahara*. Bergano-Italia, 1985.

نور الدين بلحداد وأحمد الشكري

الطريفية (معركة -) الأربعاء 6 - 9 من رمضان 1343 / 2 - 5 أبريل 1925. تقـع "الطريفية" على بعد عشرين كلم جنوب شرق "شار" بمنطقة آدرار. واشترك فيها ثلاثمائة مقاتل، تحت قيادة "آيت أربعين"، وقد حضرها كل من شهد معركة الحفرة في أكتوبر من سنة 1924. من بين قادتها : إسماعيل بن الباردي، وأحمد بن حمادي، وإبراهيم بن وداد البيهي، ومامينا بن سداتي، وأحمد بن الخطاط، ومحمد عبد الله بن عبد الوهاب، ومعهم مجموعة من سلام على رأسهم امحيمّد بن أحميّدْ الذي استشهد. وقد أشار الشيخ الولي إلى انطلاق هذه الغزوة في رسالة مؤرخة يوم 20 من شعبان عام 1343 بعث بها إلى الشيخ مربيه ربه في كردوس. وذكر أن الغزوة تتألف من نحو ثلاثمائة مقاتل، فيها خمسة وأربعون من التلاميذ.

انطلق المجاهدون من موضع "أرغيوة بمنطقة زمور في اتجاه "شار" ولما اقتربوا من الحامية الفرنسية التي كانت في تلك الأثناء تنزل على ربوة "الطريفية"، تبادل قادة المجاهدين الرأي بشأن الطريقة التي تتم بها مهاجمة الحامية. فاقترح مامينا عليهم - حسبما روى المجاهد يحفظه - أن يشنوا الهجوم على الحامية ليلا، على حين غرة، وأراد من وراء ذلك أن يفرَّ "الـگوم" ويبقى الرماة والضباط الفرنسيون فيبيدوهم، فأيّد رأيه إبراهيم بن بداد البيهي، لكن محمد عبد الله بن عبد الوهاب اعترض قائـلا : لا أرى هذا الرأي، لأنه ربما يغلط بعضنا في بعض، والصواب أن نشن الهجوم في الصباح الباكر. فمال قادة المجاهدين لرأي محمد عبد الله فقرروا الهجوم في الصباح. وهكذا نشبت المعركة بعد طلوع الشمس بساعة وكانت الحامية العسكرية قد اتخذت مواقعها على ربوة "الطريفية" ونصبت المدافع الرشاشة.

فهاجم المجاهدون الحامية من ثلاث جهات وكانوا يتمتعون بروح قتالية عالية، إلا أن النيران الكثيفة من الرشاشات حالت دون اقتحامهم التحصينات المقامة. لكن القتال استمر بضراوة حتى بعد الظهر، فتراجع المجاهدون نصف ميل، ثم عادوا بعد العصر بهجوم عنيف، بعد أن توزعوا إلى طائفتين : ميمنة وميسرة. وكانت الطائفتان تحيطان بالحامية الفرنسية إحاطة السوار بالمعصم لولا المدفع الرشاش الذي ساهم إلى حد كبير في تفريق صفوف المجاهدين. وفي هذا الهجوم الكاسح، سقط أربعة من المجاهدين هم : محمد عبد الله بن عبد الوهاب، وعبد الودود بم عمار بن ميارة، وإبراهيم السالم بن المشظوفي، وماء العينين بن الحاج بن أبكْ. وفي اليوم المـوالي شن المجاهـدون هجوما أعنف من سابقـه واستمر طيلة يوم وليلـة. وفي الليلـة الأخيرة من المعركـة اقترب المجاهدون من الحامية حتى صاروا يتبادلون الأشعار الحسانية مع " الـگوم" حيث قال لهم أحدهم :

"أَنْـلاثينْ ألامَلْتزّ * مَنْكمْ ما تَرْجَعْ للسَّاحلْ * أخْمُسْطَعْشْ إلتّنْبَرْبَزّ * وأخْمُسْطَعْشْ ألوَلْ أخْلاخَلْ".

فأجابه أحد المجاهدين :

الحربْ ألماهُ مَتْبَاخلْ * تَتْبَرْبَزَّتْ تنبريز * وتنبربزتْ ولد أخلاخلْ"

وتحدث الرائد جيلييه Gillier عن هذه المعركة وقال : "إن هذه المعركة كانت أطول وأحمى معركة تم تسجيلها في موريتانيا، وربما في مجموع أقاليمنا الصحراوية. دامت هذه المعركة على الأقل ثلاثة أيام وثلاث ليال، حوصرت خلالها إحدى كتائبنا الجمالة من قبل جيش يفوقها في العدد ثلاث مرات، ولم ينته القتال إلا بعد حصول خسائر فادحة. وبعد معاناة شديدة من العطش بُقِرَتْ خلالها بطون الجمال المقتولة".

وقال مفصلا : "في يوم 2 أبريل في الصباح بعد ما استنفدت الكتيبة الأولى لجمالة آدرار المراعي الواقعة في ضواحي الزريبة، انتقلت نحو "الطريفية"، وعند السابعة والنصف، في الوقت الذي وصلت إلى المنزل الجديد الذي تم اختياره، أشير إلى وجود جيش على بعد كيلو مترين نحو الشمال الشرقي. فأحاط الجيش الذي لم يكن ينقص عن ثلاث مائة وخمسين بندقية فورا بالكتيبة التي كان عدد الحاضرين فيها يرتفع إلى ثلاثة ضباط وأربعة ضباط صف وعريف أوربي، ومائة وأربعة من الرماة، وثلاثين من الحرس البيضان والمناصرين. واستخدم المهاجمون الميدان ببراعة، في منطقة ذات كثبان، وانسابوا من باقة إلى باقة ووصلوا فورا إلى 200 متر تقريبا من أصحابنا. التراشق كثيف فالرقيبات لديهم هدافون من النخبة، ويوجهون الطلقات بدقة، ولكن الرشاشات التي تطلق طلقات متلاحقة أوقفت تقدم العدو، وكبدته خسائر فادحة. وعند الساعة الثانية بعد الزوال قام النقيب قائد الكتيبة بهجوم مضاد لحماية الحرس الذي اقترب منه العدو إلى بعد 30، مترا فارتمى العدو إلى بضعة مئات من الأمتار تاركا خمس جثث في الميدان، من بينها جثة محمد عبد الله بن عبد الوهاب قائد الجيش".

وأضاف جيلييه قائلا : "أن المقاومين انسحبوا إلى زهاء كلومتر واحد تقريبا وتمادوا خلال العشية وخلال الليل في إطلاق النار المتقطع، واستمروا خلال النهار الثالث في إطلاق نار بهدف الازعاج... واقترب العدو فور غروب الشمس، وكان المهاجمون يصيحون بأعلى أصواتهم بالتحريض على الهجوم... وخلال هذه الليلة أصيب النقيب إصابة قاتلة في صدره... وعند الساعة الحادية عشرة ليلا شن الرقيبات الهجوم فتلقاهم الرماة بالقنابل اليدوية، ثم تقاتلوا بحراب المدافع، فهرب المهاجمون تاركين على بضعة أمتار جثة منشق من حرسنا القدماء. وفي صباح الغد غادر العدو المعركة، وانسحب بعد أن نفدت ذخيرته. كانت خسائرنا كبيرة : 17 قتيل من بينهم النقيب جرفال Girval قائد الكتيبة وخمسة من الرماة وأحد عشر من الحرس وستة جرحى. وترك العدو ثلاثين جثة أمام الزريبة وعددا من الجرحى لا يمكن إلا أن يكون كبيرا".

خسائر الغزوة تمثلت في استشهاد أربعة عشر رجلا هم : محمد عبد الله بن عبد الوهاب القلقمي قاضي الغزوة، وامحمد بن عيْدادْ بن أحميّدْ من سلاَّم، وهدِّي بن الشريف وعبد الودود بن معطله بن المكي والمعلوم بن ألبو (الرقيبات السواعد)، وعبد الودود بن عمار بن ميّاره (الرقيبات التهالات)، وأحمد بن سيدي أحمد بن مكيَّه الغيلاني، والمختار بن الخْريفْ الأيتوسي المتوطن في السواعد، وإبراهيم السالم بن المشظوفي العمني، وماء العينين بن الحاج بن أبكْ "التلاميد"، وكمال بن هدَّادْ العروسي، وحَمْدي بن محمد بن محمد مولود السكراتي والمْعَيْليم مولى أهل عبد الله بن عمار أسواعد، وولد بوظايه (الرقيبات أولاد موسى)، ومحمد بن أحمد سالم (الرقيبات أولاد داود).

وجرح ستة وعشرون رجلا، من بينهم ألمين بن حبيب الدليمي أصيب في يده، ومحمد بن أحمد بابا التهالي، والعبيدي بن سالم الداودي، ونفعي بن ابريكه السلامي أصيب في فكه، وعليلوات بن بوظايه، وخندود بن اعلي بيبا من الموذنين.

مات من الحامية سبعة عشر قتيلا على رأسهم النقيب جرفال وعريف، وصيْدُ عباس، وعلي ألصانْ فال، وكوروزُ يُوكو، وصنكوني فايْ، وأبّاه الغرب، والمختاربن بكار فال، والمختار بن امحيمد، وانْدح بن بدي، وأحمد بن آبود، وبكة بن الشيخ، وسيدي بن سيكة، وسيدي أحمد بن الفتي، ومحمد سعيد بن أخلاخل، وسيدي أحمد بن أليف، ومحمد سالم بن المختار بن الحسن الملقب تَتْبَرْبَزَه. هؤلاء الثلاثة قتلهم عبد الله بن السويحْ الزرقي.

ومن بين جرحى الحامية : يورو سيسي، وموسى كانت، وأكو دنبلا، وادرايوكُ، وإبراهيم بن غرفل، ودكرَلِي بن الصوفي الذي مات بعد ذلك بمدة قصيرة كما ذكر محمد الغالي بن المعيوف.

وأسر مامينا جنديا يدعى سليمان اديارى سوبه، وبعد مدة فداه منه الشيخ الطالب أخيار بأربع بنادق، ثم سلمه للقوات الفرنسية.

وتحدث سعد خليل عن هذه المعركة وقال : "لقد اكتست هذه المعركة بالذات وزنا خاصا لدى الفرنسيين، وكثر وصفها وشرح أحداثها، وتعددت التعليقات عليها، فقد كانت أطول معركة بين الهجانة وقبائل المقاومة، كما أنها أثبتت أن هذه القبائل قد وصلت إلى مستوى من التنظيم وحسن القيادة وبراعة المناورة ما يهدد بخطر جسيم، واعترفت السلطات الفرنسية في نشراتها الرسمية أن هذا الهجوم كان يهدف إلى تدمير فصيلة الهجانة".

ومن طريف ما يُحكى أن قطيعا من إبل المفرزة الفرنسية بالطريفية، كانت عند الرقيب سيدي أحمد بن محمد الزناكي، ولما علم بالهجوم حاول إبعاد القطيع عن الخطر، فلحق به بعض المقاومين، وقالوا له اترك القطيع وانج بنفسك فرد عليهم قائلا : كلاَّ ألم تسمعوا قوله تعالى : "إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها" ثم أطلق عليهم النار حتى رجعوا عنه.

بعد معركة الطريفية أعلن الفرنسيون أنهم خصصوا مكافأة مالية قدرها ألف فرنك، وبندقية وألف رصاصة، لمن يقتل اعلي بن ميارة، أو إسماعيل بن الباردي، أو أحمد بن حمادي.

يقول المجاهد يحفظه إنهم بعد عودة الغزوة إلى "أرغيوة" وجدوا محمد المأمون شقيق المجاهد الشهيد وجاهة قادما من عند الشيخ مربيه ربه في كردوس وقد أعطاه طابعه كأحد قادة الجهاد في الجبهة الجنوبية.

سعد خليل، ص. 524 ؛ الشيخ ماء العينين، *علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي*، ج 2.

Gillier, *La pénétration en Mauritanie*, p. 263 – 265.

ماء العينين الطالب أخيار

الطريق (معركة -) وقعت يوم 28 نونبر سنة 1957 عندما هاجمت جماعة مسلحة من فرق جيش التحرير المقاتلة قوة كبيرة من جيش الاحتلال الإسباني مكونة من أربعين عربة عسكرية ما بين شاحنات وسيارات مصفحة، كانت متوجهة من مدينة عيون الساقية الحمراء إلى المعسكر الإسباني بالشاطئ. واستمرت المعركة بين الفريقين ثلاث ساعات من الرابعة إلى السابعة مساءا استعمل العدو فيها القنابل والمدافع الثقيلة وأسفرت عن سقوط أربعين قتيلا في صفوف جنوده من بينهم ضباط برتب متفاوتة وجرحى كثيرون لم تتمكن فرقة جيش التحرير المقاتلة من عدهم. أما في صفوف جيش التحرير فقد سقط خمسة شهداء وجريحان بجروح خفيفة.

الحاج صالح بنعسو، *أضواء على كفاح المقاطعة التاسعة لجيش التحرير بالصحراء المغربية 1956 / 1960*، المطبعة الوطنية، مراكش، يوليوز، 1987.

طريق السدرة (معركة -) وقعت يوم 9 فبراير سنة 1958 عندما خرجت قوات العدو الإسباني معززة بجميع أنواع الأسلحة الثقيلة الحديثة من طائرات ودبابات وسيارات مصفحة وقنابل الغاز المسممة فهجموا على فرق جيش التحرير المرابطة بموضع يسمى "فَمْ إيشْغِي" أو "طريق السدرة" إلا أن هذه الفرق المجاهدة تصدت لهم بشجاعة وكبدتهم خسائر فادحة في الأرواح والعتاد. وقد استمرت المعركة اثنتي عشرة ساعة من الساعة السابعة صباحا إلى الساعة السابعة مساءا وأسفرت عن سقوط أربعين قتيلا وستين جريحا في صفوف العدو وإحراق عشر سيارات من سياراته المصفحة. أما في صفوف رجال جيش التحرير فقد استشهد منهم ستة شهداء وجرح عشرة بجروح طفيفة.

الحاج صالح بنعسو، *أضواء على كفاح المقاطعة التاسعة لجيش التحرير بالصحراء المغربية 1956 / 1960*، المطبعة الوطنية، مراكش، يوليوز، 1987.

ماء العينين النعمة علي

طليطلة (معاهدة)، أبرمت يوم 6 ماي 1480 بين العرشين القشتلي والبرتغالي إثباتا لوفق سابق أبرم في ألكاصوباس (Alcaçovas) في شتنبر 1479 بين الطرفين، تخلى بمقتضاه البرتغال عن الجزر الخالدات لإسبانيا بينما تخلت إسبانيا للبرتغال عن أراضي المملكة المغربية وعن الشواطئ الصحراوية من بوجدور إلى غينيا. وسكت الطرفان عن تحديد مناطق النفوذ بينهما شمال بوجدور إلى أن فصلا في الأمر في معاهدة تورد سيّاس Tordesillas يوم 7 يونيه 1497.

Hodges, T., *Historical Dictionary of Western Sahara*, *London*, 1982.

إبراهيم بوطالب

طنجي، وتكتب أيضا معرفة وبألف أمام الطاء، هم رحالة صحراويون من بعض إزرگيين - إحدى القبائل الصحراوية المحاذية للمحيط الأطلنتي ما بين ودا نون والساقية الحمراء - آيت سعيد، أولاد امبارك آيت واعزيز، جاؤوا من أدرار موريطانيا حسب بعض الروايات، وحسب رواية أحد أحفاد الأسرة أنهم جاؤوا من الحوض بموريطانيا.

بقيت منهم بعض الأسر بإمارة الترارزة الموريطانية، حل جدهم بآيت باعمران منذ قرنين ونصف تقريبا. خلف الجد محمد ثلاثة ذكور وأنثيين وهم على التوالي لحسن ولد محمد، علي ولد محمد ومحمد ولد محمد أما الأنثيان فهما عيشة بنت محمد ومكبولة بنت محمد.

وقد استقرت هذه الأسرة الحوضية بالقرب من إحدى فخوذ أولاد الدليم التي سبقتها إلى عين المكان، عرفت هذه الفخذة من أولاد الدليم بأهل محمد ولد عمر.

لقبوا بهذا الاسم نسبة إلى قدح نحاسي كانت تملكه هذه الأسرة، حيث كانت تطبخ فيه الطعام وتكرم الضيف خصوصا الرحالة منهم وعابري السبيل عبر الطريق الساحلي الذي يربط واد نون بآيت باعمران ثم عبر تزنيت.

فإذا حلت "أكوابير" القادمة من جهة القبلة، بأرض آيت باعمران يقولون : أين نجد طعامنا، فيقولون عند أهل طنجي أي صاحب الطنجية. فاتخذ الأبناء هذا اللقب إسما للعائلة، كما أن هذا الإسم يحمله بعض الأفراد من قبيلة العروسيين والرگيبات وأولاد الدليم، بل لازال من يحمل هذا الاسم بموريطانيا.

تحريات ميدانية.

محمد المغراوي

الطنطان، مدينة تقع جنوب مصب وادي درعة بنحو 22 كلم. يعود اسمها إلى بئر كانت تسمى اطنيطين، تقع وسط واد بنخيل أحد روافد واد درعة. كما تشير الروايات المحلية إلى أن ذلك البئر كان يدعى "بوخرب" وقد شكل هذا الموقع نقطة جذب للقبائل الصحراوية الظاعنة، نظرا لوفرة الماء، ناهيك عن الكلأ بفعل الواد والقرب من المحيط الأطلسي وواد درعة، الشيء الذي يوفر ظروفا مناخية رطبة، زيادة على موقع المنطقة ما بين الساقية الحمراء وواد نون حيث الأسواق السنوية ومسالك تجارة القوافل. وظلت بلدة الطنطان عبارة عن

بئر للتزود بالماء إلى حدود سيطرة قوات الاحتلال الإسباني على المنطقة سنة 1934. ومن القبائل التي كانت تنتجع المجالات المجاورة للطنطان، نجد يگوت وآيت لحسن والزرگيين وآيت أوسى والرگيبات. وفي تلك النواحي كانت هذه القبائل تتعاطى في فترة التساقطات المطرية لزراعة الشعير في "لگرار" مثل : لگرارة - لحميدية - بوجنيبة - تفلاحين - رگ وينكورة. وبفعل مكانة بئر الطنطان عند القبائل، أصبح شيئا فشيئا يحل مكان اسم واد بنخليل ليدعى واد الطنطان.

بعد بسط الإسبان لنفوذه على المنطقة الواقعة جنوب درعة، بدأوا ببناء ثكنة ودور وظيفية قرب البئر. وبعد سنة 1936 بدأ بعض البدو يستقرون حول ذلك المركز العسكري، خاصة أن تلك السنة تزامنت مع فترة جفاف ومسغبة عرفتها الصحراء الأطلسية. وفي الطنطان وفر الاستعمار بعض المواد الأساسية مما جلب انظار الرحل إلى المركز ؛ ناهيك عن تجنيد بعض الرجال من القبائل لخدمة الإدارة الإسبانية بالمنطقة، خاصة في سلك العساكر المتنقلة "tropas Nomadas" لمراقبة تحركات القبائل والحدود مع الاستعمار الفرنسي المحاذي للضفة الشمالية لواد درعة. هكذا أصبح الطنطان المركز الإداري الرئيسي لما كانت تسميهْ الإدارة الإسبانية بـ "المنطقة الشمالية للصحراء"، ويتحكم في مراكز تيلمزون وشمار واتويزگ الرمث.

ولما بدأت حركة جيش التحرير في نشاطها بالصحراء، كانت الطنطان من مراكزها وتجلى ذلك في "أوطيل الحاج بن يحيى" الذي شكل مركزا للقيادة بتلك الناحية، حيث ألحقت تلك الحركة هزائم بقوات الاحتلال سواء في تافنيديلت شمال الطنطان، أو في معركة ادشيرة، وإثر ذلك تمت محاصرة الطنطان عسكريا، بل استعملت القنابل ضد سكان المدينة. وكان من نتائج غضب الطنطان وما إليه، انسحاب القوات الإسبانية في اتجاه الجنوب إلى حدود الطاح "لكروشي"، وقيام عملية المكنسة (Ecouvillon) في فبراير 1958 بتحالف بين الإسبان والفرنسيين حيث تم القضاء على جيش التحرير. وكان من نتائج ذلك نزوح العديد من العائلات والزعامات القبلية نحو الطنطان فرارا من بطش الاستعمار الإسباني. وهي الحركة التي ساهمت في تزايد عدد سكان الطنطان من قبائل الصحراء المختلفة، حيث ظهرت أحياء الطنطان لمحر والطنطان لبيض وأحياء خط الرحمة والكامبو ودوار الشيخ عبداتي وغيرها، تيگريا...

بعد الاستقلال، ظلت الطنطان عبارة عن مدينة هامشية حدودية تعيش على التهريب نتيجة موقعها ما بين المنطقة الخاضعة للاستعمار الإسباني والمنطقة المستقلة حديثا (واد نون). وإداريا تم إلحاق الطنطان بعمالة الطرفاية إلى حدود السبعينات من القرن العشرين.

كما عرفت مدينة الطنطان بأنها شهدت مظاهرات مارس وماي 1972 للمطالبة باستقلال الصحراء عن الاستعمار الإسباني، وهي مُظاهرات قادها بعض طلاب الجامعات، وتزامنت في شهر ماي 1972 مع أمگار الشيخ محمد لغظف بالطنطان، الذي تم الغاؤه فيما بعد.

وبعد اندلاع حرب الصحراء سنة 1975، تزايدت أعداد القبائل والأسر النازحة من البوادي نحو الطنطان، حيث ظهر هناك السكن العشوائي تعددت الأنشطة الاقتصادية خاصة في مجال الصيد البحري بفعل بناء الميناء (الوطية)، وتوافد أعداد كبيرة من اليد العاملة من الشمال، ومد الطريق الرابطة ما بين الطنطان وگلميم والطنطان والعيون رغم ظروف الحرب الاستثنائية. كلها عوامل ساهمت في المد العمراني للطنطان على وادي بن خليل، والرفع من قيمة الأرض.

لكن بعد استرجاع أقاليم العيون واسمارة والداخلة، نزحت العديد من العائلات إلى هذه المدن، زيادة على تناقص الثروة السمكية، مما أدى إلى انهيار السوق العقارية بالطنطان، وتضرر معامل تصبير الأسماك، ناهيك عن جاذبية شواطئ الساقية الحمراء ووادي الذهب بالنسبة للصيادين وأرباب مراكب الصيد البحري. ورغم نشاط ميناء الطنطان، فإن عائدات الصيد به لم تنعكس على المدينة، بل ظلت هامشية وذات تجهيزات محدودة وأنشطة اقتصادية هشة. زيادة على أن الطنطان يعتمد في جميع حاجياته الاقتصادية والخدماتية على مدن الشمال على غرار بقية حواضر الصحراء.

والطنطان حاليا مدينة متوسطة بها مقر عمالة إقليم الطنطان التابعة لجهة گلميم - السمارة. وشكلت في تاريخها الحديث مهدا للنهضة الثقافية السياسية بالمجتمع الصحراوي بفعل ما ضمته من قبائل متعددة ومن آفاق شتى، وكانت نموذجا للاندماج والتعايش ما بين أفراد ومجموعات من خلفيات متنوعة. الشيء الذي أهل العديد من المنحدرين من هذه المدينة للاندماج في المجتمع العصري بالمدن الصحراوية ونيل الشواهد العلمية وتقلد المسؤوليات الإدارية والاقتصادية والأكاديمية. لذلك فالطنطان حلقة أساسية في التاريخ الراهن للأقاليم الصحراوية وفي فهم طبيعة ظهور وتبلور الحواضر والنخب في المجتمع الصحراوي الحديث.

Hernandez Pacheco y Cordero Torres. *El sahara español*, Madrid, Instituto de Estudios Politios, 1962 ; Guarner, V. – *El sahara y sur marroqui españoles*, Toledo, 1931 ; Mulero Clemente, M. : Los territorios españoles del sahara y sus grupos Nomadas, *El siglo*, la Palma de Gran Canaria, 1945 ; Bens, F. Consideraciones para la ocupacioń del Norte del sahara español en *Miscelánea, Garcia Figueras*, Vol. 196, p. 119 – 128 ; Enrique Carmono, El Verano en la regioń del Zini, en : *Mauritania*, N° 303, Febrero, 1953, p. 36 – 39 ; Enrique Alonso Allustante, Posibilidades agricolas del sahara, en *Mauritania*, N° 307, junio, 1953, p. 138 – 140 ; Domenech Lafuente, De la Zona al sur del Dra, en : *Mauritania*, N° 272, julio, 1950, p. 162 – 164 ; Tony *Hodges, Historical Dictionary of Western Sahara*, London, 1980.

محمد دحمان

ابن **طويِّـر الجنة**، الطالب أحمد المصطفى التشيتي الوادني الشنقيطي، أصله من أغمات (ناحية مراكش)، ذلك أن جده السابع قدم منها إلى شنقيط، وهو ما يفسر زيارته لرجال أغمات خلال رحلته الحجية مرورا بالمغرب. فقد توجه إلى الحج سابع جمادى الأولى عام 1245 / 1830، وتلاقي بمراكش السلطان عبد الرحمان ابن هشام الذي أكرم وفادته وأنزله بجامع الولي الصالح سيدي ميمون الصحراوي، وأوصى به خيرا قائده على العرائش محمد أشعاش ليركبه من هذا الثغر باتجاه الإسكندرية بعد أن تعذر الذهاب إلى الحج برا عبر الجزائر التي كانت قد دخلتها قبل فترة وجيزة القوات الفرنسية.

أبحر ابن طويِّر الجنة صوب المشرق في فاتح جمادى الثانية 1246 / 17-11-1830، وكانت السفينة التي أقلته ملكا لأحد تجار فاس المقيمين في مدينة Livourne الإيطالية، التي عرفت في المصادر المغربي بالكَرنة، واضطر إلى المكوث بهذه المدينة أياما بفعل تطبيق الحجر الصحي "الكرانتينة" على الحجاج المسلمين كما جرت العادة بذلك، وهذا ما أزعج كثيرا هذا الحاج الصحراوي، الذي اعتبر الاحتراز الصحي اعتقادا فاسدا مناقضا لمعتقد أهل السنة.

توقف ابن طوير الجنة في الإسكندرية، ومصر (القاهرة) حيث زار عددا من أضرحة الأولياء والعلماء، ثم سافر من السويس إلى ينبع البحر في الحجاز ليبدأ بعد ذلك شعائر الحج، وبعد فضائها ركب البحر إلى الإسكندرية ومنها إلى طرابلس الغرب، ولقي من علمائها قاضيها البنغازي، ومن هنالك توجه بحرا إلى تونس مارا بجزيرة جربة، وبقي ستة أشهر في تونس منتظرا مركبا يحمله إلى جبل طارق أو طنجة، وكان يود الرجوع إلى المغرب بحرا دون المرور عبر الجزائر، لكن حصل تحول مفاجئ في برنامج عودته جعله يدخل الجزائر، وقد اعتبر ابن طوير الجنة، وهو صوفي، هذا التحول من قبيل الكرامات. وبدخوله التراب الجزائري وقف على واقع تقلص أماكن العبادة نتيجة مباشرة للاحتلال الفرنسي فكتب بأسى في رحلته المنى والمنة قائلا : "وضيّع النصارى جميع ما في الجزائر من المساجد والجوامع إلا جامع وزاوية الولي سيدي عبد الرحمان الثعالبي".

ركب ابن طوير الجنة رفقة عدد من الحجاج من بجاية على متن مركب حربي فرنسي أقله إلى جبل طارق بعد أن خضع للحجر الصحي مرة أخرى لمدة عشرة أيام، ويبدو أن الفرنسيين في الجزائر أدركوا قيمة هذا الحاج الشنقيطي وإمكانية توظيف تعاملهم الإيجابي معه في تقديم صورة مغايرة غير تلك التي رسمها واقع الاحتلال الاستعماري، فتعاملو معه بكل الإجلال والحفاوة. وأركبوه الدرجة الممتازة من المركب (القامرة)، وقدموا له المؤن الكافية. وهذا التعامل الخاص مع الحاج ابن طوير الجنة، جعل بعض المعاصرين ينظرون إليه بعين الريبة، فقد شكا مجايله حمدان ابن عثمان خوجة الجزائري في كتابه "المرأة" المكتوب عام 1249 / 1833 من إرغام السلطات الفرنسية للجزائريين على توفير الراحة لهذا الحاج ورفقائه في طريق أوبتهم من الحجاز إلى شتنقيط، وربما حاول الفرنسيون الاستفادة منه باطلاعهم على بعض أخبار المغرب والصحراء لاسيما وأنه سبق وقابل السلطان ابن هشام.

وعند نزول أحمد بن طوير الجنة من جبل طارق، لم تكن حفاوة الإنجليز به أقل من حفاوة الفرنسيين، والمرجح أن الاستقبال الحار من قبل حكام جبل طارق تم في إطار الدعاية ومعرفتهم بمكانته لدى عبد الرحمان ابن هشام، ولقائه بممثل فرنسا في الجزائر الدوق دي روفيكو. وتمثل حسن الاستقبال الإنجليزي له في ضرب عشرين طلقة مدفعية، واستضافته ثلاثة أيام بكل مظاهر الأبهة، وحضوره التمارين والاستعراضات العسكرية. وعند مغادرته لجبل طارق أطلقت طلقات مدفعية بريطانية ردت عليها السفينة الفرنسية التي حملته إلى طنجة، وقد وجدت الحفاوة التي قوبل بها من قبل الفرنسيين والإنجليز صداها في رحلة المنى والمنة، إذ سجل بشأنها "فوجدنا منهم من التبجيل والتكريم ما لا يحصيه إلا الله". وفي مرسى طنجة استقبله قائد مولاي عبد الرحمان ابن هشام محمد أو ميمون الـﮔرواني، وقد غطت وقائع رجوع ابن طوير الجنة من الحج صحيفة Gibraltar Chronicle في عددها المؤرخ في 14 / 1 / 1833 ونعتته ب "ملك شنقيط" ، فقد وصل طنجة إذن منتصف يناير 1833.

وبعد ذلك قضى أسابيع في المغرب، فزار ضريح عبد السلام ابن مشيش، وتوجه إلى فاس حيث نزل في مقصورة القرويين، واشترى كتبا نفيسة ساعده على اقتنائها السلطان عبد الرحمان ابن هشام، الذي أدخله على زوجاته وبناته وجواريه ليتبركن به، ثم توجه إلى الصويرة، ومنها إلى شنقيط، وبذلك تكون رحلته الحجية استغرقت نحو خمسة أعوام مابين 1245 - 1250 / 1829-1834. وقد سجل مشاهداته وانطباعاته ضمن مؤلفه رحلة المنى والمنة، التي حظيت ببعض الاهتمام خارج المغرب، إذ تم التعريف بها لأول مرة في *La Revue Africaine* مجلة الجمعية التاريخية الجزائرية، حيث قدم Destaing عرضا لأبرز محتوياتها في العدد الصادر سنة 1911، ثم كانت موضوع دراسة في أنجلترا أنجزها Norris سنة 1977 تحت عنوان *The pilgrimage of Ahmed son of the little Bird of Paradise*.

سجل ابن طوير الجنة في رحلته *"المنى والمنى"* الحفاوة التي قوبل بها من قبل الإنجليز والفرنسيين، لكنه أبدى الحسرة على ضعف دار الإسلام وتراجعها أمام القوى الأوربية، رابطا هذا التراجع باستيلاء الفرنسيين على الجزائر. وانفعل بوضعية مصر وطرابلس، رغم أنهما لم يخضعا بعد للاحتلال الأوربي، ومرد انفعاله إلى الكثافة العددية للأوربيين في هذين القطرين وحصول التمازج بينهم وبين المسلمين، وتقليد هؤلاء لهم في العادات والهندام، مما منحه الانطباع، وهو الوافد من بيئة صحراوية لا صلة لها بأوربا، بأن الغلبة أضحت للأوربيين. وعقد مقارنة بين وضعية المغرب ووضعية

مصر وطرابلس بشأن العلاقة مع الأوربيين ليبرهن على ضعف الإسلام في المشرق ومحافظته على هيبته في المغرب استنادا إلى محدودية عدد الأوربيين (الكفار) في المغرب وحصرهم في مناطق معينة. غير أن نقمة ابن طوير الجنة على الأوربيين ونعتهم بالكفار لم تمنعه من الإطراء على ما يحملونه إلى المراسي المغربية من بضائع "... ففي كل حين تنزل سفن النصارى بكل خير في هذه المراسي". وهذا ما يبين نوعا من التنازع في موقفه بين السخط على الأوربيين بسبب ما يترتب عن الاختلاط بهم من سلبيات وبين الإقرار بفوائد العلاقات التجارية معهم.

من أبرز شيوخ ابن طوير الجنة، عبد الله ابن الحاج إبراهيم العلوي الذي لازمه حوالي عشرين سنة، وأخذ عنه علومه جميعها. ومن مؤلفاته، فضلا عن الرحلة المذكورة، كتاب "*فيض المنان في الرد على مبتدعة الزمان*"، تعرض فيه لبعض حوادث وقته. وقد توفي سنة 1266 / 1849- 1850.

أحمد ابن طوير الجنة، *رحلة المنى والمنة*، مخطوط، الرباط، رقم 380 مكل، ونسخة مصورة ميكروفيلم، الخزانة العامة، الرباط، رقم 1534 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج 3، الرباط، 1975 ؛ عبد السلام ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، ط. 2، ج 2، الدار البيضاء، 1965 ؛ عبد القادر زمامة، *تحليل لرحلة أحمد بن طوير الجنة*، مجلة البحث العلمي، العدد 28 ؛ م. المنصور، *عرض رحلة أحمد بن طوير الجنة*، مجلة المناهل، العدد 17، 1980 ؛ أبو القاسم سعد الله، *تجارب في الأدب والرحلة*، الجزائر، 1983 ؛ الخليل النحوي، *بلاد شنقيط المنارة والرباط*، تونس، 1987 ؛ عمر أفا، *طنجة من خلال رحلة أحمد بن طوير الجنة الشنقيطي*، ضمن أعمال ندوة طنجة في التاريخ المعاصر : 1800 - 1956، الرباط، 1991.

La Revue Africaine, 1911, p. 216-231 ; H.T.Norris, *The piligrinage of Ahmed son of the little Bird of Paradise*,Warminster,Englan,1977.

أحمد مكاوي

ابن **طوير الجنة، الطالب أحمد** هو الطالب أحمد بن طوير الجنة، ويعرف أيضاً بالمصطفى الطالب أحمد، ينتمي إلى قبيلة إيداوالحاج إحدى القبائل الشنقيطية المعروفة بعلمائها وتأثيرها في المجال الشنقيطي، إذ أسس بعض أجداد هذه القبيلة مدينة وادان سنة 536 / 1142، وقد سميت هذه المدينة (وادان) التي ينسب إليها ابن طوير الجنة حسب تقريره بهذا الاسم لأن بها واديين، وادي علم ووادي تمر. وظلت منذ تأسيسها مركزاً تجارياً هاما يربط بين المغرب والسودان، وحاضرة علم وإشعاع ثقافي في بلاد شنقيط.

ولد ابن طوير الجنة في هذه المدينة في تاريخ غير معروف، وبدأ دراسته بوادان في سن مبكرة، وأخذ العلم على يد مجموعة من علماء مدينته منهم ابن عمه أحمد سالم بن الإمام الحاجي المتوفى سنة 1239 / 1823 بفاس وكان فقيها نحويا منطقيا حسابيا، وأخوه السالك بن الإمام المتوفى سنة 1264، وكان عالما مشاركا وشيخا صوفيا، كما أخذ أيضاً عن العلامة محمذن فال بن امباركي الشمشوي المتوفى سنة 1269 / 1852، إضافة إلى علامة تيجگجة الشهير سيدي عبد الله بن إبراهيم العلوي المتوفى سنة 1233 الذي أمضى في محضرته بمنطقة تگانت إثنين وعشرين سنة. ويذكر المختار بن حامد أن ابن طوير الجنة أخذ الطريقة الشاذلية عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الله التوريني عن أبيه عبد الله التوريني عن سيدي أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي.

بعد استكمال دراسته في تيجگجة عاد إلى مدينة وادان وأسس محظرة أمها عدد كبير من الطلاب الوادانيين وغيرهم، ومن أبرز تلامذته سيدي محمد بن محمد الصغير بن امبوجة التشيتي، ومحمد الصابر الذي رافقه في رحلته إلى الحجاز وغيرهما.

اشتهر ابن طوير الجنة بالزهد والصدق والورع، فكان ملازماً للمسجد عظيم الاعتقاد في الصالحين يحب التفاؤل ويكره التطير، كما يبدو ذلك واضحاً في رحلته الشهيرة إلى الحج.

من أبرز مؤلفاته :

1 - فيض المنان في الرد على مبتدعة هذا الزمان، وهو عبارة عن رسالة ألفها وهو عائد من الحج، وقد رد فيها على من يسميهم بالمعتزلة، ويقصد معتزلة برقة الذين لاحظ انحرافاتهم في طريق عودته من الحج، وهي مخطوطة توجد منها عدة نسخ في موريتانيا والمغرب.

2 - كتاب في التوحيد شرح فيه عقيدة الطالب جدو الغلاوي.

3 - نظم في المنطق.

4 - اختصار لنظم ابن شقرون في الطب.

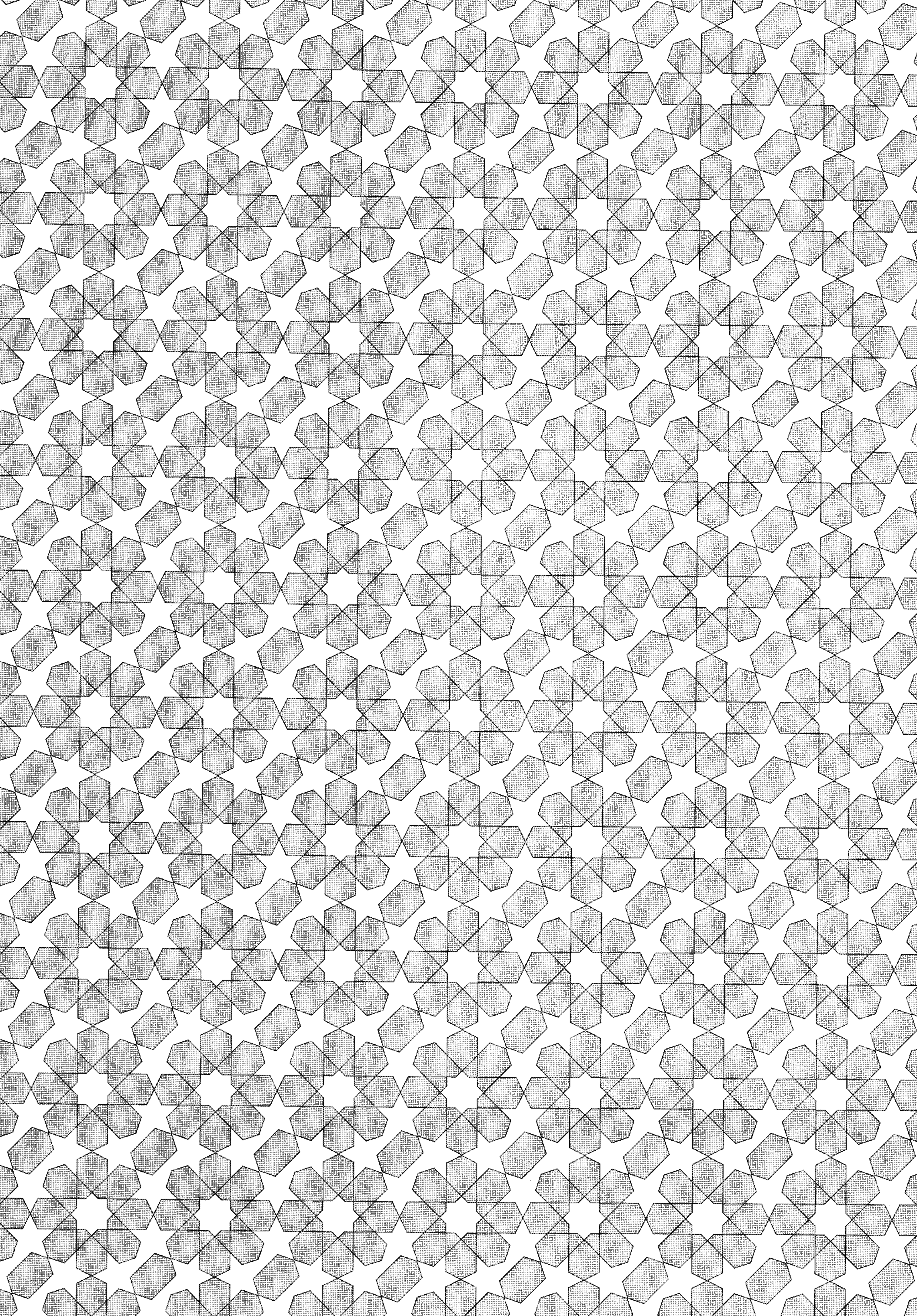
5 - رسالة في الرد على الرسالة الغلاوية للشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي.

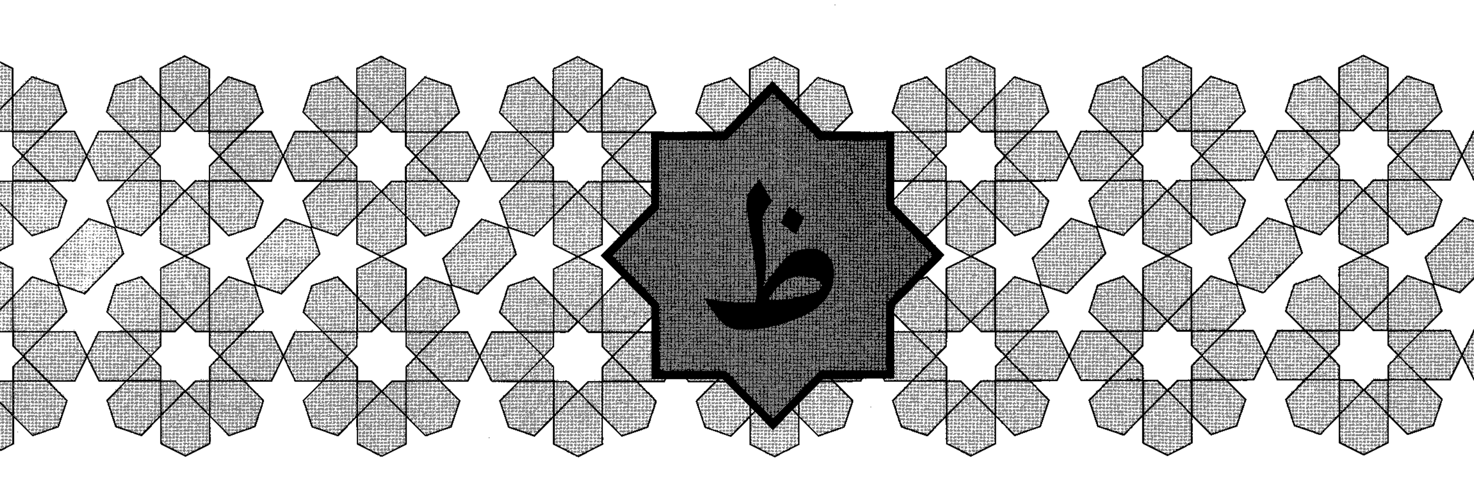
6 - رحلته المشهورة "*رحلة المنى والمنة*" وهي رحلة حجازية وصف فيها رحلته إلى الديار المقدسة ابتداء من يوم 7 جمادى الأولى سنة 1245 / 1829 إلى سنة 1250 / 1834. وهي مليئة بالمعلومات المفيدة التي تعكس رؤية هذا العلامة للحياة وموقفه من كثير من الأمور التي شهدها زمانه في شنقيط والمغرب وكثير من البلدان التي مر بها في طريقه إلى الديار المقدسة.

توفي ابن طوير الجنة سنة 1265 / 1849.

تاريخ ابن طوير الجنة، تحقيق، سيد أحمد بن أحمد سالم، ص. 25 إلى 60، منشورات معهد الدراسات الافريقية، 1995 ؛ *حياة موريتانيا، الحياة الثقافية*، ابن حامد، ص. 93.

محمد الظريف

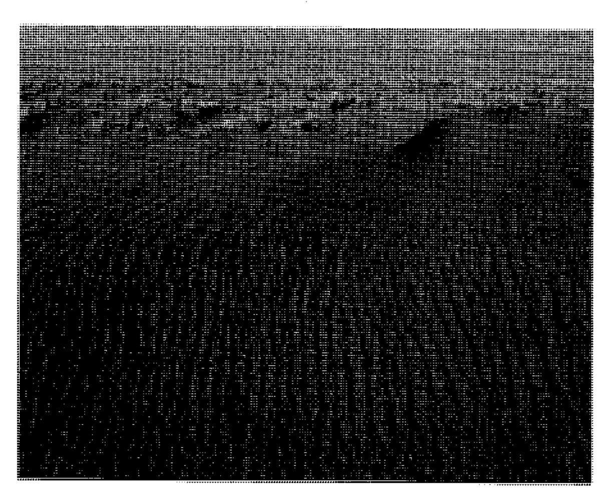



ظ

ظاهرة الترمل أو الإرمال بالصحراء، قبل الخوض في ظاهرة الترمل أو الإرمال بالصحراء، يجب أن نصحح مفاهيم المصطلحات التي يقع الخلط فيها بين عدة باحثين من تخصصات مختلفة، وهو الفرق بين مصطلح التصحر désertification والترمل ensablement، هاتان الكلمتان تختلفان من حيث التعريف، فالأولى أي التصحر هي مأخوذة من كلمة الصحراء وهي زحف الرمال على المناطق المحادية للصحراء خاصة المناطق الزراعية، والتي لا توجد في نطاقات صحراوية بل في مناطق شبه صحراوية أو شبه جافة. وهي تشكل حزاما فاصلا بينها وبين المناطق القاحلة من حيث التصنيف البيومناخي، وهذا القرب يؤهلها ويهددها بالتصحر. وتتداخل عدة عوامل في تصحرها، من بينها التغيرات المناخية، وتواتر فترات الجفاف، ونضوب الفرشة المائية، وتدخل الإنسان عن طريق الإجتثاث والرعي الجائر وسوء التدبير. بينما الترمل هي ظاهرة تخص المناطق الصحراوية وذلك لدينامية الرياح والكثبان الرملية، وبحكم أننا في الصحراء فلا مجال للكلام عن التصحر، لكونه هنا لا يهدد مناطق زراعية خصبة بقدر ما يهدد بنيات تحتية كالشبكة الطرقية والتجمعات السكنية والمرافق العمومية والاقتصادية من موانئ ومطارات ومناطق صناعية.

وظاهرة الإرمال تزداد حدة كلما اتجهنا نحو الساحل، حيث قوة الرياح وتراكم الكثبان الرملية ونشاط هذه الدينامية خاصة فيما يطلق عليه الممرات الساحلية Les couloirs ou les corridors littoraux التي تساعد عملية الإرمال في حركياتها الدؤوبة. وهي جغرافيا منطقة مكشوفة، يطلق عليها "ممر الرياح" عند الجيمورفلوجيين وعند السكان المحليين "الدراع"، تمتد بشكل جانبي من طرفاية شمالا إلى الحدود الموريتانيا جنوبا، وتنشط فيه الرياح البحرية القوية، وتتحرك فيها الكثبان الرملية على شكل ألسن وحبال رملية تمتد على كليمترات، وقد يصل عرضها في بعض الجهات الساحلية إلى 10 كليمترات.

ويعد الساحل الصحراوي من المجالات الحيوية اقتصاديا واجتماعيا لانجذاب السكان نحوها (ظاهرة التسحل Phénomène de littoralisation)، فبات على الدولة ضمان استقرارهم في المدن الساحلية وتزويدهم بكل متطلباتهم وحاجياتهم من مسكن وماء صالح للشرب ومرافق عمومية وطرق وموانئ ومطارات. ولهذا تعد المناطق الحصراوية من أكثر المدن المغربية تعميرا، فالساكنة الحضرية بالصحراء تفوق نسبتها 90% مقارنة مع المتوسط المسجل وطنيا، والذي لا يمثل سوى 52%.



ظاهرة الترمل بالصحراء

ويعتبر الساحل الصحراوي من أغنى المناطق الساحلية المغربية بثرواته السمكية، لهذا تمت إقامة موانئ للصيد البحري، فكل مدينة ساحلية إلا ولها ميناء خاص بها ابتداء من مدينة طانطان وطرفاية مرورا بمدينة العيون وبوجدور ووصولا إلى مدينة الداخلة. إلا أن هذه الموانئ التي تعد الشرايين الاقتصادية لهذه المدن الساحلية والنافذة المطلة على الخارج في تعاملها التجاري التصديري بالخصوص، تعاني من مشكل الترمل الذي ينشط بفعل الممر الريحي الساحلي، الذي يساعد على زحف الرمال في اتجاه الموانئ عن طريق ما يسمى بالحناجد الرملية Les flèches sablonneuses، الشيء الذي يطرح صعوبات أمام رسو السفن،

وخاصة الكبرى منها التي يتعدى عمقها 6 أمتار. ويطرح هذا المشكل في كل الموانئ الصحراوية بدون استثناء، وتختلف حدته حسب المواقع، فمثلا الموانئ التي توجد بالقرب من الرؤوس البحرية ومصبات الأودية وممرات التهوية الساحلية، وكذا هيجان البحر بفعل الرياح البحرية والعباب La houle تزيد من حدة الترمل. وفي ما يلي تشخيص موجز عن ظاهرة الترمل بالموانئ الصحراوية.

ـ ميناء طرفاية : يسجل هذا الميناء كل سنة ما يفوق 300000م^3 من الرمال المترسبة وخاصة بمدخله، وتختلف هذه الكمية حسب السنوات. وإذا لم تتدخل شركة تدبير الموانئ بالمغرب في إزالة هذه العوائق، فقد يسبب هذا في عرقلة وتوقف الملاحة. ويرجع سبب ذلك إلى موقع المدينة، بحيث بنيت فوق رأس بحري Cap Juby الذي زاد من حدة ظاهرة الترمل بفعل النشاط الكبير الذي يعرفه العباب مع قوة الرياح البحرية بهذا الجزء.

ـ ميناء طانطان : إن الإرسابات الرملية التي يعرفها هذا الميناء تفوق في بعض الأحيان 300000م^3 في السنة، وهذا راجع إلى موقعه ما بين مصب وادي درعة ورأس درعة، فالمصب يعد ممرا ريحيا هاما بالإضافة إلى رأس درعة الذي يعرقل ذبذبات الأمواج، التي تزداد قوة بفعل الرياح البحرية، فتشكل مع الترمل المتراسب عوائق في مدخل الميناء. وكثير من سفن الصيد يتجنبون الرسو فيه نظرا للمخاطر التي يتعرضون لها بحكم قوة الأمواج والعباب في مدخله.

ـ ميناء العيون : هذا الميناء يعاني كباقي الموانئ الصحراوية من موقعه الجغرافي بمحاذاة مصب واد الساقية الحمراء وكذا من ممر تهوية ساحلي كبير يربط ما بين مدينة العيون وفم الواد والمرسى والذي تزداد حدته لاصطدامه بقوة الرياح والعباب، فيعمل على نقل الرمال الكثيبية التي تأثث مجاله المترامي في اتجاه العرض ما بين مصب الواد ومنطقة تاروما. وكل هذه العوامل تتداخل فيما بينها لتزيد من تعقيد الملاحة عن طريق ترسيب الرمال في حوض المرسى وخاصة بمدخله. وتقدر الكمية المتراكمة بميناء العيون حسب مديرية استغلال الموانئ بحوالي 500000م^3 في السنة.

ـ ميناء الداخلة : يعاني هو كذلك من نفس الإشكالية، أولا الموقع الجغرافي هنا يتباين بشكل كبير نظرا لوجوده بشبه جزيرة، مع قوة الرياح والعباب، إضافة إلى الخلجان البحرية المجاورة التي تمده بالرمال الساحلية. ويقدر حجم الرمال المتراكمة بحوض الميناء بحوالي 300000م^3 في السنة. وبما أننا في شبه جزيرة، أي في مدخل البحر مباشرة، فتسمية الداخلة أتت من هنا، لهذا فإن قوة العواصف البحرية تزداد حجما عن مثيلاتها في الموانئ الأخرى وتتقوى عند التقائها بالعواصف الآتية من القارة والمحملة بالرمال خاصة في فصل الشتاء، فتزيد من عرقلة المدخل، وينتج عن ذلك عرقلة كبيرة في حركة الملاحة. ونظرا لشساعة هذا الميناء، كمركب كبير للصيد البحري، فإن عملية إزاحة الرمال تتطلب تكاليف باهضة مقارنة مع الموانئ الأخرى، بحيث يتم جرف حوالي 1،5 مليون م^3 من الرمال أي ما يعادل 43% من مجموع الرمال المزالة من مجموع الموانئ الصحراوية.

وتقدر تكاليف إزاحة الرمال بهذه الموانئ بملايين الدراهم، بحيث تسخر ما يقرب 20 مليون درهم في السنة. وتوكل هذه العملية لشركات مختصة مرتين في السنة، وتقدر تكلفة كل عملية حسب نوع الأتربة المزالة، بالنسبة للأوحال تقدر العملية ب 70 درهم للمتر المكعب، و50 درهم فبالنسبة للرمال. وتجدر الإشارة أن هذه العملية تتم خلال مدة الراحة البيولوجية، بين شهري مارس وأبريل وبين شهري شتنبر وأكتوبر.

ـ الشبكة الطرقية والتهديد المستمر للترمل :

الشبكة الطرقية هي الشريان الاقتصادي للجهات الصحراوية، والربط الحاصل بين شمال المملكة وجنوبها وصلة وصل بين إفريقيا الغربية ودول الساحل عبر موريتانيا. كما أنها تفك العزلة عن عدة مناطق داخلية قارية، وتربطها بالمناطق الساحلية الحيوية. ونظرا لهذه الأهمية الاقتصادية والاجتماعية الحيوية، عملت الدولة على وضع مخطط طرقي، بموجبه تم شق طرق وإصلاح أخرى. ويمكن أن نميز بين طرق رئيسية وثانوية جهوية وإقليمية معبدة وغير معبدة. ووجود هذه الشبكة في مجال صحراوي حيث الرياح والكثبان الرملية المتحركة تزحف على الطرق وتعرقل حركة النقل، مما تكلف الدولة ميزانية هامة لإزاحتها وتثبيتها. وتتعرض هذه الشبكة كذلك للحرارة القصوى وخاصة في فصل الصيف، حيث درجة الحرارة تصل في بعض المناطق الداخلية إلى 50 درجة، مما يؤدي بالتزفيت الطرقي إلى عملية التمدد والتقلص بين النهار والليل، أي بين ارتفاع درجة الحرارة بالنهار وانخفاضها بالليل، وبالتالي تتعرض إلى تموج وتشقق وتصدع. كما أن زحف الرمال يعرقل حركة السير ويسبب في حوادث سير ويعطل الاقتصاد الجهوي، وهو مكلف وباهض على ميزانية الدولة والجماعات المحلية. فالدولة وفرت امكانيات هامة من آليات الإزاحة وتثبيت الكثبان الرملية المحادية للطرق وذلك لتسهيل سيولية السير والنشاط الاقتصادي.

ومن الطرق التي تعاني من هذا المشكل، الطريق الوطنية الساحلية رقم 1 في عدة نقط كيلومترية، خاصة عند مدخل مدينة طرفاية وعلى الطريق الرابط بين مدينة العيون ومينائها. ويعد هذا الممر من الممرات التي تعاني من شدة الظاهرة خاصة عبر منطقة غرد المنيزلة، حيث تقدر نسبة الرمال المتحركة هناك بنحو 1200000م^3 في السنة. ويكلف إزاحة متر مكعب واحد من الرمال نحو 10 دراهم تقريبا للمتر المكعب.

وهذا الزحف الترملي لم يستثن لا المدن ولا المناطق السقوية ولا المرافق العمومية الأخرى. فمدينة طرفاية مثلا تعاني أكثر من غيرها في توسعها العمراني المهدد باستمرار بهذا الزحف، فهناك مشاريع توقفت جرّاء ذلك وأصبحت مغمورة بالرمال. كما أن الجزء الشمالي

الغربي لمدينة العيون مهدد بهذا الزحف الذي يعرقل توسع المدينة في هذا الاتجاه. ولم ينج من هذا الزحف حتى الحـزام المطاطي لنقل الفوسفـاط مـن بوگـراع إلى ميناء العيون. وهنـاك كذلك مؤسسات عمومية تعاني من هذه الظاهرة كالمدارس ومحطات توليد الكهرباء ومحطة تحلية المياه، ونفس الشيء بالنسبة للضيعات الزراعية التي تعرف مساحتها تقلصا كل يوم بسبب زحف الرمال المتواصل.

ورغم تدخل الدولة لمعالجة هذه الظاهرة بكل الوسائل المتاحة، كالتثبيت البيولوجي والميكانيكي للكثبان الرملية، الاستعانة بخبراء أجانب للإستفادة من خبرتهم في هذا الشأن، فإن المشكل مازال مطروحا بشدة رغم المجهودات المبذولة. كما أن الدولة تقوم بتصدير الرمال للحد من ظاهرة الزحف ولو بشكل نسبي إلى الدول المجاورة وخاصة جزر الكناري التي تعرف شواطئها تعرية بحرية وانجرافا رمليا مهولا، مما جعلها تستورد الرمال لتأثيث الشواطئ ولضمان استمرار السياحة بجزرها. ونظمت الدولة في هذا الصدد رخص استغلال للمقاطع المتمركزة أساسا بجوار ميناء العيون، حيث يتم تصدير ما يناهز 850000 طن سنويا من الرمال في اتجـاه جزر الكناري.

إدريس الفاسي، *الإنسان ومشكل التصحر في المناطق الجافة*، سلسلة الدروس الإفتتاحية، منشورات جامعة ابن زهر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأگادير، مطبعة المعارف الجديدة، الربـاط، 1997 ؛ المديرية العامة لإستغلال الموانئ بالمغرب، *تقارير حول إزاحة الرمال والتوحل بالموانئ المغربية*، الدار البيضاء، 2000 ؛ زينب مبسوط، إشكالية الإرمال والتنمية بسواحل الساقية الحمراء ووادي الذهب، الجمعية المغربية للجيومرفلوجيا، *"الأقاليم الجنوبية المغربية : البيئة والمجتمع وآفاق التنمية"*، الناشر جامعة القاضي عياض، الطبعة الأولى، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكـش، 2006 ؛ مولاي إدريس شداد وآخرون، جهة گلميم ـ السمارة، *ذكرى 12 قرنا في حياة مملكة*، سلسلة تاريخ جهات المغرب، منشورات عكاظ، الرباط، 2009 ؛ مولاي إدريس شداد وآخرون، جهة العيون ـ بوجدور ـ الساقية الحمراء، *ذكرى 12 قرنا في حياة مملكة*، سلسلة تاريخ جهات المغرب، منشورات عكاظ، الربـاط، 2009 ؛ مولاي إدريس شداد وآخرون، جهة واد الذهب ـ لـگويرة، *ذكرى 12 قرنا في حياة مملكة*، سلسلة تاريخ جهات المغرب، منشورات عكاظ، الربـاط، 2009.

Cheddad My Driss et autres, «Eléments introductifs-*Débat national sur l'aménagement du territoire-Régions Lâayoune-Boujdour-Sakia El Hamra*, Direction de l'Aménagement du Territoire, Ministère de l'Aménagement du Territoire, de l'Environnement, de l'Urbanisme et de l'Habitat, Rabat, Décembre, 1999 ; Cheddad My Driss et autres, *«Eléments introductifs-Débat national sur l'aménagement du territoire-Régions Oued Eddahab-Lagouira*, Direction de l'Aménagement du Territoire, Ministère de l'Aménagement du Territoire, de l'Environnement, de l'Urbanisme et de l'Habitat, Rabat, Décembre, 1999 ; Cheddad My Driss et autres, *«Eléments introductifs-Débat national sur l'aménagement du territoire-Régions Guelmim-Es Smara*, Direction de l'Aménagement du Territoire, Ministère de l'Aménagement du Territoire, de l'Environnement, de l'Urbanisme et de l'Habitat, Rabat, Décembre, 1999 ; Cheddad My Driss, «Sahara : écosystème fragile, ressources naturelles limitées et engagement de l'Etat pour un aménagement régional exceptionnel et une mise à niveau socio-économique et spatiale». *Revue Horizons Universiaires* n°3 vol.2, Université Mohammed V – Souissi- Rabat, Novembre, 2006.

مولاي إدريس شداد

الظربان، والدليل والدلدول ونيص وشيظم وشيهم كما هو في المعاجم، حيوان ثديي ليلي النشاط من رتبة القوارض Rongeurs وأكبرها حجماً ومن فصيلة الشياهم Hystricidae، يحمل على ظهره شوكاً كأنه المسال. يسمى علمياً Hystrix cristata وبالفرنسية Porc épic à crète وبالإنجليزية Porcupine. ويسمى في المغرب ظربان وضربان وعتيرس الرمل في المناطق الصحراوية الجنوبية وتاروشت بالأمازيغية وفي الجزيرة العربية نيص وفي السودان أبو شوك ويقال له أيضاً القنفذ في بعض أنحاء سوريا ولبنان إلا أن القنفذ حيوان أصغر منه حجماً ومن آكلات الحشرات Insectivore.

يوجد في العالم عشرون نوعاً من الظربان الهندي Hystrix indica وظربان بورنيو Trichys borneo والظربان المقنْزع Hystrix cristata الذي يعيش في المغرب وفي مناطق شمال إفريقيا.

يتميز الظربان المقنْزع عن سائر الأنواع بخصلة صغيرة من الشعر الحريري الطويل بيضاء على رأسه، قوائمه قصيرة تنتهي بأظافر قوية تساعده على حفر الغيران التي يعيش فيها طول النهار. الأذنـان قصيرتان لا يتعدى طولها سم، لون الجسم كستنائي. يغطي ظهره شوك طويـل، مرن 4 على الـرأس وعلى النصف الأمامي من الظهر وقوي ونعوظ موجه إلى الخلف على مؤخرة الجسم والذيل. الشوك كستنائي وأبيض بالتتابع ويحمل غالباً خمس إلى عشر حلقات بيضاء فاتحة. صيغة أسنانه كالتالي :

1/1 أسنان، 0/0 أنياب، 1/1 أضراس أمامية، 3/3 أضراس = 20 سناً.

يتراوح وزن الكبار ما بين 10 و15 كيلوغراماً ويبلغ الطول جمعاً بين الـرأس والجسم 85,65 سم وطـول الذيلي 12,17 سم.

يتكون غذاؤه من العساقيل ومن البصلات المختلفة والنباتات والفواكه والخضر. بفضل العيش في المناطق الجافة المجاورة للحقول المزروعة وخاصة منها خواصر الجبال ذات الكسور. وهو شائع في المناطق الجافة وشبه الجافة المغربية وخاصة منها مناطق هضاب كمكم وحمادة غير ودرعة وغير موجود في المناطق الصحراوية المغربية الجنوبية، يعيش أيضاً في إفريقيا وفي الجزيرة العربية.

الظربان حيوان لطيف يسهل الاقتراب منه؛ يفضل العزلة وغالباً ما يعيش مفرداً، يقضي نهاره بداخل غار عميق يحفره بأظافره ويخرج ليلاً ليبحث عن الأكل وهذا النشاط الليلي يجعل منه حيواناً مجهولاً عند العامة.

أسنانه الطويلة والقوية تساعده على قضم مختلف العساقل الصلبة.

تدوم مدة الحمل 63-65 يوماً وتلد الإناث صغاراً مفتوحة العينين يتراوح عددها بين 1-4، تصير بالغة بعد سنة وتعمر حوالي 15 سنة.

من بين الإشاعات المعروفة عن الظربان أنه يلقي بأشواكه على أعدائه للتخلص منهم. والواقع أن بعض أشواكه المسنة تزول بسهولة من جسمه كلما ارتجف أو احتك بحاجز أو عدو له.

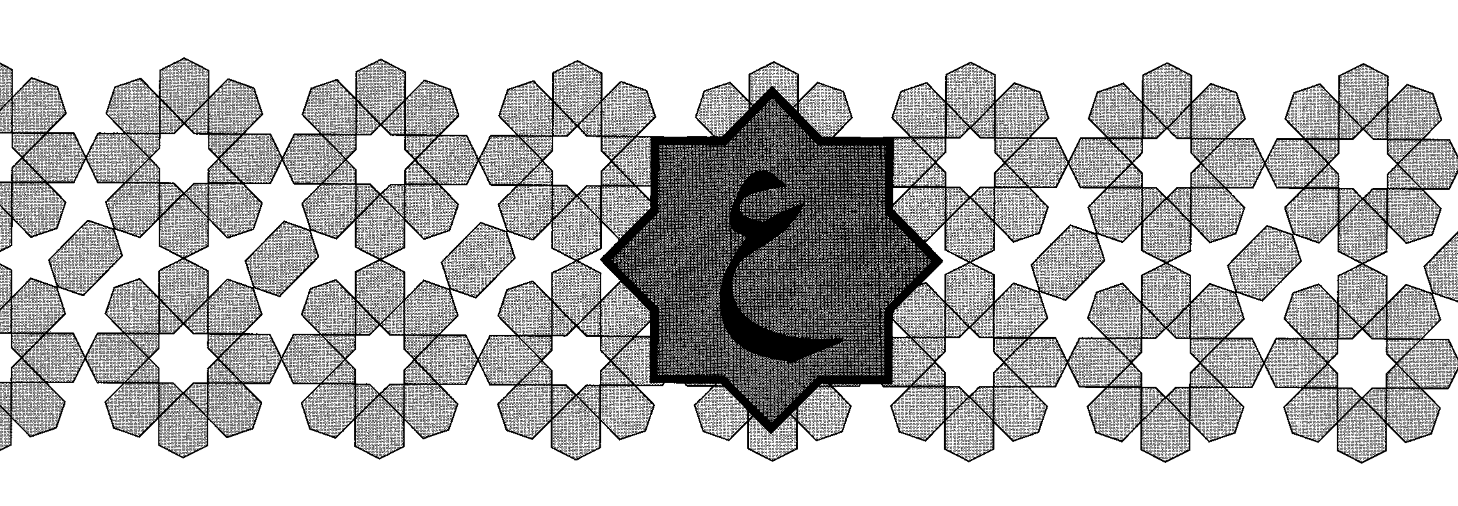
الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

A ; Lakhdar Ghazal, J.P. Fartouat et M. Thevenot, *Faune du Maroc. Les Mannifères, Albums didactiques*, Rabat, 73 p ; S. Aulanier et M. Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maoc*. Trav. Sci. Série Zoologie, n° 41, Rabat, 1986.

محمد رمضاني

الظفرة، طريقة تتزين بها المرأة وهي سوداء اللون تصنع من الشعر المستورد عبر القوافل التجارية ومن بلدان جنوب الصحراء وتستعمل لتزيينها أحجارا طبيعية كالصدغ وأمجون وتزداد قيمتها بازدياد قيمة وكمية هذه الأحجار.

محمد البوزيدي


ع

عام آرْوَادِينْ (1304 / 1886) : عام خصب جادت فيه السماء بغيث عميم وأنبتت الأرض من كل زوج بهيج فعم الرخاء منطقة الصحراء وتيرس وآدرار وما والاها ولم تقع حرب هذه السنة.

عام ازريعة (1305 / 1887) : ازريعة عشبة لها زهور كثيرة تفيد أهل المراعي وإن كانت تؤثر على طعم اللبن. وقد كثرت هذه السنة حتى أصبح العام يعرف بها.

تاريخ أهل الشيخ ماء العينين ومنطقة آدرار، تحقيق، سيدي أحمد بن أحمد سالم، دار الكتب القطرية 1425 / 2004.

عام امْجِي الصّرْبْ 1325 / 1907 : الصرب لفظ حساني وهو جمع صربة وتعني الوفد، والمقصود بعام امجي الصرب عام مجيء الوفود. ويعرف هذا العام كذلك بـغَزِّ لـرْكَابْ أي جيش الركبان ويقصد به تلك الوفود الشهيرة التي قصدت الشيخ ماء العينين في مدينة السمارة وفيهم الرؤساء والأمراء والزعماء والعلماء والأعيان والأدباء "راغبين في أن يركب معهم بنفسه فيكون واسطة لهم مع سلطانهم ويملي الخبر مشافهة ويوضح له ما نزل بهم واستصحبوا معهم هداياهم خيلا وإبلا وغير ذلك". وهذه أسماء بعض هؤلاء الرؤساء والأمراء والعلماء.

فمن أرض شمام رئيساها من قبيلة البراكنة أحمد بن سيدي علي رئيس الفرقة المسماة أبناء السيد وسيد أحمد بن هيبة ومحمود بن اعمر ابن صيبوط ومعهم من أشياخ العلم سيد المختار بن الشيخ القاضي من رؤساء الزوايا من قبيلة اجيجب. وأتى من الأرض المسماة القبلة ورئيساها سيدي بن محمد فال بن محمد الحبيب وأخوه المسمى ابن الديد. ومن قبيلة أبناء ديمان العالم سيدي بن الشيخ أحمد بن سليمان وسيدي بن قطرب والجيلاني بن حب الله، ومن قبيلة تندغ احميد بن الصديق بن المقرئ وآب بن عبد الإله وآب بن حبيب ومحمدن انفال بن عبد الرحمان بن متالي وابنه عبد الرحمان. ومن بلاد تگانت رئيساها عثمان بن بكار بن سويد أحمد من القسم الذي يقال له ابكاك من قبيلة إداوعيش والمختار بن أحمد من القسم الملقب اشراتيت وأحمد محمود بن بكار بن سويد أحمد وبكار بن سيدي أحمد لبات بن محمد بن سويد أحمد وعلي بن منكوس من القبيلة المذكورة. ومن رؤساء بلاد الحوض نائب رئيس العامة فيهم علي محمود بن لمحيميد من قبيلة مشظوف. وأتى من زوايا بلاد الحوض أحمد طالب بن جد بن الخليفة ومحمد محمود بن الغوث رئيسا قبيلة الأغلال والبُ بن عبد الرحمان خليفة ومحمد بن إبراهيم بن بوبا ومحمد بن عبدي بن الصافي وأحمد المامي بن بيان وآب بونا بن حناني من القبيلة المذكورة. ومن قبيلة كنتة رئيس زاويتها محمد المختار بن الحامد وأحمد بن ودادي. ومن قبيلة إدولحاج محمد محمود بن عبد الله بن سيدي محمود. ومن قبيلة تجكانت أبناء مايابى الشيخ محمد الخضر وإخوته وسيدي محمد بن البيضاوي وإخوته ومحمد البيضاوي بن مانت ألَّ. ومن قبيلة إديبوسات الغزواني بن الشيخ محمد محمود القضفي ومحمد المختار بن زيدان ومحمد محمود بن سيدي المختار ومحمد محمود بن جَدْ أمُّ. ومن قبيلة دامان أحمد سالم بن المختار أمُّ وعلي سالم بن محمد مبارك. ومن قبيلة أولاد غيلان محمد بن بوبوط وسيدي أحمد بن مكية وسيدي أحمد بن تكدي. ومن قبيلة اسما سيد سيدي بن سيدي بابا. ومن قبيلة تاكاط إسماعيل بن الشيخ محمد. ومن قبيلة مدلش ولداحميدة ومحمد بن خويا. ومن قبيلة إدوعل الأمين بن محمد أحيد بن سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم. ومن قبيلة التنواجيو الشيخ أحمد بن الشيخ المهدي. وأمير آدرار ورئيسها السيد أحمد بن عيدة والشيخ محمد تقي الله بن الشيخ محمد فاضل بن محمد اعبيدي، والأمير سيدي بن محمد فال بن سيدي بن محمد الحبيب واسلم بن إبراهيم خليل أولاد أحمد بن دامان، واصنيبة بن بوبكر رئيس أولاد أحمد واحميدي بن الصديق بن المقري ومحفوظ بن بداه الجملي ومحمد بن جلدي والشريف يـبَّـه بن زيدان ويَبَّـه عبد الفتاح.

فلما تلاحق الجميع عند الشيخ ماء العينين في مدينة السمارة اجتمع بهم فشرحوا له قضيتهم ومادهمهم من أمر الأعداء الذين تراموا على أرضهم وهو الأمر الذي

جاؤوا من أجله فأكرم "وفادتهم واسعف طلبهم وسد بمعروف خلتهم وأمسكهم عنده ريثما استراحوا ونهض بهم متوجها نحو السلطان مولاي عبد العزيز وهو حينئذ بفاس" ليعينهم بالعدة والعتاد والأسلحة لمواجهة الغزو الأجنبي الفرنسي. وكان ذلك يوم الخميس الثاني والعشرين من جمادى الأولى 1325 / 4 يوليوز 1907. وهذا ما يؤكده ماء العينين بن العتيق قائلا : "ثم سافر عام خمسة وعشرين بعد ما أتته الوفود الصحراوية عربا وزوايا من الحوض وتگانت واركيبه وبلاد القبلة وآدرار وسائر القطر المعروف بالشناجطة وقدم عليه رضي الله عنه فيهم جل الرؤساء ومن الأمراء والعلماء والمشايخ ونحو ذلك. فسافروا صحبته بنية القدوم على السلطان مولاي عبد العزيز بفاس". ولما وصلوا منطقة واد نون "تلقى قبائل عرب تكنة لشيخنا الشيخ ماء العينين رضي الله عنه بكل فرح وسرور ورغبوا منه الصحبة مع أولئك الوفود إلى السلطان لما بينهم من الروابط والجنسية واتصال البلاد ليكون كلامهم في الموضوع واحدا فوقع كلامهم منه بمحل القبول فأسعف طلبهم فركب الجميع تحت ركابه فلما بلغوا حوز مراكش صادف ذلك مبايعة مولاي عبد الحفيظ في مدينة مراكش فأرسل إلى شيخنا يستقدمه فتوجه إليه مع أولئك الوفود فلما قرب من الحضرة أمر باستقبالهم استقبالا رسميا فتلقى لهم من في العاصمة عساكر وقبائل وأظهر من الفرح وأنواع الزينة حسب ما كان يفعله أسلافه الكرام عند وفادته إليهم". وبعد استراحة الشيخ ماء العينين من السفر وتعبه ووعثائه واستراحة الوفود التي جاءت معه استقبله السلطان وعقد معه اجتماعا مطولا على انفراد وتفاوض معه في كثير من الأمور التي استجدت على الساحة الوطنية المغربية وخاصة منها ما يتعلق بالمنطقة الجنوبية وأشار عليه بضرورة تزويد هذه الوفود بما أمكنه من الأسلحة لمحاربة الغزاة الأجانب الذين بدأو احتلال البلاد لإخراجهم. ثم بعد ذلك أذن السلطان في ملاقاة الوفود "فقدموا هداياهم على سبيل العادة وذكروا ما كان لأسلافهم مع أسلافه وشرحوا له حالهم وما تركوا فيه بلادهم فتقبل ذلك بقبول حسن ورق لهم رقة شديدة لما رأى عليهم من وعثاء السفر ولفح السموم على وجوههم فأمرهم بالرجوع إلى محل نزولهم وأمر بحسن ضيافتهم والمبالغة في إكرامهم إلى أن مكثوا نحو شهرين تحت ضيافته في أرغد عيش وأنعمه وهو أثناء ذلك يلتقي معهم ويظهر لهم العطف والحنان ويلين لهم القول ويعدهم بما يسرهم". وقد خاطبه الشاعر الأمين بن محمد المختار بن اليدالي الديماني بقصيدة طويلة في الموضوع يقول في بعض أبياتها :

فدى لأمير المؤمنيـــن نفـــوسنـــا   وأموالنـــا أولادنـــا والأسابـــط
أعالي الذرى أتوك من كـــل أمـــة   قبائل عز مالهـــــن أخالـــــط
وماليط بالسبطيـــن مـــن علويـــة   ومن آل بوحبين ركبـــا أراهـــط
وكالوفـــد من آل الأشـــج وناقـــص   وأبناء شمس الدين حيث المراســـط
ومن آل عبـــد الله محمـــود والـــذي   من أحمد من دامان في العقد واســـط
وللجكني الوفـــد مـــن خير فتيـــة   ومنابني ديمـــان في الركب فـــارط
وحاحيها صاديهـــا ومسومـــهـــا   ولمتونهـــا أغلالهـــا والـــزوافـــط
أولادهم الأزكون والســـادة العـــلا   إذا ازدان بالمجد الأناس الأواســـط
لتعن بهم يا مظهر العـــدل إنمـــا   يعين على الحسنى السري المعـابـــط
تدارك بهم ما من عليهـــم سلبنـــه   خيول الاعادي والسنـــون القواحـــط
وأرسل جماعات الجيوش وراءهـــم   مرابط خيـــل بعدهـــن مرابـــط
وحقق منك الظن أن ستـمـدهـــم   بوفق المنى أو وفق ما أنت شـــارط
وأنت الذي تأتيك من كـــل وجهـــة   وفود الورى من حيث تنأى المساقـــط

وبعد مدة قضوها في ضيافة السلطان عبد الحفيظ استقبلهم استقبالا رسميا "فأمرهم بأوامره العلية وأخبرهم أنه يجهد في مصالحهم ويسهر عليها وينظر في شؤونهم كما ينظر في شؤون أقرب الرعية، ثم إنه جدد لعمالهم الرسوم القديمة وزاد تولية عمال آخرين أيضا وأعانهم بما أمكن من العدة والقرطاس للمحافظة على بلادهم ودفاع من يهجم عليهم ثم أجازهم بما يناسب من الكسى والأخبية والتحف وغير ذلك من التشريفات الملكية وزودهم الزاد الكافي وتوادع معهم" بعد أن حقق لهم مطالبهم وزودهم بكمية كبيرة من الأسلحة والذخيرة ثم رجعوا صحبة الشيخ ماء العينين إلى محلته بمدينة السمارة التي وصلوها يـوم الاثنين 17 من ذي القعدة 1325 / 23 دجنبر 1907 ثم أمرهـم الشيخ بالرجـوع إلى بلادهـم بعد أن أوصاهم بالعدل والتعاون والاتحاد والصلح فيما بينهم.

الشيخ محمد الغيث النعمة بن الشيخ ماء العينين، *الأبحر المعينية في بعض الأمداح المعينية*، تحقيق، الدكتور أحمد مفدي، دبلوم الدراسات العليا تحت إشراف الدكتور عباس الجراري، رسالة مرقونة بكلية الآداب، فاس، 1975 - 1976 ؛ *تاريخ أهل الشيخ ماء العينين*، تحقيق، سيدي أحمد بن أحمد سالم، دار الكتب القطرية، 1425 / 2004 ؛ ماء العينين بن العتيق، *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ الشيخ محمد الإمام بن الشيخ ماء العينين، *الجاش الربيط*، مطبوعات دار العلم، 1376 / 1957.

عام أمّ الظفيرات (1296 / 1878) : أم الظفيرات سبخة في منطقة تيرس تعرف بهذا الاسم. وقد امتلأت من الماء الكثير لأن هذه السنة جاء فيها مطر غزير فسالت الأودية والأنهار وبلغ ما يلقيـه السيل من الأوساخ رؤوس الشجر.

عام أمّ لكفيفات (1300 / 1882) : عشبة تشبه دوار الشمس في متابعتها لها وقد كثرت هذه السنة فأصبح العام يعرف بها.

عام بُـوتَّـهْ (1309 / 1891) : بوته : تطلق على المطر ينزل في الشتاء ويكثـر. وقـد عرفت مناطق آدرار وتيرس والصحراء هذه السنة مطرا شتويا شديدا

استمر خمسة عشر يوما بدون انقطاع وكثر الخصب والخير من أجل الحرث.

عام بوناگـة في آوكار : هو العام الذي خرج فيه الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن مامين للحج يوم الخميس الثامن عشر من جمادى الأولى من سنة 1275 / 1858 ووصل مكة المكرمة يوم الأحد 22 ذي القعدة ومنها إلى إلى المدينة المنورة. وبوناگـة منطقة بجنوب غربي آدرار.

تاريخ أهل الشيخ ماء العينين ومنطقة آدرار، تحقيق، سيدي أحمد بن أحمد سالم، دار الكتب القطرية 1425 / 2004.

ماء العينين النعمة علي

عام التسارح : مباشرة بعد التدخل الاستعماري الإسباني والفرنسي في الصحراء تم اقتسام مناطق النفوذ، حيث أصبحت المنطقة الممتدة من وادي درعة السفلى، في اتجاه المصب شمال الطنطان، تحت السيطرة الفرنسية، في حين وقعت المنطقة الممتدة من وادي درعة في اتجاه الجنوب تحت السيطرة الإسبانية وقد كان ذلك سنة 1937. وقد تمت مجموعة من الترتيبات بين الإسبان والفرنسيين لتدبير شؤون المنطقة، من ذلك ضبط التحركات القبلية بين وادي نون جنوب وادي درعة أو تلك القادمة من جنوب وادي درعة والمتوجهة نحو وادي نون. وقد لعبت هذه الترتيبات دورا خطيرا في عرقلة السيولة البشرية التي كانت تعرفها أطراف الصحراء بفعل أنماط العيش المعتمدة على التنقل والترحال. فأصبح من المتعذر على أية قبيلة التنقل من مجال النفوذ الفرنسي إلى مجال النفوذ الإسباني أو العكس دون الحصول على رخصة المرور (التسريح) لذا سمي هذا العام (عام التسارح). وقد كان لهذه الإجراءات وقع خطير على المنطقة حيث قطعت أوصال الجسم القبلي في المنطقة، وتأثرت الحركة التجارية في المنطقة، كما انعكس ذلك سلبا على المجال الصحراوي الممتد من وادي نون إلى وادي الذهب على مستوى الترتيبات السياسية التي ستعقب خروج القوات الفرنسية سنة 1956 وبقاء المنطقة الجنوبية تحت النفوذ الإسباني حتى سنة 1975 حيث فرضت قطيعة بين قبائل شمال الصحراء وجنوبها.

عمر ناجيه

عام الحصرة (1303 / 1885) : الحصرة لفظ حساني يعني الاجتماع التصالحي. وكان هذا العام عام خصب وماء ومرعى وغيث عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون.

تاريخ أهل الشيخ ماء العينين ومنطقة آدرار، تحقيق، سيدي أحمد بن أحمد سالم، دار الكتب القطرية 1425 / 2004.

عام الـذَّرْذيـرْ الـنْـجُومْ 1352 / 1933 : الذرذير مصطلح حساني يعني التساقط والمقصود بالذرذير النجوم هو تساقط النجوم. وهو حدث وقع ليلة الثلاثاء التاسعة عشر من جمادى الآخرة عام اثنين وخمسين بعد ثلاثمائة وألف (1352) الموافقة لست وعشرين من شتنبر سنة ثلاث وثلاثين بعد تسعمائة وألف (1933) فقد "تساقطت النجوم تساقطا كثيرا متتابعا لم يعهد مثله على كل جهة يمينا وشمالا شرقا وغربا واستمرت على ذلك حتى مضى نحو ثلث الليل ومطلع المغرب إذ ذاك النطح فاستمر انقضاضها الكثير إلى طلوع الثريا فتلك ثلاث ساعات ثم قل حتى طلع الدبران فانقطع سقوطها بالكلية". وقد أرخ لهذا الحدث الشيخ الولي بن الشيخ ماء العينين في قوله :

رب الـــذي وقع في النجـــوم   من انتشـار ظاهـر للقـوم
يدركه الذكـي والغبـــي   يـدركـه الكبيـر والصبـي
ليـل الثلاثـاء جمادى الثانـي   في تاسـع العشر بألا بهتـان
وسـادس العشـرين من شتنبـر   في عـام بنشس كدر منثـر
أو كالجـراد ساعـة المبيـت   في الطيـران عذت من تكبيتي
ووالنـا بخيـره وخيـرمـا   يجـيء فيـه ربنا متممـا
ولتكـفـنـا شـروره وشرمـا   يجـيء بعده من أمر منتمـى
ولتكفنـا شـر البـلاء والمحـن   ومن شدائـد تجيء من فتـن
ولتجعلنـا ربنـا ممـن سلـم   من الوبـاء والبـلاء والسقـم

بنشس : يقصد بها بحساب الجمل 1352. فحرف الباء 2 والنون 50 والشين 1000 والسين 300.

كما نظم الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين في هذا الحدث بيتين يقول فيهما.

ما للكواكب تأثير إذا طلعـت   ولا تؤثر شيئا عند مغربهـا
دع الكواكب لاسراء تجلـب لا   ضراء تدفع إلا من مكوكبهـا

الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين، *انقضاض النجوم*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت.

عام الـذْفَـارَه (1338 / 1919) : الدفارة سحابة شديدة شتوية مكثت خمس ليال بأيامها لم تنقطع فهلك الحرث والنسل وكثر البرد والجوع والقحط.

عام ريهط (1312 / 1894) : ريهط هو صغار الجراد وكان هذا العام خصبا في الصحراء رغم تأخر المطر إلا أن الجراد عاجل الغطاء النباتي فأتلفه.

عام السبعية قرارة في إيمركلي (1277 / 1860) : هو العام الذي سافر فيه الشيخ ماء العينين من عند قبيلة تجكانت في إكيدي افتتاح جمادى الأولى

متوجها إلى قبيلة العروسيين وقبيلة بني دليم في الساقية الحمراء ووادي الذهب.

تاريخ أهل الشيخ ماء العينين ومنطقة آدرار، تحقيق، سيدي أحمد بن أحمد سالم، دار الكتب القطرية 1425 / 2004.

ماء العينين النعمة علي

عام شر أزدار : تميز هذا العام، ويعتقد أنه يعود إلى أواسط القرن التاسع عشر، بحدوث مجموعة من المناوشات المسلحة بين بعض قبائل الصحراء. ويتعلق الأمر بالصراع الذي دار بين أولاد دليم وأولاد تيدرارين، لجأ هؤلاء الأخير إلى التحالف مع الرگيبات ضد أولاد دليم، وبما أن الرگيبات كانت في أوج قوتها العسكرية في هذه الفترة فشنت حملات عسكرية موجعة ضد أولاد دليم فأنهكتهم، عندها لجأت هذه الأخيرة إلى الساحل حيث قبائل تكنة ساعية إلى الدخول في حلف يمنعها من الرگيبات وحلفائهم أولاد تيدرارين. فلجأت إلى حلف آيت الجمل بزعامة آيت لحسن حيث تحالفت معها، فكان رد الرگيبات أن تحالفوا مع أزوافيط زعماء آيت بلا. وقد أدت هذه التحالفات إلى دخول منطقة وادي نون دوامة من المناوشات العسكرية بين لفي تكنة المتنازعين، وقد استمر هذا الصراع سنتين، حسب الرواية الشفوية، فكانت نتيجته أن اتفقت القبائل المتحاربة على إيقاف الصراع والتراضي، وعادت كل قبيلة إلى مواطنها الأصلية.

عام شر إزرگيين : وقع في هذه السنة صراع بين إزرگيين وأزوافيط على إثر غارة قام بها أزوافيط على بعض مضارب إزرگيين، وأغلب الظن أن هذه المضارب كانت في وادي نون قريبة من مجالات أزوافيط، فلجأ بعض أكابر إزرگيين إلى قبيلة آيت لحسن يطلبون المساعدة للإغارة على أزوافيط، لكن آيت لحسن لم تتمكن من تلبية طلب إزرگيين لأن جل تجزءات القبيلة ليست موجودة في منطقة وادي نون بفعل الترحال في الصحراء. لذا فحملة السلاح كانوا قليلين فلم تتجرأ آيت لحسن على الدخول في رهان عسكري خاسر. بعد ذلك لجأ إزرگيون إلى طلب المساعدة من أهل بيروك من قبيلة آيت موسى وعلى الذيـن استحسنوا ثأر إزرگيين من أزوافيط لإرغام آيت لحسن على الدخول في الصراع فعاشت المنطقة بذلك دوامة من الحروب والمناوشات العسكرية آيت موسى وعلي في البدايات الأولى للقرن العشرين.

عام شر وعرون : يوجد مدشر وعرون جنوب غرب مدينة تكاوست التاريخية، وكانت تقطنه مجموعة أولاد بلحويلات التابعة لأزوافيط. وبفعل النشاط الرعوي الذي كانت تمارسه هذه الفصيلة، انتجعت إلى مجالات تابعة لقبيلة آيت لحسن، ويتعلق الأمر بمنطقة عين الرحمة ومنطقة لخوي التابعتين لفصيلة الزكارة التابعة لقبيلة آيت لحسن. ولما طال انتجاع أولاد بلحويلات في هذه المنطقة ، اعتقدت قبيلة أزوافيط أن مؤامرة قد دبرت ونسجت خيوطها بين آيت لحسن وأزوافيط بعقد تحالف ضد أزوافيط، فأغارت أزوافيط على أولاد بلحويلات في جوي الزكارة. وتشير الرواية الشفوية إلى أنهم قتلوا إثني عشر فردا من أولاد بلحويلات، وسلبوهم كل ماشيتهم من إبل وغنم، فكان رد فعل أولاد بلحويلات أن لجؤوا إلى آيت لحسن ودخلوا تحت حمايتها عبر عمليات "الذبح"، فقسم المدشر إلى قسم شرقي تابع لأزوافيط وقسم غربي تابع لأولاد بلحويلات المتحالفين مع آيت لحسن، واستمرت المناوشات بين شطري المدشر لمدة تنيف عن السنة بعدها وقع اتفاق بينهما على أن يعم السلم بين أولاد بلحويلات وأزوافيط وعلى أن يحافظ كل طرف على مجاله الخاص به. وقد دار الصراع، حسب الرواية الشفوية، في العقد الأول من القرن العشرين.

عمر ناجيه

عام الشَّوْطَة (1314 / 1896) : الشوطة ريح شديدة مكثت شهرا وصحبتها شدة وقحط وغلاء وأصبح هذا العام يعرف باسمها.

عام طوير الدود : 1276 / 1859 في هذا العام الذي دخل الشيخ ماء العينين المدينة المنورة قادما من مكة المكرمة يوم الأحد لخمس من المحرم وخرج منها يوم 8 محرم من سنة 1276 / 1859 ومر بالإسكندرية فأصابه مرض الجدري وكانت إصابته خفيفة لم يترك فيه أثرا ومكث بها خمسة أشهر وخرج منها يوم 18 شعبان ومر بمدينة مكناس وفيها السلطان مولاي عبد الرحمان فالتقى به وأكرم وفادته ثم رحل إلى مراكش وفيها الخليفة مولاي محمد والتقى به كذلك وأكرمه وأحسن إليه وخرج منها يوم 8 ذي القعدة يوم الاثنين ونزل على تجكانت فإكيدي.

وطوير الدود هو نبت الطير المعروف وقد أصابته هذه السنة بعض الآفات التي تصيب عادة النباتات.

تاريخ أهل الشيخ ماء العينين ومنطقة آدرار، تحقيق، سيدي أحمد بن أحمد سالم، دار الكتب القطرية 1425 / 2004.

ماء العينين النعمة علي

عام الطيايير : بعد خروج المستعمر الفرنسي من المناطق الواقعة شمال وادي درعة سنة 1956، بدأت تتأسس الطلائع الأولى من جيش التحرير الذي جند لتحرير باقي المناطق الأخرى التي لا زالت ترزح تحت السيطرة الإسبانية ويتعلق الأمر بمنطقة آيت باعمران والمناطق الصحراوية. لما تنامت عمليات جيش التحرير المنطلقة من وادي نون نحو آيت باعمران مستهدفة مواقع القوات الإسبانية، ردت القوات الإسبانية بشن

غارات جوية وحشية على مواقع جيش التحرير في منطقة تلوين خلفت العديد من الضحايا في صفوف العزل من النساء والأطفال والشيوخ، وخلف هذا الهجوم الوحشي بالطائرات وقعا كبيرا في نفوس السكان خاصة من قبائل تكنة وآيت باعمران فأطلقوا عليه "عام الطيايير".

عمر ناجيه

عام لْكْرَيْطِيفْ (1310 / 1892) : لفظ حساني وهو تصغير الكرطوفة وهي عشبة لها زهور كثيرة يكون لبن الدابة التي أكلتها خبيث الطعم إلا أنها كثيرة النفع للماشية.

تاريخ أهل الشيخ ماء العينين ومنطقة آدرار، تحقيق، سيدي أحمد بن أحمد سالم، دار الكتب القطرية 1425 / 2004.

ماء العينين النعمة علي

عام ملگا لحكامة : سنة يؤرخ بها أهل الصحراء لعام 1934 الذي التقت فيه الفيالق الفرنسية والإسبانية عند بئر أم اگرين في شهر دجنبر، وهو مركز عسكري يقع اليوم شمال موريتانيا وشرق گلتة زمور. هناك التقى ممثلي إفريقيا الغربية الفرنسية (التي تنتمي لها موريتانيا آنذاك) والسلطات الإسبانية بالساقية الحمراء وادي الذهب إلى جانب الحكام العسكريين الفرنسيين للحدود الجزائرية - المغربية. وكان لقاء بئر أم اگرين قد جاء بعد احتلال فرنسا لتندوف بتاريخ 31 مارس سنة 1934، وجاء بعد احتلال الإسبان لمدينة السمارة في فاتح ماي 1934. كما جاء هذا اللقاء بعد "التهدئة" التي عمت المنطقة آنذاك. وخلال اجتماع بئر أم اگرين التزمت السلطات العسكرية الإسبانية بإقامة مراكز حراسة قارة بكل من السمارة ثم زوگ لمراقبة تحركات قبيلة أولاد دليم في جنوب وادي الذهب، ثم تكوين دوريات لمراقبة مرتفعات زمور. كما تم الاتفاق ما بين الكولونيل اترينكي (Trinquet) حاكم التخوم الجزائرية - المغربية وبين ممثل إدارة افريقيا الغربية الفرنسية من أجل ربط شؤون قبيلة الرگيبات - الساحل بإدارة غرب إفريقيا، وشؤون الرگيبات - الشرق بإدارة الجزائر.

مقابلة مع السيد عثمان بن مني الدليمي بالداخلة، صيف، 2001.

Bentzmann, P. de. La pacification du Sahara occidental, *Revue d'Histoire des colonies*, 4 th Quarter, 1935, p. 249 – 284 ; *Africa, vol.* VI, N° 86, Febrero, 1970, Madrid ; *L'Afrique Française*, 1934, Paris.

محمد دحمان

عام النجم (1302 / 1884) : النجم مذنب ظهر على رأس القرن الرابع عشر الهجري فأصبح تاريخا عند جميع الصحراويين والشناقطة. وكان يظهر عند طلوع الصبح ثم تأخر طلوعه حتى سدس الليل وله إشعاع يعم ما حوله من النجوم وهو طويل بمقدار خمسة أو ستة أذرع. وقد وقع هذا العام شدة وغلاء وجذب وقحط، وغالبا ما ربط الاعتقاد الشعبي بين ظهور المذنبات وبين الحروب والشدائد.

تاريخ أهل الشيخ ماء العينين ومنطقة آدرار، تحقيق، سيدي أحمد بن أحمد سالم، دار الكتب القطرية 1425 / 2004.

ماء العينين النعمة علي

عبد الحي (أهل -) أسرة قضاء عريقة في قبيلة الرگيبات، أصلهم من بطن المحافيظ من قبيلة البرابيش، من أسرة أهل بدله التي كانت تعتبر بيت رئاسة. لكن بعد حصول حرب داخلية حول الزعامة القبلية، رحل علال بن الصبار بن موسى بن بدله بن غانم بن المحفوظ حيث صحب الشيخ سيد أحمد أكاد من أهل أروان وتزوج ابنته الزهراء وولد منها سيد أحمد فنشأ هذا الأخير مع جده لأمه وقرأ عليه حتى تخرج في كل فن، ثم ارتحل إلى سيدي عالي بن النجيب شيخ الشيخ سيدي المختار الكنتي وأخذ عنه الطريق، ثم لقي الشيخ أبو نعامة في توات فأشار إليه أن يرحل إلى الساحل. وقال له ستكون لك وجاهة وذرية صالحة فواصل سياحته سنين ثم لقي الشيخ سيدي أحمد الحبيب اللمطي بتافيلالت وأخذ عنه أسرارا. وهناك التقى الشيخ سيدي أحمد بن عبد العزيز السجلماسي الذي قال له مثل ما قال له أبو نعامه فنزل في تجكانت فتزوج منهم بنت الحاج امحمد من أولاد موساد فولد منها، ثم ارتحل إلى الرقيبات بالساقية الحمراء فتزوج عيشة بنت أحمد بن بيدان من أولاد موسى، وولد منها وفارقها ثم تزوج المگبولة بنت الحاج امحمد بن ادميس من أولاد أبي السباع، وولد منها عبد الحي ولقي قبولا من قبائل الساحل كالصكارنة وغيرهم وقبلت عليه قبيلة فلالة. كما التقى بقبيلة أهل بارك الله وسكن معهم مدة، وأخذ بعضهم عنه، ثم رجع إلى ناحية الساقية الحمراء حيث توفي عند الگعدة بأكمة الشْويشي، وأوصى ابنه عبد الحي بأن لا يتزوج بعربية ولا يأخذ المغرم ولا يهرب من اللصوص بل إلى الله فتزوج عبد الحي امرأة من سلام فولد منها يوسف ومولود والحاج لبشير والحسين وعبد الله والخليل ومحمد، وهذان لم يعقبا. ثم تزوج بنت الطالب علي من آيت احماد من تكنه واسمها الشهوة، فولد منها الحبيب واعلي الحاج محمود، ثم تزوج عيشة بنت أحمد بن محمد اللبي الشهير بأيده فولد منها السيدي.

وعلى يد هؤلاء ظهرت العلوم والفتيا والقضاء في مضارب الرگيبات، فمثلا كان يوسف بن عبد الحي فقيها قارئا للسبع وكذلك ابناه محمد سالم وامحمد. وكان محمد

بن يوسف مؤلفا شاعرا من تآليفه : شرح إضاءة الدجنة في عقيدة أهل السنة لأبي العباس المقري - وشرح مختصر خليل في الفقه - وشرح تكملة المنهج في القواعد لميارة - وشرح مراقي السعود لسيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي. ومنهم الحاج البشير بن عبد الحي الذي أخذ عن العلامة محنض بابه الديماني ولازمه مدة ثمان سنين وسبعة أشهر ثم حج ولقي السلطان العثماني وجال في البلاد ولقي فيها قبولا، من مؤلفاته : شرح إضاءة الدجنة - شرح خلاصة ابن مالك - وتفسير القرآن العظيم، وقد توفي في مراكش، ومنهم الفقيه المؤلف الشاعر الحبيب بن الحسين بن عبد الحي المتوفي سنة 1329 / 1911. ومنهم القاضيان : محمد سالم بن الحبيب بن عبد الحي صاحب كتاب (جوامع المهمات في أمور الرقيبات) وأخوه سيدي محمد. وأسرة أهل عبد الحي مشهورة في جنوب المغرب وموريتانيا حيث انتشر أبناؤها في درعة وواد نون والساقية الحمراء وتيرس والترارزة. وهم ينتمون إلى الرگيبات - الساحل، كما وفد منهم علماء وقضاة على حواضر مراكش وفاس وسوس ودرعة والسمارة وقد ذكر منهم المختار السوسي عدداً غير يسير في *المعسول*، الجزء 16.

المختار ولد حامد، *حياة موريتانيا* : ج 26، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2009 ؛ محمد المختار السوسي، *المعسول*، ج 16، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1961 / 1380 ؛ الطالب اخيار بن مامينـا، الشيخ مـاء العينين، *علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوربي*، مطبعة بني يزناسن، سلا، ج 1، 2005 ؛ محمد سالم بن الحبيب بن عبد الحي، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1992.

عبد الواحد (أولاد -) ينسبهم المختار ولد حامد إلى أولاد رزگ من بني حسان. لكن إثر انهزام أولاد رزگ وتشتتهم، توزع أولاد عبد الواحد بين القبائل وضعفت شوكتهم، رغم أنهم كانوا يملكون ثروة كبيرة من الإبل. وهكذا سيصبحون من مريدي الشيخ أحمد العروسي ويقطنون مع قبيلة العروسيين. لكن بعد ضعف هذه الأخيرة إثر الحروب القبلية سينحازون لأولاد دليم، ولما وقع الخلاف بين هؤلاء والرگيبات لجأ أولاد عبد الواحد إلى الرگيبات حيث سكنوا مع بطن أهل بلاو جوار أعيان أمثال إبراهيم بن حمادي وامبارك ولد علي بن يحيى حيث تمكن أولاد عبد الواحد من ممارسة الرعي في مناطق الساقية الحمراء وزمور وجاوروا فخذة السواعد وكذلك قبيلة آيت أوسى، كما ربطوا علاقات مع لبرابر (آيت خباش، ذوي منيع)، لينتهي بهم المطاف إلى الاستقلال بذاتهم حيث حملوا السلاح وشاركوا في المعارك الجهادية التي قادها الشيخ عابدين بن سيد امحمد الكنتي، وذلك بقيادة زعماء منهم يعدون آنذاك من أهم العارفين لمسالك الصحراء وهم : ولد لمحيميد، وبوي ولد الباد ومحمد العبد ولد الدلال. وآنذاك تكونت فخذات أولاد عبد الواحد من : أهل الرحموني - والبورات - أهل أعبيدة أولاد حميد - ولمرادين. كما برزت زعامة قبلية داخل هذه المجموعة الاجتماعية تمثلت في عائلة أهل عبد السلام من فخذة أهل أعبيدة. ورغم توزع أولاد عبد الواحد في مناطق متباعدة فإنهم ظلوا "دية وطلب" أي استمر التضامن قائما فيما بينهم. فقد أقام أولاد عبد الواحد بدرعة السفلى وفي الساقية الحمراء وزمور وعبر ساحل موريتانيا، حيث مارس البعض منهم الصيد البحري، وخلال فترات الترحال كانوا ينتقلون مع فخذة أهل بلقاسم وإبراهيم من الرگيبات - الشرق في مناطق زمور وتخوم منطقة إگيدي. ورغم نزوحهم عن العروسيين، فقد ظلوا أوفياء لتلك العلاقة الروحية والاجتماعية بسيدي أحمد العروسي وبذريته، كما كانت لهم علاقة بأهل يحيا بن عثمان أمراء منطقة آدرار التمر. وكانت لأولاد عبد الواحد نار (ميسم) يضعونه على رؤوس ماشيتهم من الإبل، ذلك الميسم هو "أكنبور" أي علامة قبيلة العروسيين التي كانوا ينتمون إليها في بداية أمرهم بمنطقة الساقية الحمراء.

واليوم تتوزع قبيلة أولاد عبد الواحد بين الساقية الحمراء وموريتانيا.

المختار ولد حامد، *حياة موريتانيا : الجغرافيا*، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992 ؛ *حياة موريتانيا*، الجزآن، 26 و30، منشورات الزمن، الرباط، 2009.

Mahmadou Ahmadou Ba. Les tribus secondaires du Sahel Mauritanien, in *Renseignements Coloniaux*, N° 9, septembre, 1928, p. 571 – 579 ; Tony Hodges. *Historical Dictionary of Western Sahara*, London ; 1982.

محمد دحمان

العتيق، محمد : هو العالم العلامة النحرير والأديب الشهير محمد الملقب بالعتيق بن محمد فاضل بن محمد الليل بن محمد بن أحمد بن الطالب أخيار. يلتقي مع الشيخ ماء العينين عند جده الطالب أخيار وأمه الرحمة بنت الشيخ محمد فاضل بن مامين أخت الشيخ ماء العينين". كان من العلماء العاملين والأولياء العارفين ولم يبق فن من الفنون إلا وله فيه اليد الطولى والغاية القصوى ولا يأخذ في فن إلا وظن سامعه أنه لا يعرف غيره لمعرفته بنوادره وشوارده. وكان حديد الفهم ذكيا أريبا لبيبا أديبا صواما قواما كثير البكاء من خشية الله تعالى، وله في المحافل التقدم العلمي والجواب المفحم الغريب ومناظرات في العويصات وعضل المسائل وكشف نقاب عن حقيقتها لكل مناظر ومسائل". قرأ جميع العلوم الظاهرة والباطنة على الشيخ ماء العينين "وكان يقرأ الحديث بين يديه في المسجد وكان سليق اللسان بديع البيان إذا أخذ في الإملاء والقراءة تخال تتابع لفظه جمانا انقطع". وكان الشيخ ماء العينين ينوه بعلمه الكبير وفهمه الثاقب وذكائه الحاد ويقول : "ما في علمي رجل أعلم من العتيق على وجه الأرض في أي علم بلغه ما عدا شيخنا الشيخ محمد فاضل وأبناؤه بالعلوم العقلية

والنقلية وناهيك بهذا دليلا على حاله في العلم". وكان يقول كذلك : "لا علم لي بمنقبة إلا وقد فعلها ابن أختي العتيق رضي الله عنه". وكان أيضا فارسا بطلا شجاعا مقداما شارك في معركة الداخلة وهي أولى المعارك التي وقعت بين الإسبان والقبائل الصحراوية بقيادة الشيخ ماء العينين في شهر جمادى الثانية من سنة 1302 الموافق ليوم تاسع مارس من سنة 1885. وهذا ما يؤكده الشيخ النعمة قائلا : "حضر وقعة الداخلة عام اثنتين بعد ثلاثمائة وألف وكان من الأبطال فيها المقدمين" : وسببها هو أن إسبانيا نهجت سياسة استيطانية بمنطقة وادي الذهب بعد أن أخفقت في إقناع المغرب بضرورة التنازل لها عن منطقة للصيد سانتاكروث دي ماريكينيا (Santa Cruz de Mar-Pequeña) وأرسلت بعثة بقيادة إميليو بونيلي (Emilio Bonelli) الذي تمكن من بناء ثلاثة أكواخ خشبية بالداخلة وحاول ربط علاقات تجارية مع القبائل لكن الشيخ ماء العينين تصدى لهذه المحاولة وأعطى أوامره لقبائل الساحل (أولاد الدليم والعروسيين) بعدم التعامل مع الحامية الإسبانية وحثهم على مهاجمة مركز بونيلي، فقد أخذ اثنين "من أبناء أخواته وهما العتيق والحضرمي بن الشيخ أحمد ومواريد معهما من مشاهيرهم أحمد بن علي الشيخ المصطفوي وأحمد بن الشمس وأرسلهم لقبائل الساحل من أبناء دليم والعروسيين وغيرهم أنهم لا يتركونهم يخرجون عن البلاد إلا بإذن وعهد من السلطان فسار معهم قوم من أخلاط القبائل فقدموا على النصارى فجرى بينهم كلام حتى قربوا من الصلح وأنهم يرجعون عن البلاد حتى يأتوا بالإذن من السلطان". لكن ظهر لهم منهم بعد ذلك" علامات الغدر فجرى بينهم ما حاصله أنهم اقتتلوا معهم وهزموهم وغنموا ولله الحمد منهم غنائم كثيرة وقتلوا أشخاصا ولم يمت منهم أحد - أي المسلمين - ودخل النصارى البحر منهزمين ولله الحمد". وهذا ما يؤكده الشاعر الفقيه محمد سالم بن ابوه اليعقوبي في قصيدة يمدح بها الشيخ ماء العينين يقول :

سل الروم عنه يوم ولت حماتها	أيادي سبا من بين صرعى ومكلم
وفرت حماة الكفر كرها وغادروا	كرائم مـــال الكافـر المتنعـــم
فأصبحت الأموال تقســم بيننـــا	تباع وتشرى في يـدي كل مسلـم

وهذه المعركة هي سبب قدوم أمير آدرار أحمد بن محمد بن عيدة على "أهل شيخنا الشيخ ماء العينين وعلى أهل الساحل يريد ما غنم المسلمون من أموال النصارى وادعى أنه هو أمير البلاد فلم يحصل على طائل ورجع خائبا". وكان ذلك سبب تأليف الشيخ ماء العينين لكتابه "هداية من حارا في أمر النصارى". وقدومه هذا هو الذي نظم فيه العتيق قصيدته المشهورة التي يقول في بعض أبياتها :

قل للأمير الذي في عدله اشتهرا	بين الملوك وبين سائر الأمـــرا
أنى تعاهد قومــــا لا تناولهـــم	أحكامك الدهر ليس ذاك معتبـرا
ولو فرضنا عهودا بينكم وقعت	فأين ما اشترطوا في عهد من كفرا

في سنة 1309 / 1891 سافر عن أهله بحضرة الشيخ ماء العينين بالساقية الحمراء "بقصد الحج فلما بلغ فاس صادف فيه السلطان مولاي الحسن فاعتنى به غاية وأكرمه وكان نزوله عند مريد شيخنا الشيخ ماء العينين قائد مشور السلطان وهو القائد إدريس بن يعيش". وقد كتب له رسالة يلتمس منه فيها إسعافه بأمر الحج الـذي قدم لأجله، يقول في بعض فقراتها : "... وبعد فإليه من الكاتب سلام أعلى من المشتري والكاتب سلام لا يخطر مثله على الأفهام ولا تخطه في المهارق الأقلام ورحمة وتحية كسيرته الزكية، موجبه ليكن في كريم علمكم أني قدمت أنا وأخ لي إليكم نريد أن يتفضل الله علينا بالحج في هذا العام وزيارة الرسول عليه الصلاة والسلام وقد علمنا أن الوقت ضاق لكن يعمى عن ذلك المشتاق وقد كنتم الوسيلة إلى ذلك والمعينين على كل ما هنالك فتوكلنا على الملك القهار وألقينا لديكم عصا التسيار ولاسبب لنا إلى ما نؤمله إلا أن تفعل بنا ما أنت أهلـه والله يجزيك عنا وعـن جميـع المسلميـن بأحسن مـا تجازى به أمـراء المؤمنين". وخاطبه كذلك بقصيدة شعرية يقول في بعض أبياتها :

أميرنا وأرى الأوصاف توضحه	ما يوضح الموضحان الاسم واللقب
فحق لي مدحكم وإن مدحت فما	مقصودي المفتنان الورق والذهـب
ومقصدي أنتم والحج يا سببـــه	وحبذا المقصدان الحـــج والسبـب

فقابله السلطان مولاي الحسن "بما لا مزيد عليه من الإكبار والإعظام والمبرة والإكرام ونفذ له كل ما تدعو له الحاجة من مؤن الحج ولوازمه" فلما تهيأ للذهاب له واستعد للخروج إليه من فاس أصابه مرض الجدري فتوفي بسببه رضي الله عنه سنة 1310 / 1891 وحضر جنازته السلطان مولاي الحسن وأعيان الدولة والقضاة والعلماء وجموع غفيرة من أهل فاس ودفن بزاوية الولي الشهير الشيخ عبد القادر الجيلاني. وقد خلف أعمالا أدبية وعلمية متنوعة منها : "الطريق المفيد المبين لهداية المبتدئين" وهو شرح لتأليف الشيخ ماء العينين "هداية المبتدئين في علم النحو" و"الأنوار في كشف الأسرار" وهو شرح لكتاب الشيخ ماء العينين المسمى "جواهر الأسرار" و"البيان المتين في سيرة شيخنا الشيخ ماء العينين" و"رحلة الشيخ الوافية إلى الديار الحجازية" وهو كتاب وصف فيه رحلة الشيخ ماء العينين إلى الحجاز لأداء فريضة الحج بالإضافة إلى تقاييد مفيدة في أنواع شتى من الفنون وديوانه الضخم في مختلف الأغراض الشعرية.

الشيخ النعمة بن الشيخ ماء العينين، *الأبحر المعينية في بعض الأمداح المعينية*، تحقيق، أحمد مفدي، بحث تقدم به لنيل دبلوم الدراسات العليا، تحت إشراف الدكتور عباس الجراري، مرقون بخزانة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، السنة 1975 - 1976 ؛ ماء العينين بن العتيق، *الرحلة المعينية*، تحقيق،

الدكتور محمد الظريف، الطبعة الأولى، 1998 ؛ مطبعة المعارف الجديدة، الرباط.

العرگوب (معركة -) وقعت في شهر يوليوز من سنة 1957 عندما هاجمت قوات جيش التحرير التابعة للمقاطعة الثامنة الجيش الإسباني في قرية العرگوب بمنطقة وادي الذهب وكبدته خسائر فادحة في الأرواح والعتاد حيث قتلوا منه أربعة عشر جنديا وجرحوا ستا وثلاثين وغنموا أسلحة متنوعة. واستشهد في صفوفهم ثلاثة شهداء وجرح ستة عشر بجروح خفيفة.

محمد بن سعيد آيت ايدر، *صفحات من ملحمة جيش التحرير بالجنوب المغربي*، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، يونيو، 2001.

ماء العينين النعمة علي

العروسي (الشيخ -) **أحمد** هو الشيخ سيدي أحمد بن عمر العروسي دفين الساقية الحمراء، متصوف وولي صالح، تلقى تعليمه على يد كبار شيوخ الطريقة الشاذلية المشيشية بسنديها الزروقي الراشدي والجزولي.

نشأ في تونس ثم رحل إلى الجزائر وأخذ عن الشيخ سيدي أحمد الراشدي الملياني، بعدها إلى المغرب حيث اصطحب شيوخ الزاوية الجزولية وخاصة الشيخ سيدي رحال البودالي المعروف بالكوشي فوقع له تنافس مع شيوخ هذه الزاوية بمراكش انتقل على إثرها إلى الساقية الحمراء حيث أقام زاوية عُرفت بكثرة المريدين والتلامذة من جميع الأقطار كما اشتهرت بإطعام المريدين المترددين عليها. اختص الشيخ سيدي أحمد العروسي في التربية على التصوف وأنشأ في أواخر حياته طريقة خاصة في التصوف أطلق عليها "طريقة السالك في الحقيقة" وهي مشتقة من الطريقة الشاذلية بسندها الزروقي (نسبة إلى أحمد زروق) والشاذلي الجزولي. قدم إلى الصحراء حوالي 938 وتوفي سنة 1002 وهو الجد الجامع لقبيلة الشرفاء العروسيين.

تاريخ الشرفاء العروسيين، أعمال ندوة وطنية، مطبعة بني يزناسن، سلا، 2002 ؛ مقابلات شفوية بالعيون.

محمد بوخالد

العروسي (سيدي -) **أحمد** بن **إبراهيم**، ولد سنة 1865 بمنطقة الساقية الحمراء، وكان من بيت رئاسة وجاه في قبيلته، ترك ستة أبناء هم : إبراهيم، والكحيل والمحفوظ وعبد الله، ومن الإناث : الكورية ومريم. ويعد من المجاهدين الماهرين في ميدان القتال، حيث شارك في معارك المقاومة خلال الربع الأول من القرن العشرين.

توفي سنة 1956 حيث دفن عند "اگرارةْ انْعَامِية" شمال حاسي أجريفية بإقليم بوجدور.

مقابلة ميدانية مع القائد محمد سالم ولد حمي العروسي، صيف 2009 بالداخلة ؛ *مقابلة ميدانية مع السيد حمادي* الهنوني العروسي بالداخلة، صيف 2009.

محمد دحمان

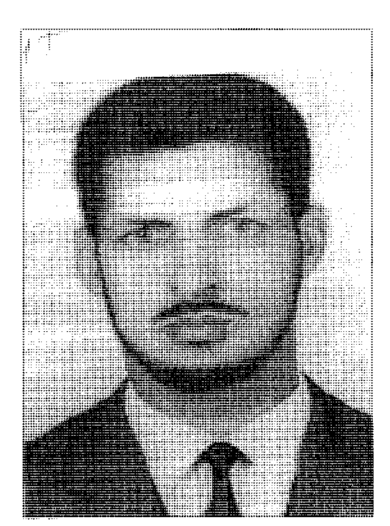
العروسي، ألمين ولد هدّي، هو ألمين ولد محمد ولد هدي. ولد حوالي سنة 1850. درس القرآن والفقه، فنهل من التوحيد وعلوم الدين. إلى جانب ذلك كان تقيا، ورعاً يحب الخير ويدعو إليه وظل يسافر على الإبل إلى قبائل شمال الصحراء من أجل الصلح بين القبائل وفض النزاعات بينهم.

توفي سنة 1942 بضواحي بوجدور بمنطقة "آوفيست" وانبجست قرب مرقده عين جارية ماؤها عذب ويصب في مياه المحيط الأطلسي.

رواية شفوية - العيون.

محمد بوخالد

العروسي، البشير بن **بَابَيْتْ** : هو البشير، المعروف محليا ب "أبشَيَّر" بن سيد أحمد بن بابيت، ولد بمنطقة نـگجير بإقليم وادي الذهب سنة 1934، ينتمي إلى قبيلة العروسيين، يعد من أعيان هذه القبيلة، كما يعتبر من أعضاء حركة جيش التحرير بمنطقة الصحراء، ومن حملة السلاح الذين يتقنون فن الرماية والقنص، حيث كان شجاعا في ميدان الوغى. وبعد



معارك جيش التحرير بمناطق الساقية الحمراء، وعلى إثر عملية "إيكوفيون" (Ecowvillon) خلال شهر فبراير من سنة 1958، لجأ كباقي المقاومين إلى منطقة الطنطان

حيث أقام إلى حدود 1975. آنذاك عاد لمدينة العيون، وتم تعيينه قائدا على الجماعة القروية للدورة الواقعة شمال تلك مدينة. وإلى جانب حملهِ للسلاح والمشاركة في المقاومة المسلحة والزعامة السياسية في قبيلته العروسيين، عرف البشير بالإبداع الشعري الحساني.
توفي هذا المقاوم سنة 1998 بمدينة الداخلة.

تاريخ الشرفاء العروسيين، أعمال ندوة علمية من نشر مركز الشيخ سيدي أحمد العروسي للدراسات والأبحاث، الرباط، 2004 ؛ *مقابلة ميدانية مع القائد محمد سالم ولد حمية العروسي* بالداخلة، صيف 2009 ؛ *مقابلة مع الباحث بوبكر لعروسي* الإدريسي بالرباط، خريف 2009.

محمد دحمان

العروسي، حمّادي ولد هدّي، هو محمد ولد هدي بن هيدالة الملقب "حمّادي". ولد حوالي سنة 1790. عُرف بالتقى والورع والعلم. نظم باللهجة الحسانية نظما ضمّنه أركان الصلاة كما نظم في التوحيد وفرض العين.
توفي سنة 1893. ودفن على بعد 27 كلم شمال مدينة العيون. وانفجرت قرب ضريحه عين تُدعى "عين تسگراد" لها ماء عذب فرات. وله مزار تقصده الناس من جميع الجهات.

العروسي، خطاري ولد **أعمر**، هو خطاري بن العبد بن أعمر ولد سنة 1850 كان عابدا زاهداً متصوفا، يقوم الليل ويبيت في خلوته يذكر الله إلى درجة أنه يصاب بالبُحَّة في الصباح فلا يقوى على الكلام. عُرف بالولاية والصلاح، له كرامات كثيرة من أبرزها كلامه مع الطيور.
توفي في بداية سنة 1964 بمنطقة لحدَب. وله مزار معروف على الطريق الرابطة بين العيون والسمارة على بعد 85 كلم من مدينة السمارة. وقد تم اكتشاف نابضة مياه جوفية هامة أطلق عليها اسم "سيدي خطاري" تزود مدينة السمارة بالمياه الصالحة للشراب.

العروسي، سالك ولد **أعلي لفظيل**، ولد سنة 1894 بأرغيوة، تعلم القرآن أيام الشيخ ماء العينين بالسمارة. وتعلم الرماية والفروسية وهو في ريعان الشباب فانخرط في مقاومة الاحتلال الفرنسي إذ شارك في عدة معارك نذكر منها : أم آغوات، اغسرمت إكليلي، واكدار ميثات. أسر ضابط صف برتبة رتيب.
أصيب بجروح متفاوتة الخطورة وفي آخر معركة كسر ذراعه الأيسر. فأسرته قوات "كوميات" التابعة لفرنسا. فرحّل إلى كوناكري عاصمة غينيا، حيث حكمت عليه محكمة عسكرية فرنسية بثماني سنوات سجنا نافذا، قضى 18 شهراً منها في السجن فأطلق سراحه ضمن صفقة تبادل مع فرنسيين أسرهم بعض رجالات الصحراء.
عرف بشهامته ومواقفه البطولية، يقول الحق ولا يخاف في الله لومة لائم، له علاقات اجتماعية واسعة مع الوجهاء والأعيان وحميمية روحية خاصة مع كبار العلماء والأتقياء.
توفي يوم الاثنين 11 يوليوز سنة 1994 بمدينة العيون ودفن بتافودارت.

رواية شفوية، العيون.

العروسي (الشيخ -) **سيد إبراهيم** بن **أحمد**
هو الابن البكر للشيخ سيدي أحمد العروسي دفين الساقية الحمراء وخليفته في الزاوية العروسية. ولد في أواسط القرن العاشر الهجري وفي عهده انتقلت الزاوية من الظل إلى الشمس أي أنه كون قوة عسكرية فاقت 12.000 مقاتل. فتوسعت الزاوية العروسية في اتجاه أرض "الگبْلة" حيث بسط سيطرته من الساقية الحمراء إلى حدود مملكة مالي. وقضى على القوى المناوئة له من بني حسان خاصة بني رزق الذين حكموا في أرض الساحل والگبلة لمدة قرنين وذلك في معركة "انتتام" التي وقعت سنة 1040 للهجرة. وقد تحالف في هذه الحرب مع أحمد بن دمان الذي أسس فيما بعد إمارة الترارزة. واضطرت أمام قوة جيشه وتخطيط أبنائه العشرة الذين قادوا الجيش كل الزوايا وبني حسان إلى التحالف من أجل إخراجه من أرض " الگبْلة".
توفي سنة 1046 وهو يستعد للمشاركة في حرب "شرْبَبَّ". اعتبر بعض المؤرخين أن سِـرّ قوته يعود إلى الدعم الذي كان يتلقاه من ملوك الدولة السعدية بمراكش وقد عرف سيدي إبراهيم بكراماته الظاهرة إلى جانب شدة بأسه في الحرب.

محمد سعيد ولد اليدالي، *نصوص من التاريخ الموريتاني* ؛ *تاريخ الشرفاء العروسيين*، 2002.

محمد بوخالد

العروسي، سيد أحمد : هو أحمد بن مولاي موسى ويعرف في المصادر بالشيخ أبو العباس أحمد العروسي، ولد سنة 932 / 1525 بصحراء تونس التي يرجع أصله إليها، فمن المتواتر عنه أنه كان يقول :

أصلي جاي من تونس الخضـراء ... ولي بأصلو يرجع عليـه
وأمــي فاطمـــة الزهـــراء ... والكاذب لعنت الله عليـه

وقد اختلفت الروايات حول انتقاله إلى الجنوب المغربي بمنطقة الساقية الحمراء من الشمال الذي كان يقطن فيه، لكن تبقى الرواية المرجحة في بعض المصادر وعلى لسان أحفاده، أنه كان صاحب عبد الرحمان المجذوب (ت 1568) دفين مكناس - معلومة تحتاج إلى المزيد من البحث - ، خرج في أول نشأته للتعلم عند أحد الشيوخ وهو ما يزال صبيا وعند بلوغه سورة "الزلزال" تأثر بالآية الأخيرة : فمن يعمل مثقال ذرة خير يره ومن يعمل مثقال ذرة شر يره، فترك القراءة منذ ذلك اليوم وانشغل بالعبادة فظهر على يديه

من خوارق العادة مالا يوصف، وكان يقول كلاما على وزن كلام عبد الرحمان المجذوب يخبر فيه بالمغيبات مما جعل الناس يقبلون على حفظه، فوصل خبره إلى أمير دهره الذي أمر بحبسه في جامع "الفنا" بمراكش، فأخرجه من حبسه صديقه الذي كان معروفا لدى العامة بالشيخ سيدي رحال البودالي أو الكوشي فطار به مدة تزيد على السبعة أيام إلى أن سقط منه في الساقية الحمراء بعد أن انقطعت به "النسغة" - وهي حزام مصنوع من الجلد - بمنطقة تسمى بـ "الطبيلة" حيث استقر هناك يتعبد ويتدبر في مخلوقات الله.

وهناك تزوج وأنجب ابنه الأول سيدي إبراهيم، لينتقل للعيش على حافة واد الساقية الحمراء من الجنوب، حيث بنى مسجدا لا تزال آثاره قائمة إلى يومنا هذا، وتزوج مرتين بعد الأولى لتتفرع عنه ثلاث ذريات، ويصبح بذلك الشيخ المؤسس لقبيلة لعروسيين وصاحب كرامات كثيرة مازالت خالدة في أذهان أحفاده، تحتاج بمفردها لدراسة خاصة.

توفي عن عمر يناهز السبعين في 15 صفر عام 1002 / 1593 بسبب مرض ألم به، وقبره قرب مدينة السمارة بحوالي خمسة وعشرين كيلومتر ويعتبر مزارا لأغلب سكان الصحراء.

محمد المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع في أخبار الجزولي وإتباع وما لهما من الأتباع* ؛ محمد الظريف، *الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء المغربية* (1800 - 1956) ؛ محمد الغربي، *الساقية الحمراء وواد الذهب* ؛ *شجرة نسب* بحوزة السيد لخليفي ولد محمد سالم ولد عبد الله بالعيون ؛ محمد الغيث النعمة، *الفواكه في كل حين في بعض أقوال الشيخ ماء العينين*، مخطوط نسخة الخزانة بالرباط.

الغالية بلعمش

العروسي، شنان بن **سيد إبراهيم** هو شنان بن سيد إبراهيم حفيد الشيخ سيدي أحمد العروسي كان من أبرز قواد جيش والده المسمّى "محلة سيد إبراهيم العروسي". عُرف بقوة شكيمته في الحرب وإعلانه الجهاد في السودان في مواجهة الممالك الزنجية.

أنشأ إمارة بـ "ولاتَ" عام 1042. وشيّد بها "قصبة" مازالت آثارها قائمة بعد أن رفض أهاليها مده بالمؤونة الضرورية لخوض الجهاد.

مكث أميراً على ولات مدة 12 سنة، وكانت "ولات" منطلقا لعملياته الجهادية ضد مملكة مالي حيث قتل الأمير "سنْغال" سنة 1045 غدرت به مجموعة من أولاد يونس فقتل على يد أحد قادتهم سنة 1052.

محمد سعيد ولد اليدالي، *نصوص من التاريخ الموريتاني*، طبعة تونس ؛ *الشرفاء العروسيين*، ندوة الرباط، 2002 ؛ *روايات شفوية*.

محمد بوخالد

العروسي، عبد الله ولد **سيد إبراهيم**، هو عبد الله بن محمد سيد إبراهيم الملقب "دَدّاه"، ولد سنة 1919، بمنطقة "بوگـڭـة بتيرس. تعلم القرآن والمتون وهو في ريعان الشباب كما تعلم الفروسية والرماية وكان بارعا فيهما. كان من الأوائل الذين انخرطوا في المقاومة إذ شارك في أول وفد من الأعيان الصحراويين الذين استقبلهم الملك الراحل محمد الخامس سنة 1955، وتسلم منه سلاحا من نوع "اتساعية" ومسدس.

عُيّن شيخا على القبيلة سنة 1960. رفض الانضمام إلى مجلس الكورتيس Cortès الإسباني عام 1963، كما كان من الذين عارضوا الخطة الإسبانية لإدماج سكان الصحراء وذلك سنة 1966 المعروف بعام "السّنيّ". ولقد ظل عبد الله وطنيا غيورا مخلصا في عمله صادقا في انتمائه للوطن والجالسين على العرش العلوي. وإلى جانب وطنيته الصادقة تميز عبد الله بإلمامه الواسع بأمور الدين وخاصة فرض العين، وكان حافظا للأشعار والحكم المأثورة. ويعرف عند العلماء والوجهاء وعلية القوم أن مجالسه مفيدة وأنه حصيف الرأي، ومع كل هذا كان عابدا متصوفا ورعا مترفعا عن النقائص.

توفي بتاريخ 23 / 1 / 2009 بالعيون ودفن مع جده حمادي ولد هدي.

العروسي، فال (ولد -) **أحمد**، هو الشيخ بن أحمد فال بن لمرابط بن هيدالة. ولد بإيمريكلي سنة 1861. تعلم القرآن مبكراً كما تعلم الرماية والفروسية وفنون القتال فبرع فيها. انضم إلى صفوف المقاومة وشارك في عدة معارك ضد القوات الفرنسية وأبلى فيها البلاء الحسن. ومن ضمن المعارك التي شهدها معركة سيدي بوعثمان سنة 1912 ضمن جيوش الشيخ أحمد الهيبة.

كان الشيخ ولد أحمد فال فارسا شجاعا شديد البأس وإلى جانب ذلك فهو دمث الخلق طيب المعاشرة حلو المجالسة.

توفي يوم 18 / 7 / 1987 بمدينة العيون ودُفن جنوب شرقها وله مزار معروف هناك.

العروسي، (ولد -) **لفظيل اعلي**، هو اعلي ولد لفظيل ولد عبد الله ولد أكماش الملقب بالداهي وُلد بإيمريكلي حوالي سنة 1860. كان بطلا مغوارا قوي الشكيمة صعب المراس يدافع عن المظلوم ويحمي المستجير إذا لجأ إليه. شارك في مقاومة المستعمر الفرنسي وهو من قتل الضابط الفرنسي المشهور "بُوضرْسْ" وانتزع مدفعه المسمى "الرباعية".

توفي بمنطقة تنيليگ حوالي سنة 1943، وقبره معروف هناك ويقصده الزوار من جميع الجهات.

رواية شفوية، العيون.

العروسي، ماء العينين ولد **الخطاط** : والده هو أحمد فال ولد الخطاط، ولد بداية القرن العشرين بإيمريكلي. استقر بمدينة العيون في خمسينيات القرن الماضي وعُيّن أول رئيس مجلس بلدي بالعيون سنة

1961. دخل السجن سنة 1966 بسبب معارضته للاستعمار الإسباني ثم رحّل قسرا إلى بئر أنزران. كان مستقيما حكيما، شهما، يحظى بتقدير واحترام جميع القبائل إلى درجة أنهم يلجأون إليه قصد إصلاح ذات البين.

استقر به المقام بالداخلة منذ سنة 1979 تاريخ استرجاعها إلى حظيرة الوطن ليتم تعيينه شيخا.

عُرف بالاستقامة والوفاء بالعهد والصدق والنزاهة وكان من أعيان القبيلة النافذين.

توفي سنة 1982.

العروسي، محمد بن **سيد إبراهيم** : هو محمد بن سيد إبراهيم بن محمد بن هدي بن هيدالة المعروف "بأحميم" لدى قبيلة العروسيين وهو أبرز شيوخ القبيلة على الإطلاق. ولد حوالي سنة 1860، ونشأ في بيت علم وورع. عـُين شيخا للقبيلة وكان يحظى بالإجماع، ظل طيلة حياته نافذ الكلمة، سديد الرأي، وكان حكيما له قدرة فائقة على حل عويصات الأمور ؛ وإلى جانب ذلك كان "احميم" أغنى رجل في قبيلته حيث امتلك ثروة حيوانية هائلة بالنسبة لعصره.

توفي سنة 1955 بمنطقة طارف لحفر بايمريكلي وقد شارك في عدة معارك ضد القوات الفرنسية منها توجنين وآحميم وأم أغواب والتسنين.

العروسي، محمد عالي بن **سيد إبراهيم** :

هو محمد عالي بن سيد إبراهيم. ولد سنة 1919 باجريفية، تعلم القرآن والفقه مبكرا. كما تفنن في الرماية والفروسية وهو في ربيع العمر. انضم إلى صفوف المقاومة وكان ضمن الوفد الصحراوي الذي حظى بمقابلـة الملك الراحل محمد الخامس سنة 1955 الذي سلمه سلاحا فرديا من نوع "اتساعية".

شارك في معركة أگرگر والعرگوب والطوارف. كان من شيوخ القبيلة النافذين، حضر مجالس الصلح ولعب دورا بارزا في رأب الصدع بين القبائل. عُيّن شيخا سنة 1962 على بوجدور. رفض قبول "العشر" الذي حاول المستعمر الإسباني فرضه على قبائل الصحراء وذلك بالتنسيق مع الشيخ محمد الأغظف وكذا مع شيوخ القبيلة. وقد رحلته السلطات الإسبانية قسرا إلى جزر الخالدات سنة 1956 بعد معارضته لها. وكان حاذقاً لبيباً أديباً، له دراية بأمور الشريعة والفقه ويعرف المدخل إلى حل العويصات من المشاكل.

توفي يـوم الجمعة الثامـن من شهر أبريل 2005 ودفن مع جـده حمـادي ولد هدي بالزاوية الموجودة شمال العيون.

رواية شفوية.

محمد بوخالد

العروسيين (قبيلة صحراوية) تنسب إلى الشيخ سيدي أحمد العروسي دفين الضفة اليسرى لواد الساقية الحمراء شمال غرب مدينة السمارة. فهم ينحدرون من الأبناء الأربعة لهذا الشيخ الصوفي القادم من مراكش إلى الساقية الحمراء في النصف الثاني من القرن 10 هـ / 16 الميلادي. وهؤلاء الأبناء هم : سيدي التونسي، وسيدي إبراهيم وسيدي بومهدي وأبو العباس. وتسكت المصادر التاريخية عن وجود بنات لهذا الشيخ. هؤلاء الأبناء عقب منهم كل من : سيدي التونسي (المسمى مولاي عمر)، وسيدي إبراهيم المدفون بجوار بئر دومس بصحراء وادي الذهب، وسيدي بومهدي. وعن هؤلاء تفرعت البطون العروسية الكبرى وهي أولاد لخليفية، وأولاد سيدي التونسي وأولاد سيدي بومهدي، وتجدر الإشارة إلى أن جميع مدافن أبناء سيدي أحمد العروسي توجد بالساقية الحمراء ووادي الذهب، ماعدا سيدي بومهدي الذي يوجد مزاره بمدينة تلمسان غرب الجزائر.

وقد كانت زعامة العروسيين قديما في البطن المنحدر من سيدي التونسي، نظرا إلى أن هذا الأخير كان الابن البكر للشيخ سيدي أحمد العروسي، هذا قبل أن تنتقل الزعامة إلى أولاد لخليفيـة المنحدرين من سيدي إبراهيم العروسي دفين دومس الذي اشتهر بغزواته نحو جنوب شـرق بلاد شنقيط. إلى جانب هـؤلاء الأبنـاء والبطون المنتسبة للشيخ سيـد أحمد العروسي، هنـاك مجموعات أخرى كانت تشكل القوة الإنتاجية داخل القبيلة في بدايتها وهـي أولاد عبد الواحد والمراديـن ولميشنات وكذا لميسات (المتمركزين بمنطقة عبدة بناحية مدينة آسفي).

ويظهر من خلال تتبع تحركات أبناء وحفدة الشيخ سيدي أحمد العروسي، أن هذه القبيلة المنتمية للأشراف، بدأت في الانتشار نحو الجنوب انطلاقا من الساقية الحمراء موطن الجد الجامع نحو مناطق إيمريكلي ونگجير وتيرس والحوض الشرقي والـگبلة ومالي، وذلك في شكل حملات عسكرية، يقول الباحث سيد أحمد بن أحمد سالم بهذا الصدد : "... قبيلة العروسيين المشهورة بالصحراء يبدو من خلال المصادر التاريخية الموريتانية التي أرخت لهذه الفترة (يقصد القرن 11 هجري) أن البلاد عرفت موجات متلاحقة من غزوات العروسيين القادمين من جنوب المغرب، فنجد سنان بن إبراهيم العروسي يرافقه أخوه التونسي وأبوهما إبراهيم يضايق أهل ولاته طيلة إحدى عشر سنة وزيادة ويفرض عليهم المغرم إلى أن قتله أولاد يونس سنة 1040 وسيدي إبراهيم بن سيد أحمد العروسي يفعل نفس الشيء مع زوايا الـگبلة إلى أن أضعفه أحمد بن دامان..." (تاريخ ابن طوير الجنة : 45). وهـذه الشهـادة تبين أن العروسيين لم يبقوا في وضعية الزوايا المسالمة، بل دخلـوا سلك الممارسة الحربية والغزو، وبذلك جمعوا ما بين المعرفة وحمل السلاح.

وهذا التوجه نحو الجنوب عند العروسيين تزامن آن ذاك مع ظرفية انتشار الطرق الصوفية في الصحراء وآثار حملة السلطان أحمد المنصور الذهبي على بلاد السودان (999 / 1591)، لذلك كان على هذه القبيلة الناهضة إيجاد مكانة لها ضمن هذا السياق المتحول، فلم يكن انتشار العروسيين في اتجاه الجنوب وليد الصدفة بل

كان جنوب "تراب البيظان" مجال لنمو الزوايا العلمية الظاعنة، ومجال لتمركز القبائل الحسانية الصاعدة، كما كان بوابة السودان موطن الذهب ومعبر التجارة القافلية، لذلك نجد ذكرا للعروسيين في كتاب "تاريخ السودان" للسعدي الذي أظهر دورهم الحضاري والعسكري إذ استطاعوا بسط هيمنتهم على المنطقة في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري / 17م، كما أشار إلى ذلك أحمد بن طوير الجنة الحاجي.

لكن نظرا لقلة عدد العروسيين، وبروز أحلاف مناهضة كتاشمشة وأولاد أمبارك، فإنهم تراجعوا شمالا نحو منتجعاتهم الأصلية بتيرس والساقية الحمراء، حيث مارسوا الرعي والزراعة بمناطق نكجير وإيميركلي وازيك والساقية الحمراء. وكانت لهم عادات وتقاليد تميزهم عن بقية القبائل الصحراوية، كنوعية "الميسم" (النار) الذي يضعونه على جمالهم، وكذلك عادة "لعواشير"، التي تتجلى في تجنب الزينة والفرح في أوقات معينة خلال السنة الهجرية، كشهر محرم بالكامل وخمسة أيام قبل العيد (عيد الأضحى وعيد الفطر) وخمسة أيام بعده، ويرجعون أصل هذه العادة إلى حادثة كربلاء التي قتل فيها الحسين بن علي (ض). ومن السلوكات التي يتفادونها في هذه المناسبات عدم حلاقة الرؤوس وعدم إقامة حفل الزفاف وتجنب النساء لخضاب الحناء وعدم ارتداء الملابس الجديدة وعدم ترقيع قرب الماء وعدم الغزو "ما ينهظ فيه". وليس العروسيون وحدهم الذين يتجنبون هذه السلوكات في "لعواشير" بل كل من كانت له علاقة دم أو رضاعة بهذه القبيلة يصبح ملزما بتنفيذ هذه النواهي وإلا حلت به، في اعتقادهم، نوائب لا تحمد عقباها.

ولما بدأ الاستعمار الفرنسي والإسباني يتغلغل في جنوب المغرب لم يكن العروسيون بمعزل عن "الجهاد" الذي ظهر منذ المواجهات الأولى مع الإسبان بشبه جزيرة الداخلة سنوات 1884 و1885، كما شاركوا في بقية معارك المقاومة المسلحة في جنوب وادي الذهب في معارك : "غزي أكليل" و"غزي شرواط" و"غزي أم التونسي"، وكذا في معارك جيش التحرير في الخمسينات من القرن العشرين، وتحتاج كتابة تاريخ هذه القبيلة إلى المزيد من التقصي المكتبي والعمل الميداني.

عبد الرحمن بن عبد الله السعدي، *تاريخ السودان*، طبعة هوداس، باريس، 1981 ؛ محمد اليدالي، شيم الزوايا ضمن كتاب : *نصوص من التاريخ الموريتاني*، طبعة بيت الحكمة، تونس، تحقيق، محمذن باباه، 1990 ؛ *تاريخ ابن طوير الجنة*، تحقيق، سيد أحمد بن أحمد سالم، معهد الدراسات الإفريقية بالرباط، مطبعة المعارف الجديدة، 1995 ؛ محمد العربي، البهلول الرحالي، *منهج الارتحال إلى الشيخ سيدي رحال*، مطبعة الأمنية، الرباط، 1954 ؛ التسافتي، *رحلة الوافد في أخبار هجرة الوالد*، تحقيق، علي صقلي عازيكو، نشر كلية الآداب بالقنيطرة، 1992 ؛ جماعة من الباحثين، *تاريخ الشرفاء العروسيين كمظهر من مظاهر الوحدة الوطنية*، منشورات مركز الشيخ سيدي أحمد العروسي للدراسات والأبحاث، الرباط، 2004.

Flores Morales, Angel, *El Sahara Español, Madrid*, 1999 ; Jemia et J.M. Leclezio, *Gens des Nuages*, 2ème édition, Gallimard, 1999.

محمد دحمان

العزلات (معركة -) 4 جمادى الأولى 1326 / 4 يونيو 1908 كان أحمد ولد الدَّيْد، ومعه كوكبة من المجاهدين، يراقبون عن كثب مفرزة من الرماة تحرس قافلة تموين بقيادة ضابط صف في طريقها إلى آلاك. وعندما وصلت "العزلات" حطت رحالها للاستراحة، فتمت مباغتتها وقت القيلولة. وبعد اشتباك سريع وعنيف أبيدت المفرزة عن آخرها، ولم ينج أحد منها. وغنم المجاهدون عشرين بندقية وجميع أمتعة القافلة المكونة من عشرين بغلة. بعد أن استولوا على الغنائم قاموا بقتل جميع البغال التي كانت عند المفرزة. كانت خسائر المجاهدين شهيدا واحدا هو اعلي بوكسى بن حيْدَّة الدماني.

وكان مع الأمير أحمد ولد الديد في هذا الهجوم، أربعون رجلا من بينهم : أحمد بن سيدي ميله، واعلي بن بوبكر سيره، والمختار بن محمد بونا، وإسلمُ بن إبراهيم اخليل، وأحمد بن إبراهيم فال، ومحمد بن أعمر بن أحميده، والدنبجه وأخوه المختار، وأحمد ديّه بن إبراهيم بن الإمام، وأحمد سالم بن ملاده، وولد أحمادُ، وإبراهيم بن بوبوط، وبلال بن أمريزيك، وأحمد سالم بن المختار أمُ، واعلي سالم بن محمد امبارك والمختار بن أعبيْد الله، وأحمد بن صنبه بن اعلي، وسيدي بن سيدي محمود، وأحمدُ بن القائد، وسيدي سالم بن عبيْدالله بن أحمد، وأحمد ديه بن الحاج.

وقد تحدث الرائد جيلييه Gillier عن الهجوم على "العزلات" وقال : "إن عصابة يقودها ولد الديد باغتت خلال القيلولة قرب "العزلات" مفرزة كانت تحرس قافلة بقيادة رقيب المدفعية، فقتل رجال الحرس ونهبت القافلة وطعنت البغال بالخناجر".

وتحدث الشيخ محمد الأغظف عن وقعة "العزلات" في رسالة إلى والده الشيخ ماء العينين حيث كتب : "وأما أترَارزَا فغزتْ منهم أربعون والتقتْ مع فرقة من النصارى، وقتلتْ منهم ثلاثة عشر، وأخذت منها عشرين مكحلة (بندقية) منها خمسة عشر رباعية، وقتلت لها عشرين بغلة، وأخذت غير ذلك مما عندها لله الحمد أطال الله حياتكم".

الطالب أخيار الشيخ ماء العينين، *علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي*.

ماء العينين الطالب أخيار

العلوي (ولد -) **حرمة ببانا أحمدو** بن حرمة بن ببانا العلوي، ولد سنة 1907 ببوادي الركيز. التحق بمدرسة لمذرذرة الابتدائية حيث حصل في بداية الثلاثينيات على شهادة الدروس الابتدائية، وقد عين

مدرسا للغة الفرنسية سنة 1934 ثم عين بعد ذلك بقليل مترجما فعمل في امبود ونواكشوط وأطار وبير أم أغرين وأكجوجت وانواذيبوا.

شكلت سنة 1934 بداية لفترة عمل أحمدو ولد حرمة وكان يومها ابن 27 سنة وبدأ مهنة العمل مدرسا للغة الفرنسية. وبعد مهنة التدريس التي لم تطل انتقل إلى مهنة الترجمة التي كان أصحابها يومئذ يشكلون الوسيط الأساسي بين الإدارة الفرنسية والمواطنين الأمر الذي جعل منها مهنة حساسة. وهكذا مارس العمل في كل من (امبود. ونواكشوط وأطار وبير أم أغرين واكجوجت وانوذيبون). وخلف سمعة طيبة في الأماكن التي عمل فيها كما قضى عشر سنوات في سلك الترجمة انحصرت فيها خلافاته مع الإدارة الاستعمارية في التصرفات التي كان يقوم بها غيرة على الدين. ومكنته هذه الفترة من الاطلاع عن كثب على أساليب تعامل الإدارة الاستعمارية مع المواطنين الذين سينصب أحمدو نفسه مدافعا عنهم. وخلال فترة عمل مترجما كان يغير المنكر الذي يراه فـي تصرفـات الإدارة الاستعماريـة مما جعلـه خصما لدودا لهذه الإدارة. وغيرما مرة ترى هنا وهناك مواقف أحمدو التي تسير في نهج نصرة الدين والغيرة عليه. وواجهت الإدارة الاستعمارية ذلك بإجراءات العقاب التي كان آخرها انعقاد مجلس تأديبي بعد حادثة أطار التي أهان فيها أحمدو ضابطا فرنسيا. وقرر هذا المجلس تحويله عقابا له إلى النيجر فاستدعي إلى دكار للاطلاع على القرار. غير أن خطوات مسيرة طويلة من النضال بدأت تتضح وبدأت معالمها تتوضح وقد بدأ نجم أحمد ولد حرمه في الظهور سنة 1945 حين انتخب نائبا في البرلمان الفرنسي ممثلا لموريتانيا بعد أن ظلت ممثلة من طرف بعض السنغاليين كسنغور والأمين غي. وقد انضم ولد حرمة إلى كتلة الاشتراكيين في الجمعية الوطنية الفرنسية وذلك في إطار الفرع الفرنسي للدولة العمالية وحصل على دعم الاشتراكيين السنغاليين وخصوصا سنغور وغيْ. ولذلك السبب فاز بأغلبية ساحقة على منافسه الجزائري المتفرنس إيفون رازاك في الانتخابات التي جرت يوم 15 نوفمبر 1946 ليتبوأ مقعد نائب موريتانيا في الجمعية الفرنسية.

وقد تميز بكثير من الجرأة في مواجهة الإدارة الفرنسية وبعض الزعامات التقليدية المقربة منها. وخلال الانتخابات التشريعية التي جرت في يونيو 1951 خسر ولد حرمة أمام منافسه سيد المختار بن يحي انجاي. وخلال الفترة الممتدة بين 1951 و1956 نشط من خلال حزب الوئام الذي لقي مضايقة من الإدارة الفرنسيـة. وقد ظلت علاقاته تـزداد توتـرا بالفرنسيين مما دفعه إلى التوجه إلى المغرب حيث لقي من الملك الراحل محمد الخامس دعمـا قويا. وفي هذه الفتـرة حكم عليه بالإعدام في موريتانيـا إلا أنـه أعفي عنه فعـاد إلى مسقط رأسه سنة 1967.

توفي يوم السبت 7 يوليو 1979 بنواكشوط عن عمر يناهز الثلاثة والسبعين عاما ودفن بمقبرة تن بوي علي.

محمد بن سعيد آيت آيدر، *صفحات من ملحمة جيش التحرير بالجنوب المغربي*، مطبعة التيسير، الدار البيضاء، 2001، ص. 68 - 87.

محمد الظريف

العلوي، فاطمة بنت **نافع** : هي فاطمة بنت البشير بن نافع بن عبدي بن المخطار من قبيلة ايداوعلي، كانت حافظة للقرآن الكريم وفقيهة، كانت تحفظ الصبيان القرآن وتكتب لهم ألواحهم. استقرت في شنقيط مع زوجها الشيخ محمد من قبيلة العيايشة الذي كان صاحب محضرة كبيرة، وأنجبت منه ابنا وبنتا ولم تكن تدرس آنذاك بأمر من زوجها، وبعد وفاته تزوجها أحد مريدي زوجها يدعى ألتلميذي بن سيد الكوري وأحضرها إلى الساقية الحمراء بنواحي گلتة زمور، وكان فقيرا ولمساعدته نظرا لقلة ذات اليد أصبحت تعلم القرآن وتدرس الفقه وأنجبت من زوجها الثاني ابنين وبنتا.

توفيت سنة 1950 بمكان يسمى زريويلة يقع بين مدينتي گلميم وطانطان وبه دفنت.

بحث ميداني، رمضان 2009 حول النساء الفقيهات في الساقية الحمراء وواد الذهب.

الغالية بلعمش

العلوي، محمد باهي حرمة، اسمه الأصلي هو أبَّاه ولد محمد حرمة ولد الـنَّـنِّـيهْ ولد أحمد بَـيْـبة ولد عثمان ولد عبد الرحمن العلوي. ولد سنة 1930 بمكان يدعى بوبكر غير بعيد عن بلدة النباغية بمنطقة الـرْكِـيز جنوب غرب موريتانيا الحالية. أما والدته فهي زينب بنت محمود ولد عثمان العلوي وكانت سيدة جليلة ورعة حافظة. وعلى عادة أيدوعلي، تربى محمد باهي في جو علمي ديني حيث بدأ مبكرا القراءة والكتابة، واستطاع. حسب المصادر المتوفرة - أن يحفظ القرآن عند متم السنة السابعة. لكن سيرحل عنه والداه مبكرا وهو لا يزال في مرحلة الطفولة، فتولت رعايته سيدة جليلة هي عائشة بنت حرمة ولد بابانا، ليواصل تعليمه وينتقل إلى مرحلة أعلى ليدرس خلالها كتب الفقه المعتمدة واللغة العربية والنحو ودواوين الشعر الجاهلي ومتونا أخرى كانت دراستها تعتبر أساسية في المجتمع البيضاني. زامنت فترة تخرجه من "المحضرة" (الجامعة البدوية في الصحراء وموريتانيا) الحرب العالمية الثانية وبداية الحركات التحررية في إفريقيا الغربية والمغرب العربي، كما كان أحد أقرابه المدعو حرمة ولد ببانا (أحمدو) زعيما سياسيا في موريتانيا، حيث كان منتخبا يمثل هذا الإقليم المستعمر في البرلمان الفرنسي، هكذا سيتأثر هذا الشاب بذلك المناخ الفكري والسياسي السائد آن ذاك وسرعان ما سيلحق بداية الخمسينات من القرن العشرين بمدينة داكار بالسنغال حيث سيجد جماعة من الشباب المتحمس للاستقلال ومنهم أحمد بابا مسكه فكانا يشاركان في الأنشطة النضالية للشبيبة الغرب إفريقية المناهضة للاستعمـار. وهنـك التحـق محمـد باهي بإذاعـة جهوية

كانت تدعى إذاعة إفريقيا الغربية الفرنسية (AOF) حيث وظف ذلك المنبر في تمرير بعض الآراء والتوجيهات للشباب الداعية لمناهضة السياسة الاستعمارية في إفريقيا، فتم إبعاده من الإذاعة، وكانت تلك بداية رحلته نحو الشمال سنة 1957 حيث تنقل عبر الصحاري من داكار إلى سان لوي نحو أنواذيبو، ومن هذه المدينة دخل إلى الـگويرة حيث طلب من ضابط إسباني تمكينه من ركوب باخرة نحو الطرفاية (Cabo Juby)، وتم له ذلك مقابل تقديم خدمة على متن الباخرة. لما وصل الباهي الطرفاية وهي آن ذاك تحت الاحتلال الإسباني، تسلل إلى مدينة گلميم التي كانت وقتها من مراكز حركة جيش التحرير بالجنوب المغربي، وهناك التحق بهذه الحركة وعين كاتبا للبلاغات الصادرة عن قيادة هذا جيش وكذا ترجمة الوثائق الصادرة عن الإدارة الاستعمارية عن طريق متعاونين مع الحركة من داخل الجيش الفرنسي، وكانت هذه الوثائق السرية إما أوامر من قيادة الجيش الفرنسي إلى قواته أو دراسات يقوم بها هذا الجيش حول أوضاع ومواقع جيش التحرير، ولا تخفى أهمية هذه المسؤولية الحساسة، أي ترجمة التقارير السرية وهي مهمة لا توكل إلا للموثوق فيهم وغير المشكوك في وطنيتهم. وقد كانت هذه المسؤولية تؤهل باهي للتواصل المباشر مع القيادة العليا. وإضافة إلى هذا الدور، كان لباهي دور آخر لا يقل أهمية وهو الاتصال ببعض قيادات القبائل الصحراوية - بحكم أصوله الصحراوية ومعرفته العميقة بالقبائل - لإقناعهم بالانضمام إلى حركة جيش التحرير، وقد لعب دورا لا يستهان به في جلب العديد من الكفاءات والشباب الصحراوي، كما اقترح على شيوخ القبائل إلحاق أبنائهم بالمدارس النظامية داخل المغرب. وخلال عمله مع هذه الحركة تعلم حمل السلاح واستعماله خاصة منه الخفيف.

وبعد أن تمت تصفية حركة جيش التحرير في الجنوب على يد قوات التحالف الفرنسي - الإسباني في عملية إيكوفيون خلال شهر فبراير من سنة 1958، رحل محمد باهي نحو الشمال وتفرغ لقلمه وللقراءة والتحرير، وهكذا تقدم لمباراة أجرتها جريدة *"العلم"* قصد توظيف محرر صحفي فيقول، عنه محمد العربي المساري بهذا الصدد "وحينما مثل أمام لجنة الامتحان بهر أعضائها بعمق تمكنه من اللغة وغزير معرفته بالآداب والتاريخ ولما كان أعضاء اللجنة لا يعرفون من هو سألوه أين جمع كل تلك المعارف، فأجابهم ببساطة "في الخيمة يا سادتي" (العربي المساري : الاتحاد الاشتراكي : 8 يونيه 1996) وأصبح من الأقلام البارزة في جريدة *"العلم"* آن ذاك ودافع عن الوحدة الوطنية وضرورة جلاء الاستعمار عن الجنوب المغربي.

كما دافع من أجل استقلال الجزائر ودعم ثورتها في الإعلام والاتصال والمشاركة رابطا علاقة رائدة ومباشرة مع القيادة الجزائرية وعلى رأسها بن بلة وبومدين. كما كتب الباهي في جريدة : *"صحراء المغرب"* إلى جانب *"العلم"*، وكان من المؤسسين لجريدة *"التحرير"* التي صدرت بالدار البيضاء بتاريخ 2 أبريل 1959، وكانت لسان حـزب "الاتحاد الوطني للقوات الشعبية" الوليد آن ذاك إلى جانب كل من محمد عابد الجابـري وعبد الله رشد ومحمد الحـداوي البارودي وعبد القادر الصحراوي وسعيد الصديقي ومحمد صالح الزعيمي تحت رئاسة عبد الرحمن يوسفي وإدارة الفقيه البصري.

وفي هذه الفترة سافر الباهي إلى باريس وكان من الذين اتصلوا بالمهاجرين المغاربيين هناك وأيضا ربط الاتصال بالصحافة الفرنسية من أجل ممارسة الضغط على فرنسا لتحرير الجزائر، كما زار دمشق سنة 1959، وربط علاقات موسعة مع السوريين واللبنانيين والعراقيين والمصريين والسودانيين، ناهيك عن الرسائل التي كان يوجهها للبث على الأثير في "صوت العرب" من القاهرة في سبيل تحرير الجزائر ودعم ثورتها.

وبعد انتصار الثورة الجزائرية باستقلال الجزائر سنة 1962، كان الباهي أول صحفي عربي يدخل عاصمة الجزائر صحبة أول رئيس لها غداة استقلالها عن فرنسا. إثر ذلك نادى بالتوافق وحقن الدماء بعد النصر، وطالب بوقف أي صدام مسلح بين الرفاق. هكذا التحق محمد باهي بالجزائر الحديثة وساهم بكل جهده من خلال رئاسة تحرير صحيفة *"المجاهد"* في بناء الصحافة الجزائرية، وبقي هناك إلى حدود قيام الانقلاب سنة 1965، فعاد إلى باريس حيث تولى إدارة "مكتب المجاهد" هناك. فصار يخدم القضايا المغاربيـة والعربية عامة بما فيها قضية فلسطين ولبنان ومسألة الديمقراطية والسلطة في المغرب والجزائر. لذلك تعامل مع العديد من الإذاعات والصحف العربية وأجرى حوارات وسجالات مطولـة مع العديد من الصحفيين والكتاب من فرنسا ومصر والعراق وسوريـا ولبنان وفلسطيـن. لكن هزيمـة سنة 1967 هزت كيانـه وجعلته يعيـد النظـر في الكثيـر من الآراء والتصورات التي كـان يؤمـن بها تجاه المغارب وقضايـا الأمــة العربيــة ودور النخبــة في التغيير.

وكان الباهي من المناصرين لثورة الطلبة بباريس سنة 1968 حيث حشد معارفه من أقطار المغرب العربي وإفريقيا السوداء، وساهم فيها باعتباره أحد ممثلي العالم الثالث في باريس. في تلك السنة أصبح "أكثر اقتناعا أن الثورة تبدأ من تحت، من الناس، ولا تهبط من فوق. وأن الثورة، كي تعطي ثمارها، لابد أن تكون مسلحة بالوعي، بالتنظيم، بالخبرة التاريخية، وإلا سيكون مصيرها أن تضمر، ثم تتآكل. ورغم هزيمة 1967 وتدهور أوضاع حقوق الإنسان والحريات العامة في المغرب والعالم العربي بعد ذلك التاريخ، ظل الباهي يسخر قلمه لخدمة قضايا الديمقراطية والوحدة القومية في الكثير من المنابر الإعلامية، وهكذا بدأ العمل سنة 1974 في جريدة *"السفير"* اللبنانية التي كانت تصدر في بيروت، كما كان من كتاب مجلة *"البلاغ"* وجريدة *"الاتحاد الاشتراكي"* لسان حال الحزب الذي ينتمي إليه، وفي باريس كان من أول الكتاب في *"اليوم السابع"*، كما ساهم في مجلة "زوايا" وكذلك جريدة *"البلاغ المغربي"* التي كتب فيها

حلقات تحت عنوان "خواطر مهاجر" خلال سنتي 1981 و1982، وكانت "رسالة باريس" حدثا في حد ذاته، التي كانت تظهر كل يوم أربعاء على أعمدة "الاتحاد الاشتراكي" خلال التسعينيات من القرن العشرين، وكانت مجلة "*الزوى*" العمانية من آخر المنابر التي كان يكتب فيها دراسات حول "النباتات الصحراوية".

تميز الباهي بكتابة صحفية هي عبارة عن مزيج من التحليل والإخبار المستندين إلى الواقعة، ولذلك ظلت مفتوحة النوافذ على الأدب والخيال، ولا تخلو من الاستطراد الممتع، يضاف إلى ذلك القوام الواضح والمشخص. كما كان مرجعا معتمدا في تسمية المصادر التي يمكن اعتمادها في الكثير من الموضوعات. وكان مولعا بالكتب والتردد على المكتبات. وظل وفيا لمهنة الصحافي حيث تميز بكتابة نادرة برصانتها وبتحاليلها المتميزة، "كان معلقا صحفيا أكثر مما هو صحفي : كيف نقرأ الخبر، كيف نضعه في سياقه وعلاقته مع الوقائع الأخرى..." (عروة الزمان الباهي : 109). زيادة على ذلك اهتم الباهي بالصحراء كبعد من أبعاد الوحدة المغاربية بل والوحدة العربية، كما اهتم بها كطبيعة ومناخ وسكان. ويشير عبد الرحمن منيف إلى أن الباهي كان عاقدا العزم على كتابة رواية عن الصحراء تحت عنوان "ذاكرة الرمال" لكنها لم تر النور. ومن الكتب التي نشرها في حياته "الجزائر في مفترق الطرق"، ناهيك عن سلسلة من الأبحاث المنشورة على أعمدة الجرائد المغربية والعربية وبعض المجلات التي ذكرناها سابقا.

ومن المناصب التي شغلها الباهي : رئيس تحرير جريدة "المجاهد" الجزائرية. وعضو اللجنة المركزية لحزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية. والمستشار الإعلامي للكاتب الأول للاتحاد الاشتراكي، انتهاء برئيس تحرير جريدة الاتحاد الاشتراكي، وذلك بعد أن عاد إلى المغرب بعد المنفى منتصف الثمانينيات من القرن الماضي.

وفي سنة 1996 قرر محمد الباهي العودة نهائيا إلى بلده المغرب، لكن سرعان ما تعرض لأزمة صحية مباشرة بعد عودته.

توفي فجر يوم الثلاثاء 4 يونيه من سنة 1996 بمدينة الدار البيضاء حيث ووري جثمانه الثرى بمقبرة الشهداء هناك. ترك من الأبناء بنتا واحدة هي سناء الباهي. وقد تألم لوفاته العديد من الناس من الصحفيين والأدباء والسياسيين والعلماء وكتبت حوله العديد من المقالات والمراثي، كما ظهرت مؤسسة مدنية بباريس تحمل اسمه هي : "حلقة أصدقاء محمد الباهي حرمة" التي تخلد ذكرى رحيله كل سنة عن طريق تنظيم ندوات وحلقات دراسية متميزة داخل المغرب وخارجه.

باهي ... الصحافي والمناضل، سلسلة شراع، الكتاب 6، شهر غشت 1996 طنجة ؛ عبد الرحمن منيف، *عروة الزمان الباهي*، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1998 ؛ *أرشيف جريدة السفير اللبنانية*، بيروت ؛ *أرشيف جريدة التحرير المغربية*، الرباط ؛ أرشيف "البلاغ المغربي"، الرباط ؛ إلياس مرقص، *نقد الفكر المقاوم*، 1969 ؛ *أرشيف جريدة الاتحاد الاشتراكي*، الدار البيضاء ؛ محمد عبد الرحمن حرمة ولد بابانا العلوي، باهي محمد حرمة : نموذج للنبوغ الشنقيطي، *جريدة الاتحاد الاشتراكي، 19 يوليوز*، 1996 ؛ يحيى ولد المرابط، قضية باهي الأولى : خيار وحدة المغرب الكبير، *جريدة الاتحاد الاشتراكي، 13 يوليوز*، الدار البيضاء، 1996 ؛ محمد بنسعيد آيت يدر، *صفحات من ملحمة جيش التحرير بالجنوب المغربي*، عدد خاص من مجلة : الذاكرة الوطنية، المندوبية السامية للمقاومة، الرباط، 2006 ؛ محمد باهي، *كتاب الصحراء* من منشورات حلقة أصدقاء محمد باهي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 2006 ؛ مجلة "*الزوى*" العدد 4، 1996 ؛ الحداثة وتحرير الإنسان، أعمال *ندوة بمناسبة الذكرى العاشرة لرحيل محمد حرمة باهي*، دار بترا للنشر، سوريا، دمشق، 2008.

محمد دحمان

العلوي، محمد الكبير هو محمد العلوي، ينتمي إلى قبيلة ادا وعلي الشهيرة في بلاد شنقيط بعلمائها ونشرها للإسلام في البلدان الإفريقية الواقعة جنوب النهر. ولد سنة 1938، وأخذ العلم من الينابيع الأصلية للثقافة العربية الإسلامية في بلاد شنقيط حيث درس مختلف المواد العربية والإسلامية على يد أئمة علماء الصحراء في محاضر قبيلته اداو علي وغيرها.



بعد ذلك هاجر إلى السنغال لاستكمال دراسته العليا فدرس بمعهد كاولاخ الإسلامي، وكانت السنغال آنذاك تعرف مدا إسرائيليا، حاولت إسرائيل من خلاله طمس المعالم الإسلامية التي رسخها المسلمون الأولون في هذه البلاد المسلمة، فانخرط في الاتحاد الثقافي السنغالي لمحاربة التبشير المسيحي وحليفه الإسرائيلي، كما انخرط في حزب الوحدة الذي كان يقوم بهذا العمل الذي يتلاءم مع نفسه التواقة دائما إلى الوحدة.

هاجر إلى المغرب ضمن الوفد الشنقيطي الذي التحق بالمغرب بقيادة الأمير محمد فال ولد عمير أمير الترارزة والزعيم الموريتاني حرمة ولد بابانا، في بداية سنوات الخمسين وظل منذ هذا التاريخ يناضل بلسانه وقلمه ومواقفه.

ولم يشغله النضال الوطني عن اهتماماته العلمية حيث حصل على دبلوم الدراسات العليا من دار الحديث الحسنية، ونشر عدة قصائد شعرية في عدد من الدوريات الوطنية والعربية. وقد شارك في عدة مؤتمرات ومنتديات وطنية ودولية حول الصحراء، كما نال العضوية في عدد من المجالس، مثل المجلس العلمي بالأقاليم الجنوبية، والمجلس الاستشاري للأقاليم الجنوبية

أيضاً، وأسهم بدور كبير في تمتين أواصر المحبة والصداقة بين المغرب وكثير من دول إفريقيا. وقد لقبه المرحوم علال الفاسي بشاعر الوحدة، وذلك لما يميز شعره من روح وحدوية عالية.

توفي سنة 2006 بالرباط.

باقة شعر من أقاليم الجنوب، ص. 29، منشورات وزارة الثقافة، 85 ؛ وفاء وولاء، منشورات وزارة الثقافة، 1998 ؛ إبراهيم السولامي، *الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية*، ص. 198.

محمد الظريف

العلوي، ميمونة منت **عبد الفتاح**، هي ميمونة بنت عبد الفتاح ولد محمد ولد الكوري شقيقة العالم محمد سالم ولد عبد الفتاح الذي ترجم له المختار السوسي في كتابه *المعسول*، تنتمي إلى قبيلة ايدوعلي من تـگـانت حافظة للقرآن الكريم حيث كانت تدرسه للفتيان والفتيات في أغلب مناطق الساقية الحمراء، عرفت بأدبها وجمالها وعفتها ومتانة دينها وقلة كلامها. تزوجت مرتين ولها ابنة وابن.

ومما يرويه أحد الحافظين القرآن الكريم على يديها أن والده كان يحرص على أن يحفظ أبناؤه القرآن عندها، فكان يأخذها معه أينما ارتحل نظرا لطبيعة المجتمع الصحراوي المتنقل في حياة البدو، وحدث أن أخذها يوما من مكان يسمى "ألويكيطات" إلى مكان آخر يعرف "بواد الـگـرن" بالكاف معقودة حيث تقدر المسافة بينهما بحوالي ثلاث ساعات أو أقل من ذلك فاستظهرت القرآن كاملا في تلك المدة الوجيزة.

توفيت عام تغزرت (اسم لمكان يقع في طريق مدينة السمارة تم التاريخ به بسبب الأمطار التي عرفها لأنه كان معروفا بالجفاف وصعوبة الحرث)، ويقابل هذا العام حسب رواية الشيوخ سنة 1952، بطرفاية ودفنت فيها.

بحث ميداني، صيف 2009 حول النساء الفقيهات في الساقية الحمراء وواد الذهب.

الغالية بلعمش

العمني، سيد أحمد بن **عايدة** الأمير هو سيد أحمد بن أحمد بن سيدي أحمد بن أحمد بن أحمد الملقب بولد عايدة. ولد في رجب عام 1308 فبراير 1891 بمضارب والده بأدرار، توفي والده وهو في الثامنة من عمره، فخافت أمه من اغتياله بسبب تنافس أعمامه على الإمارة، فذهب به خال أبيه أحمد بن التاكاط بن البرناوي العميني إلى الشيخ ماء العينين ليأمن على حياته بعيدا عن أخطار الصراع حول الإمارة، فتربى في زاوية السمارة تربية دينية صوفية كسائر أبناء الشيخ ماء العينين وتضلع من مختلف العلوم والمعارف التي تدرس بها. وكان الشيخ ماء العينين يوليه عناية خاصة ويتولى تعليمه بنفسه مما جعله يتفوق في كثير من العلوم والفنون، وخاصة الشعر الحساني. مكث في السمارة حوالي ست سنوات إلى أن جاء وفد من أولاد غيلان وطلب من الشيخ ماء العينين أن يبعثه معهم أميراً على آدرار، فبارك الشيخ هذا الأمر، وعاد الأمير الشاب إلى أدرار وتولى زمام إمارتها.

ويعتبر هذا الأمير من أبرز أعلام المقاومة في الجنوب المغربي، فمنذ توليه إمارة أدرار لم يتوقف عن مقارعة الجيوش الفرنسية القادمة من الجنوب لتحكم قبضتها على بلاد شنقيط، وكان الشيخ حسنَّـة ابن الشيخ ماء العينين يسانده في هذا الأمر بأمر من والده، فكان يجوب أطراف الصحراء ويعبئ القبائل لدعمه ومساندته، ويهيىء معه الخطط لمواجهة الخطر الفرنسي، وقد حقق انتصارات مظفرة على هذه الجيوش في معارك كثيرة في تـگـانت وانشري وآدرار، من أبرزها هجومه على الحامية الفرنسية بتجكجة في 18 يونيو 1905، فبعد موت كوپولاني (Coppolani) بقليل هاجم هذه الحامية في جيش يتكون من ثلاثمائة مقاتل وكبدها خسائر فادحة وحاصرها لمدة أسبوع. وبعد هذه الواقعة اتخذ خطة جديدة في المقاومة تقوم على قطع خطوط المواصلات وطرق التموين على القوات الفرنسية ومهاجمتها انطلاقا من شمالي تـگـانت وبالضبط تيشيت التي اتخذها قاعدة مؤقتة له، فما كان من الفرنسيين إلا أن غيروا استراتيجيتهم في التعامل معه، فشنوا عليه هجوما انتهى بسقوطه جريحا في ساحة المعركة وأسره في تيشيت سنة 1912، ونقله سجينا إلى سان لوي بالسنغال. وقد حاول المستعمر مراودته على التخلي عن المقاومة والدخول في مهادنته مقابل وعود مغرية، لكن ذلك لم يثنه عن عزيمته، فعاد إلى إمارته في أدرار في شهر أبريل 1913 لمواصلة المقاومة، فنفي مرة ثانية إلى سان لوي سنة 1918 ووضع رهن الإقامة الجبرية لمدة عامين، مع الاحتفاظ بمنصبه، وقامت إدارة الحماية الفرنسية بتقليص سلطته حيث عمدت إلى تشكيل جماعة من تسعة أفراد، أربعة منهم يمثلون القبائل المحاربة، وخمسة يمثلون الزوايا، وأسندت لهم التعامل مع الإدارة الفرنسية أثناء نفي الأمير، فزاد ذلك من حنقه على الفرنسيين وتوتر علاقته معهم، فلما عاد من المنفى سنة 1920 قرر الهجرة والانضمام إلى حركة الجهاد التي كان يخوضها الشيخ مربيه ربه في جبال جزولة، لكن السلطات الفرنسية لم تترك له الفرصة لتحقيق غرضه، فهاجمته وقتلته في معركة، "وديان الخروب" في مارس 1932 ومثلت بجثته انتقاما لما أذاقهم من مرارة الهزائم. وبعد استشهاده توجهت حلته إلى مخيمات الرقيبات الذين استقبلوا أسرته بكامل الحفاوة وأهدى لهم إسماعيل ولد الباردي ثلاث عشرة ناقة، ثم توجهت الحلة بعد ذلك إلى مضارب الشيخ الولي جنوب "الـگـلتة" لتتوجه بعد ذلك إلى مضارب الشيخ مربيه ربه في كردوس.

جيليي، التوغل في موريتانيا، ص. 132 ؛ الشيخ ماء العينين، *علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي*، ج 1، ص. 275، ج 2، ص. 91 - 250 - 622 ؛ نفسه، ج 2، 224 - 625 - 627.

محمد الظريف

عمون، فؤاد دكتور في القانون، اشتغل في أعلى المناصب ببلده لبنان ووزيرا للشؤون الخارجية في سنة

1960، إلى أن عين قاضيا بمحكمة العدل الدولية ونائبا لرئيسها سنة 1970. كان من بين القضاة الذين رافعو في قضية الصحراء واعتنوا بالموضوع من خلال الرأي الاستشاري المقدم سنة 1975. فكان من أكبر المدافعين وبكل قناعة عن مغربية الصحراء، حيث انفرد بقراءته المتميزة والشاملة للأبعاد المختلفة لمفهوم البيعة، متجاوزا بذلك المفهوم الضيق الذي اعتمدته الدول الغربية، والذي اتضح من خلال تقصير المحكمة في استيعاب معافيه السياسية والدستورية. وقد أشار إلى أن شخص السلطان في القرن التاسع عشر، كان يجمع بين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية، إضافة إلى سلطة روحية، يمارسها من خلال الظهائر، والبيعة لأمير المؤمنين هي بمثابة البيعة للدولة وأن الروابط القانونية بين المغرب وصحرائه تتجلى في العلاقات السياسة وأواصر السيادة. أوضح الدكتور عمون أن محكمة العدل الدولية اعترفت بأن الروابط القانونية بين المغرب والصحراء الغربية كانت موجودة خلال الفترة الاستعمارية الإسبانية، التي رامت التقليل من القيمة الطبيعية لهذه الروابط. فالبيعة لأمير المؤمنين هي بمثابة بيعة للدولة، ورابطة قانونية بين المغرب وصحرائه، اعترفت بها محكمة العدل الدولية وتتجلى من خلال العلاقات السياسية ومن ثم علاقات السيادة.

ومن بين الأمور التي سببت في التأويلات الخاطئة للبيعة اعتبار المناطق الصحراوية أرضا خالية Terra Nullius، ولأسباب عديدة يتوجب إبعاد هذا النوع من التصنيف، خصوصا وأن الصحراء الغربية، إذا كانت منقطعة عن كل سلطة خارجية بسبب مفعول السياسة الاستعمارية التي ما فتئت تطمس معالم اللغة والآداب والحضارة المحلية والجهوية، بما في ذلك معالم الحضارة العربية، التي يذكر الدكتور عمون بأنها منبع الفلسفة والعلوم التي غرفت منها أوروبا ابتداء من القرون الوسطى إلى بداية عصر النهضة، فإن هذه السياسة الاستعمارية، لم تتمكن من إزالة الروابط المتعددة الجوانب بينها وبين بقية القبائل المغربية. فقد ظلت قائمة منذ الفتوحات الإسلامية وإبان عهد السلالات المغربية المتعاقبة وصولا إلى السلالة العلوية.

وجاء الطرح الإسباني محاولة لحجب هذه الحقائق التاريخية والحجج الثابتة المتجلية في العقود والرسوم الديبلوماسية وإبعاد الاعتبارات العرقية والترابية، فضلا عن الحياة الاجتماعية والثقافية واللغوية والدينية والطقوس الشعائرية المشتركة، هذا بالإضافة إلى التطلعات المشتركة وعملية الكفاح والولاء للسلطان. وشكلت كل هذه المعطيات أساس الروابط القانونية المكونة لعنصر الوحدة الوطنية في ظل السيادة المغربية.

وفي هذا الصدد، يبرز الدكتور عمون الرأي الاستشاري المقدم من طرف كل من السيد بايونا ـ با ميا - Bayona – Ba – Meya رئيس المحكمة العليا للزايير، "الكونغو الديموقراطية حاليا"، مشيرا إلى البعد الروحي فيما يتعلق بالروابط الموجودة بين الإنسان والطبيعة وبين الإنسان والكون، مدعما ذلك بدراسة خصصت لإفارقة البانتو، حيث يتم إبعاد المفهوم المادي للأرض الخالية ليبرز الروابط العريقة بين الأرض "أو الطبيعة الأم" وبين الإنسان الذي انبثق منها وظل ملتحما معها. وهذه العلاقة هي التي ولدت مفهوم ملكية الأرض وبتعبير أوسع مفهوم السيادة. وتعتبر أبحاث المنذوب الكونغولي رداً ثابتاً على المناظرين في مؤتمر برلين لسنة 1885 بخصوص تقسيم أفريقيا، والذين تبنوا مفهوم الأرض الخالية خلال حقبة تارخية يشوبها الجشع الاستعماري، لإزالة كل منافسة في التقسيم الاستعماري. فقد اعتبروا إفريقيا جنوب الصحراء أرضا خالية، تعود ملكيتها لأول الغزاة، متنكرين لوجود ملكيات زاهرة فيها منذ حقب ما قبل التاريخ. وللأسف الكبير أنه من بين من اعتنق هذا التوجه الخاطئ، القاضي الجزائري بمحكمة العدل الدولية ووزير الخارجية الأسبق، الدكتور محمد بدجاوي الذي اعتمد هذا الطرح تمهيدا منه لتبني وجهة نظر قانونية حتى وإن كانت مغالطة للحقائق، لدعم الموقف التوسعي الجزائري الرامي إلى الوقوف ضد مشروعية وعدالة الأطروحة المغربية.

وقد أبان الدكتور عمون عن سذاجة ووهن هذه الدراسات وغيرها التي اكتوت بنيرانها أيضا بعض دول أمريكا اللاتينية، ولم يتم أخذها بروح الجدية وعين الاعتبار خلال مؤتمر برلين، رغم ما تثيره من جدل. ويشير الدكتور عمون أيضا إلى أبعاد بعض الإتفاقيات من طرف محكمة العدل الدولية وإعطاء تأويل مغلوط لبعضها الآخر بعيدا كل البعد عن فحواها الحقيقي، وهي وثائق أساسية تؤكد السيادة المغربية الممتدة إلى كاب بوخادور والساقية الحمراء، اعتمدها المؤرخ روميو Romeu في بحوثه، حيث ذكر منها على وجه الخصوص تلك الموقعة بين إسبانيا والبرتغال.

كما أن تحليل الدكتور عمون أبرز الخلل الواضح في التأويلات الضيقة المقدمة من طرف فقهاء القانون الدولي والأخطاء الواردة في إعطاء المدلول الحقيقي لمصطلحات عربية باللغة اللاتينية، كما هو الشأن بالنسبة لمفهوم "الأحكام" و"الظهائر" الصادرة عن السلطان المغربي. ويخلص بالتساؤل قائلا : "كيف يمكن لدولة أن تعترف صراحة بعقود واتفاقيات تصادق عليها وتفنذها بعد ذلك عن طريق ممثليها في المحافل الدولية" ؟

وفي الجملة، يقول الدكتور عمون : فإن المغرب ناضل منذ عدة قرون من أجل الحفاظ على استقلاله ووحدته الترابية ضد تحالف دول عظمى، وعندما استسلمت الدولة، في فترة معينة، أمام جبروت هذه القوى الكبرى، انتفض الشعب المغربي وحل محل الدولة لمواصلة الكفاح على مختلف الجبهات إلى إن يتحقق "النصر النهائي". وتلكم هي الملامح السامية للإرادة الوطنية القصوى".

توفي الدكتور عون في أواخر التسعينات من القرن العشرين.

ماء العينين الطالب أخيار

عيني الأديب، ماء العينين : هو الأديب والشاعر ماء العينين الملقب بالأديب ويلقب كذلك بعيني بن الشيخ سيد أحمد بن الشيخ سيدي عثمان بن الشيخ محمد فاضل بن الشيخ مامين ووالدتــه هي السيدة الفاضلة الأديبة بنت الشيخ ماء العينين. ولد سنة 1897 وتلقى تعليمه الأولي على يد الشيخ ماء العينين الذي لازمـه وانتفع به وكان لا يفارقـه. وقـال فيه بالحسانيـة ما مضمونه بالعربية :

أعــز حبيب تنجبه حبيبــه ابني الأديب وأمه الأديبــه

بدأ بحفظ القرآن الكريم ولما أتمه وأجازه فيه الشيخ ماء العينين أتبعه بالعلوم الأخرى التي كانت رائجة في تلك الفترة في مختلف زوايا المغرب من فقه وأصول وسيرة ولغة ونحو وبلاغة وعروض وأدب وشعر على يد ثلة من العلماء منهم الشيخ محمد الغيث النعمة والشيخ أحمد الهيبة والشيخ مربيه ربه والشيخ الجيه أبناء الشيخ ماء العينين، ثم استقر مع الشيخ مربيه ربه في كردوس ودرس عليه كثيرا من العلوم وأجازه فيها وشارك معه في عدة معارك حربية في سوس ضد المستعمر الفرنسي.وبعد نهاية العمل المسلح سنة 1934 وخضوع جميع المناطق الجنوبية للاستعمار انتقل معه إلى مدينة طرفاية. وبعد وفاة الشيخ مربيه ربه انتقل إلى مدينة العيون حيث اشتغل بالتعليم والتدريس.

توفي سنة 1986 مخلفا ديوان شعر في مختلف الأغراض الشعرية.

ماء العينين بن الحضرام، *إفادة الأقربين في التعريف بذرية شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين مربيه ربه حامني، *إثبات علماء الصحراء فيما للنسب من محاسن غراء*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت.

العيون الأولى (معركة -) وقعت يوم 17 دجنبر سنة 1957 على الساعة العاشرة ليلا عندما حاصرت فرقة مقاتلة من جيش التحرير مدينة العيون التي كانت تعتبر المركز الإداري للمستعمر الإسباني واستمر الهجوم حتى الساعات الأولى من صباح اليوم التالي وأسفر عن سقوط خمس وعشرين قتيلا في صفوف العدو بينهم ضباط وتحطيم عدة بنايات إدارية بينما لم يصب أحد من أفراد فرقة جيش التحرير المهاجمة.

العيون الثانية (معركة -) وقعت يوم 11 يناير سنة 1958 على الساعة الحادية عشر والنصف ليلا عندما هجمت أربع فرق من فرق جيش التحرير على المدينة بقيادة قائد المقاطعة التاسعة صالح بنعسو الذي كان يتولى الضرب بمدفع الهاون (28 قذيفة) وبنيبة بن محمد سالم والحسين بن عمر ومحمد بن خيرات من ثلاث جهات ومحمود بن إبراهيم من الجهة الجنوبية. وقد دامت هذه المعركة ساعتين ونصف وأسفرت عن سقوط خمس وعشرين قتيلا في صفوف الجيش الإسباني وشهيد واحد في صفوف رجال جيش التحرير.

الحاج صالح بنعسو، *أضواء على كفاح المقاطعة التاسعة لجيش التحرير بالصحراء المغربية 1956 / 1960*، المطبعة الوطنية، مراكش، يوليوز، 1987.

ماء العينين النعمة علي

عيون أزفـاط، اقتضت علاقات الجوار على امتداد الصحراء الأطلسية أن تنظم إقامة الفصائل المتحالفة إلى جوار بعضها البعض. تقيم أفراك هذه الفصائل على صغر حجمها بمجاورة بعضها البعض في إطار نظام للتحالفات تضبطه قوانين مراقبة المجال. في هذا الإطار يمكن تعريف المجموعات السكنية بالصحراء كوحدات منتظمة داخل نظام تعاقدي لمراقبة المجال. من هنا تندرج إقامة بعض فصائل قبيلة أزوافيط التكنية خلال فترة كانت تندمج فيها بأهم فضائل قبيلة إزرگيين. فقد كان الأصل الزفاطي المشترك للقبيلتين داعياً لتمتين علاقات الترحال المشترك والحماية الدافعة لمفهوم الدفاع المشترك. كان مجال ترحال أزرگين هو المحور الساحلي للساقية الحمراء غير بعيد عن مصب الوادي. أما حجم الحضور الفعلي لأزوافيط، فتعتبر تسمية عيون أزفاط في حد ذاتها دليلاً على الامتداد الفعلي لأهل أزفاط بعين المكان. وهو بالضبط ما سجله العقيد الإسباني Del Oro لدى مقدمه إلى هاته العيون سنة 1940. فقد استقر رأيه على اعتبار المكان مؤهلاً لكي يصبح مقراً للبناء ولتشييد عاصمة إدارية للصحراء تحت المراقبة الفعلية للقوة الإسبانية بالساقية الحمراء. كتب في هذا الشأن تقريراً رفعه إلى الإدارة الإسبانية فنال من العناية ما جعل هذه النقطة تتحول تدريجياً إلى عاصمة إدارية هي مدينة العيون العاصمة الحالية لمنطقة الساقية الحمراء.

Angel Flores, *El Sahara español, ensayo de geografica fisica*, Ediciones de la Alta Comisarie de España en Marruecos, 1946, 104-105.

مصطفى ناعمي

عيون إغمان : تقع منطقة عيون اغمان أو عيون درا كما يسميها البعض حوالي 85 كلم جنوب مدينة گلميم، وتتبع إداريا للجماعة القروية "رأس أمليل"، التابعة للتراب الإقليمي لعمالة گلميم، وقد بنى بها المستعمر الفرنسي ثكنة عسكرية على شكل برج يحيط به سور طويل به خمسة أبواب، باب لجلب الماء وللسقي بالواجهة الجنوبية وباب رئيسي بالواجهة الشمالية وباب بالجهة الشرقية تدخل منه الساكنة وبابان بالواجهة الغربية واحد مخصص لدخول الفرسان وبجانبه بوابة مخصصة لدخول الدواب.

تعتبر المنطقة إلى جانب منطقة تافنيديلت القريبة من مصب واد درعة من أهـم المراكز الاستعمارية الفرنسيــة المتاخمة لحدود الاستعماريـن الفرنسي والإسباني بالجنوب المغربي، حيث تمكن جيش التحرير خلال نهاية الخمسينات من تعميرها بعد جلاء المستعمر الفرنسي فاتخذها قاعدة لعملياته ضد المستعمر الإسباني بجنوب واد درعــة.

مقابلة ميدانية مع الشيخ السالك ولد بوبكر، ربيع سنة 2009، الطنطان..

De la Chapelle (F) , *Les Tekna du Sud Marocain*, Paris,1934 ; Morales Angel Flores, *El Sahara Español*, Madrid, 1946 ; Bou Mogdad, *Voyage de Saint-Louis au Maroc*, 1886.

محمد سبي

العيون - بوجدور - الساقية الحمراء (جهة)، تشكل جهة العيون - بوجدور القلب النابض للجهات الصحراوية المغربية، وذلك بسبب احتضانها لأنشطة اقتصادية مهمة تجمع بين الاستغلال المنجمي والبحري، وأيضا بسبب احتضانها لمدينة العيون التي تعتبر بحق أكبر تجمع بشري واقتصادي داخل التراب الصحراوي المغربي.

أحدثت جهة العيون - بوجدور على إثر التقسيم الجهوي الذي عرفه تراب المملكة المغربية سنة 1997، لتصبح أهم الجهات الثلاث التي تغطي المناطق الصحراوية المغربية. تحدها من الشمال - الشرقي جهة كلميم - اسمارة، ومن الجنوب جهة واد الذهب - الگويرة، ومن الشرق الجمهورية الإسلامية الموريطانية، ومن الغرب والشمال - الغربي المحيط الأطلنتي. تشغل مساحتها حوالي 81.413 كلم^2، وتمثل هذه المساحة حوالي 11.5% من مجموع التراب الوطني وحوالي 23% من مجموع مساحة الجهات المغربية الصحراوية الواقعة جنوب الأطلس الصغير.

تتكون من إقليمين هما إقليم العيون وإقليم بوجدور ويشغلان على التوالي 46.3% و53.7% من مجموع مساحة الجهة، ويتشكل هذان الإقليمان من 3 دوائر و10 جماعات قروية و4 جماعات حضرية.

التقسيم الإداري لجهة العيون - بوجدور

الإقليم	الدائرة	الجماعة	المساحة (كلم 2)
العيون	العيون	بوكراع	14.900
		الدشيرة	3.270
		فم الواد	3.982
	طرفاية	أخفنير	3.700
		الداورة	2.850
		الطاح	3.883
		الحكونية	5.000
	الجماعات الحضرية	العيون	40
		طرفاية	17
		المرسى	18
بوجدور	الجريفية	كلتة زمور	20.350
		جريفية	17.500
		لمسيد	5.858
	الجماعات الحضرية	بوجدور	45

يغلب على تضاريس جهة العيون - بوجدور الطابع الهضبي، ويعود ذلك إلى كون القاعدة القديمة المتمثلة في كتلة الرگيبات وغطائها الأولي قد تعرضت للتهدل على نطاق واسع، مما سمح بنشأة حوض رسوبي شاسع انطلق مع الطباشيري وتعرض لتطورات بنيوية هادئة خلال الزمنين الثالث والرابع جعلت تضاريس جهة العيون - بوجدور تنتظم على شكل أربع وحدات متباينة.

- هضبة گلتة زمور تمتد على مساحة محدودة، وتتخذ شكل مثلث يستقر عند أقصى الجنوب الشرقي من جهة العيون - بوجدور. تتشكل من نواة أصلية عبارة عن صخور من الگرانيت الهرسيني وهي جزء من كتلة الرگيبات تغطيها تكوينات الزمن الأول على شكل شريط يتكون من منخفضات شستية طولية تفصل بينها أعراف كوارتزيتية وحثية ذات اتجاه شمالي - شرقي / جنوبي - غربي.

- حمادة الساقية الحمراء، عبارة عن شريط هضبي واسع يمتد بين الساحل وكتلة الرگيبات ، يتراوح عرضه بين 80 و160 كلم، ينطلق شمالا من ساحل الطرفاية - طانطان ويمتد في اتجاه الجنوب نحو جهة العيون - بوجدور عند حمادة بير أنزران. وحسب مظاهر السطح يمكن تقسيم حمادة الساقية الحمراء إلى وحدتين متباينتين هما: حمادة واد الخط وحمادة لغرنات - الگعدة. تمثل الوحدة الأولى القسم الجنوبي من الشريط الهضبي المذكور، يتوافق سطحها مع صخور كاربوناتية تنتمي إلى الحوض الرسوبي الطباشيري - الإيوسيني. ويتميز هذا السطح بعدم التجانس بسبب تعمق نظام واد الخط الهيروغرافي، أحد روافد واد الساقية الحمراء الرئيسية. وإذا كانت هذه الحمادة تنمحي وتختفي بشكل تدريجي في اتجاه الغرب تحت التكوينات الساحلية الحديثة، فإنها في اتجاه الشرق تنتهي بأجراف صخرية واضحة تشرف بواسطتها على هضبة گلتة زمور ؛ أما حمادة لغرنات - الگعدة فإنها تشغل حوالي ثلثي حمادة الساقية الحمراء، تتميز بتقطع شديد ألحقه واد الساقية الحمراء الأسفل وروافده بالمواد الرسوبية الميبلوسينية القارية التي تغطي تكوينات الحوض الطباشير - الإيوسيني.

- ساحل الساقية الحمراء، في اتجاه الغرب يختفي مظهر تضاريس الحمادات ليحل محله شريط ساحلي شديد التنوع من حيث تكويناته الصخرية وأشكاله التضاريسية.

عند القطاع الشمالي الواقع على الضفة اليسرى من واد الساقية الحمراء، تتكون التضاريس من هضبة ضيقة تطورت بداخلها سبخة الطاح المشهورة، ويغطيها عند هامشها الغربي شريط من الكثبان الرملية المتحركة. وتشرف هذه الهضبة بجرف بحري ميت جيد التشخيص على ولجة ساحلية حديثة ضيقة.

وانطلاقا من مصب واد الساقية الحمراء عند فم الواد يتوسع هذا المظهر التضاريسي أكثر من اتجاه الجنوب. وهكذا يتوسع المظهر الهضبي المتموج، وتتطور السبخات بشكل أوسع عند القطاع المعروف بالحسيان، ويستمر الشريط الكثيبي المتحرك ليفصل بين حمادة واد الخط والساحل. والتغير الذي يحصل هو غياب الولجة وظهور جرف بحري حي مستمر.

أما بالنسبة للمناخ فإنه نظرا لانتمائها للمجال الصحراوي المغربي وبسبب موقعها عند عروض مدارية، فإن جهة العيون - بوجدور تنتمي لوحدة المجال القاحل الذي تمثله الصحراء الإفريقية الكبرى المعروفة بجفافها المفرط. غير أن محاذاتها للمحيط الأطلنتي يجعل مناخها يتميز بنوع من الاعتدال تتضح معالمه أكثر في اتجاه خط الساحل. لذلك فإن هذه الجهة تقدم، على غرار باقي المناطق الصحراوية المغربية الساحلية، نموذجا جيدا لنوع الصحاري الساحلية الضبابية التي تتميز برطوبة نسبية عالية وبنظام حراري معتدل.

يتميز الإطار المناخي العام للجهة باستقرار نظام خلايا الضغط المرتفع المدارية الذي يتسبب في جفاف المنطقة، وتترتب عنه التيارات الهوائية شمال = شمال - شرقية المعروفة بالرياح التجارية. وإذا كانت هذه الرياح معروفة بجفافها وبارتفاع نسبة ترددها بالمنطقة، فإن الرسم الذي يتخذه خط الساحل الأطلنتي محليا يجعلها تساهم في تحريك المياه البحرية وفي نشأة تيارات عمودية ترفع المياه العميقة الباردة إلى السطح، كما تؤدي إلى نقل الرمال وتشكيل أشرطة كثيبية متحركة. ومن حين لآخر ينقلب هذا الوضع حيث تستقر عند الساحل أنوية ضغط منخفض ينتج عنها هبوب رياح الشرگي التي ترفع درجات الحرارة وتؤدي إلى اندلاع زوابع غبارية قد تستمر على مدى عدة أيام.

يعتبر شهر يناير أبرد الشهور ويدور متوسط الدرجات الدنيا حول 8°، مع التمييز بين الشريط الساحلي الذي يتراوح عنده هذا المعدل 8° و12 والمناطق الداخلية التي قد تنزل عندها معدل الدرجات الدنيا إلى حدود 4° تحت تأثير القارية. أما معدل الحرارات العليا فإنه يتراوح بشكل عام بين 20° و40°، أضعف المعدلات يتم تسجيلها عند الشريط الساحلي بسبب التلطيف الحراري المرتبط بالمحيط الأطلنتي، ويعتبر غشت أكثر الشهور حرارة.

ككل المناطق الصحراوية، لا تتلقى جهة العيون - بوجدور سوى كميات مطرية محدودة لا يتجاوز معدلها السنوي 50مم، وتتخذ هذه التساقطات طابعا إعصاريا مركزا في المجال وفي الزمن.

ولا يتعدى الأيام الممطرة في أحسن الحالات 30 يوما كما هو الحال عند ساحل طرفاية. وتهطل هذه الأمطار، حسب معطيات محطة العيون، بشكل أساسي خلال شهري دجنبر ويناير، ويدل ذلك على تأثر هذه الجهة المنتمية لمجال الصحراء الإفريقية الكبرى الشمالي بنظام الأمطار المتوسطي. وإن كان ذلك لا يتم إلا بشكل محدود. وهكذا وفي غياب الواردات المطرية الكافية، فإن ارتفاع معدلات الرطوبة النسبية عند الشريط الساحلي يشكل موردا مهما للرطوبة بالنسبة للحياة بشكل عام وعلى الخصوص بالنسبة للغطاء النباتي الذي يعرف كثافة ونسبة تغطية غير معهودة عند المجالات الجافة القريبة. وإذا كان هذا الغطاء النباتي الطبيعي ليست له مردودية اقتصادية مباشرة على قطاع الماشية، فإن له دورا حيويا على صعيد تثبيت التربة وصيانتها من عوامل التعرية المائية والريحية.

ونظرا لضعف الوارد المائي المطري، فإن إمكانيات الحصول على موارد مائية متجددة بجهة العيون - بوجدور تبقى محدودة. وفي غياب مياه سطحية ذات مواصفات كمية وكيفية مقبولة فإن الجهة تتوفر على مكامن مائية جوفية ترتبط بشكل أساسي بالفرشات العميقة، وإن كانت لا تتمتع بالجودة المطلوبة في جل الأحيان.

وبالنسبة للمياه السطحية، تتميز جهة العيون - بوجدور بشبكة هيدروغرافية نافدة بشكل إجمالي، تشكل نظاما هيدرولوجيا واسعا يتوافق مع الحوض الأسفل لواد الساقية الحمراء الذي يتكفل بتصريف مياه حمادة واد الخط وأيضا جزء من مياه حمادة الگعدة في اتجاه المحيط الأطلنتي. وبالطبع، وترابطا مع نظام التساقطات المطرية، فإن الجريان لا يتم إل بشكل لحظي على شكل فيضانات مركزة في المجال وفي الزمن.

عند الساحل تتعرض الشبكة الهيدروغرافية لنوع من الاضطراب تحت تأثير التكوينات السطحية، فتصبح متقطعة وغير نافذة. وبعض قطاعات هذه الشبكة تنتهي عند منخفضات مغلقة من نوع الگرارات ومن نوع السبخات كما هو الحال عند سبخة الطاح وسبخات قطاع الحسيان، وتتمكن هذه المنخفضات المغلقة المالحة من جمع المياه والاحتفاظ بها لفترات تختلف حسب حجم الواردات وحسب حدة التبخر.

وفي غياب الموارد المائية السطحية ارتباطا مع طبيعة نظام التساقطات المطرية المحلي، فإن جوف أرض جهة العيون - بوجدور بحكم طبيعته الرسوبية يحتضن مكامن مائية جوفية متعددة يمكن أن تلعب عنصرا مساعدا ومدعما لعملية تنميتها في حالة التحكم في تدبيرها.

وتختلف هذه المكامن من حيث حجمها وجودتها ووضعها وذلك بالارتباط مع تنوع طبيعة البنية الجيولوجية. ويمكن التفريق بين مجموعة من الوحدات المائية الجوفية :

- خزانات الكتلة البلورية القديمة، لا تكوّن فرشات مائية مستمرة وإنما جيوبا متفرقة ترتبط بارتفاع نسبة تشقق الصخور محليا، تتشكل عندها من حين إلى آخر مكامن مائية يمكن استغلالها لتزويد السكان الرحل وإرواء ماشيتهم كما هو الحال عند گلتة زمور.

- الفرشات المائية السطحية، وترتبط بالتكوينات السطحية الحديثة الممتدة على طول المجاري المائية أو المركزة داخل المنخفضات المغلقة. وهذا النوع من الفرشات يبقى محدود الأهمية من حيث الحجم والجودة، فالجيوب الماشية تتكون في الغالب من خزانات صغيرة، ترتبط في تغذيتها بالتساقطات المطرية، وتتأثر بشكل كبير بالتبخر الذي يقلص حجم المخزون ويرفع نسبة ملوحتــه. وأهم الفرشات من هذا النوع يستقر على طول

المجرى الأسفل من واد الساقية الحمراء وكذلك رافده الرئيسي واد الخط، ويتم استغلالها حول مدينتي العيون وبوجدور وأيضا عند فم الواد على نطاق واسع.

- يحتضن الحوض الرسوبي الثنائي - الثلاثي الذي يغطي مساحة شاسعة من جهة العيون - بوجدور أهم المكامن المائية الجوفية داخل الجهة. وتقدم خزانين عميقين رئيسيين على مستوى طبقات الطباشيري والباليوسيني.

فيما يخص الموارد الطاقية والمعدنية، فإن طبيعة البنية الجيولوجية تقدم مؤشرات واعدة حول إمكانيات توفر جهة العيون - بوجدور على مكامن للمحروقات داخل الحوض الرسوبي الثنائي - الثلاثي الواسع والمستمر تحت المياه البحرية. وقد تم القيام بحفر مجموعة من الأثقاب الاستنباطية العميقة داخل هذا الحوض لكنها لم تمكن من التوصل إلى نتائج جيدة. وفي غياب الطاقة البترولية، فإن الجهة تتوفر على إمكانيات مهمة على مستوى مصادر الطاقة المتجددة من نوع الطاقة الريحية والطاقة الشمسية، إضافة إلى مخزون مهم من الصخور الشستية - النفطية عند طرفاية. وجدير بالذكر أن هذا المكمن النفطي يتوفر على مخطط إنتاجي يمكن تنفيذه في حالة ارتفاع أسعار النفط في السوق الدولية بشكل يسمح بتغطية تكاليف الإنتاج المرتفعة.

إن الامتداد الواسع للحوض الرسوبي الثنائي - الثلاثي يجعل الجهة تتوفر على احتياطي مهم من معدن الفوسفاط الذي يتم استغلاله عند مناجم بوكراع، كما تتوفر على احتياطي من الأورانيوم المرتبط بهذا المعدن. وبالاضافة إلى ذلك فإن الجهة تتوفر على الرمال السليسية وأنواع متعددة من الرخام وعلى إمكانيات مهمة لاستخراج الملح انطلاقات من السبخات المنتشرة داخل حدودها الترابية.

إن جهة العيون-بوجدور تسجل، على غرار باقي الجهات المغربية الصحراوية، وتيرة نمو ديموغرافي سريعة بلغت 3.12% في السنة خلال الفترة الفاصلة بين إحصائي 1982 و 1994، ولم يتعد المعدل الوطني خلال نفس الفترة 2.06%. وقد جعل هذا النمو حجم السكان ينتقل من حوالي 121.000 إلى حوالي 176.000 نسمة. وإذا تم اعتماد نفس نسبة النمو السنوي فمن المرجح أن تكون ساكنة الجهة قد تجاوزت عتبة 200.000 نسمة بكثير عند نهاية القرن العشرين. مقارنة مع جهتي واد الذهب - الگويرة وگلميم - اسمارة، تتميز جهة العيون - بوجدور بكثافة سكانية متوسطة تبلغ 2.2 نسمة / كلم^2، لكنها تبقى بعيدة جدا عن معدل الكثافة الوطني الذي يبلغ 36.7 نسمة / كلم^2. وقد عرفت هذه النسبة ارتفاعا ملحوظا بسبب تزايد عدد السكان خلال العقدين الأخيرين.

إن التزايد السكاني الحاصل بالجهة يتم بشكل غير متجانس بين الوسطين الحضري والريفي، ففي الوقت الذي نسجل فيه نموا سكانيا داخل مدن الجهة بنسبة متساوية مع ما يجري على الصعيد الوطني، أي 3.7 مقابل 3.6%، فإن الأرياف تعرف عملية نزوح متواصلة جعلت ساكنتها تتراجع بنسبة 1.2% في السنة خلال نفس الفترة المذكورة. ومعنى ذلك أن ظاهرة اختلال توزيع السكان بين الوسطين الحضري والريفي وتزايد عدد السكان المستقرين وتعززتا أكثر خلال العقدين الأخيرين، وجعلتا نسبة التمدين تتجاوز 91%. وحدها مدينة العيون أضحت تحتضن أكثر من 85% من مجموع السكان الحضريين المقيمين بالجهة.

وقد بلغ عدد السكان الحضريين تبعا لنتائج إحصاء 1994 داخل الجهة حوالي 160.000 نسمة، وذلك في الوقت الذي لم يكن يشكل هؤلاء سوى قرابة 105.000 سنة 1982. وقد ارتبط هذا التزايد بالدينامية الديمغرافية التي تعرفها مختلف المراكز الحضرية داخل الجهة، فكل المدن سجلت نسب نمو عالية تتعدى المعدل الوطني بكثير خاصة بالمراكز الحضرية الصغرى. فقد عرفت مدن العيون وطرفاية نسب نمو تتراوح بين 3.2%، وسجلت مدينة بوجدور نسبة 7.7% وبلدية المرسى 9.3% في السنة.

ومهما اختلفت أهمية نسبة النمو، فإن مدينة العيون بساكنة تناهز حاليا 150.000 نسمة تبقى هي أكبر مدن الجهات المغربية الصحراوية الواقعة جنوب الأطلس الصغير على الإطلاق. وبذلك فهي تمثل 85.1% من مجموع جهة العيون - بوجدور، وحوالي 1/3 مجموع السكان الحضريين بالجهات الصحراوية المغربي الثلاث.

إن مدينة العيون تشكل اليوم القطب الحضري الرئيسي داخل جهتها وداخل مجموع المناطق المغربية الصحراوية، لقد نشأت وتطورت كمركز إداري وتجاري عند واد الساقية الحمراء على مقربة من الساحل الأطلنتي، حيث تم خلق وتوسيع أحد الموانئ الوطنية الرئيسية التي تلعب دورا طلائعيا في ميدان تصدير معدن الفوسفاط وفي ميدان نشاط الصيد البحري وأيضا تموين المناطق الصحراوية. وقد عرف هذا المركز، على غرار باقي المناطق الصحراوية التي ظلت تعاني لفترة طويلة من الاستعمار ومن التهميش بسبب بعدها وموقعها الجغرافي نموا متواصلا خلال العقود الأخيرة جعل منه القطب الإداري والتجاري والصناعي الأول بهذه المناطق.

والعيون تشكل حاليا عاصمة جهة العيون - بوجدور وإقليم العيون وفي نفس الوقت مقر جماعة حضرية، الأمر الذي جعلها تعزز مكانتها كمركز حضري مغربي يحتل مركز الريادة داخل الجهات الصحراوية. وقد عرفت تنويعا مهما لقاعدتها الاقتصادية وتوسعا واضحا لنسيجها الحضري وتطورا ملموسا في بنياتها التحتية، بحيث تم تجهيزها بمطار عصري وبحي صناعي، كما تم ربطها بشبكة النقل الجوي الداخلي وبشبكة الطرق البرية الوطنية وكذلك بشبكات المواصلات اللاسلكية والبريد.

وقد سمحت الدينامية الاقتصادية التي تعرفها مدينة العيون بتطور مركز المرسى حول الميناء التجاري على الساحل الأطلنتي إلى الشمال من ميناء الفوسفاط، الذي أخذ يستحوذ على حيز هام من الوظيفة التجارية

والصناعية داخل الجهة. ويتوفر مركز المرسى حاليا على مجال صناعي يمتد على مساحة 54 هكتار، وقد تم وضع برنامج لتجهيز حي صناعي جديد على مساحة 95 هكتار إضافية.

كانت طرفاية تشكل عاصمة إقليم حدودي، لكن مباشرة بعد استرجاع المناطق الصحراوية إلى الوطن الأم تم دمجها في إقليم العيون فأصبحت تمثل عاصمة جماعة قروية ودائرة، وتمت ترقيتها على إثر التقسيم الإداري الأخير إلى بلدية. ويعتمد اقتصاد هذه المدينة الصغيرة بالدرجة الأولى على النشاط البحري، وقد استفادت من خلق ميناء حديث لتنشيط هذه الوظيفة، غير أن ظروف الوسط الصعبة المرتبطة بالتعرية الريحية والساحلية النشيطة جعلت هذا المرفق يعاني من طمر أحواضه بالرمال وعرقلة نشاط سفن الصيد الذي يتوقف خلال فترات طويلة خلال السنة. لذلك فإن نسبة نمو عدد سكانها بقي محدودا ولم يتجاوز بين سنتي 1982 - 1994 نسبة 3.7% في السنة. هذا النمو المحدود جعل من طرفاية مركزا صغيرا لم تتجاوز ساكنته 4.500 نسمة إلى حدود سنة 1994.

وعلى العكس من ذلك فإن مدينة بوجدور الواقعة بين مدينتي العيون والداخلة، وبعد ترقيتها إلى درجة عاصمة إقليم، أصبحت لها وظيفة إدارية وتجارية بالدرجة الأولى مما سمح لها بتسجيل نسبة نمو ديموغرافي عالية خلال الفترة الإحصائية المذكورة تتعدى 7% في السنة، فانتقلت ساكنتها من حوالي 6.250 نسمة سنة 1982 إلى أكثر من 15.000 نسمة سنة 1994. ومن المتوقع أن يناهز هذا العدد 20.000 نسمة حاليا.

وقد واكب هذا التوسع الديموغرافي لمدينة بوجدور توسع في التجهيزات الأساسية الحضرية، والمتمثلة في تجهيزات إنتاج وتوزيع الماء، والكهربة والإنارة، وشبكة الطرق والمسالك، وغير ذلك من المرافق اللازمة لتدبير الحياة الجماعية مثل المدارس والمراكز الصحية ومختلف الإدارات والفضاءات التجارية.

ويتميز اقتصاد جهة العيون - بوجدور عن باقي الجهات المغربية الصحراوية بكونه أكثر تنوعا فهو يجمع بين ثلاثة ركائز رئيسية تتمثل في استغلال الأحياء البحرية واستغلال معدن الفوسفاط بمنجم بوكراع المكشوف والزراعة المرتكزة على النشاط الرعوي بالدرجة الأولى، وكل ما يترتب عن هذا الاقتصاد من أنشطة حرفية وتجارية وخدماتية وإدارية، إضافة إلى كون جهة العيون - بوجدور بحكم موقعها تبقى مرشحة للعب دور تجاري دولي موجه نحو دول الصحراء الإفريقية الكبرى وباقي دول العالم.

وعلى غرار باقي الجهات الصحراوية، يتم النشاط الفلاحي بجهة العيون - بوجدور في إطار نظام زراعي رعوي مبني على الترحال، لا تمثل داخله زراعة الأرض إلا نشاطا تكميليا وعابرا يتوسع نسبيا خلال السنوات المطيرة ويتراجع ويتوقف خلال السنوات الجافة التي تدوم لفترات طويلة.

تتمثل الأراضي القابلة للزراعة في المجاري المائية وفي الگرارات التي تمثل منخفضات مغلقة تنتهي عندها الأودية التي تحمل إليها المواد الغرينية لتشكل قاعدة غطاء ترابي غني نسبيا. ويبقى المحصول الوحيد القابل للنجاح عند هذه الأوساط هو الشعير الذي يدخل في نظام تغذية السكان وكذلك كعلف تكميلي للماشية في بعض الحالات.

إضافة إلى هذا النشاط الزراعي، تتوفر الجهة على محيط سقوي صغير هو محيط فم الواد الممتد عند سافلة واد الساقية الحمراء حيث تسمح الظروف المحلية بتكوين فرشة مائية عذبة توجه مياهها لتزويد مدينة العيون ومركز المرسى بالماء الشروب، وأيضا لسقي حوالي 200 هكتار التي تشكل مساحة محيط فم الواد. ومن الظاهر أن هذه المساحة تتعرض لتراجع واضح أمام تقدم ظاهرة غزو الرمال لهذا القطاع من حوض وادي الساقية الحمراء.

وعلى رأس قائمة الأنواع النباتية المتداولة داخل هذا المحيط السقوي نجد الزراعات العلفية وعلى الخصوص نبتة الفصة التي تشكل أساس تغذية الأبقار، إضافة إلى البقليات والموز والشعير. وهما تنوعت وتعددت هذه المزروعات فإن حجم إنتاجها يبقى محدودا ولا يمكن أن يغطي حاجيات السوق المحلية المتزايدة.

إن النشاط الفلاحي المسقي والبوري يبقى محدود الأهمية، ووقعه على الحياة الريفية يبقى محدود جدا بالقياس إلى النشاط الرعوي الذي يظل أساسيا لدى فئات عريضة من السكان، وذلك على الرغم من التحولات التي عرفها المجتمع خلال العقود الأخيرة، والتي جعلت عددا كبيرا من مربي الماشية يستقرون داخل المراكز الحضرية.

بحكم طابع الجهة الصحراوي ونمط عيش الترحال وتوفر مراع شاسعة تتعدى 8 ملايين من الهكتارات، تعتبر تربية الماشية هي النشاط الرئيسي لدى سكان الأرياف وأيضا حتى لدى شريحة عريضة من سكان المدن.

تطور قطاع تربية الماشية بإقليم العيون

النوع	1992	1993	1994	1995
الماعز			98.105 90.142	95.045 100.000
الأغنام			84.632 55.914	57.431 57.000
الإبل			26.293 27.021	27.555 30.000
الأبقار			24.349 250	217
المجموع			290.379 173.294	180.055 187.250

وإذا كان من الصعب ضبط حجم القطيع بسبب نمط الترحال الذي يفرض التحرك المستمر للماشية، وسبب

التغيرات الصارخة التي تعرفها التساقطات المطرية، فإن المعطيات والتقديرات المتوفرة والمتعلقة فقط بإقليم العيون وحده تبين أن عدد رؤوس الماشية بكل أنواعها تجاوز 187.000 سنة 1995، منها 90.142 رأسا من الماعز و55.914 من الغنم و27.071 من الإبل. ومقارنة هذه التقديرات مع تقديرات السنوات الفارطة تظهر أن القطاع آخذ في التوسع، وأن التأطير الذي تقوم به مصالح الفلاحة على مستوى تنمية النقط المائية والمراقبة والعناية الصحية بالقطيع وتنفيذ وتنظيم برامج دعم الأعلاف وغير ذلك من التدخلات بدأت تعطي أكلها وأنها لا تزال في حاجة للدعم بشكل متواصل.

إضافة إلى هذا القطيع، تجب إضافة حوالي 250 رأسا من الأبقار التي تتم تربيتها داخل إسطبلات مرتبطة بمحيط فم الواد السقوي حيث يتم تخصيص مساحة مهمة للمزروعات العلفية، وعلى الخصوص زراعة الفصة.

وتتوفر جهة العيون - بوجدور على وسط ساحلي وبحري متميز على الصعيد الوطني، تطورت وانتظمت عناصره بشكل جعل منه أحد أغنى الأوساط الإحيائية البحرية المغربية التي تبحث عنها مراكب الصيد الوطنية والدولية بإلحاح، ولا يضاهيه في ذلك إلا القطاع البحري المقابل لسواحل جهة واد الذهب - الكويرة الذي يشكل امتدادا طبيعيا له.

تستفيد الجهة من هذه الموارد البحرية بشكل محدود انطلاقا من ميناء طرفاية وميناء العيون، فالميناء الأول يعاني من صعوبات كبيرة بسبب غزو الرمال البحرية والقارية لحوضه الصغير، والميناء الثاني لا يشكل داخله الصيد البحري إلا نشاطا ثانويا. وعلى الرغم من ذلك فإن هذا النشاط سمح بظهور مجموعة من الوحدات الصناعية بالحي الصناعي المجاور للميناء عند مركز المرسى، وحدات متخصصة في إنتاج الثلج وتصبير السمك، وإنتاج بعض مشتقات السمك مثل زيت ودقيق السمك ومعالجة الطحالب.

وقد بلغ عدد وحدات الصيد العاملة بميناء العيون سنة 1994 أكثر من 400 وحدة، أكثر من 60% منها عبارة عن قوارب صغيرة متخصصة في الصيد الساحلي. وبلغ حجم الإنتاج في نفس السنة حوالي 121.000 طن، أكثر من 90 % منها عبارة عن سمك صناعي.

وبالنسبة للنشاط المعدني، فإن طبيعة البنية الجيولوجية بجهة العيون - بوجدور لا تمكن في الظروف الاقتصادية الحالية إلا من استغلال مكامن الفوسفاط، وجمع محدود لملح بعض السبخات، إضافة إلى أخذ الرمال واستخراج بعض مواد البناء الأخرى.

وتتوفر هذه الجهة على أحد مناجم الفوسفاط الأربعة المغربية الرئيسية وهو منجم بوكراع الذي يوجد جنوب-شرق مدينة العيون على مسافة حوالي 100 كلم. وترتبط هذه المناجم بنفس الحوض الرسوبي الثنائي - الثلاثي الممتد شمال الأطلس الكبير بهضاب أولاد عبدون والكنتور الفوسفاطية، والمستمر نحو الجنوب في اتجاه دول إفريقيا الغربية.

وتختزن مكامن منجم بوكراع حوالي 3 ملايير طن من معدن الفوسفاط، وهو ما يمثل حوالي 3% فقط من مجموع المدخرات الوطنية، وتبلغ نسبة تركز الفوسفاط به 75%. وتتم عمليات الاستغلال بشكل مكشوف، وتتلخص في حفر وجمع الفوسفاط وغربلته محليا، ثم نقله عبر بساط نقال آلي على مسافة 95 كلم حتى ميناء فوس-بوكراع الواقع على بعد 4 كلم جنوب ميناء العيون (المرسى)، وعند هذا الميناء يخضع المعدن للمعالجة داخل وحدة خاصة قبل شحنه من أجل التصدير.

ويتراوح معدل حجم الإنتاج بين 700 ألف طن ومليون ونصف طن في السنة، وقد مثل خلال النصف الأول من العقد الماضي حوالي 6.5% من مجموع الإنتاج الوطني من معدن الفوسفاط. وبذلك فإن هذا النشاط المعدني يساهم في تنمية الميزان التجاري الخارجي الوطني، وفي تنشيط الاقتصاد المحلي بسبب فرص الشغل المباشرة وغير المباشرة المترتبة عنه.

خارج قطاع الفوسفاط فإن جهة العيون - بوجدور تعرف نشاطا معدنيا آخر لا يخلو من أهمية وهو استخراج ملح الأوساط المائية المالحة المتمثلة في السبخات. ويمكن هذا النشاط من تغطية الحاجيات المحلية ومن تصريف حجم مهم من الإنتاج في اتجاه الأقاليم المغربية الأخرى. ويتم أيضا استخراج مواد البناء المختلفة التي يتطلبها توسع المجال الحضري ومختلف التجهيزات الأساسية داخل الجهة، وفي هذا الصدد لا بد من الإشارة إلى أهمية نشاط أخذ الرمال التي يتم تصدير حجم مهم منها نحو الجزر الخالدات عبر ميناء المرسى.

إضافة إلى هذه المقومات الاقتصادية، تزخر جهة العيون - بوجدور بإمكانيات سياحية غنية وشديدة التنوع تجمع بين المشاهد الجافة الصحراوية والفضاءات الطبيعية الفسيحة والمناظر الساحلية المتغيرة المغرية بالقيام بأنشطة رياضية واستجمامية متعددة. وتقدم هذه المنطقة كإحدى الجهات المغربي الصحراوية إرثا حضاريا نوعيا يبرز أحد الأوجه المضيئة للشخصية الثقافية المغربية. لكن رغم كل هذه الإمكانيات فإن النشاط السياحي المسجل يبقى محدودا، ويرتبط بالدرجة الأولى بسياحة رجال الأعمال وبتنقلات الموظفين ويتركز بشكل أساسي داخل مدينة العيون. وتعتبر مدينة العيون القطب السياحي الأول داخل الجهات المغربية الصحراوية، وذلك على صعيد حجم الطاقة الإيوائية وعلى صعيد عدد الوافدين فالطاقة الإيوائية تناهز حاليا 1.200 سرير، 51.1% منها توفرها الفنادق المصنفة. وبلغ عدد الليالي السياحية المسجلة سنة 1994 حوالي 124.600 ليلة، 70% منها سجلت بهذه الفنادق المصنفة أي بمردودية 38.7%.

حاليا، وعلى الرغم من المجهودات المبذولة على صعيد البنيات التحتية مثل ربط الجهة بشبكة الطرق البرية الوطنية وأيضا شبكة النقل الجوي الداخلي فإن عدد السياح الوافدين يبقى محدودا. ذلك فإن الجهة

لا تستقطب إلا قسطا ضئيلا من مجموع الليالي السياحية المسجلة على الصعيد الوطني (0.7% من ليالي الفنادق المصنفة، و 1.3% من ليالي الفنادق غير المصنفة)، مما يدعو إلى المزيد من العمل من أجل مجال سياحي قادر على استثمار الموارد الطبيعية والثقافية المتوفرة والقادرة على إبراز منتوج سياحي جديد يمكنه أن يوسع وينوع منتجات الوجهة السياسية المغربية.

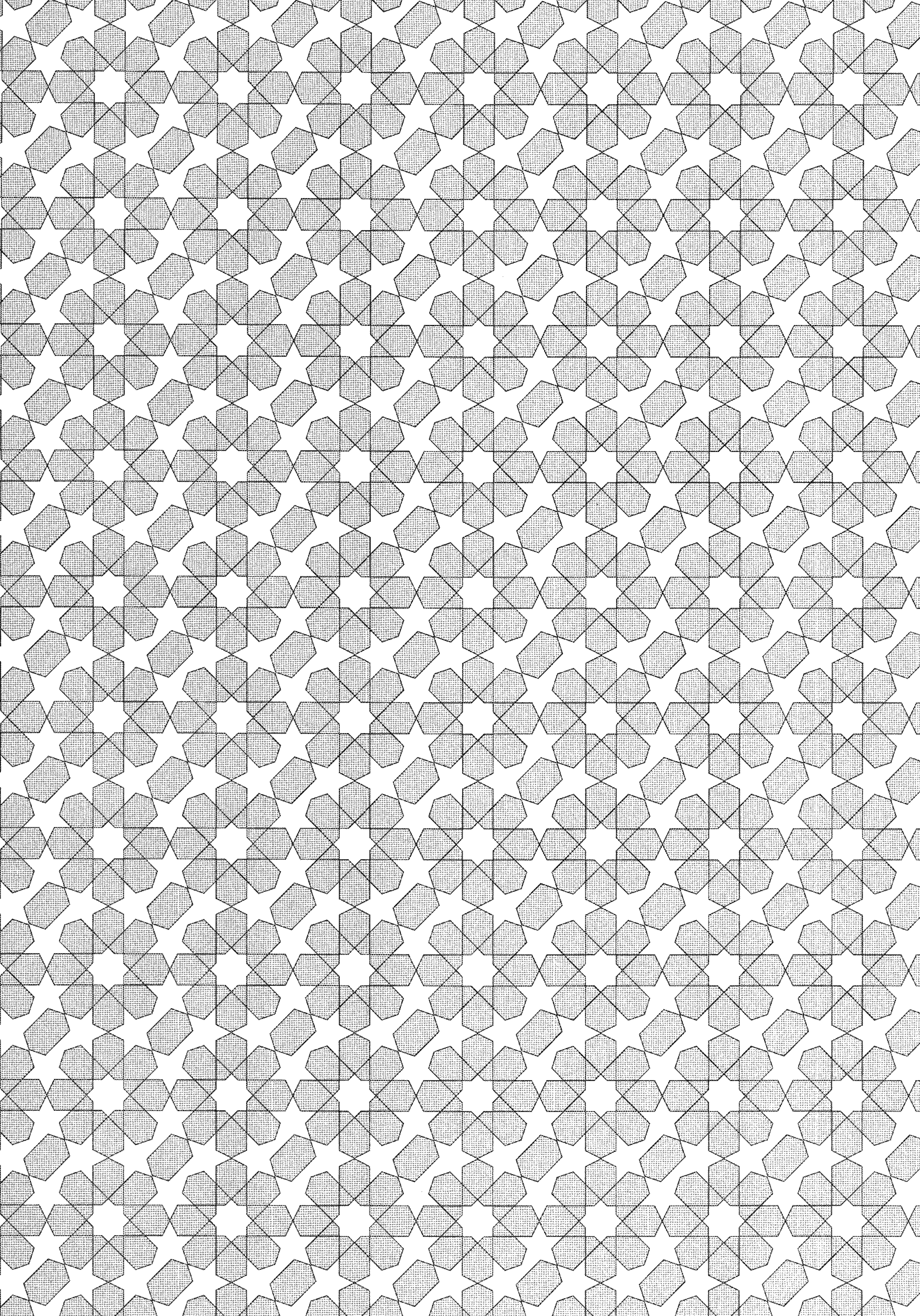
إن جهة العيون - بوجدور، كباقي الأقاليم الصحراوية مباشرة بعد عودتها إلى الوطن الأم شكلت، في إطار عملية تضامن واسعة النطاق بين الأقاليم الشمالية والجنوبية، ورشا كبيرا استهدف إدماج هذه المناطق في النسيج الاقتصادي الوطني. وبفضل المجهودات المبذولة تمكنت هذه الجهة من خلق بنية تحتية صلبة وتجهيزات عمومية كبرى جعلتها تحقق نهضة اقتصادية واجتماعية لا تقل مستوياتها عن باقي أجزاء التراب الوطني.

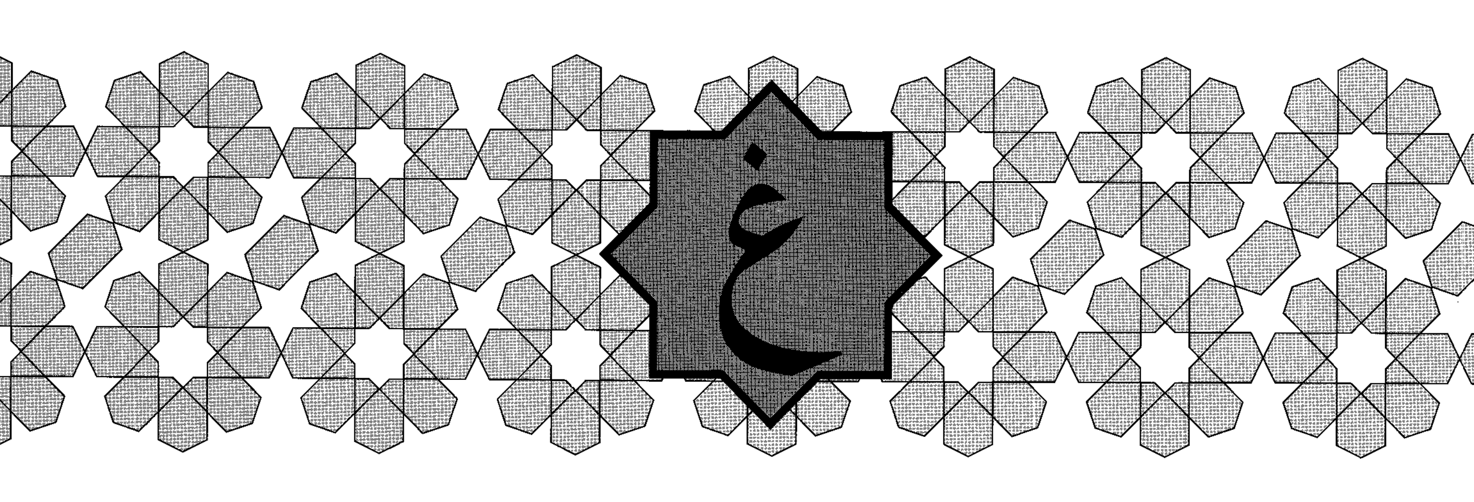
وقد رافق هذه المجهودات التنموية تحولات عميقة شملت المجتمع والمجال تجسدت في نمو عدد السكان وفي نزعة عامة نحو الاستقرار البشري نتج عنها تضخم كبير للظاهرة الحضرية بشكل لا مثيل له في باقي التراب المغربي. وإذا كانت جهة العيون - بوجدور تطرح في السابق تحدي إدماجها في النسيج الاقتصادي الوطني فإن التحدي الذي أصبحت تطرحه اليوم يتجسد في دعم الاستثمار الرامي لخلق فرص الشغل ومواصلة تحسين مستوى عيش السكان، وأيضا في اختيار عمليات التنمية المتكيفة مع هذا الوسط البيئي الصحراوي الجاف المحدود الموارد وسريع التدهور.

منوغرافية جهة العيون - بوجدور، ولاية العيون، 1999 ؛ الحسن المحداد وآخرون، *جهة العيون - بوجدور*، مجلة جغرافية المغرب ، مجلد 19، السلسلة الجديدة، عـدد 1 - 2، ص. 19 - 32، 2001.

E.El Mahdad et L.Ouhajou, *Le patrimoine hydrique face aux dangers de l'explosion urbaine dans les milieux arides et semi-arides. Cas du Maroc sud-atlasique* ; *Atlas des ressources naturelles*, Rabat, 1984 ; Direction de la Statistique, *Résultats des différents recensements de la population et de l'habitat*, Rabat ; Direction de la Statistique, *Annuaire statistique du Maroc 1999*, Rabat, 2000.

الحسن المحداد




غ

غراف (أهل -) من الأسر التي كانت تزاوج بين الصناعة والعلم، فقد عرفوا بامتهانهم الصناعة اليدوية وحبهم للعلم والتعلم إلى أن برز فيه بعضهم. سموا بذلك لأن جدهم كانت له نوق حلوبة وكان لديه قدح كبير يسمى بالحسانية (التازوة) يضع فيه الحليب، فكلما مر عليه فقير أو عابر سبيل اغترف له غرفة من ذلك الإناء فسموا لذلك أهل غراف على سبيل المبالغة من كثرة الغرف.

ينتسبون إلى قبيلة تاجكانت خصوصا من أولاد إبراهيم لوجالات، قدموا من تشيت بموريتانيا فاستقروا بتندوف فكان إبراهيم الخليل جدهم وأخوه امحمد يدرسان نهارا في المحضرة، ويعكفان في الليل على صنع مجموعة من الأواني والأسلحة. لكن بعد حرب تيندوف ونزوح الأهالي منها ترافقوا مع أهل بوحجر العائلة العلمية المشهورة، ليحطوا معهم الرحال في منطقة تابلبالت، فتعلموا على أيديهم، ونهلوا من معينهم فعرف منهم محمد المختار الملقب بخترا الذي عرف بإتقانه للصناعة اليدوية وحفظه للقرآن ومجموعة من المتون الفقهية فكان مؤذنا لزاوية سيدي المداني التي التحق بها بعدما أحكم المستعمر سيطرته على المناطق المغربية الشرقية، فلازمهم لمدة طويلة خصوصا وأن محمد المختار آل على نفسه ألا يفارق سيدي المداني حتى الموت. وقد توفي سنة 1962.

تحريات ميدانية.

الغردكي (معركة -) دارت رحى هذه المعركة بين المستعمر و52 مقاتلا من جيش التحرير بالإضافة إلى مجموعة من الأهالي والعائلات منهم زاوية سيد المداني في منطقة الغردكي التي توجد حاليا في التراب الجزائري، سنة 1957 فقد نصب مقاتلو جيش التحرير فخا للعدو الفرنسي عند زاوية سدي المداني الذي استدعى القائد الفرنسي جنودهم لتلك المنطقة لهذا الغرض أي من أجل الإيقاع بهم في هذا الفخ، وما اشتعلت الشرارة الأولى حتى اختلط الحابل بالنابل فتكبد العدو خسائر فادحة، لكن بعد انسحاب مقاتلي جيش التحرير إلى مركز المحاميد الذي يعد مركزا للقيادة، أغارت طائرات العدو على كل الأهالي الذين شاركوا في المعركة، فكبدتهم خسائر فادحة اضطروا معها إلى النزوح بشكل قصري من تلك المنطقة بعدما فقدوا كل ما يملكون.

شهادة المقاوم الخوماني الخوماني بن سالم.

أحمد شيخي

الغطاء النباتي بالصحراء، الصحراء لفظ يطلق على المناطق الحارة الجافة قليلة الأمطار، إلا أن المناطق الصحراوية ليست بالضرورة جرداء خالية من النمو النباتي. أما أتربتها فهي من النوع الهيكلي، بحيث تكون ذات بنية مجزأة ومتفككة من نوع الرمال والحصى، تقل أو تنعدم فيها المواد العضوية. والتربة الصحراوية وإن قلّ بها وجود الحياة النباتية والحشراتية، إلا أن هناك أنواعًا من الحيوانات والنباتات تتأقلم مع المناخ الصحراوي، وتتكيف على العيش فيه رغم قساوة الظروف.

وقد اختلف العلماء في تعريف ما يسمى بالصحراء، حيث إن البعض يقول : إن كل منطقة لا يسقط فيها من الأمطار أكثر من 25 سم سنويًا، فهي صحراء. ومن العلماء من يعتبر نوع التربة وأصناف النباتات أساسًا لتحديد المنطقة وتصنيفها، وعلماء آخرون يجمعون بين هذه العناصر كلها، فيطلقون اسم صحراء على كل منطقة قليلة النبات، بسبب قلة الأمطار وجفاف التربة.

تغطي الرمال مساحة تتراوح مابين 20% و40% من الأراضي الصحراوية. وما تبقى يكون إما عبارة عن مجالات حصوية (الرگ) أو مرتفعات جبلية على شكل كتل مفككة بفعل التعرية الريحية أو حمادات (هضاب صحراوية)، وكلها تربة لا تساعد على انتشار الحياة النباتية إلا في حدود ضيقة، كقعور الأودية أو لگراير (قعور سهلية تغمرها المياه في الفترات المطيرة فتتبخر حينئذ بشدة الحرارة وتسمح بذلك بترسب الطمي المعلق في قعورها) حيث تترسب بعض جزيئات الطين أو ما يسمّى بالطمي، ونجدها كذلك في بعض السبخات

الملحية، أو في صحاري الرگ الحصوية، أو في ظل بعض التضاريس كالحمادات أو الجبال أو الكتل التي تحميها من الحرارة وديناميكية الكثبان الرملية (العرق).

لذلك يتميز الغطاء النباتي الصحراوي بالقلة وعدم الكثافة وتوزيع مشتت على شكل بقع متناثرة، وكونه قبيسي موروث عن مناخات غابرة. ومع التغيرات المناخية التي شهدتها الصحراء منذ الزمن الجيولوجي الثالث، تلاءمت النباتات مع الظروف المناخية الجديدة المتسمة بالقساوة والحدة، فتفاعلت معها فيزيائيا وفيزيولوجيا لتندمج مع وسط بيئي دائم التغيير والحركية (دينامية الكثبان الرملية). والنباتات الصحراوية، كغيرها من النبتات، لا تستغني عن الماء. وهي تقاوم ندرة الماء بتكيفات متباينة. فبعض هذه النباتات تتميز بكونها تتوفر على جذور طويلة تمتد إلى جوف الطبقات الباطنية لتتغذى على المياه الجوفية الباطنية (60 إلى 70م بالنسبة لشجرة الطلح). وبعضها الآخر تنتشر جذوره على شكل شبكة متفرعة فوق السطح بحيث تتلقى القدر الأقصى من الماء حين تتهاطل الأمطار أو تتغذى في بعض الأحيان على قطرات الندى خاصة إن كانت من الصحاري الساحلية القريبة من البحر.

تنقسم نباتات الصحاري إجمالاً إلى نوعين : المعمرة والسريعة الزوال. فالمعمرة تدوم من سنة إلى أخرى، وهي النوع الذي يتكيف مع الظروف المناخية للحفاظ على الرطوبة داخل جذوعها أو بانزواء أوراقها كي تحميها من التبخر وفقدان كمية من المياه. وغالباً ما تكون مجهزة بأشواك واقية تساعدها على اقتصاد مياهها وترد حيوانات الرعي عنها.

أما السريعة الزوال فتنمو في الفصول المطيرة. وتستطيع بفعل فيزيونمياتها أو مظهرها الخارجي الانزواء أو ما يسمى بالسبات لفترة قد تدوم أو تقصر حسب حدة الجفاف، ويتمكن هذا النوع من البقاء كامنة في التربة عدة سنوات أحياناً، وحين يهطل المطر تنبعث، فتنمو وتزهر وتبزر قبل أن تجف التربة. وقد يتم لها ذلك في أقل من ثلاثة أسابيع حسب خبراء علوم التربة والبيولوجيا.

ويمكن كذلك أن نميز بين النباتات الإلف ملحية Plantes halophile والإلف رملية Plantes ammophiles والإلف صخرية Plantes rupicoles. فالنباتات الإلف الملحية تنتشر في الأماكن التي تكسوها أغشية ملحية بيضاء كالسبخات مثلا، بينما النبتات الإلف رملية تحتل قمم الكثبان الرملية المتصلبة كنباتات الرمث Rétama، أو تتموقع بجانب الكثبان الرملية (النبگة) فتشكل بذلك حاجزا طبيعيا تترسب الرمال حوله فتعطي كثبان رملية يتغير شكلها تبعا لاتجاه الرياح، أما النباتات الإلف صخرية فهي تحتل الصخور في جانب الكتل أو الجبال وكذا الحمادات.

وتستعمل هذه النباتات بكل أطيافها وسائل الدفاع والتأقلم مع قساوة الظروف المناخية، لهذا طورت النباتات الصحراوية أجهزة تأقلم خاصة بها، مكنتها من التعامل بشكل مثالي مع ظروف الصحراء وخاصة قلة المياه. وأجهزة التأقلم هذه تتجسد في مجالات فزيولوجية، وبيوكيماوية وسلوكية وشكلية وغيرها. كما تتميز بسمك غطائها من الكيوتين للحماية من التبخر، وكذا بعملية اختزال الأوراق أو الانزواء والانكماش على النفس للاحتفاظ بالماء وتقليل عملية النتح.

وتعتبر الظروف المناخية والرياح القوية وحركية الرمال بالصحراء من أكبر العوامل المحددة في انتشار الغطاء النباتي وقلة تنوعه، إذ لا تتجاوز بضعة أنواع معظمها عارية تكون مجردة من أوراق وذات فروع قصيرة القامة أو شوكية على شكل سهوب متناثرة، تكثر بها الأشواك للتغلب على الجفاف وتبخر مياهها. ورغم قلة هذا الغطاء النباتي فهو يتفرع إلى ثلاث نطاقات : الأعشاب الليفية والشجيرات الصغيرة القامة، ثم الأشجار.

ونورد في الجداول التالي أهم الأنواع النباتية التي تعمر الأقاليم الجنوبية للمغرب.

- أنواع الأشجار بالأقاليم الصحراوية :

نوع الأشجار باللغة العربية	مقابلها باللهجة الحسانية المحلية	مقابلها باللغة اللاتينية والعلمية
الطلح	اطلـح	Acacia Raddiana
السدر	اسـدر	Ziziphus Muritianas
الطرفاء	الطرفه	Tamarix Senegalensis
البشام	آدرس	Commiphora Africana
التنضب	أيكنيـن	Capparis Decidua
السرح	أتيـل	Maerua Crassifolia
القرظ	أمـور	Acacia Arabica ou Acacia Nilotica
السيال	السدرة البيضاء	Acacia Seyal
الهلج	تيشـط	Balanites Aegyptiaca
اليتوع	آفرنان - الفرنان	Euphorbia Balsamifera
العشر	تورجـه	Calotropis Procera

المصدر : ديوان محمد بن الطلبه اليعقوبي الشنقيطي

- أنواع الشجيرات بالأقاليم الصحراوية :

نوع الشجيرات باللغة العربية	مقابلها باللهجة الحسانية المحلية	مقابلها باللغة اللاتينية والعلمية
الثمـام	أم ركبـة	Panicum Turgidum
الحـاذ	الحـاذ	Cornulaca Stifera ou Cornulaca Monacantha
الحرض	أسكـاف	Nucularia Perrini
السبـط	السبـط	Stipagrostis Pungens
الضمران	الظمران	Traganum Nudatum
العرفـج	العرجم	Arthrocnemum Glaucum
الرمـث	الرمـث	Haloxylon Scoparium
الأعراد	الأعـراد	Salsola Tetragoua

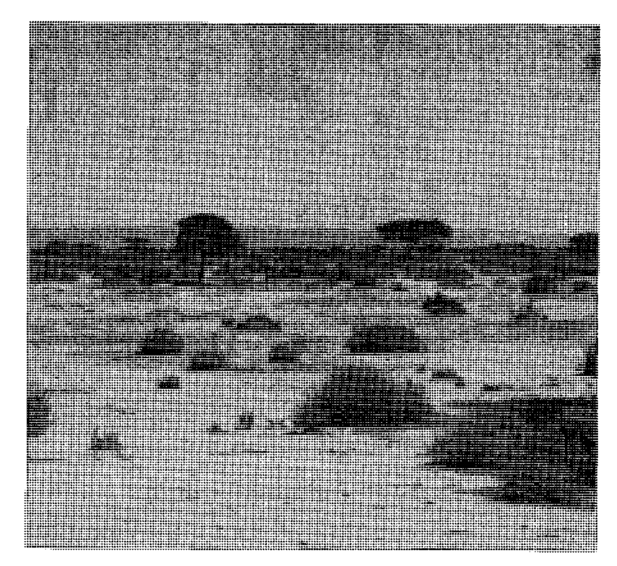
المصدر : ديوان محمد بن الطلبه اليعقوبي الشنقيطي

- أنواع الأعشاب بالأقاليم الصحراوية :

نوع الأعشاب باللغة العربية	مقابلها باللهجة الحسانية المحلية	مقابلها باللغة اللاتينية والعلمية
الأقحوان	الـگحوان	Anacyclus Radiatus
الثـــغـام	آنشال	Moltkia Ciliata
الجرجير	الجرجير	Schouwia Purpurea
الحلي - النسيل	النسيل	Aristida Plumosa
الذنـبان	الذنبان	Caylusea Hexagyna
الذؤنون	الذانون	Cistanche Phelypaea
الحسك	الحسيكة أو إنيتي	Cenchrus Biflorus
السعدان	السعدان	Neurada Procumbens
الحنظل	الحنظل (احدج الحمار)	Citrullus Colocynthis ou Colocynthis Vulgaris
العـــرار	الـگـرطوفه	Brocchia Cinerea
البهمـى	لحية الحمار	Aristida Sieberiana
المكـــر	المكـــر	Launaea Resedifolia
الينمـــة	اليلمـــه	Plantago Amplexicaulis
الطررثوث	الترثــوث	Cynomorium Coccineum

المصدر : ديوان محمد بن الطلبه اليعقوبي الشنقيطي

كما يمكن أن نضيف لهذه القائمة نباتات أخرى، لم نجد مرادفها لا باللغة العربية ولا باللاتينية، واكتفينا بذكر أسمائها باللهجة المحليــة، منها أم لبينة، تافسة، العـگـد، أفزو، الـگـزاح، العـگـاية، أشفود، اشقاعة، إنيش، الكمشة، كمون الرگ، الـتَّـغيَّـة.



الغطاء النباتي بالصحراء

وبالرغم من ندرة تنوع الغطاء النباتي وضعف كثافته بالأقاليم الصحراوية الجنوبية، فأنه يبقى العنصر الرئيسي المتحكم في توازنات المجالات الجافة القاحلة. فهذه النباتات تشكل حاجزا طبيعيا أمام زحف الرمال (النبـگـة)، وتحد من قوة الرياح، وتحمي السطح من الانجراف في الفصول المطيرة، كما تستغلها بعض الزواحف كملجأ يحميها من الحرارة ومن الطيور أوالحيوانات المفترسة. زد إلى هذه المزايا دورها في التداوي، فقد شكل منذ القدم الصيدلية المجانية التي يلجأ إليها البدو الرحل كلما حل بهم داء أو وباء، فاشتهرت أسر عريقة في هذا المجال وتوارثت جيلا بعد جيل مهنة الطب الشعبي والتداوي به. وهناك من هذه الأسر من يحتفظ على مخطوطات تشهد لهذه الأسر بخبرتها في طب الأعشاب، بل نجد من هذه المخطوطات ما أمدنا بجرد كامل لكل الأعشاب الصحراوية مع تحديد مزاياها في علاج بعض الأمراض المستعصية. كما أن هذه النباتات الصحراوية، توفر للبدو الرحل مراعي ممتدة لتربية الماشية وخاصة الإبل، علما بأنها في الآونة الأخيرة في ترد مستمر وتتعرض لتدهور خطير بفعل الرعي الجائر والمتفشي بشكل مهول مع كثرة مالكي الإبل، اللذيـن لا يراعون المنظومة البيئية لهذا المجال الهش. وبالفعل فإن فقر الغطاء النباتي، وهشاشة المنظومة البيئية الصحراوية، اللذين يزدادان حدة بسبب الاقتلاع المفرط لحطب التدفئة والطهي من طرف الرعاة، بالإضافة إلى الرعي المفرط، قد جعلا من الصعب التجديد الطبيعي للغطاء النباتي بهذه الأقاليم، حتى لا نقول أنهما قد وضعا حدا نهائيا له.

محمد بن الطلبه اليعقوبي الشنقيطي، *"ديوان شعري"*، شرح وتحقيق، محمد عبد الله بن الشبيه بن ابوه، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000 ؛ الميلود شاكر، مظاهر التصحر وأساليب مكافحته بالأوساط الجنوبية المغربية، منشورات الجمعية المغربية للجيومرفلوجيا، تحت عنوان : *"الأقاليم الجنوبية المغربية، البيئة والمجتمع وآفاق التنمية"*، الناشر جامعة القاضي عياض مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 2006 ؛ مولاي إدريس شداد، السياحة الصحراوية : مؤهلات وآفاق، كتاب *"الصحراء الأطلنتية : المجال والإنسان"*، منشورات وكالة الجنوب بشراكة مع جامعة ابن زهر بأگادير، الطبعة الأولى، مطبعة G.H. Communication، الرباط، 2007.

Ozenda Paul, *Flore et végétation du Sahara*, (1er Edition 1977), 2ème Editions CNRS, Paris, 2004 ; Cheddad My Driss, Sahara, Ecosystème fragile, ressources naturelles limitées et engagement de l'Etat pour un aménagement régional exceptionnel et une mise à niveau socio-économique et spatiale, *Revue Horizons Universitaires*, n° 3, vol. 2, Université Mohammed V -Souissi- Rabat, Novembre, 2006.

مولاي إدريس شداد

الغطاء النباتي بالصحراء : تبدو الصحراء كما لو كانت أرضا قاحلة لا تتوفر على أي تنوع أحيائي يُـذكر اعتبارا لمميزاتها المناخية التي تنطوي على كثير من القساوة والعدوانية. في هذه المقاربة سنحاول تسليط الضوء قدر الإمكان على هذا المجال، وخاصة مميزات غطائه النباتي. جديـر ذكـره أن الإحاطة بموضوع التنوع الأحيائي بكل أشكاله بات ضروريا، من أجل النهوض بسياسة تنموية مستدامة تراعي التوازنات البيئيـة، خدمـة للإنسـان و المجال. لقد تعمدنا أن يشمل الجرد النباتـي بالإضـافـة إلى الأقاليـم المسترجعة بعد سنـة 1975، مجمـوع المناطـق الجافـة الواقعـة جنـوب مرتفعات الأطلـس الصغير ؛ بالنظر لما يميزها

من تشابه في الخصائص المناخية والنباتية ؛ حيث يعرف هذا المجال معدل تساقطات مطرية لا تتعدى 100 مم في السنة.

نشير إلى أن ما سيتم عرضه هنا سوف يقتصر على الأنواع القُنوية Cryptogames vasculaires ؛ باعتبار أن الجرد الشامل والدقيق لنبيت الصحراء ما زال لم يكتمل بعد ؛ ومن ثم وجب التعامل مع جل الأرقام التي سترد بشأنه بكثير من الحيطة والحذر. وهكذا فعند استقرائنا للمعطيات المتوفرة، نجد أن كُيني وسوڤاج (Guinet & Sauvage 1945) مثلا قد قدما ما ينيف عن 250 نوعا نباتيا في منطقة الحمادات الممتدة على مساحة 100.000 كم^2 ؛ أما ماتيز و سوڤاج (1975 Mathez & Sauvage) فقد أحصيا نحو 300 نوع على مساحة تقدر ب 30.000 كم^2 في إقليم طرفاية. وفيما يخص الصحراء المسترجعة التي تناهز مساحتها 330.000 كم^2، فقد اكتفى گينيا (Guinea 1949) بجرد حوالي 300 نوع ؛ بينما قدم بيروك و ولوڤال والتازي (Birouk, Lewalle, & TaziI 1991) قرابة 80 نوعا نباتيا.

وتبقى أغلب التقديرات دون الحقيقة، والمعطيات المتوفرة لدينا تفيد بأن المجال الصحراوي كما سبق تحديده يأوي حوالي 730 نوعا، موزعا على ما يقرب من 400 جنس و81 عائلة ؛ إضافة إلى عدد من الأصناف التي أشار إليها عدد من الباحثين من دون تدقيق مواطنها، والتي تستلزم التأكد من صحة وجودها في مجالنا الصحراوي. هذا وتحوي كل من عائلتي النجيليات Graminacées والمركبات Composées ما يعادل 110 أنواع، موزعة بالتتالي على 61 و59 نوعا و22 جنسا ؛ والسرمقيات Chénopodiacées ب 44 نوعا و17 جنسا، وكذا الصليبيات Crucifères ب 43 نوعا و26 جنسا ؛ فيما تضم 14 عائلة أخرى ما بين 10 و33 نوعا لكل منها، موزعة ما بين جنسين إلى 18 جنسا ؛ أما العائلات المتبقية، فتضم كل واحدة منها أقل من 6 أنواع.

وعلى مستوى الأجناس يأتي الفربيون *Euphorbe* في الصدارة في 16 نوعا، يليه أسطراغالوس *Astragalus* في 12 نوعا، فيما يمثل كل من جنسي صالصولا *Salsola* من السرمقيات وستيباغروستيس *Stipagrostis* من النجيليات 11 نوعا ؛ ويمثل باقي الأجناس ما بين نوع واحد و9 أنواع. ويشمل نبيت الصحراء قرابة 100 نوع نادر، أكثر من نصفه يمكن اعتباره نادرا جدا ؛ ومعظم هذه الأنواع لا توجد إلا في الجزء الشمالي من المجال الصحراوي. من ضمنها عديد من الأنواع القبيسة التي لا تصادف إلا بهذا الركن من العالم؛ منها على سبيل المثال : أذن الحلوف *Limonium weygandiorum*، أتيك *Lotus simone*، السدرة البيضاء *Teucrium chardonianum*، لعراض *Salsola gemnascens*، طزية *Asphodelus gracilis*، إيميم *Reseda battandieri*، الركم *Traganopsis glomerata*، الكشحان *Limonium asperium* ; *Limonium chrysopotamicum*.

يجدر التنبيه في هذا السياق، إلى أن نبيت الصحراء يشمل ما يزيد عن 60 نوعا قبيسا ؛ يوجد أغلبه في الجزء الشمالي من المجال الصحراوي (حوض درعة، منطقة طرفاية وجنوب سيدي إفني). وهناك ما يقرب من 36 نوعا قبيسا مشتركا مع الغرب الجزائري، و13 نوعا مع الجزر الخالدات، و11 نوعا مع موريطانيا، ونوعين فقط مع شبه الجزيرة الإيبيرية. فيما نجد أن الجزائر وجزر الخالدات وشبه الجزيرة الإيبيرية من جهة، والجزائر وجزر الخالدات وموريطانيا من جهة أخرى يشتركون مع المغرب في نوع قبيس واحد. أما على مستوى الأجناس فهناك حوالي 10 أجناس قبيسة، جلها مشترك بين الغرب الجزائري والمغرب. ونظرا لكون الأنواع القبيسة تشكل العنصر الفريد الذي يميز الصحراء على مستوى التنوع الأحيائي، فإن هذا يستلزم أخذ جميع المبادرات للتمكن من الحفاظ الطبيعي عليها حماية لها من الانقراض. ورغم أن أصل غالبية هذه الأنواع متوسطي، إلا أن أصل عدد من أنواع الرطيطيات (Zygophylacées) هو المجال الصحراوي - العربي ؛ كما أن أصل أنواع جنسي ليمونيوم *Limonium* وليمونياستروم *Limoniastrum* من عائلة Plumbaginacées هو المجال المكارونيزي، فضلا عن بعض الأنواع الأخرى ذات الأصل المداري.

وبالنسبة لوصف الغطاء النباتي، فمن المعروف أن الطيف البيولوجي Spectre biologique للمناطق الصحراوية يتميز بطغيان النمط الأحيائي الحولي (البذريات Thérophytes) الذي يمثل حوالي 50% ؛ في وقت تتوزع باقي الأنماط كما يلي : الطمير Cryptophytes 10%، نصف - الطمير Géophytes 15%، القزميات Chaméphytes 15% والباديات 10%. وهكذا فالصحراء تبدو كما لو أنها أرض جرداء موات ؛ لكن ما إن تغاث بالمطر حتى تزهر وتبدي زينتها. ومن هذا المنطلق نستنتج أن التشكيلات الحولية تكتسي أهمية كبيرة بالمناطق الصحراوية، ويمكنها تغطية كل المساحات تقريبا لمدة من الزمان قد تطول أو تقصر تبعا للتقلبات المناخية. أما بشأن الأنواع المعمرة Espèces vivaces فيبدو الأمر مختلفا، إذ يرتبط توزيعها الجغرافي بخاصيات الوسط البيئي (التربة، الرطوبة، الحرارة...) ومدى قدرتها على التكيف ؛ علما بأن عامل الحسم في هذه الحالة يظل مرتبطا برطوبة التربة أو الهواء، أو هما معا على مدار السنة. والملاحظ بالنسبة للأقاليم الجنوبية، أن التشكيلات المعمرة الأكثر حضورا توجد بالشريط الساحلي، وبالمعاذر والگرارات، وعلى ضفاف الأودية ومجاريها ؛ خاصة واديي درعة والساقية الحمراء. ومن بين الأشجار أو الشجيرات الرئيسية لهذه التشكيلات نذكر : الفربيونات العصارية أو الشجيرية Euphorbes succulentes ou arbustives، الطلح، شداري، عاتيل، تيشيت، إگنين، الطرفاء، الزيات، كوزيم، توزرة. ونظرا لما لهذه الأنواع من أهمية بيئية وسوسيو- اقتصادية، فسنعمل على بسط بعض المعلومات عنها، بما في ذلك توزيعها الجغرافي بالصحراء المغربية وخارجها :

- الفربيونات العصارية أو الشجيرية : نستعرض هنا ثلاثة أنواع هامة بالمناطق الصحراوية، وهي الفرنان *Euphorbia balsamifera Aiton*، والضغموس أو تيكيويت *Euphorbia subsp. Echinus*، و أفضير *Euphorbia obtusifolia subsp. Rejis-jubae*. النوع الأول ذو امتداد جغرافي كبير جهة الشرق، حيث نجده بمعظم دول الساحل الإفريقي حتى شبه الجزيرة العربية ؛ فيما يعتبر النوعان الآخران قبيسان بالجنوب المغربي وجزر الخالدات. هذا التوزيع يعكس بطبيعة الحال بعض الخاصيات البيئية للفربيونات الثلاثة ؛ فالفرنان يعتبر شجيرة صحراوية بامتياز، في حين يقتصر وجود الضغموس وأفضير على الضفة الغربية للصحراء، حيث ترتفع نسبة الرطوبة في الهواء بتأثير من المحيط الأطلنتي. تنمو هذه الأنواع فوق تربات غالبا ما تكون صلبة أو صخرية، وتنتظم في تشكيلات متميزة بمظهرها العام عن باقي الأنظمة البيئية الأخرى. وبالنسبة للجانب الاقتصادي نجد أنها كلها تستعمل في الطب الشعبي ؛ كما يوفر أفضير والفرنان أيضا الكلأ للماشية.

- الطلح : هناك ثلاثة أنواع تنتسب لجنس أكاسيا *Acacia*، تنمو طبيعيا في المناطق الصحراوية والجافة وشبه الجافة : الطلح *Acacia tortilis subsp. raddiana*، وتحلات أو تمتات *Acacia ehrenbergiana*، وأدول *Acacia gummifera*. النوع الأول (الطلح) هو الأكثر انتشارا ؛ يعد شجر الصحراء بامتياز، وهو معروف من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي. يمكنه أن يتجاوز 10 أمتار من العلـو ويستطيع النمـو في أوساط مختلفة ؛ من جملـة فوائده توفير الكـلأ للماشية، وإنتـاج الخشب، وكذا استعمالـه في الطب التقليـدي، وأكـل ثماره في حالة الضرورة.

- شداري *Rhus tripartite* : هو ثالث نوع لجنس *Rhus* بالمغرب وأكثرهم تحملا للمناخ الصحراوي ؛ تغطي رقعته الجغرافية مساحات شاسعة بكل دول شمال إفريقيا وغرب آسيا. شكله شجيري كثير التفرع ؛ تتراوح قامته بين 2 و 5 أمتار وهو قادر على النمـو فوق التربات الصخرية والرملية على السواء. تقتات منه الماشية وحتى الإنسان عند الضرورة ؛ ومن منافعه أيضا انه يعطي الحطب للتدفئة وطهي الطعام، ويستعمل في الطب التقليدي.

- عاتيل *Maerua crassifolia* : هذا النوع هو الممثل الوحيد لجنس *Maerua* بالمغرب ؛ لا يبدو أن هناك خاصية بيئية معينة لعاتيل الذي غالبا ما ينمو في شكل شجيرات متباعدة. له نفس منافع النوع السابق، إضافة إلى ميـزة أخرى يعرفهـا سكـان الصحراء انطلاقا من أقاليمنا الجنوبية حتى شبـه الجزيرة العربيـة فيستعملـون الأغصان الصغيرة لحك الأسنان من أجل تنظيفها وتلميعها.

- تيشييت *Balanites aegyptia* : هذا النوع قد يأتي في شكل شجيرات قصيرة القامة أو أشجار وارفة الظلال ؛ يعد نـادرا إلى حد ما بالمغـرب مقارنـة مع دول الساحل الإفريقي (موريطانيا، السينغال، النيجر، نيجيريا، تشاد والسودان)، حيث يحمل اسم "هذ جُليدج". عرف لأول مرة في مصر ومنها اشتق اسمه *aegyptia*. له فـوائد كثيرة بالنسبـة للإنسـان، لا سيما في الطب التقليـدي، وكذا استعمـال ثماره المغذيـة التي ينعتهـا الأهالي ب "ثمور العبيد".

- إگـنين *Capparis decidua* : ينتمي إگـنين إلى جنس الكبّـار الصحراوي، وينفرد بشكله الشجيري ؛ له قدرة كبيرة على تحمل صعوبة البيئة الصحراوية، وتمتد رقعته الجغرافية إلى حدود شبه القارة الهندية. يستغل بكثرة لتحضير أدوية تقليدية، كما يستعمل في تغذية الإنسان والحيوان.

- الطرفاء *Tamarix sp.* : كل أنواع الطرفاء الموجودة بالمغرب لها حضور بالمناطق الصحراوية، ومن المعلوم أن رقعة انتشار جنس Tamarix تشمل الصحراء الكبرى والمنطقة المتوسطية وغرب آسيا. نشير هنا أنه رغم صعوبة التمييز بين مختلف أنواع الطرفاء، نظرا لغياب خاصيات مورفلوجية واضحة ؛ فإن سكان الصحراء يفلحون جيدا في هذا التمييز، وينعتون كل نوع تقريبا باسم محلي خاص مثل : الطرفاء، الفرسيك، لتْل، أكوار. ومعظم أنواع الطرفاء شجرية، يرتبط وجودها بالتربات الرملية خصوصا على الوديان ومجاريها ؛ كما أن تحملها للملوحة يمكنها من غزو بعض السبخات والمساحـات المنبسطـة التي يتجمع فيهـا الماء موسمـيا. وخلافا لباقي الأشجار الصحراوية، تمتاز الطرفاء بنموها السريع ؛ الأمر الذي يجعلها كميات كبيرة من الخشب لإنسان الصحراء، علاوة على منافعها العديدة في مجال الطب التقليدي. كما تنفرد الطرفاء بكونها الشجر الوحيد الذي تعافه الماشية، إذا ما استثنينا نوع *Tamarix canariensis*.

- الزيات *Limoniastrum ifnience* : تنحصر الرقعة الجغرافية لهذا النوع بالمناطق الصحراوية لثلاث دول فقط، هي المغرب والجزائر وموريطانيا. الخاصيات البيئية لهذه الشجيرة تجعل منها نباتا مرتبطا بضفاف الأودية والسبخات ؛ حيث تجد الماء الكافي في عمق التربة ما دامت النسبة العالية للملوحة لا تعوق نموها ؛ ويوفر الزيات نصيبا لا بأس به من كلأ الماشيـة، باعتباره نبتة علفيـة أيضا.

- الـگـرزيم *Nitraria retusa* : يتطلب نمو هذه الشجيرة كمية لا بأس بها من الماء مقارنة مع الأنواع السابقة، وهذا ما يفسر ارتباط توزيعها بالأودية والمنخفضات التي تتجمع فيها مياه الأمطار. وتشمل الرقعة الجغرافية للـگـرزيم منطقة الصحراء الكبرى ودول غرب آسيـا ؛ ورغم احتواء هذا النبات على عناصر سامة، فـإن الأهـالي يعرفـون كيف يستخلصون منافعه في الطب التقليدي، وتوفير الغذاء للإنسان والحيوان.

- التورزة *Caloptris procera* : عبارة عن شجيرة معتدلة القامة (2 إلى 4 أمتار) ؛ تجذب الأنظار إليها بخاصياتها المورفلوجية المتميزة : أوراق واسعة وسميكة نسبيا، وأزهار كبيرة (2 - 3 سم)، وثمار بحجم

وشكل الخوخ تقريبا ؛ هذا إضافة إلى غزارة الحلباب (Latex) بها، الذي يبدو كسائل لزج. وتحتاج التورزة لكثير من الماء، مما يجعلها مرتبطة بمجاري الوديان ؛ حيث أن وجودها غالبا ما يؤشر على وفرة المياه الجوفية عند عمق يتراوح بين متر واحد و5 أمتار. وفوائد هذا النوع كثيرة بالنسبة للإنسان رغم أنه سام، علما بأن الأهالي لا يجهلون هذه الخاصية. وتشمل الرقعة الجغرافية للتورزة الصحراء الكبرى والمناطق المجاورة لها، وتمتد شرقا إلى شبه القارة الهندية.

وفيما يتعلق بالتكيفات الخاصة بنبيت الصحراء، من المعلوم أن الطيف البيولوجي هنا يتميز بهيمنة البذريات (الحوليات) كما سبقت الإشارة لذلك ؛ حيث يعكس هذا الصنف استراتيجية تكيفية ناجعة تجاه الظروف المناخية السائدة. فالبذريات تظهر مباشرة بعد هطول الأمطار، حيث تنجز دورتها البيولوجية حسب وفرة الأمطار في مدة تتراوح بين 15 يوما و4 شهور. ويتمثل النشاط الرئيس للبذريات في العمل على إنتاج جيل جديد من البذور في آخر دورتها الإنباتية، لتودعه في الأرض في انتظار الهطول المقبل للأمطار. ويطلق على الشكل الذي يعمر طويلا منه النبات اليأفوفي Ephémèrophytes والذي يسميه أهالي الصحراء "العشب" ؛ حيث ينعتون الأخضر منه "ارْبيع" وحين يصفر يصفونه ب "اِزْميد"، وعندما يصير يابسا يقال له "الحشيش". ونفس الملاحظات تسري تقريبا على أنماط الطمير ونصف الطمير من النبات، التي تتميز بتخزين المواد العضوية في أعضائها تحت - الأرضية (الجذور) ؛ وتشترك الأنماط البذرية والطمير ونصف - الطمير في كونها نباتات خضراء، تذبل وتموت كلها أو بعض أعضائها فوق - الأرضية مع اشتداد الجفاف. وفي المقابل تصمد النباتات الليفية (المتخشبة) بما في ذلك أعضاؤها فوق - الأرضية، خاصة القزميات والباديات ؛ وتبدي هذه الأنواع تكيفات أخرى تدخل ضمن استراتيجية بديلة ترمي، من جهة، إلى تقوية جهاز الجذور للتمكن من البحث عن الماء ؛ ومن جهة أخرى، إلى الحد من النتح والتبخر، عبر تخفيض المساحات الخضراء وخاصة الأوراق. وتتخذ هذه النباتات عدة أشكال نذكر منها :

- الأنواع الحَبنية Sclérophylles، التي تبدي تصلبا قويا على مستوى أدمة الأوراق لأجل الحد من النتح ؛ وغالبا ما تتخذ شكلا متقوقعا أو نصف - كروي، مثل كرنب بوعمامة *Fredolia aretoïdes*..

- الأنواع الصبارية أو العصارية Succulentes، التي تتميز بتخزين الماء داخل أنسجة خاصة من سيقانها. الأوراق عندها إما شبه منعدمة أو إبرية ؛ وقد اكتسبت هذه الخاصية أنواع عديدة تنتمي لعائلات مختلفة منها أنواع الفربيون (الفربيونات Euphorbes)، وتدنوار Caralluma من عائلة الصقلابيات Asclépiadacées.

ويطلق الصحراويون على النباتات الليفية اسم "السدرة"، وينعتون "الحطب" الجزء المتخشب منها، و"اسمو" الجزء الأخضر الذي ينمو بعد هطول الأمطار، والذي يشكل عند العديد من الأنواع كلأ دسما لتغذية الإبل ومساعدتها على تحمل العطش وزيادة كتلة اللحم والسنام.

ومما لا شك فيه، أن الظروف البيئية بالوسط الصحراوي قاسية جدا نظرا لقلة الأمطار بالدرجة الأولى، وما ينتج عن ذلك من ندرة في الموارد البيولوجية الطبيعية. وهذه الصعوبات دفعت الإنسان الصحراوي إلى الاجتهاد لاستغلال كل ما هو موجود من وحيش ونبيت من أجل ضمان عيشه وراحته ؛ وهكذا نلاحظ أن الذاكرة الشعبية بهذه المناطق غنية بالتجارب والمعلومات عن النبات. إذ ليس هناك نوع غير نافع بالصحراء، بل كل الأنواع معروفة تقريبا لدى الأهالي بأسمائها وخاصياتها ؛ وإن كانت أهمية هذه الأنواع تتحدد في الغالب بما هو صالح ككلأ للماشية، الإبل خاصة، أو مغذ أو صالح للتداوي.

- الرعي : يعتمد نظام الحياة عند الإنسان ببادية الصحراء على النشاط الرعوي كمورد أساسي للرزق ؛ فأكثر من 200 نوع نباتي توفر الغذاء للماشية ومعظمها عشبي (بيروك، لوقال والتازي 1991)، لكن الأشجار والشجيرات التي تعرضنا لبعضها أعلاه لها أهمية قصوى خلال فترات القحط، حيث تبقى المصدر الوحيد للكلأ.

- التغذية : هناك حوالي 80 نوعا نباتيا يستعمل بطريقة أو بأخرى كغذاء للإنسان الصحراوي : الثمار، الأوراق... علما بأنه من الصعب حصر العدد الحقيقي ؛ لأنه بدون شك متغير بناء على توفر مصادر أخرى للطعام أو عدمها. ومن المؤكد أن ثمة أنواعا من النبات لا يلجأ إليها الإنسان إلا لسد رمقه في حالة الضرورة القصوى.

- الطب التقليدي : لا نحتاج هنا للحديث عن مدى ثراء تجربة الصحراويين فيما يخص التداوي بالأعشاب والنباتات الطبية. فكلنا نعلم أنه مضى زمن ظل كثير منهم يجوب الصحراء من أدناها إلى أقصاها، عارضا ذخائرها النباتية، يُفيد ويستفيد. واليوم ما زالت هذه المهنة تحتفظ بأهميتها إلى حد ما ؛ وتعطي فكرة جلية عن الأهمية الاقتصادية للنباتات الصحراوية على أكثر من صعيد.

إن من شأن هذا العرض السريع أن يكون كافيا لإعطاء فكرة واضحة ومفيدة على نبيت الصحراء ؛ ولعل أبرز ما يجب التذكير به في هذا الصدد النقاط الثلاث التالية :

- أهل الصحراء أدرى بوسطهم وترابطهم به علاقة وطيدة جدا أكثر من أي جهة أخرى ؛ وهنا تبرز الحاجة الملحة لدراسة علمية لهذه العلاقة وتقييمها، من أجل ضمان استغلال أحسن للثروات الطبيعية بالصحراء في إطار تنمية مستدامة تراعي ظروف الإنسان والإمكانيات التي يتيحها المجال.

محمد بن تاتو ومحمد فنان، الثروة النباتية بالمناطق الصحراوية : معلومات عامة، *مجلة المناهل*، 1997، عدد خاص بالأقاليم المغربية الجنوبية، ص. 471 - 488، إصدار وزارة الثقافة.

Quezel, P. & Barbero, M. 1993 – Variations climatiques au Sahara et en Afrique sèche depuis le Pliocène : Enseignements de la flore et de la végétation actuelles. *Bull. Ecol. 24 : (2-4) : 191-202* ; Ozenda P. 1977 – *Flore du Sahara*. 2ème édition. CNRS, Paris ; Mathez J. & Sauvage ch. 1975 - Catalogue des végétaux vasculaires de la province de Tarfaya. In «Contribution à l'étude scientifique de la prov. De Tarfaya». *Trav. Inst. Sc. Chérif. et Fac. Sc. Sér. Génér. 3 : 117-196 ou Cah. Rech. Agr. 33 117-*196, Rabat ; Sauvage C. 1949 – Les reliques de la flore tropicale au Maroc. *Bull. Soc. Nat. Maroc 29 : 117-130 ; Monod T. 1946 – Contribution à l'étude du Sahara occidental,* 2ème *fasc. Phanérogames*. Publ. Comm. et Hist. & Sc. A.O.F. 5 : 55 - 217.

إدريس شحو

غلام (الشيخ -) **محمد** ولد **أحمدو**، ولد سنة 1335 / 1917 في منطقة أدرار سطف بالصحراء المغربية. عاش وترعرع في بيت علم وصلاح بين أبيه أحمدو ولد علي ولد محمد المختار ولد أحمد ولد سيد المصطف من قبيلة تندغة الصحراوية الشهيرة بعلمائها وصلحائها، وأمه السيدة سكينة بنت محمد آبه اليعقوبية من قبيلة أهل الفغ موسى المشهورة بالعلم في المنطقة والتي ينتمي إليها شاعر تيرس الشهير محمد ولد الطالب اليعقوبي دفين انتاجاط (أوسرد).

ويعتبر الشيخ محمد غلام امتدادا لزاوية جده الرابع الشيخ أحمد ولد سيد المصطف، دفين تيارت، إقليم وادي الذهب، وكذا لزاوية والد القبيلة سيد المصطف التندغي دفين "دومس" في تيرس.

حفظ القرآن الكريـم في سـن مبكـرة على يد جدته (أم والده) الولية الصالحة آمنة بنت يوسف ولد اخويبر (ت. سنة 1344)، المعروفة بالصلاح وبث العلم وتحفيظ القرآن الكريم في منطقة ادرار سطف خاصة لدى قبائل أولاد دليم وأبناء أبي السباع والقرع وأهل بارك الله، وكذلك لدى قبيلة أهل لمحمد، كما أخذ العلوم الشرعية والعربية في بيت والده أحمد وولد علي المتوفى سنة 1350 وعلى يد خاله محمد الأمين ولد أبوه اليعقوبي، ثم انتقل إلى محضرة الشبيه ولد أبوه اليعقوبي حيث اخذ عنه الكتب المعتمدة في العقيدة الأشعرية، مثل مقدمة ابن عاشر في كتابه "المرشد المعين" وكتاب "*إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة*" للإمام المقري، كما أخذ عنه متون الفقه المالكي المعتمدة في المحاضر الصحراوية، مثل مختصر خليل، والعاصمية، والكفاف لمحمد مولود ولد أحمد فال اليعقوبي وغيرها.

وأخذ أيضا عن مجموعة كبيرة من علماء عصره مثل العلامة أحمد زروق واحميدي ولد باهية وأحمد ولد أبّـيْ من علماء تندغة، وغيرهم، وكانت له صلات قوية مع مختلف الأوساط العلمية والروحية في منطقة الصحراء المغربية، حيث كانت له علاقات قوية بابن عمه الشيخ عبد العزيز ولد الرباني، وكذلك بأسرة أهل الشيخ ماء العينين، وخاصة الشيخ الولي، وأسرة الشيخ محمد المامي، وأهل محمد ولد محمد سالم وغيرهم.

عرف هذا الشيخ بسعيه في الإصلاح بين الناس ولـمّ الشتات وتقريب المواقف والوفاء بالعهد، كما عرف بإشعاعه العلمي والروحي في منطقة أدرار وتيرس ومدينتي الداخلة والـﮕويرة، حيث أخذ عنه العديد من كبار التلامذة في الصحراء المغربية وموريتانيا.

توفي سنة 1996 في منطقة تيجرت الموريتانيـة، ودفن في بلـدة "كريم الظمران" التابعة لنواديبو حيث أقيم له ضريح يؤمه الزوار من مختلف الآفاق الصحراوية والموريتانية.

محمد الظريف

الغلاوي، محمد بن **أحمد** : هو المجاهد والعالم والأديب محمد بن أحمد بن سيدي أحمد بن محم بن أحمد الملقب حبت الغلاوي. ولد سنة 1860 وتلقى جميع العلوم على والده السيد أحمد "الذي كان من العلماء الأجلاء وكانت بينه وبين الشيخ ماء العينين صلات قوية ومحبة في الله، وفي زمنه ازدهرت مكتبة أهل حبت وبلغت أوجها وأصبحت تضم مئات المخطوطات في مختلف أصناف العلوم. وفد على الشيخ ماء العينين بمدينة السمارة سنة 1900 وأخذ عنه الطريقة وجميع العلوم من فقه وأصول وتفسير وتصوف ونحو وعروض وبلاغة وفلك وأجازه إجازة تامة شاملـة لا تتقيـد بشرط ثم صدره وخيره بين البقاء معه إن شاء أو الذهاب إلى مكان يريده فاختار البقاء معه.

في سنة 1906 انخرط في سلك الجهاد مع الشيخ حسن بن الشيخ ماء العينين وشارك في عدد من المعارك كالنميلان وآدرار وتجكجة ودامان والمينان وكان من حين لآخر يحمل رسائل الشيخ ماء العينين المتعلقة بأمور الجهاد إلى الشيـخ حسن. وقد نظم في هـذه الفتـرة قصائد شعرية كثيرة في الحث على الجهاد والهجـرة والالتحاق بالشيخ ماء العينين الذي يقود الجهاد والمقاومـة ضد الاستعمار الفرنسي، منها هـذه القصيـدة الطويلة التي يحث فيها الناس "على عدم الدخول تحت أحكام النصارى لعنهم الله ويحذرهم منها ويأمـرهم بالهجرة والاعتصام بحضرته الشريفة إن أرادوا النجاة ويمدحه" يقـول :

شمر لذا الخطب وانصر كل شمار   لله واصبر وعاود كل صبـــار
واصبر على حد ثان الدهر وارتحـلن   عن اللعين تفز عن كل فخـــار
ثم امتثل قول ربي كي تنال رضـى   وقاتلن كل نصراني وصنـــدار
والله حض عليهم في الكـتاب وقـا   ل : قاتلوهم يعذبهم فكا لشـاري
واحذر وجانب لمن كانت كتابتـه   عند النصارى فلا تغرر بالاوطـار
إنا كتـابتنـــا عند الالــــه ولا   نبغي به بدلا تنجي من الطـاري
لأنه قـــال : قاتلهـم قتالهـــم   عز دعا شرفا للقاتل الضـــاري
وقــال ذاك بآيـــات مكـــررة   قد بينت في كتاب صح للقـاري

إلى أن قـال :

إن كنتم مومنيـــن اليوم تركهـــم   دين وبعدهم فرض للأبرار
وهاجـــروهم لأرض الدين قاطبـة   للفوز عند رزاق وغفـــار

وهي التي افتخرت بالعـز إذ شرفـت به كما أطنت منه بالأذكـار

الشيخ ماء عيون القطب إذ ظهـرت عيونه اتبعت ماء كالأنهـار

في سنة 1909 رحل مع الشيخ ماء العينين إلى مدينة تيزنيت وبعد وفاته انخرط في سلك الجهاد مع الشيخ أحمد الهيبة ومع أخيه من بعده الشيخ مربيه ربه وبعد نهاية المقاومة المسلحة في منطقة سوس رجع إلى الصحراء واستقر في تيرس وكان ينتقل بينها وبين آدرار وانشغل بقية عمره بالزهد والعبادة والعلم والكتابة.

خلف أعمالا أدبية وعلمية متنوعة منها :

"مضي الآفاق على نظم شمس الاتفاق" شرح فيه نظم شمس الاتفاق للشيخ ماء العينين و"هداية الحيارى على حكم من غلب على وطنه النصارى" وشمس الاتفاق على من استعاذ من النفاق" و"الآثار النبوية والشمائل المصطفوية في السيرة النبوية" و"شرح جواهر النقل على فاتح الشكل في آداب الشرب والأكل" وشرح على أسماء الله الحسنى" و"رسائل في الحث على الجهاد"، بالإضافـــة إلى ديوانــــه الشعـــري في مختلف الأغراض الشعريـــة.

قال عنه الشيخ محمد الغيث النعمة بن الشيخ ماء العينين : "العالم القاضي الفقيه الأديب السيد محمد بن أحمد بن سيد محمد بن حبت، الشهير الذكر الكبير القدر، كان من رؤساء قومه وعلمائهم الذين يلتجئون إليهم في مهماتهم ويعولون عليهم في أمورهم، وله محاورات في المحافل كثيرة وكان حديـد اللسان سريـع الجواب بالبيان وله تآليف فـي الفقـه وغيره وأشعــار بعضها على النبي (ص) والبعض في أنماط شتى من فنون البديع وشهرته في قومه تغني عن التعريف به عندهم، ووالده وجده كلاهما من أعلم أهل بلده وأشهرهم وجده هو صاحب المواهب في علم النحو واختصاره لأبيه وأبوه كان من المنقادين لحضرته الشريفة أي حضرة شيخنا الشيخ ماء العينين الناصرين الناصرية لطريقته".

توفي سنة 1372 / 1952.

الشيخ ماء العينين، *أمراء وعلماء في مواجهة الاستعمار الأوربي*، الطالب أخيار بن مامينا، الطبعة الأولى، 2005، مطبعة بني إزناسن، سلا، *رسالته التي بعث بها* إلى الشيخ أحمد الهيبة يطلب منه الإجازة وإجازته له، خزانة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ الشيخ محمد الغيث النعمة بن الشيخ ماء العينين، *ديوان الأبحر المعينية في بعض الأمداح المعينية*، تحقيق، الدكتور أحمد مفدي، تحت إشراف الدكتور عباس الجراري، دبلوم الدراسات العليا، مرقون بخزانة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، السنة 1975 - 1976.

ماء العينين النعمة علي

الغلاوي، محمد بن عبد العزيز حامن :

هو المجاهد والشاعر والقاضي والعلامة الكبير "علم الأعلام، البطل الهمام، العالم العامل المشارك، الفاضل المحقق، الثبت المدقق، الراسخ الأبر، المتحلي بالجهادين الأصغر والأكبر الفقيه سيدي محمد بن عبد العزيز" بن إبراهيم بن أحمد الملقب بحامن الذي ينتمي إلى قبيلة الأغلال. وأمه هي الكريمة الشريفة عزيزة بنت ابن التي تنتمي إلى قبيلة إدا وعل. ولد في سنة 1284 الموافق سنة 1864 في شنقيط ونشأ في وسط علمي وأدبي وديني كان له دور كبير في تكوينه. فقد تلقى تعليمه الأولي على يد عمه الشيخ بن حامن الشهير في شنقيـط، فبدأ بحفظ القرآن الكريم ثم أتبعه بالعلوم الأخرى من فقه وتصوف وتفسير وأصول وبلاغة وشعر وعروض ومنطق وحساب وفلك وبيان "وكثير من الفنون حتى برز على جميع معاصريه وفاقهم وقدمه الشيخ المذكور على جميع أولاده والمتعلمين عليه".

في سنة 1311 الموافق سنة 1891 التحق بالشيخ ماء العينين فوجد عنده ما كان ينشده من علم وتصوف وأصول وفقه وولاية وعلوم أخرى لم يكن يعرفها. وكان شيخه الذي درسه من قبل يلح عليه وعلى أبنائه جميعا بوجوب الأخذ عنه. يقـول : "سرت من مصر شنجيط ولا علم لي بأحد فيه يفوقني في فن. فلما أتيت أهل شيخنا وجدتني أنا هو أجهـل من عنـده من النـاس فعلمت أنه لا ينبغي لعاقل أن يفوته الدخول في زمرته فدخلتها والحمد لله على ما أعطانا بذلك". فتلمذ عليه وأخذ عنه من جديد "وأعطاه الإجازة المطلقة في القرآن وغيره من العلومّ وأذن له بالتدريس في زاويته "وكان حسن الإقراء وانتفع على يده خلق كثير". ورتبه بعد ذلك للقضاء وجعله كاتبا وقربه غاية، وسمعته غير ما مرة يثني عليه بكثير من أنواع الثناء وكان يلقبه بالشيخ ويقول إنه يستحق ذلك. وله مناظرات كثيرة عن جناب نسبة شيخنا وإذا سمع بمنكر عليه، أتاه حتى يرد عليه ويبطل حجته بقواطع الأدلة، وله ذكاء مفرط مع التثبت وجودة قريحة ومهارة في فن أدب البحث وعلم الجدل وكان له مع ما تقدم في الفتوة والشجاعة والرمي والممارسة لحيل الحرب اليد الطولى والرتبة القعساء".

في سنة 1909 غادر الشيخ ماء العينين مدينة السمـارة متوجهـا إلى مدينـة تيزنيت بعد أن حاصرته القوات الإستعماريـة الفرنسيـة بسبب جهـاده ومواقفـه الوطنيـة فرافقـه وظـل ملازما له ملازمـة المريـد لشيخه لا يفارقـه في جميع أوقاته ولحظاتـه وأيامه ولياليه حتى توفي سنة 1910. وبقي بعده في هذه المدينة يشتغل بالتدريس والقضاء.

في سنة 1912 وبعد أن تولى الشيخ أحمد الهيبة بن الشيخ ماء العينين قيادة الجهاد في تيزنيت لمقاومة الاحتلال الفرنسي انخرط في حركته الجهادية وتقلب معه في عدة مناطق في سوس إلى أن استقر مع أواخر سنة 1913 بقرية كردوس التي تقع شرق مدينة تيزنيت. وبعد وفاة الشيخ أحمد الهيبة سنة 1919 ظل مع أخيه الشيخ مربيه ربه الذي تولى بعده قيادة الجهاد. وبقي طيلة هذه الفترة يشتغل بالقضاء والتدريس. وقد أسهم بدور كبير في ازدهار الحركة الفكرية والأدبية والدينية في منطقة سوس. وكانت له مناظرات ومساجلات ومراسلات مع أغلب علماء وأدباء وشعراء هذه المنطقة منهم الطاهر الإفراني وابنه محمد بن الطاهر وعلي بن عبد الله الإلغي ومحمد بن عبد الله الإلغي والحاج الحبيب البشواري وداود الرسموكي والحسن البونعماني وغيرهم.

في سنة 1934 وبعد أن أحكمت فرنسا سيطرتها الكاملة على الجنوب المغربي غادر كردوس إلى آيت باعمران حيث استقر بمدينة إفني و"لزم خويصة نفسه يدرس في المسجد ويخطب".

في سنة 1936 زار مدينة الرباط وشارك في الاحتفال بذكرى عيد المولد النبوي الذي ترأسه جلالة الملك محمد الخامس بمسجده الخاص في القصر الملكي.

في سنة 1947 كان من الرافضين لفكرة التجنيس التي حاولت السلطات الإسبانيــة المستعمرة فرضها على قبائل آيت باعمران حيث عبأ جميع السكان ودعاهم إلى الوقـوف بحزم وصرامـة ضد هـذه الفكـرة الاستعمارية الدخيلة.

في سنة 1949 عينه الخليفة السلطاني بتطوان مولاي لحسن بن المهدي في جمعية القضاة بآيت باعمران التي كانت مجلسا أعلى للقضاء في المنطقة.

في سنة 1953 دعا جميع سكان مدينة إفني إلى تنظيم مظاهرات احتجاجا على نفي الملك محمد الخامس، مما جعل عددا كبيرا منهم يتعرض للاعتقال والتنكيل والمضايقات التعسفية الظالمة.

ولم يكن محمد بن عبد العزيز عالما وأديبا وفقيها وقاضيا فحسب بل كان مجاهدا ومقاوما شارك في معارك حربية متعددة وقاد بعضها بنفسه منذ بدايات القرن العشرين حتى النصف الأول منه في الصحراء وسوس مع الشيخ ماء العينين ومع أبنائه من بعده. ففي سنة 1326 الموافق سنة 1907 دعا الشيخ ماء العينين جميع القبائل الصحراوية للجهاد والمقاومة "لما دخل النصارى الفرنسيون بلاد القبلة وقربوا من أخذ آدرار واستغاث أهل تلك النواحي به فأحسن رضي الله عنه إغاثتهم" ونجدتهم ولبى رغبتهم ودعوتهم وسير الشيخ محمد بن عبد العزيز مع أبنائه الكرام في الجهاد و"جعلوه مقدما على بعض الغزوات وفتح الله على يديه فقتـل وغنم وكان بطلا شجاعا مقداما مبارك الرأي ذا سياسة ومكائد في أمر الحرب" وهذا ما يؤكـده الشيخ مربيه به قائلا : "ومن أمـراء الغزوات الذي على يديــه أول الفتوحات الفقيــه سيدي محمد بن عبد العزيز". ومن أشهر الغزوات التي قادهـا :

أولا : غزوة دامان سنة 1908 "وهي أول غزواته وفيها قتل كابتن وهو الرئيس من النصارى وقتلت معه قومه عن آخرهم، ولم يسلم منهم إلا رجل واحد قص على النصارى قضيتهم فتيامن المسلمون بذلك وكبت الله به الكافرين ولله الحمد".

ثانيا : غزوة المينان "وهي أعظم الغزوات وتسمى بغزوة ابي ضرس وهو طاغية من طغاة الروم لأنه قتل فيها وقتل معه أربعون بطلا من قومه، ولم يمت من قومنا أحد وغنموا جميع ما عنده من سلاح وآثاث، وغنموا بوتاسارت من جملة ذلك وهو مدفع يضرب كل ناحية وفيه خمسة وعشرون عمارة ومن شاء جعل فيه مائة فأكثر ويضرب الجميع في أقل من دقيقتين". وقد تمكن المجاهد والقائد محمد بن عبد العزيز في هذه المعركة من قتل قائد الحملة الفرنسية "الكابتان مانجان" ونزع ضرسه الذهبية ليقدمها للشيخ ماء العينين بعد ثلاثة أيام من انتهاء المعركـة قضاها وحيدا بسبب جرح. ويقول عن ذلك "وبقيت أنا في المعركة مجروحا طيلة ثلاثة أيام ونصف يوم لم آكل ولم أشرب إلا نصف اليوم الأول شربت فيه والزمن زمن حر في يوليه وقد قيل لأصحابي أني استشهدت فلما رجع لي منهم ثلاثة وجدوني لا بأس علي لله الحمد والمنة". وقد أظهر في هذه المعارك الحربية "من الشجاعة والإقدام واليمن وبركة الرأي ما لا يوصف".

في سنة 1912 انخرط في حركة الجهاد التي تزعمها الشيخ أحمد الهيبة بن الشيخ ماء العينين لمقاومة المستعمر الفرنسي وشاركت فيها جميع القبائل السوسية والصحراوية في وحدة منسجمة ومتكاملة ولازمه في حله وترحاله وخاض معه معارك متعددة منها : معركة سيدي بوعثمان وشتوكة وماسة واستقر معه في أواخر سنة 1914 بقرية كردوس التي كانت تنطلق منها العمليات الحربية ضد الجيش الفرنسي وأعوانه حتى وفاته سنة 1919، ليتولى بعد ذلك شقيقه ورفيقه في الكفاح الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين أمور الحركة الجهادية فظل محمد بن عبد العزيز مرافقا له في جميع المهمات يخوض معه المعارك في مختلف المناطق السوسية ويوجه ويرشد ويؤطر إلى أن اجتاحت القوات الفرنسية الجنوب المغربي واحتلته احتلالا كاملا وجندت لها جميع الإمكانات الحربية من عـدة وعتـاد وطائرات وقاذفات لم تستطع القبائـل مواجهتهـا والصمود أمامها. وفي ظل هذه الظروف التي أفرزهـا التفـوق العسكري الفرنســي غـادر الشيخ مربيــه ربه قرية كـردوس متجها نحو طرفاية، وغادره محمد بن عبد العزيز متجها نحو إفنــي. وبذلك تنتهي أطـول وأهـم حركـة مقاومة عرفها تاريـخ المغرب الحديث.

توفي بمدينة إفني ليلة الثلاثاء عاشر ذي القعدة عام 1375 الموافق عام 1956 ودفـن في الروضة القديمـة التي توجد وسط المدينة قرب المسجد الكبير مع الولي الصالح سيدي إفني بعد حياة حافلة بالعطاء الأدبي والفكري والنضالي.

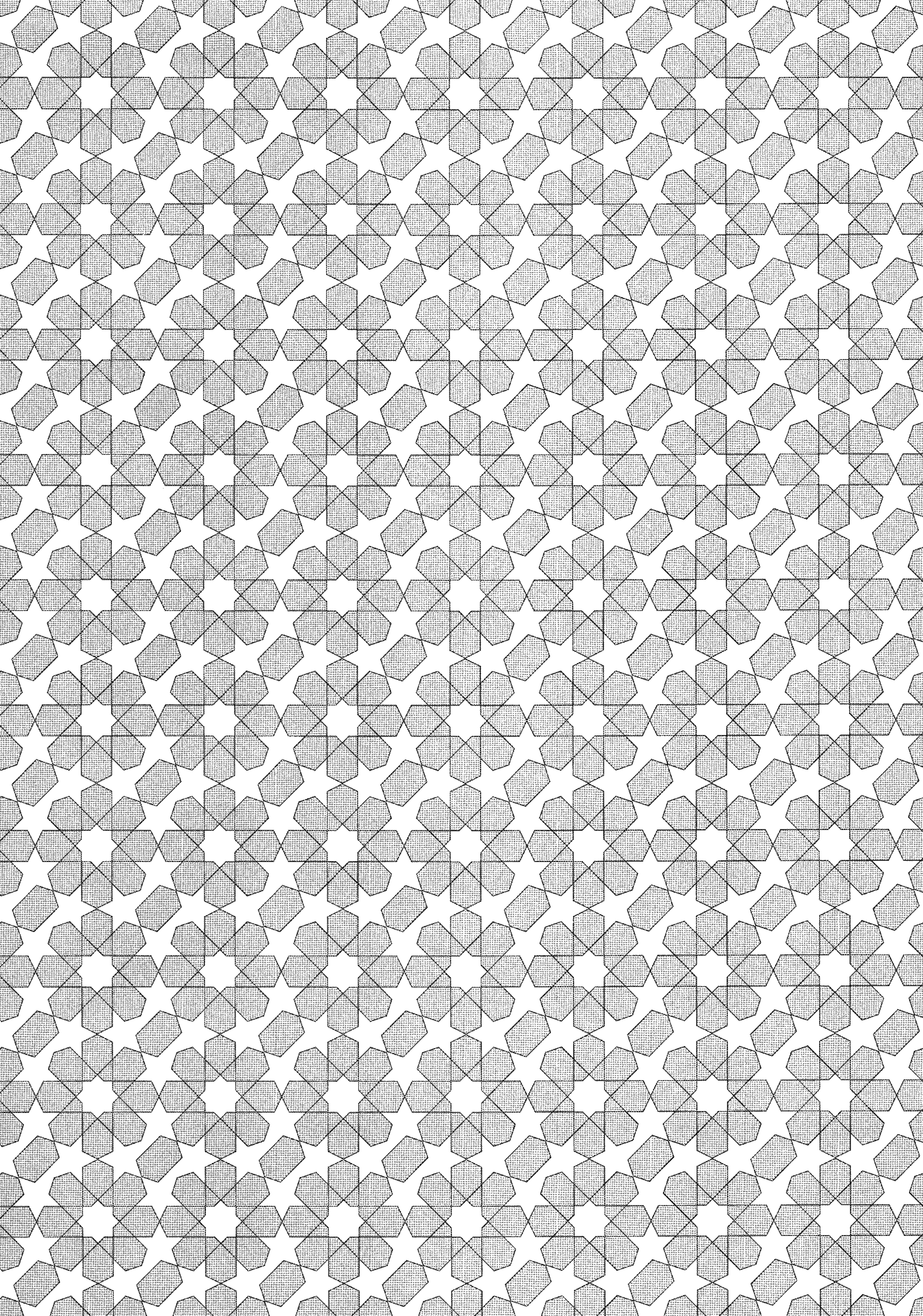
الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين، *قرة العينين في كرامات شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، خزانة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ محمد الأمين الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*، الطبعة الثالثة، نشر مكتبة الخانجي بمصر، د.ت.ط ؛ الشيخ محمد الغيث النعمة بن الشيخ ماء العينين ؛ *الأبحر المعينية في بعض الأمداح المعينية*، تحقيق، الدكتور أحمد مفدي، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، مرقونة بخزانة كلية الآداب، فاس، 1976 ؛ محمد المختار السوسي، *المعسول*، 4 : 299، مطبعة فضالة، المحمدية، د. ت. ط ؛ من وثيقة أرخ فيها المترجم له لبعض غزواته ضد الفرنسيين توجد في خزانة ابنه الأستاذ ماء العينين مربيه حامن بوجان ؛ جهاد الشيخ مربيه ربه والقبائل السوسية من خلال وثائق محلية، ماء العينين النعمة علي، أحمد بومزكو، *سوس والصحراء المغربية، تواصل ثقافي وحضاري*، الطبعة الأولى، 1419 / 1999، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

الغلاوي، محمد عبد الله : أديب وشاعر ولد سنة 1910 في موريتانيا وتلقى تكوينه العلمي على يد ثلة من قبيلة الأغلال. وعندما اجتاحت القوات الفرنسية موريتانيا اجتياحا كاملا هجرها ولجأ إلى زاوية الشيخ ماء العينين فصار من أبرز أعلامهــا وروادها. أسهــم بدور كبير في ازدهــار الأدب والشعر في الجنوب المغربي ولم يقتصر إشعــاع شعره وأدبه على الجنوب وحده بل امتد إلى المناطق الشماليــة وكانت له مع أدبائها وعلمائهــا محاورات علمية ومساجلات شعرية. فقد خلف أعمالا أدبية متنوعة من أشهرهــا رحلته إلى مدينة تطوان سنة 1947 وديوانه الشعري الضخم في مختلف الأغراض الشعريــة.

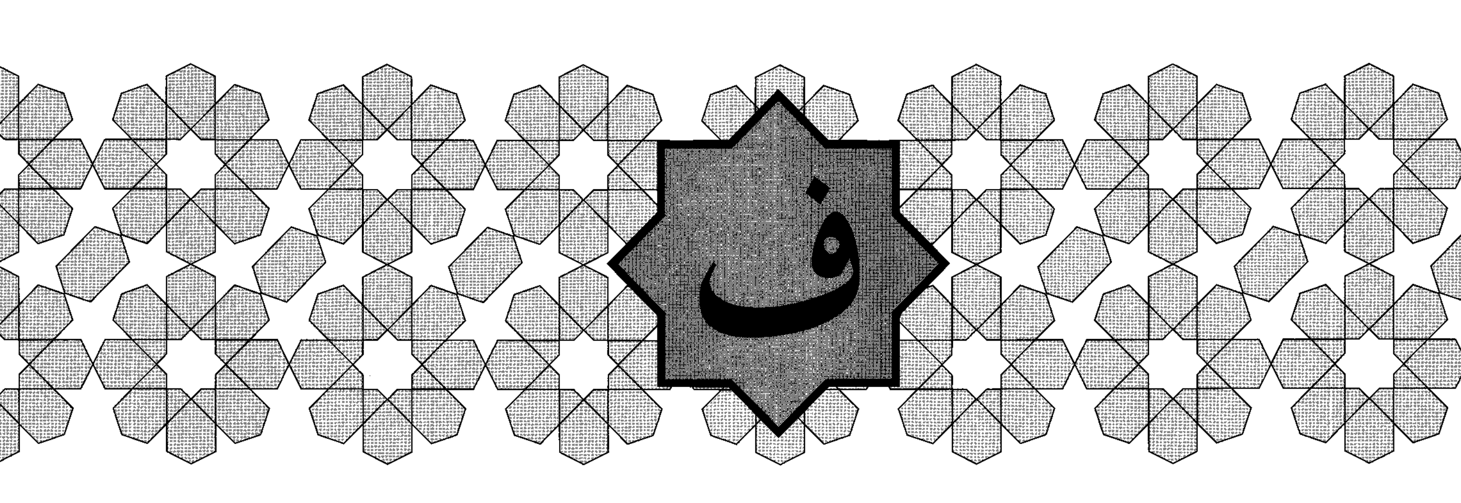
توفي يوم 16 فبراير سنة 1976 ودفن في مكان يسمى بولوتاد بالصحراء.

رواية شفوية.

ماء العينين النعمة علي






ف

الفاضلية : تنتسب هذه الحركة إلى الشيخ محمد فاضل بن مامين القلقمي الحسني الإدريسي المتوفى بالجريف ببلاد شنقيط سنة 1869. ولد سنة 1780 ببلاد الحوض في بيت اشتهر بالصلاح والعلم، هو بيت أولاد الجيه المختار، وهو بيت شريف ينتهي نسبه إلى الرسول (ص) حسب شجرة النسب التي تقدمها حوله كثير من المصادر *كرياض الجنة*، للعلامة عبد الحفيظ الفاسي، *وقرة العينين في كرامات الشيخ ماء العينين* للشيخ مربيه ربه، *وسحر البيان في شمائل الشيخ ماء العينين الحسان* لابن العتيق، وغيرها. أخذ العلم علي يد مجموعة من علماء الصحراء منهم الشيخ مصطفى الكيْحل والشيخ محمد الأغظف بن حماه الله والشيخ محمد الخليفة الكنتي وغيرهم. خلف مجموعة من الأعمال طبع بعضها على الحجر بفاس، منها "سيف السكت في الصلاة في أول الوقت"، و"سيف المجادلة" و"مطية المجد" في التصوف و"النور الساطع من أسماء الله الحسني". و"السر الدائم للمذنب الهائم" في الصلاة على النبي (ص) وغيرها.

وأبرز ما تتميز به هذه الحركة تلكم التجديدات التي أدخلها شيخها على القادرية بالإضافة إلى نشره لهذه التجديدات داخل عدد من الأقطار الأفريقية المحاذية للصحراء، بعد أن أصاب التحجر هذه الطريقة، وكادت تختنق أمام زحف التجانية فصار بهذه التجديدات يمثل طائفة متميزة في القادرية هي الطائفة الفاضلية.

ويلف الغموض ارتباط حركة هذا الشيخ بالقادرية واتصالها بشيوخها ففي الوقت الذي يتفق سائر الكنتيين على اتصالهم بالقادرية عن طريق المغيلي، تقدم هذه الطائفة سلسلة صوفية ملبسة، تختلف باختلاف شيوخها ولا تتصل بغيرها من الطوائف والفروع القادرية في الصحراء. فالشيخ سعد بوه يذكر في نظمه للسلسة الصوفية لهذه الطائفة أن جده الثامن سيدي يحيى أخذ القادرية عن الشيخ زروق، وأن آباءه تناقلوها عن هذا الشيخ إلى والده الشيخ محمد فاضل. ويخالفه الشيخ أحمد بن الشمس في ذلك، فيورد لهذه الطائفة سلسلة صوفية ثانية تتصل بالقادرية عن طريق الثعالبي الذي لقنها لشمس الدين الجد العاشر للشيخ محمد فاضل، بينما يؤكد الطالب بوي أن آباء الفاضلية هم أشياخها، وأنهم توارثوها أباً عن جد إلى النبي (ص).

وقد أوقع هذا الاختلاف في السند بين شيوخ هذه الطائفة بعض الدارسين الأجانب في شيء من الاضطراب والبلبلة، فذهبوا مذاهب مختلفة في ضبط سندها. فأوديت دوپوكودو Odette du Puigaudeau تعتبرها فرعاً من الكنتية وامتداداً لها، بينما يربطها پول مارتي Paul Marty بالغظفية تارة والكنتية وبحركة الشيخ سيديَّ تارة أخرى. ولعل اضطراب الأجانب في تحديد المشرب الصوفي لهذه الطائفة يعود بالأساس إلى اعتمادهم على ما يقدمه شيوخها من أسانيد مختلفة لها، دون فهم الأبعاد الحقيقية لهذا الاختلاف والتعدد، ومعرفة مقاصده وأبعاده.

فرغم تبني الشيخ محمد فاضل وأبنائه ومريديه للقادرية، وتفضيلهم لها على غيرها من الطرق الصوفية، فإنهم لم يقتصروا عليها وحدها في برامجهم التربوية، بل اعتمدوا على كل ما يسمو بالإنسان من آداب صوفية، شاذلية أو قادرية أو ناصرية أو نقشبندية دون تعصب مذهبي أو تحجر طرقي، فكانوا يمنحون لأتباعهم كل ما يطلبون من أوراد ويرغبون فيه من أذكار دون أن يلزموهم باتباع طريقة محددة أو يفرضوا عليهم التقوقع داخل طائفة معينة.

وترتكز هذه الطائفة في أساسها على مجموعة من المبادىء والأسس منها :

1 - عدم التفريق بين الطرق الصوفية. فلم ينسب إليها أي تعصب مذهبي أو تحجر طرقي، ولم يَشعْ عنها أي عداء لغيرها من الطوائف المعاصرة لها، بل تميزت بالتسامح والمرونة، فكان شيوخها يعترفون بفضل جميع الطرق الصوفية، ويحترمون شيوخها وآدابها وطقوسها، ويعتمدونها في تربية أتباعهم وتكوين مريديهم. لأن الطرق - في رأيهم - مهما اختلفت، ترجع إلى أمر واحد، وتسعى إلى غاية واحدة، وهي الفناء في مشاهدة الله، والنظر إليه عن كل ما سواه.

وقد خصصوا لتوضيح هذه القضية مجموعة من المؤلفات تعبر عن وعيهم بأبعادها وإدراكهم لخباياها. منها "*السيف المجادل*" للشيخ محمد فاضل، و"*الجواب الجيد في أسئلة المختار بن أحميد*" للشيخ سعد بوه و"*مفيد الراوي على أني مخاوي*" للشيخ ماء العينين و"*الحق المبين في أخوة جميع المؤمنين*" للشيخ موسى كمرا المتوفى سنة 1365 / 1945، وغيرها.

فالشيخ سعد بوه يستعرض في كتابه "*الجواب الجيد*" مجموعة من الطرق الصوفية المعاصرة له كالقادرية والناصرية والتجانية والشاذلية، وغيرها، ويشير إلى أنها مألوفة عنده مسلوكة، ويذكر الكتب المصنفة فيها، وكيفية تربية أشياخها لتلاميذهم، وطريقة معاملة التلاميذ للأشياخ، وغير ذلك من الخصائص المميزة لها.

ويؤكد الشيخ ماء العينين في كتابه "*مفيد الراوي على أني مخاوي*" وحدة جميع الطرق الصوفية، ويستنكر تنافر أهلها وتعصبهم ودعواهم أن كل واحد منهم أهدى من الآخرى سبيلاً، ويعتبر اختلافها مروقاً عن الدين وخروجاً عن النهج الإسلامي الذي سنه الرسول (ص) وسار عليه السلف الصالح لأن الطرق مهما اختلفت وسائلها، وتشعبت مسالكها تهدف إلى تحقيق غاية واحدة، هي السمو بالإنسان، وإخراجه من دائرة الشيطان، وترجع إلى أصل واحد، هو كتاب الله وسنة نبيه.

إني مخاو لجميع الطـرق	أخوَّة الإيمان عند المتقـي
ولا أفرق بين الأوليـاء	كمن يفرق بين الأنبيـاء
قال تعالى : المؤمنون أخوة	وعدم التفريق فيه أسـوة
لأفضل الخلق، بلا التفريـق	ففيه أسوة لدى الزنديـق

ويدين الشيخ موسى كمرا تعصب بعض الطرق الصوفية، وكبرياء بعض شيوخها. فليس - في رأيه - في المسلمين ما يشبه الأنثى والفحل وليس في عقيدتهم مذهب أولى من مذهب، ولكنهم متساوون أمام الله لا يتفاضلون إلا في التقوى والعمل الصالح.

2 - عدم التشدد في الأوراد والأذكار. فلا تفرض هذه الطائفة على أتباعها التقيد بورد معين أو الالتزام بذكر محدد، مثل التجانية والشاذلية والناصرية، وغيرها من الطرق والطوائف المتشددة في التربية، ولكنها تمنحهم كل الحرية في اختيار ما يشاؤون من أوراد، واستعمال ما يرغبون فيه من أذكار، لأن الشرع في رأي شيوخها - لم يأمر بلزوم ذكر واحد وترك ما سواه، ولا الالتزام بنوع من الطاعات، غير الفرائض لزوماً يكون تاركه آثماً أو في حرج من تركه، إلا ما فصلت السنة من ذلك في أبوابه الخاصة".

فكان الشيخ محمد فاضل لا يرى مانعاً في الذكر بأية صيغة من الصيغ، وفي أي وقت من الأوقات، لأن الله تعالى لما أمر بالذكر وأثنى على الذاكرين اشترط فيه الكثرة، ولم يشترط ذلك في سائر الأعمال، فقال : "آذكروا الله ذكرا كثيرا" الأحزاب : 4 "والذاكرين الله كثيرا".

ولم يكن الشيخ سعد بوه يرد من يطلبه ورد التجانية أو القادرية أو الناصرية، وغيرها من الطرق السنية، لأنه كان يحرص على تنفيذ الأمر بالتبليغ، ويكره رد السائل، ويخاف الكتمان ومنع الحكمة من أهلها.

وكان الشيخ ماء العينين لا يفرض على أتباعه لزوم نوع واحد من الطاعات أو العبادات أو الأذكار وترك ما عداه، أو الذكر على كيفية معلومة وصيغة معروفة يمتاز بها أتباعه عن غيرهم، بل يأمرهم بما أمرهم الله ورسوله به من أنواع الطاعة جميعاً، ويحثهم عليها بحسب استطاعتهم وإدامة ذكر الله تعالى كيفما لاق لهم، والإكثار منه بالقلب واللسان بإخلاص.

3 - الجهر بالذكر : تميل هذه الطائفة إلى الجهر بالذكر في قراءة ما تعتمده من أوراد وأذكار، فيردد أتباعها الهيللة بصوت مرتفع، وتتعالى آهاتهم عند ذكرهم لاسم الجلالة وتصدر عنهم ابتهالات وصيحات تؤدي ببعضهم إلى الجذب. وهي تنطلق في ذلك مما قرره الشرع، وأكده السلف الصالح من أحكام في الجهر بالذكر والإسرار به، فمما جاء في جواب الشيخ محمد فاضل لبعض مريديه في هذا الباب : "إن كلام الله وأحاديث رسول الله، وأقوال الصوفية كلها ترغب في الجهر بالذكر وتفضله على الإسرار به لقوله تعالى : "فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا" (البقرة : 200) وقوله (ص) : "ومن قال لا إله إلا الله ومدها بالتعظيم هدمت أربعة آلاف ذنب من الكبائر...". وقد أكد جميع شيوخ الفاضلية هذا الرأي، ودافعوا عنه فيما ألفوه من أجوبة ورسائل ومنظومات، مثل "حجة المريد في الجهر بالذكر على المريد"، لمحمد بن البشير بن البخار، و"تنبيه معاشر المريدين" للشيخ محمد الغيث النعمة، و"ضوء أعلى الأسفار لابن صلاح" وغيرها.

وتستند الفاضلية في هذه المبادئ والأسس على عدة اعتبارات بعضها يرتبط بالشرع وبعضها يرتبط بالطبيعة الإنسانية، وبعضها الآخر يتّصل بالظروف العامة التي كانت تعيشها الصحراء بصفة خاصة والأقطار الأفريقية المصاقبة لها في نهاية القرن 19 وبداية القرن 20 بصفة عامة. فالإسلام يقوم في أساسه على التوحيد، ويدعو في مبادئه العامة إلى التآخي والتراحم والتعاضد، وينهى عن التفرقة والتحزب والتشرذم. وتميل الطبيعة الإنسانية إلى الاجتماع والائتلاف وتنفر من الانعزال والاختلاف. "فقد خلق الله تعالى الأرواح من عالم الملكوت، والأشباح من عالم الملك، ونفخ في الأرواح الاتحاد والائتلاف. وتقتضي ظروف المسلمين في الصحراء وأفريقيا والعالم الإسلامي بصفة عامة توحيد الصفوف والاعتصام بحبل الجماعة، وتجنب كل ما يؤدي إلى الضعف والاستكانة.

وقد حاول بعض الأجانب طمس البعد الوحدوي لهذه الطائفة وإفراغه من محتواه الحقيقي، فذهبوا مذاهب مختلفة في تفسيره، تكشف في معظمها عن منطلقاتهم الاستعمارية، فبول مارتي يرى أن الشيخ محمد فاضل "لم يسمح بتوزيع أوراد جميع الطرق ضمن طريقته إلا نتيجة تفهمه للاتجاهات الدينية للسود،

لأن الرجل السليم والفاضل في أفريقيا عامة هو الذي يملك عدداً كبيراً من الطلاسم التي تجعله في مأمن من أي احتمال، وهذا ما يفسر اعتناق عدد كبير من السود لطريقته.

ويتبنى برادفور هذا الطرح الاستعماري الذي يقوم على إفراغ الظواهر المشرقة في العالم الإسلامي من محتواها الديني الصحيح، ويربطها بالطقوس والعادات الوثنية للشعوب الطارئة على الإسلام، فيرى أن تبني شيوخ هذه الطائفة لمبدأ تعدد الزوجات كمبدأ أساسي في الحياة الاجتماعية في أفريقيا، ساهم بدور فعال في ترسيخ الأسس الوحدوية لحركتهم.

وينطلق المصطفى ندياي من وجهة نظر انقسامية، فيرى أن المبادئ الوحدوية التي تقوم عليها الفاضلية ليست إلا مظهراً من مظاهر الأزمة التي بدأت تهدد القادرية بعد ظهور التجانية.

وقد تمكنت الفاضلية عن طريق هذه المبادىء من تدارك ما بدأ يتسرب إلى القادرية من تحجر في الصحراء وبلاد السودان بصفة عامة، وإنقادها مما صار يهددها من تقوقع وانحسار وخاصة بعد ظهور التجانية وإعلانها الحرب ضدها، فامتد تأثيرها إلى الأقطار الأفريقية المتاخمة للصحراء، ولم ينحصر نشاطها داخل المجال الضيق الذي نشأت فيه وترعرعت في أجوائه، فانطلقت نحو الشمال والجنوب والشرق، وتفرعت عنها عدة طوائف وزوايا نذكر منها :

1 - زاوية الشيخ محمد فاضل بن عبيدي بأدرار : ركزت هذه الزاوية اهتمامها على المنطقة الوسطى من الصحراء، فاتخذت من منطقة الجريف الواقعة على طريق الترارزا - أدرار - زمور ، الساقية الحمراء، منطلقاً أساسياً لنشاطها منذ سنة 1277 / 1850. وعبر مسالك هذا الطريق امتد نفوذها شمالاً وجنوباً، فتوصل تأثيرها إلى أقصى شمال المغرب، فكان لأحد أبطالها البارزين الشيخ محمد المأمون دور كبير في مقاومة المستعمر الفرنسي والأسباني في نواحي تازة ووجدة، والتنسيق بين أبطال حرب الريف وأبطال المقاومة في الجنوب المغربي، كما ساهم بقسط وافر في إغناء الحركة الثقافية في فاس وتازة. وتعتبر كتاباته الإصلاحية وأشعاره الوطنية، وخاصة كتابه لحظات القلوب، والمنبيء الخبير الأول في الأدب ومسامرة ترجمان الدول، مظهراً بارزاً من مظاهر التواصل الثقافي في شمال غرب أفريقيا.

2 - زاوية الشيخ سعد بوه بمنطقة الترارزا : اتخذت هذه الزاوية من الطريق الممتد بين أدرار وسان لوي مجالاً حيوياً لنشاطها العلمي والروحي، فتمكنت عن طريق اتصالها الدائم بالقوافل التجارية التي تمر عبر الطريق، وحيوية شيوخها من استقطاب عدد كبير من الأتباع والمريدين، وخاصة في السنغال وكَامبيا وغينيا بساو وغينيا كوناكري وغيرها، مثل الشيخ التقاطي والشيخ التراد بن العباس الحضرمي والشيخ موسى كمرا، وغيرهم من الشيوخ البارزين الذين شكلوا بدورهم فروعاً لها في عدد من الأقطار الأفريقية الواقعة جنوب الصحراء.

3 - زاوية الشيخ ماء العينين : اتخذت هذه الزاوية من الساقية الحمراء ووادي الذهب وما خلفهما من أقاليم مغربية منطلقاً لنشاطهما منذ بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فتمكنت عن طريق حيوية مبادئها وموسوعية علمائها، وقربها من مركز السلطة السياسية في فاس ومراكش، واتصال شيوخها الدائم بملوك الدولة العلوية من اكتساب نفوذ قوي في مختلف الأقاليم المغربية واستقطاب عدد كبير من الأتباع والمريدين داخل الصحراء وخارجها، فامتد نفوذها شمالاً عبر الأطلس الصغير والمتوسط والكبير إلى وجدة والناظور، وجنوباً إلى حدود نهر السنغال، وأخذ أورادها وأذكارها وأسرارها مجموعة من الأعيان والعلماء والأدباء، منهم السلطان مولاي عبد الحفيظ، والوزير أحمد بن موسى، والحاجب السلطاني إدريس بنيعيش، والشاعر التجاني السوسي الطاهر الإفراني، وعبد السلام القلعي الريفي وعلي الوجدي والحاج عبد الرحمن الوجدي، ومحمد سالم المجلسي، وغيرهم. وشد الرحال إليها مجموعة من الفقراء والمريدين منهم، الضوء السباعي البقاري وابن عمه الدرباكي اللذان سافرا إلى وادي الذهب ومكثا بها ما يزيد على شهرين، ورجعا إلى أهلهما في بلاد الحوز، والقاضي التهامي المكناسي الذي حمل إلى الشيخ ماء العينين عدداً كبيراً من الهدايا منها كتاب المكودي بخطه، وعلال الحمري الذي قدم على هذا الشيخ من بلاد "أحمر"، وقدم له هدايا كثيرة، وغيرهم من الأتباع والمريدين الذين سالت أباطح الصحراء بأعناق مطيّهم لرؤية شيوخ هذه الزاوية والتزود من علومهم وآدابهم.

وقد تعدى تأثير الفاضلية هذه المجالات المذكورة وامتد إلى أقطار أفريقية أخرى، فوصلت أفكار الشيخ فاضل إلى ليبيا وتأثرت بها الحركة السنوسية. وانتشرت مبادئه في السنغال ومالي وغينيا وسيراليون "فقد ارتحل الشيخ المحفوظ بن الطالب أخيار بن الشيخ محمد فاضل من بلاده وجال في عدد من اقطار أفريقيا قبل أن يستقر في قرية بناكو Binako في منطقة كازامانس بالسنغال، ومكث سنين يتنقل بين مُدُن وقرى غينيا بيساو، فزار بافتا Bafta وبريبان Brubon وبيسِنكي Bissinki ودَمْباسو Dambasso ومانسابا Mansaba وكنتوفة Kantoufa وبيجيني Bidjini وپاهان Pahane، وأكرمه شيخ هذه القرية مامادو پاتي Mamadou Patté وأخو زعيم غينيا بيساو مودي سلوكايادا Modi sello Kayada وأوكل إليه مهمة التدريس، ولكن البرتغاليين منعوا الشيخ المحفوظ من الإقامة في المنطقة، خصوصاً أن الزعيم مودي، الذي كان على صلة بالشيخ المحفوظ، قد ثار على السلطات الاستعمارية، وعندئذ أمر الحاكم البرتغالي بوضع الشيخ رهن الإقامة الجبرية، وتحت رقابة مشددة في إحدى القرى الصغيرة، وفي النهاية اضطر الشيخ المحفوظ لمغادرة غينيا بيساو، فتركها إلى السنغال.

"وامتد نفوذ الشيخ التراد بن العباس إلى مالي وكازامانس وغينيا وسراليون، وكان زعماء بارزون

في هـذه البـلاد يراسلونـه ويوفـدون إليه مندوبيهـم، فتقـوم السلطات الاستعماريـة بتفتيشهـم وقـراءة البريـد الذي يحملونه".

رياض الجنة، ج 2، ص. 37 - 38 ؛ الخليل النحوي، *بلاد شنقيط المنارة والرباط*، ص. 575 ؛ محمد الظريف، *الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء المغربية* ؛ الشيخ ماء العينين، *نعت البدايات وتوصيف النهايات*، ص. 11 ؛ مفيد *الزاوي على أني مخاوي*، ص. 43 ؛ الشيخ محمـد الإمام، *الجأش الربيط*، ص. 44 ؛ الشيخ محمد فاضل، *سيف المجادل*، ص. 8 ؛ پول مارتي، الفاضلية، مجلة العالم الإسلامي، ص. 141 - 195 - 194.

Ma al Ainin Alqalqami ou la résistance d'un cheikh saharien, Bradford. G. Martain. P. 180, Collection *Les Africains*, Paris, 1978.

فال (ولد -) **عمير**، هو محمد فال بن أحمد (الملقب ولد الديد) بن محمد فال بن سيدي بن محمد لحبيب : الأمير الواحد والعشرون من أمراء الترارزة. ولد في نهاية العشرية الأولـى من القرن العشريـن وظهرت عليه بوادر النجابة والفطنة، كما عرف بلباقته وأدبه وحسن معاشرته. وبعد وفاة والده أحمد ولد الديد في أكتوبر 1944 أجمعت أغلب فصائل الترارزة على تسميته أميرا. غير أن الإدارة الفرنسية عارضت الفكرة ولم تعترف به أميرا إلا سنة 1951 أي سبع سنوات بعد وفاة والده. وقد استطاع ولد عمير أن يضم إلي حلفه التقليدي أخوالـه أهل التونسي وأهل الشرْقي بن هدي وأهل آگمتار وأهل أعمر أگجيل، الطوائف التي كانت متحفظة على زعامته.

هاجر سنة 1958 إلى المغرب مع عناصر موريتانية من أبرزها محمد المختار ولد اباه والـدّايْ ولد سيدي بابه وقبلهم أحمدو بن حرمه ببانا. وقد احتضنهم السلطان محمد الخامس وزعيم حزب الاستقلال علال الفاسي في الوقت الذي كان المغرب يسعى إلى ضم موريتانيا إليه وجعلها جزءا من ترابه. وقد تقلد ولد عمير وظائف في حكومة محمد الخامس من أبرزها وزيرا للصحراء وموريتانيا. ولم تستطع العناصر الموريتانية المقيمة بالمغرب من تحقيق مشروعها حيث كان الحظ حليف حكومة المختار ولد داداه المدعومة بقوة من طرف فرنسا. وقد عاد ولد عمير إلى موريتانيا سنة 1963 فألقى عليه القبض بتهمة تهريب الأسلحة من المغرب إلى موريتانيا ودعم العناصر المؤيدة للمغرب. وقد اشتد عليه المرض في السجن مما أدى إلى نقله إلى دكار عاصمة الجمهورية السنغالية للعلاج.

توفي في أوائل شهر أغسطس من سنة 1965 وقد نقل بترخيص من الحكومة الموريتانية إلى مدفن تندَگسَم بشمالي ولاية الترارزة حيث قبر العالم الصالح محمد سالم بن ألما أستاذ محمد فال بن عمير وصديقه.

مقابلة مـع حماه الله ولد السالم أستـاذ التاريخ المعاصر بجامعة نواكشـوط ؛ محمد بن سعيد آيت أيدر، *صفحات من ملحمة جيش التحرير بالجنوب المغربي*، ص. 97، مطبعة التيسير، الدار البيضاء، 2001.

محمد الظريف

الفرسية : عين ماء قديمة توجد في منطقة الـگاشوش في أعالي وادي الساقية الحمراء، توجد بالقرب منها منطقة "كرب الناگة". ويعد هذا الحاسي أو "العـگلة" هو منطلق واد الساقية الحمراء. وبالقرب منه توجد بعض الصخور التي نقشت عليها رسوم قديمة تحتاج للدراسة والبحث كما توجد عندها مقبرة قديمة. وتروى حكايات كثيرة حول أصل هذا الحاسي يختلط فيها الواقعي بالأسطوري. وفي زمن الاحتلال الإسباني كان هناك مركز حراسة عسكرية قرب العين التي تعد مياهها صالحة للشرب، وكذلك لمراقبة تنقلات قبائل الرحل وخاصة منهم قبيلة الرگيبات. والفرسية اليوم تابعة لعمالة إقليم السمارة.

مقابلة ميدانية مع السيد الصديق ولد معيني، بعيون الساقية الحمراء، شتاء سنة، 2010.

Ísmael Carnero Ruig, *Vocabulario Geografico - Saharico*, c.s.t.c. Madrid, 1955.

محمد دحمان

الفرشة المائية بالصحراء، يشكل الماء بدون شك عائقا أمام كل سياسة تنموية خاصة إذا كان بوسط قاحل، تقل فيه التساقطات والموارد المائية وترتفع فيه درجة الحرارة، وتتعاقب فيه فترات الجفاف. فإشكالية التنقيب عن هذا المورد الحيوي يعد إحدى الإكراهات الكبرى التي يجب التغلب عليها، لضمان أمن مائي مستدام بهذه الصحاري التي تعرف تمدنا مفرطا، وديمغرافية متزايدة، مع قلة الموارد الطبيعية وهشاشتها. فالفرشة المائية الصحراوية تعاني من عدم التجدد الطبيعي لمواردها المائية، نظرا لقلة التساقطات وانعدامها في بعض السنوات، وهي بالتالي في تناقص مستمر. كما أن الفرشات العذبة تعد على الأصابع، وتبقى الفرشات ذات الماء الأجاج، أي بنسبة عالية من درجة الملوحة، هي الغالبة بالمنطقة.

- مورفلوجية الحوض المائي للصحراء :

يظهر هذا الحوض على شكل سهل واسع مسطح تحده مرتفعات جبلية في كل جانب، ففي الشمال جبال زيني ووارگزيز، وفي اتجاه الغرب تحده كتلة اگرگر على طول ساحل واد الذهب، ومن جهة الشرق تمتد السلسلات القديمة لـگلتة زمور وجبال مجيك، بينما في أقصى الجنوب نجد أدرار سطوف بتشلا في اتجاه الحدود الموريتانيا.

وتتخلل هذا الحوض أودية جافة، أهمها واد الساقية الحمراء وروافده، وفي أقصى الجنوب واد أتوي بمنطقة واد الذهب. وتعرف هذه الأودية جفافا طيلة سنوات ممتدة، وفي فترة التساقطات الفجائية تشهد المنطقة فيضانات وسيلانا لفترة زمنية محددة، ينتج عنهما جريان مؤقت وفجائي للأودية، التي تزداد حمولتها فتغمر كل الأراضي المجاورة لها، وقد ينتج عن ذلك خسائر مادية وبشريـة في آن واحـد.

وفي غياب المياه السطحية بالمنطقة، تبقى المياه الجوفية هي الوحيدة المعتمد عليها لضمان جزء كبير من حاجيات السكان من الماء الصالح للشرب.

ومن خلال دراسة هيدروجيولوجية للحوض الصحراوي، يمكننا أن نميز بين مجاليين كبيرين هما :

- مجال القاعدة البلورية Socle cristallin يتكون من صخور ما قبل الكمبري والزمن الجيولوجي الأول ويحتل النطاقات الشرقية، والجنوب الشرقية والشمالية لحوض الصحراء.

- المجال الثاني، متمثل في الحوض الرسوبي الممتد من العيون إلى الداخلة، يحتل الجزء الغربي للحوض على طول المحيط الأطلنتي. هذا الحوض يشغل مساحة تقدر بحوالي 110000 كلم^2، جزء منه قاري والآخر يمتد تحط المحيط. كما يضم أكبر احتياط مائي في المنطقة، لكن الحالة الراهنة لا تسمح بمعرفة دقيقة للفرشة المائية العميقة وكمياتها الاحتياطية، نظرا لغياب تقنيات التنقيب الحديثة الباهضة الثمن. وتكمن صعوبة استغلال الفرشة الباطنية الإحاثية Nappe profonde fossilisée في عمقها الكبير، بحيث تمتد على مسافة كيلومترات، قد تصل في بعض الأحيان إلى 2 كلم في العمق الأفقي. كما تتطلب الاستعانة بعلم الصخور أو الصخارة Lithologie. وقبل إستغلالها يجب معرفة جودة مياهها (نسبة الملوحة) والكمية المتاحة للإنتاج أي نوع الصبيب وكميته والزمن المحدد لاستغلاله (10 إلى 25 سنة على الأقل). ونشير أن هذه الفرشات الباطنية الإحاثية غير متجددة وهي محدودة في الزمان والمكان، ولهذا يجب استغلالها بتدبير عقلاني ومحكم.

ومن خلال هذا التشخيص، يمكننا أن نميز بين عدة فرشات باطنية إحاثية أو استحاثية بحوض الصحراء، ندرجها على الشكل الآتي :

- الفرشة الباطنية الطباشيرية (السفلية والعلوية) Nappe profonde crétacé.
- الفرشة الباطنية القديمة (الباليوسين) Paléocène.
- الفرشة القارية التي تنتهي عند بئر كندوز (ميو- بليوسين Mio-Pliocène).
- فرشة ذات مياه مالحة پليورباعية Plioquaternaire بضواحي مدينة العيون.
- فرشة فم الواد الپليورباعية Plioquaternaire.
- فرشة أخرى.

* الفرشة الباطنية الطباشيرية :

فهي تعد من الطبقات المائية السديمة والأكثر أهمية من حيث امتدادها على طول حوض العيون - الداخلة (حوالي 90000 كلم^2)، وصبيبها يصل إلى 70 لتر / الثانية وخاصة في المياه الفجارية أو الإرتوازية.

ويصل عمق هذه الفرشة في الجزئين الشمالي والشرقي للحوض 2000م خاصة في إقليم بوجدور. ويتكون الجزء الشمالي للحوض من أفقين سديمين داخل طبقات من الحث الدولوميتي الطباشيري العلوي وكذلك من الرمال الطينية الحمراء الطباشيرية السفلية. بينما في الجزء الجنوبي للحوض نجد تكوينات الرمال الدقيقة الصفراء. وهذه الاختلافات في نوعية الأتربة والصخور النفاذية، تعطي تباينات في الإنتاجية والصبيب يظهر جليا ما بين الجزء الشمالي والجنوبي للحوض. وأهم مميزات هذا الحوض المائي، هي كالتالي :

- مساحة شاسعة تقدر ب 90000 كلم^2، منها 20000 كلم^2 في مستوى منخفض، والباقي في مستوى أعلى.
- عمق الفرشة المائية يتراوح حسب الجهات، فهو ما بين 50م في الجزء الشرقي للحوض، و1800م بضواحي مدينة بوجدور، وهي منطقة ساحلية.
- صبيب الفرشة : يتراوح ما بين 5 لترات / الثانية في جزءيه الشرقي والشمالي، و70 لتر / الثانية في وسط الحوض.
- جودة المياه : فهي على العموم مقبولة، بحيث نسبة الملوحة بها تتراوح ما بين 2 و3 غرام / اللتر. بينها تزداد هذه النسبة كلما توجهنا من الشرق نحو الغرب أي في اتجاه الساحل، ومن الجنوب حيث المياه العذبة إلى الشمال. وفي بعض المناطق قد تصل نسبة الملوحة درجة عالية خاصة في منطقتي أخفنير - الدشيرة - والمسيد (30 غرام / اللتر).
- مستوى التنهاة Niveau Piézométrique : فهو يصل إلى 140م في اتجاه الشمال، بينما في وسط الحوض وجنوبه يكون على شكل مياه فجارية أو إرتوازية تصل قوة اندفاعيتها إلى 10 بار Bars.
- سمك الفرشة : فهو يتراوح ما بين 200 إلى 500 متر.
- احتياطات هذه الفرشة : تبقى غير مدروسة بشكل دقيق، 30% منها تم اكتشافه لحد الآن من قبل الجيوفيزيائيين. علما بأن التنقيبات الحالية لم تشمل إلا جزءا ضئيلا من هذا الحوض، فهي لم تغط سوى ثقب واحد ل 100 كلم^2. وقد عمد الجيوفيزيائيون على وضع تكهنات للحصيلة المائية لهذا الحوض الطباشيري، جاءت على الشكل التالي :
- الاحتياط المؤقت للفرشة قدر بحوالي 3 مليار م^3، استغل منه لحد الآن مليار م^3.
- ما يستغل منه لحد الآن قدر بحوالي 15 مليون م^3 من قبل المكتب الوطني للماء الصالح للشرب، وجزء منه في المزارع المسقية.
- هذه الحصيلة المائية تتراجع سنة بعد أخرى بنسبة 30 سنتم في السنة أي حوالي 10 مليون م^3 سنويا.

* الفرشة الباطنية البليوسينية :

تعد ثاني سديمة أو فرشة مائية من حيث الأهمية بالحوض الصحراوي بعد الفرشة الطباشيرية. هذه الفرشة البليوسينية تغيب في الجزء الشمالي للحوض، بينما أهميتها تبدأ من جنوب الداخلة حيث نجد بنية صخرية ترابية متكونة من الحث والرمل، اللذين يحتلان طبقة من الصخور الطباشيرية السفلى. ومن مميزات هذه الفرشة ما يلي :

- من حيث المساحة فهي تمثل 50000 كلم^2، توجد في مناطق تعرف انخفاضا في تضاريسها.
- عمقها يتراوح ما بين 150 و300 متر.

- سمكها يصل إلى 200 متر خاصة في جنوب مدينة الداخلة.
- صبيبها يتراوح ما بين 5 إلى 40 لتر / الثانية.
- جودة مياهها مقبولة في الجزء الجنوبي، فنسبة الملوحة فيها تتراوح ما بين 2 إلى 3 غرام في اللتر، بينما في الجزء الشمالي تزداد شدة الملوحة التي تتراوح ما بين 7 إلى 10 غرام في اللتر، وبالتالي تصير غير صالحة للشرب.
- مستوى التنهاة يتراوح ما بين 30 إلى 50 متر.
- الاستغلال : فهي غير مستغلة حاليا.
رغم غنى هذه الفرشة البليوسينية تضل غير مستغلة وغير مدروسة بما فيه الكفاية من قبل الجيوفيزيائيين.
* الفرشة الباطنية القارية النهائية Nappe du continental terminal :
هذه الفرشة تجري في تكوينات صخرية وأتربة من الرمال والطين القاري النهائي (ميوپليوسين Pliocène - Mio)، وتحتل جزءا كبيرا من منطقة بئر گندوز أي أقصى الجنوب عند الحدود الموريتانية. وهي في الأصل امتداد طبيعي للفرشة الباطنية لبولنوار بموريتانيا، وتمتد على مساحة تقدر بحوالي 3000 كلم^2 داخل التراب الوطني، ومن مميزاتها الأساسية، :
- عمق يتراوح ما بين 50 و100 متر.
- مستوى التنهاة ما بين 15 و50 متر.
- سمك يقدر ب 30 متر.
- صبيبها وانتاجها يتراوح ما بين 1 و10 لتر / الثانية.
- جودة المياه : على العموم جيدة، فنسبة الملوحة تتراوح ما بين 0،5 إلى 2 غرام في اللتر.
- الاستغلال : من قبل المكتب الوطني للماء الصالح للشرب والجيش المرابط في التخوم.
هذه الفرشة لم تحظى بما فيه الكفاية من الدراسة الجيوفيزيائية.
* الفرشة الشديدة الملوحة للعيون :
جزء من هذه الفرشة يوجد بضواحي مدينة العيون، والجزء الآخر يحتل منطقة شاسعة من واد الساقية الحمراء. وتوجد هذه الفرشة فوق طبقات كلسية وحثية تنتمي للأصداف البليوسينية Lumachelliques du Pliocène. وأهم ما يميزها، هو :
- المساحة : تقدر ب 150 كلم^2.
- العمق : يتراوح ما بين 40 و60 متر.
- الصبيب : ما بين 2 إلى 15 لتر / الثانية.
- جودة المياه : غير صالحة للشرب، نظرا لنسبة الملوحة المرتفعة، والتي تتراوح ما بين 7 إلى 10 غرام في اللتر.
- مستوى التنهاة : ما بين 30 إلى 45 متر.
- السمك : حوالي 20 متر.
- الاستغلال : المكتب الوطني للماء الصالح للشرب والسقي الفلاحي.
* فرشة فم الواد :
تحتل طبقات صخرية متكونة من الرمل - الحثي للپليوسين، توجد على طول مصب واد الساقية الحمراء، الذي يغدي فرشتها أثناء فيضانه، خاصة في الفترات التي تعرف فيه المنطقة زخات مطرية مهمة، تجري من خلالها أودية الصحراء. وتتميز هذه الفرشة بالخصوصيات التالية :
- المساحة : 90 كلم^2.
- العمق : ما بين 30 و60 متر.
- مستوى التنهاة : ما بين 25 و30 متر.
- السمك : يصل إلى 50 متر.
- الصبيب : يتراوح ما بين 2 إلى 15 لتر في الثانية.
- جودة المياه : صالحة للشرب، فنسبة ملوحتها تتراوح ما بين 1،5 و3 غرام في اللتر.
- الاستغلال : المكتب الوطني لماء الصالح للشرب (65 لتر / الثانية)، والسقي الفلاحي (60 لتر / الثانية). وبنية هذه الفرشة الباطنية تشكلت في طبقة مقعرة مملوءة بمياه عذبة تطفوا فوق مياه مالحة، هذه الأخيرة تهدد عذوبة المياه العليا وذلك بتسربها نحو الأعلى، فتزيد من نسبة ملوحتها خاصة في فترات جفاف واد الساقية الحمراء الذي يقوم بتغذيتها عبر جريانه في الفترات المطيرة. ومما أثر عليها كذلك بناء سد "المسيرة الخضراء" الذي حجز عنها مياه الواد الآتية من حمادة تندوف وگلثة زمور. ودور هذا السد يكمن في الحد من فيضانات واد الساقية الحمراء على مدينة العيون، وكذا ليقوم بالتزويد الاصطناعي للفرشة الباطنية لفم الواد، لكن هذه المهمة لم تر النور بعد.
ويتوفر حوض الصحراء المائي على فرشات ثانوية، نذكر منها : فرشة طرفاية، الداورة، أم الشگاگ، بوجدور، وغيرها. لكنها تستغل محليا عن طريق الآبار، ومياهها ذات جودة متوسطة إلى غير صالحة للشرب، نظرا لشدة نسبة الملوحة في بعض الآبار خاصة القريبة من الساحل البحري.
فرغم المجهودات المبدولة من طرف الدولة لضمان أمن مائي لهذه المنطقة الصحراوية، فإنها تعاني من خصاص كبير نظرا للتمدن المتصاعد، وحاجيات الساكنة الصحراوية من الماء الصالح للشرب، ومتطلبات الصناعات التحويلية المرتبطة بالصيد البحري، بالإضافة للفلاحة التي تعد المنافس والمستهلك الكبير للمياه.
ولتلبية هذه الحاجيات المتزايدة لجأت الدولة والمصالح المختصة إلى تقنيات التحلية وإزالة المواد المعدنية. وأنشأت في هذا الصدد محطتان لتحلية مياه البحر بكل من العيون وبوجدور، وهي تعد التجربة الأولى على الصعيد الوطني. ويصل صبيب هتان المحطتان : بالعيون 7000م^3 وببوجدور 1200م^3 يوميا، بالإضافة إلى محطة ثالثة لإزالة المعادن بطرفاية بصبيب يومي يبلغ 800م^3. كما تم بناء سد "المسيرة الخضراء" سنة 1995 على واد الساقية الحمراء بمقربة من مدينة العيون، له طاقة استعابية تقدر ب 110 مليون م^3 من المياه.
وتبقى فرشات المياه العذبة محدودة تعد على الأصابع وهي : فم الواد بالعيون وتشلا بواد الذهب. إلا أنها مهددة بالزوال نظرا للاستغلال المفرط، عن طريق الضخ لتلبية

حاجيات الساكنة المتزايدة الاستغلال المفرط في السقي الفلاحي. وتعرف تهديدا آخر متمثلا في التلوث خاصة فرشة فم الواد التي تعاني من التفريغ المباشر للمياه العديمة في قعر الواد، مما يسمم ويلوث أهم فرشة مائية عذبة بالصحراء.

مولاي إدريس شداد، إشكالية الماء في الوسط القاحل، وثقافة تدبير الندرة في المجتمع البيضاني، مقال تمت المشاركة به في ندوة بالعيون *"الصحراء ذاكرة الإنسان"* ما بين 20 - 21 أبريل 2004، ونشر ضمن منشورات معهد الدراسات الإفريقية مجلة "المغرب الإفريقي" عدد 7، الرباط، 2006.

Cheddad My Driss et autres, *Eléments introductifs-Débat national sur l'aménagement du territoire-Régions Lâayoune-Boujdour-Sakia El Hamra*, Direction de l'Aménagement du Territoire, Ministère de l'Aménagement du Territoire, de l'Environnement, de l'Urbanisme et de l'Habitat, Rabat, Décembre, 1999 ; Cheddad My Driss et autres, *Eléments introductifs-Débat national sur l'aménagement du territoire-Régions Guelmim-Es Smara*, Direction de l'Aménagement du Territoire, Ministère de l'Aménagement du Territoire, de l'Environnement, de l'Urbanisme et de l'Habitat, Rabat, Décembre, 1999 ; Cheddad My Driss et autres, *Eléments introductifs-Débat national sur l'aménagement du territoire-Régions Oued Eddahab-Lagouira*, Direction de l'Aménagement du Territoire, Ministère de l'Aménagement du Territoire, de l'Environnement, de l'Urbanisme et de l'Habitat, Rabat, Décembre, 1999 ; Cheddad My Driss, Sahara : écosystème fragile, ressources naturelles limitées et engagement de l'Etat pour un aménagement régional exceptionnel et une mise à niveau socio-économique et spatiale. *Revue Horizons Universiaires*, n°3 vol.2, Université Mohammed V – Souissi- Rabat, Novembre, 2006 ; Rapport de la Direction de la Région Hydraulique du Sahara, *Débat national sur l'eau : L'avenir de l'eau, l'affaire de tous*, Rabat, Novembre, 2006.

مولاي إدريس شداد

الْفَسْخَة : تدخل ضمن طقوس الزفاف الصحراوي، وهي عبارة عن هدايا تتكون من زرابي وأغطية ووسائد جلدية وأواني (أدوات الشاي وأقداح خاصة لتقديم اللبن...) وملابس (الدراعة واللثام والملحفة...) وأكياس السكر إلى جانب العطور والحناء والقرنفل، يقدمها أهل العروس لأصهارهم الجدد بما فيهم أعمام العريس وأخواله تعبيرا عن المودة والتقدير من أجل تقوية أواصر الصحبة والعشرة بين المتصاهرين، وقد كانت دلالتها قوية في حياة البدو لقلة توفر هذه الهدايا التي كانت تكلف أهل العروس كثيرا، مقارنة مع اليوم إذ أصبحت في المتناول وكانت تعرف باسم "الشَّكْبْرة".

الغالية بلعمش

الفلاحة وتربية الماشية بالصحراء، يتميز المجال الصحراوي بشساعته وامتداد أطرافه، إلا أن قساوة الظروف المناخية، وضعف التساقطات (تقل عن 50ملم سنويا)، وبنية المكونات الترابية البيدولوجيا وغياب تام للمواد العضوية، بالإضافة إلى ظاهرة التصحر والترمل وقوة الرياح، وشدة ملوحة التربة، كلها عوامل طبيعية تتداخل فيما بينها لتحد من تنامي فلاحة صحراوية ذات مردودية. فالزراعة في هذا المجال القاحل والجاف تعتمد منذ القدم على التساقطات المفاجئة والزخات المطرية، التي تحدث إثرها فيضانات تغمر ما يطلق عليه في الصحراء ب "لـگراير" (أنظر مادة لـگراير)، فتتبخر هذه المياه المحملة بالطمي بشدة الحرارة وتعمل بالتالي على ترسيب هذه المادة اللزجة في قعور هذه المنخفضات المقعرة. وهذه المقرعات أي "لـگراير" تسمح لأهل الصحراء بزراعة الشعير نظرا لتحمله الطبيعي والفيزيولوجي لقساوة الظروف المناخية وملوحة التربة. ومع دخول المعمر الإسباني، عمل هذا الأخير على دمج تقنية السقي، فظهرت بالصحراء مجالات سقوية حول المراكز الحضرية الكبرى، كان الهدف من خلقها هو تلبية حاجيات المعمر من المواد الفلاحية.

ونورد هنا وثيقة تمليك تعود إلى العقود القديمة تتحدث عن الزراعة بالـگراير، وهي عبارة عن حكم للقاضي اطوير الجنة إيدولحاجي (ق11هـ)، إثر نزاع بين أفراد من قبيلة أولاد أبي السباع وأولاد تيدرارين على ملكية بعض لـگراير بإيمريكلي نواحي بوجدور (أنظر مادة إيمريكلي)، إذ كانت هذه النزاعات عادية في هذه البقاع نظرا لقلة الأراضي الصالحة للزراعة، جاء فيها : "كما لما رفعت إلينا نازلة الخصمين وهما الشريفان السالك بن محمد سكية بها يعرف وابن عمه ابراهيم بن عبد الله بن الطالب علي من جهة وخصمهما سيدي ابراهيم بن محمد غنبور التدراريني وأخوه موسى نائبان عن أبناء عمهم من جهة أخرى، يتنازع الفريقان على بلد إيمريكلي ما يحرث منها ادعى كل واحد من الفريقين أنها ملكه فادعى أبناء أبي السباع أنها ملكهم في دية من عند كندوز في فتنة وقعت بينهم، وادعى أبناء تدرارين أنها ملكهم بالعمارة نحو عشرين عاما قبل السيبة. فلما أدلى كل واحد بحجته أمعنت النظر في حجتيهما فكلفت كلا منهما بالبينة على صدق ما ادعاه، فأتاني الشريفان مولاي ابراهيم وابن عمه المذكور بشهادة سيدي محمد بن علي الفيلالي وابن عمه الفقيه سيدي محمد البربوشي وهما ممن تقبل شهادتهما عندي، ثم بشهادة الشيخ محمد بن الطنج والشيخ سالم بن علي الداودي والشيخ عمر بن داود كلهم مسعوديون، ثم بشهادة علال بن محمد الموسا وعلي وابن عمه الهيري بن عبد الله ثم شهادة المقرئ الشنقيطي دارا التوبالي أصالة، ثم منصور بن علي وأخيه محمد الهيريين، أنهم يشهدون لله لا لغيره يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ويشهدون مع ذلك أن بلد إيمريكلي ملكا لأبناء أبي السباع أخذوه في دية من عند كندوز وهي دية مولاي أحمد بن سيدي ابراهيم نونو بها يعرف لا منازع ينازعهم ولا معارض يعارضهم فيه، هذا قبل شرهم مع

المغافرة بسبع سنين وهو قبل الوباء الأول بسنتين، ثم أتوني بشهادة العتيق بن محمد الشمشاوي وابن عمه محمد حبيب الله ويعقوب بن اسحاق وأخيه بارك الله أنهم يشهدون أن أبناء أبي السباع ملكهم من الساقية الحمراء إلى النخيلة المسماة بجيو من قبل أن يملكه أحد ولا ينزله غيرهم إلا بقية من كندوز، لأنهم هم اللذين صرفوا منه النصارى من الساقيــة الحمراء فسكنها ولي الله سيدي اعنارة وبنى فيهــا الديار وغرس بها النخيل ومات بها عمه مجاهدين في سبيل الله ودليل ذلك قصة ولي الله في مدحه لهم حين قتلهم الكافر الشمسعي لعنه الله. فلما وقع هذا أمرت بتزكية الشهود وزكوا عندنا، فكلفت بعد هذا كله سيدي ابراهيم بالبينة على صدق موعوده وتجريح الشهود فلم يأتني بقليل ولا كثير وأعدت له أجلا بعد أجل فقلت : أبقيت لك حجة تأتي بها حاضرة أو غائبة، بعيدة أو قريبة، فقال : لا. فلمــا وقع هذا ظهر لنــا ولله ما ظهر وما خفى أن دعوى سيدي إبراهيم بالعمارة باطلــة وحجته داحضة بل عليه الغلة لأن من المعلوم عند أهل الحرث أن دوام الحرث على البلد يضعف ثماره كما قال بهرام، والأرض المستريحة أعني أن من ترك بلدة لتستريح كي تقوى ثمارها وقام الغير فحرثها فعليــه الغلة قولا واحدا. وأما قوله بالعمارة بين الباديــة التي لا قصور فيها وقليل ماءها فالعادة أنها لا تسكــن إلا في زمن الخصب، وربما رحل عنها أهلها المالكــون لها إلى بلد غيرها لمحلها وخصب غيرها ويمكثون عنهــا سنين عديدة. فعمارة الغير لها باطلة ولا ضمان عليه في قطع الشجر لمصلحة إلا شجر الظل، وحــدد بعضهم قيمة الشجر المظل بأن يقوم ما رجع عليه ظــل العصر وهو وقت الإنصراف عن المقيل بأن يعطي قيمة ذا بالأرض وعليه الغلة كما قال آنفا.

وأما البلد المتنازع عليها اسم إيمريكلي وهو بلد كثير ساحله البحر وحد الشرقي موقف الحرث من أريدال إلى وركنات وهــذا هــو إيمريكلي المعروف نسبته عندهم. وأما قــول تشمش هو الذي عليه العمل بأن البلاد كلها من الساقية الحمراء إلى النخيلة المسماة بجيو وشرقا الجام أدرار بلادهم إلى احفر وركنات المعروفات بكور أولاد عمران، وما حل حولها من العامر والغامر والشجر وغيره.

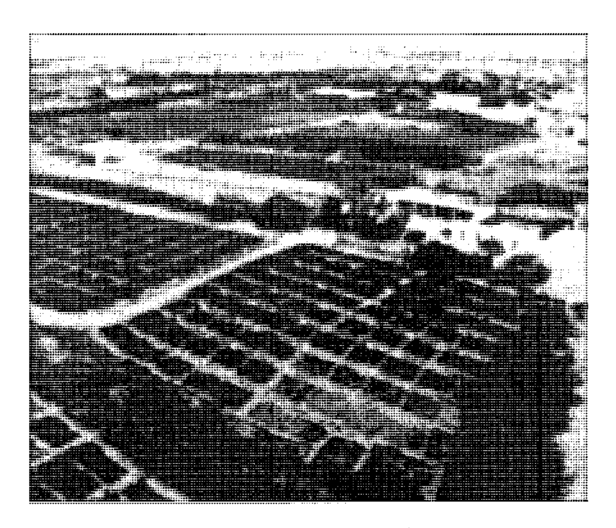
فبسبب هذا وظهوره حكمت للشرفاء مولاي ابراهيم وابن عمه السالك ومحمد سكية بثبوت ملكهم البلد المذكور ومن عارضهم فيها فهو ظالم، وحكمت ببطلان دعوى غيره إلا حفرة القضب التي بينها وبين الجريفية فقد استثنيت من البيع المذكور حكما لازما أبرمته وأوجبت العمل بمقتضاه. سجلته بمراكش في غرة رمضان من عام 1004 هجرية، عبد ربه طوير الجنة إيدولحاجي".

إذن الفلاحة في المناطق الصحراوية قديمة جدا رغم قلة التساقطات. لكن يبقى النشاط الرعوي هو المسيطر في هذه الظروف القاسية، نظرا لارتباطه الوطيد بالنمط الترحالي الذي يتجاوب مع هذه البيئة القاحلة والشحيحة في آن واحد. إلا أن النشاط الفلاحي بالصحراء لم يبق حبيس الظروف المناخية الصعبة إذ عرف تطورا عبر العصور، من فلاحة معاشية تعتمد على زراعة الشعير إلى فلاحة عصرية متطورة تعتمد على السقي بالتقطير وعلى تقنيات متطورة، كما تم إدخال منتجات فلاحية مدارية كالكيوي، والبطيخ الأخضر ولافوكا، إلخ. هذه المنتوجات المدارية، تتطلب كميات هائلة من الماء، وكذا استثمارات كبيرة تتجلى بالخصوص في البيوت المكيفة وتقنيات الري، ويد عاملة خبيرة (مهندسين، تقنيين). ويختلف النشاط الفلاحي والرعوي بالصحراء من جهة إلى أخرى، بل نسجل تباينات في هذا المجال، إذ هناك فرق واضح بين جهة كَلميم - السمارة التي تنفرد بواحاتها الخضراء وتقنيات السقي القديمة (الخطارات، تارگا، إلخ)، فعرفت استقرارا قديما للإنسان، وكانت بمثابة المزود الرئيسي لكل ساكنة الصحراء الجنوبية حتى تخوم نهر السنغال بالمواد الفلاحية الأساسية من ثمور وخضر وفواكه متنوعة. ثم تليها أهمية جهة العيون - بوجدور- الساقية الحمراء، نظرا لوجود أكبر واد في الصحراء بعد واد درعة، والذي يغذي بفيضاناته الفرشة المائية وكذا أراضي لگراير، كما يزودها بالطمي المنقل بواسطة مياهه. أما جهة واد الذهب- لگويرة فهي معروفة منذ القدم بمجالاتها الشاسعة للرعي والمراعي، إذ كانت توفر للرحل والرعاة أنواعا شتى من النباتات والشجيرات الطبيعية (أنظر مادة النباتات الطبيعية الصحراوية) يعتمد عليها ككلأ للماشية خاصة الإبل والمعز. إلا أنه بدخول المعمر الاسباني تغيرت ملامح هذا التخصص المجالي لكل جهــة صحراويــة وذلك بإقحامــه لزراعات حــديثــة لا تمت بصلة بالبيئة الصحراوية، فنتج عن هذا التدخل ظهور مجالات سقوية بالگراير التي كانت تستغل في زراعة الشعير، والتي صارت تسخر في زراعة المنتوجات المدارية المستهلكة للمياه الجوفية بشكل غير ملائم مع شح المياه بهذه المناطق القاحلة. ومع استقلال هذه المناطق من المعمر الاسباني سنة 1975، عملت الدولة على استمرارية الوضع القائم في المناطق السقوية، إلا أنها أحيت من جديد الزراعة في مجالات لگراير وذلك بتوزيعها على بعض أفراد القبائل المتاخمة بالصحراء، مع تشجيع نمط الرعي، وتزويد المستفيدين بالبذور والأسمدة وكذا الأعلاف لمربي الماشية، وتسهيل استيراد الإبل خاصة من موريتانيا، والتلقيح المجاني القطيع. وتم تهيئ المدارات السقويــة الأولى وتنظيم إدخال الأبقار الحلوب من الصنف الجيد وإنشاء الوحدات الأولى للنوق الحلوب في المناطق المحيطــة بالمــدن. كما عملت الوزارة المكلفة بحفر الآبار والخزانات الجوفية للمياه (المطفيات)، وبناء السدود التلية، ومنها سد العيون للحد من الفيضانات المفاجئة.

- جهة العيون - بوجدور- الساقية الحمراء :

تقدر المساحة الصالحة للزراعة بجهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء ب 7500 هكتار، منها 150 هكتارا سقوية تتركز بفم الواد، وهي ضئيلة إن قورنت بالمساحة الجهوية التي تبلغ 13.95 مليون هكتار (139.480

كلم[2]). وتتشكل المساحات الفلاحية الصالحة للزراعة من مدارات سقوية صغيرة ومتوسطة تقدر بحوالي 10000 ݣرارة تتراوح مساحتها ما بين 0.5 نصف هكتار إلى هكتار واحد، فهذان الصنفان يشكلان الأغلبية الساحقة، ثم نجد مساحات شاسعة تفوق الهكتارات معدة لزراعة المواد العلفية (الفصة) لتغذية الأبقار الحلوب. وأكبر هذه المساحات بالدورة وتبلغ حوالي 1200 هكتارا، ويزرع فيها الشعير والقمح الطري. ويمكن أن نميز بين نوعين من الضيعات الفلاحية بالجهة، الضيعات المسقية ولݣراير البورية :



المنطقة السقوية لفم الواد (العيون)

- بالنسبة للضيعات المسقية : فهي تعتبر أكثر مردودية، إلا أن مساحتها تتقلص من سنة لأخرى بسبب زحف الرمال، ويقدر عدد الضيعات المستغلة حاليا ب 18 ضيعة. فخلال الموسم الفلاحي 2003 / 2004 تم تسجيل تراجع ملحوظ للمناطق السقوية إلى حدود 75 هكتار، وذلك راجع إلى تواتر الجفاف وما نجم عنه من نقص في مستوى الفرشة المائية، وانخفاض شديد في معدل صبيبها.

- أما لݣرارات البورية : فهي عبارة عن منخفضات مقعرة يكسوها غرين صلصالي ضعيف النفاذية، وتغمرها في الفترات المطيرة مياه السيول المحملة بالأتربة الغرينية، التي تترسب بفعل شدة التبخر في قعور لݣرارات كما ذكرت في المقدمة. وتحظى هذه الرقع الزراعية المتناثرة بأهمية بالغة لدى ساكنة الصحراء، خاصة في فترة نزهاتهم وخروجهم إلى الطبيعة التي تقدمه هذه لݣراير في فترة زراعتها وينعها.

وفيما يخص الوضع العقاري للݣرارات أو لݣراير، فهي في ملك الدولة، لكن استغلالها يرجع للخواص "كمالكين فعليين". وبالفعل ففي الأعراف القبلية السائدة بالمنطقة، من المسلم به أن كل ݣرارة أو ݣرارات تكون في ملكية عائلة ما، وتتوارث أبا عن جد، والاستمرار في استغلالها مرتبط بالاعتزاز والافتخار لدى العائلات المستفيدة. فامتلاك ݣرارة يضفي على العائلة المالكة تميزاً اجتماعياً داخل القبيلة والمجتمع الصحراوي في آن واحد، فهي تزيد من التباهي العائلي خاصة إذا قيل "ݣرارة فلان أو العائلة الفلانية"، لهذا فقيمة لݣرارة مرتبطة أساسا بالتظاهر الاجتماعي الأسري أكثر منه بمردوديتها الإنتاجية.

كما عملت الدولة على الحفاظ على هذا الموروث العرفي الاجتماعي وذلك بتشجيعها للأسر على استمرارية استغلال هذه الݣرارات لكونها موردا فلاحيا مكملا لتربية الماشية، وعاملا مهما في استقرار الساكنة في محيطها الحضري المجاور لهذه الاستغلاليات.

وساعدت هذه التشجيعات المبذولة من طرف الدولة في انتقال المساحة المستغلة بجهة العيون - بوجدور- الساقية الحمراء من 1.275 هكتار سنة 1996 إلى 7.690 خلال الموسم الفلاحي 2003 / 2004. فيما معدل المساحات المزروعة خلال فترة 2000 / 2004 ما مجموعه 851 هكتار. وتكشف هذه الأرقام عن مدى شدة ارتهان الزراعة بالتساقطات المطرية.

جدول رقم 1 : المساحات المزروعة (1996 - 2004) (بالهكتار)

نوع الزراعة	المساحة 1996/1995	المساحة 2004/2003	متوسط المساحة 2004/2000
الخضر	88	---	48
الزراعات الكلئية	53	75	
الحبوب	7.546	1.200	803
الأشجار المثمرة	3	---	---
إجمالي الجهة	7.690	1.275	851

المصدر : المندوبية الإقليمية للفلاحة بالعيون.

هذا الارتهان يتأثر به في المقام الأول زراعة الحبوب، إذ تتفاوت مردودية زراعة القمح تبعاً للتساقطات المسجلة في السنة. ويلاحظ أن الدوائر السقوية والمساحات المخصصة للزراعات الكلئية تتسع على حساب زراعة الخضروات، كما أن المساحة المسقية ليست مستغلة سوى بنسبة 51,4 %.

بلغت المساحة المزروعة برسم الموسم الفلاحي 2003 / 2004 بجهة العيون - بوجدور- الساقية الحمراء 1.275 هكتار، أي ما يعادل 7,3% من المساحة الصالحة للزراعة بالجهة، و17,0% من المساحة الصالحة للزراعة بالإقليم :

- تحتل زراعة الحبوب 94,1% من مساحة الزراعات السنوية بالجهة. وهي تزرع بشكل أساسي في الݣرارة، التي تعتبر المجال الوحيد للزراعة البورية.

- تشغل الزراعات الكلئية مساحة 75 هكتار، لم يطرأ إلا تغيير طفيف على هذه المساحة منذ سنة 1996.

- الإنتاج والمردودية

جدول رقم 2 : الإنتاج النباتي حبوب وأعلاف (بالقنطار) موسم (2003 - 2004)

الإقليم	الحبوب	المزروعات الكلئية
بوجدور	---	---
مجموع الجهة	7.350	57.200

المصدر: المندوبية الإقليمية للفلاحة سنة 2003 / 2004

إجمالا، كما يتوقع ذلك في كل أرض قاحلة، فإن الإنتاج النباتي ضئيل للغاية مقارنة بعدد السكان، حيث لا يسد إلا جزءا يسيراً من الحاجيات الغذائية.

جدول رقم 3 : متوسط المردودية - بالقنطار- موسم (2003 - 2004)

الإقليم	الحبوب	الزراعات الكلئية
العيون	6,12	762,5
بوجدور	---	---

المصدر : المندوبية الإقليمية للفلاحة سنة 2003 / 2004

إن تنمية القطاع الفلاحي بجهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء رهين بالسقي الذي هو بدوره مرتبط بالموارد المائية المحدودة جداً. ووحدها الفرشة العميقة الطباشيرية الممتدة على كل حوض العيون - الداخلة، تتوفر على إمكانية لإنتاج يصل إلى 70 لتر/ الثانية لكل ثقب ارتوازي، والتي يستغل منها نحو 4,5 مليون متر مربع، قد يمكنها من فتح آفاق للتنمية المستديمة وذات مردودية، ولكن بشكل محدود.

- تربية الماشية بجهة العيون - بوجدور- الساقية الحمراء :

تقع جهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء في وسط فيزيائي إحيائي يتميز بضعف الغطاء النباتي وبامتداد أفقي للمجال السطحي، إذ لا توجد به تضاريس كبيرة، بحيث تمتد هضبة فسيحة (لحمادة)، التي تتخللها منخفضات السبخات ولگرارير، والمجاري التي تحفرها الأودية كواد الساقية الحمراء وروافده. أما الغطاء النباتي فهو متناثر جداً ومتقطع، ويتميز أساساً بتواجد شجر السنط (الطلح) من صنف "Acacia Raddiana ou Saharienna"، في مناطق الفيض (zones d'épandages)، كما توجد أصناف أخرى بلحمادات. أما على الشريط الساحلي فنجد نباتات سهبية من أصناف : السدر الصحراوي (Euphorbia Echinus)، ويلسوم أنتريكاتيم (Lycium Intricatum)، ورِيس تريبارتيتا (Rhus Tripartita)، ولاونايا أربوريسانس (Launea Arborescens)، ونوع من صالصولا (Salsola ssp)، و*حمادة* سكوباريا (Hamada Scoparia)، و*زيغوفيليم* جياتيليم (Zygophyllum Geatulum).

- قطيع الماشية

تعتبر تربية الماشية النشاط الفلاحي الرئيسي في جهة العيون، وهو مصدر دخل لا يستهان به. وحسب معطيات المديرية الإقليمية للفلاحة لسنة (2003- 2004)، يشكل الماعز أغلبية قطيع الماشية في الجهة (48,8%). يليه قطيع الغنم (32%)، ثم الإبل (18,5%)، فالخيول (0,3%)، ثم الأبقار الحلوب (0,2%). وينحصر وجود قطيع الأبقار الحلوب في دائرتين سقويتين : فم الواد والحكّونية. ويمثل قطيعي الغنم والماعز بالتوالي 0,8% و3,7% من القطيع الوطني. وقد شهد تعداد كل أصناف الماشية زيادة مهمة جداً بين سنتي 1996 و2003 / 2004، بلغت إلى 167% بالنسبة للإبل، و167% بالنسبة إلى الغنم، و124% بالنسبة إلى الماعز(جدول رقم 4). وربما يعزى هذا التطور إلى النمو الحضري وارتفاع الطلب.

جدول رقم 4 : تعداد وتطور القطيع بإقليم العيون

أنواع الماشية	معطيات الإحصاء الفلاحي العام سنة 1996	معطيات المديرية الإقليمية للفلاحة سنة 2003 - 2004	معطيات قسم الشؤون القروية بالعيون يونيو 2006
الجمال	43 482	73 000	87 145
الغنم	75 480	126 000	144 904
الماعز	154 693	192 000	216 419
الأبقار	152	800	808
الخيول	1 302	1 340	597

المصادر : الإحصاء الفلاحي العام 1996، المديرية الإقليمية للفلاحة 2004، قسم الشؤون القروية 2006 .

وأما تربية الدجاج، فتتم بواسطة 22 وحدة لتربية الدجاج الموجه للاستهلاك المباشر، والتي تنتج ما معدله 2.280 طن سنوياً من اللحوم البيضاء، فضلا عن وحدة لإنتاج البيض تضم 24.000 دجاجة تنتج يوميا 2.100 بيضة.

وتقدر حاجيات قطيع الجهة من الكلأ بـ 119 مليون وحدة كلئية حسب النسب الآتية : الماعز (38%)، الغنم (30,9%)، الإبل (28%)، الأبقار(1,7%)، والخيول (1,1%).

جدول رقم 5 : احتياجات أصناف القطيع بإقليم العيون

أصناف القطيع	الحاجيات السنوية (بالوحدة الكلئية)
الأبقار	2.044.000
الغنم	36.792.000
الماعز	45.552.000
الخيول	1.467.300
الجمال	33.215.000
المجموع	119.070.300

المصدر : وزارة الإسكان والتعمير والتنمية المجالية ووكالة الإنعاش والتنمية الاقتصادية والاجتماعية للأقاليم الجنوبية للمملكة، "تهيئ المخططات الجهوية لإعداد التراب للأقاليم الجنوبية للمملكة، الرباط في مارس 2008.

- أنماط تربية الماشية

هنالك ثلاثة أنماط لتربية الماشية في الجهة :

- النمط الأول، تقليدي متوارث : وهو النمط الأكثر انتشارا في الجهة فيما يخص تربية الإبل، والمعز، والغنم حيث تضل القطعان في المراعي وتعطى لها أعلاف

مركزة خلال فترة الجفاف. ويتجه أغلب مربي الماشية خلال فصلي الخريف والصيف نحو أقصى الجنوب (جهة وادي الذهب- لـﮕويرة) كلما كانت الظروف المناخية إيجابية هناك أي ممطرة، ويعودون إلى جهة العيون - بوجدور- الساقية الحمراء في منتصف الفترة الشتوية. هذه التنقلات تتم أيضا في اتجاه شمال وادي درعة بحثاً عن مراعي أحسن. ويشمل هذا النمط، بدرجة أساسية، المواشي ذات الأصول المحلية والمخصصة لإنتاج اللحوم. وتوفر المراعي القسط الأهم من كلأ هذه الماشية على مساحة 1.090.000 هكتار، بمردودية تصل إلى 10 وحدات كلئية لكل هكتار، وهو رقم يتغير من السنة لأخرى حسب الظروف المناخية.

- النمط الثاني، تربية الماشية شبه المكثفة : لقد تطور هذا الأسلوب خلال العقد الأخير بضواحي المدن، إذ أقام العديد من كبار مربي الماشية وحدات بضواحي مدينة العيون لإنتاج حليب النوق لتزويد المدينة بهذا المكون الغذائي المطلوب جدا من لدن السكان المحليين. وقد وصل عدد هذه الوحدات الآن إلى 20 تضم نحو 800 ناقة حلوب. وعندما تصل هذه النوق إلى نهاية مرحلة إنتاج الحليب، يعاد إدماجها في القطيع الذي يرعى في المراعي الطبيعية، وتعوض بأخرى توجد في بداية مرحلة الإرضاع. وقد أدى هذا، إلى زيادة مهمة في مداخيل مربي الماشية بفضل تثمين منتوج حليب النوق، الذي كان في السابق مخصصاً فقط للاستهلاك المحلي لبعض الأسر.

- النمط الثالث، التربية المكثفة لإنتاج الحليب : تنحصر على تربية الأبقار الحلوب ذات السلالة الأصيلة، والتي تتم بجماعة فم الواد. في الوقت الراهن هناك نحو 22 مربي الأبقار الحلوب منخرطين في تعاونية إنتاج الحليب : "حليب الساقية الحمراء". وتجدر الإشارة إلى إن أغلب أرباب تلك الأبقار يعيشون في المدن ومن داخلها يسيرون قطعانهم و يمارسون في أكثر الأحيان أنشطة موازية.

والملاحظ أن الحصيلة الكلئية لسنة متوسطة تسجل عجزا كبيرا - ناقص 91,8 مليون وحدة كلئية أي 77% من الحاجيات المقدرة - (جدول 6)، وهو ما يجعل الجهة في حاجة متزايدة إلى موفورات كلئية خارجية، سواء باقتناء الأعلاف أو بانتقال القطيع خارج الجهة.

جدول رقم 6 : الحصيلة الكلئية على صعيد العيون

أصناف القطيع	الحاجيات السنوية (وحدة كلئية)	الموفورات السنوية (وحدة كلئية)		الحصيلة (موفورات- حاجيات)
		الضيعات الفلاحية	المراعي والغابات	
الأبقار	2.044.000			
الخيول	1.467.300			
المجموع	3.511.300	1.948.350		
الغنم	36.792.000			
الماعز	45.552.000			
الجمال	33.215.000			
المجموع	115.559.000		25.368.350	
الحصيلة الكلية			27.316.700	-91.753.600

المصدر : وزارة الإسكان والتعمير والتنمية المجالية ووكالة الإنعاش والتنمية الاقتصادية والاجتماعية للأقاليم الجنوبية للمملكة، "تهيئ المخططات الجهوية لإعداد التراب للأقاليم الجنوبية للمملكة، الرباط في مارس 2008.

وتبين الجداول التالية الوضعية الحالية لسلسلتي الحليب واللحوم وكذا إسقاطاتها في أفق 2020.

- سلسلة إنتاج الحليب

جدول رقم 7 : حليب النوق

التعيين	الوضع الحالي	2020
الإنتاجية ل/ناقة/سنويا	1.180	3.650
الإنتاج بملايين اللترات	18	836
قيمة الإنتاج بملايين الدراهم	144	668.8
الشغل الإضافي (يوم عمل)	250000	767.000

المصادر : الإحصاء الفلاحي العام 1996، المديرية الإقليمية للفلاحة 2004، قسم الشؤون القروية 2006.

جدول رقم 8 : حليب الماعز :

التعيين	الوصفة الحالية	2020
الإنتاجية (ل/معزة/سنويا)	80	140
إنتاج بملايين اللترات	13.6	23.8
قيمة الإنتاج بملايين الدراهم	81.6	142.8
شغل إضافي (يوم عمل)	140.200	379.800

المصادر : الإحصاء الفلاحي العام 1996، المديرية الإقليمية للفلاحة 2004، قسم الشؤون القروية 2006.

جدول رقم 9 : إنتاج اللحوم الحمراء : للجمال والماعز

التعيين	الوضعية الحالية	2020
الإنتاجية كلغ/ناقة/سنويا	18	36
الإنتاجية كلغ/معزة/سنويا	7	14
الإنتاج بالأطنان	2.000	4.000
قيمة الإنتاج بملايين الدراهم	100	200
شغل إضافي (يوم عمل)	30.000	96.600

المصادر: الإحصاء الفلاحي العام 1996، المديرية الإقليمية للفلاحة 2004، قسم الشؤون القروية 2006.

جدول رقم 10 : إنتاج اللحوم البيضاء : صنف الدجاج

التعيين	الوضعية الحالية	2020
وحدات إنتاج الدجاج	26	52
الإنتاج (بالطن)	2400	6.424
قيمة الإنتاج بملايين الدرهم	38	102
شغل إضافي (يوم عمل)	16.000	38.000

المصادر : الإحصاء الفلاحي العام 1996، المديرية الإقليمية للفلاحة 2004، قسم الشؤون القروية 2006.

لبلوغ هذه الأهداف التي رسمها المخطط الفلاحي الجهوي ينبغي مباشرة عدد من العمليات حسب كل سلسلة :

أعمال لتنمية سلسلة حليب النوق :

- بناء الإسطبلات.................................250
- جلب الماشية (رأس) 7500

. استيراد الذكور المنجبة (رأس) 150
. إنشاء مراكز للتجمع 10
. إنشاء وحدات للمعالجة............................3
. توسيع وحدات المعالجة............................2
. اقتناء شاحنات بصهاريج مكيفة لنقل الحليب
. كيفية لنقل الحليب 7
. اقتناء شاحنات ذات مكيفات تبريد................3
. تعداد الماشية (رؤوس).......................31.205
. تهيئة المراعي بمواقع ماء.......................84
. اقتناء شاحنات ذات صهاريج 11
التصميم المديري لتهيئة المراعي..... 2.045.000 هكتار
تأطير صحي : إنشاء مكتب بيطري بلدي 1
. خلق مدارات سقوية صغيرة ومتوسطة .... 225 هكتار
. تحسين النسل (مباريات في تربية المواشي)...24
. نقل علف البهائم بالطن........................36000
- أعمال لتنمية سلسلة اللحوم الحمراء :
. إنشاء إسطبلات...450
. جلب الماشية (رؤوس)......................102.000
. إنشاء وحدة للتقطيع 2
. إنشاء وحدة للتحويل 2
. اقتناء شاحنات ذات مكيفات تبريد.................4
. اقتناء شاحنات مبردة 2
. إنشاء مجازر 2
. تعداد الماشية (رؤوس).......................31.205
. تهيئة المراعي بمواقع ماء 120
. اقتناء شاحنات ذات صهاريج لإرواء الماشية (وحدة)...1
. دراسة التصميم المديري لتهيئة المراعي ....20.045.000 هكتار
. تأطير صحي : إنشاء مكتب بيطري بلدي.........1
. تحسين النسل (مباريات في تربية المواش.......24
. نقل أعلاف المواشي بالطن...................38000
- أعمال لتنمية سلسلة حليب الماعز :
. إنشاء إسطبلات (وحدة).............................13
. جلب الماشية (رؤوس) 800
. إنشاء وحدة لتجميع الحليب (وحدة)..............8
. إنشاء وحدة للمعالجة (وحدة)......................3
. اقتناء شاحنات ذات صهاريج لنقل الحليب........6
. اقتناء شاحنات ذات حرارة قارة.....................2
. تعداد الماشية (رؤوس)..........................800
. تهيئة المراعي بمواقع ماء (وحدة)...............36
. تأطير صحي (إنشاء مكتب بيطري)..................1
. خلق مدارات سقوية صغيرة.................25 هكتار
. تحسين النسل (مباريات في تربية المواشي).....12
. نقل تغذية الماشية (بالطن)................... 2500

من المؤكد أن مجالات المساحات الفلاحية النافعة (7500 هكتار) والمراعي (4.090.000 هكتار) بجهة لعيون بوجدور الساقية الحمراء لا تشجع كثيرا على فلاحة ذات مردودية اقتصادية تضمن موردا جيدا لمن يمارسونها، ويظل الرعي النشاط الرئيسي للسكان القرويين.

- التوجهات الإستراتيجية للدولة لتنمية قطاع الفلاحة بجهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء :

يتم تأطير القطاع الفلاحي عبر البنيات الآتية :

- المديرية الإقليمية للفلاحة وهي مكونة من 7 مصالح ومركز للأشغال ؛
- مركز للتأهيل الفلاحي، مهمته تكوين فلاحي المستقبل، والعمال الزراعيين المؤهلين ؛
- فرع (une antenne) للمعهد الوطني للبحث الزراعي ؛
- المكتب الوطني للحبوب و القطاني الذي يقوم بالإشراف، بتعاون مع المديرية الإقليمية للفلاحة ؛
- الصندوق الجهوي للقرض الفلاحي والذي يسهل منح القروض، والمساعدات، ومنح الاستثمار في القطاع الفلاحي.

وتمحور التنمية المقترحة لقطاع الفلاحة حول :

- توسيع المناطق السقوية بخلق مدارات سقوية جديدة في الجماعات القروية لكل من الحكّونية (1800 هكتار) وفم الواد (85 هكتار) والدشيرة (600 هكتار) وجريفة (15 هكتار) بهدف بلوغ 2500 هكتار من الزراعة السقوية ؛ وتوسيع المناطق السقوية أمر ممكن حسب تقرير"الموارد المائية" لأن الفرشة العميقة للطباشيري الممتدة على مجموع حوض العيون - الداخلة تتوفر على احتياطي إنتاج يمكنه أن يوفر 70ل/ث . وهذه الفرشة التي استغل منها 5 - 4 مليون م3 يمكنها أن تفتح آفاقا واعدة لتنمية مستدامة للقطاع الفلاحي بالجهة. وهكذا فإنه من الضروري الانكباب على دراسة هذا المورد الذي يعد عاملا حاسما لا بالنسبة للقطاع الفلاحي فحسب بل كذلك للتنمية القروية ولتحسين موارد الساكنة.
- مردودية لـ"كرارات" يرتبط أساسا بغمرها بمياه الأمطار في فترة من السنة، وتفاديا لهذه التبعية المتقلبة حسب الجو، فإنه من المفيد استثمار "لـكرارات" وذلك بغرس أنواع من الأشجار ذات طابع فلاحي - غابوي - رعوي داخل أو حول هاته الـكرارات (السنط - الطلح - الشجيرات العلفية) أو أنواع أخرى تعتبر أكثر مردودية على الصعيد المحلي، أعشاب طبية تخضع للاختبار على يد المصالح المختصة.
- نظرا لمحدودية الموارد المائية فإن المصالح الفلاحية ومربي المواشي ملزمون باستعمال هذا المورد فقط للمنتجات ذات القيمة المضافة العالية. ولعله من الممكن اللجوء إلى زراعات علفية مثل البرسيم أو أي زراعة للقطاني تصلح للعلف ويكون تأثيرها إيجابيا لتحديد التثمين الأمثل للمتر المكعب حتى يتسنى ترشيد الاختيارات وجعلها ملائمة بشكل أفضل.
- استعمال تقنيات فلاحية عصرية ذات مردودية عالية (الزراعة في البيوت المكيفة أوخارج التربة).

- تشجيع الاستثمار في المشاريع المرتبطة ارتباطا كبيرا بالصناعة الغذائية دون إغفال المزارعين الصغار. وعلى هؤلاء أن ينتظموا لاكتساب قوة تفاوضية في الأسواق حتى يثمنوا منتجاتهم بشكل أفضل. وهذا النوع من التنظيم يحتوي على "دعامتين" أساسيتين :

الدعامة الأولى - وهي مخصصة للعمليات الفردية أو الجماعية المرتبطة بالمساحات الكبرى والعدد الكبير من الماشية وذلك بهدف تجاوز صنف المستغلات الفردية التقليدية.

الدعامة الثانية - وتهدف إلى تنظيم المستغلات الصغرى في إطار مساعد على التجمع للاستفادة من الأثر النقدي للتكتل البشري الذي يسمح للمجموعة بالحصول على مختلف المواد الأولية وبالولوج إلى الأسواق في أحسن الظروف.

وفي كلتا الحالتين المذكورتين يشكل تحسين جودة المنتجات وتنافسيتها وكذا تحسين المداخيل أهدافا لا محيد عنها. كما أن استغلال الموارد الطبيعية ينبغي أن يحترم التنوع الإحيائي ويحرص على استدامته.

وتوجد تشجيعات كثيرة فيما يخص القروض والاعتمادات وذلك في إطار ملائم يحدد الصيغ والفوائد. هذا بالنسبة لجهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء التي تتشابه في مشاكلها الطبيعية مع باقي الجهات الصحراوية الأخرى.

- جهة واد الذهب - لگويرة :

كانت المساحة الصالحة للزراعة بجهة وادي الذهب - لگويرة، حسب الإحصاء الفلاحي العام لسنة 1996، لا تناهز 265 هكتارا موزعة على 641 استغلالية، كل واحدة يتراوح متوسط مساحتها حوالي 0,4 هكتار، وانتقلت هذه المساحة حسب إحصاء سنة 2004 إلى 1034 هكتار. في حين أن جهة وادي الذهب - لگويرة تعد أكبر الجهات بالمغرب من حيث شساعة مساحتها التي تقدر ب 142.895 كلم^2، أي 20% من المساحة العامة للبلاد، و57% من مساحة الصحراء الجنوبية. وحسب المخطط الفلاحي الجهوي لسنة 2008، فإن المساحة الصالحة للزراعة الكامنة تبلغ 100 000 هكتار، 0,5% منها مسقية. وتبلغ المساحة المستغلة حاليا 520 هكتارا والمساحة الممكن تعبئتها 10 000 هكتار. ويبلغ عدد الاستغلاليات 76، 96% منها تقل مساحتها عن 3 هكتارات، و7% تزيد عن 20 هكتار. ويعود العقار لممتلكات الدولة، بينما الاستغلال للساكنة المحلية.

لقد كان النشاط الفلاحي التقليدي بجهة وادي الذهب - لگويرة يعتمد على الگرارات والمسارات الرعوية المرتبطة بنمط الترحال وتربية الماشية، هذا قبل دخول المعمر الإسباني الذي عمل على تغيير ملامح هذين النمطين وذلك بإقحامه للضيعات السقوية وتربية الماشية في الإسطبلات المخصصة. بينما ظلت ساكنة الصحراء تعتمد على نمط عيشها الترحالي المرتبط أساسا بتربية الإبل والمعز، إلى جانب زراعة الشعير بالگرارات، خاصة في الفترات المطيرة بالصحراء، والتي يغلب عليها ظرفية التذبذب والفجائية وعدم الانتظام.

جدول 1 توزيع الاستغلاليات والمساحة الصالحة للزراعة حسب الإقليم

الإقليم	عدد الاستغلاليات	إجمالي المساحة (هـ) الصالحة للزراعة	عدد القطع الأرضية	المساحة الصالحة للزراعة بالاستغلالية	المساحة الصالحة للزراعة بالقطعة الأرضية
وادي الذهب	641	265	89	0 ,4	2,9

المصدر : المديرية الإقليمية للفلاحة بالداخلة 2005

- المساحات المسقية

تمثل المنشآت المائية الصغيرة والمتوسطة (التهيئة العومية) 77 هكتارا، ويغطي القطاع الخاص مساحة 450 هكتارا مسقية بواسطة الضخ من الفرشات الجوفية.

وتضم هذه المساحات السقوية فلاحة عصرية لزراعة البواكر في البيوت البلاستيكية التي يوجه إنتاجها أساسا للتصدير. وحسب المفتشية الجهوية لإعداد التراب الوطني والتنمية المجالية، هناك خمس مناطق سقوية واعدة في أفق السنوات القادمة ستشغل مساحة تقدر بحوالي 1034 هكتار. ففي سنة 2005، كانت هذه المساحات السقوية تبلغ إجمالا حوالي 318 هكتار منها : 175 هكتار مجهزة و143 هكتار مُستَغَلة. وفي سنة 2009، ارتفعت المساحة المجهزة والمستغلة إلى 450 هكتار. وتتزود هذه المناطق من عشر آبار أرتوازية يتغير صبيبها من منطقة لأخرى. فهو يبلغ 154 لتر / ثانية بتينغير، و40 لتر/ الثانية بظهر الحولي، و29 لتر/ الثانية بتاورطة، و37 لتر/ الثانية بالضيعة الزراعية بتاورطة، و4 - 40 لتر/ الثانية بالضيعة الزراعية بكليب جديان. والزراعة في هذه المناطق الصحراوية تتوقف على استعمال البيوتات المغطاة والمكيفة وإدخال السقي الموضعي (التنقيط) والزراعة بدون تربة، وذلك لتتلاءم مع الجو القاحل والجاف، وتحد من شدة التبخر وزحف الرمال وقلة الماء والتربة الخصبة.

جدول 2 المناطق المسقية أو السقوية :

المنطقة	المساحة الإجمالية (هـ)	المساحة المجهزة (هـ)	المساحة المستغلة (هـ)	صبيب البئر (ل/ث)
تاورطة	94	37,5	37,5	29
ظهر الحولي	40	40	13	40
تينغير	600	45	41	154
الضيعة الفلاحية لتاورطة 4	150	47,5	47,5	37,5
ضيعة كليب جديان	150	5	5	40
المجموع	1034	175	143	

المصدر : المفتشية الجهوية لإعداد التراب الوطني والتنمية المجالية، 2008

ونوجز هنا بتفصيل الأحواض الخمسة لإقليم واد الذهب :

حوض تينغير : تبلغ المساحة الصالحة للزراعة بهذا الحوض 600 هكتار، منها 45 هكتار مجهزة حيث تستغل 41 هكتارا منها بالاعتماد على البيوت المغطاة وتقنية السقي بالتنقيط. ويعتمد لسقي هذه المساحة على خمس آبار أرتوازية، بصبيب يصل إلى 154ل/ث. وتنتج أنواعا مختلفة من الخضر والفواكه، وتأتي الطماطم على رأس هذه المنتوجات، حيث تنتج ما بين 250 و270 طن/هـ، ثم يليها في المرتبة الثانية البطيخ بإنتاج يصل إلى 65 طن/هـ، وهناك أنواع أخرى من المنتجات الفلاحية كالبصل والثوم، وزراعات البطيخ الأحمر (الدلاح) والفلفل والموز وغيره.

حوض ظهر الحولي : تقدر مساحته ب 40 هكتار، كلها مجهزة. ويضم بئرا أرتوازيا يبلغ صبيب مياهه 40 ل/ث، ومن منتوجاته زراعة الموز التي تشغل 5 هكتارات بإنتاج يعادل 35 طن/هـ، والمساحة المتبقية تستغل في زراعة الطماطم والبطيخ والأعلاف وغير ذلك من المنتوجات الفلاحية.

حوض تاورطة : تبلغ مساحته الصالحة للزراعة 94 هكتار، منها 37.5 هكتار مجهزة، ويتم سقي هذه المساحات عبر بئرين أرتوازين يصل صبيبهما إلى 29 ل/ث. وينتج هذا الحوض مزروعات علفية ساهمت بشكل كبير في تطوير تربية الأبقار الحلوب بالجهة.

حوض تاورطة 4 : بدأ استغلال هذا الحوض في 6 شتنبر 2002 من طرف شركة مختلطة، التي تحملت استصلاح أراضي فلاحية قدرت ب 300 هكتار وذلك عبر مراحل، تجهيز حوالي 47.5 هكتارا لزراعة الطماطم، ثم أضيفت له 6 هكتارات جديدة كمرحلة ثانية. أما المراحل التالية فهي في طور الإعداد. ويزود هذا الحوض من مياه بئر أرتوازي يبلغ صبيبه 37.5 ل/ث ويضم حوضا للتخزين تبلغ طاقته الاستيعابية 1500م^3.

حوض كليب الجديان : تبلغ مساحته الإجمالية حوالي 150 هكتار، منها 5 هكتار مجهزة، ويستفيد في السقي من مياه بئر أرتوازي بصبيب 40 ل/ث. ومن خاصية هذا الحوض الفلاحي استعماله لتقنيات حديثة سواء في الري المبرمج في الحاسوب وتطوير المنتوج الزراعي.

ووفقا للمخطط الفلاحي الجهوي لسنة 2008، فإن المساحات المسقية ستبلغ 1450 هكتار في أفق 2020.

- 450 هكتار مجهزة ومستغلة حاليا ؛
- 1000 هكتار جديدة سترى النور ضمن 5 مشاريع.

وستُدرج ضمن المشروع السادس لمخطط التنمية الفلاحية محطة تغليف بقدرة معالجة تصل إلى 4 أطنان/الساعة.

اليد العاملة أو العمالة بهذا القطاع الحيوي :

فحسب الإحصاء الفلاحي العام، تتوزع الساكنة الفلاحية بالجهة، كما هو مبين في الجدول أدناه، بين المستغلين الذين يبلغ عددهم 631، واليد العاملة العائلية الدائمة 255 شخص، واليد العاملة المأجورة الدائمة 878 شخص.

جدول رقم 3 المستغلون واليد العاملة والساكنة الفلاحة

الإقليم	المستغلون	اليد العاملة العائلية الدائمة	اليد العاملة المأجورة الدائمة	السكان الفلاحيون
وادي الذهب	631	255	878	1764
أوسرد	——	——	——	——
المجموع بالجهة	631	255	878	1764

المصدر : الإحصاء الفلاحي العام، 1996.

هذا الإحصاء الفلاحي العام الذي أنجز في 1996، لا يتضمن معطيات عن إقليم أوسرد، الذي أحدِث سنة 1998.

الإنتاج الفلاحي المسقي :

قطاع البواكر: يهمّ المشاريع ذات أكثر من 100 هـ وتتطلب استثمارات كبرى تناهز عدة ملايين درهم. وقد انطلق مشروعان في شتنبر 2008، الأول على مساحة 200 هـ والثاني على مساحة 400 هـ. وتعمل الدولة على تشجيع هذه الزراعات بالبيوت المكيفة بمد قروض ومساعدات تقنية، وسيمتد إنجاز البيوت البلاستيكية بالجهة حتى سنة 2020. وسيناهز الاستثمار الإجمالي 800 مليون درهم في السنوات القادمة، تساهم الدولة بحوالي 65 مليون درهم (صندوق التنمية الفلاحية بـ 61,5 مليون درهم والميزانية بـ 3,830 مليون درهم).

معطيات عن المشاريع الفلاحية داخل البيوت البلاستيكية المنجزة والمحتملة

المشاريع المنجزة والمحتملة	الوضع الحالي	2013	2010
توسيع المساحة (هكتار)	450	950	1450
المساحة التي ستُجهز بنظام التقطير (هكتار)	450	950	1450
السماد (طن)	6.750	14.250	21.750
المبيدات النباتية	40,5	85,5	130,5
المردودية (طن/هكتار)	80	80	80
قيمة الإنتاج (ألف درهم)	432.000	912.000	1.740.000
التعبئة - عدد الوحدات - السعة الإجمالية (طن/السنة)	0	1 4 طن/الساعة	1 4 طن/الساعة
التصدير (% الإنتاج)	%100	%100	%100
تكلفة الإنتاج (درهم/هكتار)	617.600	617.600	617.600
الهامش الخام (درهم/هكتار)	582.400	582.400	582.400
تثمين مياه السقي (درهم/متر مكعب)	33	33	33
القيمة المضافة (ألف درهم)	262.400	262.400	262.400
مناصب الشغل (يوم عمل)	1.350.000	2.850.000	4.350.000

المصدر : المديرية الإقليمية للفلاحة بالداخلة 2010

إن إنشاء الوحدات رهين بتوفر موارد مائية سهلة الوصول وذات جودة للاستعمال في السقي بالتقطير. ويستعرض الجدول أعلاه أهم المعلومات حول مشاريع قطاع "البواكر".

ولا يتطرق المخطط الفلاحي الجهوي لمنتجات نباتية أخرى بسبب جفاف المناخ وعدم التأكد من وفرة الموارد المائية الضرورية. وبالنظر إلى القيمة المضافة التي تحققها البواكر نفهم الأولوية التي تحظى بها في المخطط. ويظهر أيضا أن هذا التحسين لا يدخل ضمن نطاق الزراعة التقليدية بل يفترض إنشاء شركات كبرى ذات رؤوس أموال مهمة تعتمد على التكنولوجيا المتقدمة بالإضافة إلى تمكنها من شبكات التسويق الدولية. فالمسألة هنا مسألة تطوير الإنتاج والإنتاجية وليست تحسين ظروف المزارعين ومربي المواشي التقليديين.

ولهذا فإن الفلاحة بجهة وادي الذهب لـگويرة تشكل أكبر تحدي بالنسبة للدولة بحكم عوائق تقف أمام كل تنمية في هذا القطاع الحيوي، إلا أن استعمال التهيئة الهيدروفلاحية بالاعتماد على فلاحة البيوت المغطاة والمكيفة وتقنيات دقيقة في ميدان الاستصلاح الزراعي وخصوصا تقنيات الري الحديثة (التنقيط) التي تسمح باستغلال عقلاني وترشيدي للمياه الصحراوية الجوفية والمحدودة في الزمان والمكان. كل هذه العوامل بما فيها مؤهلات الجهة تداخلت وتفاعلت فيما بينها لتعطينا فلاحة صحراوية ذات قيمة مضافة.

ويمكن تلخيص هذه المؤهلات فيما يلي :

- وجود فرشة مائية جوفية مهمة (ارتوازية) ؛
- شساعة الجهة وامتداد مراعيها ؛
- غطاء نباتي متنوع وكثيف في الفصول المطيرة ؛
- المناخ المعتدل نسبيا خاصة على الساحل والخلجان ؛
- استثمارات الدولة والخواص في مجال الفلاحة ؛
- الامتيازات الممنوحة للفلاحين ومربي الماشية ؛
- بنية تحتية متنوعة : طرق، مركب مينائي، مطار، تسهل في سيولة المنتوجات الفلاحية إما نحو الداخل أو الخارج.

- تربية الماشية بجهة وادي الذهب :

يحتل قطاع تربية الماشية بهذه الجهة مكانة مهمة ضمن النسيج الاقتصادي للمنطقة، كما يشكل أحد أهم مصادر الدخل بالنسبة للساكنة المحلية.

جدول رقم 4 : عدد رؤوس الماشية حسب النوع لسنة 2004

نوع القطيع	العدد (رأس)
الأغنـام	32000
الماعـز	25000
الإبـل	18000
البقـر	300

المصدر : المديرية الإقليمية للفلاحة بالداخلة 2005

وقد ساهم إنتاج العلف في تطوير المنتوج الحيواني وبالخصوص الأبقار الحلوب التي تنتج حوالي 380000 لتر في السنة، بالإضافة إلى توفير اللحوم. ونجد بالجهة عدة تعاونيات لإنتاج الحليب إذ أصبحت توفر حوالي 40% من حاجيات الجهة.

كما نجد وحدتين لتربية الدواجن بطاقة تقدر ب 20000 دجاجة سنويا، أي حوالي 160 طن من اللحوم البيضاء وهو ما يلبي حوالي 50% من حاجيات الجهة من هذا الصنف.

وقد ساعد في تطوير قطاع تربية الماشية بهذه الجهة عدة عوامل منها :

- تكثيف التأطير الصحي من طرف الجهات المختصة ؛
- منح مساعدات (أعلاف وغيرها) ؛
- حفر وتجهيز نقط مائية حول مسارات الرحل ومربي الماشية (105 آبار و20 خزانا) ؛
- تزويد قطيع الماشية والرعاة بالمياه الصالحة للشرب عن طريق شاحنات صهريجية مخصصة لنقل المياه ؛
- تنوع النباتات الطبيعية بالجهة وشساعة المجال الرعوي (12.000.000 هكتار).

- الزراعة التقليدية المرتبطة بتربية الماشية :

تعتمد الزراعة التقليدية على استغلال الگرارات لإنتاج الشعير، والمجال الرعوي الغابوي الذي يوفر الكلأ الطبيعي لتغذية الماشية المرتحلة.

وللمحافظة على هذا النمط التقليدي المتوارث جيلا بعد جيل عملت الدولة على توفير العلف (الكلأ) والتلقيح المجاني، وتوزيع الحبوب في الفترات المطيرة، وكذا حفر الآبار والخزانات المائية (المطفيات)، والمساعدات المادية، وتسهيل استيراد أنواع جديدة من الإبل خاصة من موريتانيا. ولعل إدخال تقنيات سقوية وزراعية جديدة لتحسين إنتاجية الأعلاف (التنقيط)، واستعمال البذور المُحسَّنة وسلوك مراعي تقنية مناسبة، وتحسين الماشية جينيا والتأطير التقني وتنظيم الفلاحين في تعاونيات فلاحية، وتشجيع أنشطة جديدة مدرة لدخل إضافي (كالسياحة البيئية الصحراوية وتشجيع المنتجات الفلاحية المحلية)، كلها عوامل مساعدة على تحفيز الشباب الصحراوي لكي يرسم ملامح جديدة على وجه الإنتاج الفلاحي الصحراوي، ويبثّ نفَساً جديداً في هذا المجال القروي.

ولكن مهما كانت وتيرة التدابير المتخذة سريعة، فإن إنتاجية المجال الفلاحي التقليدي الرعوي، المتذبذبة بسبب الظروف المناخية المتردية (قلة التساقطات، وتضافر سنوات الجفاف وزحف الرمال)، وقلة الغطاء النباتي واحتدام الاستغلال الجائر للمراعي، ظلت ضعيفة المردودية والإنتاجية وتعتمد بشكل كبير على الدولة. ولهذا كان اللجوء إلى السقي في هذا الوسط القاحل حلا مناسبا وضروريا لضمان استمرار هذا النمط

التقليدي - الرعوي - الترحالي (أو النصف ترحالي بفعل الاستقرار في المدن).

ويوضح الجدول التالي عدد المشاريع المحددة حسب القطاع و"الدعامة".

جدول 5 المشاريع الخضراء للمنطقة

نوع الإنتاج	الدعامة 1 (عرض المستثمر)	الدعامة 2 (عرض خاص)
الإنتاج النباتي	6	0
الإنتاج الحيواني	7	3
المجموع	13	3
%	81	19

المصدر : المديرية الإقليمية للفلاحة بالداخلة 2005

- الإنتاج الحيواني

حدد المخطط الفلاحي الجهوي أربع قطاعات للاستفادة من تشجيع الدولة للمستثمرين. وهكذا نميز بين مشاريع "الدعامة 1" ومشاريع "الدعامة 2".

سلسلة الدواجن الصناعية : وسيتألف من سبعة مشاريع، منها ست وحدات إنتاج لحوم الدجاج لتموين السوق المحلية وربما التصدير لموريتانيا. ويتوقع أن تنتج كل وحدة سنويا 200 طن من اللحوم البيضاء.

وأما المشروع السابع فهو إنجاز مجزرة مجهزة بقاعة تقطيع اللحوم وتلفيفها سنة 2010. وتستطيع هذه المقاولة، طبقا لعقد تبرمه مع مربي الدواجن، تزويدهم بالكتاكيت والعلف وغيرها مما يحتاجه المنتجون مقابل دجاج جاهز للذبح بسعر يحدده العقد.

وتبلغ قيمة الاستثمار المطلوب 15.145 مليون درهم، يقدم القطاع الخاص 13 مليون وصندوق التنمية الفلاحية لكي يستفيد من فوائد القروض البنكية الممنوحة للمستثمرين. وهذه المشاريع أيضا هي مشاريع موجهة للإنتاج وتفترض استثمارا بقيمة 2 مليون درهم لكل مستغل لتطوير نشاط زراعي "بدون تربة" تكميلا للأنشطة التقليدية.

وتقدر قيمة الإنتاج المنشود بحوالي 16,8 مليون درهم.

سلسلة حليب النوق : هو من بين مشاريع "الدعامة 2". ويهم 300 مربي من أجل :

- اقتناء 1000 ناقة حلوب بين 2009 و2010 ؛
- استيراد ذكور التلقيح (الفحول) والنوق الولود بين 2009 و2020 من أجل إنشاء 10 وحدات ناشئة لتكثير أفضل ذكور الجمال الملقّحة والنوق الحلوب ؛
- تأطير المربين وتدريبهم من أجل تحسين رعاية القطعان ؛
- إحداث مركزين لجمع الحليب ومجمع صغير لمعالجة الحليب المُنتَج وتسهيل تسويقه ؛
- أعمال أخرى لتنظيم المربين في تعاونيات وجمعيات مهنية، رحلات تحسيسية حول استعمال الأعلاف، إلخ.

وسيُنجَز المشروع حول منطقة العرقوب.

وأما التمويل، فتصل تكلفة المشروع الإجمالية إلى 44,100 مليون درهم، يتحمل منها المربون 33,5 مليون درهم وصندوق التنمية الفلاحية 10,6 مليون درهم أي 24%.

وتكمن غاية المخطط في تحسين الإنتاجية والإنتاج وتحقيق حصة قابلة للتسويق وتحسين مداخيل مربي الإبل بالجهة.

جدول 1 تطور إنتاج حليب النوق أو الإبل.

وصـف	الوضع الحالي	2013	2020
إنتاجية النوق (لتر / ناقة / السنة)	1050	1825	2920
إنتاج الحليب قابل للتسويق (مليون لتر)	0	1,825	2,920
% الحليب المُصنّع (مليون لتر)	0	36,5% *	58%*
استعمال التغذية المركبة - الأعلاف المركبة (طن/السنة)	0	913	1825
البنيات التحتية لجمع الحليب - عدد مراكز جمع الحليب - سعة التبريد طن / اليوم	0 0	2 2 طن/اليوم	2 2 طن/اليوم
تحويل ومعالجة - عدد الوحدات - السعة الإجمالية طن/اليوم	0 0	1 2طن/اليوم	1 2طن/اليوم
قيمة الإنتاج (ألف درهم)	00	12.000	19.200
هامش صافي (درهم / الناقة / السنة)	00	2362	7000
مناصب شغل (مليون يوم عمل)	00	10.950	10.950

* تمثل هذه النسب الكمية المُصنّعة بالمقارنة مع الإنتاج المحتمل في نظام مكثف يقدر بـ 000 000 5 ل/السنة.

سلسلة لحوم الإبل : تندرج ضمن مشروع "الدعامة 2". ويبلغ عدد رؤوس الإبل 25000 في حوزة 300 مربي. وسيستفيد من المشروع الذي اختاره المخطط الفلاحي الجهوي حوالي 200 مربي ويسعى إلى تحسين إنتاج اللحوم عبر تحسين الإنتاجية التي سترتفع من 20 كلغ/الرأس/السنة إلى 25 كلغ في 2013 وستصل إلى 30 كلغ في 2020. وسيرتفع الإنتاج الإجمالي السنوي من 135 طن إلى 169 سنة 2013 ثم 203 طن/السنة سنة 2020. وأما القيمة المحققة من الإنتاج فستنتقل من 8,1 مليون درهم حاليا إلى 10,12 مليون سنة 2013 ثم 12,16 مليون سنة 2020.

وتعتمد خطة العمل على تحسين رعاية القطيع، والاختيار، والتغذية، وتهيئة نقط موارد الماء على المراعي وتنظيم المربين في تجمعين للمنتجين سينضويان تحت الجمعية المغربية لمربي الجمال.

وتقدر تكلفة المشروع الإجمالية بحوالي 32,140 مليون درهم، تساهم فيها ميزانية الدولة 24,040 مليون

درهم. ويساهم المربون بـ 4,5 مليون درهم والجماعات المحلية بـ 600 000 درهم.

سلسلة لحوم الماعز : هي مشروع من فئة "الدعامة 2". وسيُشرك المشروع 250 مربيا من بين 450 مربياً للماعز. والهدف المنشود هو تحسين إنتاج اللحوم بتحسين الإنتاجية التي سترتفع من 6 كلغ/الرأس/السنة إلى 8 كلغ/الرأس/السنة سنة 2020. وتشمل خطة العمل إجراءات تقنية من حيث الاختيار والتغذية والتوريد وتأطير القطيع صحيا، بالإضافة إلى تدابير لتنظيم المربين في تجمعين سينضويان تحت لواء الجمعية الوطنية لمربي الماعز. وتبلغ تكلفة المشروع 22,530 مليون درهم بتمويل 100% من ميزانية الدولة.

موقعي سلسلتي لحوم الماعز ولحوم الإبل :

تندرج هاتان السلسلتان ضمن مشاريع "الدعامة 2" من مخطط المغرب الأخضر. وهي تهم القطعان المرتحلة على مساحة ملايين الهكتارات والتي يعتمد إنتاج الأعلاف بها اعتمادا شديدا على التساقطات المطرية وضغط القطعان التي ترعى عليها. وستساهم التدابير التقنية المحددة في مخطط المغرب الأخضر بلا شك في تحسين إنتاجية القطعان التي تستهدفها خطة العمل.

وباستثناء نقاط الماء، لم تذكر خطة العمل أي إجراء تحسيني أو تنظيمي آخر للمراعي. وأما من وجهة تصور المخطط الجهوي لوادي الذهب - لگويرة، ونظرا للأسباب المتعددة التي سبق سردها، فإن التخلي عن استغلال هذا المجال الغابوي الفلاحي الرعوي دون اتخاذ أي مبادرة لتدبيره ووضع حد لتدهوره سيؤدي حتما إلى هدم جميع الجهود المبذولة لتطوير السلاسل الأخرى. فالتصحر وزحف الرمال يسيران بالتدريج ويدفعان الإنسان إلى خارج هذا المجال لتصبح المساحات المسقية والمدن الساحلية مهددة بدورها.

اقتراح تكميلي :

نظرا لأن هذا المجال يعود للدولة، فسيكون من السهل سنّ قواعد جديدة لتدبيره حفاظا على ديمومته وتنوعه الحيوي النباتي والحيواني. وغني عن الذكر أن موافقة الأهالي تتطلب تحسيسهم وكذلك وسائل تعويضهم عن الأراضي التي ستكون موضوع أشغال إعادة استنبات الغطاء النباتي. وهناك اقتراحين تكميليين :

- تخفيف العبء على المراعي

إن رفع إنتاجية الإبل من 20 كلغ/الرأس/السنة إلى 30 كلغ/الرأس/السنة تتطلب تخفيف الضغط على موارد العلف بالمراعي. وستنظم ورشات تسمين لجميع الإبل والماعز غير الولود لاسترجاع لحومها وتحويلها حسب جودتها، ولفتح باب تسمين الجمال الصغيرة وتطوير سوق لحوم الجمال الصغيرة على غرار لحوم الأبقار الصغيرة والعجول. وكذلك بالنسبة للماعز الصغير التي يستطيبها المستهلك بالجهات الشمالية. وسيكون تطوير السياحة البيئية هو أيضا سوق للحوم صغار الإبل والماعز.

- تحسين إنتاج العلف بالمراعي

إن مصالح وزارة الفلاحة متمكنة جيدا من الجانب التقني لهذا العمل. ويجب سن مقاربة جديدة لتدبير المجال الغابوي الرعوي، وهي مقاربة تبدو سهلة التنفيذ في هذه المناطق الجنوبية للمملكة بالنظر إلى الوضعية العقارية للأرض. ومفاد الأمر هو تحديد مجال زراعي غابوي رعوي تتراوح مساحته بين 20 و30 ألف هكتار، يتألف من گرارات ، ومراعي وغابات، يستغلها تقليديا جماعة محددة ستكون هي المستفيدة الأولى من هذه العملية. وستؤمن المصالح العمومية تأطير المربين من الناحية التقنية والتنظيمية. والدولة هي التي ستتحمل التمويل والتأطير. وسيستغرق المشروع عشر سنوات، وسيخضع للتقييم على رأس كل خمس سنوات، ثم يمدد إلى غاية سنة 2050. ويمكن، حسب النتائج المحققة ميدانيا، أن يعود المشروع تدريجيا للمربين المعنيين.

إن تدبير قطاع الإنتاج الحيواني في وضعه الحالي يتم بشكل تقليدي، ولا يؤمن للمربين إلا إنتاجية ضئيلة ومداخيل ضعيفة. ويقترح المخطط الفلاحي الجهوي مشاريع من فئة "الدعامة 1" من مخطط المغرب الأخضر. وهي مشاريع تتطلب استثمار مقاولين خواص مستفيدين من قروض بنكية ومن دعم صندوق التنمية الفلاحية. وهذا هو حال مشاريع سلسلة الدواجن وسلسلة حليب النوق.

وتقترح سلسلة الدواجن الجديدة بإنشاء ست وحدات تربية دجاج اللحوم التي ستنتج كل واحدة منها 200 طن سنويا. وهكذا سيرتفع إنتاج اللحوم البيضاء من 250 طناً سنة 2009 إلى 1450 طنا سنة 2020 لتلبية طلب الجهة مع تحقيق فائض قابل للتصدير.

ومن المتوقع أن تؤدي مجزرة مجهزة بقاعة تقطيع وتلفيف إلى جمع مربي الدواجن ضمن عقد إدماج.

ويُنتَظر أن تنشئ سلسلة حليب النوق وحدات إنتاج حليب من مجموع 1000 ناقة حلوب. وسيرافق هذه الوحدات برنامج تحسين وراثي لرفع إنتاج الناقة السنوي من 1095 لتر إلى 1825 لتر سنة 2013 ثم إلى 2920 لتر سنة 2020. وسيكون هذا الإنتاج مُصنّعاً ومسوّقاً لتلبية طلب سكان المدن بالجهة وتحسين مداخيل المربين.

وضمن مشاريع "الدعامة 2" من مخطط المغرب الأخضر، يقترح المخطط الجهوي مشروعين لإنتاج اللحوم الحمراء من الماعز والإبل. وسيؤطر المشروعان تجمعات مربين ينضوي تحتها 200 مربي إبل و250 مربياً للماعز. والهدف من ذلك هو تحسين إنتاجية القطعان بتطبيق تدابير تقنية وتنظيمية على المربين. ويتوقع أن ترتفع إنتاجية الإبل بين سنة 2009 و2020 من 20 كلغ/الرأس/السنة إلى 30 كلغ/الرأس/السنة، وإنتاجية الماعز من 6 كلغ/الرأس/السنة إلى 8 كلغ/الرأس/السنة سنة 2020. وسيُنفّذ المشروعان في المجال الزراعي الغابوي الرعوي. وستتحمل الدولة 76% من تمويل سلسلة لحوم الإبل و100% من لحوم الماعز.

ولا يتطرق المخطط الفلاحي الجهوي لأي إجراء لتحسين المراعي باستثناء تهيئة نقاط الماء. وطبقا للتصنيف ضمن الدعامة 2، فهذه المشاريع ترمي إلى

تحسين إنتاجية تربية المواشي التقليدية تدريجيا وإلى تحسين ظروف المربين الاقتصادية. وبالتالي، فهي تلبي مطلب إبقاء السكان الرحل ونمطهم المعتمد على الرعي في مجالات الجهة الشاسعة مع ترشيد الإنتاج للاستفادة من أفضل مردودية. وهكذا المخطط الجهوي ما يلي :

- يمكن تحسين الإنتاج الفلاحي تحسينا ملموسا بالجهة وتوجيهه نحو منتجات ذات قيمة مضافة أعلى، وذلك بالقيام باستثمارات نوعا ما كبيرة. غير أن هذه المساحات المعيشية تظـل متواضعة جدا بالنظـر إلى الجهة (15 كلم² على 000 143 كلم سنة 2020، وربما 100 كلم² في الأجل البعيد (أي ما يناهز 0,1% و0,7% من مجموع أراضي الجهة). والباقي (أي 000 142 كلم²) سيبقى مستغلا بالارتحـال الكبيـر وإنتاج ذي قيمـة مضافة عالية لفائـدة المربين.

ومهما كانت التقنيات والتدابير المستعملة المعروفة حاليا متقدمة فإن الفلاحة ستظل نشاطا محدودا موضعيا وهامشيا من الناحية الاقتصادية.

تتمحور التنمية المقترحة في إطار "مخطط المغرب الأخضر" والمتعلقة بتربية المواشي بالجهتين الصحراويتين حول :

- تحديث سلاسل إنتاج الحليب واللحوم الحمراء والبيضاء واستثمارها وتحسين إنتاجها وبالتالي تحسين نسل المواشي وطريقة سياقتها في المراعي.

- تهيئة مساحات شاسعة من المراعي عن طريق تحسين الغطاء النباتي وترشيد استغلاله من قبل مربي المواشي حتى يتم تجاوز الخصاص العلفي الذي ينجم عنه تبعية كبيرة للأعلاف المجلوبة من خارج الجهة والتنقل خارجها.

- تكوين مربي المواشي وزيارة المناطق المهيأة في إطار حملات تحسيسية.

- إنجاز دراسات وأبحاث أساسية لمعرفة الموارد والمجال والمعنيين بهذا النشاط وتنظيمهم معرفة جيدة.

- ضمان التوازن بين أعداد الماشية وطاقة تحمل المراعي وذلك بخلق مناطق محروسة ستساعد على استعادة البساط العلفي.

- تحسيس المربين ومستعملي المراعي بمسؤوليتهم تجاه الموارد الرعوية في إطار اتفاقيات تدبير مستدام للأراضي الرعوية حتى يتم الحفاظ على تنوع وحيشيها ومواردها النباتية ومؤهلاتها السياحية والإيكولوجية.

- خلق محميات للغطاء النباتي وخصوصا في المدارات السقوية الصغيرة وبعض "الـﮔرارات" ارتباطا بتنمية وحدات إنتاج حليب الماعز والنوق وذلك تقليصا لتكاليف شراء المواد العلفية.

- إنشاء وحدات أو"رانشات Ranchs" تتحدد مساحتها حسب الطاقة الإنتاجية العلفية مع مراعاة ضرورة عدم استعمال جزء من هذه المساحات لفترة من الزمن لإحياء غطائها النباتي تدريجيا وذلك بتسميدها وغرس شجيرات علفية ملائمة للظروف المناخية المحلية واستمرار هذه المساحات لتجمعات من المربين "من ذوي الحقوق" في إطار تنظيماتهم المهنية التي تؤطرها مختلف المصالح التقنية المختصة. وستحدد كل مساحة من هذه المساحات بمساهمة الساكنة المعنية والسلطات المحلية على أساس معايير اجتماعية واقتصادية وتقنية. وسيسلم استغلالها للجماعات الإتنية التي لها حقها التقليدي المعترف به في الرعي والمنظمة في إطار تعاونيات أو جمعيات مهنية.

- تحسين سلاسل الإنتاج الحيواني، ويتعلق الأمر باللحوم والحليب. وتتمثل الأهداف العامة التي يرمي إليها المخطط الفلاحي الجهوي في الرفع من مستويات الإنتاج لمختلف السلاسل المذكورة وتحسين جودة الظروف لتسويق المنتجات وتثمينها وخلق فرص الشغل وتحسين موارد الساكنة القروية.

- العمل على الرفع من الطاقة الإنتاجية لتربية الدواجن وتحسينها.

- الحفاظ على الغطاء الغابوي وتنميته

إن هذا القطاع الهش، بفعل الظروف المناخية وطبيعة التربة من جهة وبفعل الاستغلال المفرط الناتج عن الرعي الجائر لما تبقى من الأشجار الغابوية ولاسيما السنط أو الطلح (l'accacia) من جهة أخرى، ينبغي أن يحظى برعاية خاصة حتى يتوسع إن أمكن. وفيما يلي الأعمال المقترحة التي ينبغي القيام بها حسب المخطط الجهوي :

- حملات تحسيسية دورية موجهة إلى السكان والشباب في مؤسسات التعليم حول ضرورة المحافظة على الغطاء النباتي للمجال الغابوي الصحراوي.
- تنظيم جولات منتظمة في المجالات الغابوية للحراسة والنهي عن تبديد واجتثاث أشجار الطلح.
- إحياء الأنواع الغابوية الخاصة بالمنطقة ومنع الرعي الجائر بمساحات غابوية مهددة نظرا لعدم تجددها.
- التنسيق مع مصالح إدارة الفلاحة حول الأعمال الرامية إلى تحسين النشاط الرعوي وتنظيم مربي المواشي تجنبا للرعي في المناطق الغابوية.
- تشجيع استعمال الغاز والطاقة الشمسية لتلبية الحاجات المنزلية والحمامات والأفران وخاصة لدى الرعاة الذين يستهلكون أغصان الشجر بهدف تقليص استعمال الخشب المفحم للطهي وتسخين المياه وذلك لصيانة الغابة التي تساهم في محاربة التصحر والتنوع الإحيائي.
- إيلاء أهمية خاصة للوحيش المحلي (الغزال - الأحبار) حفاظا على هذين النوعين السائرين نحو الانقراض بالجهتين مع دمج أنواع أخرى خاصة التي انقرضت.
- تشجير الأراضي باستعمال أصناف مناسبة للظروف الصحراوية المناخية في المناطق الغابوية المساعدة على ذلك وحول المراكز الحضرية والسعي إلى تثبيت الكثبان الرملية الساحلية.
- إنشاء محميات للغلاف الحيوي في إطار برنامج (ماب) الذي اقترحته اليونسكو وهو إطار ملائم لخلق

توازن بين حاجات السكان واستدامة الأنظمة البيئة للمجال المخصص لهذه المحمية. وسيتم تعيين حوض واد الساقية الحمراء وجنوب جهة وادي الذهب لهذا الغرض.

. حماية البيئة النباتية والوحيشية لكل من المنتزهات الوطنية لأخنفيس والداخلة التي ستعلب دورا هاما في السياحة بهاتين الجهتين.

- المشاكل التي تعاني منه الفلاحة بالأقاليم الجنوبية :

على الرغم من كون النشاط الفلاحي والقطاع الغابوي قليلي الأهمية بالجهتين نظرا للظروف المناخية الصعبة ورغم كون قطاع تربية المواشي يعرف تقلبات حسب أهمية الأمطار المتساقطة كل سنة فإن المخطط الجهوي لإعداد التراب قد اقترح توجهات تنموية في إطار إستراتيجية مخطط "المغرب الأخضر" للفلاحة وتربية المواشي وفي إطار الحفاظ على المجال الغابوي وتطويره.

ومن المشاكل التي تعرقل هذه البقع الفلاحية المحدودة خاصة لگرارير والضيعات المسقية، نورد ما يلي :

- زحف الرمال (نفق أو الشريط الساحلي طرفاية - العيون- الداخلة) على المدارات السقوية لفم الواد وظهر الحولي وتينيغير وغيرها من الضيعات وهو ما يقلص من مساحتها ويحد من إنتاجيتها ؛

- وجود مشاكل مرتبطة بالنظام العقاري للأراضي الواقعة خارج المدار الحضري ؛

- نقص كبير في الموارد المائية المستعملة في الفلاحة وارتفاع نسبة ملوحتها ؛

- ضعف عدد الساكنة القروية فغالبيتها تسكن المدن، ويتراجع عددها كل سنة على حساب ساكنة المدن التي تتزايد بشكل مهول، فالصحراء تمثل أكبر المجالات تحضرا بنسبة تزيد عن 90% ؛

- اتجاه عدد السكان القرويين إلى الانخفاض لاسيما فئة الشباب التي ينبغي لها أن تؤمن الخلف لآبائها. يضاف إلى ذلك أن الشيخوخة التي تمس الساكنة الفلاحية تجعل من المتوقع إفراغ الوسط القروي من ساكنته ؛

- الظروف المناخية الصحراوية القاسية والبنية الترابية غير الملائمة للفلاحة تشكلان عوائق كبرى في وجه توسع النشاط الفلاحي ؛

- نقص الموارد البشرية والمادية الضرورية للتأهيل التقني وقلة تشجيع الدراسات والأبحاث حول الموارد الحالية المتوفرة من مراع وغابات وأنواع النباتات وتوزيعها الخرائطي والمجالي، وكذا حول التنظيم الاجتماعي المتأصل (الترحال) وأنماط الإنتاج الحالية ؛

- وجود مساحات شاسعة من المراعي التي تمتد على 4.1 مليون هكتار، لكن الموارد الرعوية، ذات الإنتاجية الضعيفة، تظل هشة أمام التساقطات المطرية الضعيفة التي لا تسمح بتنمية مستدامة للغطاء النباتي خاصة أمام تزايد عدد الماشية في كل هكتار رعوي. وتبقى حصيلة الأعلاف نتيجة ذلك ضئيلة (64 بالمائة نسبة إلى مجموع الجهتين) ؛

- تربية الماشية ونمط الترحال المرتبط به (ترحال رعوي وليس أسري) يشكلان النشاط الفلاحي الرئيس الذي يمارسه عدد كبير من ملاكي القطعان المتفاوت عددها حسب كل جهة.

- خبرة ومهارة مربي المواشي الذين أصبحوا مستقرين في المدن، واستقطاب رعاة من الشمال المغربي ليست لهم دراية بالمجال الصحراوي وقساوة ظروفه الطبيعية والتكيف معها، بالإضافة إلى عدم خبرتهم فيما يخص سياقة قطعان الإبل، وامتداد وشساعة المجال الذي يتنقلون فيه، وتعرضهم لمخاطر الألغام التي تهدد حياتهم ومواشيهم.

- كون المجال "الغابوي" أو "الرعوي الغابوي" الهش الذي يغطي آلاف الهكتار مهددا نتيجة الاستغلال المفرط للرعي الجائر ولاسيما أشجار السنط (l'accacia) أو ما يطلق عليه الطلح الذي يستعمل في طهي الشاي والأكل، وكذا عدم تجدد الغطاء النباتي بحكم تواتر الجفاف وقلة التساقطات.

لهذا فالفلاحة في الأقاليم الصحراوية الجنوبية مازالت تعاني من الإكراهات الطبيعية وتدخل الإنسان (قلة التساقطات، توالي فترات الجفاف، قلة وانعدام الأراضي الصالحة للزراعة، زحف الرمال، قلة خبرة الساكنة بالزراعة العصرية المتطورة، الرعي الجائر، إلخ.)، كل هذه العوامل تشكل عائقا أمام المستثمرين، وتجعل الزراعة غير ممكنة بهذا المجال القاحل إلا باللجوء إلى النظام السقوي الباهظ التكاليف.

أنس عمران وبوشتى الفلاح، البنية ومظاهر السطح بالجنوب المغربي، *مجلة المناهل*، عدد 58، مارس، 1998 ؛ مولاي إدريس شداد وآخرون (مديرية إعداد التراب الوطني)، *جهة العيون- بوجدور-الساقية الحمراء : الحوار الوطني حو إعداد التراب، عناصر تمهيدية*، وزارة إعداد التراب الوطني والبيئة والتعمير والإسكان، مطبعة عكاظ، الرباط، 1999 ؛ مولاي إدريس شداد وآخرون (مديرية إعداد التراب الوطني)، *جهة وادي الذهب - لگويرة : الحوار الوطني حو إعداد التراب، عناصر تمهيدية*، وزارة إعداد التراب الوطني والبيئة والتعمير والإسكان، مطبعة عكاظ، الرباط 1999 ؛ *المفتشية الجهوية لإعداد التراب والبيئة لجهة العيون- بوجدور- الساقية الحمراء* : عناصر تمهيدية، وزارة إعداد التراب الوطني والماء والبيئة، مطبعة عكاظ، الرباط، 2004 ؛ *المفتشية الجهوية لإعداد التراب والبيئة لجهة وادي الذهب- لگويرة : عناصر تمهيدية*، وزارة إعداد التراب الوطني والماء والبيئة، مطبعة سيباما، الرباط 2005 ؛ وزارة الإسكان والتعمير والتنمية المجالية ووكالة الإنعاش والتنمية الاقتصادية والاجتماعية للأقاليم الجنوبية للمملكة، *"تهيئ المخططات الجهوية لإعداد التراب للأقاليم الجنوبية للمملكة*، الرباط في مارس 2008 ؛ وزارة الإسكان والتعمير والتنمية المجالية ووكالة الإنعاش والتنمية الاقتصادية والاجتماعية للأقاليم الجنوبية للمملكة، *"المخططات الجهوية لإعداد التراب للأقاليم الجنوبية للمملكة : ملخص التقارير التشخيصية*، مديرية إعداد التراب الوطني، الرباط سنة 2008 ؛ *تقارير مندوبيتي وزارة الفلاحة بكل من العيون والداخلة لسنتي 2005 و2008* ؛ مولاي إدريس شداد وآخرون، جهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء، *ذكرى 12 قرنا في حياة مملكة*، سلسلة تاريخ جهات المغرب، منشورات عكاظ، الرباط، 2009 ؛ مولاي إدريس شداد

وآخرون، جهــة واد الذهــب ـ لـﮔـويرة، *ذكرى 12 قرنا في حــياة مملكة*، سلسلة تاريخ جهات المغرب، منشورات عكاظ، الرباط، 2009.

Cheddad My Driss, Sahara : écosystème fragile, ressources naturelles limitées et engagement de l'Etat pour un aménagement régional exceptionnel et une mise à niveau socio-économique et spatiale, *Revue Horizons Universitaires*, n°3 vol.2, Université Mohammed V –Souissi- Rabat, Novembre, 2006.

مولاي إدريس شداد

فم العشار (معركة -) وقعت يوم 6 من شهر يوليوز سنة 1956 في قمة جبل أم العشار المطل على فم الحصن وتندوف عندما هاجمت قوات جيش التحرير القوات الفرنسية التي كانت تتخذه مركزا للحراسة والمراقبة بحكم موقعه الاستراتيجي. وكان الاستعداد لهذا الهجوم قد بدأ بواسطة نواب الاتصال حيث كانت القيادة تتلقى الأخبار والمعلومات في كل لحظة وحين عن كل المناطق الصحراوية. وما إن حصل تمركز عام لقيادة جيش التحرير على جل هذه المناطق حسب المخطط المدروس انطلاقا من التدريب الذي تلقاه المتطوعون على استعمال السلاح وحرب العصابات حتى قررت القيادة القيام "بعمل خاطف لجس النبض والاختبار بعدما تأكدت من أن طلائعها على أتم الاستعداد للفداء والاستشهاد وقامت بأول عملية فدائية انتحارية بعد أن كانت خطة الهجوم على أم العشار قد درست بدقة مع رجال أشداء لتنفيذها (كومندو ـ انتحاري) مكون من سبعين مجاهدا مسلحين بالبنادق الرشاشة من نوع 49 وبنادق التساعيات والرباعيات ومدفعين رشاشين للتغطية وكان كل مجاهد يحمل معه قنبلتين يدويتين : واحدة للهجوم وأخرى للدفاع وذلك تحت الرئاسة الفعلية للسيد محمد بن الجيلالي والكبير بن بوزكري والمرشد ولد دحمان. وفي الساعة الثانية عشرة ليلا توجهت شاحنتان صوب" تلغشيتّ التي تبعد عن فم الحصن بحوالي أربع كيلومترات على متنهما الكومندو. وفي الساعة الواحدة صباحا تسلق الجنود الجبل الذي يتميز بصعوبة تضاريسه وحدتها وتمكن الكومندو من الوصول إلى أهدافه وأعطيت الإشارة للبدء في الهجوم، وفي لحظة واحدة بدأت عملية إطلاق النار على أوعية البنزين وقتل جنود الحراسة وتمت مباغتة العدو والإحاطة به من كل جانب وهو يغط في نوم عميق. وخلال ساعة ونصف من المعارك الضارية استعملت فيها أسلحة الهجوم تارة والدفاع تارة أخرى تكبد العدو خسائر فادحة في الأرواح والعتاد. فقد قتل من جنوده ثلاثون من بينهم "ضابط الحامية باعتراف سلطات العدو نفسه وجرح مائة وتم تحطيم خمس عشرة سيارة منها خمس سيارات شحن خاصة بنقل الوقود. واستشهد في صفوف رجال جيش التحرير شهيد واحد هو حسن الملالي من بني ملال وجرح ثلاثة عشر".

فريد إدشويخ، منوغرافية تاريخية عن إقليم طاطا، *مجلة الذاكرة الوطنية، العدد* 1، السنة 1422 / 2001.

ماء العينين النعمة علي

الفن الصخري أو النقوش الصخرية في الساقية الحمراء ووادي الذهب، تعتبر النقوش الصخرية واحدا من أهم أركان البحث الأثري ومصدرا ماديا أساسيا في إعادة كتابة ما قبل التاريخ والتاريخ القديم، لكونها تمثل جانبا واسعا من البنية الفوقية للمجتمعات القديمة، تعبر من خلالها عن نظرة الإنسان للعالم المحيط به. ويمكن تعريف النقوش الصخرية من الناحية الأركيولوجية بكونها "امتدادا للفكرة عبر الحركة"، أي تجسيدا مجردا للحياة البشرية القديمة عبر عملية الرسم أو النقش على الصخر. وتكون حركة التجسيد للفكرة محكومة بنواميس عامة، أنتجتها حقيقة الثقافة المادية القديمة ؛ والتجسيد للفكرة هو عبارة عن صورة أو رمز منقوش على الصخر يحيلنا على جوانب عديدة من الحقيقة الإثنولوجية القديمة. وكقطعة أثرية، تعتبر النقيشة الصخرية صورة لحقيقة قديمة تربطنا بها ضوابط البحث الأثري وتقنياته حيث تختلف بعض الشيء في طبيعتها عن باقي القطع الأثرية. وقد عرف مجال البحث في الفن الصخري، تأخرا مقارنة مع باقي أركان علوم الآثار، حيث كان باحثو الأركيولوجيا ينظرون بنوع من الاستخفاف إلى قدرات الإنسان القديم في هذا المجال. وعندما ظهرت أهمية الفن الصخري في تكميل صورة الحياة القديمة للإنسان وإعادة تركيبها، أحس المهتمون، بماضي البشرية، بحاجة ملحة إلى تعميق وتنويع البحث في جوانب متعددة من حياة إنسان ما قبل التاريخ، لربطها بالثقافات المادية اللاحقة ؛ فبدأت تتوالى اكتشافات مواقع الفن الصخري. وعلى عكس اعتقاد أغلب باحثي أوروبا، القائلين بمحدودية ظاهرة الفن الصخري في المجال "الفرانكو ـ كانطابري" (منطقة محصورة بين جنوب غــرب فرنســا وشمال شرق إسبانيا)، اكتشفــت مواقع عديدة في مجموعة القارات، وأعيد النظر في تحقيب فتــرات تطور هذا النوع من التعبير القديم، حيث فاق قدما ما كانت تعتقده أغلبيــة الباحثين.

والآن، وقد قطع البحث الأثري الميداني بالمغرب اشواطا بعيدة، أصبح من الضروري الإعتناء بمجال الفن الصخري خصوصا في جانبه المنهجي ـ النظري، حتى يلتحق بركب باقي أركان البحث في فترات ما قبل التاريخ. وفي هذا السياق، يمكن التفكير في عدة مقاربات تكون كفيلة بإغناء سبل التأويل، الذي يبقى نسبيا في علاقته بالحقيقة الإثنولوجية القديمة للنقوش والرسوم الصخرية. ويقترح الأستاذ عبد الخالق لمجيدي، الباحث المتخصص في النقوش الصخرية، ثلاث مقاربات حول الطبيعة الأركيولوجية للفن الصخري، يتمنى من خلالها أن تضيف لبنة في صرح البحث، لبناء نسق متكامل تتم

من خلاله دراسات نقدية للمخزون الذي أصبحت تحويه أروقة الآثار بالمغرب.

1 - مقاربة أركيولوجية ؛

2 - مقارنة أيكولوجية ؛

3 - مقارنة إثنوأركيولوجية.

وتشمل الخريطة الأركيولوجية المغربية أكثر من ثلاثمائة موقع للنقوش والرسوم الصخرية، (خريطة رقم 1) موزعة على جزء كبير من التراب الوطني عبارة عن تمركزات منها :

أ - مجموعة مواقع الأطلس الكبير وخاصة في الياگور وأوكايمدن وغات ؛

ب - مجموعة مواقع باني ووادي درعة وروافده، وهي أكبر تمركز بالمغرب، نذكر منها فم الشنا وأزرو إيكلان وآيت واعزيق وتيگان وتامنارت وتازرين ؛

ج - مجموعة مواقع الصحراء المغربية، في الساقية الحمراء وواد الذهب.

هذا والجدير بالذكر أنّـه خلال السنوات الأخيرة ثم اكتشاف نقوش صخرية بهضبة سايس على يد عبد الله صالح وبالأطلس المتوسط على يد أوجع عائشة.

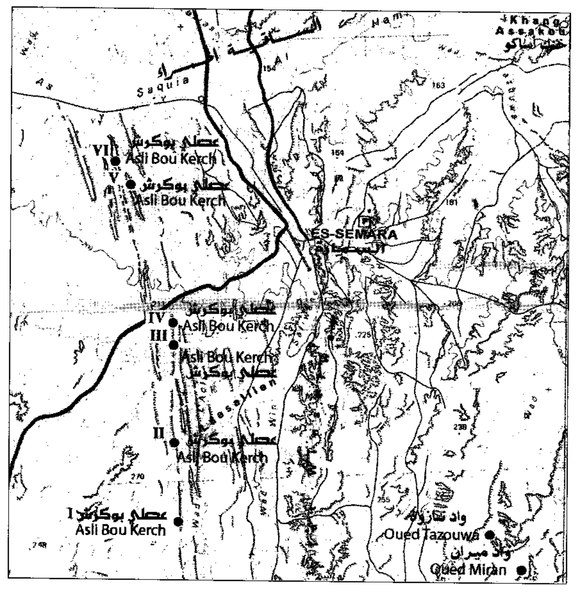
وقد تراكمت المعرفة حول النقوش الصخرية عبر دراسات ميدانية بدأت منذ نهاية القرن التاسع عشر. ونظرا لأهمية هذا المجال في البحث الأثري الوطني، أقدمت وزارة الثقافة على إنشاء مركز خاص سنة 1994، يعني بدراسة وجرد التراث الصخري المنقوش والمرسوم، إلا أنه يبدو أن هذا المركز لا يقوم بأي دور علمي أو تحسيسي منذ سنة 2003، بسبب التحاق الباحثين الذين كانوا به بمراكز بحث أخرى.

2 - نظرة على بعض مواقع الساقية الحمراء

تعود أهمية النقوش الصخرية في الصحراء المغربية، وخاصة الموجودة في رأس لعنتاريگ وتيفاريتي وگلتة زمور ووادي العصلي ووادي ميران ووادي تازوه (خريطة رقم 2)، لكونها تغطي مرحلة ما قبل تاريخية طويلة نوعا ما، ورسوماتها تدل على تاريخ التغيرات المناخية والبيئية والنباتية فيها ؛ والتي تعكس بمواضيعها المختلفة الحياة الحيوانية والنباتية والبشرية فيها، وتوفر الأسانيد الأثرية الكافية التي تجعلنا نرجح بأن تطورا ثقافيا محليا هو الذي أفضى في نهاية المطاف إلى إنتاج رمزي لنقل المعلومات والكتابة الخاصة بالصحراء وشمال إفريقيا والمعروفة بالكتابة الأمازيغية أو الكتابة الليبية الأمازيغية أو تيفيناغ. ويشهد أيضا اتساق الموضوعات والمضامين الذي تقدمه النقوش الصخرية على أنها لعبت بالمنطقة دوراً بارزاً في الحياة الإجتماعية والاقتصادية للسكان. وعليه، فالنقوش الصخرية، قد تساعدنا في التعرف على الأنماط الثقافية، إذ تمكننا من تحديد الترتيب الكرونولوجي لمجموعات النقوش الصخرية انطلاقا من أن لكل نقش صخري أسلوباً معيناً، يمثل مرحلة زمنية في الترتيب الحضاري. وبالتالي، وعن طريق فرز هذه النقوش وتصنيفها وترتيبها حسب فئات أسلوبها، يمكن إماطة اللثام عن كثير من نواحي الحياة البشرية في هذه المنطقة.

والملاحظ أن مواقع النقوش الصخرية تتمركز في منطقة الساقية الحمراء. فإذا استثنينا موقع تيفاريتي الذي توجد رسومه الصخرية في ملاجئ صخرية، فإن باقي مواقع الفن الصخري توجد في الهواء الطلق وعلى أعراف الأماكن المرتفعة، مما يجعلها عرضة للعوامل الجوية وللتغيرات المناخية اليومية والموسمية باستمرار، وكذا للرياح المحملة بالتراب ؛ بل وأكثر من هذا، ولكونها منقوشة على الصخور، ونظرا لحاجة الناس ومقاولات إنشاء الطرق إلى الصخور ؛ فإنها استعملت عن غير قصد ومن دون وعي، كمناجم لاستخراج الحجر. مما تسبب في تدمير عدد من هذه المحطات، وبالتالي ضياع العديد من النقوش الصخرية التي تعتبر أحد مكونات الذاكرة المحلية، وجزءا أساسيا من التراث الوطني.

كما أن التفاعلات الفيزيائية - الكيماوية التي تلت عملية النقش في حد ذاتها، تتسبب في تكوين الزنجار (La Patine)، وهو نوع من الدهان يظهر في خطوط النقش في حد ذاتها. هذا الزنجار ذو الأنواع المختلفة والذي يتكون بطريقة غير منتظمة، يعتبر ضمانة أكيدة لأصالة النقش الصخري، هذا علاوة على أنه أصبح الآن وسيلة فاعلة في تحقيب الفن الصخري.



عن العديد من مواقع الفن الصخري في الساقية الحمراء ووادي الذهب، إلا أن هذا لا يعني أن هذه المناطق قد أماطت اللثام عن كل ثراثها وأسرارها في هذا المجال. ورغم مرور أكثر من قرن على التحريات الأثرية التي بدأت مع الاحتلال الإسباني، ثم تلتها أخرى بعد استرجاع المغرب المنطقة وخاصة سنوات 1996 و1997 و2003، فإن هناك العديد من المواقع التي لم يتم جردها بعد. ومن خلال مراجعة اللوائح البيبليوغرافية للباحثين الذين اشتغلوا في هذه المنطقة، نجد باحثين من إسبانيا بالدرجة الأولى ثم من النمسا وألمانيا وفرنسا، وأخيرا الباحثين المغاربة. وقد قدم كل هؤلاء العديد من الأعمال تتفاوت في قيمتها من باحث لآخر. كما ساهموا

في جرد بعض مواقع الفن الصخري، بل وتقديم دراسات مهمة، كما هو الحال مع الماگرو (Almagro Basih) أو پليثر وأكوسطا (Martin Pellicer - Acosta) وصوليلافوب وعبد الله صالح ولمجيدي عبد الخالق ومصطفى النعيمي ومصطفى أعشي وعفراء الخطيب. لقد تمكن هؤلاء من جرد حوالي ثلاثين موقعا للفن الصخري يوجد أغلبها في الساقية الحمراء. وآخر المنشورات في هذا الموضوع هو الكتاب الذي يحمل عنوان "*النقوش صخرية من إقليم السمارة*" المنشور في شهر دجنبر سنة 2008.

وتتوفر منطقة الساقية الحمراء على العديد من المواقع المعروفة لحد الآن، وقد تم جرد حوالي 17 موقعاً (خريطة رقم 2)، أغلبها نقوش صخرية. من هذه المواقع لمكايتب وسيدي مولود والحوزة وفوم وادي بن ديكو والفارسية وگلتة زمور ووادي ميران وأمگالا ووادي سلوان ووادي تازوه والعصلي بوكرش ورأس لعنتاريگ وتيفاريتي الخ. هذا مع العلم أن هذه المواقع لم تتم دراستها إلا بصورة جزئية. لذلك سنقتصر هنا على ذكر بعض المواقع.

2 - 1 - موقع راس لعنتاريگ : يبدو أن الفضل في اكتشاف هذا الموقع يعود إلى م. كاستيي (M. Castille). وهو أحد المشاركين في قوات المينورسو بالصحراء المغربية. تقع نقوش هذا الموقع في الحمادة المعروفة بحمادة تيندوف جنوب غرب الحدود الجزائرية مع المغرب وجنوب الفارسية والمحبس (خريطة رقم 2). الأسلوب المتبع في نقش هذه اللوحات هو أسلوب تازينا الذي يتميز بكون مسار زنجار النقش مصقول. زنجار هذه النقوش جد غامق مما يسمح بالافتراض بأن ثقافة هذا الأسلوب معاصرة للعصر الحجري الحديث القديم بالصحراء. يتميز هذا الأسلوب بأن النقاش لا يرسم أرجلا للحيوانات بحيث يكتفي في الغالب بوضع نقط مكانها. كما أن رسوم الحيوانات عبارة عن خطاطات مع البحث عن الأناقة.

يضم هذا الموقع 102 لوحة
57٪ منها تشمل البقريات والضباء والنعامات
24٪ من البقريات
و23٪ من الضباء
و10٪ للنعمات،
و9٪ عبارة رموز وإشارات متنوعة
و8٪ من الزرافات
و7٪ حيوانات غير محددة
و6٪ وحيد القرن
و3٪ الفيلـة
و2٪ الأشخاص
و1٪ الخيليات
و1٪ كلبيـات

2 - 2 - رسوم تيفاريتي (خريطة رقم 2)

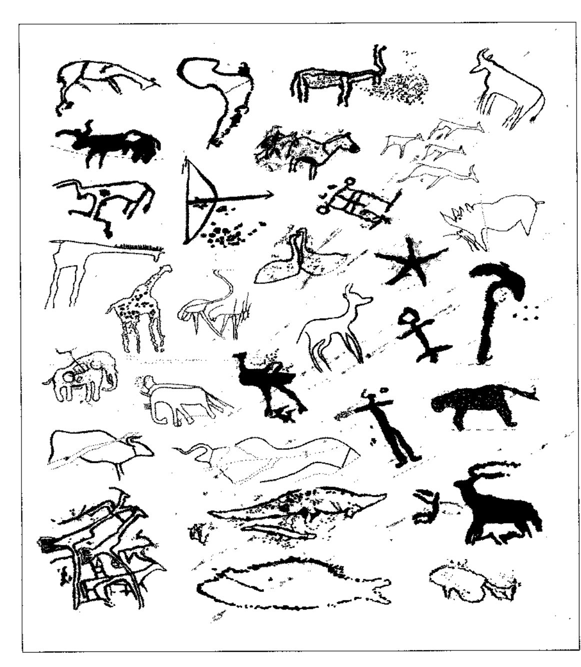
يوجد هذا الموقع على بعد 200 كلم جنوب غرب رأس لعنتاريگ، وهو عبارة عن مجموعة من ملاجئ صخرية، به رسوم صخرية أنجزت بواسطة المغرة. وتتكون من أيادي بشرية مختلطة برسوم الزرافات ؛ ومن المحتمل أن يكون لهذه الأيادي المرسومة دور طقوسي، انطلاقاً من أن هذا الموقع قد يمثل مركزاً عقائدياً يعود للعصر الحجري الحديث.

2 - 3 - نقوش العصلي بوكرش بمنطقة السمارة

تتوزع الموضوعات في مواقع العصلي بوكرش إلى العديـد من المجموعات الأساسية (شكل رقم 1) تتكون مـن :

- مجموعة نقوش الحيوانات (حيوانات متوحشة وحيوانات مدجنة) ؛
- مجموعة نقوش الرموز ؛
- مجموعة النقوش البشرية ؛
- مجموعة نقوش العربات.

ورغم هذا التقسيم في الموضوعات، فيبدو أن الموضوعين الرئيسيين، انطلاقا من عملية الإحصاء، يتمثل في نقوش الحيوانات والرموز غير المحددة. والسبب في عدم التمكن من قراءة هذه النقوش قراءة واضحة، يعود لكون الصخور الحاملة للنقوش تحطمت أو انمحت نقوشها بسبب عوامل طبيعية، أو تم تدميرها بدون قصد. وهذا ما أدى إلى أن حوالي 23٪ من نقوش الحيوانات يصعب تحديدها.



وفيما يتعلق بنقوش الرموز التي تنتمي لعالم الرمزية، فإن تأويلاتها صعبة ومتعددة. لذلك، فمن الملاحظ أن الرموز التي تم مسحها ورفعها في العصلي بوكرش يبلغ عددها 48، وهذا يمثل نسبة 13.48٪ من مجموع نقوش اسمارة. ورغم هذا العدد المهم من الرموز فإنه من الصعب تحديدها وقراءتهـا، هذا مع العلم أن هذه الرموز والشـارات تنتشر فـي كل شمال إفريقيـا والصحراء الكبرى. وقد تترجـم هذه الرموز نظامـا سريا خاصا بمجموعة ثقافيـة، أصبحت عاديـة مع ممـر القـرون ؛ كما قـد يعكس هـذا النظام مستوى فكريا وعقيدة خاصة.

وإذا عدنا إلى نقوش الحيوانات المتوحشة التي تمثل حوالي 25٪ من مجموع نقوش اسمارة، فنجد فيها الضباء والغزلان والأرخ ؛ مع الإشارة إلى أن هذه النقوش تسجل الفروق الموجودة بين القرون الصغيرة للغزلان وتتقن إيحاء الحركات الخاصة بها، وخاصة الدينامية الجمالية لهذه الفصيلة الحيوانية. والملاحظ أن أسلوب الصقل (المعروف بأسلوب تازينا) كان الأكثر استعمالا من طرف الفنانين لتمثيل الغزلان والضباء، مما مكن من الحصول على نقوش ذات دقة عالية، وتكاد تكون جد طبيعية، سواء في مواقع العصلي بوكرش أو في موقع وادي ميران. وعلى العكس من ذلك، فإن استعمال أسلوب النقر الأقل استعمالا يقدم رسوما أكثر جمودا وأقل تلقائية، بل وأقرب إلى الأشكال التخطيطية.

ومن الحيوانات المنقوشة بعناية فائقة وبدقة متناهية، نجد النعامة، مما يعني معرفة جيدة بالحيوانات. تمثل النعامة والطيور الأخرى نسبة 7.5٪ من مجموع النقوش التي تمت دراستها ؛ فالتفاصيل التشريحية الخاصة والمتمثلة في العنق الطويل المنتهي برأس صغير نسبيا، والقوائم القوية التي تنتهي أحيانا بظلفين والأجنحة الهزيلة، تسمح بالتعرف على النعامة. وأغلب نقوش النعامات أنجزت بواسطة أسلوب النقر، باستثناء نقشين نفذا بأسلوب الصقل المعروف بتازينا. ونجد نقوش النعامات في الغالب منقوشة بجانب حيوانات برية كوحيد القرن والبقريات وكذا الكلاب والثعابين أو رسوم ثعبانية الشكل.

وفيما يتعلق بنقوش الفيلة، فيبلغ عدد نقوشها تسعة، تمثل نسبة 5،2٪ من مجموع النقوش المدروسة. وكل نقش للفيل يقدم تفاصيل خاصة بهذا الحيوان، متمثلة في التكوين العام للشكل مع أنياب العاج والخرطوم. وهناك نقش يجمع بين الفيل والعربة. وهناك ثلاث نقوش تم الجمع فيها بين الفيل والأشكال البشرية، منها تلك التي تجمع بين هذه الحيوانات والإنسان، إذ يبدو أن هذا الجمع كان واقعيا، إذا تعلق الأمر بوجود الإنسان خلف الحيوان، مما يوحي بمشهد قنص ؛ ولكن حينما يتعلق الأمر بوجودهما على شكل مواجهة بين الحيوان والإنسان، فإن هذا المشهد يدعو إلى التساؤل هل الأمر يتعلق بمواجهة رمزية بينهما أم ماذا ؟

المجموعة الحيوانية الثانية، وهي المتعلقة بالبقريات، وتمثل حوالي 10,8٪ من نسبة توزيع النقوش المدروسة بمنطقة اسمارة، وتتضمن أبقارا متوحشة وأبقارا مدجنة. وقد تم تمثيل الأشكال دون تمييز باستعمال تقنية النقر أو تقنية الصقل. ويلاحظ في هذه المجموعة وجود رسوم لحيوانات ذات أحجام كبيرة وغير مألوفة، ربما تمثل حيوانات متوحشة، رغم أن أغلب النقوش قد أنجزت بأبعاد صغيرة. وقد نقشت الأبقار في أغلب الأحيان مصحوبة بحيوانات أخرى أو بعربات، هذا فضلا على أن هذا الحيوان ممثل وهو ممتطى بأشكال بشرية. ويطرح تكرار موضوع البقريات إلى الافتراض أن وجود البقريات بهذا الشكل وبهذه الوفرة دليل على أنه حيوان عائلي، وأنه كان يمثل ثروة اقتصادية وتراثا ثقافيا واجتماعيا.

وتأتي نقوش ذات أشكال بشرية بعد ذلك، تمثل نسبة 2،8٪ من مجموع النقوش المدروسة، حيث تجمع بين الشكل التخطيطي العودي والأشكال الأكثر تعقيدا، مثل الشكل البشري الذي يمتطي الحيوانات وهو يشهر السلاح. وتتضمن موضوعات النقوش البشرية بعض المشاهد، منها الإنسان المرافق للحيوانات وخاصة الفيلة ووحيد القرن، أو بالتلامس معهم، وهو موضوع منتشر في الفن الصخري في كل من الساقية الحمراء ووادي الذهب ومنطقة درعة. كما يلاحظ وجود بعض الجزئيات الدقيقة مثل خطاطة اللباس أو إبراز العضو التناسلي. وتضم النقوش كذلك أشكالا جد تخطيطية لأشخاص مسلحة بفؤوس مع ريش بارز على رؤوسها يمتطون حيوانات وخاصة الثيران. كما أن هناك رسما لشكل بشري يحمل سلاحا وله حزام وسترة العورة. وفي جميع الأحوال، فإن الوضعية التي يرسم فيها الإنسان في إطار مجموعة، فإنه يكون حاملا للسلاح، وفي مشاهد تبينه خلال أنشطة القنص أو خلال المواجهة مع بشر آخرين.

وفيما يتعلق بالأسلحة ورغم قلة نقوشها في هذه المنطقة، إذ لا تمثل إلا نسبة 5،2٪ من المواقع المدروسة. وهي نقوش واضحة لا يمكن أن يتم الخلط بينها وبين النقوش التي تمثل أدوات غير محددة. فالملاحظ أن النوع الكثير المنقوش عبارة على صنفين من الأسلحة : الأول يتكون من نوعين مختلفين من الفؤوس، والصنف الآخر يتمثل في الثنائي القوس والسهم. وقد نقشت كلها بأسلوب النقر، بينما الأقواس والسهام نقشت بأسلوب الصقل الدقيق. والجدير بالذكر هنا أن الفؤوس ذات المقبض المكوع والشفرة المروحية الشكل تذكر بأسلحة أقا بمنطقة وادي درعة، وقد نقشت إما بمفردها على سطح الكتلة الحجرية أو ترافق الحيوانات وخاصة البقريات.

المجموعة الأخيرة هي المتعلقة بالعربات نقشت بطريقة الخطاطة وتمثل نسبة 7،5٪ من مجموع نقوش

المنطقة، وتتضمن مختلف أنواع العربات المعروفة في باقي المواقع، من بينها رسم واحد لعربة بمسار مصقول بدقة في العصلي بوكرش ؛ ونقوشها جد تقليدية وتذكر بالعربات الموجودة في مواقع أخرى بالمغرب، منها العربات المربعة الشكل والمستطيلة والنصف الدائرية الشكل والمثلثة الشكل. وهذا النموذج الأخير جد نادر في رسوم عربات الساقية الحمراء ووادي الذهب ومنطقة درعة، وهذا ما يعطي لهذه المنطقة المدروسة أهمية زائدة وغير منتظرة.

والجدير بالذكر أن نمط توزيع النقوش الصخرية الخاصة بالعربات ذات العجلات التي تجرها الثيران أو الخيــول والتي تمتـد من الساحل الطرابلسي الليبي مروراً بتاسيلي وأهگار والحجر إلى النيل الأوسط، ومن الساحل المغربـي إلى موريتانيا، يؤكـد وجود اتصال ما بين شمال إفريقيا والصحراء خلال مختلف مراحل ما قبل التاريخ.

ومن النقوش التي أثارت اهتمام الباحثين رسوم الخيليات والأسماك والتماسيح والكتابة. ففيما يتعلق بالخيليات فقد تم إحصاء ثلاثة أشكال من هذه الفصيلة وهي تمثل 0.8 ٪ من مجموع النقوش المدروسة. يوجد إثنان منهما بموقع العصلي بوكرش، وقد أنجزا بأسلوب النقر. أما الثالث من وادي ميران فقد أنجز بأسلوب الصقل. وهذه خيليات إلا أنه من الصعب تحديدها هل هي خيول برية أو مدجنة. ومن المعروف أن تمثيل الأسماك في النقوش الصخرية نادر جدا في الساقية الحمراء ووداي الذهب، ومنعدم في منطقة درعة لغاية 2003. ويمثل النقشان الخاصان بالسمك 0.5٪ من مجموع النقوش المدروسة في المنطقة، وقد أنجزا بأسلوب النقر، ويقدمان بعض الجزئيات الخاصة بالأسماك، مثل الزعانف المنشطرة وزعانف البطن والخياشيم. وأحد هذه النقـوش منعزل في العصلي بوكرش، والنقش الثاني يوجد ضمن تركيبة تشمل ورلا أو تمساحا وشكلا آخر قد يمثل سمكة.

ومن بين النقوش التي تمت دراستها في إحدى محطات موقع العصلي بوكرش، نقش خاص اتضح من خلال دراسة بعض جزئيات النقش كالخطم المستدق والجسم المطول والظهر القوي الممتد بذيل طويل ينتهي على شكل نقطة، بالإضافة إلى القوائم القصيرة، كل هذه التفاصيل تؤدي إلى افتــراض شكل تمســاح. وإن وجـود التمســاح بهـذه المنطقــة يجعلنا نتحدث عـن الصحراء الخضراء، ممــا يعني أن الصحراء خلال هــذه المرحلة التي نقشت فيــه رسـوم التمسـاح، كـانت تتوفــر على ما تحتاج إليه هذه الحيوانات من مياه ونبات.

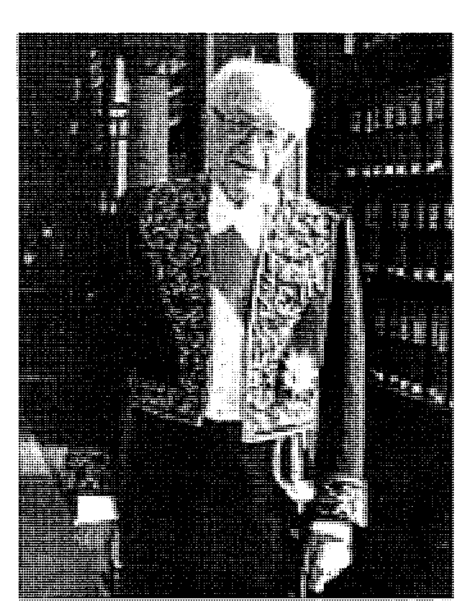
3 - خاتمــة

وبصورة عامة، فإن نقوش منطقة اسمارة توضح مهارة إنسان المنطقة في مجال الفن الصخري، وتشهد على وجود تحركات بشرية تعرفها المنطقة منذ حوالي 12000 سنة تقريبا. كما تقدم مؤشرات دقيقة حول تطور البيئة والتغيرات المناخية خلال ما قبل التاريخ ؛ هذا علاوة على أن مواقع هذه النقوش تمثل متاحف في الهواء الطلق، يمكن استغلالها لإحداث مشاريع تنموية ثقافية وسياحية.

وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، *فهرس النقوش الصخرية في الجنوب المغربي*، بالعربية والفرنسية، نشر وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، 1977 ؛ مصطفى أعشي، إسهام النقوش الصخرية بالجنوب المغربي في التعريف ببداية استئناس الحيوانات، *مجلة المناهل* التي تصدرها وزارة الثقافة المغربية، عدد *58*، ص. 28 - 45، 1998 ؛ *جذور بعض مظاهر الحضارة الأمازيغية خلال عصور ما قبل التاريخ*، كتاب من إصدار مركز طارق بن زياد، ط 1، دجنبر، 2002 ؛ وعفراء الخطيب وآلين رودريگ، *نقوش صخرية من إقليم السمارة*، باللغتين العربية والفرنسية، منشورات مرسم بدعم من وكالة الإنعاش والتنمية الإقتصادية والإجتماعية في أقاليم الجنوب بالمملكة وجامعة محمد الخامس السويسي، الرباط، 2008 ؛ الإكتشافات الأثرية الماقبل التاريخية في المغرب : مواقع الدار البيضاء نموذجا، ضمن *أعمال المؤتمر الثاني عشر للاتحاد العام للآثاريين العرب، الجزء الأول*، القاهرة، ص. 596 - 612، 1430 - 2009.

مصطفى أعشي

ڤيديل، جورج Vedel Georges من مواليد سنة 1910 ب Auch، من أشهر فقهاء القانون العام، تكون على يده العديد من رجال القانون وأصبحت دروسه وأعماله مرجعا يقتدى بها على المستوى الفرنسي والدولي. حاضر بكلية الحقوق ڤبواتيي وتولوز وباريس وكان عميدا لكلية الحقوق بباريس من سنة 1962 إلى سنة 1967، ثم مدرسا بمعهد الدراسات السياسية بباريس ومستشارا قانونيا وعضوا بالمجلس الدستوري الفرنسي من سنة 1980 إلى سنة 1989.



كان من أكبر المدافعين عن الوحدة الترابية المغربية بجانب البروفيسور دوپوي، ويرجع له الفضل في التفكيك العلمي والقانوني لكل الأطروحات المختزلة من طرف إسبانيا والجزائر ضد السيادة المغربية على الأقاليم الصحراوية. وقد أشار الدكتور ڤيديل خلال مرافعته أمام محكمة العدل الدولية إلى أن المسألة

القانونية المعروضة أمام المحكمة حول قضية الصحراء الغربية، لم تكن وليدة سنة 1975، مؤكدا بأن المغرب كان، منذ فترة طويلة، يعتبر احتلال الصحراء الغربية مساسا بأراضي تحت سيادته. وقد تم إقبار هذه المعطيات عن طريق سياسة عدم الاكتراث التي اعتمدتها إسبانيا. وقد أدى سلوك اللامبالاة المفتعل من طرف قوة إدارية، إلى إرغام هيئة الأمم المتحدة بالتوجه نحو ضرورة البحث والدراسة حول ملف الصحراء، ومحاولة إيجاد سبل لتحديد هوية وماهية سكان المنطقة. واعتبر الدكتور ڤيديل أن هذه المبادرات كانت غالبا غير مطابقة لحقيقة الأوضاع ومتحايلة في مناسبات عديدة، مبرزا عنصر التحدي والتجاوز لسلطات الأمم المتحدة المعتمد من طرف إسبانيا، حينما حاولت تنظيم استفتاء أحادي الجانب بالمناطق المحتلة. وقد فند الدكتور ڤيديل كل الإدعاءات الإسبانية التي اتهمت المغرب بالسعي وراء إبعاد قضية الصحراء عن أجهزة الأمم المتحدة، معتمدا في مرافعته على قراءة نبيلة ومعمقة لتصريحات المغفور له جلالة الملك الحسن الثاني في الموضوع. وتجدر الإشارة في هذا الإطار، إلى القيمة التاريخية والعلمية التي استخلصها الدكتور ڤيديل من خطب وتصريحات المغفور له، وإلى الحكمة وبعد النظر التي ميزت رؤية العاهل المغربي حول قضية الاستعمار، مبرزا للوفود المشاركة، جملة الاقتراحات التي مافتئ يقدمها الملك الحسن الثاني لإسبانيا، موجها لها الدعوة للالتزام معا من أجل سبل سلمية وقانونية لحل النزاع، أخذا بعين الاعتبار أن المسألة الأساسية، بالنسبة للمغرب، لا تتجلى في الوجود الإسباني بالصحراء الغربية بقدر ما تتعلق بمبدء تصفية استعمار أراضي تحت السيادة المغربية.

وفي محاولة يائسة من طرف إسبانيا لزرع خلاف بين الوفدين المغربي والموريتاني من خلال الطعن في الوثائق المقدمة من طرف الدولتين ومحاولة البحث عن أوجه الاختلاف والتناقض بهدف نفي ثوابت السيادة لكلا البلدين على المناطق الصحراوية، أبان الدكتور ڤيديل في قراءة وتحليل للنصوص عن الجذور التاريخية والروابط القانونية مع المغرب أو موريتانيا، سواء تعلق الأمر بنمط العيش أو العلاقات الإجتماعية أو المعطيات الجغرافية والتي أحيانا ما تتعرض لقصور في الفهم والتأويل ناتج عن إهمال التقلبات الطفيفة الناتجة عن طبيعة ونمط العيش الخاصين بالرحل. وقد أكد أن الوثائق المقدمة من طرف المغرب وموريتانيا ليست فقط متطابقة، بل هي متكاملة وتشكل عنصرا أساسيا متنافسا، تبعد كل مفهوم للأرض الخالية قبل فترة الإستعمار، وتؤكد علاقات السيادة القانونية المرتبطة بشنكيط وبالمغرب. وبعد إبراز التناقضات الواضحة في المعطيات المقدمة من طرف إسبانيا، توجه بالنقد اللاذع للطرح الجزائري الذي وصفه بالغريب وبأنه لا يخلو من سذاجة قانونية خصوصا في اعتماده مفهوم السيادة تحت الدولة الإسلامية من أجل نفي صفة الأرض الخالية عن المناطق الصحراوية. والأكثر غرابة في هذا الطرح، تلك المعادلة الجزائرية القائلة بأنه إذا كانت الصحراء الغربية المستعمرة، أرضا خالية، فإن جميع المناطق المستعمرة على المستوى العالمي يمكن اعتبارها أراضي لم تكن تحت أية سيادة. أما المعادلة الثانية والتي أبان الدكتور ڤيديل عن خطورة اعتمادها وتبنيها باسم سيادة الدولة الإسلامية تابعة لسلطة مركزية بدار الاسلام، فهي تشمل الدول الإسلامية عامة. والخطورة في الطرح الجزائري تتجلى في تشكيك ونفي سلطة سيادية، محلية ومركزية بكل هذه الدول بما في ذلك المغرب وموريتانيا والجزائر. ولإبراز هشاشة الطرح الجزائري، اعتمد البروفيسور مرجعا آخر وهو كتاب كان قد ألفه المندوب الجزائري ذاته، السيد محمد بدجاوي سنة 1961، يحمل عنوان "الثورة الجزائرية والقانون"، حاول المؤلف من خلاله، إعطاء المصداقية لمفهوم الدولة القائمة بالجزائر في فترة ما قبل الاستقلال معتمدا في ذلك على أربعة عناصر مكونة تتمثل في الأرض والتجمع البشري وسلطة عمومية واستقلال. وكان محمد بدجاوي قد كتب ما مفاده أن "التقييم يجب أن يأخذ بعين الاعتبار الحقبة الزمنية ومفهوم الحدود الذي أصبح يشكل حاليا عنصرا أساسيا، بحيث لم يتم اعتماده بأوربا قانونيا، إلا في القرن الثامن عشر على إثر معاهدة أوتريخت Utrecht. أما الخطوط الزمنية المحددة لمراحل التاريخ، فقد شهدت فيها السلطات الحاكمة حقب الازدهار وفترات الانحطاط". وفي فقرة أخرى من الكتاب أوضح محمد بدجاوي بأن "الاتفاقيات المبرمة بين الجزائر والدول الأوربية والأمريكية تؤكد بأن الدولة الجزائرية كانت عضو مجتمع الأمم". ويقترح البروفيسور ڤيديل في هذا الصدد تغيير كلمة الجزائر بكلمة المغرب وتعويض الاتفاقيات بتلك التي أبرمت بين المغرب والدول الأوربية والأمريكية، مع العلم أن فرنسا، كدولة مستعمرة، لم تعتبر الأراضي الجزائرية مناطق خالية قبل الإستعمار.

ومن خلال العروض المقدمة من طرف الجانبين، الإسباني والجزائري، استنتج الدكتور ڤيديل تطابقا كبيرا بين وجهات نظر الطرفين ونوايا الدولتين الخفية في إحباط مطالب المغرب وكذا في الربط الغير قانوني بين تصفية الاستعمار وإجراء الاستفتاء حول الصحراء الغربية.

ماء العينين الطالب أخيار

فيرّير، خايمي Ferrer, Jaime بحار من كاطلونيا، يبدو أنه كان أول من أبحر من الأوربيين صوب شواطئ الصحراء الغربية وذلك سنة 1346 فبلغ بوجدور، ثم اختفى أثره واندثر.

Hodges, T., *Historical Dictionary of Western Sahara, London*, 1982.

إبراهيم بوطالب

فيلالة، تنحدر هذه القبيلة الزاوية من منطقة تافيلالت، حيث نزح جدهم المولى أحمد بن المولى علي الشريف المراكشي من تافيلالت نحو وادي نون

والصحراء خارجا عن أخيه السلطان المولى إسماعيل (وثيقة بحوزتنا تتضمن معلومات عن نزوح المولى أحمد الفيلالي إلى الصحراء). وقد أورد الناصري معلومات عن هذا الخروج حيث أشار أنه "في أواخر رمضان سنة تسعة وثمانين وألف بلغ السلطان وهو بمكناسة خروج إخوته الثلاثة المولى هشام والمولى أحمد بن الشريف بن علي مع ثلاثة آخرين من بني عمهم، وأنهم تدرجوا إلى آيت عطا من قبائل البربر فنهض إليهم السلطان بالعسكر وسلك طريق سجلماسة فكان اللقاء بجبل ساغرو في العشرين من ذي الحجة من السنة (...) وكان الظفر للسلطان بعد أن هلك من جيشه ثم من رماة فاس على الخصوص نحو أربعمائة دون من عداهم (...) وانهزم الأخوة وأبعدو المفر إلى الصحراء. وعند دخول الصحراء تزوج سيدي أحمد الفيلالي بالسيدة فاطمة بنت الشيخ داود بن منصوري الذي يعود نسبه إلى أولاد منصور الذين يصنفون ضمن قبائل حسان بالاعتماد على خط نسب المختار الكنتي، في أنساب بني حسان. وتشير الرواية الشفوية خاصة المجاطية نسبة إلى قبيلة مجاط، التي يوجد مجالها بين أخفنير وطرفاية، أن المنطقة الواقعة جنوب وادي درعة حتى وادي الذهب كانت مقسمة بين مجموعتين بشريتين : قبيلة سنان في الشمال وقبيلة معرف في الجنوب، وقد دخلت المجموعتان البشريتان في حروب كثيرة. وأهم القبائل المنضوية تحت لواء سنان هي سلام أولاد منصور وأولاد بلحويلات وأيت ساعد والشناكلة ومجاط في حين كانت قبائل أولاد دليم وبعض القبائل "الـﮔبلة" كقبائل مشظوف وأولاد غيلان تنضوي تحت لواء معرف. وتضيف الرواية الشفوية أن الشناگلة يعتبرون من أقدم العناصر التي كانت تستوطن المجال المذكور أي قبل وجود سنان. أما قبائل تكنة فلن تظهر في المجال إلا بعد ذلك (بعض مضامين الرواية الشفوية المجاطية).

وباعتمادنا على هذه القرائن التاريخية نستطيع القول أن السيد أحمد الفيلالي جاء إلى المنطقة قبل الانتشار المجالي لتكنة. وقد وطد علاقاته مع توبالت خاصة في عهد أحد أقطابها علي بن عبد المولى الدرجات. وتنسب الرواية الشفوية الفيلالية إلى نفسها أنها هي التي أظهرت شرف توبالت للقبائل بعد أن كانت مغمورة وغير معروفة. وبفعل أصولها الشريفة تميزت قبيلة فيلالة بإشعاعها العلمي والديني في الصحراء حتى حدود القرن التاسع عشر حيث ستظهر زاوية أخرى ستعمل على نشر العلم والتصوف والجهاد وهي زاوية الشيخ ماء العينين. وقد اجتهدت العناصر الفيلالية الشريفة في تكوين جامعات متنقلة تعمل على نشر العلم. والشاهد على ذلك أضرحة الشرفاء الفيلاليين المتناثرة في الصحراء من وادي نون شمالا حتى شنقيط جنوبا. وبذلك أصبح للقبيلة مجموعة من الأتباع والمريدين في كافة المناطق التي توجد بها زوايا القبيلة خاصة في "الحگونية" (تبعد عن العيون بحوالي 90 كلم في اتجاه الشمال الشرقي. ويحمل المصطلح دلالة رمزية تتمثل في كون المنطقة سميت بهذا الإسم في عهد الشيخ سيدي بوبكر ولد الحاج عبد المالك الملقب ب "أبا الحاج" ولد سيد أحمد الفيلالي، فمن أتى إلى المنطقة منذ ذلك الحين فقد دخل في "تراب الحك والنية" وزاوية "الكطوعة" في منطقة أفرا شمال غرب الطنطان (60 كلم شمال غرب).

وبناءا على المعطيات التي جاء بها بعض الباحثين الإسبان والتي تم تنقيحها وتصحيحها بمعية أحد الأفراد من قبيلة فيلالة، فإن هذه الأخيرة تتفرع إلى الفروع التالية :

- أهل سيد أحمد الفيلالي
- هل لفقيه بن صالح
- أهل سيد أحمد المهدي
- هل سيدي عبد العزيز (أهل بوعزيز)

وعلى العموم فإن القبائل الزاوية، وعلى رأسها فيلالة، في منطقة وادي نون والساحل بصفة عامة، أي في مجال آيت الجمل، ليسيت حاضرة بشكل قوي من خلال غياب المحاضر والدعوات الطرقية، والأتباع (تلمذة) مقارنة ببلاد شنقيط حيث كانت الزوايا طرفا منافسا لقبائل حسان المحاربة في جميع مناحي الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية خاصة بعد سلسلة الحروب التي دارت بينهم والتي توجت بحرب "شربب" في بلاد القبلة بالجنوب الغربي لبلاد شنقيط في نهاية القرن السابع عشر. وإذا كانت علاقات قبائل حسان بالقبائل الزاوية قد تميزت بالصراع والمنافسة، فإنها تميزت في بلاد الساحل بالاندماج وعلاقة المصاهرة وغياب الصراع، وعلى ذكر المصاهرة، فقد تمت تقوية لحمة التحالف بين قبيلة آيت الحسن وزاوية فيلالة من خلال علاقات الزواج الخارجي التي عقدها الأفراد الذكور من فيلالة مع نساء من فرقة آيت بومكوت إحدى تجزءات قبيلة آيت لحسن، فكانت النتيجة أن ظهرت فرقة أهل حمينة كنتاج لعلاقة المصاهرة هذه.

وثائق تاريخية بحوزتنا خاصة بفيلالة ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج 7 ؛ الشيخ سيدي المختار الكنتي، أنساب بني حسان، تعليق، سيدي أحمد بن أحمد سالم، *مجلة الوسيط*، ع 5، 1996.

De la Chapelle. F, Les Tekna du sud marocain, étude géographique, historique et sociologique, *BACF n 1, janvier*, 1934 ; *BCAF, Année*, 1919 ; José Enrique Alonso Del Barrio, *Las tribus del sahara*, Servicio de publicaciones del gobierno general de Sahara, año, 1973.

عمر ناجيه

الفيلالي أمّ فاطمة، ولية صالحة، دخيلة على قبيلة مجاط بمجال الساقية الحمراء، حيث تقول أغلب الروايات أنها دخلت على إحدى خيام هذه القبيلة بنواحي منطقة طرفاية سرا وقامت صاحبة الخيمة بإكرامها دون أن تخبر زوجها تلبية لطلب أم فاطمة، وفي فترة مكوثها في الخيمة تهاطل على أهلها الكثير من الخيرات من كل حدب وصوب، مما جعل الزوج يشك

في الأمر، فاضطرت الزوجة إلى إخباره بأمر الضيفة الغربية ليدرك بذلك سبب الحالة التي أصبحوا عليها، فشاع خبرها بين أهل الخيام المجاورة فتوافدوا عليها رغبة في الحصول على بركتها وطلبت منهم أن ينادوها بـ "أم فاطمة المجاطية" وتزوجت منهم وأنجبت ابنا لكنه توفي، ويرجح أغلب شيوخ قبيلة مجاط أن أصلها يرجع إلى قبيلة "فيلالة"، وعاشت بينهم حيث كان لايقصدها أحد إلا وتحقق مبتغاه واشتهرت بكراماتها الكثيرة في حياتها وحتى بعد مماتها. وقد توفيت في الواد الذي أصبح يحمل اسمها "واد أم فاطمة" الذي يوجد بين مدينة طانطان واخفنير قرب "الواد الواعر" ولا يحطب منه، فحسب رواية الشيوخ أن كل من حطب منه تصيبه مصيبة حتما، ولا يتذكر الشيوخ تاريخ وفاتها لأنهم لم يعاصروها بل توارثوا حكاياتها عن أجدادهم.

بحث ميداني، رمضان 2009 حول النساء الوليات في الساقية الحمراء وواد الذهب ؛ *مقابلة مع السيد البشير* ولد الكيحل 84 سنة من أبرز شيوخ قبيلة مجاط بطرفاية، رمضان 2009 / 9 / 11 على الساعة الرابعة عصرا.

الفيلالي، غلا بنت **محمد المختار** بن خليفة

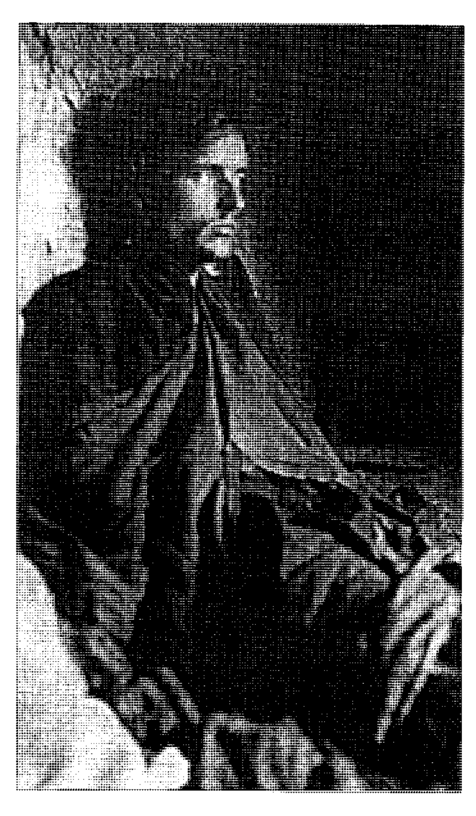
ولية صالحة معاصرة، ترجع وفاتها إلى أواخر التسعينيات من القرن الماضي عن سن يناهز السبعين عاما، أمها هي الولية فاطمتو بنت سيد إبراهيم، وتنتمي إلى قبيلة فيلالة بمجال الساقية الحمراء، وقد كانت عمياء حيث فقدت بصرها وهي في سن السابعة، وكانت تلازمها نعجتان تقودانها حيث أرادت حسب رواية من عاصروها. مكثت أولا بمنطقة الحگونية ثم الدورة، لتستقر آخر حياتها بطرفاية، اشتهرت بكراماتها ومعالجة المجانين الذين كانوا يأتونها مقيدون بالسلاسل ويعودون مشيا على أقدامهم، فكانت تحج إليها وفود غفيرة من مختلف القبائل، ويعتبر قبرها قرب قبة "سيدي حمود التوبالي" مزارا للعديد من الناس.

بحث ميداني، رمضان 2009 حول النساء الوليات في الساقية الحمراء وواد الذهب.

الغالية بلعمش

ڤيوشانج، ميشال (Vieuxchange, Michel)،

رحالة ومغامر فرنسي، ولد في نيڤير (Nevers) سنة 1904 بفرنسا. حاصل على الإجازة في الآداب، تأثر بمجموعة من الكتاب والأدباء أمثال سانت إكسبري (Saint-Exupéry)، وأندريه جيد (André Gide)، وپول كلوديل (Paul Claudel). وعلى غرار رحالة أمثال ريني كايي (René caillé) وكاميل دولز (Camille Douls) الذين زاروا الصحراء وموريتانيا، قام ڤيوشانج بأول رحلة لأوربا في اتجاه مدينة السمارة، حيث انطلق من مدينة تيزنيت بتاريخ 10 شتنبر سنة 1930 إلى يوم 16 نونبر من نفس السنة، خلال هذه الرحلة الطويلة التي كانت على ظهور الجمال رفقة بعض الأدلاء، ارتدى ڤيوشانج لباس المرأة (الملحفة) ليأمن من النهب



والإغارة لأن الفترة التي جاء فيها إلى الساقية الحمراء كانت فترة اضطراب بفعل حركة المقاومة المسلحة للغزو الاستعماري. كما أنه لم يكن يعرف لغة سكان المنطقة سواء البربرية أو الحسانية. وبعد أن دخل إلى السمارة ووقف على زاوية العلامة الشيخ ماء العينين ومسجده، دخل طريق العودة في اتجاه الشمال وقد عبر منطقة درعة السفلى وواد نون وسوس، وفي طريق الرجوع أصيب بإسهال حاد وآلام شديدة في البطن أودت بحياته لما حل بمدينة أگادير بتاريخ 30 نونبر سنة 1930.

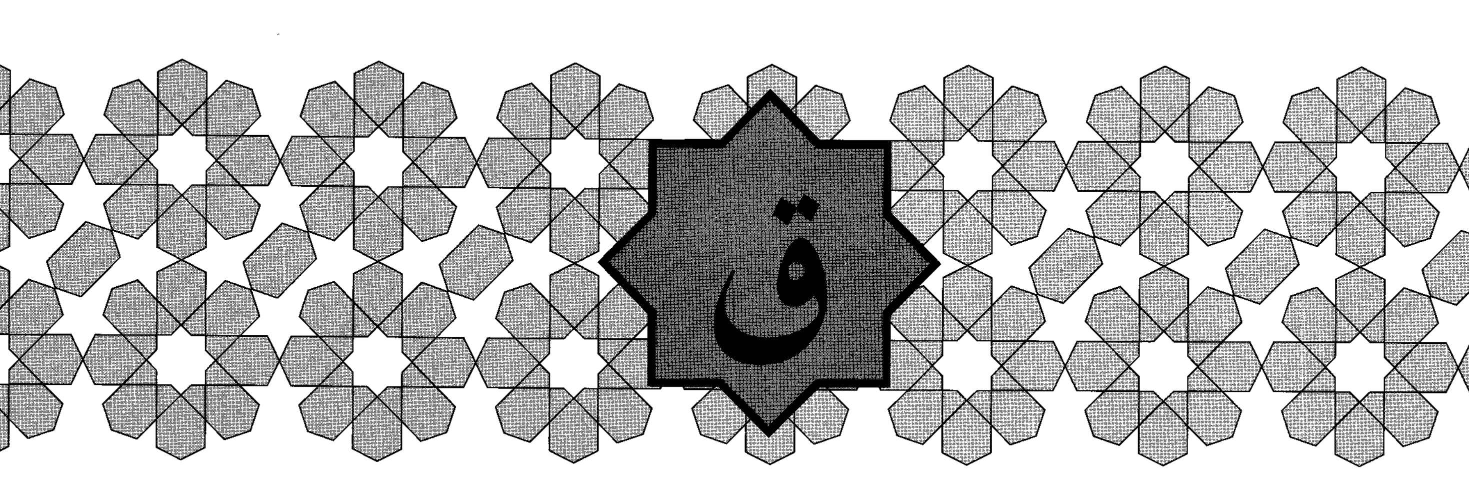


ترك ڤيوشانج مذكرات رحلته مخطوطة، فقام أخوه جان ڤيوشانج بنشرها عند مطابع اپلون (Plon) سنة

1932 تحت عنوان : (السمارة، عند المناوئين جنوب المغرب ووادي الذهب) وقدم له الكتاب پول كلوديل. ثم تم نشر مذكراته هذه مرة ثانية سنة 1990 عند مطابع ڤيبوس (Phebus) تحت عنوان : (السمارة، دفاتر رحلة مولوع بالصحراء). ثم أعيد طبع الكتاب سنة 2004 عند مطابع (Phebus)، الذي يعد شاهدا على فترة هامة من تاريخ الصحراء المعاصر.

Angel Domenech Lafuente, *Ma El Ainin, Señor de Smara*, Editora Marroqui, Tetuan, 1955 ; Michel Vieuchange, Partir au désert, dossier dirigé par Antoine de Meaux, in : *La Revue Nunc*, N° 18, Mars, 2009 ; *L'ultime désert, Vie et mort de Michel Vieuchange*, Antoine de Meaux, éditions Phebus, 2004.

محمد دحمان


ق

قرار محكمة العدل الدولية حول الصحراء،

عندما قررت إسبانيا إجراء استفتاء حول الصحراء يسمح للصحراويين بتقرير مصيرهم وإدارة شؤونهم، وأعلن المغرب رفضه لهذا القرار ووصل الحوار المغربي الإسباني في هذه القضية إلى الطريق المسدود، وافق الطرفان على الاحتكام إلى القانون الدولي وعرض القضية على محكمة العدل الدولية بلاهاي، وكانت مقاصد الطرفين مختلفة من اللجوء إلى هذه الهيئة القانونية الدولية، "فكان المغرب يستهدف من ورائه إثبات سيادته وملكيته، وبالتالي يتجاوز في حال ثبوت ذلك، قرارات الاستفتاء وتقرير المصير ويسترجع الصحراء بدون قلق دولي ولا إزعاج جزائري أو صحراوي، وكانت إسبانيا ترى في المحاولة القانونية وسيلة تساعدها على تطويق مشروعية المطالبة المغربية وتعزز خطتها الرامية إلى قيام دولة مستقلة في الصحراء الغربية". وبعد تبني الأمم المتحدة لهذا الموضوع أرسل الطرفان قضاتهما إلى لاهاي مزودين بالوثائق والمستندات القانونية. وقد حاول المغرب إقناع إسبانيا بالموافقة على حكم محكمة العدل الدولية بغض النظر عن مضمونه، أي القبول بقرارإلزامي، لكن إسبانيا رفضت ذلك، واتفق الطرفان في الأخير على الاكتفاء برأي المحكمة الاستشاري.

وبناء على قرار الأمم المتحدة رقم 3292 الصادرة بتاريخ 13 / 12 / 1974 اكتفت المحكمة بإعطاء وجهة نظرها حول الروابط القانونية التي كانت قائمة بين الصحراء وكل من المغرب وموريتانيا، والإجابة عن سؤالين اثنين :

1 ـ هل كانت الصحراء الغربية ـ الساقية الحمراء ووادي الذهب عند استعمارها من قبل إسبانيا أرضاً بدون سيد ؟

2 ـ ما هي الروابط القانونية التي كانت قائمة بين هذا الإقليم وكل من المملكة المغربية والمجموعة الموريتانية ؟

وللإجابة عن هذين السؤالين عكفت محكمة العدل الدولية على دراسة الوثائق والمستندات المقدمة إليها من قبل الأطراف المعنية طيلة الفترة الممتدة من 25 مارس إلى 30 أبريل 1975، وعلى مدار ثلاثين جلسة، وبمشاركة اختصاصيين في القانون والتاريخ والسياسة الدولية يمثلون المغرب وإسبانيا وموريتانيا. وأعلنت رأيها الاستشاري النهائي بتاريخ 16 أكتوبر 1975 بإصدار قرار مفصل في ستين صفحة يتضمن الإجابة عن السؤالين المعروضين عليها، وتحليل الأجوبة عنهما ونسبة التصويت عليهما.

ـ بالنسبة للسؤال الأول "هل كانت الصحراء الغربية بدون سيد لحظة استعمارها" ؟ أجابت المحكمة بالرأي التالي : "إن الصحراء الغربية ـ الساقية الحمراء ووادي الذهب ـ لم تكن أرضاً بدون سيد لحظة احتلالها من قبل إسبانيا. وقد حظي هذا الرأي بموافقة 13 قاضيا ومعارضة ثلاثة قضاة. وقد أصرّت المحكمة في معالجتها لهذه المسألة على نقطتين، الأولى تنص على أنه في فترة الاستعمار كان يقطن الصحراء سكان وهؤلاء بالرغم من أنهم رحل ومتنقلون فإنهم مقسمون اجتماعيا وسياسيا إلى قبائل يشرف عليها رؤساء مؤهلون لتمثيلها. وترفض الثانية ربط السيادة القبلية بالسلطان المغربي أو بموريتانيا. لأن هذا موضوع آخر مستقل، فالسيادة للقبائل أو حسب تعبير القاضي الأمريكي ديلار "إن الإقرار بأن الإقليم لم يكن بلا سيد لا يعني أنه كان تحت سيادة دولة من الدول المعنية لوجود قبائل مستقلة بالمنطقة تطبق نوعاً من التنظيم الاجتماعي والسياسي.

وبالنسبة للسؤال الثاني (الروابط القانونية بين الإقليم وكل من المغرب وموريتانيا)، أجابت المحكمة بما يلي :

1 ـ "إن الوثائق والمعلومات المتوفرة لدى المحكمة تبرهن عن وجود روابط حقوقية وولاء بيعة بين ملك المغرب وبعض قبائل الصحراء لحظة الاستعمار الإسباني" وذلك بموافقة 14 قاضيا ومعارضته اثنين.

2 ـ "تثبت نفس الوثائق والمعلومات وجود حقوق، منها ما هو متعلق بحقوق الأرض، تشكل الروابط الحقوقية بين المجموعة الموريتانية وإقليم الصحراء الغربية" وذلك بموافقة 15 قاضيا ومعارضة القاضي الإسباني دي كاسترو.

لكن المحكمة عالجت رأي المغرب القائم على البيعة بمفهوم قانوني غرْبي يفصل الدين عن السياسة ويرفض الأخذ بالمواصفات السياسية السلطوية لمفهوم البيعة الإسلامية وعمدت إلى تحديد روابط السيادة بمسألتين : تشترط الأولى وجود مراسيم سلطانية تثبت سلطة المغرب في الصحراء، وتشترط الثانية اعتراف دول أخرى بسيادته على الساقية الحمراء ووادي الذهب.

وقد دافع القاضي اللبناني عمون عن وجهة نظر المغرب مؤكداً بالوثائق وجود سيادة للسلطان في المنطقة، وذلك من خلال الظهائر وتعيين الشيوخ وتحصيل الضرائب والقرارات العسكرية وولاء قبائل تكنة للمخزن، وتمثيل الشيخ ماء العينين للسلطان المغربي في الساقية الحمراء، والبعثات العسكرية إلى المنطقة الخ ... وبالتالي فإن الصحراء جزء من المغرب بفضل الروابط القانونية المضافة إلى العلاقات العرقية والثقافية والدينية، لكن القاضي الإسباني دي كاسترو رفض الحجج المغربية ودافع عن موقف إسبانيا معتبراً أن الحجج المغربية لا تقدم إثباتات كافية عن وجود سلطة فعلية للمغرب في إقليم الصحراء، كما رفضت المحكمة في نفس الوقت الحجج المقدمة من طرف موريتانيا مؤكدة عـدم وجـود دولـة موريتانيـة في الفترة المتحاكم بشأنها، وبالتالي فإن المحكمة "لا توجد أمام روابط قانونية لسيادة دولية، وإنما قبالة روابط من طبيعة أخـرى".

وفي الأخير توصلت المحكمة إلى رأي نهائي في هذه المسألة مفاده "أن الوثائق والمعلومات المتوفرة لديها لاتثبت وجود علاقة سيادة بين إقليم الصحراء الغربية من جهة وكل من مملكة المغرب والمجموعة الموريتانية من جهة ثانية، وأن المحكمة لا تلاحظ وجود علاقات حقوقية من شأنها تعديل القرار رقم 1514، المتعلق بتصفية الاستعمار في الصحراء الغربية، وبشكل خاص تطبيق مبدأ تقرير المصير من خلال التعبير الحر والشرعي لإرادة سكان الإقليم".

علي الشامي، *الصحراء الغربية عقدة التجزئة في المغرب العربي*، ص. 354 إلى 358، دار الكلمة للنشر، ط، 1، 1990، بيروت.

M. Flory, L'avis de la Cour Internationale de justice sur le Sahara occidental, *Annuaire français du droit internationial*, 1975, p. 253 – 277.

قرارات الأمم المتحدة حول الصحراء،

بعد إصرار إسبانيا على أسبنة الصحراء وعزلها عن محيطها المغربي، وتشكيلها مجلس آيت الأربعين كهيئة تمثيلية للسكان سنة 1960، وإصدارها وثيقة تعتبر الساقية الحمراء ووادي الذهب مقاطعتين إسبانيتين عاصمتهما العيون، وتأسيسها للجماعة الصحراوية فيما بعد (1967) لنفس الغاية، اختار المغرب الطريق الدبلوماسي لاسترجاع باقي أراضيه المغتصبة في الجنوب. وكانت مسيرة هذا الاختيار طويلة، ولا تزال حلقاتها مستمرة إلى اليوم، وكانت أول خطوات هذه المسيرة إصدار الحكومة المغربية في 4 من نونبر عام 1960 الكتاب الأبيض تعلن فيه مطالبة المغرب بالساقية الحمراء ووادي الذهب وإيفني وموريتانيا. وقد قوى صدور قرار الأمم المتحدة المتعلق بتصفية الاستعمار (القرار 1514 في 14 دجنبر 1960 هذا الاختيار. انطلاقا من هذا التاريخ شرع المغرب في نقل مطالبة إلى الأمم المتحدة، "التي باشرت بإصدار قراراتها مطالبة إسبانيا بتصفية استعمارها في الصحراء الغربية وداعية إلى حق تقرير المصير لسكان المنطقة المحتلة، الأمر الذي أرغم إسبانيا على تغيير سياستها من منطق الأسبنة والضم النهائي إلى منطق تقرير المصير، ولكن بشكل يضمن مصالحها التي بدأت تزداد في أواخر الستينات"، وخاصة بعد اكتشاف الفوسفاط سنة 1963، فاضطرت إلى إجراء محادثات مع المغرب انتهت بانسحابها من إيفني وإعادتها إلى المغرب في يناير 1969 مقابل السكوت عن الساقية الحمراء ووادي الذهب. وما كادت هذه الصفقــة تتم بين الحكومتين الإسبانيــة والمغربية حتى عادت إسبانيا إلى سياسة الأسبنــة، وأحيت مشروع الضم القديم للساقيــة الحمراء ووادي الذهب، لكن من خلال تقريـر مصير وفق حساباتها ورغباتها، فظل المغرب متشبثاً بحقه في أراضيه الصحراوية سالكا السبيـل الدبلوماسي عن طريق الأمـم المتحـدة التي أصدرت عـدة قرارات تعترف بحق الشعب الصحراوي في تقريـر المصير وفي الاستقـلال.

وقد ارتكزت أغلب القرارات الأممية حول الصحراء على القرار رقم 1514 الصادر عن الجمعية العامة بتاريخ 14 - 12 - 1960، والذي يدعو إلى القضاء على كافة أشكال الاستعمار وتحويل السلطة في البلدان غير المستقلة في أقرب الآجال إلى شعوب هذه البلدان دون تقييد إرادتهم في التعبير بكل حرية ودون النظر إلى المعتقد أو اللون أو الجنس (البند الخامس) ويعتبر أن "كل محاولة تستهدف تحطيما جزئيا أو كليا للوحدة الوطنية أو السيادة الترابية للبلد المستعمر متعارضة مع أهداف ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة" (البند السادس)، وبناء على هذا القرار فإن موقف الجمعية العامة كان دائما يدعو إسبانيا إلى وضع حدّ نهائي للاستعمار في إقليم الصحراء، ويطالب بحق تقرير المصير لسكانها.

ومن القرارات التي صدرت في هذا الشأن :

- القرار رقم 2072 الصادر عن الدورة العشرين للجمعية العامة بتاريخ 16 - 12 - 1965 تدعـو فيه إسبانيا إلى وضع حد نهائي لسيطرتهـا الاستعماريـة فـي منطقتي أيفني والصحراء الإسبانيـة، كما تدعـو إلى ضرورة البـدء بالمفاوضـات المتعلقـة بقضايا السيـادة فـي هاتيـن المنطقتين.

- القرار رقم 2229 الصادر عن الدورة الواحدة والعشرين للجمعية العامة بتاريخ 20 - 12 - 1966 تذكر فيه إسبانيا بعدم تنفيذها والتزامها بالقرار السابق، وتؤكد في البند الأول على "الحق الثابت لشعوب إيفني والصحراء الإسبانية في تقرير المصير وفقا للقرار رقم 1514

الصادر عن الجمعية العامة، وتدعو في البند الرابع إسبانيا إلى تحديد الكيفيات الملائمة وفي أقرب وقت ممكن لتنظيم استفتاء يكون تحت إشراف الأمم المتحدة، وطبقاً لمطامح سكان الصحراء الإسبانية وبالتشاور مع الحكومات المغربية والموريتانية وجميع الأطراف الأخرى المعنية، وذلك من أجل تمكين سكان الإقليم من ممارسة حقهم في تقرير المصير بكل حرية".

- القرار رقم 2354 الصادر عن الدورة 22 للجمعية العامة بتاريخ 19 - 12 - 1967. يتم فيه الفصل بين قضيتي إيفني والصحراء الغربية، حيث يطالب الحكومة الإسبانية بإنهاء الاستعمار في سيدي إيفني والبدء بالمحادثات مع الحكومة المغربية حول عملية نقل السلطات، بينما يدعو إلى إجراء الاستفتاء وحق تقرير المصير في إقليم الصحراء والتشاور مع حكومتي المغرب وموريتانيا وبقية الأطراف المعنية.

- القرار الصادر بتاريخ 18 - 12 - 1968 يجدد مطالبة الحكومة الإسبانية بتطبيق مبدأ تقرير المصير.

- القرار الصادر بتاريخ 16 - 12 - 1969 يؤكد القرار السابق.

- القرار رقم 2711 الصادر عن الدورة الخامسة والعشرين للجمعية العامة بتاريخ 14 - 12 - 1970، يكرر ما ورد في القرار السابق مع بعض الإضافات الدالة.

- القرار رقم 3162 الصادر عن الدورة الثامنة والعشرين للجمعية العامة بتاريخ 14 - 12 - 1972. وقد حافظ على نفس المضامين التي وردت في القرارات السابقة، وخاصة قراري 1970 و1972.

- القرار رقم 3292 الصادر عن الدورة التاسعة والعشرين للجمعية العامة بتاريخ 13 - 12 - 1974، ويعكس بداية مرحلة جديدة في مواقف الأمم المتحدة من قضية الصحراء "إذ تضمن عدداً من النقاط التي تعكس طبيعة الخلافات السياسية داخل الأمم المتحدة حول موضوع تقرير المصير والحقوق التاريخية". وفيه أعلن عن نقل الموضوع إلى محكمة العدل الدولية في لاهاي لاستشارتها ومعرفة رأيها حول السؤالين التاليين :

1 - هل كانت الصحراء الغربية - الساقية الحمراء - ووادي الذهب - عند استعمارها من طرف إسبانيا أرضاً بدون سيد ؟ وإذا كانت الإجابة عن هذا السؤال سلبية.

2 - ما هي العلاقات القانونية التي كانت لهذا الإقليم مع كل من المملكة المغربية والمجموعة الموريتانية ؟

وبناء على هذا الأمر طلبت الجمعية العامة في البند الثالث "تأجيل الاستفتاء المزمع تنظيمه في الصحراء الغربية إلى حين صدور قرار محكمة العدل الدولية".

- القرار رقم 3453 الصادر عن الدورة الثلاثين للجمعية العامة بتاريخ 10 - 12 - 1975، ويتبنى قرار محكمة العدل الدولية، وتقرير البعثة الخاصة وبعثة الاستقصاء التي زارت المنطقة في 3 ماي من تلك السنة واجتمعت بكل الأطراف المعنية.

- القرار رقم 45 - 31 الصادر عن الدورة الواحدة والعشرين للجمعية العامة بتاريخ 1 - 12 - 1976، وتعبر فيه عن ارتياحها لعرض هذه القضية على منظمة الوحدة الإفريقية.

- القرار 22 - 32 الصادر عن الدورة الثانية والثلاثين للجمعية العامة بتاريخ 28 - 11 - 1977، ويتضمن إعادة تأكيد الجمعية العامة تمسكها بمبدأ تقرير المصير، ويذكر بالاجتماع فوق العادي الذي قررت عقده منظمة الوحدة الإفريقية.

- القرار الصادر بتاريخ 5 غشت 1979 يؤكد القرارات السابقة.

- القرار رقم 4038 الصادر عن الجمعية العامة بتاريخ 7 دجنبر 1983 ويؤكد القرار الذي اتخذه بالاجماع مؤتمر رؤساء دول وحكومات منظمة الوحدة الإفريقية في دورته العادية الثامنة عشرة التي عقدت في نيروبي في الفترة الممتدة من 24 إلى 27 يونيو 1981، بشأن مسألة الصحراء الغربية، فضلا عن جميع قرارات منظمة الوحدة الافريقية ذات الصلة، وقرارات الأمم المتحدة المتصلة بمسألة الصحراء الغربية، ومما ينص عليه هذا القرار : "حث طرفي النزاع وهما المملكة المغربية وجبهة البولساريو على الدخول في مفاوضات مباشرة بغية التوصل إلى وقف إطلاق النار لإيجاد الظروف اللازمة لإجراء استفتاء عادل وسلمى لتقرير مصير شعب الصحراء الغربية، استفتاء يجري دون أي معوقات إدارية أو عسكرية، تحت إشراف منظمة الوحدة الافريقية والأمم المتحدة، ويطلب إلى لجنة التنفيذ ضمان احترام وقف إطلاق النار".

- القرار 39 - 40 الصادر عن اللجنة الرابعة بتاريخ 5 دجنبر 1984 ويؤكد القرار السابق ويدعو طرفي النزاع وهما المملكة المغربية والجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب للدخول في مفاوضات مباشرة بغية التوصل إلى وقف إطلاق النار لتهيئة الظروف اللازمة لإجراء استفتاء سلمى وعادل لتقرير مصير شعب الصحراء الغربية.

- القرار 40 - 50 الصادر عن اللجنة الرابعة بتاريخ 2 دجنبر 1985 ويزكي القرارات السابقة.

- القرار 41 16 الصادر بتاريخ 31 أكتوبر 1986 ويؤكد القرارات السابقة.

- القرار 42 78 الصادر عن الجمعية العامة بتاريخ 4 دجنبر 1987 ويؤكد القرارات السابقة.

- القرار 43 - 33 الصادر بتاريخ 22 نونبر 1988 يؤكد القرارات السابقة. ويرحب كذلك باتخاذ مجلس الأمن بالإجماع القرار 621 (1988) الذي يأذن فيه مجلس الأمن للأمين العام بتسمية ممثل خاص معتمد بالصحراء الغربية.

- القرار 44 - 88 الصادر بتاريخ 11 دجنبر 1989، ويؤكد القرارات السابقة. ويرحب بالمحادثات التي جرت في مراكش بين جلالة الملك الحسن الثاني عاهل المغرب ووفد رفيع المستوى للجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب، كما تثمن الوثيقة الختامية المتعلقة بالصحراء الغربية التي اعتمدها المؤتمر التاسع

لرؤساء دول أو حكومات بلدان عدم الانحياز المنعقد في بلغراد في الفترة من 4 إلى 7 أكتوبر 1989.

- القرار 45 - 21 الصادر عن الجمعية العامة بتاريخ 20 نونبر 1990 وينص على ما يلي : "إن الجمعية العامة، وقد نظرت بتعمق في مسألة الصحراء الغربية، وإذ تشير إلى حق جميع الشعوب غير القابل للتصرف في تقرير المصير والاستقلال وفقا للمبادئ الواردة في ميثاق الأمم المتحدة وفي قرار الجمعية العامة 1514 (د - 15) المؤرخ في 14 كانون الأول / ديسمبر 1960 والمتضمن إعلان منح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة".

وإذ تشير إلى قرارها 44 - 88 المؤرخ في 11 كانون الأول / ديسمبر 1989.

وإذ تشير أيضاً إلى الموافقة المبدئية التي أبدتها في 30 آب / أغسطس 1988 المملكة المغربية والجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب على الاقتراحات المشتركة المقدمة من رئيس مؤتمر رؤساء دول وحكومات منظمة الوحدة الإفريقية والأمين العام للأمم المتحدة بشأن إجراء استفتاء يقرر من خلاله شعب الصحراء الغربية مصيره، وتضطلع منظمة الأمم المتحدة بتنظيمه والإشراف عليه بالتعاون مع منظمة الوحدة الافريقية.

وإذ تشير كذلك إلى قرار مجلس الأمن 621 (1988) المؤرخ في 20 أيلول / سبتمبر 1988، المتعلق بمسألة الصحراء الغربية.

وإذ تلاحظ مع الارتياح تعيين يوهانيس مانز ممثلاً خاصاً للأمين العام للصحراء الغربية، بتاريخ 19 كانون الثاني / يناير 1990.

وقد درست الفصل المتعلق بالموضوع من تقرير اللجنة الخاصة المعنية بحالة تنفيذ إعلان منح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة.

وقد درست أيضاً تقرير الأمين العام،

وإذ تكرر الإعراب عن تأييدها لعملية المساعي الحميدة المشتركة بين رئيس مؤتمر رؤساء دول وحكومات منظمة الوحدة الافريقية والأمين العام للأمم المتحدة، التي بدأت في نيويورك في 9 نيسان / أبريل 1986 بهدف التوصل إلى حل عادل ونهائي لمسألة الصحراء الغربية وفقا لقرار المؤتمر (XIX) 104. / AHG / Res وقرار الجمعية العامة 40 - 50 المؤرخ في 2 كانون الأول / ديسمبر 1985.

1 - تحيط علماً مع التقدير بتقرير الأمين العام ؛

2 - تؤكد من جديد أن مسألة الصحراء الغربية هي مسألة إنهاء استعمار ينبغي أن يتم على أساس ممارسة شعب الصحراء الغربية لحقه غير القابل للتصرف في تقرير المصير والاستقلال ؛

3 - ترحب مع الارتياح بالتقرير الذي قدمه الأمين العام إلى مجلس الأمن عن الحالة المتعلقة بالصحراء الغربية والذي أقره المجلس بالإجماع في قراره 658 (1990) المؤرخ في 27 حزيران / يونيه 1990 ؛

4 - تلاحظ مع التقدير إيفاد البعثة التقنية إلى الصحراء الغربية والبلدان المجاورة لتحديد الجوانب الإدارية للخطة المجملة وللحصول على المعلومات اللازمة لإعداد تقرير آخر من الأمين العام إلى مجلس الأمن يتضمن على وجه الخصوص تقديراً لتكلفة بعثة الأمم المتحدة لتنظيم استفتاء في الصحراء الغربية ؛

5 - تعرب عن دعمها الكامل للجهود التي يبذلها الرئيس الحالي لمؤتمر رؤساء دول وحكومات منظمة الوحدة الإفريقية والأمين العام للأمم المتحدة للتوصل إلى حل عادل ونهائي لمسألة الصحراء الغربية، وفقاً لقرار الجمعية العامة 40 - 50 ؛

6 - تحث الرئيس الحالي لمؤتمر رؤساء دول وحكومات منظمة الوحدة الإفريقية والأمين العام للأمم المتحدة على مواصلة وتكثيف جهودهما الرامية إلى حل المشاكل المعلقة مما يهيئ الظروف اللازمة لإجراء استفتاء يقرر من خلاله شعب الصحراء الغربية مصيره، دون أي ضغوط إدارية أو عسكرية، وتضطلع منظمة الأمم المتحدة بتنظيمه والإشراف عليه بالتعاون مع منظمة الوحدة الإفريقية ؛

7 - تؤكد من جديد اقتناعها بأن الحوار المباشر بين طرفي النزاع من شأنه أن يسهم في أن تفضي عملية المساعي الحميدة المشتركة التي يقوم بها الرئيس الحالي لمؤتمر رؤساء دول وحكومات منظمة الوحدة الإفريقية والأمين العام للأمم المتحدة إلى إعادة السلم إلى الصحراء الغربية والاستقرار والأمن إلى المنطقة كلها ؛

8 - تناشد من جديد المملكة المغربية والجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب إبداء التعاون والإرادة السياسية اللازمين لإتمام عملية السلم بغية التوصل إلى تسوية سريعة لمسألة الصحراء الغربية ؛

9 - تطلب إلى اللجنة الخاصة المعنية بحالة تنفيذ إعلان منح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة أن تواصل النظر في الحالة في الصحراء الغربية بوصفها مسألة ذات أولوية، وأن تقدم تقريراً عن ذلك إلى الجمعية العامة في دورتها السادسة والأربعين ؛

10 - تدعو الأمين العام لمنظمة الوحدة الإفريقية إلى إبقاء الأمين العام للأمم المتحدة على علم بما يتحقق من تقدم في تنفيذ قرارات منظمة الوحدة الإفريقية بشأن الصحراء الغربية ؛

11 - تدعو الأمين العام إلى أن يتابع الحالة في الصحراء الغربية عن كثب بغية تنفيذ هذا القرار، وأن يقدم تقريراً عن ذلك إلى الجمعية العامة في دورتها السادسة والأربعين.

- القرار رقم 46 - 67 الصادر عن الجمعية العامة بتاريخ 11 دجنبر 1991، ويتضمن مصادقة مجلس الأمن على مشروع مخطط السلام المقدم من طرف الأمم المتحدة بعد أن حاز هذا المشروع على رضا طرفي النزاع المغرب وجبهة البوليساريو.

ويمر هذا القرار بمرحلتين :

1 - وقف إطلاق النار بين الطرفين ابتداء من 6 - 9 - .1991.

2 - إجراء استفتاء في يناير 1992.

- القرار 47 - 25 الصادر بتاريخ 25 يونيو 1992 يؤكد القرارات السابقة. ويشير إلى أن الجمعية العامة تلاحظ مع الارتياح تعيين السيد صاحب زاده يعقوب خان ممثلا خاصاً للأمين العام للصحراء الغربية ابتداء من 23 مارس 1992، كما تكرر الإعراب عن تأييدها لبذل الأمين العام المزيد من الجهد لكي تقوم الأمم المتحدة بالتعاون مع منظمة الوحدة الإفريقية بتنظيم ومراقبة استفتاء شعب الصحراء الغربية بشأن تقرير المصير وفق القرارين 658 (1990) و690 (1991) اللذين اعتمد بهما مجلس الأمن خطة التسوية للصحراء الغربية.

- القرار 48 - 49 الصادر بتاريخ 10 دجنبر 1993 يؤكد القرارات السابقة، ويعتبر أن المحادثات التي عقدها طرفا النزاع في العيون في الفترة من 17 إلى 19 يوليوز 1993 تمثل تطوراً إيجابيا، كما تؤكد تقرير الأمين العام الذي يؤيد محتويات الرسالة المؤرخة 4 غشت 1993 الموجهة إلى الأمين العام من رئيسة مجلس الأمن التي كان مما ورد فيها أن أعضاء مجلس الأمن قد أعربوا عن تأييدهم المطلق لما بذله الأمين العام من جهود للتعجيل باتخاذ الترتيبات المتعلقة بالاستفتاء وفقا لقرار المجلس 809 (1993) ولاحظوا فيه أن لجنة تحديد الهوية قد بدأت أعمالها التحضيرية، ورحبوا فيها بتأكيد الطرفين رغبتهما في تأييد خطة السلم بكاملها، وبخاصة ما أبداه من ردود فعل مشجعة إزاء الاقتراح التوفيقي للأمين العام فيما يتعلق بتفسير وتطبيق المعايير، وذكروا فيها أنهم يشاطرون الأمين العام أمله في أن تستأنف قريبا المحادثات المباشرة بين الطرفين.

- القرار 49 - 44 الصادر عن الجمعية العامة بتاريخ 9 دجنبر 1994 ويؤكد القرارات السابقة. ويرحب بتعيين السيد إريك بينس نائبا للمثل الخاص للأمين العام للصحراء الغربية، وبالتقدم الذي أحرزته في ظل قيادته لجنة تحديد الهوية التابعة لبعثة الأمم المتحدة للاستفتاء في الصحراء الغربية.

- القرار 50 - 36 الصادر عن الجمعية العامة بتاريخ 6 دجنبر 1995 يؤكد القرارات السابقة. ويلاحظ مع القلق عدم إحراز تقدم كاف تجاه تنفيذ خطة التسوية، بما في ذلك عملية تحديد الهوية، ومدونة قواعد السلوك والإفراج عن السجناء السياسيين وقصر وجود قوات الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب على مواقع معينة، واتخاذ ترتيبات لتقليص حجم القوات المغربية في الإقليم.

- القرار 51 - 143 الصادر عن الجمعية العامة بتاريخ 13 دجنبر 1996 يؤكد القرارات السابقة، ويحيط علما بقرار مجلس الأمن 1056 (1996) الذي قرر مجلس الأمن بموجبه تعليق عملية تحديد الهوية وتخفيض العنصر العسكري من بعثة الأمم المتحدة للاستفتاء في الصحراء الغربية نظراً لعدم إحراز تقدم في تنفيذ خطة التسوية.

- القرار 52 - 228 الصادر عن الجمعية العامة بتاريخ 31 مارس 1998 ويتناول الصعوبات المالية في تمويل بعثة الأمم المتحدة للاستفتاء في الصحراء الغربية انطلاقا من قرارات مجلس الأمن الصادرة في هذا الشأن منذ القرار 690 (1991) وما تلاه من قرارات مشابهة.

- القرار 53 - 64 الصادر عن الجمعية العامة بتاريخ 3 دجنبر 1998 ويؤكد جميع القرارات السابقة، وكذا تقرير الأمين العام (A 53 / 368) الذي يلاحظ مع الارتياح الاتفاقات التي تم التوصل إليها بين المملكة المغربية والجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب من أجل تنفيذ خطة التسوية خلال محادثاتهما المباشرة الخاصة التي أجريت برعاية السيد جيمس بيركر المبعوث الشخصي للأمين العام، ويحث الطرفين على تنفيذ هذه الاتفاقات تنفيذاً تاماً وبحسن نية.

- القرار رقم 54 - 87 الصادر عن الجمعية العامة بتاريخ 6 دجنبر 1999 ويؤكد القرارات السابقة وكذا جميع قرارات مجلس الأمن المتعلقة بمسألة الصحراء الغربية.

- القرار رقم 57 - 135 الصادر بتاريخ 6 دجنبر 1999 يؤكد القرارات السابقة.

- القرار 55 - 141 الصادر بتاريخ 8 دجنبر 2000. يؤكد القرارات السابقة، ويلاحظ رغم التقدم المحرز أنه مازالت توجد صعوبات تعترض سبيل تنفيذ خطة التسوية يجب التغلب عليها.

- القرار 56 - 69 الصادر عن الجمعية العامة بتاريخ 10 دجنبر 2001 يؤكد القرارات السابقة.

- القرار 57 - 135 الصادر عن الجمعية العامة بتاريخ 11 دجنبر 2002 يؤكد القرارات السابقة. ويحث طرفي النزاع على مواصلة تعاونهما مع الأمين العام ومبعوثه الشخصي بغية التوصل إلى حل سياسي مقبول من الطرفين لحل هذا النزاع.

- القرار 58 - 109 الصادر عن الجمعية العامة بتاريخ 9 دجنبر 2003 يؤكد القرارات السابقة، ويهيب بالأطراف إلى التعاون مع لجنة الصليب الأحمر الدولية لحل مشكلة مصير الأشخاص الذين اعتبروا مفقودين، ويُهيب بالطرفين إلى الامتثال لالتزاماتهما بموجب القانون الإنساني الدولي بالإفراج دون أي تأخير عن جميع المحتجزين لديهما منذ بداية الصراع.

- القرار 59 - 131 الصادر عن الجمعية العامة بتاريخ 10 دجنبر 2004 يؤكد القرارات السابقة.

- القرار رقم 60 - 114 الصادر عن الجمعية العامة بتاريخ 8 دجنبر 2005 يؤكد القرارات السابقة.

- القرار رقم 61 - 125 الصادر عن الجمعية العامة بتاريخ 14 دجنبر 2006 يؤكد القرارات السابقة.

- القرار رقم 62 - 116 الصادر بتاريخ 17 دجنبر 2007 يؤكد القرارات السابقة، وتعرب فيه الجمعية العامة عن ارتياحها لاجتماع الطرفين في 18 و19 يونيه و10 و11 غشت تحت رعاية المبعوث الشخصي للأمين العام وبحضور البلدان المجاورة، ولاتفاقها على مواصلة إجراء المفاوضات، وتؤيد بشدة قرار مجلس الأمن 1754 (2007) الذي أهاب فيه المجلس بالطرفين أن يدخلا في مفاوضات دون شروط مسبقة وبحسن نية مع مراعاة التطورات الحاصلة في غضون الأشهر الأخيرة مع

التوصل إلى حل سياسي عادل ودائم ومقبول للطرفين، مما يكفل لشعب الصحراء الغربية تقرير مصيره.

- القرار 63 - 105 الصادر عن الجمعية العامة بتاريخ 5 دجنبر 2008 ويؤكد القرارات السابقة وتقرير الأمين العام 131 / 63 / A الذي يؤكد عملية المفاوضات التي بدأت بموجب قرار مجلس الأمن 1754 (2007) وتواصلت بموجب قراري المجلس 1783 (2007) و1813 (2008) من أجل التوصل إلى حل سياسي عادل ودائم ومقبول للطرفين يكفل لشعب الصحراء الغربية تقرير مصيره، وتشيد بالجهود التي بذلها الأمين العام ومبعوثه الشخصي في هذا الخصوص.

أرشيف الأمم المتحدة ؛ علي الشامي، *الصحراء الغربية، عقدة التجزئة في المغرب العربي.*

محمد الظريف

القليب (معركة -) 9 - 10 - 11 مارس 1913 تعرف معركة "القليب" بغزوة "الحمادة" كذلك ؛ و"القليب" هو جبل صغير بناحية "أگنز" بمنطقة زمور، داخل المنطقة الواقعة نظريا - تحت النفوذ الإسباني بموجب الاتفاقيات التي وقعت بين إسبانيا وفرنسا.

وتعتبر معركة "القليب" جزءا من الخطة الفرنسية التي أعدها وقادها بنفسه العقيد موريه Mouret مفوض الحكومة الفرنسية ببلاد شنقيط للثأر لقواته مما حصل لها في معركة "البيرات" حيث أباد المجاهدون فرقة فرنسية متنقلة بالكامل، إذ فقدت سبعة وستين رجلا من بينهم أربعة ضباط فرنسيين، وغنمت أسلحتهم وذخيرتهم، فقرر موريه الهجوم على السمارة، رمز قوة أهل الشيخ ماء العينين، واحتلالها، ولكنه عندما وصل السمارة بقوة قوامها 400 جندي يوم 29 فبراير 1913، وجدها خالية من السكان ما عدا رجل غير مسلح وامرأتين كان معهم أحد التلامذة يحرس القصبة، فغادرها ليلا بعد أن تفطن للقوة الفرنسية ليخبر بذلك الشيخ محمد الأغظف بن الشيخ ماء العينين الذي كان مخيمه مع مخيمات الرقيبات على بعد حوالي 100 كلم إلى الشرق من مدينة السمارة، وكان ذلك سببا في إفشال عامل المفاجأة الذي خطط له موريه.

ومع ذلك توجهت القوة الفرنسية نحو الشرق بعد أن نسفت بعض المباني الخالية بالديناميت وعاثت فساداً في بقية المباني الأخرى، وعندما اقتربت من "القليب" يوم 9 مارس تواجهت مع مجموعة من المجاهدين واجهتهم بنيران كثيفة، واستمر القتال من الفجر حتى منتصف النهار بعد أن قتل عدد من القوات الفرنسية من ضمنه ملازم يدعى مورلّو Morèllo وعطل مدفعه الرشاش، وتولى القيادة بدله النقيب "جيرار" Gerhardt الذي سقط فورا برصاصة أصابته في الرأس. وبقي خطا المجابهة ثابتين والتراشق بالنيران كثيفا. في تلك الأثناء علم المجاهدون بأن قوات فرنسية منطلقة من أطار أغارت على مخيماتهم بالجنوب ونهبتها، فانطلقت أغلبيتهم لنجدتها. أما قوة العقيد موريه فقد بدأت مؤونتها تنفد ومعنوياتها تنهار فقررت العودة من حيث أتت، ولكنها ظلت - على امتداد ثلاثة أيام تتلقى ضربات المجاهدين الذين بقوا بمواجهتها، وعلى طول طريق العودة ظلت عرضه للإغارات والمناوشات، ولم يصل منها إلى مدينة أطار إلا أقلية قليلة من الذين تشكلت منهم في البداية. ومع ذلك لم يعترف الفرنسيون سوى بمقتل حوالي 30 رجلا من بينهم نقيب وملازم وإصابة 40 منهم بجراح وأغفلوا ذكر أزيد من ستين من مجنديهم تم أسرهم ولم يذكروا خسائرهم المادية فيما كتبوه بعد ذلك، ربما لأن المقاومة مستمرة، وهم لا يريدون مساس معنويات جنودهم. أما خسائر الفرنسيين في معركة "القليب" وحدها فقد تواترت روايات من شاركوا فيها على أن الفرنسيين خسروا أكثر من ثلاثين قتيلا وخمسين جريحا وأسر منهم ستون مجندا، وأن المقاومين استولوا على كمية هائلة من الذخيرة و140 بندقية.

استشهد في هذه المعركة ثمانون مجاهدا : ستون منهم من الرقيبات وعشرون من غيرهم منهم : لبات بن عبد الله بن سويلم بن علي وأخوه محمود، والمصطفى بن المحجوب ابن سويلم، وحمدي بن علي بن ددش بن احميّد وأباها بن سويلم واثنان من أولاد حمدات وأحمد بابا بن حمادي الساعدي ودافة بن احميدي الشيخي وموليد بن بنان ومحمد سالم ابن امبيركات وسيدي أحمد بن بنان ومحمد سالم بن اميش بشور وبرهي بن حميمة وعمر بن محمد بن عمر، والحسين بن البيكم الأيتوسي وبريكة بن علي ولحماد بن ابيط وحمادي الشكوتي والسالك بن بوكنين والأزعم بن علي بن الناجم اليكوتي ومحمد بن بوجمعة بن بوركبة والمحفوظ بن زيدان ومحمد فاضل بن زيدان ومحمد سالم بن العروسي، كما استشهد من البويهات أربعة رجال ومن الجنحة ستة، ومن آيت الحسن إثنان : وبقية الشهداء لم يتم حصرهم.

بييربونت، إمارة آدرار، ترجمة، بوبه ولد محمد نافع، ص. 101 ؛ الطالب أخيار الشيخ مامينا، الشيخ ماء العينين، *علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي*، ج 6، ص. 531 - 546.

Commandant Gillier, *La pénétration en Mauritanie*, p. 228 - 236.

ماء العينين مربيه ربه

القنفذ (حيوان) كما هو في كتب اللغة وكما ينطق به في مختلف الأقطار العربية، دابة من الثدييات الوحشية تتميز بأشواك على الجسم وتقتات من الحشرات. يسمى في سوريا والعراق كبابة الشوك والقنفذ في مختلف الأقطار العربية، ومن أسمائه أيضا الأنقد والحسشكة والحسكك واللتنة والمدلج وأبو المدلج. جسمه مغطى بشوك قصير يفوق عدده 6000 شوكة ويكثر نشاطه ليلا وينام نهارا بداخل الأدغال والحفر وأحيانا في الجحور. يتحول عند الإزعاج إلى كبابة شوكية كروية الشكل يختفي بداخلها ولا يظهر منها إلا الشوك الذي يحميه من أعدائه كالثعلب وابن أوى والعقاب والكواسر الليلية. بصره ضعيف وحاستا الشم والسمع قويتان.

يصنف علميا إلى رتبة آكلات الحشرات Insectivora وفصيلة القنفذيات Erinaceidae، ومنه نوعـان يعيشـان في المغرب :

- القنفذ الجزائري يسمى علميا Erinaceus algirus Lereboullet 1842، وبالفرنسية Hérisson d'Algérie وبالإنجليزية Algerian Hedgedog وبالإسبانيـة Erizo moruno. جسمه مكسو بشوك مصفر ملطخ بالأسمر البني عليه خطوط طولية وعلى الجبهة بقعة خالية من الشوك ؛ يكسو البطن شعر ناعم أبيض ورأسه خرطومي الشكل ينتهي بمتك حاد وأذناه قصيرتان لا يتعدى طولهما 3 سنتمترات. العينان دائريتان وصغيرتان. القوائم قصيرة تنتهي بأقدام لها 5 أصابع تحمل مخالب قوية. يتراوح وزن الكبـار بين 300 و450 گراما ويبلغ الطول جمعا بين الرأس والجسم 20-27 سم وطول الذيـل 1.5-3 سم. صيغة أسنانه كالتالي : 3/1 أسنان، 1/1 أنياب، 2/1 أضراس أمامية، 3/3 أضراس = 36 سنا متكاملة معدة للاقتلاع والتمزيق والمضغ.

يقتصر توزيعه الجغرافي على شمال إفريقيا والسواحل الإسبانية - الفرنسية وشائع في المناطق الشمالية المغربية والوسطى. يألف الأدغال والمزارع والمناطق الصخرية وخواصر الجبال ذات الكسور والحقول المزروعة والمنازل المهجورة في أرياف جبال الأطلس المتوسط والكبير والصغير وفي الهضاب العليا بالمغرب الشرقي وفي واحات تافلالت وسهوب وادي درعة باستثناء الأوساط شبه الصحراوية الجافة. يتنقل ليلا ليبحث عن الحشرات والزواحف والعناكب والديدان. يبلغ معدل سرعة مشيه 3 أمتار في الدقيقة. يتوالد القنفذ مرة واحدة ونادرا مرتين في السنة في أواخر فصل الربيع وطيلة فصل الصيف حسب المناطق وتنجب الإناث 2-8 صغار عارية تفتح عيناها بعد 30 يوما وتدوم مدة الرضاعة 5-6 أسابيع وتدوم مدة الحمل 34-36 يوما. تصير بالغة بعد سنة وتعمر حوالي 10 سنوات.

- القنفذ الحبشي الصحراوي يسمى علميا Paraechinus aethiopicus (Ehrenberg, 1833) وبالفرنسية Hérisson du désert وبالإنجليزية Desert Hedgedog، يتميز بأذنين طويلتين يتعدى طولهما 4 سنتمترات. القوائم قصيرة تنتهي بأقدام لها 5 أصابع تحمل مخالب قوية. يتراوح وزن الكبار بين 250 و350 گراما ويبلغ الطول جمعا بين الرأس والجسم 14-20 سم وطول الذيل 1.5-4 سم. صيغة أسنانه شبيهة بالقنفذ الجزائري.

يمتد توزيعه الجغرافي من المغرب وموريتانيا إلى الجزيرة العربية وشائع في المناطق شبه الصحراوية المغربية الممتدة من فگيگ إلى طرفاية والعيون. يألف المناطق الجافة الصخرية وخواصر المرتفعات بالأوساط شبه الصحراوية الجافة. يتغذى من الحشرات والعقارب والديدان والنمل.

أميـن المعلـوف، معجم *الحيوان*، مطبعـة المقتطـف، القاهـرة، 1932.

A.Lakhdar Ghazal, J.P.Fartouat et M.Thevenot, *Faune du Maroc, les Mammifères*. Albums didactiques, Rabat, 73 p. S.Aulanier et M.Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc*, Trav. Inst. Sci. Série Zoologie, n° 41, Rabat, 1986.

محمد رمضاني ومحمد خربوعة

القوات المسلحة الملكية في الصحراء منذ 1975، لم يتعرض أي بلد من بلدان المغرب العربي، بل من إفريقيا كلها، إلى حملة الاقتطاع والسطو على أجزاء هامة، وأحيانا شاسعة من مناطقه وأراضيه، مثلما حصل في المغرب، في الفترة ما بين أواخر القرن التاسع عشر ونهاية العشرية الأولى من القرن العشرين. فقد دشنت هذا المسلسل الاستعماري، أول الأمر، فرنسا، انطلاقا من مستعمرتها الجزائر، حيث احتلت جحافل جيوشها مجموعة من الواحات والمراكز *كتوات*، *وتيديكلت*، *وكورارة*، وبشار، وقصور *بني ونيف*، *وعين بني مطهر*، فضلا عن احتلالها لمدينتي *وجدة والدار البيضاء*، وناحيتيهما سنة 1907. ثم بعد ذلك، حذت حذوها غريمتها إسبانيا، وبسطت نفوذها على المناطق الصحراوية المغربية، مستغلة الظروف الصعبة التي كان يتخبط فيها المغرب وقتئذ. ثم لما تم الأمر لهاتين الدولتين سنة 1912، أطلقتا يدهما في البلاد، ولم يعد في وسع المغاربة الدفاع عن حوزة أراضيهم، ولا التنديد بتصرفات السلطات الاستعمارية. وأما الدول الأجنبية الأخرى، إنكلترا، وألمانيا، والولايات المتحدة ....، فقد تم إرضاؤها بتفعيل بند "الباب المفتوح"، المنصوص عليه في الاتفاق الموقع عليه سنة 1906، أثناء انعقاد مؤتمر الجزيرة الخضراء بإسبانيا، والذي ينص على تمتيع الدول الموقعة بحق الاتجار والتبادل مع المغرب، وشركاتها ومقاولاتها بالاستفادة من الصفقات التي سوف يعلن عنها مستقبلا، في موضوع إنجـاز أشغـال عموميـة كبرى في المغرب.

وكان على المغرب، بعد أن حصل على استقلاله سنة 1956، مواصلة النضال والمساعي من أجل استكمال وحدته الترابية، واسترجاع ما بقي في قبضة الاستعمار الإسباني من أراض، ولاسيما في مناطقه الجنوبية. وهكذا، وبعد اتصالات ومفاوضات عسيرة وشاقة بسبب تهرب الإسبانيين من اتخاذ موقف صريح مما كان يطالب به المغرب، واللجوء إلى لجنة تصفية الاستعمار التابعة لهيأة الأمم المتحدة، تمكن المغرب، في مرحلة أولى، من استرجاع مدينة طرفاية سنة 1958، ثم في مرحلة موالية، منطقة سيدي إيفني في 30 مارس 1969، على إثر التوصل مع الجانب الإسباني إلى إبرام معاهدة فاس في 4 يناير من نفس السنة. ثم بعد ذلك، تفرغ المغرب للأهم من ذلك، ونعني به المناطق الصحراوية، الساقية الحمراء ووادي الذهب، بغية التوصل إلى حل يستجيب للحقوق المشروعة للمغرب في هذه الربوع من أراضيه، مع أخذ مصالح إسبانيا بعين الاعتبار. إلا أن هذه الأخيرة ظلت تمانع في إثارة هذا الموضوع وإدراجه على بساط التفاوض والمناقشة، نافية كل صلة تاريخية وثقافية للمغرب بأرض الصحراء، وحتى في المناسبـات

القليلة التي كان ممثلوها ومفاوضوها يتفضلون بالإصغاء إلى المغاربة، فإنهم ظلوا يماطلون، ويسوفون، بل يناورون، مما أعيى المغاربة وجعلهم يقتنعون بأن لا طائل من وراء هذا كله. وبالرغم من هذا وذاك، لم يستسلم المغاربة إلى اليأس، بل ظلوا يناضلون ويطالبون بالإنصاف، إلى أن تولدت في ذهن العاهل المغربي الراحل، جلالة الملك الحسن الثاني رحمه الله فكرة هائلة، تَنِمُّ عن عبقرية الرجل وحنكته السياسية، وباعه الطويل في تدليل الصعاب والعقبات، وذلك بالتوجه إلى منظمة الأمم المتحدة ومطالبتها بعرض موضوع النزاع بين المغرب وإسبانيا، على أنظار محكمة العدل الدولية بلاهاي بهولاندة. وبعد أن نظرت هذه الهيأة العدلية العليا في الملف، وأصدرت حكمها بوجود روابط البيعة والولاء بين سكان الصحراء وملوك المغرب، أي أن هذه الأراضي لم تكن أرضا خلاء، لا مالك لها، بل كان للمغرب قدم فيها، عبر العصور والحقب، كانت قد اختمرت في ذهن المغفور له الملك الحسن الثاني، فكرة عجيبة وجريئة قلما يجود بمثلها الزمن، ويتعلق الأمر بتنظيم مسيرة سلمية حاشدة نحو الصحراء. وبما أن القوات المسلحة الملكية هي جهاز من أجهزة الدولة الهامة والأساسية، وتتوفر على وسائل بشرية ومادية ضخمة، وعلى خبرة عالية في مجال التنظيم والتسيير والتأطير اكتسبتها داخل المغرب وخارجه، فإنه كان من الطبيعي أن يضطلع أفرادها بدور قيادي حاسم، وذلك قبل انطلاق المسيرة الخضراء في 6 نونبر 1975، ثم أثناءها، وأخيرا بعد انتهائها. ففي مرحلة الإعداد والتعبئة، عهد إلى ثلة من أطرها العليا مهمة التفكير في الوسائل والأساليب البشرية والمادية، والتقنية الكفيلة بإنجاح المشروع، وتقديم اقتراحاتهم حول أجرأته. وهكذا، اتخذت الترتيبات والتدابير اللازمة لضمان أمن وسلامة ورعاية المتطوعين. ولما دقت ساعة الحسم، أعطيت إشارة انطلاق الأفواج الأولى من مدينة أگادير في 6 نونبر 1975. والحق أن أفراد القوات المسلحة الملكية، ضباطا، وضباط صف وجنودا، معززين بعناصر قوات الأمن الأخرى، وأطر عدد من الوزارات التقنية والاجتماعية، من مهندسين وتقنيين وأطباء وممرضين، قد أبانوا جميعا عن حنكة ودراية عاليتين في التنظيم والتأطير والإسعاف، إذ ليس بالأمر السهل ولا الهيِّن تأطير وتدبير شؤون 350000 متطوع، وحملهم على الانضباط، واحترام التعليمات والأوامر.

ولما تبين أن المسيرة قد حققت هدفها، بعد أن وطئت أقدام آلاف المتطوعين أرض الصحراء المسترجعة، ورفعت راية المغرب خفاقة على سطح بناية الحاكم الإسباني، صدرت الأوامر بعودة المشاركين إلى ديارهم، فتولت القوات المسلحة الملكية على عاتقها تنظيم وتأطير عملية العودة، في جو من الانضباط والهدوء، وبذلك تكون قد أنجزت مهمتها على أحسن وجه وأقوم سبيل، خدمة لمصلحة الوطن العليا، وهو الأمر الذي نال إعجاب وثناء المغاربة والملاحظين الأجانب. وقد نوَّه جلالة الملك الحسن الثاني رحمه الله بجهود أفراد الجيش وأشاد بتفانيهم في تنظيم هذه المسيرة التاريخية وذلك في خطاب إحياء الذكرى العشرين لتأسيسها حيث قال:

"... *إن إسهامكم الفعال في نجاح المسيرة الخضراء، وإصراركم على صيانة أراضينا المسترجعة، وحماية ترابنا الوطني، لدليلان ساطعان على ما لكم من إيمان راسخ، وشعور قوي بعدالة ومشروعية قضيتنا الوطنية*...".

وهكذا، يكون المغرب قد نجح في استرجاع صحرائه مع اعتقاده الراسخ بأن لا أحد من دول الجوار على الخصوص قد يطعن في ذلك وينازعه في الأمر أو يناصبه العداء. بيد أن العكس هو الذي حدث. فقد أقحمت الجزائر نفسها طرفا في النزاع، وجندت وسائلها المالية والحربية والدبلوماسية للترويج لمبادئ وأطروحات تخدم مصالحها، وتسير وفق مخططاتها التوسعية في منطقة المغرب العربي. ولما تأكدت هذه النوايا العدوانية، وتبين للمسؤولين المغاربة، وفي مقدمتهم العاهل الراحل الملك الحسن الثاني رحمه الله، أن حكام الجزائر قد نسوا أو بالأحرى تناسوا ماضي الكفاح المشترك ضد المستعمر وما قدمه المغرب ملكا وشعبا من عون ودعم وتضحيات لنصرة قضيتهم من أجل الانعتاق والحرية، صدرت الأوامر إلى وحدات وفيالق القوات المسلحة الملكية بالانتشار والتمركز في مواقع وجهات معينة في الصحراء، وذلك ابتداء من أواخر شهر دجنبر 1975. وما أن تأكد نبأ هذا الانتشار، وتناقلته وسائل الإعلام، حتى شرعت وحدات من الجيش الجزائري في التوغل داخل الأراضي الصحراوية، فتصدى لها الجنود المغاربة، وهزموها في موقع أمغالة الذي يبعد بحوالي 380 كلم في الجنوب الغربي لتيندوف. وقد حدثت هذه المواجهة الأولى بين الجيش المغربي والجيش الجزائري في الصحراء سنة 1976. وفي هذه الأثناء، تحركت الأجهزة السياسية والعسكرية الجزائرية، وعرضت خدماتها على جماعة من الشبان الصحراويين وسلحتهم وقدمت لهم العون، وشجعتهم على تأسيس تنظيم سياسي دعي الپولساريو الذي اتخذ من الجزائر أرضا لانطلاق طوابر مرتزقة من جنسيات مختلفة والتوغل في الأراضي الصحراوية لمهاجمة المواقع المغربية. ثم بعد ذلك، وكأن هذا لم يكن كافيا بالنسبة لحكام الجزائر ومحميِّيهم، أقدم قياديو الپولساريو على إعلان "الجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية" المزعومة في 26 يبراير 1976. وهكذا، تكون الجزائر قد تسببت، بل عملت بكل إمكاناتها السياسية والمالية والعسكرية على خلق نزاع لا شيء يبرره سوى سعي حكامها في الهيمنة والانفراد بدور الزعامة في منطقة المغرب العربي، راهنة بذلك مستقبل الشعوب المغاربية، ومتسببة، في نفس الآن، في تصدع صفوف الدول الإفريقية الأعضاء في منظمة الوحدة الإفريقية والتي كان المغرب، ممثلا في المغفور له الملك محمد الخامس، من المشرفين الأوائل على تأسيسها بمدينة *الدار البيضاء*. هكذا إذن، تم تأسيس الپولساريو الذي كان معظم زعمائه، بالأمس القريب، يدرسون بالجامعة المغربية ويعتزون

بمغربيتهم، ولا يطعنون البتة في مغربية أقاليمهم الصحراوية. ومهما يكن من أمر، فما هي إلا أيام قلائل على انتشار وحدات القوات المسلحة الملكية في الصحراء، حتى تعرضت مواقع مَدَنِيَّة غير محصنة إلى هجمات مجموعات مسلحة قادمة من الأراضي الجزائرية، مثيرة الذعر والهلع في صفوف السكان العُزّل، ومدشنة بذلك حرب استنزاف، لم يكن أحد يتوقع أنها سوف تعمر طويلا.

ومنذئذ، مر النزاع حول الصحراء، سواء على المستوى العسكري، أو المستوى السياسي والدبلوماسي، من ثلاث مراحل كبرى، وهي كالآتي :

- المرحلة الأولى : ما بين 1975 و 1980
- المرحلة الثانية : ما بين 1980 و 1991
- المرحلة الثالثة : من 1991 إلى الآن

المرحلة الأولى :

لقد سبق وأن أشرنا إلى انتشار وحدات من القوات المسلحة الملكية، أواخر شهر دجنبر 1975، حيث تمركزت، أول الأمر، في مواقع حساسة أو قريبة من التجمعات السكنية. بيد أن هذا الانتشار لم يتم بسهولة، بل اعترته عوائق وصعاب شتى، منها ما هو مرتبط بخصوصيات الصحراء الطبيعية، من تضاريس ومناخ، ومنها ما هو راجع إلى الطريقة والتاكتيك الحربي المتبعين من طرف البولساريو في الهجوم أي حرب العصابات، فضلا عن عدم التوفر على عتاد حربي متطور، يمكن من صد هجمات الخصم المباغتة بنجاح، وشساعة رقعة الأراضي المسترجعة، وقلة المصادر الاستعلامية، وكان من الطبيعي أن تجد الوحدات المرابطة في الخطوط الأمامية لجبهة القتال نفسها، بين الفينة والأخرى، في وضعية حرجة وصعبة، إذ لم يكن في وسعها سوى الالتجاء إلى المخابئ، والاحتماء بأكياس الرمال والحجارة، في انتظار انتهاء الهجوم وسكوت الطلقات النارية التي كان الخصم يمطر بها مواقع هذه القوات، قبل أن يلوذ بالفرار ويختفي من الميدان بكل سرعـة.

على أن هذه الأوضاع قد أخذت تتغير مع مرور الشهور والسنين، ولا سيما لما صار الجنود أكثر دراية وخبرة بأساليب وتقنيات حرب العصابات، وتم تسليحهم بعتاد ومعدات حربية متطورة وملائمة لمتطلبات الحرب في المجال الصحراوي. ثم إن هؤلاء الجنود كانوا لا يستسلمون إلى الأمر الواقع، أو يستولي عليهم الخوف، بل ظلوا يخوضون معارك طاحنة ضد طوابير المرتزقة، كانت تسفر عن خسائر بشرية كبيرة في صفوف هؤلاء، فضلا عن الخسائر في العتاد والآليات الحربية، كما حصل في عدد من المواجهات، نذكر بعضها هنا، على سبيل الاستئناس لا الحصر، وهي :

حاسي تلمسي (29 شتنبر 1979)، *والمسيد* (13 أكتوبر 1979)، *والمحبس* (14 أكتوبر 1979)، وبوكراع (6 نونبر 1979)، *وأبطيح* (19 نونبر 1979)، *واسمارة* (6 أكتوبر 1979)، *وبير أنزران* (11 غشت 1979)... ومعلوم أن التجريدات المغربية التي شاركت في هذه الوقعة الأخيرة، قد أبلى أفرادها البلاء الحسن، ولقنوا مقاتلي البولساريو الذين كان من بينهم جزائريون ونيجيريون، درسا عاليا في صد هجومات العدو وإلحاق أضرار كبيرة في صفوفه، وهو الأمر الذي حدا بالملك الحسن الثاني رحمه الله إلى القـول :

"*وستظل موقعة بير أنزران في جبين الجيش الملكي والقوات المساعدة كتاج يدل على أن الجندي المغربي لازال ذلك الجندي المغربي الذي له قيمته النضالية المعروفة في الشرق والغرب* ....".

وأما الهجوم على مدينة اسمارة، أي على موقع بعيد نسبيا عن جبهة القتال والمناوشات، فقد كون منعطفا حاسما في استراتيجية القوات المسلحة الملكية في حماية الأراضي الصحراوية. فبعد مضي بضعة شهور على انتهاء المعركة، بدأت الأشغال لتشييد حزام أمني، يتكون من أبراج وحصون للمراقبة والإنذار المبكر، عند رصد بوادر هجوم مرتقب لمقاتلي البولساريو، وهو الأمر الذي مثل تحولا هاما في الاستراتيجية الحربية للقوات المسلحة الملكية، في سبيل تأمين الأراضي الصحراوية، وهذا ما سنحاول معالجته في الفقرة الآتية.

المرحلة الثانية : 1980 - 1991

لقد رأينا، في الفقرة السابقة، أن وحدات القوات المسلحة الملكية، لم تكن صاحبة المبادرة في خوض غمار الحرب للأسباب التي ذكرناها، وهو الأمر الذي جعلها، في غالب الأوقات، في موقف المدافع عن النفس، ولا تبادر إلى الهجوم إلا نادرا. إلا أن هذه الظاهرة قد اختفت، بمجرد إنهاء الحزام الأمني الذي مكن من إفشال مخططات البولساريو وحلفائه، إذ تم إعادة تنظيم أركان الجيش في المنطقة الجنوبية التي تم توزيعها على خمسة مجالات عسكرية وهي : مجال وادي درعة، ومجال وادي الساقية الحمراء، ومجال وادي الذهب، ومجال بحري وآخر جوي. ثم أرسلت تعزيزات من الجنود والعتاد الحربي والآليات إلى الصحراء، وأنشئت وحدات حربية تتدخل في المواجهات ضد الخصم، وتتمتع باستقلالية تامة عن القيادة العسكرية الساهرة على سير العمليات الحربية في الصحراء، ويتعلق الأمر بوحدات *بدر*، *وخيبر*، *والزلاقة*، *والأرك* التي بلغ عدد رجالها حوالي 25000 نفر. ثم في شهر نونبر من سنة 1979، دشنت القوات المسلحة الملكية حملة تمشيط وتطهير واسعة من العصابات المتسربة من التراب الجزائري، في المناطق الشرقية الصحراوية، أطلق عليها اسم عملية "*أحد*". وهذا لا يعني أن الاعتداءات والهجومات على المواقع العسكرية والتجمعات السكنية قد توقفت، بل العكس هو الذي حدث، حيث واصلت عصابات البولساريو عملياتها الحربية في جهات متفرقة من الأراضي الصحراوية، كما حـدث ذلك في كل من *أقا* (25 يناير 1980)، و(29 يونيو 1980)، *وبوجدور* (23 فبراير 1980)، *وگلتة زمور* (21 يونيو 1980، و25 مارس 1981، و13 أكتوبر 1981)، والحوزة (26 و30 أكتوبر 1980)، وأمغالة (13 أكتوبر 1981)، علما بأن هجوم مقاتلي البولساريو الذي قُدِّر عددهم بحوالي

12000 نفر على هذا الموقع الأخير جاء على بغتة، وصادف وجود حوالي 780 جندي مغربي معسكرين بهذه الحامية. وبالرغم من التفاوت الحاصل في عدد مقاتلي الجانبين، فإن عناصر حامية *أمغالة* قد استطاعوا تلقين عصابات البـولساريو درسا عاليا في التاكتيك الحربي والاستماتة في الدفاع عن النفس والمواقع.

وهكذا، يتبين مما سبق، أن وحدات القوات المسلحة الملكية، وعناصر القوات المساعدة المرابطة في الصحراء التي تولت الدفاع عن حوزتها وأهاليها، في الفترة ما بين 1975 و1991، قد أبلت البلاء الحسن في أداء الواجب، وعانى أفرادها قساوة الطبيعة ومتاعب ومخاطر التنقل المستمر وراء خصم يتحرك في مجال طبيعي يعرف جيدا تضاريسه وخباياه، ثم يختفي عن الأنظار والمراقبة، فرارا من المواجهة المباشرة مع الجنود المغاربة، كما نلمس ذلك مما ورد في تقرير رفعه الكولونيل ماجور، في ذلك الوقت، عبد العزيز بناني، قائد المنطقة الجنوبية بالنيابة إلى الملك الحسن الثاني رحمه الله، على إثر الانتهاء من بناء جدار أمني جديد في 15 يناير 1985، حيث نقرأ ما يلي :

"... *إن العمليات التي قامت بها الوحدات المكلفة بتشييد الجدار الأمني الجديد، اتسمت بعدة مناوشات واصطدامات على جانب كبير من الأهمية، حيث حاول العدو أثناءها عبثا عرقلة أي تقدم نحو الجنوب ... ولقد ظهر جليا، أثناء هذه الاصطدامات، أن المرتزقة يفرون من أي معركة عن قرب، متجنبين الدخول في اشتباك مع فرق التدخل التابعة للقوات المسلحة الملكية، ولذلك فإنهم كانوا يقومون بزرع حقول للألغام عميقة وممتدة على طول محور تقدم الوحدات، جاعلين من هذه الحقول وقاية لهم عندما يهزمون، فينتشرون وراءها*...".

هذا وبحلول شهر أبريل من سنة 1987، يكون آخر جدار دفاعي قد تم تشييده، وأصبحت بالتالي الأراضي المطلة على المحيط الأطلسي والمجاورة للتراب الموريطاني شمالي *الـﮔويرة* في أمن وأمان من اعتداءات وتسربات عصابات البـولساريو. على أن هذا لا يعني أن هجمات هذه الأخيرة قد انتهت، بل إنها قد تواصلت، ولكن بوتيرة وخطورة أقل مما كانت عليها في السنوات السابقة، مما يدل على أن الاستراتيجية الحربية المتبعة في مواجهة حرب العصابات، قد أتت أكلها، في آخر المطاف، ومكنت القوات المسلحة الملكية من استرجاع القدرة على اتخاذ المبادرة في فرض المعركة ومواجهة أعداء وخصوم المغرب.

وبالموازاة مع هذه التغييرات الحادثة في جبهات القتال، وسعيا من المغرب إلى إيجاد حل توافقي لقضية الصحراء، ونزولا عند رغبة وإلحاح عدد من رؤساء الدول الصديقة في إيجاد مخرج للنزاع يرضي جميع الأطراف المعنية، تقدم الملك الحسن الثاني رحمه الله باقتراح جريء وشجاع، يقضي بتنظيم استفتاء في الصحراء، تحت رعاية الأمم المتحدة، يقرر بواسطته سكان الصحراء مصيرهم بكل حرية وشفافية، وذلك أثناء انعقاد المؤتمر الثامن عشر لمنظمة الوحدة الإفريقية بالعاصمة الكينية نايروبي، في الفترة ما بين 24 و27 يونيو 1981، متيحا بذلك جلالته فرصة سانحة لإنهاء النزاع المفتعل في الصحراء، وخروج خصوم وحدة المغرب الترابية من المأزق الذي حشروا أنفسهم فيه بكيفية مشرفة ومنصفة في نفس الآن. ومما جاء في الخطاب الذي ألقاه جلالته رحمه الله في هذا الاجتماع، قوله :

"... *واعتبارا لهذا كله، ومن أجل أننا نريد بكل ما لإرادتنا من قوة إنقاذ مجموعتنا الإفريقية من كل ما من شأنه أن يهددها من الانفجار والتمزق، ومن أجل أننا نريد، دون كلل أو سأم، أن نحافظ على منظمة الوحدة الإفريقية*...، *فإننا قررنا أن نأخذ بعين الاعتبار مسطرة استفتاء مُراقب، تُراعي شروطه التطبيقية في آن واحد أهداف التوصيات الأخيرة الصادرة عن اللجنة الخاصة : لجنة الحكماء وما للمغرب من اقتناع بحقوقه المشروعة*...".

على أن مسألة اقتراح إجراء استفتاء في الصحراء على المنتظم الدولي ومنظمة الوحدة الإفريقية، ليست بوليدة الظروف والتطورات التي عرفها النزاع المفتعل حولها في مطلع العقد الثامن من القرن العشرين، بل سبق للمغرب أن فكر في هذا الحل، يوم كان يفاوض إسبانيا ويحثها على إنصافه وتمكينه من استرجاع صحرائه. ولما لم يستجب لنداءاته، تقدم بهذا الاقتراح، أثناء انعقاد اجتماعين دوليين، أولهما هو اجتماع اللجنة الخاصة بتصفية الاستعمار التابعة للأمم المتحدة والذي احتضنته العاصمة الأثيوبية أديس أبيبا، مقر *منظمة الوحدة الإفريقية*، في شهر يونيو سنة 1966، وأما ثاني الاجتماعين الذي طرحت فيه مسألة تقرير المصير في الصحراء، فقد انعقد بمقر الأمم المتحدة *بنيويورك* في خريف السنة المذكورة. إلا أن إسبانيا ظلت تناور وتتملص من اتخاذ قرار حاسم في الموضوع، لاعتبارات شتى، جيو - استراتجية (القرب من جزر الكناري)، واقتصادية (اكتشاف معدن الفسفاط في بوكراع سنة 1964، وربما معادن أخرى كالحديد مثلا، رأت من مصلحتها عدم الكشف عن طبيعتها وأهميتها).

ومهما يكن من أمر، وسواء تعلق الأمر بمبادرات المغرب، قبل سنة 1975 أو بعدها، فإنه أبان دوما عن حسن نيته وصادق رغبته في إنهاء النزاع المفتعل. إلا أن مساعيه اصطدمت بحسابات ضيقة ومخططات استعمارية وتوسعية، تمثلت، على الخصوص، في الشروط والترتيبات السياسية والإدارية والتنظيمية التي كان يطرحها الخصوم لإجراء الاستفتاء والتي، في الواقع، كان القصد منها هو حمل المغرب على عدم المطالبة باسترجاع أراضيه بالنسبة للإسبانيين، وعلى الرحيل منها بالنسبة لحكام الجزائر وصنيعهم البـولساريو. ومنذئذ، والمغرب ينتظر ساعة تطبيق هذا الاقتـراح وإنهاء النزاع. إلا أن البـولساريو وممولي حـركتـه فـي الجزائـر، ظلـوا ينـاورون ويتهـربون

ويخلقون شبه المشاكـل، ويشترطـون شروطا مجحفة، لو قبلها المغرب واعتمدها أرضية لإجراء الاستفتاء، لخسر كـل شيء.

المرحلة الثالثة : من سنة 1991 إلى الآن

وفي خريف سنة 1991، حل بالمنطقة فريق المراقبين الأمميين للسهر على عملية وقف إطلاق النار، في انتظار استكمال الترتيبات والإجراءات لإجراء الاستفتاء المرتقب. وهكذا، تكون المرحلة الثالثة من النزاع المفتعل حول قضية الصحراء والتي لازالت مستمرة حتى الآن قد دُشّنت، وظن الجميع أن ساعة الفرج قد دقت، وأن الخصوم ربما قد يتراجعون عن غيهم وتنكرهم للحقيقة التاريخية. إلا أنه سرعان ما تبددت هذه الآمال، واضطر المغرب إلى مواجهة الأمر الواقع، والمتمثل في إرادة الخصوم الثابتة في نسف كل محاولة جدية للتوصل إلى حل ينهي النزاع، ويعيد الاستقرار والهدوء إلى المنطقة، وهي الإرادة التي ظلت حاضرة وفاعلة في سياسة حكام الجزائر تجاه المغرب، بالرغم من التنازلات التي قبلها في *نايروبي* 1 (يونيو 1981)، و*نايروبي* 2 (غشت 1981)، و*نايروبي* 3 (يبراير 1982). ومن الدلالات القوية على ما ذهبنا إليه من القـول، أن بريـق الأمل الذي لاح في الأفـق، غداة إعلان قيـام *اتحاد المغرب العربي* في شهر يبراير 1988 بمدينة مراكش، سرعان ما تبـدد واختفى، واضطر المغرب إلى مواجهة الأمر الواقع، كما صارت قواتـه المسلحة في الصحراء في وضعية غير مريحة ولا يستصيغها أي جيش مهما كان نوعه وحجمه، ونعني بها حالة لا حرب ولا سلم. ومع ذلك، فقد اغتنمت القوات المسلحة الملكية فرصة توصل المغرب مع خصومه إلى وقف إطلاق النار، تحت إشراف الأمم المتحدة، فشرعت في عملية تطهير المناطق المسترجعة من مخلفات الحرب، ولاسيما الألغام التي كان يزرعها بكيفية عشوائية مقاتلو البـولساريو، عند اندحارهم، ورجوعهم إلى قواعدهم في التراب الجزائري، في تيندوف وغيرها من الأوكار التي كانت تأويهم وغيرهم من أهالي الصحراء الذين تم ترحيلهم قسراً إلى هذه الأماكن البعيدة عن مواطنهم. وهكذا، تمكنت وحدات القوات المسلحة الملكية المختصة في مجال الهندسة العسكرية، من انتشال وإبطال مفعول حوالي 70000 لغم منذ هذا التاريخ، أي سنة 1991 وإلى اليوم، علما بأن هذه العملية قد شملت، على الخصوص، المناطق الآهلة بالسكان، وكذا المسالك التي كانت تتردد عليها القوافل وقطعان الماشية. هذا، وقد عرفت القيادة العليا العسكرية في منطقة الجنوب كيف تدبر حالة لا حرب ولا سلـم هذه، وذلك بفتح أوراش إعادة تكوين وتأهيل أفراد القوات المسلحة الملكية المرابطة في الصحراء، وتنظيـم حلقات دراسية للتخفيف من عزلة الجنـود في بيئة طبيعية ومناخية جد قاسيـة، لا يجـرؤ على خرق سكوتها الرهيب سوى هبوب الرياح العاتية، وهيجان العواصف الرملية، ولتسليتهم والرفع من معنوياتهم.

هكذا إذن، تكون جميع الجهود والمحاولات المبذولة، سواء عن طريق الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الإفريقية، أو عن طريق دول وشخصيات صديقة، قد اصطدمت بموقف خصوم المغرب الرافض لأية تسوية قد لا تؤدي حتما إلى إقصاء المغرب من الصحراء، وهو الأمر الذي لم يقبله المغاربة حتى الآن، ولن يقبلوه في المستقبل، مهما كلفهم ذلك من ثمن.

ومع اعتلاء الملك محمد السادس عرش البلاد سنة 1999، كان الأمل معقودا على أن يدرك البـولساريو ومن كان يقف وراءه، أن الظروف الإقليمية والدولية لم تعد تسمح بخلق كيانات سياسية صغيرة مصطنعة، لا سند لها قانونيا، ولا اجتماعيا، وأنه من الأنسب والأنجع طي صفحة الماضي، وتدشين مرحلة جديدة من التفاهم والتعاون، سيما وأن العاهل المغربي الشاب، منذ الشهور الأولى لتوليه الحكم، قد أبان عن استعداد كبير، في سبيل التوصل إلى حل يمكن أبناء الصحراء من تدبير وتسيير شؤونهم المحلية بكل حرية واستقلال. وهذا ما أعرب عنه جلالته في إحدى المناسبات الوطنية سنة 2006، مؤكدا استعداد المغرب لمنح الصحراء حكما ذاتيا، في إطار السياسة الجهوية المتقدمة التي قرر العاهل اعتمادها أسلوبا للحكامة الجيدة ووسيلة لحفز النُّخب المحلية على تحمل المسؤولية والإسهام في تنمية البلاد اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا. وسعيا من جلالته إلى طمأنة الرأي العام الدولي الذي أصبح الآن يلمس خطورة الأوضاع الأمنية في منطقة الساحل الإفريقي، واستفحال ظاهرة الإرهاب في أنحاء مختلفة من العالم، بادر جلالته إلى اقتراح إجراء مفاوضات مباشرة مع ممثلي تنظيم البـولساريو، تحت إشراف الأمم المتحدة التي استحسنت وثمنت فكرة منح الصحراء حكما ذاتيا، فرعت سلسلة اجتماعات *مانهاست*، بضاحية نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية، منذ سنة 2007.

وعسى الربيع العربي الذي عصف بأنظمة سياسية بمنطقة المغرب العربي على الخصوص، كانت بالأمس القريب تمسك بقبضة من حديد أزمة أمور بلادها، واثقة في نفسها وفي استمراريتها، إذ لم يكن يخطر ببال قادتها أن أحدا قد يَجْرُؤُ على مشاكستها أو زعزعة أركانها والإطاحة بها، يحمل في طياته بوادر انفراج في علاقات دول المنطقة، حتى تستطيع الانصراف إلى ما هو أهم، ألا وهو كسب رهان التنمية الاقتصادية والبشرية المستدامة، وبناء كيان مغاربي موحد، قادر على الصمود في وجه تحديات العولمة، ومواجهة التحولات والتقلبات التي يعرفها الاقتصاد العالمي في هذه السنوات الأولى من القرن الواحد والعشرين. وأما الجانب الاجتماعي من المهام الموكولة إلى القوات المسلحة الملكية في الصحراء، فقد همَّ عددا من القطاعات والمجالات، بهدف التخفيف من معاناة السكـان في حياتهم اليومية والمعيشية. وكما هو دأب الاستعمار، وبخاصة في المناطق النائيـة، أو التي تسود فيها ظـروف طبيعيـة ومناخيـة قاسيـة أو تعاني خصاصا في المـوارد الفلاحية وغيرهـا، فـإن المنطقـة كانت تفتقر إلى كـل شيء، إذ لا مستشفيات ولا مدارس ولا ملاعب ولا مركبات ثقافية... ويكفي أن نشير هنا أنه باستثناء مدينة *العيون*

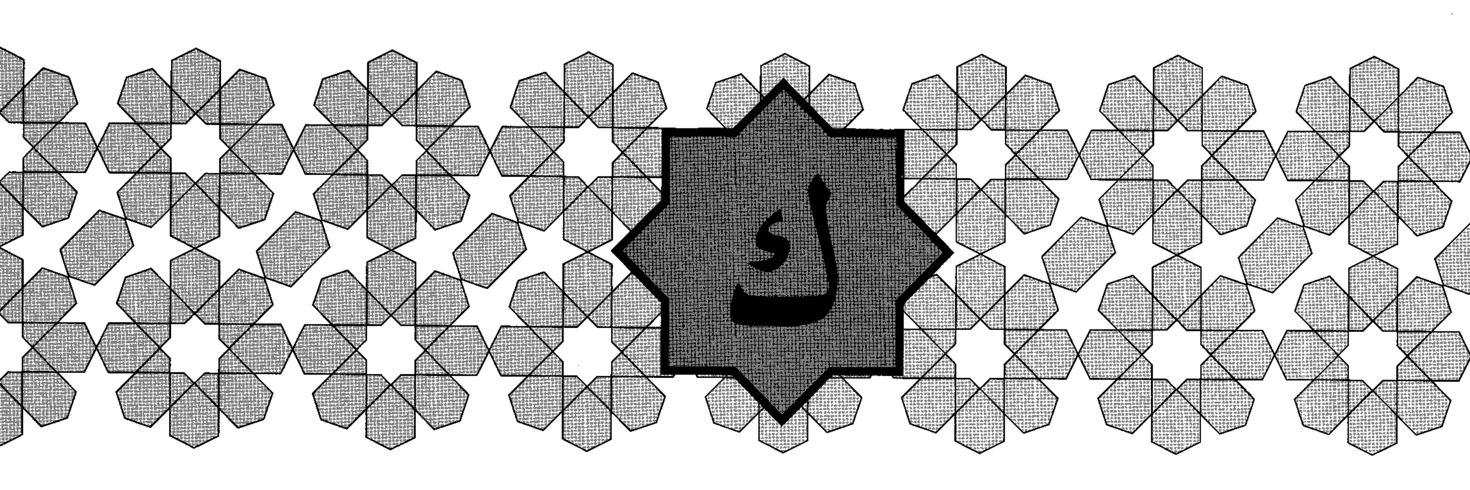
التي كانت مزودة بالماء الشروب بانتظام سنة 1975، وجزء منها فقط كان مربوطا إلى شبكة التيار الكهربائي. فلا شيء من هذا في باقي المدن والتجمعات السكنية. وهذا ما جعل وحدات القوات المسلحة الملكية، بمجرد أن تمكنت من التفوق في ميادين القتال، وتأمين النقط والأماكن الآهلة بالسكان وكذا المسالك التي كانت تتردد عليها القوافل، أطرها الطبية والهندسية والتقنية للشروع في تقديم مختلف الخدمات والمساعدات إلى السكان وحفر الآبار لتوفير المياه الصالحة للشرب، وبناء مجموعة من المنشآت التعليمية والتكوينية والاجتماعية لفائدة الناشئة وشباب المنطقة، مما يُعد بحق إسهاما مفيدا وهائلا لهؤلاء الذين ظلوا محرومين من أدنى وأبسط التجهيزات والخدمات الاجتماعية والثقافية. هذا، وقد انضاف إلى هذه الأعمال والإنجازات، في وقت لاحق، تقديم العون البشري والمادي للمشاركين في التظاهرات الثقافية والرياضية الوطنية والدولية التي صارت تحتضنها، بين الفينة والأخرى، منطقة *الساقية الحمراء ووادي الذهب*، وهو الأمر الذي ساهم في فك العزلة عن هذه الربوع من أرض الوطن، قبل أن تتولى قطاعات الدولة ومصالحها التقنية المدنية تدشين مرحلة بناء المستشفيات والمعاهد والمدارس والمركبات الثقافية، والملاعب الرياضية والحدائق والمنتزهات العمومية، فضلا عن أوراش تجهيز المنطقة بالمرافق العمومية الكبرى.

وسعيا إلى ضمان تنمية اقتصادية واجتماعية مستدامة في الأقاليم الصحراوية، وإنجاح البرامج والمشاريع التي تنوي الدولة إنجازها في هذه الربوع، قرر جلالة الملك محمد السادس تطوير وتحسين أداء المجلس الملكي الاستشاري لشؤون الصحراء (Corcas)، في إطار الجهوية المتقدمة التي اقترحها جلالته صيغة جديدة وأداة ناجعة في سبيل كسب رهان الحداثة والديموقراطية والتنمية.

عبد الكريم، غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب*، مطبعة الرسالة، الرباط، 1987، ج 2 ، ص. 895 - 906 ؛ عبد الحق، المريني، *الجيش المغربي عبر التاريخ*، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة، 2011، ص. 395 - 491 ؛ السيف والقلم في ملحمة الصحراء المغربية، *مجلة دعوة الحق*، مطبعة فضالة، المحمدية، عدد 263، مارس، 1987 ؛ بيانات ومعطيات القوات المسلحة الملكية (قيادة منطقة الجنوب).

Gaudio, Attilio : *Le Dossier du Sahara Occidental*, Nouvelles Edit.Latines, Paris, 1978 ; Mohammed Rguibi (alias Ed. Moha) : *Le Sahara Occidental, ou la Sale Guerre de Boumedienne*, Edit.Jean Picollec, Paris, 1990.

عبد الحق المريني ومصطفى الشابي


ك

كا دا موسطو، ألـبيسي، Ca da Mosta, Alvise

نبيل من مدينة البندقية الإيطالية، ازداد سنة 1432 كان من الرعيل الأول من رواد الشواطئ الصحراوية من الأوربيين بإيعاز من الأمير البرتغالي إنريكي الملاح، وصل إلى جزيرة أرگين على متن مركب سنة 1455، وكان قد اكتشفها منذ سنة 1443 بحار برتغالي آخر يدعى نونيو تريسطاو (Nuño Tristao). وقد جاب المترجم نهري السينغال وگامبيا وجزر الرأس الأخضر وخلف كتابا عن رحلاته نشر عدة مرات تحت عنوان "رحلات إلى إفريقيا السوداء".

توفي في البندقية 18 يوليوز 1488.

Hodges, T., *Historical Dictionary of Western Sahara, London*, 1982.

إبراهيم بوطالب

كارو بروخا، خوليو، (Caro Baroja Julio) :

مؤرخ وأنثروبولوجي إسباني ولد بمدريد في 13 نونبر 1914، كان والده رافاييل كارو روخيو ناشرا مرموقا، كما كان له أخ روائي هو پيو بروخا (Pio Baroja) وآخر رسام هو ريكاردو بروخا، وأخ ثالث يعد من الاثنوغرافيين هو پيو كارو بروخا Pio Caro Baroja. وقد تأثر كارو بروخا بمجموعة من العلماء الذين درسوه أمثال تليسفور ارنثادي وخوسي ميكيل بارا ندياران وهيرمان تريمبورن، الذيـن استقطبـوه إلى عالـم التاريـخ وإلى الإثنوغرافيا.

حصل خوليو كارو بروخا على شهادة الدكتوراه في مجال التاريخ القديم من جامعة مدريد، ومارس التدريس بنفس الجامعة، وبعد ذلك أسندت له مديرية "متحف الشعب الإسباني" بمدريد. وقد حظي بالعديد من شواهد التقدير والأوسمة، ويعد في إسبانيا أول من فتـح البحث التاريخي على العلـوم الإنسانية الأخـرى خاصة الأنثربولوجيا والآداب.

ولأسباب شخصية وظرفية ابتعد عن الجامعة بمدريد إلـى جامعــة كويمبــرا Coimbra فـي بــلاد البـاســـك، ثم عمد إلى السفر خارج إسبانيا نحو الولايات المتحدة الأمريكية وابريطانيا حيث أقام ما بين 1951 و1953.

وكانت أبحاثه الأولى كلها في مجال الأثنوغرافيا بما في ذلك أطروحته لنيل الدكتوراه التي قدمها سنة 1941، كما قدم تقييما للدراسات الأثنولوجية المنجزة آن ذاك بإسبانيا حول بلاد الباسك التي خرجت في الكتب التالية : *شعوب شمال الجزيرة الإيبيرية* (1943) و*شعوب إسبانيا* (1946) و*الباسكيون* (1949). ونشر في نفس الفترة كتابات ذات طابع تقني في فترة إدارته لمتحف الشعب الإسباني، وهي : "المحراث الإسباني" و"الطاحون الهوائية 1952"، وقد نشرتا في مجلة *الدارجة والعادات الشعبية*. التي ظل يديرها باروخا لمدة 15 سنة.

أما بالنسبة لدراسته حول الصحراء، ففي الفترة التي كان يعمل فيها في جامعة أكسفورد ببريطانيا فإنه يحكي أنه توصل برسالة في يناير سنة 1952 من المدير العام للمغرب والمستعمرات الحاكم خوسي دياث دي بييگـاس، يدعوه فيها للقيام بدراسات أولية ذات طابع إثنوغرافي بالصحراء. وفي 9 يناير من سنة 1952 انتقل باروخا وزميله الإسباني ميغيل مولينا كامبوثانو بالطائرة إلى سيدي إفني، حيث بدأ الاستعداد للدخول إلى المستعمرة الإسبانية بالصحراء، فوصلا الطرفاية ثم إلى العيون حيث أقاما بضعة أشهر إلى حدود بداية فبراير من سنة 1953. وقد وصف كارو بروخا بدقة طبيعة عملهما خلال تلك الأيام سواء ما تعلق منه بالمثابرة اليومية على القيـام بمقابـلات معمقة مع السكان وتسجيل ملاحظات دقيقة حول مسلكيات الناس وحول ما يقولونه، لذلك نراه قد سود العديد من الكراسات خلال تلك الفترة حيث ألف معجما للقبائـل الصحراوية وللعشائر المختلفـة وكذا عينة من أسمـاء الأعلام البشرية والجغرافية.

كما اطلع هو وزميله على الوثائق الإدارية لدى السلطات المحلية الإسبانية بالعيون، ناهيك عن القيام بوضع خطاطات ومشجرات أنساب ورسوم وصور تولى إنجازها مولينا كامبو ثانو. وخلال تلك الفترة انتقل باروخا ورفيقه على متن الشاحنة إلى بئر أنزران ما بين

10 و21 دجنبر سنة 1952، ثم إلى السمارة فيما بين 29 يناير و3 فبراير من سنة 1953.

وكانت نتيجة هذا البحث الأنثروبولوجي الميداني، نشر كتاب تحت عنوان : "*دراسات صحراوية* سنة 1955 ضمن منشورات المجلس الأعلى للبحث العلمي بمدريد"، الذي يعد من أهم المصادر التاريخية والأنثروبولوجية الإسبانية حول منطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب آن ذاك. كما نشر مقالات أخرى ضمن مجلة *أفريكا* الصادرة بمدريد، حول قبائل الصحراء وتاريخ ابن خلدون وبعض العادات والتقاليد وذلك خلال عقد الخمسينات والستينات من القرن العشرين.

توفي بمدريد في 18 غشت سنة 1995، ودفن بمنزل عائلته بمنطقة نابارا Navarra. ولم يقتصر اهتمامه على التاريخ والأنثروبولوجيا، بل ألف في مجال الآداب والأساطير وتاريخ الأقليات وفي اللسانيات، ولذلك ترك العديد من الكتابات نذكر منها :

El Carnaval, 1965.
La Estacion de amor, 1979.
Estudios saharianos, 1955.
Los judios en la España moderna y contemporanea, 3 vols, (1961-1962).
Ensayo sobre la literatura de Cordel, 1969.
Las Formas Complejas de la vida religiosa (Religion), *sociedad y caracter en la España de los siglos XVI y XVII*, 1978.
Los moriscos del reino de Granada, 1957.
Vidas magicas e inquisicion, 2Vols, 1967.
La antropologia en los clasicos griegos y latinos, 1983.
La cara, espejo del alma, 1987.

محمد دحمان، الكتابات التاريخية الإسبانية حول منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب، قراءة سوسيو - تاريخية، ضمن كتاب : *أبحاث ودراسات حول الصحراء*، الرباط، 2009، ص. 46 - 62.

Caro Baroja, Julio, *Estudios Saharianos* C.S.I.C, Madrid, 1955 ; Rogelio Rubio et al. Homenaje a Julio *Caro Baroja*, Centro de Investigaciones Sociologicas, Madrid, 1978 ; J. Roma «Julio Caro Baroja y la etnohistoria» in : A. Aguirre,la *Antropologia cultural en España*, Barcelona, P.P.U, 1986 ; Francisco Castilla Urbano. *El Analisis social de Julio Caro Baroja, empirismo y Subjetividad*, C..S.I.C Madrid 2003 ; Alberto Lopez Bargados y Jose luis Mateo Dieste «Parler au désert : Bilan de l'anthropologie du Maghreb en Espagne, in : *Prologues,* N° 32, Rabat, 2005, p. 110 - 125.

محمد دحمان

كامبي، دولس Douls Camille ولد هذا المغامر الفرنسي سنة 1864. وزار المغرب لأول مرّة سنة 1885 بهدف إنجاز بحث حول عادات المغاربة وتقاليدهم. ثم عاد إلى فرنسا لدراسة إمكانية القيام برحلة استكشافية إلى منطقة سوس والصحراء. غادر جزيرة لانثاروطي وهي إحدى جزر الكناريا في 10 يناير 1887 على متن السفينة Adélaida. وحاول الرسو في ساحل بوجدور لكن هبوب رياح قوية أرغمته على الرسو جنوب رأس بوجدور عند خليج صغير يدعى Garnet ونزل إلى البر متنكرا في زي تاجر مسلم حاملا معه مؤونته وصندوقين ممتلئين ببعض المنسوجات والحلي وبعض العطور لكي يقدم نفسه للقبائل على أنه تاجر قادم من الجزائر. فوجد نفسه وحيدا في الصحراء وتملكته مشاعر الخوف من المجهول. ولكنه كان ينقاد وراء رغبته وطموحه لإنجاز تقريره. غير مبال بالأخطار التي تهدد حياته.

بعد مسيرة يوم واحد. أنهكه التعب فقرر إخفاء أمتعته في مكان محاط ببعض الصخور بالقرب من الساحل. ثم واصل طريقه إلى أن صادف بعض الرعاة الذين فروا لما رأوه وتركوا إبلهم فلم يبال دولس بذلك وواصل سيره إلى أن اعترض طريقه أربعة أشخاص مسلحين ببعض البنادق وبعض الخناجر. فبادرهم بالسلام لأنه كان يتقن اللغة العربية وعلى دراية بأصول الشريعة الإسلامية وطلب منهم دلّه على الطريق أو الذهاب به عند شيوخ قبيلتهم. لكنهم حسب رواية أشبعوه ضربا وسلبوا ملابسه وحاولوا إلقاءه في البحر. ثم قرروا في الأخير دفنه حيّا. لكنهم تراجعوا عندما سمعوه يردّد شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمد رسول الله فأخرجوه من الحفرة واقترح عليهم أحد الأشخاص يدعى إبراهيم بن محمد نقله إلى خيمته إلى أن يروا فيه أمرا.

فانتشر بسرعة خبر وصول أجنبي إلى المدشر الذي توجد فيه خيمة إبراهيم بن محمد وتوافدت جموع الناس لرؤية الأجنبي وطرحوا عليه عدّة أسئلة حول جنسيته والهدف من زيارته وحول عقيدته. ورغم تشبث دولس بأنه مسلم يقطن بالجزائر، فإن سكان المدشر ارتابوا في أمره. واعتقدوا أنه مسيحي لأنه قدم إلى بلادهم عن طريق البحر.

أول معلومة دوّنها دولس عن هذا الحدث وهي أنه وقع في أيدي رجال قبيلة أولاد دليم المحاربة والتي تقطن بسواحل وادي الذهب، وفي اليوم الثاني وجد نفسه مقيد اليدين والرجلين محمولا فوق ظهر جمل ومتجها رفقة عشرة رجال من أولاد دليم نحو المكان الذي خبأ فيه أمتعته.

وتصادف وجود المغامر الفرنسي بخيمة الشيخ إبراهيم بن محمد بوجود أمير آدرار أحمد ولد عايدة بوادي الذهب وعرضوا عليه دولس وبعد التحدث معه نصح أمير آدرار أحمد ولد عايدة الشيخ إبراهيم بحسن معاملة دولس ظانا أنه مسلم قدم بالفعل من الجزائر. وفي اليوم الموالي حلّ بالمدشر أحد شرفاء تافيلالت فعرضوا عليه دولس واستجوبه عن إسلامه وعن شخصيته. فنصحهم بنقله إلى خيام الشيخ ماء العينين ليقرّر في أمره.

وبعد مسيرة ثلاثة أيام وصل دولس والشيخ إبراهيم وأربعة رجال من أتباعه إلى مضارب الشيخ ماء العينين بالساقية الحمراء بالمنطقة المسماة الدار الحمراء. وسأل الشيخ ماء العينين دولس عن أحوال بلاد الجزائر وعن بعض مبادئ الدين الإسلامي وطلب منه أن يكتب له بعض الكلمات باللغة العربيّة. وبما أنّ دولس كان متمكنا

من اللغة العربية وعلى إطلاع واسع بتعاليم الإسلام فقد تمكن من التدليس حتى على الشيخ ماء العينين الذي أمر الحراس بفك قيده وضمّه إلى بقية أفراد قبيلة أولاد دليم. فعاد دولس مع الشيخ إبراهيم إلى وادي الذهب. ومنحه بوصلته التي كان قد استقدمها معه في رحلته وبعض الملابس وخنجراً وبندقية وأعلن للجميع عن انضمامه إلى محاربي قبيلة أولاد دليم. وهكذا أصبح دولس يتجول كباقي الأفراد في منطقة وادي الذهب. ووصل في إحدى جولاته رفقة أولاد دليم إلى خيام صهر الشيخ إبراهيم بن محمد الواقعة في شمال إقليم وادي الذهب. وزار كذلك منطقة زمور. ويحكي أنه في هذه الرحلة أنجبت إحدى النساء المرافقات للقافلة طفلا. فكانت مناسبة سانحة لدولس لتناول اللحم بعد أن قام الرجال بذبح كبش وإطلاق بعض العيارات النارية احتفالا بقدوم المولود الجديد. وواصلت القافلة رحلتها نحو ساحل بوجدور ورغم الحرارة المفرطة التي صادفها الرجال في هذه المنطقة فقد توقفت القافلة للسماح لرجلين لعقد قرانهما على فتاتين وأقيمت الأفراح في الخلاء حسب تعبير دولس الذي وصف ذلك بالقول بأن النساء كن يغنين والأطفال يلعبون بينما كان الشيوخ يتلون بعض الآيات من القرآن بالليل. ووزع على الجميع التمر والحليب وخبز الشعير.

ثم واصلت القافلة رحلتها نحو الشمال. ويقول دولس أنه في طريقه وقف على العديد من قبور بعض المستكشفين الأجانب الذين زاروا هذه المناطق. ووصلت إلى منطقة الساقية الحمراء وعرض الشيخ إبراهيم بن محمد على دولس الزواج من ابنته المسماة لعزيزة. لكنه رفض بدعوى أنه لا يتوفر على المال الكافي في للزواج وطلب من الشيخ إبراهيم السماح له بالذهاب إلى الجزائر لإحضار المال من عند بعض أفراد عائلته حسب زعمه، فوافق الشيخ وطلب من دولس السماح له بمرافقته إلى مدينة تندوف لكي يتمكن من بيع جلود الماعز والأغنام. وخوفا من انكشاف أمره وافق دولس على طلب الشيخ وقضوا ثلاثة أيام بالجزائر ثم عادوا إلى ساحل طرفاية حيث أقيمت احتفالات الخطوبة. ثم قرر الشيخ إبراهيم مواصلة طريقه نحو الشمال. فاجتازت القافلة وادي درعة ووصلت إلى مدينة گليمين. واعتقد دولس أنه نجح في مهمته التي جاء من أجلها من باريس وبإمكانه اختلاق عذر يمكنه من العودة إلى بلده. وبمدينة گليمين التي دخلها يوم 12 أبريل 1887، تعرّف على القائد بيروك وقدم له نفسه على أنه تاجر مسلم قدم من الجزائر.

عاد الشيخ إبراهيم بعد عدّة أيام إلى منطقة وادي الذهب. أمّا دولس فقد طلب من القائد بيروك مساعدته على زيارة مدينة مراكش فمكنه ابن بيروك من دابة ومرافق وأعطاه جلابة بيضاء ومكنه من عنوان أخيه بمراكش الشيخ عابدين. وقد صادف وصول دولس إلى مدينة مراكش حلول وزير بريطانيا بطنجة السير كيربي گرين (Sir kirby Green) بها. وبعض مرافقيه نذكر من بينهم فيرگسون (Fergusson) الذي ذهب هو الآخر لزيارة الشيخ عابدين. فتحركت داخل دولس أحاسيس ذكرته بوطنه وبلغته وبعاداته. ودفعته على الفور لتجاذب أطراف الحديث بلغته مع فيرگسون، خاصة وأنه لم يتكلم بلغة بلاده منذ خمسة أشهر وهي المدّة التي قضاها بين ظهران أولاد دليم. وعلم من خلال هذا الحديث بأن هنالك إشاعات تتحدث عن موته بالصحراء وأخرى صنفته في خانة الأجانب اللذين وقعوا في أيدي القبائل الصحراوية. عندما علم فيرگسون بحقيقة دولس منحه ملابس أنيقة وحمله إلى خيمته. ثم ذهب به إلى مكان إقامة السفير البريطاني گرين الذي تعاطف معه وأبدى رغبته في مساعدته للعودة إلى بلاده. لكن الشيخ عابدين إرتاب في تصرفات دولس وظل يترصد حركاته وسكناته. ولما تيقن بأنه مسيحي أخبر قائد المخزن بمراكش بحقيقة أمره. فوضعه القائد بسجن المدينة.

وبالسجن تعرف دولس على رجل يحمل الجنسية البلجيكيّة فرّ من الجندية واستقر بمراكش وعرض عليه وساطته لتخليصه من سجنه. وبالفعل توسط هذا الجندي لدى سفير بريطانيا بالمغرب لتخليص دولس من معاناته. فكاتب گرين السلطان مولاي الحسن الأول وطلب منه التدخل لإطلاق سراح دولس والسماح له بالعودة لبلده. فوافق السلطان على هذا الطلب، وعاد دولس إلى باريس وقام أعضاء الجمعية الفرنسية للجغرافية التجارية بنشر رحلته. ثم طلبوا منه القيام برحلة أخرى إلى مدينة تنبكتو لاكتشاف حوض نهر النيجر ودراسة إمكانية إقامة علاقات تجارية مع قبائله. فوافق على الفور وعاد للمغرب متنكرا هذه المرّة في زي حاج مغربي ودخل مدينة طنجة ضمن وفد الحجاج المغاربة، ثم اتجه نحو مدينة وزان وحصل من أحد شرفائها على رسائل تساعده على تيسير رحلته. وبعد توقف بتافيلالت واصل رحلته نحو الجنوب، فزار واحة توات والساورة وتمكن من ربط علاقات تجارية مع أحد شيوخ قبائل الطوارق وطلب منهم أن يرافقوه إلى حوض نهر النيجر. لكنهم فطنوا إلى مهمته وهويته وقاموا بقتله بعدما استولوا على أمتعته سنة 1888.

نور الدين بلحداد، *التسرب الإسباني إلى شواطئ الصحراء المغربية*، 1860 - 1934، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 2009.

Caillé Jaques, *le Voyage de Camille Douls*, Rabat, 1954 ; Augieras (capt), *La pénétration dans le Sahara occidental*, Paris, 1923.

نور الدين بلحداد

گاوديو، أتيليو، Attilio Gaudio الصحافي الايطالي والكاتب التقدمي ألف مجموعة من الكتب القيمة حول الصحراء أهمها "*الصحراء الإسبانية : نهاية أسطورة استعمارية وملف الصحراء الغربية* الذي أشار فيه إلى بداية الاستعمار منذ 15 أكتوبر 1884، تاريخ مجيء بواخر شركة الصيد الكنري الإفريقي. وبعد تقلده لعدة مناصب ضمن شبيبة الحزب الجمهوري الإيطالي،

مثل بلاده في الجمعية المكونة للشعوب" بجنيف سنة 1950، التي اعتمدت في جدول أعمالها، الاعتراف بحق الاستقلال لكل الشعوب المستعمرة. وقد تم تعينه عضوا في اللجنة الدائمة المكلفة بدعم الشعوب المضطهدة، وكلف بالخصوص بقضايا إفريقيا الشمالية. ومن تم كانت انطلاقته الفعلية للاهتمام بقضايا شمال إفريقيا.

كانت مؤلفاته بشكل عام، تهتم بنضال شعوب جزر الكناري ضد الفتوحات الإسبانية في القرن الخامس عشر، وإبراز عظمة الباكستان وإثبات الحقوق التاريخية للمغرب على صحرائه المحتلة وكذا عظمة حضارات حوض البحر الأبيض المتوسط وماضيه الرفيع. وقد تميزت بحوثه بتلك البصمة المتجلية في حضور فعلي ودراسات ميدانية بالمناطق المخصصة لاهتماماته الأكاديمية والتي شهد لها بالجدية وتوجت بالجوائز الإيطالية والفرنسية.

وقد أطلق اسم كتانگا المغربية على الصحراء المغربية، وتطرق في مدخل كتابه إلى الرحل والاستعمار وبداية الاحتلال ومحاولة اندماج النظام الإجاري والنظام الجماعي والجانب الاقتصادي. كما أشار إلى المعركة الطويلة والإطار الجغرافي والإنساني وإلى السياسة الاستعمارية الإسبانية وبداية رسم معالم السياسة التوسعية الجزائرية. وقد أبان عن العلاقات التاريخية التي تربط بين قبائل المناطق الصحراوية والمملكة المغربية مؤكدا تلك العلاقة من خلال روابط البيعة.

ولم يفت هذا الباحث أن يتطرق إلى الوسط الصحراوي الإيكولوجي والتقليدي والاجتماعي وإلى تاريخ هذه المنطقة المرتبط بتحليل فضائها المختزل في روايات مناورات الدول العظمى فيما بين 1900 و1918. وقدم دراسات سياسية واجتماعية للمناطق الصحراوية، مساهمة منه في البحث عن حلول سلمية وتفاهم بين دول الجوار. ويستمد المؤلف دوافع اهتمامه بالموضوع من خصوصية انتمائه لطاليا التي تعتبر عند الباحثين مرجعا موثوقا من خلال ما تزخر به المكتبات العثيقة بفلورانسا من وثائق أصيلة حول القرون الوسطى التي تبرز التطور الحضاري وعلاقات التبادل بين شعوب حوض البحر الأبيض المتوسط والشعوب الإفريقية، انطلاقا من إفريقيا "السودانية" مرورا بتلمسان إلى الصحراء المغربية. وفضلا عما سبق، تعتبر هذه الدراسة، أيضا، مساهمة في البحث العلمي، حيث تعالج خصوصيات المنطقة ببعديها السياسي والثقافي. كما أن إسهامه المتميز يستمد قيمته العلمية من خلال شخصية المؤلف ذاته سواء منها السياسية أو النقابية ومن خلال أنشطته الواسعة النطاق خلال فترة حاسمة من تاريخ إيطاليا الحديث. فمنذ ريعان شبابه، ما فتئ أتيليو گاوديو يناضل من أجل المبادئ الديمقراطية ويناهض كل أصناف الاستعمار في العالم. فقد كانت أنشطته بارزة ضمن حركات التحرير الوطني المناهضة للنازية وألقى ما يزيد عن المائة خطاب بمختلف التراب الإيطالي، وكان أول من انضم إلى حركة مواطني العالم ومن ساهم ضمن الحركة الإيطالية التي انبثق عنها ما يسمى "مجتمع نقابات العمل وإعادة البناء".

وتتحدث مقدمة كتابه "*الصحراء الإسبانية : نهاية أسطورة استعمارية*"، عن الاحتلال العسكري الإسباني للمناطق الصحراوية سنة 1934، وعما كان متعارفاً عليه من خلال معاهدات استعمارية سرية تصنف الأراضي الصحراوية كمنطقة نفوذ إسباني ابتداء من سنة 1911. ويؤكد المؤلف من خلال دراسة للسياسة الإسبانية بالساقية الحمراء أن الحكومة الإسبانية كانت أول من اعترف بذلك، مشيرا إلى وثائق رسمية من بينها المرسوم المؤرخ في 29 غشت 1934 بالجريدة الرسمية لمنطقة الحماية الإسبانية في المغرب رقم 24 تطوان 31 غشت 1934. ويقول الباحث إن إسبانيا، أشاعت ادعاء يفيد وجودها بالمناطق الصحراوية منذ عدة قرون، مما أثار حفيظة المغرب الذي عبر عن استيائه عن ذلك في أكثر من موقف. وهنا يلزم علينا إعادة قراءة الحقائق التاريخية المتعلقة أساسا بالغزوات الإسبانية، مما دعاه إلى القول بأن الفتوحات انطلقت في البداية من طرف شركتين إسبانيتين. وفي يوم 15 أكتوبر 1884، وصلت بواخر هاتين الشركتين إلى واد الذهب والرأس الأبيض Caboblanco تحت قيادة المدعو إميليو بونيلي، وبدأ الإسبان بعدئذ ببناء محلات خشبية رفع فوقها العلم الإسباني، ليتم إبلاغ بقية الدول الأوروبية ببسط الحماية الإسبانية على المناطق الممتدة من كابو بوخادور إلى كابو بلانكو.

وأول رد فعل تم تسجيله، حسب الباحث، كان من طرف فرنسا التي طالبت بإجراء مفاوضات في الموضوع مع إسبانيا، تم على إثرها التوقيع على إتفاقية يوم 27 يونيه 1900 سميت بمعاهدة موني "Traité de Muni" التي وثقت بشكل من الأشكال هذا الحدث الاستعماري. أما الرد المغربي فقد كان شديد الوقع، حيث شنت قبيلة أولاد دليم هجوما على مواقع الإسبان وقامت بطرد الغزاة. ولم تتمكن إسبانيا من احتلال المنطقة إلا سنة 1934، واد الذهب والساقية الحمراء. وقد أشار هذا المؤرخ والباحث المتميز إلى أن السلطات الإسبانية، قامت بتقسيم المنطقة إلى ثلاثة جهات وأطلقت على كل جهة إسما مختلفا تعمل على تغييره حسب اختلاف الحقب والظروف لطمس الطابع المغربي الذي تتسم به هذه الأراضي.

وهكذا، فقد أطلقت إسبانيا إسم "منطقة الحماية الإسبانية الجنوبية" على طرفاية، وعلى الساقية الحمراء، وإسم "منطقة الاحتلال الحرة"، وعلى واد الذهب، إسم الصحراء الجنوبية". ويؤكد الكاتب في بحثه، على أن التقسيمات التي باشرتها سلطات الاحتلال الإسباني لم ترتكز قط على سند منطقي، أمام انعدام أي حدود بين طرفاية والساقية الحمراء. فمنذ نهاية الحرب الأهلية الإسبانية، عملت السلطات الإسبانية جاهدة لإدماج وضم

الصحراء إلى أراضيها، وشكلت لأجل ذلك حكومة عسكرية "إفني" وعينت المقيم العام الإسباني لجهة الشمال المغربي حاكما عاما لهذه المنطقة.

ومن خلال ذلك، يؤكد المؤلف الإيطالي، بأن الوضع السياسي والجغرافي والاجتماعي للمناطق الصحراوية لم يختلف أصلا عن بقية التراب المغربي. فقد قامت إسبانيا، سنة 1958، أي مباشرة بعد استقلال المغرب، بتغيير الوضعية القانونية لهذه المناطق، ليتم تقسيمها إلى منطقتين إسبانيتين "إفني" من جهة و"الصحراء الإسبانية" من جهة أخرى. وقامت سنة 1961 بتطبيق القوانين الإسبانية على المناطق الصحراوية المحتلة بما في ذلك الإعفاء الجمركي، لتصبح المناطق الصحراوية، بذلك مدمجة قانونيا وإداريا، تمهيدا منها للاندماج السياسي من خلال برنامج واسع النطاق لتهجير الصحراويين وطردهم تحت أية دريعة، مسخرة لذلك إمكانيات مادية ولوجيستيكية ضخمة لفرض السيطرة على السكان وعلى خيرات المنطقة.

ماء العينين الطالب أخيار

كپاث، فرناندو أسفالدو مونتس، Capaz Fernando Osvaldo Montes

ولد في بورت برانس بكوبا في 17 مارس 1894. دخل إلى الجندية في 1910، وقد اكتسب خبرته العسكرية ضمن المشاة الإسباني في المغرب. وعمل كقبطان للشرطة الأهلية في 1922. وشارك بحزم ونشاط من خلال عمله ككمندار سنة 1926 في الحرب التي عرفتها قبائل الريف مع الإسبان. وفي مهمة مفعمة بالثقة، كلفه الجنرال كوديد Goded بإخضاع مجموعة من القبائل بمنطقة النفوذ الإسباني، وتجريدهم من السلاح وتعيين سلطات أهلية تابعة للسلطة الاستعمارية الإسبانية.

وقد منحته هذه المسيرة شهرة ألمع قائد وممتلك لخصائص سياسية كبيرة على اعتبار أن معظم عمليات إخضاع القبائل لم تتم بالقوة، الشيء الذي جعله فيما بعد صالحا لبعض المهام في الحماية الإسبانية في المغرب.

وتمت ترقيته إلى درجة القائم بدور الكولونيل وبسرعة إلى كولونيل وأدخل في عمليات إخماد الفتن في المنطقة وعين فيما بعد مندوبا لشؤون الأهالي للمندوبية السامية في المغرب سنة 1927، ومؤسسا لنظام فعال في مراقبة القبائل الريفية عبر خدمات التدخل العسكرية.

وقد بقي في هذا المنصب إلى غاية 1931. وعين إبان الحكومة الراديكالية ل "أليخاندرو كارسيا لورو" التي حكمت فيما بين 1933 و1935 كقائد بلاس بالماس بالجزر الخالدات بمكانة جنرال.

وعاد كپاث إلى المغرب من جديد كمندوب للشؤون الأهلية. وفي 1934 قررت الحكومة احتلال منطقة سيدي إفني، اسميا تحت السيادة الإسبانية. وقد توجه إلى طرفاية التي سيدرس فيها إمكانية احتلال منطقة إفني، وأخذ في ربط الاتصال مع قبائل آيت باعمران.

ولما أخبر القادة الباعمرانيون أن مراكب إسبانيا ستظهر بمرسى سيدي إفني، انتظروا 45 يوما من أجل ذلك إلى غاية ستة أبريل سنة 1934 حيث سيظهر مركب قبالة سيدي إفني وعلى متنه الجنرال كپاث.

وعند وصوله إلى قبالة شاطئ سيدي إفني قادما من طرفاية هو ومن معه، طلب من أعيان آيت باعمران أن يسمحوا له بالدخول كتابة حتى لا يعاد سيناريو ما وقع للباخرة الإسبانية الأولى التي كانت قد أبحرت هناك سنة 1933 وقتل فيها الشيخ بشرايا ماء العينين والمترجم. وسمح له قادة آيت باعمران بالنزول كتابة والخروج إلى البر. وكان الحبيب والراموك هو قائد الزورق الذي حمل كپاث من الباخرة التي ترسو في البحر إلى البر والطيب ولد الحويسين إبراهيم هو الذي حمل كپاث على ظهره من الزورق إلى الرملة حتى لا تمس قدماء الماء وفي البر امتطى جواد القائد أحمد الصبوي. ولما وصل إلى امزدوغ الذي لم يكن حينها إلا دوارا يتكون من ثلاثة منازل، اتخذ كپاث من منزل احماد اهمو المستاوي الذي دخله لأول مرة مكتبا له. وأكرمهم بالمؤونة كما أكرموا نزوله وجعلوا عليها حرصا من أنفسهم بحيث لا يصل إليه أدنى شيء. وقد وصفه الباعمرانيون بالرجل الكبير الموصوف بالذكاء وحسن السياسة. فاجتمع معه أعيان آيت باعمران وأشياخها وبعض من رعاياهم وأظهروا له الفرح والسرور والحبور ما لا يزيد عليه.

ومن هناك تم التوقيع على الاتفاقية بين الطرفين والتي من بين بنودها احترام أعراف وشؤون آيت باعمران وشعائرهم الدينية. ودفعت إليه كل قبيلة ستة عشر رجلا ليكونوا معه إلى أن جاءه الجنود. ومكث بسيدي إفني ثمانية أيام. وبعدها قام بجولة حول بلاد آيت باعمران، وقصد وادي أسكا ومعه شيوخ قبيلة اصبويا ثم قصد قرية تلوين بمعية الجنود بقيادة القبطان منرلضو، وحل ضيفا بمنزل حميم ولد مولود ولد محمد. ومن تم خبر الحدود الإسبانية الفرنسية، حيث هاته الأخيرة وكان الفرنسيون بقرية تسكنان. فعاد إلى سيدي إفني حتى ليلة الأربعاء الحادي عشر من محرم عام 1353 وقصد إلى جانب أعيان قبيلة آيت الخمس قرية أكوك ومن تم إلى آيت اعلاتن ثم إلى تكنفل واد زربان وأگادير اد العربي وأم زمور وتيغزى بقبيلة آيت بوبكر حيث نزل فيها ضيفا على منزل الحسين بن العربي بن مسعود وأرسل بعضا من جنوده إلى افاند عيسى بقبيلة آيت عبد الله. وبقي في آيت بوبكر إلى غاية الثلاثين من شعبان سنة 1353، وعاد إلى سيدي إفني.

وعبر الكولونيل كپاث وادي سولكماد وتوجه إلى أسيف نتيكنيت أو وادي بوسدرة المحدود من الشمال بمنطقة النفوذ الفرنسية حسب اتفاقية البلدين المستعمرين.

وقد نجح في مهمته تلك بتحقيقه للاحتلال الرسمي، وعين على اثر ذلك حاكما مدنيا وعسكريا على سيدي إفني. وفي السنة ذاتها رقي كپاث إلى رتبة جنرال وذلك في 29 غشت 1934.

وفي 22 غشت 1936 قتل رميا بالرصاص أبان الحرب الأهلية في إسبانيا التي دامت ما بين 1936 و1939

والتي انتصر فيها الوطنيون بقيادة فرانكو على الجمهوريين.

وقد أقامت له السلطات الإسبانية فـي مدينة سيدي إفني تمثـالا في وسط الحديقـة التي يطلق عليها إلى حدود اليوم بلاسا إسبانيا. غير أنه بعد فترة من استقلال المدينة أزيل التمثـال من مكانـه. وبقي كـپاث خالـدا في ذاكرة الباعمرانييـن، خاصـة أن البعض منهم لازال يحتفظ به لقبا لـه.

توفي بمدريد في 22 غشت 1936.

خطبة ألقاها رئيس ايالة سيدي إفني الكمندنتي خوان فرتريس في 6 أبريل من سنة 1937 ؛ *رسالة من أعيان آيت الخمس إلى الكولونيل* خوسي *بريميخو* حاكم سيدي إفني والصحراء، المؤرخة في ماي 1947 ؛ *وثيقة* حول معركة تيزي بين فرنسا وآيت باعمران من جهة ودخول الكلونيل كـپاث إلى آيت باعمران من جهة أخرى مؤرخة في 27 / 6 / 1949 ؛ *مقابلات* مع مسنين من آيت باعمران، ربيع 2009.

Lieutenant-Colonel Justinard : *Villes et Tribus du Maroc, Tribus Berberes*, Tome I, Les Ait ba Amran, Honore Champion Editeur, Paris, 1930 ; Tomas Garcia Figueras : *Santa Cruz de Mar Pequeña, Ifni-Sahara*, Madrid, 1941.

محمد شرايمي

الكتابات الإسبانية حول الصحراء، تعد الكتابات الإسبانية حول الصحراء قليلة مقارنة مع ما كتبه الفرنسيون حول هذه المنطقة، ويعود ذلك إلى حداثة السيطرة الإسبانية الكاملة على المنطقة وكذا ضعف الدراسات العلمية الإسبانية ما قبل نهضتها الحديثة، زد على ذلك محدودية المد الاستعماري الإسباني في القارة الإفريقية عامة. ورغم ذلك، فقد بدأت الكتابات الإسبانية تظهر حول الصحراء انطلاقا من نهاية القرن التاسع عشر، لتتكاثر فيما يلي ذلك من عقود إلى حين الفترة المعاصرة المتميزة بالتخصص العلمي واختلاف المشارب الإيديولوجية والسياسية لتلك الكتابات. وهكذا يمكن أن نصنف مراحل الكتابة والتأليف حول الصحـراء من طرف الإسبان إلى ثلاثة فترات كبرى. الأولى، من 1885 - 1950 وهي فترة تمركز الإسبان بالمنطقة بداية بخليج وادي الذهب (Bahia De Rio de Oro) حيث بدأت الرحلات الاستكشافية على يد ربان البواخر والفرق العسكرية وكان بطل تلك المحاولات الضابط المستعرب الإسباني إميليو بونيلي (Emilio Bonelli) الذي كتب رحلته ونشرت سنة 1887، كما ألف كتابا مفصلا حول الصحراء من حيث الطبيعة والسكان والعادات وركز على المواقع الصالحة لرسـو البواخر وأهميـة المخـزون السمكي بالمنطقة. فقد ركز على ما يهم السياسة الإسبانية آنذاك ومحاولتها الظفر باحتلال المنطقة الواقعة ما بين رأس بوجـدور (Cabo Bojador) والرأس الأبيض (Cabo Blanco) (أنواذيبو الحالية)، وذلك يظهر من خلال محاولته الاتصال بأعيان القبائل والقيام برحلة داخلية انطلقت من الداخلة (Villa Cisneros) في اتجاه منطقة آدرار التمر حيث التقى بأولاد بسباع، كما اتصل بأعيان قبيلة أولاد دليم وقبيلة العروسيين وأولاد تيدرارين وبالترارزة، مشيرا إلى وجود شخصيات مؤثرة محليا لا بد من التعامل معها يذكر منهم عبد العزيز ولد المامي وأحمد بن امحمد بن عيده. وبالنسبة للنظام الاجتماعي بالمنطقة أشار بونيلي إلى أن مجتمع الصحراء ينقسم إلى "طبقتيـن" هما سكان الشـواطئ وسكان البادية، وهؤلاء الأخيرين يراهم أحسن حالا من الفئـة الأولى.

والملاحظ أن هذا الطابع من الكتابات استمر لاحقا مع الضابط فرنثيسكو بنس (Francisco Bens) الذي حكم الصحراء بعد بونيلي وركز الاحتلال الإسباني بالطرفاية سنة 1916 وبالـگويرة سنة 1920، وأيضا كتاب الداخلة (بيّا ثيسنيروس) لأندريس كول Andres Coll، فالأول وصف سكان الصحراء بالنهاب واللصوص وبكراهيتهم للغير، وقد ألف في ذلك كتابا سماه (*الصحراء : إثنان وعشرون سنة بين الرحل*) تميز بالنظرة الاستعلائية الموسومة بالمركزية الأوربية. أما الثاني فقد أقام لعدة سنوات بشبه جزيرة وادي الذهب (الداخلة)، حيث تجول بين مضارب البدو، وقدم وصفا مفصلا لمراحل تعمير الداخلة منوها باحتلالها من طرف إسبانيا لإدخالها لدائرة الحضارة معتبرا السكان "متوحشين" ومتمردين، ولم ينصف أي مظهر من مظاهر الحياة بالمنطقة باستثناء المرأة التي نوه بمكانتها داخل الأسرة والمجتمع وبالعناية التي تحظى بها من طرف الرجل ومن طرف عائلتها. وفي نفس المنحى يشير إلى ما أسماه "بسيكولوجية البيظان" حيث قدم مجموعة من الأوصاف لطبيعة الشخصية الصحراوية من قبيل ممارسة الغزو والحذر من الأجنبي والغيرة والكرم والعنايـة بذوي القربى والميل إلى العدل وكثرة المحادثة والكسل، وفي ذلك الكثير من الأحكام المسبقـة.

ومن كتابات هذه المرحلة التاريخية كذلك، مؤلف (*الصحراء الإسبانية : وادي الذهب*) لكاتبه شاركوبياسينيور (Charco-Villaseñor) الصادر بمدريد سنة 1935، وكتاب فلوريس موراليس (Flores Morales) تحت عنوان : *الصحراء الإسبانية*، الصادر سنة 1946، وهما لا يختلفان عن منظور ما سبقهما من كتابات من حيث النظرة الاستعلائية إلى السكان في إصدار الأحكام الجاهزة والوقوع في الأخطاء التاريخية، فهما يصفان الفئات الاجتماعية بالطبقات الاجتماعية المغلقة. غير أنهما أشادا بالمكانة المعتبرة للمرأة وبطبيعة الشخصية الصحراوية فيما يخص الصبر على الجوع والعطش ومعرفة الاتجاهات واقتفاء الأثر، وهما ينظران إلى المنطقة كما لو كانت معزولة عن العالم. وإن الميزة الأساسية لهذه الكتابات الإسبانية الأولى هو طابع النزعة المركزية الأوروبية، ناهيك عن الوصف البسيط والوقوع في الأخطاء الجغرافية والتاريخية والحضارية. فهناك إهمال للوثائق المحلية والتركيز على جمع المعلومات الشفهية من عند سكان الشواطئ فقط، وهم فئات تعيش على هامش المجتمع المحلي، ذلك أن

الصحراء في دواخلها خلال القرن التاسع عشر كانت تعرف نهضة علمية وفقهية في نفس الوقت الذي عرفت فيه حراكا قبليا ورواجا للبضائع والأفكار ما بين السودان الغربي وشمال المغرب، كما ظهرت شخصيات دينية سياسية لا نجد ذكرها في هذه المؤلفات الإسبانية الأولى مثل الشيخ محمد المامي ومحمد بن سيدي محمد السباعي ومحمد بن محمد سالم المجلسي والشيخ ماء العينين وأهل عبد الحي والليلي التوبالي والشيخ سيد أمحمد الكنتي والشيخ محمد المامون...إلخ. خاصة أن الفترة هي فترة "الجهاد"، بداية بهجوم القبائل على المعسكر الإسباني بالداخلة سنة 1885.

أما المرحلة الثانية في الكتابات الإسبانية عن الصحراء، فقد تميزت ميدانيا بتمركز الاستعمار في الساقية الحمراء ووادي الذهب ومنطقة الطنطان، كما عرفت اكتشاف معدن الفوسفاط بمنطقة بوكراع وخلق مراكز حضرية بكل من العيون والسمارة وآوسرد والعركوب وغيرها، الشيء الذي سهل على الباحثين الإسبان التنقل في المنطقة وإجراء بحوث ميدانية واستطلاعات علمية، خاصة بعد الزيارة التي قام بها الجنرال فرنكو للصحراء سنة 1950. هكذا ظهرت دراسات تتميز بدرجة من التخصص العلمي والضبط المنهجي والعمل الميداني من أشهرها عمل الباحث الأنثروبولوجي خوليو كارو باروخا (Julio Caro Boroja) تحت عنوان *دراسات صحراوية* (الصادر عن معهد الدراسات الإفريقية سنة 1955)، تطرق فيها لطبيعة المجتمع التقليدي الصحراوي من حيث القبائل والنشاط الاقتصادي وأنماط العيش والنزاعات القبلية ومكانة التأريخ عند رحل الصحراء، مركزا على دراسة حالة قبيلة أولاد تيدرارين وحالة الولي الصالح الشيخ ماء العينين. وميزة هذه الدراسة الميدانية أنها جمعت الرواية الشفهية بطريقة منظمة مع الاطلاع على بعض الوثائق المحلية إدارية وأهلية، مذيلا عمله بسرد لحوليات منطقة الصحراء حسب ما هو متداول عند السكان.

ومن الكتابات التي ميزت هذه الفترة كذلك، المونوغرافية التي نشرتها مصلحة الإعلام بالإدارة الاستعمارية بالعيون تحت عنوان (*إسبانيا في الصحراء*) الصادرة سنة 1968 بمدريد فيها تحديد إداري للأقليم وعدد سكانه والدفاع عن الوجود الإسباني بالمنطقة، وتحديد عدد قبائل المنطقة بعد حصرهم في العدد التالي فقط : الركيبات وأولاد دليم وأولاد تيدرارين والعروسيين. وترى أن القبائل الغير المستقرة في المنطقة هي : الزركيين وآيت أوس ويكوت وآيت لحسن. كما يتحدث هذا العمل عن إنجازات إسبانيا في المنطقة، مع عدم ذكر مصادر المعلومات وعدم ذكر تحول نمط عيش الرحل أو أثر حركة جيش التحرير على السكان وحركتهم. إنها دراسة تبريرية دفاعية تشيد بالإدارة الإسبانية، وتذكر إحداثها لمجلس الجماعة الصحراوية وفتح محطة إذاعية بالعيون وهو ما سيزيد من تبعية المنطقة للمتروبول وانتشار نمط العيش الاستهلاكي، لكن سرعان ما ستندلع انتفاضة العيون سنة 1970 التي ستقلب الموازين حيث ستعرف المنطقة والكتابات الإسبانية حولها منعطفا جديدا لايزال يلقي بظلاله على الإقليم إلى اليوم.

أما النوع الثالث من الكتابات الإسبانية عن الصحراء، فهو ما ظهر بعد سنة 1970، وهي كتابات لا يمكن فهمها بمعزل عن السياق السياسي المحلي والجهوي الذي دخلته المنطقة حديثا، حيث برزت قوة عمالية بالمنطقة (قطاع الفوسفاط، قطاع الصيد البحري...) والممارسات القمعية التي مارستها قوات الاحتلال ضد السكان، وتضخم سكان المراكز الحضرية وتزامن ذلك مع موجة جفاف ماحق انطلاقا من سنة 1968، آنذاك ظهرت كتابات تعنى بعدد السكان وبالقبائل عامة كما ستدافع عن أحقية إسبانيا بالبقاء في المنطقة، فكان إحصاء 1974، ورمت تلك الكتابات إلى تصنيف قبائل المنطقة تصنيفا جديدا يخدم سياسة "فرق تسد" مع الحديث عن وجود "خصوصية سياسية وثقافية للصحراء" وعن "إقليم الصحراء Provincia del Sahara"، ومنح قبائل الصحراء رموزا خاصة بها إداريا وتصنيفها كما يلي : قبائل الشمال ورمزوا لها بحرف (H) وتضم : يكوت، آيت موسى وعلي وأولاد بوعيطة وآيت بعمران وأصكارنة، وقبائل الأشراف وتضم ثلاثة مجموعات الأولى يرمزها بـ : (I) أهل الشيخ ماء العينين وفيلالة وتوبالت وأولاد بسباع وأهل بارك الله وتندغة، والثانية : قبيلة العروسيين ورمزها (E)، والثالثة : الركيبات ولها رمزان حرف (A) خاص بركيبات الشرق وحرف (B) خاص بالركيبات الساحل، ثم قبائل الساحل والجنوب وخصص لها رمز (J) وهي : لفيكات وايمراكن ولمناصير ومجاط ولميار وأولاد بوعيطة وإد يقب وكنتة وأولاد عمني وأولاد غيلان. رابعا : قبائل العرب وتضم أولاد دليم والصكارنة، وقبائل تكنة تضم الزركيين وآيت لحسن، ثم أخيرا قبائل الزوايا مثل : أهل بارك الله. أما قبيلة أولاد تيدرارين فقد صنفت تحت رمز (G). هذه الكتابات الإسبانية المتأخرة تحاول فصل المنطقة عن جذورها العربية الإسلامية، كما تحاول عزل قبائل المنطقة عن امتدادها الطبيعي داخل المغرب، وذلك بهدف خدمة المشروع الاستعماري الرامي إلى زرع كيان مستقل تابع له. والفائدة الأساسية لهذه الكتابات هي أنها ضمت إحصائيات للسكان ولقطعان الماشية وللمنشآت العسكرية والإدارية التي ظهرت بالمنطقة في السنوات الأخيرة من احتلال الإسبان بهدف إغراء السكان وربطهم بإسبانيا، مع أن كتاب هذه الدراسات المتأخرة ارتكبوا نفس الأخطاء التي كان يرتكبها سابقوهم من الدارسين، مثل عدم ضبط أسماء الأماكن والأعلام البشرية وإصدار الأحكام الجاهزة على المنطقة وسكانها وعلى المغرب لما أراد استرجاع الإقليم سنة 1975.

إن الكتابات الإسبانية حول الصحراء لم تنل حظها من الجمع والقراءة والنقد، فهي رغم قلتها، تعد مصدرا مهما حول تاريخ ومجتمع الصحراء تعطينا نظرة من الخارج حول هذا المجتمع، وحول ماضيه في العلاقة مع

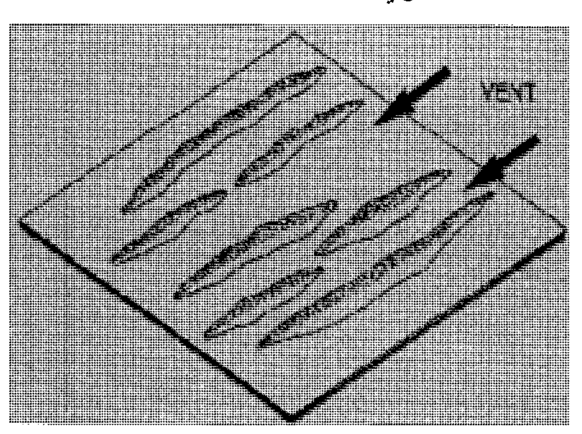
الاستعمار. كما أن تلك الكتابات توجد مشتتة في الخزانات الإسبانية خاصة بمدريد وفي تطوان وفي طنجة وفي جزر الكناري وهي تشمل الأرشيفات العسكرية والرحلات الاستكشافية والمقالات الوصفية والكتب الأدبية والتاريخية والجغرافية والأنثروبولوجية التي حاولنا تصنيفها. وقد نشر العديد من تلك المقالات خاصة في مجلات دورية وشهرية كانت تصدر زمن الاحتلال الإسباني في الصحراء مثل مجلة الجغرافية التجارية *Revista de Geografia Comercial* ومجلة : الجمعية الملكية لجغرافية(*Real Sociedad de Geografia*) ، ومجلة : إفريقيا(*Africa*) ، ومجلة موريتانيا (*Mauritania*) ودفاتر الدراسات - الإفريقية *Cuadernos de Estudios* (*Africanos*، وأرشيفات معهد الدراسات الإفريقية بمدريد (*Archivos del Instituto de Estudios Africanos*)، ناهيك عن بعض الجرائد التي كانت تكتب مقالات يومية عن الصحراء مثل جريدة : إفريقيا الغربية الإسبانية *A.O.E* التي كانت تصدر بسيدي إفني. ورغم بساطة وضعف المنهجية العلمية للمقالات الواردة في هذه المجلات، فإنها تضم معلومات مهمة حول فترة لا نجد عنها كتابات محلية في القرن العشرين وطبيعة التحولات التي دخلت على نمط عيش الرحل وبروز المراكز الحضرية وسط الصحراء والعمل المأجور وتأثير اقتصاد السوق على المجتمع الصحراوي، خاصة أن المقالات الإسبانية تعددت وتنوعت انطلاقا من أربعينيات القرن العشرين وغطت القبائل والشواطئ والمدن ومختلف الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والمظاهر الطبيعية.

محمد دحمان، الكتابات التاريخية الإسبانية حول الساقية الحمراء ووادي الذهب، ضمن مجلة *المناهل*، وزارة الثقافة الرباط، عدد 89 - 90، يونيه 2011، 63 - 82.

Emilio Bonelli, *En el Sahara*, ed, Péant, Madrid, 1887 ; Francisco Bens. *Mis Memorias*, Madrid, 1947 ; Coll Andres. *Villa Cisneros*, Victoriano Suarez, Madrid, 1933 ; Sanchez Jose Guillermo. *El Sahara Occidental*, Ed. Hernande, Madrid, 1932, Charco Villaseñor, *Del Sahara Español, Rio de Oro*, Toledo, 1935 ; Oro Polido, *Algo sobre el Hassania en el Sahara Atlantico*, Tanger, 1940 ; Flores Morales Angel. *El Sahara Español*; Madrid, 1946 ; Domenech Lafuente, *Algo sobre Rio de Oro*, Madrid, 1946, Bermejo Lopez, *Territorios de Ifni, Sahara, sus posibilidades*, Barcelona, 1946, Julio Caro Baroja, *Estudios Saharianos*, I.E.A, 1955 ; Diaz de Villegas Jose, *Plazas y Provincias Africanas, Españolas*, Madrid, 1962, Alonso del Barrion y otros. *Las Tribus Del Sahara*, Aaiun, 1973 ; Diaz del Ribero Francisco Lorenzo, *El Sahara Occidental : Pasado y presente*, Madrid, 1975 ; Cariado Ramon ; *Sahara : passion y muerte de un sueno Colonial*, Ed. Ruedo Ibérico, Paris, 1977 ; Correa, Isidoro, *Rio de Oro : Sahara occidental*, Vulcano, Madrid, 1987.

محمد دحمان

الكثبان الرملية، الكثبان جمع كثيب، وهو عبارة عن تجمع من الرمل السائب على سطح الأرض في شكل كومة ذات قمة. وتتكون الكثبان الرملية نتيجة عوامل التعرية، وهي تفاعل الصخور السطحية مع درجة الحرارة القصوى بالنهار وانخفاضها بالليل، فالزيادة والانخفاض في درجة الحرارة يؤدي بالصخر إلى التقلص والتمدد مما ينتج عنه التفكك والتجزء، إضافة إلى تأثير الرياح المتواصل الذي يعمل بدوره إلى تفتيت الصخر إلى حبيبات رملية مختلفة الحجم، وهذه العملية تدخل ضمن عمليات التعرية الميكانيكية التي تقوم بها الرياح المحملة بحبيبات رملية تنخر الصخر وتعرضه إلى التفتيت. ويمكن أن نميز بين رمال ذات المنشأ الصحراوي وأخرى ذات المنشأ البحري، والاختلاف بينهما يتجلى في أن الرمال ذات المنشأ الصحراوي يحتفظ برطوبة لمدة أطول من الرمال ذات المنشأ البحري.



والترسيب هو المظهر الأكثر انتشارا في البيئات الصحراوية وهو الذي يعطي الكثبان الرملية، والعامل الفعال الذي يقوم بهذا الترسيب والتأثيث هي الرياح التي تقوم بحمل الذرات الدقيقة خاصة التي لا يزيد قطرها على 0,2 ملم مع وجود حركات للدوامات الهوائية. وإذا زاد الحجم عن هذا، فالرياح تستطيع رفعها لمسافة ثم يعود مرة أخرى إلى سطح الأرض حيث تصطدم بذرات أخرى تحركها، وبهذه الطريقة تنقل الرياح كميات كبيرة من الذرات ولكن بالقرب من سطح الأرض. أما الذرات ذات الحجم الكبير فتقوم الرياح بدحرجتها ولكن لمسافات صغيرة ومحدودة. وعملية نقل الرياح للرمال لا يزيد ارتفاعها مترين، وتصل سرعة الرياح اللازمة لرفع ذرات الرمل إلى 10م/ث، بينما السرعة اللازمة لعملية الترسيب تتطلب سرعة أقل من 8م/ث، لأن سرعة الرياح هي التي تمثل القوة المطلوبة لرفع الذرات الرملية ولا يتم ترسيبها إلا إذا اختفت تلك القوة. وبالإضافة إلى سرعة الرياح تساهم طبيعة السطح الطبوغرافي (سهل، هضبة أو حمادة، جبل، واد) في عرقلة أو تسهيل هذه العمليتين أي النقل والترسيب.

- تكوين الكثبان الرملية :

تتكون الكثبان الرملية بموجب وجود عائق طبيعي إما شجرة كالطلح أو سدرة (النبگة) أو صخرة أو مبنى أو أي شيء آخر يعمل على الحد من مسير الرياح المحملة بالرمال. هذه الحواجز المعرقلة تعمل على الحد

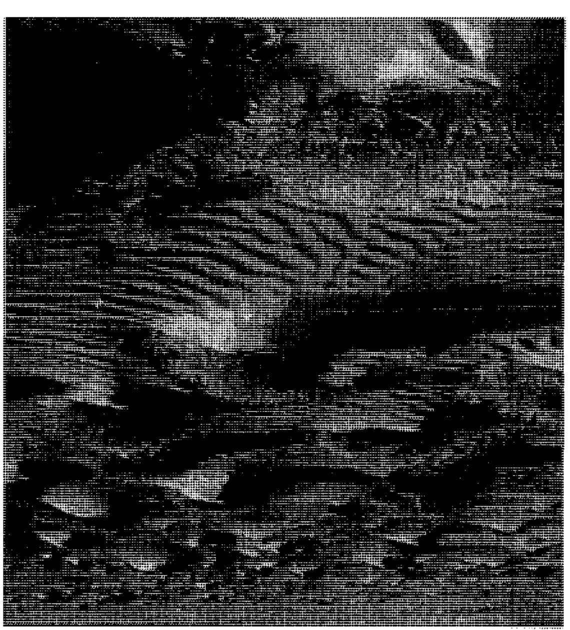
من سرعة الرياح وبالتالي يتم ترسيب الرمال حول الحاجز، مما يكوين الكثيب الرملي الذي يـزداد حجمه شيئا فشيئا لينتقل إلى أحجام كبيرة مع تراكم متواصل لذرات الرمال. فينتهي في الأخير أشكـالا متعـددة للكثبان تغير اتجاهات الرياح، فهي غير مستقرة نظرا لديناميتها المستمـرة.

- أشكال الكثبان :

تختلف من حيث تباين انحدارتها، وأبعادها، ومظهر أسطحها، وتباين أحجامها، ونمطها العام، ونذكر من بين هذه الأشكال شيوعا في البيئة الصحراوية، ما يلي :

- الكثبان الطويلة أو ما يسمى بالسيوف :

وهي تتجه باتجاه الرياح السائدة، كما أنها تكون أقل تحركا وهي أكبر طولا من مثيلاتها من الكثبان الهلالية، بحيث أن طول الكثيب يفوق عرضه بكثير، ومورفلوجيتهـا تكـون على الشكل التالـي : سطحها يظهر



قمة موحدة ودرجة انزلاق واضحة وتظهر على امتداد قمة الكثيب سلسلة من القمم التي تفصل بعضها عن الآخر تسمى السروج. وتتكون في المناطق التي تتوقف رياحها السائدة فترة من الزمن وتهب عليها رياح أو دوامات اعتراضية من الجانبين، فتعمل الرياح الجانبية على دفع رمالا الطرفين أو الأجنحة نحو الداخل وتضيف إليها رمال أخرى في الجانبين.

- الكثبان الهلالية أو البرخان :

يتميز هذا النوع بكونه يتشكل عند بدأ الرياح السائدة وذلك بإلقاء حمولته من الرمال في أي موضع من المواضع ولا يشترط وجود عقبة، بل يكفي حدوث فترة هدوء للرياح في حركتها، وعندما تتراكم الرمال تتكون كومة رمـل صغيـرة في البدايـة، ومن ثم تنمو وتظهر لها قمة محدودة تنحدر منها الرمال فوق وجهة الانزلاق في الجانب الذي تنصرف إليه الرياح، ويكون انحدار الكثيب شديد في هذا الجانب بطيئا في الجانب المواجه للرياح. وانحداره البسيط المواجه للرياح، ينعث باسم الكساح، بينما ينعت الانحدار المعاكس للرياح بالصباب، وله ذرعان جانبيان أقل ارتفاعا من الكثيب. وتعمل الرياح على تغيير شكل الكثيب باستمرار، فقد يتحول شكله الهلالي إلى أشكال مختلفة أخرى، منها الكثبان البيضاوية، والصغيرة الجنينية، والهلالية المركبة.

- الكثبان العرضية أو الاعتراضية :

يرتبط وجودها بوجود كميات من الرمال والرياح تكون غير مؤثرة نسبيا وهذا النوع يوجد بالخصوص على طول السواحل البحرية. وتبدو على شكل موجات رملية متتالية، بعضها أمام بعضها الآخر، وتعترض حركة الرياح السائدة، لأنها تكون عمودية عليها، ومن هنا جاءت تسميتها باسم الكثبان العرضية أو الاعتراضية، وتتكون من جانبين، مثل الكثيب الهلالي، ينحدران في اتجاهين مضاضين، الأول انحداره ضعيف ويتخذ شكلا مقعرا، والثاني انحداره شديد وشكله مستقيم. فهي ذات قمم تكاد تكون عمودية بالنسبة للرياح المؤثرة ولكن قممها تسير بشكل ملتو وقد يظهر في تلك الكثبان تقاطعات وتتحول بفعل الرياح إلى برخانات منعزلة أو كثبان طويلة "السيوف".

- الكثبان المخروطية :

وهي جزء من خاصية الأراضي الرملية المثبتة جزئيا بغطاء طفيف وتتميز بوجود تراكم للرمال على جانب ظل هبوب الرياح لذا يصبح للكثيب وجه انزلاق محدب من اتجاه الرياح، وقد يتحول الكثيب المخروطي إلى استطالي بفعل الرياح. وينقسم الكثيب المخروطي إلى حاجزين طويلين يوازيان المحور الطولي لهبوب الرياح ويكون هذا النوع من الكثبان الأكثر طولا والأكثر ضيقا من الكثبان البرخانية.

وديناميه هذه الكثبان بكل أشكالها مع قوة الرياح، تشكل عائقا كبيرا أمام المنشآت بفعل زحفها وعرقلتها للسير على الطرقات والمطارت وكذا الموانئ التي تترمل قعورها فتصبح بالتالي غير صالحة للرسو. كما ان هذا الزحف الترملي يهدد مدنا بأكملها كما هو الشأن بالنسبة لمدينة طرفاية.

ابن منظور، *لسان العرب*، مطبعة دار الحديث، القاهرة، مصر، 2003 ؛ سعدية عاكول الصالحي وعبد العباس فضيخ الغريري، *البيئة الصحراوية وشبه الصحراوية* (التغيرات المناخية)، الطبعة الأولى، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2004 ؛ محمد الغربي، *الساقية الحمراء ووادي الذهب*، ج 1، مطبعة دار الكتاب، الدار البيضاء، بدون تاريخ ؛ أحمد الهاشمي، المشهد الطبيعي في طوبونيميا المجال الصحراوي، *كتاب الصحراء الاطلنتية، المجال والإنسان*، منشورات وكالة الجنوب، الرباط، 2007 ؛ مولاي إدريس شداد وأخرون، جهة گلميم - السمارة، *ذكرى 12 قرنا في حياة مملكة*، سلسلة تاريخ جهات المغرب، منشورات عكاظ، الرباط، 2009 ؛ مولاي إدريس شداد وأخرون، جهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء، *ذكرى 12 قرنا في حياة مملكة*، سلسلة تاريخ جهات المغرب، منشورات عكاظ، الرباط، 2009 ؛ مولاي إدريس شداد وأخرون، جهة واد الذهب - لـگويرة، *ذكرى 12 قرنا في حياة مملكة*، سلسلة تاريخ جهات المغرب، منشورات عكاظ، الرباط، 2009 ؛ أنس عمران وبوشتى الفلاح، البيئة ومظاهر السطح بالجنوب المغربي، *مجلة المناهل*، عدد *58*، مارس 1998.

Dresch, J., *Géographie des régions arides*, PUF, Paris, 1982 ; Gautier, E. F., «Sahara Marocain (au)»,

Revue de Paris IV, 1910; Gharbaoui Ahmed, *Géographie du Sahara marocain*, Casablanca, 1985 ; Furon Raymond, Sahara (géologie, ressources minières), 2[éme] ed. Payot, Paris, 1964 ; Rognon, P., «Essai d'interprétation des variations climatiques au Sahara depuis 40.000 ans » Revue de Géographie *Physique et Géologie Dynamique* (2), vol. XVIII, fasc. 2-3, Paris, 1976 ; Rognon, Pierre, *Une biographie d'un désert : le Sahara*, L'Harmattan, Paris, 1994.

مولاي إدريس شداد

كرتيس، جيمس James Curtis ولد التاجر البريطاني جيمس كرتيس بأندونيسيا سنة 1846، وكان شغوفا بارتياد البحار وعقد صفقات تجارية مع بعض الدول، واستقر بالمغرب وبالضبط بمدينة السويرة منذ سنة 1863، وكانت تجارته تعتمد بالأساس على تصدير الزيوت إلى لندن. وأصبح إلى جانب بعض التجار البريطانيين من أكبر تجار مدينة السويرة. إذ كان يزود قبائل وادي ون والجنوب المغربي بالمنسوجات القطنيّة والشاي والسكر والعقاقير مقابل بعض المواد المحلية مثل الفواكه الجافة كاللوز والتمور الذي كان الطلب عليها قويا في أسواق لندن وحاول كرتيس منذ سنة 1867 أن يصبح المزود الرسمي للمخزن المغربي بالأسلحة النارية لكنه فشل في ذلك بسبب رداءة البنادق التي عرضها على رجالات المخزن المغربي الذين كانوا يشكون في صدق نوايا كرتيس التجارية، لأن العديد من تجار وادي نون والسويرة كانوا يشكون من تلاعبات كرتيس التجاريّـة.

وعلى الرغم من هذه المشاكل، فقد حاول كرتيس الاقتداء بمواطنه التاجر دونالد مكينزي Donald Mackenzie الذي أقام مركزاً تجارياً في ساحل طرفاية منذ سنة 1878. وسعى بدوره إلى بناء مركز تجاري وفتح مرسى للتجارة في أركسيس الواقعة بين وادي نون وواد ماسة. وعقد سلسلة من اللقاءات مع بعض شيوخ قبائل آيت باعمران للسماح له ببناء مركزه في سواحل بلادهم، بل ذهب إلى حد التوقيع معهم على اتفاق بتاريخ 7 أبريل 1880، فعاد كرتيس إلى بريطانيا حاملا معه نص الاتفاق. وعرضه على العديد من الأبناك ورجال الأعمال والتجار البريطانيين لإقناعهم بقيمة مشروعه بالأموال الطائلة التي سيحصلون عليها من خلال معاملاتهم التجارية مع قبائل آيت باعمران. وأسس شركة تجارية أطلق عليها اسم شركة سوس وشمال إفريقيا. وفتح فرعا لها بمدينة لندن. وحاول إقناع شركائه بأن سلطة المخزن المغربي لاتصل إلى منطقـة سـوس. الشيء الذي أحـرج حكومته خاصة وزيرها بطنجة جـون دروموند هـاي، الذي توصل باحتجاج من طرف السلطان مولاي الحسن الأول عن محاولات دونالد مكينزي بساحل طرفاية وجيمس كرتيس بساحل إفني.

وإذا كانت وزارة الخارجية البريطانيـة قد غظت الطرف عن مركز مكينزي بطرفاية فإنها بالمقابل أسرعت إلى طمأنة السلطان بخصوص محاولات كرتيس وأكدت اعترافها الرسمي بسيادته على بلاد سوس. وأخبرته بأن وزير الخارجية البريطاني قد تبرأ من محاولات كرتيس وأعوانه بساحل إفني وجعل الدرك عليهم فيما يحصل لهم ولأمتعهم من أي هجوم أو نهب وأن حكومته لن تتدخل لتوفير الأمن والحماية لهم إذا ما تعرضوا لأي هجوم من طرف قبائل المنطقة. ووجّـه وزير بريطانيا بطنجة جون دروموند هاي. رسالة إلى قنصله بالسويرة بايتون (Payton) يأمره فيها بضرورة إخبار كل التجار البريطانيين المقيمين بالسويرة بفحوى الأوامر التي أصدرها السلطان والتي تبرأ من خلالها من أي التزام أو أية حماية لكل تاجر ينزل إلى سواحل بلاده الجنوبية دون الحصول على إذن منه أو ترخيص لعقد صفقات تجارية مع القبائل. وحمّـلهم مسؤولية ما يقع لهم من مكروه في أموالهم وأبدانهم.

ولم يعبأ كرتيس بهذا الاسترعاء وواصل محاولاته لعقد صفقات تجارية مع قبائل آيت باعمران والعمل على فتح مرسى للتجارة في ساحل إفني. ولحسم مادة هؤلاء التجار البريطانيين قرر السلطان مولاي الحسن الأول القيام بحركة للسوس سنة 1882، نصب فيها قوادا جددا على سواحل بلاده الجنوبية، وكلفهم بإقامة حراسة دائمة عليها ومنع رسو السفن الأجنبية، والضرب على أيدي القبائل المتعاونة معهم. ونظراً لتوالي أربع سنوات من الجفاف على منطقة سوس قرر السلطان فتح مرسى للتجارة في سواحل بلاد تكنة لمساعدة القبائل على اقتناء ما تحتاج إليه من مواد غذائية. وبالمقابل أرسلت قبائل آيت باعمران ممثلا عنها لملاقاة السلطان يدعى محمد بن الحسين للتعبير له عن ولائها وطاعتها لأوامره والاقتداء بها. وقبل أن يغادر السلطان منطقة سوس، بعث رسالة إلى قائده بالجنوب أحمد العبوبي أمره فيها بإلقاء القبض على المدعو كرتيس إن عاد للتجارة مع رعاياه بالجنوب. وبها جاء في الرسالة السلطانية. "... فإن رجع كرتيس لهنالك وحده فاقبض عليه وكذا إن ورد ومعه طائفة من النصرى فاقبض على الكل، أو وردت طائفة من النصرى ولم يكن معها كرتيس فاقبض عليهم أيضا ووجّـههم لعامل السويرة صحبة من يحرسهم في أموالهم وأنفسهم...".

ووجه كذلك رسالة إلى نائبه بطنجة محمد برگـاش أخبره فيها بنجاح حركته للسوس. وتليت الرسالة السلطانية بالجامع الكبير بطنجة وتضمنت عدّة قرارات اتخذها السلطان بخصوص منطقة سوس نذكر منها.

- تعيين عدد من القضاة للنظر في الأمور الشرعية.
- تنصيب العديد من القواد الجدد على سواحل المغرب الجنوبية.
- إصـدار ظهائـر التوقيـر الاحترام لبعـض شرفـاء المنطقة.
- الإعلان عن فتح مرسى للتجارة بالجنوب.
- تعيين عامل على قصبة تزنيت.

وختـم السلطان رسالتـه بالترحيب الكبير الذي خصصته قبائـل المنطقة لشخصـه بالقرب من مرسى أگلو. وبعد عودته إلى مراكـش أرسـل السلطـان

كميات هامة من القمح لقبائل آيت باعمران لمساعدتها على تجاوز محنتها المتمثلة في الجفاف الذي أصاب أراضيها.

لكن هذه الإجراءات لم تثن كرتيس عن تنفيذ مشروعه، فقام ببناء مركز للتجارة بالقرب من مرسى أركسيس سنة 1883، ورست سفينة محملة ببعض المواد الغذائية كالأرز والشعير في مرسى صبويا بهدف بيعها للقبائل في سوق تازروالت، لكن قائد المخزن أحمد العبوبي تصدى لمحاولات كرتيس وأعوانه وألقى القبض عليه سنة 1883. وأرسله إلى عامل السويرة، فتم إقبار مشروعه بصفة نهائية سنة 1883 فاضطر إلى مغادرة المغرب سنة 1885.

عبد الهادي التازي، ساحل إفريقيا الغربي، سوس، وادي نون، الصحراء *مجلة البحث العلمي*، ع : 31، السنة 16، الرباط، 1980 ؛ المختار السوسي، *المعسول*، 20 جزء، المحمدية، 1960 ؛ كناش رقم : 353، خلاصة الرسائل الصادرة عن السلطان إلى جهات مختلفة من البلاد، *الخزانة الحسنية*، الرباط ؛ عبد الرحمان بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس*، 5، أجزاء، الرباط، 1930 ؛ خالد بن الصغير، *كورتيس وشركة سوس وشمال إفريقيا*، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أگادير، 1996.

J - L - Miege, *Le Maroc et L'Europe, 1830 - 1894*, S. T. Paris, 1963 ; Possessions Anglaises, dans *Bulletin du Comite de L'Afrique Française*, Paris, 1894 ; Nehlil, M, *Lettres chérifiènnes* 1ere partie, Paris, 1915.

نور الدين بلحداد

گلتة زمور، تنتمي گلتة زمور إداريا إلى الجماعة القروية التابعة لإقليم بوجدور، وجيمورفلوجيا إلى قاعدة ما قبل الكمبري، ويمكن أن نميز بين گلتة زمور وگتلة زمور، هذه الأخيرة مكونة من سلاسل جبلية تنقسم بدورها إلى سلسلتين : سلسلة زمور الشرقي يقع في اتجاه الشمال ذات بنية منضدية، وسلسلة لدحلو الملتوية (زمور الغربي) تحتل جزءا مهما من الجهة الغربية للجماعة. وهناك من الجيولوجيون من يطلق عليه گلتة زمور الأسود (زمور لكحل)، وحسب هؤلاء فهي تضاريس تنتمي إلى الزمن الأبلاشي. وهناك من يعتبر سلسلة زمور امتدادا طبيعيا للأطلس الصغير، غير أنها أكثر ارتباطا بحوض تيندوف من جهة الجنوب.

أما گلتة زمور فهي على شكل ضاية كبيرة مقعرة تغمرها مياه الأمطار في الفترات المطيرة، لهذا أطلق عليها السكان المحليين الگلتة.

وتكويناتها الجيولوجية هي على النحو التالي :

- كاربونات طحلبي أو ستروماتوليتي لمجموعة الثليثيات، الذي ينتمي حسب Sougy، إلى ما قبل الكمبري الأعلى. فهذه الكتلة تكونت في نفس ظروف مثيلاتها بالأطلس الصغير، غير أنها شهدت حركة إلتوائية عنيفة خلال الهرسيني، صاحبتها حوادث تكتونية بالغة الأهمية كحادث زمور الذي يفصلها عن هضبة الرقيبات.

- مجموعة أمات اللحم :

* المستوى الأول مكون من الحث المتواضع بشكل مباشر فوق الركيزة بمستويات رصيصة وغضار طفحي. تم في هذا المستوى - لا سيما في الحث - اكتشاف بقايا لثلاثيات الفصوص تنتمي كلها لنوع Fallotaspis. أما في باقي المناطق فيوجد كلس به أحافير من نوع Archeocyathus.

* المستوى الثاني طغياني، ويتكون من الغضارات الطفحية بها كرابتوليتات أو خطيات تنتمي لترومادوسي (الأوردوفيسي الأسفل) إضافة إلى الطمي المتصلب مع مستويات مخضرة، ونجد في نهاية هذا النسق طين وكلس عدسي يحتوي على ثلاثيات الفصوص تنتمي للأرينجي.

* مستوى الثالث، هو عبارة عن حث حطامي محدد في مستواه الأعلى بسطح تعرض للتعرية، في دحلو (زمور الغربي الملتوي)، وترسم هذه الدكات الحثية أعرافا أبلاشية تتزايد من حيث الحجم والسمك بشكل كبير مرورا من 150م في المتوسط بالزمور الشرقي إلى 700م في دحلو.

- مجموعة گارة لحويمد :

تتوضع فوق سطح تعرية من نوع جليدي حيث تتخذ الحزات الجليدية اتجاه شرق - غرب. أما مستويات القاعدة فهي عبارة عن ركام به رصيص متعدد الأصول ومحز، وأحيانا بحجم كبير. في اتجاه الأعلى، تمر هذه التكوينة إلى حث كورتزي. أما السمك الكلي لهذه المجموعة فلا يتجاوز 200م ويزداد من الغرب في اتجاه الشرق حيث تتوضع مباشرة فوق الركيزة. وخلافا للمستويات السفلية فالسمك لا يتزايد في منطقة دحلو حيث الآثار أو التأثيرات الجليدية أقل وضوحا. وهذه التكوينات الأخيرة خالية من الأحافير. وقد تم تأريخها إلى الأشجيلي الأعلى مقارنة مع مثيلتها بالأطلس الصغير.

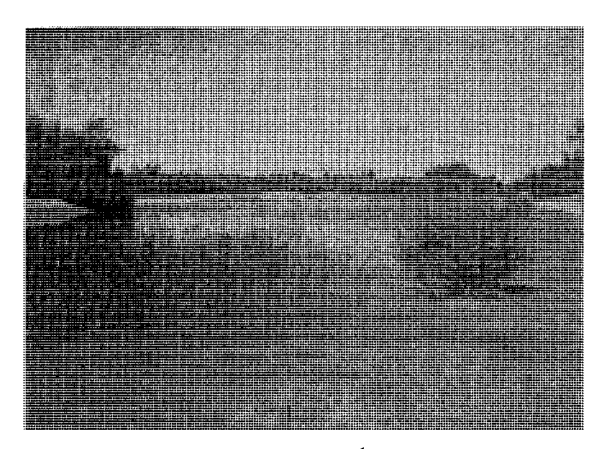
- السيلوري :

وهو من النوع الطغياني، يتمثل في الطين والغضارات الطفحية، توجد به كرابتوليت من نوع Monograptus, Scyphocrinites, Diplogratus ثم كلس أحيانا مرجاني بسمك يبلغ حوالي 90م ويتزايد بشكل ملحوظ نحو الشمال في اتجاه الأطلس الصغير.

- الديفوني :

يصل سمك هذه السلسلة إلى أكثر من 1000م وهي تامة حيث تمتد من الجيديني، (بداية الديفوني) إلى الفراني، (الديفوني الأعلى) وهي شبيهة إلى حد كبير بمثيلتها في الأطلس الصغير الغربي. ويتميز فيها الديفوني الأسفل بسيادة تكوينات سيستيه - حثية مع مستويات من الكلس الصدفي يحتضن خشوميات وغلصميات من نوع Brachiopodes. أما مستويات الحث الأفيلي بمنطقة تيغرت فهو يحتضن شظايا وبقايا نباتية تتناسب مع الريش الرابع للأطلس الصغير الغربي. أما الديفوني الأوسط فيتميز بوجود هام للبوليبيي انطلاقا من المستوى الطفلي الكلسي، بينما الأعلى يمثل فيه كل

من السلتيت أو الطمي المتصلب السحنة الرئيسية وتم تأريخه إلى الفرايني.



كلتة صحراوية

فكتلة زمور تمثل خصوصيات لحزام داخلي يمكن اعتباره امتدادا للسلسلة الملتوية الموريتانية، فكما هو الشأن بالنسبة للتكوينات المحلية لأولاد دليم يوجد هنا تدرج تضاريسي وبنيوي ناتج عن التشويهات التكتونية من الشرق إلى الغرب. ففي الشرق تمتد تكوينات غطائية رقيقة تعلو هضبة الركيبات لم تتعرض للتشويهات التكتونية، في حين يتطور هذا التشويه في كتلة زمور الأوسط على شريط يمتد على عرض يصل إلى 15 كلم ؛ المحدبات شمالا شرقا وجنوب غرب، تتميز بأطرافها الشرقية الشديدة الانحدار. أما في الحدود الغربية لزمور، وتحديدا في منطقة دحلو، فإن المحدبات ضيقة وتظهر أشكال التراكب في جهة الشرق. كل هذه التشويهات التكتونية حدثت حسب الجيولوجيون في مرحلة لا حقة لآخر المناطق التي تعرضت للتشويه خلال الديفوني.

بوشتى الفلاح، امتداد الدرع الإفريقية بالمغرب وطبيعة السطح جنوب الأطلس الصغير، *مجلات مغاربية، الاتحاد الجغرافي المغربي*، عدد خاص بالأقاليم الصحراوية المغربية، العددان 3 و4، الرباط، 2002 ؛ عبد اللطيف رمان وإبراهيم واحمان، الخصائص الطبيعية : الجيولوجية - البنيوية والمناخ، كتاب "*الصحراء الأطلنتية : المجال والإنسان*"، منشورات وكالة الجنوب، الرباط، 2007.

Sougy, J., Les formations paléozoïques du Zemmour Noir (Mauritanie Septentrionale). Etude stratigraphique, pétrographique et paléontologique, *Ann. Fac. Sc., 15*, Dakar, 1969, p. 679.

مولاي إدريس شداد

كلميم - اسمارة (جهة -)، بناء على التقسيم الإداري الأخير الذي عرفته المملكة سنة 1997، أحدثت جهة كلميم -اسمارة لتشكل إحدى أهم الجهات التي تغطي المناطق الصحراوية المغربية. تحدها من الشمال جهة سوس-ماسة-درعة، ومن الجنوب والشرق الحدود الموريطانية والجزائريـة، ومن الغرب المحيط الأطلنتي. وجهة كلميم - اسمارة. فهي تمتد على مساحة تتجاوز 134 ألف كلم²، أي حوالي 9.18% من مجموع مساحة التراب المغربي. وتتشكل من الأقاليم التالية : طاطا (3.19% من مساحة الجهة) وكلميم (0.8%) وأسا - الزاك (7.13%) وطانطان (9.12%) واسمارة (0.46%). مجموع هذه الأقاليم الخمسة تتشكل من 10 دوائر، و49 جماعة قروية، و11 جماعة حضرية.

يخضع تنظيم تضاريس جهة كلميم - اسمارة لطبيعة ميدان الأطلس الصغير الأولي، الذي تطور عند الهامش الشمالي لكتلة الركيبات على شكل طية كبيرة منفتحة في اتجاه الشرق ويتوافق محورها مع حوض تندوف الرسوبي. وقد تعرضت هذه الطية لتطور طويل جعلها تتخذ مظهر تضاريس أبلاشية جيدة التشخيص، استقبلت عند هامشيها الشرقي والغربي سلسلات رسوبية ثنائية - ثلاثية تطورت على شكل حمادات.

فيما يخص المناخ، فإنه نظرا لانتمائها للمجال الصحراوي المغربي وبسبب موقعها عند عروض مدارية، فإن جهة كلميم -اسمارة تنتمي لوحدة المجال القاحل الذي تمثله الصحراء الإفريقية الكبرى المعروفة بجفافها المفرط، غير أن استقرارها عند الهامش الشمالي لهذا المجال يجعل مناخها يتميز بنوع من الاعتدال خاصة عند الشريط المحاذي لمرتفعات الأطلس الصغير والمنتمي لإقليمي طاطا وكلميم. فموقع الجهة وتنوع مظهرها التضاريسي، يجعل الحرارة عندها تعرف تدرجا ملحوظا في اتجاه الشمال الغربي، أي في اتجاه مرتفعات الأطلس الصغير والساحل الأطلنتي. وهكذا فإن متوسط الحرارات القصوى عند هذه المناطق يتراوح بين 24° و32°، وذلك في الوقت الذي يتعدى فيه 40° عند المناطق الواقعة عند الجنوب الشرقي تحت تأثير القارية. ونفس التلطيف يعرفه متوسط الحرارات الدنيا. ونفس التدرج يتم تسجيله على مستوى التساقطات المطرية، فالهامش الشمالي من جهة كلميم - اسمارة يتلقى واردا مائيا مطريا يدور معدله حول 200 مم، لكنه سرعان ما يتلاشى إلى ما دون 100 مم في اتجاه الجنوب الشرقي. ونفس الأمر ينطبق على عدد الأيام الممطرة التي تنتقل من معدل يتراوح بين 30 و 40 يوما إلى ما دون 20 يوما. وتتخذ هذه التساقطات المطرية التي تنزل بشكل أساسي خلال دجنبر ويناير طابعا إعصاريا مركزا في المجال وفي الزمن تترتب عنه فيضانات عنيفة ومدمرة أحيانا.

وهكذا، وعلى الرغم من ضعفها فإن هذه التساقطات المطرية وكذلك ارتفاع معدلات الرطوبة النسبية يوفران موردا مهما للرطوبة الضرورية للحياة بشكل عام، وعلى الخصوص بالنسبة للغطاء النباتي الذي يعرف كثافة ونسبة تغطية غير معهودة عند المجالات الجافة القريبة. إن الغطاء النباتي الطبيعي المتوفر بالمنطقة له دور حيوي على صعيد تثبيت التربة وصيانتها من عوامل التعرية المائية والريحية، ويشكل مجالات رعوية غنية، هي قبلة مفضلة للرحل الذين يقصدونها من كل المناطق الصحراوية المجاورة، إضافة إلى كونه يجعل من هذه الجهة إحدى أشهر المناطق المغربية المتوفرة على رصيد مهم من الأعشاب الطبية. ولعل هذه الظروف

الطبيعية هي التي جعلت هذا المجال يلعب دورا أساسيا في الربط بين جنوب المغرب وشماله، وبين المغرب وإفريقيا السوداء عبر مراحل تاريخه الطويل.

إن جهة گلميم - اسمارة تسجل، على عكس باقي الجهات المغربية الصحراوية، وثيرة نمو ديموغرافي محدودة لم تتجاوز 2.16% في السنة خلال الفترة الفاصلة بين إحصائي 1982 و1994، وهي بذلك تبقى قريبة جدا من المعدل الوطني الذي لم يتعد خلال نفس الفترة 2.06%. وهكذا فإن هذا النمو جعل حجم السكان ينتقل من حوالي 300 ألف إلى حوالي 386 ألف نسمة، وإذا تم اعتماد نفس نسبة النمو السنوي فمن المرجح أن تكون ساكنة الجهة حاليا قد أصبحت تدنو من 440 ألف نسمة.

مقارنة مع جهتي واد الذهب - الگويرة والعيون - بوجدور، تعرف جهة گلميم - اسمارة أعلى كثافة سكانية بالمناطق الصحراوية إذ تبلغ 3 نسمة/كلم^2، لكنها تبقى بعيدة جدا عن المعدل الوطني الذي يتجاوز 36 نسمة /كلم^2. ويتم التزايد السكاني الحاصل بالجهة بشكل غير متجانس بين الوسطين الحضري والريفي، ففي الوقت الذي تسجل فيه مدن الجهة نموا سكانيا تقترب نسبته السنوية من 3%، فإن الأرياف تعرف عملية نزوح متواصلة جعلت نسبة نمو ساكنتها لا تتجاوز 1.25% في السنة خلال نفس الفترة المذكورة. وباستثناء إقليم اسمارة فإن أرياف كل الأقاليم المتبقية سجلت نسبة نمو جد متدنية، بل سلبية كما هو الوضع عند أرياف إقليم طنطان التي سجلت نسبة نمو سلبية تعادل 1.64%. ومعنى ذلك أن ظاهرة اختلال توزيع السكان بين الوسطين الحضري والريفي، وتزايد عدد السكان المستقرين تعزز أكثر خلال العقدين الأخيرين وجعل نسبة التمدين تتجاوز المعدل الوطني وتسجل 55.5%. وتتجاوز هذه النسبة هذا المعدل بكثير حيث تتعدى 72% بإقليم طنطان و92% بإقليم اسمارة، لكنها تنزل إلى حدود 30% بإقليم طاطا.

وتتجاوز حاليا ساكنة أرياف الجهة 170 ألف نسمة، وهو ما يمثل حوالي 90% من مجموع السكان الريفيين بالجهات الصحراوية المغربية الثلاث. وأكثر من 84% من هؤلاء السكان الريفيين يعيشون بإقليمي طاطا وگلميم، وذلك بالارتباط مع التحسن الذي تعرفه ظروف الوسط الطبيعي التي تسمح بازدهار نظام زراعي ينبني على الفلاحة المسقية والبورية وعلى الرعي.

وكذلك بسبب هذا الحضور البشري الريفي، فإن الجهة لا تزال تسجل أضعف نسبة تمدين داخل المناطق الجنوبية الصحراوية، أي فقط 56.5%، مقابل 91.6% بالنسبة لجهة العيون بوجدور، و84.8% بالنسبة لجهة واد الذهب - الگويرة.

وتعتبر مدينة گلميم التي تناهز ساكنتها حاليا 90 ألف نسمة أكبر المراكز الحضرية بالجهة، بعدما لم يكن يتجاوز هذا العدد 41 ألف سنة 1982. وقد جعلها هذا النمو تحتل مركز الريادة محليا وجهويا، فهي تمثل 82% من مجموع السكان الحضريين داخل إقليم گلميم وتمثل ثلث السكان الحضريين داخل جهتها، وحوالي خمس هؤلاء داخل مجموع الجهات الصحراوية المغربية.

لقد نشأت مدينة گلميم لتشكل اليوم القطب الحضري الرئيسي داخل جهتها، فقد تطورت عند منخفض واد نون كمركز له دور أساسي في إدارة وتموين المناطق الصحراوية الجنوبية. وقد عرف هذا المركز، على غرار باقي المناطق الصحراوية التي ظلت تعاني لفترة طويلة من التهميش بسبب بعدها وموقعها الجغرافي، نموا متواصلا خلال العقود الأخيرة جعل منه القطب الإداري والتجاري الأول بهذه المنطقة.

إن گلميم تشكل حاليا عاصمة لجهة گلميم - اسمارة وإقليم گلميم، وفي نفس الوقت مقر جماعة حضرية، الأمر الذي جعلها تعزز مكانتها كمركز حضري مغربي يحتل المركز الثاني داخل الجهات الصحراوية. وإذا كان هذا المركز الحضري الصحراوي قد عرف توسعا واضحا لنسيجه الحضري وتطورا ملموسا في بنياته التحتية، فإن وظائفه الأساسية بقيت منحصرة في القطاعين التجاري والإداري، ولا يزال لم يجد السبيل نحو الاستثمار والاستغلال الجيد لموارده الطبيعية والبشرية والثقافية. ولعل مصدر هذا الركود هو المنافسة القوية التي يتلقاها من مراكز حضرية نشيطة متعددة الوظائف مثل أگادير وطنطان والعيون.

ومدينة طنطان بساكنة تتعدى حاليا 46 ألف نسمة، تحتضن خمس السكان الحضريين داخل الجهة، وتمثل من حيث حجمها الديموغرافي المركز الثاني داخل هذه الجهة. وقد ظلت هي الأخرى تشكل مدينة حدودية هامشية إلى غاية عودة الأقاليم الجنوبية إلى وطنها الأم، فاسترجعت بذلك دور العبور والربط بين شمال وجنوب البلاد، وأصبحت في نفس الوقت مؤهلة لاستثمار ما تزخر به من مؤهلات، فتوسع مجالها الحضري وتعززت بنياتها التحتية، واستقبلت ميناء كبيرا عند ساحلها أصبح يشكل محركا اقتصاديا حقيقيا على الصعيدين المحلي والجهوي، وإن كان هذا الميناء قد أخذ يتطور كمركز حضري ساحلي تمت ترقيته مؤخرا إلى بلدية هي بلدية الوطية.

أما مدينة اسمارة فتحتل المركز الثالث داخل جهتها، وعلى الرغم من موقعها الجغرافي البعيد، وموضعها الصعب المتميز بالجفاف المفرط، فإن وظيفتها الإدارية كعاصمة لإقليم اسمارة جعلتها تعرف نموا متواصلا لساكنتها بمعدل 1.4% في السنة. وهكذا أصبحت تحتضن أكثر من 30 ألف نسمة بعدما لم يكن هذا العدد يتجاوز 18 ألف نسمة عند مطلع عقد الثمانينات. ومن الممكن أن تتعزز دينامية اسمارة الديموغرافية أكثر إذا ما تمكنت من استعادة وظيفتها الروحية والتعليمية، ووظيفتها التجارية المبنية على انفتاحها على دول الصحراء الإفريقية الواقعة على الحدود الشرقية للمغرب.

تتميز جهة گلميم - اسمارة عن باقي الجهات الصحراوية المغربية بتعداد المراكز الحضرية الصغرى تتراوح ساكنتها بين 2.700 و13 ألف نسمة، ومجموع ساكنة هذه المراكز الصغرى يتجاوز حاليا 71 ألف نسمة، وهي بذلك تأوي حوالي ثلث السكان الحضريين داخل الجهة.

وتتميز بعض هذه المراكز بنسبة نمو مهمة ترتبط إما بنشاط إداري مهم مثل مدينة طاطا التي تشكل عاصمة إقليم، أو بكونه يشكل مدينة-مرحلة على طرق وطنية نشيطة مثل مركز بوزكارن، أو بسبب ظهور مرفق اقتصادي مهم مثل ميناء الصيد البحري الذي جعل من مدينة الوطية مركزا اقتصاديا صناعيا واعدا.

أما المراكز الأخرى فإنها تعرف نموا بطيئا، بل سلبيا في بعض الحالات، وذلك بسبب عدم ربطها بشبكة الطرق الوطنية مثل مركز فم زگيد، أو بسبب موقعها الداخلي والهامشي كمركز أسا والزاگ وأقا. وفي الواقع فإن هذه المراكز تبقى مرتبطة فقط بوظيفتها الإدارية بحكم أنها مقر دائرة أو جماعة وأحيانا عاصمة إقليم.

وعلى غرار باقي الجهات الصحراوية، يرتكز اقتصاد جهة گلميم - اسمارة على قطاع الصيد البحري الذي فتحت أمامه آفاق تطور واعدة بعد إنشاء ميناء الوطية العصري، وعلى القطاع الزراعي الذي يتميز بالإضافة إلى اعتماده على النشاط الرعوي بأهمية النشاط الفلاحي المسقي في إطار سلسلة الواحات المنتشرة عند قدم السفح الجنوبي للأطلس الصغير. كما أن النشاط التجاري أصبح منذ استرجاع الأقاليم الجنوبية للوطن الأم، يشكل دعامة اقتصادية أساسية داخل الجهة بعدما أصبحت بعض أقاليمها مثل گلميم وطنطان تلعب دور الربط بين شمال وجنوب البلاد بعدما كانت تشكل مناطق هامشية.

غداة استكمال الوحدة الترابية الوطنية عبر استرجاع المناطق الصحراوية المغربية التي ظلت تعيش تحت نير الاستعمار الأجنبي إلى حدود سنة 1975، تمكنت جهة گلميم-اسمارة من استرجاع دورها كصلة وصل بين المناطق الجنوبية والشمالية من التراب الوطني. وقد جعلها هذا التطور تجذب بعض الاستثمارات، لكن ذلك لم يمكنها من تجاوز مظاهر التهميش التي ظلت تعاني منها خلال فترة زمنية طويلة وحتى التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي تعرفها حاليا أصبحت تؤدي إلى اختلال مجالي صارخ بين المناطق الغربية وباقي تراب الجهة، اختلال لا يمكن تجاوز معضلاته إلا عن طريق سنّ سياسة مجالية تنبني على نبذ التركز وعلى وضع بنيات تحتية تجمع بين كافة أطراف هذه الجهة الواسعة.

الحسن المحداد

كنتـة، قبيلة عريقة تنسب إلى عقبة بن نافع الفهري كما نص على ذلك المختار بن حامدون، وتتكون من جملة فخذات هي أولاد يوسيف وأولاد سيدي عبد الوهاب، وأولاد سيدي عبد المؤمن، ويطلق عليهم جميعا اسم أولاد بوسيف ثم الركابات، وأولاد أحمد كنتة، وأولاد سيدي بوبكر، والمتغنبرين، وأهل اوكال وأولاد سيدي حبيب الله، والهمال، والرگاگدة وأولاد سيد المختار الشيخ، وأولاد الوافي. ويوجد الجد الجامع لهذه القبيلة بمنطقة درعة بالمغرب، وهو سيدي اعمر الكنتي، الموجود مزاره اليوم بالجماعة القروية لآقا بإقليم طاطا،

وكانت بداية كنتة في مناطق درعة واتوات، ثم بدأوا في الانتشار نحو الجنوب في اتجاه شنقيط والساقية الحمراء ومالي والحوض والقبلة. وساعدهم في ذلك الانتشار، مكانتهم الدينية حيث شكلوا مشايخ الطريقة الصوفية القادرية، ومن جهة أخرى تمكنوا من التحكم في طرق تجارة القوافل العابرة للصحراء من الشمال (تافلالت، درعة، توات) نحو الجنوب (الساقية الحمراء، آدرار التمر، مالي). فإلى جانب الممارسة التجارية شكل كنته زاوية صوفية وعلمية تخرج منها العديد من العلماء والفقهاء ورجل التصوف والسياسة انطلاقا من سيدي أحمد الرقيبي إلى الشيخ سيديا الابيري، فالشيخ محمد فاضل فالشيخ محمد المختار بن الأعمش الجكني وغيرهم، ناهيك عن علماء ومشايخ من إفريقيا ما وراء الصحراء مثل عثمان دان فوديـو من نيجيريا الذين ساهمـوا في نشـر الإسلام والطريقـة الصوفية القادريـة بإفريقيا السوداء.

وخلال القرن التاسع عشر كانت قبيلة كنتة الزاوية قد توزعت في مناكب عديدة من المغرب العربي ومنطقة الساحل الإفريقي. فنحن نجدهم في كل من الجزائر والمغرب ومالي وموريتانيا والنيجر وشمال نيجيريا. وساهموا في التواصل الثقافي والاقتصادي والاجتماعي ما بين هذه البلدان من خلال الرحلات العلمية والإنتاج المعـرفي وتجارة الملـح وريش النعام والإبل والحوار ما بين الطرق الصوفية من قادرية وتجانية ومختارية. كما عرفت هذه القبيلة مشايخ وعلماء أعلام تركوا بصماتهم على تاريخ منطقة الصحراء وشمال غرب إفريقيا مثل الشيخ سيدي محمد الكنتي دفين جبل فصك بشمال موريتانيا، والشيخ سيدي أحمد الفيرم دفين منطقة الحبشي بالساقية الحمراء، والشيخ سيدي المختار الكبير دفين منطقة أزواد بمالي، والشيخ سيدي محمد الخليفة دفين أزواد كذلك، والشيخ سيد أحمد الكنتي دفين گـور اگنيفيدة جنوب شرق الطنطان، والشيخ المجاهد عابدين الكنتي دفيـن وادي درعة بإقليم طاطا. وغيرهـم من الرجال والنسـاء الذين رصعـوا تاريخ الصحراء وشمـال غرب إفريقيـا بالعديد من التآليف والأعمـال الاجتماعية والثقافيـة التي ربطت ما بين المنطقـة والعالم العربي والاسلامي.

وإبان التغلغل الاستعماري الفرنسي والإسباني في الصحراء، كان الشيخ عابدين الكنتي من زعماء المقاومة المسلحة حيث انتقل من شمال مالي إلى واحات الجنوب الجزائري، ثم إلى تافلالت ودرعة بجنوب شرق المغرب ونظم فيالق المجاهدين وقام بهجومات على القوات الاستعمارية الفرنسية بكل من موريتانيا ومالي، ونفس الشيء قام به أبناؤه من بعده، إلى أن توفي سنة 1927 بمنطقة درعة كما ذكرنا آنفا. ولما سيطر الاستعمار الاسباني على منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب، كان كنته من جملة القبائل التي تم إحصاؤها في عداد القبائل المسماة بقبائل الجنوب والساحل (Tribus del sur y Costeras) حيث حاول المستعمر تشتيت لحمة القبائل الصحراوية وجعلها عبارة عن أرقام ورموز. إذ كانت

تلك القبائل حجرة عثرة أمام الزحف الاستعماري بفعل دورها الثقافي والجهادي البارز.

وتجدر الإشارة إلى أن لكنتة مجموعة مزارات مشهورة بالصحراء مثل ضريح شماد الكنتاوي قرب جبل زوگ (الجماعة القروية لزوك بإقليم آوسرد) ومزار بابا أحمد بن الأمين بن الشيخ سيد المختار الكنتي قرب جلوى بمنطقة آدرار سطف بإقليم آوسرد. وتتوزع عائلات من قبيلة كنتة اليوم في مناطق امحاميد الغزلان وسوس وواد نون وفي مدن الطنطان والعيون والداخلة، ناهيك عن حضورهم الوازن في المجالات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية في دول الجوار بموريتانيا والجزائر ومالي والنيجر وفي السنغال.

وقد حظيت كنتة بالعديد من الدراسات، خاصة الأجنبية في تخصصات مختلفة منها التاريخ والأنثروبولوجيا والعلوم السياسية باعتبارها زاوية اضطلعت بأدوار هامة في نشر الإسلام والتصوف القادري من جهة ودورهـا في الحركة التجاريـة والعلميـة فيما بين حافتي الصحراء. وذلك في شكل أبحاث أكاديمية من رسائل جامعية وأطاريح دكتوراه في كل من فرنسا وابريطانيا وأمريكا، ناهيك عن الكتابات العربية في جامعات المغرب والجزائر وتونس ومصر وموريتانيـا. لكن هناك جوانب من تاريخ هذه القبيلـة - الزاوية لا تـزال في حاجة إلى البحث خاصة ما يتعلق بدرجـة حضورهم في جنوب المغرب والعلاقة بالقبائـل المجاورة ودورهـم في حركة المقاومة للمد الاستعماري ومآل القبيلـة في الوقت الراهن.

الطالب محمد بن أبي بكر البرتلي، *فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور*، دار الغرب الإسلامي، بيروت، تحقيق، حجي ومحمد الكتاني، 1981 ؛ أبو بكر بن أحمد المحجوبي، *منح الرب الغفور في ذكر ما أهمل صاحب فتح الشكور*، تحقيق، الهادي الدالي، الزاوية، ليبيا، 2001 ؛ الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي، *الطرايف والتلائد من كرامات الشيخين الوالدة والوالد*، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، نواكشوط، ب. ت ؛ پول مارتي، *كنتة الشرقيون*، تعريب محمد محمود بن ودادي، ط 1، 1985، دمشق ؛ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار، *الرسالة الغلاوية*، منشورات معهد الدراسات الافريقية بالرباط ؛ سيدي بابه بن الشيخ سيدي، *إمارتا ادوعيش ومشظوف*، تحقيق، إزيد بيه بن محمد محمود، المعهد التربوي الوطني، انواكشوط، 1994 ؛ محمد المصطفى بن البصير، *النزر اليسير من مناقب زاوية آل البصير*، تحقيق، عبد المغيث بصير مكتبة الأحباب، دمشق، 2002 ؛ محمد دحمان، المقاومة بالجنوب المغربي من خلال الممارسات الجهادية الشيخ عابدين الكنتي، *الذاكرة الوطنية*، عدد *3*، 2002، ص. 89 - 98.

Barth, Henri, *Voyages et découvertes dans l'Afrique Septentrionale et Centrale pendant les annés 1849 – 1855*, Paris, 1861 ; Leriche Albert, Note pour servir à l'histoire maure (Notes sur les forgerons, Les Kounta et les Maures du Hodh, in : *Bulletin de L'IFAN, txv- N° 2*, Aoril, 1953, p. 737 – 750 ; Pierre Bonte, Chaykh sidi M'hammed al-Kounti, in : Al- *Maghrib al Ifriqui*, Institut des Etudes africaines, Rabat, 77 – 124, 2000 ; Angela Hernandez Moreno. *Economia y Sociedad del Sahara occidental*, Universidad de Murcia, España, 1988.

الكنتي (الشيخ -) سيدي **أحمد الفيرم** بن سيد عمر الشيخ بن سيدي أحمد البكاي، ولد نهاية القرن التاسع الهجري بمنطقة درعة. يقول عنه سيدي محمد بن الشيخ المختار : "كان عالما عاملا، ووليا كاملا، عابدا متنسكا زاهـدا في الدنيا. لا يفتر عن تلاوة القرآن إلا حالة التدريس". وكان من شيوخ الطريقة الكنتية - البكائية في ميدان التصوف، كما كانت له مدرسة علمية خاصة بعلوم القرآن. ولذلك كان خليفة والده بعد وفاته سنة 960 في منح الورد الكنتي البكائي، حيث كان ذلك الوالد هو المؤسس الأول للطريقة القادرية في الصحراء. كما اطلع سيد أحمد الفيرم بدور الإصلاح الاجتماعي والأخلاقي، وكذا ردع الظلمة. وقام بالجولان في الأرض على عادة المتصوفة وخاصة بمناطق لحمادة ودرعة السفلى والساقية الحمراء وعرق شاش وواد الشب. وترحل شمالا حتى وصل حاضرة مراكش زمن الدولة السعدية. ومن الأعلام الذين أخذوا عنه الجد الجامع لقبيلة الرقيبات الشيخ سيدي أحمد الرقيبي دفين منطقة الحبشي بالساقية الحمراء. وقد جمع بين علم الظاهر وعلم الباطن كما كان من الملحين على التزود بسلاح العلم والجمع بين الفقه والتصوف في التربية. ويعتبر سيد أحمد الفيرم هو الجد الجامع لبطن الرقاقدة من قبيلة كنتة، وقد ظلت الزعامة الروحية للطريقة الكنتية في نسله إلى حدود القرن 18 الميلادي.

توفي سنة 971 هـ. ويعد من أسانيد التصوف القادري بالجنوب المغربي وإفريقيا الساحلية، ومزاره بمنطقة الحبشي بالساقية الحمراء غير بعيد عن ضريح سيدي أحمد الرقيبي بإقليم السمارة.

سيدي محمد بن الشيخ المختار الكنتي، *الطرائف والتلائد*، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، انواكشوط، 1994 ؛ *الرسالة الغلاوية*، معهد الدراسات الافريقية بالرباط، تحقيق، حماه الله ولد السالم، 2003 ؛ العباس بن إبراهيم المراكشي، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، الجزء الثاني، المطبعة الملكية، الرباط، 1974 ؛ مارتي پول، كنتة *الشرقيون*، تعريب محمد محمود ولد ودادي، دمشق، ب. ت ؛ محمد المصطفى بصير، *النزر اليسير من مناقب زاوية آل البصير*، تحقيق، عبد المغيث بصير، مكتبة الأحباب، دمشق، 2000.

Pierre Bonte, M'Hammed AI-Kounti : Une Figure oublié du Sahara Occidental au XIX siècle, in : *al Maghreb al-Ifriqi*, Institut des Etudes africaines, Rabat, p. 77 – 124.

الكنتي (الشيخ -) **عابدين** ولد **امحمد** بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي الكبير، ولد ببلدة موسى بانكو بناحية تنبكتو سنة 1848، واسمه الكامل هو زين العابدين بن سيدي أمحمد، أما والدته فتنتمي إلى نفس النسب الكنتاوي. تنقل عابدين من مناطق عديدة من الصحراء، كما كان مع والده سيد امحمد الكنتي إبان إقامته في زمور والساقية الحمراء، إلى أن قتل الوالد، فعاد عابدين وإخوته إلى جنوب شنقيط، ثم إلى أزواد حيث تفرغ للدراسة متجولا بين مضارب قبيلته في كل من أزواد وأتوات وصحراء اگيدي والحنك، إلى أن

انتهى به التطواف في الديار المقدسة بمكة والمدينة ودام غيابه بضعة أعوام، وفي طريق عودته مر على الزاوية السنوسية الأم بالجغبوب جنوب ليبيا حيث أقام بضعة أشهر، وبعد عودته لأزواد صعد نجمه في ميدان الفقه والتصوف، بل مارس القضاء بمنطقة تنبكتو، وبرز كحكم بين مجموعة من القبائل البيضانية والطارقية مثل الشعامبة والبرابيش والنواجي وأعريب وكلنتصر واللمدن وكل هگـار، تقول عنه الباحثة غيثة عواد : "لقد مارس عابدين القضاء داخل مضارب كل ـ هگـار عندما كان مقيما عندهم كما لعب دور الوساطة في النزاعات القبلية بقصد الإصلاح، فقد تدخل سنة 1880 لرأب الصدع بين كنتة والطوارق وفي 1893 كان وسيطا بين الشعامبة والطوارق لإحلال السلام وبذلك كسب المزيد من الحنكة والكفاءة السياسية".

كما وسع عابدين من علاقاته الاجتماعية عن طريق الزواج الخارجي، حيث صاهر الطوارق الحجام وأولاد المولات الدليميين وتكنة وغيرهم. وكانت له مناقب وكرامات صوفية. وابتداء من سنة 1892 بدأ يوطد سلطته الروحية والاجتماعية بين فئات اجتماعية مختلفة وعبر مجالات رعوية واسعة تمتد من منطقة تمبكتو إلى الهگـار إلى أتوات إلى وادي نون ودرعة السفلى، حيث بدأ الدعوة للهجرة والجهاد ضد قوات الاحتلال الفرنسي ومن والاها من بدو الصحراء. وهكذا، فعندما بدأت الفيالق الفرنسية تتغلغل في واحات اتوات وتدكلت وفي كتلة الهگـار سنة 1902، غادر عابدين هذه المنطقة اتجاه الصحراء المغربية كـ "مُـهاجْـري" للإقامة بين تافلالت ودرعة، جاعلا من هذه الأخيرة قاعدة خلفية المقاومة، حيث قاد غزوات مع آيت خباش واعريب وتكنة استهدفت قوافل الاستعمار بناحية تاودني وتبلبالت. هذه الحركة جعلت العديد من أبناء قبيلته يلتحقون به في شمال الصحراء مثل ذرية أخيه الشيخ الصغير سيد أمحمد الكنتي. وقد برز في ساحة الجهاد أبناؤه خاصة بابا، وسيدي الأمين وسيدي حمة، يقول عنهم پول مارتي "... فقد كانوا يقودون بأنفسهم فصائلا من الهجانة في غزوات كبرى ينظمها والدهم انطلاقا من تافلات، وهاجموا مراكز الفرنسيين، وفيالقهم المتنقلة بكل من تاودني وبورم وتنبكتو وأرفود واتوات واگيدي. كما قام عابدين بمراسلات ووجه مبعوثين إلى القبائل وقادة الجهاد في مختلف أنحاء الصحراء لحثهم على مواصلة المقاومة وقض مضجع قوات الاحتلال، فقد راسل المجاهد بوعمامة بغرب الجزائر واتصل بمحمد بن امهمد شيخ قبيلة البرابيش وابنه الخليفة بن امحمد الذي كانت له صداقة وتحالف مع الشيخ ماء العينين بالساقية الحمراء. واستمر عابدين في تنظيم "غزيان" الجهاد رغم تقدمه في السن، إلى أن كانت سنة 1917 حيث نظم بالتعاون مع الخليفة بن امحمد البربوشي غزوة حاصروا بها بلدة اكدز حيث باغتوا قوات الاحتلال، وساندهم في ذلك المجاهد الطارقي كاوصن، في تلك الفترة شكل المنحدر الجنوبي لجبال الأطلس نقطة انطلاق للمجاهدين وحسبنا هنا تجمعات قبائل الصحراء من الركيبات وأولاد دليم وأولاد جرير ولبرابر وتكنة وكنتة على امتداد واد درعة. وبقي عابدين يبعث بالرسل إلى صحراء اتوات ومالي وموريتانيا لمعرفة قوات الاحتلال والنقاط الاستراتيجية عندهم ومن والاهم من القبائل، مع إرسال الجيوش المرة تلو الأخرى إلى أن قضى نحبه سنة 1927، حيث دفن قرب واد درعة داخل النفوذ الترابي لدائرة آقا التابعة حاليا لإقليم طاطا بجنوب شرق المغرب. وقد ترك هناك أسرة معروفة تدعى بأهل عابدين وتعد من أهل المعرفة والصلاح.

مارتي پول، *كنتة الشرقيون*، تعريب محمد محمود ولد ودادي، مكتبة زيد بن ثابت، دمشق، ب. ت ؛ الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار، *الطرائف والتلائد من كرامات الشيخين الوالدة والوالد*، تحقيق، عابدين بن باب أحمد، ج 1، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، انواكشوط، ب. ت ؛ محمد سعيد القشاط، *أعلام من الصحراء*، دار الملتقى، بيروت، 1997 ؛ محمد دحمان، المقاومة في الجنوب المغربي من خلال الممارسات الجهادية للشيخ عابدين بن أمحمد الكنتي (ت 1927) ـ *مجلة الذاكرة الوطنية، العدد 3*، المندوبية السامية للمقاومة، الرباط، 2002، ص. 89 - 98.

La Situation au Sahara occidental, in : *Bulletin de l'A.O.F, N° 6*, uin, 1901, p. 201 – 201 ; Aouad-Badoual, Rita, Le rôle de Abidine El Kounti dans la résistance Nomade à la conquête française de la Boucle du Niger (1894 – 1902) in : *Les cahiers de l'IREMAM*, N° 4, 1993, p. 41 – 60 ; Bonte, Pierre, Shayk Sidi M'Hammed Al-Kounti : Une Figure oubliée du Sahara Occidental au XIX siècle, in : *Revue al Maghreb al-Ifriqui*, I.E.A Rabat, N° 1, 2000, p. 79 – 126.

محمد دحمان

الكنتي، الشيخ سيدي **عمر** الشيخ هو سيدي أحمد البكاي بن سيدي امحمد الكنتي، الجد الجامع لقبيلة كنتة والقطب من الأولياء المشهورين بالعلم والصلاح، يعتبر الشيخ المؤسس للطريقة القادرية الكنتية البكائية في الصحراء والسودان الغربي، فنسبها إلى والده سيدي أحمد البكاي (البكائية). تواتر عنه أنه حفظ ألف مجلد قبل بلوغه الرشد، رحل في سبيل طلب العلم إلى المغرب، بعدما تعلم على يد والده سيدي أحمد البكاي، فطاف في أرجاء شاسعة من العالم الإسلامي من المغرب إلى المشرق، فلم يظفر بمن يشفي غليله في العلم إلى أن التقى بالشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي (940 - 1533) عقب إحدى سفرياته التي دوخ فيها شمال إفريقيا بدءًا من المغرب حتى مصر ثم الشام وجاوزهما إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، وأثناء عودته وتوغله في بلاد التكرور، التقى بهذا العالم الجليل وأخذ عنه الطريقة القادرية وعلوم الباطن، وبعد ملازمة له دامت ثلاثين سنة برسم الصحبة أخذ فيها عنه الطريقة. ومما زاد في تمسكه بهذه الطريقة التقاؤه رفقة شيخه المغيلي بالشيخ عبد الرحمن السيوطي خلال رحلتهما إلى المشرق لأداء مناسك الحج، منحهما هذا الشيخ الورد إذ وأمرهما بنشر تعاليم مولاي عبد القادر الجيلاني في بلادهما.

فلازم شيخه فأخذ عنه كل شيء، وبعد وفاته أصبح هو رسول المغيلي لنشر الإسلام والطريقة القادرية في الصحراء والسودان الغربي مما منحه شهرة واسعة أكثر من المغيلي، الذي عرف بنشر الإسلام والصلاح في توات فقط. فعمل هذا الشيخ على نشر الطريقة القادرية وتثبيت دعائمها، مقتفيا أثر شيخه في الدعوة إلى الله وإرشاد الضال، وتعليم الجاهل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة المواسم، وإطعام المساكين وإيواء عابري السبيل، والحيطة على الضعفاء وزجر الطغاة والظلمة والأخذ على أيديهم، وعمارة الأرض بحفر الآبار وغـرس الأشجار، وكان يأمر بنيه بذلك ويحضهم عليه ويستعملهم فيـه، فلما كان آخر حياته تولى أبناؤه مصالح الناس، وانقطع هو للعبادة إلى أن قتل من طرف قطاع الطـرق على رأس جبل من جبال سوس قرب أقا بإقليم طاطا حاليا، وضريحه هناك يشكل مزارا حتى الآن.

توفي عام (960 - 1552) عن مائة وأربعين سنة وأربعة وأربعين يوما، ولم يمت حتى بلغ القطبانية العظمى، تواتر عنه انه ينظر فيما بين العرش والفرش، كما ينظر إلى الناس من حوله. وقد خلف من الأبناء ثلاثـة :

- الشيخ سيدي أحمد الفيرم، وهو خليفته، جد الركاكدة من كنتة.
- سيدي المختار الشيخ، جد أولاد سيد المختار.
- سيدي الوافي، جد أولاد الوافي، وهو جد العلامة الولي الشيخ سيدي المختار الكنتي.

المختار الكنتي، *الإرشاد في الهداية*، مخطوط، ص. 42 - 445 ؛ محمد بن المختار الكنتي، *الطرائف والتلائد*، تحقيق، شفيق أرفاگ، ص. 81 ؛ پول مارتي، *كنتة الشرقيون*، تحقيق، محمود ولد ودادي، ص. 35 - 36 ؛ أحمد شيخي، *الطريقة البكائية الكنتية*، مجلة المناهل، عدد 82 - 83 سبتمبر، 2007، ص. 17.

الكنتي، محمد الشيخ بن **وديعة الله** هو محمد الشيخ بن سيدي حبيب الله بن محمد الشيخ بن محمد الأمين الملقب وديعة الله بن السالك بن المختار بن الطالب بن عبد الله بن المختار بن سيدي امحمد الكنتي جد قبيلة كنتة دفين منطقة فصك بتيرس. ينتمي إلى قبيلة كنتة العربية التي يرجع نسبها إلى الفاتح عقبة بن نافع الفهري. ينحدر هذا الشيخ الجليل من أسرة علم عرفت بالتدين والصلاح والسلوك الصوفي، وكيف لا وهو الذي عُرف بإدخال التصوف إلى الصحراء والسودان الغربي، مساهمـا بذلك في نشـر تعاليم الديـن الإسلامي وتثبيتهـا، ازداد يوم الأربعـاء الثامن من رمضان الأبرك عام 1324 / 1906.

تدرج في مراحل التعلم على أيدي أهله وتلامذتهم، فحفظ القرآن ودرس علوم اللغة والبلاغة والأدب، ثم انتقل بعد ذلك إلى الإلمـام بالفقـه وأصوله. والحديث وعلومـه، تتلمذ علـى أيدي مشايـخ كبار فضلا عن أبيـه سيدي حبيب الله وأهلـه، أمثـال : الشريف مولاي البشيـر بن البخـاري، والشيخ سعـد بوه بن محمد فاضل بن مامين.

حرص على طلب العلم، فعمل الرحلـة من أجل ذلك فتنقـل بين أرجاء شاسعـة من موريتانيا، فالتقـى بخيـرة علمائها، فأخذ عنهم وناقشهم إلى أن صار عالما لا يشق له غبار.

هاجر من موريتانيا بعدما أحكم المستعمر الفرنسي سيطرته عليها تاركا وراءه الأهل والأحباب من أجل نصرة دين الله والدعوة إليه، فدوخ مناطق عدة من الصحراء إلى أن انتهى به المسير في منطقة وادي نون، فاشتغل قاضيا مقيما على قبيلة آيت أوسى. فعرف بعدله وإنصافه، لكنه تخلى عن هذا المنصب بسبب مضايقات المستعمر وتعسفاته، وتحامل بعض شيوخ القبيلة عليه كذلك، إذ لم تتجاوز مدة توليه القضاء ثلاثة أشهر. ثم انتقل بعد ذلك إلى منطقة أقا وبالضبط بلدة تيزونين ليؤسس بها سنة 1950 زاويـة شيد فيها قصرا سماه "قصر البركة" تيمنا وإحالة على مسكن أهله وأحبائه الموجودين بقصر البركة في تگانت بموريتانيا فحفر الآبار وغرس النخيل، وشيد به مسجدا، جعله قبلة لحفظة القرآن، وطالبي العلم، فقصده الناس من كل المناطق لأجل ذلك فيتعلمون بدون مقابل ولا عوض يؤخذ منهم، فهذا الشيخ ما كان ليكون نشـازا دون غيره من أهله الذين كانوا يعلمون الطلبة ويأوون الفقراء وعابري السبيل، وإنما كان مقصده من وراء ذلك نيل الأجر والثواب عند الله عز وجل.

وقد كان إضافة إلى علمه شاعرا مفلقا نظم في العديد من الأغراض الشعرية، العربية والحسانية.

توفي يوم 24 جمادى الثانية 1413 / 16 دجنبر 1992.

مقابلة مع محمد الأمين الكناوي يوم 25 أبريل 2006 بالرباط وهو الابن الأكبر لمترجمنا ؛ حبيب الله الكناوي، *شعر محمد الشيخ بن وديعة الله الكنتي*، بحث لنيل الإجازة في الآداب، جامعة ابن زهر، أگادير، ص. 19.

أحمد شيخي

الكنوشي، امبارك احماد هو مبارك ولد حماد ولد محمد الكنوشي نسبة إلى دوار الكنانشة وهو دوار يبعد عن مركز الثلاثاء اصبويا بحوالي ثلاثة كيلومترات وينتمي إلى فخذة اد ياكو. ويعتبر أحد أعيان قبيلة اصبويا وأحد حملة السلاح. يتميز بالشجاعة وكان مناهضا للقائـد الرسمـي الحسن بن عليات لأنه كان حينها طامحـا في قيادة القبيلة.

وكان يمارس التجارة وينتقل تبعا لذلك في قوافل تربط فيما بين آيت باعمران والصويرة، لتأتي محملة من هناك بالحبوب على ظهور الجمال مقابل الوبر والجلد. وأثناء تجارته تلك التقى بالتاجر الإنجليزي جيمس كورتيس James Curtis بواسطة رجل يسمى مولاي أحمد من أولاد أبي السباع يسكن بالشياظمة. ويعتبر جيمس كورتيس من أشهر التجار الذين كانوا يمارسون التجارة في المغرب بالصوير في القرن التاسع عشر. حيث كان يروج تجارة الحبـوب والزيت والأرز وتجـارة الأسلحـة

التي كان يبيعها للمخزن. وتوطدت علاقة مبارك ولد حماد التجارية بالتاجر الإنجليزي. ومن خلال ذلك دعاه لتقريب تجارته من السوق الباعمرانية وحتى من قبائل تكنة ككل وذلك بإنشاء مرسى هناك باصبويا. فأبحر التاجر الانجليزي بسفينته ومعه نصراني آخر ومترجم وعين له المكان وهو شاطئ صغير يقع على مصب وادي أكجكال الذي سمي بأركسيس.

وقد نشطت التجارة هناك لكثرة الطلب على تلك المواد علما أن تلك السنوات كانت سنوات عجاف. وبدا يتاجر مع أناس المنطقة حيث زودهم بمواد غذائية مثل الأرز والحبوب الزيت والشاي. وأصبح ذلك المكان هو مركز سوق قبيلة اصبويا قبل أن يتم إحداث سوق القبيلة في مكانها الحالي. وقد اشتغل مع التاجر الانجليزي في مركزه التجاري مجموعة من الرجال من قبيلة اصبويا في الحراسة ونقل البضائع والطبخ. ونذكر من بينهم عبود الغول الذي كان طباخا لديه وهو من أهل علي سالم من مجاط وآخر من أهل لشهب من اداياكو وآخر يسمى كاردن من قبيلة أولاد أبي السباع.

وزار السلطان المولى الحسن الأول اصبويا في سنة 1299 للحيلولة دون دخول الأوروبيين إلى الشواطئ الجنوبية للمغرب. ولما علم بنزول كورتيس هناك، بعث بمولاي الكبير أخا مولاي علي الذي تضاف إليه عرصة مولاي علي الكائنة بإزاء مسجد الكتبية بمراكش ومعه القائد محمد بن الطاهر الدليمي يحملان أمراً بأن تنهض القبائل من ماسة وبعقيلة ومجاط وما وراءها إلى آيت باعمران، فنزلوا بتراب قبيلة مستي الباعمرانية المتاخمة لقبيلة اصبويا. وبدا يبحث عن أعيان القبيلة وأكرمهم بهدايا جليلة ثم تلا عليهم ظهير السلطان يطلب منهم أن يمعنوا التأمل فيما صنعوه ودعا لهم السلطان في آخر الظهير دعاء حارا إن قاموا واخرجوا الأجنبي من بين ظهرانهم، وأعلنوا أنهم عند أمر السلطان.

واستدعى النصراني يستفسره بأمر من خرج هناك. وطلب منه النصراني أن يمهله ثلاثة أيام. وفي اليوم الثالث هيأ النصراني زورقا يريد أن يفر من خلاله غير أن الحراسة كانت محدقة به. وطلب العلامة الجليل سيدي الحسين بن عبد الله والفقيه سيدي علي بن همو من القائد محمد بن الطاهر أن يعجل بإلقاء القبض على الإنجليزي قبل أن تتم مؤامرة يدبرها في الخفاء الحبيب بن بيروك من وادي نون. وأمرهم القائد فاعتقلوا الإنجليزي ونصرانيا آخر كان معه مع الترجمان. فذهبت بهم الخيل إلى دار القائد الحسن بن عليات. ولما اعتقل الانجليزي وعاد محمد بن الطاهر إلى مستي تفرقت القبائل. ومن تم عاد بن الطاهر ومن معه عن طريق آيت باعمران ومعهم التاجر الانجليزي. وقد ذهب معهم القائد الحسن بن عليات ورؤساء قبيلة اصبويا والقاضي سيدي الحسين. وكانت الغاية أن يصلوا إلى السلطان ليكرمهم على تنفيذ أوامره. وذهب الشريف مولاي الكبير ومحمد ابن الطاهر بأهل اصبويا إلى السلطان فأكرمهم واحتفل بهم وقد ألبسهم وحملهم على الخيل بسروج جديدة كما أعطاهم مالا فرجعوا شاكرين. واستخرج محمد بن الطاهر رسالة ملكية جاء فيها أن يسلم الانجليزي ومن معه إلى القائد الحاج أحمد الكسيمي وذهب هذا الأخير بالانجليزي إلى الصويرة.

وأثر تلك الأحداث فر أمبارك وحماد الكنوشي إلى وادي نون وكان ذلك سنة 1301 هجرية. وصادف الأمر أن رست باخرة أخرى قيل أنها ألمانية في فم وادي اسكا بقبيلة اصبويا وعلى متنها نصارى عرفوا حينها بأكل الضفادع. وقام هؤلاء بتوزيع بعض الأسلحة على الناس من اصبويا ومن آيت ساعد إحدى بطون قبيلة آيت الحسن التكنية. ووزعوا على كل قبيلة بنادق من نوع الخماسيات حسب فخذات كل واحد منها لمن وجدوا حينها من الأشخاص بالقرب من شاطئ البحر. وكان من بين رجال اصبويا محمد امبارك بزو والمختار ولد علي الشين وسعيد أبيه السماهري، ومن بين رجال آيت ساعد حيسون ولد حماد وزيدان.

وصادف هذا الحدث أن اعترض سبيل المختار ولد علي الشين مجموعة من رجالات قبيلة آيت موسى وعلي التكنية عند سيدي المشهور في منطقة أسيل شرق رأس الطارف يريدون منه البندقية التي حصل عليها من النصارى علما أنه هو وبعض رفاقة في ضيافة (مغفرينهم : لا يلحقهم ضرر) آيت ساعد.

وأثر ذلك طلب آيت ساعد من اصبويا أن يتعاونا فيما بينهما ويغيرا على آيت موسى وعلي لرد الاعتبار. وهم في طريقهم إلى دوار الأبيار مكان تواجد آيت موسى وعلي، وجدوا كرارة / أرض صالحة للحرث ناضج زرعها تسمى كرارة المعلم، وأطلقوا خيلهم لترعى فيها. وصرخ المعلم وهرع لأبناء عمومته آيت موسى وعلي وقال لهم إما أن تساعدونني على درء ضرر هؤلاء، أو أن أقدم لهم الذبيحة لأتجنب ذلك. واتوا لمساعدته، ونشبت بينهم الحرب وكان ذلك سنة 1914.

وعلى إثر هذه الحوادث كلها، أتى القائد سعيد الـگـلولي الحيحي بقوة عسكرية كبيرة، ومن بين ما كلف به القبض على امبارك احماد الكنوشي ورفاقه. وقد سلكت هذه القوة الطريق الساحلية وأتت مع سهل النعالة ووادي أكجكال من تراب اصبويا وقبض فيها على ستة أشخاص، منهم : مبارك أجامع من اداي واثنان من أهل لشهب وواحد من الركيبة وكلهم من فخذة اداياكو بالإضافة إلى شخص آخر. ومن تم ذهب القائد الكلولي وجيوشه إلى وادي نون وفيها قبض على امبارك احماد الكنوشي في منزل ابنته في تسكنان قرب حاضرة تاگـاوست الشهيرة. واقتيد الأشخاص السبعة إلى الصويرة، ومكثو مدة طويلة في سجنها إلى أن توفوا هناك. وقيل أنهم في مقبرة هناك بباب الصويرة.

وشاءت الأقدار أن قبض على أحد الأشخاص يدعى الحسين الشيهب وأحد رفاقه وهو من اد عبد الله وإبراهيم إحدى فخذات اصبويا متهما بالسرقة وأدخل السجن بالصويرة وخرج منه حيث لم يمكث طويلا، والتقى أثناء وجوده بالسجن بمبارك احماد الكنوشي يفترش جلد رأس غنم (الويش / هيدورة) خال من الشعر وذا لحية وشعر قد غطى وجهه، ولما عرفه قال له : ما هذا ياعمي

امبارك ؟ فأجابه مبارك ولد حماد الكنوشي : إذا سلمت مائة مبارك من الجوع والسغب في اصبويا، فليقع لمبارك ما عسى أن يقع له.

مقابلات مع مسنين من قبيلة اصبويا في صيف 1998 وفي شتاء 2008 ؛ عبد الرحمان بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ج 2، المطبعة الوطنية، 1930 ؛ المختار السوسي، *المعسول*، ج 15، مطبعة فضالة، المحمدية، 1960 ؛ خالد بن الصغير، *كورتيس وشركة سوس وشمال إفريقيا*، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أگادير، نونبر، 1993.

محمد شرايمي

كوپولاني، گزاڤيي أنطوان، (Coppolani Xavier Antoine) من مواليد جزيرة كورسيكا عام 1866، هاجر مع والده إلى منطقة قسنطينة الجزائرية ضمن أفواج المعمرين الفرنسيين من نفس الجزيرة الذين استوطنوا المنطقة المسماة سيدي مروان. انطلق مشواره الدراسي في مدارس قسنطينة التي أحدثها الفرنسيون خصيصا للمعمرين. بعد تخرجه اشتغل كاتبا في مقاطعة المدينة، ثم غادرها لاجتياز الخدمة العسكرية الذي أنهاها برتبة ضابط في الإدارة داخل فيلق القوات المساعدة. في 1889 اشتغل كسكرتير في جماعة واد الشرف تحت إمرة أحد الإداريين الفرنسيين العارفين بالأمور الأهلية بالجزائر وهو برنل (Bernelle)، ومنه أخذ معارفه حول "سيكولوجية الفلاح والولي"، وفي نفس السنة اجتاز بنجاح امتحان السنة الأولى حول التشريعات الجزائرية والتقاليد الأهلية ثم اختبارات اللغة العربية. احتكاكه بالإدارة والأهالي وأوحى له بتقديم مشروع تأليف ضخم حول مكانة الزوايا الدينية لدى مسلمي شمال إفريقيا. أنجز في البداية منوغرافيا صغيرة حول المنطقة التي كان يقيم فيها وهي منطقة العمارية التي درس فيها مبرزا الدور الذي تلعبه الزوايا وسط الأهالي، عرباً وأمازيغ، والتي أخرجها إلى الوجود خلال 1893، من خلالها ولج عوالم التصوف بمختلف مظاهره، مقدما شرحا لمسألة ذكر وحب الله لدى المسلمين والسبل لتي اعتمدوها كقدرة التصرف والتأثير في القوى الطبيعية لبلوغ الجنة وذلك عبر مقارنته بين مختلف الزوايا. ويعد عمله تكميلا لأعمال سابقة لمستشرقين مثل "دوڤيريي" (Duveyrier) و"لوشاتليي" (Lechatelier) والكومندان "رين" (Rinn).

في 1895 نودي عليه للالتحاق بمصلحة الشؤون الأهلية والأشخاص العسكريين في نفس الوقت ونائبا لأوكتاف ديپون (Octave Depont) المسئول عن الإدارات المختلطة في الجزائر، وذلك لإنجاز مشروع بحثهما المشترك حول "أنشطة الزوايا الإسلامية في العالم". وامتد اشتغاله بالموضوع إلى جانب رئيسه ديپون إلى غاية 1898 حين ظهر عملهما الضخم تحت عنوان "الزوايا الدينية الإسلامية" بعدما استعان بخبرته الميدانية وسبره أغوار رفوف الخزانات المليئة بمقتطفات صحف الشرق، والسجلات المحتوية على تدوينات وإحصائيات وتقارير ضباط المناطق داخل الجزائر وتقارير القناصل في البلدان الإسلامية. وقد أبرز في كتابه أهمية بعض الزوايا الدينية الممتد إشعاعها النفوذ وقدراتها الأخلاقية والمالية لاكتساب دور في الحياة السياسية.

وتم اقتراحه من قبل الحاكم العام "لـپين" (Lepine) لوزير المستعمرات "هانوتو" (Hanoteau) لقيادة بعثة استعلاماتية في إفريقيا، إلا أن المشروع لم ير النور، مما اضطر الجنرال (De Trentinian) إلى تكليفه ببعثة نحو السودان والساحل الأطلسي للعمل على استمالة السكان للجانب الفرنسي من خلال بعثة انطلقت من سان لوي لتزور عدة قبائل منها قبائل الحوض وأولاد علوش ومشظوف وأزواد ونظرا لخبرته بالتقاليد واللغات المحلية، فقد استطاع استمالتها وجعلها تقدم الطاعة للكولونيل "ڤيمار" (Vimart) حيث امتدت بعثته حتى تومبوكتو.

وعند عودته من هذه البعثة، قدم حصيلة إنجازاته في الصحراء وبرنامج عمل حول نظام وتوزيع القبائل خاصة المسلمة منها، والسياسة الممكن اتباعها في الصحراء. هذا الشروع أفضى إلى إحداث منطقة نفوذ فرنسية، سميت ب "إفريقيا الغربية الفرنسية" (A.O.F.) مشروع جعل كوپولاني يفكر في خلق مصلحة خاصة للشؤون الإسلامية في سان لوي وذلك في العام 1901، منطلقا في الجهة اليمنى لنهر السنغال ملتقيا بزعماء القبائل وشيوخها أمثال "الشيخ سيديا بابا" و "الشيخ سعد بوه" الذين استطاع ربط علاقات وطيدة معهم. وفي دجنبر 1901، أرسل تقريرا إلى رئيس الوزراء حول مجمل الإصلاحات والبرامج المفروض نهجها في هذه المناطق، وفعلا لقي ترحيبا لدى السلطات الفرنسية في باريس في مارس 1902، إذ وافقت اللجنة الوزارية على اقتراحاته حول الشؤون الإسلامية بالمنطقة وفي نفس الشهر عين مبعوثا رسميا عاما للحكومة الفرنسية إلى موريتانيا.

ونظرا للعلاقات المتشعبة بين مختلف قبائل المنطقة وصعوبة استمالتها، فإنه استغل التطاحنات القائمة بينها سعيا لجلب القبائل ذات الصيت الكبير بل والتدخل لإقامة الصلح بين الزعماء المتنافسين على السيادة، كزعماء ترارزة خلال 1903. وقام بإحداث مركز عسكري في نواكشوط لردع القبائل المهاجمة وإخضاعها، مثل البراكنة الذين رضخ زعيمهم، ومحدثا لمراكز عسكرية أخرى على طول المسالك في حوض السنغال لحماية الرحل من حملات النهب المنتشرة في المنطقة.

مع نهاية العام 1904، انقلب ولاء بعض القبائل التي كانت في جانبه كالبراكنة التي تحالفت مع محاربي إيدوعيش في تگانت مما دفع إلى توثيق الصلات بالقبائل الموالية والقيام بحملة عسكرية في قبائل تگانت وأدرار لإخضاعها في 1905. وهو ما تحقق في أبريل من نفس السنة حين بلغ الجيش الفرنسي منطقة تجكجا في الواحات حيث قبيلة كنتة، ساعيا في نفس الوقت لبلوغ مدينتي أطار وشنقيط رغم صعوبة إخضاع قبائل المنطقة التي كانت تابعة للشيخ ماء العينين. غير أن طموحه هذا انتهى بمقلته في 12 مايو 1905 من طرف محاربين ينتمون للطريقة الغظفية تحت أمرة سيدي الصغير ولد

مولاي الزين وهو ما اعتبر رد فعل قوي من قبل الشيخ ماء العينين. وتم دفن جثته بمنطقة تجكجا لينتهي المسار العسكري لهذا الفرنسي المولع بموريتانيا.

ولم تقتصر أفكار وآراء كوپولاني حول التوسع العسكري الفرنسي في إفريقيا الشمالية الغربية على موريتانيا، وإنما اعتبر احتلالها نقطة انطلاق للزحف على المغرب ل "احتلال الإمبراطورية الشريفة"، رغم القيود التي تفرضها اتفاقية 7 ماي 1900 بين فرنسا وإسبانيا، وهو ما احتواه تقريره ل "فالديك روسو" (M.Waldeck Rousseau) حول الوسائل الممكنة لاحتلال المغرب، مركزا أولا حول استعمال السلاح لتسود فرنسا ثم الاعتراف بالسلطان وتدعيم مكانته، مبينا وضعية فرنسا في المنطقة وسط أطماع الدول الأوربية الأخرى، مقدما تحليلا لبنية المجتمع المغربي وعلاقته بالمخزن منذ حكم الأدارسة ودور الجماعة في القبيلة وعلاقتها بزعمائها وأدوار الزعامات الدينية في المجتمع، قائلا : "فبموقعها في شرق وجنوب المغرب الكبير، يمكن لفرنسا وبكل سهولة التأثير في هؤلاء الزعماء المحاربين والدينيين لجلبهم تدريجيا إلى صف فرنسا، وضمهم إلى مراكزنا في ساحل إفريقيا الغربية، وهكذا سيتم تفكيك هذه الدولة الكبيرة التي تعتبرها الحكومات الأوربية، من خلال سعيها وراء مصالحها الدبلوماسية والسياسية، دولة موحدة لا تتواجد إلا على الخريطة وهي الحقيقة المنافية للواقع". على هذا الأساس ستشارك موريتانيا في شؤون شمال إفريقيا، ومنها سينطلق الزحف الفرنسي على الأراضي المغربية - حسب تقريره - مستدلا بفكرة صديقه راندو (Randau) عندما شبه العمل الذي ستقوم به فرنسا ب "زحف المرابطين المنطلق من السنغال نحو الشمال لحكم المغرب وإسبانيا".

أما الانتاج الفكري لكوپولاني، دون ذكر تقاريره العديدة المحفوظة في دور الأرشيف، فيتجلى في :

Les Confréries religieuses musulmanes, Jourdan, 1897, 576 p. (avec participation d'O. Depont) ; «*Plan d'ensemble d'organisation des Tribus maures*» en 1899 ; *Rapport d'ensemble de ma mission au Soudan français*» (adressé au Général de Trentinian) en 1899 ; création de *la Revue «franco-musulmane»* (mars à octobre 1903) ; Hommes et Destins (*Dictionnaire biographique d'outre Mer*), Tome 1er, publication de l'Académie des Sciences d'outre-mer, Nouvelle série, n° 2, paris, 1975 ; Robert Randau, *Un Corse d'Algérie chez les hommes bleus : Xavier Coppolani le pacificateur*, Imbert Editeur, Alger, 1939.

محمد العبوتي

گـوفيـا : من الكلمة الإسبانية (Gofio)، وهو دقيق ذرة محمص عرفه أهل الصحراء نتيجة اتصالهم بسكان جزر الكناري، خاصة نهاية القرن التاسع عشر. وكان سكان الكناري بعض حصادهم لحبوب الذرة يطحنونها في رحى من الحجارة ويعدون منها طعاما عبارة عن عصيدة شكلت الغذاء الأساسي إلى جانب الثروة السمكية، كما كان المسافرون العابرون بحرا نحو أمريكا يتخذونها مؤونة لهم في الطريق. وهذا الغذاء النباتي يحتوي على قدر معين من الفيتامينات والبروتينات والألياف والمعادن المغذية لجسم الانسان. كما كانت گوفيا حاضرة في الغذاء اليومي للكناريين. لكن لما تعرف سكان الصحراء على هذا المنتوج النباتي أخذوا يعدون منه نوعا من المأكولات يدعى "بلغمان" وهو عصيدة تعد بالماء الساخن وشيء من السمن أو زيت الزيتون "زيت أوليبا" ؛ كما كانوا يعدون منها حساءً يدعى "انشا گوفيا" ؛ أو يعدون منها مشروبا بارداً لإطفاء حرقة العطش يدعى "أزريگ" "گوفيا". وقد تراجع استهلاك گـوفيا اليوم في الأقاليم الصحراوية بفعل توفر أنواع عديدة من المشروبات الساخنة والباردة وتعدد الوجبـات المتنوعـة. ومع ذلك فهناك معمل لانتاج گوفيا بمدينة العيون حيث تباع في شكل علب بلاستيكية عند باعة التقسيط.

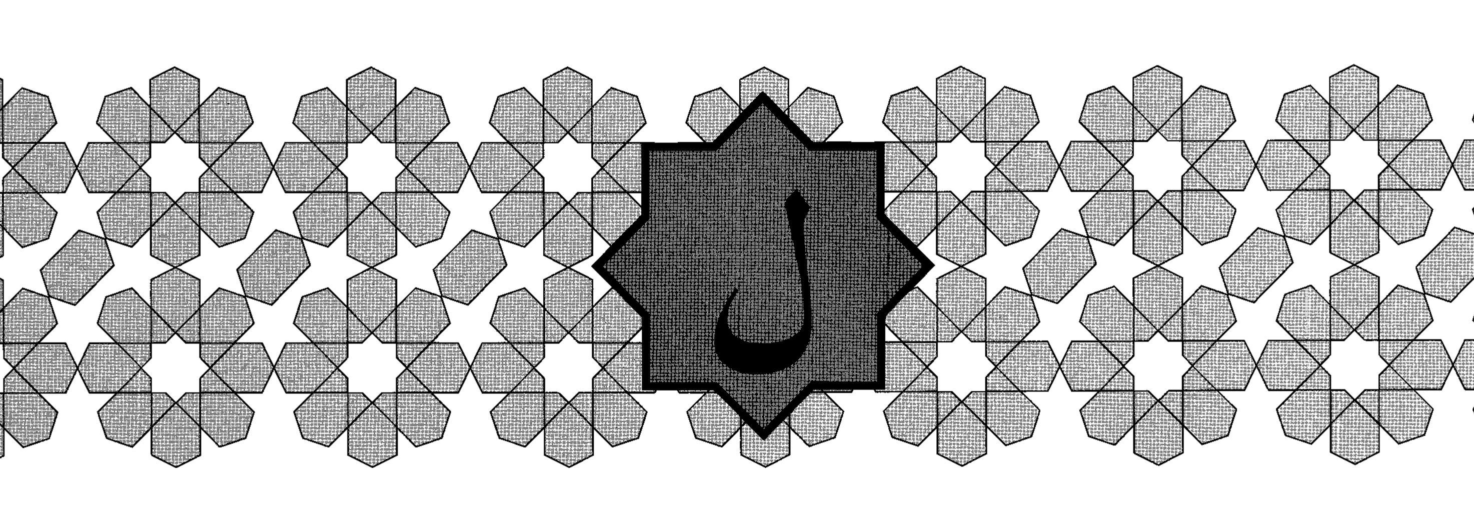
F.J. De Abreu Galindo, Historia de la conquista de las siete islas de Canaria, Goya, Santa Crug de Tenerifa, 1977 ; Manuel Mora Morales, *El libro del Gofio*, Editorial Globo, Santa Cruz de Tenerife, 1986 ; Andres coll, villa çisneros, Toledo, 1937.

كيروگـا، فرانسيسكو (Quiroga Francisco) إسباني باحث في العلوم الطبيعية، ولد في أرانخوث (Aranjuez) باسبانيا سنة 1853. وكان أستاذا في متحف التاريخ الطبيعي بمدريد، التحق ببعثة علمية أرسلت إلى وادي الذهب سنة 1886 من طرف جمعية الجغرافية التجارية الإسبانية (Sociedad Geográfica Comercial). ورافقه في تلك الرحلة كل من فليپـي ريـّـو (Felipe Rizzo) وخوليو ثربيرا بابيرا (Julio Cervera Baviera). وقد انطلقوا من مركز الداخلة على شاطئ المحيط الأطلسي في شهر ماي سنة 1886 رفقـة مغربيين من منطقـة الريف وبعض الأدلاء من الصحراويين. وبعد رحلة مخيفة عبر منطقـة تيرس حيث مرض كيروگـا، وصلوا منطقـة سبخة إيجـل، وبالقرب منها وقـعـوا على إتفاقيات في 12 يوليوز 1886 مع مجموعة من الزعماء المحليين وأميـر آدرار أحمد بن أحمد بن عيدة، غايتها تسهيل المبادلات التجارة ما بين منطقة آدرار والشاطئ الأطلسي. بعد ذلك عاد هؤلاء المستكشفون إلى الساحل.

توفي كيروگـا سنة 1894 بإسبانيا.

Revista de Geografia comercial y mercantil, Vol. I, Madrid, 1903 ; *Africa*, vol. VI, N° 86, Febrero, 1949, Madrid ; *Revista de Geografia comercial*, julio-Septiembre, 1886, Madrid.

محمد دحمان


ل

لباس الصحراء، اللباس مكون من مكونات الطيف الثقافي لمجتمع الصحراء، لأنه يمثل معيارا من معايير التعريف الثقافي ل "تراب البيضان" حيث يتم تجاوز المفهوم الجغرافي الضيق إلى مفهوم أشمل تلتقي فيه الجغرافيا والتاريخ والعادات واللباس ونمط العيش والسكن. ومن هذا المنطلق، فإن اللباس الأزرق والأبيض والأسود يعطي صورة واضحة عن سيادة الثقافة الارتحالية التي يمكن أن نبحث فيها عن وجوهها الرعوية والهجراتية والتجارية والعسكرية.

فعلى المستوى الاقتصادي، كان اللباس، إلى جانب مواد أخرى من أهم وسائط التبادل التجاري التي كانت تحكم العلاقة بين الصحراء والسودان الغربي. وقد شكلت البيصة (وحدة من القماش)، ولبنيگة (وحدة من نسيج السودان) أساسا للتبادل، حيث كان تبادلهما يتم مع الذهب والملح والودع وصغار المواشي مثل الجذعة من الغنم والحگ (جدع الإبل). وليس من الغريب أن يسجل غياب النقود كوحدة للتبادل. وفي هذا الباب أورد الشيخ ماء العينين في رحلته الحجازية ما نصه : "إن بلادنا لا يعرف أهلها دينارا ولا درهما فاعتبروا غاية وقالوا لي بم التصارف عندكم فقلت بالأنعام والأثواب". ويسير محمد الأمين الشنگيطي في نفس الاتجاه حيث يشير إلى أنه "بقي أن نتكلم على ما يتعاملون به بينهم، عوض الدراهم فإن أكثر ذلك إنما هو القماش والغنم وكل جنس المواشي المعروف الأثمان. فالبيصة، وهي علم على ثلاثين ذراعا من القماش مثل الريال عند غيرهم فيقولون بكم تبيع هذا العبد أو الجمل، أو البقرة مثلا فيقول بعشر بيصات، والبيصة نوعان : نوع خشن وليس بالجيد ونوع جيد يسمى "الميلس". وورد عنده كذلك ما نصه : "ومما يأتي به جالب الملح من السودان القماش المعروف بالأكحل ويسمونه الأنصاف، وأردية يسمونها دماس. وقد شكلت الأقمشة ولاسيما النيلة، حسب الفرنسيين، أوراق الصحراء النقدية (les billets du desert). وبناء على هذه القيمة المادية، أصبح الخنط يقايض بالصمغ ببضائع متنوعة. فقد تحدث أحد الرحالة الأوربيين "أن القماش الغيني كان يقايض بالصمغ العربي". وكانت قطعتا القماش الغيني الأزرق المستورد من وادي نون تقايضان بكيلو غرام واحد من ريش النعام. أما ثمن قطعة القماش من الدخن أو الذرة البيضاء فهو ثلاثون متارا (هو وحده كيل للحبوب تبلغ 20 مدا)، في حين تقايض قطعة القماش بمائة قالب من الدهن (يتراوح القالب بين 1 و2 لتر حسب المناطق). وللإشارة، فإن المنطقة تزود بالخنط عبر محطتي وادي نون وسان لوي. وقد اعتبر الخنط (الثوب) من آليات التثاقف السلمي بين "العجام" (المقصود بهم الطوارق) وحسان، وثمرة من ثمرات الحراك الثقافي بين الصحراء والسودان الغربي.

وعلى المستوى الاجتماعي تظهر ديمومة اللباس التقليدي في أوصاف الألبسة التي كانت في القرنين السادس عشر والسابع عشر، وقد استمر استعمالها لمدة ثلاثة أو أربعة قرون فيما بعد أي حتى بداية النصف الأول من القرن العشرين وأغلبها لازال إلى حد الآن. وتعود هذه الديمومة إلى كون تلك الألبسة كانت متأقلمة مع ظروف الحياة الاجتماعية والظروف المناخية. وقد كان اللباس حاضرا في أمثال وحكم الصحراء من قبيل ما يدعى ب "فرو دليمية". فالفرو معروف، والدليمية نسبة إلى أولاد دليم، ويقال أنه كان لها أولاد إذا بكوا من شدة البرد كانت تهددهم بأنهم إذا لم يكفوا عن البكاء تلبسهم فروا مخرقا يزيدهم بردا ويضربونه مثلا فيما يكون ضره أكثر من نفعه. وتروج أيضا في أوساط الوعي الجمعي في الصحراء الحكمة القائلة بأن "منت عم الراجل سروالو" إنها مقولة هينة في مبناها لكن حمولتها متشعبة، فهي تحث على السترة حيث أن المرأة هي بمثابة غطاء للرجل ومساند له في كافة متاعب الحياة من منطلق أنها كانت تحظى بمكانة متميزة داخل النسيج الإجتماعي. ومن دلالات هذه الحكمة أيضا تمتين التحالفات الداخلية بين أفراد القبائل ومن تم تعطى الشرعية العرفية والقبلية للزواج الداخلي "endogamie" أي زواج الأقارب، وهي ظاهرة لازالت تحتفظ بها بعض القبائل خاصة الزاوية منها. وفي اتجاه مغاير

تظهر المقولة التالية "دفوا أمناتكم بالرجالة ملحفة وإزار" تشخيصا على تمتين التحالفات الخارجية للقبيلة في علاقاتها مع القبائل الأخرى في إطار الزواج الخارجي "Exogamie"، وهي مقولة تأتي في سياق الصراعات القبلية التي ميزت مجتمع الصحراء حيث كانت كل قبيلة تدخل في صراع مع قبائل أخرى فكانت بذلك مرغمة على البحث عن قبائل حليفة. وكمحصلة لهذه المكانة الرمزية للباس، فإنه ينتقل من معناه الاجتماعي ليصور بعضا من حالات المجتمع العسكرية والسياسية. ويبقى اللباس حاضرا في الانتاجات المعرفية ذات البعد الديني. فقد عجت الفتاوى الدينية بحالات متعددة خاصة باللباس لا لشيء إلا لأنها كانت تصور حالة المجتمع في بعض تفاصيله الدقيقة. فقد ورد في مخطوط فتاوى إبن الأعمش العلوي أنه سئل عن "حامل اشتهت دراعة كحلاء (ملحفة) واشتراها زوجها بثلاث بقرات وأعطاها لها ودفعت له بقرتين في مكافأتها على قول الزواج وتركها مع بقر أهلها وفصلت الدراعة تارة تلبسها وتارة تضعها. وسئل الشيخ سيديا الكبير عن قيمة البعير من الخنط في الصداق فأجاب قائلا "وأما بعير الصداق فليس عندنا عرف في قيمته من الخنط ، لكن بلغنا أنه كان قبل زمان كثرة الخنط عند أهل الإبل من الزوايا وعند بني حسان يؤخذ عنه نصف بيصة والصواب عندنا في زمان كثرة الخنط أن البعير يدفع مقابل بيصة واحدة (ملحفة وإزار).

عبد الهادي عبد الرحمان، *التاريخ والأسطورة*، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، دجنبر، 1994 ؛ المختار ولد حامد، *حياة موريتانيا، جزء جغرافيا*، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، طبع دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994 ؛ أحمد بن الأمين الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*، مكتبة الخانجي للطبع والنشر، القاهرة، 1989 ؛ محمدو بن محمذن، *المجتمع البيضاني في القرن التاسع عشر*، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى، 2001 ح محمد المختار ولد السعد، *الفتاوى والتاريخ*، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 2000، ص. 63.

James. L. A. Webb. Jr. *Desert Frontier Ecological and Economic Change the Western Sahel*, 1600 – 1850, The University of Wisconson Press, London, 1995 ; D. Jacques-Meunié, *Le Maroc Saharien des origines à 1670*, Librairie Klincksieck, 1982.

عمر ناجيه

اللّبّ (أولاد -) قبيلة تنحدر من اللبّ بن الشويخ بن امحمد بن بويعلي بن امحمد بن امعرف بن دليم. لذلك فهم يشتركون في النسب مع قبيلة أولاد دليم المنحدرين من بني حسان. ترك اللب أربعة أبناء هم : أعلي وبهدل وداوود واحميدة. ومن هؤلاء تفرعت فخذات وأعراش أولاد اللب المعروفين في وادي الذهب وموريتانيا، وشكلوا قبيلة محاربة قوية تمارس الظعن في تيرس وتازيازت وأگشار وتجريت واينشيري. اشتهروا بالغزو وبالمهارة في القتال، حيث دخلوا معارك عديدة مع قبائل آدرار التمر وأولاد أبي السباع (معركة تابرنگوت في أمساگة 1320 - معركة أزفال سنة 1281 - معركة آغوييت سنة 1307 - معركة آحبارى سنة 1317 - يوم اصطيلت تنگرمش - تشانيت سنة 1218). وبسبب مداومتهم على المعارك، تعرضوا لتقلص قوتهم وإنكماشهم نحو منطقة إينشيري حيث بدأ بعضهم يتعاطى للزراعة إلى جانب أولاد أبي السباع وأهل بارك الله بمنطقة المدنة. وتربط بين أولاد اللب المحاربين وقبيلة أهل بارك الله الزاوية علاقات روحية تاريخية قديمة. وقد ظهر داخلهم مجموعة من الزعماء الحربيين والسياسيين الذين استطاعوا بسط نفوذهم على كل من أولاد اللب وأولاد دليم، مثل محمد بن لفظيل المعروف بأيدة الذي عاش في القرن التاسع عشر، وكذلك الزعيم علي بن لفظيل المعروف بأغموگة. وتوجد فروع من أولاد اللب دخلت مجموعات قبلية أخرى بفعل الحروب والتدافع ما بين القبائل مثل أهل الحاج في اتوات، وأهل هنون خاصة منهم أهل داهي في ايدولحاج بآدرار التمر، وأهل سيد أحمد بن سيد عمر في أولاد أبي السباع، وأهل الزين مع الشرفاء أهل اشمده الذين في ايديشلي ومن أولاد سالم العفافنة في اتوات، احمد ديدة في مشظوف وأهل بداه في الحوض. وخلال معارك المقاومة في بداية القرن العشرين، شارك أولاد اللب بالرجال والسلاح في معارك حامية الوطيس ضد القوات الفرنسية في تيرس وآدرار التمر وتيرس - زمور، وفي الترارزة والحوض ومالي. ولما صارت الساقية الحمراء ووادي الذهب تحت حكم الإدارة الاستعمارية الإسبانية، بقي أولاد اللب بعيدين عن المراكز العسكرية يمارسون الترحال والقنص، ما عدى بعض الأفراد الذين انخرطوا في سلك الجندية وهم قلة. وقد قامت الإدارة الإسبانية بضم أولاد اللب إلى مجموعة قبائل أولاد دليم بدل أن تعترف بهم كقبيلة مستقلة لها ما يميزها عن القبائل الصحراوية الأخرى رغم الأصل المشترك ما بينها وبين أولاد دليم. واليوم توجد بعض عائلات أولاد اللب في كل من الداخلة والعيون وانواذيبو وانواكشوط واگجوجت.

المختار ولد حامد، *حياة موريتانيا* : الجغرافيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992 ؛ *حياة موريتانيا*، الجزآن، 26 و30، منشورات الزمن، الرباط، 2009 ؛ محمد سالم بن عبد الحي، *جامع المهمات في أمور الرقيبات*، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1992.

Donnet Gaston. *En Sahara à travers les pays des Maures nomades*, H. Mary, Paris. 1898 ; *Une mission au Sahara occidental*, Librairie Maritime et coloniale, Paris, 1896 ; Coronel Domenech Lafuente. *Algo sobre Rio de Oro*. Madrid, 1946 ; Jose Enrique, del Barrio. *Tribus del Sahara*, Aiun, 1973.

محمد دحمان

لبيرات (معركة -) 1 صفر (10 يناير 1913) هذه المعركة التي وقعت داخل التراب الموريتاني، تم الإعداد لها بالساقية الحمراء من طرف الشيخ محمد الأغظف بن الشيخ ماء العينين وأعيان قبائل الرقيبات وأولاد دليم

وتكنة والعروسيين وأولاد تيدرارين وغيرهم. فاجتمع لها زهاء ثلاثمائة مقاتل جلهم من الرقيبات. وارتأى الشيخ محمد الأغظف أن تسند قيادة الفرقة إلى محمد بن الخليل بن علي بن الدخيل التهالي، وتمت الموافقة. في يوم الجمعة 1 صفر 1331 (10 يناير 1913) وصلت مجموعة المجاهدين إلى المعسكر الفرنسي عند "البيرات" التابع لقيادة آدرار دون أن يشعر بها أحد، لأن المجاهدين كانوا يسيرون في الليل ويكمنون في النهار بعد أن حصلوا على معلومات هامة عن حالة العدو وتحركاته. وقبيل الفجر بلحظات لم يشعر المعسكر الفرنسي إلا وزخات الرصاص الكثيفة تزرع الموت بين عناصره في عز نومها فاستبد بها الفزع والصياح والهروب في جميع الاتجاهات وسط فوضى عارمة، وما هي إلا لحظات حتى تمت إبادة جميع من بالمعسكر، ولم ينجح سوى جريح واحد من "الگوم" عُدّ من الموتى. وقد وصف سعد خليل هذه المعركة قائلاً : "استطاع الأغظف، شقيق الهيبة أن يشكل قوة كبيرة جيدة التسليح من رجال قبائل الرقيبات وأولاد دليم. وتقدمت هذه القوة مستترة بكثبان الرمال في اتجاه هضبة آدرار، وفي 10 يناير 1913 فاجأت وحدة الهجانة الفرنسية التي يقودها الملازم مارتان في منطقة "البيرات" وتمكنت من قتل قائد الوحدة وجميع الضباط وضباط الصف الفرنسيين، كما أبادت تقريبا معظم الهجانة واتسولت على أسلحتهم وذخيرتهم بالكامل وأخذت كل الجمال الموجودة". كما وصف الرائد الفرنسي جيلييه هذه المعركة مؤكدا أن عامل المفاجأة كان كاملا إلا أنه لم يعترف سوى "بمقتل 72 جنديا وإصابة 42 بجروح" وأن المجاهدين "غنموا 105 بنادق و20.000 رصاصة و500 جمل وجميع الأمتعة".

استشهد في هذه المعركة قائد الغزوة محمد بن الخليل بن علي بن الدخيل التهالي ومحمد بن السيد الوديكي الدليمي، وإبراهيم بن بوگرن الساعدي وحرمة بن الطيب وسيدي ابن إبراهيم بن الحسن وسيدي بن محمود بن عبد الهادي والحبيب بن إبراهيم الخليل ابن عبيد الله السكراني ومحمد البشير بن الجيد الموساوي وعبد الله بن محمد سالم بن علي سالم بن بوصولة والبكاي بن بابا أحمد بن سيدي يوسف.

وغنم المجاهدون في هذه المعركة، فضلا عن الأسلحة والذخيرة، زهاء 300 جمل و300 كيس من الرز و200 كيس من القمح و100 كيس من الفول السوداني و100 كيس من السكر وعدة صناديق من الشاي و500 رأس من الغنم و100 قنينة من الخمر ظنوها زيتا بادئ الأمر، فأهرقوها.

عن أصداء هذه المعركة يقول سعد خليل : أحدثت غارة البيرات دويا كبيرا في جميع الأوساط الفرنسية، فقد أعادت إلى الأذهان مأساة "المينان في يونيو 1908 التي أبيدت فيها القوة الفرنسية وقتل قائدها جورج مانجان. وفي موريتانيا وقع الخبر كالصاعقة. وفي فرنسا أثار هذا الحادث ضجة في الصحافة حيث خصصت جريدة "لوسييكل" Le siecle له مقالا نشرته يوم 2 فبراير 1913.

بيير بونت، Pierre Bonte : الغزو الفرنسي لآدرار 1908 - 1909، *مجلة مصادر*، نواكشوط، ص. 72 ؛ الرائد جيلييه Conmandant Gillier, *Pénétration en Mauritanie*, p. 225 - 226 ؛ سعد خليل، *تكوين موريتانيا الحديثة من الاحتلال حتى الاستقلال*، ج 2، ص. 475 - 478 ؛ الطالب أخيار الشيخ مامينا، الشيخ ماء العينين، *علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي*، ج 2، ص. 531 - 535.

ماء العينين مربيه ربه

لـتـفْـتـارْ (معركة -) 11 شوال 1326 / 15 أكتوبر 1908 جرت هذه المعركة في موضع "لـتْفـتار" وتميزت بالشراسة والسرعة إذ لم تستغرق سوى ساعتين فقط. واستطاع المجاهدون اقتحام الحظيرة المضروبة على قافلة المؤن، والاستيلاء على ما بداخلها من الثيران والمؤن والعتاد، وتدخل هذه المعركة في سلسلة الهجمات التي شنها رجال الشيخ حسنا ضد الوحدات الفرنسية. وقد تكبد فيها الفرنسيون خسائر كبيرة في الأرواح والمؤن والعتاد، وغنم المجاهدون قافلة مؤلفة من ثلاثمائة ثور، وقتلوا ثلاثين من الجنود من بينهم ضابط صف. وخسر المجاهدون اثني عشر شهيدا، من بينهم سيدي أحمد بن عبد العزيز بن حامني ومحمد عبد الله بن أحمد بن حبتْ وعبد الرحمن بن سيدي أحمد بن البشير الغلاويون والشيخ بن عبد الله بن محم عاشور العلوي الذي كان يتمثل أثناء القتال بقول جعفر بن أبي طالب يوم مؤتة :

يا حبَّذا الجنةُ واقترابُها ... طيِّبة وبارداً شرابُها

والرومُ رُومٌ قد دنا عذابُها ... كافرةٌ بعيدةٌ أنسابُها

عليَّ إذْ لاقيتُها ضِرابُها

وجرح عدد من المجاهدين من بينهم محمد فاضل بن الهادي والرَّيْشْراشْ بن حَنْبيبَة الاديشليان.

عن هذه الوقعة يقول الشيخ سيدي محمد بن حامني، قائد كتيبة المجاهدين : "تضاربنا معهم فيها واستشهد منا اثنا عشر وقُتل منهم نحو الثلاثين وأخذنا منهم 300 ثور بأخراصها من النحاس الأصفر. وهم قد حفروا ولم يخرجوا من حفيرهم، واستشهد أخٌ لي لم يوجد مثله وهو سيدي أحمد. ثم تحدث الشيخ محمد عن عدد من استشهد معه في الألوية التي قادها في معارك "دامان" و"المينان" و"المجرية" وقال : "فجميع من استشهد من المسلمين في هذه الغزوات الثلاث (أي دمان، والمينان، والمجرية) أربعة وأربعون رجلا. ومن قتل من الأعداء نحو مائة وخمسين".

تحدث الرائد جيلييه Gillier عن هذه المعركة، واعترف بأن المجاهدين استولوا على خمسمائة ثور بدلا من ثلاثمائة التي وردت في رواية الشيخ سيدي محمد، غير أنه لم يعترف إلا بسقوط الرقيب ألندْ وأربعة من الرماة وقال : "في أكتوبر 1908 هوجمت قافلة من زهاء 500 ثور حاملة المؤن إلى المجرية تحرسها مفرزة من

50 بندقية بقيـادة الرقيب ألنـدْ في بلدة لـثـفـتارْ، من قبل كمين من 100 من البيضان. وبعد ساعة من القتـال، قتل الرقيب وأربعـة من الرمـاة، وانسحب البيضان بعدما فقدوا 13 من رجالهم ولكنهم استولوا على قافلة الثيران بكاملها تقريبا".

وذكر بيير بونتْ هذا الهجوم وقال : "ففي أكتوبر 1908، بينما قافلة متوجهة إلى كيهيدي بعد أن وضعت حمولتها في المجرية بقيادة الرقيب آلنْـد، فـإذا بها تُباغت وتُـدمـر في لـثـفـتـارْ حيث قُـتل الرقيب آلنْـد والعديـد من رجاله".

وفي تلك الآونة، أي في 1 ذي القعدة 1326 تقوم مجموعة أخرى بقيادة أحمد بن مكيّـه والزين بن الهاشمي، وتهاجم وحدة فرنسية قرب المجرية. وقامت المجموعة بقطع أسلاك التلغراف وبعد اشتباك عنيف تمكن المجاهدون من قتل ثلاثة عشر من جنود الفرقة الفرنسية واستولوا على أسلحتهم، كما غنموا كمية كبيرة من قطع القماش. وعن هذا الهجوم يقول الشيخ محمد الأغظف في رسالة بعث بها إلى والده الشيخ ماء العينين : "... وأحمد بن إبراهيم بن مكيّة أغار على النصارى بقرب المجريَ وقتل منهم ثلاثة عشر وأخذ سلاحهم، وأخذ شيئا من الخنط (القماش) عليهم، وقتل أيضا ثلاثة من إدوعيش وأخذ مدافعهم، وأتى لأهله ومعه من التلاميذ الزين الهاشمي وابن العساوي".

ماء العينين الشيخ الطالب أخيار، *علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي*.

ماء العينين الطالب أخيار

اللثام، ثوب أسود طويل يضعه الإنسان الصحراوي على رأسه أو على عنقه ويكون للزينة خاصة أنه يناسب الدراعة، لكنه قد يوظف لغايات أخرى متعددة تلائم البيئة الصحراوية كالوقاية من حرارة الشمس أو من التقلبات المناخية المختلفة ويرى بعض العارفين بالبيئة الصحراوية أنه قد يستعمل في استعمالات أخرى فهو لحاف خفيف عند النوم زمن الصيف، أو منشفة عند الوضوء، وضمـادة عند الجروح، أو حبل عند الحاجة لعقل الإبل أو لجلب المياه بالدلاء من الآبار أو العيون كما وظف اللثام كقفة للم الأغراض عند التسوق.

محمد البوزيدي

لحجيلة، بنت **حمادي الكاسمي** لعريبي، لحجيلة بنت حمادي بن عدو بن الشيخ بن حمادي بن أحمد من فخذة لكواسم بقبيلة عريب، أمها تدعى الكورية بنت محمد عبد الله ولد أحمد من أهل لمجد فخذة الفقرا من قبيلة الركَيبات. كانت من النساء المتعلمات في القبيلة حيث حازت على نصيب لا بأس به من العلم على يد شيخها سيدي أحمد البكاي الكنتي. مما أهلها أن تتولى مهمة تحفيظ القرآن، وتعليم أبجديات الكتابة والقراءة لإخوتها وأبناء الحي. وما حازته من العلم أهلها لأن تكون من النساء الشواعر عند اعريب حيث نظمت القريض في مجموعة من أغراضه سواء الشعر العربي أو الشعر الحساني. وتعد من النساء النشيطات داخل مجتمعها، فبالإضافة إلى مهمة التدريس وشؤون البيت، كانت تقوم بمهمة التطبيب داخل الحي سواء من جانبه الروحي الديني، حيث عرفت بأنها كانت تقوم بالرقيا الشرعية، أو في جانبه المادي العضوي حيث كانت تتولى تطبيب العيون خاصة، فعرفت بإجراء مجموعة من العمليات الجراحية البسيطة على العين، كإزالة القرنية، أو الشعر من العين وغيرها.

- تزوجت من بوجمعة بن الحبيب من أولاد موسى من الركَيبات، ولم ترزق معه بأولاد، ثم تزوجت بعده بمحمد الشيخ بن سيدي العباس السباعي، خلفت منه ثلاثة أبناء، هم : لعباس، عالي، الزهرة.

توفيت سنة 1968.

تحريات ميدانية.

أحمد شيخي

اللّحمة، أو زناكة أو الأصحاب، هي فئة اجتماعية ثالثة داخل الهرم الاجتماعي البيضاني، إذ ينحدر معظم مكونات هذه الفئة من القبائل الصنهاجية المنهزمة في حروبها مع قبائل حسان المحاربة، والشأن نفسه ينطبق على المنهزمين من حسان، وعليه "فالزناكي قد يكون حسانيا أو زاويا فقد مكانته الاجتماعية وضربت عليه المغارم". وتضم اللحمة قبائل مجهولة النسب، قد تكون من سلالة حسانية غلبت على أمرها، واستلحمها بنوا عمومتها وهي بذلك مجموع القبائل المستضعفة التي أنهكتها الحروب والنزاعات، فصارت تابعة لسلطان حسَّان أو نفوذ الزوايا ترعى مصالحها وتؤدي المغارم، بيد أن صاحب *الوسيط* يشير إلى محاولات ازناكَـة أحيانا حمـل السـلاح لإسترجاع ماضيهـم. وذكر المختار ولـد حامـد مـن بين أصنـاف مجموعـات اللحمـة إلـى جانـب ازناكَـة منها : "الشعار والفنانين ومن انحاز لهم يشتغلون بالحدادة وصناعة الجلد وهم منحازون للزوايا غالبا ولهم عبيدهم ومواليهم ..." وتتكون هذه المجموعة من عدة فئات صغرى وهي :

- أزناكَـة: تدفع المغارم والهدايا لحسان وتعتبر ذلك أمرا واجبا دينيا تفرضه الشريعة الإسلامية، وقد تحمل السلاح لمساندة حسان في الحروب.

المعلمين / الصناع : وقال عنها المختار ولد حامد : "... من المعلوم أنهم لا يرجعون إلى أب واحد وإنما جمعتها الحرفة فمنهم من هو شريف الأصل، ومنهم من هو عربي محض والظاهر من حال أكثرهم أنه من السودان وفيها أئمة وأفاضلهم وعوامهم كسائر العوام بل هم خير من كثير"، يشتغلون بالصناعة التقليدية، كصناعة القطع الحديدية والأواني المنزلية والخشبية، وأيضا صناعة الأسلحة...، بينما يمتهن نساؤهم المصنوعات الجلدية. وهو المعبر عنه في كلام أحمد بن الأمين الشنقيطي : "وفيهم حدادون... رجالهم ونساؤهم

يعيشون من عمل أيديهم. فالرجال يصنعون الفؤوس والخناجر والغمد، والحدائد التي تكون آلة للحراثة،...، ونساؤهم يخطن كلما ما يصنع من الجلود". وهم أكثر ارتباطا بالزوايا من حسان.

إيكاون : يمتهنون الفن والموسيقى ويرتبطون بحسان، إذ يمجدون بطولاتهم ويشيدون بأمجادهم وخصالهم الحربية، وينظمون القصائد في مدحهم للرفع من معنوياتهم وحماسهم، ومقابل هذه الوظيفة التي يؤديها يحصل إيكاون على هدايا من حسان تجعله الناطق الرسمي ببطولاتهم والمخلد لذكراهم.

الحراطين : يقومون بالأعمال المنزلية والرعي والفلاحة في البساتين والحقول ويشكلون قوة انتاجية لما يوفرونه من طاقة ويد عاملة في ميدان الرعي وتربية المواشي وحفر الأبار ويحصلون على نسبة من المنتوج.

العبيد : يرى المختار ولد حامد، أن أصلهم سودان استرقوا زمن الفتح الإسلامي يقومون بكل الأعمال الشاقة التي تتطلب مجهودا عضليا. وعن طريق تجارة القوافل الصحراوية التي كانت تجوب مناطق إفريقيا الغربية، كان التجار يجلبون عددا من العبيد إلى جانب التبر، ويكفي إطلالة سريعة في المصادر الوسيطية لمعرفة حجم الرقيق المجلوب من السودان الغربي. ويعتبر كتاب *الرقيق في المغرب والأندلس* لعبد الإله بلمليح من أشهر الكتب الذي تناول وضعية العبيد من خلال أكبر عدد من المصادر التاريخية، هذا فضلا عن كتاب حكم مجلبي السود لأحمد باب التنبكتي). فحضور العبيد في مجال البيضان وفي المغرب وحتى أوربا ارتبط بتجارة القوافل الصحراوية. وقد عانى هذا العنصر البشري من الميز والاضطهاد، واستغلاله في المنازل والأعمال الشاقة، حيث كان هناك عبيد لدى عائلات كل قبيلة.

وعبر ابن الأمين الشنقيطي عن هذا التقسيم الثلاثي في هرم التركيبة الاجتماعية بمجال البيضان بقوله : "... فصار بهذا الاعتبار سكان شنقيط، ثلاثة أجناس، فالأول : كان يتوغل في البلاد ينشر الإسلام وهم المجاهدون. والثاني اشتغل بإحياء العلوم. والثالث اشتغل بإصلاح الأموال، وكان يدفع للمتعلمين الزكاة، ويعطي الإعانة للمجاهدين. فغلبت على الأول حسان. وعلى الثاني الزوايا. وعلى الثالث اللحمة". وإذا كانت فئات اللحمة تؤدي المغرم في جنوب ووسط مجال البيضان مقابل الحصول على الحماية، فإن هذا العرف في شمال مجال البيضان يتم عبر الذبيحة (شاة) أو تعركيبة (ناقة) يقدمها من هو في حاجة للحماية إلى قبيلة أو عائلة داخل القبيلة لحمايته.

أحمد بن الأمين الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*، بعناية فؤاد سيد، الطبعة الرابعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ومؤسسة منير، موريتانيا، 1409 / 1989، ص. 475 ؛ المختار ولد حامد، *حياة موريتانيا الجغرافيا*، ص. 30 - 105 ؛ أحمد بن سيدي، *موريتانيا الماضي المتحرك والمكان المؤثر الصراع ضد الطرد من الزمن*، الشركة الإفريقية للطباعة والنشر والإعلان، ص. 165 - 166 ؛ بوبريك رحال، *دراسات صحراوية، المجتمع والسلطة والدين*، دار أبي رقراق لطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2005، ص. 161 - 166.

الحسين حديدي

لَخْرزْ : كلمة حسانية تطلق على الأحجار الكريمة المعدة كحلي تتزين بها النساء، كان أهل الصحراء يجلبونه من بلاد السودان، وهو أنواع منها النيلة (خرز لونه أزرق)، والبلحة (حمراء فاتحة اللون)، والمرجانة (حمراء)، وأشريعة (صفراء)، والتغليگة (مختلفة الألوان) وعادة ما توضع في السبحة ما بين حباة من لونين مختلفين ؛ وهناك الكوس (قد يكون أخضر أو أحمر اللون)، وأشعيلة (لونها أسود)، وبقزز (لونه أسود، يتخلل الخرز). وهناك نوع رديء يدعى شكيت أنُّ، وهو خرز بلاستيكي يستعمل للوصل ما بين الخرز في السبحة. وهذا الخرز يصنع النساء منه سبحات منها الصرع، يوضع في الرقبة، ومنه لگلادة، وهي أكبر حجما من الصرع وتوضع كذلك حول العنق، واللِّيَّة وتوضع في اليد. وهذه الحلي المصنوعة من الأحجار الكريمة تختلف في شكلها وحجمها حسب الحالة الاجتماعية للأنثى، فإذا كانت فتاة عازبة لا تضع القلايد أو السبحة حول اليد وإنما يسمح لها بوضع ما يعرف بـ "اجدايل" على الرأس وتضم ثلاثة أنواع من الخرز، كما يسمح لها بوضع خرز يدعى "حَبْ شُوفُن". في حين يسمح للمتزوجات بوضع القلائد "لگلادة" في العنق و"لصراع" في اليد، وكذا يضعن السبحات من الخرز المزركش بالفضة. أما الإماء فكن مخصوصات بوضع نوع آخر من الخرز يدعى "الخور" كما يدعى "خرز الكوري". وفي ظل التغيرات الاجتماعية والاقتصادية المعاصرة تراجعت تجارة "الخرز" ولم تعد الأجيال الجديدة من النساء تتعاطى لهذا النوع من الحلي حيث حلت محلها الحلي الاصطناعية المتنوعة والرخيصة الثمن.

مقابلة مع السيدة فاطمة بنت أحمد سالم، الداخلة، صيف 2010 ؛ الشيخ محمد الإمام، *الجأش الربيط*، الرباط، 1955.

Jean Gabus, Sahara, *Bijoux et Technique*, à la baconnière, Neuchatel, 1982.

محمد دحمان

لعريبي، حمادي ولد الشيخ **الكاسمي** حمادي بن الشيخ بن امحمد بن حمادي بن موسى بن الشيخ امبارك بن أحمد بلالي بن الشيخ امبارك ينتهي نسبه إلى أولاد امبارك المغافرة من بني حسان أصحاب الإمارة الشهيرة من الگواسم من قبيلة اعريب. من أعيان قبيلة اعريب وشيوخها، تعد أسرته من بين بيوتات الزعامة عند اعريب، فجده الشيخ امبارك كان من شيوخ القبيلة ومن قوادها في حربها مع دوبلال. وكان كذلك الشأن بالنسبة لحمادي ولد الشيخ فقد تولى منصب الشيخ باعتباره زعيما سياسيا للقبيلة وليس زعيما دينيا. في عهد

الاستعمار. ثم ولاه المغفور له محمد الخامس على قبيلة اعريب بعد الاستقلال، كما هو مثبت في الظهير الشريف المؤرخ ب 10 شعبان 1351 الذي عين بموجبه "خديم المقام العالي بالله أدام الله عزه القدوة المرابط السيد حمادي ولد الشيخ حمادي حفظك الله السلام عليك ورحمة الله وعلى أهلك ومن انتمى إليك وبعد فقد صدر الأمر المعتز بالله بتكليفك على قبيلتك اعريب ووليناك أمرهم لما علمناه من صدقك في خدمة جنابنا العالي بالله، فأحملهم على طاعة الله ورسوله والأمير في المنتظر المكره وعلى القيام بنصرة دين الله والله يتولى هداك ويصلح بك وبذلك صدر الأمر المعتز بالله في 10 شعبان 1321 والسلام".

هذا الأمر بالتولية ما كان ليصدر لولا الذي عرف عن هذا الرجل من حب لوطنه ومقاتلة المستعمر حتى آخر رمق، فقد قاوم هو وأفراد قبيلته المستعمر بكل ما أوتوا من قوة وبشتى الوسائل، فعرف بعدائه الشديد لهم ومعارضتهم وهو ما أكده أحد قواد المستعمر الذي كان بالمنطقة وهو جورج سبيلمان (Georges Spillman) بقوله : يعتبر الگواسم الذين يترأسهم حمادي ولد الشيخ معارضين لنا".

وهكذا سار على هذا النهج إلى أن أحكم المستعمر قبضته على منطقة درعة والصحاري المحادية لها والتي عرفت قبيلة اعريب بالانتجاع فيها فنزح هو وعائلته وعدد كبير من أفراد قبيلته إلى منطقة لبيار بوادي نون هروبا من المستعمر، لكن هذا الأخير تعقبهم وحاصرهم في المكان ذاته، وأغار عليهم بطائرته الحربية، ليرغمهم بعد ذلك على الرجوع إلى أماكن سكناهم، فألقى القبض على حمادي ولد الشيخ ومجموعة من رفاقه فأسرهم، وسجنه لمدة 6 أشهر في مركز تاگونيت. ثم أخلي سبيله بع انتهاء مدة أسره، فظل طيلة حياته يتمتع بنفوذ قوي داخل قبيلته متطلعا للزعامة على الدوام إلى أن تم تعيينه من طرف محمد الخامس كما سلف.

توفي عام 1957 عن عمر يناهز حوالي 84 سنة.

ظهير شريف مؤرخ 10 شعبان 1321 ؛ *وثائق خاصة* بملكية الأراضي ؛*تحريات ميدانية*.

George Spillman, *Les Aît Atta du Sahara et la pacification du Haut. Dra*. Edition felix Moncho, rabat, 1963, p. 128.

لفقير إبراهيم (أهل -) آل الفقير إبراهيم من شرفاء أزواد كما أخبرنا أكثر من واحد وكما هو مثبت حسب قولهم في شجرة نسبهم. والفقير إبراهيم حسب ما يستخلص من هذا الاسم، ليس الفقر المادي وإنما الفقر بمعناه الصوفي والديني أي الفقير إلى الله. فقد عرف الرجل بعلمه وتقواه وورعه، أخذ الرحلة سلوكا من أجل طلب العلم، فتنقل في أرجاء شاسعة من الصحراء، وطاف من أزواد إلى تيرس زمور لينتهي به الأمر في وادي درعة مع قبيلة اعريب.

تتلمذ على يد الشيخ سيدي المختار الكنتي شيخ الطريقة القادرية الكنتية، وأخذ عنه الورد القادري. فكان من العلماء الأجلاء، وكان ذلك دأب أبنائه وأحفاده، إذ حثهم على طلب العلم، وتعليمه، فقد نبغ من أحفاده سيدي أعمر ولد ختار الذي درس وتتلمذ على يد الشيخ المختار بن الأعمش بتندوف، وأخذ الآخرون من أبناء العائلة عن عدة علماء من الزاوية الصالحية بدرعة.

وكما هو حال جميع الأسر الصحراوية فقد عرفت هذه الأخيرة تنقلات كثيرة لغلبة طابع الترحال عليها. فقد استقر الفقير إبراهيم بعد سفر طويل بين ظهراني قبيلة اعريب فتزوج منهم وخالطهم وأصبح واحدا منها، وذلك لما كان يحظى به أهل العلم والصلاح عند أفراد هذه القبيلة التي عرفت بكرمها وجودها وترحيبها واحتوائها للوافدين عليها حتى عرفت ببساط الفقراء. وأفراد أسرة الفقير إبراهيم هم الآن في واحدة من فخذات قبيلة اعريب وهي فخذة الوراث، وقد اندمجوا فيهم وهم منهم الآن. ترك الفقير إبراهيم خمسة أولاد هم ختار، وسيدي علي، وبدادة، والكوش وسالم، وقد عقب منهم ختار وسيدي علي والآخرون لا ذرية لهم، فقد خلف ختار ثلاثة أولاد، هم : سيدي أعمر وهو الذي سلف ذكره، أنه تتلمذ على يد ابن الأعمش، ثم بنان وإبراهيم. أما سيدي علي فقد ترك أبا القاسم والزبير.

وقد اتخذ معظم أفراد الأسرة "بنان" لقبا لهم انطلاقا من تسمية أحد أجدادهم بهذا الاسم.

كانت لهذا الشيخ مكتبة كغيره من العلماء لكن أصابها التلف والضياع فلم يبق منها إلا مصحف شريف حسب روايات العائلة، أما الباقي فإنه فُقِـد، أو على الأصح فإنه وضع كوديعة عند الفقيه سيدي ولد أمادة، الذي كان من المستقرين في القرى، فقد استودعه أفراد العائلة ما لديهم من مؤلفات كما يحدث دائما عند أهل الصحراء. فإنهم يستودعون المستقرين منهم العديد من متاعهم في فترات الحروب والجفاف، خوفا عليها من الضياع، ولكن الفقيه سيدي ولد أمادة وافاه الأجل، ولم يظهر أي أثر لمؤلفات هذه العائلة بعده.

توفي الفقير إبراهيم بعد عمر طويل وضريحه يوجد في قصر آيت الربع بواحة لكتاوة بوادي درعة.

تحريات ميدانية.

أحمد شيخي

لَفيگات : قبيلة قديمة تتمركز في المناطق المحاذية للساحل الأطلسي انطلاقا من واد الشبيكة إلى تخوم رأس بوجدور جنوبا، تنسب إلى موسى بن لفيگات، وتتميز باشتغالها في الصيد البحري بأساليب تقليدية وفي علاقة تحالف مع قبيلة الزرگيين المحاربة. وهي قبيلة قليلة العدد، وتتوزع إلى أربعة فخذات هي : أهل الشيهب - أهل آبهاهو - أهل عايلة ولد سعيد - وأهل لعگيد. واليوم توجد منهم عائلات متفرقة في كل من الطرفاية والعيون وبوجدور والداخلة، ولم يعد النشاط

الأساسي لهذه القبيلة هو الصيد البحري بل اندمجوا في الحياة العصرية في المدن المذكورة.

بشر أحمد حيدرة، *الصليب المقدس في البحر الصغير*، مطابع أمبريال، الرباط، 1998 ؛ محمد دحمان، *الترحال والاستقرار بمنطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب*، مطبعة كوثر، الرباط، 2006.

Tony Hodges, *Historical Dictionary of Western Sahara*, London, 1982.

محمد دحمان

لگراير، المفرد گرارة والجمع گراير، وهو اسم حساني أمازيغي محلي يطلق على أحواض مقعرة في أراضي الرق أو الرگ، وشكلها هذا يتيح لمياه الأمطار أن تغمرها خاصة في الفصول المطيرة، فهذه السيول المفاجئة تحمل مواد مرسبة كالطمي والصلصّال الضعيفة النفاذية، وتعمل بالتالي على تراكمها في قعور لگراير خاصة في فترات الفيضانات المفاجئة التي تتعرض لها الصحراء في كل خمس إلى عشر سنوات. وتعد هذه لگراير أخصب وأهم الأراضي الصالحة للزراعة بالصحراء على الإطلاق.



نجد هذا الإسم "لگراير" متداولا في ضواحي مدينة مكناس "تگرارت بمكناس"، وكذا بالحاجب يطلق خاصة على الحقول المخصصة لزراعة البصل. وهو في الأصل كلمة أمازيغية تكتب "باگران" أي الحقول الزراعية ومفرده "إگر"، ونجد هذا الإسم متداولا بمنطقة درعة حيث الواحات التي تنعت باگران كذلك.

ويمكن أن نميز بين نوعين من گراير : گراير البور أو البورية، و لگراير المسقية أو السقوية، هذه الأخيرة ظهرت مع المعمر لتزويد الثكنات العسكرية والجالية الإسبانية والمستقرة بأهم المدن كالعيون والداخلة بالمواد الفلاحية الأساسية. أما لگراير البورية فكانت في ملكية القبائل الكبرى التي كانت تستغلها في الزراعة ومنها الرگيبات، وأولاد دليم، وأولاد أبي السباع، وأولاد تدرارين، والعروسيين، وإزرگيين، وتتوزع هذه لگراير على جميع أنحاء التراب الصحراوي، وبالأخص ما بين واد الساقية الحمراء شمالا وتيرس جنوبا وگلتة زمور والتفاريتي والمحبس شرقا.

وتضم جهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء أكبر عدد منها، يقارب 10000 وحدة، ونورد أهمها حجما وانتاجا : كالدورة التي تبلغ مساحتها 1200 هكتار، وهي أكبر گرارة بالصحراء. أما بقية لگراير فلا تتجاوز الواحدة منها مساحة متوسطة تتراوح ما بين 5,0 و1 هكتار، وأهمها عين تسكراد، إزيك، بوگراع، الظمران، المسيد، الدشيرة، الحگونية، وإمريكلي البيض والأحمر بنواحي بوجدور، وكاركنات، وأمات أبديديز، واشتوكان، وليتيمة، وأم النبگة، والنعامية، واينمي، وامات الكبش، وتنليك، وأم المرة، وأم اعناية، والشعيرات، وأم الخطور، وبن خطيرات، وغيرها. أما المسقية منها، فنجد فم الواد بالعيون والجريفية وأم رجيلات بنواحي بوجدور، كما تضم الجهة 18 ضيعة صغيرة مسقية كالحگونية وتغزرت بالعيون. لكن تبقى گرارة فم الواد أهمها، إذ تبلغ مساحتها 130 هكتارا، ويتركز إنتاجها أساسا على العلف للماشية، بالإضافة إلى بعض الخضر والفواكه والزراعات البقلية.

أما جهة واد الذهب - لگويرة فتضم أهم لگراير المسقية، وتتوزع على الشكل التالي :

- تينيگير : أكبر گرارة مسقية، إذ تصل مساحتها القابلة للاستغلال إلى 600 هكتارا، منها 25 هكتار مجهزة بالبيوت المكيفية وبشبكة ري من النوع التنقيطي، ويتم سقي هذه المساحات الشاسعة بواسطة 5 محطات للضخ، يصل صبيبها إلى 153،4 لتر في الثانية. وتنتج هذه الضيعة الطماطم والخضر والفواكه كالبطيخ الأخضر الإسباني وغيره.

- تاورطة : تقع على بعد 11 كلم شمال الداخلة، في شبه جزيرة واد الذهب، وتقدر مساحتها الصالحة للزراعة ب 94 هكتارا، منها 40 هكتار مستغلة حاليا. هذه الأخيرة تستغل الفرشة الباطنية العميقة ذات المياه الساخنة، يصل صبيبها إلى 29 لتر في الثانية. وتنتج هذه الضيعة الزراعات العلفية والخضر والبقليات وغيرها من الفواكه، جزء منها يصدر إلى الخارج.

- ظهر الحولي : تقدر مساحة هذه الگرارة ب 40 هكتار، وهي مجهزة بأحدث وسائل السقي، وبها آبار عميقة تستخرج عن طريق الضخ مياه الفرشات الباطنية الأرتوازية nappes artésiennes، وتخرج مياهها من باطن الأرض بدرجة عالية من الحرارة فيتم تبريد المياه الجوفية الحارة مما يكلف ثمنها على الضيعة، ويصل صبيبها إلى 44 لتر في الثانية. وتنتج هذه الضيعة مواد علفية وخضر وفواكه متنوعة. كما أن الجهة تتوفر على گراير بورية يزرع فيها بالخصوص الشعير الذي يتحمل ملوحة التربة والحرارة المفرطة التي يتسم بها هذا الوسط، وأهم هذه لگراير هي نگجير، وأم گلب، وأورگانات، والدام، وفرتلتْ، والعشار بالعرگوب،

والغزالية ببئر گندوز، وفارس، وأسكاف، ولمهيريز، وبوخلال، وأمات الفيران، وخط بوخلال، وگراير تشلا وتيرس على العموم.

إلا أن هذه لگراير سواء المسقية منها أو البورية، مهددة بزحف الرمال وبشدة ملوحة مياه آبارها ما عدا آبار فم الواد بالعيون وبعض الآبار بتشلا التي تتسم بعذوبة مياهها.

وفي ما يخص الوضع العقاري للگراير البورية، فهي في ملك الدولة، لكن استغلالها يرجع للخواص "كمالكين فعليين". ففي العرف القبلي السائد عند البدو الرحل والقبائل على الخصوص، من المسلم به أن لگراير توزع على العائلات، وتتوارث أبا عن جد، والاستمرار في استغلالها مرتبط بالاعتزاز بالانتماء العائلي. أما امتلاك گرارة فهو امتياز اجتماعي يمكن من دعم الهوية الأسرية (أهل) وبالتالي فإن قيمة الگرارة مرتبطة بالمكانة الاجتماعية أكثر منها الجانب المادي والمردودي. كما تستغلها بعض العائلات للنزهة (ديماس) خاصة في فصل الربيع وذلك للارتباط الكبير بالبادية وتربية الإبل.

وتتدخل السلطات العمومية لتشجيع الخواص على استغلال لگراير لكونها موردا فلاحيا مهما مكملا لتربية الماشية، خاصة في علفها الذي تتحمل الدولة قسطا كبيرا في تمويله ودعمه لمربي الإبل بالخصوص. وقد عمدت الدولة إلى استصلاح بعض لگراير بمدها بالوسائل التقنية والتكنولوجيا، كحفر الآبار والتزود بكل معدات الري وخبرة المهندسين الزراعيين وكذا تخصيب التربة الزراعية بالأسمدة والأزوت وغيره من المواد المخصبة، ومن هذه لگراير التي تم استصلاحها نذكر تافودارت 100هـ، وجداري 40هـ، ولگليب 37هـ، وعلوان 40هـ، وگرارت الشيخ 40هـ، كلها بإقليم العيون. وبإقليم بوجدور نجد تيوس 20هـ، وتوسيع گرارت الجريفية ب 70هـ إضافية.

أما في إقليم واد الذهب فلقد اهتمت الدولة على بتوسيع واستصلاح رقعة لگراير المسقية كتاورطة باستصلاح 100 هـ، وتينيگير 600هـ، وظهر الحولي 50هـ، و گرارت گليب اجديان 50هـ، التي انضافت إلى لگراير المسقية السابقة.

محمد الغربي، *الساقية الحمراء ووادي الذهب*، ج 1، مطبعة دار الكتاب، الدار البيضاء، بدون تاريخ ؛ أحمد الهاشمي، المشهد الطبيعي في طوبونيميا المجال الصحراوي، *كتاب الصحراء الأطلنتية*، المجال والإنسان، منشورات وكالة الجنوب، الرباط، 2007 ؛ مولاي إدريس شداد وأخرون، جهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء، *ذكرى 12 قرنا في حياة مملكة*، سلسلة تاريخ جهات المغرب، منشورات عكاظ، الرباط، 2009 ؛ مولاي إدريس شداد وأخرون، جهة گلميم - السمارة، *ذكرى 12 قرنا في حياة مملكة*، سلسلة تاريخ جهات المغرب، منشورات عكاظ، الرباط، 2009 ؛ مولاي إدريس شداد وأخرون، جهة واد الذهب - لگويرة، *ذكرى 12 قرنا في حياة مملكة*، سلسلة تاريخ جهات المغرب، منشورات عكاظ، الرباط، 2009.

Cheddad My Driss, « Sahara : Ecosystème fragile, ressoures naturelles limitées et engagement de l'Etat pour un aménagement régional exceptionnel et une mise à niveau socio-économique et spatiale », *Revue Horizons Universitaires, n° 3 vol.* 2, Université Med V Souissi, Rabat, Novembre, 2006.

مولاي إدريس شداد

اللمتوني، أبو بكر بن **عمر**، مباشرة بعد انهزام جيوش الحركة المرابطية أمام ثورة جدالة الأولى عام 448 / 1056، أخذت شخصية أبو بكر بن عمر اللمتوني تبرز كإحدى القيادات العسكرية الوازنة ضمن رجالات الحركة، ثم سرعان ما تقلد إمارة الجيش المرابطي تحت إمامة الشيخ عبد الله بن ياسين وعلى إثر مقتل الإمام والزعيم الروحي للحركة، أثناء الاصطدام القوي الذي جمعه مع برغواطة بتامسنا عام 451 / 1059، تولى الإمامة سليمان بن عدو لفترة قصيرة، فيما احتفظ أبو بكر بن عمر اللمتوني بإمارة الجند.

ويبدو أن الصراع العسكري ضد برغواطة قد أنهك القوات المرابطية، فعادت أدراجها إلى أغمات، لاستجماع قوتها والتقاط أنفاسها. وفي ظل هذه الظروف العصيبة أصبح أبو بكر بن عمر اللمتوني على رأس الحركة المرابطية، حيث وجد نفسه يجمع بين إمارة الجند وإمامة الحركة.

وفيما كان الزعيم الجديد منشغلا بترتيب أوضاع البيت المرابطي بأغمات، إذا به يجد نفسه أمام امتحان جديد، حيث وصلته أخبار تفيد باختلال أمر الصحراء وقيام جدالة مرة ثانية ضد لمتونة. وحينئذ اضطر أبو بكر بن عمر إلى التوجه للصحراء لتهدئتها وإصلاح ذات البين بين القبائل الصنهاجية، فترك أمر المغرب لابن عمه يوسف بن تاشفين سنة 453 / 1061، واقتسم معه الجيوش المرابطية ثم توجه مسرعا للصحراء عند قومه لمتونة في محاولة لرأب الصدع بين قبائل صنهاجة الصحراء.

على أن الإقامة الطويلة للأمير أبي بكر بالصحراء (453-465)، وما آل إليه مصيره فيما بعد، يحملنا على الاعتقاد بفشل مهمته بالصحراء. وفي ظل هذه الظروف قرر الأمير العودة للمغرب لابترجاع ملكه من ابن عمه يوسف بن تاشفين حوالي عام 465 / 1072.

على أن أمر المغرب كان قد استوثق لابن عمه، وكان من الطبيعي أن يصعب على يوسف بن تاشفين "مفارقة الملك بعد أن ذاق حلاوته ورتب فيه ما رتب من الأجناد والضخامة". وفي المقابل، كان الأمير أبو بكر على حد تعبير زينب النفزاوية لا يقاتل على الدنيا، فاضطر للتخلي عن عرش المغرب لصالح يوسف.

صحيح أن مسألة تنازل الأمير عن ملك المغرب حكمتها اعتبارات موضوعية، قد تضفي على موقف أبي بكر صيغة انهزامية، غير أن الاعتبارات الذاتية لم تكن غائبة وكان لها أثر جاسم على مستقبل المغرب

المرابطي والمسلمين بالأندلس. ذلك أن اجتهاد الأمير أبي بكر في تجنب كل ما من شأنه أن يخلق الفتنة بين الزعامات المرابطية ويفتت وحدتها، وتورعه عن سفك دماء المسلمين، وفر ليوسف بن تاشفين الكثير من الوقت ومن الجنود، اللذين كانت معركة الزلاقة (سنة 479 / 1086) أحوج إليهما من مثل تلك المواقف الظرفية العابرة.

وبعد أن تخلى أبو بكر عن ملك المغرب لصالح ابن عمه يوسف بن تاشفين، توجه مرة أخرى للصحراء في موكب حرص ابن تاشفين أن يحيطه بكامل الإجلال والتقدير المادي والمعنوي. وفي هذا الإطار، يذكر ابن الزيات في التشوف أن الفقيه الأصولي أبا بكر محمد بن الحسن الحضرمي المعروف بالمرادي، كان من الشخصيات العلمية التي رافقت الأمير في موكبه إلى الصحراء. وتؤكد هذه الإشارة الدالة أن الأمير أبا بكر عند عودته الأخيرة للصحراء، كان مقتنعا بضرورة التخلي على أمور السياسة لابن عمه صاحب معركة الزلاقة. في المقابل يظهر أنه كان مصمما على متابعة المشروع الديني الذي بدأه شيخه عبد الله بن ياسين، خاصة وأنه أصبح محاطا بالعديد من الفقهاء من طينة المرادي، فضلا عن الطلبة المتحلقين حوله.

ويظهر أن اختيار الأمير أبي بكر كان موفقا، بحيث وجد صدى طيبا ليس فقط لدى القبائل الصنهاجية الراغبة في تعميق معرفتها الدينية، وإنما كذلك لدى القبائل السودانية المجاورة. من ثمة نفهم، الزحف السلمي للإسلام في بلاد السودان على امتداد القرون اللاحقة. وليس هناك شك في أن الإمام أبا بكر مدعوما بمجموعة من الفقهاء والطلبة، قد واصل رسالته التعليمية والإصلاحية بموازاة مع رسالته الدعوية بين السودان المجاورين، وذلك إلى وفاته عام 1087/480.

وفي ظل هذه المعطيات، يصعب أن نعتقد ما تروجه بعض المراجع من أن أبا بكر اللمتوني عند عودته الأخيرة للصحراء قام بغزو بلاد السودان مسافة تسعين يوما، وبالتالي قضى على مملكة غانة السودانية قضاء مبرما. ومن جهتنا فإننا لا نعتقد في هذا الغزو المزعوم، لأننا لا نملك أي أساس مصدري، يمكن أن يدعم مثل هذا الادعاء.

وفضلا عما تقدم، وعلى فرض أن أمر الغزو كان صحيحا، فكيف يعقل أن لا نجد له صدى في الكتابات الشنقيطية اللاحقة ؟ وبهذا الصدد، فإن الباحث يقف شاردا كيف أن المؤرخ اليدالي (1685-1733) في كلامه عن الحركة الدينية والإصلاحية التي قادها الإمام ناصر الدين في الجنوب الغربي من بلاد شنقيط (بلاد القبلة) منذ منتصف القرن 17م، لم يشر بتاتا إلى الأمير أبي بكر بن عمر اللمتوني أو فتوحاته في بلاد السودان.

ونستخلص من مجمل التطورات التي عرفتها الحركة المرابطية إلى نهاية القرن الخامس الهجري (11م) أن أمور السياسة وما له علاقة بتقعيد أمور الدولة كان يشد الزعامات الصنهاجية نحو الشمال، بينما كانت حوافزهم نحو الجنوب - سواء في مجال صحراء صنهاجة أو على خطوط التماس مع السودان- تلهبها وتؤججها المشاعر الدينية.

ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ ابن الزيات التادلي، *التشوف إلى رجال التصوف*، الرباط، 1984 ؛ ابن عذارى، *البيان المغرب*، بيروت، 1985 ؛ اليدالي، *نصوص من التاريخ الموريتاني*، تونس، 1990 ؛ أ. الشكري، *مملكة غانا وعلاقتها بالحركة الوطنية*، الرباط، 1997.

أحمد الشكري

اللمتوني، اعمر لخليف هو عمر الخليفة اللمتوني. ينتمي إلى قبيلة لمتونة الحميرية المشهورة بنشرها للإسلام في غرب إفريقيا وتوحيدها للعدوتين. اشتهر بنباهته وتمكنه من علوم الفقه واللغة والأدب، فكان يقول الشعر بطلاقة نادرة وكأنه يمليه من حافظته كما اشتهر بمحبته للشيخ ماء العينين ومدحه له بالعربية الفصيحة والحسانية، ومما أورد له الشيخ محمد الغيث النعمة في ترجمته، قوله : "ومما وجدت له، وقد التقى معه في السفر، (ويقصد الشيخ ما العينين) فكتب له بسرعة ما نصه : "حمداً لمن جعل خط الشناتر بالمزابر، ينزل الغائب منزلة المباشر، وصلاة وسلاماً خير من زبرته الأباخس بالمساطر، أكرم من ارتاح للمنتجع، الخابط في الدياجر، وآله وصحابته، ومن اقتفى منهجهم السافر. هذا وإني كنتُ أظن أن مقامكم هنا في نسإ يمكنني فيه إعرابي عما زرتكم لأجله، فلما بلغني أنكم في عجل عن ذلك بترت إليكم هذه الأبيات دون غزل، ملتمسا منكم مضمونها مع تشويش البال وتراكم الأشغال :

يا خير من أمه العافي أخو الملق
من بعد ما دعدعته النوب بالخزق
وخير من فتق الرتق الرتيج بما
يعتاض منه ارتياجُ الرتق بالفتق
....
أتاك مغتربٌ، سُدّتْ مذاهبه
مما تياسره في آخر الرمق

لا يعرف تاريخ ولادته، ولا تاريخ وفاته، وقد ترجم له الشيخ أحمد الشمس في كتابه *النفحة الأحمدية*، وذكر أنه كان على قيد الحياة في العقد الثاني من القرن 14هـ.

محمد الغيث النعمة، *الأبحر المعينية في الأمداح المعينية*، ج 1، ت. د. محمد مفدي، ص. 476، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، 1976، مرقونة ؛ الشيخ أحمد بن الشمس، *النفحة الأحمدية*، ج 2، ص. 85، مطبعة دار الفكر، د. ت.

محمد الظريف

لمناصير : قبيلة تمارس التنقل ما بين مصب وادي الساقية الحمراء وشبه جزيرة الداخلة، يقوم نشاطها

الاقتصادي على الصيد البحري وكانت تربط علاقات تحالفية مع قبائل الساحل من تكنة وأولاد دليم وأولاد تيدرارين. وتتكون من العشائر التالية أهل ملوك وأهل لكريفة وأهل اصنيبة وأهل مسعود ثم أهل أعلي الزيرك. هذه المجموعة الأخيرة كانت تقيم بناحية الطرفاية وفي واد نون. وقد استفاد لمناصير من وسائل الصيد البحري الحديثة التي أدخلها الاستعمار حيث طوروا معدات الصيد واندمجوا في العلاقات الإنتاجية والتجارية التي بلورها الكناريون خاصة بالداخلة. وكان ذلك من أسباب هجرة الكثير منهم من مناطق الصيد المعهودة إلى مركز الداخلة. واليوم تتمركز عائلات هذه القبيلة القليلة العدد في كل من الداخلة وبوجدور.

محمد دحمان، *الترحال والاستقرار بمنطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب*، مطبعة كوثر، الرباط، 2006 ؛ *تحريات ميدانية* قمنا بها صيف 2009 بمدينة الداخلة.

Jose Enrique del Barrio.*Tribus del Sahara*, Aiun, 1973 ; Tony Hodges. *Historical Dictionary of Western Sahara*, London, 1982.

لَمْيَار : قبيلة عريقة كانت تنتجع المناطق الواقعة مابين واد أم فاطمة شمال رأس أخفنير، ومنطقة الكعدة شمال واد الساقية الحمراء. وكان نشاطها الأساسي ممارسة الرعي وبعض الزراعات القليلة خاصة زراعة الحبوب في فترة التساقطات المطرية. وخلال تاريخها الطويل دخلت في علاقات تحالف كثيرة مع عدد من القبائل مثل أولاد دليم والزرگيين واصبويا وآيت لحسن وأهل بلقاسم وإبراهيم من قبيلة الرگيبات. وخلال حكم الاستعمار الإسباني في المنطقة تم تسجيل هذه القبيلة ضمن قبائل الزرگيين بفعل التساكن والجوار. ويتميز لميار بالذكاء وبالاجتهاد في العمل، وسرعان ما وظفوا ذلك في التجارة العابرة للحدود، حيث مارسوا نقل البضائع وتهريبها ما بين واد نون والمنطقة التي كانت خاضعة للاحتلال الإسباني (الطرفاية ـ الساقية الحمراء). وبعد حرب الصحراء والجفاف الذي انتــاب المنطقة خلال السبعينات من القــرن العشرين نزح لميار إلى المدن كباقي قبائــل المنطقة حيث أقامــوا بالطنطان والطرفايــة والعيون. ويتوزع لميار على فصائل هي أهل بوظايا وأهل إبراهيم وأهــل بدد، أهل لحبيب، وأهــل يوسف، ولم يبــق منهم اليوم في الباديــة إلا بعض الأسر القليلة تمارس الرعي بمنطقة الذروة والكعدة وبناحية رأس أخفنيــر (الجماعة القروية لأخفنير- إقليم الطرفاية).

بشـر أحمد حيدرة، *الصليب المقدس في البحر الصغير*، مطابع أمبريـال، الربـاط، 1998 ؛ محمد دحمـان، *الترحال والاستقرار بمنطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب*، مطبعة كوثـر، الرباط، 2006.

Mahmadou Ahmadou Ba « Les tribus secondaires du Sahel mauritanien » in : *Renseignements coloniaux*, N° 9 Septembre, 1928, p. 571 - 579 ; Tony Hodges : *Historical Dictionary of Western Sahara*, London, 1982.

محمد دحمان

لوگـو (دي)، ألونصو فرنانديث (De Lugo, Alonso Fernandez) نبيل إسباني من إقليم الأندلس، كان حاكم الجزر الخالدات في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر، منحه المالكان الكاثوليكيان فرناندو وإيسابل لقب القبطان العام لإفريقيا سنة 1499 مكلفين إياه بنشر النفوذ الإسباني على الشواطئ المغربية المقابلة وبتعزيز مركز سانطا كروث دي ماريـيكينا بثلاثة مراكز أخرى أولهما بتاگـاوست التي كانت قبيلتها على اتصال بالإسبان والثاني بمصب نهر أسالة والثالث ببوجدور على أن يتحمل هو النفقات ويختص العرش بخمس الفوائد. لكن الأمر كله انتهى بالخسران الكبير إذ تصدى المجاهدون المغاربة لحملة دي لوگـو سنة 1500 في أسالة التي كان قوامها أربعمائة مقاتل ومزقوها شر ممزق ونجا منها قائدها وأسر حتى افتدى نفسه وعاد إلى الجزر الخالدات لينظم حملة أخرى سنة 1502 قرب أگـادير، نازعه في أمرها البرتغال الذين كانوا يعتبرون تلك المنطقة من مناطق نفوذهم بناء على معاهدة تردسياس Tordesillas المبرمـة بين إسبانيا والبرتغـال سنة 1494. وكانت الغاية من تلك الحملات التجارة في الرقيق التي خفـت فيما بين 1497 و1505 بأمر ملكي إسباني ثم عادت إلى تمام النشاط بعد سنة 1505 حيث صار دي لوگـو يقتسم مع العرش الإسباني نصف ما ينوبه من خمس الفوائد.

Hodges, T., *Historical Dictionary of Western Sahara, London*, 1982.

إبراهيم بوطالب

الليلي (أهل ـ)، أسرة علم وصلاح تنسب للشرفاء الأدارسة من جدها الجامع الليلي (علي) بن سيدي عبد القادر بن سيدي علي بن سيدي يحيى، إلى أن يصل عمود النسب محمد بن المولى إدريس الثاني. كان الليلي رجل علم وصلاح، تنقل في مناطق عديدة بحثا عن المشايخ والمدارس العلمية العتيقة، فكان من تلامذة محمد أعجلي البعقيلي بسوس، كما كان من مريدي الشيخ سيديا الأبيري بمنطقة الترارزة في جنوب موريتانيا. ترك مجموعة من الأبناء العلماء الصلحاء الذين أسسوا هذه الأسرة كسيدي يعقوب بن الليلي، وسيدي إسماعيل بن الليلي، ومحمد الحسن بن الليلي، والحاج محمد بن الليلي، وسيديا بن الليلي (دفين ايمريكلي)، وأحمد بن الليلي (دفين القدس الشريف).

وكان الليلــي قد صاهر قبيلة الشيخ سيديا أولاد أبيــري، ودرس أبنــاؤه العلوم هنـاك في منطقة الگبلـة، كما درسـوا أصنافا أخـرى من المعارف بمناطق سوس وآيت باعمـران.

وتجدر الإشارة إلى أن أهل الليلي هم بيت العلم والقضاء والصلاح داخل قبيلة توبالت الصحراوية العريقة، وهي قبيلة زاوية شريفة كانت تتمركز ما بين درعة السفلى والطرفاية والساقية الحمراء جوار قبيلة الزركيين. كما نجد فروعا أخرى لهذه الأسرة في منطقة الشياظمة بناحية مدينة الصويرة حيث عرفوا بالعلم والصلاح والتأليف.

عرف أهل الليلي بأخذهم للعديد من الأوراد الصوفية خاصة القادرية والناصرية والكتانية، مما أهلهم للعب أدوار طلائعية ما بين الصحراء وشمال المغرب، حيث كانوا من أول الجماعات التي التحقت بالشمال إبان عودة الملك محمد الخامس من المنفى، كما ساهموا في الحركة الوطنية وجيش التحرير بفعل نفوذهم الروحي ومكانتهم عند القبائل الصحراوية، ويتمركز أهل الليلي اليوم بكل من الطرفاية والعيون.

محمد المختار السوسي، *خلال جزولة*، ج 4 ؛ بشر حيدار، *الصليب المقدس في البحر الصغير*، الرباط، 1998 ؛ *مجموع وثائق* في خزانة عيسى بن إبراهيم بن محمد الحسن الليلي - العيون.

Fernando Alvarez Amado, Notas Sobre el sahara Español in : *Africa, diciembre, 1933*, p. 238 - 241 ; Fernando Alvarez Amado, Notas Sobre el sahara Español (2) in : *Africa, Marzo*, 1933, p. 56 – 57, Madrid.

محمد دحمان

ليوپولد، پاني Léopold Panet لا نتوفر على معلومات كثيرة عن حياة ليوپولد پاني، وما هو شائع أنه خلاسي من جزيرة گوري بالسنيغال وأنه ولد سنة 1820. شب في وسط فقير، وعرف اليتم في سن مبكرة. رغم ذلك تلقى تعليما مكنه من أن يصبح في 11 يونيو من سنة 1838 "الكاتب المؤقت للسنغال"، إذ شغل هذه الوظيفة لمدة سبعة أشهر، ثم تحول بعدها لمزاولة التجارة. وفي سنة 1846 رافق مندوب البحرية آن رفانيل (Anne Raffenel) في رحلته الاستكشافية إلى كعرطة. ونظرا للدور الذي لعبه پاني في إنجاح هذه الرحلة نال في 11 نونبر من عام 1848 وسام جوقة الشرف، وهو أول سنيغالي يحصل على هذا التشريف.

ثم برز اسمه مرة أخرى عندما تم ترشيحه للقيام بأول رحلة لربط السنيغال بالجزائر عبر الصحراء الأطلنتية، وذلك لتوفره على بنية قوية ورغبته الجامحة في خدمة فرنسا، بالإضافة إلى معرفته بأبجديات اللغة العربية. وهكذا قام برحلته قاطعا المسافة الفاصلة بين سان لوي والصويرة، لينتقل بعد ذلك إلى باريس حيث نشر نص رحلته. وهناك سيقبل اقتراح دار موريل الموجودة ببوردو للإشراف على غرفة التجارة بگامبيا، حيث أقام بسانت ماري. وهنا ينتهي بشكل غامض تاريخ باني (1859). ولم يحصل ليوپولد على پاني على أية جائزة عن إنجازه هذا، فكان مصيره الإهمال والنسيان، حيث أنه لم يسمع عنه أي شيء، فلم ينل ما ناله روني كايي من المجد، الذي كان قد اكتشف تنبكتو وجيني في سنة 1828، في حين كان مصير پاني أول مكتشف للصحراء الأطلنتية ووادي نون - الإفريقي الأصول والأسود البشرة - مغمورا حتى جاء ذكر اسمه في كتاب يتحدث عن الأدب الإفريقي.

- مقاصد الرحلة :

بعد أن استكملت فرنسا احتلال الجزائر ووطدت سلطتها بالسنيغال أصبحت النخبة الحاكمة تفكر في وسيلة لربط المستعمرتين، والذي يستدعي بالضرورة المرور بأراضي شنكيط وجنوب المغرب، واكتشاف لتلك المنطقة التي ما يزال الفرنسيون يجهلونها، ولا يعرفون ما تخبئه من مخاطر وأهوال. ففي رسالة وجهها البارون روجي الذي كان يشغل منصب رئيس الجمعية الجغرافية لباريس ورئيس لجنة الجزائر والمستعمرات بالبرلمان الفرنسي إلى وزير البحرية الأميرال فيرمنهاك بتاريخ 27 نونبر 1848 ورد "أن القيام برحلة استكشافية لمعرفة وسيلة الربط البري بين الجزائر والسنيغال ستكون له أهمية كبيرة للتجارة والعلوم والسياسة".

وقد وجد البارون روجي في پاني الرجل المناسب ليضطلع بهذه المسؤولية، فاقترحه على كل من وزير البحرية الفرنسي وحاكم السنغال شارل بودان (Charles Boudin) لتنفيذ تلك المهمة. وقد برر اقتراحه بكون پاني شخص مخلص لفرنسا ومعروف بين أوساطها، فقد سبق أن حصل على وسام جوقة الشرف جزاء للخدمات التي قدمها إلى جانب رافنيل خلال اكتشاف بالسنيغال، هذا بالإضافة إلى معرفته بالقليل من الحسانية اعتمادا على دوره السابق في توقيع "اتفاقية الصمغ"، وبإمكانه اتقان لسان أهل المنطقة إذا قضى شهرين في أحد مخيمات القبائل الصحراوية المجاورة.

- فشل رحلة پاني الأولى :

انطلق پاني من سان لوي لتحقيق مسعاه المتمثل في الوصول إلى الجزائر، في 17 أكتوبر من سنة 1849 مستنيرا بمعلومات زوده بها أحد الأشخاص المدعو جبريل، ليزور الشيخ سيديا بقرية بوتلميت، حيث مر بترارزة، وبعد مسيرة يوم أخبره بعض المسافرين أن هذا الشيخ قد غادر سكناه منذ شهور.

فكانت خيبته كبيرة عندما سمع بذلك، إذ كان يطمح في إعلان إسلامه بالمسجد أمام هذا الشيخ وفي مباركته ضمانا للتجول في كل أطراف الصحراء دون وجل، فهو كما كتب پاني "ينام في كل ليلة بمكة".

بعد ذلك سيقرر پاني زيارة المدعو شمس زعيم دار منكوز الذي طلب منه مساعدته على الوصول إلى المغرب مقابل ثلاثمائة قطعة غينية. لكنه مرة أخرى لم يوفق في مسعاه، ليعود إلى سان لوي حيث كتب تقريرا حول محاولته هذه الفاشلة، مقترحا تغييرا في مسار رحلته، إذ أنه من اليسر أن يرافق قافلة صغيرة متجهة إلى المغرب يقودها يهودي اسمه جودا، وعندما يصل إلى المغرب سيكمل طريقه إلى الجزائر. وقد لقي هذا

الاقتراح استحسانا عند الحاكم بودان الذي سيدعمه بإرساله تقريرا مفصلا في الأمر إلى وزير البحرية. وكان من الحجج التي قدمها بأن پـاني سيستغل مروره عبر الصحراء ليجمع معلومات عن غرق السفينة "لوسي" ومعرفة مصير طاقمها، والتأكد إن كان أسرى عند القبائل المجاورة للرأس الأبيض أو إلى الشمال منه.

- الرحلة الطويلة من سان لوي إلى موگـادور :

انطلق ليوپـولد پـاني في السادس من يناير من سنة 1850 مع قافلة متوجهة إلى شنقيط، يروى قصته الآنفة الذكر عن طفولته بالجزائر وتهجيره لفرنسا وعودته للبحث عن والديه بفاس. فقد تم قبوله بهذه القافلة دون أن يرتاب أصحابها في أمره، خاصة أنه كان خلاسيا، ملون البشرة، ويتكلم الحسانية ويدعي أنه مسلم فتمكن من عبور الصحراء ليصل إلى موگـادور في الخامس والعشرين من ماي من نفس السنة بعد أن عبر أدرار وقضى شهرا بشنقيط، ومـرّ بزمور والساقية الحمراء ودرعة ونون وسوس، حيث التقى بقبائل المنطقة من أولاد أبي السباع وأزرقيين وأولاد دليم وتيدرارين والعروسيين وآيت لحسن وآيت بعمران، وأقام بواد نون شهرا كاملا جامعا المعلومات حول ساكنتها ومؤهلاتها الإقتصادية.

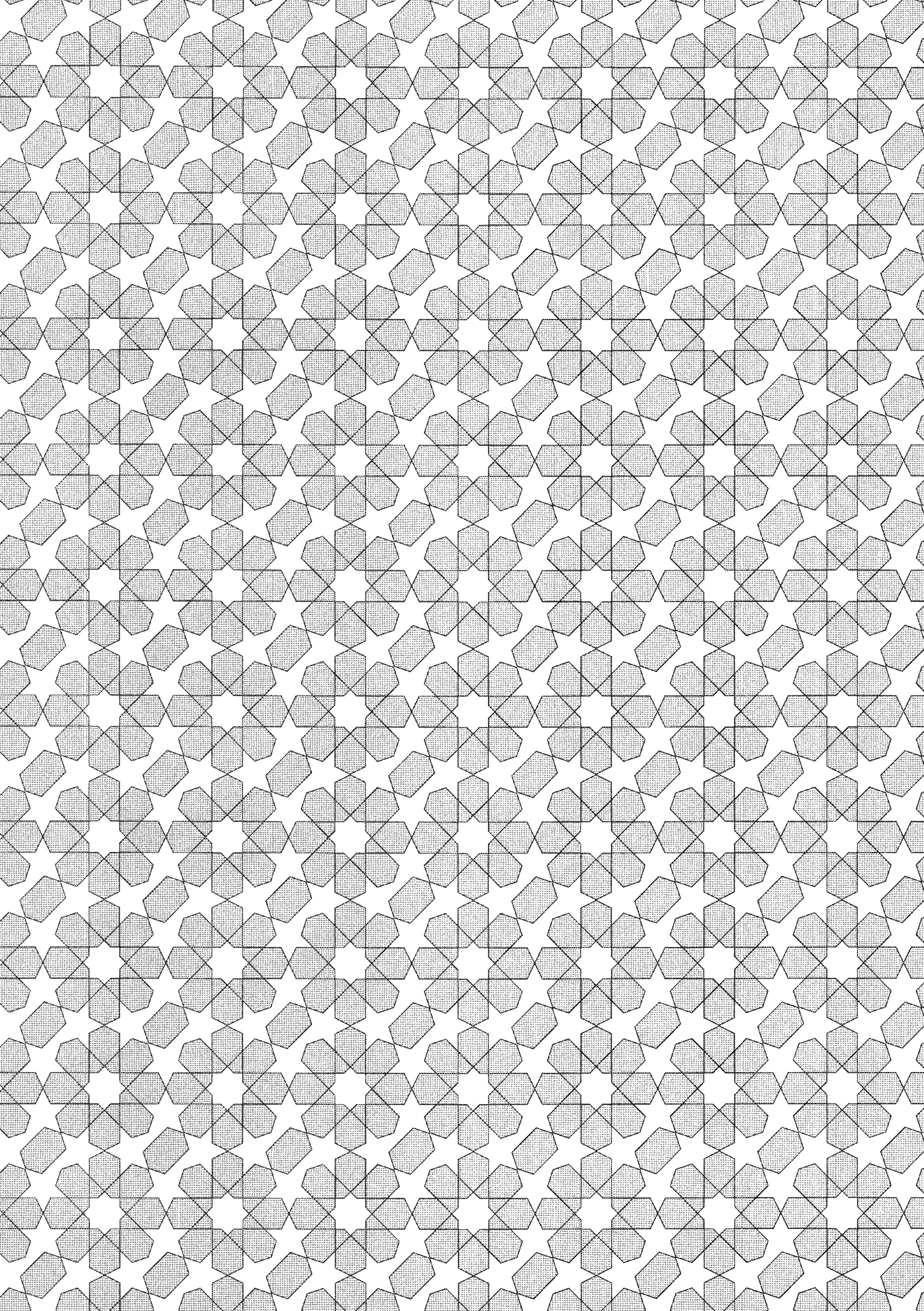
واستطاع پـاني أن ينهي رحلته التي لم تكن سهلة فقد تخللتها فترات عصيبة كاد في إحداها أن يقتل، إذ سلبت منه أغراضه وكان قاب قوسين أو أدنى من أن يكتشف أمره، لكنه استطاع أخيرا أن يحقق ما لم يستطع أي فرنسي "خالص البشرة" والأصل واللغة من القيام به قبل بداية القرن العشرين، فحتى الكولونيل موري عنة سنة 1913 وهو على رأس فرقة عسكرية كبيرة لم يحققه إلا بعناء شديد في حملة خاطفة على مدينة السمارة مقر الشيخ ماء العينين. وبعد وصوله إلى الصويرة ركب سفينة، أبحرت به إلى فرنسا حيث مكث بباريز سنة كاملة ليحرر تقريرا عن رحلته وليعالج معدته من مرض ألم به خلال سفره، ولم يمض إلا وقت قصير حتى نشرته المجلة الاستعمارية في عددين، وأعيد نشره بعد ذلك في كتاب مستقل بمقدمة للرئيس السنغالي السابق ليوبولد سيدار سانغور وتقديم عام لروبير كورنوفان.

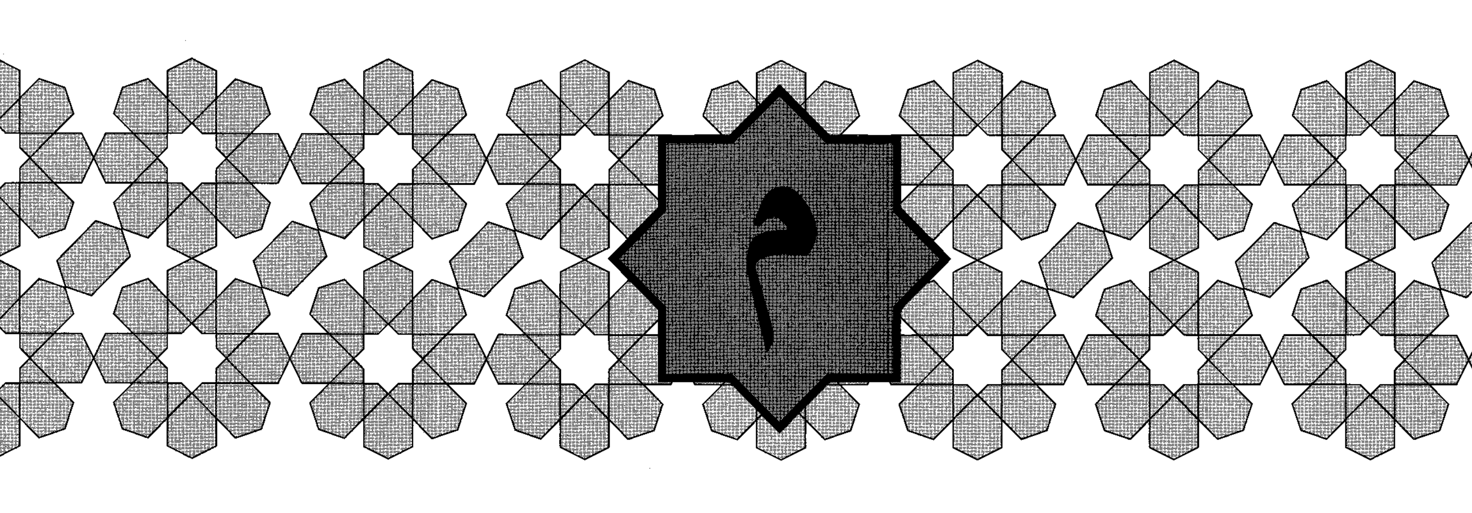
توفي ليوپـولد پـاني سنة 1859 بمنزله بـگـوريا عن عمر لا يتعدى 39 سنة بسبب مرض السل.

محمدو بن محمذن، *المجتمع البيضاني في القرن التاسع عشر* (قـراءة في الرحلات الاستكشافيـة الفرنسيـة)، منشورات معهد الدراسات الإفريقيـة، سلسلـة بحوث ودراسات 8، الرباط، 2001، ص. 102 - 104.

Cornevin (R), Léopold Panet, métis sénégalais premier explorateur moderne du Sahara occidental, in *La Grande Encyclopédie du Maroc*, 1986, p. 150 ; Wautier (c), *L'Afrique des écrivains : inventaire de la négritude*, le Seuil, 1964, p. 206 - 209 ; Barbier (M), *Voyages et explorations au Sahara occidental au XIX° siècle*, Editions l' Harmattan, Paris, 1985, p. 126 ; Midiohouan Ossito, (G), Un auteur africain francophone de XIX° siècle face à la conquête coloniale, Léopold Panet et la relation d'un voyage du Sénègal à Soueira (Mogador), *Revue de l'Université d' Abomey-Calavi*, Cotonnou, Benin, 2002, p. 52 ; Panet, 1968, p. 12 ; Léopold Panet, première exploration du Sahara occidental, *Le livre Africain*, p. 190, 1968.

محمد آيت جمال




م

الماء وتدبير الندرة عند المجتمع الصحراوي، شكل الماء ومازال عصب الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المناطق الجافة، ذلك أن الحياة لا يمكن أن تقوم لها قائمة في هذا الوسط القاحل إلا بوجود الماء، مما يفسر مكانة الماء في ثقافة البيضاني.

فالماء يرتبط ارتباطا وطيدا بالثقافة الصحراوية البيضانية فهو جزء منها وهي جزء منه، لأنه مصدر وجودها بهذه المنطقة القاحلة، فنتجت عن ذلك علاقات جدلية بين نمط عيش قديم ألا وهو الترحال والبيئة القاحلة الشحيحة، التي حتمت على الرحل البحث المستمر والدؤوب عن الماء والكلأ. فالماء، هذه المادة الحيوية والنادرة شكلت عبر التاريخ مصدرا للخلافات وبؤرا للتوترات والصراعات بين القبائل الظاعنة وخاصة في الفترات العجاف.

يتميز مناخ المناطق الصحراوية بقحولة حادة وبفوارق يومية مرتفعة في درجات الحرارة، وبندرة التساقطات، التي لا تتجاوز في غالب الأحيان 80 ملم في السنة، كما تتسم بعدم الانتظام لا في الزمان ولا في المكان، وغالبا ما تتساقط على شكل زخات عنيفة تتبعها فيضانات. وتمارس الظروف الطبيعية ضغوطاتها بتفاوتات واضحة انطلاقا من الساحل نحو الداخل القاري حيث تنخفض الرطوبة الجوية وتزداد شدة الحرارة. هذا المناخ القاحل يفسر التباينات الجيولوجية والهيدرولوجية للمنطقة. فإذا كان الجريان السطحي منعدما إلا في الحالات الاستثنائية، فإن باطن الأرض يحتوي على فرشات مائية مختلفة الأهمية، وتتكون من مجالين جيولوجيين :

- مجال الحوض الرسوبي : يتكون من فرشة مائية تحادي الساحل وتمتد من شمال العيون إلى بير كندوز جنوبا، تحتوي على نسبة عالية من الملوحة تتراوح ما بين 2 إلى 9 غ/ل، وعمقها يتراوح ما بين 15 إلى 45 متر. وتشكل هذه الفرشة المائية أهمية كبرى بالنسبة للموارد المائية للمنطقة ككل، جودة المياه بهذه الفرشة تتراوح نسبيا من فرشة إلى أخرى، فنجد بالتالي فرشات ذات مياه عذبة وأخرى ذات مياه شديدة الملوحة.

- مجال القاعدة البلورية : يمتد من الشرق إلى الجنوب الشرقي، وهي فرشة مائية عميقة ومتقطعة بفعل الانكسارات والالتوائات، يتراوح عمقها ما بين 500 إلى 750 متر، تحتل الصخور التحويلية والاندفاعية ذات تشكيلات قديمة، وتتميز بقلة الملوحة، وأغلبيتها غير مستغل، نظرا لتكاليف التنقيب الباهظة.

- مياه الصحاري في فقه النوازل :

إن أهمية الماء في حياة المجتمعات باعتباره مصدر الحياة وأصل كل شيء فرضت اهتمام رجالات الفقه بالأحداث والنوازل التي عرضت عليهم من لدن المستفيدين طلبا للحلول، ومن نوازل الماء في الفقه المالكي بخصوص ماء الصحاري، فهذا الأخير يملك بالعمارة أي يستحق التقديم فيه من أعمره (الموطأ).

وتجب الإشارة إلى أن المياه الطبيعية الجارية على سطح الأرض تعتبر مشتركة بين الناس ومشاعة بينهم، ينتفعون بها شربا وسقيا وغير ذلك. أما المياه الجوفية والتي يحتاج الكشف عنها واستخراجها إلى عمل الإنسان وجهده فضلا عن بذل المال فهي تكون مملوكة لهذه الأسباب. ويشارك في ملكيتها كل من بذل جهدا أثناء التنقيب والعمل على الحصول عليها، ومع ذلك يقيد الإسلام مليكتها بمراعاة لمصالح الناس.

ففي الإسلام لا يجوز أن يمنع الناس من الماء وحتى دوابهم. فمن جملة الأشياء التي جعلها الله في الملكية الجماعية، حتى لا يستبد بها فرد أو جماعات، المياه الطبيعية سواء كانت مياه أنهار أو بحيرات أو عيون لأنها تعد شرطا حيويا لبقاء الإنسان على الأرض ولذلك اعتبرها الإسلام من الأشياء المشتركة التي لا يجوز الاختصاص بها لفرد معين. إنما يسمح لأفراد المجتمع بالانتفاع بها وعلى ذلك ما يحوزه الفرد منها بجهده وعمله يعتبر ملكا خالصا له دون حرمان الآخر.

فإذا كان الماء له مكانة مباركة في العقيدة، وبالخصوص في القرآن، حيث يقول سبحانه وتعالى : "وأنزلنا من السماء ماء مباركا" (سورة ق آيت 9)، فإنه في الوسط القاحل نال أكبر قسط من التكريم والتقديس نظرا لندرته، فهو الهاجس اليومي للرحل وماشيتهم

(الحية)، لهذا حظي باهتمام بالغ ومكانة خاصة في ثقافة الرجل الصحراوي.

لهذا فالماء يعد من الأشياء المشتركة بين القبائل البيضانية الظاعنة كما نص على ذلك الحديث الشريف "الناس شركاء في ثلاث : الماء والكلأ والنار".

- الماء وتدبير الندرة في ثقافة الرحل :

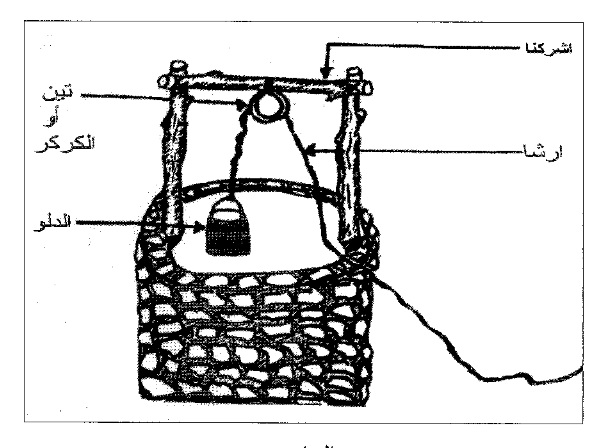
يكتسي التحكم في الماء بالمناطق الجافة طابعا استعجاليا، نظرا للظروف المناخية القاسية ولصعوبة استغلال المياه الباطنية. واللجوء إلى هذه الموارد الجوفية يعد ممارسة قديمة بالمناطق الجافة عند الرحل، وندرة المياه العذبة في هذا الوسط البيئي تشهد لصالح اقتصادها وحسن تدبيرها.

لقد علمت القحولة وندرة الماء الرحل أن يتجاوبوا مع هذه البيئة العقيمة، وأن يراعوا ويدبروا شح وسطهم القاحل، مما حتم عليهم التدبير الجيد للماء وعدم الغلو أو الإفراط في استعماله، فخلقت هذه الندرة تعاملا خاصا مع الماء، بل تحولت إلى ثقافة خاصة به. تمثلت بالخصوص في حفر الآبار والمطفيات أو "النطفية" بالحسانية، وصناعة وسائل نقله "كالـگربة" و"التنوة" (أي ما يشبه برميلا صغيرا من المعدن)، وكذا التغني به.

تمثل الآبار النقط الحيوية في الترحال، فهي مراحل للتزود بالماء وورود الحية (أي القطيع وخاصة الإبل والمعز) ونصب الخيام والاستراحة من عناء السفر، فكانت هذه المراحل تحمل غالبا اسم البئر أو الحاسي، وعلى سبيل المثال نجد "لبير لحلو"، "بير أنزران"، بير گندوز"، إلخ. هذه الآبار كان لها الفضل الكبير في رسم مسالك الطرق التجارية، فلولاها لما وجدت هذه الطرق في وسط قاحل.

ويمكن أن نميز في ثقافة الرحل بين "البير" و"الحاسي" و"العگلة"، والنطفية"، فالبير أو البئر هو أكبر قطرا واتساعا من الحاسي تتوسطه خشبة متفرعة تحمل بكارة من الخشب أو الحديد تسمى بالحسانية "التّينَ" تخترقها خشبة تدعى ب "اشركنا"، أما الحاسي فقطره في غالب الأحيان لا يتجاوز 40 إلى 50 سنتمتر ولا تتخلله خشبة كالبئر، أما بالنسبة "للعگلة" فهي مجموعة من الحسيان وعمقها قريب من سطح الأرض وهي مؤقتة زمنيا نظرا لتوفرها على فرشة مائية غير سديمة، وتستعمل كذلك كلمات تحدد بشكل وجيز ودقيق عمق نقط جلب الماء ك "أشگيگ" التي تعني أعمق نقطة لجلب الماء و"تورطا" وهي أقل عمقا من "أشگيگ" وأقرب نقطة إلى السطح. أما البحث عن نقاط الماء فيتكلف به شخص يطلق عليه "البَوَّاه" le sourcier ويتكلف كذلك بالبحث عن مراعي الكلأ.

أما التقنيات الخاصة بجلب الماء فتتمثل في "الدلو"، "ارشا" أي الحبل، أما عملية النقل والتزود بالماء فتتم عبر "الـگربات" التي تصنع من جلد الماعز وتحمله إبل خاصة تسمى "إبل اروابة" (يقال "جات الرواية" "راحت الرواية")، لأننا في هذا المجتمع البيضاني يمكن أن نصنف أنواعا من الإبل فهناك إبل الركوب أي "امراكيب لبل"، ثم هناك "مراكيب ادبش" أي الإبل التي تنقل الأمتعة بما فيها الخيام، ثم إبل "آزولاي" جمع "أزلاي" وهي الإبل التي تساق للبيع (يقال "فلان زولا لبل" أو مشى فزلاي لـگبلة"). وهكذا يعد الإبل جزءا هاما في ثقافة الماء وثقافة الرحل بشكل عام، بحيث يحمل أثقاله وأمتعته وماءه الشروب، ويعتمد عليه في حروبه، كما يشكل رأسمالا متنقلا ودعامة كبيرة في تجارة الرحل، وعربونا في فك الذمة أو الدية بين القبائل المتناحرة، ومهرا يتباهى به البيضاني في زواجه.



الحاسي

كما أن الإبل تساعد مالكيها على تدبير ندرة المياه، فلهذه الأخيرة القدرة على تحمل العطش لمدة قد تتراوح حسب المختصين ما بين شهرين إلى أربعة أشهر وذلك حسب الفصول، وتنزل قدرته التحملية إلى ما دون عشرة أيام في فصل الصيف.

فأهمية الماء في هذا المجتمع حتمت عليه الانتساب إلى الماء وذلك بتلقيب الفرق الخاصة بالبحث عن المناطق الممطرة والتي يطلق عليها "الزضف" أو "ارض مزضوفة" التي شهدت تهاطلا للمطر أو "اسحاب" بالحسانية، وكان هؤلاء يطلقون على أنفسهم أهل "المزنة" وهي كلمة جاءت من المزن وهو السحاب الممطر "وكما قال سبحانه وتعالى وأنزلنا الماء من المزن"، فيوجهون القوافل صوب المناطق الممطرة.

ويمكن كذلك أن نضيف نوعين من المياه، فهناك الماء الشروب ويدعى بالحسانية "ماء الرگبة" وهو ماء عذب، بينما الماء المخصص للماشية يدعى "ماء الحية" وهذا الأخير غالبا ما يكون ماء أجاجا أي تكون نسبة ملوحته عالية مقارنة بالماء المخصص للشرب.

من جهة أخرى يعد الكرم جزءا من شيم البيضاني، بحيث يقوم بتكريم ضيوفه ويتقاسم معهم المشرب والمأكل والمسكن، فيقدم أحسن الطعام ويحضر الشاي بماء الغدير، فهذا الماء له رمزية خاصة عند البيضاني، بحيث يقوم بجلبه عندما تتهاطل الأمطار تاركة وراءها ضايات من الماء تغمر في غالب الأحيان مقعرات طبوغرافية تتجمع فيها المياه لمدة وجيزة في الزمان والمكان قبل أن تتبخر بشدة الحرارة وتدعى هذه المقعرات "لـگراير"، والتي تستغل كذلك لزراعة الحبوب.

فندرة المياه حتمت كذلك على الرحل نوعا من التقشف وعدم الإسراف في المياه حتى في تأدية صلواتهم الخمس، فهم يفضلون التيمم بدل الوضوء، كي يحتفظون بالمياه للشرب أو لتحضير الشاي (هناك استثناء في استعمال التيمم إما مخافة الإصابة بضرر ما أو بنزلة برد خاصة في وقت الفصول الباردة الصحراوية).

وفي الحالات القصوى أي عندما تتوالى فترات الجفاف وتشح الآبار وينعدم الماء يضطر الرحل إلى نحر الإبل والتزود بالماء الذي تدخره بطونها.

ـ الماء والمرأة البيضانية :

تعد المرأة في المجتمع البيضاني ركيزة الخيمة، فهي التي تقوم بطهي الأكل للرحل، وتقديم وجبات الأكل، وتحضير الشاي، وتنظيف الخيمة، فلذلك كانت محورا بين التزود بالماء واستعماله والحفاظ عليه في آن واحد. أما النساء اللائي يجلبن الماء فهن في الغالب من فئات الأتباع والرقيق. وهناك بعض الطقوس الخاصة بالرحل هي أن المرأة يمنع عليها إطفاء النار بالماء، كما أنها في وقت تساقط المطر "اسحاب" لا تخرج من خيمتها، ولها تفضيل وأسبقية في الشرب سواء في الماء أو اللبن، بحكم الرضاعة وضعف بنيتها في تحمل العطش. ومكان "الـگربة" مرتبط بمكان المرأة في الخيمة الذي هو الجانب الغربي بينما مكان الرجل فهو الجانب الشرقي، وتعلق الـگربة في "اشقب" أو "امشقب". وللمرأة في المجتمع الصحراوي مكانة متميزة في تدبير الخيمة. وبما أن الماء يعد العنصر الأساسي في هذا التدبير، وخاصة في النظافة والطهي والغسل، فإن هذه المسؤولية الملقاة على عاتق المرأة البيضانية دفعتها إلى التعامل مع الماء بنوع من التقشف والاقتصاد في استهلاكه، سواء عند وفرته أو في حال ندرته.

ومع استقرارها الحديث بالمجالات الحضرية، بدأت عاداتها وتعاملاتها مع هذه المادة النادرة تتلاشي، لتحل محلها عادات وتقاليد أخرى مرتبطة بالمدينة والسكن القار وذلك في خضم التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي شهدتها المناطق الصحراوية، خاصة في العقود الأخيرة من القرن 20. وأصبحت للمرأة الصحراوية المستقرة مشاغل كثيرة مرتبطة بهذا التحول المفاجئ الذي أفقدها موروثها الثقافي في التعامل مع الندرة، وأضحت تندمج شيئا فشيئا مع حياتها الجديدة ومستوى عيشها الذي عرف قفزة نوعية وارتبط باستهلاك تصاعدي للماء. فواكبت المرأة البيضانية هذا التحول الاجتماعي والاقتصادي، واحتلت مكانة اجتماعية في هذا الاستقرار خاصة بعد ولوجها مسالك التمدرس، الشيء الذي مكنها من الحصول على مناصب مهمة في الوظيفة العمومية والقطاع الخاص، وأصبحت من أكثر المستهلكين لهذا التطور الحضري بما في ذلك الاستهلاك المفرط للماء.

ـ مكانة الماء في الشعر الحساني :

ومن بيـن الشعراء اللذين تغنوا بالماء نذكر على سبيل المثـال :

امهاد بن أوج التنواجيوي الذي يقول :

يلال منصاب انزلنـــــــاك — يالحسي امنيزلـــــــن ذاك

واجهرناك أركبن مـــــاك — أعدن كل انهار انحجــــوك

كيفت حالتن ذيك امعــــاك — يالحسي الياليـــــــن ذوك

وارجعت انت هــــو ذاك — وارجعن احن هوم هـــاذوك

هنا يربط الشاعر الحاسي بالذكريات حوله : يقول متعجبا يلال ولعلها ترخيم لاسم الله بمعنى يالله، متمنيا أن ينزلوا بهذا البئر الصغير "الحاسي"، مثل ما نزلناك من قبل كما يقول، وحفرناك وسقينا من مائك، وأصبحنا ننزع منك كلما سقط فيك، مثل ما كنا من قبل في حالتنا السابقة، في ليالينا الماضية، فرجعت أنت أنت ورجعنا نحن نحن.

ـ ربط انحصار المطر بكثرة الذنوب :

يقول المغن :

يعكل تـــــــــــوب — هذا الم احصــــــــر

ممتن اذنـــــــــــوب — هذا المحصــــــــر

فالمغن أو الشاعر يقول : إن السحاب تعطلت وربما وقع ذلك من كثرة ذنوب هذا المحصر، أي الحي الكبير.

ـ تبدل الدهر وجفاف الحاسي :

يقول سيدي ولد الداهي السباعي :

كان الفرد داخل من حيــات — فيه اتعود اكبل دهرا عيات

واخلات الزيات أكفـــــات — يحكم عن من ذاك أعظـــم

واخل غسرم منه واخــلات — لخووات أعادات عــــــدم

عند احسي الحرث ءلانــات — بحسي افطن لغنم تلتـــــم

وخل هاذ من لحسيــــــات — يوجع حد اليـوم اتخمـــم

غير احمدت الوافد فالـذات — ال بعد الغرد ال تــــــم

افبل ومعاه الزيـــــــــات — فبلدهم مزال اغســـــرم

مزال افبل ألخـــــــووات — تحت المكسم مزال فـــــم

مزال احسي الحرث كبـــال — حد اصل يعرف بل فـــــم

افبل وافبل مـــــــــــزال — زاد احسي امل لغنــــــم

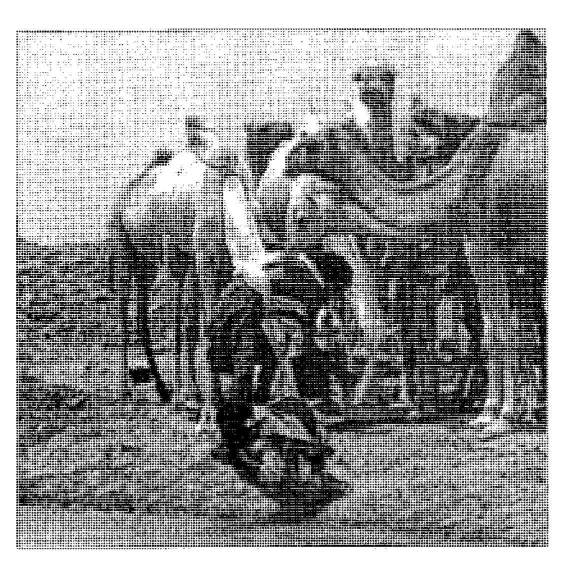
الشـــرح :

إذا كان الصريم قفرا من أحياء كانت به، وكذلك الزيات وهذه أماكن معروفة، فما دفع الله أعظم، وهذا يكفي من التأسف على ذلك وكذلك "غمرم" وهو بئر مشهور وكذلك "لخووات" أصبحت عدما، وأصبحت هذه الأحياء لا تجتمع عند "احسي الحرث"، وأصبحت هذه البلاد قفرا يبابا، فإن هذا مما يبعث في النفس الألم، ولكنه حمد الله على كون الصريم مازال في محله وكذلك "غسرم"، و"لخووات" مازالت تحت المقطع في محلها المعهود، ومازال "احسي الحرث" في محله لمن كان يعرف محله، وكذلك مازال "احسي لغنم" ـ أي بئر الغنم ـ في ملحه (كلها أماكن في بلاد الترازة بموريتانيا).

ـ الاستقرار والتحولات الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الصحـراوي :

- الماء عامل من عوامل استقرار الرحل :

إن نشأة المدن الحديثة بالصحراء المغربية ترجع بالأساس إلى الاستعمار الإسباني الذي اتخذ منها تكنات عسكرية، تؤمها جيوشه وتوفر لإدارييه الشغل والمسكن، بينما كانت هذه المدن تمثل بالنسبة للرحل مراكز تموينهم بالمواد الضرورية (السكر، الشاي، الأرز، الزيت، ...)، كما كان يقطنها بعض الأعيان من شيوخ القبائل وبعض الأسر الميسورة. وظاهرة الترحال لم يطرأ عليها أي تغيير إلا بعد استرجاع المغرب لهذا الجزء من الوطن، فأصبح الترحال يتلاشى بفعل إعمار المدن، عن طريق توزيع دور السكن، واستتباب الأمن. وأصبحت بالتالي المناطق الصحراوية تشكل أحد المجالات الأكثر تعميرا بالمملكة، بنسبة تصل إلى ما يناهز 92% من السكان الحضريين، متجاوزة بذلك المعدل المسجل على الصعيد الوطني والذي لا يتعدى 52%.



ورود الإبل

لقد أكد علماء الاجتماع والأنتربولوجيون أنه لا يوجد مجتمع أو جماعة لن ينتهي بها المطاف عبر مرحلة من مراحلها إلى نوع من الانتقال والتحول، فكان لزاما على المجتمع البيضاني أن يتكيف مع التحولات التي شهدتها بيئته لا من حيث المناخ (تعاقب فترات الجفاف، وقلة الماء والكلأ)، أو السياسة (الحروب، والاستقرار المفروض، واستتباب الأمن، وانتقال السلطة من القبيلة إلى المخزن)، ثم التقلبات الاقتصادية (انهيار الاقتصاد الرعوي، البحث عن دخل قار، ومكان عيش مستقر)، هذا بالإضافة إلى الضروريات الاجتماعية والثقافية من تمدرس، وتطبيب، وكهرباء، وأمن غذائي ومائي، كل هذه العوامل حتمت على الرحل أن يبحثوا عن البديل بعد أن شهد مجالهم تحولات هامة، أملتها ظروف داخلية وخارجية. فشروط الإقامة بالمدن فرضت على الرحل قيما اجتماعية جديدة ونمط عيش جديد تسوده الفردانية والاستهلاك المادي والتباهي بالدور والسيارات الفخمة واللباس الأنيق والمزركش، كل هذه العوامل كانت لها انعكاسات واضحة على عادات وتقاليد هذا المجتمع.

رغم هذا التغيير الذي لحق الرحل فهم لم يساهموا في تلاشي كل التقاليد والعادات التي ورثوها أبا عن جد، فنجد على سبيل المثال أن مزاولة تربية الإبل "الحية" لازالت مترسخة في عادات الرحل المستقرين، رغم أنه طرأ على هذا النمط بعض التغييرات التي أصبحت تتماشى وتتجاوب مع الاستقرار والتحضر، فلقد خلق البيضاني لنفسه نمطاً رعوياً جديداً مرتبطاً بالمدينة وهو ما يمكن أن نسميه بالرعوي الحضري أو المدني. فمربو الماشية، أي ملاكي القطعان، أغلبيتهم يقيمون بالمدن كالعيون، السمارة، بوجدور والداخلة، ومنها ينظمون يراقبون تنقل ماشيتهم عبر الصحراء، ويكترون لذلك رعاة وعمالا يسهرون على رعي الإبل "السراح".

- من تدبير الندرة إلى التبذير والاستهلاك المفرط للماء :

إن المدينة كما رأينا أصبحت رمز الاستقرار لما توفره من شغل وتجهيزات أساسية من كهرباء، وتطهير، وماء صالح للشرب، ومواد غذائية متنوعة،... فقد أفرز هذا الاستقرار جيلا جديدا يمكن أن ننعته بجيل "الصنبور génération du robinet"، الذي لم يعرف قط نمط الترحال ولا البداوة (يقابله جيل البئر والحاسي)، لهذا لم تكن له ثقافة تدبير ولا اقتصاد الندرة، بل انصهر مع نمط التحضر والاستهلاك المفرط واللامبالي للمياه ولا يعير أي اهتمام لشح وقحولة الوسط البيئي للصحراء.

الماء يعد عاملا أساسيا في استقرار الرحل، فبذل البحث عنه في تخوم الصحاري، وما يتطلبه من تنقيب وحفر ونقل وصيانة للآبار وإزاحة الرمال حولها، أصبحت هذه المعاناة متجاوزة إذ أسندت للدولة ومؤسساتها نيابة عن الرحل. فالدولة أخذت على عاتقها كل المصاريف المتعلقة بالتنقيب والصيانة ومد القنوات والربط بشبكة الماء الصالح للشرب وضمان جودته ووفرته.

لكن هذه المصاريف يؤدى عنها من طرف المستهلك بالمجال الحضري، فمن مجانية الماء عند الرحل إلى الماء المؤدى عنه بالمدينة، انتقل كذلك الرحل من تدبير الندرة التي تتجاوب مع الوسط القاحل والشحيح إلى التبذير والاستهلاك المفرط واللامبالي مع ضمان وفرة الماء وجودته من طرف الدولة، التي أصبحت تلعب دور الوصي والمسؤول عن هذا المجتمع.

وبحكم التمدن السريع والنمو الديمغرافي التصاعدي وتفاقم ظاهرة الهجرة نحو المدن الصحراوية كالعيون وبوجدور والداخلة والسمارة اضطرت الدولة إلى البحث المستمر عن ضمان الأمن المائي بهذه المناطق القاحلة وذلك بإنجاز مشاريع مهمة في هذا الميدان كاللجوء إلى تحلية مياه البحر واستغلال المياه الجوفية العميقة (la nappe (fossile وكذا المياه الجوفية المالحة les nappes (saumâtres). فلقد أنجزت الدولة في الأقاليم الجنوبية عدة مشاريع في مجال الماء الشروب بكل من الأقاليم التالية : العيون، بوجدور، السمارة، والداخلة.

وتقدر مجموعة الاستثمارات المنجزة في هذا القطاع بالأقاليم الجنوبية بين 1975 و2001 بمليار و260 مليون

درهم، مكنت من إنجاز مشاريع ضخمة أهمها محطتين لتحلية ماء البحر بكل من مدينتي العيون (ذات طاقة إنتاجية تصل إلى 7000م^3 في اليوم) وبوجدور (800 م^3 في اليوم).

ومن بين المشاريع المبرمجة في العيون مثلا توسيع محطة تحلية ماء البحر ليصل صبيبها إلى 13000م^3 في اليوم، كما تم تجهيز سبعة آبار على نبيضة فم الواد ووضع قنوات الجر، وتم إنجاز وحدة لإزالة الأملاح المعدنية (800م^3 في اليوم)، ومشروع تزويد مدينة العيون انطلاقا من أساطيف بصبيب 90 ل/ث.

فالمياه الجوفية ليست فقط حكرا على استهلاك التجمعات الحضرية بل حتى على الفلاحة السقوية التي تطورت بشكل ملحوظ في ضواحي المدن الصحراوية. فلقد ظهرت بالصحراء مجالات مسقية دخلت في تنافسية حادة مع المدن في ضخ المياه الجوفية دون مراعاة الوسط القاحل، ونذكر على سبيل المثال "فم الواد" بالعيون، "الجريفية" بإقليم بوجدور و"تورطا" و"تنغير" و"ظهر الحولي" بضواحي الداخلة، فهذه المجالات الخضراء بدأت تزداد أهمية منذ إدخالها لبعض المنتوجاتب المدارية (كالموز، البطيخ الكناري، الكيوي،...) التي تتطلب كمية هائلة من المياه، مما زاد من حدة الضخ والاستغلال المفرط وغير العقلاني للمياه الجوفية. مما أدى إلى نضوب مخزون المياه الجوفية العذبة وتعرضها إلى ملوحة كاسحة.

- الماء وإشكالية التلوث بالمدن الصحراوية :

برز التلوث بوضوح في البيئة الصحراوية مع الاستقرار وخصوصا في المجلات الحضرية، التي أصبحت ترمي بنفاياتها في بيئة كانت تتسم بالتوازن مع نمط الترحال، الذي لم يخل قط بوسطه الحساس. فكان لتمدن هذا الوسط الصحراوي أثر سلبي على منظومة بيئته ذات موارد محدودة في الزمان والمكان غير متجددة وآهلة للزوال. فكلما ازداد توسع المدينة وكثافة سكانها إلا وازدادت معها وطأة التلوث بشكل مهول، وأصبح الماء أكثر عرضة للتلوث. فالمدار الحضري يعتبر معملا لإنتاج التلوث من نفايات وقمامة وتصريف صحي يقذف به مباشرة وبدون معالجة في ضواحي المدن وبالخصوص في قعور الأودية أو في البحر، مما يسبب تلوات الفرشات المائية بالخصوص والبيئة الصحراوية بصفة عامة. فالتلوث أصبح مرتبطا ارتباطا وطيدا بهذه المجالات الحضرية وباستقرار الرحل وكذا الهجرة المتوافدة على هذه الأقاليم إما في شكل مخيمات أو قرى للصيادين، فنتج عن هذه الظاهرة ضغطا كبيرا على الموارد المائية، وتفاقمت معها حدة التلوات. فلتسرب المياه المستعملة وقع كبير ومباشر في تلوث الفرشة المائية الباطنية، كما هو الشأن بفم الواد بالعيون، التي تعد من بين الفرشات المائية العذبة التي تزخر بها المناطق الصحراوية على الإطلاق. فأصبحت بالتالي هذه الفرشة النادرة والمحدودة تتعرض في آن واحد لاستغلال مفرط وغير عقلاني للمياه ولتلوث لا يراعي أية منظومة بيئية ولو كانت هاشة وحساسة.

ونظرا لأهمية الماء كمورد طبيعي لكل عمليات التنمية، وكعامل حاسم في إعداد المجال الجاف، فإن الجميع مهما كان موقعه، مدعو إلى التفكير في اتجاه الحلول الكفيلة بتجاوز القضايا والأسئلة التي تطرحها المسألة المائية. وعلينا اليوم أن نجد الأجوبة الملائمة للأسئلة التالية :

- ما هي المبادئ العامة التي يجب أن يرتكز عليها إعداد وتعبئة الموارد المائية بالجهات الصحراوية ؟

- انطلاقا من الواقع الحالي، كيف يمكن توسيع وتنمية حجم الرصيد المائي القابل للاستهلاك ؟

- بالإضافة إلى تنمية وتوسيع هذا الرصيد، ما هي الإجراءات التي علينا القيام بها من أجل صيانته وحمايته من مخاطر التلوث والنضوب ؟

- على ضوء التحولات التي يعرفها المجال الجغرافي والمجتمع الصحراوي، ما هي مواصفات الإطار القانوني والمؤسساتي الملائم لتدبير الموارد المائية بهذه الجهات ؟

- كيف يمكن أن نعمل على تحقيق التوازن بين العرض القار والمحدود للموارد المائية بهذه المناطق الصحراوية والطلب المتزايد على هذه المادة ؟

- وكيف يمكن تحقيق توازن مائي عادل وفعال يضمن إمكانيات ولوج عادلة نحو الخدمات المائية لكافة المناطق والجهات الجافة وكل الفئات الاجتماعية، ويتجنب مظاهر الهدر والتبذير لثروة وطنية استراتيجية ؟

- وهل اللجوء إلى تحلية مياه البحر وما تتطلبه من تكاليف باهضة تعتبر حلا دائما لا بديل عنه لضمان الأمن المائي بهذه الأقاليم ؟

- وهل يمكن التفكير على المدى المتوسط أو البعيد في جلب الماء من المناطق الأخرى، وذلك بمد جسر التضامن المائي بين الجهات الشمالية التي تنعم بالفائض وبين مثيلاتها الجنوبية التي تعيش في خصاص ؟

- ما هي الوسائل الممكنة والمتاحة لإعادة استعمال المياه المستعملة بعد معالجتها، وتوجيهها نحو المساحات المسقية ؟

- ما هي الدراسات التي يجب القيام بها لجرد الموارد المائية وذلك في سبيل استكمال المعرفة الدقيقة بالرصيد المائي، وخاصة المياه الجوفية العميقة التي تختزنها الأقاليم الصحراوية ؟

- أليس من الضروري خلق مرصد مائي بالأقاليم الصحراوية لتتبع الثروات المائية الجوفية، مع العمل على الحد من ضياع مياه الفيضانات المفاجئة وأضرارها ؟

- ألم يحن الوقت لوضع برنامج تحسيسي موجه لمستعملي المياه، بغية إحياء ثقافة تدبير الندرة في الجيل الجديد ؟ وكذا توظيف هذا الموروث الثقافي الغني في تحسين تدبير المياه بالمجالات الحضرية، مع مراعاة المحافظة عليها في هذا الوسط الجديد في ظل سياسة مائية مستدامة.

إذن فالاستقرار أربك نمط عيش "الترحال" وما واكبه من تدبير للندرة وجعل كل ذلك يندثر بشكل تدريجي. فالرحل كانوا يتجاوبون مع خصوصية مجالهم وقحولة وسطهم، وتعاملوا معهما بتبصر وحكمة، لكن التحولات الاقتصادية والاجتماعية والمجالية التي شهدتها الأقاليم الصحراوية من تمدن سريع ونمو ديمغرافي تصاعدي وتغيير في نمط عيش السكان زاد من إشكالية الندرة المائية بهذه المناطق ورهن مستقبلها باللجوء إلى تحلية مياه البحر التي تتطلب تكاليف باهضة وتقنيات عالية، وحق من قال وهو جورج دو هامل (Georges Duhamel) : "تقاس عظمة أي مجتمع بقدر حسن تدبيره العقلاني والمحكم للماء".

محمد الفاسي، الصحراء المغربية مغربية طبيعيا وجغرافيا وتاريخيا وإنسانيا وحضاريا، في *دعوة الحق* : مجلة شهرية تعنى بالبحوث الدينية وشؤون الثقافة والفكر. ع 10 (1975)، ص. 36 - 46 ؛ امحمد بن أحمد يوره الديماني، *إخبار الأحبار بأخبار الآبار*، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 1992 ؛ محمد دحمان، *الترحال والإستقرار من خلال دراسة سوسيو - تاريخية لقبيلة أولاد أبي السباع* (حالة المغرب وموريتانيا)، رسالة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع سنة 2004، مرقونة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس - أكدال، الرباط ؛ منوغرافيات جهوية خصصت للجهات الصحراوية الثلاث : جهة كلميم - السمارة، جهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء، واد الذهب - لكويرة، أعدتها وزارة إعداد التراب الوطني والبيئة والتعمير والإسكان بمناسبة الحوار الوطني *حول إعداد التراب* (مديرية إعداد التراب الوطني)، مطابع منشورات عكاظ - الرباط، دجنبر، 1999 ؛ مولاي إدريس شداد، إشكالية الماء في الوسط القاحل، وثقافة تدبير الندرة في المجتمع البيضاني، مقال تمت المشاركة به في ندوة بالعيون "*الصحراء ذاكرة الإنسان*" ما بين 20 - 21 أبريل 2004، ونشر ضمن منشورات معهد الدراسات الإفريقية مجلة "المغرب الإفريقي"، عدد 7، الرباط، 2006.

Biadillah Mohamed, Cheikh, Du nomadisme à la sédentarisation dans les provinces sahariennes, In *Intégration économique des provinces sahariennes et développement national*: Actes du colloque international, Editions Maghrébines, Casablanca, 1985 ; Capot-Rey R., Cornet T. & Balandin (de) J., *Glossaire des principaux termes géographiques saharienes*, I.R.S., Alger, 1963 ; Dresch, Jean, Les Régions sahariennes, In *Maghreb : peuples et civilisations*, La Découverte, Paris, 1995 ; Hammoudi, A., Droit d'eau et société, la vallée du Draâ, in *la Revue Hommes, Terres et Eaux n°48*, Rabat, Septembre, 1982 ; Leriche A., *Terminologie géographique Maure*, Saint-Louis, 1922.

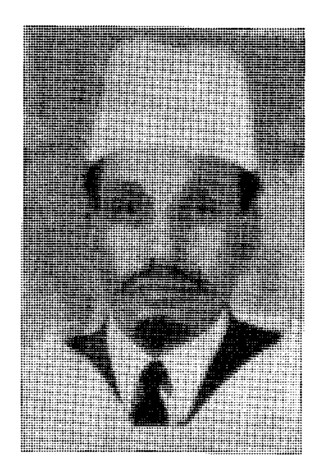
مولاي إدريس شداد

ماء العينين، آمنة الشفاء : هي السخية الظريفة العفيفة المتصدقة السيدة آمنة الشفاء بنت الشيخ ماء العينين وأمها هي السيدة لال بنت الكوري. ولدت في شهر شوال عام ثلاثمائة وألف (1300 / 1882) وقرأت على أبيها كثيرا من العلوم وكانت من أحظى بناته عنده. كانت مقبلة على العبادة ظاهرة عليها سيم السيادة ذات أدب عجيب وحياء غريب كثيرة التصدق والعطاء من الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة بارة بأبويها وإخوتها وسائر الناس. وكانت عابدة زاهدة كريمة حاملة للكل معينة على نوائب الدهر من أفضل نساء زمانها كثيرة الصمت إلا عن الطاعة لا تتكلم إلا فيما يعنيها ولا تتكلم في شهر رمضان ولا في يوم الجمعة إلا بالذكر والتسبيح والتحميد كثيرة التلاوة لكتاب الله في المصحف الكريم قلما تفارقه لها اليد الطولى والغاية القصوى في مكارم الأخلاق لا سيما في الورع والتقوى.

توفيت يوم الخميس الثامن عشر من شهر رمضان عام تسعة وثلاثين وثلاثمائة وألف (1339 / 1921) في صحراء وادنون قبلة القرية المسماة بالأبيار ودفنت بالموضع الذي توفيت فيه.

الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين، *قرة العينين في كرامات شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين بن الحضرام، *إفادة الأقربين في التعريف بذرية شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين بن العتيق، *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت.

ماء العينين، أبو بكر : هو العالم والأديب والشاعر الأستاذ أبو بكر الصديق، المعروف بأبي بكر بن الشيخ مربيه ربه، بن الشيخ ماء العينين، بن الشيخ محمد فاضل، بن الشيخ مامين. وأمه هي التقية العابدة الزاهدة الفاضلة، منين بنت المبارك.



في سنة 1914 ولد الأستاذ أبو بكر بقرية صبويا التي تقع في آيت باعمران بسوس، وتلقى تعليمه الأولي على يد والده العلامة الشيخ مربيه ربه، الذي أولاه عناية كبيرة وظل يرعاه ويتابع خطواته ويسهر على تربيته وتكوينه. وقرأ بعد ذلك على عدد كبير من أساتذة زاوية الشيخ ماء العينين وغيرهم من علماء سوس منهم الشيخ سيدي علي بن الشيخ محمد فاضل بن مامين والشيخ محمد الأغظف والشيخ محمد الإمام ابنا الشيخ ماء العينين وماء العينين بن العتيق ومحمد بن أبو البوحسني وماء العينين بن الحضرام والطاهر الإفراني والحاج

الحبيب البشواري. بدأ بحفظ القرآن الكريم ولما أتقنه، أردفه بالعلوم الأخرى من فقه وتفسير وحديث وأصول ونحو وبلاغة وبيان وأدب وشعر، وظهرت عليه منذ صغره علامات الذكاء والنجابة والحفظ، مما جعله في ظرف وجيز يحفظ ويستوعب مختلف العلوم التي درسها رغم صغر سنه، وهذا ما جعل العلماء الذين أخذ عنهم ودرس عليهم، يشيدون بسلوكه وانضباطه وانكبابه على الدرس والتحصيل والعلم. وقد ظل الأستاذ أبو بكر في مجالس والده الذي قرأ عليه وأخذ عنه علوما كثيرة بكردوس، ينهل من ينبوع العلم والمعرفة لا يفارقه ولا يغيب عنه وكان يحبه ويقربه ويشاوره وينيبه في كثير من أموره، مما ساهم مساهمة فعالة في تكوينه العلمي والأدبي والفكري الغزير ورصيده المعرفي، بالإضافة إلى قراءاته الشخصية الدائمة والمتنوعة.

في سنة 1934 غادر والده الشيخ مربيه ربه كردوس متجها إلى طرفاية، فرافقه بعدما دخل مجموع التراب الوطني تحت سيطرة الاستعمار الفرنسي.

في سنة 1937 رافقه لأداء فريضة الحج والتقى في هذه الرحلة التي دونها، بعدد كبير من الأدباء والعلماء والشعراء سواء في المشرق أم المغرب. وكانت له معهم مساجلات شعرية ومحاورات أدبية وعلمية. وبعد عودته بقي مرافقا له يغتبق من معينه ويغترف من بحره ويحفظ من أسراره ويتكفل بالمهام المسندة إليه من قبله فينجزها على أحسن وجه.

في سنة 1955 شارك في مؤتمر أم الشگاگ الذي ترأسه الشيخ محمد الأغظف بن الشيخ ماء العينين وحضرته مختلف القبائل الصحراوية.

في سنة 1956 توجه مع أول وفد من أعيان قبائل الصحراء وآيت باعمران لتهنئة الملك محمد الخامس بعد عودته من المنفى وخاطبه بقصيدة يقول فيها :

بل شاقني وجه الأجل محمـــد	فحل الملوك ونورها المتوقـــــد
الخامس المنصور بالله بن يـــو	سف ذي المكارم والعلا والسؤدد
فاهنا بما أولاك ربك من عـــلا	وليهنإ الشعب السعيد الأسعـــــد

وفي السنة نفسها شارك في أشغال المجلس الوطني لحزب الاستقلال المنعقد يومي 19 و20 غشت وحضره ممثلون عن كافة القبائل الصحراوية. ثم توجه إلى مراكش حيث التقى بالزعيم علال الفاسي وأنشده قصيدته المشهورة التي يخاطبه فيها منها قولـه :

قدت علال جبهة الحق حتـــى	أصبح الحق كالنهار المنيـــر
فرعكم بالصحراء يدلي إليكم	بأمور قد أثرت في الضميـــر

وقد انخرط في صفوف جيش التحرير المغربي وساهم بدور فعال في المقاومة. ولما اطلع المستعمر الإسباني على نشاطه "وعرف علاقته المحركة مع أفراد جيش التحرير وحزب الاستقلال واكتشف أن له اليد الطولى في التذمر ضد الإسبان أعطى منحة عظيمــة من البسيطة لمن يدلهم عليه وكان له الفضل الكبير في الكثير من المعارك التي نفذها جيش التحرير" منها الدشيـرة والعيون ولمسيد وتيـرس. ولم يقتصر على السلاح وحده بل أردفه بالقصائد الشعريـة المتنوعـة التي تنمي الحس الوطني وروح المقاومة في نفـوس أبناء وطنـه. يقول في قصيدته النونية داعيا قومه إلى الدفاع عن الوطن واقتحام الأهـوال والمهـالك لتحريـره من ربقـة العـدو المستعمر الأجنبـي ونبذ التهاون والتغافل والاستسلام لأن الذي يستحق الإذعان والخنوع هو المحتل وأذنـابـه وعمـلاءه، معتبـرا أن الموت بعـز في سبيل الدفـاع عن الوطن أشرف من العيش المصحوب بالذل والهوان والجبن والخـذلان.

هبوا من الغفلات للأوطـــــان	ليس الغبي كالمخلص الفطان
وتذكروا قوما مضوا آثارهـــم	تثني بجدة ألسن البنيـــــان
كونوا جميعا زمرة فعالـــــة	من مات يخلفه كريم ثـــــان

في سنة 1958 شارك في التجمع الحاشد الذي انعقد بمحاميد الغزلان والذي ترأسه الملك محمد الخامس وحضرته مختلف القبائل الصحراوية والباعمرانية.

في سنة 1963 توجه رفقة وفد من قبيلة أهل الشيخ ماء العينين إلى مدينة الرباط للمشاركة في احتفال الأسرة الملكية والشعب المغربي بازدياد ولي العهد آنذاك جلالة الملك محمد السادس وخاطب والده الملك الحسن الثاني بقصيدة يقول فيها :

بولي عهدك يا أمير المؤمنيـن	جئناك تحملنا الركاب مهنئين
لولادة الشبل الكريم محمـــــد	نبا يسر به البشير السامعيـن

في سنة 1975 شارك في المسيرة الخضراء ونظم فيها قصائد متعددة وأشاد بها وبدورها في تحرير الصحراء. يقول في إحدى هذه القصائد :

مسيرتنا الخضراء بالنصر كللت	وللغرة القعســـــاء نالـت وللفضـل
بإرشاد مولانا الإمام تحققـــــت	أماني هذا الشعب في الوعر والسهل

في سنة 1985 كان ضمن الوفد الذي حظي بشرف استقبال المرحوم جلالة الملك الحسن الثاني في مدينة طرفاية بمناسبة زيارته التاريخية لمدينة العيون.

هذه هـي أهـم المحطات الرئيسيـة في حيـاة الأستاذ والشاعـر والأديب والعالـم والمقـاوم أبي بكـر بن الشيخ مربيه ربــه.

وظائفه وأعماله :

تنقل الأستاذ بين عدة وظائف نجملها فيما يلي :

- اشتغل بالتدريس ما بين سنة 1943 و1954 في مدينة العيون وطرفاية.

- في سنة 1956 عين أول كاتب لفرع حزب الاستقلال بمدينة العيون وأداره "بحنكة وحزم وريادة ولم يتأخر عن اجتماعاته وتدخلاته الهادفة ومساهماته الفاعلة خلال تلك الاجتماعات وهذا ما نجده في وثائق الحزب بكل من

الدار البيضاء والرباط ومكناس". وفي سنة 1958 عين كاتبا للضبط بالمحكمة الإبتدائية بطرفاية ثم انتقل إلى طان طان فآيت باعمران وأگادير.

في سنة 1970 تم تعيينه في القضاء، وقضى فترة تكوين بالمعهد العالي للدراسات القضائية بالرباط وفي سنة 1972 أسندت إليه ملحقة شيشاوة وبعدها انتقل إلى محكمة السدد بالصويرة.

في سنة 1974 عين بثلاثاء الحنشان قرب مدينة الصويرة.

في سنة 1979 رقي إلى درجة مستشار وعين بمحكمة الاستئناف بآسفي، وفي سنة 1986 انتقل إلى محكمة الاستئناف بالعيون حيث بقي فيها حتى وفاته.

ثقافته وإجازاته العلمية :

يعتبر أبو بكر من كبار العلماء والأدباء الذين عرفتهم الساحة الأدبية والعلمية في سوس والصحراء في العصر الحديث. فهو عالم وأديب وشاعر وناظم كما تبين ذلك آثاره وأشعاره ومصنفاته. فقد كان يقضي معظم أوقاته في القراءة والمطالعة المستمرة أو في التأليف والنظم والإبداع والشرح والتعليق. وكانت الكتب سواء المخطوطة أو المطبوعة لا تفارقه في حله وترحاله. وكان أيضا حافظا يحفظ المتون والأراجيز والأشعار الطويلة ويستحضرها ويستظهرها في كل وقت حتى لا ينساها. ومما يدل على علو كعبه في الميدان العلمي والأدبي، الإجازات التي أجازه بها عدد من كبار العلماء والأدباء، والقصائد الشعرية المتنوعة التي وشحوا صدره بها، دون غيره من الأدباء والشعراء المعاصرين له مما أعطاه صفة التميز والتفرد عنهم. يقول ماء العينين بن العتيق في إجازته له : "... وبعد فقد سألني الأخ الولد الأبر اليلمعي اللوذعي الأغر الأستاذ السيد أبو بكر الصديق أن أجيزه في رائع الإنشاء وهو جدير بما من قبلي شاء فلذلك لبيت نداءه وأجبت دعاءه قائلا قد أجزتك أيها الندب الهمام فيما التمست الإجازة فيه من أساليب النظام مطلقا لك العنان في محاسن إنشائه وإنشاده لما لك من المهارة في إصداره وإيراده بل أجزتك في سائر المنظوم والمنثور جعلنا الله وإياك من أهل السعي المشكور.

ويقول سيدي محمد بن عبد العزيز : "... أما بعد فقد سألني الأخ الصديق النسيب الحسيب الأديب الأريب الشاعر المفلق المجيد الطالب السيد الأديب أبو بكر الصديق أن أجيزه في القوافي وفي البيان والمعاني والبديع فأجزته في الجميع".

ويقول الشيخ محمد الإمام بن الشيخ ماء العينين :

"... أما بعد فإن الفتى الأريب اليلمعي الأديب السيد أبو بكر الصديق طلب مني أن أجيزه وأحلي إبريزه في نظم الأشعار وبنات الأفكار وما يتعلق بذلك من فنون آدابها والتمسك بهدابها فأسعفته بذلك إذ هو أهل ما شاء الله تعالى هنالك (...) فأقول إني قد أجزت الفتى المذكور أبا بكر الصديق في نظم الأشعار وبنات الأفكار وفنون الآداب وما يتعلق بها في الإصابة والصواب بشروط أهل الفن المعتبرة عندهم وسبلها المعروفة المقررة".

وقد حرر الأستاذ أبو بكر كتابات نثرية متنوعة لا زالت مخطوطة منها :

- كتاب مركز الإمداد ومصبه فيما قاله أو مدح به الشيخ مربيه ربه. جمع فيه أشعار والده والأشعار التي مدح بها وقدم لها.

- الرحلة الحجازية التي دون فيها رحلته إلى الحجاز لأداء مناسك الحج رفقة والده الشيخ مربيه ربه سنة 1937.

- المدرسة الشنقيطية وأعلامها.

بالإضافة إلى مقالاته التي نشرها في جريدة صحراء المغرب وصحراؤنا ورسائله مع العلماء والأدباء في سوس والصحراء وباقي الأقاليم المغربية الأخرى التي تناول فيها موضوعات أدبية وفكرية واجتماعية وسياسية.

توفي يوم الجمعة 31 غشت سنة 1990 وصلى عليه جم غفير بمدينة العيون، ونقل جثمانه إلى تافودارت التي تقع شرق هذه المدينة، فدفن هناك بجوار والده الشيخ مربيه ربه.

تحلية الطروس وتسلية النفوس في التعريف بأعلام الشعر في الصحراء وسوس، مخطوط، خزانة الأستاذ مروان الأكرمي، أگادير ؛ أبو بكر بن الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين، مطبعة بني إزناسن، سلا، الطبعة الأولى.

ماء العينين، الأديبة : هي الولية الظريفة الكريمة الوفية المفيدة السيدة الأديبة بنت الشيخ ماء العينين ووالدتها هي السيدة عيش بنت محمد الجكني. ولدت في شوال عام ثلاثمائة وألف (1300 / 1882) وقرأت القرآن الكريم حتى حفظته على والدها في بداية تكوينها العلمي ثم درست عليه مختلف العلوم من فقه وسيرة وتفسير وحديث ولغة وشعر وكانت تحفظ النصوص والمتون والأشعار تسردها ببديهة دون تعب أو عناء وهذا ما يشير إليه ماء العينين بن العتيق الذي يؤكد أنه كان مفتوح عليها في العلم والحفظ. ولا غرابة في ذلك فقد سماها والدها الأديبة فسرى لها مدد من هذا الاسم لأنه كان يتوسم فيها هذه الصفات، وكانت فعلا أديبة عاقلة عالمة حافظة سخية تحب الخير وتفعله وتحسن إلى الجيران وتتصدق في كل وقت من أوقات الزمان، وتعبد الله دواما وتراعيه قعودا وقياما، ذات أدب وعفة ودين ومروءة عظيمة، تحب أهل الفضل وتكرمهم وتنزل الناس منازلهم، لها جاه عظيم وطبع كريم ونفس أبية وهمة علية وأخلاق مرضية.

توفيت في صفر عام واحد وأربعين بعد ثلاثمائة وألف (1341 / 1923) بقرية كردوس ودفنت فيه بجامع الرحمة.

ماء العينين، أمّ الخير : هي الكريمة السخية الظريفة الأديبة الصفية الوفية السيدة لآل أم الخير بنت شيخنا الشيخ ماء العينين وأمها هي السيدة مليكة بنت الدرج من قبيلة العروسيين. ولدت عام ستة وتسعين

ومائتين وألف (1296 - 1878) ونشأت في صيانة وعفاف وأدب وقرأت القرآن الكريم وكثيرا من العلوم على والدها وكانت لها اليد الطولى في الصدقة والسخاء والزهد مقبولة الكلام وكانت ولية بارة حليمة عابدة كثيرة القدر سليمة الصدر مليحة الخطاب كثيرة الأدب حسنة الأوصاف والأخلاق ظنها حسن بالخلاق ومالها مبذول في الصدقات والإنفاق معروفة بحسن السريرة ومحاسن شمائلها شهيرة.

توفيت عام اثنين وثلاثين وثلاثمائة وألف (1332 / 1914) بقرية وجان التي تقع شرق مدينة تيزنيت.

ماء العينين، أمّ الفضل : هي الولية الصالحة العابدة الزاهدة السخية العفيفة التقية النظيفة المحسنة المتفضلة الحيية الصادقة السيدة أم الفضل بنت الشيخ ماء العينين وأمها هي السيدة الفاضلة أمام بنت حبيب. ولدت في الحوض عام سبعين ومائتين وألف (1270 / 1852) ونشأت في عفاف وصيانة وأدب وحضانة بين جدها الشيخ محمد فاضل بن شيخنا الشيخ مامين الذي أخذت عنه كثيرا من العلوم وجدتها منى بنت المعلوم وكانت زاهدة قانعة عابدة على يقين كامل من ربها سخية لا تبالي بكثير العطاء بل هو سجيتها ولا يحسن عندها من الدنيا إلا ما أنفقته في سبيل الله أو حل محله في الأقارب، كثيرة الصدقة لا مثيل لها في الصفاء والصدق ومحبة المسلمين وتسويتهم في النفع، حسنة الخلق والخلق نيتها حسنة تحب لعباد الله ما تحبه لنفسها ولية محببة عند الشيخ ماء العينين الذي كان يحبها ويبجلها ويؤثرها على جميع جنسها.

توفيت عام اثنين وثلاثين وثلاثمائة وألف (1332 / 1914) بقرية من قرى بعقيلة تسمى وجان بسفح الجبل شرق مدينة تيزنيت. قال فيها الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين : "ابنة شيخنا الشيخ ماء العينين الخيرة ذات العدالة والجزالة والعفة والرأفة ذات المزايا والفضل السيدة أم الفضل التي هي أكبر ذريته رضي الله عنها".

ماء العينين، الأمينة : هي الولية والأديبة الظريفة العزيزة العفيفة السيدة الأمينة المعروفة بلقبها الأمينة لمين بنت الشيخ ماء العينين وأمها هي السيدة ميمونة بنت أحمد علي. ولدت في العام الموفى ثلاثمائة بعد الألف (1300 / 1882) ونشأت في صيانة وأدب وبدأت دراستها بحفظ القرآن الكريم على والدها فلما أتمته وحفظته حفظا تاما قرأت عليه باقي العلوم من فقه وأصول وحديث وتفسير وتصوف وشعر واشتهرت بعلم الفقه وخاصة فرض العين. وهذا ما يؤكده ماء العينين بن العتيق قائلا : "ولها خبرة ببعض العلم لاسيما علم فرض العين" وكانت تحفظ المتون وتستشهد بها وتعرف النوازل الفقهية والقضايا المتعلقة بها واختلافات العلماء والفقهاء وترجح الحكم الصحيح منها بعد أن تبنيه على أدلة وشواهد مما جعل الشيخ ماء العينين يشيد بها وبعلمها ويقربها وينزلها منزلة كبيرة دون غيرها ويحمد الله على ذلك، وكان من حين لآخر يستفتيها فتجيبه عن كل مسألة فقهية سألها فيها بالدليل الفقهي والحجة العلمية. وكانت إلى جانب علمها عنها عابدة متصدقة زاهدة لها بركة ظاهرة ذات أدب وحياء ودين وسخاء كثيرة التلاوة لكتاب الله تعالى لها اعتناء بصلة الرحم وبالتصدق والإحسان على القرباء والجيران ولها أنفة عن كل أمر يجر إلى شين بارة بالإخوة والوالدين لطيفة الطبع ظريفة الخلق شريفة النفس موطأة الأكناف رفيقة بالضعاف لها اجتهاد في العبادة وطلب الإفادة واتصاف بالأوصاف الحميدة وفكرتها في فهم الفنون حديده.

توفيت يوم الثلاثاء الرابع من صفر عام ستة وثلاثين وثلاثمائة وألف (1336 / 1918) بكردوس ودفنت بمدفنه في جامع الرجمة.

ماء العينين، تربان : هي العالمة الفاضلة الماجدة الشاعرة المفلقة المبدعة والولية الصالحة الزاهدة العابدة التقية السيدة السحي الملقبة تربان بنت الشيخ ماء العينين وأمها هي السيدة عيشة بنت محمد فال بن الطالب التندغية. ولدت عام خمسة وثلاثمائة وألف (1315 / 1897) وقرأت على والدها القرآن الكريم ولما حفظته قرأت العلوم الأخرى فبدأت باللغة من نحو وبلاغة ثم قرأت بعد ذلك التفسير والحديث والفقه والسيرة وكانت نجيبة حافظة قارئة واستطاعت رغم صغر سنها أن تحفظ ما كانت تقرأه في ظرف وجيز مما جعل والدها يشيد بعلمها وأدبها ويدعو لها بالفتح والتوفيق والسداد ونصح وتعليم العباد، كما كان إخوتها يجلونها ويقدرونها ويستفتونها في كثير من القضايا العلمية فكانت تجيب كل سائل بما يرضيه في كل قضية سأل عنها حتى قال فيها أخوها العلامة الشيخ محمد الغيث النعمة : "تلك عالمة علامة نحريرة تجمع فيها ما تفرق في غيرها على صغر سنها". وإلى جانب علمها وأدبها فقد كانت رضي الله عنها أديبة حيية ذكية وفية ظريفة محسنة، لها خلق كريم وعرض سليم.

توفيت عام اثنين وثلاثين وثلاثمائة وألف (1332 / 1914) في ريعان شبابها بقرية وجان ودفنت بمدفنه.

الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين، *قرة العينين في كرامات شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين بن الحضرام، *إفادة الأقربين في التعريف بذرية شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين بن العتيق، *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت.

ماء العينين، الجيه المختار : هو العلامة المجاهد الجيه المختار المعروف بالشيخ الجيه بن الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن الشيخ مامين، وأمه هي السيدة الفاضلة عائشة بنت محمد فال من قبيلة آل الجيه المختار.

ولد في ربيع النبوي سنة 1305 الموافق لشهر نوفمبر سنة 1886 وافتتح دراسته العلمية بقراءة القرآن الكريم علي يد الشيخ الجليل السيد الحضرام بن الشيخ محمد الأمين أحد أساتذة زاوية الشيخ ماء العينين اللامعين حتى مهر فيه وأتقنه إتقانا تاما بقراءاته السبع ثم أخذ الإجازة على أخيه العلامة الشيخ الولي، ثم قرأ بعد ذلك على والده الشيخ ماء العينين مختلف العلوم من فقه وتفسير وأصول وأدب وشعر وبيان ومنطق وفلك وبلاغة وشعر وعروض. وقد ظهرت عليه علامات الذكاء والنجابة والحفظ والاهتمام بالعلم منذ صباه، وظلت هذه الصفات ترافقه طيلة حياته. وهذا ما يؤكده الشيخ مربيه ربه قائلا : "كان رضي الله عنه أديبا ذكيا كثير التلاوة والأذكار والاشتغال بالعلم آناء الليل وأطراف النهار متوددا للإخوان رفيقا بالجيران من الحفاظ المهرة وأهل الأدب المعتبرة، له مشاركة في كثير من العلوم وحفظ وضبط لغالب الرسوم، وله صيت بين من يعرفه من الناس حسن. ولا تأخـذه عن محاسن الأخلاق غفلـة ولا وسن لا تمل مجالسته ولا تسأم مفاكهته".

في سنة 1908 أذن له والده الشيخ ماء العينين بالتدريس في زاويتـه بمدينة السمارة وانتفع على يديه عدد كبير من التلاميذ والمريدين وطلاب العلم والمعرفة الذين كانوا يقصدونها للاستفادة من الشيخ ماء العينين وأخذ الإجازة عنه.

في سنة 1909 غادر الشيخ ماء العينين مدينة السمارة متوجها إلى مدينة تيزنيت بعد أن حاصرته القوات الاستعمارية الفرنسية بسبب جهاده المتواصل ضد فرنسا، فرافقه وظل معه لا يفارقه، وكان دائما يثني عليه ويستشيره في كثير من أموره الخاصة والعامة حتى وفاته سنة 1910. وبقي بعده في هذه المدينة يشتغل بالإفتاء والتدريس، وربط فيها علاقات مع عدد كبير من علماء وأدباء منطقة سوس وكانت له معهم مناظرات في مختلف العلوم الدينية والأدبية.

وفي سنة 1912 وبعد أن تولى الشيخ أحمد الهيبة بن الشيخ ماء العينين قيادة الجهاد في تيزنيت انخرط في حركته وجاهد معه في عدة مناطق في سوس وشارك في معارك متعددة من أشهرها معركة وجان سنة 1917 التي شن عليها الجنرال الفرنسي دو لاموط حملة كبيرة "كانت تستهدف بعض المراكز الاستراتيجية خاصة وجان وآيت برابيم وثلاثاء الأخصاص وإيغرم. وهذا ما جعل القبائل تظهر صمودا قويا أمام المحاولات الفرنسية المتوالية"، وإيكالفن سنة 1916 بنواحي بونعمان التي قتل فيها عميل فرنسا القائد حيدة بن ميس والتي تعد من أعنف المعارك لأن هذا القائد جهز حملة كبيرة بدعم من فرنسا للقضاء على حركة الشيخ أحمد الهيبة الجهادية لكنه قتل قبل تحقيق هدفه.

وفي سنة 1919 وبعد وفاة الشيخ أحمد الهيبة تولى شقيقه ورفيقه في الجهاد والمقاومة الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين أمور الحركة الجهادية في سوس والجنوب المغربي عامة وظل الشيخ الجيه مرافقا لـه في جميع جولاته وتحركاته وخاض معه معارك من أهمها : بونعمان سنة 1922 وتيغمي سنـة 1933 وآيت عبلا وتيزي سنة 1934. وكان الشيخ مربيه ربه يرسله نيابة عنه إلى القبائل يدعوها للجهاد ويؤطرها ويرشدها. يقول في رسالة إلى قبيلة أملن : إلى قبيلة آملن عليكم سلام عام تام... فموجبه إليكم إعلامكم أننا أمرناكم بالحركة صحبة خليفتنا الشيخ الجيه المختار وهاهي الحركات قادمة بحول الله وقوته ولا تتأخروا وكونوا من السابقين لنصرة دين الله كما هي عادتكم". وكان كذلك يشارك في جميع الاجتماعات التي يترأسهـا الشيخ مربيه ربه في كـردوس لتدارس الطـرق الكفيلة بمواجهة العدو الفرنسي المستعمر.

وفي سنة 1934 وأمام هذه المقاومة المتواصلة التي ظلت تقودها قبائل سوس والصحراء بقيادة الشيخ مربيه ربه رافضة الخضوع والاستسلام، بدأت فرنسا حملتها العسكرية الكبيرة لاحتلال الجنوب المغربي وجندت لها جميع إمكانياتها الحربية من عدة وعتاد وطائرات فتمكنت من إخضاعه والسيطرة عليه. وأمام هذا التفوق العسكري الفرنسي غادر الشيخ مربيه ربه قرية كردوس متجها نحو طرفاية، وغادرها الشيخ الجيه بدوره إلى مدينة بويزكارن، حيث استقر هناك وانشغل بقيه عمره بالزهد والورع والعبادة والعلم والتدريس والإفادة. ولم يكن ذلك العالم المنغلق على نفسه بل كان يزور أغلب المدن المغربية كتارودانت ومراكش وسطات والرباط ومكناس وفاس وسلا وتطوان ويلتقي بعلمائها وأدبائها الذين كانت تربطه بهم علاقات متينة مما يعكس التواصل الكبير الذي كان بين المدن الجنوبية المغربية والشمالية نذكر منهم : باشا تارودانت محمد البيضاوي وقاضي سطات أحمد سكيرج وباشا سلا محمد الصبيحي الذي جدد له الإجازة التي أجازه بها الشيخ ماء العينين ومؤرخ الدولة العلوية بمكناس عبد الرحمان بن زيدان وعبد الواحد الفاسي والد الزعيم علال الفاسي وعبد الله القباج والفاروقي رحال السرغيني والحاجب الملكي محمد الحسن بن القائد إدريس بن يعيش وإبراهيم بن علي الدرقاوي والطاهر الإفراني وابنه محمد بن الطاهر الإفراني وداود الرسموكي والحسن البونعماني واليمني الناصري والفقيه داود وبعض الزعماء الوطنيين كالزعيم علال الفاسي والمكي الناصري وعبد الخالق الطريس وعبد السلام بنونة والحاج معنينو السلاوي.

توفي في أوائل ذي الحجة سنة 1361 الموافق لشهر يناير سنة 1942 بمدينة بويزكارن بعد حياة حافلة بالعطاء العلمي والأدبي والفكري والنضالي.

ماء العينين بن الحضرام، *إفادة الأقربين في التعريف بذرية شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، خزانة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين، *قرة العينين في كرامات شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، خزانة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربـه، تيزنيت ؛ سوس والصحراء تواصل ثقافي وحضاري، الطبعة الأولى، 1419 - 1999، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضـاء ؛

وثيقة أصلية في خزانة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين بن العتيق، *تحلية الطروس وتسلية النفوس في التعريف بأعلام الشعر في الصحراء وسوس*، مخطوط، خزانة مروان الأكرمي، أگادير.

Dugars (H) : *La colonne du Souss*, 1917, Paris, 1918.

ماء العينين، حسن : هو المجاهد والمقاوم الكبير محمد الحسن المعروف بالشيخ حسن بن الشيخ ماء العينين وأمه هي مليكة بنت سيدي محمد بن الدرجة العروسية، ولد عام 1283 / 14 يوليوز 1866 وقرأ القرآن الكريم على والده ثم أتبعه بالعلوم الأخرى وكان يقضي معظم وقته منشغلا بالعلم والانكباب عليه حتى أجازه وأمره بالتدريس في زاويته وكان يدرس جميع العلوم الشرعية والتفسير وعلم القراءات، ثم صدره بعد ذلك "للإرشاد وتربية المريدين وفك عنه حجره وقال إنه واصل لله كامل العرفان به وكان كثير الفتحات والخيرات والفيوضات كثير الهدايا لحضرته الشريفة" وقال فيه :

نجلي محمد الحسن أجود من كل جواد

لا غرو إن كان سكن في ظله جل العباد

وكان "جل سكناه بعد تصدير أبيه إياه أرض آدرار وما قاربها من تيرس وظهر فيها ظهور القمرين وسار بسيرة العمرين، وكثرت أتباعه فيها عربا وزاويا وبذلوا له أنفسهم وأموالهم وامتدحوه بالأشعار الرائقة والخطب الفائقة". وانقادوا له جميعا وانتفعوا منه غاية وصدر كثيرا منهم فيهم العلماء والأدباء والشعراء. وكان "عالما علامة دراكة فهامة مشتغلا من صبوته في أنواع العبادة حتى أترع آوانيها جادا في قراءة العلوم الباطنة والظاهرة إلى أن تضلع منها فهذب بواطنه وظواهره آخذا بكل سنن حسن وكيف لا واسمه محمد الحسن". وهذا ما يؤكده محمد سدين قائلا : "وأما محمد الحسن فو الله ما رأيت في عمري أكرم منه ولا أزهد ولا أحلم ولا أشد تواضعا ولا أقل كبرا ما رأيته إلا متخلقا بالخلق الجميل البعيد من كل أمر رذيل". ويؤكده كذلك الشيخ محمد الغيث النعمة بقوله : "كان الشيخ حسن إماما عادلا وقدوة فاضلا وشيخا شهيرا بالتربية وبالتدريس للعلوم الشرعية شديد المجاهدة في الله تعالى دائم الرياضة له شديد الورع والتقوى والتنزه عن الشبهات كثير السهر والأذكار وأنواع العبادات، كثير البكاء من خشية الله والهيام في محبته".

في يوم الخميس الثاني والعشرين من جمادى الأولى سنة 1325 الموافق 4 يونيو 1907 رافق والده الشيخ ماء العينين الذي سافر بوفود القبائل الشنقيطية والصحراوية إلى مراكش حيث التقى مع السلطان مولاي عبد الحفيظ الذي زودهم بأسلحة متنوعة منها سبعمائة بندقية مختلفة الأنواع. وقد مكثت هذه الوفود ما يزيد على شهرين في ضيافته بمدينة مراكش ثم خرجوا من عنده عائدين إلى مدينة السمارة يوم 14 شوال ووصلوها يوم الاثنين 17 ذي القعدة 1325 الموافق 23 ديسمبر 1907. ومباشرة بعد عودته ذهب الشيخ حسن إلى آدرار وأعلن الجهاد وأصدر فتوى بشن الغارات على جميع القبائل البيضانية الخاضعة لسلطة الاحتلال الفرنسي وإباحة أموال كل من يمتنع عن الهجرة ويختار الإقامة تحت سلطتهم. وقاد في هذه الفترة معارك متعددة ضد القوات الفرنسية حقق فيها انتصارات كبيرة من أهمها :

1) معركة خروفة : وقعت في جمادى الأولى عام 1325 الموافق يونيو 1907 عندما انطلق من موضع السودة جنوب شوم للهجوم على الحامية الفرنسية في هذا الموقع (خروفة) ومعه مجموعة من المجاهدين يبلغ عددهم ستا وثلاثين مزودين ببعض السلاح المرسل من قبل والده الشيخ ماء العينين وتمكنوا من إلحاق خسائر بالقوات الفرنسية دون أن يصاب أحد منهم".

2) معركة كجوجت : وقعت يوم 11 صفر 1326 الموافق 16 مارس 1908 و"كانت من أشد المعارك شراسة حيث استمرت عدة ساعات واشترك فيها أكثر من مائتي مقاتل تحت قيادته وتكبدت فيها الوحدات الفرنسية خسائر في الأرواح والعتاد، وانسحب المجاهدون بعد صلاة العصر، وكانت خسائرهم عشرة شهداء وأصيب أكثر من ثلاثين منهم بجروح".

3) معركة دامان : وقعت يوم 4 ربيع الأول 1326 / 7 أبريل 1908 "قبل الزوال واستمرت ساعتين وكان عدد المجاهدين ثمانية وعشرين رجلا تحت قيادته، وبعد قتال شرس اكتسحوا المعسكر الفرنسي ولم ينج من جنوده إلا اثنان فقط واستشهد من المجاهدين أربعة.

4) معركة كجوجت الثانية : وقعت يوم 21 ماي 1908 بين المجاهدين بقيادته وبين تجريدة عسكرين فرنسية، وبعد اشتباكات سريعة سقط عدد من جنودها واستولى المجاهدون على جميع الجمال التي كانت بحوزتها".

5) معركة المينان : وتعرف عند أهل الصحراء بغزوة بوضرس، وقعت يوم الأحد 14 جمادى الأولى 1326 الموافق 14 يونيو 1908 وأعدت لها العدة "من حيث العتاد والتنظيم الجيد ولمس الشيخ حسن لدى المجاهدين حماسا كبيرا وروحا قتالية عالية". وقد تكبد فيها الجيش الفرنسي خسائر فادحة في الأرواح والعتاد وفقد فيها عددا كبيرا من جنوده وضباطه.

6) معركة لتفتار : وقعت يوم 11 شوال 1326 الموافق 15 أكتوبر 1908 وتكبد فيها "الفرنسيون خسائر كبيرة في الأرواح والمؤن والعتاد، وقتل منهم المجاهدون ثلاثين جنديا من بينهم ضابط صف وخسروا اثني عشر شهيدا".

7) معركة آماطيل : وقعت يوم 30 ديسمبر سنة 1908 عندما هاجم المجاهدون بقيادته القوات الفرنسية المتحصنة في أماطيل، و"احتلوا الموقع القريب منها وكادوا ينجحون في سحق هذه القوة المتحصنة لولا نيران الرشاش التي انهالت عليهم بشدة فشلت حركتهم عن التقدم نحوهم". وفي يوم 31 ديسمبر قام ومعه عدد من المجاهدين "بهجوم كاسح على مواقع القوات

الفرنسية في أماطيل من جهة الشمال وتمكن من سحق المواقع الأمامية التي فر المدافعون عنها تحت ضغط الهجوم إلى الموقع الرئيسي.

8) معركة حمدون : وقعت يوم 8 يناير سنة 1909، وبدأت بإطلاق الشيخ حسن ورجاله "النار على الساعة الثامنة صباحا وارتفع دوي المدافع في ساحة المعركة واستمر إلى الزوال وتعذر على الضباط جمع صفوف وحداتهم أثناء الهجوم، ولم يتمكنوا من ذلك حتى الحادية عشرة والنصف لشدة رشق نيران المقاومة. وفي منتصف النهار جرح الملازم المكلف بالمدفع الرشاش وقتل أحد رجال المواصلات السلكية كما قتل أحد الرماة، ثم عاد المقاومون بعد الزوال فشنوا هجوما عنيفا استمر إلى ما بعد العصر".

وقد أقلقت هذه المعارك المتواصلة السلطات الفرنسية مما جعلها تضغط على السلطان مولاي عبد الحفيظ وتطالبه بوقف الدعم الذي كان يقدمه للشيخ ماء العينين وهذا ما جعله يبعث برسالة إليه يلح فيها على ضرورة الانتقال من مدينة السمارة إلى مدينة تيزنيت لقربها من عاصمة البلاد حتى يتمكن من لقائه والتباحث معه، ولما وصلته الرسالة قال : "مرحبا وسهلا والمكفي سعيد وها نحن إن شاء الله على نية الرحيل سريعا بحول الله وقوته لقانا الله فضله وصرف عنا عدله". وفي يوم الخميس الثاني عشر من ذي القعدة عام 1327 الموافق 26 نوفمبر عام 1909 ارتحل من مدينة السمارة وأخذ السواحل الصحراوية في طريقه إلى تيزنيت التي وصلها أوائل ربيع الأول عام 1328 الموافق مارس 1910. ويقول ماء العينين بن العتيق : "لما كان عام سبعة وعشرين دخل العدو بلاد آدرار فعزم شيخنا رضي الله عنه على الهجرة فيمم قرية تيزنيت بأرض سوس لبعدها من العدو آنذاك، فسافر بكل من الأهل والولد والمريدين والجيران وسائر من تعلق به قويا كان أو ضعيفا".

ولما ارتحل الشيخ ماء العينين من السمارة سير ابنه الشيخ حسن عنه لزاويته في مدينة فاس فأقبل على تلاوة كتاب الله تعالى والتدبر في معانيه، والتفرغ له آناء الليل وأطراف النهار ففتح الله عليه في معانيه وأسراره فتحا عجيبا فكان لا يجلس مجلسا ويتحدث به إلا ويفسره للعام والخاص بمعنى يفهمه كل إنسان ويحلو سماعه في الآذان والأذهان... ولقد رزقه الله من لدني العلوم ما لا تسعه العبارة ولا تحيط به الفهوم". وكان يقضي جميع أوقاته في "المجاهدة في الله والجد في العبادة ونفع عباد الله بالأمداد الباطنة والظاهرة والإعراض عن الدنيا بالإقبال إلى الآخرة والتخلق بالأخلاق الصمدية والتحلي بالأوصاف المحمدية". وقد ربط في هذه الفترة علاقات وطيدة مع المخزن وفي مقدمته السلطان عبد الحفيظ ومع عدد كبير من العلماء والأدباء والشعراء وأسهم بدور كبير في ازدهار الحركة الفكرية والعلمية والأدبية بمدينة فاس.

في أواخر سنة 1331 / 1913 انتقل إلى منطقة سوس وآزر أخاه الشيخ أحمد الهيبة في مقاومته للمستعمر الفرنسي وكان يقدم له الدعم الكامل والتوجيه والنصح والإرشاد ويبين الخطط الحربية الكفيلة بمواجهته، ثم انتقل إلى وادي درعة من مقابلة قرى طاطا واستقر هناك وظل يحث الناس على الجهاد والمقاومة ورفض الخضوع والاستسلام للاستعمار الغاشم، ويزود أخاه بكل ما يطرأ من مستجدات وأحداث وأمور على الساحة الحربية.

وفي سنة 1333 الموافق 1915 "سافر بنية الحج من عند أهله وأتى على طريق الجبل إلى مراكش حتى وصل فاس فأراد الله أن صادف مجيئه ظروف الحرب الكبرى التي وقعت في ذلك التاريخ بين الأجانب فانسدت طريق الحج فتربص رضي الله عنه بفاس نازلا في زاوية والده شيخنا الشيخ ماء العينين ينتظر تيسير الطريق حتى مرض وتوفي".

توفي يوم عاشر شوال عام 1334 الموافق 7 غشت عام 1916 ودفن في زاوية والده الشيخ ماء العينين بصلاج في البطحاء قرب باب بوجلود بمدينة فاس.

الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين، *قرة العينين في كرامات شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، خزانة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين بن العتيق، *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، مخطوط، خزانة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين بن الحضرام، *إفادة الأقربين في التعريف بذرية شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، خزانة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ الشيخ محمد الغيث النعمة بن الشيخ ماء العينين، *ديوان الأبحر المعينية في بعض الأمداح المعينية*، تحقيق، الدكتور أحمد مفدي، دبلوم الدراسات العليا، تحت إشراف الدكتور عباس الجراري، مرقون بخزانة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، السنة 1975 - 1976 ؛ فتوى الشيخ حسن حول الجهاد، توجد نسخة منها في حزانة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ الشيخ ماء العينين، *أمراء وعلماء في مواجهة الاستعمار الأوروبي*، الطالب أخيار بن الشيخ مامينا، الطبعة الأولى، 2007، مطبعة بني إزناسن ؛ الشيخ محمد الغيث النعمة بن الشيخ ماء العينين، *الفواكه في كل حين من أفواه شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، خزانة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت.

ماء العينين، خديجتن : هي الولية الصالحة السخية التقية النظيفة النقية الحنينة المشفقة المحسنة السيدة خديجتن بنت شيخنا الشيخ ماء العينين، أمها هي فاطمة بنت محمد المصطفى من قبيلة آل الطالب مختار. ولدت في آخر ذي الحجة عام ثلاثة وسبعين ومائتين وألف (1273 / 1855) في الحوض، ونشأت في عفاف وصيانة وقرأت على أبيها كثيرا من العلوم وكانت عابدة سخية ورعة متصدقة محافظة على الصلوات بشروطها في أول وقتها ومشتغلة فيما يعنيها ترحم الضعفاء والقرباء وتكرم الفقراء في غاية من تمام مكارم الأخلاق والمروءة، فتوحاتها كثيرة وبركتها ظاهرة شهيرة ودعوتها مستجابة لا تخلو من عبادة، مرضية أحوالها في دينها ودنياها ترد عن أعراض المسلمين وتحميهم ولها خبرة بعلم السيرة والأنساب والتراجم والفقه والأسرار.

توفيت يوم الأحد الثامن والعشرين من ربيع الثاني عام أربعة وأربعين وثلاثمائة وألف (1344 / 1926) بقرية

كردوس التي تقع شرق مدينة تيزنيت ودفنت وسط جامع الرحمة. قال عنها الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين : "كانت خديجتن بنت شيخنا الشيخ ماء العينين تقية أديبة سخية أريحية لها نفس عن الخنا أبية وهمة بذلك علية ولها مشاركات في أكثر الفنون واعتناء بمطالعة الكتب لا سيما كتب السير وكانت بارة بأبيها وما رأيت من جنسها أكثر سؤالا منها له رضي الله عنه في الأحكام الدينية".

ماء العينين، ربيعة : هي الولية الصالحة التقية الشفيقة الحنينة الرفيقة المحسنة الحيية الظريفة النقية السيدة ربيعة بنت الشيخ ماء العينين وأمها هي السيدة مليكة بنت الدرجة العروسية. ولدت عام ثلاثة وتسعين ومائتين وألف (1293 / 1875) ونشأت في عفاف وصيانة وأدب وديانة، وبدأت بحفظ القرآن الكريم على والدها ثم قرأت عليه بعد ذلك علوما متنوعة كالفقه والحديث والتفسير واللغة وكانت عابدة زاهدة زكية صوفية كريمة الأخلاق حريصة على مجالس شيخنا الشيخ ماء العينين قلما تفارقه فسرى بذلك منه لها مدد كثير، من ذلك أنها برعت في علم الظاهر والباطن وكانت كلما سئلت عن مسألة علمية أو فقهية أو دينية أو صوفية إلا وأجابت عنها رضي الله عنها بما يشفي الغليل مدعمة إجابتها بالمثال والدليل. وكانت إلى جانب هذه الخصال الرفيعة والصفات الحميدة كثيرة التصدق والبرور لأبويها ولسائر الناس. قال فيها الشيخ ماء العينين : "ابنتي ربيعة سيدة زكية ولكل بيت يوسف وبنتنا ربيعة من يوسفات بيت أهلها".

توفيت في حياة أبيها أواخر عام ستة وعشرين وثلاثمائة وألف (1326 / 1908) بصحراء تيرس ودفنت بها.

ماء العينين، الرفع : هي الأديبة السخية والولية الصالحة الحيية السيدة الرفع بنت الشيخ ماء العينين وأمها هي السيدة عزيزة بنت أبي زيد السباعية. ولدت عام خمسة عشر وثلاثمائة وألف (1315 / 1897) ونشأت في صيانة وكفالة حسنة، بدأت دراستها بقراءة القرآن الكريم حتى حفظته على والدها وبعد وفاته لازمت أخاها الشيخ محمد الغيث النعمة بن الشيخ ماء العينين وانتفعت منه انتفاعا كبيرا وقرأت عليه كثيرا من العلوم ونبغت في علم الفقه والأصول والسيرة والتصوف وختمت ذلك بأخذ الطريقة. كانت من أحسن نساء زمانها يقينا ومروءة فاضلة ماجدة سخية عابدة ذات كرم وإحسان على الضيفان والجيران أديبة حسنة الأخلاق محافظة على ما يرضي الخلاق. في أواسط الثلاثينيات من القرن الماضي انتقلت إلى موريتانيا واستقرت هناك وأسهمت بدور كبير في ازدهار الحركة الأدبية والفكرية والدينية كما عرفت بفتاواها الفقهية المتعددة في مجال الأحكام. فقد تمكنت من الإفتاء في العديد من القضايا التي استجدت في الواقع الصحراوي والشنقيطي مما جعلها تحظى بشهرة كبيرة في الوسط العلمي هناك وتحظى بتقدير من قبل عدد من العلماء الذين كانوا يرجعون إليها في كثير من القضايا العلمية يستشيرونها ويأخذون برأيها وتوجيهاتها مما يبين أهمية المرأة الصحراوية ودورها في النهضة العلمية والأدبية. بالإضافة إلى هذا فقد كانت شاعرة باللغة العربية الفصيحة واللهجة الحسانية ووصفت في أشعارها كثيرا من الأعراف والعادات التي يزخر بها المجتمع الصحراوي والشنقيطي مما جعل قصائدها تعتبر صورة حية ووثيقة تاريخية عن هذا المجتمع.

توفيت سنة (1987 / 1408) بمدينة تجكجة ودفنت بها. خلفت ديوان شعر في مختلف الأغراض الشعرية.

ماء العينين، سداتي : هو الشاعر والأديب، والعالم العلم الظريف، السخي المنيف، حامل لواء المجد والعطاء، من ارتقى في المكارم أعلى ارتقاء، فائق الأقران، وحيد العصر والأوان، نخبة الأوائل والأواخر، من حاز في دهره جميع المفاخر، القدوة الفاضل، والعلامة العامل، الشيخ سيدي محمد الملقب سداتي بن شيخنا الشيخ ماء العينين، وأمه هي السيدة مليكة بنت محمد بن الدرجة العروسية. ولد يوم الأحد لسبع بقين من ذي القعدة سنة خمس وثمانين بعد المائتين والألف (1285) الموافق للسادس من فبراير سنة تسع وستين وثمانمائة وألف، (1869) وقرأ مختلف العلوم على والده فبدأ بحفظ القرآن الكريم، ولما أتمه قرأ عليه الأصول والفقه واللغة والبلاغة والشعر والحديث والسيرة والتفسير، ولما أتم تكوينه العلمي وبلغ ولاه جميع أموره، وكان يشاوره في المهمات ويعمل برأيه، لما وهبه الله من جزالة العقل، وحسن النظر والمعرفة بتدبير الأمور، وكان يرشحه لملاقاة لوفود، وينوبه في مباشرة إحسانهم فيقوم بذلك أحسن قيام، وكان سخيا بذالا للأموال، لاسيما للضعفاء والأيتام وسائر أهل الحاجات، كثير العبادات والتورع عن الشبهات بأمور الدين والدنيا، قائما لا تأخذه في الله لومة لائم، محببا عند الخاص والعام، إذا جلس في مجلس تطمح الأبصار إليه، وإذا تكلم يصيخ المجلس لكلامه، ولا يقدر أحد أن يعارضه. وكان مفتوحا عليه في فهم العلوم، وحفظ الرسوم، فربما تلوت عليه قطعة شعرية، ولا تظن أنه تمكن من سماع أبياتها جميعا، فإذا هو يحفظها بأسرها، وله أشعار ومنظومات في فنون شتى منها : منظومة في العبادات، وشرحه المسمى "معين الإخوان على سقاية الظمآن على الأفعال" وديوان شعر في مختلف الأغراض الشعرية. خلفه الشيخ ماء العينين على أهله في بعض أسفاره ثلاث مرات، وسار فيهم أحسن سيرة، وقام أجزل قيام الأولى : في سفره الأول إلى السلطان مولاي عبد العزيز عام أربعة عشر بعد ثلاثمائة وألف (1314). الثانية في سفره إليه عام سبعة عشر بعد ثلاثمائة وألف (1317). الثالثة في سفره إليه عام ثمانية عشر وثلاثمائة وألف (1318).

قال فيه الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين : "كان شامخ القدر واسع الصدر ثابت الدراية ثبتا في الرواية مشهورا بالجزالة ذا أمانة وعدالة له قلب عقول

في المنقول والمعقول صحيح الجنان فصيح اللسان إذا التفت عليه المحافل وتعاطته المحاضرة تهلل وجهه وهلهل الأجوبة كأنها كانت عنده حاضرة وأموره كلها محمولة على السداد وآراؤه مصيبة وتدابيره نافذة". وقال فيه محمد العاقب بن مايابي : "كان كامل العقل صحيح الرأي حسن الفعال مليح الأقوال وكان ذا سياسة فائقة ورياسة رائقة وكان كثير السعي في إصلاح ذات البين متجافيا عن كل ما يجري على ذل وشين. وقد شاهدت فيه الكشف الغريب فلا يكاد يخبرنا عن شيء إلا كان كما قال".

توفي بين الظهر والعصر يوم الأحد السابع من ربيع الثاني عام عشرين بعد ثلاثمائة وألف (1320)، الموافق للخامس عشر من شهر يوليوز عام اثنين وتسعمائة وألف (1902) ودفن بمدينة السمارة، وصلى عليه والده الشيخ ماء العينين وابنه قائلا : "والذي رفع السماء ووضع الأرض ما علمت بشيء فعله أقول له فيه لمَ فعلت أو على ما فعلت لما جبله الله عليه من بروري. وقد احتسبته لله وفيه خلف من كل تلف وأرجوا الله أن يتغمده برحمته كما تغمدني بالبرور التام".

ماء العينين بن الحضرام، *إفادة الأقربين في التعريف بذرية شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، مكتبة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه به، تيزنيت ؛ الشيخ مربيه ربه، *قرة العينين في كرامات شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، مكتبة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه به، تيزنيت ؛ ماء العينين بن العتيق، *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، مخطوط، مكتبة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه به، تيزنيت.

ماء العينين، سعاد : هي الأديبة الحنينة الخيرة التقية البارة السيدة سعاد بنت شيخنا الشيخ ماء العينين وأمها هي السيدة لآل بنت الكوري. ولدت عام ستة وتسعين ومائتين وألف (1296 / 1878) ونشأت في صيانة وأدب وقرأت القرآن الكريم حتى حفظته وأتقنته وقرأت بعد ذلك كثيرا من العلوم على أبيها وبلغت فيها درجة كبيرة لم يبلغها غيرها وظهر عليها من الفضل ما لم يظهر على غيرها مع صغر سنها. وكانت من أفضل نساء زمانها عقلا ودينا وورعا وعلما وولاية وصلاحا وسخاء وزهدا وعبادة وبرورا بوالديها وحسن خلق وشرف نفس وطيب طبع وطهارة عرض حتى قالت فيها أختها السيدة أم الفضل بنت شيخنا الشيخ ماء العينين أن أختنا سعاد شاهدنا فيها من العلم مع صغر سنها ما قرب لأذهاننا ما أعطى الله لأمنا عائشة رضي الله عنها.

توفيت عن ثمان عشرة سنة عام أربعة عشر وثلاثمائة وألف (1314 / 1896) بمدينة السمارة.

ماء العينين، سعدان : هي الولية العابدة الزاهدة النقية التقية السخية الشفيقة الحنينة المتواضعة السيدة سعدان بنت الشيخ ماء العينين وأمها هي ميمون بنت أحمد العلي. ولدت يوم الخميس في آخر شهر ذي الحجة عام خمسة وثمانين ومائتين وألف (1285 / 1867) ونشأت في عفاف وصيانة وأدب وحضانة ما شاء الله وقرأت على أبيها كثيرا من العلوم بعد حفظها القرآن الكريم وكانت عابدة ورعة كثيرة الإقبال على الله تعالى ولها يقين فيه شديد وكانت ذات خلق حسن عظيم وطبع رقيق وتواضع كثير وصدقة كثيرة ودعاء مستجاب وسخاء لم يعهد مثله في أحد وكان لها إلى جانب ذلك كله قبول وتسخير الناس عجيب فكانوا يأتونها بالهدايا ويلتمسون بركتها ودعاءها الصالح لما بها من البركة واستجابة الدعاء فيقضي الله حاجتهم على يديها. قال فيها الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين : "كانت السيدة سعدان تقية برة عفيفة أديبة أريحية قد وضع الله في قلبها من الرأفة والشفقة والتواضع مالا يوجد".

توفيت أواخر ذي القعدة عام تسعة وستين وثلاثمائة وألف (1369 / 1950) بمدينة العيون.

ماء العينين، السنية : هي الأديبة الظريفة السخية الولية السيدة السنية بنت الشيخ ماء العينين وأمها هي السيدة عزيزة بنت أبي زيد السباعية. ولدت عام عشرين وثلاثمائة وألف (1320 / 1901) ونشأت في صيانة وأدب وعفاف وبدأت تكوينها العلمي بحفظ القرآن الكريم على والدها ثم قرأت العلوم الأخرى التي كانت رائجة في عصرها كالفقه والحديث والتفسير والسيرة واللغة والشعر على أخيها الشيخ محمد الغيث النعمة بن الشيخ ماء العينين بعد وفاة والدها الذي رباها تربية حسنة وعلمها وأدبها فكانت فائقة في الأوصاف الحميدة ومناقبها الحسنة كثيرة عديدة، سخية أديبة ذات همة علية ومكارم سنية تقضي معظم وقتها رضي الله عنها في الوعظ والإرشاد ونصح العباد والدعوة إلى الله في كل ناد وكان الناس بأصنافهم يلجؤون إليها لطلب العلم ومعرفة الأحكام وكانت تجيب كل من يسألها عن مسألته بما يشفي غليله ويصلح سريرته وطويته. وقد عرفت مع ذلك بالزهد والنسك والعبادة والولاية والصلاح ولقيت من الشهرة والإقبال ما لا يوصف زادها في ذلك تبحرها في القضايا العلمية والدينية وخاصة قضايا الفقه. في أواخر الثلاثينيات من القرن الماضي انتقلت إلى موريتانيا واستقرت هناك مع أسرتها وبقيت بها.

توفيت سنة 1389 / 1969.

الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين، *قرة العينين في كرامات شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين بن الحضرام، *إفادة الأقربين في التعريف بذرية شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين بن العتيق، *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت.

ماء العينين النعمة علي

ماء العينين، سيدَاتي صامد : هو سيداتي بن محمد فاضل (المعروف بأفظيلي) بن الشيخ الولي بن الشيخ ماء العينين، ولد بمنطقة تيرس بإقليم أوسرد سنة

1940، حفظ القرآن على يد أبيه، ولما توفي عنه والده سنة 1957 ألقيت عليه مسؤولية إعالة أسرته. وتميز بمداومة المطالعة والتحصيل العلمي مما ساعده على صقل موهبته الشعرية منذ الصغر. ثم حصل على شهادة العالمية من عمه، وهو ما ساعده على اجتياز العديد من المباريات وانتهى به المطاف في كليـة الشريعـة بمدينـة فاس، وبعد تخرجه منها التحق بسلك التعليم حيث مر بمختلف أسلاكـه فعمـل معلما بمدينـة الطنطان، وبعدها انتقل سنة 1977 إلى قريـة أولاد برحيل بإقليـم تارودانت لتدريس اللغة العربيـة بالسلك الثاني، ليعود بعد ذلك للطنطان سنة 1982 بعد أن عين ناظـرا بإحدى الثانويات، بعدها استقر به المقـام بمدينة بوجـدور إذ عين مديرا لثانوية أحمد الراشدي إلى أن توفي إثر مرض عضال سنة 1991.

يعد سيداتي صامد من المثقفين والشعراء المعاصرين بالأقاليم الصحراوية، وقد أبدع في الشعر العمودي الفصيح كما في الشعر الشعبي الحساني في مواضيع وطنية ووجدانية وفي الوقوف على الأطلال والتأريخ للماضي الحضاري لمنطقة تيرس الشهيرة.

ديوان المرحوم صامد سيداتي، نشر جمعية الأمل ببوجدور، طوب بريس الرباط، 2005 ؛ *تحريات ميدانية* بكل من العيون والداخلة، سنة 2009.

محمد دحمان

ماء العينين، السيدم : هي الظريفة الأديبة الولية الصالحة التقية العابدة السيدة السيدم بنت الشيخ ماء العينين وأمها هي السيدة الفاضلة مارية بنت إبراهيم. ولدت في شهر شوال عام خمسة وعشرين وثلاثمائة وألف (1325 / 1906) وتوفي عنها والدها صغيرة لم يتجاوز عمرها ثلاث سنوات وبضعة أشهر فنشأت في كفالة أخيها الشيخ محمد الغيث النعمة بن الشيخ ماء العينين الذي قرأت عليه علوما متنوعة وبرعت فيها كالفقه والحديث والسيرة، ورباها أحسن تربية وأدبها أحسن تأديب وعلمها حتى صارت من أعلم نساء عصرها وأفضلهن عقلا وأدبا وكرما ومروءة ودينا وعلو همة وصلة رحم وكانت كبيرة القدر شهيرة الذكر تقية نقية ورعة ولية ذكية سخية على جانب من المواساة والإنفاق والسماحة عظيم لا تحب من المال إلا ما تنفقه محسنة على الجيران والضيفان وكانت الناس ترغب في جوارها لما ينالهم من خيرها ومعروفها وكانت ذات يقين عظيم في الله ولها بركة عظيمة ودعاء مستجاب وخبرة ببعض العلم لا تغفل عن ربها ولا تعتصم إلا به ولا تخلو غالبا من التلبس بعبادته، لها رفق وإحسان على الغرباء لا يوصف وعلى سائر الناس وتحسب أنها يجب عليها أن تصنع لعيال الله ما تصنع لعيالها فلذلك تؤثر الناس على نفسها وعيالها وكان الشيخ ماء العينين يحبها حبا شديدا ويقربها ويجلسها وهي صغيرة في حجره ويداعبها ويظهر لها من المبرة ما لا يظهره لجنسها وكانت بارة بإخوتها مبجلة لهم معظمة لهم تخدمهم بنفسها متواضعة لسائر الناس مع علو منصبها وعظيم قدرها وكانت ذات فتوحات كثيرة وهدايا جمة مصاحبة بالتسخير والتيسير والقبول فضائلها أكثر من أن تحصيها النقول.

توفيت في تاسع عشر رجب عام أربعة وسبعين وثلاثمائة وألف (1374 / 1955) بمدينة إفني ودفنت بمدفنها الذي حول قبة الولي الصالح سيدي إفني.

الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين، *قرة العينين في كرامات شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين بن الحضرام، *إفادة الأقربين في التعريف بذرية شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين بن العتيق، *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت.

ماء العينين، شبيهنا : هو العالم العلامة والدراكة الفهامة، الشاعر الأريب والأديب اللبيب، المبارك الغطريف والولي الظريف، الأستاذ الفاضل والعلامة الكامل، الأريحي الألمعي، الشيخ السيد محمد الأمين الشبيه الملقب شبيهنا بن الشيخ ماء العينين، وأمه هي السيدة الفاضلة ميمونة بنت أحمد علي. ولد في ربيع النبوي عام ثمانين ومائتين وألف (1280) الموافق لشهر غشت سنة أربع وستين وثمانمائة وألف (1864)، ونشأ في الحفظ والصيانة والكفالة والحضانة، وقرأ على أبيه الذي هو عمدته جميع العلوم وصار له حظ وافر من المنطوق والمفهوم. وقال فيه شعرا من شعر اللهجة الحسانية، ومضمونه بالعربيـة هو :

نجلي محمد الشبيـــــــه	بقدرة المولى الكبيـــــــر
لابد أن تظهر فيـــــــه	أنوار شيخنا الكبيـــــــر

وكان يحبه حبا شديدا زائدا، ولا يقبل لأحد من أبنائه وتلامذته وسائر أتباعه يفعل أمرا يغير خاطره. وقد كلفه بالتدريس في زاويته، وقرأ عليه كثير من التلاميذ والمواريد. وكان أديبا حكيما جهبذا نحريرا، من أكابر العلماء وأفاضل الألباء، الذين لا تستفزهـم العواصف ولا يعبر عن حسن خلقهم لسان واصف، وكان شديد الاعتناء بالكتب وجمعها ومطالعتها، وعنده خزانة معتبرة، وجمع من غريب الكتب في كل فن ما لم يجمعه أحد من أقرانه وله مؤلفات في فنون شتى كالعقائد والفقه والأسرار والسيرة ونحو ذلك، بالإضافة إلى ديوان شعري كبير جله في مدائح أبيه. وكان شعره على نمط شعر أقحاح العرب، لما له من الخبرة التامة باللغة. وكان إلى جانب كل هذا، كثير الذكر، دائم الفكر، ولا يزال لسانه رطبا بذكر الله، لا يفرغ من عبادة إلا ودخل في أخرى، متواضعا حليما أديبا كيسا رزينا عاقلا، يحب الخمول والتواضع ويجتنب الشهرة والتدافع. وله في المروءة من إكرام الأضياف وحسن معاشرة القرباء والغرباء والانعطاف على الأرامل والضعفاء، والشجاعة في الرمي، والفروسية على الخيل والإبل وغير ذلك، ما يحير عقول الناظرين ويسر الأصدقاء والمحبين.

خلفه والده الشيخ ماء العينين مرتين في بعض أسفاره على محلته وحاضرته، وقام بالأمر أحسن قيام مما جعله يحظى بتقدير من لدن الخاص والعام. الأولى : في سفره للسلطان الحسن الأول عام أربعة وثلاثمائة وألف (1304) والثانية في سفره الخامس لابنه السلطان عبد العزيز عام عشرين وثلاثمائة وألف (1320).

هذه المكانة العلمية والدينية والاجتماعية، هي التي جعلت عددا كبيرا من الشعراء، يمدحونه ويشيدون بخصاله وصفاته. يقول عبد الله بن أحمد بن محمد سالم المجلسي.

فما أنجبت أم بشبر شبيه	ولم يقف نجل قفوه بأبيه
كذاك السري بن السري وإنما	يسير الفتى المرضي بسير أبيه
أبوك الكرام الوارثون مراتبا	أنا لهموا الله إرث نبيه

بعد وفاة والده الشيخ ماء العينين، آزر أخاه الشيخ أحمد الهيبة في حملته الجهادية ضد المستعمر الفرنسي، وبعد وفاته ظل مع أخيه الشيخ مربيه ربه، الذي تولى قيادة حركة الجهاد والمقاومة بعد وفاة الشيخ أحمد الهيبة يسانده ويدعمه.

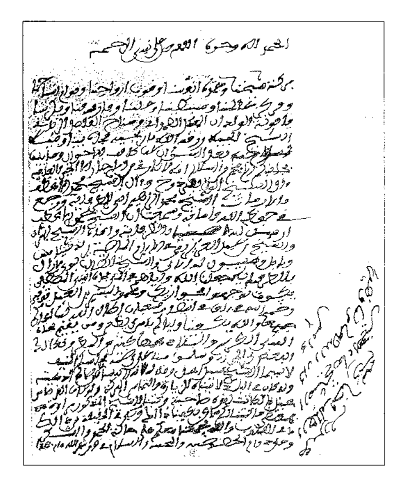
توفي بكردوس التي كانت عاصمة الجهاد والمقاومة في الجنوب المغربي، يوم الأربعاء الرابع والعشرين من صفر عام واحد وخمسين بعد ثلاثمائة وألف (1351)، الموافق للثلاثين من شهر يونيو عام اثنين وثلاثين وتسعمائة وألف (1932)، ودفن في مقبرة بوسط جامع يسمى جامع الرحمة.

ماء العينين بن الحضرام، *إفادة الأقربين في التعريف بذرية شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، مكتبة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه به، تيزنيت ؛ الشيخ مربيه ربه، *قرة العينين في كرامات شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، مكتبة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه به، تيزنيت ؛ ماء العينين بن العتيق، *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، مخطوط، مكتبة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه به، تيزنيت.

ماء العينين، الطالب أخيار : هو العالم العلامة النحرير والشاعر الفحل البليغ الشهير "جليس المصطفى من لطريقته اقتفى الولي الكامل السخي الفاضل العالم الأديب الغطريف اللبيب المشاهد للغيوب المطهر من العيوب مربي المريدين ومرشد السالكين قرة العينين ثمرة الملوين بركة الأبرار دار الأسرار" الشيخ الطالب أخيار بن الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن الشيخ مامين. وأمه هي السيدة الفاضلة ميمونة بنت أحمد بن علي. ولد في ربيع النبوي عام 1291 / أبريل 1874 وقرأ القرآن الكريم على المدرس العلامة الشيخ الحضرام بن الشيخ محمد الأمين وأخذ الإجازة فيه وقرأ بعد ذلك على والده مختلف العلوم وبرع فيها وكان يحبه ويقربه "ويثني عليه بكثير من أنواع الثناء الحسن ولا سيما في جهة الورع ومحاسن الأخلاق ورقة الطبع وصدق الحال ولا يثنيه عن أمر أراده ولا يقبل لأحد التعرض له". وقال لأمه "إن من النفوس ما لاتوازى بألف نفس ومنها نفس ابني الطالب أخيار وإن طيها للنفوس كطي الجوهر للذهب وطي الذهب للفضة". وقال : "لا أظن أن أرضا تحمله معي وأسأل الله أن يسكنه معي إن كان الخير في ذلك". وكان يلقبه بجليس المصطفى لكثرة رؤيته النبي (ص) وقال فيه شعرا :

أرجو من الله الولي	بجاه سيد البشرْ
تكون في العرفان لي	مثل أبي بكر الأغرْ
وفي الشجاعة علي	وفي العدالة عمرْ
وفي الشعاع المنجلي	عثمان ذا الوجه الأغرْ

في سنة 1321 / 1902 صدره شيخنا الشيخ ماء العينين "ولقبه بالشيخ وألبسه عمامة كانت على رأسه وأمره بجعلها، فسار إلى بلاد القبلة أي شنجيط وظهر عليه الفضل وصار له أتباع وسخر الله له أمراء عرب القبلة وصاروا يهدون له الهدايا الجميلة ويعولون عليه في كثير من أمورهم الجليلة وتحدث الناس عنه بكثير من الكرامات الجميلة من سخاء وشجاعة ورمي وعقل وسياسة وأدب ورياسة وتسخير وتدبير وله مشاركة في أكثر الفنون ورزقه الله من الفتح فيها ما لا يخطر على قلب حتى إنه لا يتكلم معه أحد إلا وظن أنه من المفنين أعمارهم في التدريس". وكان "عالما زاهدا ورعا عابدا متواضعا سخيا شاعرا كثير العبادة قليل الغفلة دائم الفكر كثير الأوراد صاحب جذب وفيض وشوق وذوق"، وكان "من الأولياء الكبار والأسخياء الأخيار جامعا لمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم لذيذ الطبع حلو الفكاهة كريم النفس شديد الورع كثير البكاء من خشية الله".



في سنة 1324 / 1906 أرسله والده الشيخ ماء العينين إلى نواحي آدرار وتگانت والحوض والقبلة والترارزة والبراكنة لدعوة أهلها لجهاد النصارى لما بدأوا احتلال بلاد شنقيط فجاءت معه الوفود إلى حضرة الشيخ في مدينة السمارة يوم الأحد الثالث والعشرين من المحرم عام 1324 الموافق للعشرين من شهر مارس عام 1906 فأرسل السلطان ابن عمه مولاي إدريس بن عبد الرحمان ومعه الطالب المدني الغرفي والدوبلالي والقائد أحمد الشيباني ومحمد الحسن بن القائد إدريس بن يعيش

فلقيهم بعد مجيئهم بيومين يوم الثلاثاء بحضور الشيخ ماء العينين فأعطوه بيعتهم ولبثوا في ضيافة الشيخ سبعة وثلاثين يوما.

في سنة 1909 انتقل مع والده الشيخ ماء العينين من مدينة السمارة إلى مدينة تيزنيت بعد أن ضيقت عليه السلطات الاستعمارية الفرنسية الخناق بسبب جهاده ومقاومته ضدها في شنقيط والصحراء. وبعد وفاته رحمه الله أواخر سنة 1910 وتولي ابنه الشيخ أحمد الهيبة حركة الجهاد والمقاومة في سوس عينه خليفة له على مدينة تارودانت وخاض معه عددا من المعارك ضد القوات الفرنسية الغازية المستعمرة.

في سنة 1919 انتقل إلى منطقة آدرارفي شنجيط "للوقوف على حالة أملاك الشيخ ماء العينين واسترجاع ما تم الاستحواذ عليه منها وليكون سندا لإخوته وأسرته ومن معهم من المجاهدين وليخفف من غلواء عداوة الفرنسيين لعشيرته ومريدي وأنصار والده الشيخ ماء العينين". فاستقبله أعيان هذه المنطقة ورؤساؤها "بالحفاوة والتبجيل وأقاموا له حفل ترحيب وإكرام وهو ما دفع بالفرنسيين إلى أن يمدوا له يد المصالحة". وهذا ما يشير إليه ابنه العلامة الشيخ بونن قائلا : "ثم أرسل كتبا للدولة وأتاه الرسول بموضع يقال له "ازميلت تفل" قريب من الغلاوية بمراده وتوجه للدولة في عام ثمانية وثلاثين بعد ثلاثمائة وألف". وظهر فيها "ظهورا عجيبا لما له من الكرم والسماحة والوجاهة وخضعت له أكابرها وأمراؤها وأذعنت له عظماؤها واستغنت من نواله فقراؤها وامتدحته بالأمداح الحسنة شعراؤها فانتشر صيته وجميل ذكره". وقد أسهم بدور كبير في ازدهار هذه المنطقة على المستوى الديني والعلمي والفكري والسياسي والاجتماعي من خلال فتاواه المتعددة ومؤلفاته العلمية المتنوعة وأشعاره المسبوكة الغزيرة بالإضافة إلى جوده وكرمه وإنفاقه وسخائه مما جعله يحظى بشهرة كبيرة لم يسبقه إليها غيره ممن استوطنوا هذه المنطقة. حتى إن الناس في بوتلميت لما سألهم بابا بن الشيخ سيديا أيهما تفضلون : المطرأم مجيء الشيخ الطالب أخيار ؟ قالوا له : نفضل مجيء الشيخ الطالب أخيار لأنه أسرع نفعا للناس. ولم يزل في هذه المنطقة" مشتغلا بما هو دأبه من الإقبال على عبادة الله وعدم الالتفات على ما سواه والمحافظة على البر والإحسان وكل إنسان في كل زمان ومكان" حتى توفي رضي الله عنه في تاسع ذي القعدة عام اثنين وستين بعد ثلاثمائة وألف 1362 / 1943 بمدينة اندر السنغالية ودفن بها. وقد أرخ لوفاته حفيده العالم الشيخ الطالب أخيار بن الشيخ بونن بقوله :

الشيخ جدي طالب الأخيار	جليس جده النبي المختار
في عام ألف وثلاثمائة	واثنين مع ستين بعد الهجرة
جادت عليه رحمة الرحمان	بالعفو والرحمة والرضوان
وعمره كان على الأنام	كالغيث في النفع على الدوام

ويشير الناظم في البيت الأخير ب "كان" إلى عمره وهو واحد وسبعون سنة لأن الكاف بحساب الجمل : 20 والألف : 1 والنون : 50.

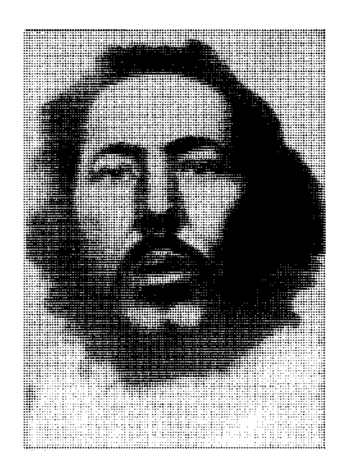
قال فيه الشيخ محمد الغيث النعمة بن الشيخ ماء العينين : "ذو الجذب الرباني والفيض الرحماني نجيب العارفين أريب المحبين الشيخ الطالب أخيار كان رقيق البشرية عذري الطبيعة قيسي القريحة صاحب أشواق بديع أذواق لا يرقأ في الله دمعه ولا يفترق معه جمعه ذو فيوضات صمدانية وفتوحات ربانية".

وقال فيه الشيخ أحمد بن الشمس : "كان ابن شيخنا الغائب في حب الله ورسوله المكتم حاله في سلوكه وقفوله المعروف عند أهل الملأ العلوي المجهول عند أهل السفلي الدرة المصونة الجوهرة المكنونة جيلم الأخيار سيدي الشيخ الطالب أخيار".

الشيخ محمد الغيث النعمة بن الشيخ ماء العينين، *الأبحر المعينية في الأمداح المعينية*، رسالة دبلوم الدراسات العليا، تحقيق، الدكتور أحمد مفدي تحت إشراف الدكتور عباس الجراري، الجزء الأول، مرقونة بمكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، 1975 / 1976 ؛ الشيخ أحمد بن الشمس، النفحة الأحمدية في بيان الأوقات المحمدية، الطبعة الأولى، المطبعة الجمالية، مصر ؛ الشيخ مربيه ربه، قرة العينين في كرامات شيخنا الشيخ ماء العينين، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين بن الحضرام، إفادة الأقربين في التعريف بذرية شيخنا الشيخ ماء العينين، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين بن العتيق، *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان* ، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ الشيخ ماء العينين، علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأروبي، الطالب أخيار بن الشيخ مامينا، الجزء الأول، الطبعة الأولى، 2005، مطبعة بني ازناسن، سلا.

ماء العينين، الطالب بوبكر : هو العلامة والفقيه والولي الصالح الكبير و"الأديب الزاهد السخي الماجد الأرضى المرتضى الولي البركة المفيد الابر الأعز الأشهر المتواضع" الشيخ السيد الطالب أبي بكر" الملقب الشيخ الطالبوي بن الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن الشيخ مامين، وأمه هي السيدة الفاضلة عيشة بنت محمد فال بن الطالب من قبيلة آل الجيه المختار. ولد في 12 جمادى الأولى عام تسعة بعد ثلاث مائة وألف (1309 / 15 دجنبر 1891 ونشأ في صيانة وكفالة وبدأ بقراءة القرآن الكريم ثم أتبعه بالعلوم اللغوية والفقهية وعلم الباطن الذي بلغ فيه شأوا كبيرا. وهذا ما يشير إليه ماء العينين بن الحضرام قائلا "كان من أحسن أبناء شيخنا باطنة وكان يخبر ببعض الأشياء قبل وقوعها فتكون كما أخبر وربما يحلف عليها فيصدقه الله". ويقول ماء العينين بن العتيق مؤكدا هذا : "وله كرامات في ذلك المعنى كثيره عند من يخالطه شهيرة وكان ذا نور كبير وكشف كثير وقوع ما أخبر به من المغيبات عند الناس في الأمور المجريات".

في سنة 1909 انتقل مع والده الشيخ ماء العينين إلى مدينة تيزنيت ولما تولى الشيخ أحمد الهيبة حركة الجهاد سنة 1912 انخرط معه فيها وشارك في عدة معارك ضد المستعمر الفرنسي ثم بعد ذلك انتقل إلى الصحراء واستقر بها وانشغل بالزهد والورع والولاية والصلاح في عدة مناطق منها العيون وطرفاية والداخلة وعرف طيلة هذه الفترة التي قضاها بهذه المدن بالزهد والعلم والأدب وتعليم الناس أمور الدين.



قال عنه ماء العينين بن العتيق : "كان الشيخ الطالبوي من الأماجد الكبار والأفاضل الخيار منظور بعين العناية ظاهرة عليه سيم الولاية جميل الشمائل جليل الفضائل خائضا في بحور المعارف والحقيقة متسترا عن الناس لا يعرف جلهم له حقيقة، له من شرف النفس وصفاء الباطن الحظ الأوفر ومن مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب المقام الأكبر، وكان صاحب قبول وتسخير من رآه يقابله بالإجلال والتوقير، وكان ذكيا حبيا متواضعا أريحيا وكان كثير الفتوحات والفيوضات مفتوحا عليه في الأسرار والمشاهدات".

توفي سنة 1958 بمنطقة شلوات التابعة لجماعة اجريفية بإقليم بوجدور.

ماء العينين بن الحضرام، *إفادة الأقربين في التعريف بذرية شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين بن العتيق، *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت.

ماء العينين، طول تفاك : هي الأديبة الصفية العاقلة الوفية المتصدقة المشفقة السيدة أم البنين الملقبة طول تفاك ابنة الشيخ ماء العينين وأمها هي السيدة عزيزة بنت أبي زيد السباعية. ولدت في شهر ذي الحجة عام ثمانية بعد ثلاثمائة وألف (1308 / 1890) ونشأت في كفالة وصيانة وأدب وقرأت على أبيها القرآن الكريم وسائر العلوم من فقه وتفسير وحديث ولغة وتصوف وشعر وطب، وأجازها إجازة تامة كاملة في علم الظاهر والباطن وفي علم المعقول والمنقول وصدرها وأمرها بتربية المريدين والسالكين والمنخرطين في سلك الطريقة العارفين. وكانت عابدة زاهدة صالحة ذات فضل وكرم وآداب حسنة وشيم لها مروءة وعقل وحياء وشفقة ورحمة بالفقراء والضعفاء ولها تواضع وطبع طيب جميل وقدر كبير وإحسان على الكبير والصغير والحقير والجليل.

استقرت في أخريات حياتها بمدينة طان طان وأنشأت بها زاوية دينية وكان يقصدها عدد كبير من المريدين وطلاب العلم والمعرفة، وكانت تجيز كل من يقصدها وتحقق له غاياته ومآربه وترويه من علمها وورعها وزهدها وأدبها، وقد أسهم كثير ممن صدرتهم بدور كبير في ازدهار النهضة الأدبية والدينية والعلمية في الجنوب المغربي. وظل هذا هو ديدنها.

توفيت بمدينة تيزنيت سنة أربعمائة وألف (1400 / 1980) ودفنت مع والدها الشيخ ماء العينين.

ماء العينين، العالية : هي الولية الصالحة التقية الفائقة النقية الرائقة الأديبة الحنينة الحسينة النزيهة العالمة النبيهة السيدة العالية بنت شيخنا الشيخ ماء العينين وأمها هي العزة بنت الكور من قبيلة العروسيين. ولدت أواخر المحرم فاتح عام ثلاثة وثمانين ومائتين وألف (1283 - 1865) ونشأت في عفاف وصيانة وأدب وديانة وقرأت على أبيها كثيرا من العلوم ورباها أحسن تربية وأدبها أكمل تأديب حتى صار لها من الجميع الحظ الأوفر وكانت عابدة سخية بارة بأبويها لا تغفل عن عبادتها متواضعة فارهة في جميع صناعات النساء الحسنة ما شاء الله كثيرة الصدقة مؤثرة للغير على نفسها قانعة حيية وكان شيخنا الشيخ ماء العينين يحبها ويعجبه عقلها ورأيها وأدبها ولها كرامات كثيرة ومزايا شهيرة ولها خبرة وعقل ومشاركة في كثير من العلوم.

توفيت غرة ربيع النبوي عام تسعة وثلاثين وثلاثمائة وألف (1339 - 1921) بمدينة طاطا قرب عين تسمى عين الصك فلما دفنت حولها أسمتها الناس عين الـبَـرْكَ. قال فيها الشيخ مربيه ربه "السيدة التقية الكيسة العاقلة الأديبة الذائقة العالية بنت شيخنا الشيخ ماء العينين كانت رحمها الله بارة به وبجميع أولاده وكانت حظية عنده رضي الله عنه".

الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين، *قرة العينين في كرامات شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين بن الحضرام، *إفادة الأقربين في التعريف بذرية شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين بن العتيق، *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت.

ماء العينين، (ابن -) **العتيق** هو العالم والأديب والمجاهد، ماء العينين بن العتيق بن محمد فاضل بن محمد الليل بن محمد من قبيلة الجيه المختار الشريفة والشهيرة، وأمه هي السيدة الفاضلة العالية بنت شيخنا الشيخ ماء العينين. وقد ساهم هذا النسب بدور كبير في

تشكيل ملامح شخصيته وتحديد مسار حياته، فلم يسلك مسلك البسطاء من سائر أبناء حسان والزوايا، ولم يخض فيما كان يشغلهم من هموم ومشاغل عابرة، بل اتبع نهج أسلافه في الحياة، واقتفى أثرهم في العلم والاستقامة، فكانت حياته مجمعا للمثل وسجلا حافلا بالعطاءات.

ولد في سنة 1887 بالصحراء ونشأ في عفاف وصيانة وأدب وديانة وقرأ القرآن حتى أتقنه وأخذ الإجازة فيه على الفقيه زين بن البكاي القلقمي، ومبادئ العربية على والدته العالية والنحو على الشيخ محمد بن سيدي وعلم الأصول على الشيخ محمد العاقب بن مايابي والفقه والبيان والتصوف والحديث والعروض وعلم الكلام وعلم الباطن وغير ذلك على جده الشيخ ماء العينين الذي كان مقربا له غاية شديد المحبة له والاعتناء به في صغره وكبره، وكان يثني عليه بأنواع شتى من الثناء الحسن، وقد أجازه في القرآن الكريم رسما وقراءة كما أجازه عدد من العلماء الذين أخذ عنهم منهم محمد العاقب بن مايابي الذي أجازه في علم الأصول وزين بن البكاي الذي أجازه في قراءة نافع ورواية ورش وقالون. يقول في إجازته : "... وبعد، جاء ماء العينين بن العتيق بن محمد فاضل القلقمي، حفيد شيخنا الشيخ ماء العينين، طلب مني أن أجيزه وأحلي إبريزه في قراءة نافع إمام أهل المدينة ابن أبي رويم ورواية ورش وقالون، فقد أجزته لحسن طويته أن يقرئه لمن شاء، ويفيده لمن أراد، نسأل الله أن ينفعه وينفع على يديه، وأوصيه ونفسي بتقوى الله العظيم في السر والعلانية".



في سنة 1909 غادر مدينة السمارة رفقة جده الشيخ ماء العينين إلى مدينة تيزنيت بعد اشتداد الضغط الأجنبي عليها بسبب مواقف الشيخ ماء العينين الوحدوية والوطنية.

وفي سنة 1913 استقر في كردوس مع خاليه الشيخ أحمد الهيبة والشيخ مربيه ربه وخاض معهما معارك متعددة ضد المستعمر الفرنسي وآزرهما فيما اضطلعا به من أمور الجهاد في الحوز وسوس. فكان يشجعهما ويشيد ببطولاتهما ويتصل بالعلماء وأهل الحل والعقد من أهل سوس لمساندتهما. وقد نظم في ذلك أشعارا كثيرة منها قولــه :

فيا إخوة الإيمان دعوة مشفـــق ... نصوح دجا مما دهاكم نهاره

ألا هل لدين الله منكم مشيـــد ... فقد كاد أن ينقض أصلا جداره

فلا تأل جهدا في الجهاد ومن جلت ... معاذره فليناً عنهم مـــزاره

فما العذر في نبذ الجهاد لقـــادر ... ولو خذلته الناس فالله جـاره

فلا تنس ثأر الدين ممن أماتـــه ... فلا الدين أولى ما تطلب ثـأره

ولم يك إلا بالجهاد بقـــاؤه ... وما فيه غيظ المعتدى ودماره

في سنة 1936 اشتغل بالقضاء في مدينة طانطان واشتهر بالصلاح والنزاهة والاستقامة والعدل و"الرفق بالضعفاء والعمل على الأخذ بأيدي المساكين والمظلومين وإنصافهم من المعتدين، والشدة في الدين والورع والزهد وإعطاء كل ذي حق حقه، ومحاربة الفساد والقضاء على الرشوة والتشهير بمتناوليها وآخذيها ما يعلمه الخاص والعام. وفي سنة 1937 زار مدينة الرباط فأدركه عيد المولد النبوي الشريف هناك وشارك في الاحتفال الذي ترأسه الملك محمد الخامس بهذه المناسبة والتقى به وأكرمه وأولاه عناية خاصة. يقول عن هذا الحفل، "أدركني عيد المولد الشريف بالرباط في دار حاجب السلطان مولانا سيدي محمد بن مولانا يوسف وهو الفقيه الصوفي السيد محمد الحسن بن القائد إدريس بنيعيش... فلما صلينا المغرب في دار الحاجب المذكور ليلة المولد الشريف استدعانا إلى دار المخزن للاجتماع بالسلطان فسرنا معه، فاجتمعنا بجلالة مولانا السلطان سيدي محمد في مسجده الخاص بدار المخزن فاجتمع عنده تلك الليلة كثير من العلماء والأدباء والشعراء حتى غص المسجد بهم، والسلطان جالس بينهم كأحدهم لم يتميز بعلامة من أبهة الملك عنهم وباتوا مشتغلين في إنشاد المدائح النبوية، بالأنغام الحسنة والألحان المطربة، ومما ختموا منها قصيدتي البوصيري الميمية والهمزية الشهيرتين وقصيدة كعب بن زهير رضي الله عنه الشهيرة في مدحه (ص)، فلما كان قبل طلوع الفجر بقليل، ختموا المجلس بقصائد من إنشاء بعض تلك الأجلة، في مديح مولانا السلطان، وتهنئته بعيد المولد الشريف وما تفرق النادي حتى صلوا الصبح بمحضر من السلطان وكنت ممن أنشأ تلك الليلة قصيدة في مدح مولانا السلطان وتهنئته بالعيد المولدي وهي :

بشر المنى بك أشرقت أعلامها ... يشدو على فنن السرور حمامها

فاهنأبها من ليـــلة سرت بشا ... ئر هابجدك واستنـار ظلامهــا

كما اجتمع في هذه الليلة بعدد كبير من العلماء والشعراء والأدباء والزعماء وبعد عودته من هذه الرحلة انتقل إلى مدينة طان طان واستقر فيها. وفي سنة 1938 رافق الشيخ مربيه ربه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج والتقى في هذه الرحلة التي دونها بعدد كبير من الأدباء والعلماء والشعراء والزعماء الوطنيين في مدينة تطوان وفــي غيرهــا من مــدن المشرق التي زارهــا كطرابلس

والقاهرة وجدة ومكة وكانت له معهم مساجلات شعرية ومذاكرت علمية ومحاورات أدبية. ففي يوم الخميس التاسع والعشرين من شهر دجنبر من السنة نفسها دعا رجال الوحدة المغربية في مدينة تطوان الشيخ مربيه ربه ووفده جميعا دعوة جفلا وأعدوا لذلك حفلا كبيرا فسار إليهم وسائر الركب، فلما دخلوا أماكنهم وقدموا لهم ما أعدوا أنشدهم ماء العينين بن العتيق :

دعوتمونا سماحا دعوة الجفلا فكنتم خير من بالزائر احتفلا
من كان داعي أقوام لمأدبة ولم يكن هكذا فعلا فما فعلا

ثم تناول الكلمة بعد ذلك عدد من رجال الفكر والأدب والسياسة والوطنية فألقوا خطبا نثرية بديعة وقصائد شعرية مغزاها واحد كلها تقتضي الترحيب بهم وإظهار الاعتناء والمحبة لهم منهم الأستاذ الحاج أحمد بن محمد معنينو السلاوي والأستاذ المكي الناصري والأستاذ عبد الخالق الطريس والأستاذ محمد بن العربي الزكار والأستاذ عبد الوهاب بن منصور ووزير الأحباس محمد بن موسى والشاعر إبراهيم الإلغي فاستحسن الوفد الزائر بدوره خطبهم وأشعارهم وارتاح لها، ثم ألقى ابن العتيق خطبة تقتضي جواب خطبهم وأنشدهم :

يا إخوة المجد يا أعلام سبسبه والنازلين بأعلى ذروة الرتب
قد سرنا اليوم ما ألقيتموه لنا تبارك الله من شعر ومن خطب

كما خاطب المكي الناصري قائلا :

سلام على شيخ الأساتذة المكي ينير به ليل البراعة والصك

وأجاز وزير الأحباس محمد بن موسى قائلا :

جزيت لرعيك الأدب ابن موسى بأحسن ما الأديب به يجازى

وطلب منه الإجازة عبد الوهاب بن منصور بقوله :

فأجزني يا ابن العتيق أجزني إنكم في الشعور أسمى وأعلى

فأجازه قائلا :

رمت فيها إجازتي يا ابن منصو ر وقد كنت للإجازة أهلا

في سنة 1939 وبعد رجوعه من الحج حضر مع الشيخ مربيه ربه المجلس الذي عقده الخليفة مولاي الحسن بن المهدي لاستقلال أمر الأوقاف الإسلامية يوم الأربعاء سادس مارس وحضره عدد كبير من العلماء والقضاة والخطباء والأدباء والشعراء والأشراف وأعيان المخزن وكبراء الدولة وكان هذا الاحتفال من أعظم الاحتفالات له سكينة كبيرة ومهابه عظيمة وأبهة غريبة وجلالة مثيرة وأول من افتتح الكلام فيه ابن العتيق بقصيدة شعرية يمدح فيها الخليفة ويهنئه "بموجب هذه الحفلة الجميلة والأبهة الجليلة من ارتجاع الأوقاف إلى السنن المشروع والسير فيها على نهج السلف الذي تباهى به الخلف. يقول فيها :

لله مجلسك المبارك واقفا للشعب في اقصى مصالح وقفه
وسننته للوقف شورى رغبة في سنة السلف السني وعرفه

وفي سنة 1956 توجه مع أول وفد من أعيان قبائل الصحراء المغربية لتجديد البيعة للملك محمد الخامس بعد عودته من المنفى، وخاطبه بقصيدة شعرية يقول فيها :

تتابعت البشائر والحبور بحمد الله واتصل السرور
بمشهد طلعة الملك المفدى من ازدانت بدولته الدهور

وفي هذه السنة انحرط في صفوف جيش التحرير وأشاد في قصائده بمعاركه وبطولاته ودوره في تحرير عدد من المناطق في الجنوب المغربي، يقول :

بزغت علينا أنجم التحرير فتباشر الأوطان بالتطهير
من رجس الاستعمار بعد فشوه في الغرب بل في سائر المعمور

في أواخر سنة 1956 عين أستاذا بكلية بن يوسف بمراكش وظل يدرس بها. وقد توفي يوم الثلاثاء 26 رجب عام 1376 الموافق 26 فبراير عام 1957 ودفن مع خاليه الشيخ تقي الله والشيخ سيدي عثمان نجلي الشيخ ماء العينين في روضة زاوية جده الشيخ ماء العينين التي تقع في رياض الزيتون بمراكش بعد حياة حافلة بالعطاء العلمي والأدبي والفكري.

ماء العينين بن العتيق، *الرحلة المعينية*، تحقيق، محمد الظريف، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى، 1998 ؛ ماء العينين بن الحضرام، *إفادة الأقربين في التعريف بذرية شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، مكتبة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ الشيخ محمد الغيث النعمة بن الشيخ ماء العينين، *الأبحر المعينية في بعض الأمداح المعينية*، تحقيق، محمد المداح، الجزء الثاني، د د ع، تحت إشراف محمد بن شريفة، كلية الآداب، الرباط، 1995 ؛ ديوان ماء العينين بن العتيق، جمع وتحقيق وتقديم، محمد الظريف، مطبعة بني إزناسن، سلا، الطبعة الأولى، 2004.

ماء العينين (سيدي -) **عثمان** : هو العالم العلامة النحرير، والشاعر الناظم الأديب المجيد المفلق الغزير والولي الزاهد العابد الإمام المنير بهجة الزمان وعقد الجمان الجهبذ المكرم الغطمطم العالم الحسيب الماجد الأديب نور الظاهر والباطن كهف الظاعن والقاطن البحر الفياض النجيب السخي الظاهر اللبيب حافظ القرآن حبيب الرحمان الشيخ السيد سيدي عثمان بن الشيخ ماء العينين، وأمه هي السيدة ميمونة بنت أحمد بن علي. ولد في ربيع النبوي عام اثنين وثمانين بعد المائتين وألف (1282) الموافق لشهر يوليوز سنة خمس وستين وثمانمائة وألف (1865)، ونشأ في عفاف وصيانة وأدب وديانة في كفالة أبيه الذي قرأ عليه جميع العلوم حتى فاق أهل عصره ولم ير مثله في قطره، وصار آية من آيات الله في اتباع السنة والعمل بالعلم والاطلاع على ما في القلوب بفضل علام الغيوب، ما جعل والده الشيخ

ماء العينين يقول فيه : "لقد أظهر الله في ابني سيدي عثمان في صغره ما لم يظهر في صغري". وقال فيه أيضا : "إن ابني هذا أظهر الله على يديه من الكرامات وخرق العادات ما لم يظهر على أحد في قدر سنه". وقال فيه أخوه الشيخ محمد تقي الله : "لا يسمع أحد بمدح أحد ولا خصال حسنة تقال عنه إلا وأتى دون ذلك إلا أخي سيدي عثمان لا يسمع عنه مدح إلا وهو فوقه في كل شيء". كان عالما عاملا كاملا فاضلا عابدا زاهدا سخيا متواضعا تقيا ورعا متورعا ناظما شاعرا كاتبا ماهرا، حسن الخلق والخلق، جامعا خصال الفتوة والكمال، متبحرا في جميع الفنون، عارفا أقوال المذاهب جميعا، متأدبا بآداب الشيخ ماء العينين وله سميعا ومطيعا، وقد أعطاه الله الفتح الكبير، والنور الكثير، والعلم الغزير، والمنصب الخطير، وكان نوره مستطيرا، وسراج مشكاته منيرا، لما فاجأه من الجذب الإلهي، وفاض عليه من الفيض الرباني. في سنة 1402 / 1884 سافر مع والده نحو السلطان مولاي الحسن الأول لما أرسل له أنه يقدم عليه وقال إنه شاهد فيه من الفتوة والرجولة والقوة والشجاعة ما لم يشاهده في أحد من أهل زمنه.

قال فيه الشيخ محمد الغيث النعمة بن الشيخ ماء العينين : "كان كامل أنواع الفتوة جامع أشتات المروءة حافظا لفنون العلوم بحرا في الولاية لا يسبح بسفن ولا عوم. نال من رفعة الصيت في زمنه ما لم ينله أحد من عصره وشاع في البلاد من ذكره ما عجزت عنه أهل دهره أدخله شيخنا الشيخ ماء العينين خلوات ظهر عليه بعدها ماحير الناس من الفتوحات والفيوضات وجرى على يديه من خرق العوائد وازدياد الفوائد ما لايعبر عنه واصف ولا يحيط بعشر عشره عارف. وأبرز من دقائق العلوم الشرعية والفنون العقلية ما عجز عنه أكثر من في زمنه من البرية، وكان معروفا بحسن الخلق واللطف بجميع الناس والإحسان عليهم".

توفي في ريعان شبابه بمدينة مراكش، عام خمسة بعد ثلاثمائة وألف (1305 / 1888)، ودفن بزاوية والده شيخنا الشيخ ماء العينين في رياض الزيتون قرب ساحة جامع الفنا.

ماء العينين بن الحضرام، *إفادة الأقربين في التعريف بذرية شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، مكتبة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ الشيخ مربيه ربه، *قرة العينين في كرامات شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، مكتبة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين بن العتيق، *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، مخطوط، مكتبة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت.

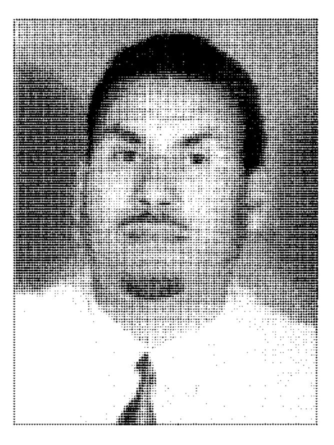
ماء العينين، علي زين العابدين : هو العالم والأديب والمقاوم الكبير الأستاذ علي الملقب زين العابدين بن الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن الشيخ مامين. وأمه هي الفاضلة الكريمة رقية بنت القائد عمر. سماه والده على الصحابي الجليل علي بن أبي طالب، وكان دائما يوصيه باتباع سيرته. وفعلا دل عليه اسمه واستطاع بعزمه وطموحه أن يصبح علما من أعلام الفكر والعلم والأدب والخطابة والبلاغة والنضال والمقاومة ليس في الصحراء وحدها بل في الجنوب المغربي عامة. ولد في سنة 1929 بقرية كردوس التي تقع شرق مدينة تيزنيت "أيام كانت مركزا علميا تزدحم بأفواج المجاهدين والعلماء يتزعمهم والده الشيخ مربيه ربه الذي كان يولي لأبنائه رعاية خاصة رغم مهامه العديدة وانشغاله اليومي بالحروب والمعارك ضد المستعمر. وافتتح دراسته العلمية عليه وأولاه عناية كبيرة لما لمس فيه من رغبة أكيدة في طلب العلم وظل يرعاه ويرشده ويوجهه ويتتبع جميع خطواته فأحسن تربيته وتكوينه. وقرأ بعد ذلك على عدد كبير من أساتذة العلم والفكر والأدب والتربية في زاوية الشيخ ماء العينين وفي غيرها من المدارس العلمية العتيقة بسوس كتنالت وتانكرت وإيلغ، الذين أجازوه إجازة تامة في مختلف العلوم منهم : الشيخ محمد الأغظف والشيخ الطالب بوبكر والشيخ محمد الإمام أبناء الشيخ ماء العينين وماء العينين بن العتيق والشيخ سيدي محمد بن عبد العزيز والطاهر الإفراني والحاج الحبيب البشواري ومحمد بن الطاهر الإفراني ومحمد بن أبو. بدأ بحفظ القرآن الكريم ثم أردفه بالعلوم الأخرى من فقه وتفسير وحديث وأصول ومنطق وبلاغة وعروض وشعر وفلك وحساب وبيان. وكان مواظبا على حضور حلقات الدروس اليومية والمجالس العلمية لا يشغله عنها شاغل مهما كان نوعه يقرأ ويكتب ويسمع ويحفظ ويستوعب بهدوء وإمعان وتركيز وظهرت عليه منذ طفولته إمارات الذكاء والنجابة والحفظ والفهم، مما جعل أغلب الشيوخ والأساتذة الذين درسوه يشيدون بنبوغه العلمي وسلوكه المثالي ورغبته المتواصلة في التحصيل. وقد حافظ على هذا النهج العلمي والمعرفي مع مرور السنوات والأيام وظل طيلة حياته يشتغل بالقراءة والكتابة والبحث الدائم حتى وفاته، مما جعله يصبح من كبار العلماء والشعراء والأدباء البارزين اللامعين. يدل على ذلك إنتاجه الشعري في مختلف الأغراض الشعرية وكتاباته النثرية وتقاريظه وتعليقاته وحواشيه ورسائله ومجموعاته المتنوعة ومناظراته الفكرية والأدبية التي ما تزال تنتظر من الدارسين والباحثين دراستها وتحقيقها وكشف ما تتميز به من أصالة وغنى وتنوع والتي ستسهم لاشك في إغناء ثقافتنا الوطنية.

في سنة 1943 التحق بالمدارس الإسبانية في طرفاية والعيون ثم تابع دراسته ببرشلونة، مما جعله يتملك اللغة الإسبانية باعتبارها أداة للمواجهة ومفتاحا للمعارف الجديدة، وهذا ما زاده وعيا وخبرة ومعرفة بالآخر الغربي الأوربي وظل مع ذلك كله محافظا على مبادئه وأصوله وثقافته الصحراوية والمغربية والعربية والإسلامية ووفيا لثوابته ومقدساته الوطنية.

في سنة 1950 انخرط في صفوف حزب الاستقلال وأسهم بدور كبير في تنشيطه وتأطيره في مدن الأقاليم الجنوبية المغربية كالعيون وطرفاية والسمارة وبوجدور والداخلة وطان طان وكلميم، مما ساعد في تشكيل وعي سكان هذه المناطق السياسي والوطني وجعلهم ينخرطون في العمل السياسي لمواجهة العدو المستعمر.

في سنة 1951 اشتغل بالصحافة وكان يكتب في صحيفة *رسالة المغرب* التي صارت منبرا وطنيا للفكر المغربي والأدب والثقافة وصحراء المغرب وصحراؤنا.

في سنة 1953 شارك في ثورة الملك والشعب بعد نفي الملك محمد الخامس من قبل سلطات الاحتلال الفرنسي ودعا أبناء الأقاليم الجنوبية إلى تنظيم مظاهرات احتجاجا على هذا العمل الشنيع، كما دعاهم إلى المقاومة والنضال مما جعله يتعرض لمضايقات متعددة من قبل السلطات الإسبانية المستعمرة.



في سنة 1955 شارك في مؤتمر أم الشگاگ الذي ترأسه الشيخ محمد الأغظف بن الشيخ ماء العينين، وحضرته جميع القبائل الصحراوية، وكان الهدف منه هو تدارس الطرق الكفيلة التي يجب أن تتخذ لمقاومة المستعمر الإسباني الذي أمعن في الجور والتعسف والظلم والتنكيل بالمقاومين والمناضلين والوطنيين.

في سنة 1956 توجه مع أول وفد من أعيان قبائل الصحراء لتهنئة الملك محمد الخامس بعد عودته من المنفى. وحضر الحفل الذي أقامه حزب الاستقلال تكريما لوفد آل الشيخ ماء العينين، كما شارك في أشغال المجلس الوطني لحزب الاستقلال المنعقد بفاس يومي 19 و20 غشت من السنة نفسها وحضره ممثلون عن كافة القبائل الصحراوية.

في سنة 1957 انخرط في صفوف جيش التحرير وأسهم في تنشيطه وتنظيمه وتأطيره، فخاض معارك متعددة ضد المستعمر الإسباني منها : لگلات وطريق الصدرة ولبلاية والدشيرة والعيون وتيرس وتالوين وأم العشار وصبويا وتمشا وتابلكوكت وإفني. وكتب المناشير ورسم الخطط ونفذ المقررات التحريرية وحضر كثيرا من جوانبه الملحمية والنضالية مع مختلف فيالقه وزعمائه وقواده. مما جعل السلطات الاستعمارية الإسبانية تعطي أوامرها لإلقاء القبض عليه وتتبع جميع السبل والإغرءات لتحقيق ذلك، لكن مساعيها باءت بالفشل. ولم يقتصر في نضاله ومقاومته على السلاح وحده بل أردفه بالخطب التحريضية الحماسية والكتابة المتواصلة في مختلف الصحف والمجلات الوطنية التي تبث روح المقاومة والوطنية في قلوب المواطنين. كما أنه لم يقتصر في مقاومته على منطقة الصحراء وحدها بل قاوم في عدد من المناطق المغربية في سوس وآيت باعمران وواد نون لأنه كان يعتبر المقاومة سواء في الشمال أو الجنوب قاسما مشتركا بين أبناء الوطن في مختلف ربوعه. وهذا يعكس التواصل والتلاحم الذي كان بين أبناء الشعب المغربي بكل فئاته وشرائحه في جميع الأقاليم لأن الهدف كان واحدا هو مقاومة المستعمر. في سنة 1958 شارك في مؤتمر بوخشيبية الذي ترأسه الملك الحسن الثاني وهو إذ ذاك ولي للعهد وكان الهدف منه "هو اتخاذ القرارات الضرورية التي تتطلبها الوضعية الجديدة، ثم البحث عن الوسائل المادية والعسكرية لمواصلة الكفاح لتحرير الأجزاء التي بقيت خاضعة للاحتلال الأجنبي... وأسفر عن مواقف تدعو جميع القبائل الصحراوية وآيت باعمران إلى مواصلة المعركة من أجل التحرير وفي يوم 25 فبراير من السنة نفسها شارك في التجمع الحاشد الذي ترأسه الملك محمد الخامس بمحاميد الغزلان وحضرته مختلف القبائل الصحراوية والباعمرانية.

في سنة 1959 شارك في المؤتمر الثاني انعقد بالرباط في شهر مارس وحضره 138 مؤتمرا يمثلون كل قبائل الصحراء وموريطانيا وآيت باعمران، وقد درس المؤتمرون القضايا التالية :

1 - الحالة الراهنة في موريطانيا والصحراء واتخاذ التدابير اللازمة لتحريرها.

2 - موقف المؤتمر من تطور السياسة التحريرية في المغرب العربي وإفريقيا السوداء.

وقد افتتح المؤتمر جلسته الأولى بالخطاب الملكي الذي ألقاه ولي العهد مولاي الحسن نيابة عن أبيه الملك المرحوم محمد الخامس ثم تلته كلمة حرمة ولد بابانا ثم كلمة الشيخ محمد الإمام بن الشيخ ماء العينين وعبد السلام بن محمد الباعمراني.

في سنة 1975 شارك في المسيرة الخضراء وأسهم بدور كبير في التعريف بها وبأهميتها ودورها الكبير في تحرير الصحراء من ذل الاستعمار.

في سنة 1987 أنعم عليه الملك الحسن الثاني بوسام الاستحقاق الوطني من الدرجة الممتازة. في يوم الأحد 29 ذي الحجة سنة 1418 الموافق 6 يوليوز 1997.

هذه بإيجاز أهم المحطات الرئيسية في حياة الأستاذ المقاوم والوطني المناضل ماء العينين علي زين العابدين بن الشيخ مربيه ربه الذي تزود من العلوم والآداب بأعمقها وأطيبها وتحلى من الخصال بأحمدها وأروعها وتفدى الوطن بهذا وذاك فقاوم وناضل سواء بصفته المناضل الحزبي الملتزم أو الجندي المقاوم وكان همه المغرب أولا وأخيرا.

توفي بمدينة أگادير ونقل جثمانه الطاهر بناء على وصيته إلى مدينة تيزنيت.

ماء العينين بن العتيق، *تحلية الطروس وتسلية النفوس في التعريف بأعلام الشعر في الصحراء وسوس*، مخطوط، خزانة مروان الأكرمي، أگادير ؛ سوس والصحراء المغربية، تواصل ثقافي وحضاري، الطبعة الأولى 1419 - 1999، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ؛ عبد القادر الإدريسي، من تاريخ كتاب

النقد الذاتي، صحيفة العلم، العدد 19903، الجمعة 6 شوال 1425 الموافق 19 نونبر 2004 ؛ محمد بن سعيد آيت إيدر، *صفحات من ملحمة جيش التحرير بالجنوب المغربي*، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، يونيو، 2001.

ماء العينين، فاطمة الجرم : هي الأديبة الفاضلة والولية الصالحة والعالمة الماجدة والزاهدة العابدة والقانتة الناصحة والمربية المقرئة السيدة فاطمة الملقبة الجرم بنت الشيخ ماء العينين وأمها هي السيدة فاطمة بنت المام. ولدت في شهر رجب عام خمسة وعشرين وثلاثمائة وألف (1325 / 1907) وتوفي عنها والدها ولم تتجاوز ثلاث سنوات فتولى كفالتها أخوها العلامة الشيخ محمد الغيث النعمة وتربت في كنفه وانتفعت منه انتفاعا ظاهرا وعلمها وأدبها فقرأت عليه القرآن الكريم وبعض العلوم منها الفقه والسيرة والحديث والتفسير والتصوف والشعر وبرعت في الفقه واشتهرت به وأفتت في عدة قضايا ونظمت فيها أراجيز متنوعة وكان لها باع طويل في هذا العلم. وكانت إلى جانب تبحرها في علم الفقه أديبة ظريفة كريمة عفيفة محسنة على الجيران مكرمة للضيفان طيبة كيسة فاضلة للرحم واصلة.

توفيت عام ثلاثة وثمانين وثلاثمائة وألف (1383 / 1963) في مدينة تيزنيت ودفنت بمدفنه.

ماء العينين، فاطمة الغالية : هي الأديبة الفاضلة المفيدة المرضية السخية فاطمة الغالية بنت الشيخ ماء العينين وأمها هي السيدة عيشة بنت الطالب التندغية نسبة إلى قبيلة تندغة. ولدت في شهر رمضان عام عشرين وثلاثمائة وألف (1320 / 1901) ونشأت في كفالة وصيانة وأدب وديانة وقرأت القرآن الكريم على والدها حتى حفظته وهي صغيرة ثم قرأت بعد ذلك كثيرا من العلوم على أخيها الشيخ محمد الغيث النعمة بن شيخنا الشيخ ماء العينين بعد وفاة والدها وبرعت فيها كالسيرة والحديث والتراجم والشعر الذي كانت ترتجله بديهة وتستشهد به في حديثها وكلامها ووعظها وإرشادها والتصوف الذي بلغت فيه درجة كبيرة لم يبلغها أحد من معاصريها ونظمت فيه أراجيز ومنظومات متنوعة مما يعبر عن نبوغها فيه وتمكنها من ناصيته تنظيرا وتطبيقا وقد ساعدها على ذلك تأليف والدها فيه بالإضافة إلى الطريقة التي أخذتها عن أخيها وكانت تمارسها قولا وعملا وتدعو لها مما جعلها تحظى بشهرة كبيرة دينية وعلمية وأدبية في الجنوب المغربي. بالإضافة إلى هذا فقد كانت عابدة ناسكة جامعة للمكارم والفضائل خالية من النقائص والرذائل فائقة أهل عصرها علما وحلماوكرما وطيب أخلاق وكرم نفس وطهارة عرض.

توفيت عام خمسة وأربعين وثلاثمائة وألف (1345 / 1927) بموضع يسمى القعدة في الصحراء ودفنت به. خلفت أشعارا بالحسانية والعربية في مختلف الأغراض الشعرية.

الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين، *قرة العينين في كرامات شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين بن الحضرام، *إفادة الأقربين في التعريف بذرية شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين بن العتيق، *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت.

ماء العينين، القطب بن الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن الشيخ مامين. وأمه هي السيدة الفاضلة مليكة بن محمد الدرج من قبيلة العروسيين. ولد عام ثمانية وتسعين ومائتين وألف (1298 / 1881) وقرأ على والده القرآن الكريم وعلوم الفقه والحديث والسيرة واللغة "وكان عابدا سخيا ذا بركة ظاهرة زاهدا ذاكرا مقبلا على شأنه لا يلتفت إلى الدنيا وزهرتها" وكان "من الأتقياء العابدين والكرماء الزاهدين معرضا عن زهرة الدنيا مقبلا على أعمال الآخرة شابا نشأ نشأ في عبادة الله وكان كثير التواضع والاشتغال بما يعنيه".

توفي رحمه الله عام عشرين بعد ثلاثمائة وألف (1320 / 1902) ودفن في مدينة السمارة.

ماء العينين بن الحضرام، *إفادة الأقربين في التعريف بذرية شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين بن العتيق، *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت.

ماء العينين، المامونة : هي الأديبة الخيرة المبراة النيرة الطيبة المباركة السعيدة السيدة المامونة الشهيرة بلقبها يحجبوها بنت الشيخ ماء العينين وأمها هي السيدة الفاضلة لال بنت الكوري. ولدت في جمادى الأولى عام خمسة وثلاثمائة وألف (1305 / 1886) ونشأت في عفاف وصيانة وأدب وقرأت القرآن الكريم حتى حفظته على أبيها ثم أتبعته بالعلوم الدينية واللغوية وكانت ذات عفة وورع وديانة وعلم وعقل ورزانة كيسة ذكية سخية زكية كريمة متصدقة بارة بأبويها عزيزة في أهلها حسنة الخلق والخلق كبيرة القدر واسعة الصدر جليلة الذكر أمرها في الحياء والصفاء عجيب ولها من السكينة والوقار أوفر نصيب ولها من شرف النفس وكرم الخلق وحسن الطبع ما ليس بموصوف ولا يوصف مالها في الإحسان إلى الناس وبذل المعروف وكانت على جانب من الأدب عظيم وعرضها من كل ما يشينها سليم، لها مشاركة في بعض العلوم لاسيما علم التفسير والحديث أحرى ما منها في تأليف والدها ولها إقبال على الله واشتغال بالطاعة كثير وعز عند من يخالطها شهير، كثيرة الصلة للأرحام محببة عند الخاص والعام لها الغاية القصوى في حسن السريرة وسائر محاسن السيرة ولم تزل محافظة على هذه الصفات في جميع الأوقات.

توفيت ليلة الاثنين الثالث عشر من شهر جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة وألف (1381) الموافق للثالث عشر من شهر أكتوبر سنة إحدى وستين وتسعمائة وألف (1961) بمدينة تيزنيت ودفنت بها وقد رثاها ابنها ماء العينين يحجب بقصيدة طويلة نختار منها قوله :

سارت إلى دار البقاء الوالـــدهْ	ذات السجايا الغر قلت العابـدهْ
سارت إلى فضل الكريم وجوده	عنا وأورثت المزايا لخالـــدهْ
لاغرو إن فعلت جميلا للـورى	أفعالها للخير حقا تالــــــدهْ
أبدا ترتـــل للكتاب ولاتـــرى	من بعد ذكر الذكر إلا ساجـدهْ

الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين، *قرة العينين في كرامات شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين بن الحضرام، *افادة الأقربين في التعريف بذرية شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين بن العتيق، *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت.

ماء العينين النعمة علي

ماء العينين (الشيخ -) **محمد** : حياة الإنسان تصبح حافلة بالمعاني الكثيرة إذا ما اتسمت بطابع التحصيل والجهاد والمثابرة، والتجارب والاختيارات التي تجعل اتصاله وثيقا بشؤون مجتمعه، وإدراكا منه لواجبه، وسعيا منه لتلبية حاجيات أمنه، ومن أمثال أولئك الذين جاهدوا في سبيل إعلاء كلمة الله ودافعوا عن وحدة المغرب انطلاقا من أقاليمه الجنوبية الشيخ محمد ماء العينين الذي ازداد بمدينة السمارة العاصمة الثقافية للصحراء المغربية سنة 1903، فتشبع بتعاليم الدين الإسلامي منذ طفولته على يد أكبر العلماء معتكفا ومواظبا على العلم والتعلم منذ نعومة أظافره. ويمكن اعتبار هذه المرحلة أهم مرحلة في تكوين شخصيته حيث تبلورت أفكاره في ظل التصدي للمد الاستعماري الذي كانت أسرته تناهضه بشدة.

غير أن طول أمد الحرب وما رافقتها من مواجهات عنيفة، ومن مضاعفات الحصار العسكري جعله يحس مبكرا بعبء المسؤولية ممثلا في ذلك دور والده الشيخ الطالب أخيار ابن الشيخ ماء العينين بطل معارك تارودانت ومهندس جمع وفود قبائل الصحراء وموريتانيا في العام المعروف باسم "لركاب" سنة 20 مارس 1906 بالسمارة بقيادة الشيخ ماء العينين الأكبر بغية تنسيق الجهود للتصدي للغزاة الأوربيين في الجنوب المغربي، وكانت والدته التقية الورعة مريم بت أحمد بن علي وهي من أسرة البرابيش الوافرة المعروفة بالإقدام والمؤازة للحركة الجهادية، قد سهرت بدورها على تربية ابنها الوحيد فكرست له الجهد، ودفعت به لاقتحام مجالات الفتوة والزعامة.

ومما لاشك فيه، أن تواصل الحروب بضراوة، ضد المستعمر أنهك قوى الحركة الجهادية مما جعل أسرته أول من اصطلى بنيران سياسة الأرض المحروقة التي أضرمتها فرنسا، فشردت أسرته مستخدمة وحدات المدفعية، والدبابات المصفحة تعززها فرقة مشاة مدججة بالسلاح ووسائل الاتصال اللاسلكي. ونتيجة ذلك رحلت أسرته بمعية المجاهدين إلى جبال سوس لاعتبارات تكتيكية، جعلتها تحمل لواء الجهاد بعد انتعاشها لفترة قصيرة والواقع أن أعدادا كبيرة من النازحين المجاهدين الصحراويين قد وصلوا إلى سوس ومراكش بعد معركة واد سيدي بوعثمان 1912. وقد خاض والده الشيخ الطالب أخيار الجهاد رفقة أخيه الشيخ أحمد الهيبة وأبلى البلاء الحسن، فكان عالما مجاهدا ومنفقا في سبيل الله. له من الأولاد الشيخ بون أن (محمد فاضل) ومحمد لمين الشبيه وصاحب الترجمة محمد ماء العينين، وسيدي عثمان وعبد الله، وأب، وأحمد الهيبة والجيه وابنة واحدة لالتي.

وكان هذا الشيخ فقيها، وعالما بالفروع، وخطيبا مفوها. فكانت مجالسه مجمعا للأكابر ومصدرا للباحثين في تاريخ المقاومة ومقصدا لأهل العلم. له مؤلف في الصلاة على الرسول (ص)، وله أنظام في التصوف وبعض الأشعار. وكان شديد الاهتمام بعلم التصوف وسيرة الأولياء وأحوالهم ومزاراتهم، فكان محببا عزيزا، امتدحه الكثيرون منهم السيد محمد العاقب بن السيد محمد محمود بن البيضاوي الذي قال فيه من قصيدة طويلة :

ودموعي تجري لكم من عيوني	في مسيري ومنطقي وسكونـي
أألخفي حبا لكـم قــــد أراه	بفؤادي في الجد أو في المجـون

وقال له أحدهم في قصيدة بديعة :

إذا ما ذكرنا بعض مدحك إننـا	رأيناك أهلا للثناء وللمــدح

غير أننا إذا ما ركزنا على الفترات التي نحددها حسب مسيرة هذا المجاهد التي تهمنا هنا، فإن مرحلة عطائه بلغت ذورتها من 1920 إلى 1934 كان خلالها قوي الإيمان شديد الغيرة في المسائل الدينية وحريصا على توظيف رسائل الجهاد في التصدي للغزو الأجنبي مستمدا العون المادي والأدبي من رموز الكفاح الوطني بالصحراء وسوس. فكان خليفة الشيخ مربيه ربه في الجهاد، في هذه الربوع، علق عليه الآمال الكثيرة ورسم لم الخطط وقـاد إلى جانبه حملات ضد المستعمر. فخاضا معارك عدة بعـد أن تخلى الكثير عنهما، حتى كاد الغزاة أن يلقوا القبض عليهما بعدما ترجلا. وكان إعجابه بالشيخ مربيه ربه دفعه لامتداحه بقصيدة يقول له في مطلعها :

أيــا من إذا ليل الجهالــة قد دجا	يكون من البدرين أبـها وابهجا

إلى أن يقــول :

فمدحكم قدما علي فرضـــة	ومدح سواكم في الحقيقة كالهجا

وقد قبل القيام بعبء التضحية، على الرغم من شعوره بضخامتها، مع ما كان في الجو من عدم

الاستجابة أحيانا لكل هذه المبادرات. ولم يزده ذلك إلا إصرارا وإيمانا، وذلك أنه اعتقد أن أداء هذه الرسالة واجب عيني وفرض على القادرين عليه. وكان كثيرا ما يسرد بعد ذلك بدقة ونزاهة ما لقوه من مضايقات ودعايات مغرضة، إذ كان يشاع أن المجاهدين في هذه البقاع طوائف متعددة لا يمكن أن تلتقي أو تتقارب بعد انتصارات الگلاوي ولمتوكي وغيرهم من الخونة، مما حال دون جمعهم في صعيد واحد وقد أحس بأن المهمة أكثر عسرا بعد الغارات الجوية المتكررة على جبل أكردوس حيث يقيم، وتلك بداية مرحلة تصعيد جديدة حين ضربت القوات الفرنسية حصارا بريا وجويا شل من خلاله إلى حد كبير حركة المقاومة التي كان يتصدرها. وقد فطن المستعمر للدور التي تلعبه الحركة الوطنية في سوس فركز الخناق عليها، فأنزل قواته بكثافة في ضواحي أكردوس رغم تأجيج حماس المقاومة في هذه الفترة من الصراع في لخصاص، وعين أولاد جرار وآيت أرخا وبويزكارن.

وتدلنا الشهادات أنه كان شديد العزيمة، قوي الثقة في النفس، دفعه إقدامه ليجعل من ساحات الوغى مستقرا فتمكن من مواجهة المستعمر في المعركة التي قادها وخطط لها بميرغت جنوب تيزنيت سنة 1934. ولعل هذه من أكبر المعارك التي قادها ببطولة مشهودة، ألحق فيها خسائر فادحة في صفوف الفرنسيين وأعوانهم. ويبدو أن هذه الهزيمة كانت ثقيلة على الجنود الفرنسيين الغزاة، فتحالفوا مع بعض القواد المحليين الذين كانوا يتشوقون للخلاص من المقاومين لتضييق الخناق عليهم. وفي هذه الفترة نرى الشيخ ماء العينين يتابع مهمته الجهادية إلى جانب عمه الشيخ مربيه ربه بصحبة ثلة من المجاهدين الأبرار، لا يقاتلون إلا من قاتلهم. واشتد القتال بين الفئتين ودارت الدائرة على المجاهدين، فانتهت هذه المعارك بانسحابه صحبة الشيخ مربيه ربه ليلا، رفقة سبعة عشر مقاتلا عبر مضيق جبل لخصاص بعد أن سجل في تاريخ أمته صفحات خالدة رفعت من شأن المقاومة في هذه الفترة إعلاء لكلمة الله ودفاعا عن حوزة البلاد، فقطعت بعد ذلك دابر الذين ظلموا. تم ذلك قبل استصدار مرسوم 29 غشت 1934 الذي أسند إلى المفوض السامي الإسباني بالمغرب صلاحيات الوالي العام على سيدي إفني الساقية الحمراء ووادي الذهب، فطويت بذلك صفحة نضالية خالدة، في الكفاح ضد المستعمر الغاشم. وبرحيل هذا المجاهد الفذ في أوائل سنة 1980، عن عمر يناهز 76 سنة فإن سيرته العطرة تستحق منا إعادة الاعتبار له، احتفاء وتقديرا واعترافا له بدوره الرائد مما هو جدير بأن يبقى حيا في الذاكرة.

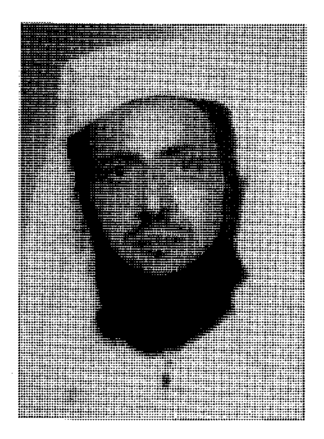
وقد رثاه ابنه السفير محمد ماء العينين بقصيدة جاء فيها :

سئم الفؤاد ويبدو عاد سهادي	بحنين لذكر خير عماد
لم يزل ذكر الفقيد لزوما	وهو في الصميم سريرة ومبادى
ما الذكر إلا حكمة من مرشد	أو نكبة في مهجة أو فؤاد
أن ابتي يا صوارم انبرى	للنائبات بحنكة وسداد
هو فم يفوح اللطف من بسماته	ويصوغ در الوعظ والإرشاد
هو منبع للمروءات وللوفاء	والحلم في دنيا البغضاء والفساد
هو مغرس للبطولات وللنهي	هو أنشودة الأجيال والآبادي
سبحان من وهب السكينة من يشاء	وأعطاه منها حصة الأسادي

ابنه السفير الدكتور محمد ماء العينين الشيخ الطالب أخيار ؛ المرحوم يحفظ ولد اسلم ؛ الشيخ لارباس ماء العينين ؛ الأستاذ ماء العينين مربيه ربه.

محمد الظريف

ماء العينين، مُحمد الملقب مُحَمْدِ بن الشيخ أحمد الهيبة بن الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن مامين، وأمه هي الفاضلة السيدة فاطمة بنت محمد محمود البيضاوي من قبيلة تجكانت.



ولد في مدينة السمارة سنة 1908 وانتقل رفقة والده المجاهد إلى تيزنيت ثم كردوس، وافتتح دراسته العلمية عليه ثم قرأ على عمه العلامة المجاهد الشيخ مربيه ربه الذي تولى تربيته وتكوينه بعد وفاة والده سنة 1919. وقرأ بعد ذلك على عدد كبير من أساتذة العلم والفكر والأدب والتربية في زاوية الشيخ ماء العينين وفي غيرها من المدارس العلمية العتيقة بسوس كتنالت وتانگرت وإيلغ وأدوز منهم الشيخ الشبيه والشيخ الجيه والشيخ محمد الأغظف أبناء الشيخ ماء العينين والفقيه محمد بن عبد العزيز ومحمد بن أبو البوحسني وماء العينين بن العتيق وماء العينين بن الحضرام وآب بن عبد الإله والشيخ سيدي بن سليمان والحاج الحبيب البوشواري والمحفوظ الأدوزي والطاهر الإفراني. بدأ بحفظ القرآن الكريم ثم أتبعه بالعلوم الأخرى من فقه وتفسير وحديث وأصول ونحو وبلاغة وشعر وعروض وفلك وحساب وبيان. وكان مواظبا على حضور حلقات الدرس اليومية والمجالس العلمية وظهرت عليه منذ صغره علامات التفوق والنجابة والذكاء والفهم مما جعله يتميز عن أقرانه ويتفوق عليهم، وقد أشاد به معظم الأساتذة والشيوخ الذين درسوه وأخذ عنهم ونوهوا بنبوغه في العلم واشتغاله الدائم به وأشادوا بسلوكه المثالي وحسن خلقه وأدبه. وقد حافظ على هذا النهج العلمي والمعرفي طيلة حياته وظل ملازما للقراءة والمطالعة والكتابة لا يفارق الكتب ولا تفارقه سواء كانت مطبوعة أو

مخطوطة مما جعله يصبح من كبار العلماء المحققين والأدباء اللامعين المبدعين. وفي سنة 1934 غادر كردوس رفقة الشيخ مربيه ربه متجها إلى طرفاية بعد بسط السلطات الاستعمارية الفرنسية سيطرتها على مختلف المناطق في الجنوب المغربي. وكان قد شارك معه في عدة معارك ضد المستعمر الفرنسي.

في سنة 1938 رافقه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج والتقى في هذه الرحلة بعدد كبير من الأدباء والعلماء والشعراء والزعماء الوطنيين في مدينة تطوان وفي غيرها من مدن المشرق التي زارها وكانت له معهم محاورات علمية ومساجلات شعرية. ففي مدينة تطوان مثلا زار الشيخ مربيه ربه "أقوام أدباء من أهل الوحدة المغربية منهم الشيخ أحمد بن محمد معنينو السلاوي رئيس المركز العام للوحدة المغربية ومدير جريدتها السيد عبد السلام المقدم والحاج أحمد التمسماني وصنوه القائد السيد الحاج محمد بن المقدم والسيد الحاج المختار بن الصادق أحرضان الطنجي والكاتب السيد محمد بن الفقيه السيد محمد الزواق التطواني والشاب الشاعر الشريف وعبد الوهاب بن عبد الواحد بن منصور والتاجر الشريف السيد عبد السلام بن الطاهر بن مسعود".

فخاطبهم مغتبطا بهم قائلا :

بمقدمكم لنا طاب الجلـــوس	ووافقنا بما تهوى النفـــوس
فكم من منتدى بكم تحلــــى	وكم بحلاكم تحلو الـــدروس

وفي ليلة أخرى دعا رجال الوحدة المغربية الشيخ مربيه ربه وأعدوا لذلك مأدبة وحفلا كبيرا فسار إليهم هو ووفده جميعا وفيه أدباء وعلماء منهم الشيخ محمد الإمام بن الشيخ ماء العينين وماء العينين بن العتيق ويحجب بن خطري ومحمد الذي خاطبهم قائلا :

قابلتمونا بأوفى ما نطيب بـــه	فخرا من أعظم تبجيل وأطيبـــه
وليس ذلك إلا من سيادتكـــم	وما من المجد قدما توصفون بـــه

وفي سنة 1939 وبعد رجوعه من الحج حضر مع الشيخ مربيه ربه المجلس الذي عقده الخليفة مولاي الحسن بن المهدي لاستقلال الأوقاف الإسلامية والذي حضره عدد كبير من العلماء والأدباء والشعراء والقضاة والخطباء وأعيان المخزن وكبراء الدولة. وفي سنة 1946 انخرط في صفوف حزب الاستقلال وساهم بدور كبير في تنشيطه بالأقاليم الجنوبية. وفي سنة 1955 شارك في مؤتمر أم الشگاگ الذي ترأسه الشيخ محمد الأغظف بن الشيخ ماء العينين وحضرته مختلف القبائل الصحراوية لتدارس الطرق الكفيلة بمقاومة المستعمر الإسباني. وفي سنـة 1956 توجه مع أول وفد من أعيان قبائل الصحراء لتهنئة الملك محمد الخامس بعد عودته من المنفى. وفي سنة 1957 انخرط في صفوف جيش التحرير بالصحراء وساهم مساهمة فعالة في تنظيماته وخاض معه معارك متعددة ضد المستعمر الإسباني.

في سنة 1958 شارك في مؤتمر بوخشيبية الذي ترأسه الملك الحسن الثاني وهو إذ ذاك ولي للعهد. وكان الهدف منه "هو اتخاذ القرارات الضرورية التي تتطلبها الوضعية الجديدة، ثم البحث عن الوسائل المادية والعسكرية لمواصلة الكفاح لتحرير الأجزاء التي بقيت خاضعة للاحتلال الأجنبي... وأسفر عن مواقف تدعو جميع القبائل الصحراوية وآيت باعمران إلى مواصلة المعركة من أجل التحرير". وفي يوم 25 فبراير من السنة نفسها شارك في التجمع الحاشد الذي ترأسه الملك محمد الخامس بمحاميد الغزلان وحضرته مختلف القبائل الصحراوية والباعمرانية والتقى به وسلمه الرسالة التاريخية التي بعث بها السلطان مولاي عبد الحفيظ إلى الشيخ أحمد الهيبة يدعوه فيها إلى تزعم الجهاد ضد المستعمر الفرنسي في منطقة سوس وباقي الأقاليم الجنوبية المغربية.

وفي سنة 1959 شارك في المؤتمر الثاني الذي انعقد بالرباط في شهر مارس "وحضره 138 مؤتمرا يمثلون كل قبائل الصحراء وموريطانيا وآيت باعمران.

وقد درس المؤتمرون القضايا التالية :

1 - الحالة الراهنة في موريطانيا والصحراء.

2 - اتخاذ التدابير اللازمة لتحريرها.

3 - موقف المؤتمر من تطور السياسة التحريرية في المغرب العربي وإفريقيا السوداء.

وقد افتتح المؤتمر جلسته الأولى بالخطاب الملكي الذي ألقاه ولي العهد مولاي الحسن نيابة عن أبيه الملك المرحوم محمد الخامس، ثم تلته كلمة حرمة ولد بابانا، ثم كلمة الشيخ محمد الإمام بن الشيخ ماء العينين وعبد السلام بن محمد الباعمراني. وفي أواخر هذه السنة استقر بمدينة گلميم وانشغل طيلـة الفترة التي قضاهـا بها بالعبـادة والعلم والتأليف والإبـداع وأسهم بـدور كبير في ازدهـار النهضة الأدبية والفكرية في الجنوب المغربي بإنتاجه العلمي والأدبي المتنوع في مختلف الفنون العلمية والأدبية.

توفي يوم الجمعة 17 غشت سنة 1985.

ماء العينين بن العتيق، *تحلية الطروس وتسلية النفوس في التعريف بأعلام الشعر في الصحراء وسوس*، مخطوط، خزانة مروان الأكرمي، أگادير ؛ محمد بن سعيد آيت إيدر، *صفحات من ملحمة جيش التحرير بالجنوب المغربي*، ص. 39، الطبعة الأولى، 2001، مطبعة صوماكرام، الدار البيضاء ؛ ديوان الشاعر، خزانة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت.

ماء العينين النعمة علي

ماء العينين، محمد ابراهيم : هو العالم الفقيه والشريف الوجيه و"الأديب الظريف النزيه الغطريف النبيه الأريب السخي اللبيب الوفي الناصح الأرضى المرتضى" الشيخ السيد محمد ابراهيم بن الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن الشيخ مامين، ووالدته هي السيدة الفاضلة عيشة بنت محمد فال بن الطالب من قبيلة آل الجيه المختار. ولد في 19 شوال عام

ثلاثة عشر بعد ثلاثمائة وألف (1313 / 1895) وبدأ تعليمه بقراءة القرآن الكريم ثم قرأ بعد ذلك مختلف العلوم الدينية واللغوية والأدبية على والده الذي قال فيه وهو صغير "صغار قوم كبار آخرين" ومن ذلك الوقت يقول ماء العينين بن العتيق علمت أنه سيكون من كبار قومه حتى رأيته صار بعد ذلك لله الحمد من كبار أهل زمنه فضلا وسيادة وقدرا ومجادة. وقال فيه أي والده : "لكل أهل خيمة يوسف ويوسف أهل الخيمة القبلية محمد ابراهيم" لأن خيمة والدته كانت تكون قبلة خيام شيخنا الشيخ ماء العينين رضي الله عنه، وقال فيه كذلك "محمد ابراهيم هذا ابني الذي سيكون إن شاء الله عالما أفضل من كثير من الناس". ولما توفي الشيخ ماء العينين بايع أخاه الشيخ محمد الغيث النعمة "بيعة التربية فتربى ظاهرا وباطنا أحسن تربية ولبى داعي الفضائل والفواضل أسرع تلبية". ولازمه حتى أجازه وصدره "بعدما تضلع من العلوم الحقية والشريعة فلم تزل حقوق الخالق والخلق بعين رعايته مرعية".

شارك في الحركة الجهادية مع إخوته الشيخ أحمد الهيبة والشيخ مربيه ربه بدءا من سنة 1912 وخاض معارك ضد المستعمر الفرنسي، ثم انتقل بعد ذلك من سوس إلى الصحراء واستقر فيها وكان كثير الأسفار والتجوال. وهو أول من أكرمه الله بالحج وزيارته (ص) من أبناء الشيخ ماء العينين "ووجد في سفره إلى الحج من التيسير والتسخير وإقبال الناس عليه وإكرامهم له في المغرب والمشرق مالا يوصف كثرة ولا يخفى شهرة".

قال عنه ماء العينين بن العتيق : "كان الشيخ محمد ابراهيم من أفاضل الأولياء وأماثل الأذكياء له جد في العبادات كثير وكرم وورع وحسن خلق شهير، جميل السجايا جليل المزايا، جزيل العطايا، له همة سامية إلى معالي الأمور وسعي في إدراك المحامد مشكور، وكان حييا سخيا محببا عند الناس، فكاهته أطيب من الراح والآس. ولم يزل على ما هو عليه من السير إلى الصراط المستقيم والتحلي بكل خلق كريم والتخلي عن كل وصف ذميم والتأسي بسنة النبي الكريم عليه أفضل صلاة وتسليم حتى توفي". توفي في أوائل شهر المحرم فاتح عام واحد وستين بعد ثلاثمائة وألف بناحية واد نون في منطقة تسمى راس الطارف.

ماء العينين بن الحضرام، *إفادة الأقربين في التعريف بذرية شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين بن العتيق، *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت.

ماء العينين، محمد أبو الأنوار : هو العلامة الفهامة الكبير والناظم الرجاز الشهير "العالم الفاضل الولي الكامل الأديب الأشهر الأريب الأطهر البليغ الفصيح ذو السند الصحيح المدرس الأستاذ الشاعر المجيد" المفلق المبدع السديد السيد محمد أبو الأنوار بن الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن الشيخ مامين. وأمه هي السيدة الفاضلة أم العيد. ولد في شهر شعبان عام ثمانية بعد ثلاثمائة وألف 1308 / 1891 وبدأ دراسته بقراءة القرآن الكريم حتى أخذ الإجازة فيه على السيد محمد بن انبال مريد الشيخ ماء العينين وكان من المهرة في حفظه عارفا بأدواته ورسومه خبيرا في تجويده وقراءاته. ثم قرأ بعد ذلك العلوم الأخرى التي كانت رائجة في عصره على والده الشيخ ماء العينين من فقه وأصول وحديث وتفسير وسيرة ونحو وبلاغة وعروض وفلك وطب وحساب. ولما حفظها وأتمها في وقت وجيز رتبه مدرسا وقارئا للحزب "وكان حسن القراءة فصيح العبارة". وعرف عنه انشغاله بالعلم الذي كان لا يشغله عنه شاغل ولا يحول بينه حائل. يقضي معظم أوقاته يقرأ ويكتب ويؤلف ويدرس وينثر ويصنف وينظم مما جعله يصبح من كبار العلماء والأدباء والشعراء. وهذا ما يؤكده الشيخ محمد الغيث النعمة بن الشيخ ماء العينين قائلا : "وله اجتهاد في طلب العلم واعتناء بمطالعة الكتب والفهم لا يوصفان ولكثرتهما للذكر هنا لا يحتاجان. وكان كثير الاعتماد على الله والتفويض له والاستغناء به عن القريب والغريب وله أدعية نظما ونثرا لا تحصى ومنظومات في كثير من الفنون وتآليف لا تستقصى ولا تكلف عليه ما شاء الله لا قوة إلا بالله في كل ما أراد أن ينظم وكان لا تعسف عليه في التأليف لأن جل علومه وهبية". ويقول ماء العينين بن العتيق مؤكدا ما قاله الشيخ محمد الغيث النعمة : "كان من العلماء العاملين والزعماء الكاملين متبحرا في كثير من العلوم الباطنة والظاهرة ولم تزل فتوحاته متكاثرة". ورغم اهتمامه بالعلم والتدريس والتأليف فإن ذلك لم يمنعه من النظم المتواصل للشعر بسهولة كبيرة لا عسر فيها ولا صعوبة تعتريها. ويقول كذلك : "وكان شاعرا مجيدا وفاضلا مجيدا أعطاه الله من سهولة النظم عليه مالا يوصف فكان يرتجل القصيدة بديهة كأنه يحفظها وينشئ النظم الطويل بلا تكلف في ساعة قليلة". وقد نظم في مختلف الأغراض الشعرية التي طرقها الشعر العربي مع توسلات وابتهالات وأدعية في أنماط شتى ومدائح نبوية لا تعد ولا تحصى، إلا أن غرض المدح وخاصة مدح والده غلب على جل شعره. فقد كان لا يهل عليه شهر أو عيد أو مناسبة أو حدث مهما كان نوعه إلا وهنأه فيه بأبيات أو قصائد شعرية. يقول مثلا داعيا له عندما بدأ حركة الجهاد والمقاومة ضد المستعمر الأجنبي الفرنسي في الجنوب المغربي :

أيا ربنا فانصر لشيخي والـذي ... نصرت به الهادي على كل ما جلـد

ورد به الأعداء في كل بلـــدة ... كردك بالفرقان من كان ذا جحـــد

وقال يهنئه بحلول شهر ذي الحجة :

ذو حجة قد أتى بنصركم وأتـى ... بالخير والأمن والأفراح والظفر

لازلت لازال بالإقبال نحوكـــم ... يأتي ودهركم صاف من الكـــدر

وقال يهنئه بحلول شهر رمضان :

هنئت يا خير من للمصطفى خلفا بشهر أمته عن غيره عرفا
لازال لازال يأتي قابلا ابـدا إليكم بالهنا والأمن ملتحفا

وقال يهنئه بعيد الفطر :

تهنأ بعيد الفطر يا ذا النوائل ويا ذا الندى والجود يا ذا الفضائل
فلازال هذا العيد يا دوحة العلا يعود إليكم قابلا بعد قابل

وقال يهنئه بيوم عرفات :

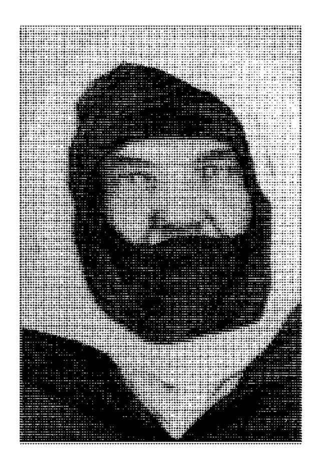
عرفات خير بالهناء عليكم والنصر والخير الكثير الفاضل
وعلوكم وسروركم ودوامكم لازال يأتي قابلا عن قابل

وكان والده الشيخ ماء العينين يحبه ويقربه ويشاوره "وقد نوبه عنه في بعض الأمور كجلب الخير من الناس وصلحها عن الشرور فظهر عليه في كل ذلك من اليمن والبركة ما يحير العقول ولاتحصه النقول". وكان دائما يقول إن فيه شبه من ابنه الشيخ محمد تقي الله "وذلك أنه شبيه به في كثير من أحواله كالفتح في العلوم الوهبية والكسبية وسهولة التظم وعلو الهمة وإمضاء العزم وكرم النفس وملاحة المنطق إلى غير ذلك من أحواله". وإلى جانب اشتغاله بالعلم والنظم والتأليف والتدريس فقد انشغل كذلك بالعبادة والولاية والزهد والصلاح". وكان جوادا كثير الكرم للضيفان والجيران كثير التحبب إلى الأحباب والإخوان لابسا حلل القناعة ولا يتخذ غير التقى بضاعة ولا يشتغل عن إفراغ الجهد في الطاعة وكانت الجبابرة تخافه لما ألبسه الله من المهابة والجلال فلم يزل من كمل الرجال محافظا على ما من الخصال يحمد في الحال والمآل" إلى أن انتقل على إلى الرفيق الأعلى رحمه الله ليلة الخميس الثالث من شعبان عام ثلاثة وثلاثين وثلاث مائة وألف 1333 / 17 يونيو 1915 بقرية واعرون قرب مدينة گلميم من بلاد واد نون ودفن في الموضع الذي توفي فيه. خلف مؤلفات متعددة في الأسرار والحكم والفقه وتأليف جيد في التجويد على قراءة الإمام نافع بالإضافة إلى ديوانه الشعري الضخم في مختلف الأغراض الشعرية.

قال فيه الشيخ محمد الغيث النعمة : "نبيل الألباء ذكي الأذكياء يلمعي معاصريه لوذعي مناظريه السيد محمد أبو الأنوار كان مفتوحا عليه فيما توجه ظاهرا وباطنا مبارك الطلعة ميمون الوجهة لا يتوجه لأمر إلا وأعطاه الله فيه ما أراد وكان كثير التحدي مع الظلمة والفجار ولا يقول لأحد شيئا أنه يقع إلا وقع كما جرب".

الشيخ محمد الغيث النعمة بن الشيخ ماء العينين، *الأبحر المعينية في بعض الأمداح المعينية*، رسالة دبلوم الدراسات العليا، تحقيق، محمد المختار المداح تحت إشراف الدكتور محمد ابن شريفة، الجزء الثاني، مرقونة بمكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1994 / 1995 ؛ ماء العينين بن الحضرام، *إفادة الأقربين في التعريف بذرية شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين بن العتيق، سحر *البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت.

ماء العينين، محمد الإمام : هو العالم العلامة الجليل والأديب والشاعر الشيخ محمد الإمام بن الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن مامين، ووالدته هي السيدة الفاضلة لال بنت أحمد الكوري. ولد سنة 1310 الموافق لسنة 1893 في مدينة السمارة التي بناها والده الشيخ ماء العينين بالصحراء ونشأ في بيئة علم ودين وصلاح ساهمت في تكوين شخصيته العلمية والدينية والسياسية والأدبية. بدأ تعليمه الأولي علي يد والده الشيخ ماء العينين الذي أولاه عناية خاصة وظل يرعاه ويكلأه وكان هو بدوره "لا يغادره ولا يفتر عن مجالسته صحبة العلماء والأولياء والعظماء الواردين على الشيخ من كل حدب وصوب". وهذا ما يؤكده محمد بن أبو البوحسني قائلا : "كان الشيخ محمد الإمام يقرأ على أبيه شيخنا رضي الله عنه ويأتيني فنذهب إلى مدرسنا فنقرأ عليه دروسنا ونرجع فيشتغل بالمطالعة ولا يكاد يفتر عنها ساعة وفتح الله عليه فيها وبها". وبعد والده تلقى مختلف العلوم على عدد من العلماء والأساتذة الأجلاء المعروفين بمكانتهم العلمية الكبيرة في زاوية والده بالسمارة منهم العلامة الشيخ الحضرام بن الشيخ محمد الأمين الذي أخذ عنه القرآن الكريم والتوحيد والشعر والعلامة محمد بن محمود البيضاوي الجكني الذي أخذ عنه الفقه والعلامة محمد بابه بن محمد مبارك الديماني الذي أخذ عنه الأدب والعلامة الأمجد الأنياري الذي أخذ عنه النحو. فعلى يد هذه الثلة المباركة من العلماء والفطاحل البلغاء وبرعاية وتوجيه من الشيخ ماء العينين "تكونت البذور الأولى لشخصيته وفيه بدأت تلك الشخصية العلمية والدينية والسياسية تتبرعم".



في سنة 1327 الموافق لسنة 1909 غادر مدينة السمارة صحبة والده الشيخ ماء العينين إلى مدينة تيزنيت بسبب الحصار الشديد الذي فرضته القوات الاستعمارية عليه تقديرا لمواقفه الوطنية. وفي سنة 1328 الموافق لسنة 1910 توفي والده الشيخ ماء العينين، فانتقل إلى قرية وجان التي قضى بها خمس سنوات، ومنها انتقل إلى

قرية آيت الرخا إلى سنة 1352 الموافق لسنة 1934، حيث غادرها إلى قرية تگنفل ثم قرية إگيسل التي مكث بها مدة طويلة ومنها انتقل إلى مدينة إفني وقام فيها بأدوار طلائعية على المستوى الأدبي والفكري والديني والسياسي. فقد تولى رئاسة الشؤون الدينية الإسلامية بقبائل آيت باعمران والصحراء المغربية بأمر من خليفة السلطان في تطوان مولاي الحسن بن المهدي. ثم تولى رئاسة رابطة علماء شنقيط وإماما في المسجد الكبير، "بالإضافة إلى مهامه السياسية المتجلية في تأطير السكان وبث الروح الوطنية فيهم" وانشغاله بالجانب العلمي الذي يتجلى في الاهتمام بمدرسته العلمية التي كانت تدرس لطلابها سائر العلوم من فقه وحديث وأصول وبلاغة وفرائض ونوازل ونحو وصرف وبيان وتاريخ وأدب وسيرة نبوية. وكان الطلاب يقصدونها من مختلف الجهات.

في سنة 1956 انتقل إلى مدينة تيزنيت ومنها توجه مع أول وفد يضم القبائل الصحراوية والباعمرانية لى الرباط لتجديد البيعة والولاء للملك محمد الخامس الذي عينه ضمن الوفد الرسمي المتوجه إلى الديار الحجازية بعد استقلال المغرب.

وفي السنة نفسها زار مرة ثانية الرباط يرافقه وفد من أسرة أهل الشيخ ماء العينين منهم ابنه محمد مصطفى وأبو بكر بن الشيخ مربيه ربه وسداتي بن الشيخ أحمد الهيبة ويحجب بن خطري فأقام لهم مكتب حزب الاستقلال حفلا تكريما لهم حضره عن الحزب محمد غازي وعبد العزيز بن إدريس والمهدي بن بركة. وألقيت فيه كلمات وأحاديث وأشعار، وألقى الشيخ فصولا من كتابه *الجأش الربيط* كما ألقى ابنه خطابا أنهاه بقطعة شعرية وكذلك الشأن بالنسبة لسائر الوفد الصحراوي.

ولما تأسس المجلس الوطني الاستشاري بتاريخ 6 ربيع الثاني سنة 1376 الموافق لـ 15 - 11 - 1956 عينه الملك محمد الخامس عضوا فيه ممثلا للصحراء. وعن هذا التعيين يقول الأستاذ أحمد معنينو "لقد عين جلالة الملك محمد الخامس العلامة الأديب الشيخ محمد الإمام عضوا من أعضاء هذا المجلس ممثلا لبلاد الصحراء الحبيبة فكان رحمه الله عند حسن الظن به، وكانت له مواقف مشرفة نقلتها تباعا الجريدة الرسمية التي اهتمت بتسجيل كل ما راج ويروج بكل الجلسات الرسمية والمؤهلات لعضويته في هذا المجلس ذات أهمية كبرى، إذ يعد الشيخ محمد الإمام بالنسبة لصحراء المغرب من أركان العمل على استرجاعها من يد الدخلاء للوطن الأم. وتشهد سائر تدخلاته أنه الرجل الصحراوي الخبير بشؤونها وبكل ما اتخذه الاستعمار البغيض ضدها سواء دولة فرنسا أو دولة إسبانيا، ذلك أنه ولد العالم الجليل والشيخ المربي المجاهد المخلص الذي قضى حياته في خدمة الأمة والدولة الشيخ سيدي محمد مصطفى ماء العينين رحمه الله ورضي عنه ومن يشابه أباه فما ظلم. ولقد انبثقت عن المجلس ثلاث لجان، اللجنة السياسية واللجنة الاجتماعية واللجنة الاقتصادية وكان الشيخ محمد الإمام عضوا في اللجنة الاجتماعية مع تدخلاته المستمرة في بقية اللجان الأخرى كل ما كان الموضوع يتعلق بأقاليمنا الصحراوية المغتصبة".

إنتاجه وإبداعه :

1 - الشعر :

كان الشيخ محمد الإمام شاعرا مجيدا أديبا بارعا وفحلا مفلقا. تفتحت موهبته منذ صغره، وظلت تزداد وتتقوى مع مرور الزمن وظل هو يصقلها بالقراءة والإبداع والنظم المتواصل واستمر على ذلك طيلة حياته حتى وفاته، وهذا ما جعله يخلف أشعارا متنوعة تميزت بالمتانة والجزالة والسبك والقوة، وساهمت في إغناء الحركة الشعرية والأدبية بالمغرب لأنها واكبت مختلف الظروف والأحداث التي عاشها الوطن وصورتها تصويرا صادقا ومعبرا. ومن نماذج شعره قوله في قصيدة وطنية :

بني وطني قوموا على أسواق الجد … فالبجد نحظى بالسعادة والجد

وإن مسكم قرح فقد مس مثله … عداكم وفزتم بالجميل وبالحمد

فلا تخضعوا مهما أديل عليهم … ولا تفرحوا إن تثلموا مرهف الحد

لئن ساءنا ما قد لقينا من العدا … لقد سرنا أنا على منهج قصد

فقد نبهونا عن خبيئة سرهم … فلا نغترر بالعقد منهم ولا العهد

وما دام شبر تحت سيطرة العدا … فلا تجمعوا بين الصوارم والغمد

فلا تسأموا من ضرهم وضرارهم … وحربهم في الهزل كنتم أو الجد

فعزما وحزما واعتزاما ونجدة … فما غيرها يغني فتيلا ولا يجدي

ألستم بنى القوم الذين بسعيهم … تحررت الأوطان من وصمة الطهد

إلى ما نرى كل الشعوب تحررت … وإخواننا مهضومة الحق والمجد ؟

فهل يستلذ النوم من كان قومه … مشردة تحت الأجانب في سهد ؟

وهل يستسيغ العذب من كان قومه … شرابهم الملح الأجاج مه الكد ؟

فما العز إلا في مجابهة العدا … وذب عن الأوطان بالصارم الهندي

2 - النثر :

حرر الشيخ محمد الإمام عددا من المؤلفات التي تعبر عن انشغاله العلمي والفكري، ما تزال مخطوطة باستثناء كتاب "*الجأش الربيط*" الذي طبع سنة 1957 منها :

1 - إسعاف السائل في الكلام على بعض المسائل.

2 - الدر المنتخب في تصحيح أنساب من بالمغرب من العرب.

3 - حلي الأوراق في ضرورة التخلي عن الاسترقاق.

4 - الرحلة المغربية.

بالإضافة إلى مقالاته ومحاضراته وخطبه ورسائله التي تناول فيها موضوعات مختلفة دينية وأدبية وتاريخية وسياسية واجتماعية. يقول في رسالة وجهها إلى جلالة الملك محمد الخامس بعد استقلال المغرب بتاريخ 16 شعبان عام 1375.

"أدام الله تعالى على العباد والبلاد بقاء أمير المؤمنين ظل الله تعالى على العالمين خليفة جده سيد المرسلين. من أمنت به القلوب بعد وجلها وتحلت به الأيام بعد عطلها،

ضياء البلاد ونورها وكاشف غمائها الذي انكشف به ديجورها، قطب رحاها الذي تدور عليه أمورها صاحب الجلالة والمهابة سيدنا محمد الخامس.

هذا وبعد إهداء ما يليق بعلي المقام من أطاييب التحايا والإكرام والتبجيل والاحترام والإجلال والإعظام، التي تقصر عن واجبها الألسنة والأقلام، على اختلاف اللغات وتصاريف الكلام، إننا نحمد الله تعالى عليكم حق حمده ورضا نفسه وزينة عرشه ومداد كلماته، وعلى ما سهل على يدكم الشريفة ومساعيكم المنيفة، من استقلال المغرب وحريته وإرجاع سالف عزه وشرفه والحمد لله الذي أقام عيون الرعية بكلاءة عينكم الساهرة لمصالحها، حتى انضوى الجميع إلى ظلكم الوارف واستراح من حر الرمضاء وشماتة الأعداء، فلا زال يومكم خيرا من أمسكم وغدكم خيرا من يومكم، حتى تروا في أطراف المعمور جميعا ما تأمل نفسكم الزكية وقلبكم الأوسع... وعسى الله تعالى أن يتفضل علينا عن قريب، بما نحن عازمون عليه من المثول بين يديكم والتشرف برؤيتكم لنبث لكم ذات صدورنا ويصلح بكم ما ظهر وما خفي من أمورنا.. أدام الله تعالى وجودكم للأنام وأراكم في سمو ولي العهد المحبوب ما تحبون هو وإخوته الكرام وعلى أتم الإخلاص لجنابكم الأسمى والسلام".

توفي بمدينة تيزنيت يوم الجمعة 13 غشت سنة 1970 وشيعته جموع غفيرة من أبنائه وتلامذته وطلبته وعائلته وأصدقائه يتقدمهم وفد رسمي نيابة عن حكومة الملك الحسن الثاني رحمه الله ودفن جوار والده الشيخ ماء العينين.

الشيخ مربيه ربه، *قرة العينين في كرامات شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، خزانة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ الشيخ محمد الإمام بن الشيخ ماء العينين، صاحب *الجأش الربيط*، الأستاذ ماء العينين ماء العينين، ص. 49، دار الفرقان للنشر الحديث، الدار البيضاء، 1985 ؛ جعفر بن أحمد الناصري، *المحيط بالمهم من صحراء المغرب وشنقيط*، مخطوط، الخزانة الصبيحية، سلا ؛ جريدة العلم السنة 11، العدد 2176 بتاريخ 20 - 5 - 1956.

ماء العينين، الولي **محمد الأمين** الملقب بالشيخ الولي بن الشيخ ماء العينين، وأمه هي الفن بنت يوسف من أهل عبد الحي، ولد قيلولة الثلاثاء 27 جمادى الأخيرة عام 1291 الموافق 10 غشت عام 1874، قرأ القرآن الكريم على العلامة الشيخ الحضرام بن الشيخ محمد الأمين "ومهر فيه ما شاء الله غاية وهو أول من أخذ الإجازة فيه من أبناء الشيخ ماء العينين"، وقرأ عليه الفقه والنحو، ثم قرأ بعد ذلك على والده الشيخ ماء العينين جميع العلوم التي كانت متداولة في زاويته وفي جميع زوايا المغرب في تلك الفترة وقال فيه :

حاز الولاية الولـــــــي   وفــاز بالسر المصـــــون
وعاجلا ستنجلــــــــي   لديـه أنــواع الفنـــون

وقد لازمه ملازمة المريد لشيخه وظل معه لا يفارقه وكان يتأسى به في جميع أخلاقه وآدابه حتى صدره وأجازه إجازة تامة كاملة وكلفه بالتدريس في زاويته بمدينة السمارة وكان يدرس علم القرءات وتفسير القرآن العظيم لأنه كان ماهرا به خبيرا برسومه وقراءاته وجميع فنونه. وقد نظم فيه أنظاما متعددة منها نظمه في عدد أحرفه وعدد آياته وسوره الذي يقول في مقدمته :

قال عبيد ربـــه الولـــــي   نجل أبيه شيخنـــا السنـــــي
شيخ الشيوخ مجمع البحرين   ملقبا بالشيخ مـــا العينيــــن
يريد نظم أحرف القـــرآن   نظما يفيد القــاري بالتبيـــان

وكـان لا يفـتـر عـن المطالعـة والنظـم والتأليـف وكان يوثق ما يكتبه ويدرسه ويحيل على مصادره وعلمائـه كقولـه :

هذا الذي نظمته في الجمـــل   عزاه للسيوطي ذي العلم العلي

وهذا ما يؤكده ماء العينين بن العتيق قائلا : "كان رضي الله عنه من كملاء الأساتذة ونبلاء الجهابذة، جامعا بين العلوم الباطنة والظاهرة وكان من المهرة الحفاظ لكتاب الله رسما وقراءة وكان صاحب اشتغال بعلم النحو والتصريف، ومسائل الفقه وفروعه...".

في سنة 1906 شارك إلى جانب أخيه الشيخ حسن في حركة الجهاد والمقاومة ضد المستعمر الفرنسي عندما بدأت طلائعه تغزو بلاد شنقيط والصحراء وأبلى بلاء كبيـرا في عـدد من المعارك منها النميلان وتگـانت وتجكجـة وآدرار وانشيري. وقاد معارك بنفسه وبأمر من والده الشيخ ماء العينين الذي كلفه بذلك. وهذا ما يؤكده في رسالته إلى ابنه الشيخ محمد الأغظف يقول : "... ابننا ثمرة أفئدتنا قرة أعيننا محمد الأغظف حفظك الله من بأس المشروف الأشرف، وسلام الله تعالى ورحمته وبركاته... وبعد فقد وصلنا مكتوبكم وما تضمنه من الخبـر ولا بـأس إن شاء الله عسـى الله أن يكف بأس الذين كفـروا، وها نحن وجهنا أخاك الولي حفظه الله معه غزوة عسى الله أن يؤيـده ويؤيدهـم بنصره والله المستعان وعليه التكلان ونرجـوه أن يحفظنـا وإياكم بالتمام وعلى المحبة والسلام. في 12 محرم عام 1327 (8 مارس 1909).

ومن المعارك التي قادها بنفسه ويشير إليهما الشيخ ماء العينين في هذه الوثيقة التاريخية الهامة، معركة أغسرمت وأقصير الطرشان "وهما المعركتان الداميتان اللتان برهن فيهما المجاهدون على شجاعة نادرة تم بها اختراق عمق العدو في إنشيري وآدرار".

1 - معركة "أغسرمت" وقعت يوم السادس من ربيع الثاني عام 1327 الموافق للثامن والعشرين من شهر أبريل عام 1909، تكبد فيها الجيش الفرنسي خسائر فادحة في الأرواح والعتاد وقتل قائده النقيب بابلون وكان لمقتله أكبر الأثر في صفوف قواته حيث دبت فيهم روح الهزيمـة وتمت إبادة أكثرهم من غير مقاومـة"، وفر ما تبقى منهم. وهذا ما يشير إليه الشيخ محمد الغيث النعمة بن الشيخ مـاء العينين قائـلا : "فهذا اليوم ولله الحمد على النصارى قتلت فيه منهـم أكثـر من مائـة

وهلك من بقي منهم عطشا وغنموا ما عندهم واستشهد من التلاميذ اثنا عشر".



2 - معركة أقصير الطرشان : وقعت يوم 28 يوليوز عام 1909 وشارك فيها عدد كبير من المجاهدين يصل إلى أربعمائة مقاتل ولما وصلوا هذا الموقع (أقصير الطرشان) توزعوا "إلى جبهتين إحداهما اتخذت موقعها في النخيل والأخرى عسكرت في الممر المؤدي إلى طريق آطار، فلما علم غورو بوجودهم في "أقصير الطرشان" أرسل النقيب ديبرتويس على رأس قوة كبيرة حيث عبرت ممر "تنزاك" شمال غرب اقصير الطرشان في سرية تامة لمباغتة قوات الشيخ الولي من الخلف في الصباح الباكر، وفي بداية الاشتباك قتل الملازم قائد سرية الاستطلاع على الفور وسبعة من جنوده مما سبب الارتباك للقوات الفرنسية والتقهقر إلى الخلف، واستطاع المجاهدون في هذا الوقت الحرج أن يستولوا على ستين بندقية بعد أن فر عنها أصحابها من الكوم ولكن مفرزة ديبرتويس كرت بقوة واستطاعت اختراق صفوف المجاهدين وانسحبت في الحال بعد أن أصيب الشيخ الولي بجرح في ساقه اليمنى". يقول الشيخ محمد الأغظف عن هذه المعركة في رسالة وجهها إلى والده الشيخ ماء العينين : "وصبح عليهم النصراني بجيشه فلما تراء الجمعان ... وبقي بعض قليل من التلاميذ وفيه الولي حفظه الله وتضارب معهم الولي وأدخلوها غررا عظيما ونجاه الله واستشهد أحمد بن البشير ومحمد فال بن باي والكوري بن بوه ومحمد الأمين بن الشيخ، وبوبه بن محمد كمال ومات من النصارى ثمانية أو سبعة فيهم كابتن كبير جيشهم وخليفته وفيهم الجراحات". وتعتبر هذه المعركة آخر معركة خاضها الشيخ الولي ضد القوات الفرنسية.

في سنة 1327 / 1909 رحل مع والده الشيخ ماء العينين من مدينة السمارة إلى مدينة تيزنيت، وبعد وفاته وتولي ابنه الشيخ أحمد الهيبة أمور الجهاد سنة 1330 / 1912 فظل إلى جانبه وشارك معه في عدة معارك منها سيدي بوعثمان وشتوكة وهوارة وآكلوا وإيكالفن وتيغانيمين، وبعد وفاة الشيخ أحمد الهيبة سنة 1919 توجه إلى منطقة تيرس قرب مدينة الداخلة واستقر بها وانشغل بقية عمره بالعبادة والعلم والنظم والتأليف.

خلف أعمالا أدبية وعلمية متنوعة من أشهرها ديوانه الشعري الذي أرخ فيه لمختلف الأحداث التي عرفها الجنوب المغربي، من ذلك مثلا قوله في تساقط النجوم ليلة الثلاثاء 19 من جمادى الأولى سنة 1352 الموافق 26 من شهر شتنبر عام 1933.

رب الذي وقع في النجـــــوم	من انتثار ظاهر للقــــــوم
ليل الثلاثاء جمادى الثانـــــي	في تاسع العشر بلا بهتــان
وسادس العشرين مــن شتنبر	في عام بنشس كدر منتثـر
ووالنا بخــيره وخيــر مــا	يجيء فيه ربنا متممـــــا
ولتكفنا شر النصارى يا عظيم	ومن بأظهرهم كان يقيــم

قال عنه الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين : "فتى الفتيان فائق الأقران العالم النحرير ذو الرأي والتدبير والعقل والرئاسة والحزم والسياسة نادرة الحفاظ الأريحي البركة الشيخ محمد الأمين الولي كان ولله الحمد واسع الصدر كبير القدر كيسا ذكيا فطنا يحب الفخر ومعالي الأمور وكان يقابل كل طبع بما يليق به ويخالط الناس ويعاملهم بما اقتضته الأحوال".

توفي يوم الخميس 5 ربيع النبوي الثاني عام 1374 الموافق 2 دجنبر 1954.

ماء العينين بن الحضرام، *إفادة الأقربين في التعريف بذرية شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، خزانة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين بن العتيق، *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، مخطوط، خزانة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ مجموع ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، مخطوط، خزانته تيزنيت ؛ وثائق متعلقة بجهاد الشيخ محمد الأغظف بن الشيخ ماء العينين في خزانة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ الشيخ ماء العينين، *أمراء وعلماء في مواجهة الاستعمار الأوروبي*، الطالب أخيار بن مامينا، مطبعة بني إزناسن، الطبعة الأولى، 2007 ؛ الشيخ محمد الغيث النعمة بن الشيخ ماء العينين، *ديوان الأبحر المعينية في بعض الأمداح المعينية*، تحقيق، أحمد المداح، دبلوم الدراسات العليا، تحت إشراف محمد بنشريفة، السنة 1994 - 1995، مرقون بخزانة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ؛ الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين، *قرة العينين في كرامات شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، خزانة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت.

ماء العينين، محمد البشرى : هو الشاعر المفلق واللغوي المدقق والناظم المحقق "الأديب الأبر الأعز الأشهر العالم الأطهر الوفي النصوح والصفي الولي العابد الأرضى الماجد الطيب الطاهر" الشيخ السيد محمد البشرى الملقب بالشيخ بُشْرَايَ بن الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن الشيخ مامين، وأمه هي السيدة الفاضلة عزيزة بنت أبي زيد من قبيلة أبناء أبي السباع. ولد في شهر شعبان عام ستة بعد ثلاثمائة وألف 1306 / أبريل 1889 وبدأ تعليمه بقراءة القرآن الكريم على الشيخ الحضرام بن الشيخ محمد الأمين، ثم أرسله والده إلى أخيه الشيخ محمد الأغظف "وانتفع منه ظاهرا

وباطنا غاية الانتفاع وقرا عليه بعض العلم" ثم قرأ بعد ذلك على والده مختلف العلوم الظاهرة والباطنة وبلغ فيها درجة كبيرة لم يبلغها غيره من أقرانه ومعاصريه "لا سيما علم الجداول والأوفاق فله فيه اليد الطولى والغاية القصوى، وكذلك علم الأدب فرتبته فيه من أعلى الرتب". وكان والده يحبه ويقربه "ويرشحه لمعالي الأمور وهو في صغره ففاق في المعالي وساد في كبره"، وولاه بعض خدمته في سفره الأخير إلى المناطق الشمالية عام 1328، "فجد في تلك الخدمة وباشرها بنفسه، فظهرت آيات نجمه لكمال بروره ونصحه" وكان يثني عليه بالخير والصلاح. "ونوبه لبعض القبائل، ففتح الله عليه وأظهر بركته وسخرهم له ما شاء الله.

بعد وفاة والده الشيخ ماء العينين سنة 1910 سكن الصحراء فسخر الله له أهلها "وانتسب كثير منهم إلى جنابه واعتز بذلك الجناب ولم يزل ملازم النسك كريم النفس طاهر العرض مشتغلا بما يعنيه جادا فيما من السؤدد بيديه" حتى قتل مظلوما في مدينة إفني بمنطقة آيت باعمران، يوم السبت الثاني عشر من ربيع الثاني عام اثنين وخمسين بعد ثلاثمائة وألف (1352) 6 غشت 1933. ودفن في المكان الذي قتل فيه، ثم نزع من قبره ودفن قرب المسجد الكبير بمدينة إفني بعد ست عشرة سنة ووجد على حاله رحمه الله كما دفن أول مرة.

خلف ديوانا شعريا في مختلف الأغراض الشعرية. قال عنه ماء العينين بن العتيق : "كان محمد البشرى من يلامع الفتيان وسماذع الأعيان صاحب أسرار وأوراد وأذكار لائحة على وجهه سيم المهابة والوقار وله مشاركة في العلوم... وكان جوادا سخيا مطعاما مهيبا صاحب قبول وتسخير لا يقدر أحد أن يقابله إلا بما يحب. وكان يحب العلم ويكرم العلماء وكانت الناس تبذل أينما توجه كبار الهدايا لماله من حسان المزايا وكان لذيذ الفكاهة طيب المجالسة كثير التواضع مع علو القدر واتساع الصدر". وقال عنه ماء العينين بن الحضرام : "كان محمد البشرى أديبا حافظا أكثر شعر أهل زمنه بل وكذلك شعر ابن الطلب المشهور وابن محمد وغيرهما كثير الأوراد صاحب فتح وتسخير لا يتوجه وجهة إلا وأعطاه الله مراده فيها مقبولا عند الخلق، وفتوحاته ما شاء الله، ملازما قراءة القرآن الكريم وقراءة دليل الخيرات في الصلاة على النبي (ص)".

ماء العينين بن الحضرام، *إفادة الأقربين في التعريف بذرية شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين بن العتيق، *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت.

ماء العينين، محمد تقي الله (محمد بوي) :

هو العالم العلم الكبير والشاعر الفحل المفلق الشهير"الوجيه الحسيب النسيب الأديب غرة الزمان حبيب الرحمان صاحب المنهج القويم والصراط المستقيم الهزبر الهصور الليث المشكور مفني العدا مولى الندا ذو الفتوحات الإلهية والتجليات الرحمانية العالم العلامة المشارك الفهامة الشيخ الإمام البركة الهمام" السيد محمد تقي الله الملقب محمد بوي بن الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن الشيخ مامين، وأمه هي السيدة الفاضلة العزة بنت الكوري من قبيلة العروسيين. ولد في آخر ذي الحجة عام سبعة وثمانين ومائتين وألف (1287) الموافق لشهر فبراير عام إحدى وسبعين وثمانمائة وألف (1871) وبدأ دراسته بحفظ القرآن الكريم حتى مهر فيه وأخذ بعد ذلك في قراءة مختلف العلوم على أبيه من نحو وفقه وأصول وبلاغة وعروض وبيان ومنطق ولغة وأسرار وتصوف حتى صار فيها بحرا لا ساحل له وبلغ فيها مرتبة كبيرة لم يبلغها أحد من أقرانه ومعاصريه. وهذا ما يشير إليه العالم والفقيه السيد الحضرام بن الشيخ محمد الأمين الذي قال إنه " شاهد فيه من النجابة والفهم زمن قراءته عليه ما لم يشاهده في غيره. ومن ذلك أنه كان يكتب كذا وكذا قُفّاً - أي جزءا - من الشيخ خليل ويمرر عليه مرارا يحفظه عن ظهر قلب. وإذا أراد أن يفسر له بعض الغوامض يقول له : "سر عن هذا فقد صرت أؤلف فيه ويظهر له من دقائق مفاهيمه ما لم يكن عنده فيتعجب". وهذا ما يؤكده الشيخ محمد الغيث النعمة بن الشيخ ماء العينين قائلا : "وكان صاحب اشتغال بالعلوم وحفظ وضبط للمعاني والرسوم متعلق الخاطر بالفنون الغريبة بعد إتقان للعلوم القريبة فنال مرتبة في كل فن ظاهر وباطن يعجز عنها وصف اللسان ويقصر عن إيضاح عشرها البيان وكان سريع الفهم صحيح النظر مليح الخطاب علومه كلها منح وفتح رباني وفيض إلهي فلقد شاهدناه كما شاهده غيرنا يبلغ مرتبة التأليف في الفن دون درس ولا مكابدة ولا طول مجاهدة بل إذا أحب أن يقرأ الفن ينظره نظرة أو نظرتين ثم يشتغل في التأليف فيه، وله تآليف عديدة وتقاييد ومنظومات في كل فن مفيدة وأشعار في الحقيقة والحكم والمواعظ والنصائح والأدب والغزل والدعاء وغير ذلك لا تحصى كثرة وغالب تآليفه انتفعت به الناس لما له من الشهرة" ولذلك كان لا يجلس إلا مع من يفيده أو يستفيد منه ويبتعد عمن لا يفيده ولا يستفيد منه. يقول :

والجلسا من قد تفيده وَمَنْ قد تستفيد منه كُلاً لأزمَنْ

وكل ما لا تستفيد مِنْهُ ولا تفيده فباعد عَنْهُ

وكان لا يجد صعوبة في النظم وارتجال الشعر "وما ينشئ في بديهته أحسن مما ينشئه في غيره في ترويه" وكان مع ذلك كله "فصيح اللسان مليح البيان دائم البشر والإحسان، مجالسه يود أن لا يفارقه لما له من ملاحة المنطق والقبول والاستبشار مع الجلالة والسكينة والوقار". وله "إقدام عند الدواهي وثبات عند الهزاهز وعزم عند الشدائد وكان ميمون الطلعة مبارك الوجهة لا يتوجه لأمر إلا أصلحه الله له وسخر له ما أراد. وكان والده شيخنا الشيخ ماء العينين يحبه ويقربه ويشاوره ويعمل برأيه "وينيبه في كثير من أموره العظام لاسيما ما تعلق منها بالملوك والرؤساء والأعلام وكان يقوم بذلك أحسن قيام" يؤكد ذلك ما كتبه له لموجب قائلا : "فهو الذي رفع السماء وبسط الأرض لا علم بصدود ما قد وقع مني عنك في وقت ما في أمر ما ولا تركت ملامك على أمر فعلت فيه ما ألومك عليه أي أمر ولله الحمد بل فتبارك الله أحسن الخالقين على ما أنت عليه معي وما في قلبي لك وأرجوا الله أن يبلغ لك مقاصدك مني على أحسن وجه ويبلغ لي مرادي فيك كذلك".

في سنة 1319 / 1901 خلفه على أهله ومحلته وحاضرته "فسار بسيرته الجميلة الحسنة ولم يعمل إلا بالأمور المستحسنة" وظهر فيه من أتباع طريقته وهديه ونهجه " ومبادرته إلى أول الأوقات ورفقه بجميع الناس وإنزالهم منازلهم ما لا يوصف ".

في سنة 1320 / 1902 سافر معه سفره الأول نحو فاس للسلطان مولاي عبد العزيز "وظهر فيه في سفره هذا معه من الفتوة ومكارم الأخلاق ومحاسن الشمائل والقيام بأمور شيخنا الشيخ ماء العينين وخدمته وحسن النيابة عنه فيما أنابه فيه من مهمات الأمور التي بينه وبين العلماء والأمراء والوزراء ونحو ذلك ما لا يوصف". وكان يحمل شيخنا الشيخ ماء العينين برفق وقوة حتى يجلسه على سرجه فيقول له شيخنا "إن خير من استأجرت القوي الأمين". وقال فيه كذلك : "لقد عسل الله ابني محمد تقي الله في هذا السفر لما رأى فيه من حسن البرور والطاعة له ودوام القيام بخدمته وبذل نفسه في مرضاته وحلاوة أوامره عنده" والرسول (ص) يقول : "إذا أراد الله بعبد خيرا عسله.وهل تدرون ما عسله ؟ يفتح له عملا صالحا بين يدي موته يرضي عنه جيرانه.وتشاء القدرة الإلهية أن ينتقل رحمه الله إلى دار البقاء في هذا السفر بعد رجوعه مع والده الشيخ ماء العينين من عند السلطان بمدينة مراكش ليلة الجمعة الرابعة من شهر رمضان عام 1320 / 1902 "وكانت له جنازة عظيمة حفيلة حضرها أعيان الحضرة المخزنية وأهل مراكش فما دونهم.

خلف أعمالا أدبية وعلمية متنوعة منها : "تبيين ما يعنون من ألفية ابن مالك وطرة ابن بون" و"مرشد المعلم والمتعلم بفضل المنعم" و"مرشد من تأمله فيما عليه من حقوق ثم عرفه" و"مبهمات القرآن" و"غيث العهود الساكب وللمروءة لواء ساحب" و"شرح مقصورة ابن دريد" و"نفحة الرؤوف على كتاب مذهب المخوف" و"شرح على نظم الطالب عبد الله الجكني المسمى" المحتوى الجامع لرسم الصحابة وضبط التابع" و"شرح على الأخضري" و"وتأليف في القواعد" و"مذكر الموارد بسيرة شيخنا الشيخ ماء العينين ذي الفوائد" و"سراج الساري في سيرة الوارث للمختار" و"نور الملوين لمظهرة الجناسين".

الشيخ محمد الغيث النعمة بن الشيخ ماء العينين، *الأبحر المعينية في بعض الأمداح المعينية*، رسالة دبلوم الدراسات العليا، تحقيق، محمد المختار المداح تحت إشراف الدكتور محمد ابن شريفة، الجزء الثاني، مرقونة بمكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1994 / 1995 ؛ الشيخ مربيه ربه، *قرة العينين في كرامات شيخنا ماء العينين*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين بن الحضرام، *إفادة الأقربين في التعريف بذرية شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين بن العتيق، *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت.

ماء العينين، محمد تقي الله ولياه : هو العالم والأديب والمقاوم محمد تقي الله الملقب ولياه بن الشيخ أحمد الهيبة بن الشيخ ماء العينين، ولد في بداية سنة 1919، وتولى عمه الشيخ مربيه ربه تربيته وتعليمه في كردوس بعد وفاة والده، ثم انتقل معه إلى مدينة طرفاية سنة 1934، وكان يقضي معظم أوقاته معه، لا يفارقه إلا في الضرورات، وكان يحبه ويقربه ويشاوره، وقد أجازه في العلوم إجازة تامة سنة 1941 يقول فيه :

أيا محمد تقي اللـه عليك بالعلا وتقوى اللـه

وبتعلم العلوم تهتـدي واسمع لنصح النصحاء ترشد

وكان أديبا ظريفا، كيسا، ذكيا، حافظا، يحفظ جل إنتاج الشيخ مربيه ربه الشعري، ويقرأه عليه فيستحسنه، ويشيد به، ويثني عليه أمام إخوته وأقربائه وتلاميذه ومريديه. وبعد الشيخ مربيه ربه تتلمذ على ماء العينين بن العتيق الذي أجازه بدوره في العلوم وكان دائما يأمره بالانكباب على العلم دون غيره يقول فيه شعرا :

حفظ الله محمد تقـي

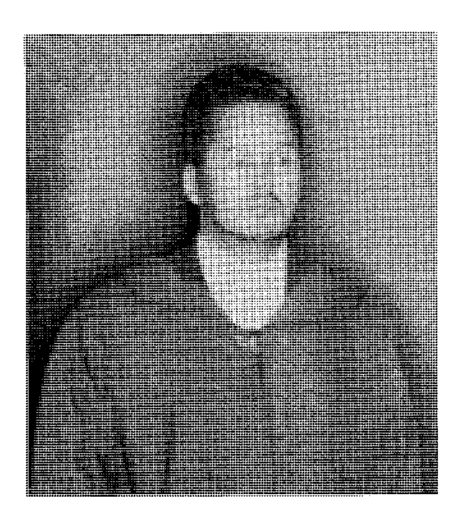
لازم لتدريس العلوم ترتقـي

بالعلم والتقى فليس يرتقـي

في المجد غير عالم ومتقـي

انخرط سنة 1956 في صفوف جيش التحرير، وأسهم بدور كبير في مقاومة المستعمر الإسباني وخاض ضده معارك متعددة منها تافودارت والشاطئ والدشيرة وطريق الصدرة وتلوين وصبويا. وظل يقاوم إلى ن ألقت عليه السلطات الإسبانية القبض أواخر سنة 1957، ومكث

في السجن شهوراً وبعد إطلاق سراحه التحق بوزارة العدل واشتغل في المحكمة الابتدائية بمدينة طرفاية، وظل يعمل بها إلى أن أحيل على التقاعد في أواخر الثمانينيات من القرن الماضي.

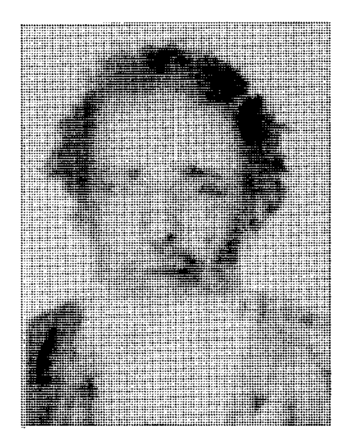


خلف ديوان شعر في مختلف الأغراض الشعرية.

توفي يوم الجمعة 29 مارس سنة 2002 بمدينة العيون. ونقل جثمانه الطاهر بناء على وصيته إلى مدينة طرفاية ودفن فيها.

ماء العينين بن العتيق، *تحلية الطروس وتسلية النفوس في التعريف بأعلام الشعر في الصحراء وسوس*، مخطوط، خزانة الأستاذ مروان الأكرمي، أگادير ؛ مجموع ماء العينين يحجب بن خطري، مخطوط، خزانة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت.

ماء العينين، محمد الحسن : هو العالم والأديب والمقاوم والفقيه الكبير محمد الحسن الملقب حسن بن الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين. ولد سنة 1912، وتلقى تكوينه على يد والده الشيخ مربيه ربه الذي تولى بنفسه تربيته وتدريسه وتعليمه، وهذا ما يؤكده ماء العينين بن الحضرام قائلا : "الأديب الزكي الأريب التقي



السيد محمد الحسن الملقب حسن حفظه الله وأصلحه في كفالة أبيه يقرأ ولله الحمد". وقد ظل يقرأ عليه إلى أن أجازه إجازة تامة في جميع العلوم الظاهرة والباطنة سنة 1933. وكان يحبه ويشاوره في كثير من أموره العامة والخاصة لما رأى فيه منذ صغره من حزم وعزم وأهليه وحنكة وإقدام ورباطة جأش. اشتهر بالولاية والصلاح والزهد والتعبد والجود والكرم والنسك، وأسهم بدور فعال في الدفاع عن الوطن من خلال جهاده ونضاله ومقاومته للمستعمر الأجنبي. كما أسهم في ازدهار الحركة العلمية والفكرية والأدبية والدينية في الصحراء وسوس وموريتانيا، وكانت له علاقات كبيرة مع مختلف أعيان وأدباء وعلماء هذه المناطق وباقي المناطق المغربية الأخرى.

في بداية سنوات الثلاثينيات من القرن الماضي شارك في بعض المعارك الحربية مع والده الشيخ مربيه ربه في منطقة سوس من أشهرها معركة آيت عبلا التي كانت آخر معركة وقعت بين القبائل المجاهدة المقاومة وبين القوات الفرنسية سنة 1934 في منطقة تافراوت.

وفي سنة 1956 انخرط في صفوف جيش التحرير وشارك معه في معارك متعددة ضد المستعمر الإسباني من أشهرها الدشيرة والسمارة والعيون والشاطئ وتافودارت وتلوين وصبويا.

كان أول من أنعم عليه جلالة الملك الحسن الثاني بظهير ملكي شريف سنة 1975 بعد استرجاع الأقاليم الصحراوية وعودتها إلى الوطن ؛ "فقد اختير هذا الرجل الصالح لالتفاتة أمير المؤمنين حيث اكتشف سرا خاصا في صلاحه وتقواه".

توفي سنة 1976 بمدينة تيزنيت وبها دفن بعد حياة حافلة بالعطاء الفكري والأدبي والديني.

ماء العينين بن الحضرام، *إفادة الأقربين في التعريف بذرية شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، خزانة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين بن العتيق، *تحلية الطروس وتسلية النفوس في التعريف بأعلام الشعر في الصحراء وسوس*، مخطوط، خزانة الأستاذ مروان الأكرمي، أگادير ؛ كلمة الأستاذ محمد العثماني التي ألقاها في موسم الشيخ مربيه ربه بتافودارت سنة 1989، مخطوطة خزانة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت.

ماء العينين، محمد الزين : هو العالم اللغوي الجليل والولي الصالح الفضيل "الأديب الحيي اللبيب الأريحي الأبر الأغر الأرضى المرتضى الأنور الأشهر السخي الأصعد الفاضل الأسعد" الشيخ محمد الزين بن الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن الشيخ مامين ووالدته هي السيدة الفاضلة أم شويم بنت أحمد من قبيلة تاكاط، ولد عام خمسة عشر بعد ثلاثمائة وألف (1315 / 1897) وبدأ دراسته بقراءة القرآن الكريم على والده وبعد وفاته قرأ على أخيه الشيخ محمد الغيث النعمة بن الشيخ ماء العينين مختلف العلوم لأن والده الشيخ ماء العينين توفي عنه وهو لازال لم يبلغ الحلم "وبايعه بيعة التربية فسلك الطريق على يديه فساد أهل عصره بارتفاع قدره واشتهار ذكره واتساع صدره، واشتغاله بالعبادات ومحاسن العادات واقتناء الإفادات" وكان ملازما له "في كل الأوقات لا يفارقه إلا في أوقات الضرورات حتى سرت إليه أمداده وفتوحاته

وفاضت عليه معارفه وفيوضاته فنال من الفتح الرباني والوهب العرفاني ما صيره شبيها بذاته وبهجته وصفاته ولهجته". وكان مفتوحا عليه مباركا لم يسر لجهة إلا وفتح الله عليه فيها.

توفي أوائل ذي الحجة عام ستة وثلاثين بعد ثلاثمائة وألف (1336 / 1918) بآيت الرخا التابعة لإقليم إفني ودفن بمدفنها.

قال عنه ماء العينين بن العتيق : "كان محمد الزين من الصلحاء الزاهدين والفضلاء العابدين ... وكانت له في أكثر العلوم مشاركة وطلعته ميمونة مباركة ليس له عن المكارم والطاعات شاغل ولالاه فهو شاب نشأ في عبادة الله".

ماء العينين، محمد سعد أبيه : هو الصوفي الزاهد والولي العابد اللسن الفصيح اللغوي والإمام العالم اللوذعي "الأديب الظريف الوفي الشريف الأعز المرتضى السخي الأرضي الحيي المتواضع الفاضل" السيد الشيخ محمد سعد أبيه الملقب الشيخ سعدن بن الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن الشيخ مامين وأمه هي السيدة الفاضلة السويلمة، ولد ليلة الخميس التاسع من ذي القعدة عام ستة وعشرين وثلاثمائة وألف (1326 / 1907) ونشأ وكبر في كفالة أخيه الشيخ محمد الغيث النعمة الذي قرأ عليه القرآن الكريم وعلوم اللغة وأصول الفقه والسيرة والحديث وآخذ منه طريق التصوف وتعلم عليه كثيرا من العلوم الظاهرة والباطنة "فظهرت فيه سيم السيادة في صغره ولم تزل تزداد بازدياد كبره حتى ساد أهل عصره وأقروا بعلو قدره وكان أبي النفس عالي الهمة ماضي العزيمة طاهر العرض متنزها عن النقائص والرذائل متحليا بالمكارم والفضائل، ذا فتوح وأسرار وكرامات وأنوار وتواضع مع رفعة مكانته وهيبة سكينته ورزانته وله بركات عظيمة خارقة للعادة تدل على عظم مقامه في الغيب والشهادة".

توفي رحمه الله وهو مسافر أوائل عام أربعة وخمسين وثلاثمائة وألف (1354 / 1936) بموضع في بلاد آدرار يسمى الجريف في موريتانيا ودفن به.

ماء العينين بن الحضرام، *إفادة الأقربين في التعريف بذرية شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين بن العتيق، *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت.

ماء العينين، محمد عبد الوهاب : هو الأديب والعالم والشاعر والولي "السخي المفيد العالم السديد الوفي الأريحي الصفي العز الأطهر الأكرم الأشهر الأبر الأسعد الأكمل الأسعد" محمد عبد الوهاب الملقب بالشيخ عبداتي بن الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن الشيخ مامين، وأمه هي السيدة الفاضلة مليكة بنت محمد بن الدرج من قبيلة العروسيين. ولد في شهر رمضان عام واحد بعد ثلاثمائة وألف 1301 / يونيو 1884 وبدأ دراسته بقراءة القرآن الكريم على الفقيه الكبير الشيخ الحضرام بن الشيخ محمد الأمين ولما أتمه قرأ كثيرا من العلوم من فقه وأصول وحديث ونحو وبلاغة وعروض وسيرة وشعر على والده الشيخ ماء العينين وأجازه فيها وأمره بالتدريس والتأليف. وكان بارعا في الحديث والفقه وبلغ فيهما درجة كبيرة لم يبلغها أحد من معاصريه.وهذا ما يؤكده الشيخ محمد الغيث النعمة بن الشيخ ماء العينين قائلا : "وله مشاركة حسنة في غالب العلوم واستحضار لما يعلمه من الفهوم لاسيما الحديث والفقه فإن له فيهما المعرفة الجليلة والدراية الأثيلة". وكان شاعرا مفلقا مجيدا نظم جل أشعاره في مدح والده الشيخ ماء العينين. يقول في بعضها :

وليس من شغل عنكم أراه هنـــا	إلا امتداح لشيخي الوابل المطر
ذا شيخنا الشيخ ماء العينين نخبة من	ينمى إلى ذروة الأشراف من مضر
وإنما فضله نار على علــــــم	يراه ذو بصر وغير ذا بصــــر

وكان "يقربه ويرسله نائبا عنه إلى وجوه القبائل فيظهر في الأمر نجاحه ويتبين للناس إصلاحه" وكان يقول : "إذا حدثني ابني محمد عبد الوهاب بأمر ثبت عندي لا أبالي بمن حدثني بخلافه" لأنه "كان شديد التحري للصدق حتى كاد أنه لا ينطق إلا بالحق" . وكان من أكابر الأولياء الزاهدين و"الصلحاء الموفقين والنصحاء المتصدقين ذا عبادة كثيرة لا تجده إلا مستيقظ القلب مستحضر الرب وكان ذا يقين ووثوق بالله وتوكل عليه في جميع أموره وكان ذا كرم وسخاء وإكرام للأضياف والجيران وكان مليح الخطاب والكلام محببا عند الخاص والعام وكان ذا أسرار وحكم ودعوة مستجابة وكان متواضعا مع ما أعطاه الله من جلالة القدر فكان يخدم الأضياف بنفسه ولا يقبل أحدا من أتباعه يتولى ذلك عنه. وكان كثير المباسطة والبشر في وجوه الناس مع السكينة والوقار وكان مصاحبا بالقبول والتسخير لا يتوجه لأمر إلا يسره الله عليه وله كرامات كثيرة عند من يعرفه شهيرة وكان أمره في الكشف من العجب العجاب فكان ينظر المغيبات بغير حجاب".

في سنة 1909 انتقل مع والده الشيخ ماء العينين إلى مدينة تيزنيت وبعد وفاته سنة 1910 وتولي ابنه الشيخ أحمد الهيبة زعامة حركة الجهاد ضد المستعمر الفرنسي سنة 1912 فشارك فيها وخاض معه معارك من أشهرها معركة سيدي بوعثمان الشهيرة. وبعد رجوعه إلى سوس توجه إلى مدينة طانطان واستقر بها "وأدمن على تلاوة القرآن الكريم وعلى مداومة سائر العبادات في كل آن وأحسن كل الإحسان على الزوار والجيران فعظم صيته وارتفع ذكره في تلك البلدان وانتفع ببركته كل قاص ودان فلم يبرح حسن الشمائل والسير محافظا على قضاء حوائج البشر فيما هو فيه من كمـال اليقيـن والقيام بأمور الدنيا والديـن" حتى توفي بعد ظهر يوم الأربعاء الثالث والعشريـن من شهر رمضان عام ثمانية

وستيـن بعد ثلاثمائة وألف 1368 / 20 يونيو 1949 ودفن بالموضع الذي توفي فيه.

خلف مؤلفات متعددة منها : كتاب في الفقه "حسن جمع فيه فوائد عديدة وغرائب مفيدة" وكتاب آخر شرح فيه كتاب والده المسمى كفاية النبيه في فرض العين شرحا حسنا مفصلا وافيا بالمقصود بالإضافة إلى ديوانه الشعري في مختلف الأغراض الشعرية. قال فيه الشيخ محمد الغيث النعمة : "مجمع الألباء نحرير الفضلاء الألمعي الأنبل الحضرم الأفضل السيد محمد عبد الوهاب الملقب عبداتي. كان من أذكياء النبلاء وكرام سادات الأسخياء له عبادة وأحوال في بعض الأوقات عجيبة وأخبار بالمغيبات ومكاشفات غريبة وكان شديد الورع والتنزه عما لا ينبغي وله اعتماد وتوكل على الله وكان كثير التحبب والتودد للإخوان والجيران شديد الإكرام والاعتناء بالضيفان. وبالجملة فمناقبه لا تحيط بها الطروس ولا تملها النفوس".

ماء العينين، محمد فاضل : هو العالم العلامة الكبير، والدراكة الفهامة العيلم النحرير، والولي الصالح الكبير الشهير، الأبر الأسعد، النبيه الأصعد، القدوة البركة، ميمون السكون والحركة، الفقيه العامل، والأديب الكامل، الصفي النقي، محمد فاضل الملقب "فظيلي" بن شيخنا الشيخ ماء العينين الأكبر وسمي والده الأشهر. وأمه هي السيدة العزة بنت أحمد بابا من قبيلة العروسيين. ولد في آخر شهر رمضان وسمي في شهر شوال عام تسعة وسبعين بعد المائتين والألف (1279) الموافق لشهر فبراير عام ثلاثة وستين وثمانمائة وألف (1863)، ونشأ في كفالة وصيانة وديانة، وقرأ القرآن الكريم على والده، وجميع العلوم من علم ظاهر وباطن، وصار له منهما الحظ الأوفر، كان عالما عابدا ورعا عطوفا تقيا حليما، من العلماء العاملين، والأولياء العارفين، والأقطاب الزاهدين، يحب السنة ويعمل بها، ويكره البدعة ويجتنبهـا، وكـان مع اتساعـه في العلم، لا يعمل إلا بمشهور المذهب المالكي، ولا يترخص في عدم الإتباع، وكان صاحب فتوحات، وله وجاهة عظيمة، وانتفع به ظاهرا وباطنا كل من صحبه، وكان يميل إلى الخمول، مع ما أعطاه الله من القبول.

قال فيه شيخنا الشيخ ماء العينين لما ولد :

رزقت لنا فضلا من الله لم تحتج　　أعيذك من أني أراك ولم تنتــج

حصنتك بالبر الحفيظ من البــلا　　كبرت ولم تيتم نتجت ولم تحــج

وقد استجاب الله دعاءه فيه، حتى أنه عاش معه نحو الخمسين، ولم يحتج أبدا ما شاء الله بل مازال ممن له ثروة عظيمة من أبنائه.

وقال فيه كذلك : "من أراد منكم التربية، فعليه بابني محمد فاضل لأنه أنا وأنا هو".

ومما يدل على مكانته العلمية والدينية والاجتماعية، هو إشادة عدد كبير من العلماء والأدباء به وبصفاته المثالية المتعددة. يقول العلامة محمد سيدين بن مولود :

"فأما السيد الكامل محمد فاضل فوالله ما رأيت أورع منه، لأني ما رأيته قبل البلوغ وبعده إلا غاضا بصره، حافظا لسانه، لا يجالس إلا من ينتفع منه، بعلم وحكمة، وما رأيت مثله في المروءة والاعتناء بالناس".

ويقول الشيخ أحمد بن الشمس : "نجل شيخنا الشيخ ماء العينين المغيب، المسك المطيب، درع الشرع والحق المجيب، ذو الجذب الباطني والسلوك والرأفة، والبكاء الدائم والحيرة، والغيبة في مالك الملوك".

وقد عاش أكثر زمنه في حياة أبيه، نازلا وحده قلما يجاوره، وليس معه إلا عياله ومواريده.

توفي بعد وفاته بسنة ونحو ثلاثة أشهر في بيته منفردا عن الناس، في المحرم فاتح عام ثلاثين وثلاثمائة وألف (1330)، الموافق لشهر ديسمبر عام أحد عشر وتسعمائة وألف (1911)، في محـل يسمـى ازويـوي فـي بلاد قبيلـة أولاد بوعيطـة، بساحـل البحر عن يمـين واد درعة.

الشيخ أحمد بن الشمس، *النفحة الأحمدية في بيان الأوقات المحمدية*، المطبعة الجمالية، مصر، 1330 ؛ *ماء العينين بن الحضرام، إفادة الأقربين في التعريف بذرية شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، مكتبة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه به، تيزنيت ؛ الشيخ مربيه ربه، *قرة العينين في كرامات شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، مكتبة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه به، تيزنيت ؛ ماء العينين بن العتيق، *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، مخطوط، مكتبة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه به، تيزنيت.

ماء العينين النعمة علي

ماء العينين، محمد ابن الشيخ **محمد فاضل**

ابن الشيخ محمد بويا ابن الشيخ ماء العينين ولد سنة 1926 بمدينة السمارة، ولما بلغ سن التلقي مكنه والده من مجموعة من العلماء حذق عليهم القرآن، ثم تعلم مبادئ العلوم الدينية، فالتحق بالمدرسة الأهلية التي أسسها الفرنسيون في مدينة آطار بموريتانيا فتابع بها دراسته حتى حصل على الباكلوريا في الآداب الفرنسية بسان لوي شمال السنغال.

وفي هذه الفترة تلاحقت الأحداث الوطنية في المغرب، حيث انضمت إليها النخبة الوطنية من مختلف السلالات الموريتانية، فكان من بين المؤسسين لحزب النهضة الذي حمل مشعل التحرر والوحدة، كما أنتج جميع الأناشيد والشعارات التي كان يرفعها هذا الحزب ونظم مع قادته جميع المؤتمرات واللقاءات. وعندما ألقى الاستعمار الفرنسي القبض على المجلس الإداري لحزب النهضة الذي اعتبر يعمل لصالح المغرب عين الشيخ محمد ماء العينين، في المكتب الإداري لهذا الحزب، فكان من المنظمين لمؤتمر انواكشوط سنة 1960، الذي قرر ضرورة انضمام موريتانيا للمغرب، فتقرر إلقاء القبض عليه، لكن شعبيته الواسعة من تنفيذ صانته القرار، حتى قرر الحزب أن يخرج من موريتانيا حفاظا على حياته من خدائع الاستعمار الفرنسي، فغادر ذلك البلد ليدير العمليات الوطنية من السينيغال في قيادة التيار

المغربي حتى سنة 1961 فقدم على المغرب حيث قدم البيعة لجلالة المغفور له الحسن الثاني فعينه مكلفا بمهمة بوزارة الصحراء وموريتانيا ليواصل تعبئته لسكان الصحراء وموريتانيا على التشبث بمغربيتهم وعدم الانسياق وراء حيل الاستعمار المكشوفة والمقنعة، وعين من أجل هذه الغاية كاتبا أول في سفارة المغرب في باماكو حيث كان يدير العمليات الوطنية ضد الاستعمار من هنالك، وفي سنة 1965 حاول الرجوع إلى موريتانيا فطلب منه كغيره من النشطاء الذين قدموا منها وحاولوا الرجوع إليها أن يقدم تصريحا ضد المغرب فرفض ذلك، ورفض الرجوع إلى أبنائه وزوجته وذويه فيها إذا كان سيكون على حساب وطنيته المغربية، لكن لما علمت سلطات الدولة الموريتانية صدق وطنيته ووضوحه أعفته من ذلك التصريح.

وفي هذه الفترة ونظرا لتقواه وفنائه في ربه وعلمه ووعيه بمشاكل عصره انجذبت إليه قلوب الناس في موريتانيا والصحراء، ولما طرحت قضية الصحراء على الأمم المتحدة سنة 1966 اختاره المختار ابن دادة ليكون على رأس وفد من أبناء الصحراء لمشاكسة أطروحات المغرب آنذاك، فما كان منه إلا أن أعلن مغربيته، وزيف ادعاءات الوفد القادم من العيون بتوجيه من إسبانيا، وكذلك عدم صحة ما طلب منه أن يدلي به ضد المغرب، فكان هذا من بين الأسباب الرئيسية لنجاح الوفد المغربي آنذاك. فقد دافع عن مغربية الصحراء في المجلات والجرائد والإذاعات، وشارك في عدة وفود مغربية للدفاع عن مغربية الصحراء أمام الأمم المتحدة والمنظمة الإفريقية، وواجه الانفصاليين الذين كانوا يقولون إنهم يفضلون مواجهة كتائب الجيوش المدججة بالأسلحة بدل أدعية الشيخ محمد ماء العينين محمد بويا.

وهو ولي صالح وعالم سني صوفي، فتح عدة زوايا في المغرب والمدينة المنورة والإمارات وموريتانيا. أتباعه كثر في كل القارة الإفريقية، وهو مدافع عن العقيدة الأشعرية ومنفق في سبيل الله، ورغم كثرة فتوحاته فإنه لم يذخر منها أي شيء، إذ اعتاد على بعث صلات مادية كل سنة للفقراء والمساكين من مختلف الطبقات والسلالات في موريتانيا والسعودية ومالي والسينغال، ناهيك عن فقراء وزوايا المغرب، إذ لم يترك زاوية أو جهة يلتمس فيها تقرب إلى الله اطلع على حالها إلا وكان يواسيها. وكان بيته في الرباط مأوى وملجأ لطلبة موريتانيا والمغرب ومنبرا لتكريس علاقات العرش مع رعاياه وإحكام وشائج التلاحم والتعاون بين المغرب وموريتانيا والدول العربية ودول غرب إفريقيا، إذ كان يتقاطر طلاب هذه الدول على بيته في مدينة الرباط. وكان يبعث كل سنة أكثر من ثلاثين شخصا للحج.

بث خصال العرش العلوي في جميع أنحاء العالم العربي، وكذلك في جميع الأقطار الإفريقية التي تقاطر عليه أبناؤها بالرباط، ساعده على ذلك إتقانه للغة الفرنسية والإلمام بجميع مراجع الصوفية وتوجيه المفرنسين إلى الديانة الإسلامية والعقيدة الأشعرية بسهولة. وله مجهود عظيم في طبع كتب التراث الإسلامي.

وهو حاصل على العالمية لعلماء شنقيط، والسنة الثانية من الإجازة في الحقوق، تبحر في العلوم الشرعية، وله إملاءات منها كتاب عن حياته طبع ضمن المنشورات التي كان يشرف عليها. عينه صاحب الجلالة الحسن الثاني مكلفا بمهمة في ديوانه العامر سنة 1970، وكلفه بمهمات خارج الوطن منها مهمات خاصة إلى أمراء المملكة العربية السعودية حظيت كلها بالنجاح، حيث استقبله الملك خالد بن عبد العزيز، ثم الملك فهد، وكذا الأمير عبد الله بن عبد العزيز خادم الحرمين الشريفين الحالي. وقد التقى بالأمير الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان أمير دولة الإمارات العربية المتحدة، فنال لديه ولدى أبنائه حظوة كبيرة وفتوحات صرفها جميعها في مساعدات كثير للضعفاء في المغرب وموريتانيا.

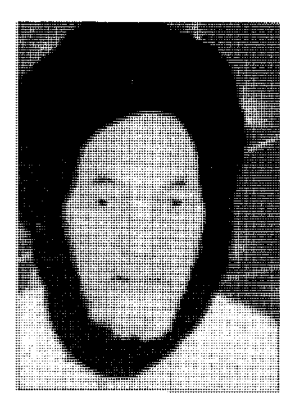
كما استقبله أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس بالإمارات سنة 2001، وأيضا في الرباط في نفس السنة، فخصه بكامل عطفه ووافر عنايته، هذا بعد أن كان قد استقبله سنة 1999 وقدم لجنابه مجموعة من مطبوعاته لكتب جده الشيخ ماء العينين أثناء تقديم وفد عن أسرة الشيخ ماء العينين البيعة الدينية لأمير المؤمنين أيده الله ونصره وأجرى الأقدار وفق آماله إنه سميع مجيب.

توفي يوم الجمعة 13 ربيع الثاني 1432 / 18 مارس 2011 بالرباط ودفن بزاوية جده الشيخ ماء العينين بمراكش.

محمد الظريف

ماء العينين، محمد بن الشيخ **مصطافي** :

الأديب والشاعر الكبير الأستاذ محمد ماء العينين بن الشيخ مصطافي بن الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن الشيخ مامين، ووالدته هي السيدة الفاضلة مريم بنت محمد محمود بن عبد الله من قبيلة أهل بارك الله. ولد سنة 1932 بمدينة السمارة وحصل على الشهادة



العالمية لعلماء شنقيط على يد عمه وشيخه العلامة الأكبر الشيخ محمد الإمام بن الشيخ ماء العينين. وقد اجتاز المواد التالية بنجاح فائق وهي القران الكريم رواية ورسما والحديث النبوي والأصول والفقه والفرائض

والنحو والصرف و البيان والبلاغة والتاريخ والسيرة النبوية والأدب. كما تثبت الشهادة أن له كفاءة علمية فائقة لم ينلها غيره من أقرانه ومعاصريه. وهذا ناتج عن جده واجتهاده ومثابرته على الدرس والتحصيل منذ صغره مما جعله يتبوأ مكانة عظيمة في مجتمعه. بالإضافة إلى ما عرف به من خلق حسن وسيرة فاضلة وعلم غزير. انخرط في سلك التعليم سنة 1961 واشتغل في مجموعة من المدارس التعليمية بإيسافن وآيت هارون وإيغرم. وتنقل بين قرى سوس و وادنون إلى حدود سنة 1991 ممضيا ثلاثة عقود من العطاء والإخلاص والجد والتفاني في العمل بين أجيال عدة. وقد تخرج على يده مجموعة من الأطر والكفاءات التي أصبح لها شأن وطني كبير وتبوأت عدة مناصب في أسلاك الدولة. ثم استراح استراحة قصيرة ليعود للعطاء من باب اخر حيث عين سنة 1994 عدلا بمدينة بوجدور وعرف بالنزاهة والاستقامة وحب الخير والطيبوبة والمعاملات الحسنة مع الناس.

توفي يوم 6 نوفمبر 2010. خلف ديوان شعر في مختلف أغراض الشعر الحساني.

رواية شفوية.

ماء العينين الولي

ماء العينين، محمد (الشيخ -) **المصطفى** بن الشيخ محمد الإمام بن الشيخ ماء العينين. ولد غضون سنة 1928 بإكيسل. تلقى علوم القرآن والفقه واللغة والأدب والتاريخ على يد والده وشيخه الشيخ محمد الإمام أحد جهابذة وفحول مدرسة السمارة. انتهت هذه المرحلة بحصوله على إجازة والده له من تلك المعارف التي أخذها عنه. عين ضابطا مفتيا للجنود المسلمين بإيفني على عهد الاحتلال الإسباني غضون سنة 1948، وظل خلال تلك الفترة منقطعا إلى والده وشيخه في حله وترحاله يأخذ عنه التربية الصوفية حتى حدود 1954. هذه الفترة أيضا وقد انخراط في العمل السري داخل صفوف المقاومة ثم جيش التحرير الذي كان أحد مؤسسيه بالجنوب المغربي فانتقلت الأسرة إلى مدينة تيزنيت جراء الضغوطات التي تعرضت لها من طرف المحتل.

اشتغل سنة 1957 بالإذاعة المغربية ثم بوزارة العدل ليلتحق بعد ذلك بوزارة الداخلية كموظف سام. لم يتغير نظام حياته خلال هذه الفترة فقد ظل وفيا للعلم والتعلم ناذراً حياته لهما، وهكذا التحق سنة 1967 بكلية الحقوق بالرباط ومنها حصل على الإجازة في القانون العام، ثم بدار الحديث الحسنية بعد ذلك، وبها حصل على دبلوم الدراسات العليا وسجل رسالة دكتوراه تحت عنوان مدرسة السمارة ودورها في العلم والتصوف والجهاد، بيد أن تفاقم مشكل الصحراء خلال تلك الفترة حال دون إتمامها بسبب سفرياته الرسمية والخاصة إلى العديد من الأقطار الإفريقية في محاولة لتوضيح القضية وهو أمر مكنه من حلم ظل يراوده منذ أمد بعيد يتعلق بتوحيد الطريقة الفاضلة الموجودة بشكل قوي في العديد من تلك الدول، وهي زيارات خلفت في نفسه أثرا بالغا وأعطت نتائج جدّ طيبة. كما كانت له سفريات عديدة إلى المشرق العربي حيث أقام علاقات وطيدة مع أجلة العلماء به.

عاصر العديد من علماء بلده وغيرهم من باقي البلدان الإفريقية، وكانت له علاقة جد متميزة مع القطب الرباني الحاج الحبيب التنالتي والعلامة الفاروقي والعلامة المالكي العلوي، وكان والشيخ الجليل سيدي حمزة يتبادلان الزيارة.

تتلمذ على يديه العديد من أبناء منطقة سوس على وجه الخصوص، ومثلهم بمختلف الدول التي زارها، وكثر قصاد مجلسه بين طالب علم وطالب تربية، وكان يلقى درسا في القرآن بأحد مساجد تيزنيت في إطار الكراسي العلمية أسبوعيا.

عرف رضي الله عنه بالحلم والتواضع والزهد والعلم والإعراض عن الدنيا وكمالياتهما وبالجود والسخاء والرأفة ولين الجانب مع ما أعطاه الله من مهابة عزّ نظيرها ومحبة في قلوب عامة الناس فضلا عن خاصتهم قلّ مثيلها.

ولم يزل ذلك دأبه وديدنه وتلك خصاله وشيمه إلى أن اختاره الله إلى دار البقاء يوم 12 - 10 - 2009 تغمده الله برحمته وجعل العلى من الجنة مثواه مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

وفي ذلك المعنى أنشد أحد مريديه وتلامذته :

ذهـل الكـون فـالإمـــام وراء	مذ توارى عن الوجود الضياء
فتنحى عـن اللـذاذة كـنــــه	وتغاضى عن السرور الصفاء
وتخلـى عن البشاشـة وســم	فتراءى على الوجـوه العنـاء
رحل الشيخ مصطفى لهف روحى	رزء العلم والتـقى والحيـاء
رحل الشـيخ مصطفى يالهولــى	ثكل الفخر والمنى والثنــاء
لهف نفسـى وهل يعــدد فضــل	عجزت عن بلوغه العظمــاء

وأنشد غيره :

كانت ربوع الأنس منه أواهـــلا	كرما وعزّا بالوداد نواطقـــا
فانهدّ ركن شامخ من صرحـــه	لما نعى الناعي المؤبّـن طارقـا
المصطفى بن المصطفين محمداً	بسط الرسول ومن تلاه طرائقا
اسم واصل في النبـي تـلازمـا	فتكاملا وترافقا فتوافـقـــا
لازلت أذكر منك نور حقيـقـة	أمليتها في مجلـس فتألقـــا
أو ذكر علم شريعة أنطـقتهـا	من أمهات مؤلفات حاذقـــا
أو محتوى كـتب تحيط كهالـة	بك قد تجلى في حديثك شائقـا
أو حكمة ضاء المكان بكنههـا	فأتى جناها للمراد موافقـــا
وبنبرة الصوت الجلي الجوهري	سقت الحديث نثرته متناسقـــا
كم راق شرح من حديث سنــة	بيضاء يرفُلُ في حضورك رائقا
إذ في ظلال دوائم القرآن كـم	ناوبتنـا بتـلاوة متـأنقـــا

وأنشدت شاعرة أخرى :

أبدى التأسـى تـارة وأوارى	يالهف نفسي ساعة الإخبار
والدمع إن كفـكفته متـمـرد	لم استطع إيقاف دمـع ذار

...

من ذا الذي يا مصطفانا سره | نعي النعاة على مدى الأعمار
ولإن رحلت فما رحلت بغربة | لما حظيت بجيرة الأبرار
عن نهجهم لم تبتعد فبررتهم | أنعم بقدوتهم وحسن جوار

...

هذه الحشود وراء نعشك أدركت | أن الإله حباك بالأسرار
الحسن يبكي والفتوة تشتكي | تخشى التيتم كالندى المحتار
فلأنت يوسف في الجمال وسيد | شهم كثير البذل والإيسار
ترعى حقوق الجار تمسح دمعة | سالت على خدّ اليتيم العارى
تدعو إلى العلم النير مشجعا | بشهادة الغياب والحضار
وتديم صحبة مصحف متدبرا | آياته متضرعا للباري
حسب الذين توجعوا أن يذكروا | كم ليلة طابت بكم ونهار

ماء العينين سداتي بن الشيخ محمد المصطفى

ماء العينين (الشيخ -) **محمد المصطفى** بن الشيخ محمد فاضل بن مامين، الملقب بماء العينين. ولد يوم الثلاثاء 27 شعبان سنة 1246 الموافق لسنة 1830 في مدارة بقبيلة صنهيص بالحوض بمكان يعرف بالخط، يقع بين جومبو وولاته. اعتنى والده بتربيته عناية خاصة، ولما بلغ الثامنة والعشرين من عمره بدأ تنفيذ مشاريعه الإصلاحية، فقضى معظم حياته في التنقل بين الحوض وأدرار وتيرس والساقية الحمراء، وتندوف وغيرها من الأقاليم الصحراوية داعيا القبائل إلى الاتحاد ونبذ التفرقة والاستعداد لمواجهة الأخطار الأجنبية.

بعد أدائه لمناسك الحج سنة 1274 / 1857 اتصل بالسلطان مولاي عبد الرحمان، فأعجب بنباهته وذكائه واعتمد عليه في التنسيق مع شيوخ القبائل الصحراوية، فقام بزيارة آل الأعمش بتندوف وأحمد ولد عايدة بأدرار ومحمد الكنتي وغيرهم من شيوخ وزعماء القبائل الصحراوية.

في سنة 1290 / 1873 استقدمه السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان إلى مراكش، فأكرمه ووعده بفتح زاوية هناك، وفي سنة 1302 / 1884 بدأ حملاته الجهادية ضد الوجود الأجنبي في الصحراء، فبعث أتباعه لضرب المواقع الإسبانية في الداخلة، وملاحقة المبشرين الاستعماريين الذين كانوا يجوبون الصحراء ويمهدون لاحتلالها.

بعد زيارته لأهله بالحوض سافر إلى مراكش لمقابلة السلطان مولاي الحسن، فأكرمه وأسند له النظر في شؤون الأقاليم الصحراوية بظهير سلطاني.

في سنة 1314 / 1896 استقدمه سلطان مولاي عبد العزيز إلى مراكش، فأكرمه وجدد ما بيده من ظهائر وفتح له زاوية بمراكش وخلال هذه الزيارة شفع لكل من الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني والفقيه السباعي وأخرجهما من محنتهما.

ابتداء من سنة 1316 / 1878، وبعد ارتفاع الضغط الاستعماري على الجنوب المغربي، وبعد شروعه في بناء حاضرة السمارة، كثف زياراته للسلطان مولاي عبد العزيز خلال سنوات 1317 - 1318 - 1319 - 1320 - 1322 - 1324 للتنسيق بين حركة الجهاد وبين السلطة المركزية في فاس ومراكش، فبلغت زياراته لهذا السلطان وحده ست زيارات، فتح خلالها مجموعة من الزوايا، في كثير من المدن المغربية.

في سنة 1312 - 1903، انتقل إلى مدينة السمارة بعد الانتهاء من بنائها، فصارت مركزا اقتصاديا وثقافيا وسياسيا بارزا في الجنوب المغربي، وفي هذه المدينة تم استقبال الوفد الوزاري الذي بعثه السلطان مولاي عبد العزيز لاستلام طرفاية من الإنجليز، كما احتضنت مجموعة من المؤتمرات التي اهتمت بالنظر في التهديدات التي كانت تواجه المغرب انطلاقا من أقاليمه الجنوبية.

بعد اشتداد الضغط الفرنسي على إقليم آدرار واستنفاذ المجاهدين الصحراويين لإمكاناتهم الدفاعية توجه إلى مراكش على رأس وفد صحراوي يتكون من قبائل مختلفة من الحوض وتگانت وآدرار وبلاد الـگبلة وسائر البلاد الصحراوية والشنقيطية للاستعانة بالسلطان مولاي عبد العزيز، فلما بلغ الصويرة سمع بخلعه ومبايعة أخيه مولاي عبد الحفيظ، فأرسل إليه السلطان الجديد يدعوه إلى مبايعته، كما أتته رسل من مولاي عبد العزيز بفاس تدعوه إلى مساندته، فاقتضى نظره مبايعة مولاي عبد الحفيظ، فكانت مبايعته له تأييدا كبيرا له. وقد أعطت مساعدات السلطان مولاي عبد الحفيظ للمقاومة الصحراوية نفسا جديدا أرهب إدارة الاحتلال الفرنسي وجعلها تراجع خطتها في الجنوب المغربي، فتحركت قواتها المتمركزة في الجزائر والسنغال نحو الغرب والشمال، واحتلت بودنيب ومراكش ووجدة، وضغطت على المخزن المغربي لوقف إمداداته للمقاومة، فتغير ميزان القوى لصالحها، واضطر الشيخ ماء العينين إلى الانسحاب إلى تيزنينت كخطوة تكتيكية لاستدراج القوات الفرنسية إلى الشمال، لكن طابور الجنرال موانيي بتادلة لم يمكنه من تحقيق أهدافه.

وهو إلى جانب المواقف البطولية التي أبداها ضد المستعمر والدفاع عن وحدة المغربي وسيادته عالم متمكن وصوفي ورجل إصلاح لا يشق له غبار، فقد كانت زاويته بالسمارة مركزا علميا كبيرا استقطب آلاف التلاميذ والمريدين، ومثلها كانت باقي زواياه في فاس ومكناس ووجدة وسلا والصويرة ومراكش وغيرها. وقد خلف أزيد من 300 كتاب في مختلف العلوم والمعارف طبع معظمها بالمطبعة الحجرية بفاس.

توفي بتزنيت ليلة الواحد والعشرين من شوال سنة 1328 / 1910، ودفن بزاويته هناك.

محمد العاقب بن مايابا، *مجمع البحرين في مناقب الشيخ ماء العينين*، مخطوط ؛ أحمد بن الشمس، *النفحة الأحمدية في بيان الأوقات المحمدية*، مطبوع ؛ محمد الغيث النعمة، *الأبحر المعينية في الأمداح المعينية* ؛ مربيه ربه، *قرة العينين في كرامات الشيخ ماء العينين*، مخطوط ؛ ماء العينين بن العتيق، *سحر البيان*، مخطوط ؛ محمد الظريف، *الحياة الأدبية في زاوية الشيخ ماء العينين*، مطبوع ضمن منشورات مؤسسة الشيخ

مربيه ربه ؛ الطالب أخيار، الشيخ ماء العينين، *علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي* في جزءين، مطبوع.

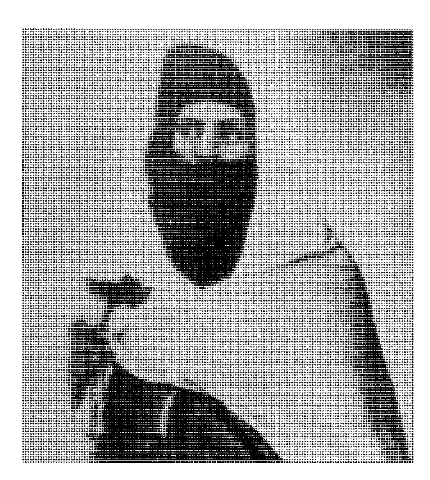
محمد الظريف

ماء العينين، محمد المعلوم : هو الولي والفقيه والإمام "السخي المفيد الأديب الحيي الأبر الأريب الظريف الأنور الأطهر الأعز الأرضى" الشيخ السيد محمد المعلوم بن الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن الشيخ مامين، وأمه هي السيدة الفاضلة مباركة بنت علي. ولد في شعبان عام تسعة عشر بعد ثلاثمائة وألف (1319 / 1901) ونشأ في كفالة أخيه الشيخ محمد الغيث النعمة بن الشيخ ماء العينين الذي "علمه وأدبه ورباه وهذبه" فبدأ بقراءة القرآن الكريم ثم اتبعه بعلوم اللغة والفقه والحديث والسيرة وكان خبيرا في المسائل اللغوية والفقهية رغم صغر سنه حيث بلغ فيهما شأوا كبيرا لم يبلغه غيره من أقرانه ومعاصريه. "وكان من الفتيان الأدباء والأكياس النجباء، أديبا لبيبا حييا سخيا متواضعا عفيفا ظريفا أريحيا ذا بركات ظاهرة وأعراض نقية طاهرة شريف النفس كريم الطبع حسن الشمائل لابسا حلى المكارم والفضائل.

توفي رحمه الله في ريعان شبابه ضحوة يوم الثلاثاء الرابع عشر من ربيع الثاني عام ثمانية وثلاثين وثلاثمائة وألف (1338 / 1920) بمدينة گلميم.

ماء العينين بن الحضرام، *إفادة الأقربين في التعريف بذرية شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين بن العتيق، *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت.

ماء العينين، مربيه ربه : هو العالم والأديب والمجاهد الكبير محمد مصطفى الملقب بالشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل، بن الشيخ مامين. ولد يوم الأحد الرابع عشر من ربيع النبوي سنة 1298 الموافق لسنة 1879 بمكان يسمى زمول الطيحة بمنطقة "تيرس" قرب مدينة الداخلة بالصحراء. ونشأ في بيئة كان لها دور كبير في تكوين ملامح شخصيته الأدبية والعلمية والفكرية والدينية، فقد تربى "في بيت علم وصلاح تتوفر فيه كل شروط التربية الحقة، في حجر شيخ مرب يلتقي في زاويته رجال العلم والدين والوطنية، وأم صالحة لا تفتر عن ذكر الله، وبين إخوة علماء لا يقلون علما ووطنية وتقوى عن والدهم الشيخ ماء العينين. وما كاد يبلغ سن التعلم والتحصيل والدراسة، حتى أخذ والده في تربيته، والسهر على تكوينه، ولم يعهد بذلك إلى أحد غيره ؛ فقرأ القرآن الكريم ومبادئ النحو والفقه على العلامة الفقيه الشيخ الحضرام بن الشيخ محمد الأمين، أحد أساتذة مدرسة السمارة البارزين، والأعلام المشهورين اللامعين. وقرأ بعد ذلك على والده وشيخه مختلف العلوم إذ تولى تربيته بنفسه، فلازمه ملازمة المريد لشيخه، حتى أدرك منيته في التحصيل، وبلغ المراد في التربية والتهذيب، فحصل كل ما كانت تعج به مدرسة السمارة، من علوم وفنون، من تصوف وفقه وبلاغة ونحو وشعر ورماية وغيرها، وقد برز ذلك كله فيما تركه من مؤلفات، وخلفه من دواوين. وقد ظل الشيخ مربيه ربه في كنف والده ومجالسه، ينهل من حياض العلم والمعرفة والتربية في مدينة السمارة، التي كانت مركز إشعاع فكري لا يكاد يفارقه إلا في أوقات الضرورات، وكان يحبه حبا شديدا، ويقربه ويشاوره في الأمور المهمة، ويعمل برأيه وينيبه في كثير من أموره العامة والخاصة. وكان لتربية والده الأثر الكبير في اكتسابه الكثير من المؤهلات، واشتغاله المبكر بالعلم والتأليف والتدريس، مع ما عرف به من حفظ وذكاء، مما ساهم في تكوين شخصيته الأدبية والعلمية والدينية والسياسية، كما غرست في نفسه أيضا حب التطلع والاقتداء به، واتباع نهجه، واقتفاء خطواته، فكان صورة مطابقة له في العلم والجهاد والوطنية والتقوى.



ويجمع عدد كبير من المؤرخين المغاربة والعرب والأجانب، أن من بين أسباب تأخر دخول الاستعمار الفرنسي إلى المناطق السوسية والجنوبية المغربية من سنة 1912 إلى سنة 1934 من القرن الماضي، حركة الجهاد والمقاومة، التي تزعمها الشيخ أحمد الهيبة والشيخ مربيه ربه أبنا الشيخ ماء العينين ومعهما القبائل السوسية والصحراوية المجاهدة في منطقة سوس. فبعد أن تولى الشيخ أحمد الهيبة قيادة حركة الجهاد بهذه المنطقة سنة 1912، كان الشيخ مربيه ربه ملازما له، واقفا معه، وقائما عنه في المهمات، مفوضا له في أمره، ومشاورا له، لا يقطع أمرا إلا به، وهو خليفته الذي بمنزلة نفسه، لما رأى فيه من الأهلية، والحنكة السياسية والعسكرية. ويعتبر دوره رياديا في تأطير حركته، حيث اضطلع بالأدوار الطلائعية في تهييء القبائل وتوجيهها، وتنشيط الحمية الجهادية ضد المستعمر.

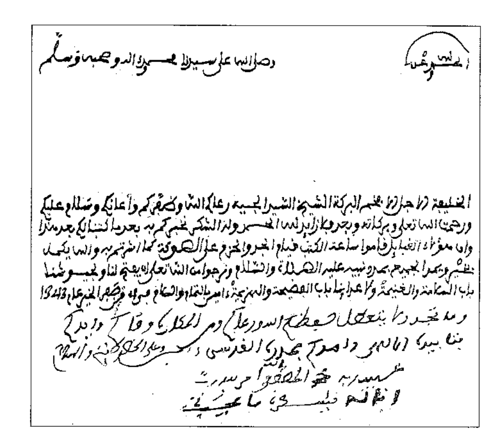
فقد كان قائدا على جيوشه، ومدبرا ومحركا لتلك المعارك التي كانت تخوضها حركته، لإزالة الاحتلال عن المغرب. ومن المعارك التي قادها بنفسه في زمانه، معركة سيدي بوعثمان قرب بن جرير في قرية نزالة لعظم، التي كادت أن تضع حدا للوجود الفرنسي، لولا

خيانة قواد الحوز الموالين لفرنسا، ونجدة التعزيزات المسرعة التي جاءت من النقاط الخلفية لمواقع الجيش الفرنسي كالدار البيضاء ووادي زم وغيرهما.

ولم يتوقف نشاطه بعد رجوعهم من هذه المعركة إلى سوس، فقد خاض معارك متعددة ضد القوات الفرنسية، نذكر منها ماسة والسيحل سنة 1913، وآيت برابيم سنة 1914، وأگلو واشتوكة سنة 1915، وتيزنيت التي حوصرت لمدة شهرين، وقطعت المؤونة عن قائدها الموالي للاستعمار محمد بن دحان، إلا أن مسلسل هذا الحصار انتهى بتراجع المجاهدين في وقعة "تيغانيمين".

وهو الذي قاد بنفسه سنة 1322 جحفلا لجبا من الصحراويين، فابدأ بهم وأعاد في أزغار (...)، وكان يختلف إلى أخيه، وينوب عنه في مجامع القبائل وفي الجيوش التي تتموج إذ ذاك في المصادمات مع حيدة، ثم مع الجيش الكبير الجنرالي وفي سوى ذلك. كما رد مع المجاهدين أعنف حملة قادها الجنرال الفرنسي دولاموط على وجان سنة 1917، التي انتهت بانكساره وتراجعه.

وبعد وفاة الشيخ أحمد الهيبة سنة 1919 سارع أهل الحل والعقد من القبائل السوسية والصحراوية، الذين تعارفوا معه وتعارف معهم، ورأوا منه ما رأوا من الصمود وروح المقاومة، إلى اختياره وتعيينه رئيسا للمجاهدين، لأن شروط الزعامة في تلك الظروف الصعبة متوافرة في شخصه، منها :


وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

- حضوره الفعلي في مسرح الأحداث منذ عهد والده الشيخ ماء العينين وأخيه الشيخ أحمد الهيبة، في الصحراء المغربية وسوس والحوز، مما أكسبه تجربة كبيرة جعلت شخصيته تتصف - كما قال المختار السوسي - بالحنكة، والدهاء السياسي، والشجاعة في قيادة الجيوش المجاهدة.

- مكانته العلمية التي جعلته يستمد قوته من الحقل الديني للتأثير على المجاهدين.

- طبيعة شخصيته المتميزة بالقدرة الخارقة في التأثير على القبائل، وتنظيمها، جعلها تعتبره زعيما وترشحه قائدا للجهاد.

لذلك ظل خمس عشرة سنة إمامها، يحفزها إلى المقاومة، ويدور عليها مع رؤسائها، ينمي وعيهم الجهادي، ويزرع فيهم الحس الوطني، والشعور بأساليب الاستعمار، للدفاع عن البلاد والحفاظ على وحدتها.

وقاد في هذه المرحلة معارك متعددة، من أهمها معركة آيت وادريم التي دافع فيها الجبليون الزحف الكنتافي في أخريات عهده بتيزنيت، وآيت برابيم، وإداوگنضيف، وبونعمان، وتيغمي، وآيت عبلا.

وقد ظل يقاوم المد الاستعماري إلى سنة 1934 وهي السنة التي دخل فيها مجموع التراب الوطني تحت سيطرة الاستعمار الفرنسي مما جعله يغادر قرية كردوس معقل الجهاد والمقاومة بمنطقة سوس متجها نحو طرفاية بالصحراء. يقول واصفا خروجه "... أما بعد، فقد خرجنا من كردوس بعد ثلثين مضيا من ليلة الأحد السابعة عشر من ذي القعدة عام 1352، وما نهضنا حتى أحاطت بنا الجنود الفرنسوية من كل مكان، بالمدافع والطيارات، واحتلوا القبائل. ولو أنهم أتونا بمثل العدة التي في أيدينا، لكان ظننا أنهم لن يحصلوا على طائل، قياسا على الوقائع بيننا معهم في الماضي، لكنهم أتونا بهذه الآلات التي لم تكن عند القبائل، والله غالب على أمره". ويعتبر هذا المقطع شاهد إثبات ودليلا عسكريا عن حركته الجهادية، وعما قاده من معارك بطولية ضد الاحتلال الفرنسي، حفاظا على وحدة المغرب الترابية. ورغم المحاولات المتعددة التي قامت بها فرنسا، والإغراءات المادية والسلطوية الكبيرة التي عرضتها عليه، بكل الوسائل ومختلف الوسائط في أكثر من مناسبة، فقد أعرض عن ذلك وامتنع، واستنكف وذهب لحال سبيله، وهذا مما يطهر ساحته، لأن هدفه الأساسي كان "يتمحور حول العمل الجهادي بالسلاح وبالكلمة، وكان لا يجد سعادته القصوى إلا على ظهر جواده أو جمله، في مقدمة المجاهدين الساعين لإعلاء كلمة الله وصد الغزاة المعتدين. وهذا ما يؤكده في قوله :

ما ضرب نجب تجوب البيد قاصـدة	بدرية الوجه أو معظم الجـاه
تخذي بكل فتى ما زال مـؤتمـــرا	فالله أمره عما نهى ناهـــي
عندي بأحسن من ركض الجياد على	مر الليالي لإعلا كلمـة اللـــه

وبعد فرنسا حاولت إسبانيا بدورها أن تلعب معه بعض الأدوار بعد تولي الجنرال فرانكو، لكن آل الشيخ ماء العينين يقولون ما كان لنا غرض قط إلا في الجهاد، وحين طويت صفحته فلا غرض لنا بعد ذلك. ويعتبر هذا الرفض المتتابع لمختلف المساومات والإغراءات الاستعمارية دليلا صادقا على وطنيته ووحدويته. ولم تكن حركته موجهة ضد السلطة الشرعية كما يدعي بعض الذين يهوون التأويل، والتمحل في قراءة التاريخ، ولا يهتمون إلا بما يبدو لهم شاذا في أحداثه، أو الذين رفض مساوماتهم من رواد الحركة الاستعمارية. ولكنها كانت امتدادا لحركة والده الشيخ ماء العينين الذي كان خليفة للمخزن المغربي في الصحراء بظهائر رسمية، منذ عهد السلطان مولاي الحسن. وهذا ما تؤكده رسائله التي وجهها إلى الملوك العلويين وإلى بعض زعماء الوحدة المغربية في فاس وتطوان ومراكش والرباط ومكناس. من هذه الرسائل قوله في رسالة وجهها إلى الملك محمد الخامس : "بعدما يناسب المقام العالي، بارك

الله لنا في أيامك، أن ما ترك لنا الأسلاف هو الذي عليه العمل، وما زلنا في طاعتنا لهم وزيارتنا لهم، من عهد مولاي عبد الرحمن. إن إكرامهم لنا، وفعلهم معنا الجميل الذي لا يكافئه إلا الله، إلى أن أمرونا بجهاد فرنسا لما تراموا على البلاد مع الشريف مولاي إدريس، ففعلنا الأمر حتى هاجرنا إلى تيزنيت، ولو أنهم أدخلونا سلما مع فرنسا لفعلنا. واليوم نحن وأنتم نفس واحدة، فما أردتم منا من الباطنة والظاهرة، فعند السمع الطاعة، وما يناسب جلالتكم فينا فأنتم أدرى، ونظركم أوسع للمصالح أجمع. كما توجه مرتين إلى الخليفة الأمير مولاي الحسن بن المهدي بمدينة تطوان، على رأس وفد من قبائل الصحراء وآيت بعمران، لتقديم البيعة والإخلاص والولاء. "وقد أسهمت هذه الزيارات في توثيق وتعميق الصلة بين أقطاب الحركة الوطنية في الشمال، وخاصة عبد السلام بنونة والأستاذ عبد الخالق الطريس. وكان الهدف الأساسي هو إشاعة الوعي الوطني، وتوثيق عرى الوحدة الترابية، والبشرية، وتيسير العلم، والحفاظ على اللغة العربية، والدين الإسلامي، وإقامة المكتبات العمومية، وفي هذا الإطار وجه الشيخ مربيه ربه مجموعة من الكتب قصد إغناء المكتبة العامة بتطوان سنة 1935، وكانت لهم مراسلات في هذا المجال، مما يعبر عن التلاحم الكبير، والصلات العميقة التي كانت تربط حركته في الجنوب مع باقي الحركات الوطنية في الشمال.

وإذا كان الشيخ مربيه ربه قد جاهد وناضل بسلاحه في ساحة المعركة، فقد جاهد وناضل كذلك بقلمه، جامعا بين التنظير الفكري والممارسة العملية، فحرر الكثير من الخطب والرسائل والأراجيز التي تحث الناس على الجهاد، وتدعوهم إلى التآلف والتعاون والاتحاد لكسر شوكة المستعمر. نختار منها هذه الرسالة التي بعثها إلى جموع المجاهدين، ومنهم آيت عثمان التي يقول فيها : "إلى كل من تسوق موسم المولى الشريف من قبائل المسلمين، وجموع المجاهدين، خصوصا آيت عثمان، سلام الله ورحمته وبركاته. أما بعد : فنوصيكم بالألفة والاتفاق، وحسم مواد الشقاق، وأن تكونوا يدا واحدة على أعداء الله وتجعلوا جهادهم نصب أعينكم، وتبذلوا فيه وسعكم وقوتكم ؛ قال تعالى : "وجاهدوا في الله حق جهاده". (...) والآن بَرّحُوا بالجهاد في الموسم، وكونوا مستعدين له، وأمّنوا الطرق، وأظهروا الزينة والقوة والتعاضد، بكل ما فيه نكاية للعدو، واحتفال للمسلمين. ولا تقبلوا لأحد كلاما مع الأعداء، ومن فعل فخذوا منه ما جعلت قبائل المسلمين من الأثقال، إلى غير ذلك مما فيه إصلاحكم. وفقكم الله ووافقكم، وأصلحكم بالتمام، والسلام.

1 ربيع النبوي 1350

ويقول في أرجوزة يحذر فيها المجاهدين :

وبعد فالمقصود يا من أسلموا	إياكم والكافرين تسلموا
أحكامهم ظلم وجور عدلهم	ودينهم كفر وليس عدلهم
وقد نهينا عن مصاحبتهم	وعن كناهم ومصافحتهم
ويل لمن يتخذ الأعداء	من دون رب العرش أولياء
فالله مولانا ولا مولى لهم	شتان بين ما لنا وما لهم
لله والرسول ثم المؤمنين	معاقد العزة لا للكافرين
أعوذ بالله المعيذ منهم	ومن إليهم ولهم وعنهم

كما خلف مؤلفات متعددة، منها : "الترغيب في بعض ما أعده الله للمجاهدين في سبيل الله"، و"البانة المجاهدين وبغية الطالبين"، و"صولة الكار وملجأ الفار في تحريم الإقامة مع الكفار"، و"تسلية المؤمنين في عدم قبول أعمال المنافقين والكافرين"، و"فريضة الجهاد في هذا الزمن على العباد"، و"خطب في الحث على الجهاد" التي تعبر عن حضور فكره في الساحة العسكرية، وتفاعله مع الأحداث السياسية التي كانت تشهدها المنطقة. وسبب نزوعه الشديد إلى الجهاد المسلح، هو أنه اعتبره كعالم عامل تعمق في فهم نصوص الشريعة، من أجل الفرائض على العلماء خاصة ؛ إذ ليس بعالم من لم يعط ضريبة العلم، وهي الجهاد بقلمه وسلاحه، وإعانة سلطانه في الدعوة والتحرير لأوطان الإسلام.

ويعتبر من أشهر العلماء الذين تألق اسمهم في دنيا العلم والمعرفة والتأليف، فهو عالم ومحدث، وفقيه ومتصوف، وأديب وشاعر ولغوي، لم يترك فنا من فنون العلم إلا وطرقه، وأدرك منه ما لم يدركه غيره ؛ فقد "جمع الفنون كلها من لغة وتصريف، وبيان ومنطق، وفقه وأصول وقواعد، وعروض، وطب، وغير ذلك من العلوم الظاهرة التي ألف فيها ما شاء الله.

ومما يدل على غزارة علمه، ورصيده المعرفي العميق الغور، ما خلفه من مؤلفات متعددة ومتنوعة في مختلف العلوم، تصل إلى عشرين ومائة كتاب. وتعود كثرة تآليفه إلى حبه الشديد للكتب، وتعلقه بها، وإقباله على فهمها وقراءتها ؛ فقد كان يقضي معظم أوقاته منشغلا بها، وبما تحتويه في باطنها من علوم، يقرأ ويؤلف، ويكتب ويشرح، وينظم ويعلق ويدرس، كما "كان يصطحب في حله وترحاله مكتبة متنقلة على غرار والده، تضم أمهات الكتب والأوراق والحبر، الشيء الذي مكنه من تأليف عشرات الكتب، تناولت مختلف مجالات الفقه والأدب والحديث والفلك والطب والتاريخ، وخلف تراثا شعريا ضخما في كميته، ثمينا في محتواه، متنوعا في أغراضه، متين السبك، جزل الألفاظ، أخاذا في مضامينه، مما جعل أشعاره تظل ملء الأسماع والقلوب.

وكان حافظا يتمتع بقدرة على الاستحضار تكاد لا تضاهى، فكثيرا ما يحسم النقاش حول مسألة ما بسرد عدة نصوص وأبواب من أحد المراجع المعتمدة في ذلك المجال، محددا رقم الصفحة المستدل بمضمونها. وقد عرف بالنقد والخبرة، والتحري والدقة والموضوعية، وكان لا يصدر رأيا أو حكما إلا إذا تأكد من صحته وحقيقته، ودعمه بالحجج والشواهد والأدلة. ورغم انشغاله بالجهاد ومقاومة الاحتلال، وما يتطلبه ذلك من

عزم وحزم ورباطة جأش، فإن ذلك لم يمنعه من عقد حلقات العلم اليومية، بمجلسه الذي كان يعقده كل يوم، "فيحضره من في حضرته من العلماء والصلحاء والأدباء، فيفيض عليهم أطاييب الطعام، ويتذاكر معهم في جميع الفنون، ويتشاور مع أهل الرأي والعقل منهم فيما ينوبه من الحوادث، ولم يزل من الهادين المهتدين، قائما بأمور الدنيا والدين. وقد تخرج من هذا المجلس العديد من العلماء والأدباء من سوس والصحراء، وقاموا بدور طلائعي في ازدهار الحركة الأدبية والعلمية في هذه المناطق. وأسهمت ملازمته لوالده الشيخ ماء العينين الذي قرأ عليه جميعا الفنون وسائر العلوم، مساهمة فعلية في تكوين ثروته العلمية الغزيرة، ورصيده المعرفي، بالإضافة إلى دراساته الشخصية ورحلاته المتعددة التي قام بها داخل المدن المغربية وخارجها، حيث زار شنقيط وولاتة وتندوف وسوس ومراكش وسلا وفاس والصويرة وتطوان وليبيا والقاهرة ومكة، وغيرها من المراكز الثقافية في المغرب والمشرق.

ولم ينشغل بالعلم والتأليف وحدهما، بل انتصب للتدريس والتعليم والإقراء بزاوية والده في السمارة - بعدما أمره بذلك - بين إخوته وأخواته وأقاربه وتلاميذه ومريديه وسائر الناس. وتابع هذه الرسالة التربوية في مختلف المناطق التي استقر بها في آيت بعمران وطرفاية وكردوس الذي أنشأ به مدرسة علمية كبيرة، وكلف عددا من العلماء الكبار بالتدريس فيها، من أشهرهم ماء العينين بن الحضرام، وآب بن عبد الإله وسيدي محمد بن عبد العزيز، ومحمدي بن أحمد زايد. فلم يكن ذلك العالم الذي يحتكر الثقافة التي اجتمعت له، أو يدخرها في ذاكرته، ولكنه كان يستغلها في توحيد القبائل السوسية والصحراوية، وتأطيرها، وتوعيتها، وتهيئتها للدفاع عن الوطن ضد الاحتلال، ويوظفها في تحقيق مشاريعه الإصلاحية الكبيرة، وغاياته الهادفة النبيلة، ولم تكن مجرد ترف فكري وأدبي وعلمي.

توفي يوم 19 من جمادى الأولى سنة 1361 الموافق 4 من ماي سنة 1942 مسموما من قبل بعض المتعاملين مع فرنسا، بموضع في الصحراء يسمى "تافودارت" يقع شرق مدينة العيون، ودفن فيه بعد أن عاش ثلاثا وستين سنة، كانت كلها رحلة حياة متواصلة في دروب الجهاد والغوص في مسائل العلم وشكر الله على ما أنعم عليه به، وهي أمور ثلاثة شغلته كما يذكر في هذا المقطع الشعري :

ما للثلاثة تنسي البيض والغـــزلا   من كل أدعج يدني لحظة الأجلا

فالشكر أولها شكر الإلـــه ولا   أبغي بدلا قـولا ولا عمـــــلا

أما الجهاد فثانيها ومـــن عـدلا   عنه وأحرى بهذا الـدهر ما عـدلا

فك العويص من العلمين ثالثهـا   تلك الثلاثة لا أبغي بها بـــدلا

خلف أعمالا علمية وأدبية تصل إلى عشرين ومائة كتاب في الفقه والتصوف والأصول والطب والرحلات والنحو والبلاغة والتوحيد والأسرار والتربية والتاريخ.

كلمة العلامة محمد العثماني في حفل ذكرى المجاهد الشيخ مربيه ربه، الذي نظم بقرية تافودارت شرق مدينة العيون في فاتح أبريل سنة 1989، زودني بنسخة منها بخط يده.

ماء العينين بن العتيق، *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، مخطوط، خزانة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ *جوانب وحدوية من ثقافة الصحراء المغربية*، مطبعة المعارف الجديدة، الطبعة الأولى، 1997 ؛ ماء العينين بن العتيق، *الرحلة المعينية*، تحقيق، محمد الظريف، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1998 ؛ ماء العينين بن الحضرام، *إفادة الأقربين في التعريف بذرية شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، خزانة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ الشيخ أحمد بن الشمس، *النفحة الأحمدية في بيان الأوقات المحمدية*، المطبعة الجمالية، مصر، الطبعة الأولى، 1330 ؛ ماء العينين النعمة علي، شعر الشيخ مربيه ربه محمد مصطفى، جمع وتحقيق ودراسة، أطروحة قدمت لنيل الدكتوراه تحت إشراف الدكتور عباس الجراري، مرقونة بخزانة كلية الآداب الرباط، 2002 - 2003، 3 : 833 ؛ الشيخ مربيه ربه، *قرة العينين في كرامات شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، خزانة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ محمد الإكراري، *روضة الأفنان في وفيات الأعيان*، تحقيق، حمدي أنوش، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1998 ؛ محمد المختار السوسي، *المعسول*، مطبعة فضالة، المحمدية، 1380 / 1960 ؛ المختار السوسي، *طاقة ريحان من روضة الأفنان*، مطبعة الساحل، الطبعة الأولى، 1404 / 1984 ؛ الشيخ مربيه ربه، *رحلة الشيخ مربيه ربه*، مخطوط، خزانة الأستاذ ماء العينين محمد فاضل بن الشيخ حسن بن الشيخ مربيه ربه، العيون.

Dugars (H) : *La colonne du Souss*, 1917, Paris, 1918, p. 85 ; Justinard (L) : Notes sur l'Histoire du Souss au XVI siècle, in : *Archives marocaines*, vol. *XXIV*, 1933, p. 5.

ماء العينين، مريم الطاهرة : هي الولية الصفية الوفية المحسنة السيدة مريم الطاهرة بنت الشيخ ماء العينين وأمها هي السيدة الفاضلة الصالحة العابدة الزاهدة ميمون بنت أحمد علي. ولدت عام ستة وتسعين ومائتين وألف (1296 / 1878) ونشأت في عفاف وصيانة وحضانة وبدأت تكوينها العلمي والدراسي بحفظ القرآن الكريم على والدها الذي أولاها عناية خاصة لما لاحظ فيها من إقبال على القراءة والعلم والمعرفة، ثم قرأت عليه بعد ذلك العلوم الدينية واللغوية والأدبية من فقه وأصول وتفسير وحديث ولغة وبلاغة وشعر وعروض وطب وفلك. واشتهرت بالتفسير والحديث، حيث كانت تفسر الآيات القرآنية الكريمة في جميع المناسبات وتشرحها على حسب سياقها وتستشهد بها في جميع كلامها، وتبسطها حتى يفهمها الجميع وكان ذلك دأبها وديدنها مع الأحاديث النبوية الشريفة التي كانت توظفها في كل مسألة وتشرحها شرحا مفصلا يحبب الحديث للسامع والقارئ. وقد وهبها الله ذاكرة قوية مما ساعدها على حفظ كثير من هذه الأحاديث التي كانت تستشهد بها في كلامها ونصحها وإرشادها للخلق. وكانت إلى جانب علمها الغزير ومعرفتها الكبيرة التي لا تجارى، عابدة زاهدة متصدقة طاهرة العرض، محافظة

على النفـل والفرض، ذات عفـة وورع وتقوى ومجادة لا تفتر في وقت ما عن الجد والعبادة لاسيما في شهر رمضان الذي كانت تكثر فيه من العبادة مع صيامه وقيامه وتعتزل الناس ولا تتكلم إلا بالأذكار والتسبيح كسبحان الله والحمد لله ونحو ذلك في أيامه ولياليه، وكانت رقيقة الطبع كثيرة الخشوع مكرمة للجيران بارة بالوالدين والإخوان على جانب من الحياء عظيم فائقة في كرم النفس والخلق الكريم.

توفيت في العشر الأواخر من شعبان عام ستة وستين وثلاثمائة وألف (1366 / 1947) بموضع في الساقية الحمراء يسمى تافـودارت ودفنت به بجانب أخيهـا العالم والأديب والمجاهد الكبير الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين.

الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين، *قرة العينين في كرامات شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين بن الحضرام، *إفادة الأقربين في التعريف بذرية شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين بن العتيق، سحر *البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت.

ماء العينين، مصطاف : الأديب والشاعر والعلامة اللغوي الماهر "الليث الهمام البطل الضرغام نخبة الفضلاء تاج الكرماء إكليل الأدباء بهجة الأسخياء العالم الظريف الولي الغطريف" الشيخ محمد المصطف الملقب الشيخ مصطاف بن الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن الشيخ مامين وأمه هي السيدة الفاضلة عيشة بنت محمد فال بن الطالب من قبيلة آل الجيه المختار. ولد في ربيع النبوي عام سبعة بعد ثلاثمائة وألف 1307 / أكتوبر 1889 وبدأ دراسته بقراءة القرآن الكريم على الشيخ الحضرام بن الشيخ محمد الأمين. ثم قرأ على أبيه بعد ذلك كثيرا من العلوم التي كانت رائجة في ذلك العصر وخاصة علم الباطن، وبرع كثيرا في الأدب والشعر واللغة. وهذا ما يؤكده ماء العينين بن العتيق قائلا : "كان الشيخ مصطاف رحمه الله من الأجلاء الأعلام الكرام فصيح اللسان ثابت الجنان مكرما للأضياف والجيران له التقدم في مجالس الأخيار وإذا تكلم تصيخ له الآذان وتطمح إليه الأبصار أديبا أريبا حاذقا لبيبا كريما سخيا مهيبا حييا ذا ملاحة مشوبة بسكينة ووقار ومحبة مودوعة في قلوب الصغار والكبار وكان مخلصا في العبادات لا يحب أن يطلع على عبادته. كثير الشفقة على عيال الله لين الجانب للضعفاء والمساكين غليظا على الجبابرة والمتكبرين، له كرامات في التسخير والتدمير أكثرها عند من يعرفه شهير يأمر بالمعروف ويحب فعله وينهى عن المنكر ويبغض أهله برا بوالديه تملأ هيبته العيون والقلوب صبورا عزوما لاتنهنهه النوب ولاتدهشه الخطوب، وكان لا يغفل عن ربه فتراه في المحاضرات ونحوها ولسانه رطب بذكر الله، وكان جميل الفعال محمود الخصال".

ماء العينين بن الحضرام، *إفادة الأقربين في التعريف بذرية شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطـوط، مكتبة الأستـاذ مـاء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينيـن بن العتيق، سحر *البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، مخطوط، مكتبـة الأستـاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت.

ماء العينين، مَـنّ : هي الأديبة الأريبة الظريفة الحيية اللبيبة الناصحة الحليمة السيدة مَنّ بنت الشيخ ماء العينين وأمها هي عائشة بنت أمَنّ من قبيلة ادويج أخوال والدها. ولدت عام واحد وتسعين ومائتين وألف (1291 - 1873) ونشأت في صيانة وعفاف وقرأت على أبيها بعض العلوم وكانت على يقين من ربها وزهد كامل ورضا بقضائه عابدة زاهدة متصدقة ذات حلم واتساع خاطر واجتهاد في الأعمال الصالحة ولها خبرة بصناعات النساء وورع وخشية في الله محببة عند الناس، بركاتها جارية وفتوحاتها كثيرة وكانت بارة بوالدها الذي رباها أحسن تربية ظاهرا وباطنا لأن أمها فارقتها وهي صغيرة فباشر هو رضي الله عنه تربيتها فظهر بذلك سؤددها وصلاحها.

توفيت يوم الأربعاء في شهر رجب عام تسعة وعشرين وثلاثمائة وألف (1329 / 1911) ودفنت بإزاء الشيخ ماء العينين في مجمع الخيرات بمدينة تيزنيت.

ماء العينين، ميمونتن : هي الولية التقية الحيية النقية الأديبة الظريفة الكريمة العفيفة السيدة ميمونتن بنت الشيخ ماء العينين وأمها هي مليكة بنت الدرج من قبيلة العروسيين. ولدت في شوال عام تسعين ومائتين وألف (1290 - 1872) ونشأت في عفاف وصيانة وأدب وحضانة، قرأت على والدها كثيرا من العلوم وبرعت فيها لا سيما علم الحديث والفقه والشعر والأسرار وكان يحبها ويعجبه ذكاؤها ورزانتها وانكبابها على العلم والأدب والمعرفة. وكانت كثيرة الصدقات معروفة بالخيرات والبركات ومراعاة الله في جميع الأوقات، كما كانت ذات عقل وسكينة ورزانة وأخلاق حميدة وديانة وصدق ووفاء وأمانة وظلت محافظة على هذه السجايا والمكارم والخصال ساعية إلى ما يرضي الله تبارك وتعالى في أحسن الأحوال.

توفيت صبيحة يوم الأحد من شهر رجب عام تسعة وعشرين وثلاثمائة وألف (1329 / 1911) ودفنت بإزاء والدها في مدينة تيزنيت.

الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين، *قرة العينين في كرامات شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين بن الحضرام، *إفادة الأقربين في التعريف بذرية شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين بن العتيق، سحر *البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت.

ماء العينين النعمة علي

ماء العينين، وجاهه، محمد تقي الله بن أعلي الشيخ بن الشيخ محمد تقي الله بن الشيخ محمد فاضل بن مامين الملقب بـوَجَاهَـه. ولد حوالي سنة 1885، حفظ القرآن وأحاط بالعلوم العربية الإسلامية كسائر أهله، ثم لازم والده مدة طويلة مخلصا في خدمته وبروره، اشتغل في بدايته بالتجارة، ثم تركها والتحق بعمه الشيخ محمد المامون الملقب أَمَّمَّ في آدرار وتزوج من إحدى بناته، فآلمه ما كان يشاهده من ظلم الإدارة الفرنسية للسكان وتعسف أعوانهم في معاملتهم، فقرر الهجرة والانخراط في سلك الجهاد، وقصد الشيخ الولي بن الشيخ ماء العينين في زمور، فالتقى في مضاربه هناك بمجموعة من رجال المقاومة الذين أحبوه واشتركوا معه في كثير من الغزوات التي قادها ضد القوات الفرنسية مثل مَامِينًا بن سِيدَاتِـي وأعْلِي بن ميَّـارَهْ وإسماعيل بن البارْدِي وأحمد بن حَمَّادي والتقي بن المامي وسيدي بن الشيخ وأحمد بن عثمان بن إبراهيم خليل وعبد الله بن السويح والكيحل بن التروزي، وغيرهم. وبعد ذلك توجه إلى مضارب الشيخ محمد الأغظف بن الشيخ ماء العينين بالساقية الحمراء فعينه الشيخ مربيه ربه مقدما على الجهاد في ناحية زمور، فأعطى للجهاد نفسا جديدا يقوم على إخلاء المناطق التي وقعت تحت الاحتلال من السكان وقطعان الإبل وتحاشي الإغارة على الأحياء المستسلمة، مركزا هجماته على المواقع المحصنة للعدو، واستنزاف مذخراته والوسائل التي يعتمدها في التموين.

من أبرز المعارك والغزوات التي قادها :

1 - غزوة "تنغرادة" شمال مدينة "أطار" وذلك في مايو 1923، وهي أول الغزوات التي قادها ضد القوات الفرنسية، وقد شارك فيها مجموعة من المجاهدين، منهم أحمد بن أبيه وسيدي بن أبيه، والشيخ أحمد بن الخديم وعثمان بن كركوب وغيرهم، وقد تمكن في هذه الغزوة من الاستيلاء على مائة من جمال الوحدات الفرنسية.

2 - معركة أمْ آغْـوابَـة، وقد شارك فيها أزيد من مائة وأربعين مجاهدا انطلقوا من "ريش أناجيم" جنوب "بئر اكرين" وانقسموا إلى فرقتين الأولى شنت هجوما على مجموعة "الـگـوم" التي يقودها محمد سالم بن أحجور عند "الخرفانية"، والثانية شنت هجوما على الحامية الفرنسية ب " أمْ آغْـوابَـة"، يوم الثلاثاء 17 ربيع الثاني عام 1342 الموافق 28 نوفمبر 1923.

وقد قتل في هذه المعركة قائد الحامية الملازم بدرين Bedrines وثلاثون من الرماة فيهم مجموعة من الـگـوم، وتعتبر من المعارك المتميزة التي تكبدت فيها القوات الفرنسية خسائر كثيرة. وقد تحدث عنها الرائد "جيليه Gillier" بقوله : "في أكتوبر حصل قائد دائرة آدرار على معلومات مفادها أن هناك غارة تتشكل في الساقية الحمراء تحت قيادة منشق من آدرار، قائد العصابة وجاهة، ويحاول تجميع 250 بندقية، وبعد ذلك سيتوجه إلى موريتانيا في محاولة لمباغتة إحدى كتائبنا الجمالة. خلال إحدى الليالي المظلمة، كانت الأنباء صحيحة ولكن وجاهه لم يستطع أن يجمع في الساقية الحمراء إلا مائة وخمسين بندقية، ووصل إلى عيون عبد المالك، وتأهب للتوجه نحو الجنوب، وبعد ما حصل خلاف بين رأس العصابة، انقسم الجيش إلى قسمين ولم يبق مع وجاهه إلا زهاء خمسين رجلا...، في يوم 27 انطلق الملازم بدرين على رأس مفرزة من ستة وأربعين من الجمالة في أثر الركب مقتفيا آثارهم، وفي يوم 28 في الصباح الباكر اشتبكت مجموعة الأدلاء المتقدمة مع مفرزة من العدو قرب "اشريرك"، فشكل الملازم بدرين فورا المربع وسارع إلى الأمام بعدما ترك المطايا في حراسة اثنين من الرماة وثلاثة من البيضان، وفورا أحاط العدو الذي تلقى تعزيزات فيما يبدو بالمفرزة مستفيدا من أرضية مناسبة من كثبان عالية متراكمة لأخفاء تحركاته، وفورا دارت معارك عنيفة، فقتل الأوربيان اللذان كانا في المفرزة الملازم بدرين والعريف باليزة، وذلك لأول وهلة، وهاجم العدو في نفس الوقت حرس المطايا، وتسبب الحادث في تفرق الحراس الذين هرعوا إلى الجمال، واستطاع ثمانية منهم امتطاء مطاياهم وهربوا، كانت المعركة قصيرة، وكانت الجروح بالسيوف في أجساد القتلى تدل على التحام بالأجساد عنيف. وقد كلفتنا هذه العملية 23 قتيلا منهم أوربيان وستة جرحى وستة مفقودين، واستولى العدو على سبع وثلاثين بندقية وعدة آلاف من الرصاص واثنين وأربعين جملا".

- غزوة أنواديبو : وقد شن فيها المجاهدون الهجوم على الحامية الفرنسية المتمركزة بالقرب من ميناء نواذيبو يوم الثلاثاء 18 شعبان 1342 الموافق 26 مارس 1924 وتمكنوا من قتل الجنود واغتنام سبع بنادق وأربعة آلاف رصاصة، ثم انسحبوا تاركين في ساحة المعركة أربعة شهداء.

- معركة "الأروي بوقرن"، وقد شارك فيها سبعون مجاهدا استهدفوا الوحدات المتنقلة التابعة للقوات الفرنسية عند "الأروي بوقرن" على بعد 150 كلم شمالي مدينة اطار، وقد أحرز فيها المجاهدون في البداية نجاحا كبيرا، لكن الوضع سرعان ما انقلب بعد وصول تعزيزات الوحدات الفرنسية. وفي هذه المعركة استشهد وجاهه برصاصة في رأسه، واستشهد معه عدد من المجاهدين منهم أحمد بن عثمان بن إبراهيم اخليل، وحمود ابن عبد الفتاح الدليميان البعمريان، ومحمد فال بن المختار من التلاميذ، ومحمد تقي الله بن عبد الوهاب القلقمي قاضي المعركة.

وبعد استشهاده أمر الضابط الفرنسي بقطع رأسه ويده اليمنى وتجريده من ملابسه نكاية به وانتقاما لما زرعه من رعب في نوفس الفرنسيين.

توفي يوم من رمضان عام 1342 / 5 ماي 1924.

جيلي Gillier، *التوغل في موريتانيا*، ص. 253 - 254 - 255 ؛ الشيخ ماء العينين، *علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي*، الطالب أخيار، ج 2، ص. 572 - 573 - 574 - 584 - 587 ؛ إسماعيل ولد الباردي، محمد دحمان، ص. 59، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه، 1999 ؛ *حوليات أهل الشيخ ماء العينين ومنطقة آدرار*، ص. 55 تعليق سيدي أحمد بن سالم، مرقون خاص.

محمد الظريف

ماء العينين، يحانيذو هي الأديبة الصالحة المحسنة الناصحة المشفقة الحنينة السيدة يحانيذو بنت الشيخ ماء العينين وأمها هي الحافظة المقرئة السيدة هند بنت العالم والأديب عبد الله بن أحمد بن محمد سالم. ولدت في صفر عام أربعة وثلاثمائة وألف (1304 / 1886) ونشأت في صيانة وأدب وديانة وقرأت القرآن الكريم على أمها حتى حفظته وحفظت عليها كثيرا من المتون وأجازها والدها في ذلك وقرأت عليه بعد ذلك كثيرا من العلوم من فقه وأصول وتفسير ولغة وأدب وشعر. وكانت عابدة زاهدة وولية كاملة وعالمة عاملة ملازمة لتلاوة القرآن العظيم ليلا ونهارا ذات جد وتعب في سائر العبادة لا تفتر عنها ولا تستريح إلا إليها. لها مشاركة في الفنون وضبط وحفظ عجيب للمتون لم تزل في قرية آيت الرخا التي تقع جنوب مدينة تيزنيت والتي أنشأت بها زاوية دينية وعلمية فأعانها الله في السير فيها بسيرة أبيها بإقامة الدين وكثرة الإنفاق بما بسط الله عليها ما شاء الله من الأرزاق فقد كانت تأتيها من كل جهة عظائم الهدايا فتصرفها ولا تدخر منها شيئا في حسان المزايا وسخر الله لها كثيرا من كبراء المغاربة وعلمائهم فتتلمذوا عليها وأخذوا عنها كثيرا من الأوراد والأسرار وأجازتهم فيها. وكانوا يقصدونها بهداياهم من فاس والرباط والدار البيضاء ومراكش وفاس وطنجة والعرائش وغيرها يريدون التبرك بزيارتها ويلتمسون صالح دعواتها لما لها من البركات واستجابة الدعوات وقلما قصدها ذو حاجة دنيوية وأخروية إلا وأعطاه الله حاجته ببركتها وهذا ما يؤكده ماء العينين يحجب قائلا :

أتينا محل الود والخالص الإخـــــا   محل البها والفضل والجـود والسخــــا
محل به نالت مع العــز والعـــــلا   على غيرها آيت الرخا الخصب والرخا
وجدنا به ما الله نحمـــد يومنـــــا   مجـالا فسيحـا فـي المحبـة والإخـــا
وما ذكرت آيت الرخا عنـد جاهل   ولا عــارف التاريــخ إلا وبخـبخـــا
ولم لا وفيها من بنت بيت سؤدـــد   مدى الدهر أعلى من سـواه وأشمخــــا
يحانذ بنت الشيخ خالتنـــا التـــي   بها تضرب الأمثال في الجود والسخـــأا

بالإضافة إلى هذا فقد كانت رحمها الله ذات حياء وتواضع لا سيما لإخوتها فقد كانت تنزلهم منزلة أبيها وكانت بارة بأبويها وكانت من أحب بنات الشيخ ماء العينين إليه وكانت مكاشفة بالمغيبات فكأنها تنظرها دون حجاب وكان لها يقين واعتصام بالله متين لا تنظر الأمور إلا منه في السراء والضراء ولا ترجو ولا تخاف غيره فأعطاها الله من الزهد والورع والحلم والكرم وسائر محاسن الأخلاق ما لا تسع وصفه الأقلام والأوراق وظلت محافظة على هذه الصفات من مكارم الأخلاق ساعية كما هو دأبها فيما يرضي الخلاق.

توفيت يوم الجمعة 17 ذي الحجة عام ثمانية وثمانين وثلاثمائــة وألف 1388 الموافـق 6 مـن مارس عام تسعــة وستين وتسعمائة وألف 1969 بآيت الرخا ودفنت بزاويتها هناك. وقد رثاها ماء العينين يحجب بقصيدة نختار منها قولـه :

رزئنا بفقد الشيخة اليـــوم والأمـــر   لخالقنا صبرا بنـــــا يجمــل الصبــــر
فسحت سحاب الحزن فورا بفقدها   وفي كل قلب صب من فقــــدها جمر
هي الشيخة العظمى يحانيذ كم لها   مزايا على فقـــدانهـــا خســف البــدر
يحانيذ إن ماتت فهــذي خصالهــا   مخلـــــدة والحمـــد لله والشكـــــــر
فقد طاب منها الفعل والقول دائمــا   كما طاب منها الصيت في الناس والذكر

الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين، *قرة العينين في كرامات شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين بن الحضرام، *إفادة الأقربين في التعريف بذرية شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين بن العتيق، *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت.

ماء العينين النعمة علي

المامون، محمد بن **اعلي** الشيخ بن الشيخ محمد تقي الله بن الشيخ محمد فاضل بن مامين، اشتهر بشجاعته ومنازلته لقوات الاحتلال الفرنسي في الجنوب المغربي. وهو شقيق المجاهد وجاهة، قدم من الحوض إلى آدرار، وأقام مع عمه الشيخ محمد المامون الملقب "أمَـم" بن الشيخ محمد تقي الله في ناجيه "أنتيد" فغاضه ما كان يراه من ظلم الفرنسيين وأتباعهم للأهالي واستنزافهم للخيرات، فقرر الهجرة والالتحاق بصفوف المجاهدين في نواحي الساقية الحمراء، لكن الحامية العسكرية الفرنسية في "الجريف" التي كانت تترصد تحركاته منعته من ذلك، فألقي عليه القبض وسجن بأطار، وبعد سنة ونصف تقريبا تخلص من أسره والتحق بابن عمه الشيخ مربيه ربه في "كردوس"، بعد أن زوده الشيخ محمد تقي الله "أممه" والشيخ سعد بوه والسيد أبياه ابن محمد عبد الرحمان بما يحتاجه من زاد وذخيرة. قدمه الشيخ مربيه ربه على الجهاد في بلاد شنقيط وأعطاه مرسوما في ذلك جاء في بعض فقراته : "يعلم من مسطورنا هذا أسمى الله قدره وجعل في الصالحات طيه ونشره أننا بحول الله وقوته وشامل يمنه ومنته قدمنا ابن عمنا الأبر الأرضى السيد محمد المامون بن اعلي الشيخ بن الشيخ محمد تقي الله بن الشيخ محمد فاضل بن مامين على الغزوات من الجهة الصحراوية بعد أن أوصيناه بمراعاة التقوى، لأنها السبب الأقوى، وأن يقسم بالسوية بين الرعية بعد إخراج الخمس على حسب ما أمر الله به، فنأمر الواقف عليه من عمالنا وقبائل إيالتنا أن يعلم هذا ويعمل بمقتضاه، ولا يحيد عنه ولا يتعداه وأن يعينه على ما هو بصدده من جهاد أعداء الله. أعان الله كل من أعانه، صدر به أمرنا القائم بالله في 10 من شوال عام 1343". كما أعطاه رسالة يتسلم بمقتضاها تركة أخيه وجاهة من أسلحة وعتاد وغير ذلك.

قاد عدة عمليات جهادية ضد القوات الفرنسية في آدرار وأزواد والترارزة منها "أغسرمت" الثانية في يوليو 1925، وهي أولى المعارك التي شارك فيها، ثم معركة "آكليل" وغيرها، وقد استشهد في هذه المعركة

في يوليو 1927 رفقة مجموعة من رفاقه، منهم الشيخ بن الأجرب الرحالي وسِدَاتِ بن الشرقي العروسي، ورمضان بن محمدن بن الزفاطي وأحميدي بن اخناوش الزرقيان، ومحمد بن امبارك، وغيرهم.

الشيخ ماء العينين، *علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي*، ماء العينين الطالب أخيار، ج 2، ص 602، وما بعدها، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، 2007، ط 1.

مَـامِـينَّـا بن الشيخ **سِدَاتي**، هو محمد الأمين الملقب بمامينا بن الشيخ سداتي بن الشيخ ماء العينين، ولد في الـگريزم قرب السمارة سنة 1312 / 1894، وتربى في كفالة جده الشيخ ماء العينين، تلقى تكوينا علميا متكاملا على يد شيوخ مدرسة السمارة منهم العلامة ماعينيه ابن الشيخ أحمد وغيره، بعد وفاة جده الشيخ ماء العينين انتقل إلى فاس، ثم تطوان، ثم سوس.

بعد وفاة عمه الشيخ أحمد الهيبة هاجر إلى زمور، فتـزوج من ابنة عمــه الشيخ الولي، وظل هناك فتـرة وجيـزة إلى أن قدم عليه ابن عمه وَجَاهَـة، فقرر الانخراط معه في مقاومــة المستعمر الفرنسي، ورافقــه في جميع الغزوات التي قادهــا ضد القـوات الفرنسيــة في آدرار والترارزة وانواديبــو وغيرها، مثل "أم اغوابة" و"الحفرة" الثانية، و"الطريفية" وامغالـگ شنقيط، وغيرهــا.

ظل ينسق مع الشيخ مربيه ربه في أمور الجهاد إلى سنة 1936 حيث ألقى الفرنسيون عليه القبض في أگادير ونقلوه إلى سان لوي "بالسنغال"، ثم نقلوه بعد ذلك إلى بوتلميت وحكموا عليه بالسجن مدة عشرين سنة، وبعد مضي عشر سنوات تم العفو عليه، وكان آخر سجين يفرج عليه من سجناء المقاومة.

توفي في فاتح ماي 1968، وهو والد الطالب أخيار صاحب كتاب، *الشيخ ماء العينين، علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوربي*.

الطالب أخيار، *الشيخ ماء العينين، علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوربي*، ج 2، ص 610، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي.

محمد الظريف

مجـاط : قبيلة عريقة تنسب إلى رجل يدعى "الـگرَن" يوجد مزاره بمنطقة الشبيكة جنوب الطنطان، وهو ينحدر من قبيلة مجاط المتمركزة بالأطلس الصغير بسوس، ومنهم فرع آخر نزح قديما إبان قيام دولة السعديين إلى حوز مراكش، كما توجد منهم فرقة أخرى بضواحي مدينة مكناس. ويشير الباحث المختار ولد حامد إلى وجود مجموعة أخرى منهم في جنوب موريتانيا تنسب إلى القبائل ذات الشوكة المنحدرة من المرابطين. ومجاط الموجودون بالصحراء يتمركزون مجاليا ما بين واد الشبيكة شمالا والطرفاية جنوبا، وقد عرفوا بممارسة الصيد البحري على طول ذلك الشاطئ عند مصب واد الشبيكة ورأس أخفنير ومنطقة محمية النعيلة وسبخة تازغة وطارف تكرط. كما حملوا السلاح ومارسوا رعي المواشي، خاصة الأغنام، ويعدون من حلفاء الزركيين القبيلة المحاربة المجاورة لهم ذات الشمال وذات الجنوب. ويتوزعون إلى أربعة فخذات هي لكرونة والبيظ وأهل محمد بن إبراهيم ثم أهل علي بن سالم. واليوم تراجع الصيد البحري عند قبيلة مجاط، حيث التحق العديد منهم بالمدن الحديثة وأصبحوا يتعاطون للمهن الحرة والوظائف الحكومية، وبالتالي نزحوا في اتجاه مراكز أخفنير والطنطان الشاطئ ومدن العيون والطرفاية وبوجدور.

المختار بن حامد، حياة موريتانيا : الجغرافيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992 ؛ بشر أحمد حيدرة، الصليب المقدس في البحر الصغير، مطابع أمبريال، الرباط، 1998 ؛ محمد دحمان، الترحال والاستقرار بمنطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب، مطبعة كوثر، الرباط، 2006.

Jose Enrique, del Barrio, *Tribus del Sahara*, Aiun, 1973 ; Tony Hodges, *Historical Dictionary of Western Sahara*, London, 1982.

محمد دحمان

المجلس الملكي الاستشاري للشؤون الصحراوية، Conseil Royal Consultatif pour les Affaires Sahariennes، Corcas، تم تأسيسه بموجب الخطاب الملكي الذي ألقاه الملك محمد السادس بمدينة العيون يوم 25 مــارس 2006، وبناء علــى الظهيــر الشريف المحــدث له تحــت رقم 1.06.81، الصادر في 24 من صفر 1427 (25 مارس 2006). ,

يتألف علاوة عن الرئيس، من أعضاء (حسب الظهير الشريف رقم 1.06.82 الصادر في 24 من صفر 1427 -25 مارس 2006- الخاص بالأعضاء) يتمتعون بالصفة التداولية ويعينهم جلالة الملك لأربع سنوات، يتم اختيارهم من بين البرلمانيين ورؤساء المجالس الجهوية ورؤساء المجالس الإقليمية ورؤساء الغرف المهنية. كما يتألف من الأعضاء المنتخبين من طرف القبائل، وشيوخ القبائل، والناشطين في إطار جمعيات المجتمع المدني والمنظمات الشبابية بالأقاليم الجنوبية، وممثلي المواطنين المنحدرين من الأقاليم الجنوبية المقيمين بالخارج وممثلي المحتجزين بتندوف، وممثلي الفاعلين والمنظمات السوسيو اقتصادية وشخصيات أخرى مشهود لها بالكفاءة والنزاهة. ويضم كذلك المجلس ضمن أعضائه بصفة استشارية كل من السلطات الحكومية المكلفة بالداخلية والشؤون الخارجية والتعاون أو من يمثلهما، وولاة وعمال الأقاليم الجنوبية، ومدير وكالة الإنعاش والتنمية الاقتصادية والاجتماعية لعمالات وأقاليم جنوب المملكة ومديري المراكز الجهوية للاستثمار بهذه الأقاليم.

ويجتمع المجلس مرتين في السنة على الأقل وكلما دعت الحاجة إلى ذلك بدعوة يوجهها رئيسه تنفيذا لأمر صادر من جلالة الملك، ويجوز للرئيس بعد استشارة مكتب المجلس أن يعهد إلى بعض الأعضاء بتكوين مجموعات عمل ولجان متخصصة ولجان خاصة تتولى

دراسة قضايا معينة وترفع إلى المجلس ما تراه مفيدا من التوصيات في شأنها.

ويساعد رئيس المجلس مكتب مكون من تسعة نواب، علما بأن الرئيس هو الناطق الرسمي باسم المجلس والمخاطب الرسمي للسلطات العمومية الوطنية وللمنظمات والهيئات الدولية.

ويتولى أمانة المجلس أمين عام يعينه جلالة الملك من بين أعضاء المجلس أو من خارجه. وتعتبر عضوية المجلس تطوعية، بيد أنه تصرف لأعضائه تعويضات عن المهام التي ينيطها المجلس بهم.

وترصد للمجلس ميزانية تخصص لتغطية مصاريف تسييره وتسجل الاعتمادات المخصصة لها ضمن ميزانية البلاط الملكي. ويتولى المجلس وضع مشروع نظام داخلي تتم المصادقة عليه من قبل جلالة الملك. ويحدد النظام الداخلي الهياكل الإدارية والمالية للمجلس وكيفيات تسييره وممارسته لاختصاصاته وعقد اجتماعاته ومداولاته. ويمارس المجلس عددا من الصلاحيات تتمثل في إبداء الرأي في ما يستشيره فيه جلالة الملك من قضايا عامة أو خاصة ذات الصلة بالدفاع عن الوحدة الترابية والوحدة الوطنية للمملكة وبالتنمية البشرية والاقتصادية والاجتماعية المندمجة للأقاليم الجنوبية للقيام بأية مهمة تناط به ارتباطا بالمجالات السالفة الذكر. كما يتولى إنجاز المهام التي تسند له من طرف جلالة الملك في القضايا السالفة الذكر، ويرفع اقتراحاته إلى جلالته بخصوص المبادرات والمشاريع والتدابير المتعلقة بعـودة واندمـاج جميع المغاربـة المنحدرين من الأقاليم الجنوبية، والدفـاع عن الوحدة الترابية والوحدة الوطنية وتقوية التضامن الوطني سواء بالأقاليم الجنوبية أو باقي جهـات المملكة، وضمان التنمية البشرية والاقتصادية والاجتماعية لتلك الأقاليم الجنوبية بتنسيق مع جميع الهيآت الوطنية والمحلية من القطاع العام أو الخاص.

ويرفع المجلس كذلك اقتراحات إلى جلالة الملك في ما يتعلق بالتدابير الكفيلة بصيانة وإنعاش الإرث الثقافي والفني واللغوي (الحساني)، وكذا التدابير الخاصة الكفيلة بضمان مستقبل واعد للشباب عبر إنعاش التربية والتكوين والتشغيل والتعبير عن طموحاتهم وقدراتهم في بيئة تسودها الدينامية والتضامن على المستوى المحلي والوطني، والنهوض بوضعية المرأة وإدماجها في جميع المجالات، والتدابير التي من شأنها تعزيز المبادئ والقواعد ذات الصلة بحقوق الإنسان طبقا للتشريع الجاري به العمل، والمشاركة بتنسيق مع السلطات المختصة في أشغال واجتماع الهيئات والمنظمات الدولية المرتبطة بقضية الوحدة الترابية أو بالتنمية التي تعرفها الأقاليم الجنوبية. وفضلا عن ذلك يرفع المجلس تقريرا سنويا لجلالة الملك عن حصيلة وآفاق عمله.

وتتكون التركيبة الحالية للمجلس من 141 عضوا (127 ذكوراً) (14 إناث) ذات مصداقية وتمثيلية وفعالية، منفتحة على مختلف المكونات الاجتماعية والفعاليات السياسية والاقتصادية والجمعوية.

وتنقسم مهام المجلس إلى ثلاث نقط أساسية، هي :

1- الدفاع عن مغربية الصحراء.

2- المساهمة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية بالأقاليم الجنوبية.

3- صيانة خصوصياتها الثقافية في نطاق الهوية الوطنية الموحدة الغنية بتعدد روافدها.

وقد تم تمكين المجلس من صلاحيات واسعة للنهوض بهذه المهام :

* مهمة استشارية : إبـداء الرأي في القضايا الكبـرى التي يستشيـره فيها جلالة الملك، وإنجـاز المهام المسندة إليــه.

* قوة اقتراحية :

- النهوض بأوضاع الشباب والمرأة والتعبير عن طموحاتهم عبر إنعاش التربية والتكوين والتشغيل.

- تقوية التضامن الجهوي والوطني وتعزيز حقوق الإنسان في نطاق سيادة القانون وكذا صيانة الخصوصيات الثقافية للمنطقة.

- العمل على عودة واندماج المغاربة المحتجزين بتيندوف.

- التعريف بعدالة قضية الوحدة الترابية للمملكة في نطاق دبلوماسية موازية فاعلة.

- رفع تقرير سنوي عن حصيلة وآفاق عمل المجلس.

* استقلالية المجلس :

- تبوئه مكانة متميزة باعتباره مؤسسة ملكية استشارية محدثة إلى جانب جلالة الملك.

- تخول الصفة التداولية لأعضائه، وتخول ممثلي السلطات الحكومية والإدارية الاضطلاع بدور استشاري.

- الحرص على قيام المجلس بعمله في إطار التنسيق مع السلطات المختصة وتمكينه من إشراك كل شخصية مؤهلة لمساعدته على تحقيق أهدافه.

- ضمان الاستقلال المالي عبر إدراج الاعتمادات المخصصة له في ميزانية البلاط الملكي، واستقلاله الإداري من خلال تمكينه من صلاحيات وضع نظامه الداخلي وتكوين وانتخاب مختلف أجهزته.

- توفره بجانب الرئيس على مكتب يضم تسعة نواب للرئيس منتخبين مما يجعل منه مؤسسة تمثيلية تشمل مختلف التيارات.

فالمجلس الملكي الاستشاري للشؤون الصحراوية، أسس ليكون لبنة أساسية في صرح التنمية الاجتماعية والاقتصادية بالأقاليم الجنوبية، وسندا اقتراحيا واستشاريا في مساعدة جلالة الملك في جميع القضايا المتعلقة بالدفاع عن الوحدة الترابية للمملكة، وتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية للأقاليم الجنوبية وصيانة هويتها وخصوصيتها الثقافية.

الظهير الشريف المحدث للمجلس الملكي الاستشاري للشؤون الصحراوية تحت رقم 1.06.81 الصادر في 24 من صفر 1427 / (25 مارس 2006) ؛ الظهير الشريف المتعلق بأعضاء المجلس الملكي الاستشاري للشؤون *الصحراوية تحت* رقم 1.06.82

الصادر في 24 من صفر 1427 (25 مارس 2006) ؛ *الجريدة الرسمية للمملكة - النشرة العامة -*، عدد 5409 *الصادرة بتاريخ 4 ربيع الأول 1427 الموافق ل 3 أبريل 2006* ؛ الموقع الإلكتروني للمجلس الملكي الاستشاري للشؤون الصحراوية : http//www.corcas.com

مولاي إدريس شداد

المجلسي، أحمد حبيب الله، هو محمد عبد الله بن حبيب الله بن محمد بن محمد سالم المجلسي، لكنه اشتهر بحي الله أحمد حبيب الله بن أبوه. ولد سنة 1924 بصحراء تيرس بإقليم آوسرد، دخل إلى الدرس منذ نعومة أظافره في محاضر أهل محمد بن محمد سالم، وساعده على التفوق الدراسي جو علمي فريد وذاكرة متفتقة وبيت علم عاش فيه بين أم عالمة جليلة وأب عالم كذلك، حيث أن والدته هند بنت عبد الله بن محمد بن محمد سالم تعتبر من أول الرائدات في المحضرة السالمية. وقد بدأ أول رحلته العلمية بالقرآن الكريم فحفظ كتاب الله وهو ابن سبع سنوات، ثم بعثه والده إلى مدرسة (محضرة) الشيخ عبد اللطيف عتيه بن محمد البخاري بن ديداه من أهل الحاج المختار، وأكمل عليه دراسة القواعد في التجويد والرسم. ثم عاد لمحضرة والده وأخذ في دراسة اللغة والنحو، وآنذاك توفي والده، وتولى أخوه ووالدته تعليمه، فأكمل على والدته المتون وعلوم اللغة ثم بعد ذلك انتقل إلى محضرة خاله عبد القادر بن عبد الله بن محمد بن محمد سالم وبدأ عليه دراسة التوحيد (العقيدة الأشعرية) حتى صار إماما في علم الكلام، فأجلسه خاله لتعليم تلامذته، لكن همته كانت أعلى من ذلك فحدت به إلى الانتقال إلى محضرة "أهل عبد الودود" (عدود) حيث بدأ بتعلم النحو والتوسع فيه ثم بعد ذلك كتب الفقه المالكي الذي كان ضليعا فيه.

وقد تأثر وضعه ووضع مدرسته بالاستعمار، حيث حارب هذا الأخير التعليم الديني. الشيء الذي جعل حبيب الله يناصر حركة جيش التحرير انطلاقا من سنة 1956 إلى غاية عملية إيكفيون فبراير 1958، ولما استتب الأمر من جديد للقوة الاستعمارية، ظل هذا الشيخ يمارس المقاومة الثقافية عن طريق التدريس والفتاوى، إلى غاية سنة 1974، حيث تم تنصيبه قاضيا لمدينة الداخلة، ولم يزل كذلك إلى أن تم استرجاع إقليم وادي الذهب إلى حظيرة الوطن فكان من أول الوافدين بالمناسبة بتاريخ 14 غشت 1979، حيث قدم بيعة قبائل إقليم وادي الذهب بين يدي جلالة الملك الراحل الحسن الثاني، خطا وقراءة. وفي تاريخ 23 شتنبر سنة 1979 عيِّن وكيلا للملك بظهير شريف بالمحكمة الابتدائية بوادي الذهب. وفي سنة 1982 عيِّن عضوا بالمجلس الملكي الاستشاري للاقاليم الصحراوية، ثم عضوا بالمجلس العلمي الخاص بالأقاليم الصحراوية، وفي سنة 1983 انتدب لرئاسة المحكمة الابتدائية بمدينة السمارة، وفي سنة 1986 عين مستشارا بمحكمة الاستئناف بالعيون. وفي سنة 2004 عينه جلالة الملك محمد السادس عضوا بالمجلس العلمي الأعلى. ترك هذا الفقيه - القاضي مجموعة من التآليف المخطوطة من أهمها : معجزة مولد الرسول (ص)، مجموعات من الأنظام الفقهية وشوارد الأحكام، ديوان شعري، تأليف في الصلاة على النبي (ص).

توفي يوم السبت 18 صفر 1430 يوم 14 فبراير 2009، وتم دفنه في اليوم التالي بمقبرة خط الرحمة بعيون الساقية الحمراء.

مقابلة مع الأستاذ محمد الجيلاني لعبد، صيف، 2009 بالداخلة ؛ *مقابلة مع محمد لمين قاري*، ربيع سنة 2009 بعيون الساقية الحمراء ؛ تأليف جماعي، رثاء *وجيز لفقيد عزيز*، مرقون، حوزة عائلة الشيخ بالعيون.

محمد دحمان

المجلسي، عبد القادر بن **محمد** بن محمد سالم : هو عبد القادر بن محمد بن محمد سالم بن محمد سعيد بن بوسيدي عالم جليل، مؤلف صاحب تصانيف، وشيخ محضرة علمية ذات إشعاع علمي كبير، تربى في أسرة علمية، فأبوه هو العالم الجليل الشيخ محمد بن محمد سالم، وأمه هي فاطمتو (أمتو) بنت الشيخ محمد بن سيدي محمد التشيتي السباعي.

كان والده يقول : "عبد القادر سيل يكفح". وقد ساهم إلى جانب أبيه في إرساء أسس المحضرة السالمية الشهيرة. من أهم تصانيفه : قرة العينين في شرح غزوات البدوي، ثمان الدرر في هتك أسرار المختصر، شرح إضاءة المقري، شرح عقود الجمان للسيوطي، منظومة الفائق البديع، المباحث الجليلة في تحرير مقاصد الوسيلة، نزهة الأفكار (شرح قرة الأبصار)، الواضح المبين (نظم وشرحه في التوحيد)، العقيدة الصغرى، العقيدة الكبرى، المشرب الروي في الرد عن الجانب النبوي، شرح تكميل المنهج لميارة.

توفي سنة 1337.

المختار ولد حامد، *الحياة الثقافية*، نشر الدار العربية للكتاب، ط : 1، طرابلس، ليبيا، 1990 ؛ محمد عبد الله ولد بزيد، معجم *المؤلفين في القطر الشنقيطي*، منشورات سعيدان للطباعة والنشر، تونس، 1996.

عبد العزيز ابن الطالب موسى

المجلسي، لعبدَّ بن **محمد الأمين** بن عبد القادر بن محمد بن محمد سالم، ولد سنة 1939 ببادية تيرس بإقليم آوسرد، وأمه هي دنبت بنت أبوه محمد عبد الله بن حبيب الله، تلقى دراسته الأولى على يد والده وجدته لأمه، فحفظ القرآن عند متم سنه العاشرة، وتابع دراسة الفقه واللغة العربية في محضرة آل محمد سالم المشهورة بالصحراء، حيث استكمل الفقه والنحو والتوحيد في تلك المدرسة المتنقلة، وكان شغوفا بالمذهب المالكي وبالعقيدة الأشعرية والبحث في عويص اللغة.

وله في ذلك مجموعة من القصائد والنقل والرسائل وله الكثير من القصائد الشعرية العصماء. اشتغل بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي رئيسا لقسم المخطوطات ما بين سنتي 1973 و1975. وخلال هذه السنة عاد إلى المغرب حيث حظي بمصادقة الأمير الجليل مولاي عبد الله أخ الملك الحسن الثاني، فقربه جدا وأحسن قربه، وفي

سنة 1976 أصبح إمام الخمس بالمسجد الكبير بمدينة العيون، بعدها صار خطيب الجمعة ثم عضواً برابطة علماء المغرب خلال سنتي 1977 و1978. كما كان من الذين عملوا على عـودة إقليم وادي الذهب إلى الوطن سنة 1979. وعلى إثـر ذلك عين أول رئيس للمحكمة الابتدائية بوادي الذهب بتاريـخ 24 أكتوبر 1979، وفي سنة 1982 انتدبته المملكة المغربية كأحد قاضيين شرعيين لدولة الكويت.

ترك مجموعة من الآثار العلمية، من أهمها : (السلم المهـذب في تاريخ ملوك المغرب ـ مخطوط)، (نظم على الإمام الرسموكي في الفقه)، (نقلـة حـول المعاملات البنكية وأحكامهـا)، (نقلـة في جـواز السمـاع)، (نقلة في وجـوب استعمال الأسنـان الاصطناعية حفاظـا على القـراءة)...

توفي عائدا من الكويت في غـرة يوم عيـد الفطر سنة 1983، حيث ووري جثمانه الثرى بمدينة عيون الساقية الحمراء.

محمد الجيلاني، *أعلام من الصحراء المغربية*، مطبعة بنسي، الداخلة، 2002 ؛ محمد الجيلاني لعبد، *بطاقة تعريفية عن الأستاذ الفقيه الشيخ الجيلاني* لعبد مرقون في حوزة مؤلفه، الداخلة ؛ *مقابلة* مع أحمد محمود بن محمد جمال المجلسي بانواكشوط، صيف، 2009 ؛ *مقابلة* مع السيد عبد القادر المجلسي بانواكشوط، صيف، 2009 ؛ محمد دحمان، الزاوية والممارسة التعليمية، دراسة حالة "المحظرة" السالمية في الجنوب المغربي وموريتانيا، ضمن كتاب : *الطرق الصوفية الإفريقية*، معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 2004، ص. 25 - 47.

محمد دحمان

المحاميد، اسم قبيلة عربية استقرت بالمنطقة المسماة واحة المحاميد الآن بإقليم زاگورة، فأسسوا بها قصرا لازال إلى الآن يحمل نفس الاسم، فكانت قبيلة قوية بسطت سلطتها على عموم المنطقة من المكان المسمى الركابي شمـالا إلى الضبيعية جنوبا، ولغلبة هذه القبيلـة وسيادتهـا على كافـة هـذا المجال، أطلق اسم المحاميد على الواحـة بأسرهـا، فسميت بذلك، وحتى المركز المعـروف حاليا والذي أسس بعد دخول المستعمر يعرف الآن بالمحاميد وهو جماعة قروية تابعة إداريا لإقليم زاگـورة.

تحريات ميدانية.

أحمد شيخي

المحضرة البيضانية، تعتبر الحركة المرابطية المؤسس الفعلي لأول نواة فكرية بمجال البيضان والتي تجسدت في ظهور المحاضر العلمية بمختلف المدن التاريخية، هاته النواة الفكرية التي تطورت فيما بعد في انتشار العلوم الشرعية واللغوية والأدبية، وخاصة إبان القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، فماذا نعني بالمحاضر العلمية ؟ وما هي خصائصها ومرتكزاتها ؟ وما ظروفها التعليمية ؟

عرف الخليل النحوي المحضرة بكونها "جامعة شعبية، بدوية متنقلة تلقينية، فردية التعليم، طواعية الممارسة موسوعية الفنون"، كما يقصد بالمحضرة أو المحظرة، محظرة من الاحتظار، أو محضرة من الحضور أو المحاضرة، فقد قال الباحث محمد محفوظ أنها (المحضرة) تعني حيّا من الأحياء البدوية يعلن فيها أحد العلماء المشهورين بالعلم أو بحفظ القرآن استعداده لتعليم العلم أو لتحفيظ القرآن، لا فرق في ذلك بين الأحياء البدوية المتنقلة على مدار السنة أو تلك المتنقلة ببطء، أو التي تقيم في الأرياف والقرى. ويقول أحمد بن حميد في المحظرة من الناحية اللغوية، لا يستبعد أن يكون اسمها مأخوذا من الحظيرة وما يحوز به على المال، بينما يرى محمد سالم بن عبد الودود أنها ضادية فهي مكان للحضور، فمن أهم المحاضر / المدارس العلمية، التي عرفهـا مجـال البيضان نذكر أسريـر أو ما كان يصطلح عليه قديما بنول لمطـة، التي شهدت حركة فكرية مهمـة خلال القـرن الحادي عشر الهجري، تحدث عنها محمد المختار السوسي، في كتابه *سوس العالمة*، مبينا مكانـة أسرة الولـي الصالح سيدي محمد بن عمـرو الأسريـري الذي بنى مدرستـه بمسانـدة قبيلة أزوافيط، حيث بلغت هذه المدرسة شأنا عظيما في ميدان المعرفة.

وبجانب هذه المحضرة تعتبر مدرسة آسا الدينية والعلمية أقدم المدارس العلمية بالصحراء، والتي يعود تأسيسها إلى الولي الصالح محمد يعزى ويهدى الذي ترجم له المختار السوسي. والشيء نفسه يقال عن محضرة الشيخ محمد المختار بن الأعمش الجكني بتندوف التي بنى بها مسجدا ودورا سكنية، والتي تحدث عنها صاحب *المعسول*، حيث درس على يد محمد المختار محمد بن التلاميذ التركزي صحيح البخاري، وزاره بهذه المحضرة الشيخ ماء العينين، وجلس بهذا الجامع لإلقاء الدروس، هذه المدينة التي بناها أهل تجكانت أشار إلى ذلك محمد لمختار بن الأعمش تلميذ الشيخ المختار الكنتي وذلك عام 1270 (*المعسول*، ج 18 : 159) وتلقى محمد المختار ظهائر توقير واحترام من السلطان المولى الحسن الأول، منها ظهير شريف بتاريخ 24 شعبان عام 1303 / 1885، عينه قاضيا في قبيلته. (*من أعلام الصحراء*، 79) وبحاضرة السمارة كانت محضرة الشيخ ماء العينين على موعد مع التاريخ إذ شاع بها العلم فقصدها عدد كبير من الطلبة.

وبمنطقة تيرس نجد محضرة أهل بارك الله لمؤسسها الشيخ محمد المامي، التي اهتمت بالدراسات الفقهية فقد كان لها صيت معروف في قبائل أولاد ادليم وأولاد اللب وأهل بارك الله، ومن خصائصها الموسوعية والشمولية التي تتمثل في تعدد المعارف والعلوم. وبجانب محضرة أهل بارك الله، هناك محضرة محمد بن محمد سالم المجلسي، التي تميزت بالدراسات الفقهية داخل المجتمع البيضاني، وعملت على التواصل الفكري والروحي ما بين المغرب الأقصى ومجال البيضان، هذه المحضرة التي احتضنت سجالات فقهية بين الشيخ محمد المامي ومحمد بن محمد سالم المجلسي، وأيضا بين الشيخ ماء العينين والفقيه عبد القادر بن محمد بن محمد المجلسي،

إلى جانب سجالات عقائدية بين تلامذة المجيدري وتلامذة المختار بن بونا الجكني.

وشاع في منطقة القبلة كثرة المحاضر العلمية التي أفاض واستفاض كل من المختار ولد حامد في كتابه *الحياة الثقافية بموريطانيا*، والباحث الخليل النحوي في كتابه *بلاد شنقيط المنارة والرباط* حديثا عن محاضرها. وما هي خصائصها ؟ وكيف هي ظروف التعليم بها ؟

تقدم المحضرة للطالب مختلف العلوم والمعارف الإسلامية، مثل القرآن الذي يعتبر الدرس الأول الذي يبدأ به التلميذ مشواره الدراسي، فأغلب المحاضر ركزت في تلقينها للمعارف البدء أولا بتدريس القرآن الكريم وتحفيظه للتلاميذ، والنساء هن أكثر من يتولى تدريس القرآن للأطفال في سن مبكرة إلى جانب حروف الهجاء. وتأتي باقي العلوم في المرتبة الثانية بعد كتاب الله العزيز، كالحديث والعقيدة والفقه والسيرة والتاريخ والأنساب، إلى جانب الأدب والصرف والعروض والوافي والبلاغة والمنطق وأسرار الحروف والحساب والهندسة والجغرافيا والفلك والطب.

وضدا على الأطروحات القائلة بازدهار الثقافة ومختلف العلوم بالحواضر والمدارس المدنية في ظل حياة الإستقرار، يذهب دوود ولد عبد الله إلى أن العلم والثقافة في مجال البيضان، سطع نجمهما بالبادية مما رسخ الحياة الفكرية أكثر بالمحضرة. ويتجلى الدور القيادي للمحضرة أساسا في جميع شؤون الحياة بالنسبة للمناطق البدوية، إذ كانت مهمتها تتمثل في تلقين العلم وبث المعارف. ويستغرب محمد المختار بن أباه من نظام التعليم المحضري البدوي بقوله : "من الصعب على من لم يرى المحاضر أن يتصورها، ذلك أن البداوة تقترن في الذهن بالغباوة والجهل فالثقافة جزء من الحضارة، ومراكز العلم والتدريس تقترن غالبا بالمعاهد والجامعات المشيدة التي اتصلت شهرتها بشهرة المدن التي تحتضنها، غير أن المحاضر فريدة من نوعها، ففي بعض أحياء البدو الذين ينتجعون المراعي متنقلين من ضفاف نهر السنغال إلى الساقية الحمراء تصادف شيخا كسائر البداة متقشفا في ملبسه ومظهره لا يمتاز بشيء عن سكان الحي سوى مجموعة من الشبان تلتف حوله، يقل عددها ويكثر حسب الأزمنة تقيم تحت الشجر وفي أعرشة من خشب وثمام وحشائش تقوضها بنائها كلما ارتحل الشيخ".

ورغم المعاناة التي يجدها طلاب المحاضر في تلقيهم للعلم لم يثنهم ذلك عن التعلم، فالكل يسعى إلى بذل المجهود من جهته لإغناء المحاضر والرقي بمستواها التعليمي، وإن كانت في ظروف لا تسمح بالصمود والمكابدة، فالترحل ديدن هؤلاء القوم والسهر لطلب العلم شعارهم أينما حلوا وارتحلوا، غير مبالين بالزمان والمكان ما دام العلم متاعا وعاؤه الصدر ووسائل طلبه وتلقيه بسيطة (اللوح والقلم)، وبذلك استطاعت المحاضر البدوية أن ترقى بالتعليم، وتعد أجيالا من الطلبة والعلماء لهم باع في العلم.

ومن مزايا التعليم المحضري أن الدراسة تكون جماعية تقدم في حلقة مفتوحة يحضرها من شاء من الطلبة وغيرهم، ويعطي الشيخ ما في جعبته من العلم بدون مقابل يذكر اللهم بعض الهدايا والهبات من لدن المحسنين الغيورين على نشر العلم، وبذلك يتسنى للطالب الموسر والمعسر على السواء الاستفادة من دروس الشيخ وعلومه. وله الحرية الكاملة في الحضور للدراسة في هذه المحضرة أو تلك، والنهل من هذا الفن أو ذاك، لا تطبق في حقه ضوابط الغياب أو ما إلى ذلك، وإنما تترك له الحرية الكاملة في اختيار الشيخ الذي يريده والزمكان الذي يفضل فيه الدراسة، فالمحضرة تربى فيه الإحساس بالمسؤولية.

وتبقى الملامح الثقافية البيضانية لاسيما العلمية والفكرية منها وليدة القرن العاشر الهجري وما تلاه من قرون، حيث ظهرت مؤلفات أحمد بابا التمبكتي *كنيل الإبتهاج وكفاية المحتاج* ثم كتاب *تاريخ الفتاش* لمحمد كعت وتاريخ السودان لعبد الرحمان السعدي *وفتح الشكور في أعيان علماء التكرور* للولاتي، وغيرها من المؤلفات التي أبانت عن مستوى فكري بيضاني لا بأس به من خلال الصورة الفكرية والعلمية، التي قدمتها هذه المصادر عن واقع الحياة الفكرية من خلال تراجم عدد من العلماء الذين تبحروا في الثقافة العربية الإسلامية.

ومن عجيب الثقافة المحضرية خاصية الحفظ والاستظهار، مقتدين بنماذج من العلماء الحفاظ الكبار ومستأنسين بقول أبي عمر الداني، ما رأيت شيئا إلا كتبته وما كتبت شيئا إلا حفظته وما حفظته فنسيته. كما وجد البيضان في الحفاظ المغاربة مثالا حيا يقتدى به في التمرن على الحفظ والاستظهار من قبيل الشيخ أحمد المرجولي، الذي حفظ المدونة عن ظهر قلب والشيخ إسحاق بن يعمر الغماري وأبي القاسم السيوري، الذي أملاها من حفظه لما فقدت من القيروان، وأيضا عبد الله بن عيسى التادلي وغيرهم، وبذلك عرف العلماء في شنقيط وغيرها من المناطق البيضانية ظاهرة الحفظ والاستظهار، لعوامل عدة منها قلة القرطاس وانعدام دور النشر لظروف البادية القاسية حالهم مثل العرب في صدر الإسلام، إلى جانب الخوف على المخطوطات من الضياع والأرضة وعوامل الطبيعة كالرياح والأمطار والحروب. هكذا خرجت المحضرة البيضانية أجيالا من العلماء تميزوا بقوة حافظتهم وذاكرتهم، حيث استوعبوا الدين والثقافة العربية الإسلامية التي تمكنوا من مواكبتها، حتى أمكن القول بأن المحضرة البيضانية التقليدية مارست الهم المعرفي في أخذ وعطاء درسا وتدريسا، وسجل علماؤها دورهم البارز في المشرق والمغرب، حيث جالسوا العلماء وجلسوا للتدريس هناك. وألفوا الكتب واشتروها، وحتى لا تضيع هذه الكتب عمد العلماء إلى تجليد كتبهم لحمايتها من التلف ومن ظروف البداوة القاسية.

ولابد من الإشارة إلى أن منابع العلم وروافده بالمحضرة البيضانية، تتجلى في ثلاث روافد أساسية

هي الرافد المغربي الأندلسي والرافد المصري ثم الرافد الحجازي، إلا أن الرافد المغربي كان أكثر هذه الروافد غنى وإشعاعا، فقد أعتمد علماء المنطقة في العقيدة الأشعرية على مؤلفات مغربية محضة، خاصة مؤلفات عبد الواحد بن أحمد بن عاشر الفاسي، وأبي العباس أحمد بن محمد المقري والقاضي عياض وغيرهم من الأعلام المغاربة الأوائل.

إلى جانب الرافد المغربي الذي استفادت منه المحضرة البيضانية أيما استفادة في تطوير مقرراتها الدراسية، لا ننسى دور الرافد الحجازي كلبنة من لبنات البناء الثقافي والإشعاع العلمي، فقد كان الحج مناسبة دينية عظيمة يلتقي فيها العلماء من كل حدب وصوب، ومكانا تعرض فيه العلوم المختلفة وتكثر به المناظرات العلمية وتطرح الإشكالات الفقهية ويتم النظر فيها، فهو بمثابة سوق رائجة لمن أراد أن يتزود من العلم والدين. وبهذا "مكن التفاعل الدائم بين المركز والأطراف لاسيما في موسم الحج، من الحفاظ على بقاء ووحدة الفضاء الثقافي العربي الإسلامي.

وبالمحضرة شاع التأليف، حيث ألف العلماء في مختلف الفنون العلمية، كالنحو والصرف والأدب والعروض، ثم في التاريخ والرحلات مثل ابن اطوير الجنة ومحمد يحيى الولاتي... هذا فضلا عن الجغرافيا والسيرة والأنساب والجدل، والتصوف والطب والحساب والفلك. والغالب عليهم نسخ الكتب وإعادة كتابتها، ومنهم من أعطى العنان لفكره وقلمه لتحرير ما في صدره من العلوم والمعارف من تفسير أو تعليم أو شرح أو نظم أو نحو ذلك من الفنون رغم قلة القرطاس. وتناولت بعض هذه المؤلفات القضايا الفقهية والفتاوى والنوازل التي كانت تراعي النسبية وخصوصية فقه المجتمع البدوي، ومثال ذلك كتاب *البادية* للشيخ محمد المامي *والكفاف في فقه البادية* لمحمد مولود، كما تناولوا القضايا العقائدية كالعلاقة بين حدود العقل والنقل عند المختار بن بونه، والمجيدري وبين العقل والتصوف عند ابن بونه والشيخ سيدي المختار الكنتي. وقد جاءت كتابات وفتاوي محمد المامي وغيره من علماء عصره فريدة من نوعها حين تجاوزت المألوف المعتمد على النقل من اجتهادات السابقين من أسلافهم أو من علماء الغرب الإسلامي. حيث جاءت اجتهاداتهم أساسا لتكييف النص الشرعي مع الواقع المعيش وتفاعلاته المتغيرة بما يتلاءم ومقاصد الشريعة ومصالح العباد والبلاد. وظل الشعر أحد سمات التطور الفكري البيضاني الذي بلغ أوجه خلال القرن الثالث عشر الهجري حين احتل مكانة مرموقة في السلم المعرفي إنتاجا فنيا قائم الذات مستقل الخصائص، فكان السلاح الحاسم في الصراعات الفكرية، بل إن الشعر صار فنا للقبائل الزاوية حيث قال المختار ولد حامد "أنه يوجد في كل أو جل الزوايا شعراء منهم الشاعر بطبعه وقريحته، والشاعر بعلمه وهمته، والشاعر بعروضه ولغته" فكانت بذلك المحضرة مدرسة علمية نموذجية في الصحراء نافست المدارس العلمية العتيقة في الشمال وخرجت أجيالا من العلماء.

محمد المختار السوسي، *المعسول*، مطبعة الشمال الإفريقي، الرباط، 1380 / 1961، ج 18 : 159 ؛ *سوس العالمة*، مطبعة فضالة، المحمدية، 1380 / 1960، ص. 158 ؛ الخليل النحوي، *بلاد شنقيط، المنارة والعلم*، عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة، تونس، 1987، ص. 54 ؛ محمد يوسف، مقلد، *شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون*، منشورات مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، ص. 161 ؛ محمد المختار ولد أباه، *الشعر والشعراء في موريتانيا*، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1987، ص. 9 ؛ محمد الجيلاني لعبد، *أعلام من الصحراء المغربية*، إصدارات زاوية ومحضرة محمد بن سالم وادي الذهب، شارع علال بن عبد الله رقم 154، الداخلة، د. ت، ص. 79 ؛ حماه الله ولد السالم، *حوار المركز والأطراف في الثقافة العربية بلاد شنقيط في الذاكرة العربية العالمة أنموذجا*، إصدارات دائرة الثقافة والإعلام حكومة الشارقة، الطبعة الأولى، 2004، ص. 45 ؛ محمد دحمان، الزاوية والممارسة التعليمية دراسة حالة المحضرة السالمية في الجنوب المغربي وموريتانيا، *أعمال ندوة دولية : الطرق الصوفية الإفريقية أدوار ورهانات جديدة*، م. س، ص. 44 - 45 ؛ السالك ولد محمد المصطفى، فهرسة المخطوطات الموريتانية تجارب وخلاصات، *مجلة الوسيط*، عدد 9، 1426 / 2005، ص. 33.

الحسين حديدي

المحميات الطبيعية بالصحراء، تعد الصحراء من البيئات الحساسة، ذات منظومات ونطاقات وتوازنات هشة، كما أن مواردها وثرواتها الطبيعية جد محدودة وغير متجددة لا في الزمان ولا في المكان، مما يؤهلها للانقراض والزوال، ولهذا كان لزاما على المجتمع الصحراوي والمسؤولين أن يراعوا مسؤوليتهم في حماية هذه البيئة ذات الموارد المحدودة والمهددة بتدخل الإنسان العشوائي عن طريق الاستغلال المفرط واللاعقلاني.

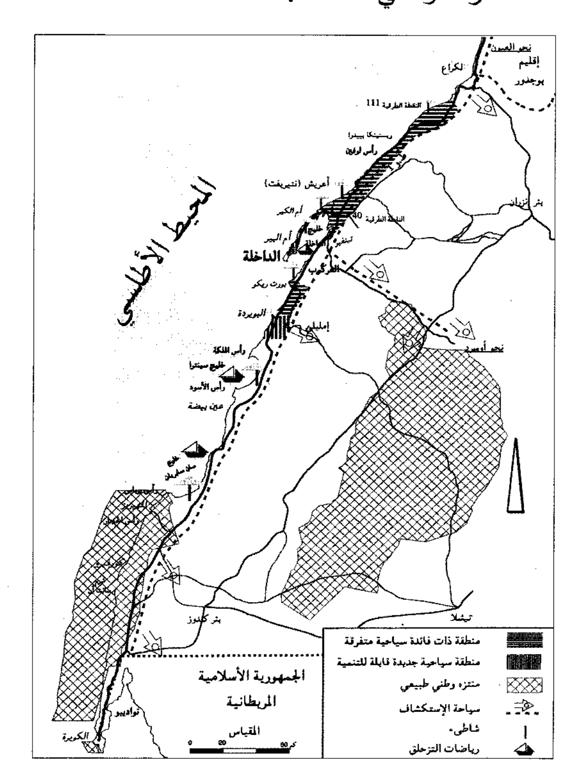
وحرصا على الحفاظ على هذه الثروة الصحراوية للأجيال الحالية والقادمة، اتجهت سياسة الدولة إلى إقامة وبرمجة محميات طبيعية لصيانة وحفاظ هذه البيئة من التدهور. فأهداف هذه المحميات هي :

- حماية الموائل والنظم البيئية بحيث تكون أقرب ما يمكن إلى طبيعتها الفطرية ؛
- صون المصادر الوراثية الحية الطبيعية ؛
- حماية النظم البيئية والعناصر المكونة لها من التدهور ؛
- حماية الأنواع المهددة بالانقراض وإعادة تأهيلها ؛
- حماية الموارد التراثية والتاريخية ؛
- صون العلاقات البيئية الأساسية مع الحفاظ على التشكيلات الجمالية الطبيعية ؛
- توعية الساكنة بأهمية المحافظة على البيئة مع ترسيخ تربية بيئية في وسطهم ؛
- خلق سياحة بيئية إيكولوجيا لضمان موارد للساكنة المحلية ؛
- القيام بالبحث العلمي ومراقبة التغيرات البيئية الحيوية.

لذلك تمت برمجة ثلاث منتزهات وطنية في الجهات الثلاث للصحراء : جهة واد الذهب - لگويرة، جهة

العيون - بوجدور - الساقية الحمراء، وجهة كلميم - السمارة، وهذه المنتزهات هي :

- المنتزه الوطني للداخلة :



يغطي مساحة قدرها 1900000 هكتار، ويضم منطقتين مختلفتين جغرافيا، إحداهما قارية والأخرى ساحلية. فالمنطقة القارية تضم أراضي تيرس الداخلية، "الصافية" بحيث تمتد من أوسرد شمالا إلى تشلا جنوبا، بما فيها أدرار سطوف وعدة سبخات وأودية وأشجار للطلح وكثبان رملية. ففي الماضي، عرف هذا المجال بوفرة وتنوع وحيشه الذي انقرض كليا كالمهاة، وغزال مهر، والنعامة، ولم يبق سوى بعض قطعان غزال السفح والأروي.

أما المنطقة الساحلية الملقبة بأگرگر، أي الجبال الكتلية التي تحادي المحيط، والتي تشكل حاجزا طبيعيا بينها وبين المجال القاري الداخلي. فيمتد المنتزه الساحلي فيها من رأس برباس شمالا إلى لگويرة جنوبا، ويتميز بغنى ثروته السمكية، ويعد من أغنى المجالات البحرية بالمغرب على الإطلاق. وبين الساحل البحري والكتلة الجبلية لأگرگر تتخلله أشكال كثبانية ممتدة، حيث يعيش قطعان الغزال. أما الساحل فيضم أكبر قطيع للفقمة في إفريقيا، وهي من الحيوانات المهددة بالانقراض. كما تعرف المنطقة كذلك توافد طيور مهاجرة من أوروبا في الفصول الباردة، ومن الأنواع التي تعتاد على هذا المجال نجد : النحام الوردي والأبيض Flamant Rose et Blanc، ونورس البحر Goéland d'Audin، والبجع الكبير أو الغاق Le Grand Cormoran، وغيرهم.

- المنتزه الوطني لخنيفيس :

ينعث كذلك بهور النعيلة - خنيفيس، ويغطي مساحة قدرها 185000 هكتار، يقع على الساحل المحيطي ما بين مدينتي طانطان وطرفاية وهو تابع لجماعة أخفنير التابعة لإقليم طرفاية جهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء. وقد صنف ضمن المنتزهات الوطنية ذات فائدة بيلوجية وإيكولوجية سنة 2006. وهذا الموقع البيو- حيوي ثم إحصاءه وتصنيفه كذلك ضمن اتفاقية "رمسار" منذ 1980، وهي اتفاقية دولية تحمي المناطق الرطبة، خاصة التي تستقبل الطيور المهاجرة. ويتكون منتزه خنيفس من نطاق ساحلي بحري، يضم هور النعيلة - خنيفيس ونطاق قاري يضم عدة أشكال تضاريسية كسبخة تاسرة والهضاب الساحلية ونباتات متنوعة من طلح وسدرة وغيرها من النباتات الصحراوية. فهو والنعيلة، يحوي أكثر من 30 نوع من الطحالب البحرية وكذا أنواع هامة من الحيوانات البحرية اللافقرية، التي توفر للطيور المهاجرة مع الأسماك الغذاء الذي تقتات عليه، ولهذا تتجمع بكثرة في هذا الموقع البيو- حيوي وقد يصل عددها في الشهور الباردة إلى ما يفوق 20000 طائر، ومن هذه الطيور نذكر : النحام الوردي والأبيض Flamant، الحذف الرخامي Sarcelle Marbrée من فصيلة البط، أبو ملعقة الأبيض Spatule Blanche، البجع الكبير أو الغاق Le Grand Cormoran، النورس البحري Goéland d'Audouin، والحبار Outarde Oubara، الشهرمان Tadorne de Casarca وهي كذلك من فصيلة البط الوحشي.

كما تحوي المنطقة بقايا أركيولوجية تتمثل في حصن أگويدير، وكذا بعض المواقع لما قبل التاريخ والتي اكتشف فيها عدة أدوات حجرية من السيلكس وبعض بقايا من بيض النعام والحلي المصنوع منها.

- المنتزه الوطني لدرعة السفلى : في طور الدراسة.

يمتد هذا المنتزه على مسافة قدرها 286000 هكتار، ويقع ما بين جبل باني شمالا وجبل وارگزيز جنوبا، ويضم عدة أنواع نباتية وحيوانية، كشجرة الطلح ونباتات البلاتين والطرفاء والسدرة، ومن وحيشه نمر الصحراء النادر والعناق وغزال الجبل والشنصر، وكذا عدد كبير من الزواحف كالورل والضب ولقاعة البقر والصل وحية الأهرام.

وتزخر المنطقة أيضا بحفريات تتجلى في النقوش الصخرية التي يرجع تاريخها إلى أكثر من 3000 سنة قبل الميلاد، تنتمي في الغالب إلى الزمن النيولوتي، وتنتشر في كل من منطقة أوسرد ومجيك بإقليم واد الذهب، وواد العصلي بالسمارة وغيرها من المناطق التي تحتفض على هذا الموروث البشري، الذي يؤرخ للمنطقة في الأزمنة الغابرة، التي شهدت خصوبة الصحراء وامتداد غاباتها وتعدد وحيشها كما تدلنا على ذلك الرسوم الصخرية.

تعد هذه المنتزهات والمحميات الطبيعية أكبر احتياط للموارد الطبيعية والثروات الحيوانية ومختبراً علمياً للباحثين بالنظر وخاصة إلى الحيوانات التي يتم اقتحامها من جديد في هذه البيئة الصحراوية بعد انقراضها، كالنعامة وغزال مهر والمهاة والمها حسامي. ويمكن استغلال هذه المحميات الطبيعية كذلك في النشاط السياحي وخاصة الإيكولوجي منه.

لكن التهديد الذي تشكو منه هذه الطبيعة الصحراوية الهشة هو الاستغلال المفرط والجائر للرعي وخاصة شجر الطلح الذي يتعرض لاستغلال متواصل عن طريق قطعان الإبل والرعاة الذين يقومون باجتثاثه قصد استغلال خشبه في الطهي - كما نسجل التهديد الذي تتعرض إليه الفقمة Phoques Moines التي تعيش في الرأس الأبيض جنوب مدينة الداخلة خاصة من طرف الصيادين وبالضبط قرى الصيد البحري العشوائية التي تتناثر على طول الساحل الجنوبي، وبالتالي تزعج راحة هذه الحيوانات البحرية المهددة بالانقراض. ونسجل تهديدا آخر، جراء الألغام المزروعة على طول الحدود ما بين المغرب والجزائر وموريتانيا من الجهة الشرقية، فهي تقضي سنويا على عدد كبير من الوحيش البري وخاصة الغزال.

مولاي إدريس شداد، السياحة الصحراوية : مؤهلات وآفاق، كتاب *"الصحراء الأطلنتية : المجال والإنسان"*، منشورات وكالة الجنوب بشراكة مع جامعة ابن زهر بأگادير، الطبعة الأولي، مطبعة C.H. Communication، الرباط، 2007 ؛ مولاي إدريس شداد وآخرون، جهة گلميم - السمارة، *ذكرى 12 قرنا في حياة مملكة*، سلسلة تاريخ جهات المغرب، منشورات عكاظ، الرباط، 2009 ؛ أنس عمران وبوشتى الفلاح، البنية ومظاهر السطح بالجنوب المغربي، *مجلة المناهل، عدد 58*، مارس 1998 ؛ مولاي إدريس شداد وآخرون، جهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء، *ذكرى 12 قرنا في حياة مملكة*، سلسلة تاريخ جهات المغرب، منشورات عكاظ، الرباط، 2009 ؛ مولاي إدريس شداد وآخرون، جهة واد الذهب - لگويرة، ذكرى 12 قرنا في حياة مملكة، سلسلة تاريخ جهات المغرب، منشورات عكاظ، الرباط، 2009.

Le Haut Commissariat aux Eaux et Forêts et à la Lutte contre la Désertification, *Les aires protégées du Maroc*, Rabat, sans date ; Cheddad My Driss et autres, *Eléments introductifs – Débat national sur l'aménagement du territoire – Régions Oued Eddahab-Lagouira*, Direction de l'Aménagement du Territoire, Ministère de l'Aménagement du Territoire, de l'Environnement, de l'Urbanisme et de l'Habitat, Rabat, Décembre, 1999 ; Cheddad My Driss, Sahara, Ecosystème fragile, ressources naturelles limitées et engagement de l'Etat pour un aménagement régional exceptionnel et une mise à niveau socio-économique et spatiale ». *Revue Horizons Universiaires* n°3 vol.2, Université Mohammed V – Souissi- Rabat, Novembre, 2006.

مولاي إدريس شداد

مدينا، مانويل أليا (Medina, Manuel Alia) جيولوجي إسباني، يعد هو مكتشف مناجم الفوسفاط بمنطقة بوكراع جنوب شرق مدينة عيون الساقية الحمراء، فقد كان أستاذا لمادة الجيولوجيا بجامعة بلد الوليد Valladolid. وقام بأول زيارة للصحراء في صيف سنة 1943، حيث أخذ عينة من تراب المنطقة إلى مختبر بإسبانيا، ثم أعاد الكرة مرة أخرى سنة 1945، وقام بإجراء بعض التحاليل على عينة من صخور المنطقة وذلك بمساعدة أخيه خوسي مدينا (José Medina)، الذي كان متخصصا في الكيمياء، وقد توصلا إلى أن تلك العينة التي أجريا عليها التجارب، تحتوي على نسبه 25% من الفوسفاط. وفي تاريخ 5 أبريل سنة 1947، رفع تقريرا حول ما توصل إليه إلى الجنرال فرانسيسكو فرانكو. وكانت النتيجة أن بعثه رسميا من جديد إلى المنطقة بمعية أحد الكيميائيين من سيدي إفني، وذلك للقيام بالمزيد من التحريات والدراسات الميدانية والمخبرية. لذلك شيد مختبرا علميا بمدينة العيون، وبسرعة حصل على عينات من تربة المنطقة حيث تجول على امتداد واد الساقية الحمراء، ونحو سبخة أم الضبع، ونحو واد بوكراع، أبانت عن وجود نسبة 50 إلى 60% من مادة الفوسفاط في تلك التربة.

وإبان زيارة الجنرال افرانكو للعيون سنة 1950، قدم له مدينا توضيحا لاكتشافاته. وإثر ذلك تم إنشاء مقاولة عمومية تدعى "أضارو" "Adaro" التي تولت تعميق وتطوير الأبحاث حول مخزون الفوسفاط بالمنطقة.

وقد ترك ما نويل مدينا مجموعة من الكتب والمقالات العلمية حول البنية الجيولوجية لمنطقة الساقية الحمراء، وخصائص صخورها وأوديتها، وأهم تلك الأعمال :

محمد الغربي، *الساقية الحمراء ووادي الذهب*، دار الكتاب، 1975.

Contribucion al conocimiento geomorfologico de las Zonas Centrales del Sahara Español, C.S.I.C.y I.E.A, Madrid, 1949, p. 234 ; El descubrimiento de los fosfatos del Sahara Español, in : *Africa*, N° 97, Madrid, 1950, p. 8 – 10 ; Sobre las variaciones climaticas durante el cuaternero en el Sahara Español, in : *Africa*, N° 168, Madrid, 1955, p. 544 – 546 ; Tony Hodges, *Historical Dictionary of Western Sahara*, London, 1982 ; Julio Caro Baroja. *Estudios Saharianos* C.S.I.C Madrid, 1955 ; *Revista de Africa*, Madrid, Años, 1949, hasta el año, 1955.

محمد دحمان

مركالة (معركة -) وقعت يوم السادس من شهر غشت سنة 1956 على الساعة الحادية عشرة والنصف واستمرت يوما بكامله أظهر فيها مقاوموا جيش التحرير صمودا نادرا وبطولة لا مثيل لها وتمكنوا من تحقيق نصر كبير على قوات الجيش الفرنسي رغم الأسلحة الثقيلة والمتطورة التي استعملها وسلاح الطيران حيث أسقطوا طائرة من طائراته الحربية وغنموا إثنا عشر قطعة من سلاحه المتطور وقتلوا منه سبعا وثمانين جنديا وفر الباقون من هول ما أصابهم وسقط من رجال جيش التحرير في هذه المعركة ثلاثة عشر جريحا ولم يستشهد أحد منهم. وكانت المعركة بقيادة مبارك منار والمرشد آبا الشيخ بن باعلي.

محمد بن سعيد آيت إيدر، *صفحات من ملحمة جيش التحرير بالجنوب المغربي*، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، يونيو، 2001.

ماء العينين النعمة علي

المسدورة (معركة -) معركة دارت رحالها بين قبيلتي اعريب وآيت خباش عقب مقتل سيدي محمد ولد

سيدي خليل سنة 1927 من طرف آيت خباش، ولكن الذي أشعل فتيلها بشكل حقيقي هو المستعمر لكي يمهد التناحر بين القبائل لدخوله وسيطرته على المنطقة. وقد خلفت العديد من القتلى من كلا الطرفين نذكر منهم الوالي ولد سيدي عيسى من اعريب، وموحى نايت احماد من أيت خباش وغيرهم. والمسدورة اسم مكان يوجد قرب قصر أولاد امحيا بواحة المحاميد الغزلان.

تحريات ميدانية.

أحمد شيخي

المسيد (معركة -) وقعت يوم 22 دجنبر سنة 1957 عندما اكتشفت سرية المراقبة التابعة للمقاطعة التاسعة التي كانت تقوم بمهامها في منطقة المسيد "قوات إسبانية ضخمة محملة على ما يزيد من سبعين سيارة مدعمة بالطيران والأسلحة الثقيلة والطويلة المدى تشق طريقها نحو مركز المقاطعة بقيادة الجنرال لويس بيخو. فما كان من رجال جيش التحرير إلا أن كبروا الله وبدأو التمركز في المناطق الاستراتيجية فكانت المواجهة العنيفة التي لم يعرف هؤلاء الرجال مثيلها من قبل ولم يجد العدو مقاومة كالتي وجدها فيهم "وأصبح لا يسمع إلا دوي الرصاص والقذائف تتخللها تكبيراتهم وانقلب ظهر المجن وانتقلوا من الدفاع عن مواقعهم إلى الهجوم على مواقع العدو الذي أصبح يتراجع إلى الوراء أمام بسالتهم رغم مالديه من عتاد وسلاح متطور. وتصاعد دخان سياراته المحروقة وتراجعت جيوشه بمئات الأمتار عن مواقعها الأولى ورجال جيش التحرير يلاحقونها ولم تخمد نار هذه المعركة إلا في الساعة الرابعة بعد الزوال حيث لاذت القوات الإسبانية بالفرار تاركة في الميدان أزيد من 20 قتيلا وست سيارات وعربات محطمة وغنم المجاهدون البواسل من رجال جيش التحرير ست رشاشات ومسدساً من عيار 9 ملم وأكياساً تضم ستة آلاف رصاصة من مختلف العيارات. واستشهد منهم ستة شهداء بعد استماتة يوم بكامله أبانوا فيه عن شجاعة كبيرة وبطولة نادرة وعرف هذا اليوم عند أهل الصحراء ورجالاتها" بيوم لمسيد.

الحاج صالح بنعسو، *أضواء على كفاح المقاطعة التاسعة لجيش التحرير بالصحراء المغربية 1956 / 1960*، المطبعة الوطنية، مراكش، يوليوز، 1987.

ماء العينين النعمة علي

المسيرة الخضراء، منذ حصول استقلال المناطق الخاضعة للحماية الفرنسية بعد مفاوضات دامت من أواخر 1955 إلى بداية 1956 والإسبانية في أبريل 1956 ومدينة طنجة الخاضعة لنظام دولي في أكتوبر 1956، ظل المغرب يطالب باستكمال استقلاله باسترجاع باقي أراضيه التي اقتطعت منه وخضعت للاستعمار أو ضمت إلى الدول المجاورة : إسبانيا والجزائر وموريطانيا في ظروف تاريخية وسياسية ملتبسة. ففي أكتوبر 1956 أثار مندوب المغرب لدى مجلس الوصاية في هيئة الأمم المتحدة قضية السيادة المغربية على المناطق الصحراوية، ولم يكفّ بعد ذلك عن مطالبة إسبانيا باسترجاع مدينتي سبتة ومليلية وتوابعهما من الجزر الصغيرة والصحراء الغربية وسيدي إفني وأراضيه بالصحاري الجنوبية الشرقية : توات، والساورة والدورة وتندوف التي ضمتها السلطات الاستعمارية إلى الجزائر باعتبار أنها ستبقى بها إلى الأبد كأقاليم فرنسا في ما وراء البحر. وقد ترتب عن ذلك مشاكل ومناوشات مع الجزائر بعد استقلالها في حادثة حاسي بيضاء وحاسي الرمل في أكتوبر 1963.

وفي نونبر 1957 قامت مناوشات بين القوات الإسبانية المحتلة لسيدي إفني وبين مجموعة قبلية من آيت باعمران التي قامت بمبادرة للتعجيل باستقلالها وضمها إلى المغرب، أدت إلى مفاوضات بين المغرب وإسبانيا، ترتب عنها استرجاع إقليم طرفاية أبريل 1958. وفي يونيو 1966 طلب المغرب من لجنة تصفية الاستعمار التابعة لهيئة الأمم المتحدة تطبيق مبدأ تقرير المصير على الأراضي المغربية المحتلة من طرف إسبانيا أي سيدي إفني والصحراء الغربية. وتوجت هذه الجهود في 30 مارس 1969 باسترجاع منطقة سيدي إفني. وظل المغرب يطالب بالتعجيل باسترجاع صحرائه الغربية لكن إسبانيا أقدمت سنة 1967 على منحها استقلالا ذاتيا. رفض المغرب هذا الإجراء الهادف إلى فصل صحرائه عنه وظل مواظبا على المطالبة بحقه والقيام بحملات دبلوماسية. لكن إسبانيا أصرت على موقفها وفي يناير 1974 أقامت حكومة محلية بصحرائه الغربية وأحصت سكانها لأول مرة في التاريخ فكان عددهم آنذاك 74000 نسمة فقام المغرب بحملة دبلوماسية ساندتها الأحزاب والجماهير الشعبية فتصدرت هذه القضية الأحداث الدولية وتعبأ لها المغاربة واستقبل الحسن الثاني بأگادير 54 ممثلا للصحراء الغربية وقامت مظاهرات بها أعلن فيها الصحراويون مغربيتهم. وطلب المغرب تحكيما دوليا في الموضوع فأقرت محكمة العدل الدولية بلاهاي على طلب المغرب بتبعية الصحراء الغربية للمغرب وأكدت حقيقة الروابط القائمة منذ قرون بين سكان الصحراء وملوك الأسرة العلوية. وللفت أنظار العالم إلى مطالب المغرب الوطنية وتوجيه حماس المواطنين لخدمة القضية، أقدم الملك الحسن الثاني على مبادرة وطنية حكيمة لتأكيد حق المغرب وعزمه على استرجاع صحرائه ألا وهي تنظيم مسيرة خضراء سلمية شارك فيها 350.000 مواطن من بينهم 35.000 امرأة. واختير المتطوعون من كل أقاليم المغرب من مختلف الأوساط الاجتماعية وجميع الحرف، وسرعان ما تآلفوا وتفاهموا في جو من الوطنية والحماس وحب المشاركة والاكتشاف (وقد اختير هذا الرقم لأنه يعادل النمو السنوي لساكنة المغرب) ومهد لذلك خطاب رسمي موجه إلى الشعب في 6 أكتوبر 1975. وخلفت المبادرة صدى عالميا وأقبل على تغطيتها مئات الصحفيين الدوليين. وسبق الإعلان تهيئ سري دام عدة أشهر تم خلاله تكوين 700 إطار لتأطير المشاركين وتهيئ وسائل مادية مهمة إذ وضعت رهن المشاركين 8000 شاحنة

و200 سيارة إسعاف و 113 رحلة قطار و6000 سيارة متنوعة ومئات من رحلات طائرات س 130. ووضع عشرات الآلاف من أطنان المياه والأطعمة والوقود في متناول المشاركين سواء بطريقهم أو عند مخيم تجمعهم قرب حدود الصحراء الغربية، كما زودوا بعشرات آلاف الخيام والأغطية والرايات المغربية والمصاحف، وانضم إليهم عدد من الموظفين السامين والتقنيين وأطر إدارية وأطباء ومراقبي أمن... وتجمع المشاركون في مخيمات قرب الحدود. وفي 5 نونبر 1975 أعطى الملك إشارة الانطلاق فتقدمت الجماهير واخترقت الحدود حاملة الراية والقرآن أمام القوات الإسبانية التي لم تحرك ساكنا. وبعد توغلهم بمسافة 19 كلم صدر الأمر بالوقوف بعد أن سجل العالم إرادة المغاربة وإصرارهم على استرجاع حقوقهم الوطنية. وقبلت إسبانيا تحت ضغط الدول العظمى والصديقة مبدأ المفاوضات حول مصير الصحراء، فأمر الملك المتطوعين بالعودة إلى منطلقهم. وبعد أيام شرع الساسة المغاربة في المفاوضات مع إسبانيا وموريطانيا التي كانت لها هي الأخرى مطالب إقليمية بالصحراء الغربية. ورجع المتطوعون إلى ديارهم مفعمين بفرح النصر وإحساس قوي بالوطنية المغربية. وأمضيت معاهدة مدريد يوم 14 نونبر 1975 وصادقت عليها الجمعية العامة للأمم المتحدة. ووضعت الصحراء الغربية تحت الإدارة المغربية فحل عامل مغربي هو السيد أحمد بن سودة بمدينة العيون، وصوت مجلس الجماعة هنالك بالإجماع على عودة الصحراء إلى الوطن الأصل. وأقيم حفل تسليم السلط من لدن إسبانيا إلى المغرب وبذلك انتهت الملحمة.



المسيرة الخضراء

هكذا استعاد المغرب جزءا مهما من صحرائه وهي الساقية الحمراء التي احتلها الإسبان منذ 1884. واضطلع الموظفون والجنود المغاربة بالمحافظة على الأمن وتسيير الأمور إلى جانب عدد من مراقبي الأمم المتحدة. وتسلمت موريتانيا إقليم وادي الذهب بناء على أوفاق محكمة العدل الدولية ومعاهدة مدريد. لكن الجزائر التاي احتضنت حركة سياسية صحراوية لتحرير الصحراء هي حزب البولساريو. قدمت له مساعدات سياسية وعسكرية مهمة لتنفيذ مخططاتها السياسية بالصحراء بهدف إقامة نظام سياسي موال لها يمنحها واجهة على المحيط الأطلنيكي، استقبلت معارضين صحراويين وموريتانيين وأنشأت لهم قاعدة مقاومة مسلحة بمدينة تندوف قرب حدود الصحراء الغربية وأعلنت منظمة البولساريو بها قيام دولة وهمية تحت إسم الجمهورية العربية الصحراوية الديموقراطية في 27 فبراير 1976، وشنت هجومات مسلحة على الحدود المغربية. وانضم إليها عدد من المهاجرين من صحاري موريطانيا ومالي والجزائر الذي اقتلعت جذورهم من أرضهم بسبب استفحال الجفاف. وهناك دول أخرى تقدم الدعم والمساعدة الغذائية والأسلحة بالإضافة إلى الجزائر لمناهضة مطامح المغرب جراء انعكاسات الحرب الباردة بين المعسكرين الاشتراكي الذي انحازت إليه الجزائر والرأسمالي الليبيرالي الذي يجتذب المغرب. مما أدى إلى إشعال نار الفتنة وانعدام الأمن ببعض المناطق الصحراوية خاصة المجاورة لحدود الجزائر. وترتب عن هذه الاضطرابات انقلاب عسكري بموريطانيا أطاح برئيس الجمهورية أحمد ولد دادة مما دفع حكومتها الجديدة إلى التخلي عن إقليم وادي الذهب فاسترجعه المغرب فورا وحل ممثلوا سكانه بالرباط يوم 14 غشت 1979 لتقديم الولاء إلى العرش المغربي، وبذلك استكمل المغرب وحدته الترابية بضم كل صحرائه الغربية البالغ مساحتها 252000 كلم^2 تمثل 35% من مساحة المغرب البالغة حاليا 710.000 كلم^2. وقد عرفت المدن والأقاليم الساحلية نموا عمرانيا وازدهارا اقتصاديا كبيرا لانتعاش أنشطة الصيد البحري وإقامة البنية التحتية والأحياء السكنية وتزويد المدن بالماء الشروب المعتمد أساسا على تحلية مياه البحر، مما انعكس على النمو العمراني والديموغراي فارتفع سكان الأقاليم الصحراوية إلى 163.868 نسمة سنة 1982، وعددهم يفوق اليوم ربع مليون (2005).

ظلت حكومة البولساريو تطالب باستقلال الصحراء بعد أن عقدت هدنة مع المغرب. وفي سنة 1981 اقترح الحسن الثاني في جمع دول منظمة الوحدة الإفريقية بنيروبي إجراء استفتاء تكلفت به هيئة الأمم المتحدة تاريخه ظل يؤجل لعدم اتفاق حكومة المغرب ومنظمة البولساريو على تحديد من لهم حق المشاركة في الاستفتاء لأن هذه الأخيرة ترفض دمج عدد من السكان الصحراويين الأصليين المقيمين بها أو بالمغرب ولم يشملهم الإحصاء الإسباني سنة 1974 ويقدمون بدلهم لاجئين تدفقوا على تندوف من مختلف أرجاء الصحراء الكبرى. وبعد اقتناع الكثير من الدول الإفريقية بعدالة قضية المغرب وتخليهم عن تأييد جمهورية الصحراء الوهمية وفشل الأمم المتحدة في الاستفتاء ظهرت في الأفق السياسي الوطني والعالمي صيغة أخرى لحل مشكل مطالب البولساريو بدولة مستقلة في الصحراء

تدعو إلى مفاوضات مباشرة بين الطرفين ورجوع اللاجئين بتندوف الذين ينتسبون قانونا إلى أسر كانت تقطن بالصحراء، ومنح ممثلي سكان هذا الإقليم مزيدا من المسؤولية في إدارة الشؤون الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في إطار إدارة جهوية لا مركزية تعطي للسكان صلاحيات واسعة لمعالجة شؤونهم بأنفسهم وإدارة إقليمهم عن طريق تمثيل ديموقراطي سليم. ولعل هذه الخطة هي التي ستحل المشكل لأنها تحافظ على وحدة أراضي المغرب وترضي مطامح جميع الأطراف خاصة وأن انتهاء الحرب الباردة ونمو مسلسل العولمة غيّر كثيرا من المعطيات السياسية والاقتصادية والفكرية.

العربي الصقلي، مذكرات *التراث المغربي*، ج 7، الرباط، 1986 ؛ عبد اللطيف بلبشير، *أطلس الحسن الثاني*، الرباط، 1991 ؛ مقتطفات من الصحف الوطنية : العلم، الاتحاد الاشتراكي، الأحداث المغربية.

أحمد هوزلي

المطرح (أهل -) كلمة تطلق على ضريح ولي صالح من قبيلة الركيبات يدعى سيدي محمد ولد أحمد ولد اَمْبيدان ولد لبيض، من بطن أولاد موسى. يوجد هذا المزار في منطقة لحشيشة جنوب شرق مدينة العيون، حيث أصبح اليوم وسط حي سكني بشارع الطنطان. وجوار هذا الضريح قبور لسبعة من الأطفال. ويؤم هذا الضريح مجموعة من الزوار قصد التبرك وعلاج الأمراض النفسية والعصبية على وجه الخصوص.

رواية شفوية تم إجراؤها مع قيم الضريح بمدينة العيون، شهر ماي 2009.

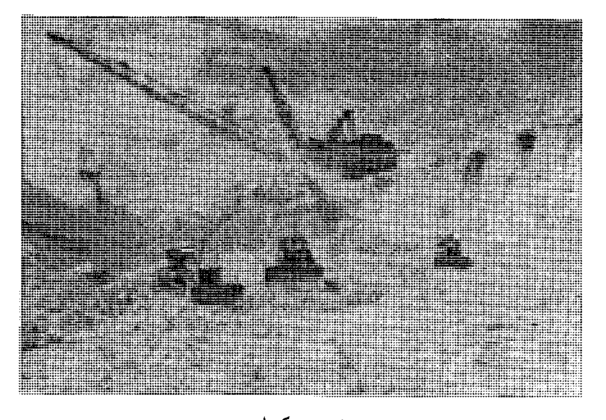
محمد دحمان

المعادن بالصحراء، عُرفت الصحراء منذ القدم بغناها المعدني، وكانت محطة أنظار السلاطين الذين تعاقبوا على عرش المغرب، فهي التي كانت توفر لهم شتى أنواع المعادن خاصة النحاس والفضة لسك نقودهم وضربها. نذكر من بين هذه المناجم النحاسية الغنية منطقة درعة السفلى "تعدنت" بنواحي آقا نتمدلت. كما أن منطقة الصحراء كانت تجوبها القوافل التجارية المحملة بالتبر (الذهب) الآتية من منطقة إفريقيا جنوب الصحراء، مما أهلها لتلعب دورا استراتيجيا واقتصاديا عبر التاريخ. وحاليا تعد الصحاري مصدر غنى الدول بما تزخر به من معادن ثمينة كالبترول والغاز والذهب والفوسفاط. لقد أضحت هذه المناطق القاحلة والمنفرة محط اهتمام القوى العظمى التي تتنافس على ضمها واستغلال خيراتها بكل ما لديها من قوى عسكرية واقتصادية. وظهرت بذلك مدن منجمية بالصحاري، وأنشأت موانئ ومطارات ومصانع لمعالجة المعادن ارتبطت بالإنتاج المنجمي. وأصبحت بالتالي هذه المناطق المنفرة تستقطب اليد العاملة من كل فج عميق (خبراء، مهندسين، منقبين، تقنيين)، مما أهل مجالها لاستغلال مفرط لخيراتها الباطنية خاصة المياه الجوفية العذبة غير المتجددة، التي شهدت استنزافا لا مثيل له بفعل التمدن السريع.

تعد الصحراء المغربية من بين هذه الصحاري التي تنعم كمثيلاتها بهذا الغنى المعدني، لهذا عرفت تهافتا استعماريا قسم ترابها وثرواتها خاصة بين الإسبانيين والفرنسيين، فكانت بمثابة المزود الرئيسي لصناعتهم واقتصادهم. وقد اكتشفت بالصحراء المغربية معادن ثمينة على رأسها النحاس من طرف الفرنسيين رغم قدم استغلاله واستخراجه بمنطقة تعدنت. وثمن هذه الاكتشافات استخراج الفوسفاط ببوكراع من طرف الإسبانيين سنة 1947، على يد المكتشف الجيولوجي الإسباني "مانويل آليا ميدينا Manuel Alia Medina".

وبعد استرجاع هذه المناطق من الحكم الاستعماري، نشط بها من جديد قطاع استخراج المعادن وعمليات التنقيب عن ثروات أخرى، كي تواكب التطور التنموي والمجالي لهذه المناطق يضمن لها مستقبلا مستداما من حيث الاستقلالية الاقتصادية والتنموية، دون اللجوء إلى مناطق أخرى من حيث مواردها المالية والاقتصادية على السواء.

ويأتي على رأس المعادن بالصحراء فوسفاط بوكراع، وهو من أهم المعادن التي اكتشفت في عهد الاستعمار الإسباني بالمنطقة.



منجم بوكراع

بدأ استغلال الفوسفاط ببوكراع سنة 1947، وتمتد حقوله على نحو 800 كلم^2، بدأ من منطقة "إزيكْ" شمالا إلى شبه جزيرة الرأس الأبيض جنوبا. ويقدر احتياط منجم بوكراع بحوالي ملياري طن، ويتم استغلال الخامات في منطقة "بوكراع" حاليًا من طرف شركة "فوس بوكراع" يشغّل 50 مهندسا، و405 تقنيين مؤهلين و1244 عاملا ومُستخدَما. وتنتج هذه الشركة سنويا ما معدله أربعة ملايين طن. وقد بلغت طاقتها الإنتاجية سنة 2007 ما قدره 3.5 مليون طنا.

ويُستغَل الفوسفاط على مستوى الطبقة السطحية. وبعد غربلته، يُنقل إلى معامل المعالجة الموجودة بالعيون-المرسى بواسطة حزام طويل يبلغ 100 كم، يُتحكّم فيه بواسطة نظام التواصل عن بعد.

وفي عين المكان، يُغسَل الفوسفاط بمياه البحر، ثم يُشَطَّف بالماء العذب الذي يوفره معمل التحلية، ثم

يُجفَّف. وبعد ذلك يُوجَّه إلى ميناء العيون المخصَّص لشحن الفوسفاط من سفينة إلى أخرى، حيث يمكن للميناء أن يستقبل سفنا لنقل المعادن حمولتها 60000 طن، بفضل رصيف بُني سنة 1996 يبلغ طوله 3200م. ويتم تصديره إلى الولايات المتحدة وأوروبا وأستراليا. كما توجد خامات للفوسفاط أي احتياطات مهمة في مناطق أخرى من الصحراء لكنه لم يتم استغلالها بعد.

- استغلال الكثبان الرملية للحد من زحفها :

يدخل في أنشطة التعدين نشاط اقتلاع الرمال، فالصحراء تضم طبقات أو كثبان رملية ديناميكية متحركة بفعل قوة الرياح التي تنشط بشكل مكثف على طول الساحل الصحراوي وخاصة بجهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء حيث عرق رملي متواصل أو ما يعرف بالحزام الشريطي الرملي الساحلي Cordon dunaire côtier.

وتُصدَّر هاته الرمال عبر ميناء العيون - المرسى إلى جزر الخالدات Iles Canaries، التي تمثل الزبون الوحيد حاليا الذي يقتني هاته المادة التي تُستعمل في إعادة ملء الشواطئ السياحية لجزر الكناري التي تشهد انجرافا رمليا بسبب التعرية البحرية المتواصلة بفعل قوة الأمواج. كما يتم توظيف هذه الرمال في مجالات أخرى كقطاع البناء والأشغال العمومية. وما فتئ تصدير هذا المنتوج عبر ميناء العيون يتزايد منذ سنة 2000، حيث تجاوز سنة 2008 ما يناهز 1.000.000 طن، لكن ثمن بيعه يظل متواضعا بطبيعة الحال.

وتبقى الاحتياطات في عين المكان، على الرغم من أنها لم تُقدَّر كميا، بالغة الأهمية، كما تبشر بآفاق واعدة بالنسبة إلى المستقبل. لكن المسجل هو أن فئة من أعيان الصحراء هي المستفيد الأول من استغلال رخص المقالع الرملية بالمنطقة.

- الملــح :

تحتوي منطقة الصحراء المغربية على حوالي أكثر من 50 سبخة (أنظر مادة السبخات)، التي تشكل خزانات ضخمة للملح يتم استغلالها بالطرق التقليدية حتى الآن. وتأتي من حيث الأهمية في استغلال الملح سباخ جهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء. ومن أهم هذه السبخات سبخة إكطيان من حيث القطر أو الأهمية والتي تبلغ مساحتها 1800 كلم^2، وقد أطلق عليها الإسبان اسم "لاس ميتيلاس". ثم تليها أهمية من حيث الحجم والاستغلال سبخة تازغا، والطاح، وأم الضبع، وتيسلاتين، وتيسفورين، وأريدال قرب بوجدور، وأكينيكان، والخط، والسقاية، وكورارة، وبوكرب، وأريد، وتوزونين، وتاسرة قرب أخنيفيس. وتعد سبخة الطاح من أخفض هذه السباخ بالصحراء، بحيث ينحدر مستواها إلى 55 متر عن مستوى البحر، وتبلغ مساحتها 360 كلم^2.

وتستغل حاليا سبخة تازغا بالقرب من مدينة طرفاية في استخراج الملح، وتبلغ مساحتها 600 كلم^2، ويقدر احتياطها من الملح بحوالي 4,5 مليون طن. بحيث بدأ استغلالها سنة 1991 من طرف شركة "سوماسيل Somasel" المغربية. ويقدر إنتاج المنطقة من الملح بحوالي 20.000 طن في السنة موفرة بذلك فرص عمل موسمية لحوالي 500 عامل. بينما السبخات الأخرى تستغل بطرق تقليدية كأريدال وأم الضبع وغيرها.

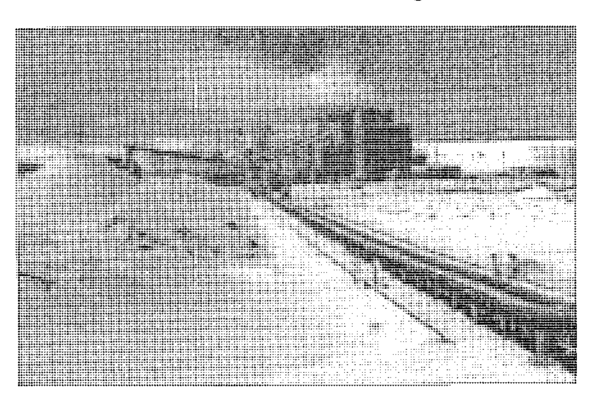
- إستراتيجية وزارة الطاقة والمعادن بالصحراء :

تتبنى إستراتيجية الوزارة في ما يخص قطاع المعادن على ثلاثة محاور أساسية تهدف إلى النهوض بالقطاع وتشجيعه.

أ- تطوير طاقة الإنتاج وتثمين قطاع المناجم، وتهم هذه التنمية إنتاج الفوسفاط على وجه الخصوص. بحيث تهدف الوزارة الوصية إلى الرفع من طاقة إنتاج الفوسفاط ومشتقاته من خلال إنجاز برامج هامة للاستثمار من قِبَل المكتب الشريف للفوسفاط، وتوفير منافذ بفضل تنمية الشراكات وإبرام الاتفاقيات. وتتوخى الوزارة من هذه الإستراتيجية تعزيز موقع المغرب في السوق الدولية للفوسفاط ومشتقاته وتحسين نسبة تثمينه وتسويقه على المدى الطويل، لاسيما أن المغرب ينزوي على جزء هام من احتياطي الفوسفاط العالمي ؛ فهو ثاني مصدر عالمي للفوسفاط ومشتقاته بقيمة تتغير حسب تقلبات السوق ب 30 بالمائة.

- مشاريع الاستثمار في قطاع الفوسفاط بالصحراء

خُصَّ موقع بوكراع بمشروع يحمل اسم "الفتحة الشمالية لبوكَراع" والذي يهدف إلى إنشاء وحَدة لإزالة الأحجار والغربلة، طاقتها السنوية 3 ملايين طن من الفوسفاط، وحزام ربط طوله 12،5 كم. وموازاةً مع هذا المشروع، انضافت استثماراتٌ أخرى أو مشاريع لتأهيل رصيف ميناء العيون، وإنشاء وحدتين لتحلية مياه البحر.



كما أن المكتب الشريف للفوسفاط يتوقع، في إطار برنامجه الخاص بالتنمية في الأقاليم الجنوبية، القيام باستثمارات في ما يلي :

* استغلال موقع بوكراع : 342 مليون درهم ؛
* وضع فتحة غربلة : 240 مليون درهم ؛
* إحداث محطة ضخ مياه البحر: 58 مليون درهم ؛
* إحداث وحَدتين لتحلية مياه البحر: 40 مليون درهم.

ومن بين إستراتيجية الوزارة كذلك، العمل على استكشاف معادن أخرى لتواكب دينامية تنمية المنطقة الصحراوية. بحيث تهدف إلى اكتشاف طبقات معادن جديدة بهذا الجزء من التراب الوطني، قصد ضمان تنمية

استغلال متكافئة تعتمد على التنمية - التشاركية، في إطار شراكات محلية تواكب تطلعات المنطقة في استراتيجية الحكم الذاتي والجهوية الموسعة، التي تعتمد بالخصوص على خصوصيات المنطقة ومواردها المحلية.

- التنقيب عن النفط والغاز الطبيعي

تشير بعض الدراسات إلى وجود مخزون هام من الغاز والنفط في سواحل الصحراء المغربية، لكن جهود التنقيب لم تظهر حتى الآن نتائج إيجابية.

وقد عمد المغرب إلى توقيع اتفاقيتين للتنقيب عن النفط مع شركتي "توتال فينا إلف" الفرنسية و"كيرمالك كَي كورب" الأمريكية في أكتوبر من سنة 2001. والهدف هو تكثيف عمليات التنقيب عن النفط لاكتشاف مواقع قابلة للاستغلال.

إن الاستكشافات المعدنية التي قام بها المكتب الوطني للهيدروكاربورات والمعادن قد سجل نتائج ملموسة همت جل المشاريع العشرين التي أنجزت سنة 2007، وكذا في ما يخص الفلزات النفيسة والفلزات الأساسية والصخور والمعادن الصناعية، مع ما رافق ذلك من تأكيد الإمكانات المعدنية للمناطق المستكشفة، وخاصة سواحل كل من مدينة طرفاية وجهة وادي الذهب - لكَويرة.

وهذه الإستراتيجية لم تقتصر فقط على المعادن الخام، بل انكبت كذلك على الاهتمام بالطاقات المتجددة وخاصة الريحية منها والشمسية. والهدف هو استغلال هذه الطاقات البديلة غير الملوثة والمتجددة في آن واحد مع وفرتها بشكل كبير بهذه المناطق الصحراوية. فخلال هذه السنوات الأخيرة، أصبحت الدولة توجه سياستها الطاقية والمستقبلية نحو هذه الطاقات المتجددة، خاصة بعد ارتفاع أسعار البترول. فكان لزاما على هذا القطاع الحيوي تمكين المغرب من ضمان استقلالية مستقبلية من الطاقة الحرارية والكهربائية بالخصوص، فبرمجت هذه السياسة مشاريع ضمت محطات لتوليد الطاقة الشمسية بكل من سبخة الطاح وفم الواد بالعيون وبوجدور ولمهيريز ولا سركَا بإقليم وادي الذهب.

ت - تحسين الخرائطية الجيولوجية :

إن الأداة الأساسية التي يعتمدها النشاط المنجمي، والتي بدونها لا يمكن ادعاء معرفة الإمكانات المنجمية وتطويرها، هي الخريطة الجيولوجية حسب سلالم مختلفة.

استلزمت الثروة الجيولوجية المغربية الغنية والمعقدة، وكذا إمكاناتها المختلفة من الموارد المعدنية التي يزخر بها باطن الأرض، منذ سنة 1996، وضعَ المخطط الوطني لنظام الخرائط الجيولوجية الذي يهدف إلى تزويد البلد بصورة عن بنياته الجيولوجية. إنها الأداة الأساسية لتنمية البحث في مجالي المعادن والنفط، وتقييم الموارد المائية، وإعداد التراب، وحماية البيئة، وكذا الوقاية من المخاطر الطبيعية.

ودعما لهذا المخطط، أحدِث مشروع جيوفورما، الذي يهدف إلى تنمية قدرات بلدنا في مجال الخرائط الجيولوجية - العلمية، وكذا في مجال نظام المعلومات الجيولوجية.

إن دراسة الخرائط الجيولوجية والجيوكيماوية والجيوفيزيائية المنجَزة حتى حدود نهاية شتنبر من سنة 2008، والتي توضحها الرسوم أسفله، تبين أن المناطق الصحراوية :

1 - تُغَطِّيها تغطية ضعيفة الخرائطُ الجيولوجية حسب السلالم الملائمة (1 / 50000)، حيث لا نتوفر سوى على 4 خرائط أُنجزت على مستوى الجهة بكاملها، 3 منها تهم موقع الفوسفاط ببوكراع ؛

2 - تغطيها تغطية متوسطة الخرائط الجيوفيزيائية لا سيما في ما يخص الأحواض الساحلية للعيون - الداخلة لتلبية حاجيات التنقيب عن النفط ؛

3 - تنعدم بها أية تغطية في ما يخص الخرائط الجيوكيماوية.

خلاصة الأمر أن تغطية الخرائط في الفترة الراهنة تبقى ضعيفة وهو الأمر الذي يتطلب مجهودا لتحسين الوضعية في هذا المجال. وينبغي أن ينصب البحث على الصخور الصناعية مثل تلك التي يمكن استغلالها للتزيين والرمال الصوانية والرخام والجبس. ومن المستحسن أن يتم تحفيز المقاولات المنجمية الصغيرة في الجهة بمبادرات وأعمال من قبيل :

- وضع خرائط لمواقع المعادن ؛
- تثمين هذه المواد والعمل على استثمارها.

- تحفيز القطاع الصناعي المرتبط بالتعدين :

يتمحور القطاع الصناعي بالمناطق الصحراوية حول منتجات الصيد البحري بالخصوص، أما المنتجات المنجمية الأخرى (من فوسفاط ورمال وملح) فتصدر كمواد خام نحو الخارج، لكن مخطط الاستثمار لمجموعة المكتب الشريف للفوسفاط على المستوى الوطني بالنسبة إلى الفترة 2008 – 2015 يتوقع استثمارا إجماليا يبلغ 44.9 مليار درهم، 36.6 مليار درهم منها تخص مشاريع الاستثمار الصناعي و 8.2 مليار درهم تهم مشاريع التنمية الاجتماعية. وفي هذا المخطط عمدت الدولة على الرفع من الطاقة الإنتاجية لفوسفاط بوكراع إلى ما بين 3 و3.5 مليون طن حتى أفق 2020، لكنها ستحظى، إضافة إلى استثمارات على الأمد القصير سبق ذكرها أعلاه، بمشاريع إستراتيجية ومشاريع للتنمية المستدامة بموقع بوكراع، بهدف تحديث أدوات الإنتاج والاستخراج وكذا النقل. كما أن شركة استغلال فوسفاط بوكراع تفكر جيدا في تثمين ومد هذا القطاع الحيوي بالصحراء بالطاقات المتجددة خاصة الريحية والشمسية. وعلاوة على ذلك، يلتزم المكتب الشريف للفوسفاط بالمساهمة إلى جانب وزارة التجارة والصناعة والتكنولوجيات الجديدة وشركاته في التخطيط لإنشاء المقاولات الصغرى والمتوسطة والبنيات التحية وذلك عن طريق إقامة عرض ملائم فيما يخص المناطق الصناعية القادرة على استقبال الصناعات للفترة الممتدة بين 2010 و2017.

وخلاصة القول أن الصحراء تزخر بمعادن أخرى نفيسة، وهذا ما سيؤكده الباطن الجيولوجي للجهات الصحراوية مستقبلا. ففي الوقت الراهن لا يمكن

استغلالها نظرا لظروف اقتصادية مرتبطة بالتكلفة الباهظة الثمن للاستغلال والاستخراج في آن واحد، بالإضافة إلى الظروف السياسية لهذا الجزء من الوطن. وقد أدت جهـود التنقيب إلى اكتشاف خامات عديدة أخرى بالمنطقة مثل خامات النحاس والمنغنيز والحديد والرخام والتيتانيوم والفاناديوم والقصدير والكروم والزيركون وغيرها ؛ والتي تشكل أهم الموارد المعدنية المكتشفة في الصحراء بعد الفوسفاط، لكنها بقيت في كواليس وزارة الطاقة والمعادن كمجرد دراسات وتحريات ميدانيـة تنقيبية.

ومن هذه المعادن نذكر معدن النضيد الحمري النفيس مثلا بنواحي طرفايـة، لكن استغلالـه غير محتمل لأنه يلحق بالبيئـة أضرارا جسيمـة ويتطلب كميات وفيرة من المياه كما أنه من الصعب أن يخلق مردودا ذا أهميـة سسيو- اقتصادية على المنطقة (توفير العمل بشكل كبير). وقليلـة هي المناجم المستغلـة لهذا المعدن النفيس عبر العالم، ذلك بـأن هذه الصناعـة كثيـرا ما يعترضها رفض واحتجاج الأوساط الإيكولوجيـة (كما هو الحال بكندا). كما أنه عثـر بالقرب من مدينة بوجدور على منجم للرخام الأزرق الثمين، إلا أنه لم يستغل بعد رغم جودتـه الواعدة.

وتبقى شساعة الصحراء تكشف يوما بعد يوم على ثرواتها المعدنية الباطنية التي تنبئ للمنطقة بمستقبل تنموي زاهر سيعود على الساكنة والمجال بالنفع الكبير في ظل الحكم الذاتي والجهوية الموسعة التي منحت لهذا الجزء من التراب الوطني.

مولاي إدريس شداد وآخرون، "منوغرافية جهة گلميم - السمارة"، "منوغرافية جهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء"، "منوغرافية جهة وادي الذهب - لـگويرة"، أعدتها وزارة إعداد التراب الوطني والبيئة والتعمير والإسكان بمناسبة *الحوار الوطني حول إعداد التراب* (مديرية إعداد التراب الوطني)، مطابع منشورات عكاظ - الرباط، دجنبر 1999 ؛ وزارة الإسكان والتعمير والتنمية المجالية ووكالة الإنعاش والتنمية الاقتصادية والاجتماعية للأقاليم الجنوبية للمملكة، "*تهيئ المخططات الجهوية لإعداد التراب للأقاليم الجنوبية للمملكة*، الرباط في مارس 2008 ؛ وزارة الإسكان والتعمير والتنمية المجالية ووكالة الإنعاش والتنمية الاقتصادية والاجتماعية للأقاليم الجنوبية للمملكة، "*المخططات الجهوية لإعداد التراب للأقاليم الجنوبية للمملكة : ملخص التقارير التشخيصية*، مديرية إعداد التراب الوطني، الرباط سنة 2008 ؛ *تقارير وزارة الطاقة والمعادن والبيئة لسنة 2007*.

Cheddad My Driss, Sahara : Ecosystème fragile, ressources naturelles limitées et engagement de l'Etat pour un aménagement régional exceptionnel et une mise à niveau socio-économique et spatiale, *Revue Horizons Universitaires*, n°3 vol.2, Université Mohammed V –Souissi- Rabat, Novembre, 2006.

مولاي إدريس شداد

مَـغْـط العَـادة، يطلق "مَـغْـط العَـادة" في الصحراء على ما تقوم به فئة اجتماعية تجاه فئة أخرى خلال المناسبات الاجتماعية مثل "ألذبيحة" وفي الأعراس وعند ختم القرآن، أو عند تزويج الفتيات. فمثلا عند ذبح الشاة تعطى قطعة من لحم الظهر للمشايخ وللفئات المحاربة (الـعَـرب)، كما يقدم رأس الشاة للصناع التقليديين، وتمنح المرأة قطعا من الكبدة والضلوع و"آمننط"، أما الحراطين والرقيق فيقدم لهم عنق الشاة وجوفها، وفي حالة ختم القرآن من العادة وضع الحناء على ذراع الطالب الذي حفظ القرآن ومنحه رأسا أو رؤوسا من الإبل. وبمناسبة الأعراس، من العادة منح بعض الموارد لطلاب العلم وللصناع التقليديين وكذلك للزفانين، ومن رفض "مَـغْـط العَـادة" يصبح منبوذا اجتماعيا وتنحط سمعته عند الناس.

تحري ميداني، قمنا به ربيع سنة 2009 بمدينة العيون ؛ *مقابلة مع السيدة*، فاطمتو بنت أحمد سالم بالداخلة، صيف، 2009 ؛ *مقابلة* مع السيد سيدح الساعدي الركيبي بالداخلة صيف 2009.

محمد دحمان

المعمار في زاوية السمارة : يعتبر موضوع المعمار عند الشيخ ماء العينين من المواضع التي لم تنل حقها من البحث والتنقيب ولم يعرها الباحثون ما تستحقه من دراسة وتحليل، كما أن المراجع في هذا الموضوع نادرة جدا إن لم نقل منعدمة ؛ والمراجع القليلة التي اعتمدتها هي غربية واستعمارية (فرنسية وإسبانية) ولم أتوصل إلى أي مرجع عند آل الشيخ ماء العينين، أو في الخزانات الوطنية.

وسأحاول من خلال هذا العرض التركيز على المعمار بسمارة الشيخ ماء العينين، آملا أن يلقى الموضوع مستقبلا إقبالا من لدن الأساتذة الباحثين وذوي الاختصاص في الهندسة المعمارية.

شيدت مدينة السمارة على تل يشرف على وادي سلوان بالساقية الحمراء، بمنطقة معروفة بوفرة النباتات الغذائية والطبية الصالحة للإنسان والحيوان على حد سواء، وتشتق مدينة السمارة اسمها من السمار، وهو نبات ينمو بكثرة بوادي سلوان، ويستعمل في صناعة الحصير لدى قبائل المنطقة.

في حوالي سنة 1316 الموافق 1898 حل الشيخ ماء العينين بـگلتة زمور، وقد عزم على بناء مدينة تكون عاصمة للصحراء وصلة وصل بين شمال المغرب وشنقيط، وقاعدة لصد الأعداء المستعمرين من إسبان وفرنسيين. وقد كان المشروع بالنسبة لأتباع الشيخ ضربا من الخيال خاصة وأن الصحراء كانت تفتقر لمواد البناء الضرورية. فاتصل الشيخ ماء العينين بالسلطان مولاي عبد العزيز وعرض عليه فكرته، التي رحب بها وتحمس لها، وأمر بإرسال جميع المواد اللازمة والبنائين المهرة إلى الشيخ. كما أن الصدر الأعظم "باحماد" والقائد حميدة قائد طرفاية كانا من مريدي الشيخ ماء العينين، فلم يتوانيا في تزويده بكل ما يحتاجه من مؤن ومواد وحرفيين. وهكذا مرت كل مراحل البناء في ظروف حسنة لتنتهي الأشغال سنة 1902. وقد ارتحل الشيخ ماء العينين لمدينته الجديدة سنة 1321 (كما ورد في كتاب "الفواكه" للشيخ النعمة بن الشيخ ماء العينين)، "وقد دامت مدة البناء والتشييد حوالي أربع سنوات ونصف".

ومع انطلاقة أشغال البناء أمر الشيخ ماء العينين بحفر عدة آبار وقنوات للري، ستحتاجها بساتين وحدائق المدينة المرتقبة. وقد أكد هذا العمل صحة النظرية الهيدروغرافية القائلة بإمكانية إنشاء واحة اصطناعية في منطقة صحراوية بواسطة المياه الجوفية. وهكذا تم حفر حوالي 50 بئرا قابلة للاستغلال بوادي سلوان، وكذا غرس آلاف أشجار النخيل التي استقدمت من واحات الجنوب الشرقي المغربي وكذا من واحات آدرار وشنقيط.

المواد المستعملة في البناء واليد العاملة :

يمكن تصنيف المواد المستعملة في البناء إلى صنفين : صنف المواد المحلية كالحجارة والأتربة والمياه. وصنف المواد المستوردة من شمال المغرب التي كانت تُنقل بحرا من أگادير حتى مصب وادي الساقية الحمراء ثم تنقل في قوافل ضخمة من الدواب وخاصة الجمال من طرفاية إلى السمارة، ومن هذه المواد نذكر الأخشاب والزليج والرخام والياجور والجير. كما حملت هذه السفن القادمة من أگادير والصويرة عدداً كبيراً من البنائين المهرة والمعماريين والفراشين والمزينين القادمين من فاس ومراكش وتطوان. وقد أدار أعمال البناء كل من الحاج علي الوجدي والمعلم الحسين الحرطاني الواعروني.

المعمار بالسمارة

- قصبة مكونة من 18 بناية شيدت على الطراز المغربي التقليدي ومحاطة بسور ذي ارتفاع متوسط.

- المنزل الخاص بالشيخ ماء العينين يتوسط هذه القصبة ويتكون من عدة قاعات لها سقف منقوش وفيها يستقبل الشيخ كبار زواره. كما توجد قاعة كبرى للمآدب، وبيت للخدم ومخزن للمواد ومطبخ ؛ وكان هناك درج داخلي منزوٍ يؤدي لمساكن الحريم وإلى الشرفات.

- القاعة الرسمية بها درج مرتفع لجلوس الشيخ.

- الجناح الخلفي للبناية مخصص لمخازن التوابل وسكن الخدم والعبيد. كما توجد به منازل لأربعة من أبناء الشيخ هم : الشيخ سيداتي، والشيخ أحمد الهيبة، والشيخ شبيهن والشيخ الولي.

- خارج القصبة توجد حظائر للجمال والنوق الحلوب والماعز.

كان للقصبة خمسة أبواب : منها أربعة كبيرة هي :

- باب الـحْجَبْ بالناحية الجنوبية وهو على شكل مقوس وجد مرتفع لتمكين الجمال المحملة بالسلع أو الهوادج من المرور بسهولة.

- باب الـشَّركْ بالناحية الشرقية.

- باب السَاحْلْ بالناحية الغربية، وهما بابان مقوسان كذلك.

- أما الباب الشمالي للقصبة فقد خصص لدخول شيوخ القبائل وزعمائها القادمين على الشيخ.

- الباب الخامس وهو أصغر حجما عن الأبواب الأخرى ويوجد بالجزء الشمالي الشرقي للقصبة، وقد خصص لمرور المصلين والتلاميذ نحو المسجد.

وقد بني المسجد بشمال شرق المدينة، وكان الشيخ يأمل أن يجعل منه أكبر معلمة معمارية بالصحراء المغربية، وربما يكون هذا من الأسباب التي حاولت دون إتمام بنائه، ويتكون المسجد من صحن مركزي معتمدا على ثمانية من القباب المحمولة على أعمدة من الحجر المصقول، وعلى يمين المحراب ذي اللون الناصع يوجد درج يؤدي إلى صومعة قليلة الارتفاع.

أما بقية البنايات المكونة للمدينة فقد شيدت على مساحات شاسعة، آخذة بعين الاعتبار الاستجابة لرغبة الشيخ في إنشاء مركز إشعاع اقتصادي وثقافي. وكبقية المدن التقليدية تم تشييد الأسواق، فهناك مثلا حي للتجار، وزقاق خاص ببائعي الطيب والبخور والأعشاب الطبية.

ومن الملاحظات التي تناولها تحليلٌ هنري تيتراس Henri Terrasse المدير السابق لمعهد الدراسات العليا بالرباط ؛ قلة النوافذ بمعمار السمارة. وهذه النوافذ هي عبارة عن فتحات مستطيلة الشكل وضيقة وغالبا ما تكون مغطاة بسواكف أو لحاف. ومن الخاصيات الملفتة للنظر، وجود فتحات صغيرة للتهوية.

وقد شيدت عدة قبائل أحياء خاصة للنزول بها عند الحاجة، وكانت - أي هذه القبائل - تساهم بصفة منتظمة في ملء مخزن الحبوب الجماعي وكذا الخزان المائي.

وجميع البنايات بالسمارة شيدت بأحجار متوسطة الحجم ومتراصة بصفة منتظمة، ويفصل فيما بينها أحجار مسطحة أصغر حجما. كما أن غالبية جدران السمارة متصلة فيما بينها بملاط سميك. أما الطّلاءُ فقد اقتصر على القبب والأبواب. كما أن بناء "اللّوْحْ" المعروف كان أيضا حاضرا خاصة بالسور الخارجي للقصبة. إلا أن التشكيل الخارجي للبنايات يبقى شنقيطيا من حيث البساطة في الشكل والعلو المحدود والفتحات القليلة. وملاحظة أخيرة هي وجود مربعات من الإسمنت ببهو المسجد قد تكون إسبانية المصدر، وهذا دليل على استيراد مواد بناء أوربية.

يستخلص مما تقدم أن معمار السمارة، يمكن اعتباره "قاسيا" كطبيعة المنطقة التي شيدت عليها وأن نمط المعمار بالجنوب الشرقي المغربي وناحية سوس ترك بصمات واضحة على معمار مدينة الشيخ ماء العينين.

حريق السمارة

ستعرف مدينة السمارة بعد وفاة الشيخ ماء العينين بتيزنيت يوم 26 / 10 / 1910، هجوما عنيفا من قبل القوات الاستعمارية الفرنسية بقيادة الكولونيل موري Mouret وذلك يوم 29 / 2 / 1913، حيث عمد إلى حرقها ونهبها انتقاما من هزيمة قاسية كان قد تلقاها على يد المجاهدين الصحراويين قبل ذلك.

لكن ماذا عن مدينة السمارة اليوم ؟

في الثلاثينيات من القرن الماضي وبالضبط في يوم 01 / 11 / 1930 زار الفرنسي ميشال ڤيوشنج " Michel Vieuxchange" السمارة متخفيا وقضى بها بضع ساعات دوّن خلالها ما رآه من بقاياها، وعاد إلى أگادير ليموت

بعد إصابته بالتهاب معوي حاد أشهرا بعد ذلك. وقد جمع شقيقه مذكراته عن السمارة وعنوانها بـ " Voir Smara et Mourir" أي "أرى السمارة وأموت". وتعتبر هذه المذكرات من أهم المراجع الحافلة بدقائق التفاصيل عن المدينة وخاصة قصبة الشيخ ماء العينين.

بعد ذلك بحوالي نصف قرن يجزم الكاتب والصحفي الإيطالي المعروف "أتليو گاوديو" "Gaudio Attilio"، أنه لو كتب لميشـال ڤيوشنـج أن يرى مدينة السمارة اليوم لغير قولته ولقال "أرى السمارة وأعيش فيها" "Voir Smara et y vivre" وذلك نظرا للعمران الذي حققته الوحدة، وللمجهودات الجبارة التي بذلتها الدولة في كافة الميادين. لكن الانفجار العمراني والتقدم التنموي كان له آثار سلبية على حفظ ذاكرتها التاريخية، فأعداد كبيرة من المواطنين مدنيين وعسكريين تمر أمام القصبة التاريخية للشيخ ماء العينين بنوع من التجاهل واللامبالاة.

ورغم أن الزاوية تعيش في صمت رهيب والمسجد لم يبق منه إلا الأطلال ؛ فإن هذه الأماكن تعتبر اليوم أهم المآثر التاريخية والسياحية بالصحراء المغربية.

النعمة محمد الغيث بن الشيخ ماء العينين ماء العينين، *الفواكه في كل حين من أفواه شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، الورقة، 25.

L'Illustration du 4/4/1931, N° 4596, p. 415 ; Attilio Gaudio, *Les populations du Sahara occidental*, Edition Karthala, 1993, Paris ; Dr. Mustapha Akhmisse, *Hommes et choses de Smara*, Editions Edino, Rabat ; A propos de Smara : EI Cheikh Aâ-EI-Aînin et Smara, 1898 – 1909, in *B.C.A.F., Paris, Février, 1934*, p. 95 – 97, Ba Mahmadou Ahmada ; *Guerres et paix au Maroc* Reportages : 1950 – 1990, La colonne Mouret à Smara, in : *Monde et cultures, Tome XLIV-3, Paris, 1984*.

ماء العينين الجيه

المقاومة بالصحراء، ترجع أصول مقاومة القبائل الصحراوية للمد التوسعي الأجنبي بجنوب المغرب إلى أواخر القرن الخامس عشر، حيث اعترضت هذه القبائل طريق المشروع الذي حاول إنجازه المغامر الإسباني دييگو گارشيا دي هيريرا Diego Garcia de Herrera سنة 1478، والمتمثل في بناء مركز تجاري أطلق عليه اسم سانطا كروث دي مارپيكينيا (Santa Cruz de Mar – Pequeña) فتصدت له القبائل وهاجمته عدّة مرات، كانت أخرها سنة 1524، بعد أن خرّبت منشآته وأضرمت النار فيه.

حاولت إسبانيا أحياء هذا المشروع من مرقده سنة 1860، فاستغلت انهزام الجيوش المغربية في حرب تطـوان سنـة 1860، وفرضت على المغرب معاهدة قاسية حاولت من خلالها إجبار السلطان على التنـازل لها عن قطعة أرض بالصحراء لإعادة بنـاء حصن سانطا كروث دي مارپيكينيـا.

كما تصدت قبائل الصحراء لمشروع المغامر البريطاني دونالد مكينـزي (Donald Mackenzie)، الذي حاول بناء مركز تجاري في ساحل طرفاية سنة 1878، أطلق عليه اسم پورت ڤكتوريـا (Port–Victoria). وهاجمته عدّة مرات، الشيء الذي أرغم الحكومة البريطانية على التدخل لحماية رعاياها، وطالبت المخزن المغربي بدفع مبلغ مالي قدر في حوالي 50 ألف فرنك، للتنازل له عن منشآت مكينزي.

ولحماية مصالحها وحقوقها المزعومة في الجنوب المغربي، قامت إسبانيا باحتلال السواحل المغربية الواقعة بين رأس بوجدور في الشمال والرأس الأبيض في الجنوب سنة 1884، وكلفت أحد مغامريها ويدعى إميليو بونيلّي (Emilio Bonelli) ببناء مركز تجاري في شبه جزيرة وادي الذهب أطلق عليه اسم بيّـا ثيسنيروس (Villa - Cisneros) فتصدت قبائل الصحراء لهذا المغامر وهاجمت مركزه منذ سنة 1885، وأضرمت النار في منشآته وقتلت بعض أعوانه، واستولت على كل المواد التجارية التي كانت تحملها السفينتين الإسبانيتين (Cires) و(Las Trias) وطردت بونيلّي وأعوانه إلى البحر.

وعلى الرغم من توصل فرنسا وإسبانيا إلى التوقيع على عدّة اتفاقيات فيما بين 1900 - 1912، لتحديد مناطق نفوذهما بالصحراء المغربية فقد ظلت القبائل الصحراوية ملتفة حول الشيخ ماء العينين وحاصرت الجيوش الإسبانية العاملة بمركز، والجيوش الفرنسية الطامعة في احتلال بلاد آدرار. وكانت هذه القبائل تحظى بدعم خاص من طرف السلطانيين مولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ. سواء عن طريق إرسال السلاح والذخيرة الحربية إليها أو عن طريق استقبال الوفود الصحراوية بفاس أو بمراكش لتجديد البيعة والولاء. فاتفقت فرنسا وإسبانيا على نهج سياسة موحدة لإرغام المخزن المركزي على الكف عن تزويد قبائل الصحراء بالسلاح، بل ذهبتا إلى حدّ الإعلان عن فرض حصار بحري على المغرب انطلاقا من مرسى العرائش إلى مرسى طرفاية، لمنع رسو المراكب المخزنية المحملة بالسلاح والذخيرة الحربية. لكن قبائل الصحراء اجتمعت بقصبة السمارة وانضوت تحت لواء حركة الجهاد التي قادها الشريف مولاي إدريس الذي بعثه السلطان مولاي عبد العزيز إلى الصحراء لمواجهة المد التوسعي الفرنسي في بلاد آدرار، وحققت عدّة انتصارات في مراكز أكجوجت وتجيكجة وتشيت وتاگانت وشنقيط، وكبّدت سلطات فرنسا بالسنغال عدّة خسائر في الأرواح والعتاد. وأصبحت المواجهة مفتوحة بين قبائل الصحراء والجيوش الفرنسية التي توصلت بفضل تظافر مجهودات سلطات فرنسا العاملة بالسنغال والجزائر إلى الإعلان عن احتلال بلاد آدرار سنة 1909 على يد الجنرال گورو (Gouraud). وعلى الرغم من فرض معاهدة الحماية على المغرب سنة 1912، واتفاق فرنسا وإسبانيا على نهج سياسة موحدة إزاء القبائل بالصحراء، فقد واصل أبناء هذه المناطق مقاومهم للمستعمر. وأرغموا الجنود الإسبانيين على التحصن بداخل حصنهم الساحلية.

وهاجمت كذلك الحامية العسكرية الفرنسية المكلفة بحراسة مركز آدرار سنة 1913. وقتلت بعض الجنود بالقرب من منطقة لبويرات، فردت فرنسا بقوة على هذا الهجوم، وأمرت حاكمها بموريتانيا الليوتنان كولنيل موري (Mouret) بشن حملة شرشة ضد قصبة السمارة في 28 فبراير 1913. فخرب جزءا منها واستولى على عدّة مخطوطات ألفها الشيخ ماء العينين وعلى عدّة رسائل مخزنية كانت محفوظة بخزانتها. والقت كذلك القبض على أمير آدرار الشيخ أحمد ولد محمد ولد عايدة بسبب انضمامه لصفوف المقاومين ومعارضته لمشاريع فرنسا التوسعية بالمنطقة. وخوفا من تعرّض مركزها بساحل وادي الذهب لهجوم القبائل، أمرت إسبانيا حاكمها بالصحراء الليوتنان كولنيل فرانسيسكو بينس (F. Bens). بسن سياسة مسالمة مع شيوخ القبائل ومنحهم بعض الهدايا ومبالغ مالية لكسب ثقتهم وودّهم.

وفي سنة 1916 تجددت المواجهات بين الجيوش الفرنسية والمقاومين بالصحراء، فقد تعرض مركز آدرار لهجوم قوي، أسفر عن جرح العديد من الجنود الفرنسيين وغنم قطيع هام من الإبل، فتصدى الليوتنان جيمل (Gimel) للمقاومين وهزمهم في 26 دجنبر 1916. وخوفا من وقوع مضاعفات خطيرة قررت فرنسا عزل حاكمها العام بموريتانيا وعوضته بالليوتنان كولنيل گادن (Gaden) سنة 1917، وأمرته بنهج سياسة مسالمة ومرنة مع القبائل الصحراوية وخاصة مع شيوخ قبائل الركَيبات ومحاربيها. وحاولت إسبانيا من جهتها احتلال ساحل إفني سنة 1919، لكنها فشلت في ذلك بسبب تصدي قبائل المنطقة لجيوشها ومنعهم من ذلك، وجرت في الخفاء مفاوضات بين بينس وگادن للتنسيق فيما بينهما ونهج سياسة موحدة لمنع قبائل وادي الذهب من القيام بهجومات في المستقبل. وتعهد ببناء مركز عسكري إسباني في منطقة لگويرة ونصب به حامية عسكرية تتكون من خمسين جنديا وخمسة ضباط يرأسهم القبطان كوثمان (Guzman). لكن قبائل الصحراء فطنت للمخطط العسكري وقامت بهجوم تزعمه المجاهد محمد تقي الله الملقب وجاه ضد المراكز الفرنسية في منطقة الشريرك سنة 1923، قتل فيه الليوتنان بيدرين (Bedrines) وأسر العديد من الجنود الفرنسيّين. فجهزت سلطات فرنسا بموريتانيا حملة عسكرية بقيادة القبطان طومي (Thomé) وكلفته بتعقب المهاجمين داخل منطقة وادي الذهب وقتل وجاه. وللرد على مقتل وجاه قررت قبائل الصحراء بقيادة كل من أحمد ولد حمادي وإسماعيل ولد الباردي القيام بهجوم ضد مراكز تاگانت سنة 1924. واستولت على حوالي مائتي جمل، فحاول الليوتنان شالمل (Chalmel) التصدي لهم، لكنه انهزم وجرح في معركة وقعت في منطقة القديم بالقرب من مدينة وادان.

وبعد وفاة الشيخ أحمد الهيبة عرضت فرنسا صداقتها على أخيه الشيخ مربيه ربه، لكنه قرر مواصلة العمليات الجهادية. فكان يرسل السلاح لابن عمه المجاهد محمد المامون بن الشيخ فاضل، ويأمره بمواصلة المقاومة ضد الغزاة في بلاد شنقيط. وفي 3 أبريل 1925 هاجم كل من محمد المامون وإسماعيل ولد الباردي وأحمد ولد حمادي رفقة 350 من أتباعهم حامية فرنسية بالقرب من منطقة التريفيّة وقتلوا سبعة عشر جنديا فرنسيا من بينهم القبطان دجرڤال Degirval. وفي يوليوز من نفس السنة، هاجم محمد المامون رفقة ثلاثمائة من أتباعه المراكز الفرنسية بآدرار. فاضطرت سلطات فرنسا بموريتانيا إلى إجراء سلسلة من المفاوضات مع شيوخ القبائل لإقناعهم بالكف عن مهاجمة مراكزها والتوقيع على معاهدات سلم معهم. لكنها فشلت في إقناع إسماعيل ولد الباردي الذي فضّل مواصلة الجهاد ضد جيوشها. وحذا حذوه كل من أحمد ولد حمادي وعلي ولد ميارة ومحمد المامون. كما قامت قبائل ساحل طرفاية بمنع بينس من بناء مركز عسكري سنة 1925 .

وذهبت قبيلة إزارگيين إلى حدّ مهاجمة مستودع للبناء أقامته سلطات إسبانيا بطرفاية. واستولت على ما بداخله من مواد للبناء وكميات هامة من الأخشاب والحديد. وفي سنة 1926 تصدت قبائل ساحل طرفاية من جديد للحاكم العام لإسبانيا الليوتنان كولنيل دى لا پينيا (De La Peña) الذي عوض بينس ومنعته من بناء مركز عسكري في منطقة الدورة.

وشهدت نفس السنة تجدد هجومات القبائل ضد المراكز الفرنسية. إذ تعرّض مركز پورت إتيان (Port-Etenne) لهجوم قوي قام به الشيخ لجربْ. وهاجم إسماعيل ولد الباردي حامية عسكرية بالقرب من سبخة إيجيل. وهاجم محمد المامون بعد أن فر من سجنه مركز آدرار سنة 1927. وبعد سلسلة من المفاوضات سمحت سلطات إسبانيا بالصحراء للطائرات الحربية الفرنسية بقنبلة خيام القبائل المحاربة بوادي الذهب. متعهدة من جانبها بالتخلي عن سياسة المسالمة والمهادنة مع القبائل واستبدالها بسياسة عسكرية رادعة، وببناء مراكز عسكرية جديدة لمراقبة تحرك القبائل ومنعها من شن هجومات جديدة ضد المراكز الفرنسيّة. فردت القبائل الصحراوية على هذا التعاون العسكري بعنف فأسقطت طائرة إسبانية بالقرب من ساحل طرفاية سنة 1928. وأرغمت دي لاپينا على دفع مبلغ 30 ألف بسيطة لإطلاق سراح الطيار مارتينيث Martinez. وتعرّض المركز الفرنسي بآطار لهجوم قوي سنة 1931، قام به كل من محمد المامون وأحمد ولد حمادي وعلي ولد ميارة واستولوا على كميات هامّة من الأسلحة والذخيرة الحربية. وحوصرت الحاميات العسكرية المرابطة بكل من مركز الحوض وآدرار والترارزة، وغنمت القبائل المحاربة العديد من رؤوس الإبل بعدما قتلت بعض الضباط والجنود الفرنسيين. فثارت ثائرة فرنسا على هذه الهجومات. فأعطت أوامرها لجيوشها المرابطة في المغرب والجزائر والسنغال وموريتانيا بشن هجومات قوية ضد قبائل وادي الذهب، وتوصلت جيوشها إلى احتلال واحات تافيلالت والريصاني وبلاد تكنة فيما بين سنتي 1931 و1934. وتمكنت كذلك من بناء مراكز عسكرية بالقرب من الآبار لمراقبة تحرك القبائل وإرغامها على الاستسلام. هذا بالإضافة إلى عوامل

أخرى ساهمت في كسـر شوكة هذه القبائل نذكر من بينها الجفـاف الذي أصاب منطقـة وادي الذهب وإنسـداد منافـذ تجارة تهريب الأسلحة من جزر الكناريـاس. فاضطـرت القبائـل إلى التوقيع على معاهـدات سلم مع السلطات الفرنسية والإسبانيـة وانتهت بذلك حلقات هذه المقاومة سنة 1934.

محمد داود، *تاريخ تطوان*، ج 4، مطبعـة المهديـة ؛ عبد الهادي مكوار، *وثائق وبطائق متعلقة بالطرفايا*، مخطوط، الخزانة العامـة، الربـاط ؛ المختار السوسـي، *المعسول*، ج 4، المحمديـة، 1960 ؛ الخليل النحـوي، *بلاد شنقيط، المنارة والعلم*، تونس، 1987.

Pascon Paul, *Les ruines d'Agoutir de khnifis, province de Tarfaya. Santa Cruz de Mar-Pequeña*, Rabat, 1963 ; Bonelli, Emilio, *Nuevos territorios españoles de la costa del Sahara*, Madrid, 1885 ; Garcia Figueras Tomas, *España en el sur de Marruecos y en el Africa occidental*, Ceuta, 1934 ; *Documents Diplomatiques Français*, Ministère des Affaires Etrangères Français, Paris, 1906 – 1907 ; R – S, EL Hiba, fils de Ma – el Aïnin, *Bulletin du Comité de L'Afrique Française*, Paris, 1917 ; Martin – A. G. *P, Quatres siècles d'histoire Marocaine*, Paris, 1962 ; Gillier, *La pénétration en Mauritanie*, Paris, 1926 ; Domenech Lafuente, Angel, *Algo sobre Rio de Oro*, Madrid, 1946 ; Caratini, Sophie, *Les Rgaybat*, 1610 – 1934, Paris, 1989 ; Marty Paul, *Le Sahara espagnol*, Paris, 1921 ; Désiré - Vuillemain, *Contribution à L'histoire de la Mauritanie*, Dakar, 1962 ; Bernard (Lieutenant), *L'Adrar Mauritanien*, Paris, 1926 ; Lebrun Albert, *La question de Rio de Oro*, Paris, 1926 ; Gaudio, Attilio, *Le dossier du Sahara occidental*, Paris, 1978.

نور الدين بلحداد

ابن **المقداد المختار** أو **بوالمقداد** Bou EL Moghdad

ينحدر الحاج المختار بن المقداد من سان لوي بالسنيغال قضى سنوات صباه عند بيضان الترارزة حيث تعلم الحسانية وحفظ القرآن، مما أهله للعمل في الإدارة الفرنسية بالسنيغال، إذ كان مساعدا لقاضي سان لوي، ثم مترجما إداريا. وكان متعاونا كباقي أفراد عائلته الذين عملوا في الإدارة الفرنسية بالسينغال، وهو ما أهله ليختار مرافقا للقبطان ڤانسان (Capitaine Vincent) سنة 1860، ومترجما له في رحلته إلى أراضي تيرس وأدرار، ليكافأ على ذلك بمنحه وسام جوقة الشرف. وسيرشحه هذا الإخلاص لفرنسا للقيام برحلة خاصة به إلى المغرب أشهراً قليلة بعد ذلك، قاطعا الصحراء تحت غطاء الرغبة في القيام بأداء مناسك الحج. وهكذا انطلق من سان لوي في 10 دجنبر 1860 في قافلة متجهة نحو واد نون، حيث سلك طريقا مغايرا لتلك التي قطعها سلفه پـاني Panet، إذ اختار السير بمحاذاة الساحل منطلقا في اتجاه تيرس فواد الذهب والساقية الحمراء ثـم درعة وواد نون وكـلميم التي أقام بها لمـدة أسبوع، لينطلق بعد ذلك إلى أكـادير، وليصل أخيرا إلى الصويرة التي سيبحر منها إلى طنجة ثم إلى الجزائر فباريس وأخيرا الحجاز. وقد استقبله بعد ثلاثة أشهر من السفر القنصل الفرنسي بموكادور وخلال مقامه القصير بباريس نشر نص رحلته.

وقد وصف الطريق الذي قطعها منذ خروجه من سان لوي حتى نهاية رحلته، ذاكرا أسماء الأماكن، متحدثا عن الطبوغرافية والقبائل المختلفة التي مـرّ منها، وعن التضاريس المتنوعة ما بين الانبساط والارتفاع. وتحدث من حين إلى آخر عن انعدام الأمن وانتشار قطاع الطرق. وحاول أن يجد تفسيرات لأسماء الأماكن.

وعند وصوله إلى كـلميم مكث بها ثمانية أيام يتحدث مع هذا وذاك ليجمع المعلومات حول هذه الجهة من المغرب. وهكذا تكلم بإطناب عن الشيخ محمد ابن بيروك وعن التجارة التي كانت رائجة آنذاك والتي لعبت فيها وادنون دور الوساطة بين تجار تيشيت وشنقيط وأولاد بوسباع والتجار القادمين من شمال المغرب، فكانت تصل من حين لآخر قوافـل قادمة من تنبكت لمبادلـة الذهب والعاج وشمـع العسـل والصمـغ. كما وقف عنـد علاقة الشيخ بيروك بسلطـان المغرب من جهة وعلاقتـه مع الحاج عمر زيع السيكو. وقد عدد ثمانية "مدن" بواد نون دون أن يتوسع في الحديث عنها، وهي كـولمين والقصابي وواعرون وتلوين وإيـكيمل وأباينو وأسرير وتيغمرت.

وبعد رحلة ابن المقداد ستتوقف الرحلات الفرنسية حتى سنة 1875، ومرد ذلك إلى الوضع السياسي الذي كان سائدا آنذاك بفرنسا. إذ صار عرش نابليون الثالث مهددا في حين كانتا جارتاها ألمانيا وإيطاليا يمرّان بمرحلة جديدة في تاريخهما، تمثلت في تحقيق وحدة أراضيهما على يد كل من بسمارك وكافور لتصطدم فرنسا وبروسيا سنة 1870، وقد انتهى الأمر بهزيمة مذلة لفرنسا كان من نتائجها احتلال الألزاس واللورين، وهيمنة بروسيا على أوربا مع تقوقع ملحوظ لفرنسا وانعزال عن الساحة الدولية. ولم يتغير الوضع إلا مع مؤتمر برلين سنة 1878 ووصول رائدا الحركة الإستعمارية بفرنسا گـامبيطا (Gambetta) وفيري (Ferry) إلى السلطة ليبدأ الاهتمام من جديد بواد نون وعامة الجنوب المغربي، ولتستأنف الرحلات الاستكشافية.

توفي بوالمقداد في نفس السنة التي تم تعيينه فيها "كتمسير" أي كقائد في سان لوي.

محمدو بن محمذن، *المجتمع البيضاني في القرن 19 : قراءة في الرحلات الإستكشافية الفرنسية*، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، سلسلة بحوث ودراسات (8)، الرباط، 2001.

Bou el Moghdad, Voyage par terre entre le Sénégal et le Maroc, *Revue Maritime et Coloniale, Mai 1861*, p. 477 – 494, et, *Nouvelles Annales des voyages*, S6, p. 257 – 270.

محمد أيت جمال

مكينزي، دونـالـد، Donald Mackenzie

خلـّفت المحاولات التـي قـام بهـا كـل مـن جـورج اگـلاص (J. Glass) سنـة 1764، وجـون دڤـدسـون

(J. Davidson) سنة 1836، لبناء مراكز تجارية في سواحل المغرب الجنوبية، رغبة قوية في نفوس بعض التجار البريطانيين الذين حاولوا ربط علاقات تجارية مع شيوخ قبائل الجنوب المغربي، نذكر من بينهم الرحالة الاسكتلندي دونالد مكينزي الذي كان محبا للمغامرة وشغوفا بالتجارة وارتياد البحار. وكان يحلم باحتكار التجارة مع مدينة تنبكتو. فقرر القيام بعدة زيارات لسواحل المغرب الجنوبية لمعاينتها واختيار المكان المناسب لبناء مركز تجاري بها. وبعد عودته إلى لندن، تمكن من إقناع بعض التجار ورجال الأعمال بقيمة مشروعه وبالأرباح التي سيجنونها من خلال الصفقات التجارية فأسس شركة تجارية في مدينة لندن سنة 1875 أطلق عليها اسم شركة شمال غرب إفريقيا. (North West African Company).

وبعد اقتناء لكميات هامة من المواد التجارية، أبحر مكينزي رفقة بعض أعوانه من ميناء لڤربول على متن السفينة (Volta) يوم 11 يونيو 1876 وتوقف في جزر الكناريا واتجه منها نحو سواحل المغرب الجنوبية الواقعة بين مصب وادي درعة ورأس بوجدور. وكان يضع الخرائط ويقيس قوّة الرياح، وبعد أخذ ورد وقع اختياره على ساحل طرفاية لتنفيذ مشروعه، وذلك بسبب لطف الرياح ووفرة المياه، بالإضافة إلى وجود جزيرة رملية قريبة من الساحل. فنزل إلى البر وعقد اجتماعا مع الشيخ محمد بن بيروك التكني، وقدّم له بعض الهدايا وكميات هامّة من المواد الغذائية. ثم تفاوض معه في شأن بناء وكالة تجاريّة بالقرب من الساحل، فاستجاب له الشيخ ووعده بمنحه قطعة أرضية لإنجاز المشروع.

استغل مكينزي هذه الموافقة وعاد إلى لندن لعرضها على الحكومة البريطانية، وحثها على الإسراع باستغلال هذه الفرصة لبناء مركز تجاري. وفي سنة 1878 عاد إلى الجنوب المغربي حاملا معه كميات هامة من الحديد والخشب. وتوسط لصالحه نائب قنصل بلاده بجزر الكناريا (Topebann) لإقناع السلطات الإسبانية بمد بكميات من الأحجار واليد العاملة. وبعد انتهاء أشغال البناء بدأ يعقد صفقات تجاريّة مع القبائل، يحصل منها على مادة الصوف مقابل كميات من السكر والشاي وتمكن كذلك من جلب أنظار بعض أصحاب القوافل التجارية لعقد صفقات تجاريّة مع مركزه. ثم أخذ يتطلع إلى عقد صفقات تجاريّة مع أمير آدرار الشيخ أحمد ولد عايدة ومع مدينة تنبكتو.

وللرد على هذه التحركات استدعى السلطان مولاي الحسن الأول، وزير بريطانيا بطنجة جون درموند هاي وأبلغه احتجاجه الشديد على عمل مكينزي بساحل طرفاية وطلب منه إخلاء هذه المنطقة. باعترض في أول الأمر الوزير البريطاني بطنجة على مشروع مكينزي، لكنه تراجع واعتبر المناطق التي استقر فيها مكينزي لا تخضع لسلطة السلطان. فازداد غضب السلطان واضطر إلى الدفاع عن سواحل بلاده الجنوبيّة بوسائله الخاصة. فبادر إلى تعيين الشيخ ماء العينين نائبا عنه بالصحراء سنة 1879. وكلّفه بمنع رسو السفن الأجنبيّة وعقد صفقات تجاريّة مع القبائل. لكن مكينزي تمادى في غيه وواصل اتصالاته بشيوخ القبائل، فتعرض مركزه لهجوم عنيف قام به اتباع الشيخ ماء العينين سنة 1881 وأضرموا النار في منشآته وقتلوا بعض أعوان مكينزي. فاحتج جون درموند هاي وطالب السلطان بمبلغ 12000 فرنك كتعويض عن الخسائر التي لحقت المركز وبمعاقبة الأشخاص الذين قاموا بهذا الهجوم، لكن السلطان رفض هذه المطالب وبعث إليه رسالة قال فيها : "... وإذا كانت به أمتعة لرعيتهم فإنه ليس بمفتوح للتجارة وأنّ الاسترعاء على وجود الأمتعة المذكورة بذلك المحل واجب لكون وجودها به خارجا عن القانون ومخالفا للحق...".

لكن هذا الهجوم أرغم مكينزي وأعوانه على الانتقال إلى جزيرة رملية قريبة من ساحل طرفاية بنوا فيها مركزا بالأحجار الصلبة وحصنوه بمدافع لحمآيتهم من أي هجوم مباغث.

ولحسم مادة هؤلاء التجار الأجانب الذين ادعوا أن سلطة المخزن المغربي لا تتجاوز وادي درعة، قرر السلطان القيام بحركة للسوس سنة 1882 للدفاع عن سيادته، وبمجرد وصوله إلى منطقة وادي نون، نصب عددا من القواد الجدد على سواحل الصحراء وكلّفهم بحراستها ومنع رسو السفن الأجنبيّة بها ومنع القبائل من البيع والشراء معها. فتجددت هجومات القبائل الصحراوية ضد مركز مكينزي بطرفاية سنة 1886، فاضطر إلى طلب الحماية من حكومته، فأرسلت الحكومة البريطانية سفينة حربيّة إلى ساحل طرفاية في 16 يوليوز 1886 للدفاع عن أرواح رعاياها. لكنها امتنعت عن الاستجابة لطلب مكينزي القاضي بالإعلان عن فرض حمآيتها على ساحل طرفاية. فحاول مكينزي وأعوانه الاتصال مباشرة برجالات المخزن المغربي للتفاوض معهم حول مستقبل مركزهم. وأرسلوا فيرچسون Ferguson إلى مراكش سنة 1887، لكن المخزن المغربي كان يفضل التفاوض مع الحكومة البريطانية في شخص وزيرها المفوض بطنجة رسولا اسمه كربى گرين Kirby-Green الذي عقد سلسلة من اللقاءات مع السلطان بمراكش سنة 1887 لإيجاد حل يرضي الطرفين حول مركز مكينزي بساحل طرفاية. لكن قبائل المنطقة لم تنتظر نتائج هذه المفاوضات. إذ ذهبت إلى الرد بهجوم قوي في مارس 1888، أسفر عن خسائر في الأرواح والمعدات. فتدخلت الحكومة البريطانية من جديد وأرسلت سفينتها الحربيّة "فالكون" إلى ساحل طرفاية، واحتج كربى گرين على السلطان وطالبه بمعاقبة الجناة.

واستجاب المخزن المغربي لمطالب الخارجية البريطانية المتمثلة في دفع مبلغ 5000 جنيه كتعويض عن مقتل موريس وعن جرحى هجوم 1888، لكنه رفض دفع مبلغ 50 ألف جنيه لمكينزي تعويضاً عن شراء منشآت مركزه مقترحا مبلغ 30 ألف جنيه فقط.

وبسبب تجدد الهجومات ضد المركز بين 1890 و1894، اضطر المخزن المغربي إلى عقد سلسلة من

اللقاءات مع ممثلي بريطانيا بالمغرب لإيجاد صيغة لإنهاء هذا الخلاف الذي دام أكثر من عقدين من الزمن، وقبل السلطان دفع مبلغ 50 ألف جنيه لمكينزي لشراء منشآت مركزه مشترطا أن يجزأ هذا المبلغ إلى خمسة أجزاء. قيمة كل جزء عشرة ألف جنيه كل سنة.

وهكذا تم التوقيع علي معاهدة بين المغرب وبريطانيا سنة 1895، اعترفت فيها بريطانيا بسيادة المغرب على ساحل طرفايـة وعلى مناطق أخرى. ونص فصلها الأول عن ما يلي : "... إذا اشترى المخزن زينة المحل المذكور من الكمبانـيّـة المذكورة لا يبقى كلام لأحد في الأراضي التي من وراء وادي درعة إلى رأس بوخادور المعروف بالطرفايا المذكورة، وكذلك فيما فوق هذا المحل من الأراضي لكون ذلك كله من حساب أرض المغرب...". وبمجرد ما أن وقع كل من الصدر الأعظم أحمد بن موسى ووزير بريطانيا بطنجة ساتو (Satow) على فصول هذه المعاهدة، أسرع السلطان مولاي عبد العزيز إلى إرسال بعثة مخزنيّة تتكون من واحد وأربعين فردا إلى الجنوب المغربي لحيازة مرسى طرفاية من يد الإنجليز. وفي يوم 3 يوليوز 1895، وصل الوفد المخزني إلى مرسى طرفاية وتسلم مفاتيح المركز وبعض المعدات الحربيّة من يد الانجليز، وأصبحت سلطة المخزن بمرسى طرفاية ممثلة من طرف القائد حميدة الدليمي الشرادي، والأمين الطاهر بن عبد المالك و العدل العباس التطواني والميقاتي العلمي بن أحمد بن رحال. واستغل الشيخ ماء العينين فرصة وجود الوفد المخزني بمرسى طرفاية فاستدعى أعضاءه لزيارته بالساقية الحمراء، فلبوا دعوته واجتمعوا به يوم 15 يوليوز 1895.

وبسبب الاستقرار الإسباني بسواحل وادي الذهب منذ سنة 1884، وتزايد المحاولات الفرنسية في بلاد شنقيط، أصبحت مرسى طرفاية تستقبل المراكب المخزنيّة المحملة بالمؤونة والأسلحة والدخيرة الحربية المرسلة من طرف المخزن لنائبه بالصحراء الشيخ ماء العينين لمساعدته على التصدي لأطماع الأجانب التوسعية في سواحل المغرب الجنوبيّة.

المختار السوسي، *المعسول*، ج 19، مطبعة فضالة، المحمدية، 1960 ؛ عبد الهادي مكوار، *وثائق وبطائق متعلقة بالطرفايا*، مخطوط، الخزانة الوطنية، الرباط ؛ ب - ج - روجرز، *تاريخ العلاقات الانجليزية - المغربية حتى عام 1900*، ترجمة، لبيب رزق، الدار البيضاء، 1981 ؛ عبد الرحمن بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس*، المطبعة الوطنية، الرباط، 1930 ؛ عبد الوهاب بن منصور، طرفاية، قصة المحاولات الانجليزية للاستقرار بصحراء المغرب، جريدة *صحراء المغرب*، الرباط، 1957 ؛ خالد بنصغير، المغرب وبريطانيا العظمى في القرن التاسع عشر 1856 - 1586، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1997 ؛ بريطانيا وإشكالية الإصلاح في المغرب، 1886 - 1904، الرباط، 2003.

Lahure Baron, *Le Maroc et le Sahara occidental*, Bruxelles, 1905 ; Nehlil, *Lettres chérifiennes*, 1ere Partie . Paris, 1915 ; J – L – Miège , *Le Maroc et l'Europe* (1830 – 1894) , Paris, 1963 ; Gerenton, E , *Les expéditions de Mouley EL Hassan dans le Souss* (1882 – 1886), Paris, 1924 ; Charles de Foucauld, *Reconnaissances au Maroc*, Paris, 1888 ; Donald Mackenzie, *The Khalifate of the West , being a general discription of Morocco*, London, 1911 .

نور الدين بلحداد

الموسيقى، يحتاج النظر في ظواهر الحياة في هذه المناطق، ويزداد البحث عمقا حينما يتوخى رصد الظاهرة الموسيقية، وذلك لما يكتف هذا الموضوع من صعوبات تتجلى في تنوع الممارسات الغنائية وتداخل أنماطها وأدواتها.

ولامجال للشك في أن دراسة الآثار الموسيقية المتداولة في الأقاليم الصحراوية بجنوب المغرب تستلزم الانطلاق من مبدإ الاقتناع بقيام تواصل مطرد ظل على مر حقب طويلة يحكم مكوناتها، وهو تواصل متعدد الاتجاهات، يكرس - من جهة - طبيعية انفتاح الصحراء منذ العهود القديمة على المؤثرات الفنية الوافدة من المشرق العربي والأندلس وشمال المغرب ومما وراء تخوم السودان، وتتجلى ملامحه - من جهة ثانية - في أصناف الآلات وطرق صنعها واستخدامها، مثلما تتجلى في طبيعة الألحان والإيقاعات وفي انساق التلحين وضروب الأداء الصوتي.

يتجه هذا البحث إلى تقصي الظاهرة الموسيقية في الأقاليم الجنوبية للمملكة المغربية باعتبارها أحد المقومات التي تنهض عليها الحضارة المغربية، ولونا من ألوان نشاط المجتمع المغربي في هذه الربوع.

وسوف ينسحب البحث على بقعة فسيحة من الصحراء الواقعة جنوب البلاد، ونعني بها مناطق گلميم وطنطان وآسا، وكذا المناطق التي كانت واقعة تحت حماية الدولة الإسبانية، ثم تحقق استرجاعها تباعا ابتداء من عام 1958.

على أننا سوف نجد أنفسنا - ونحن نسعى إلى استقراء ملامح الظاهرة الموسيقية في هذه المناطق - منساقين - في أكثر من مرة - إلى تجاوز الحدود للخريطة المغربية في وضعها المشروع والذي كرسته نتائج المسيرة الخضراء منذ عام 1975. وذلك بحكم التفاعل الذي ظل يحكم الممارسات الغنائية والموسيقية المنتشرة في مختلف أطراف الصحراء الممتدة من القطر المصري شرقا وحتى سواحل المحيط الأطلسي غربا، ثم كنتيجة حتمية لطبيعة الترحال التي لازمت حياة القبائل الصحراوية تحت تأثير عوامل بيئية واقتصادية وأمنية والتي واكبها تسرب دائب الحركة والتدفق لصنوف من المعارف الموسيقية والمهارات الغنائية. ولقد كانت المناطق الصحراوية لجنوب المغرب منذ عهود ما قبل الإسلام المجال المؤهل بحق لاستقبال عناصر بشرية مختلفة المسارب : ففي هده المناطق الممتدة من سجلماسة ووادي درعة شمالا وحتى حدود القطر الموريتاني استقرت عناصر من الحراطين السمر، ومن قبائل لمتونة وصنهاجة وزناتة، ثم توافدت عليها حشود متلاحقة من زنوج السودان في سياق رحلات شبه منتظمة ظلت على مدى فترة طويلة سابقة للإسلام

تضطلع بوضع الأسس المبكرة للعلاقة بين المغرب شمالا وبين ما وراء نهري النيجر والسنغال جنوبا. وعندما أشرق الإسلام بنوره على هذه الربوع وجد الفاتحون العرب في القبائل البربرية خير سند لنشر تعاليمه في ربوع الصحراء وفي بلاد السودان، ويبدو أنه كان لانتماء هذه القبائل إلى أصول عربية دور في توطيد أسباب التلاحم بينها وبين العرب الفاتحين وهو تلاحم سيتولد عنه امتزاج بين الجانبين أفضى إلى نشوء مجتمع جديد تطبعه مظاهر الوحدة على صعيد الفكر وتماثل مناهج الحياة إلى درجة أثارت استغراب المؤرخ الفرنسي گوتيي. وفي مواكبه توطيد أسس الدين الجديد في الأقاليم الصحراوية تحددت طرق القوافل التجارية الرابطة بينها وبين السودان، وأنشئت عبرها محطات ومراكز لإيواء التجار سوف يصبح لها فيما بعد شأن يذكر ويرقى بعضها إلى مستوى العطاء في مختلف مجالات الثقافة والفن، وكان في مقدمة هذه المراكز مدينة سجلماسة. فقبل أن تقوم دولة المرابطين بالمغرب أسس المدراريون من الخوارج الصفرية مدينة سجلماسة عام 140هـ، وقد ألمح البكري المؤرخ الأندلسي في كتابه "*المسالك والممالك*" إلى اشتراك عناصر عربية وبربرية وزنجية وأخرى وافدة من الأندلس بعد وقعة الربض عام 202 هـ في تعمير سجلماسة، كما ألمح إلى تحول الحياة بهذه المدينة من البداوة إلى الاستقرار، وكذا تغير كثير من عادات الناس وتقاليدهم. ومن جهة أخرى فقد شق التشيع طريقة إلى دولة الخوارج بسجلماسة بعد وفود عناصر فارسية كانت قد نزحت إليها بعد إخلائها للمستعمرات التي كانت لها على ساحل طرابلس ؛ وقد زامن هذا الحدث قيام الدولة الرسطمية في تاهرت حيث كانت العناصر الفارسية تشكل قوة اجتماعية لها وزنها حتى غدت أشبه بدولة داخل دولة وحيث تحول البلاط من حياة التقشف إلى معانقة الدعة والترف، فمال الناس إلى اقتناء الجواري وساروا على نهج خلفاء بني العباس وملوك فارس في الولع بالآداب والفنون، وأصبحوا يقيمون الاحتفالات في الأعياد والمناسبات الهامة. وقد كان طبيعيا أن تتأثر سجلماسة بجارتها تاهرت، فتتسرب إليها بعض المؤثرات الفارسية مما لانزال نشهد بعض معالمه "فيما يستعمل في موسيقى سوس من أدوات وفي طريقة عزف الصنج". وإذا أدركنا كيف كانت سجلماسة المدرارية تغص بقوافل التجار المشارقة الوافدين عليها من مدن العراق عبر الأنبار والرها وحلب ودمشق والفسطاط والأسكندرية، وكيف كانت تعج في ذات الوقت بالقوافل السودانية وجموع التجار الأندلسيين، سهل علينا أن ندرك مدى تنوع المنتوجات والمصنوعات التي كانت تستقبلها والتي يقوى احتمال أن يكون من ضمنها آلات موسيقية جاهزة فضلا عن المعارف والمهارات الموسيقية التي تحملها العناصر الوافدة.

وعلى غرار ما كان يحدث في سجلماسة وضواحيها عرفت مناطق أخرى من الأقاليم الصحراوية بالجنوب المغربي تحولات هامة في بنياتها الاجتماعية بفعل نزوح موجات العرب الهلاليين والسليميين وبني معقل إليها منذ القرن السادس للهجرة، وعلى امتداد عقود طويلة استطاعت هذه العناصر العربية أن تنصهر مع العناصر البربرية والزنجية في بوتقة واحدة زاد من قوة تلاحمها أواصر القربى ووحدة السلالة والعقيدة، وقد شكلت هذه العناصر بأكملها وبعد أن انتظمت سائر الأقاليم الصحراوية لجنوب المغرب وحدة متكاملة انعكست على أساليب العيش وأنماط التفكير، مثلما انعكست على الفنون المعمارية بالمدائن والحواضر التي أقامتها عبر مناطق الصحراء، وفي هذه الأجواء نشأت فنون موسيقية وغنائية شكلت خلاصة رائعة لتمازج ممارسات متعددة الأشكال وبذلك أصبحت الصحراء المغربية بواحاتها الخضراء وتلالها الرملية ووهادها وأغوارها مجالات لتنامي قوالب وأنماط غنائية مبتكرة هي حصيلة تمازج وتلاقح أساليب تنتمي أصولها الأولى إلى شعوب شتى زنجية وبربرية وأخرى عربية مشرقية أو أندلسية.

وسوف يأتي نزوح الأندلسيين إلى المناطق الصحراوية بجنوب المغرب بعد معركة الزلاقة (ق 13 م) وذلك حين استقدم الأمير علي بن يوسف المرابطي طائفة من مهندسي قرطبة وصناعها للاستفادة من خبرتهم في جلب الماء ومتح الآبار بالصحراء. على أن أعظم الهجرات الأندلسية شأنا وأقواها أثرا كانت بدون ريب تلك التي أعقبت سقوط حاضرة غرناطة في يد الإسبان أواخر القرن التاسع للهجرة، لاسيما وقد كان جل هؤلاء المهاجرين من برابرة الأندلس. وسوف يتهيأ لهذه المستعملات أن تتفاعل مع الأنماط الغنائية المنتشرة بالصحراء لتفضي إلى انبثاق أساليب مبتكرة في الإنشاد والعزف، نلمس اليوم كثيرا من ملامحها في أغاني شنقيط حيث يبدو الشبه جليا بينها وبين صنعات النوبة الأندلسية.

ولقد كان طبيعيا أن تتحكم هذه المعطيات في صياغة الآثار الغنائية والموسيقية وفي تركيب إيقاعاتها ونغماتها مثلما كان طبيعيا أن تعكس بصماتها على أنماط الممارسات الغنائية وطرق أدائها، وأن تؤثر في تشكيل أدواتها وآلاتها الموسيقية بسائر أنواعها، وتسهم بوضوح في نحت المصطلحات التي تكون مادة معجمها.

ويأتي قيام المجتمع الصحراوي على عناصر من السود والبيض والسمر في مقدمة المعطيات التي انعكست آثارها بجلاء على نوع الأنماط الموسيقية المتداولة، فلقد دأب الصحراويون من أولاد حسان على تصنيف ممارستهم الموسيقية في ثلاثة أنماط أساسية تغطي المناطق الممتدة بين جنوب سوس ونهر السنغال وتضم بذلك أقاليم الصحراء المغربية والقطر الموريتاني. وقد ارتبطت تسمية هذه الأنماط بالألوان الثلاثة : الأبيض والأسود والأزرق، ثم غدت هذه الأسماء بمثابة مصطلحات ثابتة تحمل مفاهيم نغمية محددة تندرج ضمن ما أسموه بالأبواب أو الدروب، فيقال الدرب الأسود للسود، والدرب الأبيض للبيض والدرب الأزرق للسمر. ومن جهة أخرى تحفل الفرجة الگناوية - وهي إحدى الظواهر الفنية التي أفرزها التمازج الحاصل بين العناصر المغربية والزنجية - بمجموعة كبرى من

المصطلحات تمت غالبيتها إلى عالم الألوان التي توحي أعلامها بأجواء وشخوص أسطورية تتأرجح بين الواقع والخيال وتؤشر في ذات الوقت لمدى حدة التلاحم بين العنصرين الزنجي والمغربي بربرا وعربا. وقد أصبحت هذه الألوان ذاتها رموزاً لأسماء أغاني يشاء الخيال الجامع - مرة أخرى - أن يطلق عليها "الملوك" أو "المحلات". ويتأكد حضور الألوان من خلال "الخرقات" التي ترتديها المجموعات الـﯖناوية وهي منهمكة في إنشاء "الأبيات" على وقع آيقاعات الرقص، وتحدد تلك الألوان تبعا لنوع "الأبيات"، فهي تارة بيضاء وتارة سوداء أو زرقاء أو حمراء أو ذهبية.

ومن خلال تقصي الممارسات الموسيقية والغنائية المتداولة في أقاليم الصحراء المغربية، ننتهي إلى أن جلها لا يخرج عن ثلاثة أصناف رئيسية نعتقد أنها تختزل سائر ألوان النشاط الموسيقي فيها وهي : الموسيقى الحسانية، وأغاني الحراطين وأغاني أحواش البربرية، يضاف إلى ذلك مستعملات الزوايا الصوفية المبثوثة في هذه الأقاليم. وقبل الخوض في بيان هذه الأصناف تجدر الإشارة إلى أنه كان لمحترفي الموسيقى والغناء في المجتمع الصحراوي منزلة متميزة حتى بات من أعراف الأشياخ وأمراء القبائل أن يتخذوا لأنفسهم فرقا موسيقية خاصة، تؤنسهم في حلهم وتصحبهم في ترحالهم، فلا يستغنون عنها مثلما لا يستغنون عن رفقائهم المقربين من النبلاء والطلبة ونخبة المحاربين. ومن عادة أبناء القبيلة إذا استقبلوا ضيفا أن يقدموا بين يديه خادمات سوداوات، يغنين ويرقصن على إيقاع الطبل، فإذا كان المضيف من علية القوم تقدمت فرقته الموسيقية الخاصة وانطلقت تغني مشيدة بحميد خصال سيدها ومرحبة بضيوفه ؛ حتى إذا حل يوم رحيل هؤلاء عادت الفرقة من جديد إلى مثل ما فعلت في البدء. وهكذا وعلى غرار الصناع المهنيين، يلاحظ شدة تعلق الموسيقيين بمراكز السادة من أشياخ القبائل الذين يفيضون عليهم من عطائهم وعنايتهم مقابل ما يقدمون لهم من خدمات وترفيه. وتتنوع صنوف الأغاني، فنجد من بينها تلك التي تصاحب القوافل في ترحالها، وما ينشده الرعاة في حدائهم، والعمال في جني الثمار وبذر الحبوب وحصادها، وما يردده المغنون في الحض على الجهاد وما يتعلق بالحبيب، وما يرجعه "المرابطون" في الزوايا. ومن هذه الأغاني ما تردده المجموعات، وما يردده الأفراد وحدانا ومنها ما يصاحبه العزف، وما يخلو من المصاحبة الآلية. وتتعدد التظاهرات الاحتفالية التي يلتقي فيها الصحراويون للغناء والطرب، وتأتي في مقدمتها الأعياد الدينية والمواسم الفصلية حيث يتوافد الناس رجالا ونساء، فتيانا وفتيات، على نحو ما يصنعه أبناء قبيلة "تدرارين" في منطقة بوجدور، فيعقدون المسابقات، ويرددون الأهازيج والأغاني للإشادة بموسم حصاد الشعير وجودة إنتاجه، أو على نحو ما يصنعه أبناء وادي الذهب لإحياء رقصة "الرقي" الشهيرة على وقع دقات الطبول.

الموسيقى الحسانية

ينتمي ذوو حسان (الحسانيون) إلى قبيلة معقل الذين وفدوا من المشرق العربي إلى المغرب في القرن السادس الهجري. وقد استوطن هؤلاء في البدء سهول ملوية ورمال تافيلالت قبل أن ينتقلوا إلى سوس ودرعة بعد العهد الموحدي. وفي النصف الثاني من القرن السابع للهجرة تحقق انتشارهم في الساقية الحمراء وجزولة. ويستقر أغلب الحسانيين اليوم في وادي الذهب وصحراء شنقيط، ويراد بشنقيط - حسب اطلاق صاحب *الوسيط* - سائر المناطق الصحراوية بما فيها موريتانيا الحالية. ويجري تداول مستعملات الموسيقي الحسانية في مجموع المناطق الصحراوية التي تغطي أقاليم وادي الذهب وبلاد شنقيط بمفهومها المذكور، ففي هذه المناطق الشاسعة نبتت أساليب وتقاليد مبتكرة في الغناء والعزف شكلت نتاج معطيات فنية هي مزيج من المهارات والفنون الغنائية متعددة الأصول تنتمي إلى أصول زنجية وعربية وبربرية. ويندرج مجموع الغناء الحساني ضمن نمطين رئيسيين هما "لغنا" والأزوان.

1) أما "لغنا" فهو الشعر الحساني الشعبي المغنى الذي يقارب في نظمه الزجل الأندلسي ويضطلع بأدائه طائفة من الشعراء المغنين يدعى الواحد منهم "أنشاد"، كما يطلق على غناء هؤلاء مصطلح "البياظ" وهي طريقة أقرب إلى الإنشاد العربي والبربري وتتميز بالهدوء كما تخلو من الرجات الصوتية العنيفة. ويجري الإنشاد بمصاحبة آلة وترية تدعى "الأردين" تسوى أوتارها على طبقة منخفضة.

2) وأما "الأزوان" فهو عبارة عن سلسلة من الأغاني أو القطع الموسيقية تؤدى وفق نظام شبيه بنظام تسلسل الصنعات في ميازين النوبة الأندلسية، والأزوان في اعتقادنا كلمة عربية محرفة عن "الميزان". وتقوم ألحان الأزوان على مقطعات من الشعر الحساني يضطلع بإنشادها شعراء مغنون يطلق عليهم "الإيـﯖاون" (واحدهم "إيـﯖيو") على طريقة اصطلح على تسميتها "لكحل" وهذه الطريقة قريبة من نمط الغناء الزنجي، إذ يجنح فيها الإيـﯖيو إلى الغناء في طبقة صوتية حادة يطبعها عنف الأداء، وتستفز عواطف جمهور المستمعين بغية خلق أجواء نفسية معينة يزيد في تصعيدها استخدام آلة "التدنيت" وقد شدت أوتارها على النغمات الحادة لمناسبة صوت المنشد. ويبدو الفرق بين "أنشاد" و"إيـﯖيو" في عزوف الأول عن التكسب بالغناء وتحاشيه الاجتماع بإيـﯖيو في المحافل الغنائية. أما كلمة "أنشادن" فهي ذاتها تسمية طائفة المغنيين في الأطلس المتوسط، تمييزا لهم عن طائفة "إمذيازن" المكتسبة بالغناء. وأما كلمة "إيـﯖيو" فأصلها "ﯖيول" في لغة الولوف لما وراء نهر السنغال، و "ﯖـالو" بلغة التكرور، غير أنها عند صيغة الجمع نحتت على نسق الجموع في اللغة الأمازيغية، فيقال : "إيـﯖاون" على غرار "إمذيازن" التي تعني عند برابرة الأطلس الشعراء المغنين المتكسبين بغنائهم، وفي هذا ما يـدل بوضوح على قـوة

حضور التأثير الزناگي (الصنهاجي) في صياغة هذه التسمية. ولأن "الايگاون" اتخذوا من غنائهم مطية للتكسب، وراحوا يتنقلون في حركة دائبة بين قبائل الصحراء، فقد كان الناس ينظرون إليهم نظرة ازدراء واحتقار، حتى سار فيهم مثل يقول : لا يمكن للمرابط أن يكون صديقا للايگيو، ونصه باللهجة الحصانية : لمرابط ما هو صاحب ايگيو، مثلما سار فيهم مثل آخر قيل عن الحدادين إذا نزلوا محلة وقد ضمنوه تعريضا بالايگاون، ونصه بالحسانية : الحل حلت أفلاو أخير العبيد من المعلمين وخير المعلمين من إيگاون، وتعريبه : المحلة محلة أفلاوا : الأسرى أفضل من الحدادين، والحدادون خير من الإيگاون. وبالرجوع إلى لفظ "گـالو" الشائع في بلاد السودان الغربي للتدليل على الشعراء المغنين، يلاحظ أنه، هو أيضا يتضمن معنى الازدراء المشوب بمشاعر الخوف، وذلك لأن "گـالو" لا يتورع من استعمال طلاقة لسانه في هجو من مدحهم بالأمس مهما أغدقوا عليه من العطاء. وقد تحسن الوضع الاجتماعي لطائفة "الإيگاون" في العهود المتأخرة، فأصبحوا موضع تقدير بفضل ما اكتسبوه من مهارة في الإنشاد والعزف، بل إنهم تحولوا إلى رمز من رموز الثقافة الأصلية في الصحراء، فهم حفظة التراث الغنائي الحساني، وهم حماته من الضياع، ومن ثم أصبحت القبائل حريصة على أن يكون لها شعراؤها المغنون، فإذا افتقدت قبيلة ما شاعرها المغني تدنت مكانتها بين نظيراتها. وتتشكل فرقة "الايگيو" من عدد يتراوح بين إثنين وأربعة والغالب أن تضم الفرقة إلى جانب المغني عازفين على "التدنيب" وعازفة على "الأردين".

ويسير الايگيو في إنشاد "الأزوان" على نهج يتواتر فيه الانتقال المستمر من مقام إلى آخر، ويطلق على المقام في الموسيقى الحسانية لفظ "الظهر". والظهور نوعان، أساسية وفرعية، فالأساسية، وهي ترتبط بالمشاعر الإنسانية على نحو يذكر بارتباط طبوع الموسيقى الأندلسية بالطبائع، وهي : الكر - فاغو - سنيمة - البيكي. وقد فرعوا عن الظهور الأصول ظهورا أخرى أربعة، وذلك قياسا على تسوية أوتار التدنيب والأردين، فإن هي سويت مشدودة إلى الطبقات الحادة جرى الغناء على طريقة لحكل، وإن هي سويت مرتخية جرى الغناء على طريقة لبياظ" فيقال فاغو أسود أو أبيض، ومثل ذلك في الظهور الثلاثة الأخرى، على أن ذلك لا يعني تغيير المقام، وإنما تتغير الطبقة الصوتية للمغني. ونتيجة هذا التقسيم تتسع المساحة الصوتية عند الغناء. والعادة أن يبدأ الايگيو الغناء بظهر الكر، ثم ينتقل إلى الفاغو، فسنيمة ليختم الأزوان بظهر البيكي. ويجري أداء أغاني الأزوان المتعاقبة في نسق صوتي يتم خلاله التدرج من درجة "لكحل" الحادة إلى درجة "لبياظ" الغليظة" عبر ثلاثة مستويات (طبقات) صوتية توصف على التوالي بالارتفاع والتوسط و"لخفاض"، ويطلق عليها : الطريق الكحلاء والطريق الكنيدية والطريق البيضاء. وتتعدد مستويات النزول التدرجي داخل كل طريق من هذه الطرائق بتعدد الظهور الأصول وفروعها. هكذا إن "الأزوان" في الموسيقى الحسانية يتشكل من ثلاث طرائق هي : الطريق الكحلاء والطريق الكنيدية والطريق البيضاء، وفيما تجنح الطريق "الكحلاء" إلى الدرجات العليا من صوت المنشد أو آلته، فإن الطريق البيضاء تجنح إلى الدرجات السفلى منهما، بينما تتوسط "الكنيدية" الطبقتين لتشكل مزيجا منهما، أو بعبارة أخرى طبقة وسطى نصف بيضاء ونصف سواء، وهي نمط ثالث للغناء يعكس وجها طريفا من وجوه الامتزاج الذي حصل على المستوى الاجتماعي بين العرب البيض والزنوج السود، ويبدو أنه لتوسطه بين لكحل ولبياض فقد سمي "ازرق" وتحتوي كل طريق على مجموعة من الأشوار والأغاني يتوالى إنشادها وفق نظام معين يحكمه التدرج التنازلي من الطبقة الصوتية الحادة (Tenor) إلى الطبقة الصوتية الدنيا في الانخفاض (Basse) عبر استعراض الظهور الأربعة وفروعها، وبذلك يبلغ الحد الأدنى من "أشوار" الطريق الواحدة ثمانية، فإذا ضمت إلى نظائرها في الطريقين الآخرين بلغ مجموعها أربعا وعشرين في "الأزوان" الواحد. ويعتمد إنشاد الألحان الغنائية على أوزان شعرية تعرف باسم "لبتوت" (مفردها بت")، وهي من الشعر الحساني بمنزلة بحور العروض من الشعر العربي الفصيح. وتقوم المقطوعة الشعرية الواحدة على "البت" وهو مكون من أشطار قلها أربعة : أولها وثالثها متحدا الروي والحركة، ونفس الأمر بالنسبة للشطرين الآخرين، فإذا تجاوزت أشطار "البيت" ستة خضعت لنظام مغاير من حيث الروي وحركته، وسميت المقطوعة "طلعة"، وهي ما يقابل القصيدة في النظم الفصيح. وقد تعارف "الإيگـاون " - بحكم ممارستهم للنظم والإنشاد معا - على أن يخصوا كل "ظهر" من ظهور الموسيقى الحسانية بأغراض شعرية وبحور عروضية معينة، وذلك لاعتقادهم أنها أنسب لترجمة طبيعة تلك الظهور. وفيما يلي جدول ببيان ظهور الموسيقى الحسانية وما يناسبها من الأغراض الشعرية وبحورها، وذلك وفق نهج "الإيگـاون" في إنشادهم للشعر الحساني.

الظهور وطريقة الايگـاون في ترتيبها وإنشادها

الرتبة	الظهور	المشاعر الانسانية	الاغراض الشعرية	البحور (لبتوت)	أنواع الأغاني
1	الكر (سيني) وفروعه	- السعادة والرضى - تدفق العاطفة الدينية	شعر المديح النبوي	- امْرِيْميدَ - بوعَمْرانْ - لبيتيت	
2	فاغو وفروعه	الاندفاع والعنف والشجاعة والغضب	شعر الفخر والحماسة	- امْرِيْميدَ بوعَمْرانْ	أغاني الحروب
3	سنيمة وفروعه	الهروء والرتابة - خليط من الكر والفاغو	متعدد الأغراض	- بَيْـنِر	
4	بيكي وفروعه	العشق والغرام	شعر التغزل شعر الابتهال	- لبيتيت	المطولات الغزلية والطللية

ولا مناص من الإقرار بوجود تشابه جلي وواضح بين "أزوان" الموسيقى الحسانية في الأقاليم الصحراوية المغربية و"ميزان" الموسيقى الأندلسية المنتشرة في

حواضر المغرب الشمالية، وهو تشابه يتأكد من خلال عدة وجوه لعل أبرزها تسلسل "الأشوار في "الأزوان" على نحو تسلسل "الصنعات" في الميزان. ولا غرو فقد كان للهجرات المتعاقبة لمسلمي الأندلس نحو الجنوب المغربي بدءاً بالقرن الثالث عشر وحتى سقوط غرناطة عام 1492 - وجل عناصرها يومئذ من برابرة الأندلس - دور بارز في نقل جملة من المعارف والمهارات الموسيقية إلى صحراء المغرب. ولقد تهيأ لهذه المعارف أن تتفاعل مع الأنماط الغنائية المحلية وأن تفضي بالتالي إلى نشوء أساليب مبتكرة في العزف والإنشاد تتجلى ملامحها خاصة في قالب "الأزوان" الذي لا ريب أنه استفاد من قالب النوبة الأندلسية.

2 - غناء الحراطين :

يندرج الحراطين في المرتبة الرابعة من فئات العناصر الصحراوية بعد الأشراف والمرابطين وطبقة العوام من زناتة وعرب، ويأتي بعدهم في المجتمع الصحراوي العبيد والمماليك من السود الزنوج. وقد نعتتهم رحلة حانون القرطاجنية بالأحباش السود، ومنذ ذلك جنحت الدراسات الأولى إلى اعتبارهم من العبيد الذين شكلوا ساكنة الصحراء الأوائل "السوادن" قبل أن ينزل بها البربر والعرب "البيضان".

وانطلاقا من رفض التصنيف القديم الذي يعتبر الحراطين امتدادا للأحباش الأوائل، وبناء على واقعهم في المجتمع الصحراوي خلال القرن التاسع عشر، استطاعت بعض الدراسات الحديثة أن تفند الطرح الذي يخلط بينهم وبين العبيد، غير أنها لم تتورع عن القول بأنهم يمثلون فئة أشبه ما تكون بالمنبوذة حتى بالمقارنة مع العبيد لدرجة وصفهم أحيانا باللقطاء ؛ ومع ذلك فقد حافظوا على صلاتهم بالمجتمع حيث احتكروا المعرفة المهنية دون غيرهم. وتشتهر فئة الحراطين بممارسة تخصصات مهنية كالفلاحة والحدادة والنجارة، على أن الموسيقى تبقى - دون منازع - أهم هذه التخصصات، وهي على الرغم من بساطة بنياتها اللحنية والإيقاعية غنية بما تحمله من معطيات فنية تتعدد بتعدد العناصر البشرية التي عايشها الحراطين من زنوج وبربر وعرب. ويتناقل الرواة أن الحراطين كثيرا ما يقيمون حفلاتهم الموسيقية في الليل، وأنهم يتحاشون أن تحضرها عناصر أجنبية من القبيلة. وتقوم العروض الموسيقية عند الحراطين على الغناء والرقص بمصاحبة العزف الذي كثيرا ما يستخدمون فيه طبلا كبير الحجم يختصون به دون غيرهم، ويعرف بطبل كونتا، ومن آلاتهم الموسيقية أيضا النفافير المصنوعة من جذور شجر الطلح، ومنها أيضا "الزگعاري" ذو الوتر الوحيد والذي يستخدمه صغار الحراطين، وآلة "الگنبر" ذات الوتر الوحيد، ثم الدندون وهو طبل يرقصون على إيقاعاته رقصة "تاونة" التي يحيونها في تامگروت عند غروب اليوم الذي يختم فيه "سيدي البخاري" بالزاوية الناصرية".

فضاء الزوايا

أثبتت إحدى الدراسات الحديثة بعد استقراء خريطة توزيع الزوايا بالمغرب خلال القرن السادس عشر حقيقة شمول زوايا الصلحاء لسائر جهات البلاد بما فيها المناطق الجافة أو ذات الاقتصاد الواحي من الساورة ودرعة وتافيلالت بين القبائل البربرية والعربية على السواء، وقد رفعت نسبة هذا الشمول إلى ثمانية في المائة من مجموع الصلحاء بالمغرب. ويرجع الفضل في تأسيس الزوايا بهذه المناطق إلى جماعة من الصلحاء الذين عرفوا باسم "المرابطين" وهم سلالة سكان الرباطات الذين حملوا راية الجهاد، وعملوا على استتباب الأمن ونشر تعاليم الإسلام، وتعميم التعليم والعدل بين ساكنة الصحراء من بربر وعرب وسود وعبيد، وقد كانت هذه الفئة من المجتمع الصحراوي وتحظى بتقدير السكان واحترامهم. وبالإضافة إلى الوظيفة الدينية والاجتماعية التي يضطلع بها رجال الزوايا، فإنهم كانوا لا يجدون ضيرا في أن يعقدوا برباطاتهم حلقات للذكر وقراءة الحزب وتلاوة القرآن بالألحان، ولقد نقل عن "المرابطين" أنهم كانوا يكرهون غناء الإيگاون ويؤثرون عليه إنشاد المديح النبوي وما أحسب صنيعهم هذا إلا من قبيل التصدي لحدة موجة الأغاني الماجنة التي كان الشعراء المغنون يتجولون بها بين القبائل في الأقصر والمراكز الحضرية بالصحراء. ومن جهة أخرى فقد كانت بعض الزوايا تحتضن بين الفينة والأخرى مشاهد "الحضرة" حيث يجتمع المريدون "في وقت فينشد لهم منشر أبياتا في المحبة وغيرها، فمنهم من يتواجد ويرقص، ومنهم من يصيح ويبكي، ومنهم من يغشاه شبه الغيبة عن إحساسه.

وعندما انتقل الشيخ محمد فاضل العبيدي مؤسس فرغ الزاوية القادرية بأدرار إلى زاوية آسا صحب معه صناعه ومغنيه. ثم لما بلغ مدينة فاس وهو في طريق عودته إلى الصحراء نزل بزاوية الشيخ سيدي أحمد التيجاني، وأخذ عنه ورده. وإلى ذلك كله، فقد عني أشياخ الطريقة بتأليف أوراد وأحزاب خاصة بزواياهم، ينشدونها بين الفينة والأخرى، ونريد بالحزب عند الصوفية نصا منشورا قوامه عبارات إنشائية تعبدية، يضعه زعيم الطريقة للمريدين من أتباعه، فيحفظونه وينشدونه في حلقاتهم على نغمات خاصة. وقد تصحبه حركات الرقص على إيقاع هز الاكتاف وضرب الأرجل ونحو ذلك.

على أن الشيخ ماء العينين ذهب إلى أبعد من ذلك حينما حث زعماء الطرق الصوفية في ثنايا كتابيه : *مفيد الراوي* ومبصر *المتشوف* على أن تتبنى حزبا موحدا تستمد نصه من مجموع الأحزاب الرئيسية المعمول بها عند غالبية الطرق الصوفية. ويبدو أن هذه الدعوة استهوت زعماء الزوايا المغربية يومئذ، وخاصة منهم شيوخ الزاوية الكتانية بفاس غير أن الظروف السياسة التي كانت البلاد تعيشها آنذاك حالت دون أن يأخذ هذا المشروع طريقه نحو الإنجاز.

أغاني أحواش

كان من آثار التواصل الذي تحقق بين سكان مرتفعات الأطلسين الكبير والصغير وبين سكان المناطق الصحراوية المجاورة لها أن امتزجت بعض تقاليد

الممارسات الأمازيغية بمستعملات الموسيقى الصحراوية، وقد اخترت ثلاثة نماذج من مواقع متباينة في هذه المناطق كشواهد ما تزال إلى اليوم قائمة على مدى عمق التفاعل بين أبناء المغرب في أقاليمه الشمالية والجنوبية.

أول هذه النماذج من منطقة "تازارين"، وهي مركز قروي يقع عند جبل صغرو ويجري فيه نهر يحمل هذا الاسم، ويتوسط منطقة يسودها مناخ صحراوي جاف. أما ساكنتها فخليط من القبائل والأجناس التي تعاقبت عليها عبر تاريخها الطويل، وتتشكل من قبائل آيت عطا البربرية وأقليات تنتمي إلى فئات المعاقلة المرابطين والحراطين السمر. ويعتبر الاحتفال بعيد الأضحى مناسبة لإحياء موسم "إيسوگار" الذي تلتقي فيه مختلف هذه الفئات لتقديم الهدايا، فيجتمع الناس من قبيلة آيت عطا، ويسيرون في موكب احتفالي تتقدمه فتاة من حسناوات القرية وبين يديها سلة ملؤها الثمر، وكلما بلغت الفتاة دارا أو خيمة أهدت أهلها بعضا مما تحمله (إيسوگار)، بينما الرجال يضربون الطبل والبندير والناي لمصاحبة الغناء. أما النساء من أبناء القرية فيختلين بأنفسهن ليقمن برقصة "إقلال". وأما العرب المرابطون فهم داخل زاويتهم منهمكون في الحضرة بينما الحراطين يرقصون على إيقاع النواقيس اليدوية وضربات الطبل المعروف بالدندون. وفي هذا الجو الديني المفعم بالحيوية المتدفقة تلتقي صنوف من الغناء والرقص وأنواع من آلات الموسيقى ذات مشارب أمازيغية آنا وصحراوية آنا آخر.

أما النموذج الثاني فهو من "تيسينت" إحدى الواحات الواقعة على طول جبل باني جنوب الأطلس الصغير بين طاطا وفم زگيد حيث تشتهر إحدى فرق أحواش الأمازيغية برقصاتها وأغانيها. ومرة أخرى يلاحظ انفتاح فن "أحواش" الأمازيغي على المعطيات الصحراوية من خلال ارتداء أعضاء الفرقة للباس أزرق هو عبارة عن أقمصة ذات نمط صحراوي وعمائم سوداء على حين نعلم أن فرق أحواش في مختلف مواقعها بالأطلسين الكبير والصغير تتميز بجلاليبها وعمائمها البيضاء.

وننتقل إلى النموذج الثالث، ويتمثل في طرائق تسوية الرباب والگنبري عند عازفي فرق أحواش بسوس ومرتفعات الأطلس الكبير، ويتجلى التأثير الصحراوي هنا من خلال إطلاق مصطلح "مساوية معقل" على إحدى الطرائق الثلاث الخاصة بتسوية گنبري "الروايس" الذي يضرب بالريشة. كما يتجلى في مصطلح "مساوية أگناوي" الذي يعني إحدى طريقتي تسوية رباب الروايس، وهو آلة وترية يستخدم في عزفها قوس يجعلها شبيهة برباب جوق الموسيقى الأندلسية. وتتميز "مساوية أگناوي" بارتفاع قرارها بالمقارنة مع طريقة "أشلحي" جريا على عادة الألحان الگناوية في جنوحها إلى الحدة والارتفاع، بينما تبقى "مساوية معقل" رهينة رغبة المغني. والطريقتان كلتاهما من أثر موسيقى معاقلة ذوي حسان وأغاني المجموعات الگناوية المتفرقة في الأقاليم الصحراوية بالجنوب المغربي.

المرأة الصحراوية والموسيقى

تلعب المرأة الصحراوية دورا كبيرا في تنشيط الساحة الفنية الموسيقية مغنية وراقصة وعازفة، وذلك لدرجة باتت معها تستقطب الجماهير الواسعة من المعجبين، مثلما غدت تستأثر بعناية الباحثين المهتمين بدراسة ألوان التراث الموسيقي ببلادنا. على أن أبرز مظاهر حضور المرأة في هذا المجال يتجلى فيما يعرف برقصة "الگدرة". ويعتقد الدارسون الذين تناولوا بالبحث موضوع "الگدرة" أنها من وسائل الطرب النادرة في الصحراء المغربية، بل ذهبوا إلى القول بأنه لا يعرف في الصحراء من صنوف الرقص المغربية غيرها، بالرغم من تعدد التقاليد والعادات الشعبية والاحتفالات التي تقام في مناسبات الولادة والعقيقة والختان والزواج أو في الأعياد الدينية والمواسم الفصلية التي يطلق عليها اسم "المعروف". وتنتشر "رقصة الگدرة" بين سكان منطقة واسعة تمتد من حمادة شرقا عبر أقاليم درعة وزمور إلى الساقية الحمراء، وتكاد في واقعها اليوم أن تكون من خصوصيات مدينة گوليمين حيث ترتبط "بالرجال الزرق". والرقصة عبارة عن مشهد احتفالي سامر، يقام بعد غروب الشمس، ويمتد ساعات طويلة من أول الليل إلى طلوع الفجر. وقد حضر الرحالة الإنجليزي جاكسون مشهدا من مشاهد هذه الرقصة عندما زار المغرب في نهاية القرن الثامن عشر، فوصفها بقوله : *"تقوم الفتيات العربيات بالرقص بطريقة بارعة جدا، وخصوصا نساء قبيلتي "مغافرة" وأولاد بوسبع العربيتين. وأنا أتذكر أني أمضيت ليلة في ديارهم على أطراف الصحراء... عندما أرسل الشيخ في طلب ست فتيات ممشوقات شغلن إعجابنا حتى الصباح، وهن يقمن بحركات تبدو ماجنة، غير أن تقاليد وعادات أهل البلد تستسيغ هذه الحركات الجريئة*. وتعتمد "رقصة الگدرة" على ثلاثة مقومات أساسية هي الرقص والغناء والعزف. أما الرقص فتضطلع به امرأة تتوسط حلقة دائرية الشكل يحيط بها المعجبون والمشجعون من الرجال والنساء، فتجثو على ركبتيها مرتدية غلالة سوداء تغطي سائر أعضاء جسدها، ثم تشرع في تحريك ذراعيها وأصابعها، مع تمايل الرأس ذات اليمين وذات الشمال آنا، ثم إلى الأعلى وإلى الأسفل آنا آخر. ويرتكز الرقص على حركات الأصابع وهزات الرأس والذراعين، وهذه كلها إشارات ذات إيحاءات معينة ينفرد فيها كل عضو بمعنى خاص له في نفوس المشاهدين العارفين مدلول محدد. وأما الغناء فهو ملازم للرقصة، يرافقها من بدايتها حتى نهايتها، وتتمحور كلمات الأغاني حول موضوعات متعددة، أولها في العادة أدعية وتوسلات، ثم ذكر للرسول صلى الله عليه وسلم وتشفع بمقامه، ويلي ذلك موضوعات تتناول وصف الطبيعة، والغزل العذري ووصف الحبيب، وإثر ذلك تعود المغنية إلى ما ابتدأت به من الدعاء والتوسل، قبل أن تنتهي على

وقع مقاطع صوتية سريعة تنطلق مدوية في الفضاء، كأنها الصراخ. ويأتي العزف ليشكل ثالث مقومات "رقصة الـگدرة" وهو يعتمد على آلة الـگدرة دون غيرها، وهذه الآلة عبارة عن طبل من الفخار تغلفه قطعة من الجلد مشدودة إليه بحبل، وتضرب عليه الراقصة نفسها وهي جاثية مستخدمة راحتيها أو بواسطة قضيبين رقيقين يصنعان لهذه الغاية. فيحدث النقر إيقاعا ثلاثيا آنا رباعيا أنا خر، ينطلق في البدء وئيدا خافتا، ثم تمتد وتتدفق نقراته شيئا فشيئا إلى أن تبلغ منتهاها من الحدة والصخب. ولهذه الآلة أهمية قصوى في الرقصة، يدل على ذلك أنها سميت باسمها حتى بات عالقا بأذهان الناس أن "الـگدرة" مرادف للطبل. وعن الأصول الأولى لرقصة الـگدرة ذهب بعض الدارسين إلى القول بأنها وفدت من المشرق مع النازحين الأوائل، ومما يرجح هذا الرأي عند أصحابه ما يلاحظ من تشابه بين حركات الراقصة الصحراوية والراقصات اليابانيات، وهو تشابه كوريغرافي محض يتجلى من خلال الإشارات الإيمائية التي تقوم بها الأصابع والرؤوس.

ولقد أتيح لي بمناسبة زيارة قمت بها في مستهل العقد الثامن من القرن العشرين إلى الكويت أن أحضر أمسية موسيقية عرضت إحدى الفرق الفنية خلالها رقصة شعبية شديدة الشبه برقصة الـگدرة المغربية، مع فارق واحد يتمثل في اضطلاع الرجال بأدائها بدل النساء. وعندما سألت عن اسم هذه الرقصة علمت أنها تعرف باسم "الـگـادري" نسبة إلى سيدي عبد القادر الجيلالي، وبذلك فهي تندرج ضمن الممارسات الفنية الخاصة بالمناسبات الدينية، وتردد أثناءها الأذكار والأدعية وأشعار المديح النبوي على إيقاع يطلق عليه - هو أيضا - لفظ "الـگـادري" وهو إيقاع ثنائي الحركة، قوامه اثنتا عشرة نقرة من صنف ذات السن (كروش) 12/12، ومن أشهر الأغاني الدينية التي تنشد عليه في الكويت أغنية " شيء لله". وفي ضوء هذه المعطيات أجدني أكثر نزوعا إلى القول بأن "رقصة الـگدرة" الصحراوية اقتبست تسميتها من طبيعة الكلمات التي ترددها الراقصة، وهي - في الأصل - أدعية وأذكار وتوسلات وتصلية مستمدة مما كان رواد الزوايا - ولا سيما أتباع سيدي عبد القادر الجيلالي - يرددونه في محافلهم ومنتدياتهم، ومن هنا - أيضا - يقوى لدينا احتمال أن تكون "رقصة الـگدرة" في الصحراء المغربية رقصة صوفية، ثم تناست الرواقص المتأخرات أصولها، فانحرفت عن طبيعتها وتحولت إلى رقصة وصفتها تقارير بعض الرحالة الأوربيين بالمجون والخلاعة، ودأبت دلائل السياحة الأجنبية خاصة على نعتها بأوصاف هي أقرب إلى طبيعة الممارسات الوثنية.

الآلات الموسيقية

تتعدد الآلات الموسيقية المتداولة في جنوب المغرب وأقاليمه الصحراوية، على أنها في مجملها تخضع لجملة من المواصفات المتقاربة والتي تتصل بطريقة صنعها وطرق استخدامها وطبيعة تأثيرها، وهي إلى ذلك تحمل مزيجا من الملامح والسمات التي لا يتطرق الشك إلى نسبة أغلبها لأقطار السودان المجاورة، الأمر الذي يؤكد مدى قوة التواصل الذي كان قائما بين المغرب وبين الشعوب الإفريقية الزنجية. ومن عادات الموسيقيين أنهم يصنعون آلاتهم بأنفسهم وفق تقنيات دقيقة، وهم يعتمدون في ذلك على القرع المجفف، وهو تقليد طريف وعتيق مصدره بلاد السودان حيث "يعظم (القرع)، ومنه يصنعون الجفان، يقطعون القرع نصفين، فيصنعون منها جفنين وينقشونها نقشا حسنا، وإذا سافر أحدهم يتبعه عبيده وجواريه، يحملون فرشه وأوانيه التي يأكل ويشرب فيها. وتتعدد الآلات التي تعتمد صناعتها على نبات القرع، فمنها الوترية كآلة "أردين"، ومنها النقرية كطبول شنقيط، و"الـگـگـاح" ذات الشكل الإجاصي، والدَّغْمَة ذات الشكل المستطيل، وطبول "الإيـگيو"، و"الـگحل"، وهي قرعة صغيرة تفرغ وتملأ بصغير الحصا ثم تخض باليد فتحدث طنينا. وتتدرج الآلات المستخدمة في صنوف موسيقى جنوب المغرب وأقاليمه الصحراوية ضمن ثلاث مجموعات، فيما يلي أهمها :

1 - مجموعة الآلات الوترية :

1 - الـتِّدْنيت : آلة قريبة من هيئة العود العربي، تشد عليها أربعة أوتار تنقر بلوح من العظم المشدود إلى خاتم من الجلد يولج في سبابة اليد اليمنى، ويختص باستخدام هذه الآلة الرجال.

2 - أردين : آلة على هيئة القيثارة، وهي عبارة عن نصف قرعة مجففة، غرس في وسطها طرف قضيب مستقيم تشد عليه ثلاثة عشر وترا، وتنقر عادة بظفر الأصبع ويختص باستخدام هذه الآلة النساء، وكلتا الآلتين من خصوصيات الموسيقى الحسانية.

مجموعة الآلات النقرية :

هي أكثر الآلات استعمالا، وتندرج تحتها أنواع من بينها :

1 - طبل الكونتا الذي يستخدمه الحراطين والعبيد، ويعرف أيضا بالدندون.

2 - طبل "الـگدرة"، وهو جرة من طين مغلفة بالجلد المشدود بخيوط متينة، والعادة أن يوضع على الأرض، فتضرب عليه الناقرة براحتي يديها أو بقضيبين دقيقين.

3 - طبل "الإيـگيو" وهو ضخم مستدير الشكل، قاعدته نصف قرعة مجففة تغطي أعلاها قطعة من الجلد السميك، وتشد أجزاءه عشرة حبال متينة، وطريقة استخدامه أن توضع قاعدته النباتية على الأرض، ويعلق طرفه الآخر على الكتف الأيمن بحبل غليظ، وبذلك تساوق الآلة قامة العازف فيسهل عليه نقرها.

مجموعة الآلات الهوائية : أشهر هذه الآلات نوعان :

1 - زَوْرَاي : ج زورايات، وهو ناي يصنع من جذور الطلح، ويستخدمه الرعاة.

2 - نـفَّـرا. ج انفافير، وهو مزمار صغير يختص به رجال تاگـانت.

خاتمـــة

لقد سعيت إلى استعراض جل أنماط الممارسات الموسيقية والغنائية الشائعة في جنوب المغرب وأقاليمه الصحراوية. وأود هنا أن أشير إلى أن هذه الأنماط مهما تعددت فإنها تظل في غالبيتها - إن لم نقل بأكملها -

خاضعة من حيث طبيعة ألحانها لأنساق مقامية تتدرج في إطار ما يصطلح عليه عند المختصين "بالسلم الخماسي"، وهو مقام في وسعنا أن نعتبره قاسما مشتركا بين تلك الأنماط ونقطة ارتكاز تلتقي عندها جميعا. وقد دأبت التقاليد الصحراوية في الموسيقى الحسانية على أن تنعت المقام الخماسي بالأكحل أو بالطريق الكحلاء، وذلك في مقابل نعته بالرصد أو الرصد الـگناوي في الموسيقى الأندلسية الكلاسيكية ؛ غير أن ذلك لا يعني في شيء أن تشذ الألحان القائمة على الطريق البيضاء أو الطريق الكنيدية عن هذه القاعدة، فإنها - هي أيضا - تقوم على المقام الخماسي شأنها كشأن أغاني الحراطين وأغاني رقصة الـگدرة، فالغناء "الأبيض" ومثله أدب البيضان وتنـص تسميتـه على الانتماء العربي، ولكنـه لا يفرط في انتمائه الإفريقي في شقه الأبيض.

عبد العزيز بن عبد الجليل، *المشترك في مجال النغم والإيقاع بين المغرب والشعوب الإفريقية المجاورة*، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 1995، ص. 25 و26 ؛ أحمد أمين الشنگيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنگيط*، مكتبة الخانجي، مصر - مكتبة الوحدة العربية بالدار البيضاء، 1960 ؛ مصطفى ناعمي، *مجلة المناهل، ع 49 وس 20، جمادى الثانية*، 1416 - نوفمبر، 1995، ص. 66، الهامش رقم 13، مطبوعات وزارة الشؤون الثقافية ؛ مادة "تازارين"، *معلمة المغرب*، ج 6، ص. 2026 ؛ مادة "تيسنيت"، *معلمة المغرب*، ج 8، ص. 2700 - 2702 ؛ عبد اللطيف الشاذلي، *التصوف والمجتمع خلال القرن* 10 - 16، ص. 64 - 65 ؛ محمد بن حمزة المكناسي، الكوكب *الأسعد في مناقب سيدنا ومولانا علي بن مولانا أحمد*، طبعة حجرية، 1324 ؛ *مفيد الراوي*، ص.4، طبعة حجرية بفاس ؛ خالد بن الصغير، *مجلة المناهل*، ع 49، ص. 20، نوفمبر، 1995، ص. 171، الرباط ؛ محمد أحمد باهي، *مجلة الفنون*، السنة الأولى، العدد 9 و10، رجب شعبان 1314 / يوليوز - غشت 1974، ص. 69 - 72، مط. وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ؛ انظر *مجلة التراث الشعبي، العدد 12*، السنة العاشرة، 1979، ص. 49 ؛ عبد الوهاب بلال، *مجلة التـراث الشعبي، العدد 9، السنة الثامنة*، 1977، ص. 57 ؛ ابن بطوطة، الرحلة، ص. 443 ؛ إدريس الناقوري، مادة البيضان (ادب) *معلمة المغرب*، ج 6، ص. 1951.

Odette du Puigaudeau, Arts et coutumes des maures, *Hespéris - Tamuda, Vol Vill* ; A Leriche, *Bulletin de l'Institut Français, Juillet, 1950*, P. 744 – 750, B.G. Rabat, n° y 13 ; Ch, Monteil, *Hespéris, 1951 t. 38. 3e et 4e T. p. 288 – 289* ; Dj., Jacques Meunié, *Hespéris, 1951 ; T ; 38. 3e et 4e – Tr P. 374* ; Jackson, *An account of the Empire of Morocco and the district of Suse* ; London, 1809, P. 159.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الميـنان (معركة -) معركـة الميـنان تعرف كـذلك بـ "معركة تالمست" وبـ "غزوة بوضرس"، وهي في الواقع معركتان : إحداهما وقعت في "الميـنان" والثانية في "تالمست"، أما بوضرس فهو النقيب مانجان (Maugin) الذي كانت له ضرس من ذهب. تم الإعداد الكامل لها بقلعة السمارة حيث عين الشيخ ماء العينين على رأس كتيبة من المجاهدين مريده الشيخ سيدي محمد بن عبد العزيز بن حامين وأوفده إلى آدرار حيث الشيخ حسن بن الشيخ ماء العينين منسق خطط وعمليات ألوية الجهاد في مورتانيا بتفويض من والده. ومن آدرار إلى تـگانت حيث كانت هجانة الفرنسيين منتشرة من تيجكجة إلى "تالمست" شمالا ومنها إلى الميـنان الذي يقع شمالي تالمست. وكان النقيب الفرنسي مانجان يقود قوة الهجانة الفرنسية المكونة من 150 عسكريا من بينها 114 من الرماة السنغاليين، وقد كلف الملازم جوسبي على رأس إحدى الوحدات باستكشاف منطقة "عيون البقر" بينما توجه هو إلى الميـنان. فاستغل المجاهدون انتشار قوة النقيب وبعثرتها وقاموا سريعا بمهاجمة قوة مانجان أولا وتمكنوا من قتله وإبادة قوته بالكامل، وفي اليوم التالي أجهزوا على مؤخرة هذه القوة بتالمست وقضوا عليها مستفيدين من الأسلحة والذخيرة التي استولوا عليها في اليوم السابق. وغنم المجاهدون أزيد من ثمانين بندقية إلى جانب مدفع رشاش وأزيد من 500 رأس من الإبل ومثلها من الأغنام، وعتاد متنوع وخيام.

وقد أحدثت هذه المعركة دويا كبيرا في جميع الأوساط الفرنسية، وخشي المادة الفرنسية أن تنتشر عدوى هذه المعركة في بقية المناطق الأخرى التي يجوبها المجاهدون المنتصرون، فعمد إلى تعزيز مراكز قواته بآدرار المحاذي لمنطقة تاگـانت من الغرب.

ومن بين الذين استشهدوا في المعركة اليوم الثاني : محمد الأمين بن علي الأحمر العروسي، وألَّـه بن سيدي بن مولاي الزين وأحمد بن السالك بن أحمد الحنشي وعبد الله بن عمارة، ومحمد بن عبد الله بن بابُـو، وأحمد سالم بن محمدنا بن الخرشي ومحمد حبيب الله بن نعمة ومحمد بن ويس ومحمد بن عميرة ومحمد بن الشيخ بن بوبيط، وديَّه بن الدد بن البطاح، ودريميز بن علينا بن هنون، ومحمد محفوظ ابن عبد الباقي، ووداد بن الجد، وأبو بكر بن محمد سيدينا بن بروه وعبد الرحمن بن الإمام بن أحمد.

الطالب أخيار بن الشيخ مامينا الشيخ ماء العينين، *علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوربي*، ج 6 : 308 - 318 ؛ سعد خليل، تكوين *مورتانيا الحديثة من الاحتلال حتى الاستقلال*، ص. 383 ؛ الشيخ مربيه، *قرة العينين في كرامات شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، الورقة 113.

Gillier, *La pénétration en Mauritanie.*

ماء العينين مربيه ربه

المينورسو، بعد موافقة المملكة المغربة والجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب (البوليساريو) مبدئيا على مقترحات التسوية المتوصل إليها بفضل جهود الأمم المتحدة وبتعاون مع منظمة الوحدة الإفريقية في غشت 1988، قرر مجلس الأمن في قراره رقم 690 المؤرخ بـ 29 نيسان / أبريل 1991 إنشاء بعثة الأمم المتحدة للاستفتاء في الصحراء الغربية (المينورسو) تحت سلطته. وقد عهد لهذه البعثة الأممية بعدة مهام يمكن حصرها كالآتي :

- السهر على تنظيم استفتاء للاختيار بين الاستقلال عن المغرب أو الانضمام إليه ؛

- الاتفاق مع طرفي النزاع على تسطير برنامج زمني في ثلاث مراحل يقضي بتخفيض عدد القوات العسكرية التابعة لهما ؛

- مراقبة عملية وقف إطلاق النار التي دخلت حيز التنفيذ في 6 شتنبر 1991 ؛

- الإشراف على عملتي الإفراج عن المعتقلين وتبادل أسرى الحرب برعاية اللجنة الدولية للصليب الأحمر ؛

- السهر على تنفيذ برنامج عودة اللاجئين برعاية المفوضية السامية لشؤون اللاجئين.

وبما أن تنظيم الاستفتاء والإعلان عن نتائجه قد شكل الهدف الأساسي للخطة الأممية، فقد أنشأت لهذا الغرض في مايو 1993 لجنة لتحديد الهوية اعتمدت خمسة معايير محددة لأهلية الجسم الانتخابي وهي كالتالي :

- الأشخاص الذين لم ترد أسماؤهم في قائمة الإحصاء ؛

- الأشخاص الذين كانوا يعيشون في الإقليم وقت أجراء الإحصاء الإسباني لسنة 1974 ولم يشملهم وتم تصنيف بطاقات تعريفهم المسلمة من طرف سلطات الاستعمار ؛

- أباء وأبناء الفئتين المذكورتين ؛

- الأشخاص الذين بإمكانهم إثبات ولادة آبائهم بالإقليم ؛

- وكل الأشخاص الذين بإمكانهم إثبات إقامتهم بالإقليم قبل سنة 1974 لفترة 6 سنوات متعاقبة أو 12 سنة بشكل متقطع.

لكن التعقيدات الإجرائية والعملية وكثرة الطعون التي شابت عملية تحديد الهوية والمتمثلة أساسا في تصلب مواقف طرفي النزاع وتشبثهما بآرائهما، أدت في نهاية المطاف إلى إعلان المينورسو عن توقف خطة الاستفتاء الأممية بالصحراء في دجنبر 1999 وبالتالي إلغاء الموعد الذين كان مقررا لاجرائه.

وفي ظل هذا الوضع المأزوم والمتمثل في العجز عن تفعيل أحد الخيارين (الاستقلال عن المغرب كحل أول أو الانضمام إليه كحل ثاني)، صدر قرار أممي رقم 1309 في يوليوز 2000 ينص على أهمية اللجوء إلى الحل السياسي التفاوضي (الحل الثالث) كبديل حقيقي، مهد الأرضية لمقترحين اثنين تقدم بهما مبعوث الأمم المتحدة لنزاع الصحراء الغربية السيد جيمس بيكر (James Baker)، يقضي أولهما، الذي سمي باتفاق الإطار والمساند بقرار مجلس الأمن رقم 1359 (29 يونيو 2001)، بمنح الصحراء حكما ذاتيا في إطار السيادة المغربية وإجراء استفتاء يشارك فيه الأشخاص المحددة هويتهم وكذا المقيمون بالصحراء طيلة السنة التي تسبق موعد الاستفتاء وهو الاقتراح الذي رفضته الجزائر والبولساريو وقبله المغرب مع إبداء بعض التحفظات. أما مخطط بيكر الثاني والذي سمي "خطة السلام من أجل تقرير مصير شعب الصحراء" والمصادق عليه من طرف مجلس الأمن في قراره رقم 1495 (31 يوليوز 2003)، فلم يحظ بتأييد المغرب هذه المرة نظراً لكونه يُشكل تراجعا عن ما تضمنته المخططات السابقة. هكذا تبين بالملموس أن المساعي الأممية الرامية إلى إيجاد حل عادل ومستدام لقضية الصحراء لم تفلح في التقليص من الهوة الموجودة بين مواقف طرفي النزاع مما دفع المبعوث الأممي لنزاع الصحراء إلى تقديم استقالته في يونيو 2004.

ورغم هذه المعيقات التي تحول دون تدبير ناجع وفعال لملف الصحراء والتكلفة المالية المخصصة للبعثة الأممية (بلغت ميزانية البعثة الأممية من فترة فاتح يوليوز 2008 إلى غاية 30 يونيو 2009 47,7 مليون دولار) وكذا المخاطر المرتبطة بعلميات حفظ السلام ونزع الألغام. ولهذا وضعت لكل هذا المهام طاقما أمميا يقدر ب 218 من ذوي القبعات الزرق (20 عسكريا و6 من رجال الشرطة و192 مراقبا عسكريا)، فلم تنفض الأمم المتحدة يدها عن هذه القضية ومددت كل مرة ولاية المينورسو اقتناعا منها بضرورة حفظ الأمن والسلم الدوليين وتثمينا منها للأهمية الاستراتيجية لدور الوسيط الذي تلعبه المينورسو ليس فقط في الحفاظ على وقف إطلاق النار بل في دعمها لتدابير إعادة بناء جسور الثقة بين طرفي النزاع. وفي هذا الصدد، تقوم المينورسو كذلك بتقديم دعم تقني، لوجيستيكي وإداري لبرامج المفوضية السامية لشؤون اللاجئين واللجنة الدولية للصليب الأحمر على أربعة مستويات :

- مستوى تبادل الزيارات بين العائلات الصحراوية في مخيمات تندوف ومدن الصحراء (إذ وصل عدد المستفيدين من الزيارات العائلية المتبادلة منذ انطلاقتها في 5 مارس 2004 إلى 8169 مستفيداً منهم 4209 من مخيمات تندوف و3960 من الصحراء) ؛

- مستوى تمكين سكان المخيمات بتندوف وسكان مدن الصحراء من المكالمات الهاتفية عبر وضع خط هاتفي رهن إشارتهم ؛

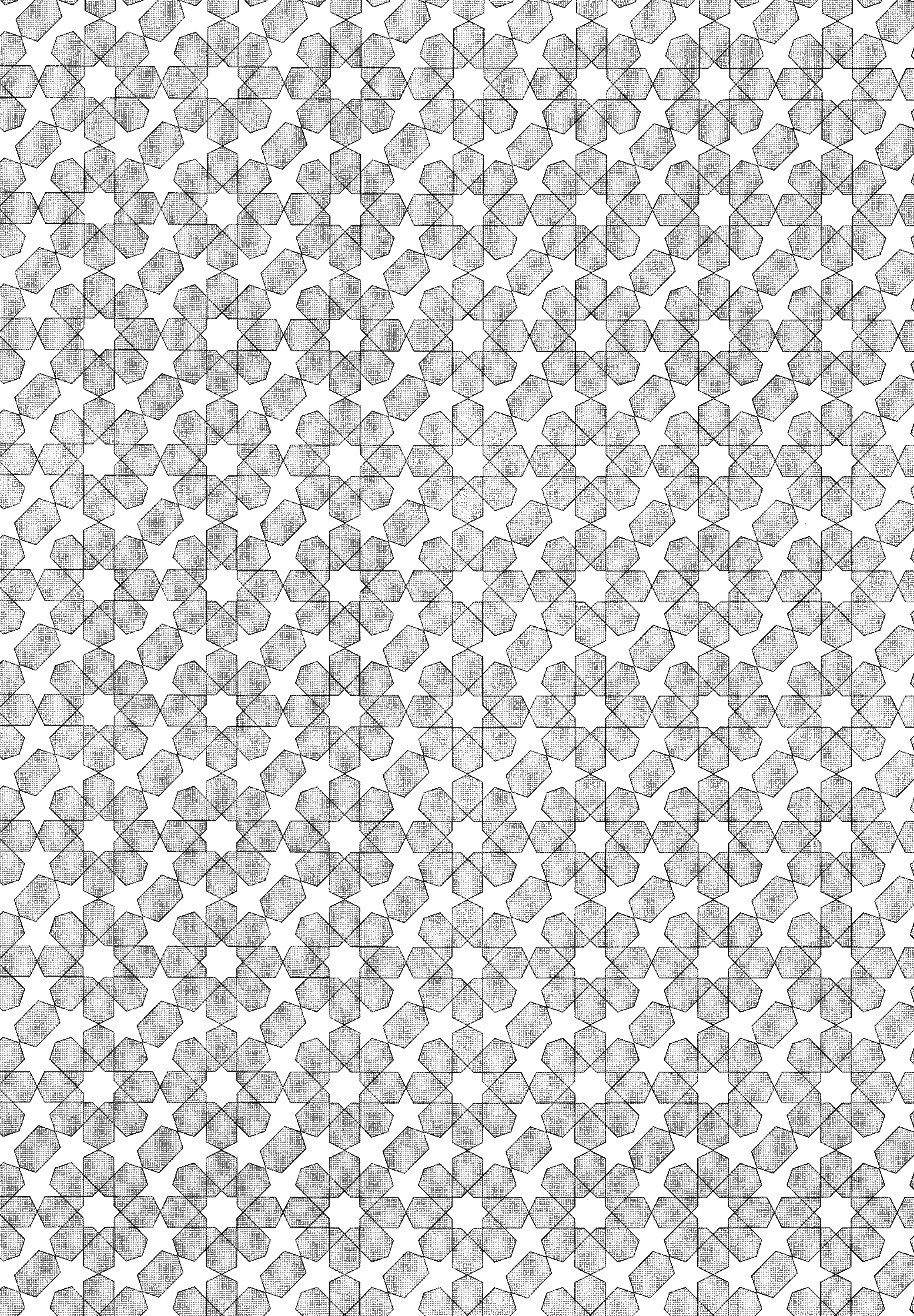
- مستوى تنظيم حلقات تحسيسية حول مواضيع لا تتطرق للسياسية ؛

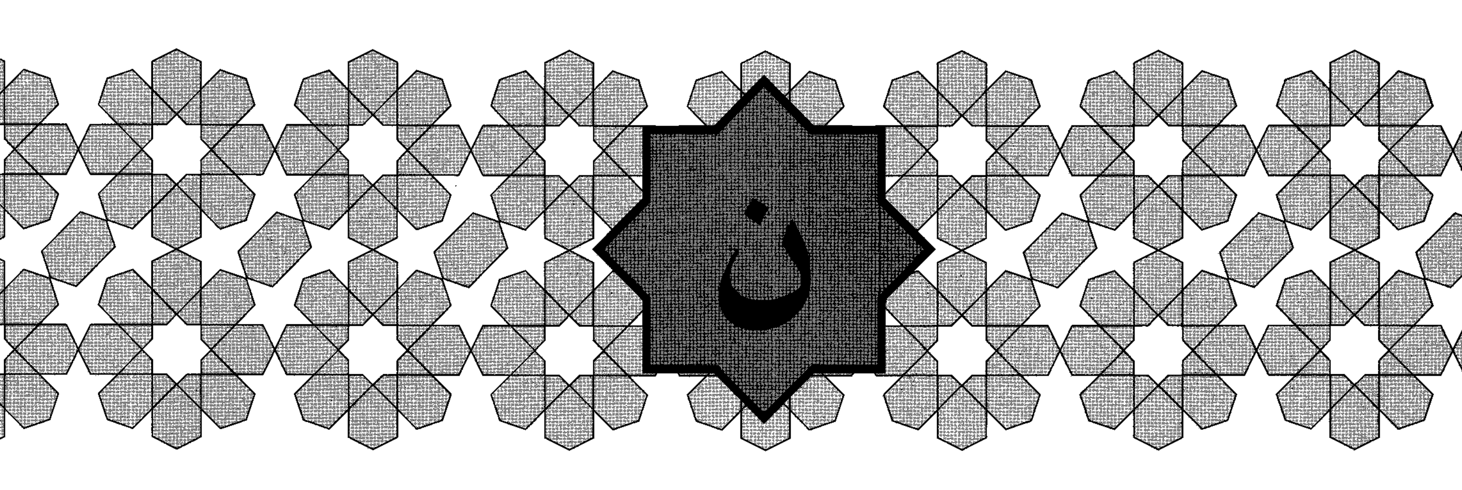
- ومستوى تبادل الرسائل عبر وضع حط بريدي يربط مخيمات تيندوف ومدن الصحراء.

اكنيدل عبد الفضيل، *الأوجه القانونين الدولية للصحراء المغربية*، الرباط، 2006 ؛ المركز الأوروبي للبحث والاستشارات في المجالات الإستراتيجية : *البوليساريو من حركة تحرير إلى تنظيم ارهابي*، منشورات النهار المغربية، الرباط، 2006 ؛ قرار مجلس الأمن رقم 690 الصادر في 29 أبريل 1991 ؛ قرار مجلس الأمن رقم 1309 الصادر في 25 يوليوز 2000 ؛ قرار مجلس الأمن رقم 1359 الصادر في 29 يونيو 2001 ؛ قرار مجلس الأمن رقم 1495 الصادر في 31 يوليوز 2003.

www. un. org ; Abdelmoughit Benmassaoud Tredano, *La question du Sahara – Histoire d'une décolonisation pas comme les aulres, Casablanca*, 2009.

عبد الجبار عراش




ن



النعيلة، بحيرة طبيعية، يطلق على القسم الأرضي الفاصل بين الرجل البحرية والساحل الأطلسي المحاذي للصحراء الموازي للجزر الخالدات إسم خنيفيس. والنعيلة تصغير وتشبه بالنعل الصغير. ومع ذلك فهي أكبر محمية طبيعية على الساحل الأطلسي. فجنوب غرب رأس النير (إيخف النير) يمثل منخفض مصب وادي أدري البداية الفعلية للبحيرة. وهي تقع على بعد 120 كم جنوب مدينة طنطان و 150 كلم شمال مدينة العيون أي حوالي 70 كلم شمال مدينة طرفاية التي تعد بمثابة أقرب نقطة إلى جزيرة فويرتي فينتورا إحدى جز الأرخبيل الكناري.

يعتبر هذا الموقع مجالا صحراويا ذا مناخ حيوي معتدل وتربة رسوبية جيدة ساهمت في توفير بنية نباتية حية متعددة الأصناف. يعتبر فم أكويطير (أكويدير) النقطة الرابطة بين البحيرة والمحيط الأطلسي. فهي تمثل بحيرة ممتدة على طول أزيد من 18 كلم تنتهي من الناحية الجنوبية بسبخة تازغة. تخلو هذه السبخة من النبات خلافا للبحيرة وهي تمتد على طول تسعة كلمترات وعرض خمسة كلمترات تغطيها إبان المد مياه المحيط لتتبخر بعد ذلك مخلفة ورائها غطاءً من مادة الملح البحري الصالحة للاستغلال التجاري.

تتنوع وتكثر المجاري المائية وسط البحيرة مقسمة إياها إلى قسمين، شمالي هو أقرب ما يكون لخنيفيس مساحته حوالي خمسة كلمترات مربعة، وجنوبي يسمى الكرعان يتميز بوفرة المجاري المائية ونوعية الأعشاب المسماة محليا تشات والصالحة لتربية الأغنام والخيول. يساهم الغطاء النباتي وحركية المدّ والجزر الموفرة للأسماك في تشجيع الطيور المهاجرة على التبييض وفي نشاط الصيد التقليدي بالبحيرة.

لهذه الأسباب وغيرها تم اعتبار النعيلة محمية طبيعية منذ سنة 1962 حسب قانون رامسار الدولي نظرا لدورها كمحطة لمرور حوالي 250 نوعا من الطيور المهاجرة مابين شمال وجنوب الساحل الأطلسي الرابط بين إفريقيا وأوربا.

من المنظور التاريخي تحيط بالبحيرة مواقع أثرية كثيرة تعود في مجملها إلى ما قبل التاريخ فبينما كانت البعثة العلمية المتعددة التخصصات حول الصحراء تقوم بجرد لخريطة أثرية للمنطقة إذ أعادت اكتشاف المواقع الأثرية لإشكيكن قريبا من كارة الصوف. والموقع عبارة عن بقايا حصون وبناءات دائرية الشكل تعود في تقديرنا إلى ما بين 3000 و 6000 سنة. تقول إحدى خرائط الكنيسة المنقولة من أصل قديم سنة 1492 بوجود مدينة قديمة تسمى بابلة. وإذا كنا لا نتوفر اليوم على ما يكفي من المعطيات الأركيولوجية، فإن حجم الموقع الأثري يكشف بما لا يدع مجالا للشك عن إحدى مظاهر بداية العمران البشري الأقدم. أما من حيث تاريخ المنطقة منذ ما بعد الإسلام، فإن الساحل الأطلسي قد تميز باقترابه من الطريق الساحلية الرابطة بين نول لمطة عاصمة المرابطين بوادي نول وملاحة إيجيل التاريخية وهي مجال إقامة قبيلة مجاط.

مصطفى ناعمي

نـگـجير : هضبة قليلة الارتفاع تمتد شرق منطقة اگرگر بوادي الذهب، وتجاورها منطقة "لكرب" الصخرية وتمتد نحو جنوب شرق إيمريكلي. وعلى هذه الهضبة تكثر أشجار الطلح الصحراوي والتمات وكذا نبتة آسكاف الصالحة لرعي الجمال والأغنام.

ونـگجير يتخذ شكلا مستطيلا في اتجاه شمال - جنوب. ويبلغ ارتفاع هذه الهضبة 200 متر، مما يجعلها تشرف على "لـگرار" والنتوئات المجاورة لها من جهة الغرب. وفي الجزء الشمالي من نـگجير نجد بئر أنزران المشهورة حيث تجتمع المياه المتدفقة من أودي تنواكة المحاذي لهذه الهضبة من الناحية الشرقية، ومكان تجمع تلك المياه هو المسمي "اگرارت الدير". هذه المنطقة كانت معروفة بكثرة مراعيها الجيدة، كما كان يمارس بها الرحل زراعة الشعير في مناطق "لـگرار"، ومن النباتات المنتشرة بها الغردگ والسبط ولمليخة. واليوم تعد هذه المناطق من تراب الجماعة القروية لبئر انزران التابعة لعمالة إقليم وادي الذهب.

Mulero, Manuel Clemente, *Los territorios españoles del sahara y sus grupos nómadas* ; Ismael Carnero Ruig, *Vocabulario Geografico-saharico*, 1955, Madrid.

محمد دحمان

النـكـشة، إزار أبيض كثير التجاعيد ترتديه المرأة أو الفتاة لتتزين به في مختلف المناسبات بجعله يدور على خاصرتها ويتدلى إلى قدميها، ويعطي المرأة بهاء خاصا ويستعمل في المناسبات والاحتفالات المختلفة.

محمد البوزيدي

النيلة، قماش قطني يفرز مادة زرقاء غامقة اللون مستخلصة من شجرة النيلة. ذات الموطن الهندي دخلت المنطقة منذ القرن السابع عشر (17) بفعل التجارة الأطلسيـة. وكانت صناعة النيلـة مقصورة على الهند قبل أن تحاكيها انجلترا ففرنسا وبلجيكا، ولعبت دورا مهما في التبادل التجاري بالمنطقة، وقد كان يطلق على العملة الإنجليزية المسكوكة من الذهب القادم من خليج Guinée سنة 1669 اسم النيلة غينيا، وحسب المعطيات التاريخية فان الهولنديين هم أول من أدخل هذا النوع من الأقمشة إلى الصحراء الغربية على شكل زي خاص بالنساء المعروف محليا باسم ملاحف النيلة أو ملاحف "الشرگ" بالكاف معقودة، وتلبسها النساء الصحراويات لأغراض جمالية بحتة لما لها من فوائد تخص العناية بنضارة البشرة باعتبارها واقيا من أشعة الشمس الحارة، كما تعتبر الزي الخاص بالعروس ليلة زواجها.

المختار ولد سعد، *إمارة الترارزة وعلاقاتها التجارية والسياسية مع الفرنسيين من 1703 إلى 1860*، ج 2، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، سلسلة بحوث ودراسات (11)، الرباط، 2002.

الغالية بلعمش

النيملان (معركة -) 17 رمضان 1324 (5 نوفمبر 1906) والنيملان إسم واد به واحات نخيل يقع بالقرب من مدينة تيجـگجة بوسط موريتانيا، شهد معركة عرفت باسمه ضد القوات الفرنسية خاضها مجاهدون من مختلف قبائل الصحراء، انطلقوا من مدينة السمارة، تؤطرهم قيادة جماعية مكونة من الأمير مولاي إدريس بن عبد الرحمن العلوي، والشيخ حسنٌ والشيخ الولي والشيخ الطالب أخيار أبناء الشيخ ماء العينين. انضمت إليهم، لدى وصولهم إلى القطر المورتاني كتائب مورتانية تحت إمرة كل من سيد أحمد ابن عيدة أمير آدرار، وأحمد بن سيدي علي أمير البراكنة وعثمان بن بكار أمير تـگـانت. وكان الهدف من هذه المعركة هو قطع الإمدادات عن الوحدات الفرنسية المتمركزة بمدينة تجـگـجة، ثم إخراجها من التراب المورتاني، أو القضاء عليها. إلا أن الفرنسيين علموا بتمركز المجاهدين بوادي النيملان فأرسلوا قواتهم التي تضم بالإضافة إلى مجندين مورتانيين، مجموعة من الرماة السينغاليين والجزائريين إلى الوادي تحت إمرة الملازمين أندريو (Andrieu) ودي فرانسو (Franssu)، وقد انتهت المعركة بهزيمة القوات الفرنسية بعد مقتل الضباط الفرنسيين الأربعة الذين كانوا يقودونها وهم الملازمان المذكوران واثنان من ضباط الصف إلى جانب العشرات من الرماة والمجندين. وكانت هذه المعركة المظفرة مقدمة لمحاصرة مدينة تيجـگـجة المحتلة وتحريرها. إلا أن ذلك لم يتحقق بسبب خلافات في الرأي بين قادة المجاهدين.

من شهداء هذه المعركة : الشيخ محمد عبد الله بن الهاشمي السملالي، والطالب بن الكوري الدليمي وسيد أحمد بن أوداد والطالب محمد بن البيضاوي الجكني وغالي بن سيدي بن الشيخ القاضي الإجيجبي وأحمد بن أحمدُ بن الحسن بن مادي التندغي، ومحمد عبد الرحمن بن عبد الجليل الشمسدي ومحمد بن أحمد سيفر الشمسدي وكانوا من الوافدين من مدينة السمارة.

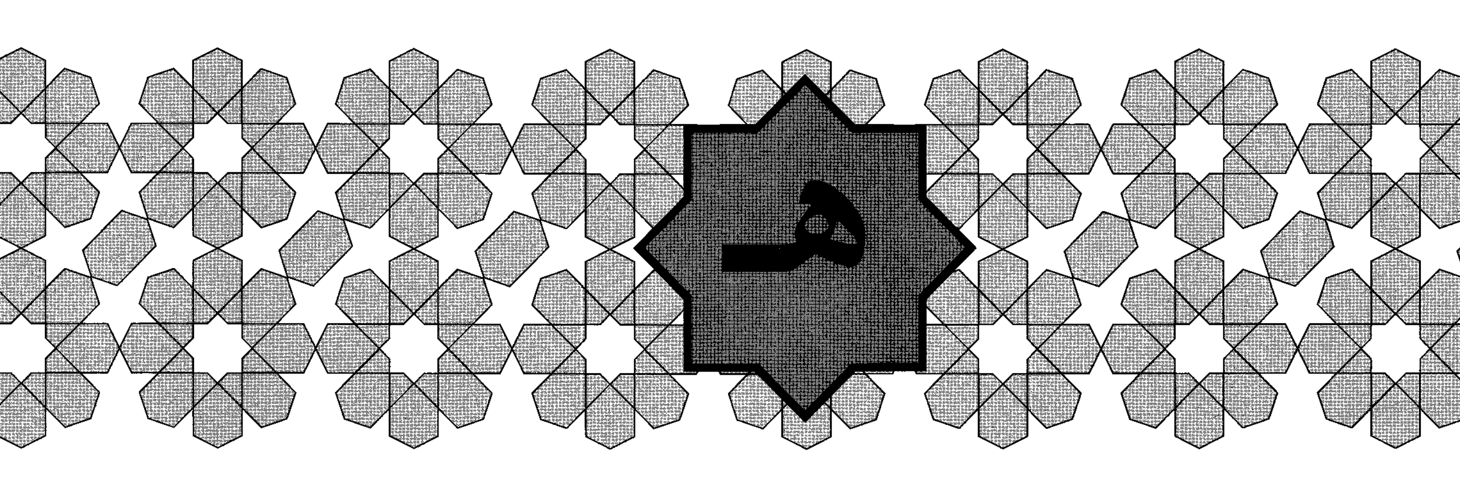
ومن شهداء جماعة الأغلال : محمد الأغظف بن الشيخ بن الجودة وحدبونا بن جـده بن عبد الرحمن خليفة ومحمد بن النذير وسيدي إبراهيم بن خطـري وولي الله بن سعد بالله والشيخ بن الحسن بن المصطفى والمصطفى بن الحسن.

ومن إمارة إدوعيش : عثمان بن اعمر بن بكار بن سويد أحمد، ومحمد المختار بن سيد أحمد لبات وبونا المختار بن بكار وأخوه أحمد بن المختار وعثمان بن الرسول بن اعمر بن بكار بن امحمد ابن خونا ومحمد بن سيدي محمود بن سيدي إبراهيم بن امحمد شين ومحمد بن بكار بن الهيبة بن اللب ابن خنوف وعثمان بن المختار بن عثمان بن الرسول بن علي بابي وأحمد بن محمد فال بن حميادة ابن الدوه وحمادي بن آجار.

الطالب أخيار الشيخ مامينا، الشيخ ماء العينين، *علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي*، ص من 249 إلى 258.

Conmandant Gillier, *La pénétration en Mauritanie*, p. 139 – 140.

ماء العينين مربيه ربه


هـ

الهجرة السرية بالصحراء، تتخذ الهجرة السرية بالمغرب عدة أشكال وتجري عبر أكثر من تيار وتحث على أزيد من متدخل. وهي إعلان مباشر عن عدم نجاعة مجموعة من السياسات الاقتصادية في أكثر من بلد نامي. لم تعد فقط ظاهرة عابرة وانما أصبحت هاجسا نفسيا سرعان ما تحول إلى نموذج عيش لدى فئة مهمة من الشباب بغض النظر عن انتماءاتهم الاجتماعية. غير أن الهجرة السرية عبر قوارب الموت تظل أخطر هجرة على الإطلاق سواء تعلق الأمر بتيار مضيق جبل طارق أو بتيار طرفاية - لانزاروطي بالجزر الخالدات. الهجرة السرية رد فعل تلقائي للهشاشة وعدم المبادلات وهي في الوقت ذاته مؤشر أزمة هوية حادة لدى الفئات العمرية الشابة أقل من 35 سنة. جل هؤلاء الشبان من العزاب الذين يكونون مجمل الهجرة المتوجهة نحو إسبانيا على وجه الخصوص. تيار إيفني - طرفاية - لانزاروطي أحد أهم روافد الهجرة نحو إسبانيا والجزر الخالدات.

يتعلق الأمر بهجرة سرية جديدة نظريا لم تستطع بعد تكوين شبكات عائلية قارة ووظيفية. السكن الذي يأوي هؤلاء المهاجرين هو عبارة عن سكن جماعي يلبي الاحتياجات الجماعية لمهاجرين ينتمون إلى الطبقات الاجتماعية السفلى والمتوسطة.

ظروف العبور هي ظروف قاسية تتحمل أخطارا قصوى رغم كون ثمن العبور هو في المتوسط حوالي 10 آلاف درهم للفرد الواحد يستخلص أسبوعا قبل العبور الذي يتم عادة في الليل. فأغلب المهاجرين السريين يركبون مراكب صغيرة ويعبرون تحت جنح الظلام من طرفاية وإيفني دون أدنى تدابير الوقاية. العبور لا يخلو من متاعب مرتبطة بالملاحة وبتوازن المراكب المكتضة. نسبة الإخفاق في العبور تتحدد انطلاقا من تصريح عائلات المهاجرين في نسبة 35%. هذا الإخفاق غير مقبول نفسيا واجتماعيا سواء لدى الفرد المهاجر أو لدى الجماعة التي ينتمي إليها. مما يؤدي في حالات كثيرة إلى الإحباط والتدمر قبل أن يتحول إلى فشل نفسي طويل الأمد خاصة وأن عائلات المهاجرين تنخرط ماديا في محاولة العبور. أحيانا كثيرة الانخراط المادي يكون فوق طاقات تحمل الميزانية العائلية إذ تلجأ العائلات إلى قروض شخصية وبيع متاع الأسرة بكامله وفي الأخير هي التي ستتحمل عبء تأدية الديون المستحقة المأخوذة من موارد عيشها أو دراسة أبنائها أو تطبيبها. وقد يتحول العجز المادي إلى سخط اجتماعي على المهاجر الفاشل الذي يجد نفسه أمام إعاقتين، إعاقة مادية وإعاقة اجتماعية تجعل تهميشه مزدوجا وإحساسه بالعدم له وقع مزلزل مما يدفع به إلى الاحتماء الديني وربما إلى الانزلاق.

هذه الهجرة قد عرفت منذ نهاية التسعينيات تطورات جديدة إذ لم تعد فقط عشوائية. ذلك أنه عندما تقوت الحراسة الجوية والبحرية المغربية - الإسبانية عبر مضيق جبل طارق بدأت تيارات الهجرة السرية المنظمة تنشط تدريجيا عبر الواجهة الأطلنتية بين العرائش والقنيطرة لكن صعوبات الإبحار وخطورتها القصوى نحو قادس الإسبانية وكذا نشاط قوات الدرك الملكي ساهمت في إرغام "الحراگة" المنظمين بالتوجه نحو تيار طرفاية - لانزاروطي.

في الحقيقة من الصعوبة بمكان تحديد الوجهة الدقيقة للهجرة السرية انطلاقا من مدن الصحراء ذلك أن استعمال شبكات الهجرة العائلية سواء القانونية أو غير القانونية تساهم في توسيع تيارات الهجرة السرية. أضف إلى ذلك أن المراقبة المشددة مؤخرا على الساحل الصحراوي تعيد إنتاج تيارات الهجرة السرية مرة أخرى عبر مضيق جبل طارق والساحل الأطلنتي بطرق مختلفة بينما يظل المد والجزر قائما. أحيانا تظهر تيارات جديدة مؤقتة على ساحل إيفني وطرفاية كما تتحول في بعض الحالات مراكب الصيد التقليدي إلى قوارب موت مؤقتة.

إن إمكانية اندماج مهاجري طرفاية وإيفني في اقتصاد ومجتمع البلاد المستقطبة تتطلب وقتا طويلا ومكابدة حقيقية. فكون الهجرة الصحراوية القانونية هجرة فردية أتت نسبيا في وقت متأخر مقارنة بباقي الهجرات المغربية (70 - 85)، إذ لم يسمح بتشكيل شبكات إثنية وظيفية حقيقية تساعد على احتضان الهجرة السرية عن طريق التجمع العائلي أو بطرق أخرى. هذا يؤثر سلبا على مستوى عيش المهاجرين السريين (سكن

جماعي عديم التجهيز، استغلال بشع لليد العاملة السرية في بلد هو بدوره بلد هجرة لم يصبح بلد استقطاب إلا مؤخرا، الميز الديني ولون البشرة أصبح كذلك مطروحا). فالمهاجر السري فر من الهشاشة في الوطن الأصلي ليسقط في نوع من العبودية تحجزه أسيرا مادامت القيود الاجتماعية غير محتضنة وغير معترفة بالفشل مما يجعل المهاجر السري حقيقة في مأزق مزدوج جد معقد لا هو يستطيع الاندماج في البلاد المستقطبة ولا هو يستطيع العودة والاندماج في الوطن.

تحريات ميدانية.

محمد بنعتو

هرّيرا، دييگو دى كارثّيا، Herrera, Diego de García نبيل قشتلى، تملك جزر الخالدات ابتداء من سنة 1454 على الطريقة الفيودالية. وفي 6 أبريل 1468 منحه ملك قشتلة إنريكي الرابع حق التصرف في الشواطئ المقابلة للجزر فقام بغزوها ابتداء من سنة 1476 وأقام شمال طرفاية الحالية مركزا أطلق عليه اسم سانطا كروث دي مار پيكينيا (Santa Cruz Mar Pequeña) بقصد إقامة الغارات داخل الأراضي لاستعباد المغاربة ونقلهم للعمل في الجزر الخالدات التي كانت في أشد الحاجة إلى الأيادي العاملة بعد أن تمت إبادة سكانها الأصليين منذ الشروع في اقتحامها من قبل البرتغاليين والإسبان.

توفي هرّيرا سنة 1485.

Hodges, T., *Historical Dictionary of Western Sahara, London*, 1982.

إبراهيم بوطالب

الهصباوي (القائد ـ) **أحمد** بن القائد البشير الهصباوي ولد عام 1308 بقرية أنامر بقبيلة اصبويا. تولى القيادة بعد وفاة والده القائد البشير وذلك باتفاق قبيلة اصبويا والسماهرة ومستي قبل أن يعينه الشيخ أحمد الهيبة خلفا لوالده القائد البشير بن الحسن عام 1333. شارك في معركة حيدة بن ميس، كما شارك في معركة الجنرال لاموط (Lamothe) وشارك في معركة ضد القائد حماد بن حيـدة بن ميـس على مشارف تارودانت. وظل يدافع مع إخوته ضد الاستعمـار الفرنسي والإسباني من عام 1333 إلى عام 1352. وهـو الذي تزعـم الاتفاقية التي أبرمت مع الجنـرال الفرنسي بثلاثاء الاخصاص في بداية 1934، هذه الاتفاقيــة التي جاءت بعد معركة تيزي التي تكبد فيها الفرنسيون خسارة كبيـرة في الأرواح والعتـاد.

وكان القائد أحمد بن البشير أول من استقبل (إلى جانب مجموعة من الزعماء الباعمرانيين) الجنرال فردناند اصفالدو مونتس كپاث بمرسى سيدي إفني في 6 أبريل 1934، حيث اشتـرط كپاث (Capaz) الإذن بدخـول البر خوفا مما وقع لسلفه الليوتنان أماضو Amado والشيخ محمد الأغظف والشيخ بشرايا القادمين من طرفاية في شهر غشت سنة 1933.

وكان القائد أحمد من الأوائل الذين عارضوا الإدارة الإسبانية في قضية التجنيس ونصروا السلطان محمد بن يوسف في سوق الثلاثاء اصبويا. والتجأ هو وعدد من شيوخ ومقدمي اصبويا إلى وادي نون منطقة الحماية الفرنسية بعد انتفاضة 1947 خوفـا من السلطات الإسبانيــة التي صادرت أموالهم وأمتعتهم وأملاكهم وباعتها في المزاد العلني وحولت منزله بقرية أنامر إلى ثكنة عسكريــة، ومكث بـگلميم سبعة سنوات، والتقى خلال هذه الفترة بالسلطان محمد بن يوسف عدة مرات. والتحق القائد أحمد بجيـش التحرير، وعارض سياسة هذا الجيش سنة 1959.

وعين شيخا على قبيلة اصبويا من طرف إدارة الجيش الملكي التي تسلمت السلطات من القيادة العليا لجيش التحرير بداية الستينيات من القرن العشرين.

توفي بمسقط رأسه سنة 1975.

الهصباوي (القائد ـ) **البشير** بن القائد الحسن بن عليات من مواليد 1270 بقرية الحوافي بقبيلة اصبويا. كان ذا مررءة وحنكة وشجاعة، محبا للعلماء ورجال التصوف. وكان هو ورفاقه الباعمرانيون ضمن القواد الذين شاركوا في الجهاد مع حركة الشيخ أحمد الهيبة ماء العينين إلى مراكش. وتوفي عام 1333 مسموما عندما حاول القائد الماسي أن يُعزي الرؤساء الباعمرانيين حيث استدعى حينها القائد البشير الهصباوي والشيخ (أمغار) سعيد الخمساوي والشيخ الحسان بن الشيخ همو الخلفي واستضافهم بمنزله باغبالو بماسة وعرض عليهم التعاون مع الفرنسيين ضد الشيخ الهيبة ماء العينين فرفضوا، ولما خشي أن يفتضح أمره دس لهم السم في الطعام فمات الشيخ الحسن الخلفاوي بعد يوم واحد.

توفي القائد البشير بعد ذلك بأسبوع بمنزله بقرية أنامر باصبويا، أما أمغار سعيد الخمسي فقد استعمل دواء العنبر فامتد عمره إلى سنة 1956.

المختار السوسي، *المعسول*، ج 20، مطبعة فضالة، المحمدية، 1960 ؛ *رسائل بين السلاطين العلويين وقواد آيت باعمران* ؛ *مقابلة مع السيد الحسن بن محمد* بن القائد البشير الراجي أطال الله في عمره يوم 12 - 4 - 2011 بمدينة گلميم.

الهصباوي (القائد ـ) **الحسن** بن الشيخ عليات الحافي الياسني العلي العمري (اد علي واعمر الدليمي) الهصباوي من مواليد 1230 بقرية الحوافي بقبيلة اصبويا. كان رجل دين وكرم وشجاعة بين أقرانه الزعماء الباعمرانيين. حارب الإنجليز بمرسى اركسيس حيث أتى مبارك بن احماد الكنوشي بالتاجر الإنجليزي جيمس كوتيس (Curtis) ليتاجر مع قبائل آيت باعمران وتكنة، لأن مبارك بن احماد الكنوشي كان يرغب في القيادة في اصبويا. غير أن المخزن قبض على التاجر الإنجليزي وقبض على احماد وامبارك الكنوشي ووضع في السجن بمدينة مراكش (وليس في الصويرة كما سقط في مادة مبارك واحماد من هذه *المعلمة*). تولى المشيخة الحسن بن عليات بعد وفاة أخيه الأكبر أبراهيم بن عليات. وفي

1299 عينه السلطان مولاي الحسن الأول قائدا على قبيلة اصبويا. ومن ثمة كلف بمراقبة السواحل وخاصة مرسى سيدي وارزگ ومرسى أركسيس ومرسى أسكا وضبط عسسها وأكرب عنها كما هو مبين في الرسائل السلطانية الحسنية والعزيزية. وكان ابنه الأكبر السيد محمد بن الحسن خليفة له وقد توفي قبل أبيه عام 1311.

توفي القائد الحسن بن عليات عام 1314 ودفن بقرية أنامر بمسقط رأسه.

رسائل بين السلاطين العلويين وقواد آيت باعمران ؛ مقابلة مع السيد الحسن بن محمد بن القائد البشير الراجي أطال الله في عمره يوم 12 - 4 - 2011 بمدينة گلميم.

الهصباوي (الشيخ -) **عليات** بن **مبارك** بن علي بن بلقاسم بن علي بن بوجمعة بن داوود بن ياسين بن علي بن أعمر الدليمي. ولد بفرقة بني حاف بفخذة آيت ياسين بقبيلة اصبويا عام 1160. كان رجلا متدينا وكان من الشخصيات المعروفة بالشجاعة والإقدام والدفاع عن حوزة القبيلة. وكانت نحلته كزولة (تاكزولت) وكان إلى جانب حلف آيت بلا التكني ضد حلف آيت الجمل المجاور لقبيلة اصبويا من الناحية الجنوبية. وكانت قبيلة مستي مناوئة له بسبب الحدود الشمالية لقبيلة اصبويا التي عرفت اصطدامات ومنازعات على الحدود منذ أن نزح أبناء علي بن اعمر الدليمي من منطقة وادي الذهب إلى الشاطئ ما بين وادي الكريمة شمالا إلى وادي أسكا جنوبا حيث استقروا بها قبل أن يتنازل لهم إداوبلال على الأراضي الممتدة بين وادي اسكا شمالا إلى وادي اعريش جنوبا مقابل خمسة وسبعين (75) دينارا ذهبية في القرن التاسع الهجري، والذي اشترى هذه الأرض المسماة بوسمارة جنوب وادي اسكا الممتدة على الشاطئ البحري تجاه الشاطئ الأبيض هو جده بوجمعة بن داوود واخواه عبد الله بن داوود وموسى بن داوود أبناء ياسين بن علي بن اعمر الدليمي، وذلك لتتوسع أرض القبيلة في اتجاه الشمال نحو قبيلة مستي وفي اتجاه الجنوب نحو قبيلة آيت لحسن.

وهكذا ظل الشيخ عليات رمزا من رموز قبيلة اصبويا إلى أن اغتاله أحد الأفراد من قبيلة مستي.

تولى بعده أكبر أولاده سنا وهو الشيخ إبراهيم بن عليات المولود حوالي 1215 الذي تولى المشيخة عام 1244 وتوفي حوالي 1285.

توفي الشيخ عليات بن مبارك عام 1243. وهو مدفون ببلدة تاروميت (بلدة يقال أنها للنصارى قديما) في الحدود الساحلية بين قبيلة مستي وقبيلة اصبويا.

الهصباوي، محمد بن القائد **البشير**، أخ القائد أحمد بن البشير من مواليد 1900، أما في الوثائق الرسمية فهو من مواليد 1913 وأحيانا 1908، بقرية أنامر باصبويا. يعرف الكتابة والقراءة وهو حافظ للقرآن ويتكلم الإسبانية. عرف بأدواره السياسية في القضايا التي كانت تعني المنطقة. كان خليفة لأخيه القائد أحمد وواسطة بينه وبين الإسبانيين والفرنسيين. سافر عدة مرات إلى مراكش والدار البيضاء وسبتة وتطوان وتحدث إلى الجنرال اصفالدو كپاث (Capaz)، كما زار طرفاية ونواذيبو جوا انطلاقا من أگادير سنة 1928.

لعب دورا هاما في اتفاقية ثلاثاء الأخصاص بمساعدة مولاي إدريس السباعي. كما شارك في اتفاقية امزدوغ بإفني مع الإسبان سنة 1934 وهو الذي تولى كتابتها بيده.

عين أواخر الثلاثينيات من القرن العشرين مفتشا في مرسى إفني. وهاجر مع أخيه سنة 1947 إلى گلميم بعدما حاولت إسبانيا القبض عليه وصادرت ممتلكاته. وبعد سنتين رجع إلى مسقط رأسه ووضع تحت الإقامة الجبرية إلى سنة 1956 والتحق بجيش التحرير كقائد للمائة 3 بالمقاطعة 13. وشارك في معركة امالو بمستي وفي معركة أنامر باصبويا وفي معرفة اصضر باصبويا كذلك وفي معركة خنفوف بآيت اخلف.

توفي بمدينة گلميم سنة 1995 ونقل جثمانه ليدفن بقرية أنامر مسقط رأسه إلى جانب جده القائد الحسن وأبيه القائد البشير وأخيه القائد أحمد.

مقابلة مع السيد الحسن بن محمد بن القائد البشير الراجي أطال الله في عمره يوم 12 - 4 - 2011 بمدينة گلميم.

محمد شرايمي

هيـبْ : لعبة شعبية جماعية يقوم بها الشباب من الرجال، وهي تشكيلة من ثلاثة عناصر : هدف، ومدافع عنه، ومهاجمون يتحيلون على المدافع ليضربوا الهدف. وهو أحد اللاعبين يكون جاثيا في وسط الدائرة، دون أن يمسهم المدافع بقدميه أو بأحدهما. وإذا نجح أحد المهاجمين في ضرب الموجود بالوسط، حل المهاجم مكانه، وهكذا دواليك.

تحريات ميدانية.

محمد دحمان

الهيبة (الشيخ -) **أحمد** ابن الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن مامين، ينتمي إلى أسرة عريقة من أسر الصحراء المغربية ينتهي نسبها إلى الرسول (ص) هي أسرة الطالب المختار. ولد ليلة الاثنين الأول من شهر رمضان عام 1294 / 1875 من أمه ميمونة بنت أحمد علي بمضارب والده بالجنوب المغربي، ورغم أنه لم يكن وحيدا في أسرته ولا أكبر إخوته ولا أصغرهم سنا، فقد حظي بمكانة خاصة عند والده، فكان يتعهده بنفسه ويخصه برعايته واهتمامه، ويضفي عليه أحسن ألقابه، "فكان يلقبه بدليل الخيرات، ويقول : إنه لا يدخل عليه في وقت إلا جاء بأثره له خير، ومما قاله فيه وقد كان في خلوة أدخله إياها في أواخر رمضان، وخرج منها، فأراد بعض العيال أن يتكلم معه ويمازحه : "دعوه عنكم، فإن أهل العلو ليسوا كأهل السفل". ومن شعره فيه بالحسانية، ما معناه بالعربية.

بشراك يا فتى الفتو الهيبــه   قد ظهرت عليك سيما الهيبــه

وشهدت لك بطيب العيبــه   أهل الشهادة وأهل الغيبـــه

وكان يهيئه منذ صغره لخلافته، فيصطحبه معه في رحلاته وأسفاره، ويجلسه في مجالسه ويجعله نائبا في كثير من الأمور العلية التي بينه مع السلاطين وغيرهم، فارتفع صيته بذلك وحسن في أكثر الأمصار، وعظم شأنه عند الأخيار والأشرار، فمن ذلك توجيهه له عام ثلاثة وعشرين وثلاثمائة وألف للسلطان مولاي عبد العزيز، وفعل له ما لا يعبر عنه من الإكرام والتعزيز. ومنه توجيهه للسلطان مولاي عبد الحفيظ عام سبعة وعشرين بعد ثلاثمائة وألف، وفعل مثل ذلك وفوقه، فكان ذلك سببا في إغناء تجربته وتأهيله إلى تحمل المسؤولية.

بعد وفاة والده سنة 1328 / 1910 إثر أحداث تادلة "اجتمع عليه إخوته وقدموه مكانه، وأعطوه تاجه وعمامته، فسار فيهم سيرته"، سواء في النصح والإرشاد أو الدعوة إلى الجهاد...، ولما استفحل داء الاحتماء بالأجانب وضاق أهل الجنوب بالضرائب وجور بعض القواد، اجتمع رؤساء الصحراء وسوس، وبايعوه على الجهاد بعد صلاة ظهر يوم 6 مارس 1912، وبعد هذه البيعة مباشرة كتب رسالة إلى السلطان مولاي عبد الحفيظ يطلعه فيها على أحوال سوس، ويستشيره في أمورها، يقول في بعض فقراتها : "سيدنا أمير المؤمنين وناصر الملة والدين، غيثنا وغوثنا مولاي عبد الحفيظ، بعد السلام التام، فإن الشيخ أحمد بن الشمس يكتب لنا بنشر محاسنك، ونحن ننشرها للقبائل هنا، وقد خلفته عنا بفاس كما كان والدنا يفعل معه، وإنني أنصح القبائل السوسية في عدم بيعهم الأملاك للأجانب التي سارعوا إلى بيعها، وأذكر أن متابعتك فيها لهم الخير كله، وأن الأولى لهم هو اتباع سياستك والتمشي على مقتضى إشارتك، وقد رجع جلهم عن ذلك...".

وكان أول خطوة قام بها بعد اجتماع أهل سوس حوله، إسقاط الضرائب التي استحدثها المستعمر والاكتفاء بالزكاة والأعشار، وتضييق الخناق على العمال والقواد الجائرين، مثل عامل تارودانت الذي اضطر إلى الفرار، وقواد أمسكرود وكَنذافة وحاحة الذين أبدوا مساندتهم له بعد تخلي العامة عنهم.

وعند اشتداد الضغط الاستعماري على منطقة الحوز استنجد به أهلها وطلبوا منه مساعدتهم، فبادر إلى تلبية ندائهم ودخل مراكش في أوائل رمضان سنة 1330، فاجتمع أهلها حوله وناصروه فيما يدعو له من إصلاح وجهاد، فسلك معهم نفس السياسة التي سلكها مع أهل سوس، فأسقط عنهم الضرائب المستحدثة وخلصهم من جور بعض القواد الذين كانوا يسيئون معاملتهم. وقد عبر الطاهر الإفراني عن المقاصد البعيدة التي كان يطمح إليها هذا القائد يوم دخوله هذه المدينة، حيث يقول في تهنئته.

هنئتها مراكشا وحلو لها	متفيئا منها بخير ظلال
فامدد يمينك نحو فاس وبعدها	مصر فسعدك كافل بمنال

ولعل لهذه المطامح البعيدة التي عبر عنها الطاهر الإفراني في هذه الإشارة علاقة بما كان يقصده الشيخ أحمد الهيبة في جوابه لأبي شعيب الدكالي الذي أخذ عليه طغيان الطابع الصوفي على حركته حينما قال له : "بهذه السبحة أفتح القاهرة ودمشق..."، لكن المختار السوسي اكتفى بإيراد المعنى الظاهري لهذا الجواب، ولم ينتبه إلى أبعاده الحقيقية. وتؤكد علاقة أحمد الهيبة بألمانيا هذه المطامح البعيدة.

وقد خلف هذا الحدث التاريخي صدى كبيرا لدى الرأي العام العربي والدولي، "فاهتز العالم لدخول أحمد الهيبة لعاصمة الجنوب،... فصارت الجرائد الشرقية تستنكه النتائج وتستبشر خيرا، وقد رأت الأمر من بعيد بالمرآة المكبرة. كما شكل خطرا كبيرا على المستعمر.

ولما فشلت كل الوساطات لإثناء الشيخ الهيبة عن عزمه، أوعز المستعمر لعملائه بممالأته والتظاهر بنصرته قصد التجسس عليه وتتبع أخباره، فاندس بين أتباعه عدد من القواد والشيوخ الذين تنازلوا مؤقتا عن تسلطهم قصد النجاة بأنفسهم والمحافظة على مصالحهم، والتجسس في نفس الآن عليه، مثل المدني الكَلاوي وأخيه التهامي والعيادي، والمتوكي، والبياز وعيسى بن عمر العبدي وغيرهم.

وفي 5 شتنبر 1912، تحرك الكولونيل مانجان (Mangin) لاحتلال أربعاء الصخور كخطوة أولى للهجوم على مراكش، على رأس جيش يتكون من تسعة فيالق مجهزة بأحدث أنواع أسلحة الدمار، يقودها أربعة وعشرون ضابطا، وأعطى الشيخ الهيبة أوامره لأخيه الشيخ مربيه ربه وابن عمه محمد الأغظف ابن مصباح، بالزحف على القوات الفرنسية وقطع الطريق أمامها بجيش يتكون من خمسة عشر ألف مجاهد، لا تتجاوز عدتهم الحربية ثلاثة مدافع برتغالية بالية وبعض البنادق القديمة، والتقى الجمعان في سيدي بوعثمان، لكن تعاون الخونة مع المستعمر، وتفوق القوات الغازية على المجاهدين في العدة والتكتيك الحربي جعل الشيخ الهيبة يضطر إلى إعطاء الأوامر لأتباعه بالانسحاب من المعركة لتفادي محاصرة العدو، وليستدرجه إلى الجبال المحاذية لمراكش. وما كادت جموع المجاهدين تغادر مراكش حتى بادر الممالئون للمستعمر ممن كانوا يظهرون الولاء للهيبة إلى رفع الرايات الفرنسية على بنايات المخزن، والانتقام ممن بقي من أتباع الهيبة. فاعتقلوا خليفته عبد السلام البربوشي، "وقتلوا جماعة من المكافحين وعلقوا رؤوسهم على أخشاب عالية".

وقد حاول المارشال ليوطي بعد ذلك استقطاب الهيبة في إطار سياسته القائمة على تشريف وتحييد شيوخ الزوايا، فاقترح عليه تولي منصب الوزير الأول "الصدر الأعظم"، لكنه رفض كل العروض التي قدمت له، واختار مواصلة الجهاد، فظل يقاوم المستعمر وأذنابه في تارودانت وأسرسيف وتمكر وكردوس.

ولم تكن حركة الشيخ أحمد الهيبة موجهة ضد السلطة الشرعية، ولكنها كانت امتدادا لحركة والده الشيخ ماء العينين الذي كان خليفة للمخزن المغربي في الصحراء منذ عهد السلطان مولاي الحسن، ونتيجة حتمية لما آلت إليه أوضاع المغرب من تفسخ وفساد. وقد أوضح

العلامة المختار السوسي هذا الأمر في سياق حديثه عن مبايعة أهل سوس الهيبة. "فبعد أخذ ورد انتبهوا - أهل سوس - أن مولاي أحمد الهيبة يكون مقدما للناس فقط، إن اتفق الناس وقاموا للجهاد، ولم يتجاوزوا أكثر من ذلك". كما أكد الشيخ محمد الإمام، أخو الشيخ أحمد الهيبة هذا الأمر أيضا في رسالة وجهها إلى الأستاذ علال الفاسي، يقول في بعض فقراتها : "أما ما ذكر من كون الشيخ رضي الله عنه... هو السلطان المنتخب من الله تعالى ...، فهذا كلام لم يتأسس على شيء".

ولم تكن اهتمامات الهيبة مقصورة على الجهاد وحده، ولكنه جمع بين الأدب والعلم وهموم الدفاع عن الوطن. فقد أشرف والده الشيخ ماء العينين على تربيته بنفسه، فما كاد يبلغ سن الرشد حتى أحاط بمختلف علوم وفنون عصره، من فقه وحديث ونحو وتصوف ومنطق وعروض وأسرار وغيرها. وقد أشاد معظم الذين ترجموا له بهذا الجانب في حياته. يقول أخوه الشيخ محمد الغيث النعمة : "كان من أكابر العلماء العاملين ومشاهير الفضلاء الأكرمين..، وله في المحافل التقدم العجيب والتصدر لكل أمر غريب، وما التفت عليه قط محافل إلا وأذعن له في كل ما اشتغل فيه أفاضل الجحافل. ومن قضاياه في ذلك، أنه خرج يوما يتنزه في الربيع، فسمع به كثير من الأدباء والظرفاء والرؤساء والفتيان ورماة الشجعان، فساروا معه، فجالوا يومهم في كل فن من فقه وحكم ونحو وغناء وأشعار حسانية وعربية وآداب وغير ذلك، ففاقهم كلا، وأقروا بالعجز عن إدراك شأوه في كل ما جالوا فيه". وكانت له مجالس علمية يحضرها العلماء والأدباء والشعراء كل خميس، ولما توفي والده خلفه في التدريس وتربية المريدين. وله مؤلفات متنوعة، منها :

1 - أجوبة فقهية، تتناول مجموعة من المسائل، منها :

أولا : ما أحدثه الناس من القيام وإحناء الرؤوس وتقبيل اليد تعظيما للسلاطين والمشايخ والعلماء والكبراء، مما لم يرد في النصوص، ولا كان في السلف، هل هو جائز أو ممنوع ؟

ثانيا : مدح الولد لوالده، والمداهنة هل هي محرمة على الإطلاق أو منها ما هو جائز ؟

ثالثا : تقديم الزكاة من يوم إلى شهرين ونحوهما، هل يجوز، أم لا ؟

رابعا : الانتقال من مذهب إلى مذهب، هل يجوز أم لا ؟

خامسا : ما أنكر على مقدم الزكاة تقديما فوق ما ذكره المختصر بفتوى بعض العلماء، حتى كفر من أفتى بهذا التقديم، هل هذا الإنكار في محله أم لا ؟

2 - تعليق على كتاب "حزب الخيرات وأسبابها الدافع للمضرات وأربابها"، لوالده الشيخ ماء العينين.

3 - جواب عن سؤال محمد بابا بن قطرب، هل يجوز للمريد الأخذ عن شيخه بلا قيد ؟

4 - ديوان في مدح والده الشيخ ماء العينين.

5 - سرادقات الله الدافعات في البلايا والطواعين والأمراض والمهمات.

6 - سراج الظلم فيما ينفع المعلم والمعلم.

7 - قصائد مختلفة في الغزل ومدح الرسول (ص) والإخوانيات، وغيرها من الأغراض.

8 - مجموعة رسائل معظمها رسمية.

توفي يوم الثلاثاء الثامن عشر من شهر رمضان عام 1337 / 1919 عن عمر لا يتجاوز ثلاثا وأربعين سنة.

محمد الغيث النعمة، *الأبحر المعينية في بعض الأمداح المعينية*، مخطوط بالخزانة العامة، الرباط، رقم د 1376 ؛ ماء العينين بن العتيق، *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، ورقة 128، مخطوط خاص ؛ *ديوان الشيخ أحمد الهيبة*، جمع وتحقيق، محمد الظريف، ص. 25 ؛ محمد الظريف، *الحياة الأدبية في زاوية الشيخ ماء العينين*، ص. 48، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه، 2003.

هيبة، محمد سيداتي هو محمد سيداتي ابن الشيخ أحمد الهيبة ابن الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن مامين. ولد بتنالت شرق تزنيت سنة 1335 / 1916 في غمرة الأحداث الجهادية التي شهدها الجنوب المغربي بقيادة والده الشيخ أحمد الهيبة. تلقى تعليمه على يد مجموعة من شيوخ الصحراء وسوس مثل الشيخ محمد الأغظف بن الشيخ ماء العينين والشيخ مربيه ربه الذي نشأ بكنفه بطرفاية، فقرأ بمدرسته القرآن والعقائد واللغة والبيان والمنطق، ثم الشيخ محمد الإمام ابن الشيخ ماء العينين والشيخ الفضيل بن الشيخ شبيهن وماء العينين بن العتيق وسيدي محمد بن عبد العزيز بن حامَّنٍ والحاج لحبيب الصوابي ومحمد بن أبَّـوَّ الشنقيطي وغيرهم. وفي سنة 1945 حصل على شهادة العالمية من رابطة علماء شنقيط التي كان يرأسها الشيخ محمد الإمام، كما حصل على إجازات كثيرة في القرآن والفقه واللغة والأدب والتاريخ.



ساهم بدور كبير في الدفاع عن وحدة المغرب وسيادته في أقاليمه الصحراوية بلسانه ومواقفه الوطنية، فكان من المعتمدين البارزين لجيش التحرير بالساقية الحمراء، ولذلك ألقي عليه القبض من طرف المستعمر الإسباني ونفي إلى وادي الذهب ثم جزر الخالدات، وبقي بالمنفى سنتين ونصف إلى أن أطلق سراحه في 29 ماي 1959 بعد أن حكم عليه بالإعدام.

شغل عدة مناصب فكان مستشاراً للحقوق الإسلامية في المنطقة الجنوبية بظهير من الخليفة السلطاني مولاي الحسن ابن المهدي بتطوان. بعد الاستقلال تولى رئاسة محكمة السدد بإقليم طرفاية بظهير من السلطان محمد الخامس، كما كان عضواً في المجلس الأعلى للإنعاش الوطني، ثم رئيسا لملحقة تارودانت القضائية. وهو إلى جانب أنشطته الوطنية أديب متميّز وشاعر مفلق وخطيب مفوه وكاتب لامع ودبلوماسي أنيق.

خلف عدة أعمال أدبية منها :

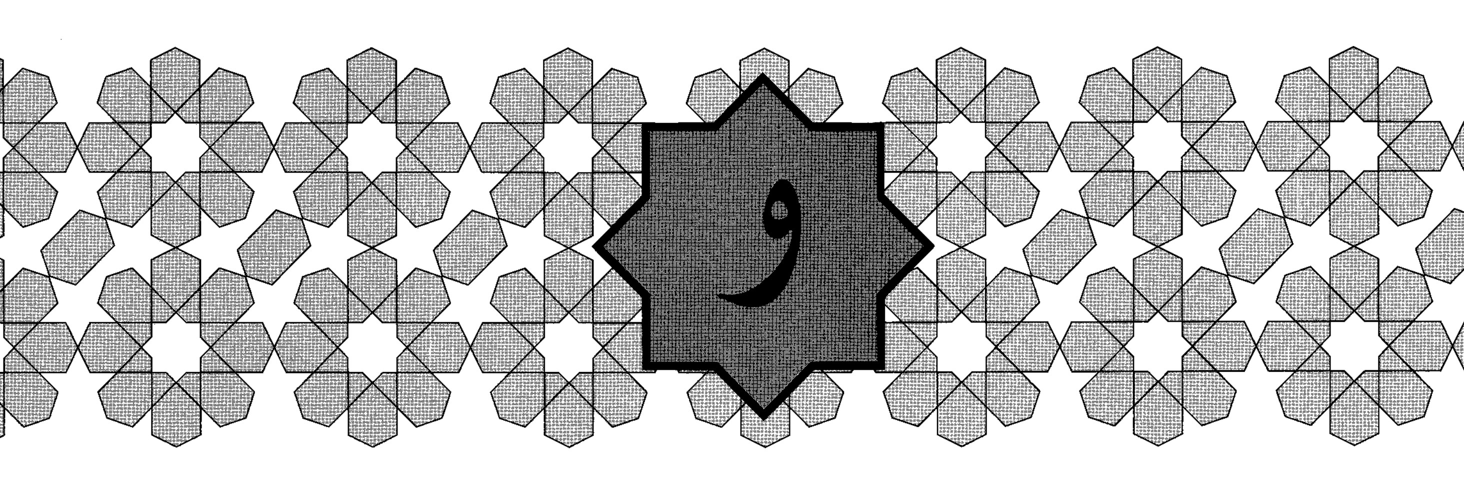
- ديوان شعر في مختلف الأغراض، أنجزت حوله مجموعة من البحوث لنيل الإجازة في الأدب العربي، ولا يزال مخطوطاً.

- كتاب "عقد الجمان في محاسن الحسان"، وهو مختارات شعرية في محاسن الحسان، ولا يزال مخطوطاً عند ابنه الشاعر الأديب ماء العينين محمد الإمام بتارودانت.

توفي يوم 16 غشت 1974.

محمد الظريف، *الحياة الأدبية في زاوية الشيخ ماء العينين*، ص. 160، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، 2003.

محمد الظريف


و

واد الذهب - الكويرة (جهة -) تكوّن إحدى الجهات الصحراوية المغربية الثلاث، تغطي مساحة واسعة تجعل دائرتها الترابية تمتد حتى التخوم المغربية - الموريطانية. تعرف نسبة تمدن عالية تجعل حوالي 83% من السكان يستقرون بالمراكز الحضرية، وتزخر بموارد طبيعية وبشرية متنوعة تتمثل في المراعي الشاسعة وفي المصايد البحرية الغنية وفي المؤهلات السياحية الواعدة. ولقد أحدثت بناء على التقسيم الإداري الأخير الذي عرفته البلاد سنة 1997، أحدثت لتشكل إحدى أهم الجهات التي تغطي المناطق الصحراوية المغربية، تحدها من الشمال جهة العيون - بوجدور ومن الشرق والجنوب الجمهورية الإسلامية الموريطانية، ومن الغرب المحيط الأطلنتي. فهي تمتد على مساحة 865 142 كلم²، أي حوالي خمس مساحة التراب الوطني وحوالي 40% من مجموع مساحة الجهات المغربية الصحراوية ؛ وتتشكل من إقليمين هما : إقليم وادي الذهب الذي أحدث سنة 1979 ويمثل 60,5% من مجموع مساحة الجهة، وإقليم أوسرد الذي أحدث مؤخراً ليغطي 39,5% من هذه المساحة. ويتوزع الإقليمان إلى أربع دوائر (العركوب، بئر أنزران، بئر الكندوز) و11 جماعة قروية (العركوب، إمليلي، بئر أنزران، أم دريكة، ميجك، كليبات الفولة، أوسرد، أغوينيت، تشلا، الزوك، بئر الكندوز) وجماعتين حضريتين هما بلدية الداخلة العاصمة الإدارية والاقتصادية للجهة وبلدية الكويرة.

تتميز تضاريس الجهة بنية بسيطة عبارة عن قاعدة قديمة، تتغرز في اتجاه الغرب تحت تكوينات رسوبية حديثة متنوعة تشكل قاعدة الوحدات الهضبية الغربية الشاسعة وسلسلة من السهول الساحلية. فالقاعدة القديمة تتوافق مع كتلة الركيبات التي ترتبط بالقاعدة القديمة الإفريقية، وتقدم بروزات صخرية قديمة عبارة عن مواد متحولة تنتمي إلى الماقبل كبـري، تخترقهـا تكوينات صخرية بلوريـة هرسينيـة على شكل بهـرات غرانيتيـة متفاوتة الأهمية. ونظرا لقدم هذه الوحـدة البنيويـة وتنـوع صخورهـا، فـإن تضاريسها يغلـب عليها طابع الهضاب شاسعة المستوية، التي تتخللها مجموعة من المنخفضات المغلقة وتقطع رتابتها سلسلة من الأعراق والقمم المنعزلة. كما أن هناك قطاعات واسعة من هذه الهضاب تغطيها مجموعة من العروق الرملية.

في اتجاه الغرب تنغرز كتلة الركيبات تحت التكوينات الصخرية الرسوبية المعروفة بالأحواض الساحلية، وهي عبارة عن طبقات أفقية تتشكل من صخور كاربوناتية تنتمي إلى الطباشيري والإيوسين. وتتوافق هذه المواد المنضدية مع شريط من الحمادات تتغير معالمه بين جنوب وشمال الجهة، وعند القطاع الشمالي تحتل هذه المواد مجالا واسعا، وتشكل حمادة حقيقية حول منطقة بئر أنزران ؛ أما عند القطاع الجنوبي فإن هذا الحوض الرسوبي يتحول إلى شريط ضيق بسبب انحصاره بين كتلة الركيبات التي تتقدم بعيدا نحو الغرب، والمواد الحديثة الثلاثية والرباعية التي تشكل شريطا موازيا لخط الساحل. وعند الساحل يغيب المظهر التضاريسي الكتلي والهضبي الداخلي ليحل محله مظهر متموج مرتبط بتداخل وتنوع التكوينات القارية والساحلية الحديثة، المكونة من مواد فتاتية متصلبة ومن مواد رملية تتعرض لتحريك مستمر تحت تأثير الرياح.

ومن اللافت أن اتصال اليابسة بالبحر يتم بشكل تدريجي وبكيفية لا مثيل لها عند الساحل الإفريقي الشمالي. وينتج هن هذا الاتصال هضبة قارية شاسعة يتقدم عندها خط تساوي عمق المياه البحرية 200م إلى حدود 130 كلم قبالة خط الساحل الممتد بين موقعي الداخلة وبوجدور. وبذلك فإن ساحل جهة وادي الذهب - الكويرة يقدم أهم وأغنى المصايد المغربية الغنية بالرخويات والأسبوريات وسمك السردين.

بسبب موقعها عند أقصى جنوب المغرب وعند عروض مدارية، فإن جهة وادي الذهب- الكويرة تنتمي لوحدة المجال القاحل الذي تمثله الصحراء الإفريقية الكبرى المشهورة بجفافها المفرط، غير أن محاذاتها للمحيط الأطلنتي يجعل مناخها يتميز بنوع من الاعتدال خاصة عند الشريط الساحلي. لذلك فإن هذه الجهة تقدم

نموذجا جيدا لنوع الصحاري الساحلية الضبابية، التي تتميز برطوبة نسبية عالية وبنظام حراري معتدل.

يتميز الإطار المناخي العام للجهة باستقرار نظام خلايا الضغط المرتفع المدارية الذي يتسبب في الجفاف، وتترتب عنه التيارات الهوائية القارية الشمال / شمال - شرقية المعروفة بالرياح التجارية. وإذا كانت هذه الرياح القارية معروفة بجفافها وبارتفاع نسبة ترددها بالمنطقة، فإن الرسم الذي يتخذه خط الساحل الأطلنتي محليا يجعلها تساهم في تحريك المياه البحرية، ونشأة تيارات عمودية ترفع المياه العميقة الباردة إلى السطح. ومن حين لآخر ينقلب هذا الوضع حيث تستقر عند الساحل أنوية لضغط منخفض ينتج عنها هبوب رياح الشرگي التي ترفع درجات الحراة وتؤدي إلى اندلاع زوابع غبارية قد تستمر على مدى عدة أيام.

وفي غياب الواردات المطرية الكافية، فإن ارتفاع معدلات الرطوبة النسبية عند الشريط الساحلي يشكل موردا مهما للرطوبة بالنسبة للحياة بشكل عام وعلى الخصوص بالنسبة للغطاء النباتي الذي يعرف كثافة وتغطية غير معهودة عند المجالات الجافة الشرقية. وإذا كان هذا الغطاء النباتي له مردودية اقتصادية مباشرة على قطاع الماشية، فإن له أيضا دورا حيويا على صعيد تثبيت التربة وصيانتها من عوامل التعرية المائية والريحية. ونظرا لشح الواردات المطرية، فإن فرص الحصول على موارد مائية متجددة تبقى جد محدودة. فالمياه السطحية ضعيفة كميا وكيفيا، والمياه الجوفية ترتبط بشكل أساسي بالفرشات العميقة الموروثة عن الفترات المناخية الرطبة القديمة.

إن الطبيعة الجيولوجية تقدم مؤشرات واعدة حول إمكانيات توفر جهة وادي الذهب - الگويرة على مكامن للمحروقات داخل الحوض الرسوبي الثنائي-الثلاثي والمستمر تحت المياه البحرية، كما أنها تتوفر على إمكانيات مهمة على مستوى مصادر الطاقة المتجددة من نوع الطاقة الريحية والطاقة الشمسية، وأيضا، فإن الامتداد الواسع للقاعدة القديمة المنتمية لكتلة الرگيبات يجعل الجهة تتوفر دون شك على طيف معدني فلزي متنوع لا يعرف عنه إلا الشيء القليل. وتبقى أهم المكامن المعدنية المعروفة هي تلك التي تهم معدن الحديد.

وتتميز الجهة بنمو ديموغرافي سريع، غير أن ساكنتها لا تمثل إلا 0.14% من مجموع سكان المغرب، و6.1% فقط من مجموع سكان الجهات المغربية الصحراوية، وهذا يجعلها منطقة فراغ سكاني يرتبط بمحدودية مواردها الطبيعية القارية، وببعدها الجغرافي، وأيضا بشساعة أراضيها. إذ الكثافة السكانية لا تتعدى 0.26 نسمة / كلم^2. وقد عرفت نموا ملحوظا جراء تزايد عدد السكان خلال العقدين الأخيرين، فقد انتقل حجم ساكنة الجهة من 21496 نسمة سنة 1982 إلى 36751 سنة 1994، أي بنسبة نمو 4.57% في السنة. وتعتبر هذه النسبة من نسب النمو الديموغرافي العالية المسجلة بباقي الجهات المغربية الصحراوية.

غالبية سكان جهة وادي الذهب - الگويرة يستقرون بالوسط الحضري، فنسبة التمدين تتجاوز 84%. ويرتبط هذا التوزيع السكاني اللامتكافئ بالدينامية الديموغرافية السريعة التي تعرفها مدينة الداخلة، والتي جعلتها تحتضن أكثر من 81% من مجموع ساكنة الجهة وحوالي 96% من مجموع السكان الحضريين المقيمين بهذه الجهة. ويتوزع باقي هؤلاء بمركزين صغيرين هما الگويرة والعركوب. ومن المرتقب أن تتعزز نسبة التمدين وتتوسع الشبكة الحضرية داخل الجهة بعدما تنتهي أشغال بناء وتجهيز المركز الحضري الجديد بموقع أوسرد.

وتشكل مدينة الداخلة اليوم القطب الحضري الرئيسي داخل الجهة، نشأت وتطورت كمركز بحري عند الساحل الشرقي من خليج وادي الذهب الذي يوفر ميناء طبيعيا ينفتح على أحد أغنى وأكبر المصايد البحرية الوطنية. وقد تمكن هذا المركز الذي ظل يعاني من التهميش بسبب بعده الجغرافي، من الظفر غداة عودته إلى الوطن الأم بوظائف أخرى غير تلك المرتبطة بالنشاط البحري، مثل الصناعة والتجارة والخدمات والإدارة.

وبالنظر إلى طبيعة عناصر الوسط المتميزة بجفاف المناخ ومحدودية الموارد المائية وفقر الأتربة، وحسب المعرفة المحدودة المتوفرة حول المكامن المعدنية والطاقية، فإن ركائز الاقتصاد الجهوي تنحصر في دعامتين أساسيتين هما استغلال الأحياء البحرية والزراعة المرتكزة على النشاط الرعوي بالدرجة الولى، وكل ما يترتب عن هذين المحورين من أنشطة حرفية وتجارية وخدماتية وإدارية، إضافة إلى كون جهة وادي الذهب- الگويرة بحكم موقعها تبقى مرشحة للعب دور تجاري دولي موجه نحو دول إفريقيا الغربية.

على غرار باقي الجهات الصحراوية، يتم النشاط الفلاحي بجهة وادي الذهب - الگويرة في إطار نظام زراعي رعوي مبني على الترحال، لا تمثل زراعة الأرض إلا نشاطا تكميليا وعابرا يتوسع نسبيا خلال السنوات المطيرة، ويتراجع ويتوقف خلال السنوات الجافة التي تدوم مدة طويلة.

تتمثل الأراضي القابلة للزراعة في المجاري المائية وفي الكرارات التي تمثل منخفضات مغلقة تنتهي عندها الأودية التي تحمل إليها المواد الغرينية التي تشكل قاعدة غطاء ترابي غني نسبيا. ويبقى المحصول الوحيد القابل للنجاح عند هذه الأوساط هو الشعير الذي يدخل في نظام تغذية السكان وكذلك كعلف تكميلي للماشية في بعض الحالات.

تتوفر الجهة على دوائر سقوية محدودة المساحة، تعتمد على ما توفره الأثقاب المائية الأرتوازية ومجموعة من الآبار تستغل مياه الخزانات الجوفية المحلية بصبيب إجمالي في حدود 200 ل/ث، وتتشكل هذه الدوائر من ثلاث وحداث هي تاورطة وظهر الحولي وتينيكر، مجموع مساحتها حاليا هو 102 هكتار، وتبقى قابلة للتوسيع إلى حدود 225 هكتار. ورغم صغر المجال

المسقي فإنه يساهم في تغطية جزء من حاجيات مدينة الداخلة من المنتوجات الزراعية من نوع الحليب والخضر والفواكه.

إن النشاط الفلاحي المسقي والبوري يبقى محدود الأهمية، ووقعه على الحياة الريفية محدود جدا بالقياس إلى النشاط الرعوي الذي يظل أساسيا لدى فئات عريضة من السكان، على الرغم من التحولات التي عرفها المجتمع خلال العقود الأخيرة. فبحكم طبيعة الوسط الصحراوي ونمط عيش الترحال وتوفر مراعي شاسعة تتجاوز 12 مليون هكتار، تعتبر تربية الماشية النشاط الرئيسي لدى السكان الريفيين ولدى نسبة مهمة من السكان المستقرين بالمراكز الحضرية. وإذا كان من الصعب ضبط حجم القطيع بسبب نمط الترحال الذي يفرض التحرك المستمر للماشية، فإن التقديرات المتوفرة حاليا تفضي إلى أن الجهة تحتضن حوالي 96000 رأس، منها 40500 من الماعز و30500 من الغنم و25000 من الإبل. ومقارنة هذه التقديرات مع تقديرات السنوات الفارطة تظهر أن القطاع آخذ في التوسع، وأن التأطير الذي تقوم به مصالح الفلاحة على مستوى تنمية الموارد المائية، والمراقبة والعناية الصحية بالثروة الحيوانية، وتنفيذ وتنظيم برامج دعم الأعلاف وغير ذلك من التدخلات بدأت تعطي أكلها.

كما أن عناصر الوسط الساحلي والبحري المحاذي والمقابل لجهة وادي الذهب - الگويرة تطورت وانتظمت بشكل جعل منها أحد أغنى الأوساط الأحيائية البحرية المغربية والعالية، التي تبحث عنها مراكب الصيد الوطنية والدولية بإلحاح. كما أن السواحل وخاصة عند خليج وادي الذهب توفر إمكانيات طبيعية وفرص نجاح مهمة لتربية الأحياء البحرية.

وحتى تستفيد هذه الجهة من هذا المورد الطبيعي المتجدد، فقد تم التدخل من أجل توفير مركب مينائي عصري متطور يجمع بين وحدتين متباينتين : رصيف قابل للتوسع على شكل جزيرة في عرض مياه خليج وادي الذهب قادر على استقبال مراكب الصيد بأعالي البحار ؛ وحي صناعي وترفيهي مرتبط بهذا المرسى بممر خاص، تم التخطيط لإعداده جنوب مدينة الداخلة على مساحة 270 هكتارا. وبالموازاة مع ذلك، فقد تم التفكير في وضع مجموعة من القرى العصرية للصيادين على امتداد ساحل الجهة الذي يتجاوز 660 كلم. وفي انتظار أشغال المركب المينائي المذكور، ينحصر نشاط الصيد البحري في الصيد الساحلي الذي يزاوله عدد محدود من المراكب لكنه يساهم بحوالي 40% من حجم الإنتاج المحلي الإجمالي، وفي الصيد التقليدي الذي ينشطه حوالي 3500 زورق مجهز بمحرك تشغل أكثر من 12000 فرد. أما الإنتاج فإنه في تزايد مستمر وقدر سنة 1998 بأكثر من 30000 طن، 45% منها تمثله الرخويات وحوالي 40% يمثلها سمك السردين، والباقي تمثله أنواع السمك الأبيض.

وتزخر جهة وادي الذهب - الگويرة بإمكانيات سياحية غنية وشديدة التنوع تجمع بين المشاهد الصحراوية الأصيلة، والفضاءات الطبيعية الفسيحة، والمناظر الساحلية المتغيرة المغرية بالقيام بأنشطة رياضية واستجمامية متعددة. وتقدم هذه المنطقة الصحراوية إرثا حضاريا نوعيا يبرز أحد الأوجه المضيئة للشخصية الثقافية المغربية. وقد تعزز هذا الغنى مؤخرا بعزم مصالح المياه والغابات على خلق مجالات محمية شاسعة، ستساعد على خلق الظروف المواتية لنمو وتطور بعض عناصر النبات والوحيش المهددة بالانقراض، والتي تمكن في نفس الوقت من تنشيط السياحة البيئية التي أصبحت سوقها الدولية تتوسع بشكل ملموس خلال السنوات الأخيرة. وعلى الرغم من المجهودات المبذولة على صعيد البنيات التحتية مثل ربط الجهة بشبكة الطرق البرية والوطنية وأيضا شبكة النقل الجوي الداخلي، فإن عدد السياح الوافدين يبقى محدودا مما يدعو إلى المزيد من العمل من أجل خلق مجال سياحي قادر على استثمار الموارد الطبيعية والثقافية المتوفرة.

إن جهة وادي الذهب - الگويرة تزخر بإمكانيات اقتصادية واعدة، يمكن في حالة إيجاد السبل الكفيلة باستثمارها بشكل جيد ومستديم أن تصبح إحدى الجهات المغربية النامية على الرغم من موقعها الجغرافي الذي يجعل منها منطقة صحراوية حدودية ونائية.

تحريات ميدانية.

الحسن المحداد

وادي الصفا (معركة -) وقعت أواخر سنة 1957 بالقرب من روضة الشيخ سيدي أحمد العروسي التي لا تبعد عن مدينة السمارة إلا بحوالي أربعين كيلومترا (40) وقد توجهت إليها طلائع جيش التحرير المرابطة بمركز الرغيوة مرورا بكورني تركت وهي قلعة محاطة بالجبال وتبعد عن مركز وادي الصفا بحوالي 25 كلم. وكان عدد أفراد هذه الطلائع يفوق 200 جندي. ولما علمت قوات جيش الاحتلال بذلك سارعت إلى ملاحقتهم فطوقت المركز المذكور معززة بالسلاح الثقيل والطائرات العسكرية والاستكشافية وظلت المعركة مستمرة طيلة النهار وأسفرت عن العديد من القتلى والجرحى في صفوف العدو وبلغ عدد الشهداء الذين سقطوا في ساحة الشرف إثنتى عشر شهيدا.

مشاركة إقليم السمارة في فترة الكفاح الوطني، شقيق حسن، *مجلة المقاومة وجيش التحرير*، العدد 47، يونيو 1997.

ماء العينين النعمة علي

وادي نون، تقع منطقة وادي انون بين جبال باني شمالا ووادي درعة جنوبا وشرقا جبال الواركزيز وغربا فم فاست ومرتفعات اصبويا. ويقول دي لاشابيل (De La Chapelle) أن كلمة "وادي نون" بخلاف المعنى الحقيقي للوادي بينما هو سهل من غرين وطين وبه عدد من الأودية أهمها وادي صياد وأم العشار...وتلتقي هذه الأودية فيما بينها لتشكل وادي أسكا الدي يصب في البحر. كما يحددها ڤانسان مونطيي (Vincent Monteil)

بكونها سهل غريني "رك" يكون الحوض الأسفل لوادي صياد يمتد على مسافة 50 كلم من الشرق إلى الغرب و30 كلم من الشمال إلى الجنوب إضافة إلى واركنون الذي يكون الحوض الأسفل لوادي بوكيلة والذي يمتد إلى واحات أزوافيط....كما يتحدث عن "راس نون". فيقول بأن أغلب الخرائط حتى الحديثة منها تضعه قرب مصب وادي درعة. أما دي فوكو De Foucauld فيقول إن منطقة وادي نون مجموعة من القرى توجد جنوب الأطلس الصغير.. وجاء في الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية أن منطقة وادي نون هي القلب النابض لتكنة أهله يعيشون في القصور ولهم نجعة وريادة، منهم أزوافيط وآيت لحسن وآيت موسى اوعلي....

وقد تساءل ناعمي عن إمكانية إدماج المنطقة في المجال الشبه الصحراوي. وربط ذلك بإلقاء نظرة على المنتوجات الزراعية لكون هذه المنتوجات تلعب أيضا دوراً كبيراً في اندماج المجال في إطار متغيرات جهوية. وقد صنف الجغرافيون الوسيطيون ومنهم ابن حوقل والبكري والإدريسي على أساس التنوع الاقتصادي وليس الجيومورفولوجي للمجال، فالأول يدخل "نول" في وصف الأطلس الصغير أي سوس الأقصى. أما البكري فيحدد مجال نول عند بداية الصحراء فاصلا بينه وبين سوس الأقصى في حين جاء الإدريسي ليضع نول في المجال الصحراوي في نفس الخط مع مدينتي تزكاغت و اكرنو. أما ابن خلدون فيشير إلى وادي درعة بقوله تضيع مياهه في الصحراء بين سجلماسة وسوس ليصب في المحيط بين نون و وادان وتحيط بجنباته أشجار النخيل المثمرة الكثيرة وهذه الإشارة عامة. لأن مجال آيت الجمل في وادي نون خال من النخيل أي الشريط الساحلي وأن وجد فبأعداد هزيلة جدا في تسكنان والكصابي على عكس مجال آيت بلا حيث أشجار النخيل الوافرة في كل من أسرير وفاصك وأسا كما أن النخيل غائب تاما في الساقية الحمراء. وحسب طرح الأستاذ ناعمي من الملائم اعتبار حدود النخيل كحدود شمالية للصحراء. وأهم ما يمكن أن نخرج به في تعامل الاسطغرافيا الوسيطية مع مصطلح "وادي نون" أنها كانت تتعامل معه من وجهة اجتماعية اقتصادية. ويعود ذلك في اعتقادنا لاعتبارين اثنين : - أولهما أن الفتوحات الإسلامية وجدت مجالا جغرافيا تقطنه مجموعات بشرية صنهاجية وعلى وجه الخصوص لمطة. لهذا اقترن اسم المكان بالمجموعات القاطنة فيه.

- ثاني هذه الاعتبارات أن المنطقة كانت من المراكز الاقتصادية الهامة المتراصة بمحاذاة الأبواب الشمالية للصحراء الكبرى والمستقبلة لتجارة السودان الغربي.

أما الدراسات الأجنبية خلصت إلى أن وادي نون يمتد من الحدود الجنوبية الغربيــة للأطلس الصغير حتى شمال كتلة باني أي بين واد اساكا وواد صياد وواد افران. والمنطقة عبارة عن سهل على مسيرة يوم طولا ونصف يوم عرضا(40 كلم على 22 كلم) ولم تخرج الدراسات المتأخرة عن هذه التعاريف حتى في مجال البحث الجغرافي.

وقد قدم مصطفى ناعمي مجموعة من القرائن ليكشف من خلالها أن المفهوم موغل في القدم، ففي إحدى نصوص بوليب هناك إشارة تقول بأن الفترة الممتدة بين سنوات 256 و237 قبل الميلاد عرفت مجموعة من المدن كانت تحمل اسم "البيتس" ويسود الاعتقاد بأنها تعني "لمطة". وقد وردت كذلك عند بطليموس مجموعة من المصطلحات للدلالة على بعض الأماكن الجغرافية خاصة في الجنوب منها : اكنا وهي ماسة ثم فالا وهي تارودانت ثم أشار إلى نوفيوس التي لا يستبعد أن تكون ذات دلالة على نول.

وأثناء حديث سترابون عن بعض الأنهار ذكر نهر نولوص وربما هي إشارة إلى نهر النيل لكن أتبعه بمعطيات أخرى تفيد بان النيل ينبع من إحدى جبال موريتانيا السفلى (أي المغرب الأقصى) غير بعيد عن البحر حيث توجد بحيرة تسمى "نيليس" فيها أسماك وتماسيح وفي هذا إشارة إلى أن هناك علاقة بين النيل ونول. واورد بول اوريزي نفس الملاحظة التي جاء بها سترابون. ثم أضاف أن نهراً في جنوب المغرب يأخذ اسم درعة "درة" عند بعض البربر ويأخذ عند البعض الآخر "اسم نوهول" وقد اعتبر مفهوم "نيم" في الثقافات القديمة رمزاً للماء أصلا والذي يعتبر النيل أحد تمظهراته كما يرمز "نيم" إلى إلهة الحكمة والطب في بلاد الرافدين والتي توجد على هيئة نصف رجل ونصف سمكة. ونجد الاسم وارداً كذلك في التراث الديني وتجدر الإشارة إلى أن روايات متواترة تفيد بأن "نون" هو نفسه الحوت الذي ابتلع نبي الله يونس كما ورد في الإنجيل والقرآن فيما بعد وتعتقد الرواية بأن الحوت رمى بيونس على شواطئ المنطقة.

من خلال جردنا لهذه المعطيات نتوصل إلى حقيقة ثابتة وهي أن مفهوم "نول" أو "نون" كان له ارتباط وثيق بالماء والثروة المائية في كل الحضارات القديمة. يحيلنا هذا على طرح التساؤل حول إشكالية الحضور القوي للماء هل هو مرتبط بجدب المناطق التي ذكرناها سابقا من الماء لهذا كان يشكل هاجسا كبيرا بالنسبة للسكان؟ أم أن الماء كان حاضرا لا لشيء إلا لأن معظم الحضارات القديمة أقيمت على الأنهار، الحضارة المصرية على نهر النيل والحضارة البابلية والاشورية على نهري دجلة والفرات ناهيك عن حضارات أخرى في أقصى آسيا خاصة الهند والصين ؟

مع بداية العصر الوسيط ومع الفتوحات الإسلامية في شمال إفريقية عموما والمغرب خصوصا بدأت تتراكم الكتابات المشرقية وحتى المغربية في فترات متأخرة عن الفتوحات في تخصصات مختلفة كالتاريخ أو الجغرافية التي تعنون ب "المسالك والممالك" ومن هذا المنطلق كان مشروعا أن نبحث في القواميس العربية. ونخص بالذكر قاموس ابن منظور الذي أشار إلى أن "نول" تعني الوادي السائل".

وقد نجد صعوبة بالغة في التمييز بين "نول" و"نون" لأنهما متطابقان من حيث الألفاظ وقد أشار الباحث أحمد الجماني أن الكلمة حين ارتبطت بكلمة

أخرى وهي "المطة" صعب النطق بهما مقترنتين لأن اللفظ بهما يكون عسيراً بالإبقاء على النون في آخر الاسم الأول ثم افتتاح الثانية بحرف اللام فتصبح "نول لمطة" في التداول اللفظي. ويشير لاشاپيل إلى أن المنطقة كان يطلق عليها "وادي النوق" واختفى حرف القاف واستبدل لاما وهذا يطرح أيضا أكثر من علامة استفهام ما دامت المنطقة معروفة بتربية النوق والجمال إلى الآن. ومن الطبيعي أن يحدث ذلك في كل اللغات حيث تتعرض المفردات لتغيرات مختلفة. ومن هنا نتساءل عن أسبقية الإنسان أم المجال. فإذا كان الأول هو السابق يكون نون هو الأسبق. فإن واقع المصطلحات الجغرافية يثبت أن أصولها تعود في أغلبها أن لم نقل كلها إلى الأمازيغية.

فهل نكتفي ب "نون" من حيث كونها تنتمي للقاموس العربي ؟ يبقى مع ذلك التساؤل مطروحا. وعند القراءة اللغوية للأسماء السلالية فإن كلمة "المطة" هي الصيغة العربية لمصطلح "لمط" وهو حيوان من فصيلة الظباء يوجد في إفريقيا. ومن هنا يمكن القول بأن الكيانات تميز استنادا إلى معالم طبوغرافية أو هيدروغرافية أو حيوانية أو بشرية وذلك بارتباطها بنمط عيش السكان. وبما أن مفهوم "لمطة" هو تعريب لمصطلح "الميضن" ألا يمكن أن يكون الاسم في فترة من الفترات "نول الميضن" ؟ على أي فالكلمة مركبة من اسمين هما "نول لمطة".

وفي بعض المصادر نجد عند ياقوت الحموي الذي أظهر أنها "تقال للأرض والقبيلة معا" وذهب الحميري في نفس الاتجاه حينما أشار إلى أنها "سميت لمطة لأن قبائل لمطة يسكنونها". وقد أضاف ياقوت الحموي قائـلا : "هي مدينة في جنوب بلاد المغرب وهي حاضرة لمطة" ويذهب صاحب *الاستبصار* في نفس الاتجاه فيشير إلى أن "نول" كان مجال استيطان "قبيلة لمطة "لهذا أطلقوا اسمهم على المكان الموجودين فيه. وذهب المراكشي إلى القول بأن "تكاوست" و"نول "تعتبران عاصمتان للجزوليين واللمطيين، وليس لأي أجنبي الحق في الاستقرار فيهما.

أما عن الوثائق المحلية فإنها تناولت هي كذلك المفهوم ولكن بصيغة مختلفة عما رأيناه، وسنأتي في هذا الباب بنموذجين اثنين. ففي إحدى الوثائق الخاصة بتحديد الأرض في مدشر تسكنان القريب من القصابي - تكاوست - المؤرخة بسنة 1598 جاء ما يلي : "رضي الشيخ الحسن بن منك الأيوبي البعمراني مع الشيخ اعلي بن ميمون الاجوجي وأخيه محمد بن ميمون كلهم إخوة نسبا واحدا والشيخ مومن بن يوسف البنعزيزي وإخوانه... أن يعرفوا الثانين مع الأولين الحدود بين أملاكهم المعروفة لهما بمعذر ازرك ببطحة واد نونة". وتذهب وثيقة الأنوار في نفس الاتجاه حيث يرد المصطلح على نفس الشاكلة التي جاء بها في الوثيقة السابقة : "... وفاضت منهم الأنوار وخصهم بالعبادة في خلواتهم ومستقـر أوطانهم... من تونـس الخضراء إلى سوس الأقصى من جبال درنـة وهي جبال الحـرب بيننـا وبيـن النصارى وكـذلك من الكنوز ما لا يعـد ولا يحصى... وكذلك البلدان كلها جبالا وسهولا ووعرا يمينا وشمالا ويسارا إلى وادي الحرب أيضا وهو وادي نونة أعلاه غجيجة النصرانية إلى نونة البحر ومن ذلك جبالا وسهولا ووعرا إلى الساقية الحمراء".

تذكر الوثيقتان مصطلح "نون" بصيغة التأنيث لينقلب معنى المفهوم. فما المقصود بمفهوم "نونة"، هل هي ملكة نصرانية "تاروميت" كانت تحكم المنطقة فسميت هذه الأخيرة بإسمها وهل هناك إذن علاقة بين الملكة النصرانية وبداية الوجود الإيبيري على السواحل المغربية خصوصا وأن الوثيقتين تعودان إلى بداية ذلك التسرب ؟ أم أن المسألة تتجاوز ذلك إلى ما هو أعمق أي الارتباط بنظام القرابة من ناحية الأم ؟ فأن نظام القرابة من الأم هي عادة اجتماعية كوشية في منطقة درعة. وحسب بعض الوثائق اليهودية التي نشرها كاتيفوسي جاء أن منصب الملك كان يتقلده النساء. والأساطير المحلية لازالت تحتفظ بذكريات الملكة "يكّوة" أم قبيلة يكّوت الموجودين في المسيد وتحتفظ كذلك بذكريات الملكة "نونة" وهي نصرانية في قلب البحر أي في جزر الكناري والتي تركت اسمها على أنقاض مدينة أكّادير- نونة قرب تلوين وكذلك في تيزي نتاروميت على السفح الأيسر لوادي أساكا. وقد أطلق اسم النصرانية على إقليم نون كله ومع عدم تسليمنا المطلق بهذه الروايات إلا أنها تظهر مدى التغيرات التي حصلت على المفهوم عندما بدأت المنطقة تعرف احتكاكا مباشرا بالايبريين. وحتى حسن الـوزان الـذي زار المنطقــة في تلك الفتـرة (سنة 1510) وعاين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المنطقة لم يقف عند حدود المفهوم إلا في إطاره الجغرافي والاقتصادي والاجتماعي قائـلا : "نون منطقة مسكونة على شاطئ المحيط ليس بها سوى قرى عامرة بناس فقراء. تقع بين نوميديا وليبيا ولكن القسم الأعظم منها ينتسب إلى ليبيا، ولاينبت فيها إلا الشعير وقليل من التمر الرديء. ويرتدي أهل هذه البلاد لباسا سيئا وهم فقراء لأن الأعراب يستغلونهم ويستنزفونهم ويذهب بعضهم للاتجار في مملكة ولاتة".

ويبقى وصف حسن الوزان ناقصا حسب محمد حجي فيما يخص توطين المنطقة فنعود إلى الرواية الشفوية التي تفيد بأن المنطقة كانت عبارة عن بحيرة كبيرة يملؤها حوت يحمل اسم النون فأطلق الاسم على المنطقة فسميت "وادي نون". نقف عند هذه الرواية لنشير إلى التعارض الواضح بين التحقيقين الجيولوجي من جهة والتاريخي من جهة ثانية فالتغيرات الجيولوجية والمناخية تحدث وفق سلم يقاس زمنيا بملايين السنين أي قبل وجود الإنسان فوق الأرض. فكيف للرواية الشفوية أن تراقب هذا التحول إضافة إلى أن وادي أسكا الذي يمر شمال منطقة وادي نون ويحدها مع منطقة آيت باعمران جاء نتيجة انفجار هذه البحيرة فانشق الوادي وهذا التفسير فيه تعارض واضح مع التفسير الجيولوجي وقد اتخذ المصطلح مدلولا آخر بحيث اورد دي لاشاپيل أن منطقة وادي نون كانت مجالا خصبا بالكلأ للإبل في الصحراء إلى حد أن الأسطورة القديمة عرفت الاسم

القديم لهذا المجال ب وادي "النوق". لكن استقرار الرحل أدى إلى انخفاض تربية الإبل مع ظهور الواحات وتطوير الزراعة. وقد يحيلنا ذلك إلى طرح تساؤل آخر حول تاريخ الإبل بالمنطقة ومع ذلك نتساءل عن علاقة المفهوم بحركة الرواج الكبير للإبل في المنطقة خصوصا إذا علمنا أن وادي نون بعاصمتها گلميم كانت تعتبر من أكبر الأسواق الخاصة بتجارة الإبل في الصحراء الكبرى.

وإذا رجعنا إلى بعض الكتابات الإيبرية نجدها تتحدث عن ميناء نوناو رأس نون وهذا يعبر عن مدى التعامل المحدود للبرتغاليين والإسبانيين مع المجال بصفة عامة، فانهم اقتصروا على السواحل.

ومن خلال تتبعنا لمصطلح وادي نون والتلوينات التي اتخذها عبر مجموعة من الفترات التاريخية نخلص إلى أن المصطلح اتخذ أبعادا مختلفة في التفسير بعضها اسطوري والآخر انطلق من محددات طبيعية واجتماعية واقتصادية على أن هذه التفسيرات أغنت المصطلح وصبغته بدلالات عميقة.

الحميري، *الروض المعطار*، تحقيق، إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، طبعة 2، بيروت، 1980 ؛ الحموي ياقوت، *معجم البلدان*، مجلد 5، دار بيروت، 1987 ؛ مجهول، *كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار*، مطبعة جامعة الاسكندرية، 1958 ؛ المراكشي، *المعجم في تلخيص أخبار المغرب*، تحقيق، العريان سعيد والعلمي محمد، الطبعة 7، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1983 ؛ الحسن بن محمد الوزان (ليون الافريقي)، *وصف إفريقيا*، ترجمة، محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط 2، بيروت، 1983 ؛ عبد العزيز بن عبد الله، *الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية*، معلمة المدن والقبائل، مطبوعات وزارة الأوقاف، الرباط، 1977 ؛ مصطفى ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة*، منشورات عكاظ، الرباط 1988 ؛ ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، مادة نول، بيروت، 1957 ؛ علي المحمدي، *السلطة والمجتمع نموذج آيت باعمران*، الدار البيضاء، 1989 ؛ أحمد الجماني، *المدينة المغربية في العصر الوسيط، نول لمطة نموذجا*، بحث لنيل الإجازة في التاريخ جامعة ابن زهر، كلية الآداب أگادير، 1994 ؛ عبد الهادي التازي، گلميم بين الأمس واليوم، *مجلة دعوة الحق*، الرباط، مارس، 1983 ؛ ابن منظور، *لسان العرب*، المجلد 11، دار صادر، بيروت، (بدون تاريخ مادة نول) ؛ مقتطف من وثيقة بحوزتنا يعود تاريخها إلى السنة 1006 / 1598 مأخوذة من أحد المنحدرين من أولاد بنعزيزي والذين تعود أصولهم إلى قبائل تكنة. يرجع في هذا الإطار إلى بول مارتي، *كنتة الشرقيون*، عربه وعلق عليه ووضع له ملحقات ولد ودادي محمد محمود، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، 1985 ؛ وثيقة الأنوار، النوحي محمد لحبيب، حول دخول الجمل إلى المغرب واستعماله في العصر الوسيط، *أعمال الحلقة الدراسية الدولية حول الإنسان والإبل في إفريقيا* 24 - 29 ماي، 1990، جامعة هبن زهر منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أگادير 1994 ؛ كماز محجوب، *المقدس وانعكاساته على تدبير مجال الصحراء قبيلة أزوافيط نموذجا*، بحث ميداني لنيل DESA في السوسيولوجيا القروية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سنة 2000، تحت إشراف الدكتورة رحمة بورقية والدكتور محمد الحيان ؛ الأولياء بمجال قبيلة أزوافيط من التاريخ إلى الاسطورة، *أبحاث ودراسات حول الصحراء*، منشورات مجموعة البحث والدراسات حول ساحل الصحراء، طوب بريس، 2009.

D. Jacques-Meunié, *Le Maroc saharien*, T 2 ; Michaux - Bellaire, Santa Cruz de Mar Pequeña, *Revue du monde musulman 5eme année, N. 9, Tome XIII*, Paris, septembre, 1911 ; Hamlet Ismael, Les kounta, *RMM 5eme année*, N. 9, 1911 ; Cap. SaPy, G, Les kounta du sud Marocain, *Travaux de I'Institut des recherches sahariennes, Alger, T VII, 1951* ; V Monteil, *Notes sur Les Tekna*, La Rose, Paris, 1948 ; F. C. De La Chapelle, Les Tekna du sud ouest Marocain, Etude geographie historique et sociologique *Bulletin de L' Afrique Francaise*, 1934 ; De Foucauld *Reconnaissance*, 1888 ; Naimi Mustapha, Nul lamta ou I' éveil du sens étiologique, contribution des approches pluridisciplinaires pour l'étude des noms géographiques, patrimoine et communication, *Actes du premier colloque national sur les noms géographiques*, Fedala-Mohammedia, 1994 ; Naimi Mustapha, Nul lamta..tableau, édifiants, *Hesperis - Tamuda,Vol, XXXIII*, 1995 ; Ahmed Joumani, *L'Oasis d'Asrir, Elements d'histoire sociale de l' Oued Noun*, 2007 ; Ben salah Najib Ali, *Migration of Labour and the transformation of the economy of the Wedi Noun region in Morocco*, Printed in Sweden by Lind bergs. Grafiska, H.B. Uppsala, 1986.

محجوب كماز

الوبر، تكسو جسم الإبل مادة لا هي بالصوف ولا هي شعر تسمى وبرا، وقد أودع الخالق سبحانه سرا من أسراره في هذه المادة وفي الإبل التي أمرنا بالتأمل فيها : "أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت الآية"، فالوبر يقوم بدور مزدوج مثله مثل البنايات التقليدية المبنية "بالطابية"، يكون داخلها باردا صيفا دافئا شتاء ؛ وبما أن الجمل - سفينة الصحراء - يعيش في بيئة ذات تفاوت حراري كبير (المدى الحراري اليومي مابين 40°- 50° نهارا و 5°- 0° ليلا)، فالوبر يقوم بدور المكيف لحرارة جسم الجمل، وقد حاول الإنسان الصحراوي استغلال هذه الخاصية، فصنع من الوبر أنسجة سميكة اتخذ منها الخيام وصنع منها بعض الأمتعة وبعض ملابسه، وإذا خلط الوبر بالصوف أو الشعر أوهما معاً كان أكثر صلابة، فتصنع منه الحبال والأحزمة والأشرطة ذات الاستعمالات المختلفة، وصنعت منه الغرائر والتلاليس (جمع تليس) لحمل المواد الصلبة على ظهور الجمال مثل الحبوب والقطاني وغيرها.

كان الوبر مادة وسلعة للتبادل التجاري الداخلي والخارجي، فالصحراويون يلتجؤون إلى مدن وأسواق التخوم الصحراوية الشمالية للتزود بالحبوب من قمح وشعير وبضائع أخرى مقابل مواد صحراوية منها الوبر ؛ والوبر أنواع أجوده الأبيض، وما كان مصدره الجمل القوي اليافع. ونسيج الوبر اليوم يعتبر من المنسوجات الطبية، فبعض المصابين بالأمراض الجلدية وأمراض الحساسية وأنواع من الروماتيزم ينصحهم الأطباء بارتداء الملابس الداخلية المصنوعة من الوبر، وليس ذلك غريبا إذا علمنا أن الوبر كان مادة تستعمل في الطب الشعبي؛ وهناك علاجات أخرى يستخدم فيها الوبر يمكن الرجوع فيها لذوي الاختصاص.

البكري، *المغرب*، باريز، 1965 ؛ ابن حوقل، *صورة الأرض*، ليدن، 1938 ؛ الإدريسي، *نزهة المشتاق*، الطبعة الإيطالية نابولي، بدون تاريخ ؛ ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ محمد الطويل، *النقل والتنقل*، أطروحة دكتوراه الدولة كلية الآداب بالرباط.

D. Jacques-.Meunié, *Le Maroc saharien*…, Paris, 1982 ; Mauny, *Géographie de l'occident Africain au moyen âge*, Dakar, 1966.

محمد حجاج الطويل

وحيش الصحرء، يتوفر المغرب على وحيش متنوع بيولوجيا باختلاف المناطق بحيث يتلاءم مع محيطه البيئي، فهو يضم أكثر من 24000 نوع يتوزع على 92 نوعا من الثدييات القارية، و334 نوعا من الطيور، وحوالي 1530 نوعا من اللافقاريات القارية، وأكثر من 7100 نوع من الوحيش البحري. والصحراء التي تمثل أكثر من 55% من التراب الوطني، كباقي المجالات المكونة للتراب المغربي لها نصيبها الوافر من هذه الثروة الحيوانية.

أما سجل الصحراء الزيولوجي والبيولوجي فهو حافل بالحياة الحيوانية والنباتية، إذ كانت الصحراء في الأزمنة الغابرة من أغنى المناطق البيئية، لا من حيث أنواع الأشجار والنباتات السائدة آنذاك ولا من حيث الحيوانات التي كانت ترتاع في هذه الربوع. وخير دليل على ذلك ما تؤكده النقوش الصخرية التي تركها الإنسان القديم القناص على سطوح الصخور بمواقع شتى في كل من العصلي بوكرش بنواحي السمارة وطانطان وبأوسرد ومجيك التابعين لجهة وادي الذهب - لكويرة. وهذه الصور المنقوشة على الصخر تجسد دقة المشاهد الحياتية لهذه الحيوانات الوحشية وصراعها الدائم مع الإنسان النيوليتيكي Néolithique الذي كان يعيش على لحومها ويكتسي بوبرها وجلودها. ومن هذه الحيوانات المجسدة على الصخر الزرافة، ووحيد القرن، والظباء (الظبيات)، والغزلان، والنعام، والفيلة، والبقريات، وغيرها. لكن التغيرات المناخية والبيولوجية أثرت بشكل كبير على ملامح الصحراء بيئيا ومناخيا، إذ جردها هذا التغيير من غطائها النباتي الكثيف فهاجرتها حيواناتها الضخمة إلى مناطق أكثر خصوبة، ومنها من بقي في البيئة الجديدة وعمل على التلاؤم مع التغيرات المناخية، فتمكنت حيوانات من التعايش مع الوضع القائم وتصارعت من أجل البقاء رغم قساوة الطبيعة الجديدة وشحها.

وتعتبر الحيوانات البرية ثروة وطنية مهمة وتراثاً قومياً لا يستهان به وهي ملك لجميع الأجيال الحاضرة والآتية، لذا عملت الدولة على حمايتها وتطويرها على أسس علمية واقتصادية.

الحيوانات الصحراوية : تشتمل الحيوانات الصحراوية على عدد لا يستهان به من الحيوانات البرية كالزواحف والطيور والثدييات. كما تفد إلى الصحراء، في فصل الخريف والشتاء، طيور مهاجرة من أوروبا.

وتوضح بعض أسماء الأماكن بالصحراء أن حيوانات وحشية كانت ترتاع وتصطاد في هذه البقاع، كسبخة أم الضبع بنواحي طرفاية، وسبخة أريدال بنواحي بوجدور، وأغيلاس، وهي تحمل أسماء لحيوانات انقرضت كالضبع (أريدال بالأمازيغية) والنمر (أغيلاس بالأمازيغية)، وغيرها.

تجتنب معظم الحيوانات الصحراوية الحرارة الشديدة أثناء النهار، فلا تخرج إلا في الليل. أما الحشرات وغيرها من الحيوانات الصغيرة، فتمكث في جحورها تحت الأرض طوال النهار، ومنها ما لا يتحرك طوال فصل الصيف، وتسمى حيوانات ساكنة. أما الحيوانات الضخمة فتلجأ إلى الأماكن الظليلة طوال النهار فتبرد أجسامها، إذ يتبخر الماء فوق جلودها، ويعوض بماء آخر من المأكولات التي تتغذى بها، وتضاف إليها مياه أخرى إذا وجدت في بعض المنخفضات كالسبخات، وكذلك فإن عملية الهضم تضيف الماء في جسم بعض الحيوانات الأليفة مثل الإبل التي تستفيد من هذا المصدر المائي المهم، فيستطيع الجمل البقاء بدون ماء لعدة أشهر. كما أن للجمل مصدراً آخر لتوليد الطاقة في جسمه، حيث إن سنامه مستودع لكميات كبيرة من الشحم، وباستطاعته أن يعيش على هذه الطاقة. ونورد هنا أهم الحيوانات التي مازالت تعيش في الصحراء الجنوبية، أو التي انقرضت وتم إعادة إدماجها من جديد، ومنها :

الغزلان الصحراوية، وهي ثلاث أنواع : دامة، دُركة، وغزال الكهوف.

غزال "دُركة" أو آدم (Gazelle Dorcas) : فهو صغير الحجم، علوه لا يتجاوز 60 سم وطول جسده 105 سم، طويل الساق، ذو أذنين كبيرتين شيئا ما، بني اللون "أصحر"، يتغذى على الأعشاب، حاجته إلى الماء تكاد تكون منعدمة، يسكن وديان وواحات شمال الصحراء الجنوبية وخاصة منطقة درعة، يتنقل دائما في مجموعات. وكان يشكل أهم فريسة للنمر إلى حد السبعينات. ويعتبر من الحيوانات المفقودة الآن في الوسط الطبيعي الصحراوي، لكن لازالت تربيته يعتنى بها في حدائق حيوانية شتى كإسبانيا، وألمانيا، والولايات المتحدة الأمريكية وكذا بمنتزه سوس - ماسة، وقد تم في الآونة الأخيرة دمجه في منتزه الداخلة.

غزال "دامة" أو مُهر (Gazelle Damas) : أكبر حجما من الأنواع الأخرى، إذ يبلغ علوه مابين 100 سم إلى 105 سم وطول جسده ما بين 180 سم إلى 200 سم، لونه أحمر داكن، أبيض تحت البطن وعلى الصفحة الخارجية للأفخاذ والذيل، الرأس فاتح معلوم بوسَمَات مُحْمَرة، القرنان صغيران، يقتات من شجر الطلح، موطنه مابين حمادة تيندوف والحدود المغربية الجنوبية مع الجزائر. يتم تربيته في منتزه سوس - ماسة.

غزال الكهوف (Gazelle de Cuvier) : علوه لا يتعدى 65 سم وطول جسده 125 سم، لونه أصحر مُشْهَب، أبيض تحت البطن، له شامة سوداء مميزة على قصبة الأنف، القرنان مستقيمان تقريبا وقليلا التشعب، يتخذ من كهوف الجبال موطنه، لدى أطلقوا عليه

غزال الكهوف، يوجد في جبال باني وواركزيز ومجيك بوادي الذهب.

الوعل (Ammotragus Jervia) : يشبه الخروف مع ضمور ظاهر، جلده سميك وشعر عنقه مدلى، قرونه ثقيلة ومعقوفة للوراء، ذيله صغير، يعيش في الجبال الصحراوية كمجيك، وأكَركَر، وواركزيز، يقتات بالأعشاب الصحراوية، وتطلق عليه الساكنة المحلية "الدامي".

الوعل الأبيض (Aigoryx Algazel) : جلده أبيض وسميك، قرونه طويلة ودقيقة ومعقوفة للوراء، يبلغ علو قامته حوالي 1.2 متر، يعيش في منطقة وادي الذهب بالخصوص.

وعل الكهوف (Addax Nasamaculatus) : علو قامته يصل إلى نحو متر واحد، ثقيل الهيكل، حافره واسع وجلده يميل إلى البياض وقرونه لولبية الشكل، وهو يعيش في كهوف التلال الصخرية، ويستخدم البدو الرحل جلده كقرب لحفظ الماء، ويستعمل جلد عنقه لصنع النعال، وموطنه في شمال وادي الذهب.

الفهد الصحراوي (Guépard du Désert) : حيوان نحيل الهيكل، طوله 180 سم، يعيش مابين واد درعة والمحبس وشمال إقليم السمارة، أسرع حيوانات الصحراء خفة وجريا، يعيش على صيد الغزلان. آخر معلومات عن وجوده بالمنطقة، ترجع إلى سنة 1972. ومنتزه درعة السفلى في طور الإنجاز أصبح يحمل شعاره.

النعامة ذات العنق الأحمر (L'autruche au cou rouge) نوع من الجنس الإفريقي أو ما يطلق عليه كذلك نعامة إفريقيا الشمالية، ذات الساقين والعنق الملونين بالأحمر وتعتبر من الجنس النادر. تم القضاء على مجموعة من خمسة أفراخ وزوجين سنة 1965 في الأقاليم الصحراوية لجنوب المملكة، ويربى حاليا في منتزه سوس - ماسة. وقد ذكرتها مصادر ومخطوطات وكنانيش دار إليغ حيث كانت من أهم المنتجات المروجة بتجارة القوافل آنذاك ما بين هذه الإمارة الصغيرة والصحراء، ومن بين هؤلاء التجار التاجر إبراهيم الخليل السباعي الذي أشارت له جل مصادر إليغ، إذ كان يزود هذه الإمارة بكل ما تحتاجه من مواد إفريقيا بالإضافة إلى ريش النعام المصطاد بالصحراء.

القط الوحشي (Acinoxys Jubatus) (Chat Ganté) : وهو نادر شيئا ما، يتميز برأسه الدقيق وجسمه النحيف الأهيف، وله خواص النمر رغم أنه أصغر منه، يعيش في جميع المجال الصحراوي، ويصطاد الفئران، وبعض الزواحف.

سنور أو قط الصحراء (Chat des Sables) : أصبح هو كذلك يعرف الندرة، طوله ما بين 70 إلى 75 سم، ذو لون مُصفر فاتح، أبيض البطن، يعيش في جميع المجال الصحراوي وخاصة في الأماكن الرملية "العرق"، ويقتات على الفئران وبعض الزواحف.

الضبع الصحراوي (Hyène / Hyanea) : جسمه متوسط ورأسه واسع، يتميز بفم مستدير وأذنين كبيرتين، لونه رمادي مخطط بالأسود، انقرضت بالمنطقة، كان يعيش في مناطق واسعة تمتد من درعة إلى موريتانيا، ومازالت بعض الأماكن تحمل إسمه كسبخة أم الضبيعات بنواحي طرفاية. وهناك أنواع عدة تتنوع باختلاف لونها فنجد : L'Hyène Tachetée / L'Hyène Rayée / L'Hyène Brune.

الثعلب الصحراوي (Fennecus Zerda / Fennec du désert) : أصغر من الثعلب العادي ويتميز بأذنين كبيرتين، يعيش في الكثبان الرملية ويأكل الهوام وخاصة الورل Varan (الوزغ)، سرعته قياسية في التنقل مع خفة وحذر زائدين، يوجد ما بين واد نون ووادي الذهب.

الثعلب السمسمي (Renard Famélique) : نحيف الهيأة، أذناه أقل طولا من الفنك Fennec، ذيله أقصر من الثعالب الأخرى، لون ظهره أصحر، وبطنه أبيض مصفر، موطنه يمتد من جنوب واد درعة إلى وادي الذهب.

اليربوع (Jaculus) : نحيف الجسم، له ثلاثة أصابع وأصبع رابع ضامر، ذيله طويل جدا وينتهي على شكل كماشة، يعيش ما بين واد نون وواد الساقية الحمراء.

قنفذ الصحراء (Hérisson du désert) : لونه فاتح مع توفره على زغب أبيض وكثيف، وأرجله تكون غالبا سوداء اللون، ويتميز بأذنين كبيرتين ويعيش بالخصوص ما بين درعة وواد نون.

فأر الرمال (Le Rat des Sables) : هو صغير الحجم، يميل لونه إلى الاصفرار، يعيش على الحشرات، والأماكن التي يوجد بها تنجذب إليها الثعابين والأفاعي ليلا لكي تفترسها وتتغذى منها.

الفأر المخطط (Le Rat Rayé / Barbarus) : صغير الحجم ذو شعر وبطانة وبرية، لونه بني فاتح ومخطط بخطوط داكنة، يعيش على الحشرات.

الزواحف :

الورن أو الورل الصحراوي (Varan du Désert) : طول الواحد يصل إلى 1.5 متر، ذيله مدور، لسانه طويل، يعيش في الكثبان الرملية والوديان، وهو ضاري خطر يبحث عن بيض الطيور والأفاعي، ويصطاد هذه الأخيرة، يقول الصحراويون بأن له مناعة ضد الثعابين ذات القرون. كما يتميز بخفة في تسلق أشجار الطلح، والرعاة الذين يعرفونه يؤكدون بأن ضربة ذيله تستطيع أن تكسر رجل إنسان أو ساق جمل، وأماكن وجوده بكثرة هو من السمارة شرقا إلى وادي الذهب غربا وجنوبا.

الضب الصحراوي (Lézard du désert ou Gecko à écailles) : يدعى أيضا بوزغ النخيل، ذيله شوكي، يعيش خاصة ما بين واد درعة وجبال واركزيز إلى واد الساقية الحمراء، تأكله قبائل تكنة وساكنة الواحات الدرعاوية (إدا وأوبلال، اعريب، أولاد جلال).

الأفاعي (Naja) : ضخمة، لها رأس منتفخ وهي من فصيلة الحيات التي لها نظارتان في الحلق تظهران عندما ينتفخ عنقها، وهي تنقبض ثم تهجم وتلاحق الإنسان، تعيش في واد نون، والساقية الحمراء خاصة نواحي السمارة وفي وادي الذهب. وهي أنواع عديدة

منها المشهورة بأم گرين أي ذات القرون (Vipère à Corne)، وهناك أنواع أخرى كأفعى العرق (Vipère de l'Erg)، سميت بهذا الاسم لأنها تختفي في وسط الكثبان الرملية، ثم أفعى موريتانيا (Vipère de Mauritanie)، شكلها يميل إلى لون الرمال أي في اصفراره، ونجد كذلك أفعى الاصطدام (Vipère Heurtante) نظرا لتشابهها الكبير مع لون التربة يصطدم بها الرحل أو الماشية.

الثعابين (B. Arietan) : جسمها سميك يعادل ذراع رجل ولا يزيد طولها عن 1.40 م، لونها ضارب للصفرة وتعرف من صفيرها أو من الشرر الذي تلقيه عند اقترابها من كائن معادي، تأكل الفئران وتوجد في كل أنحاء الصحراء بدون استثناء. ومنها أنــواع عـــدة، نذكر أهمها على الإطـلاق : Couleuvre du Désert, Couleuvre Fer à Cheval, Couleuvre Vipérine, Couleuvre Serpent Chat, Couleuvre à Capuchon, Couleuvre Opisthoglyphe, Couleuvre de Moïla، والمشهور جـدا بالصحراء وباقي التراب المغربي الثعبان الأسود (بوسكا) أو ما يسمى عند الأجانب بالكوبرا (Cobra d'Afrique du Nord ou Cobra d'Egypte).

ويذكر صاحب كتاب الوسيط أحمد بن الأمين الشنقيطي أنواعا كثيرة من هذه الزواحف وهي لا تخرج عــن الأصـول التي ذكرناهـا، وقد نعتهـا بأسمـاء محليـة حسانية ك : "گرجمة"، التي تتوطن الرمال القريبة من الساحل الأطلسي وتتميز بكونها لا تلسع أي لا تعض بل تلتوي حول الإنسان والحيوان فتعصرهما عصرا مميتا حسب الكاتـــب ؛ ومنها "بنينة" هي على شكل حنش مع نقط سوداء ولون أصفر ؛ و"كيروة" حنش ضخم أصفر اللون وذي قشور وظفر في ذيله ؛ و"اليجوان" حية عظيمة تطارد راكب الجمل.

الحيوانات البحرية :

الفقمة (Phoque Moine) : يعيش هذا النوع من الحيوانات البحرية في الجزء الجنوبي لجهة وادي الذهب - لگويرة، وبالضبط شبه جزيرة لـگويرة. ويعرف أكبـر قطيع للفقمـة في إفريقيـا، وهي من الحيوانات المهددة بالانقراض.

الطيور الصحراوية :

يمكن أن نميز بين الطيور المحلية والمهاجرة : فالطيور المحلية وخاصة تلك المشهورة لدى الساكنة المحلية كالأحبار، والنعامة التي انقرضت بشكل كلي، لكن في الآونـة الأخيـرة تم إقحامهـا عبر تربيتها كسائـر الدواجـن أو كطليقـة في منتزه الداخلـة، أما الأحبار فما زالت تقاوم القنص الجائر. ونجد من هذه الطيور المحلية ما يلي :

La Chouette Chevêche, Le Ganga Tacheté, Le Ganga Unibande, Le Ganga Couronné, L'Outarde Houbara, La Fauvette Naine, L'Œdicnème Criard, Le Cochevis Huppé, L'Alouette de Clot-Bey, L'Alouette de Bilophe, L'Ammomane Elégante, Le Sirli de Dupont, Le Sirli du Désert, Le Moineau Blanc, Le Corbeau Brun, Le Traquet du Désert, L'Agrobate Roux, Le Traquet à Tête Blanche, La Moinelette à Front Blanc, Le Traquet à Tête Grise, Le Roselin Githagine, Le Guêpier de Perse, Le Guêpier d'Europe, La Fauvette Mélanocéphale, La fauvette à Lunettes.

أما الطيور المهاجرة فإنها تتخذ من الصحراء ملجأ لها في الفصول الباردة التي تسود في قارة أوروبا ومن الأماكن المفضلة لهذه الطيور المهاجرة نجد مصبات الأودية كواد درعة (عند مدينة طانطان)، ومصب واد شبيكة وأم فاطمة، وأهمها على الإطلاق هور النعيلة، الذي يحوي أكثر من 30 نوع من الطحالب البحرية وكذا أنواع هامة من الحيوانات البحرية اللافقريات، التي توفر للطيور المهاجرة مع الأسماك الغذاء الذي تقتات عليه، ولهذا تتجمع بكثرة في هذا الموقع البيو- حيوي، وقد يصل عددها في الشهور الباردة إلى يفوق 20000 طائر، ومن هذه الطيور نذكر :

النحام الوردي والأبيض Flamant Rose et Blanc، الحذف الرخامي Sarcelle Marbrée من فصيلة البط، أبو ملعقة الأبيض Spatule Blanche، البجع الكبير أو الغاق Le Grand Cormoran، النورس البحري Goéland d'Audouin، والحبار Outarde Oubara، الشهرمان Tadorne de Belon، أبو فروة Tadorne Casarca وهي كذلك من فصيلة البط الوحشي، و Le Marabout d'Afrique وغيرها.

أسباب ظاهـرة تقلص وانقراض الحيوانات بالصحراء :

- الألغام المنتشرة على الحدود مابين الجزائر وموريتانيا والمغرب، التي تقضي سنويا على عدد كبير من الوحيش البري وخاصة الغزال.

- تكاثـف الرعي الجائر وتزايد عدد الماشية مما يحدّ من رقعة الغطاء النباتي الطبيعي الذي تتغذى عليه بعض الحيوانات البرية مثل الغزلان.

- شدة الجفاف والحرارة وقلة التساقطات التي تحدّ من تجديد الغطاء النباتي وتزيد من تجفيف بعض المستنقعات المائية، قد تكون گرارات أو سبخات التي تروي ظمأ بعض الحيوانات البرية.

- توالي سنوات الجفاف وقلة التساقطات وزحف الرمال واجتثاث أشجار الطلح.

- انتشار القنص غير المرخص والعشوائي (من طرف أفراد الجيش المتاخم في الصحراء وكذا بعض الميسورين مــن الساكنة المحليـة) وتطور وسائـل النقـل (4x4) بالنسبة للرعاة ومربي الماشية، التي تزعج راحة الوحيش.

- تفشي ظاهرة التقاط بيض الطيور والعبث بصغارها وأعشاشها من طرف الرعاة، وخاصة في مصب الأودية، حيث تضع الطيور المهاجرة أوكارها.

- الصيد البحري خاصة في الجزء الجنوبي الذي توجد به قطعان الفقمة، وقرى الصيد البحري العشوائية التي تتناثر على طول الساحل الجنوبي لوادي الذهب.

وللمحافظة على هذه الثروة الحيوانية الصحراوية، عملت الدولـة على خلـق منتزهات ومحميـات ومن هـذه المنتزهات التي تم تزويدها ببعض الحيوانات المتفرضة، نجـد :

- المنتزه الوطني للداخلة :

يغطي مساحة تقدر قدرها 1900000 هكتار، ويضم منطقتين مختلفتين جغرافيا، إحداهما قارية والأخرى ساحلية. فالمنطقة القارية تضم أراضي تيرس الداخلية، بحيث تمتد من أوسرد شمالا إلى تشلا جنوبا، بما فيها أدرار سطوف وعدة سبخات وأودية وأشجار للطلح وكثبان رملية. في الماضي، عرف هذا المجال بوفرة وتنوع وحيشه الذي انقرضت كليا كالمهاة، وغزال مهر، والنعامة، ولم يبق منها سوى بعض قطعان غزال السفح والأروي. كما تعرف المنطقة كذلك توافد طيور مهاجرة من أوروبا في الفصول الباردة.

ـ المنتزه الوطني لخنيفيس :

ينعث كذلك بهور النعيلة ـ خنيفيس، ويغطي مساحة تقدر ب 185000 هكتار، يقع على الساحل المحيطي ما بين مدينتي طانطان وطرفاية وهو تابع لجماعة أخفنير التابعة لبلدية طرفاية وإقليم العيون. وقد صنف ضمن المنتزهات الوطنية ذات فائدة بيلوجية وإيكولوجية سنة 2006. وهذا الموقع البيو- حيوي تم إحصاؤه وتصنيفه ضمن اتفاقية "رمسار" منذ 1980، وهي اتفاقية دولية تحمي المناطق الرطبة، خاصة التي تستقبل الطيور المهاجرة. ويتكون منتزه خنيفس من نطاق ساحلي بحري، يضم هور النعيلة ـ خنيفيس، ونطاق قاري يضم عدة أشكال تضاريسية كسبخة تاسرة والهضاب الساحلية ونباتات متنوعة من طلح وسدرة وغيرها من النباتات الصحراوية.

ـ المنتزه الوطني لدرعة السفلى : في طور الدراسة.

يمتد هذا المنتزه على مسافة قدرها 286000 هكتار، ويقع مابين جبل باني شمالا وجبل واركزيز جنوبا، ويضم عدة أنواع نباتية وحيوانية، كشجرة الطلح ونباتات البلاتين والطرفاء والسدرة، ومن وحيشه نمر الصحراء النادر والعناق وغزال الجبل والشنصر، وكذا عدد كبير من الزواحف كالورن والضب ولقاعة البقر والصل وحية الأهرام.

أحمد الأخضر غزال، *وحيش المغرب : الثدييات*، مطبوعات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، سلسلة مرسمات تعليمية، الرباط، 1975 ؛ محمد الغربي، *الساقية الحمراء ووادي الذهب*، جزأين، مطابع دار الكتاب، الدار البيضاء، 1980 ؛ أحمد بن الأمين الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*، الطبعة الخامسة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 2002 ؛ مولاي إدريس شداد، السياحة الصحراوية : مؤهلات وآفاق، كتاب *"الصحراء الأطلنتية : المجال والإنسان"*، منشورات وكالة الجنوب بشراكة مع جامعة ابن زهر بأگادير، الطبعة الأولى، مطبعة G.H. Communication، الرباط، 2007 ؛ عفراء الخطيب، مصطفى أعشي، آلين رودريك، *نقوش صخرية من إقليم السمارة*، منشورات وكالة تنمية أقاليم الجنوب ودعم جامعة محمد الخامس السويسي، الرباط ، 2008.

Monteil (Vincent), *Contribution à l'étude de la faune du Sahara Occidental*, Larose, Paris, 1951.

الوزارة المنتدبة لدى الوزير الأول المكلفة بالشؤون الصحراوية، تم إنشاؤها بمقتضى الظهير الشريف رقم 1.81.395 بتاريخ 7 محرم 1402 الموافق ل 5 نونبر 1981، صدر في الجريدة الرسمية تحت عدد 3603 (ص. 1378)، بتاريخ 20 محرم 1402 الموافق ل 18 نونبر 1981. وعين خلالها السيد خليهن ولد الرشيد كاتبا للدولة لدى الوزير الأول مكلفاً بالشؤون الصحراوية، ضمن تشكيلة حكومة المعطي بوعبيد. وكان الهدف من هذه الوزارة هو تلبية حاجيات ومتطلبات ساكنة الصحراء اجتماعيا واقتصاديا، بحيث تندرج ضمن سياسة القرب التنموية التي سنتها الدولة آنذاك والرامية إلى خلق بنيات تحتية كإحداث ميناء العيون ـ المرسى ـ ، والطرفاية، ومشروع ميناء الداخلة، وتعبيد الطرق، وتقوية الشبكة الكهربائية بالمراكز الحضرية وجلب الماء الشروب لها، الخ. واستمرت هذه الوزارة في إدارة شؤون الأقاليم الصحراوية من سنة 1981 إلى 1992.

الجريدة الرسمية عدد 3603 المؤرخة بالرباط في 20 محرم 1402 الموافق ل 18 نونبر 1981، ص. 1378 ؛ محمد دحمان، *الترحال والاستقرار بمنطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب*، مطبعة كوثر، الرباط، 2006، ص. 201.

مولاي إدريس شداد

وكالة الإنعاش والتنمية الاقتصادية والاجتماعية للأقاليم الجنوبية بالمملكة، يندرج إحداث وكالة الإنعاش والتنمية الاقتصادية والاجتماعية للأقاليم الجنوبية في إطار تدعيم الإدارة التنموية على مستوى الجهات الجنوبية وذلك لتصحيح الثغرات التي لازمت المجهودات التنموية التي عرفتها تلك الجهات والحيلولة دون تشتيتها وهدر الطاقات الموظفة في سبيل تحقيقها لتمثل هذه الوكالة جهاز تنسيق بين مختلف الفاعلين التنمويين والمتدخلين في إدارة الشأن العام على مستوى الجهات الجنوبية.

الإطار القانوني والمؤسساتي.

عرف المغرب تجربة الوكالات التنموية منذ منتصف التسعينيات بظهور وكالة تنمية الأقاليم الشمالية التي يشمل مجال اختصاصها أقاليم الواجهة المتوسطية، ومع مطلع الألفية الثالثة أعلن الخطاب الملكي السامي بالعيون، بتاريخ 6 مارس 2002، ميلاد وكالة لتنمية الأقاليم الجنوبية كإطار تنموي عملي ومحدد لاستراتيجية تأهيل واندماج تلك الأقاليم.

قال جلالته : "... وفي سياق تمكين كل جهات مملكتنا من وسائل التدبير الديمقراطي اللامتمركز واللامركزي لتنميتها الجهوية، فإننا نعلن في هذا اليوم المشهود عن قرارنا بإحداث وكالة خاصة بتنمية الأقاليم الجنوبية تجسيدا للعناية الخاصة التي نوليها لها...". وبناء عليه وتماشيا مع مقتضيات الخطاب الملكي صدر النظام القانوني المؤطر للوكالة الجنوبية كالمرسوم المنشئ لها، والمصادق بالقانون رقم 61.02، والمرسوم التطبيقي للمرسوم رقم 02.02.645. وحسب القانون المحدث لها فوكالة الإنعاش والتنمية الاقتصادية والاجتماعية لأقاليم الجنوب بالمملكة تخضع لنظام المؤسسة العامة بحيث

تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي، وتوجد تحت وصاية الوزير الأول، ويشمل مجال تدخلها كافة الجماعات المحلية التابعة للجهات الجنوبية الثلاثة : جهة كلميم - السمارة، جهة العيون - بوجدور الساقية الحمراء وجهة لگويرة - وادي الذهب. أما الوظائف المناطة بها فقد حددتها المادة الثالثة من القانون 2.02.645، والتي تتطابق إلى حد ما مع مضمون المادة الثالثة من القانون رقم 06.95 المتعلق بإحداث وكالة تنمية الشمال باستثناء التغييرات الواردة في الفقرة الثانية والتي حددت معالم الاستراتيجية الاقتصادية الضرورية لنماء الجهات الجنوبية (السياحة والصيد البحري والفلاحة).

فوكالة تنمية الأقاليم الجنوبية تتولى :

- دراسة واقتراح برامج اقتصادية واجتماعية مندمجة ومشاريع نوعية، بهدف إنعاش وتنمية اقتصاد المنطقة المعنية اعتمادا على بعض القطاعات الحية كالصيد البحري والسياحة والفلاحة الكفيلة ببناء اقتصاد جهوي مندمج، والبحث عن وسائل التمويل اللازمة لتنفيذ تلك البرامج والمشاريع الإنمائية والمساهمة في هذا التمويل.
- تتبع وتنفيذ البرامج الاقتصادية والاجتماعية المندمجة.
- إنعاش الشغل وتحفيز المبادرة الخاصة.

ويحاول النص القانوني من خلال المادة الثالثة السالفة الذكر رسم ملامح المشروع المندمج لتنمية الجهات الجنوبية والذي يمثل الوظيفة الاستراتيجية التي خلقت لأجلها الوكالة. إلا أن تحقيق الأهداف يتوقف بشكل أساسي على التأطير الإداري والمالي الذي تخضع له.

ثانيا : الهيكلة الإدارية والمالية لوكالة تنمية الأقاليم الجنوبية.

يستنتج من القانون المحدث للوكالة أن هذه الإدارة التنموية يسري عليها النظام القانوني المعمول به بخصوص المؤسسات العامة بالمغرب، وحسب المقتضيات القانونية فهذه المؤسسة لها نظام مالي وإداري مستقل وخصوصي.

أ - الهيكلة الإدارية للوكالة الجنوبية :

يقوم بمهام التسيير الإداري جهاز مؤسساتي يتكون من المجلس الإداري للوكالة، والمدير الذي هو بمثابة جهازها التنفيذي.

1 - مجلس الإدارة :

يعتبر مجلس الإدارة أعلى سلطة تدبيرية للوكالة، ومن حيث تركيبته أشارت المادة 4 من القانون رقم 645 - 02 - 2 أن ذلك سيكون موضوع مرسوم يتولى التحديد الكمي والكيفي لأعضائه وهو ما تمثل في المادة الثانية من المرسوم التطبيقي رقم 48 - 03 - 2 والذي يعد كذلك المنشئ للوكالة بحيث أشارت إلى أن مجلس إدارة وكالة تنمية الأقاليم الجنوبية يتكون من مجموعة من الوزراء يصل عددهم إلى أربعة عشر وزيرا بما فيهم وزراء القطاعات الاجتماعية (الصحة - التعليم - التشغيل - الشباب)، ورؤساء المجالس الجهوية للجهات الجنوبية (جهة كلميم - السمارة، جهة العيون بوجدور الساقية الحمراء، جهة وادي الذهب لگويرة) لكن مشاركتهم لا تعدو أن تكون استشارية.

وإلى جانب القطاعات الوزارية الوارد في المرسوم التطبيقي ورؤساء الجهات، يحضر رؤساء مجالس الأقاليم المكونة للجهات الجنوبية الثلاثة اجتماعات المجلس الإداري لكن مشاركتهم مقرونة بجدول أعمال الاجتماع إذا كان يتضمن موضوعا أو مادة تقتضي وتفيد مشاركتهم. إلا أن تركيبة المجلس الإداري للوكالة لا تتماشى مع توجهات اللامركزية الجهوية ومتطلبات تطويرها خاصة أن مشاركة المنتخبين محدودة وهو ما يفرض توسيع مشاركتهم، فبالإضافة إلى رؤساء الجهات ورؤساء مجالس العمالات والأقاليم يجب أن تمتد إلى رؤساء الجماعات الحضرية والقروية، ورؤساء الغرف المهنية التي تندرج ضمن النفوذ الترابي للجهات الجنوبية وأن لا يكون حضورهم استشاريا وإنما للمشاركة والتقرير في أشغال المجلس لكونهم يمثلون الهيئة الناخبة ويعبرون عن تطلعات السكان الحقيقية وانتظاراتهم. ولا يجب استثناء المراكز الجهوية للاستثمار من تركيبة المجلس الإداري للوكالة إلى جانب جزء من الفاعلين في المجتمع المدني على المستوى الجهوي نظرا لأهمية وضرورة تفعيل مشاركة هذه الفئة من المتدخلين في تدبير الشأن العام، وهو ما عبرت عنه قوانين اللامركزية ببلادنا وخاصة القانون رقم 78.00 والقانون رقم 79.00 بالتأكيد على دينامية المجتمع المدني ومساهماته في تحقيق الرهانات لتنموية المختلفة.

يجب السعي من خلال تركيبة المجلس الإداري للوكالة إلى ضمان وجود فعلي وحقيقي يعكس الطاقات والفعاليات المتدخلة في الاستراتيجية التنموية للأقاليم الجنوبية، وذلك للتجاوب مع الوظائف والاختصاصات التي سطرتها المادة 3 والمادة 5 من القانون 645 - 02 - 2. وحسب المادة 4 من المرسوم القانوني والمادة 3 من المرسوم التطبيقي، فإن مجلس الإدارة يعقد دورتين في السنة، كما يمكنه عقد دورات غير عادية بدعوة من الوزير الأول. ويؤازر المجلس الإداري للوكالة مدير يعتبر الجهاز التنفيذي لها.

2 - الجهاز التنفيذي : مدير الوكالة.

يعتبر المدير من الأجهزة المسيرة لهذه المؤسسة العمومية حسب المادة 6 من المرسوم بقانون 645 - 2 - 2 المنشئ لها، إذ يتولى التنفيذ المادي والقانوني لمختلف القرارات المتخذة من قبل المجلس ويتخذ التدابير اللازمة لذلك، كما أنه هو الآمر بالصرف على مستوى الوكالة ويحظى بمجموعة من السلطات والصلاحيات المخولة له لتحقيق شروط التدبير الإداري والمالي للوكالة وحل مختلف القضايا المتعلقة بالعملية الإدارية.

من الناحية القضائية، يمثل المدير الوكالة لدى الأجهزة القضائية في مختلف الدعاوى والمنازعات، كما يتولى رفع مختلف الدعاوى لحماية حقوقها ضد الأغيار. ويعتبر الرئيس التسلسلي لطاقم المستخدمين والعاملين ضمن الوسائل البشرية التي خولها القانون للوكالة، والتي حددتها المادة 15 من المرسوم بقانون 645 - 02 - 2 ضمن

الأحكام العامة في مجموع الموظفين بموجب النظام الأساسي لمستخدمي الوكالة، إلى جانب الأعوان الذين تم إلحاقهم من خلال آلية حركية الموظفين المنصوص عليها في المادة 38 من قانون الوظيفة العمومية، أو مسطرة الإلحاق الوارد ضمن مقتضيات المادتين 47 و48 من نفس النظام الأساسي للوظيفة العمومية. وإلى جانب الموظفين الأصليين للوكالة والملحقين بها، هناك فئة من المتعاقدين المنتمين لأسلاك الإدارة العمومية أو القطاع الخاص تستعين بهم الوكالة لإجراء البحوث والدراسات التقنية اللازمة لنطاق تدخلاتها ومجال اختصاصها، من جهة أخرى يعتبر المرسوم التطبيقي رقم 48 - 03 - 2 للقانون المحدث للوكالة أن المدير يعتبر بمثابة المقرر لاجتماعات وأشغال المجلس الإداري.

بالإضافة إلى الهيكلة الإدارية تخضع هذه الوكالة التنموية بموجب قانونها التأسيسي لنظام مالي كما هو منصوص عليها في الباب الثالث من القانون المذكور.

ب ـ النظام المالي للوكالة :

يحتاج التدبير الإداري للوكالة التنموية وممارسة الاختصاصات القانونية الموكولة لها لموارد مالية قارة وتسيير مالي معقلن وهو ما حاول القانون 645 - 02 - 2 المنشئ التعبير عنه من خلال الباب الثالث وتحديدا المواد 7 إلى 14، وهو ما يمثل نصف مجموع المواد التي يتكون منها القانون المذكور مما يبرز الأهمية التي يراهن عليها المشرع.

فالمادة 7 تحدد الإيرادات المالية للوكالة في :

ـ المداخيل المحصل عليها من أعمال الوكالة.

ـ السلفات القابلة للإرجاع التي تحصل عليها من الخزينة والجماعات المحلية وأي هيئة وطنية أو دولية عامة أو خاصة.

ـ الهبات والوصايا والحاصلات المختلفة.

ـ جميع الموارد الإضافية التي يمكن تخصيصها لاحقا للوكالــة.

أما المواد 8 ـ 9 ـ 10 ـ 11 ـ والمادة 12، فتتعلق بالمراقبة المالية للدولة التي تجريها على مالية الوكالة بواسطة لجنة خبراء حسب تعبير القانون 645 - 02 - 2. وإلى جانب هذه اللجنة نجد محاسباً يتم تعيينه من طرف وزير المالية يسهر على صحة التزامات الوكالة وفق مقتضيات المادة 12 من المرسوم القانوني المؤسس. وتناولت المواد 13 و 14 الإعفاءات الضريبية التي تحظى بها الوكالة، ومجموع الإجراءات اللازمة لاستخلاص الواجبات الضريبية اتجاهها.

إلا أنه بالنظر إلى الاختصاصات الموكولة للوكالة ونطاق تدخلاتها الذي يشمل ثلاثة جهات جنوبية، وهو ما يمثل 60٪ من التراب الوطني، من الضروري إقرار مجموعة من الموارد المالية الثابتة وصونها والتي من شأنها تدعيم استقلالها المالي، ومن التقلبات التي تعرفها ميزانية الدولة وتعكسهــا قوانين المالية باعتبار الوكالة أداة استراتيجيــة لجــزء لا يستهان به من التــراب الوطني يسعى إلى تحقيق مشروع مندمج لتنمية هذه الجهات الصحراوية.

ـ المشروع المندمج لتنمية الأقاليم الجنوبية :

حسب مضامين الخطاب الملكي السامي بالعيون 6 مارس 2002، أحدثت الوكالة كإطار تنموي لبلورة المشروع المندمج لتنمية الجهات الجنوبية، وبالتالي تطوير اللامركزية الجهوية، إلا أن الصيغة التي جاء بها النظام القانوني المؤطر لها (المرسوم القانوني المنشئ لها والمراسيم التطبيقية) لا تخلو من الطابع المركزي، مما يدعو إلى تطويره مواءمته مع متطلبات اللامركزية الجهوية ودواعي الاندماج الجهوي.

أولا : وكالة تنميــة الأقاليــم الجنوبيــة كإطار مركزي للتنمية.

إن الصيغة الجامدة التي جاءت بها وكالة تنمية الأقاليم الشمالية، والطابع المركـزي الذي أضفاه المشــرع على العناصر المؤطرة لطريقة عملها واشتغالها كمؤسسة عمومية تحت وصاية الوزير الأول، تمثل إعــادة مكررة للتدبير المركزي للمسألة التنمويــة. فالصيغة المركزية التي ميزت وكالة تنمية الأقاليــم الشماليــة نجدها في النظام القانونــي الذي تخضع لــه الوكالــة الجنوبيــة لا على مستوى المقــر الذي تشتغــل فيه، ولا حتى في ما يتعلــق بالمجلس الإداري وتركيبــة أعضائه.

فيما يخص المقر الإداري لوكالة تنمية الأقاليم الجنوبية تشير المادة الأولى من المرسوم التطبيقي رقم 48 - 03 - 2 للمرسوم بقانون رقم 645 - 02 - 2 أنه يوجد بالرباط، الشيء الذي يؤكد التوجه المركزي علما أن قرار إحداث الوكالة قد تم بالعيون عقب الخطاب الملكي السامي 6 مارس 2002 لتكون العيون مكان الميلاد، والمكان الطبيعي كمقر للوكالة الفتية انسجاما مع توجهات إدارة القرب، كما أن التركيبة التي خضع لها المجلس الإداري والواردة في المادة الثانية من المرسوم التطبيقي رقم 48 ـ 03 ـ 2 توحي بأبعادها المركزية، خاصة أن المنتخبين لهم دور استشاري وهو دورهامشي غير مؤثر في قرارات الوكالة وأشغالها وهذا ما يجعل هذه المؤسسة العمومية بمثابة قطاعا حكوميا كأنه وزارة أو كتابة دولة مكلفة بتنمية الأقاليم الجنوبية.

وبالعودة إلى ظروف نشأة الوكالتين الشمالية والجنوبية والسياق العام لوجودهما نلمس أن وكالة تنمية الأقاليم الشمالية خلقت ما قبل تطوير النظام القانوني للجهة كجماعة محلية من خلال انبثاق القانون المنظم لها 96 47، أما وكالة تنمية الأقاليم الجنوبية فلم يعلن عنها إلا بعد مرور خمس سنوات من الممارسة الجهوية الجهوية الحالية أي بعد صدور القانون الجهوي 47 - 96 الذي اقترن بتطور اللامركزية الجهوية. لكن ورود عبارة الأقاليم عوض الجهات خاصة بالنسبة للوكالة الجنوبية الفتية يثير بعض التساؤلات التي تسير في اتجاه قابليته للتطوير، وتوحي بأن التقسيم الجهوي الحالي (1997) غير نهائي وإنما قد يكون محل تعديلات مستقبلا.

ثانيا : المشروع المندمج لتنمية الجهات الجنوبية وتطوير اللامركزية الجهوية.

إن متطلبات الاستراتيجية التنموية الشاملة والكفيلة بتأهيل الجهات الجنوبية، وتفعيل الطاقات والإمكانيات التي تختزنها لتنسيق الجهود والتدخلات التنموية بالحيلولة دون هدر الوسائل والإمكانيات الموظفة في سبيل تحقيق الأبعاد الإنمائية للمجال الصحراوي يتوقف على وجود مخطط تنموي مندمج يجد ركيزته الأساسية ودعامته القوية في خطاب جلالة الملك بمناسبة الذكرى السادسة والعشرين للمسيرة الخضراء 6 نونبر 2001، والذي جاء فيه : "... وهكذا قررنا أن يرتكز المخطط التنموي لأقاليمنا الصحراوية العزيزة، الغنية برجالاتها ونسائها الأوفياء على تنمية قطاعات الصيد البحري، والاستثمار العقلاني للثروات المعدنية والصناعة التقليدية والسياحة وتربية المواشي، مع إيلاء كامل العناية للتربية والتكوين وللثقافة في ارتباط بالتنمية الاقتصادية وتشغيل الشباب". ويشير الخطاب الملكي إلى ضرورة تبني آلية التخطيط في رسم الاستراتيجية التنموية اعتمادا على الإمكانيات الذاتية والخصوصيات المجالية والثقافية. وتقدم الجهات الجنوبية إمكانيات تنموية هامة تتطلب مجهودات استثمارية كفيلة بتوظيف تلك المؤهلات والثروات الطبيعية وتدبيرها بشكل عقلاني يتماشى مع التوجهات العامة للبلاد.

ولتثمين الموارد التي تزخر بها الجهات الجنوبية لابد من اعتمادات مالية كبيرة وتجهيزات أساسية قادرة على التجاوب مع حاجيات الاستثمار، والزيادة من تنافسية المجال الصحراوي.

ومن أهم ما تتميز به الجهات الصحراوية، غنى سواحلها وأهمية ثرواتها البحرية، وهو ما جعل موانئها (طان طان - الداخلة - العيون) تتصدر الموانئ المغربية في إنتاج أصناف عدد من الأسماك بمختلف تنوعاتها البيولوجية.

إلى جانب الصيد البحري، يختزن جوف أراضي الجهات الصحراوية ثروات معدنية هامة على رأسها الفوسفاط الذي يعد منجما هاما حيث تصل المساحة المعروفة بقابليتها للاستغلال حاليا إلى 260 كلم^2 الواقعة أساسا على حوض بوكراع، ولكن على المستوى الاحتياطي فإنه لا يشكل حاليا سوى 9٪ من الإنتاج الوطني.

من جهة أخرى تمثل السياحة أحد القطاعات الواعدة ويتوقف تأهيلها بشكل أساسي على مدى نجاعة سياسات الإعداد السياحي المتبعة.

ويتطلب تدبير الرهانات التنموية التي تمثلها الأقاليم الجنوبية وضع مخطط مندمج تضطلع فيه وكالة تنمية الأقاليم الجنوبية بدور أساسي كما يوضح ذلك المرسوم القانوني المحدث لها والمراسيم التطبيقية له، إلا أن ذلك يتطلب تطوير تلك المؤسسة بما يخدم بلورة اللامركزية الجهوية وهو ما يمثل أحد المحددات الرئيسية لها ومبررا لوجودها خاصة أن إحداثها برأي الباحثين وخاصة الأستاذ محمد الناصري يندرج في إطار حل مشكلة الصحراء عبر آلية اللامركزية والجهوية التي يريد المغرب اتباعها على مجموع التراب الوطني ليكون بذلك البعد الصحراوي مصدرا للتجارب والمبادرات التي ستكون حاسمة على تنمية مجموع البلاد. وما يؤكد هذا التوجه أن إحداث الوكالة الجنوبية تزامن مع ظهور النظام القانوني للتدبير اللامتمركز للاستثمار، فلم يكن من الصدفة أن يعلن جلالة الملك ميلاد وكالة تنمية الأقاليم الجنوبية في نفس السنة التي انبثق فيها المفهوم الاقتصادي للسلطة الذي يعتبر أرضية لتطوير اللامركزية واللاتمركز، حيث يقول جلالة الملك بهذا الخصوص : "... إن مخاطبتنا لكم اليوم بمناسبة توجيه رسالتنا الملكية لوزيرنا الأول في موضوع التدبير اللامتمركز للاستثمار، إنما تستهدف إبراز جوهرها ومراميها فهـذه الرسالة تتوخى أكثـر من إحداث شباك واحد، أو مراكـز جهويـة للاستثمار، بل تتضمن رسـائـل متعددة عن توجهنا لترسيخ اللامركزية واللاتمركز والجهوية، التي نعتبرها القوام المؤسسي لمغرب اليوم والغـد...".

وهذا ما يؤدي إلى اعتبار الوكالة دفعة جديدة في اللامركزية المغربية، بحيث تعد منظورا تنمويا يستهدف تقويم السياسات التنموية السابقة وتقديم بدائل لها مبنية على مشروع مندمج لتنمية، يستجمع العناصر المكونة له من الأيام الدراسية حول التنمية بالأقـاليم الجنوبية المنعقدة بالعيـون تماشيـا مع مضامين الخطاب الملكـي في الموضـوع إذ يقـول جلالتـه : "... وحرصا منا على أن تكون برامج ومشاريع هذه الوكالة منبثقة من واقع المنطقة ومن تطلعات أبنائها، فإننا ننتظر من الأيام الدراسية التي أمرنا بتنظيمها هنا بمدينة العيون في الأسابيع القريبة بلورة مخطط التنمية الجهوية للأقاليم الجنوبية في مشاريع مضبوطة وبرامج محددة بزمانها ومكانها وتمويلها وتقويمها....". وتمخضت عن الأيام الدراسية بالعيون مجموعة من التوصيات وذلك يوم 18 يوليوز 2002 في مختلف الميادين المستهدفة بالاستراتيجية التنموية المرتقبة ليصل مجموعها إلى أكثر من 163 توصية ويتعلق الأمر بالميادين الآتية :

- ورشة الصيد البحري (16 توصية).
- ورشة إعداد التراب الوطني والتعمير والإسكان (13 توصية).
- ورشة التعليم والتربية (13 توصية).
- ورشة التكوين والتشغيـل والتنميـة الاجتماعيـة (16 توصية).
- البنيات التحتية (18 توصية).
- ورشة الفلاحة والمياه والغابات (20 توصية).
- ورشة التجارة والصناعة والمعادن (34 توصية).
- ورشة السياحة (16 توصية).
- ورشة الاقتصاد الاجتماعي والمقاولات الصغرى والمتوسطة والصناعة التقليدية (17 توصية).

يتضح أن الوكالة التنموية خلقت لبلورة اللامركزية الجهوية وذلك عبر آلية التخطيط المندمج بين الجهات الجنوبية الثلاثة، إلا أن ذلك رهين بتطوير الصياغة القانونية لمقتضيات المرسوم القانوني المنشئ لها والمرسوم التطبيقي له بشكل منسجم مع التوجهات

الرامية إلى خلق نموذج متطور للجهوية يحتذى به، وهو ما يتطلب إعادة النظر في مسألة المقر بحيث يكون وجود الهياكل الإدارية للوكالة بالعيون انسجاما مع متطلبات اللامركزية، ويمكن عوض حضور الوزارات الواردة قطاعاتهم في المرسوم التطبيقي للوكالة الجنوبية أن يقتصر ذلك على ممثليهم بالأقاليم والجهات الجنوبية، الاختصاص لهم يفوض بما يدعم اللاتمركز الإداري مع ما يستلزمه من اعتمادات مالية.

بالنسبة لتشكيلة مجلس إدارة وكالة تنمية الأقاليم الجنوبية يجب أن يكون موسعا بحيث لا يقتصر على القطاعات الحكومية وإنما يمتد ليشمل ممثلي السكان خاصة رؤساء الجماعات المحلية الحضرية والقروية، ورؤساء العمالات والأقاليم، ورؤساء الغرف المهنية، وأن يكون حضورهم فعالا وأن لا يقتصر على تقديم الاقتراحات والاستشارات لأنهم يمثلون السكان ويتكلمون انطلاقا من قاعدة انتخابية والتدبير الديمقراطي الجماعي يقتضي إشراكهم في رسم الإستراتيجيات التنموية الموجهة للساكنة التي يمثلونها.

كما يتطلب تطوير اللامركزية الجهوية من خلال الوكالة التنموية ضمان استقلالها المالي وتدعيم مواردها تماشيا مع اختصاصاتها ومجالات تدخلها وحرصا على عدم تأثيرها بالتحولات الطارئة التي قد تعرفها الميزانية العامة للدولة.

كما يعتبر العنصر البشري أحد العوامل المحددة لمدى نجاح الوكالة كإطار تنموي في تطوير الصيغة اللامركزية للتنمية، وذلك بتأطيرها بالوسائل البشرية والكفاءات والمهارات الفنية والتقنية الضرورية لمجال اختصاصها ونطاق تدخلاتها.

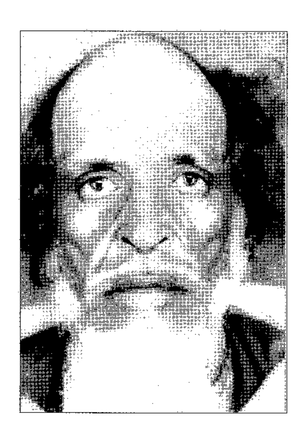
ظهير شريف رقم 155 - 95 - 1 بتاريخ 16 نوفمبر 1995 بتنفيذ القانون رقم 06.95 المتعلق بإحداث وكالة الإنعاش والتنمية الاقتصادية والاجتماعية في عمالات وأقاليم الشمال بالمملكة ؛ *الجريدة الرسمية عدد 4323* بتاريخ 6 شتنبر 1995، ص. 2444، والمرسوم التطبيقي له رقم 704 - 95 - 2 بتاريخ 12 ديسمبر 1995، *الجريدة الرسمية عدد 4338* بتاريخ 20 دجنبر 1995، ص. 3331 ؛ المرسوم بقانون رقم 2.02.643، الصادر بتاريخ 10 سبتمبر 2002، والقاضي بتتميم القانون رقم 06.95، المتعلق بإحداث وكالة الإنعاش والتنمية الاقتصادية والاجتماعية في عمالات وأقاليم الشمال بالمملكة ؛ *الجريدة الرسمية عدد 5038* بتاريخ 12 سبتمبر 2002 ؛ القانون رقم 59.02، المتعلق بالمصادقة على المرسوم بقانون رقم 02.2.643، القاضي بتتميم القانون رقم 6.95، المحدث لوكالة تنمية الشمال ؛ *الجريدة الرسمية عدد 5096*، بتاريخ 3 أبريل 24 مارس 2003 بتنفيذ القانون 59.02، المتعلق بالمصادقة على المرسوم 2.02.643، بتاريخ 10 سبتمبر 2002 المتمم للقانون 6.95 المحدث لوكالة تنمية أقاليم الشمال ؛ *الجريدة الرسمية عدد 5096*، بتاريخ 3 أبريل 2003، ص. 1086 ؛ *خطابات صاحب الجلالة الملك محمد السادس*، يوليوز 2001 - يوليوز 2002، م. س. ص. 206 - 207 ؛ راجع الخطاب الملكي بالعيون 6 مارس 2002 ؛ خطاب جلالة الملك بمناسبة الإعلان عن الرسالة الملكية الموجهة إلى الوزير الأول في موضوع التدبير اللامتمركز للاستثمار، سلسلة نصوص ووثائق، م. س، ص. 51 ؛ خطاب جلالة الملك محمد السادس بمدينة العيون 6 مارس 2002، م. س، ص. 206.

Troin et el., *Les provinces sahariennes, Maroc, régions, pays, territoires*, Ed. Maisonheuve - Larose, Paris, 1 Juin, 2002, p. 431 ; Mohamed Naciri, Postface, *Maroc, régions, pays, territoire*.

علي أمجد

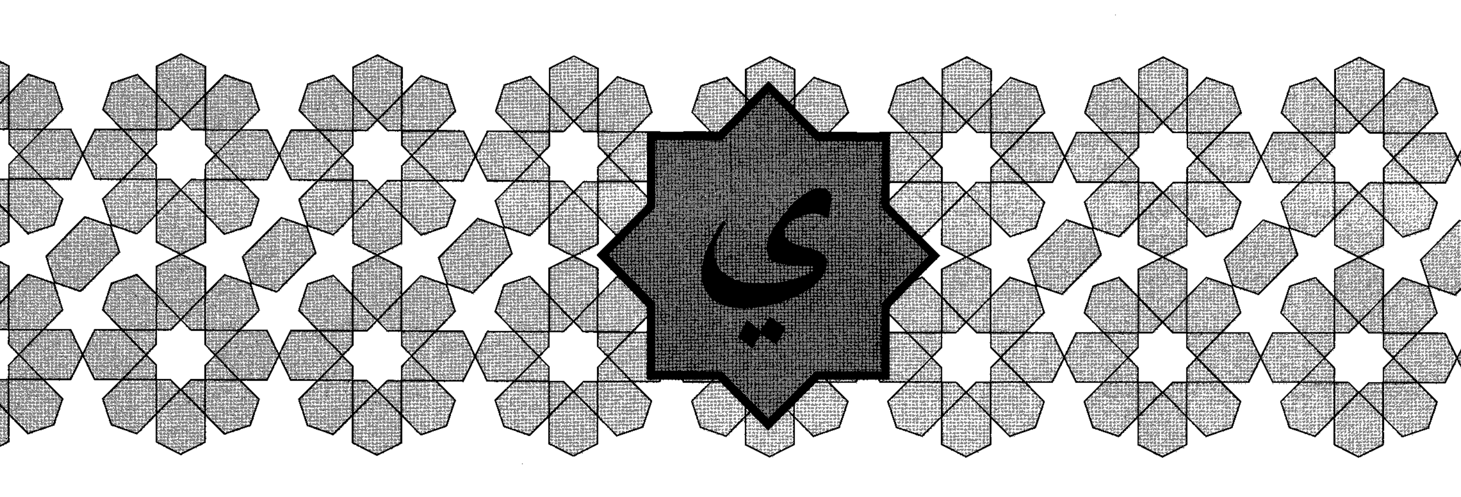
ونوني، محمد فاضل : هو الأديب والشاعر والمقاوم محمد فاضل بن محمد الأغظف بن مصباح الدين بن الشيخ محمد فاضل بن الشيخ مامين الملقب ونوني. وأمه هي السيدة الفاضلة لمين بنت الشيخ ماء العينين. ولد سنة 1897 وتلقى تعليمه الأولي على يد الشيخ ماء العينين الذي أجازه إجازة تامة في القرآن الكريم ولازمه وكان لا يفارقه وانتقل معه سنة 1909 إلى مدينة تيزنيت. وبعد وفاته لازم خاله الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين ودرس عليه كثيرا من العلوم وخاصة اللغة والفقه والأصول وشارك معه في عدة معارك حربية ضد المستعمر الفرنسي في سوس.وبعد نهاية العمليات العسكرية في الجنوب المغربي سنة 1934 انتقل معه إلى مدينة طرفاية وبعد وفاته سنة 1942 انتقل إلى مدينة گلميم وظل بها إلى أن توفي سنة 1972 بعد حياة حافلة بالعطاء الأدبي والشعري الذي أغنى به الشعر في سوس والصحراء. وقد عرف كذلك بالظرافة واللطافة وحسن الصوت عندما ينشد أو يغني وهذا ماجعل عددا من الشعراء يخاطبونه بقصائد شعرية يشيدون فيها بغنائه وحسن صوته. يقول ماء العينين بن العتيق :

يا ما أمـيـلـح أنـغامـا وألـحانـا	بها الظريف الفتى ونوني غنانا
أغنى عن إسحاق إذغنى وعن أبه	بل لامغني إلا عـنه أغـنانــا



ماء العينين بن الحضرام، *إفادة الأقربين في التعريف بذرية شيخنا الشيخ ماء العينين*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين مربيه ربه حامني، *إثبات علماء الصحراء فيما للنسب من محاسن غراء*، مخطوط، مكتبة الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت.

ماء العينين النعمة علي


ي

ياسين (آيت -) هي إحدى قبائل تكنة القبيلة المعروفة بمنطقة واد نـون المنقسمـة إلى لفـي آيت اجمل وآيت عثمان (آيت بلا) وتنتمي قبيلة آيت ياسين إلى اللف الأخير، آيت بلا - وتنحدر حسب الروايات والوثائق المحلية من الجد الأعلى "عثمان بن مندى" عامل يوسف بن تاشفيـن على مدينة نول لمطة، فمن هـذا الجد حسب المـروي الشفهـي ينحدر بلا بن لحسن الأب المفترض لخمس قبائـل من لف آيت بلا وهي : آزوافيـط، آيت ياسيـن، آيت احمـاد، آيت مسعـود، أولاد بولحويلات.

تنقسم آيت ياسين إلى أحد عشر بطنا وليس كما ذهب إليه دى لاشاپـل De la Chapelle، في كتابه عن تكنة واد نون الذي وقع في خلط لدى ذكر أسماء بطون القبيلة، فيعتقد حسب الرواية المحلية أن البطون الأصلية ذات الانتساب السلالي القرابي التي تنحدر من جد القبيلة : ياسين بن بلا، هي أهل سالم، أهل بلا، أهل بوشلكا. أما البطون الثمانية المتبقية فهم زبناء ومحميون التحقوا بالقبيلة في فترات تاريخية متفاوتة، وهؤلاء هم : آيت جلول أهل، أورقية، وآيت حمو، وآيت داوود، وأهل يحيى، وأهل بومزكان، وأهل بوتيزوا، وأولاد بوگـرفة.

وقد انسحب بطن أهل أورقية وانضم إلى قبيلة آيت لحسن معلنا تحالفه معها بعد الصراع الذي نشب بينه وبين قبيلة أزوافيط والذي احتد بعد حصول أهل أورقية على السلاح من قبيلة آيت لحسن : هذا القول يمكن كذلك أن يلحق انسحاب أولاد بولحويلات عن أزوافيط وانضمامهم لآيت لحسن.

وتستوطن قبيلة آيت ياسين منطقة جبل گير حيث يسود نمط عيش نصف ترحالي المبني على الانتجاع الرعوي القصير و الاستقرار الموسمي بجبل گير حيث ملكية القبيلة من مغارس شجر الصبار "اجنانات" والتي توفر للقبيلة أمنها الغذائي والرعوي في فترات المسغبة والجفاف، فخلال فصل الصيف ومع نضوب المراعي هذا التنقل بين الجبل والسهل لنمط عيـش خاص متجـذر بمنطقة گير وتايسـة ويمتد جنوبا نحـو تيدرگيت وأكـركـور، متجـاوزا وادي درعـة جنوبا نحو هضبـة زيني، ولعل هذا ما يظهر اختـلاف نمـط العيش لـدى كـل من آيت بلا وآيت اجمل - لفي كنفدرالية تكنة - فقد بلغ عدد قرى ومداشر آية بلا خلال النصف الأول من القرن الماضي حوالي أربعين في مقابل ثلاثة عشر للف آيت اجمل الساحلي حيث يسود نمط عيش الترحال.

وقد امتد النشاط الرعوي لقبيلة آيت ياسين خلال فترات تاريخية معينة على مسافات أبعد خارج المجال الترابي جنوبا نحو واد درعة الذي لا تتجاوزه إلا نادرا ونحو منطقة سوس حيث تؤكد الرواية الشفوية والواقع المحلي حركية الترحال هاته نحو الشمال، بحيث يمكن تعميم هذا القول على معظم قبائل واد نون بالنظر إلى القبلي الثابت بمناطق سهل سوس.

إلى جانب مغارس الصبار الهندي "اجنانات" والنشاط الرعوي وتربية قطعان الأغنام والإبل، مارست قبيلة آيت ياسين زراعات ظرفية - الشعير أساساً - (بالمعادر والأسهب...)، الصالحة لذلك بمناطق طويغيط، عوينة آيت ياسين، بويشتالن، أكجكال، بولابدة، حويسي اللـگـاح، المشبوك، إيسكو والفايجة... وتظهر المطامير والأغراس القديمة بمنطقة "المرسى" - أفركط حاليا - الملكية الجماعية لمنتوج الشعير حيث يتم تدبير أمور هذه المطامير من طرف "اجماعة، وآيت أربعين، والتي تفوض المـراس للإشراف على المطامير ومراقبتها وتدبير مخزونها، وقد شكلت منطقة المرسى أول نواة تجمع واستقرار القبيلة بعد خمسينيات القرن الماضي.

عرفت قبيلة آيت ياسين بالمهادنة والمسالمة بالرغم من أنها حملت السلاح وخاضت صراعات مريرة مع القبائل المجاورة لها، أزوافيط وآيت مسعود وآيت بوهو وآيت أوسى، وآيت لحسن، وبرزت فيها شخصيات معروفة لدى قبائل تكنة كالقائد البشير ولد بوشلكا أو القائد حيمد ولد بوشلكا والحسن ولد جيموع، كما شاركت في جيش التحرير بالصحراء المغربية بعدد يسير من المقاتلين، استشهد بعضهم خلال نكسة إيكوفيون الشهيرة كما شارك أبناء القبيلة سنة 1975 في المسيرة الخضراء وفي الدفاع عن وحدة المغرب الترابية.

وقد عرفت القبيلة نزيفا بشريا حادا منذ الستينيات بعد هجرة العديد من أبنائها نحو الدول الأوربية حيث يشكلون اليوم أكبر نسبة من الجالية المحلية بأوربا كما انتقلت أعداد أخرى من نحو مدينة العيون بداية التسعينيات في إطار مخيمات الوحدة، وفي ظل هذه التطورات ومع توالي سنوات الجفاف عرفت القبيلة هجرة داخلية كبيرة نحو المدن وارتفع عدد المستقرين منها اليوم في مدن گلميم والطنطان والعيون وأگادير بالرغم من أن الكثيرين فضلوا البقاء في البادية خصوصا بمدشر افركط نظرا لأهمية وتيرة التنمية المحلية التي عرفتها المنطقة خلال السنوات الأخيرة.

محمد سبى، *القبيلة والاستعمار بالمجال الصحراوي المغاربي حالة منطقتي الساقية الحمراء وأدرار التمر دراسة مقارنة*، رسالة لنيل دبلوم الماستر، مرقونة بكلية الآداب، جامعة ابن طفيل، 2008 - 2009 ؛ *مقابلات ميدانية* مع شيوخ قبيلة آيت ياسين، بگلميم، خريف، 2009.

Paul Marty, *Les tribus de la Haute Mauritanie*, Paris, 1915 ; De Lachapelle, *Les Tekna du Sud Marocain*, Paris, 1934 ; Vincent Monteil. *Notes* sur les Tekna, Paris, 1948.

محمد سبى

يحجب (ابن -) **خطري** ولد بوجان ناحية تزنيت سنة 1902 / 1320، أخذ العلم على يد مجموعة من علماء الجنوب المغربي من بينهم الشيخ النعمة والمحفوظ بن الحضرام والشيخ محمد الإمام وماء العينين بن العتيق وغيرهم. ساهم بدور فعال في مقاومة المستعمر بالجنوب المغربي بإنتاجه الأدبي ومواقفه الصلبة. وبعد استقلال الجزء الشمالي من المغرب اشتغل بالقضاء.

خلف عدة أعمال أدبية منها :

- ديوان شعر نشرت بعض قصائده ببعض الجرائد الوطنية وخاصة منها *صحراء المغرب وصحراؤنا*، ولما ولا يزال مخطوطا.
- مجموع شعري يضم مختارات من أشعار الجنوب المغربي. ولا يزال مخطوطا.
- مجموعة من الخطب والمقالات السياسية تتصل كلها بوحدة المغرب وسيادته على أقاليمه الصحراوية.

توفي بتارودانت سنة 1403 / 1983.

محمد الظريف، *الحياة الأدبية في زاوية الشيخ ماء العينين*، ص. 204، *منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه*، 2003 ؛ *باقة شعر من أقاليم الجنوب*، ص. 63، منشورات وزارة الشؤون الثقافية.

محمد الظريف

اليعقوبي، خَدِجَتُّو بنت **محمدان** : هي خدجتو بنت محمد ولد سيدي من قبيلة ايديقب، كانت فقيهة حافظة للقرآن الكريم لا يستطيع أحدا منافستها فيه، وقد تنقلت لتعليمه في مجال الساقية الحمراء خاصة مدينة العيون ومنطقتي تافودارت وطرفاية وما بينهما، وكان تلامذتها من الذكور والإناث تحفظهم القرآن وتكتب لهم ألواحهم وتشرح لهم أمور دينهم ؛ ويشهد لها الشيوخ أن كل من حفظ على يدها القرآن فقد يبقى راسخا في ذهنه. عرفت كذلك بقلة كلامها وصدقها وبعدها عن التشدد وكانت تسلك الطريقة القادرية في تصوفها، وكانت فقيرة تعيش من الوسط الذي تعلم فيه أبناءه ومن الشرط الذي يخصصه أباء التلاميذ لها، وكانت تلازمها أمتها التي تسهر على خدمتها وتدعى "هاو"، وكانت صاحبة كرامات ويلجأ إليها عند الحاجة أو كما يقال باللسان المحلي "ثْنْطْلَبْ وْثْنْصَابْ". في سنة 1957 هجمت طائرات الإسبان والفرنسيين على مقاومي جيش التحرير وكانت خدجتو تمر رافقة أهل الخيام بواد الساقية الحمراء فوضعت حجابها عليها وبدأت تتلو شيئا فظهرت غيوم سوداء ورياح حمتهم من قصف الاحتلال ولم تنجل حتى اختفت الطائرات من المكان.

توفيت سنة 1964 ولها من العمر ثمانون عاما بطرفاية ودفنت بها.

بحث ميداني، رمضان 2009 حول النساء الفقيهات المتصوفات في الساقية الحمراء وواد الذهب.

الغالية بلعمش

اليعقوبي، عبد الودود بن **عبد الله** بن أحمد بن انجبنان عالم جليل من علماء أصول اللغة العربية، وشيخ محضرة نحوية ذات إشعاع كبير. أخذ عنه كثير من أعلام النحو في الصحراء وبلاد شنقيط.

من آثاره العلمية : روض الحرون من طرة ابن بون، ميزاب الفضل والأفضال شرح جوهرة الكمال، ميزاب الرحمة الربانية، تأليف في تصريف الأفعال، مآسد العرب، منظومة في العروض، نوازل فقهية.

توفي سنة 1286.

أحمد بن الأمين الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*، مطبعة السنة المحمدية، ط : 2، القاهرة، 1378 / 1958 ؛ محمد عبد الله ولد بزيد، *معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي*، منشورات سعيدان للطباعة والنشر، تونس، 1996.

عبد العزيز ابن الطالب موسى

اليعقوبي، محمد بن **الطلبة** : هو الأديب الشاعر محمد بن محمد الأمين بن محمد (آبه) بن المختار بن موسى بن يعقوب بن أبي موسى بن يعلى (أبيال) بن عامر بن يعلى (أبيال الأكبر) بن ابهنضام بن محمد بن يعقوب (الجامع) بن سام بن عبد الله أعمر بن حسان. ولد سنة 1188 / 1774 بمنطقة تيرس بإقليم آوسرد. وقد عرف بابن الطلبة الموسوي اليعقوبي، وينسب إلى جعفر بن أبي طالب. وأمه هي عائشة بنت أحمد خرشي بن محمد الخراشي بن مسكه بن بارك الله فيه بن أحمد بازيد بن يعقوب بن يعلى (أبيال)، فهي من بيت علم وجاه.

توفي والداه وهما في ريعان الشباب، ووحيدهما لم يكمل سنته الأولى، فحضنته جدته لأمه ورعاه جده لأبيه محمد آبه (ت. 1204 / 1790) بن المختار. يقول عنه العلامة محمد فال بن متالي التندغي "هذا عربي أخره الله، ولا تكاد تعد طبقة إلا بدأت به في أولها، إذا عد

الكرام فهو حاتمهم، أو العلماء اللغويون، فما هو بدون ابن سيده، وكل أخباره يكتب بالذهب".

تقول المصادر المتوفرة، أنه بدت عليه بشائر النبوغ وهو ما يزال غض العود، فتلقف الكثير من معارف محيطه الأسري، وشرع يقطف من علوم جده (آبه) وعمه حبيب الله بن آبه فأخذ عنهما ما يتعين على مثله أخذه من فقه ونحو ولغة وأدب وعقيدة، ثم أخذ يتردد على علماء المساجد الظاعنة التي كانت يومها ترصع تيرس، فقد كانت هذه المنطقة إذ ذاك منتدى علم وساحة أدب ومنتجع استشفاء، يؤمها الناس من كل النواحي، فحضر، وهو يافع، مجلس كمال الدين محمد المجيدري (ت. 1204 / 1790) ابن حبيب الله اليعقوبي، وهو تلميذ محمد آبه وابن أخيه ؛ ومجلس سيدي عبد الله (ت. 1209 / 1794) بن الفاضل بن بارك الله فيه ؛ وتابع بعدهما الاتصال بصفوة من تلاميذ المجيدري مثل المامون (ت. 1235 / 1820) بن محمد الصوفي اليعقوبي، ومولود بن أحمد الجواد اليعقوبي (ت. 1243 / 1827) والبخاري بن الفلالي ومحمد بن سيدي محمد السباعي، دون قطع في تلمذة فعلية له على أي واحد من هؤلاء. وكان على صلة حميمة بالشريف سيدي محمد بن سعد الصعيدي (ت. 1232 / 1817). إلى جانب ما تلقاه من محيطه الأسري وما اكتسبه من أجلاء علماء عصره، كان عصاميا في تحصيله، فقد نال الكثير من علمه من مطالعة الكتب، يساعده على ذلك ذكاء ثاقب، وعزيمة لم تعرف الوهن ؛ وسعى إلى اقتناء الكتب بالشراء والاستنساخ والإعارة. هكذا حصل علما كثيرا، خاصة في مجال اللغة والتبحر في علوم القرءان والحديث وتمثل الثقافة العربية الإسلامية في أساسها علما وعملا مع بري النبال وامتطاء العيس. ولم يصرف ابن الطلبة علمه ولا شعره عن الاهتمام بقضايا مجتمعه، فتصدر القيمين على شؤون المجتمع، يصدع برأيه نصيرا للإنصاف، داعيا للإصلاح. وقد عاش أغلب عمره في أرض تيرس بصحراء وادي الذهب. أما بخصوص مؤلفاته فقد لعب الزمان بالكثير منها، فلم يبق من أغلبها غير ذكر لبعض العناوين مبثوث بين صفحات كتب لا يزال أكثرها مخطوطا ؛ ومن مؤلفاته :

- نظم التسهيل : وقد نظم فيه تسهيل الفوائد وتحميل المقاصد لمحمد بن مالك (ت. 672 / 1274)، وهو مؤلف (نثر) تناول فيه الأحكام النحوية.
- نظم الشيخ خليل، وهو نظم لمختصر خليل بن إسحاق الجندي (ت. 776 / 1374). ما زال مفقودا.
- مجمع محمد، وهو كتاب في الأدب.
- مجموعة من الفتاوى الفقهية، يوجد بعضها.
- شرح لديوان الشعراء الستة الجاهليين (موجود).

عقب من الأبناء : العتيق (ت. 1311 / 1893)، وكان عالما وشاعرا، أحمد شينان أمه حفيدة سيدي أحمد العروسي، وكان فقيها وشاعرا، وأحمد بابه وكان من العلماء والشعراء. لهم كتب لا تزال مفقودة. وعقب ابن الطلبة من الإناث : عائشة وفاطمة وخديجة. وأصغر أبنائه هو أبو المعالي الذي توفي صغيرا.

توفي محمد بن الطلبة سنة 1272 / 1856. عن نحو 84 سنة، ودفن بجانب جبل إنتاجاط في آدرار سطف جنوب غرب تيرس بإقليم آوسرد عند تقاطع خط الطول 15.15° غربا مع دائرة العرض 21.55° شمالا، وضريحه تؤمه الناس للزيارة والتبرك.

أحمد بن الأمين الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*، القاهرة، مطبعة الخانجي، 1958 ؛ محمد عبد الله بن البخاري بن الفلالي، *الحياة العمرانية*، مخطوط ؛ محمد المختار بن أباه، *الشعر والشعراء في موريتانيا*، تونس، 1987 ؛ محمد ابن الطلبه اليعقوبي، *الديوان*، تحقيق، محمد عبد الله بن الشبيه، الدار البيضاء، 2000 ؛ المختار بن حامد، *حياة موريتانيا : الجغرافيا*. م. د. إ، الرباط، 1994.

Caro Baroja, Julio, *Estudios Saharianos*, Madrid, 1955.

محمد دحمان

اليعقوبي، محمد بن **مختار** بن **أحمد** بن حبيب الله بن الغلاوي عالم جليل القدر، واسع العلم، كثير الأمداح للرسول (ص)، كثير التوسل بالأولياء والصلحاء. نشأ في أسرة علمية ومحيط عالم، أبوه أحمد بن حبيب الله كان عالما عاملا، وقد أخذ عنه، ووالدته هي مريم بنت إسحاق الفاضلية الباركية. عاصر علماء أساطين وشعراء فحول من بينهم محمد بن الطلبة اليعقوبي، الذي كان متزوجا بأخته مريم، والذي قد يكون أخذ عنه بعض العلوم ؛ ومحمد عبد الله بن البخاري الفلالي، الذي كان صديقا له، وجرت بينهما مساجلات شعرية. من آثاره : نظم في التوسل، أرجوزة، ديوان شعر.

توفي سنة 1306، ودفن عند جبل أيك قرب تشله بتيرس، إلى جنب الولي الصالح الشيخ محمد المامي.

محمد عبد الله ولد بزيد، *معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي*، منشورات سعيدان للطباعة والنشر، تونس، 1996.

عبد العزيز ابن الطالب موسى

اليعقوبي، محمد المصطفى بن الشيخ محمد عبد الله بن محمد بن المختار بن أحمد تكرور، فقيه من قبيلة إيديقب، بطن أهل أتفغ موسى، أخذ عن عبد القادر بن أحمد بن محمد سالم. له من الآثار تأليف نثري في حكم زيارة الصالحين (وقد سلمه محمد عالي بن عدود المباركي)، وورقات في زيادة الوكيل على الصداق (يرد فيها على منتقد مختصر خليل في المسألة)، ورسالة في الطلاق، وشرح باب اليمين من مختصر خليل، وديوان شعر.

توفي سنة 1376 / 1956.

يحيى ولد البراء، *المجموعة الكبرى الشاملة لفتاوى ونوازل وأحكام أهل غرب وجنوب غرب الصحراء*، أنواكشوط، المجلد الثاني، 2009.

محمد دحمان

اليعقوبي، مولود بن **أحمد الجواد** : هو مولود بن أحمد الجواد بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن

هنض. ولد حوالي 1170 / 1756، عالم جليل ولغوي مدقق وشاعر مفلق، مداح للنبي (ص). أخذ عن والده أحمد الجواد، كما أخذ علم الكلام عن المختار بن بون الجنكي، وأخذ علم الأصول والحديث عن المأمون اليعقوبي، كما أخذ أيضا عن المجيدري بن حبيب الله اليعقوبي.

من آثاره العلمية : نظم تنقيح القرافي شرحه، شرح الوسيلة في علـم الكلام للشيخ ابـن بون الجكنـي، طـرة على ألفيــة ابن مالك، شرح الكوكب الساطع في الأصول للسيوطـي، سقايــة المغتل فــي عين ثلاثي الفعـل، ديوان شعـر.

توفي سنة 1243 / 1828.

أحمد بن الأمين الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*، مطبعة السنة المحمدية، ط : 2، القاهرة، 1378 / 1958 ؛ الخليل النحوي، *بلاد شنقيط، المنارة والرباط*، نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ط : 1، تونس، 1987 ؛ ولد اباه المختار، *الشعر والشعراء في موريتانيا*، الشركة التونسية للتوزيع، ط : 1، تونس، 1987 ؛ محمد عبد الله ولد بزيد، معجم *المؤلفين في القطر الشنقيطي*، منشورات سعيدان للطباعة والنشر، تونس، 1996.

عبد العزيز ابن الطالب موسى

يـگـوتْ، قبيلة ظاعنة تنتمي لحلف تكنة الصحراوي، تتميز بتنقلها وراء قطعان الإبل والغنم ما بين درعة السفلى وأعالي وادي الساقية الحمراء عند منطقة واد اكْسَات، ومن منطقة لحميدية غرب مدينة الطنطان إلى آيرار وجبل زيني شرقا، كما يتردد أفراد وعائلات يـگـوتْ على الأسواق السنوية بواد نون (امـگـار) حيث يبيعون الجمال ويشترون ما يحتاجون إليه في ترحلهم من أثواب وسكر وفارينة وشاي... إلخ. وتعد تربية الماشية نشاطا أساسيا عند القبيلة ولذلك كان يحتل مالك قطيع الإبل مكانة متميزة داخل المجتمع، بالإضافة إلى تربية الخيول. وكانت قبيلة يـگـوتْ من المجموعات القبلية التي خضعت للاستعمار الإسباني إبان مجيء الضابط كـپـاث (Capaz) لاحتلال مرسى سيدي إفني لتضم بعد ذلك للمركز العسكري الإسباني بالطنطان. وتعد هضبة زيني مجالا حيويا عند قبيلة يـگـوتْ بفعل مراعيها الخصبة، خاصة عند سقوط المطر حيث تتوفر نقاط الماء والأعشاب والأشجار لرعي الجمال من طلح وآرگـان. ومرتفع زيني هذا يتدفق منه واد تِـلمزّون الذي يصب في واد درعة، وعليه تقع بلدة تِـلمزّون التي تعد من أهم مناطق القبيلــة، حيث يوجد الماء الصالح للشرب بكثرة، الشيء الذي مكن من إقامة بعض الزراعات منذ ثلاثينــات القرن العشرين مثل زراعة البشنة، لكــن النزاعات الداخليــة مع أيت أوسى لم تمكن من تطويــر تلط الزراعــة تلك، كما توجد هناك غراســة آكنــاري (الصبار). بالإضافــة إلى أن تِـلمــزّون توجد بها بعض الآثار ما قبـل التاريخيــة التي تحتاج للبحث والدراســة. بالإضافة إلى الموقــع الاستراتيجي، الذي جعل الإسبــان يؤسســون بها مركزاً للمراقبة العسكرية.

ومن نقاط الماء الأخرى المهمة في مجال ترحال يـگـوتْ، نجد لـمَّـيْلحْ الذي يبعد ستة كلمترات عن تِـلمزّون، ثم حاسي تَـمالِـيحتْ على بعد ثلاثة كلمترات، ويوجد بالقرب منه تعسَّالتْ، ثم منخفض بنخليل إلى أن نصل منطقة لـبْـطينة حيث يصب واد بوشويبة الذي ينطلق من أخنـگ مسعود الذي يوجد في وسطه بئر لـغْزالة الصالح للشرب. ومن آبار هذه المنطقة الطنطان الذي كان عبارة عن نقطة عبور للقوافل ما بين واد نون والطرفاية. وكل هذه الوهاد والأودية ستلتقي في منطقة قرب واد درعة تدعى "اگْـرارتْ لـحْمير"، كما تتوفر قبيلة يـگـوتْ على نقاط ماء أخرى في واد فَـرَّاح الذي يعد من روافد واد الشّبيكة الذي توجد في اعاليه "اگْـرارتْ تَـنّورار" التي تعد من أهم مناطق زراعة الحبوب عند التساقطات المطرية، وهي " اگْـرارة" واسعة يسقيها واد تادَايغْ النازل من جبل آيدار. وإن يـگـوتْ يترحلون في مجمل هذه المنطقة إلى حدود الساقية الحمراء. وخلال العقد الثاني من القرن العشرين تنقلت القبيلة نحو الجنوب حيث وصلت مضاربها منطقة كدية إيجل شرق تيرس حيث انتجعوا مراعي المنطقة وأقاموا لمدة طويلة. ويحد يـگـوتْ مجموعة قبائل قوية أهمها الرگيبات وآيت أوسى. ولقبيلة يـگـوتْ مجموعة من الصلحاء الذين تعظمهم، بل منهم من يعتبروه جدهم الجامع وهو سيدي أوحسون الذي يوجد مزاره في واد فَـرّاح في موضع يقال له أو وهدة. والتقاليد المروية ترى أنه ينحدر من آيت يَعزَى او يهدى، الأسرة التي ينسب إليها 366 ولياً صالحاً بمنطقة آسا. ومعنى ذلك أن هذا الولي الصالح كان من المجاهدين الذين واجهوا المد الأيبيري بالمنطقة خلال القرن السادس عشر. وهناك أيضا الولي الصالح سيدي داود الذي يوجد ضريحه بتـلمزّون، ثم إبراهيم أو مسعود المدفون في جبل زيني. وتعد يـگـوتْ من القبائل المنتشرة خارج مجالها الأصلي المحدد سابقا، حيث نجد منهم فرعا في منطقة الرحامنة شمال مراكش موزع على طائفتين هما : يـگـوتْ الغرَّابة ويـگـوتْ لعرب. كما نسجت يـگـوتْ علاقات مع مجموعة من القبائل مثل آيت موسى وعلي (خاصة أهـل بيـرُوك) وبعـد ذلك مـع آيت لحسن ثم مع الرگـيبات حيث ربطتهم علاقــات الجــوار والمصاهرة بعد مغادرتهم للف آيت أجمل من اتحادية تكنــة.

وخلال سنة 1912 اضطر يـگـوتْ لمغادرة مجالهم الرعوي الأصلي بفعل غارات آيت أوسى فانطلقوا من جبل زيني نحو موريتانيا حيث نزلوا قرب كدية إيجل في منطقة تدعى "بَـنَـعْميرة"، حيث أقاموا لمدة سنتين وعدوا عدتهم وتضاعفت قطعانهم من الإبل وعادوا لغزو آيت أوسى لاسترداد مالهم المنهوب، كما انضموا إلى صفوف مقاومة الاستعمار الفرنسي حيث ساهموا في انهزام حملة الضابط الفرنسي موري (Mouret) الذي غزى السمارة سنة 1913، وهناك فقدوا خمسة من الشهداء.

وتتكون قبيلة يـگـوتْ من مجموعة فخذات وأعراش وهي كالتالــي : آيت ياسين (آيت حمو ـ آيت إيبورك ـ لعبيدات) وآيت حماد (آيت الطالب ـ آيت سعيد ـ آمساويح). وكان يتزعم هذه القبيلة "اجماعة" أو " آيت أربعين"، وبعض الشيوخ منهم مثلا : امبارك بن العربي

من آيت سعيد وكذلك الناجم بن بوجمعة اويحيا وإبراهيم ولد عبد الله وكان هؤلاء إبان الحكم الإسباني بالمنطقة. ومن آيت ياسين برز من الشيوخ : لعروسي بن عبد الخالق الذي كان والده من قواد السلطان مولاي الحسن الأول، ومن فخذة آيت حمو وآيت إيبورك اعلي بن بالحسن المعروف بأعويلي، والعروسي ولد رحال، ومن آمساويح حمد العيلال الوعبان وعيلال ولد الناجم. وقد تميز من آيت أسعيد الرجل الشجاع العربي ولد بوجمعة ولد رحال.

و"للجماعة" دور أساسي داخل القبيلة حيث تتحكم في تدبير نقاط الماء إبان التساقطات المطرية، وتؤطر القوافل الموجهة للأسواق السنوية بواد نون ونحو آيت باعمران، كما أنها هي التي تقرر في مجال الحرب ومواجهة الغصب الذي تتعرض له القبيلة أثناء ظعنها. وكثيرا ما تأخذ القبيلة برأي كبار السن من أعضاء "أجماعة" في القضايا المطروحة على المجتمع مثل حالات السرقة أو القتل أو التبادل مع القبائل الأخرى، وعادة ما يحكمون في هذه القضايا بالشرع عن طريق فقيه نازل بينهم عادة ما يكون من فيلالة، ففي حالة القتل يقدم القاتل لأهل الهالك دية تصل 50 جملا وعبدا وبندقية مع تقديم "اتعرْگيبة" أمام جماعة القبيلة للصفح عن ما قام به من جرم. أما في حالة السرقة فيكون التعويض عبارة عن أربعة جمال ونعجة. ويتميز الزواج عند هذه القبيلة بكون الفتاة تقبل على الزواج وهي لا تزال صغيرة، ويقام حفل الزفاف حسب تقاليد مرعية تحت الخيام، ومن ذلك كمية الصداق المقدم للعروس الذي كان في الماضي عبارة عن جملين وأربعة بيصات (قطع من الثوب الأبيض والأزرق) وعشرون قالبا من السكر وأربعة أحذية (ابلاغي) گرگ، وكمية من الحناء ومن التمر ورأس من الغنم. وخلال الحكم الإسباني بالصحراء اعتبرت الإدارة الاستعمارية هذه القبيلة خارجة عن منطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب لذلك صنفوها في عداد ما كانوا يسمونه بـ "قبائل الشمال". رغم أنها هي وقبيلة الزرگيين تعدان من جملة قبائل تكنة المتمركزة بالمنطقة المستعمرة آن ذاك، ويرى الضابط الإسباني ديل باريو Del Barrio أن يـگوتْ قبيلة تحترف الممارسة الرعوية مما ساعدها على التحالف تاريخيا مع بطني السواعد وأولاد موسى من قبيلة الرگيبات، كما يسجل أن يـگوتْ يتقنون الممارسة الحربية حيث نجحوا في المجال العسكري وظهر فيهم جنود وضباط أشاوشْ وملتزمون. وتتمركز هذه القبيلة اليوم بإقليم الطنطان وبإقليم العيون ويمارس أفرادها أنشطة اقتصادية مختلفة.

عمر ناجيه، *تاريخ البنيات الاقتصادية والاجتماعية بمنطقة واد نون : نموذج قبيلة آيت لحسن*، رسالة د.د.ع بكلية الآداب، شعبة التاريخ، الرباط، 1999.

Bernabe Rato, Los Vaggut, in : *Africa, N° 5*, Mayo, 1937, p. 84 – 89 ; De la Chapelle, *Les Tekna du sud Marocain*, Paris, 1934 ; Del Barrio, Jose Entrique Alonso, *Las Tribus del sahara*, Aiun, 1973.

اليگوتي، المهدي بن **بوجمعة** بن محمد الكوري ولد لحويمد، ينتمي إلى أهل لحويمد من قبيلة يـگوت، ولد بالطنطان سنة 1934 ولما وصل سن التمدرس دخل هو وأخوه أحمد المدرسة في عهد الاستعمار الإسباني. أما والدته فهي سعاد بنت محمد فراجي، التي كانت معروفة بممارسة الطب التقليدي وبدعمها لرجالات حركة جيش التحرير. تابع المهدي تعليمه الابتدائي بمدينة سيدي إفني ومنها انتقل إلى جزر الكناري حيث أكمل دراسته لينتقل إلى مدريد من أجل التكوين العسكري حيث تخرج كضابط سلاح اللاسلكي، واشتغل بالجيش الإسباني بمدينة عيون الساقية الحمراء، ولما حلت حركة جيش التحرير بالصحراء فر من الجيش الإسباني والتحق بالمقاومة وكان من الفارين معه السالك الفيطح وبريكة بن محمد لحبيب، ولد بوفوس الحسناوي، وقد أخذ معه عددا من أجهزة الراديو للارسال والاستقبال، وثمانية بنادق من نوع الخماسية الإسبانية ومحركاً لشحن البطاريات إضافة إلى عدد من الجمال. وشارك في عدد من معارك جيش التحرير مثل معركة أم لعشار، ومرگالة، وتافودارت والمسيد ومعارك آيت باعمران وجبل تاموشا تالوين وجبل بولعلام ومعركة أرغيوة التي أندلعت سنة 1957 التي أصيب فيها برصاصة في فخذه الأيمن. وتحكي الرواية المحلية أنه أشرف، رفقة المقاوم إدريس العلوي، بمدينة الطنطان سنة 1956 على الإعداد لوفد من أبناء القبائل الصحراوية لتجديد البيعة لجلالة الملك محمد الخامس بعد الاستقلال، وكان من المشاركين في الوفد الراحل علي بوعيدة، وسيد أحمد ولد امبارك العربي وفوزي الحسين وغيرهم. وبعد معارك ايكوفيون Ecouvillon، فبراير 1958 وانتهاء حركة جيش التحرير، التحق بالقوات المسلحة الملكية برتبة ملازم، وكان من المكلفين بتوقيع شواهد الاعتراف بالأشخاص الذين شاركوا في حركة المقاومة وجيش التحرير. وفي 1963 كان في طليعة القوات المسلحة المشاركة في حرب الرمال. وفي سنة 1974 نودي عليه للمشاركة في "الوحدات" الخاصة بحرب الصحراء إلى جانب بعض الزعامات الحربية المرموقة من القبائل الصحراوية مثل أيدا ولد التامك الكولونيل ماجور وأخوه أحمد مولاي بوي، وكان أن شارك في أول معركة لهذه الوحدات ضد البوليساريو حيث سقط شهيداً بتاريخ 6 نونبر 1975 بمنطقة الفرسية في أعالي الساقية الحمراء.

مقابلة مع السيدة أمباركة حفيدة المقاوم، الطنطان، خريف سنة 2010 ؛ عبروق ماء العينين (القبطان المهدي بوي : أول شهيد سقط في حرب الصحراء)، *جريدة الوطن*، العدد 409، 23 دجنبر 2010.

محمد دحمان

المبادرة المغربية للتفاوض بشأن نظام للحكم الذاتي لجهة الصحراء

التزام المغرب بالعمل على إيجاد حل سياسي نهائي :

مافتئ مجلس الأمن، منذ 2004 يدعو "الأطراف ودول المنطقة إلى مواصلة تعاونها التام مع الأمم المتحدة لوضع حد للمأزق الراهن ولإحراز تقدم نحو إيجاد حل سياسي".

وتلبية لهذا النداء الصادر عن المجموعة الدولية، انخرطت المملكة المغربية في دينامية إيجابية وبناءة، ملتزمة بتقديم مبادرة للتفاوض بشأن نظام للحكم الذاتي لجهة الصحراء في إطار سيادة المملكة ووحدتها الترابية والوطنية.

تندرج هذه المبادرة في إطار بناء مجتمع ديمقراطي حداثي يرتكز على مقومات دولة القانون والحريات الفردية والجماعية و التنمية الاقتصادية والاجتماعية. وهي مبادرة واعدة بانبثاق مستقبل أفضل لسكان الجهة، فضلا عن أنه من شأنها أن تضع حدا للمعاناة من الفراق والنفي وأن تساعد على تحقيق المصالحة.

تكفل المملكة المغربية، من خلال هذه المبادرة، لكافة الصحراويين، سواء الموجودين في الداخل أو في الخارج، مكانتهم اللائقة ودورهم الكامل في مختلف هيئات الجهة ومؤسساتها، بعيدا عن أي تمييز أو إقصاء.

ومن هذا المنطلق، سيتولى سكان الصحراء، وبشكل ديمقراطي، تدبير شؤونهم بأنفسهم من خلال هيئات تشريعية وتنفيذية وقضائية، تتمتع باختصاصات حصرية. كما ستوفر لهم الموارد المالية الضرورية لتنمية الجهة في كافة المجالات والإسهام الفعال في الحياة الاقتصادية و الاجتماعية والثقافية للمملكة.

تحتفظ الدولة باختصاصاتها في ميادين السيادة، لاسيما الدفاع والعلاقات الخارجية والاختصاصات الدستورية والدينية لجلالة الملك أمير المؤمنين.

ترمي المبادرة المغربية المفعمة بروح الانفتاح إلى توفير الظروف المواتية للشروع في مسلسل للتفاوض والحوار كفيل بأن يفضي إلى حل سياسي مقبول من جميع الأطراف.

يخضع نظام الحكم الذاتي المنبثق عن المفاوضات لاستشارة استفتائية للسكان المعنيين، طبقا لمبدإ تقرير المصير ولأحكام ميثاق الأمم المتحدة.

ومن هذا المنطلق، فإن المغرب يوجه نداء إلى باقي الأطراف لكي تغتنم هذه الفرصة من أجل فتح صفحة جديدة في تاريخ المنطقة. كما يعبر عن استعداده للانخراط في مفاوضات جدية وبناءة انطلاقا من روح هذه المبادرة، وكذا عن الإسهام في خلق مناخ الثقة الضرورية لإنجاحها.

ولهذه الغاية، تبقى المملكة مستعدة للتعاون التام مع الأمين العام للأمم المتحدة ومبعوثه الشخصي.

العناصر الأساسية للمقترح المغربي :

المشروع المغربي للحكم الذاتي مستلهم من مقترحات الأمم المتحدة ذات الصلة ومن الأحكام الدستورية المعمول بها في الدول القريبة من المغرب جغرافيا وثقافيا. وهو مشروع يقوم على ضوابط ومعايير متعرف بها عالميا.

اختصاصات جهة الحكم الذاتي للصحراء :

يمارس سكان جهة الحكم الذاتي للصحراء، داخل الحدود الترابية للجهة، ومن خلال هيئات تنفيذية وتشريعية وقضائية، ووفق المبادئ والقواعد الديمقراطية، عدة اختصاصات، ولاسيما في الميادين التالية :

- الإدارة المحلية والشرطة المحلية ومحاكم الجهة ؛
- على المستوى الاقتصادي : التنمية الاقتصادية والتخطيط الجهوي وتشجيع الاستثمارات والتجارة والصناعة والسياحة والفلاحة ؛
- ميزانية الجهة ونظامها الجبائي ؛
- البنى التحتية : الماء والمنشآت المائية والكهرباء والأشغال العمومية والنقل ؛
- على المستوى الاجتماعي : السكن والتربية والصحة والتشغيل والرياضة والضمان الاجتماعي والرعاية الاجتماعية ؛
- التنمية الثقافية : بما في ذلك النهوض بالتراث الثقافي الصحراوي الحساني ؛
- البيئة

تتوفر جهة الحكم الذاتي للصحراء على الموارد المالية الضرورية لتحقيق تنميتها في كافة المجالات. وتتكون هذه الموارد بالخصوص مما يلي :

- الضرائب والرسوم والمساهمات المحلية المقررة من لدن الهيئات المختصة للجهة ؛
- العائدات المتأتية من استغلال الموارد الطبيعية المرصودة للجهة ؛
- جزء من العائدات المحصلة من طرف الدولة والمتأتية من الموارد الطبيعية الموجودة داخل الجهة ؛
- الموارد الضرورية المخصصة في إطار التضامن الوطني ؛
- عائدات ممتلكات الجهة.

تحتفظ الدولة باختصاصات حصرية، خاصة منها ما يلي :

- مقومات السيادة، لاسيما العلم والنشيد الوطني والعملة ؛
- المقومات المرتبطة بالاختصاصات الدستورية والدينية للملك بصفته أمير المؤمنين والضامن لحرية ممارسة الشعائر الدينية وللحريات الفردية والجماعية ؛
- الأمن الوطني والدفاع الخارجي والوحدة الترابية ؛
- العلاقات الخارجية ؛
- النظام القضائي للمملكة.

تباشر الدولة مسؤوليتها في مجال العلاقات الخارجية بتشاور مع جهة الحكم الذاتي للصحراء، وذلك بالنسبة لكل القضايا ذات الصلة المباشرة باختصاصات هذه الجهة. ويجوز لجهة الحكم الذاتي للصحراء، بتشاور مع الحكومة، إقامة علاقات تعاون مع جهات أجنبية بهدف تطوير الحوار والتعاون بين الجهات.

يزاول مندوب للحكومة اختصاصات الدولة في جهة الحكم الذاتي للصحراء، المنصوص عليها في الفقرة 14 أعلاه.

من جهة أخرى، تمارس الاختصاصات، التي لم يتم التنصيص على تخويلها صراحة باتفاق بين الطرفين، وذلك عملا بمبدإ التفريع.

تمثل ساكنة جهة الحكم الذاتي للصحراء في البرلمان وبباقي المؤسسات الوطنية. وتشارك في كافة الانتخابات الوطنية.

هيئات الجهة :

يتكون برلمان الحكم الذاتي للصحراء من أعضاء منتخبين من طرف مختلف القبائل الصحراوية، وكذا من أعضاء منتخبين بالاقتراع العام المباشر من طرف مجموع سكان الجهة. كما يتعين أن تتضمن تشكيلة برلمان جهة الحكم الذاتي للصحراء نسبة ملائمة من النساء.

يمارس السلطة التنفيذية في جهة الحكم الذاتي للصحراء رئيس حكومة ينتخبه البرلمان الجهوي وينصبه الملك. رئيس الحكومة هو ممثل الدولة في الجهة.

يتولى رئيس حكومة جهة الحكم الذاتي للصحراء تشكيل حكومة الجهة ويعين الموظفين الإداريين الضروريين لمزاولة الاختصاصات الموكولة إليه بموجب نظام الحكم الذاتي. ويكون رئيس حكومة الجهة مسؤولا أمام برلمان الجهة.

يجوز للبرلمان الجهوي أن يحدث محاكم تتولى البت في المنازعات الناشئة عن تطبيق الضوابط التي تضعها الهيئات المختصة لجهة الحكم الذاتي للصحراء. وتصدر هذه المحاكم أحكامها بكامل الاستقلالية وباسم الملك.

تتولى المحكمة العليا الجهوية، باعتبارها أعلى هيئة قضائية بجهة الحكم الذاتي للصحراء، النظر انتهائيا في تأويل قوانين الجهة دون إخلال باختصاصات المجلس الأعلى والمجلس الدستوري للمملكة.

يجب أن تكون القوانين التشريعية والتنظيمية والأحكام القضائية الصادرة عن هيئات جهة الحكم الذاتي للصحراء مطابقة لنظام الحكم الذاتي في الجهة، وكذا لدستور المملكة.

يتمتع سكان الجهة بكافة الضمانات التي يكفلها الدستور المغربي في مجال حقوق الإنسان، كما هي متعارف عليها دوليا.

تتوفر جهة الحكم الذاتي للصحراء على مجلس اقتصادي واجتماعي يتشكل من ممثلي القطاعات الاقتصادية والاجتماعية والمهنية والجمعوية ومن شخصيات ذات كفاءات عالية.

مسار الموافقة على نظام الحكم الذاتي وتفعيله :

يكون نظام الحكم الذاتي للجهة موضوع تفاوض، ويطرح على السكان المعنيين بموجب استفتاء حر ضمن استشارة ديمقراطية. ويعد هذا الاستفتاء، طبقاً للشرعية الدولية وميثاق الأمم المتحدة وقرارات الجمعية العامة ومجلس الأمن، بمثابة ممارسة حرة من لدن هؤلاء السكان لحقهم في تقرير المصير.

وتحقيقاً لهذا الغرض تلتزم الأطراف بالعمل سويا وبحسن نية، من أجل تفعيل هذا الحل السياسي وموافقة سكان الصحراء عليه.

كما تتم مراجعة الدستور المغربي وإدراج نظام الحكم الذاتي فيه، ضمانا لاستقرار هذا النظام وإحلاله المكانة الخاصة اللائقة به داخل المنظومة القانونية للمملكة.

تتخذ المملكة المغربية كافة الإجراءات اللازمة من أجل إدماج الأشخاص الذين تتم عودتهم إلى الوطن إدماجا تاما في حظيرته، وذلك في ظل ظروف تكفل الحفاظ على كرامتهم وسلامتهم وحماية ممتلكاتهم.

ولهذه الغاية، تصدر المملكة بالخصوص عفواً شاملاً يستبعد أي متابعة أو توقيف أو اعتقال أو حبس أو أي شكل من أشكال الترهيب ينبني على وقائع مشمولة بهذا العفو.

بعد موافقة الأطـراف على مشروع نظام الحكم الذاتي، يساهم مجلس انتقالي مكـون من ممثلي الأطراف في تدبير عودة سكان المخيمات إلى الوطـن ونزع السـلاح والتسريح وإعادة إدمـاج العناصر المسلحة التي توجد خارج تراب الجهة، وكذا في أي مسعى يهدف إلى إقـرار هذا النظام وتطبيقـه، بما في ذلك العمليات الانتخابية.

إن المملكة المغربية مقتنعة اليوم، مثل باقي أعضاء المجموعة الدولية، بأن حل الخلاف حول الصحراء لن يتأتى إلا بالتفاوض. وبناء على هذا الخيار، فإن المقترح الذي تطرحه على أنظار الأمم المتحدة يشكل فرصة حقيقية من شأنهـا أن تساعـد على انطلاق مفاوضات بهدف التوصل إلى حل نهائي لهذا الخلاف في إطار الشرعية الدولية وعلى أساس إجراءات توافقية تنسجم مع الأهداف والمبادئ التي ينص عليها ميثاق الأمم المتحدة.

وفي هذا السياق، يتعهد المغرب بالتفـاوض، بحسن نية وبروح بناءة منفتحة وصادقة، من أجل التوصل إلى حل سياسي نهائي ومقبـول من جميع الأطراف، لتسوية هـذا الخلاف الذي تعانيه المنطقـة برمتها. ومن أجل ذلك، فإن المملكة على استعـداد للإسهام الفعال في توفيـر مناخ من الثقة كفيل بالمساعـدة على إنجاح هذا المشروع.

تأمل المملكة المغربية أن تستوعب الأطراف الأخرى دلالة هذا المقترح بكل أبعاده وأن تقدره وتسهم فيه إسهاماً إيجابياً وبنـاء، معتبـرة أن الديناميـة التي أفرزتها هذه المبادرة تتيح فرصة تاريخية لحل هذه القضية بصفة نهائية.

الفهـرس

ملاحظة : الكلمات المكتوبة مائلة في أول السطر لا تعتبر في ترتيب المداخل، مثل "ابن" "أبو" "سيدي" "آيت" "أولاد"

- ت -

ـ ش ـ

ـ ص ـ

- غ -

- م -

ISBN (Ensemble) 9981 - 03 - 000 - 7
ISBN (Part 27 Supplément IV) 9981 - 03 - 034 - 3

Editée par



Dar Al Aman - Rabat
Kingdom of Maroc - 4, Zanaka Mamouniat - Rabat
Tel.:+212 5 37 72 32 76 / +212 5 37 26 37 87
Fax.:+212 5 37 20 00 55
e-mail: libdarelamane@yahoo.fr

Encyclopédie du Maroc



SUPPLEÉMENT (4)

Editée par



Dar Al Aman - Rabat

1ere Edition 2014 / 1435